المقتطف

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صروف و الدكتور فارس نمر

قيمة الاشتراك — في القطر المصري جنيه مصري واحد وفي سورية وفلسطين والعراق ١٢٠ غرشاً مصرياً وفي الولايات المتحدة ٦ دولارات اميريكية وفي سائر الجهات ٢٦ شلناً

اشتراك الطلبة والمدرسين — قيمة الاشتراك للاساتذة والطلبة الذين يرفقون طلبهم بقيمة الاشتراك وبشهادة من رئيس المدرسة تكون ٨٠ غرشاً مصرياً في مصر و ٩٥ غرشاً مصرياً في الخارج

الاعداد الضائعة — الادارة لا تعد بتعويض المشتركين ما يضيع من اعدادهم في الطريق ولكن تجتهد ان تفعل ذلك

المقالات — لا تقبل المقالات للنشر في المقتطف الا اذا كانت لهُ خاصة ولا يعد قلم التحرير بارجاع المقالات التي لا تنشر فنرجو من حضرات الكتّاب ان يحتفظوا بنسخة من المقالات التي يرسلونها

العنوان — ادارة المقتطف بالقاهرة — مصر

AL-MUKTATAF

An Arabic Monthly Review of Current Science Literature.

Published in Cairo Egypt

Founded 1876 by Drs. Y. Sarruf & F. Nimr

EDITED BY F. SARRUF

Subscription Price : Egypt & the Sudan 1 L.E. or 5 Dollar.

Foreign 120 P.T. or 6 Dollars

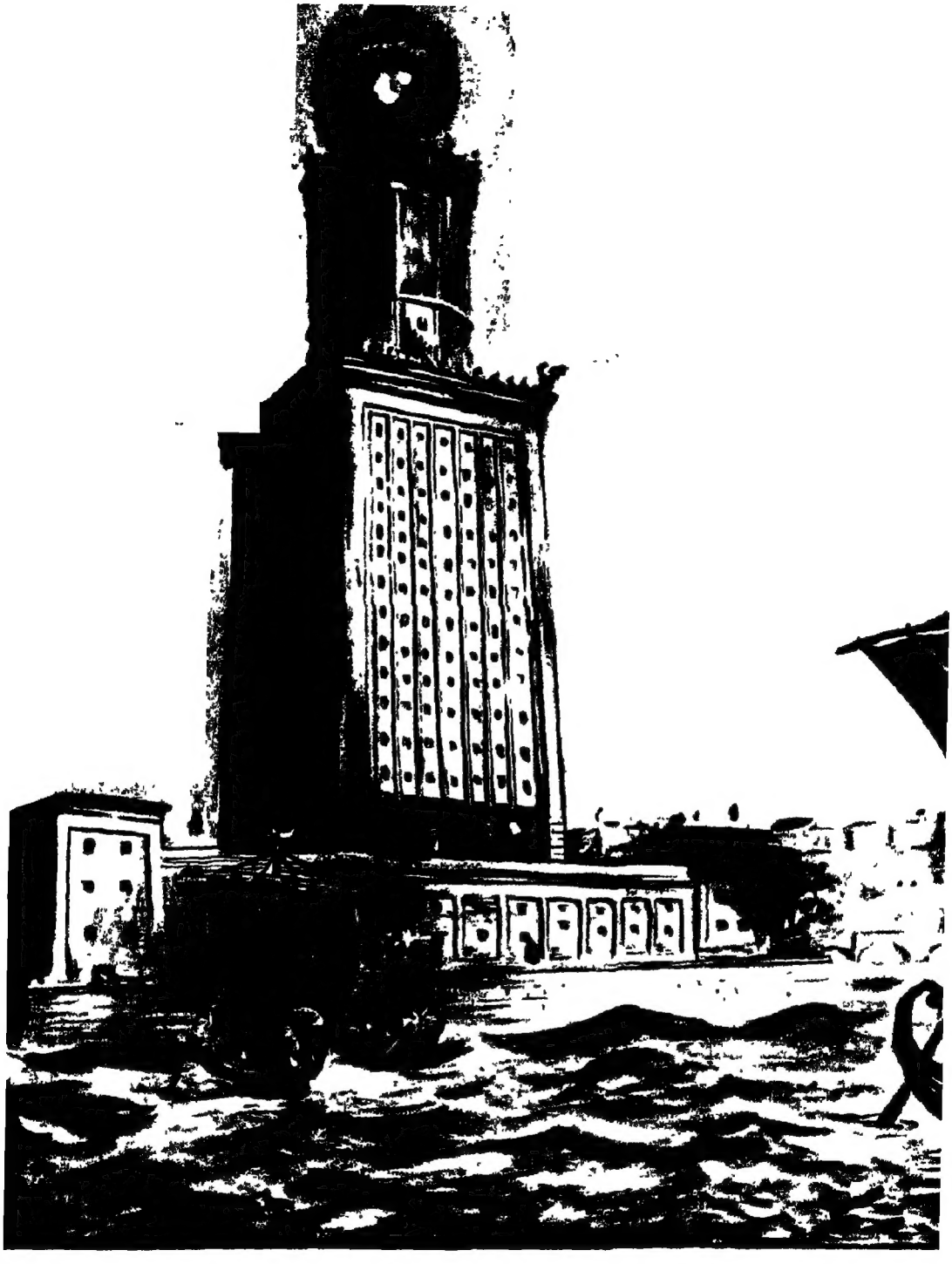

منارة الاسكندرية

The Pharos of Alexandria

نقلا عن كتاب « عجائب الماضي » والصورة وضع تيرش

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الاول من المجلد السادس والثمانين

١ يناير سنة ١٩٣٥ — ٢٥ رمضان سنه ١٣٥٣

كشف الايدروجين الثقيل

وجائزة نوبل في الكيمياء

صلتهُ بعلمي الكيمياء والطبيعة وأثر الماء الثقيل في الاحياء

لعلَّ كشف العلماء الاميركيين للايدروجين الثقيل والماء الثقيل اعظم اثر علمي ظهر بعد تجربة ميكلصن مورلي التي نهضت على اساسها نظرية النسبية ، وقياس ملكن للشحنة الكهربائية على الالكترون ، وبحثهِ هو وكمطن وصحبهما في الاشعة الكونية . بل لعلَّ كشف الايدروجين الثقيل فوق هذين البحثين الاخيرين لانهُ فتح ميداناً جديداً في علوم الطبيعة والحياة حالة ان قياس الشحنة الكهربائية على الالكترون والبحث في الاشعة الكونية ، مع ما ينطويان عليه من ابداع وتدقيق ، لم يكونا الاَّ اضافة جديدة الى موضوعين سبقهم الى العناية بهما غيرهم من العلماء . فمنح جائزة نوبل الكيمائية عن سنة ١٩٣٤ للدكتور هارولد بوري Urey استاذ الكيمياء الطبيعية في جامعة كولومبيا جزاءً لهُ على كشفهِ هذا ، بعد فوز طائفة من علماء الولايات المتحدة الاميركية بعدد من جوائز نوبل في الطبيعة والكيمياء (هؤلاء العلماء هم بحسب ترتيب نيلهم الجوائز المذكورة ميكلصن وملكن ورتشردز وكمطن ولنغمبور) دليل على ان اميركا التي كانت الى عهد قريب عالة في علمها على اوربا معنية في الغالب بتطبيق مبادىء العلوم التي كشفها الاوربيون ، قد اخذت تقوم بنصيبها في ترقية العلم بالاضافة الى بحوثهِ الاساسية . وتجني ثمرة الاموال التي انفقت في

عها على انشاء الجامعات ومعاهد البحث العلمي في الشركات الصناعية الكبيرة . على ان الاستاذ
ي ليس العالمَ الاميركيَّ الفرد الذي عني بهذا البحث الجديد بل يجب ان نذكر معهُ الاساتذة
ج Birge ومنزل Menzel وبريكوود Brickwedde ولوِس Lewis ويستطيع القارىء ان يتبيَّنَ
كلٍّ من هؤلاء العلماء في هذا الكشف من خلال هذا المقال

* * *

اطلق على الضرب القديم المعهود من الايدروجين اسم ايدروجين ١ ، وعلى الضرب الجديد
م ايدروجين ٢ . والرقمان يشيران الى وزن الضربين او الى الوزن النسبي لذرتيهما بالمقابلة مع وزن
ة الاكسجين . فقراء المقتطف يعلمون ان الايدروجين أخف المواد المعروفة على الاطلاق وان
، واحد ، اي اذ اتخذنا الاكسجين اساساً للمقابلة ، وجعلنا وزنهُ الذري ١٦ فوزن الايدروجين
ري على هذا القياس واحد . وهذا الايدروجين هو الضرب الاول المعروف الآن بايدروجين١
الايدروجين٢ فنقله اثنان بالقياس الى ثقل الاكسجين . فاذا فرضنا ان ذرة الاكسجين ثقلها ١٦
رة الصنف الاول من الايدروجين ثقلها ١ وذرة الصنف الثاني ثقلها ٢ . وقد اقترح المكتشفون
لاق اسمين يونانيين على هذين الضربين من الايدروجين ، يعنيان ١ و ٢ وهما بروتيوم ودوتيريوم[1]

لا يخفى ان المواد التي تحيط بنا ، المنوعة في أشكالها وأوزانها وألوانها وروائحها وقساوتها ولينها
هي مركبة اصلاً من مواد اولية تدعى عناصر وعددها اثنان وتسعون عنصراً. فالعنصر في عرف
كيمياء هو المادة التي لا نستطيع ان نحللها بما نملكه من الوسائل الكيمائية من دون ان تفقد خواصها

وفي سنة ١٨٠٢ قال دلتن الكيماوي الانكليزي ان المادة مركبة من دقائق صغيرة دعاها ذرات
Ato وكان المفروض في نظريتهِ ان ذرات كل عنصر متشابهة جرماً ووزناً وتصرفاً كيمائيًّا . ثم
شف علماء الكيمياء وسائل تمكنهم من معرفة اوزان هذه الذرات بالمقابلة بينها . وفي سنة ١٨١٥
، الطبيب پروت Prout الانكليزي ان الأوزان الذرية ليست الاّ اضعافاً مختلفة لوزن ذرة
يدروجين . فوزن الكلسيوم ٤٠ مثلاً وهو ٤٠ ضعف وزن الايدروجين . فاذا سلمنا بهذا القول
ب ان تكون الاوزان الذرية كلها اعداداً صحيحة ، لان وزن الايدروجين عدد صحيح . واقترح
ئذٍ نظرية عجيبة مؤداها ان ذرات العناصر انما هي مركبة من ذرات ايدروجين محشوكة معاً .
كن لدى وزن ذرات العناصر بالأساليب المعروفة ، تبين ان اوزان كثير منها ليس بالعدد
حيح واذاً فلا يمكن ان تكون اضعافاً لوزن ذرة الايدروجين . فصرف النظر عن مذهب پروت
أواخر القرن التاسع عشر . ولكنهُ بعث من مرقده الآن . والقول بأن ذرات العناصر مبنية من
ات الايدروجين ، له صلة دقيقة بما للايدروجين الثقيل (الايدروجين ٢) من المكانة عند علماء
كيمياء والطبيعة

(١) يفضل علماء بريطانيا اسم ديلوجين للايدروجين الثقيل وذرته تعرف عندهم باسم ديلون

لنلتفت الآن الى ناحية اخرى من هذا البحث جديرة بالاهتمام . ففي اواخر القرن التاسع عشر كشف الباحثون عن ظواهر الاشعاع . فوجدوا ان هناك عناصر تتحول من تلقاء نفسها من عنصر الى آخر . فالراديوم يتحول بعد زمن طويل ينقضي عليهِ الى رصاص . وكانت النتيجة التي أسفر عنها البحث في تحول العناصر بعضها الى بعض ، ان بعض العناصر التي تنتهي اليها العناصر المشعة — كالرصاص مثلاً — تشبه عناصر اخرى في خواصها الكيمائية ولكنها تختلف عنها في وزنها الذري . فالرصاص الطبيعي يشبه الرصاص الناشيء من تحوّل الراديوم بالاشعاع ولكن أحدهما يختلف عن الآخر في وزنهِ الذرّي . كذلك الراديوم والميزوثوريوم ، لا يمكن ان يفصل احدهما عن الآخر من ناحيه الخواص الكيمائية ، ولكن الراديوم يحتاج الى ١٨٠٠ سنة لكي يتحول الى عنصر آخر وأما الميزوثوريوم ، فيحتاج الى سبع سنوات فقط ليتحوّل التحوُّل نفسهُ . ثم ان وزن الراديوم الذري ٢٢٦ واما وزن الميزوثوريوم ، الذرّي فـ ٢٢٨ والذرات التي تتشابه من حيث خواصها الكيمائية ولكنها تختلف من حيث وزنها تعرف بالنظائر Isotopes وقد عثر بين العناصر المشعة على أمثلة عديدة من النظائر

***

والخطوة التالية في تطوُّر هذا البحث انما تمّت لما ثبت ان العناصر العادية كالنيون والكلور وغيرهما مؤلفة من ذرات متشابهة في صفاتها الكيمائية وانما تختلف في اوزانها . ولعل اشهر الباحثين في هذا الموضوع هو الاستاذ استن Aston الانكليزي الذي اثبت ان اكثر العناصر مؤلفة من نظائر . وقد اقتفى الباحثون الاميركيون خطوات استن فأثبتوا ان للاكسجين والنتروجين والكربون نظائر كذلك . وقد ظهر ان اوران ذرات النظائر تكاد تكون اعداداً صحيحة مما يعيد الى الذهن نظرية بروت ، وهي ان ذرات العناصر مبنية من ذرات الايدروجين وقد حشكت معاً

واذا كان هـذا صحيحاً فيجب ان يعثر الباحثون على ذرة مؤلفة من ذرتي ايدروجين فتكون أبسط الذرات المركبة بحسب نظرية بروت وحلقة بين ذرة الايدروجين وذرات العناصر الاخرى المركبة منها . فعني بدرس هذا الموضوع الاستاذ برج Birge أحد اساتذة جامعة كاليفورنيا والدكتور منزل Menzel احد علماء مرصد هارفرد فأقاما الادلة على ان ايدروجين ٢ يوجد في الايدروجين العادي بنسبة ١ الى ٤٥٠٠ . واذا بلغت ندرة أحد النظائر هـذه المرتبة (١ : ٤٥٠٠) تعذر الكشف عنهُ الاَّ اذا امكن تركيزهُ . لذلك عمد الدكتور بريكود Brickwedde الى تقطير الايدروجين السائل على درجة واطية جداً من البرودة — ٤٦٦ بميزان فارنهيت تحت درجة الجمد . وبذلك زادت نسبة ايدروجين ٢ الى ايدروجين ١ حتى بلغت ١ : ١١٠٠ فتمكن الدكتور هارولد يوري Urey أحد اساتذة الكيمياء في جامعة كولومبيا ومعاونهُ مرفي من كشفهِ بواسطة طيفهِ . ثم كشفت طرق

خرى لاستحضاره منها طريقة الحلّ الكهربائي . والمتوقع ان يكون هذا الضرب من الايدروجين داراً لمباحث خطيرة في الكيمياء والطبيعة ، لذلك نذكر في ما يلي اشهر ما يعرف عن خواصهِ وما د يفضي اليهِ درسهُ من النتائج العلمية

***

لقد تبحّر العلماء في درس بناء الذرات في العهد الحديث فوصلوا الى ان الذرة مبنية من جزئين. ولاً من كتلة مركزية مشحونة شحنة كهربائية موجبة وحولها دقائق من الكهربائية السالبة تعرف لكهارب او الالكترونات . فاذا تعيَّن لدينا عدد الالكترونات حول نواة ذرة ما تعيّنت كذلك خواصها الكيمائية. فاذا كان في الذرة الكترون واحد فهي ذرة ايدروجين . واذا كان فيها الكترونان هي ذرة هليوم . واذا كان فيها ثلاثة الكترونات فهي ذرة ليثيوم . او اربعة فهي ذرة بريليوم . و خمسة فهي ذرة بور . او ستة فهي ذرة كربون . او سبعة فهي ذرة نتروجين . او ثمانية فهي رة اكسجين . او اثنان وتسعون فهي ذرة اورانيوم وهو آخر سلسلة العناصر . والعناصر الباقية توسطة بين الاكسجين والاورانيوم تزيد ذرة كلّ منها الكتروناً واحداً عن ذرة العنصر السابق

ولكن كتلة الذرة مركزة في النواة المركزية ، ووزنها يختلف باختلاف عدد الدقائق التي تتركب نها النواة . فنواة ذرة الايدروجين (او البروتيوم) تحتوي على دقيقة واحدة وتعرف لبروتون . اما ذرة الايدروجين (او الدوتيريوم) فمؤلفة من بروتون ونوترون — والنوترون قيقة وزنها وزن البروتون مؤلفة من بروتون والكترون ومتعادلة الكهربائية — فذرة الايدروجين ذي ورنهُ الذري ٢ (اسمها دوتون او دبلون) هي بعد ذرة الايدروجين ابسط الذرات المعروفة . اذا شاء العلماء ان ينفذوا الى سر تركيب النوى في الذرات وجب عليهم ان يقفوا على ترتيب ابسط ذرات وأبسط النوى ثم ما يليها فما يلي ذلك . ودرس نواتي البروتيوم والدوتيريوم انما هو خطوة لى في هذه الناحية

ثم ان الليثيوم الذي وزنهُ الذري ٧ يتفاعل مع البروتيوم لتوليد الهليوم . والليثيوم الذي وزنهُ ذري ٦ يتفاعل مع الدوتيريوم لتوليد الهليوم كذلك . وهذا النوع من التفاعل يفيض طاقة ظيمة تفوق مليون ضعف الطاقة التي تسفر عنها التفاعلات الكيمائية العادية . هذا اهم ما يقال عن .وتيوم والدوتيريوم من حيث مكانتهما في علمي الطبيعة والكيمياء

اما من ناحية خواصهما الكيمائية فثمَّة فروق بينهما . فعالم الكيمياء يهمهُ ان يعرف لماذا صرف العناصر الكيمائية تصرفها المعروف . كيف يحترق الايدروجين وكيف تحصل التفاعلات كيمائية في اجسادنا ؟ ونحن نعلم ان الجواب الشافي عن هذه الاسئلة وأشباهها يتناول عوامل يرة متنوعة . ولكننا نعلم كذلك ان لوزن الذرات في المواد المتفاعلة شأناً كبيراً . او نحسّ أن ك يجب ان يكون . والظاهر ان احساسنا هذا صعب التحقيق فالعلماء يقولون ان وزن الذرات ،

ذا كان لهُ اثر في التفاعلات الكيمائية فانهُ اثر لا يكاد يكشف بالكواشف المعروفة . ولكن الفرق لكيمائي بين تفاعل ذرة البروتيوم وذرة الدوتيريوم يسهل كشفهُ بنسبتهِ الى وزني الذرتين . فالماء لذي يصنع من الايدروجين ١ يختلف في درجة غليانهِ عن الماء المصنوع من الايدروجين ٢ . ثم ان فاعلاً كيمائيًّا يدخل فيهِ احد الصنفين يختلف سرعةً عن نفس التفاعل اذا أُبدل فيهِ احد الصنفين نظيره . وقد يكون هناك فروق بيولوجية ناتجة عنهما . فالفئران التي تحتوي اجسامها على مواد يكثر فيها يدروجين ٢ في تركيبها قد لا تستطيع الاَّ ان تكون بطيئة او لا تستطيع ان تعيش قط فهو في جسمها بمثابة السم . فهذا الايدروجين الثقيل كأ كثر المكتشفات العلمية في استهلالها لا يمكن ان حكم عليهِ حتى يتعمق العلماء في درسهِ وكشف احواله وخواصهِ

***

لما كشف الايدرجين الثقيل في اميركا ، بدأَ العلماء يتكهنون بخواص الماء الذي يصنع منهُ . قد قال الاستاذ يوري ... احد مكتشفيهِ ان الماء يهمنا من الناحية الكيمائية لانهُ افضل المواد لمذيبة المعروفة . وكثير من التفاعلات الكيمائية تحصل في الماء . ثم ان الايدروجين يلي الكربون ي عدد المواد التي يدخل في تركيبها . فالمعروف ان الايدروجين يدخل في تركيب نحو ٣٠٠ الف ركب عضوي او اكثر ، علاوة على الكربون والنتروجين والاكسجين . ولما كانت المواد التي يدخل لايدروجين الثقيل في تركيبها تختلف في خواصها عن نفس المواد اذا كان ايدروجينها عاديًّا اكتشاف هذا النظير للايدروجين يفتح امامنا باباً لتركيبات كيمائية جديدة

وقد ثبت من تجارب جرت في احدى كليات اميركا ان الماء الثقيل (اي المركب من اكسجين ايدروجين ثقيل) يفتك بحياة بعض الحيوانات المائية. ثم ان الخمائر لا تنمو فيهِ بنفس السرعة التي نمو بها في الماء العادي. ووجد الكيماوي الاميركي الاستاذ غلبرت لوس ان بزور التبغ لا تنتش بعد قعها في الماء الثقيل . ثم اذا نقعت في ماء عادي ، تنتش انتاشاً ضعيفاً غير سويٍّ . اما الديدان لمسطحة فتكاد تموت اذا نقعت ثلاث ساعات في ماء ثقيل ثم تعود الى الحياة اذا نقلت الى ماء عادي . قد وجدت طائفة من اساتذة جامعة برنستن ان دعاميص الضفدع الخضراء لا تستطيع ان تعيش في لماء الثقيل اكثر من ساعة

وقد عاد الاستاذ لوس حديثاً الى تجربة اثر الماء الثقيل في حياة الفئران . فأخذ فأرة وسقاها لماء الثقيل بقطَّارة لان ثمن الرطل منهُ يبلغ ١٥٠٠ جنيه لندرة الايدروجين الثقيل ولشدة العناء ي تحضيره . وسقى فأرين آخرين ماءً عاديًّا . وكانت النتيجة ان الفأرين اللذين سقيا الماء العادي ظلاّ يتصرفان تصرفاً سويًّا في اليقظة والمنام . اما الفأر الاول فتصرَّف تصرُّفاً غريباً . اذ جعل قفز قفزاً عجيباً ويلحس الجدار الزجاجي في قفصه . وكان كلما سقي الماء الثقيل يزداد ظمأً . ولو لم نفد الماء عند الاستاذ لوس لمضى هذا الفأر يشرب وهو لا يرتوي

مكتبة الاسكندرية ومدرستها

وطرف من آثار بعض علمائها في عهد البطالسة *

اذا ذكرت الاسكندرية بين حواضر العلم في العصر القديم كانت في فريق الطليعة . فلعلمائها في ميادين العلم النظري والعملي مكتشفات ومخترعات كانت ولا يزال بعضها آيةً في الابداع والابتداع. ولآدبائها وفلاسفتها في نواحي الادب والفلسفة القدح المعلّى والذكر الخالد . ولعلّ مدينة في التاريخ لا تستطيع ان تباهي بكوكبة من العلماء كالكوكبة التي تستطيع ان تباهي بها الاسكندرية وتفوقها حتى ولا اثينا في اوج عزها (١) . وان مدينة تستطيع ان تنظم في عقد عظمائها ، علماءً من طبقة اقليدس وارخميدس وابولونيوس وهيرو وهبّارخس وبطليموس وهيروفيلوس واراستسترتس وغيرهم ، ويقرن اسمها في تاريخ العلم بأصول الهندسة المسطّحة وقواعد التشريح ومبادىء الطبيعة المحققة المجرّبة وقياس محيط الارض ومعرفة ميل دائرة البروج ووضع نظام كوني ظلّ سائداً حتى خاتمة القرون الوسطى ، لَمدينةٌ يحق لنا ان نلتفت الى تاريخها واثرها في العمران . ونحن نفعل ذلك الليلة ، لا لنشيد بماضٍ غابر مجيد ، او لنبكي على علم مضاع ، مكتفين بالإشادة والبكاء ، وانما لندلّ على ان البلاد التي اظلّت اولئك العلماء والفلاسفة وأنجبت بعضهم ، تستطيع اليوم بما تلقاه من تشجيع جلالة مليكها العالم ، المحبّ للعلم ، ان تعيد من ذلك العهد الزاهي سيرتهُ المجيدة الاولى فتنتظم هذه البلاد في الموكب العلمي السائر بقواعد تفكيره ونتاج ذلك التفكير — رغم بعد المساوي التي تبدو في أفقهِ — نحو المثُل الانسانية العالية

***

بعد وفاة الاسكندر المقدوني الفاتح العظيم ، كانت مصر نصيب القائد بطليموس ، أحد قوّاد الاربعة الذين اقتسموا مملكتهُ المترامية الاطراف . وكان لموقع مصر الجغرافي اكبر أثر في بلوغها في القرون التالية ارفع رتبة بين أمم ذلك العصر . ذلك ان بُعدها عن القبائل الاوربية الغازية التي اكتسحت اوربا ، وتحطيم اسطول الفينيقيين بعد حصار صور وافتتاحها عنوة ، جعلها في مأمن من هجمات الاعداء فتمتعت ردحاً من الدهر بسيادة بحرية واتسعت الاسكندرية حتى ساوت قرطاجنة ونافستها في التجارة غرباً واتصلت ببلاد العرب والهند من طريق البحر الأحمر . ور

---

* من محاضرة لرئيس تحرير المقتطف في جامعة القاهرة الاميركية

(١) راجع : موجز التاريخ : صفحة ١٩٧ طبعة كاسل ١٩٢١

لوها في بحبوحةٍ من العيش والرخاءِ ، فتسنى لهم ان ينصرفوا عن الاهتمام بشؤون العيش وامور
فاع الى إنشاء المدارس والاندية العلمية . فأصبحت الاسكندرية ، الثغرُ التجاريُّ العظيم ، محطًّا
حال العلماءِ والفلاسفة ، ومقرًّا للادباء والكتّاب فأمَّها طلاّب المعارف من جميع البلدان المجاورة
حر الروم . وأصابت فيها المباحث العلمية والطبية والفلسفية قسطاً عظيماً من التقدُّم . وأُسبغ على
اعة علمائها اسم مدرسة « الاسكندرية » فصارت علماً لهم في أسفار التاريخ .

لما انتهى الاسكندر من أمر الشام ودخل مصر وطرد الفرس منها أراد ان يبني فيها مدينة
وم مقام صور وتكون محطًّا لتجارة المشرق والمغرب . وكان في مقدونية مهندس شهير اسمهُ
نوقراطس كان قد بنى هيكل ارطاميس في أفسس بعد ان حرقهُ هرّوستراتس الاحمق طلباً للشهرة
خلود الذكر وإن جاءاه من سبيل التدمير . فلما طبَّقت شهرة الاسكندر الخافقين ودوّى اسمهُ
الاقطار رأى هذا المهندس ان يصنع لهُ تمثالاً لم يصنع مثله لملك من ملوك الزمان . فلما مثل بين
يهِ قال لهُ إني عزمت ان أنحت لك جبل أتوس واصنعهُ تمثالاً لك وأبني الى يساره مدينة تتسع
شرة آلاف من الناس واحوّل جميع الانهار التي تنبع منها الى يمينهِ فتجري منها الى البحر سيلاً
دفقاً[٢] . فسرَّ الاسكندر بهِ وصرفهُ ولعله قال في نفسهِ ان هذا الرجل قد فاقني في حب الشهرة
لبها من حيث تتعذّر . ولكنَّ الاسكندر تذكره لما أراد بناءَ تلك المدينة على شواطىء وادي
يل فاستدعاه اليهِ ووكل اليهِ بناءَها في سنة ٣٣٢ ق . م

وقد اطلعت في ما كتبهُ ياقوت الحموي عن انشاءِ الاسكندرية على هذه الرواية[٣] قال : وقيل ان
سكندر لما همَّ ببناءِ الاسكندرية دخل هيكلاً عظيماً كان لليونانيين فذبح فيهِ ذبائح كثيرة وسأل
ـهُ ان يبين لهُ أمر هذه المدينة هل يتمُّ بناؤها أم هل يكون أمرها الى خراب فرأى في منامهِ
ن رجلاً قد ظهر لهُ في الهيكل وهو يقول لهُ ، انك تبني مدينة يذهب صيتها في أقطار العالم
سكنها من الناس ما لا يحصى عددهم وتختلط الرياح الطيبة بهوائها ويثبت حكم أهلها وتصرف
هم السموم والحرُّ وتطوى عنها قوة الحرّ والبرد والزمهرير ويكتم عنها الشرور حتى لا يصيبها من
شياطين خبلٌ وان جلبت عليها ملوك الارض بجنودهم وحاصروها لم يدخل عليها ضرر ... فبناها
سماها الاسكندرية . . . . وفيها قبرهُ . . . . ومن ألطف مارواه ياقوت ان الاسكندر والفرَمَا
خوان بنى كل منهما مدينةً بأرض مصر وسماها باسمهِ ولما فرغ الاسكندر من مدينتهِ قال قد بنيت
ـينة الى الله فقيرة وعن الناس غنيّة فبقيت بهجتها ونضارتها الى اليوم . وقال اخوه لما فرغ من
ـينتهِ قد بنيت مدينة عن الله غنية والى الناس فقيرة فذهب نورها . . . . .

وقد اشتهرت الاسكندرية في ناحية العلم والثقافة بمكتبتها او بمكتباتها الشهيرة من ناحية
بمدرستها الخالدة الذكر في تاريخ تقدم العلم من ناحية اخرى ولكن قبل ان نأتي على ذكر المكتبة

(٢) المقتطف مجلد ١٧ سنة ١٨٩٣ صفحة ٧١٣ (٣) معجم البلدان ج ١ ص ٢٣٧

والمدرسة ومن اتصل بهما من أعاظم العلماء وأثر هؤلاء في ترقية العلم نريد ان نورد لكم نبذة عن منارتها التي كانت تحسب من عجائب الدنيا السبع

بنيت المنارة في عهد بطليموس الثاني — ويقال ان بطليموس الأول شرع فيها — بناها سستراتس الكنيدي وتمت سنة ٢٨٠ ق . م وكان ارتفاعها على ما جاء في بعض الروايات ٤٠٠ ذراع وهو بعيد الاحتمال . ولكن لا يبعد انها كانت عالية جداً وثيقة البنيان حتى بقي برجها الاسفل الى سنة ١٣٥٠ للميلاد لما جاء ابن بطوطة الاسكندرية وقال انها بناء مربّع ذاهب في الهواء داخله بيوت كثيرة وعرض الحائط (يريد سماكة الجدار) عشرة اشبار وعرض المنار من كل جهة من جهاته ٤٤٠ شبراً وهو على تلٍّ مرتفع . ثم قال قصدت المنار عند عودي الى بلاد المغرب سنة ٧٥٠ هـ (١٣٢٩ م) فوجدته قد استولى عليه الخراب بحيث لا يمكن دخوله ولا الصعود الى بابه

وقال ابن جبير في رحلته سنة ٥٧٨ هـ انهُ قاس احد اضلاع المنارة فوجده يزيد على خمسين ذراعاً وان الارتفاع يزيد على ٥٠ باعاً . اما ياقوت الحموي الذي شاهد المنارة قبل ابن بطوطة بنحو مائة وخمسين سنة فقال انها حصن عالٍ على سنِّ جبلٍ مشرفٍ على البحر في طرف جزيرة بارزة في ميناء الاسكندرية بينها وبين الشط نحو شوط فرس وليس اليها طريقٌ الاَّ في ماء البحر وهي مربَّعة البناء ولها درجة واسعة يمكن الفارس ان يصعدها بفرسه . وقد سُقّفت الدرج بحجارة طوال مركبة على الحائطين المكتنفي الدرجة فيرتقي الى طبقة عالية يشرف منها على البحر (٤)

وقال المقريزي في خططه نحو سنة ١٤٠٠ ان منارة الاسكندرية احد بنيان العالم العجيب . . . وطولها في هذا الوقت تقريباً ٢٣٠ ذراعاً بعد ان كان ٤٠٠ ذراع فتهدمت من ترادف الامطار والزلازل . . . وقال علي باشا مبارك في خططه التوفيقية ان محل هذه المنارة الآن البرج الزفر الذي هو محل طابية قائد بك الذي في النهاية البحرية الشرقية من جزيرة فاروس

***

ان مكتبة الاسكندرية ، في تاريخ المكتبات القديمة ، ليست اقدمها ، ولكنها في الغالب اشهرها على الاطلاق . فملوك الشرق كانوا قد انشأوا المكتبات قبل ذلك بقرون . والاغريق انفسهم كانوا قد انشأوا اول مكتبة للدولة قبل انشاء مكتبة الاسكندرية بقرن على الاقل . انشأوها في هرقلية على الشاطىء الجنوبي من البحر الاسود قبل سنة ٣٥٠ ق . م . لما كان الاسكندر لا يزال طفلاً يحبو (٥)

بل يقال ان ارسطو طاليس معلم الاسكندر ومثقفهُ في الحكمة والفلسفة اول من جمع مكتبة في اليونان ، وان مكتبتهُ اصل مكتبة الاسكندر ، وان كتبهُ جميعاً كانت فيها ، وان البطالسة اكثروا من جمع الكتب اقتداءً بهِ واكراماً لذكره لانهُ هو الذي هذّب الاسكندر قائدهم الاعظم . ويقال

(٤) تاريخ البطالسة ، المقتطف مجلد ٣١ سنة ١٩٠٦ صفحة ٥٩٠ و ٥٩١

كذلك انهُ بلغ من غرامهم في جمع الكتب انهم كانوا يستعيرون المؤلفات من اصحابها ويعهدون الى من ينسخها فيحفظون الاصول عندهم ويردّون النسخ الى اصحاب المؤلفات . وكانت المكتبات في ذلك العهد تعتمد على نسخ مكتبة الاسكندرية ، فكان مكتبة الاسكندرية علاوة على كونها خزانة لحفظ المؤلفات وناديا لمراجعتها كانت داراً للنشر كذلك . بل يقال ان بطلميوس رفض ان يمنح الاثينيين ما يحتاجون اليهِ من الطعام في اثناء مجاعة اصابتهم الاّ اذا اباحوا له نسخاً معتمدة من مآسي سخيلوس وصفوقليس ويوربيدس وانهُ لما فاز بمغيتهِ سخا في توفية ثمنها علاوة على ارسال مقادير لطعام المتفق عليها

ومما يدلك على عناية بطلميوس بجمع الكتب في مكتبة الاسكندرية ان دمتريوس فاليريوس كان اميناً على المكتبة في ذلك العهد — الرواية ليوسيفوس المؤرخ — فطلب الامين الى مليكه في رسالة اثبتها يوسيفوس ان تجمع نسخٌ موثوقٌ بها من كتب التشريع العبراني لما تنطوي عليهِ من الحكمة الخفية وان تنقل وتفسّر فامر الملك بارسال رسالة الى اليازار رئيس الكهنة العبرانيين في هذا الصدد . ثم يروي يوسيفوس ان هذه النسخ جمعت ونقلت واطلع دمتريوس الامين على ترجمتها ووافق عليها ثم رفعها الى الملك فاعجب بها وامر بأن توجّه اليها عناية خاصة حتى لا يُدخل فيها[٦]

ولعلّ اشهر رجل تولّى ادارة مكتبة الاسكندرية عالم يدعى كالمياخس ، وهو باعتراف اولي الرأي، اعظم امناء المكتبات في العصر القديم . ففي عهده وضع فهرست للمكتبة ملا مائة وعشرين مجلّداً وكان فهرستاً تامّاً مرتباً بحسب اسماء المؤلفين وموضوعات الكتب التي كانت ذات قيمة خاصة في نظر كالمياخس . ويجب ان نشير في هذا المقام الى ان الكتب في ذلك العهد لم تكن سوى لفّات من الرقّ نسخت عليها المؤلفات القديمة ، وكان المطالع يضطرُّ عند المطالعة ان يتناول المؤلفات التي ينوي ان يطالع فيها لفّةً لفّةً ويبسطها ليطلع على محتوياتها ولا يخفى ما في ذلك من الضرر على اللفّة لما يمحى او يتلف منها بالنشر والطيّ . وقطن كالمياخس الى ذلك فقسم المؤلّفات الكبيرة كتاريخ هيرودتوس الى لفّات صغيرة ودعا كلّ لفة منها كتاباً او مجلّداً

وقد اختلفت آراء الثقات اختلافاً كبيراً في عدد الكتب او المجلدات التي كانت تحتوي عليها مكتبة الاسكندرية . فجورجيوس قدرينوس يقول انها كانت ١٠٠ الف . وسنكا الحكيم ٤٠٠ الف . ويوسيفوس المؤرخ يذهب الى انها كانت ٢٠٠ الف ثم زيدت حتى بلغت ٥٠٠ الف . وزعم أولوس غاليوس Gallius انها كانت ٧٠٠ الف . وجاراهُ اميانوس . وفي ذلك اقوال اخرى

ولعلّ منشأ الاختلاف في التقدير اختلاف الكتّاب في النقل والرواية اولاً وفي حسبان احدهم لفّات المؤلف الواحد كتباً مختلفة حالة ان الآخر لم يحسبها الاّ كتاباً واحداً . فاحد كتب اوفيدوس كان في ١٥ لفة ويروون ان كتاباً لديدموس كان في ٣٥٠٠ لفة . وكذلك الاختلاف ناشيء عن ان مكتبة

الاسكندرية لم تكن مكتبة واحدة بل ثلاث مكتبات على الاقل الاولى مكتبة الموزيوم (ندوة الادباء والعلماء) وقد جاء في اوروسيوس ان ٤٠٠ الف مجلد منها احترقت لما حاصر يوليوس قيصر الاسكندرية والثانية مكتبة السرابيوم احترق اكثرها في عهد الملك ثيودوسيوس سنة ٣٩١ للمسيح والثالثة مكتبة برغامس اضيفت الى الثانية واحترقت معها وما بقي تلف على تمادي السنين

وهذا يصل بنا الى الرواية التي تتهم القائد العربي عمرو بن العاص بحرق مكتبة الاسكندرية بناء على رغبة امير المؤمنين الامام عمر بن الخطاب

فالمؤرخون متفقون على ان النار شبَّت في مكتبة الاسكندرية غير مرة قبل القرن الثالث للميلاد . ولذلك لا يسع المؤرخ ان يفهم كيف يعزى حرقها الى العرب بعيد فتح مصر . وقد اطلعتُ في جواب عن سؤال في هذا الصدد ورد على المرحوم الدكتور صرُّوف[٧] قال فيه : واما ما قيل من ان الامام عمر امر باتلاف هذه المكتبة فرواية مطعونٌ فيها وعندنا انها كاذبة . وقد ايّد البحث الحديث هذا الحكم الذي حكم بهِ الدكتور صرُّوف . بل ان حكمهُ كان يجب أنْ يدركه الباحثون عقلاً ، لان ديناً يجري على لسان رسولهِ الكريم « اطلبوا العلم ولو بالصين » لا يمكن ان يستبيح اتلاف ثمرات الحكمة والعلم المتجمعة في مخلّفات العقل البشري

فقد قيل في هذه الخرافة ان يوحنا النحوي جاء الى عمرو بن العاص بعد دخوله الاسكندرية وتوسل اليهِ ان يقطعهُ نصيباً من الأغنام . فسأله عمرو ايّ نصيب يطلب فأجاب يوحنا كتب الفلسفة في خزانة الملوك اي المكتبة . فقال عمرو انهُ لا يستطيع ان يفصل في ذلك من دون ان يسأل فيهِ امير المؤمنين ، فكتب الى أمير المؤمنين في ذلك فجاءه الردُّ : اما الكتب التي تشير اليها فاذا كانت محتوياتها تتوافق وكتاب الله فلا حاجة اليها . واذا كانت على الضدّ من ذلك تعارضهُ فلا فائدة في حفظها وارغب في ان تدمر . فأمر عمرو بأن توزع الكتب في حمامات الاسكندرية وان تحرق . ولم يبق اثر منها بعد انقضاء ستة أشهر على ذلك

بيد ان الحقيقة لا تطمس الى الابد . فما لبث البحّاث ان تبينوا الخطأ الفاضح في الرواية . ذلك ان يوحنا النحوي الذي اسند اليه هذا الحديث الموهوم كان قد توفي قبل تاريخ الحديث المذكور . وقد عني غير واحد من العلماء بتفنيد الخرافة ، ولعلَّ احدث وأتم بحث في هذا الصدد للمستشرق المعروف في هذا القطر الاستاذ كازانوفا رحمة الله عليهِ في رسالة تلاها امام اكاديمية الآثار والآداب بباريس في ٢٨ مارس سنة ١٩٢٣[٨]

***

اما اشهر مدارس الاسكندرية فكانت المدرسة المعروفة باسم الموزيوم . وكلمة الموزيوم في اللغات الاجنبية تعني الآن داراً للتحف والآثار . ولكن معناها الاصلي « هيكل لربّات الفنون »

(٧) المقتطف مجلد ١٣ صفحة ٦٠ (٨) مجلة Antiquity سنة ١٩٢٨ ص ٢٠٣

الاسم مركب من لفظين يونانيين الاول «موزيون» ومعناهُ هيكل والثاني «موز» ومعناهُ ربّة و إلاهة . فالموزيوم الاسكندري كان داراً للعلم والتعليم وندوة للعلماء والمفكرين وعلى ذلك لكن حسبانه اول جامعة في التاريخ (٩) . وكان مثيلاً حيث بورصة الاسكندرية الآن . اي ن الاقدمين من سكان الاسكندرية كانوا يطلبون الغنى العقلي حيث يطلب المحدثون الثروة المادية لآن . ولهذه المدرسة الفضل الاول في حفظ علوم اليونان ونشرها في الشرق والغرب وترقيتها في واح عديدة . وينقسم العلماء الذين اتصلوا بمدرسة الاسكندرية الى فريقين بوجهٍ عام: فريق لمشتغلين بالعلوم الطبيعية . وفريق بالعلوم الطبية

فمن الفريق الاول العالم الرياضي الاشهر اقليدس واضع الاصول الهندسية ، التي لا تزال تدرّس لى عهدنا هذا . ومما يؤسف لهُ ان التاريخ لم يدوّن شيئاً مفصلاً عن سيرتهِ . وكلُّ ما يعرف منها ستمدّ من كتابات پاپوس وبروكلوس عنهُ . ويؤخذ من كتاباتهما ان اقليدس ولد في الاسكندرية حوالي سنة ٣٠٠ ق . م وعاش في خلال حكم الملك بطليموس لاغوس . وقد كانت تعاليمه مصدر وحي والهام لطائفة من عظماء الرياضيين والطبيعيين جاؤا بعدهُ (وسيجيء ذكرهم) . ويقول روكلوس ان اقليدس كان دمث الاخلاق حسن المناقب مقرّباً من الملك الذي كان يحبُّ العلم ويقرّب العلماء . ويُروَى عنهما حكاية طريفة خلاصتها انهُ كان للملك قصر تؤدي اليهِ طريق سلطانية واسعة ممهّدة يسلكها هو ورجال بطانتهِ والمقرّبون اليهِ . اما عامة الشعب فكان عليهم ان يسلكوا اليه طريقاً وعرة . وكان الملك سائراً ذات يومٍ مع اقليدس في الطريق المهيع ، فالتفت المليك الى العالم وسألهُ هل ثمة طريق مختصر لتعلم الهندسة غير الاصول التي وضعها ونظمها فكان ردُّ العالم :« ليس لهندسة طريق سلطانية يا مولاي »

ويجب ألا يتبادر الى الذهن ان اقليدس اول عالم في التاريخ عني بوضع الاصول الهندسية لان طاليس وفيثاغوراس وأبقراط الكيوسي (وهو غير ابقراط ابي الطب) سبقوه الى ذلك . وانما كتاب اصوله يشتمل على المبادىء التي وضعها هؤلاء مضافاً اليها ما وضعهُ هو ، مرتباً ترتيباً منطيقيًّا أسبغ عليها سمة الكمال وجعلها معتمد الطلاّب هذه القرون العشرين او تزيد

ومن علماء مدرسة الاسكندرية الاعلام ارخميدس . ولارخميدس في ميادين العلوم الرياضية والطبيعية مكانة تفوق مكانة ارسطوطاليس المعلم الاول . وكثير من الآراء والنظريات التي أبتدعها ارخميدس واقام الدليل عليها بالبرهان والتجربة لا تزال جزءًا لا ينفصل عن التراث العلمي العظيم الذي يدرسهُ الطالب في مدارس اليوم

ولد ارخميدس في سيراقوسة بجزيرة صقلية حوالي سنه ٢٨٧ ق . م . لما كان الملك هيرو ملكاً عليها . وتلقى العلم في الاسكندرية ، وقد لا يبعد انهُ تلقى العلم على اقليدس نفسهِ . وفي هذا وحدهِ

(٩) ولز: موجز التاريخ : صفحة ١٩٧

دليل على مدى الشهرة التي ظفرت بها مدرسة الاسكندرية في ذلك العهد ، لان السفر من صقلية الى الاسكندرية في ذلك العهد لم يكن بالامر الميسّر وخاصّة في طلب العلم . وعاد ارخميدس الى مسقط رأسهِ ، ولكنهُ ظلَّ متصلاً بمعلميهِ واقرانهِ في مدرسة الاسكندرية ، ولذلك يصحُّ ان يسلك في عداد عظمائها . وقد اشتهر ارخميدس بمباحثهِ في الرياضة المجرَّدة وعلم السوائل والميكانيكا . ولهُ فيها مبتدعات لا تزال معروفة في عصرنا مستندةً الى اسمهِ . ولعلَّ اشهر ما اشتهر بهِ ارخميدس بحثهُ في الاجسام الطافية والغاطسة في الماء والحادثة التي جرت لهُ مع الملك هيرو من ابدع ما يروى عنهُ ولذلك لست اعتذر عن اعادة ذكرها

كان ارخميدس لشدة تفكيرهِ في مسائل الطبيعة التي تسترعي نظرهُ ذاهلاً شارد الذهن . فدعاهُ الملك هيرو في احد الايام وقال لهُ انهُ يبغي ان يقدم للآلهة تاجاً من الذهب وان احد الصوَّاغ كان قد صنع التاج . ولكن الملك يريد ان يتحقق من ان التاج ذهب خالص لم يدخل فيهِ بفضة . وطلب الملك الى ارخميدس ان يحلَّ لهُ هذا المعمى من دون ان يصاب التاج بتلف او اذى

فخرج ارخميدس من حضرة المليك شارد اللب ، ولم يفق الاَّ وهو في حمامهِ . ذلك انه دخل الحمَّام فكان الحوض ملآناً بالماء حتى حافته العليا ، فلما دخل ارخميدس الحوض فاض الماء على جوانبه . فانتبه عندئذٍ الى ان هذا الفيضان يحل مشكلة التاج ، فخرج من حمامهِ عارياً في الشوارع وهو ينادي «يوركا . يوركا» اي وجدتها وجدتها

وكيف حل المشكلة ؟ اخذ كرتين احداهما من الذهب . والاخرى من الفضة . وجعل وزن كل منهما وزن التاج تماماً . ولاحظ ان حجمي الكرتين مختلفان فكرة الفضة اكبر من كرة الذهب لان الفضة اخف وزناً من الذهب . وأتى بحوض مستوٍ ووضع فيهِ مقداراً من الماء ورسم خطًّا عند مستواهُ الأعلى . ثم جاء بكرة الذهب وغطَّسها في الماء فارتفع مستواهُ في الحوض فرسم خطًّا عند مستواهُ . ثم اخرج كرة الذهب وغطس كرة الفضة فارتفع مستوى الماء في الحوض فوق ارتفاعهِ عند تغطيس كرة الذهب لان حجم كرة الفضة اكبر من حجم كرة الذهب . ورسم خطًّا للدلالة على ارتفاع الثاني . ثم اخرج كرة الفضة . واتى بالتاج وهو يقول في نفسهِ اذا كان التاج ذهباً خالصاً وجب ان يرتفع مستوى الماء بقدر ما ارتفع عند تغطيس كرة الذهب . ثم غطس التاج فارتفع مستوى الماء ولكن جاء ارتفاعهُ بين بين ، اي بين ارتفاع المستوى الخاص بكرة الذهب وارتفاع المستوى الخاص بكرة الفضة . فعرف ان التاج ليس ذهباً خالصاً

وقد افضت تجربتهُ هذه — وهي من التجارب العلمية الخالدة — الى بحثهِ في الاجسام الطافية والنواميس المسيطرة على هذه الظاهرة مما هو مثبت في كتب الاصول العلمية

ولما فتحت سيراقوسة عنوةً سنة ٢١٢ في الحرب البونية الثانية اصدر القنصل مارسلوس الروماني الى الجند امراً مشدداً بعدم التعرض للعالم ارخميدس ، اعترافاً منهُ بفضلهِ ونبوغهِ ، مع انه

كان قد استنبط وسائل مختلفة لدفع هجمات الرومان عن مسقط رأسهِ . وكان ارخميدس عند افتتاح المدينة قد رسم دائرة على الرمل وجعل يقلب النظر في مشكلة يحاول حلها فهجم عليه جندي روماني وطلب اليه اسمهُ . فقال لهُ ابعد عني فانك تكاد تطمس دائرتي . فطعنه الجندي وكان في الطعنة حتفه

ومن علماء مدرسة الاسكندرية اراتوستين — — وكان أحد امناء المكتبة — الذي حسب محيط الكرة الارضية ، فجاء حسابهُ حينئذٍ لا يبعد الاَّ خمسين ميلاً على التقدير المسلَّم بهِ الآن ، وانشأ مرصداً في الاسكندرية لرصد الافلاك وكشف ميل دائرة البروج

وابولونيوس الذي كتب كتابات رياضية في الطبقة الاولى . وخاصة ما كتبه في المخروطات الهندسية . وهيرو الذي كان عالماً رياضيًّا ومستنبطاً بارعاً في الوقت نفسهِ . فرسائله الهندسية تشتمل على بيان لاستخراج مساحات السطوح الهندسيـة واحجام الاشكال المجسمة . وقد وضع كتاباً في مسح الاراضي واستنبط لذلك آلة اشبه ما يكون بآلة المهندس الحديث المعروفة باسم « ثيودوليت » ، ولهُ كتاب في السوائل وقد بنى على علمهِ بالسوائل آلات مختلفة تعتمد على قوة السوائل وحركتها مثل السيفون ومضخة الاطفاء وابتدع اساليب لاستعمال قوة البخار حتى نستطيع ان نقول ان هيرو اول من صنع آلة بخارية في التاريخ . ويروى عن السر تشارلز بارسنز مستنبط التربين البخاري ، انهُ لمـا ذهب الى مكتب الباتنتة لتسجيل اختراعهِ ، اسف انهُ لم ير بينهِ اسم هيرو مخترع اول آلة بخارية في التاريخ . ولهيرو علاوة على ذلك مباحث في الميكانيكا نقلها لعرب باسم « في رفع الاجسام الثقيلة » ورسالة في السطوح العاكسة ، وتعليقات على اصول قليدس ورسالة في الساعات المائية

ومن علماء مدرسة الاسكندرية هبَّارخس واضع ازياج النجوم وبطليوس الذي ابتدع نظاماً كونيًّا ظلَّ سائداً حتى عصر كوبرنيكوس وغليليو . وقد كان بطليوس في نظر اهل عصره والعصور التي تلته بمثابة آلهٍ لذلك دعوا كتابهُ الذي اودعهُ ذلك النظام الكوني « المجسطى » اي « ذو الجلالة » ولا يزال يعرف بهِ الى يومنا هذا في اللغة العربية واللغات الاجنبية على السواء

اما مدرسة الاسكندرية الطبية فقد امتازت بعلم التشريح . ولعل عادة استخراج امعاء الميت بعد الموت عند المصريين لغرض التحنيط شجع على ذلك . وثمة أدلة على ان بعض الاعضاء كانت تشق في اجسام الاحياء بقصد درسها . وكان المجرمون المحكوم عليهم بالاعدام يقدَّمون للعلماء لهـذا الغرض . وقد اختلف العلماء في موضوع تشريح الحيوانات الحية في سبيل دراسة تركيب اجسامها. ولكن الدكتور تشارلز سنجر اكبر ثقة في تاريخ العلم القديم يقول انهُ مطمئن الى ان علماء مدرسة الاسكندرية الطبية كانوا يعمدون الى تشريح الحيوانات الحية — واحياناً بعض اعضاء الناس — المجرمين — في سبيل توسيع نطاق علم التشريح (١٠)

(١٠) ولز : موجز التاريخ : هامش صفحتي ١٩٧ و ١٩٨

وقد برز في مدرسة الاسكندرية الطبية اسم عالمين عظيمين احدهما هيروفيلس والثاني اراسستراتس

اما هيروفيلوس (٣٣٥ — ٢٨٠ ق . م) فأغريقي من خلقيدون اشتهر بمباحثهِ في التشريح وكذلك في معارفهِ الطبية بوجهٍ عام وبممارسة الطب كذلك . وكان من اتباع ابقراط ولهُ مباحث واسعة النطاق في العقاقير والفصد . مما يؤيد شهرتهُ العظيمة ان اربعة من كبار الاطباء كتبوا عنهُ وعن مؤلفاته ، واليهِ يشير جالينوس باحترام واعجاب . ورأيُ الطب القديم مجمع على جعل هيروفيلوس في المقام الثاني بعد ابقراط

اما اراسستراتس فكان معاصراً لهيروفيلوس وندًّا لهُ . وما يعرف عن حياته نزر يسير لا يروي ظمأ . وانما يعلم انهُ قضى شطراً من حياته في بلاط سلوقس نيقاتور في انطاكية قبل مجيئه الى الاسكندرية وانهُ عني بالتشريح في النصف الثاني من حياته بعد ان توطن الاسكندرية . اما مؤلفاته فقد فقدت جميعها الاَّ بقايا حفظها جالينوس . على ان اراسستراتس بدلاً من ان يجاري ابقراط كما فعل هيروفيلوس كان ينتقصه . ويظهر انهُ كان رجلاً مستقلاً في رأيهِ معتزًّا به ، وكان في خلقه حب المناوأة والكفاح . ويقال انهُ كان يميل الى تفسير الاعراض تفسيراً طبيعيًّا

وعلى ذلك نشأت في الاسكندرية مدرستان طبيتان . الاولى تضم اتباع هيروفيلوس وهم يجلُّون ابقراط ونشأ بينهم علماء كبار في التشريح . والثانية تضم اتباع اراسستراتس فلم يشتهر رجالها اشتهار رجال الاولى في التشريح بل انتبهوا خاصة لاعراض المرضى واستعملوا عدداً كبيراً من العقاقير واخرجوا النظرية التجريبية في الطب القائمة على ملاحظة المريض ودراسة تاريخ مرضهِ والحكم بمقابلة الاصابات المتماثلة . وقد ادركوا نجاحاً عظيماً في ممارسة العلاج واستعمال العقاقير

ويلخص اثر مدرسة الاسكندرية الطبية في قول دائرة المعارف البريطانية[١١] : اذا نظرنا الى اثر مدارس الاسكندرية الطبية تحتم علينا ان نسلم بأن التقدم الذي تمَّ على ايدي اركانها كان عظيماً وخالداً . ولعلَّ اعظم خدمة قاموا بها هي درس علم التشريح درساً منظماً . ولكن درس الوظائف لم يجارِ درس التشريح ولعل هذا هو السبب الذي حمل اتباع اراسستراتس على اهمال العناية بالتشريح

وكان يتصل بمدرسة الاسكندرية بستان للنبات تزرع فيهِ النباتات المختلفة الاقاليم وتتخذ العقاقير الطبية منها ، وبستان للحيوان او حديقة للحيوان ، تربى فيها الحيوانات الكثيرة البرية والاهلية وتدرس طبائعها

اما الآن وقد انقضت قرون تليها قرون على مدرسة الاسكندرية ، وتقدم العلم تقدماً عظيماً في جميع نواحيه ، باستنباط الاُسلوب العلمي القائم على الاستقراء والتجربة فيجب ان نعترف لاولئك القوم في فجر المعرفة العلمية ، بأنهم فطنوا الى الاستقراء والتجريب[١٢] وأخذوا انفسهم بهما فجاء كثير من علمهم راسخاً على الدهر ، يشهد لعقولهم بالتفوق ولسلاح الاسلوب العلمي نفسهِ بالمضاء

(١١) مادة Medicine (١٢) كتاب Heroic Age of Science

شخصية شهر يناير — ١

بيراندللو ومسرحياته الوجيعة

لورنسة مي

[تفضلت كاتبة الشرق الكبيرة الآنسة « مي » فوعدت ان تتحف المقتطف كل شهر بدراسة شخصية عالمية كبيرة وآثارها الفكرية او الفنية . وقد بدأت بالكاتب الايطالي الكبير لويجي بيراندللو على ذكر فوزه بجائزة نوبل الادبية لسنة ١٩٣٤]

بين ما وضعهُ بيراندلّلو للمسرح روايات ذات مغزًى خاص . ومن اخص تلك الروايات رواية « ستة أشخاص يبحثون عن مؤلّف » (Sei Personaggi in Cerca d'Autore) . فقد مهّد لها — على غير عادته — بمقدمة مسهبة ذات سبع عشرة صفحة بسط فيها بعض آرائه في الانتاج الادبيّ الفنيّ وكشف عن البواعث التي تستحثهُ على الكتابة . ونستخلص من تلك المقدمة فقرات جوهرية قد تمكننا من ادراك بعض غاية بيراندلّلو في ما يخطّه قلمه . قال :

« ... ايُّ مؤلّف يستطيع ان يقول كيف ولماذا تولّدت شخصيةٌ من الشخصيات في مخيلتهِ ؟ إن سرَّ الانتاج الفني هو سر الولادة الطبيعية بعينهِ » .. « وعليَّ ان اعترف بأني لا ارضى برسم صورة رجل او امرأة او غلام لمجرد الرسم ، كائنةً ما كانت خصائص تلك الصورة ومميّزاتها . ولا استطيع ان اروي حادثة مفرحة او محزنة لمجرد الرغبة في الرواية ، او ان اصف مشهداً لمحض الميل الى وصفهِ

« ... من الكتّاب (وهم غير قليلين) من لهم هذه الرغبات يقنعون بها فلا يبحثون عن غيرها . فهم بطبيعتهم ذوو نزعةٍ تاريخية او تقريرية . وعند كتّاب آخرين — وراء تلك الرغبات — شعورٍ اعمق باحتياج روحيّ يجعلهم لا يكتفون بالصور والحوادث والمشاهد ، فلا يقفون عند معنى محدود خاص من معاني الحياة . وهم ذوو نزعةٍ اقرب الى ان تكون فلسفية . وأنا لتعاستي من هؤلاء . . . من هؤلاء الذين ، في الصورة المحسوسة التي يجب ان تبقى حيةً تتمتع بتمام حريتها الخاصة ، انما يبحثون في صميمها عن معنى آخر ينيلها قيمة ومغزى

« . . . على غير ارادة مني وعلى غير معرفة ، في ازدحام نفسي القلقة الجائشة ، كلٌّ منهم (اي اشخاص الرواية) يردُّ عن نفسه التهم التي يرميه بها الآخر ، بالتعبير عن نكله وانفعالاته وشهواته العنيفة . امورٌ خبرتها كلها اعواماً طويلة خلال غمومي الروحية : من تبادل التفاهم الخادع لارتكازه على فراغ الكلام السلبي ، الى تعدد الوجدانات في الشخصية الواحدة وفاقاً لممكنات الوجود الكامنة في كلٍّ من البشر ، الى العراك المفجع المحتوم بين مادة الحياة التي تتحرك وتتغير في اطراد وبين الصورة التي تتجمد بها مادة الحياة فتجعلها غير قابلة للحركة والتغيُّر ...

« ... كلُّ شبحٍ ، كل مخلوق فنيّ ، ليكون موجوداً يجب ان يكون دراماتيكيًّا ، ذا دراميةٍ يكون هو الشخصية المكوِّنة بها والشخصية المكوَّنة لها في نفس الوقت . الدراما اي المأساة هي علة وجود الشخصية الفنية وهي الوظيفة الحيوية المحتومة لوجود الشخصية ... المأساة اي العراك المحتوم بين حركة الحياة في باطن الصورة وبين الصورة نفسها هو الشرط الذي لا غنى عنهُ ليس في النظام الروحي فقط ، بل في النظام الطبيعي ايضاً . ان الحياة التي — لتضمن لنفسها الوجود — ثبتت في الصورة الجسدية ، انما هي التي تفتك بصورتها شيئاً فشيئاً » . . . « والمأساة المتكررة بتعدد الشخصيات ، ذلك العراك الملازم الذي لا تفلت منهُ ، انما يجد في الكوميديا (المهزلة) بيانه الاكمل ...

« . . . فان قال قائل ان مثل هذه الرواية لا تظفر بكل قيمتها الممكنة لأن بيانها غير واضح بل هو سديميٌّ مبهم (caotico) يفتقر الى العنصر العاطفي ، فذلك القول يحملني على الابتسام . من هذا الابهام السديمي بطبيعتهِ عليَّ أنا ان أُخرج وأمثّل (rappresentare) . واخراج الابهام السديمي وتمثيله لا يعني مطلقاً التأليف على طريقة مبهمة سديمية اي على الطريقة العاطفية (Sentimentale) . وتأليفي ليس مبهماً ، بل هو جلي بسيط متسق يعلن لجماهير العالم ما فيه من التشابك والارتباك وتعدد الطبائع كما يوضح الميادين والاوضاع التي يختلط فيها الخيال والحقيقة والفجيعة والمهزلة . ولمن كان اجلى بصيرة تتكشف القيم الغير المألوفة المستودعة فيه

« ... وبينما تلك الشخصيات تحيا في ذاتها حياة المادة الحيوية العاملة فيها وحياة الصورة التي تجمدت عليها وحياة العراك المستمر بين الروح والصورة ، الشاعر الذي يشهد كل ذلك عن بعد وعلى غير معرفة من الشخصيات إبان نكالها وعنائها — الشاعر الذي انتظر ورأى يكون قد خلق من كل ذلك روايته ... » اه

***

تتحتم مراجعة هذه الفقرات اكثر من مرة واحدة لاستجلاء ما اراد كاتبها بها . فهو ذو نزعة فلسفية كما يقرر ، وهو ذو نزعة علمية كذلك وإن فقدت الاصطلاحات العلمية من كتبه وكانت لغته — على ابهامها الفلسفي أحياناً — لغة ادبية تجردت من الغلو والتفخيم والزركشة . وتجردت في مجموعها من الطلاوة العاطفية ايضاً وان لم تخلُ من العواطف رغم ما يعصف بها من انواء الشهوات والانفعالات وتضعضع الشخصيات بين المأساة والمهزلة والتباس الميول بين تعدد الوجدانات . قال قوم ان بيراندللو كاتب ظريف وصاحب نكتة . وما أبعد هذا الرجل الوجيع عن الظرف والنكتة ! انه لا يرى الاّ المأساة ولا يستهويه غيرها . على انهُ مقتنع بأن فواجع المأساة لا يصدق تبيانها الاّ بما يحسبه الجمهور هزلاً . وذلك منتهى الكآبة . . .

ويلوح لي ان بيراندللو صنع في الشخصية الانسانية بمسرحيّاته ما صنعهُ العلمُ بالمادة . فقد كان

العلم قبل زمننا هذا يجزّىء المادة حتى يصل منها الى الذرّة فيقف عندها كأنما هو قد انتهى إلى الجزء الادقّ . ولكنهُ اليوم قد جزّأ الذرّة الى ما لا نهاية له ، إلى ما وراء الإليكترون ، فصارت أضأل ذريرة قابلةً للتجزئة بلا حدّ ولا نهاية . وكلّ جزء من هاتيك الاجزاء التي لا يدرك العقلُ دقتها ، إنما هو عالم قائم بذاته ، ونواة السلب ونواة الايجاب قائمتان فيهِ مكتملتان

ذلك شأن بيراندللو في الشخصية الانسانية الواحدة التي ألفنا اعتبارها جسداً وروحاً وكفى ؛ وللروح والجسد منها نزعات وعادات يتيسر تثقيفها وتدريبها وتكييفها في صيغ تثبت طول الحياة . فهو قد جزّأ الشخصية الواحدة شخصيات متعدّدة كلٌّ منها مطّردة الحركة والتغيُّر وكلٌّ منها مكتملةٌ في ذاتها اكتمالها الشاذ الخاص . ولست أصدّق ان أية مسرحية بيرندللية تلقى بالتمثيل من النجاح ما يتوازى وقيمتها الادبية الصحيحة . لأن الجماهير تحتاج إلى طلاوةٍ اخرى في الروايات المسرحية والسينمية وإلى ذلك المزيج من الرونق والروعة الذي يسيطر على الوعي الفنّي ويستأثر بهِ . أما حيال روايات بيراندللو فعليك ان تنتزع ، على نوع ما ، من خفي وجداناتك وجداناً دفيناً تستطيع بهِ ان تشرف على ذلك العالم الغير المألوف وتدنو قليلاً قليلاً من ذلك الابداع الخاص هو ابداع خاص ، بلا ريب . وان كان بيراندللو في تكوين فنّه قد تأثر حتماً بفن إيبسن النروجي وبخاصة برواية «الأشباح» حيث تنقلب شخصية البطل ميداناً لعوامل الوراثة وتياراتها الجارفة . كما تأثر بنظرية العقل الواعي والعقل الغير الواعي عند فرويد وزملائهِ من علماء هذا العصر ، دون ان يقتصر بيراندللو على لغز الغريزة الجنسية التي يستوحيها دون سواها كثيرون من أدباء اليوم عند مختلف الشعوب

وقد باشر حياته الادبية بالقصص الصغيرة ، فله منها ما يزيد عن الاربعمائة . وصف فيها الكثير من عادات وطنه ، صقلّية ، وأساليبه وتقاليده واضطراباته الاجتماعية خلال حرب الاستقلال الايطالي (Risorgimento) . وقد اشترك والده في تلك الحرب بالتطوّع في جيش الثوار الجاريبالديين وكانت والدته إبنة أحد زعماء تلك الثورة في صقلية وشقيقة احد المجاهدين . وتعمّد القيام بمجهود خاص في القصص وفي نوع اخراجها فوضع سلسلة منها قصة لكل يوم من أيام السنة ، ووسمها في عدة مجموعات متتابعة باسم واحد وهو « قصص لعام واحد » (Novelle per un Anno)

كذلك نشر نحو عشر روايات من أهمها رواية « الشيوخ والشبان » (I Vecchi ei Giovani) و « المرحوم ماتيا بسكال » (Il fù Mattia Pascal) وهذه لفتت النقّاد والجمهور اليهِ سنة ١٩٠٤ . وجرّب نظم الشعر في شبابه . وفصوله النقدية وغيرها في مختلف الموضوعات ، كثيرة . ولكن كلّ هذا يتقهقر ازاء فنه الاكبر الذي جعل لطريقته اسماً شائعاً في الآداب العالمية وهي « البيراندللسمو » (Pirandellismo) . وفنّه الاكبر والأوفى هو في تلك المسرحيات التي يجب ان تقرأ

كلاً منها عدة مرات لتفهم او لتفهم انك لا تفهم ولماذا لا تفهم. أو على الأقل لتفهم ان بـ
صنوف الفن يتملّص من قبضة يدك ومن موهبتك النقدية ومن قوتك الروحية جميعاً. وكل
تستطيعه حيالَه هو التبصُّر في معرض هاتيك الشخصيات البسيطة المألوفة من الناحية الواحد
والشاذة التي تضعضع العقل من الناحية الاخرى. وقد اطلق على مسرحياته الاربعين اسماء
تجده على كلٍ منها فوق اسمها الخاص. وذلك الاسم العام هو «مساخر عارية» (Maschere Nude)
وكلمة «مساخر» جمع «مسخرة» ليست قاموسية فيما أعلم، ولكنها تؤدي المعنى الايطالي
وجه التمام. وهي مستعملة باللغة العامية في سوريا ولبنان وفلسطين، تُطلَق على الوجوه الصناع
التي تُرى في مهرجانات المرفع (Carnaval) الممهِّد للصوم الكبير عند المسيحيين. ولا بدَّ
تكون مقتبسة عن الكلمة الايطالية التي أخذ عنها الفرنسيون كلمتهم Masque

واهاً لتلك المساخر التي يعريها بيراندللو! مساخر الحياة الاجتماعية، مساخر الأوضـ
المحتومة، مساخر المصادفات والظروف، مساخر الاقدار التي لا تُحصى! مساخر الاحتياجات ا
لم نخلقها. مساخر الغرائز التي لم نسع اليها، مساخر القيود والحدود والتبعات التي ما إن ولدنا حـ
وجدناها مفروضة علينا! عبثاً تبحث عند بيراندللو عمّا يُشبع فيكَ عاطفةً او يروي ظمأً أ
يُظفرك بمتكأٍ او يُلطف من وقدةٍ او يخفف من لوعة: هناك عالم الاتاويه، ما إن بلغتَ عتبـ
حتى صرتَ فريسة الحيرة والتضعضع . . .

***

كيف يصبح الفنان فنّاناً؟ وما هي العلاقة بين الفنان والعالم المحيط بهِ؟

المقررون من الكتّاب يعنون بسرد الحوادث والطوارىء في حياة الاديب ويحرصون عل
تدوين تاريخ مولدهِ واسم بلده واسم أبيهِ وأمه وجدوده وعدد اخوته واخواته، دون إهمال ذكـ
اسفاره والبلاد التي هبطها والبقاع التي شاهدها سواء اكتب عنها ام لم يكتب

والواقع ان كل ذلك لا أهمية لهُ الاَّ إذا كان ذا أثر في حياة الشخص الداخلية الخاصة ود
دويٍّ في محيط نفسه. والعلاقة كلّها بين الشخص الواحد والعالم المحسوس تتلخّص في الحساسية
في مقدرة الشعور والتأثر تأثراً إيجابيًّا بما يقع للفنان او يقع حواليه. وانما يصبح فناناً عند
تصل الحساسية بين قرارة نفسه وبين العالم المحسوس حواليه فيترجم الوقائع والحوادث والاختبارا
النفسية بطريقته الخاصة إلى عالم الفن باداة الفنّ، قلماً كانت أو ريشةً أو وتراً أو إزميلاً

يستهل بيراندللو المقدمة التي ذكرناها في مطلع هذا المقال، بالبيان التالي: «في خدمة فني
منذ أعوام طويلة (وكأني بها منذ البارحة فقط) خادمة جدّ رشيقة وهي غير جديدة في صناعتها
اسمها المخيّلة. هي عائبة بعض الشيء، ومهارة. ولئن راقها ان تتشح بالسواد أحياناً فليس من ينكر
انها إنما تفعل جرياً وراء الغرابة والشذوذ في الغالب. ولا يُظنّن انها تصنع ما تصنع جادّةً وعلى

ـرة واحدة . . . وتتفكّـه بأن تجلب اليَّ في بيتي احياناً رجالاً ونساء وغلماناً هم اكثر الناس استياء العالم . اشتبكوا في أحوال غريبة من التعقد والارتباك ولا يجدون منفذاً للخروج منها : قوم ـكّدون في امانيهم ، معاكسون في رغباتهم ، مغلوبون على آمالهم ، والتفاهة معهم من أعسر مور حقّاً في اكثر الأحيان . هي تجلبهم اليَّ لأستخرج منهم الاقاصيص والروايات ـكوميديات » . اه

هذا ما يقوله . ولكني اعتقد ان اولى روابطه بالعالم هي حساسية عميقة مضطربة مرهفة تحمله التوغل في كلّ نفس وفي كل كائن وفي كل شيء . تعسجها وتسايرها تلك التي يسميها خادمة ، وهي في الواقع إلاّ سيدة مسيطرة مستبدّة منوّعة القدرة تتناول تأثيرات الحساسية وخلاصة لاحظات الدقيقة وسائر تلك المؤهّلات الخاصة فتكيفها لاهية كما تشاء وتخلق منها عالماً جديداً

وكأنّ الظروف التي هيأتها الحياة لبيراندللو إنما تناسقت كلّها وحفزت لتهاجم تلك الحساسية اذة بالدغدغة والتعذيب بلا رحمة ولا مهادنة . فقد ولد قبل موعد مجيئه إلى العالم باسابيع . ومع الحبّ كان الباعث على زواج أبويه ، فقد عرف في حياته المنزلية شقاء الوحدة بين والدين متنافرين ، فضائح الخلقية والاجتماعية والخسائر المالية والانهيار من الأوج إلى الحضيض . وشهد وهو بعد سن الرابعة عشر ، فجيعة عائلية نجمت عن عنف والده واستهتاره كان أثرها في نفسه اثر الحديد مي وتجد لها أصداء عدة في مسرحياته . وبعد ان أتم دراسته في روما وبون بألمانيا ، اختار له الده زوجةً ، لا لعنايته به ، ولكن لانهُ كان في حاجة إلى بائنة الفتاة يدعم بها حالته المالية المتداعية. لم يطل ان غارت تلك البائنة كلّها في هاوية الخراب فاضطر بيرندللو إلى البحث عن عمل يكفل حياة زوجته واطفاله الثلاثة . فعين مدرساً للآداب الايطالية في معهد الدراسات العليا بروما ، راتب ٩١ ليرا ايطالية شهريّاً !

ولكان يهون كلّ ذلك رغم الفاقة والضنك بين العمل العنيف المضني وإرهاق الفكر والجسد ، لا تلك المصيبة التي جعلت حياته مأساةً لا تنتهي . . . زوجته لم تكن مريضة فحسب بل أخذت دو عليها أعراض الجنون . فكانت في بادىء الأمر غيرة صاخبة ليل نهار . تغار من تلميذاته ، ر من النساء المارات به في الطريق ، تغار من جميع النساء الموجودات في العالم . فلزم البيت طمئنها ولم يكن يخرج إلاّ ومعهُ أحد ولديه . وجرّد نفسه من النقود فكان يطلب منها يوماً فيوماً ي السجاير واجرة الترام . فلم يجدِ ذلك نفعاً . ثم صارت تعتقد ان أبناءها يقتلونها ويضطهدونها تآمرون على دس السمّ لها فأمست لا تتناول طعاماً أو شراباً إلاّ بعد تناول أحد افراد البيت منهُ لاً . ومضت ترمي ابنتها بأشنع التهم فلم تحتمل الفتاة وحاولت الانتحار فأُدركت بالعلاج . على انها ت البقاء قرب والدتها وفرّت إلى الدير تطلب الخلاص . وعند ما نشبت الحرب ذهب ولدا بيراندللو القتال فوقع أحدهما أسيراً بيد الاعداء ومرض الآخر مرضاً خطراً . فاذا بوالدة بيراندللو تموت

في صقليّة واذا بوالده ، وقد أصبح أصمّ وشبه ضرير ، يقبل عليهِ في روما وينزل في بيته فيملأ بأمراضهِ وشكاياته وفظاظته . وبيراندللو المسكين بين زوجته ووالده ، وسط العمل المرهق والغم الملازم ، يتنازعهُ القلق على ولديه والحزن على ابنته ...

عندئذٍ ، وللاعصاب حدٌّ تأبى بعده الاحتمال — عندئذٍ شعر الأديب بالاحتياج إلى حياة أخرى يفرّ ج فيها من كربته ويحيا عندها على هواه . فعمد إلى مسرحياته يخلق بها عالماً جديداً يسبغ عليهِ أطياف مخيلته وصخب انفعالاته ، مثيراً فيهِ النكبات والمحن بالعرض لمناقضات الدنيا وفواجعها واحزانها

وهل استخلص من كل ذلك درساً ما يعينهُ على احتمال الحياة ؟ يخيل إليّ اني أجد الجواب على هذا كلمة أرسلها في احدى رواياته[1] على لسان شخص يخاطب مدرساً فيقول : « أليس اننا جميعاً في بعض الاحيان نشعر وكأن نوراً يتفتح ويتألق في داخل نفوسنا ، نوراً ينسكب علينا من سماوات أخرى لا نعرفها فيمكننا من النظر إلى أقصى خفايانا باعثاً فينا ابتهاجاً لا نهاية له نشعر معهُ لحظةً بأننا نحيا خالدين ؟ تلك اللحظة التي هي أبدية في ذاتها تكفينا . هذا ، يا استاذ ، ما عليك ان تُدرّب تلميذاتك عليهِ : إدراك تلك الابدية في لحظة — »

***

انتهت الحرب فتوفي والد بيراندللو ، وعاد ولداه سالمين ، واضطرته حالة زوجته الى ارسالها الى مستشفى الامراض العقلية وتزوّجت ابنتهُ . وطار اسمه على أجنحة الذيوع واخذت مسارح العالم تعجُّ بنجاح مسرحياته . وتعين عضواً بالاكاديمية الايطالية فصار — بيراندللو ! — يرتدي الكسوة المزركشة بالقصب ويحمل السيف الاكاديميّ ويلقّب بصاحب السعادة (Sua Eccellenza) !

بأرباحهِ الاولى شاد لنفسهِ منزلاً في روما ، ولكنهُ مضى يطلب منزلاً متنقلاً في منفى العالم الرحيب . وهو الذي لم يكن يتغيب عن روما إلاّ ليتفقد وطنه بصقلية ، أصبح دائم الرحيل من لندن ، الى باريس ، الى برلين ، الى نيويورك ، الى البرازيل ، الى مصر ، ليستقر أياماً في بلاد الشمال حيث يتلقى الآن جائزة نوبل ! ورفيقته في جميع اسفاره ورحلاته هي تلك « الخادم » التي اسمها المخيلة . ورفيقة اخرى لا غنى عنها : آلة الكتابة التي يؤلف عليها مسرحياته الجديدة في غرفة الفندق التي سيغادرها عما قريب . وكأني بهِ عند ما يبعث في عالمه بعثاً جديداً ، إنما يفعل وهو يبارك الله مع بودلير الشاعر الفرنسي ، لانهُ تعالى خلق الالم[2] . . .

---

(١) رواية « ليس الامر بدي بال » (Ma non è una cosa seria)

(٢) Soyez béni, mon Dieu, qui donnez la souffrance
Comme un divin remède à nos impuretés,
Et comme la meilleure et la plus pure essence
Qui prépare les forts aux saintes voluptés !
... ...
[Baudelaire]

دقائق الاحياء في قطرة ماء

حيوان كالمبذل — حيوان كالجرس — حيوان أخضر له عين حمراء

﴿ بين النجوم والاحياء الدقيقة ﴾ يجد محب الطبيعة المعني بدرس شؤون احيائها عالماً حافلاً عائب في قطرة من الماء الراكد . فاذا كان من المطبوعين على ريادة المجاهل والبحث عن الجمال وجد درس هذه القطرة على شريحة المكرسكوب خير ما ينيله بغيته ويفتن لبه

فالعالم ومحب الطبيعة والفيلسوف ، يجدون جميعاً في هذه القطرة ميداناً واسعاً للدرس والتأمل . بفضل المكرسكوب يتاح لنا ان ننفذ الى عالم كله جمال رائع ولكننا رغم كل قدرتنا وحكمتنا لا نستطيع ان نزور الاماكن السحيقة التي نرودها بعين التلسكوب . بهذه العين الكشافة نرصد الكواكب والسيارات فينتقل العقل من التأمل في روح الانسان الحقير الى ريادة رحاب الفضاء ثم ننكفيء الى الارض فيدخل عن طريق المكرسكوب المركب عالماً عجيباً من الاحياء الدقيقة رائحة جائية في قطرة دقيقة من الماء فيرى نباتات زاهية الالوان تسترعي النظر وفي جمال تنسيقها ما يفوق الجمال الهندسي الأخاذ في رقعة الثلج ويشاهد حيوانات صغيرة لها من عجيب التركيب ما يحير العقل

وكل ما يحتاج اليهِ الباحث في الرحلة الى هـذا العالم الغريب مكرسكوب مركب وبعض شرائح زجاجية (الواح) وانبوبة دقيقة وزجاجة صغيرة وبركة من الماء الراكد . املأ زجاجتك بماء من البركة وأنا الكفيل لك بأنها تحوي اصنافاً لا تحصى من الكائنات العجيبة

واذ تدخل غرفة البحث حاملاً في يدك ملايين الاحياء الدقيقة لا يسعك الاّ التأمل في «نسبية» الحياة . فقد كنت قبل هنيهة ترى الانسان حقيراً صغيراً اذ كنت تتأمل الكواكب والسدم المنثورة في الفضاء الرحب ثم اذ بك تراه جباراً يحمل في كفه الوف الوف من الكائنات الحية

﴿ حيوان كالمبذل (البانتوفل) ﴾ وتأخذ بأنبوبتك قطرة صغيرة من ماء الزجاجة فتضعها على شريحة المكرسكوب وتحكم وضع الشريحة تحت العين المكبرة وتضبط النور فينجلي أمامك عالم غريب تستطيع مراقبته ولا تستطيع دخوله . واذ تنظر الى هذه الشريحة من قمة المكرسكوب ترى كائناً شبيهاً بالمبذل (Pantoufle) . هذا هو « البراميسيوم » وهو من أبسط الاحياء تركيباً فليس له عظام ولا اعضاء خاصة ولكنهُ خلية واحدة تقوم بجميع الاعمال اللازمة لحفظ الحياة . ان سطح جسمه مغطى باهداب دقيقة تتحرك حركة منتظمة في جهة معينة فتنتقل بها الخلية من مكان الى آخر في قطرة الماء وهكذا تتمكن من الحصول على ما يغذيها . وهذا الغذاء انما هو من الحيوانات والنباتات الدقيقة جدًّا السابحة في قطرة الماء

والبراميسيوم يتكاثر بالانشطار الى خليتين لا تلبث كل خلية منها بعد الانفصال ان تنمو وتكبر حتى تصير مثل الخلية الاصلية في حجمها وهذه العملية — الانشطار فالنمو — قد تحدث من مرتين الى خمس مرات كل اربع وعشرين ساعة فسرعتها تزيد او تنقص بارتفاع حرارة الماء او انخفاضها . فهذه الاحياء من الوجهة النظرية خالدة لا تموت . وكل شيء يمضي حيًّا الى ان تحل به كارثة فتقتله

﴿ حيوان كالجرس ﴾ ويمر امام عينك احياء دقيقة اخرى تشبه « البراميسيوم » في معظم صفاتها ولكنها تختلف عنهُ قليلاً . هذه ذرات كبيرة من الرمل او قطعة منحلّة من ورقة او نبتة . ولدى التدقيق ترى حيواناً غريباً يشبه الجرس معلقاً بساق طويلة تشبه اسلاك العرائش . هذا هو حيوان «الفورتيسلا» وهو احد الحيوانات الدوّارية . فمه واسع يحيط بهِ شعر غزير قوي يتحرك حركة منتظمة فيحدث في فم الحيوان وحلقه تياراً مستمرًّا من الماء . وهذا التيار يحمل طائفة عظيمة من الحيوانات والنباتات الدقيقة الى معدة « الفورتيسلا » لتغتذي بها . واذا لاحظت هذا الحيوان فقد ترى في الماء حركة عنيفة نشأت عن حركة الشعر الذي يحيط بالفم وترى الحيوانات والنباتات وغيرها من محتويات الماء قد حملت قسراً الى الفم المفغور . وحيث ان التيار قوي فان قدراً كبيراً من ذرات التراب التي يحتوي عليها الماء ويصيب جسم « الفورتيسلا » الحساس فتنكمش ساقها فيبتعد الحيوان من منطقة الخطر . فاذا فحصت الحيوان حينئذٍ وجدت ان جسمهُ قد انكمش حتى اصبح مثل كرة وترى ان شعر فمه قد نام وفمه قد اقفل وبعد انقضاء ثوان على هذا ترتخي الساق ثانية ويعود الحيوان الى مكانهِ

﴿ حيوان اخضر ذو عين حمراء ﴾ ثم تحدق قليلاً فترى كائناً اخضر يتصف بصفة تجعله متفرداً بها . وما زال الباحثون في طبائع الاحياء الدقيقة في ريب من حقيقة هذا الكائن أهو حيوان شبيه بالنبات او نبات شبيه بالحيوان . وقد دعوه « يوغلينا » ولكن مكانهُ في شجرة الاحياء لا يزال يحيط بهِ الريب . ان لونهُ الاخضر الأخاذ يضارع لون ازهى النباتات الغريبة الطافية في هذه القطرة من الماء ولكن « اليوغلينا » لا تطفو على غير هدى فان جسمها يدور على محوره الطويل وفي مقدمتها « لسان » طويل يتحرك حركة موجية منظمة في الماء ليساعد جسم « اليوغلينا » على الانتقال . فاليوغلينا اذا قابلتها بالبراميسيوم تبدو كأنها سائرة دائماً الى هدف معين في خط مستقيم . ونحو مؤخرة الجسم « عين » حمراء زاهية يتبين بهِ الحيوان النور من الظلام . و«لليوغلينا» خصم تركيب جسمه شبيه بتركيب جسمها ، الاَّ انهُ اقصر جسماً واقتم لوناً ، ورؤيتهما في الماء بجسميهما الاخضرين وعينيهما الحمراوين ولسانيهما الطويلين من اغرب مشاهد الطبيعة

السم

لبشر فارس

جُرْحٌ بَغى حتى ثَمِلْ وسال يُنكِرُ المَلَلْ
لاطَفْتُهُ وكلّما أتيتُ آسوهُ ثَقُلْ
لَمّا عَصَى عليَّ فارْفَضَّتْ أساليبُ الحِيَلْ
شَدَدْتُهُ من فَرْطِ يأ سي بِضِمَادَةِ الأَمَلْ
ثمّ طَوَيْتُ أَمرَهُ حتّى حسِبْتُهُ اندَمَلْ

***

واليومَ هبَّتْ ذِكَرٌ الى المُمِضّاتِ رُسُلْ
عاصِفَةً يَهيجُها سمٌّ غوابِرِ القُبَلْ
لافحةً تزاحَمَتْ بينَ ثناياها شُعَلْ
هَوَتْ على جُرحي فَذابَتْ فوقه على مَهَلْ
فانتَفَضَ الجُرحُ وجاشَ في مَطاويه النَغَلْ

يؤيد فيهِ التشريحُ بعد الموت تشخيص الطبيب قبله . فكأن الاطباء كانوا على ثقة من اصابة المرضى ومصيرهم ولكنهم كانوا عاجزين عن كشف أية وسيلة لانقاذهم . ويشهد اقران مينو في مستشفى ماستشوستس العام انهُ كان يدقق في فحص كل مريض يعهد اليهِ في علاجهِ كأنهُ المريض الوحيد في المستشفى ، وانهُ كان في حالات الانيميا الخبيثة يبحث ويستقصي كأن شيئاً لم يعرف عن ذلك الداء الفتّاك . وكان من العلم حينئذ ان تحسب الدم في اولئك المصابين يحتوي على سمٍّ زعاف يبيد كريات الحمر فيشفُّ الدم ويشحب المريض ويصاب بسائر الاعراض . ولكن مينو لم ينظر الى الداء النظرة العلمية السائدة بل قال ألا يمكن ان يكون الباعث على ذلك اصابة نخاع العظام فلا تنجب كريات الدم الحمر

لم يكن مينو مبدع هذا السؤال ؟ ولكن النظر الى الموضوع من هذه الناحية لم يكن متفقاً مع اتجاه التفكير الطبي في ذلك العهد . وكان مينو لا يبي عن وخز اذرع المرضى بالانيميا الخبيثة لاستخراج دمٍ من عروقهم وفحص محتوياتهِ بالمكرسكوب فيرى الكريات الحمر اقراصاً صغيرة على شريحتهِ . ولاحظ انَّ المصابين بالانيميا تتحسَّن حالهم احياناً فيرى في نماذج دمائهم كريات حمراً تختلف عما ألف رؤيتهُ . فصبغها بصبغ ازرق زاهٍ وتبيَّن خواصَّها التي تختلف بها عن سائر الكريات . ثم لاحظ ان هؤلاء المرضى الذين بدأ التحسن في حالتهم الصحية قد اخذوا يضعفون ففحص دماءهم بدقتهِ المعتادة فوجد هذه الكريات التي كشفها عند التحسُّن قد اخذت تقلُّ رويداً رويداً حتى ادرك الموت المصابين بعد انقضاء سنتين او ثلاث سنوات على ظهور اعراض الانيميا الخبيثة

وسخر بعض الخبثاء في بوسطن من مينو لتدقيقه في دراسة مرضٍ فرغ الطب من تقرير اعراضه

وبعد ما قضى مدة في كلية الطب بجامعة جونز هبكنز وقفها في الغالب على دراسة الدم عاد الى بوسطن واتصل بطبيب باثولوجي يدعى ريط . كان هذا الرجل بارعاً في عمله نافذ البصر في الامراض المختلفة واثرها في نُسُج الجسم . ولكنهُ كان قليل الصبر يغضب لاقل سبب . وكان مينو يفحص كريات الدم الحمر بمكرسكوبهِ ويرهق ريط بالاسئلة يوجهها اليهِ فيفوز منهُ بعبارات قصيرة تتخللها الفاظ القسم واللعن . ولكن مينو فاز من ريط بملاحظات جديرة بالتدبر ، فاز منهُ بقوله ان الكريات التي تظهر عندما تتحسن حالة المصاب بالانيميا الخبيثة ثم تزول بزوال التحسُّن انما هي كريات حديثة السن ، وان نخاع العظام حافل بهذه الكريات ولكن لسبب ما لا تستطيع ان تنمو وتصبح كريات حمراً تامة النمو . فلما سأله مينو ولكن لماذا لا يستطيع النخاع ان يفعل ذلك اجابه ريط : —

لماذا ! لماذا ! يا ليتنا نعلم لماذا !

ولكن مينو لم يقنط فمضى في توجيه السؤال ومضى ريط في الردّ عليه ، مغضباً ، محنقاً ، وفي ردوده كلمات كانت كأنها شذور الذهب في نظر مينو وخاصة اذ قال له ريط في احد الأيام ان نخاع العظام التي لا تستطيع ان تولد الكريات الحمر تامة النمو ، اشبهُ شيء بنمو خبيث او نمو سرطاني .... فتأصل هذا القول في فكر مينو .... الانيميا الخبيثة نموٌّ خبيث في نخاع العظام ..

وكان مينو قد بدأ يمارس الطب في بوسطن فاشتهر بين المرضى الذين يترددون عليه ، بأنهُ دقيق لمرضاه ، مدقق كل التدقيق في ما يصفه لهم من وسائل العلاج او اساليب المعيشة . فكان وصف لاحدهم المشي قليلاً قبل العشاء يعين له المسافة والوقت والسرعة . او اذا وصف لهم الغذاء حرّى كل الدقة في اوزان الاغذية التي يصفها . وكان قوي الذاكرة يتذكر ما يبوح به مرضاه عن احهم واتراحهم فيشاركهم فيها جميعاً ولا ينسى ان يسألهم عنهـا عند ما يلقاهم . ولو انه مضى سبيل ممارسة الطب لاصبح من اغنى اطباء بوسطن . ولكنه في ساعات فراغه كان يعود الى بحثهِ ديم في الانيميا الخبيثة

وكان المصابون بها يجيئون اليه متوسلين ألا تستطيع ان تفعل شيئاً يادكتور ؟ كانوا جميعاً في ة من الضعف والاعياء يرثى لها . فكان يقول : «ارضى يافلان ان تعمل لك عملية جراحية ؟ ولكننا نستطيع ان نعد بشيء . العملية تجربة لك ان تقبلها او ترفضها » . وكذلك ذهب ١٧ مريضاً من ض مينو الى جراحي بوسطن فعملت لهم عمليات استئصال الطحال . فبدت عليهم على اثرها لامات التحسّن فكثف الدم وكثرت كرياته الحمر مدة من الزمن ... ثم عاد الدم فشفّ والكريات مر فقلّت ، وعاد الاعياء والشحوب السمة الغالبة على اولئك المساكين ، في طريقهم الى القبر

وجرب هو وصديقهُ الدكتور لي Lee حقن الدم من احسام قوية في عروق اولئك المساكين ، هر تحسن في خمسين في المائة من الاصابات التي عولجت كذلك . ولكن التحسن لم يدم اكثر بضعة اسابيع . وكان الموت نهايتهم جميعاً

ألم يخطىء مينو يوم رفض ان يسلّم من دون وعي باشارة ابقراط العصر الحـديث السر وليم سلر ، اذ قال ان بعض الامراض مستعصٍ لا يمكن شفاؤهُ ؟ !

***

بعد ذلك رقي مينو في مدرسة هارفرد الطبية وعهد اليهِ في ادارة الخدمة الطبية في مستشفى ي التذكاري حيث عني بدرس المصابين بالسرطان او بامراض الدم الخبيثة . وكان متصلا بمستشفيين آخرين علاوة على عيادتهِ الخاصة . ولكنهُ في كل ذلك لم يغفل عن الانيميا الخبيثة لكّ يفكر ويتأمل في سرّ نمو الخلايا ، او في سرّ عجزها عن النموّ في بعض الاجسام

وكانت سنة ١٩٢١ سنة خطيرة في تاريخ حياتهِ . اذ احسّ بضعفٍ عام في جسمهِ وبنهم غير وف في غذائهِ ، وبهمة تفوق همتهُ العظيمة العادية في انجاز ما عليهِ . فواجه الحقيقة ذات مساء عيادتهِ اذ وقف بوجههِ الشاحب الهزيل امام المرآة واخذ في ابوب قليلاً من بوله واضاف اليهِ كواشف الكيماوية اللازمة وامسك بهِ فوق لهب المشعال ، فثبت له انهُ مصاب بداء البول السكري كان مينو حينئذٍ في الرابعة والثلاثين من عمره . والرجل في الرابعة والثلاثين اذا اصيب بداء ل السكري كان في حكم المقضيّ عليهِ . فعهد الى احد الاختصاصيين في معالجتهِ فوصف لهُ غذاء

معيّناً ، فاقبل عليهِ مينو ، رغم ما كان يحسُّ بهِ من الجوع الشديد ، يزن كلَّ كسرة خبز وكل قطعة طعامٍ من الطعام الذي سمح لهُ بهِ . كان يعلم انهُ بدأ يتدهور على سلّم الحياة المودي الى القبر رغم العناية بغذائهِ . ولكن ذلك لم يقعدهُ عن مواصلة البحث بهمةٍ فيها سمة من حماسة القديسين

ولكن لم يطل المطال حتى كشف بانتنغ عن الانسولين لعلاج البول السكري . فاقبل عليه مينو فنجا من الموت المحقّق ، وعاد اليهِ نشاطهُ وصفاء ذهنهِ . ولكن عنايتهُ بغذائهِ قبل الانسولين كانت قد حملتهُ على العناية بتوجيه الاسئلة الكثيرة الدقيقة المختلفة الى مرضاه ، عن غذائهم ، وما يحبون وما يكرهون ، حتى لكان صغار الاطباء في المستشفى الذي يديرهُ يقولون هازئين : « ان الدكتور مينو قد اكتشف اليوم ان السيدة فلانة لم تأكل الاسباناخ قبل ان تبلغ العاشرة من العمر » ثم يقلبون شفاههم إشفاقاً منهم على عقلهِ

ولكن مينو ما كان يدري حينئذٍ انهُ على وشك ان يكشف كشفهُ العظيم من هذه السبيل ، وكيف يستطيع ان يدري ذلك ؟ الم يقل احد الحكماء : « كيف تستطيع ان تدعو الكشف كشفاً اذا كنت تعلم ما توشك ان تكشف »

كانت عناية مينو بالغذاء ، وتوجيههِ الاسئلة الخاصة بهِ الى المصابين بالانيميا الخبيثة قد هدتهُ الى حقائق مختلفة غريبة عن اولئك القوم

واذا بهِ يجمع في عقلهِ الباطن طائفة متفرقة متناثرة من الافكار تواردت بعضها في اثر بعض من دون رابط منطقي علمي يربطها .... في البلدان الشمالية تكثر الانيميا الخبيثة .... في البلدان الشمالية تكثر منتجات المواشي من لبن وجبن وزبدة وغيرها . . . . ولكن سكان تلك البلدان لا يقصرون طعامهم على منتجات اللبن . . . . الا يمكن ان نعطي المصابين بالانيميا الخبيثة غذاء نصيب اللبن فيه قليل . . . هه ! الانيميا الخبيثة تشبه البلاغرا في اعراضها — التهاب في الفم وتلبك في الهضم واضطراب في الاعصاب .... ولكن جولد برغر اثبت ان اصل البلاغرا الامتناع عن اكل مقدار كاف من اللحم ، او البروتين . . . . . لقد ذكر احدهم ان غذاء غنيًّا بالكبد افاد في مرض القلاع (وبعض اعراضه شبيهة ببعض اعراض البلاغرا) .... وهكذا

واذ كانت تتوارد هذه الخواطر على ذهنه متفرقة ومجتمعة ، طالع كتاباً في الغذاء وقع فيهِ على بعض الفوائد التي تجنى من بروتينات الكبد . فالكبد زادت معدل النموّ في الجرذان البيض . وكذلك الجرذان البيض اذا أعطيت لخنازير الهند المصابة بالاسكربوط زادت مقدار الهيموغلوبين في دمها وما علاقة الأنيميا الخبيثة بالهيموغلوبين ، ألم يقل الباثولوجي ريط ان نخاع العظم هو النسيج المريض وكذلك ظلّت هذه الالفاظ وهذه المعاني تتوارد على ذهنهِ متفرقة ومرتبطة — أنيميا خبيثة — نخاع العظم — الكريات الحمر — الهيموغلوبين — الجرذان — خنازير الهند — الكبد — وكانت كلمة الكبد اظهرها وألمعها ، فصار لا يقرأ كتاباً طبيًّا الا يرى كلمة الكبد مكتوبة أمامه

مضى في قراءة كتاب الغذاء فرأى فيهِ ان مديري حدائق الحيوانات اذا اكتفوا بتغذية الاشبال لحم الاحمر ، نشأ الاشبال ضعافاً ونشأت عظامهم لينة ... فقال مينو : ماذا ؟ عظامهم لا تنمو . . . يميا خبيثة ... كبد . . . ولكنهُ ما أتمَّ القراءة حتى رأى انهُ اذا اضاف مديرو الحدائق الكبد الى لحم الاحمر في غذاء الاشبال نشأت قوية صلبة العود

ثم اطلع على بحث علميّ للدكتور هويل Whipple ومساعديهِ . ذلك ان هؤلاء كانوا قد جوا عروق كلبٍ واستنزفوا مقادير من دمهِ ثم خاطوا الفتحة وغذوا الكلب بالكبد فعاد دمهُ بيعيًّا . ولكن الانيميا التي تنشأ عن فقد الدم ليست أنيميا خبيثة ، وعلماء الطب يعرفون ان شتان بن نوعي الانيميا هذين . وهويل نفسهُ لم يدّع بعد تجربتهِ العلمية ان الكبد تشفي من الانيميا الخبيثة ان كانت تشفي من الانيميا العادية الناشئة عن نزف الدم . وكلّ ما قاله هويل ان قلب الثور وعضل الثور شفيان الكلب الانيميّ . ثم قال : والكبد المطبوخة تشبه العضل المطبوخ في هذا

وكان مينو يعلم من بحثه الدقيق في غذاء مرضاه ان لا قلب الثور ينجح في شفائهم ولا عضل الثور . بل كانوا قد اطعمهم كلّ هذا ، فلم يدفع عنهم عادية الموت

وكذلك قال في احد الايام لنغذّ هؤلاء المرضى بالكبد !

***

لم يجرؤ في البدء ان يغذي مرضى المستشفى بالكبد ، فبدأ بأحد المرضى في عيادته الخاصة . ومن حسن الطالع كان هذا الرجل المصاب بالانيمياء الخبيثة ، لا يزال قويّ الشهية للطعام ، وكان مينو ، ينفّذ تعليمات الطبيب تنفيذاً دقيقاً كلّ الدقة

فقال مينو لهذا الرجل في احد الايام ارجوك ان تدخل الكبد في غذائك مرتين او ثلاث مرات في الاسبوع . واشار عليهِ كذلك بأن يكثر من اكل اللحم الاحمر والخضراوات والفواكه وان يقلل من الزبدة والقشدة والنشويات ما استطاع

ولكنهُ قال بعد ما فرغ من كل هذا : إيّاك ونسيان الكبد . يجب ان تأكل الكبد مرتين في الأسبوع

وعاد هذا الرجل الى بيتهِ . وكأن يد القدر ارادت ان تجعله المثل الحي على فعل الكبد في شفاء الانيميا الخبيثة ، فجعلتهُ يستطيب الكبد حيث يتقزّز منها اكثر الناس . فأكل منها اكثر مما طلب اليهِ . ونسيه مينو في خلال ذلك لشدة عنايتهِ بغيره من المرضى الذين كانوا اقرب الى حتوفهم منهُ

وكان مينو في عيادتهِ في أحد الأيام اذ قيل لهُ ان فلاناً ينتظر فقال في نفسهِ ، لا بدّ ان يكون مصيرهُ مصير سائر المصابين بهذا الداء الخبيث . فأمر بادخالهِ ، وهو يشفق ان يرفع رأسهُ خوفاً من ان يرى شحوبهُ قد زاد وهزالهُ قد استفحل . ولكنهُ ما كاد ينظر اليهِ حتى صاح دهشاً

— هالو ! فقال الرجل : لا ريب يا دكتور في انني أحسُّ بنشاط عجيب

فقال مينو : وأنا اعلم ذلك . انني أقرؤه في وجهك

قال مينو ذلك وهو مرتاب مضطرب . لانهُ رأى جماعة من المرضى بالانيميا الخبيثة تتحسن احوالهم خلال فترة قصيرة ، ثم تسوء رويداً رويداً . ولكنه لم يشأ ان يثير مخاوف الرجل بل اكتفى بان قال له « امضِ في الغذاء الذي وصفتهُ لك ولا تنس الكبد »

كان ذلك في سنة ١٩٢٣ وفي الخريف جاءتهُ سيدة حالها اسوأ من حال الرجل الذي تقدم ذكرهُ . فوصف لها الوصفة نفسها . وهو يعترف انهُ فعل ذلك وهو لا يؤمن بفائدة الغذاء ، بل كان معتقداً ان هؤلاء القوم مقضيٌّ عليهم بالموت قضاءً لارادّ لهُ

وجاءَ بعد المرأة ثالث ورابع وخامس ، فوصف لهم جميعاً الغذاء نفسهُ . واكبّ هو على مباحثهِ العلمية . فلما عادوا اليهِ بعد شهر وشهرين وثلاثة اشهر ، وفي خدودهم تورّد الحياة ، وفي مشيتهم نشاط الصحة ، اخذ نماذج من دمائهم وأحصى كرياتها الحمر فوجد الكريات الحمر آخذة في الازدياد ، وعلى اثر ذلك كان يلتفت اليهم ويقول « جربوا ان تأكلوا الكبد كل يوم . زنوا ما تأكلونه منها . وليكن نحو ربع رطل — كل يوم ... » . وعادوا اليهِ بعد اسابيع فقال احدهم لقد عادت شهيتي للطعام . وقال الآخر : لقد زال التقرّح من لساني . وقال الثالث : احسُّ بالقوة في ركبتيَّ

وكذلك مضى مينو خلال سنة ١٩٢٤ يعالج المصابين بالانيميا الخبيثة ، بغذاءٍ يحتوي على الكبد . . . . « تذكر يا فلان يجب ان تأكل ربع رطل من الكبد كلَّ يوم »

ومع ذلك ظلَّ ايمانهُ ضعيفاً بفائدة هذا العلاج فائدة تامّة ، بل ظلَّ يخشى ان يكون التحسُّن البادي في صحتهم تحسناً وقتيًّا . ولكن جاء شتاء سنة ١٩٢٥ ، فوجد مينو انهم كانوا لا يزالون جميعاً على قيد الحياة ، بعد ما كانوا على شفا الموت ، وان القطرة (ملمتر مكعب) من دمائهم في حالة المرض كانت لا تحتوي على اكثر من ٥٠٠ الف كرية حمراء (وعدد الكريات فيها يجب ان يكون ٥ ملايين) اخذت تعجُّ من جديد بهذه الكريات الحمر . فهذه قطرة من دم فلان تحتوي على ثلاثة ملايين كرية ، وهذه قطرة من دم فلان تحتوي على ثلاثة ملايين كرية ونصف مليون ، بل هوذا قطرة من دم هذا الرابع تحتوي على ٤٥٠٠٠٠٠ كرية حمراء ، فحالة دمهِ تكاد تكون طبيعية

ولكن هذا الظفر لم يبطرهُ فختَّم على مرضاهُ بان يمضوا في تناول الكبد كلَّ يوم ربع رطل منها ومضى هو في مراقبتهم ، حذراً من التمادي في التفاؤل ، ولم ينفه بكلمة عن كلّ هذا لاحد من الناس

واتصل مينو في ذلك العهد بطبيب حديث التخرج من مدرسة الطب يدعى مرفي ، كان يعنى مثله بامراض الدم . فاحبّهُ . فلمّح له في احد الايام ان يغذّي المصابين بالانيميا الخبيثة في المستشفى الذي يشتغل فيهِ بغذاءٍ مؤلفٍ من عناصر خاصة ، وذكر الكبد فيما ذكر من عناصر الغذاء

فلقي مرفي في طليعة الامر عقبة كؤوداً في سبيل هذه التجربة . ذلك ان متعهّد المستشفى لم يأتهِ إلاّ باكباد الثيران ، وكانت قاسية جافّة تعافها نفس السليم ، دع عنك نفس المريض . ولكن

رفي كان يحبّ اكل الكبد ، ويتلذّذ بهِ ، فكان في حماستهِ هذه خير من يحاول اقناع الغير بتناوله . مضى مرفي ثمانية اشهر يغذّي مصابي الانيميا الخبيثة بغذاء خاص يحتوي على الكبد بحسب تعليمات مينو، فلما انقضت الاشهر الثمانية ، وشاهد مرفي الذين كان يتوقع لهم الموت ، وقد اصبحوا يرتعون في بحابح الحياة ، تحمّس للامر حماسة الشباب ، وعَدتهُ حماستهُ الى صديقهِ ومرشدهِ مينو

بيد ان مينو ظلّ لا يفوه بكلمة عن الموضوع ، حتى تتجمع لديهِ الحقائق وتبوّب . ومما يؤثر عنهُ في هذا الصدد انهُ كان عضواً في جمعية من الاطباء تجتمع مرة كل شهر لتناول الغذاء معاً، وفي فبراير سنة ١٩٢٦ كان ميعاد اجتماعهم في دار مينو ، فتناولوا العشاء وجلسوا بعده يتحدثون ، فالتفت احد الاطباء الى مينو وكان من اقرب اصدقائهِ اليهِ وقال اسمعتَ بذلك العمل العجيب الذي يقوم بهِ احد الاطباء في هذه المدينة ؟ انهُ يعالج الانيميا الخبيثة بغذاء يحتوي على الكبد .. فصرفهُ مينو عن الموضوع بكياسة حتى تجتمع لديهِ الحقائق الكافية للتصريح

وفي احد الايام جاءت امرأة مصابة بالانيميا الخبيثة متبرمة تطعم الكبد وسألت مينو في بساطة: يلزم ان تكون الكبد مطبوخة ؟ الا يمكن ان تهرس حتى تصير مثل الرُّبّ ثم تمزج بعصير البرتقال يتناولها المريض شرباً ؟

وما كاد المصابون بالانيميا الخبيثة يسمعون بأن مينو ومرفي شفيا مصابين مثلهم حتى تقاطروا على المستشفى حيث كان مرفي وعلى عيادة مينو الخصوصية ، تقاطروا عليهما ضعافاً هزالاً ، دماؤهم تكاد تكون شفافة لقلة الكريات الحمر فيها ، وركبهم تكاد لاتقوى على حملهم فجاؤهما محمّلين فاقدين الرشد أحياناً . فكان مينو ومرفي يلازمان اسرّتهم ويسقيانهم هريس الكبد في عصير البرتقال بأنابيب مضوا على ذلك اياماً لا يعرف القنوط الى نفسيهما سبيلاً بلغ المريض من ضيق التنفس او ضعف النبض مابلغ .... وفي نهاية اسبوع على الاكثر كانت ترتد ألقة الحياة الى العينين وقبل نهاية أسبوعين كان المريض يستطيع ان يقف على قدميه ويسير . وفي سنة ١٩٢٦ اجتمع مؤتمر علمي في مدينة اتلانتك ستي فبسط فيهِ مينو كيف انقذ مصابي الانيميا الخبيثة من الموت بالكبد !

اما باقي القصة فمن شأن الاطباء والبحاث الاختصاصيين . لقد استنبطت كواشف خاصة لاحصاء كريات الدم الحمر الحديثة السن فيقاس بعددها مدى التحسّن الذي يصيبهُ المريض . وابتدعت اساليب لاستخراج مستخلصات الكبد فيتناولها العليل غير متقزز ولا مشمئز . وجرب كاسل تجارب بنفسهِ اثبتت ان معدة الخنزير المجففة تفعل فعل الكبد في الانيميا الخبيثة . وعمد اطباء شركة بارك دايفس الى تجربة كاسل فبنوا عليها مادة الفنتريكولين التي توازي الكبد على الاقل في علاج الانيميا الخبيثة . والمباحث في هذه الناحية لمّا تبلغ نهايتها

ولكن المهمّ في كل هذا ان رجلاً كمينو استطاع ان يتنكّب الطريق التي رسمها العلم ، ببداهةٍ فيها شيء من الالهام فكشف عن فعل الكبد في شفاء هذا المرض الخبيث — انّ مرفي ولاريب من الروّاد !

مصرع بلبل

لابراهيم عبد الفتاح طوقان

حكايه رمزية تمثل الواقع في حياة المدن الكبرى حيث يدخل عمارها الشاب قادماً من البلدة الصغيرة او القرية البسيطة ... هذه الحياة الصاخبة تخلب ذلك الشاب بزخرفها وفنون لهوها والوان عبثها . تجتذبه فيرتمي بين أحضانها ويلقي بقياده اليها ، فتذهب به في مزالق الضلال كل مذهب

ثم تسفر هذه الحياة عن وجه كالح ، وتقشع نشوتها عن صحو مضى اوانه ... فاذا هنالك افلاس في احد ثلاثة : في المال ، او الصحة ، أو المستقبل ، وكثيراً ما أعلن الافلاس في الثلاثة جميعاً وهناك الفاجعة الابدية . . . أما (البلبل) في هذه الحكاية فيرمز عن الشاب المخدوع ، وأما (الوردة) فترمز عن بائعة اللهو والعبث . . . . . ، وأما (الروض) فهو رمز الحانة او الملهى

قَدَرٌ ساقهُ فآواهُ روضاً لم يكن طار فيهِ قبلاً وغنّى
فاستوى فوق أيكةٍ ورمى عيـ ـنيه فيما هناك يُسرى ويُمنى
واذا الروض بهجةُ الروح طيباً وظلالاً ، وفتنةُ العين حسنا
وكأنّ الغديرَ بين ضلالٍ وهدًى ، كلما استوى او تثنّى
تنحني فوقه كرائم ذاك الدوح منها الجنى ، وكم يتجنّى ...
مطمئنٌّ يسير تيهاً ، فان رامَ عناق الصخورِ صدّت فجنّا
هكذا يصبح الحبيب المعنّي بعد حينٍ وهو المحبُّ المعنّى

***

ومضى البلبل الغريب يطوف الروض حتى انزوى محيّا النهار
راح يأوي الى الغصون ولكن كيف يغفو مشرّد الافكار
كان في الروض فوق ما يتمنى من فنون الأثمار والازهارِ
غير أنْ ليس فيهِ طيرٌ يغني أيّ روض يحلو بلا أطيارِ
ومرَت فيه رعدة حين لم يلـ ـق سوى دارسٍ من الاوكارِ
وبقايا نواقفٍ رخم المو ت عليها ، مخضب الاظفارِ
اي خطبٍ اصابكم معشر الطير ...؟ وماذا في الروض من أسرار ؟

***

طلع الفجر باسماً إثرَ ليلٍ دونهُ وحشةٌ كهوف المنيهْ

تتنزى اشباحه صاخبات عاريات ، اكفُّها دمويه
ورجومٌ تفري الغيوم وتهوي كلُّ رجم من الجحيم شظيه
وخسوف تحدّث البدرُ فيه بفم الحوت منذراً برزيه
ذاك ليل قضى على البلبل المنـــكود لولا يدٌ تصدت عليّه
ملـكةٌ عرشها المشارق والـــتاج سناها ، أعظمْ بها شرقيه
انقذتهُ فهبَّ يشدو شكوراً مرحاً ، هاتفاً لها بالتحيه :

تحيّة البلبل للشمس

﴿١﴾

مليكة النيّراتْ الٰهة المشرقينْ
الناس في الغاراتْ اليك مدُّوا اليدينْ
وأحرقوا في الصلاةْ نضارهم واللجينْ
وقربوا الاعناقْ
زلفى تراقْ

*

﴿٢﴾

يا ليل ان الصباحْ رمز حياة الورى
انفاسه في البطاحْ وروحه في الذرى
أما رأيت الأقاحْ أفاق بعد الكرى
وضوّع الآفاقْ
لمّا أفاقْ

*

﴿٣﴾

هناك راعي الغنمْ جذلان ، حيُّ الفؤادْ
يرتع بين الأكمْ يهيم في كل وادْ
والناي صبّ النغمْ وبثّهُ في الوهادْ
كزفرة الأشواق
غبّ الفراق

*

نَسيَ الطير همه حين غنّى قلّما يستقرُّ همُّ الطروب
ألِفَ الروض مفرداً وتولّى عنهُ في دوحهِ شعورُ الغريب
مستقلٌّ في الملك، لا من شريكٍ طامع يُتّقى ، ولا من رقيب
مطلَقٌ ، يستقرّ عند نمير تارة او يقيل فوق رطيب

. . . .

واذا (وردة) تفيض جمالاً تتهادى مع النسيم اللعوبِ
قد حمتها اشواكها مشرعات حولها دون عابثٍ أو غصوبِ
تمنح العين حين تبدو وتخفى من ضروب الإغراء كل عجيبِ

***

كل قلب لهُ هواهُ ... ولكن ليس يدري متى يجيء زمانُهْ
وهو إمّا في ظلّ جفنٍ كحيل كامنُ السحر ، راقدٌ افعوانُهْ
أو وراء ابتسامةٍ حلوةِ الثغر ، نقيّ ، مفلّج أقحوانُهْ
أو على الصدر يستوي فوق عرشين . . مكيناً مؤيداً سلطانُهْ
فاذا كان لفحة من جحيم الـ ـرجس ... أملى أحكامهُ شيطانُهْ
واذا هبّ نفحة من نعيم الـ ـطهر ... قامت ركينة اركانُهْ
هو ذا الحبُّ فليكن حين يأتيـ ـك ، بريئاً من كل عيبٍ مكانُهْ

***

صارت الوردة الخليعة للبلـ ـبل همًّا ومأرباً يُشقيهِ
حسرتا للغرير أصبح كرباً ما يلاقيه من دلالٍ وتيهِ
شفّهُ السهد واعتراهُ من الحـ ـب سقام مبرّح يُضنيهِ
مَن رآها وقد تحامل يهفو نحوها ، كيف أعرضت تغريهِ
مَن رأى روحَهُ تسيل نشيداً لاهباً ، لوعةُ الأسى تُذكيهِ
هي (حوّاء) ذلك الخلد فاحذر لا تكوننّ أنت (آدمَ) فيهِ
لا تهب قلبك الكريمَ لئيماً تحت رجليهِ عابثاً يلقيهِ

***

هل يرى في ظلال وردته الحمـ ـراء سرًّا بدا وكان خفيًّا
هل يرى للطيور فيها قلوباً نبذتهنّ يابساً وجنيًّا
هل يرى اليوم ما الذي جعل الروض كئيباً من الطيور خليًّا
كم نذيرٍ بدا لعينيه حتى قام شخص الردى هناك سويًّا

سامهُ حبُّهُ شقاءً ولكن نعمة الحبّ ان يكون شقيًّا
والهوى يطمس العيون، ويُلقي في قرار الأسماع منهُ دويًّا
هكذا يسلك المحب طريق الـ ـخوف أمنًا ويحسب الرشد غيًّا

***

مَنْ ترى علّم البخيلة حتى سمحت ان يقبّل الطير فاها
لم يصدّق عينيه حتى اطلّتْ واطالت في ختلهِ نجواها
زلزل الروض عند ذلك بالألحان ... فاسمع روايتي عن صداها

نشيد البلبل للوردة

أنشدي يا صبا وارقصي يا غصونْ
وأسقني يا ندى بين لحظ العيونْ
فيك يا وردتي قد حلا لي الجنونْ
انا مني الهوى انت منك الفتونْ
انشري ما طوت من غرامي السنونْ
كان في أضلعي فروتهُ الجفونْ
أقربي من فمي فحديثي شجونْ...

***

ضمّها الطير مطبقاً بجنـاحيه ، وهمّت بثغره شفتاها
لم يمتّع بنشوة الحبّ حتى اشرعت شوكةً تلظّى شباها
اوردتها قلباً ، اذا رفّ يوماً خافقاً للهوى فذاك هواها
كرعت في الدم البريء فلما عكستهُ وهّاجةً وجنتاها
نظر الطير نظرةً اعقبتها روحه طي شهقةٍ معناها :
وردة ... تبهر العيون ... ولكن... كثرة الشم... قد اضاعت... شذاها

نابلس — فلسطين

١ – ألفاظ الغيوم[1] . . . . للسيد مصطفى الشهابي
٢ الذرة واسماؤها . . . للفريق امين المعلوف باشا

الفاظ الغيوم

اذا تكاثف بخار الماء في الجو انقلب ضباباً او سحاباً. ولا فرق بين الضباب والسحاب الا في كو الاول يكون على مقربة من سطح الأرض والثاني يكون في طبقات من الجو مختلفة الارتفاع وكلاهما مرك من ذرات مائية معلقة حجمها صغير جدًّا قلما يتجاوز قطر واحدتها اثنين في المائة من الملمتر . ور كان عدد هذه الذرات او النقيطات كبيراً جدًّا لصغرها . فغرامان منها يكون حجمهما متراً مكعب وفيهما نحو نصف مليار ذرة . واشكال الغيم مختلفة كما هو معلوم . وكذا لونه ومقداره وارتفاعه ومن الغريب ان منظر الغيوم واحد تقريباً في مختلف الاصقاع . ويقول البحارة ان انواعها لا تختلف في اختلاف البلاد . ولهذا تمكن العلماء من تصنيف الغيوم تصنيفاً يصلح اتخاذهُ في انحاء العالم

ويفيد ، قبل ذكر السحب والفاظها ، تنبيه القارىء الى ان مبحث الغيوم جزء من اجزاء الد الذي يسمونه بالفرنسية ميتيرولوجيا Météorologie . وهذا العلم قد وضعت لهُ لفظة «الجَوِيَّات كالمعدنيات والطبيعيات . ويمكن أيضاً ان نسميهُ «علم الجو» و «علم الاجواء» واذا ارد التطويل «علم الاحداث الجوية» . ولكن اللفظة الاولى هي أصلح الألفاظ لأنها لفظة واحدة يسه نعتها والاضافة اليها والنسبة اليها وغير ذلك فيقال «الجويات الزراعية» لما يسمى météorologie agricole و «موقف الجويات» مقابل Station de météorologie وجوياني او أجوا مقابل Météorologiste وهكذا

ولنعد بعد هذا الاستطراد الى الغيوم واشكالها فنقول : أول اشكال الغيوم يسمونهُ سيروس irrus وهي سحب خفاف بخارية المنظر تبدو كأنها مركبة من خيوط بيض قطنية متشابكة ومتشعبة ع اشكال شتى . وهي أعلى السحب . فأما كنها اذن باردة جدًّا تجعل ذراتها قطعاً صغاراً من الجليد ويتضح ان الصفات البارزة لهذا الضرب من الغيوم هي اولاً ارتفاعه ثانياً لطافته ثالثاً تشابكه ولهذا رأيت ان اصلح لفظ عربي يقابله هو الطَخَاف والطُخْرُور . فالأول السحاب المرتف والثاني السحاب الرقيق . واللفظتان تردان ايضاً بالحاء المهملة

(١) هو الالفاظ التي وضعتها الاستاذ الاديب الاستاذ مصطفى الشهابي لهذا العلم وهذا البحث لاحد تلاميذه مخطو

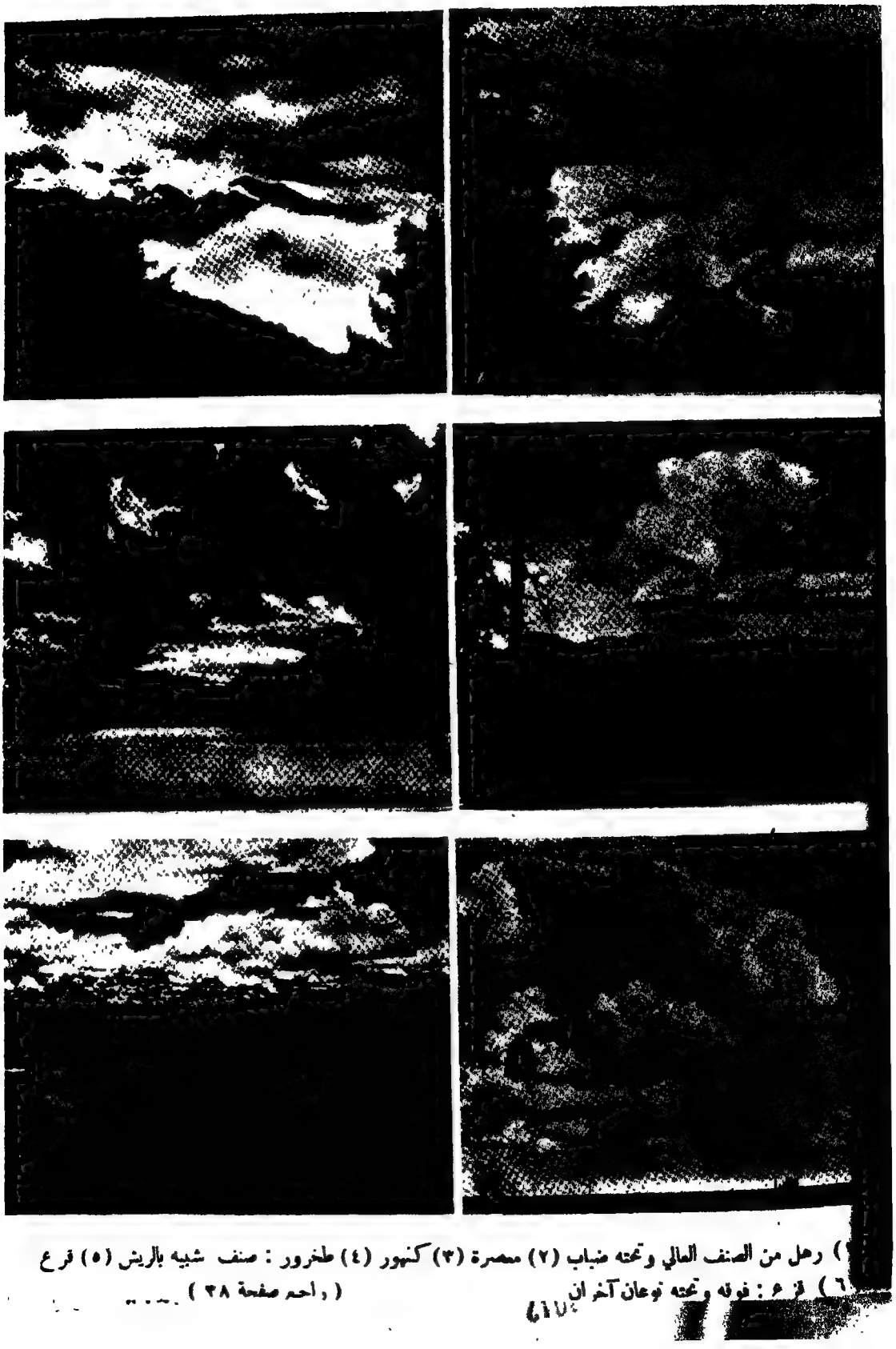

) رهل من الصنف العالي وتحته ضباب (٢) معصرة (٣) كنهور (٤) طخرور : صنف شبيه بالريش (٥) قزع
٦) قزع : فوقه وتحته توعان آخران

(راجع صفحة ٣٨)

الاستاذ هارولد يوري
Harold Urey
الفائز بجائزة نوبل الكيمائية

الدكتور جورج مينو
Dr. George Minot
زعيم الفائزين بجائزة نوبل الطبية

الكاتب الايطالي لويجي بيراندللو
Luigi Pirandello
الفائز بجائزة نوبل الادبية

جوائز نوبل في العلم والادب عن سنة ١٩٣٤

والضرب الثاني يسمى Cumulus وهي سحائب بيض كأنها مركبة من كرات متتابعة . يشبهونها بزم القطن المعلومة او بالدخان الابيض الذي يتدافع من مدخنة القاطرة في بدء سير القطار . وهي تحي في شماريخها اي اعاليها بتأثير حرارة الشمس وتزداد في اكفتها أي اسافلها ولهذا يكون دفاعها قويًّا كما يكون شكلها وحجمها في تبدل مستمر . وقلما يكون فيها مطر بل تظهر في أيام صحو وفي الخريف . وربما امّحت سريعاً بعيد تكوينها . وأسميتُ هذا السحاب القزَع فقد جاء في مخصص ان القزع سحاب صغار يتطاير في السماء وقيل هو السحاب المتفرق ومنهُ قزع الخريف . وسميته ايضاً الحَيِّر والنفّاض لانك تراه يتحرك بعضه في بعض متحيراً ولا يسير

والضرب الثالث يسمونه Nimbus وهي سحائب شهب قاتمة واطئة مَطِرة . وأصلح ما تسمى به عربية «مُعْصِرة ودَجُنّة» ومعناها معروف وهو مقارب لمدلول اللفظة الاعجمية

والضرب الرابع يسمى Stratus وهي غيوم قريبة من الارض كأنها ضباب مرتفع . ويقابلها من عربية « الرَهَل» و « السديم » قال ابن سيده ، الرهل السحاب الرقيق شبيه بالندى يكون في السماء . وقال السديم هو ما كَشُف من الضباب حتى كاد يكون غيماً

هذه هي اهم اشكال الغيوم وهنالك اشكال بَيْن بين أقرّها علماء الجويّات في مؤتمراتهم منها الآتية:

السحاب المسمى Cirro-stratus وهي طخارير متداخلة بعضها ببعض حتى يكاد يصعب تمييز زائها . وتكون كالرداء الابيض لوناً . وهنّ مرتفعات وكثيراً ما يسبقنَ العواصف والأمطار . قل لفظة سَمَاحيق (مفردها سِمْحاق) تصلح للدلالة عليها

ومنها السحاب المسمى Cirro-cumulus ويكون امواجاً طوالاً في السماء شبيهة بأمواج البحر . أن تلك الأمواج تحصل من تماس ريحين احداهما فوق الثانية كما هي الحال في موج البحر تماماً . كان الهواء الطف من الماء كانت امواجه اطول . فالموجة البحرية التي طولها متر يقابلها موجة طولها كيلو متر . والزبد حاشية موج البحر . اما حاشية موجة الجو فضبابٌ صَقِيع . وعلى يكون هذا السحاب كالبحر الجوي منظراً او كصوف الضأن المتماوج . وهو كالسابق من ت الغيث . والنَمِرَة على ما رأيت اصلح لفظة لهذه السحابة . وفي المخصص النَمِرُ من السحاب صغار متدانٍ بعضها من بعض . وفيهِ : النمرة ان تراها كجلد النمر من غيم صغار تكاد تتصل . ا أرِنبها نمرةً أركبها مَطِرة . قال وقد بلونا ذلك كثيراً فوجدناه كذلك . انتهى

ومنها المسماة Cumulo-nimbus وهي سحائب متراكمة بعضها فوق بعض كالجبال . ويكون لونها ا في اعاليها والى سواد في اسافلها . والغيث والعاصفة من اماراتها . اسميتُ هذا السحاب المكفهرّ ام . قال ابن سيده المكفهر الذي يغلظ من السحاب ويركب بعضه بعضاً . وقال في مكان آخر هر من السحاب الذي امتلأ ماء وقيل هو الذي يسوادّ ويصهابّ وتعرف فيهِ المطر . انتهى.

وارى ان لفظة الكَنَهْوَر تصلح ايضاً لهذا الضرب من الغيوم

وثمة ثلاثة اشكال اخرى من الغيوم اقل شأناً مما ذكر لم نذكرها . ومن البديهي ان في العربية الفاظاً عديدة تدل على السحائب في مختلف اشكالها واوضاعها يراها الانسان في المخصص وفي غيره . وليست الغاية من هذه المقالة تعدادها بل الغاية منها ذكر اصلح الالفاظ العربية لاسماء الغيوم العلمية وهو ما عرضتهُ على القراء في هذه الكلمة . ويمكننا اختصارها على الصورة الآتية :

Météorologie	جويّات
Météorologie agricole	جويات زراعية
Station météorologique	موقف الجويات
Météorologiste	جوياتي . أجوائي
Cirrus	طُخرور . طخاف
Cumulus	قَزَع . حَيْر . نقّاض
Nimbus	مُعْصِرة . دُجُنَّة
Stratus	رَهَل . سَديم
Cirro-stratus	سِمحاق
Cirro-Cumulus	نَمِر
Cumulo-nimbus	مُكفهِرّ . كَنهور

الذرة الافريقية والذرة الاميركية

اي الذرة البيضاء والذرة الصفراء

في مقتطف اكتوبر الماضي مقالة ممتعة في تاريخ الذرة ونشوء زراعتها وهي تلخيص بح للاستاذ ايست بجامعة هرفرد وهو يريد بالذرة الذرة الاميركية المعروفة في الشام بالذرة الصف وفي مصر بالذرة الشامية وهي دخيلة في الشرق منشأها اميركا الجنوبية كما يقول الاستاذ . الذرة المعروفة بهذا الاسم العربي فشرقية نشأت بأفريقية في عهد راسخ في القدم فاذا ذكرنا هذ النوعين من الذرة ارى ان نسمي الذرة المعروفة بهذا الاسم في كتب اللغة العربية بالذرة الافري او الذرة البلدية او الذرة البيضاء ونسمي الاميركية بالذرة الاميركية او الذرة الصفراء دفعاً للالتبا وسيأتي ذكر الاسماء العلمية والاسماء الانكليزية والعامية في آخر هذا البحث وانما نبدأ في ا بعض ما جاء عن الذرة في المؤلفات العربية ثم بعض ما جاء عنها في المؤلفات الاوربية

قال ابن سيده ١١ : ٦٣ « الذرة وهذا الحب يسمى الجاورس الهندي وقيل هي التي مثل رؤ الأُرَضة فاذا طالت قيل اخرفت الذرة ويقال لسَبَل الذرة المُطر ويقال للذرة المِحجَن وهو ح

ى من السُنبول والساق » انتهى . قلت الذرة هي ما يسمى عند العلماء Sorghum وسيأتي ذكره
قول ابن سيده انها تسمى الجاورس الهنـدي فهو عين ما يقوله الانكليز على ما جاء في معجم
تر في مادة Durra ومادة جاورس هندي Indian millet . وأما قوله هي مثل رؤوس الأرَضة
حب الذرة البيضاء مثل رؤوس الارضة المعروفة عند الافرنج بالنملة البيضاء لذلك يسمون الذرة
الشام بالذرة البيضاء تمييزاً لهـا عن الذرة الصفراء وهي الذرة الاميركية المعروفة في مصر بالذرة
مية وهذه اميركية الاصل كما تقدم ولم يعرفها العرب . أما قول العامة في مصر ذرة شامية فليس
اه انها شامية الاصل بل لانها نقلت اولاً الى الشام ثم الى مصر . واما تسمية ابن سيده لسبل الذرة
ر فيراد سبل الذرة البيضاء لا سبل الذرة الصفراء فسبل الذرة الصفراء لا اسم له بالعربية وعامة
مصر تسميه كوزاً وعامة أهل الشام تسميه عرنوساً وهي كلمة دخيلة او تحريف عرناس ذكرها
وي بمعنى ساق الذرة والذي اعلمه ان عرنوس الذرة الصفراء عند عامة أهل الشام هو سنبولها
و الكوز عند عامة اهل مصر . وقد ذكر العرنوس بهذا المعنى الأمير مصطفى الشهابي في كتابه
راعة العملية الحديثة اي ان عرنوس الذرة الصفراء هو الكوز في مصر ولا بأس باستعارة المطر
لكن المطر سنبول الذرة البيضاء . ثم ان قول ابن سيده انهُ يقال للذرة المحجن فلعله يراد بذلك
ة المعروفة عند العامة بالعويجة وهي صنف من الذرة البيضاء

وقال صاحب التاج «الذرة كَشُبَة حب معروف اصلها ذُرَوٌ او ذُرَىٌ بالياء والهاء عوض كما
الصحاح وفي التهذيب . يقال للواحـدة ذرة وللجماعة ذرة ويقال لهُ ارزن » . انتهى . قلت
احب التهـذيب فتوفى سنة ٣٧٠ للهجرة وصاحب الصحاح سنة ٣٩٠ اي بعده بقليل اي ان
ذكر للذرة بهذا الاسم في ما وقفت عليهِ هو في القرن الرابع للهجرة اي قبل اكتشاف اميركة
طويل فلا يمكن ان تكون الذرة التي عرفها العرب اميركية الاصل فهذه زرعها المصريون في
عريق في القدم كذلك العبرانيون فقد ورد ذكرها في سفر حزقيال باسم الدخن ويرى علماء
اة انهُ الدخن المعروف بهذا الاسم في ايامنا او نوع من الذرة البيضاء وكلاهما قديم في الشرق
ونقل لاين في معجمه بعض ما ورد عن الذرة في كتب اللغة العربية وقال انها نوع من الدخن
الجاورس وقال ان اسمها في ايامهِ Sorghum وعند العامة ذرة صيفي وذرة قيظي تمييزاً لها عن
الاميركية وقال هذه اسمها ذرة شامي وذرة كيزان ويريد بقوله العامة عامة اهل مصر لان لاين
معجمهُ في مصر . وقوله هذا صحيح فانهم يسمون الذرة تارة بالذرة الصيفي وتارة بالذرة الصيفية
رة الصفراء اي الاميركية فيسمونها ذرة شامي او ذرة شامية وليس معنى ذلك انها شامية الاصل
نقلت الى الشام اولاً ثم الى مصر لذلك يسمونها الذرة الشامية

الدكتور شوينفورث رحلة في قلب افريقية وصف فيها الذرة وصف عالم خبير وقال عن الذرة
انها قديمة هناك وذكر اسمها العلمي وذكر اسماءها العربية وسيأتي بعضها في آخر هذا البحث

اما كلمة Corn فيريد بها الانكليز الحب الذي يصنع منهُ الخبز او الذي هو قوام طعامهم واصل
تعبير له بالعربية حبّ او طعام او عيش وجميعه وارد في اللغة فاذا قالها الانكليزي في بلاد الانكل
فانهُ يريد بها الحنطة اي القمح واذا قالها في ارلندة او اسكتلندة فانهُ يريد بها الشوفان واذا قالها
السودان فانهُ يريد بها الذرة البيضاء واسمها في السودان عيش اما الذرة الصفراء فاسمها عيش الريف وا
قالها في اميركة فانهُ يريد بها الحنطة اما الذرة الصفراء فاسمها الانكليزي في اميركة الحب الهندي نس
الى هنود اميركة الحمر لانهُ طعامهم

ولنذكر في ما يلي الاسماء العلمية لبعض انواع الحب او الطعام وبعض اسمائها الانكليزية والعر

دُخن . جاورس . ذُرَة . ثُمام Millet

نبات من الفصيلة النجيلية يعرف منه اجناس وأنواع كثيرة منها الدخن المعروف بهذا الا
في البلاد العربية . والدخن هو الجاورس او ان الجاورس نوع منهُ لذلك قالت العرب ان الدخ
الجاورس الهندي كما تقدم وهم يسمون الذرة بالدخن في بعض انحاء اليمن

ثمام Panic grass. (Panicum)

جنس من الفصيلة النجيلية يعرف منهُ انواع كثيرة منها الدخن الآتي ذكره

دُخن Panic millet or common millet. (Panicum miliaceum)

حب صغير املس وهو المشهور في البلاد العربية فارسيته جاورس . اما ما جاء في محيط المحي
وغيره من ان الدخن خلاف الجاورس ففيه نظر لان الدخن انواع كثيرة منها الذرة ومنها الح
المعروف في الشام ومصر بالدخن وهو قديم جدًّا فيهما

دخن ايطالي Italian millet or Bengal grass. (Chaetochloa italica)

نوع من الدخن لعله الجاورس وهو من جنس آخر خلاف الجنس الذي تقدم ذكره وكلاهما
حبوب البلاد العربية في ايامنا

Sorghum. Syn. Durra. Indian millet. Guinea corn. Kaffir corn. Millo maize
gyptian rice. Jerusalem corn. Brown corn. Negro cane. Bushel maize. (Andropogon
ghum.)

ذرة نوع من الحب اسمه في العراق والشام وجزيرة العرب ومصر ذرة ولكن العامة تسميه
مصر ذرة بلدية لانها اصلية في مصر وفي الشام ذرة بيضاء فانهم سموها بذلك بعد دخول الذ
الاميركية اي الذرة الصفراء وهذا النوع من الذرة اي الذرة البلدية اصناف او ضروب منها صن
يعرف في مصر بالعويجاء

ذرة اميركية Maize or Indian corn. (Zea mays)

اسمها في الشام ذرة صفراء وفي العراق ذرة مصرية وفي اليمن ذرة رومية وفي مصر ذرة شامية
السودان عيش الريف اي مصر وجميعه يدل على انها دخيلة في البلاد العربية فكانت كل بلاد عربية الذ
تسميها باسم البلاد التي يظن انها جاءت منها لأن الذرة قديمة عند العرب واسمها بالعربية ذرة كما تا

القنص في الصحاري

مقبرة (انتفوكر) بالاقصر . من عهد الاسرة الحادية عشرة عن كتاب انتفوكر لجمعية العاديات المصرية

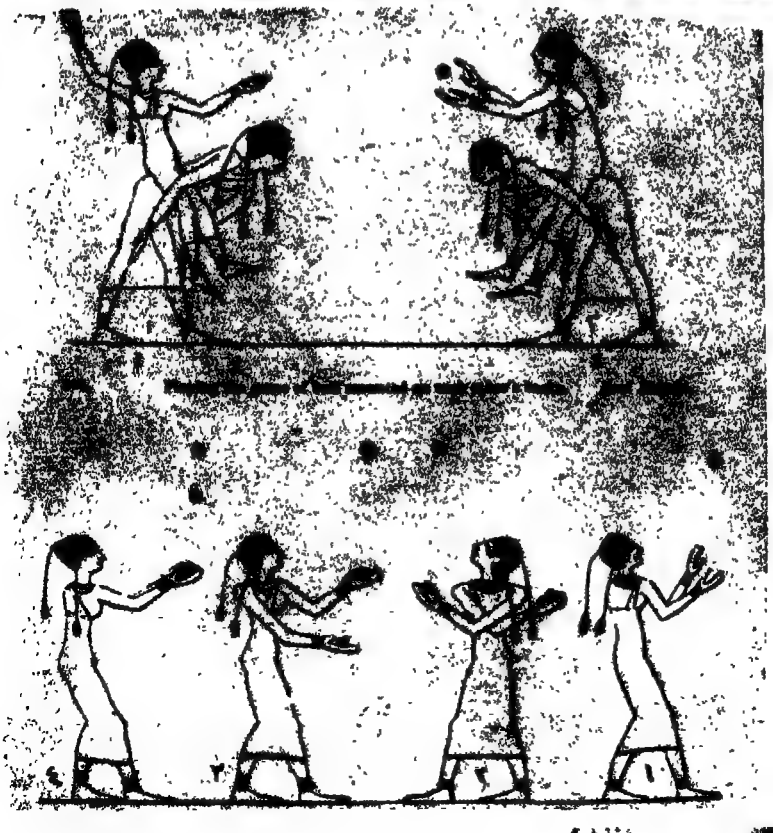

لعبة الكرة بأنواعها

ي خمسة ورد حها في المقال

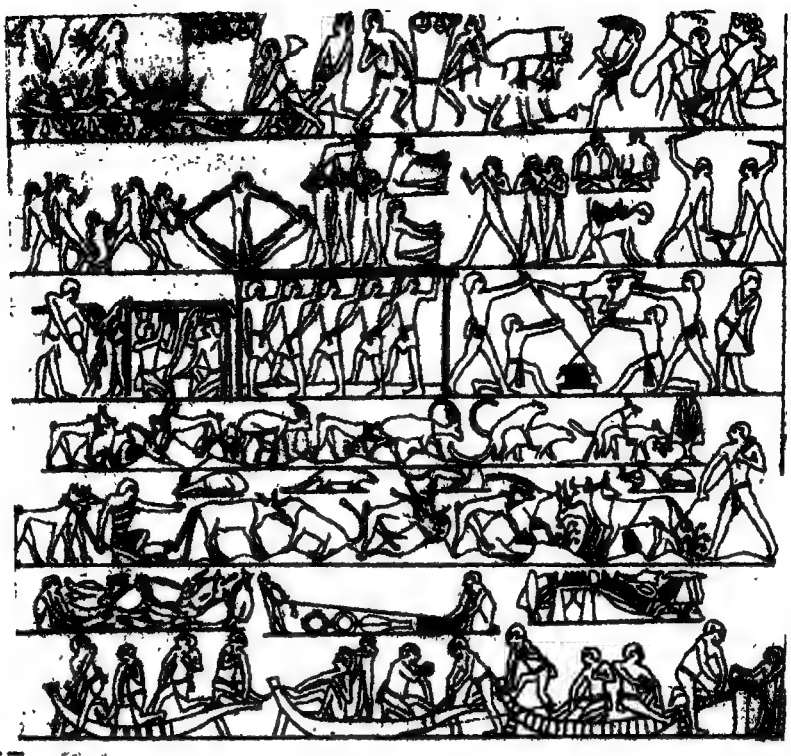

صورة لحائط
في مقبرة
بتاح حوتب
بسقارة حوا
٣٠٠٠ ق . م
يمثل العاباً ور
شرحها في المقا

كفاح الثيو
عن ولكن

كفاح الثيران . عن ولكنسون

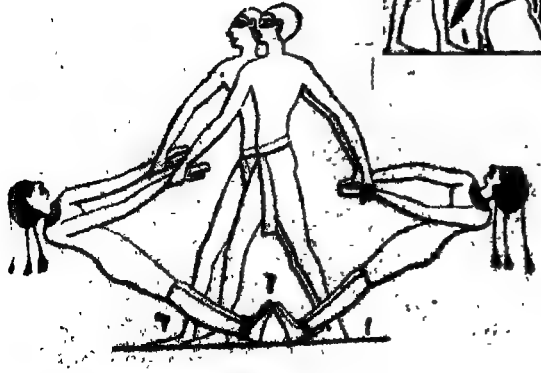

لعبة الالتفاف . من عهد الاسرة
الثانية عشرة . مقابر بني حسن .
عن ولكنسون

الرياضة البدنية

عند قدماء المصريين

للدكتور حسن كمال

أخذ شأن الرياضة البدنية يسمو ويعظم في مختلف بلدان العالم حتى صار لها مكانة كبيرة في جميع نفوس . والمعروف ان هـذه الرياضة ظهرت وترعرعت في احضان قدماء المصريين الذين سلموها بديعة الى أهالي اليونان . وهناك ظهرت فائدتها وبدأ خطرها ببلدة اولمبيا . ثم انتقلت الى الرومان حوالي عام ١٨٦ ق.م . ثم عمّت اوربا واميركا وسائر انحاء العالم بعد ان نسي القوم منشأها وأصحابها الحقيقيين . شأنها في ذلك شأن كل عمل جليل اهمله أهله وذووه فيأتي الغير وينسبه الى نفسه إدّعاءً وبهتاناً . ولا عبرة الآن بالقول والمجادلة بل بالرجوع الى المراجع الأثرية التي لا تزال حافظة لنا اسماء أجدادنا وتعاليمهم . تلك الاعمال التي نحمد المولى جلّ وعلا على انها نقشت على الصخور فلم يتمكن الدهر من طمسها ولا الغير من سرقتها . بل بقيت ولا تزال قائمة برهاناً ساطعاً على ما قدّمه القدماء لنا من العلوم للحديث من درر ولآلىء

الوجهة الصحية

ان الباحث في هذا الموضوع يتحتم عليه فحصه من الوجهتين الطبية والتاريخية معاً . لأن الرياضة البدنية لها مكانتها الصحية خصوصاً عند ذوي المهن الثقيلة او العديمة الحركة . لكن هـذا لا ينفي ان الرياضة في الصغر وسن الشباب لا تقل فائدة عنها عند البالغين . فالتجارب الحـديثة تثبت ان الرياضة البدنية اذا بدىء بها في سن التلمذة وثابر عليها الشخص بعد ذلك في الحدود الطبيعية فانها تساعد جسمه على النموّ وتقوي مناعته ضد الامراض . فيجد اللذة في الكدّ والعمل المستديم في قدح الذهن وبذل المجهود

الرياضة البدنية تحدث انقباض العضلات وانبساطها . وهـذه الحركة تستهلك بعض الانسجة فيجب ايجاد أنسجة جديدة بدلاً منها . وكلما استعمل العضل ضخم حجمه . وبديهي ان العضلة اذا انقبضت ضغطت على الشرايين والاوردة الدموية والليمفاوية . واذا انبسطت سببت ارتخاءها . فيزداد بذلك سرعة الدورتين الدموية والليمفاوية . او بعبارة اخرى تزداد سرعة حمل الغازات والمحللة الناجمة من المجهود الى الرئتين والقلب والكليتين فتنبّهها للقيام بنصيب اكبر للعمل كي يطهر الجسم منها . وبذلك تحدث الرياضة البدنية اصلاحاً عامًّا

ثم اننا اذا نظرنا الى تأثير الرياضة البدنية في الحجاب الحاجز وعضلات البطن نجدها تقيـ
الكبد والمعدة والامعاء وذلك بالتدليك وبالضغط فيسهل افراز الصفراء من الكبد والكيـ
الصفراوي. وبنعدم تلبك المعدة والامعاء فلا يصاب الشخص بعسر الهضم ولا الامساك المزمن مثلا

وقدّر بعضهم ان الانسان الذي يزن حوالي ١٥٤ رطلاً يقوم بمجهود يعادل رفع ما وزنه طـ
الى قمة جبل متوسط الارتفاع . وأقل من عشر هـذا المجهود تصرفه الاحشاء الداخلية كالقلـ
وعضلات التنفس والمعدة والامعاء للقيام بوظائفها الطبيعية . وعشر آخر يصرفه الجسم في القيـ
بأعماله المعاشية . والثمانية الاعشار الباقية تصرف في حفظ حرارة الجسم عند الحد الطبيعي . هـ
باختصار نسبة تصريف المجهود في العامل . أما الكتّاب وارباب الحرف الفنية والسراة فلا يقومـ
بمجهود يماثل مجهود العامل . وعليه فيجب ان يعمدوا الى الرياضة البدنية بشكل من الاشكال حـ
يمكنوا اجسامهم من القيام بمجهود يعادل مجهود العامل الاعتيادي

والاحجام عن القيام بالرياضة البدنية يحدث تأثيراً سيئاً في الجسم . ففي الاطفال والشبان تمتـ
العضلات والعظام عن نموّها الطبيعي . نعم انهم قد يبلغون احياناً الطول الاعتيادي لكنـ
يكونون عادة نحافاً ضعافاً . ثم ان عضلات الظهر تتعب بسرعة فيتقوّس العمود الفقري . ولـ
كانت الاعمال المعاشية تجعل أحـد جانبي الجسم يتعب قبل الآخر فان أحد الكتفين ينحطـ
مستواه عن الآخر محدثاً تقوّساً بالعمود الفقري الى أحد الجانبين . وعدم تمدد الصدر ينجم عـ
عدم النشاط في التنفس . وهذه الحالة تهيىء صاحبها للاصابة بالدرن الرئوي . وعدم استعمال عضلا
خاصة بالجسم كما يشاهد مثلاً في الشلل يحدث تحللاً دهنيًّا في العضلات وتيبساً بالمفاصل المتصلة
واذا تقدم الانسان في السن وحبا الى الشيخوخة وكان ممتنعاً عن الرياضة البدنية اعتراه الضعف وقـ
الدم وعسر الهضم والامساك . والاشخاص الذين لا يروّضون أجسامهم يصابون في متوسط أعمار
بالبدانة وانحلال عضلة القلب وجدران الاوعية الدموية ورخاوة العضلات

الوجهة التاريخية

والآن وقد ألمعنا الى مكانة الرياضة البدنية من الوجهة الطبية يجدر بنا ان نبحث في تاريخ
القديم ابتداءً من العهد اليوناني لمكانة هـذا العهد من وجهة خاصة لان الغربيين ينظرون الـ
كمبدأ عهد الالعاب الرياضية لذلك تجدهم ينسبون الى اليونان فخر ابتكار الرياضة البدنية وتشجيعـ
وسنرى ان جميع هـذه الآراء خطأ . لان الدعاية الكبيرة التي قام بها اهالي اوليمپيا باليونان طـ
فضل المصريين الذين كانوا قد انحطوا وقتئذٍ ودخلوا في دور الخمول والاستعباد

وعبارة الرياضة البدنية « يقابلها بالانكليزية » Athletic Sports وهي مشتقة من كلمة hlete
التي تعني الشخص الذي يتبارى في الالعاب الرياضية قصد الحصول على جائزة الشرف . وقد اطلقـ

على كل شخص يشترك في مباراة موسيقية او رياضية او خلافها ثم حصرت بعد ذلك في هواة
نة البدنية فقط . واقتصرت الرياضة البدنية اولاً في بلاد اليونان على أهالى الطبقة الراقية
راكز السامية الذين كانوا يتبارون لا لقصد الحصول على جوائز مادية . لكنها بعد ذلك عممت ثم
صرت في الطبقة الوضيعة

وكان الفلاسفة والاطباء الاقدمون من يونانيين ورومانيين يمقتون هذه الالعاب ويعتبرونها ضارّة
من والجسم كما يستدل على ذلك من كتابة Euripdes لمقالاته في Autolycus . وعني اليونانيون
بئذٍ عناية عظيمة بغذاء الرياضيين حتى كانوا يقصرونهُ على الجبن والتين المجفف وخبز القمح .
لخص العاب القوم حينذاك في التمرينات الرياضية المعتادة ورفع الاثقال وثني الاقواس الحديدية
عدو والقفز والمصارعة والملاكمة . وكان القوم يقومون بذلك وهم عراة ويدهنون اجسامهم بالزيت .
ليقي (جزء ٣٩ — ٢٢) ان الالعاب الرياضيه اليونانية أدخلت الى روما بواسطة فولفياس
بير Fulvius Nobilier وذلك عام ١٨٦ ق . م . وكانت هذه المهن تعتبر ارقى من مهنة التمثيل
نها كانت معتبرة مشينة لمقام الروماني والالعاب الرياضية اليونانية والرومانية كانت ممزوجة بروح
ية في اوائل امرها . ويرى الاثريون ان هذه الالعاب كان لها نصيب وافر في تحسين الاجسام
أذهان ببلاد اليونان كما يستدل على ذلك من كتاباتهم وعاداتهم . واستمرت الالعاب الاولمبية
ية في اليونان الى اوائل تاريخهم القديم . واولمبيا هو اسم لبقعة في سهل بالبونان يقال له إليس
. والالعاب الرياضية فيها ابتدأت عام ٧٧٦ ق . م .

عند قدماء المصريين

نعود الآن الى قدماء المصريين فنقول ان عناية اليونان والرومان بالالعاب الرياضية لم تظهر فجأة
كانت نتيجة تلقينهم بواسطة المصريين الذين كانوا شديدي العناية بها منذ اقدم العصور قصد
ظة على صحتهم وتحسين اجسامهم . فالباحث في آثار عهد الاهرام واواسط التاريخ المصري
اخره يجد ان المصريين اتقنوا منذ اقدم العصور المصارعة والمبارزة بالعصي والحركات الجسمانية
نية والعاب الكرة وانواع الصيد والقنص ومبارزة الثيران وغير ذلك . وانهم كانوا يجدون في ذلك
وسروراً حتى نقشوها على جدران مقابرهم محافظة عليها للدار الآخرة كما نقشوا الدعوات والصلوات
ية بالقرب منها جنباً الى جنب . والباحث في هذا الموضوع من الوجهة المصرية يجد فيهِ سروراً
اً لانهُ يدلهُ بطريق غير مباشر على كثير من احوال البلاد المعاشية في تلك العصور المتغلغلة في
م ويظهر له الغامض من جغرافية الاراضي وقتئذٍ وعادات اهلها وما بلغت معارفهم وفنونهم
ا بالصيد والالعاب الرياضية

ولما كانت مصر تروى بالحياض وكانت ايضاً تحوي الكثير من البرك والمستنقعات الكثيرة الطيور

والاسماك على اختلاف انواعها كما كانت الصحارى تفيض بالحيوانات المفترسة المختلفة فاننا نجد ان المصريين كثيراً ما كانوا يهتمون بالصيد والقنص في الفيافي والمستنقعات ويصطحبون معهم أسرهم كي يشتركوا في ذلك السرور وتلك المغامرات . وسنبدأ بحثنا في الصيد والقنص ثم الالعاب الرياضية التي كانوا يقومون بها داخل منازلهم ثم خارجها

الصيد في البرك

وان تعجب بشيء فاعجب بطباع الانسان الذي كلما زادت حضارته وارتقت مدنيته وكلما زاد رفاهية حياته ونعيم مسكنه، زاد حنينهُ الى الطرق المعاشية التي تربى فيها اجداده بالرغم مما تتطلبه من ضنىً وتقتضيه من نصب . وفي كثير من الاحوال يعمد الانسان وقت سروره وفرحه الى التسلي بألعاب تلك الازمنة القديمة وملاهيها . وليس بين بلدان العالم ما يظهر قيمة هذا الرأي بجلاء اكثر من القطر المصري . فمن اقدم العصور التاريخية نجد السيد المصري مرسوماً على الآثار يصطاد السمك بالحربة ذات الرمحين والطيور بالعصاة الملتوية . هذا بالرغم من ان صيادي تلك العصور كانوا يستعملون في مهنتهم شباك الاسماك ومصائد الطيور . ومعلوماتنا عن مصر القديمة تبدأ من عصر قد وصلت فيه الى درجة كبيرة من المدنية والحضارة . فالغابات الكثيفة المملوءة بالمستنقعات التي اكتظَّت بها الوادي قبل ذلك صارت في تلك العصور أثراً بعد عين . واصبحت ترى الحقول الزراعية المنظمة . لكن في كثير من الجهات تتخلف البرك والمستنقعات بعد زوال الفيضان النيلي وهناك ينمو شجر البردي بغزارة ويكثر حصان البحر والتمساح والطيور المائية العديدة . وهذه البقاع كانت دائماً مجال حبور وانبساط لأن جمالها الطبيعي جذب قلوب المصريين فصاروا يذهبون اليها كثيراً للصيد والقنص ولم يقتصر الامر على ذلك بل وضع الشعراء والكتَّاب في جمالها ورونقها القصائد الرنانة والنثر الفياض

ففي المستنقعات وبين سيقان البردي الجميلة كان السيد المصري يتروّض في قارب صغير قاصداً أزهار اللوطس صاعقاً الطيور العديدة بالعصاة الصغيرة الملتوية وقاتلاً بالرمح الطويل حصان البحر او سمك النيل . هكذا كان يحلم السيد المصري في تمضية اوقات سروره

ففي مقبرة رقم ٣ ببني حسن التي يرجع تاريخها الى الاسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ — ١٧٩٠ ق.م) من حكم الملك اسرتسن الثاني تشاهد رسوم واضحة واشكالها الآدمية لا تزال محافظة على نسبها — وكذلك صور الطيور والحيوانات . ولا يجد الباحث تعباً في معرفة انواع السمك والحيوانات الواردة بالصورة لدقة الرسام ومهارة الحفار . ويشاهد تحت الافريز بيان باسماء والقاب صاحب المقبرة (خنوم حوتب) رئيس اقليم الوعل ورئيس الامراء . وهذا مكتوب في الجهة اليسرى للصورة . وفي اسفل ذلك يشاهد الامير المذكور يصطاد الطير وهو في قارب صغير مصحوب

وجته وابنه وسيدة اخرى من عائلته وتابع له . ويشاهد (خنوم حوتب) هذا قابضاً بيده اليمنى العصاة الملتوية وبيده اليسرى على ثلاثة طيور . وفي المياه اسفل القارب تشاهد عدة اسماك حصان بحر وتمساح . وتحت ذلك تشاهد جماعة من الصيادين يصطادون السمك وحصان بحر بالشباك ت ملاحظة رئيس الصيادين (منتوحوتب)

اما القسم الايمن للصورة فيحوي نقوشاً اسفل الافريز هذا تعريبها « الامير الجليل الكثير سماك الغني في الطيور المحب لمعودة الصيد » . وتحت ذلك يشاهد منظر يمثل (خنوم حوتب) صطاد سمكاً وهو في قارب صغير مصحوباً بابنه البكر وخادم وقابضاً بيديه على حربة ذات رمحين صطاد بهما سمكتين معاً . واسفل ذلك تشاهد اسماك وحصان البحر وتمساح . اسفل ذلك تشاهد جماعة من الناس في قوارب على سطح المياه . واليك ترجمة النقوش فوق (خنوم حوتب) « التنزه في مستنقعات البردي وبرك الطيور البرية والبحيرات والانهر بواسطة (خنوم حوتب)كبير المتنزهين في القوارب بمستنقعات البردي وبرك الطيور البرية يصطاد الطيور والاسماك . وهو يجلس مختبئاً يطبق الشبكة الطابقة ويصطاد بالحربة ذات الرمحين ثلاثين سمكة . ما احلى يوم صيد فرس البحر بواسطة (خنو حوتب) » . والرجل الصغير امامه هو الخادم (خنوم حوتب) سميه . والذي خلفه هو ابنه الكبير (نخت) كما يستدل عليه من النقوش اعلا كليهما

هذه الصورة تظهر للقارىء الصيد والقنص في المستنقعات والانهر وهي من ألذ انواع الرياضة التي كان يهتم بها القوم وقتئذٍ . والذي شاهد الفلم السينمائي المعروف باسم (اسكيمو) يكون قد حظى برؤية طريقة استعمال الرماح في صيد الاسماك باحلى مظاهرها وايضاً صيد الطيور بالرماح على النمط المتبع عند الاسكيمو سكان منطقة القطب الشمالي والتي تقرب جداً من الطريقة المرسومة بالصورة سالفة الذكر

أما الصيد في الصحارى فيرى بوضوح في الصورة المأخوذة من مقبرة (انتفوكر) بالاقصر (أسرة ١١) وهي مكونة من خمسة صفوف وتمثل الحيوانات الوحشية محاطه بالشباك والسهام الموجهة اليها من الخارج بواسطة صيادين وبعض الحيوانات الجبالى يضعن صغارهن من شدة الوله . ويمكن الباحث معرفة انواع هذه الحيوانات كالظباء والوعول والتيتل والثيران الوحشية . ويشاهد استعمال الكلاب السلوقية في هذا الصيد (شكل ١)

الالعاب المنزلية

اما الالعاب المنزلية فعلى عدة انواع أهمها لعب الكرة . وهذه تلعب ايضاً خارج المنازل ويشترك فيها الأطفال والنسوة والرجال ، لكنها ترسم عادة خاصة بالنساء وتلعب الكرة على عدة طرق كما يشاهد في الرسم المأخوذ من مقابر بني حسن (اسرة ١٢) ، الطريقة الاولى وهي اعليا تتلخص في سيدتين راكبتين فوق ظهري سيدتين أخريين تتبادلان ثلاث كرات بسرعة

بالتوالي . والتي تخفق في التقاط احدى هاته الكرات تركع لتعطيها الاخرى وهكذا ، وهناك طريقة ثانية وهي الممثلة في اول رسم على اليمين من أسفل وفيهِ سيدة تقذف بكرة الى أعلا على عدة دفعات مع الاتيان ببعض الحركات الى الامام او الخلف . والطريقة الثالثة وهي الممثلة في الطريقة الثانية ، اليمين في أسفل الصورة وتتاخصر في تقاطع الذراعين وتبادل قذف ثلاثة كرات بالتناوب بسرعة وهـذا الوضع صعب المراس للغاية . الطريقة الرابعة وتتلخص في قذف ثلاث كرات بالتناوب والذراعان ممدودتان الى الامام . ويشاهد هذا في رسم السيدة الثالثة السفلى من اليمين . ويشترط في هذه الطريقة ان يكون في كل يد كرة والكرة الثالثة في الهواء . الطريقة الخامسة وهي المرسومة في الرسم الأول من اليسار في الصف الثاني وتتلخص في قذف ثلاث كرات بالتناوب الى أعلا والذراعان ممدودان الى الامام واليدان متقابلتان بشرط ان يكون كرتان في الهواء وكرة في اليد وهذه حركة ليست بالهينة . والطريقة الاولى أخذها اليونان ولعبوها ضمن ألعابهم واطلقوا على السيدة الراكعة « الحمارة الخاضعة لاوامر الفائز » واخذ اليونان ايضاً عن المصريين لعبة قذف الكرة الى أعلى مسافة ممكنة والتقاطها في حركة قفز قبل ان تلمس الرجلان الارض وقد ذكرها (هوميروس وقال انها لُعبت في اليونان بواسطة هاليوس Halus ولاوداموس Laodamus

ويلاحظ ان السيدة التي تجلس على ظهر الاخرى في الطريقة الاولى تكون رجلاها مرسلتين الى جانب واحد . وان الرداء وقتئذٍ يتكوَّن من قميص بدون كمّ . ولا يبعد ان يكنّ قد خلعن جلبابهنّ الخارجي حصيصاً للقيام بهذه اللعبة

والكرة وقتئذٍ كانت تصنع من الجلد المخيط رأسيًّا قطباً الى قطب كالكرات الحديثة وكان حشوها الدقيق او التبن . ويقرب قطر الواحدة منها من عشرة سنتمترات . وهناك كرات اصغر حجماً من هذه اجزاؤها متباينة الالوان كما هي الحال عندنا في بعض الاحيان

***

﴿ لعبة الكوبات ﴾ : تتلخص في وضع كرة تحت كوبة من اربعة كوبات . ويراهن احد اللاعبين زميله على اية كوبة تحتوي الكرة . كما يشاهد ذلك في الرسم الذي اورده (روزلليني)

﴿ لعبة « الجديد » ﴾ هي لعبة قديمة تتلخص في تحبيكة حصاة او ما شابهها في احدى اليدين وتخمين احد اللاعبين على اليد الحاوية للحصاة . اما لعبة « الضامة » فكانت معروفة ومنتشرة لكن طريقة لعبها وقتئذٍ لم يتأكد منها بالضبط

ومن الالعاب التي كان القوم يقومون بها داخل منازلهم وخارجها هي ان يجلس شخصان على الارض ملتصقي الظهرين وان يمد كل منهما احدى ذراعيه الى الامام ويؤخر الآخر للخلف . ثم يبدأ في القيام من الارض بدون لمسها باحدى اليدين والفائز في هذا التمرين هو طبعاً الاول في اتمام هذه الحركة . وتعمل الحركة ايضاً معاكسة بأن يقف الرجلان ملتصقي الظهرين حافظين ذراعيهما

الوضع نفسهِ ثم يجتهدان فيمن يسبق زميله في الجلوس على الارض . وقد وردت هذه اللعبة وشة على مقابر بني حسن (اسرة ١٢)

ومن اجمل العابهم التي يشترك فيها الجنسان وتجتمع فيها الرشاقة والنظام والسرور هي لعبة الالتفاف لخص في ان يقف شابان احدهما الى جنب الآخر ويمدان احدى الذراعين الى الامام والاخرى الوراء . بعد ذلك تأتي فادتان رشيقتا القوام قصيرتا الملبس فتضعان ايديهما في ايدي الشابين تقيا بجسميهما الى الوراء بشكل رشيق مستقيم بشرط تقابل ارجلهما بعضها ببعض . وبالطريقة الاخيرة مان انفسهما من الانزلاق . فاذا ما تم هذا التوازن بدئت حركة الالتفاف الدائري اولاً تدريجاً تزداد بسرعة حتى تبلغ لمح البصر . وغني عن البيان ان هذه الحركة تتطلب مهارة من الجنسين كنها في الرجلين اكثر منها في السيدتين . فالرجلان يحافظان على التوازن بأيديهما ويراقبان حركة الالتفاف فيبدلان ارجلهما بتناوب لا يتعارض مع سيقان السيدتين . وضفائر الشعر في هذه اللعبة طي اثناء الوقوف شكلاً بديعاً اذ كلما زاد الالتفاف سرعة ازداد تطاير الشعر عن الرأسين . ساس هذه اللعبة الاستمرار في بقعة واحدة مستديرة مركزها نقطة تقابل رجلي السيدتين

وهنـاك العـاب اخرى منزلية مثل لعبة الصامة وهي قديمة العهد جداً لا يبعد ان تكون يقة لعبها قريبة من طريقتنا الحديثة . ولعبة اخرى تتلخص في ركوع شخص وقعود آخرين رب منه قابضين بأيديهما على عدد من ظهر الطاولة . وعلى الراكع تخمين العدد الموجود في يد صوصة . ويتحتم عليه المكوث في تلك الهيئة الى ان يصيب الحقيقة مرة ما . وهناك لعبة اخرى لخص في استخلاص طوق بواسطة عصاة ملتوية يحملها شخصان

الالعاب الخلوية

ولنترك الآن الالعاب المنزلية ونبحث في الالعاب الخلوية التي كان القوم يقومون بها في العراء تون فيها بكل نوع وحركة . وليست هذه الالعاب وليدة عصر مخصوص اهتدينا اليهِ بل يب انها وجدت منقوشة على مقابر عهد الاهرام اي من عهد المملكة القديمة وذلك حوالي ثة آلاف سنة قبل الميلاد او ما يسبق الالعاب الاولمبية بالفي سنة وخمسمائة سنـة تقريباً . أورد للقراء هنا صورة للحائط من مقبرة الفيلسوف العظيم (بتاح حوتب) بسقارة تلك المقبرة ت الرسوم البارزة البديعة والنسق الجميل والتي جمعت من مناظر حياة القطر المصري الزراعية نزلية ما يأخذ الالباب ويبهر العقول . هذه المقبرة هي ككل مقابر سقارة يرجع تاريخها الى عهد هرام وهو العهد الذي بدأت فيهِ المباني الحجرية تأخذ شكلها الضخم ومتانتها العديمة المثال . ففي ف الاول او الاعلى من الصورة ترى مناظر جمع البردي من المستنقعات وعبر البهائم للمستنقعات ث توجد التماسيح في انتظار فرائسها . اما الصف الثاني فتشاهد فيهِ عدة العاب يقوم بها الشبان

يظهر انها كانت تقام في موسم العنب وصنع الخمور . واول هذه الالعاب هو القاء العصي او السهام المدببة الى الارض احتفالاً بالمعبود (شسمو) معبود الكروم على الارجح ثم شابان جالسان على الارض مربعي الساقين وقابضين بيديهما على اقدامهما واسفلهما شاب يحمل فوق ظهره طفلين يمسك كل منهما قدمي الآخر فيشبهان قفصين لحمل المحاصيل . وبديهي ان هذا الشاب يقوم بدور دابة كالحمار . بعد ذلك يشاهد شابان واقفان معاً كلٌّ منهما يطوّق عنق الآخر باحدى ذراعيه ويقبض ذراع الآخر بيديه . يظهر من امرهما انهما يقومان بحركة دوران متعاكس يتبادل فيها كل منهما عنق زميله ثم يده . بعد ذلك يشاهد شاب يحمل معطف على كتفيه يتقدم بخطوات واسعة نحو شابين جالسين على الارض مادين ارجلهما الى الامام وواضعين كعب قدم فوق اطراف اصابع القدم الاخرى . وتشاهد فوق ذلك اليدان في حالة البسط موضوعتين فوق القدمين . ولا يبعد ان تكون هذه الالعوبة هي المتداولة الآن بين اطفال الفلاحين وهي القفز على ارتفاعات مختلفة تبدأ اولاً بارتفاع يعادل قدماً واحدة ثم قدمين ثم قدمين ويد ثم قدمين ويدين . وان الشخص الذي يعدو أمامهما هو الذي يقوم بحركة القفز على الارتفاعات المذكورة بالتوالي . بعد ذلك يشاهد شاب يعدو على الاربع فوق اكتاف ثلاثة شبان يظهر من أمره انهُ يستمر في هذا العدو كلما تخلص الشاب الثالث واخذ محله امام الشاب الاول وبعد ذلك تشاهد حركة الالتفاف الدائري بشكل غير السابق شرحه مع ملاحظة ان هذه النقوش يرجع تاريخها الى القرن الثلاثين ق . م . والصورة السابق عرضها يرجع تاريخها الى حوالي القرن العشرين ق . م . وتتلخص هذه اللعبة في عمل دائرة من ستة شبان منحنين اقدامهم بعضها في بعض وملقين بأنفسهم الى الوراء قليلاً قائمين بعملية الالتفاف . وفي هذه الحالة يكون الستة أشخاص مشتركين في حركة الالتفاف غير الحركة السابق شرحها تحت رقم ٧ حيث يقوم بالالتفاف سيدتان دون الشابان . وفوق هذه الرسوم نقوش تعريبها « لف اربع مرات » واخيراً بعد ذلك يشاهد شاب راكعاً فوق الارض يجتهد في القبض على قدم لأحد زملائه الاربعة الذين يشغلونه بوكزه دفعة واحدة في كل الجهات من جسمه . أعلا ذلك نصوص هذا تعريبها : اتركني الكزك . انني اتألم من جانبي . أنا أحسست بك ! »

وفي الصف الثالث يشاهد رجلان يقومان بعملية ري شجرة عنب . وآخران يقتطفان الثمار ويطؤونه بأرجلهم لعصره

وفي الصف الرابع يوضح الصيد والقنص في الصحارى . فالمنظر الاول هو لكلب سلوقي يهجم على كلبين وحشيين . ثم كلب يهجم على وعل . ثم غزالة ترضع صغيرها . ثم سلوقي يقبض على تيتل ثم نمران ثم ابن آوى . وفي القسم السفلي يشاهد رجل قابضاً بحبل على كلبين من النوع السلوقي ويشير بيديه الى اسد يفترس ثوراً وحشيًّا من انفه . ثم كلب يفترس غزالا وآخر يشد وعلاً بعد ذلك يشاهد نوع من التيتل وثوران وحشيان اقتنص احدهما رجل بطريقة الحبل والانشوطة

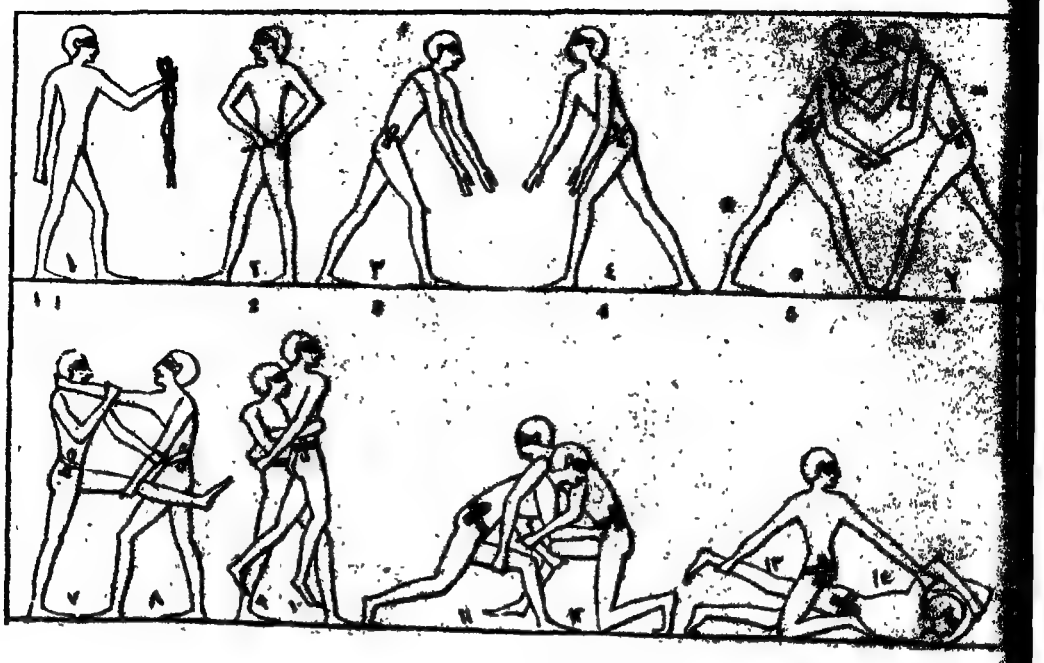

المصارعة
عن ولكنسون . راجع شرحها في مقال
الرياضة البدنية عند قدماء المصريين

مسكة من مسكات المصارعة عند
قدماء المصريين من رسوم مقبرة باكت
بني حسن . عن الاسرة الحادية عشرة

الرقص البهلواني
ست حركات عن ولكنسون
في عهد الاسرة الثانية عشرة

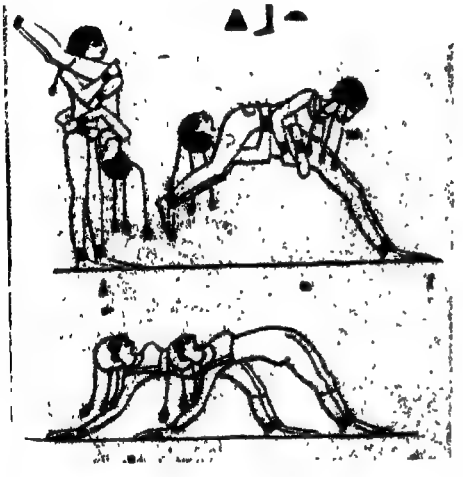

لعبة بهلوانية

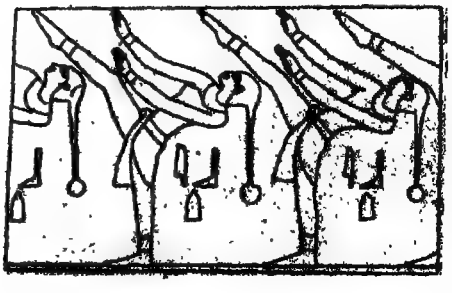

رقص يشبه رقص « الباليه »
Ballet عن ارمان ورانكه

اة عند الافرنج Lasso . ويشاهد الحبل مطوقاً للقرنين والجسد . وعلى بعد من هذا المنظر
د غزال جالساً مختفياً . ثم نمس يصطاد . ثم يربوع لاجئاً الى اكمة . ثم قنفذ قابضاً بفمه على صرصار
ويشاهد في الصف الخامس مناظر المعيشة على ضفاف النيل . فالمنظر الاول من اليسار . يمثل
الاسماك وتجفيفها في الشمس . ويعمل ذلك باستخراج الاحشاء الداخلية ثم القاء السمك على
ض للتجفيف . ثم منظر لرجل وشاب يقومان بلف الحبال اللازمة لصناعة السفن . ثم مناظر
ة السفن . ويشاهد في الصف السادس صيد الطيور بالشباك الطابقة

الالعاب البهلوانية

اول هذه الالعاب هي الواردة ببني حسن (اسرة ١٢) وتتلخص في ان يحني احد اللاعبين ظهره
ثم يأتي ثاني ويقوم بحركة القفز والانقلاب على ظهر زميله وهذه الحركة موضحة الرسم بمقابر
حسن وهي عبارة عن رفع الذراعين الى اعلا والتهيؤ للانقلاب ثم حني الظهر الى الخلف بعد وضع
ن على الارض ثم الانقلاب ثم وضع اليدين على زميل وسط الانقلاب والوقوف على ظهر الزميل
فز الى الارض ورفع الذراع الايسر والقبض على القدم الايمن علامة النجاح وبالقرب من هذا
يشاهد شخص قابض على الجائزة وهي قلادة

وهناك لعبة بهلوانية تقوم بها سيدتان تنحني احداهما الى الخلف وتقبض على جسم زميلتها
بحيث تكون رأس الزميلة مقابلة لرجلي الأخرى . ثم تبدأ حركة الدوران فتطأ
ة الارض بقدميها جاذبة جسم الاخرى معها فينجم عن ذلك ان يكون رأس السيدة المحمولة
سفل وقدماها الى اعلى . ثم تتكرر الحركة تباعاً وبسرعة . واقل ما يقال في هذه الالعوبة انها
ة وتحتاج الى كثير مران وقوة عضلات

كان ثمة لعبة بهلوانية ثالثة يشترك فيها اكثر من سيدة لكنها في الحقيقة قاصرة على واحدة
تتلخص في انحناء الجسم الى الوراء بشكل نصف دائرة بشرط ان يكون مرتكزاً على الارض
ويديه على ما هو واضح بالصورة

ركات الرقص البهلواني الرشيق الذي كانت تقوم به السيدات احياناً وهو عبارة عن مزيج
ز والخيلاء . والصورة المرفقة المأخوذة من بني حسن (اسرة ١٢) تمثل ست حركات
وع . «الحركة الاولى» تتلخص في القفز الى اعلى مع ثني الساقين على الفخذين والفخذين على
وتحريك الذراعين الى الامام بشكل جذاب ثم «الحركة الثانية» وهي عبارة عن الرجوع الى هيئة
على الارض في دلال واضح . ويلاحظ ان قامة السيدة في كل حركة حافظة على الاستقامة
ثم «الحركة الثالثة» وهي حالة الوقوف مع الرقص بالاذرع و«الحركة الرابعة» عبارة عن ثني الساق
الفخذ والوقوف على الرجل اليسرى مع تحريك الذراعين الى الامام بشكل تعريجي او

تقوُّسي . و«الحركة الخامسة» وتختلف عن سابقتها بارسال الذراعين الى الخلف بشكل فتان بدي
«الحركة السادسة» وهي الختامية وفيها يتجلى الجمال والرقة والخفة فتقف السيدة على القدم اليس
وتنعطف بجسمها قليلاً الى الوراء ثانيةً ساقها اليمنى على فخذها وباسطة ذراعيها الى الامام بكل
تظهر بها جمال كل جزء من جسمها الفتان ولعمري ماذا كان ينتجه قلم ذلك الرسام في مثل هذا
الموقف اذا كان رسمه على الورق بدلاً من نقشه على الحجر . لكنه رغم ذلك قد تمكن من اشباع
رغبته حفراً في جلمود الصخر وأتى لنا بالعجاب فأورد لنا صوراً آية في الجمال والكمال . انظر ايها
القارىء الى اللبس التي تلبسه السيدات في هذا المقام فقد روعي فيه اظهار كل محاسن الجسم من
الطاقة مما يتناسب مع ظروف الحظ والسرور ساعتئذٍ . فالرداء في كل المواقف ما عدا في الحركة
الثالثة لا يصل الى الركبتين بل اعلى منهما بقليل مظهراً جمال الساقين والقدمين العاريتين وهما
ملتصق ما امكن بالفخذين والبطن واسفل الصدر ومعلق بشريطين رفيعين بالكتفين . والثديان
عاريان والذراعان عاريان املسان والمصاغ قاصر على قلادة بالجيد وخلخال في كل ساق مجيد . اليس
ارزقنا بمختار ثانٍ يظهر لنا بدائع اجدادنا ومفاخر آبائنا مما يطمس بلا شك فخر الغربيين في الرقص
واللباس والرشاقة على السواء

ولكن ما لنا ولهذا الرسم فقد اورد لنا هؤلاء الفراعنة رقصاً آخر يقول عنهُ الاستاذ
ارمان ورانكة انهُ من ادهش الانواع وأقربها الى الحيوية واجلها منظراً واحلاها رونقاً بل واشدها
للنفس وأجذبها للقلب . هذا الرقص هو الوارد بمقبرة بدير الجبراوي ويرجع تاريخه الى الاسرة
الخامسة (حوالي ٣٠٠٠ ق. م.) . قال الأثريون ان هذا الرقص لا يبعد كثيراً بل قليلاً جداً عن
الرقص المعروف عند الغربيين باسم Ballet . وفي هذا الرقص تشترك النسوة في صف طويل من
مثنى او رباعي رباعي . وفيه تحني كل فتاة جسمها الى الخلف وترفع ذراعيها واحدى رجليها
اعلا بشكل خطوط متوازية . فاذا ما انتهت هذه الحركة بدّلن الارجل المرفوعة بالاخرى وهكذا
والشعر في كل حالة مصنوع بشكل ضفيرة واحدة منقلة في آخرها بكرة القصد منها جعل الخط
عمودية ما امكن محافظة على النظام واتماماً للرونق والجمال . وبعد الفراغ من هذا الرقص
يتقدمنَ الى المتفرجين ويحنينَ اجسامهن برشاقة قصد التحية . ثم يأتي غيرهنّ للقيام بدورهن
هي العادة الآن عند الافرنج

﴿ الرقص التوقيعي ﴾ وهو الوارد بمقبرة (خيتي) ذات الرقم ١٧ ببني حسن (اللوحة
١٢) ويشاهد فيها ثلاثة رجال يرقصون امام ثلاثة آخرين يصفقون لهم بنظام وتؤدة والراقصون
الراقصون يقومون بحركات اشبه كثيراً بالحركات الجمبازية التي يلقنونها بالمدارس الآن . وهي
مد الذراعين الى اعلا والوقوف بنشاط ثم ثني احدى الساقين الى الوراء عند الركبة . ثانياً بقاء الذراعين
ممدودتين الى الامام والمحافظة على حركة الوقوف السابقة مع مدّ الساق الايمن الى الامام ورفعه

وى الخاصرة . ثالثاً هو ضم الساقين الى جانب بعضهما وبسط الذراعين بشكل افقي للجسم . ذلك يشاهد ثلاثة رجال يصفقون لزميل لهم يقوم بحركة رقص تتلخص في رفع الذراعين الى بشكل رشيق مع المشي بشكل مخصوص الى الامام او الخلف

﴿ رفع الاثقال ﴾ هذه الالعاب الرياضية البديعة اول من اسسها بشكل نظامي قدماء المصريين. أورد الاستاذ روزلليني صورة لذلك يشاهد فيها شخص يتهيأ لرفع الثقل بيده اليمنى. وهذا الثقل ة عن كيس محشو رملاً او ما شاكله . وكمية الرمل بطبيعة الحال تقلل وتزاد حسب البداية او م في المران . وشخص ثانٍ يمثل نفس الحركة ولكن بالذراع الايمن . وشخص رابع يمثل الحركة ية في رفع الثقل . ويشاهد رافعاً الثقل الى اعلا باسطاً ذراعه الايمن ما استطاع مراقباً توازن ل . بعد ذلك تنوعت الاثقال طبعاً الى ان وصلت في عهدنا هذا الى القصبان الحديدية التي تضاف الاثقال في الاطراف تدريجاً . لكن النظرية واحدة والغرض واحد

﴿ المبارزة بالنبوت ﴾ كان هذا النوع من المبارزة ذائعاً بين المصريين الاقدمين كما هو الآن . وكثيراً ما كانت المشاحنات والمنازعات بين القرى يفصل فيها في تلك العصور وع الى هذا السلاح العظيم . لكن ذلك لا ينفي انهُ كان يستعمل للرياضة البدنية ايضاً خصوصاً وردت لنا صور كثيرة على الآثار تظهر ذلك بوضوح. منها الصورة المأخوذة من مقابر المملكة ة (اي عهد الاهرام) . وفيها تشاهد السفن الصغيرة المصنوعة من سيقان البردي وبعض حين يدفعون القوارب الى بعضها ليتمكن الآخرون من المبارزة . وبعد التغلب على الخصم ت كان الغالب يقذف بالمغلوب في الماء

قال هيرودوت ان رؤوس المصريين اصلب مادة من رؤوس سواهم من الامم. ولا يبعد ان يكون ستنتج هذا الاستنتاج بعد مناظرة مبارزة النبوت . والحق يقال ان كل من يشاهد معركة حامية ل فيها هذا السلاح لا يبعد كثيراً من الصواب اذا ما وصل في النهاية لمثل هذه النتيجة . وقد ذكر الصورة لانها تمثل المبارزة في السفن وهي اشد مراساً من المبارزة على اليابسة كما هو لمن مارس هذه المهنة

﴿ المبارزة بالعصي ﴾ هذه المبارزة اقرب ما يكون من المبارزة الاوربيه المعروفة بالشيش يف . وهي الاصل بلا مراء في ذلك النوع من الرياضة . ويشاهد ذلك في صورة ذكرها ذ روزلليني . وفيها يقف الخصمان وقفة المبارزة الغربية التي تتلخص في استقامة القامة بها قليلا الى الامام مع ثني احد الطرفين السفليين والاتكاء على اطراف اصابع القدم الاخرى ادا للكرّ والفرّ مما يتطلبهُ هذا الصراع البديع . ويقبض كل فريق عصاه التي يقرب طولها بعين سنتمتراً ويلبس في الساعد الآخر درعاً مثبتة بعدة اوثقة مستعرضة . وهذا الدرع مفصل الكوع الى اطراف الاصابع . القصد منهُ توقّي الضربات بهِ وحماية الطرف المذكور

والرداء القصير يمنع عرقلة الكفاح . ودلائل الانتباه الشديد تبدو في وجهي المصارعين وتكفل ا شدة اهتمام القوم بهذا النوع من الرياضة . ويلاحظ ان اليد القابضة على العصاة لابسة قفازاً ا شاكله حمايةً لها ايضاً من اصابات الخصم كما هو الحال في مبارزة الاوربيين

﴿ كفاح الثيران ﴾ ولع القوم كثيراً بهذا النوع من الرياضة واحتفلوا به امام معا الرئيسية كمنف وغيرها وقدّموا الجوائز لصاحب الثور الفائز . لذلك كانوا يصرفون زمناً طو ومجهوداً عظيماً في تمرين هذه الحيوانات بما يتعادل مع عنايتهم بالخيل كما رواه استرابون المؤرخ الش وكثيراً ما اشترك الرعاة والفلاحون في هذه المهرجانات لازدياد تحمس الناس والاكثار من افراح ولم يرغم قدماء المصريون اسرى الحروب على كفاح الحيوانات الوحشية والقتال معها كما كان يف اهل روما مثلاً . ولم يسمحوا للمبارزين بقتل احدهما الآخر لانهم لم يروا في ذلك سروراً ولا جد بل اعتبروه امراً مخالفاً للانسانية . والصورة الواردة هنا عن هذا النوع من الرياضة تمثل تمرين الثي لهذا الكفاح ويشاهد فيها المدرّب يشجع دابته على المضي في النطاح تارة بالكلام كما هو وا بالصورة وطوراً بالضرب والعصاة كما هو واضح بمناظر اخرى

﴿ المصارعة ﴾ كانت هذه الرياضة البدنية من ألذ الالعاب عندهم . وقد وردت بمقبرة ا حوتب) (مملكة قديمة حوالي ٣٠٠٠ ق . م .) مناظر لهذه الرياضة . لكن مقابر بني ح (اسرة ١٢) تحوي رسوماً لكل وسائل الدفاع والهجوم مبينة اوضح بيان . وزيادةً في الايض رسم الشخصان المتبارزان بلونين مختلفين (احمر واسود) . ويجد القارىء في الصورة الواردة مصارعة واحدة توضح دقائق الامور تساعده بعد ذلك على تطبيقها على سائر المناظر المماثلة . وعلى حال فهذا الصراع لا يقدره تماماً الاّ المصارعون . ولا يعرف الفضل الاّ ذووه . ففي الصو يرى القرّاء المصارعين عراة الاجسام . اللهمّ فيما يتعلق بوضع منطقة صغيرة حول الوسط ر يبعد ان يكون المصارعان قد دهنا جسميهما بالزيت او مادة اخرى مشاكلة قصد انزلاق ايدي الخ وقت القبض على جسم زميله ولكل مصارع الحق في القبض على اي جزء من جسم خصمه سوا الرأس او العنق او الرجلين وان يستمر في الكفاح على الارض مدة كما كانت الحالة عند اليو وفي مقبرة ببني حسن لأمير يقال له (باكت) رسمٌ يمثل ثلث الحائط الايسر وهو عبارة عن ا اسفله القاب صاحب المقبرة ودعوات ثم ستة صفوف عليا تمثل مائتين وعشرين حركة مصارعة مصريين احدهما ملون باللون الاحمر الفاتح والآخر باللون الاحمر القاتم تمييزاً لاجزاء جسم كل من الخص

واختلف الناس في العالم الحديث في تحديد ماهية المصارعة . واختلفوا ايضاً على المباح المسكات منها والمحرّم لذلك كثرت انواع المصارعة وتعددت قوانينها . لكن الشائع منها ا هو الذي تمسكت به اوربا نقلاً عن الاغريق والرومان وهو المعروف حالاً باسم «Greco-Roman» ويستعمل في الدورات الاولمبية لطبقة الهواة . لانه في نظرهم الطريقة التي ينجو بها المصارع

طر لانها تقيد المسك فيما فوق السّرة بشرط عدم مسّ الاعضاء الرخوة التي لا تقاوم الضغط بيعتها البشرية

اما آسيا فقد تمسكت فيها اكثر اممها بطريقة عدم التقييد في المسك . وعدّت اليابان والهند كيا على الخصوص المصارعة الحرة من ضرورة الدفاع عن النفس . فاطلقت للمصارعين الحرية في انواع الضغط واللي وما اليهما بجميع احزاء الجسم . وقد دعى تمسك اليابان بالاباحة المطلقة انتشار المصارعة فيها على هذا النحو الى الاجماع على تسمية هذا النوع « بالمصارعة اليابانية » وقد ن يعرف باليابان باسم « Ju-Jutso » وعند الانكليز نوع من هذه المصارعة يعرف باسم «Cornish» والثابت من الرسوم المنقولة من بني حسن ان المصارعة الحرة بكل اوضاعها وانواعها مصرية الاصل . وان الانصاف تسمية « المصارعة اليابانية » باسم « المصارعة المصرية » والاسم الذي طلق احياناً على المصارعة وهو « Catch-as Catch-can » لا يحوي معنى النسبة لموطن ابتكار هذه المصارعة

والاوضاع المبينة في رسم مقبرة بني حسن عبارة عن المصارعة الحرة المعروفة بـ Catch as-Catch can اظهر ان الفوز كان يتم وقتئذٍ بالقاء الخصم على ظهره فوق الارض بشرط مساس كتفيه لها آن واحد . وان المصارع وقتئذٍ كان يستعين بر قبته قبل مصارع اليوم في الدفاع عن كتفيه : الحركات المعروضة هي مجموعة لمسكات عدة تتعدى بالتأكيد ما هو موجود الآن مما يدل على ان صارعة وقتئذٍ كانت اوسع فنًّا وحرية منها الآن

والآن وقد اتضح للقارىء ما قام بهِ سلفنا المجيد الصالح من العاب رياضية شاملة وحركات سمانية متباينة اقل ما يقال عنها انها اشبه بالحديث ومنتهى ما بلغه القديم . بدأوها واتقنوها . في اليونان فاخذوها وفي اولمبيا عرضوها . فادّعى اهل الغرب ان هذه الالعاب يونانية الاصل وا ما لاجدادنا من فضل . والسر في ذلك اضمحلال القطر وزوال مدنيتهِ بعد زهوتها . وغزو انب له واستبدادهم به بعد نشوته وعزته . فصار للاجنبي اليد العليا والكلمة الاولى . وصار صري مستأجراً مستصغراً فنسي هذا الاخير ثروة اجداده ومخلفاتهم . واخذ هذا الاول لب قهم واعمالهم . لكن صخور مصر وما تحويه من نقوش جبابرتها صمدت كما صمد ابو الهول ل الخمسة آلاف سنة . فلما اكتشفت وفحصت ظهر منها العجب العجاب من مدنية عالية واخلاق . وبدا لنا نحن الاطباء عجائب الطب والجراحة بكل انواعها . وفوق هذا وذاك ظهرت لنا شدة القوم بتنمية اجسامهم نموًّا صالحاً سليماً لا تشوبهُ علة ولا ينقصهُ كمال . بانت لنا انواع الالعاب سية منزلية وخلوية مما جعلتنا نؤمن ونسلّم بان هؤلاء القوم ما بلغوا تلك الذروة في المدنيـة ارة والعلم الآ بعد ان اصلحوا اجسامهم واينعوها وعرفوا مقـدار الحيـاة وقيمة الصحة . وا لنا باوضح صورة صدق المثل القائل بان « العقل السليم في الجسم السليم »

كلمة عن حضارة

جزيرة كريت القديمة

هل هي اطلانتيد الاساطير ؟

لشارل عيساوي

ورد ذكر كريت غير مرة في الالياذة والاساطير اليونانية فقد تحدَّث هوميروس عن « كريت ومدنها المائة » وكان اليونانيون يزعمون ان الاله زفس نشأ في تلك الجزيرة وأقام ابنهُ مينوس حاكماً عليها فكان يقابل الاله والده مرة كل تسعة اعوام ليأخذ عنهُ الحكمة ويعود الى رعيتهِ فيسن لهم الشرائع والقوانين. وقد ورد في الاساطير ايضاً ان اثينا كانت ترسل الى كريت سبع فتيات وسبع فتيان على سبيل الجزية كل تسع سنوات فيبتلعهم مينوتور (الثور الخرافي ذو الجسم البشري) وظلت تدفع هذه الجزية حتى تغلب ثيسيوس البطل الاثيني على مينوتور وقتله

ويقول هيرودوتس ان مينوس (والراجح ان هذا الاسم كاسمي قيصر وفرعون لا يشير الى ملك معين بل كان لقباً يلقب بهِ كل من جلس على العرش) جرَّد على كاميكوس في صقلية اسطولاً كبيراً وجيشاً جراراً فانتهز بعض القبائل اليونانية فرصة غيابه عن كريت ففتحوها واستولوا عليها وانتهت بذلك المدنية الكريتية العظيمة

ويُستَدلُّ مما ذكرناه انهُ كان لكريت تاريخ قديم مجيد غير ان الناس لم يكونوا يعرفون شيئاً عنهُ حتى العهد الحديث لما أخذ هنري شليمان الأثري الالماني الشهير يبحث عن آثار المدنية اليونانية في أسيا الصغرى والموره واخذ غيره ينقب في جزيرة كريت ولعلَّ أشهرهم السر آرثر جون اڤانس وقد رفع هؤلاء الأثريون النقاب عن ادوار الحضارة اليونانية القديمة وتحوُّلها فاتضح منها ان المدنية اليونانية التي كان يعتقد كثير من الناس انها قد نشأت فجأة ، متصلة بالحضارة الكريتية كما ان النهضة الاوربية Renaissance متصلة بالحضارتين اليونانية والرومانية . وهذا مما يثبت ان الطبيعة لا تعمل قفزاً بل يكون عملها تدريجيًّا كما يقول الرومانيون

﴿سكان الجزيرة وتاريخهم﴾ كان سكان كريت قصار القامة طوال الرؤوس نحاف الخصور سود الشعر والعيون سراع الحركة وبالجملة كانوا ينتمون الى الفرع الذي تتألف منهُ الشعوب القاطنة حوض بحر الروم اي انهم كانوا يشبهون كل الشبه اهالي سردينيا وكورسيكا وبعض اقاليم ايطاليا . واللقب الذي لقبهم به اليونان وهو «الرجال ذوو الجلود الحمر» يدل بكل وضوح على انهم كانوا سمر الالوان

وأما تاريخهم فليس عندنا ما يساعد على شرحه شرحاً وافياً لاننا لما نتوصل الى قراءة كتابتهم كانت ارقى من الكتابة المصرية . ويرجع ذلك العجز الى اننا لم نعثر حتى الآن على اية وثيقة لغتين الكريتية والمصرية او الكريتية والفينيقية وعسى ان نظفر فيما بعد بمثل هذا المستند كن من الاطلاع على اسرارهم . الاّ انهُ في وسعنا ان نقول ان الجزيرة لم تخضع لسلطة كنوسوس ر المدن الكريتية الاّ بعد ردح طويل من الزمن يعاصر طرد الهيكسوس من مصر . اما من رج فكانت الجزيرة في غاية المناعة . وابلغ دليل على هذا عدم تحصين المدن فيها . ففي كنوسوس لم يجد المنقبون سوى برج صغير لا تزيد قيمته الدفاعية عما يكفي لسدّ غارات القرصان . واقع ان كريت كبريطانيا العظمى كانت تعتمد على اسطولها العظيم وهي اول من اسس دولة رية في التاريخ

ولا نعرف حتى الآن كيف انتهت الدولة الكريتية غير ان آثارها تدل على حدوث ذلك عقب ثة فجائية . والراجح ان « ميكينا » اكبر المستعمرات الكريتية تبرّمت بحكم مينوس المستبد ت عليه وهزمت اسطوله او على الاقل تملّصت منه فاغارت على كنوسوس وحرقتها الاّ صباح الحضارة الكريتية لم ينطفىء حتى فتح الجزيرة الاغريقيون «الدوريون» في سنة ١٢٠٠ الميلاد

***

﴿ الزي والنساء ﴾ كانت ثياب الرجال في كريت تشبه ثياب معاصريهم اي انها كانت عبارة عن ة للحقوين وحذاء من الجلد ولفة على الساق كلفّة الجنود . وكانوا يرتدون في فصل الشتاء افاعاً ويحمون رؤوسهم بعمامة او قبعة تشبه البيرية (beret) . اما النساء فكنّ يلبسن ثياباً تشبه شبه ثياب الاوربيات كما يظهر لك في الرسوم التي تصحب هذا المقال

وكان اسلوبهم في البناء يختلف كل الاختلاف عن الاساليب المصرية والاغريقية . فبينما كان سوس المصريون والاغريقيون يبنون البيوت طبقاً لطراز معين كان الكريتيون يستغنون عن جام ويتوخون الراحة وكثرة النور والهواء الطلق فلم يكتفوا بطبقة واحدة بل كانوا يجعلون من طبقتين او ثلاث طبقات فيبلغ علوه عشرة أمتار او خمسة عشر متراً . وكانت المنافذ بالرق الشفاف

اذا ما تأملنا قصر كنوسوس الكبير الفيناه مؤلفاً من عدة غرف مبنية حول فناء واسع بينها ممرٌّ مسقوف وعلى ذلك كان البناء شبيهاً بخلية النحل . وكانوا يضيئونه بواسطة مساقط نور ر) . وليس هناك ما يدل على ان الكريتيين كانوا يفصلون غرف النساء عن غرف الرجال مما على حرية المرأة واختلاط الجنسين عندهم . ولكنّ هناك شيئاً اجدر بالشرح من اسلوبهم في البناء انتظام مجاريهم الذي دهش له المنقبون لانهُ فريد في نوعه لا في تاريخ الشرق القديم فقط بل

في اوربا حتى القرن التاسع عشر . فاذا فحصنا ارض الطبقات العليا في قصر كنوسوس وجدنا مثقوبة في غير مكان واحد وليست هذه الثقوب الاّ آبار صغيرة محفورة في الجدران لجمع الماء وص في مجارٍ واسعة مبنية من الحجر ومبطّنة بالاسمنت تؤدي الى خزانين كبيري الحجم يسيل الـ منهما الى نهر صغير كان يجري بالقرب من القصر . وكان هذا النظام عينه ينطبق على المراحيـ « فكان مينوس يتمتع بميزات صحية لم يعرفها لويس الرابع عشر في فرسايل »

***

وبلغ المهندسون الكريتيون نصيباً وافراً في علم حركة السوائل (الهيدروليكا) بدليل ان الترعة الصغيرة المنحدرة بجانب سلم القصر الكبير ليست مستقيمة بل ملتوية مما يمنع الماء من الجري بسرعة زائدة والطغيان على السلم . وكانوا ينقلون الماء الى القصر في انابيب من الطين المحروق طرف الواحد اعرض من الآخر بحيث يمكن ادخال البعض في البعض الآخر . ولكي لا تضغط الانبو الضيقة على الواسعة كانوا يلفونها بحلقة خارجية وكانوا يلتقطون طرف الانبوبة العريضة كما (يتضح من الرسم) ثم يلحمونها بالاسمنت

وكانت طرقهم في غاية الاتقان ولم يشهد العالم ما يشابهها حتى ادخل المهندس الشهير مك آدم Macadam طريقته المعروفة في انكلترا ، ويكفي دليلاً على إتقانهم مد الطرقات ان توازن بين الطريق الكريتي الذي يصل قصر كنوسوس الكبير بالقصر الصغير والطريق الروماني على مقربة منهُ . فـ الطريق الكريتي يظهر بوضوح امتن واكثر اتقاناً مع ما كان للرومان من شهرة في تعبيد الطرق ولا تقل شوارع المدن اتقاناً من هذا الطريق اذ كانت محفوفة برصيفين وترعة صغيرة لجمع الماء وتصريفه

﴿ مقام النساء ﴾ كان للنساء مقام سامٍ في كريت وكنّ يتمتعنَ بحرية لم تعرفها الاغريقيات والرومانيات . وحسبك دليلاً ان الكريتيين كانوا يعبدون الهة وابنها الصغير ويرمزون بذلك الى خصب الطبيعة . وكانت هيا كل هذه الالهة مكتظة بالكاهنات

اما عن حياتهنّ الاجتماعية فكنّ يشتغلنَ في الحقول ويمارسنَ الصناعات كالرجال ويخرجنَ معهم الى الصيد ويتنزهنَ في العربات دون رفيق او رقيب . واغرب من ذلك انهنّ لم يكتفين بمشاهدة الالعاب الرياضية بل كنّ يشتركنَ فيها فيصارعنَ ويتلاكمنَ ويكافحنَ الثيران مثل الرجال

﴿ كريت ومصر ﴾ لم تعش مصر منعزلة عن جيرانها — على الضدّ مما يعتقده الجمهور — كانت متصلة كل الاتصال ببلدان الشرق الادنى ولاسيما جزيرة كريت

ولعلّ بعضهم يظن ان المسافة بين البلادين وهي خمسمائة كيلو متر كانت فوق طاقة سفن ذلك العهد . ولكن لا يفوتنا ان فراعنة الاسرة الثالثة ارسلوا اسطولاً الى سوريا وبعثوا حملة تجارية الى الصومال . أوليس معقولاً اذاً ان شعباً بحريًّا كالشعب الكريتي لا يحجم عن قطع المسافة

تمثالان من القاشاني للربة ذات الثعبان وجدا
في كنوسوس
(عن دائرة المعارف البريطانية)

لوحة من القاشاني وجدت في كنوسوس
(عن دائرة المعارف البريطانية)

بعض آثار الفن الكريتي

ثوب كريتي قديم للنساء
يشبه ملابس الاوربيات

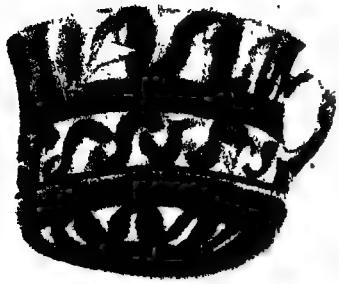

نموذجان من صناعة الخزف الكريتية

وعاء عثر عليه في
كنوسوس Cnossus
(عن دائرة المعارف البريطانية)

وعاء وجد في زكرو Zakro
في كريت
(عن دائرة المعارف البريطانية)

رته ومصر وعن ممارسة القرصنة تارة والتجارة البحرية الشريفة اخرى . والظاهر ان التجارة البلادين ترجع الى عهد قديم جداً فقد وجدت عدة اوانٍ من النوع الكريتي في قبور بعض الاسرة الاولى . ومن جهة اخرى عثر المنقبون في كريت على عدد يذكر من الطاسات المصرية نوعة من الحجر القاسي المسمى بالديوريت . والمعروف عن تلك الطاسات انها لم تصنع الا في الامرتين الاوليين وليس من المحتمل انها نقلت الى كريت فيما بعد لان الشعوب القديمة لم تعلق كبيراً بتراث اسلافها

وظلت التجارة رائجة بين البلادين حتى انقضاء المملكة المصرية القديمة وابتداء الفوضى التي ت مصر زمناً طويلاً . ولما زالت الفوضى وجلس ملوك الاسرة الثانية عشرة على عرش مصر ونفت العلاقات واخذ كلاهما يتبادل السلع . فقد وجد اناء كريتي في ضريح ابيدوس بالقرب من ة عليها اسما «امنمحت» و «سنوسرت» وقد سمع الجميع عن الهيكل العظيم الذي بناه امنمحت عروف بالتيه المصري labyrinth ومن دواعي الاسف انهُ لم يبق لهُ اثر فلا نستطيع ان نوازن وبين الدور الكريتية بيد ان وصف هيرودوتس وغيره من المؤرخين والسيَّاح يحملنا على الظن منشئهُ اقتبس رسمه مما بلغه من وصف التيه الكريتي

ولما اراد امنمحت وسنوسرت ان يشيدا هرميهما أنشآ القرية المعروفة بقاهون واستدلَّ بعض ين من كثرة الخزف الكريتي في بعض احياء هذه القرية على ان عدداً ليس بالقليل من الصنّاع ريتيين الماهرين كانوا يشتغلون في بناء الهرمين ووجد في كريت تمثال مصري من النوع الذي ع في الرموس يدل على وجود مصريين في الجزيرة

ولما فتح الهيكسوس مصر نقص مقدار التجارة بين البلدين الا ان المنقبين وجدوا في كريت صندوق من المرمر منقوشاً عليهِ اسم « خيان » اشهر ملوك الهيكسوس ويزعم بعضهم ان كسوس فتحوا كريت كما فتحوا مصر ولكن هذا الرأي غير معقول ولا ريب لان مصر لم يكن سطول كافٍ لغزو كريت ولا سيما في ذلك الزمن لما كانت دولة مينوس في اوجها

واخذ المصريون في عهد الامبراطورية يكثرون من الاشارة الى اسم « الكيفتي » . وكثيراً ما ل الباحثون ما عسى ان يكون الكيفتي ، ويقول العلامة بيكي ان معنى الكلمة « سكان البلاد راء . . . » وان ذلك يرمز الى كريت التي تقع في آخر « الخضراء الكبيرة » كما كان المصريون ن بحر الروم . ومما يرجح هذا الرأي ان الكيفتي كما نراهم مرسومين على جدران قبر «سنموت» الملكة حتشبسوت يشبهون الكريتيين كل الشبه ، وخدم الكيفتي طاحوتمس الثالث خدمات جليلة نقل الخشب السوري الى مصر . ويقول بعضهم ان اسلوب ميناء الفاروس الشهيرة يدل على ن للكريتيين نصيب كبير في انشائه وانهم اوحوا بهذه الفكرة الى المصريين . بل ان جميع سين والملاحظين كانوا ولا شك من كريت ، وغني عن البيان ان تلك الميناء كانت تعود بالفائدة

على التجار الكريتيين دون غيرهم . لكنهم لم يتمتعوا بها الاّ قليلاً لان كنوسوس حرقت ودمر في ذلك الحين فانقطعت جميع العلاقات بين مصر وكريت ولم يرد ذكر هؤلاء الامة واحدة في التار المصري القديم اذ يقول رعمسيس الثالث انهُ هزم حملة كبيرة وجهت الى مصر وان « الزكارو — وهم ولا ريب سكان زكرو احدى مدن كريت — كانوا من أنشط العناصر في جيش العد

﴿ أثر المكتشفات الكريتية في آرائنا ﴾ لقد احدثت التنقيبات التي أظهرت مدنية كريت انقلا كبيراً في ما كان العلماء ينسبونهُ الى الفينيقيين من نصيب في تقدم الحضارة اذ كان الجميع يزعمون ا هم الذين نقلوا المدنية من مصر الى اليونان. ويقول غيرهم ان الفينيقيين استنبطوا الكتابة الحديثة ولم يكن احد يشك انهم اول من صبغ الاقمشة مستندين في ذلك الى ان صبغة مدينة صور كانت مستعم في جميع بلدان البحر المتوسط . واما الآن فاتضح ان الكريتيين كانوا يزاحمونهم في جميع هذ الميادين . اما فيما يختص بالكتابة فقد ظهر ان دور الفينيقيين لم يزد عن تكييف كتابة الكريتيين وجعلها اسهل واقرب منالاً . وهذا مع أنهُ يستحق التقدير إلاّ انهُ ليس بذي شأن خطير اذا قابلناهُ بما كان ينسب اليهم

وقد اكتشف في كريت ثلثة مخازن من الصدف الذي كان الفينيقيون يستخرجون منهُ صبغ مما يدل على ان صناعة الصباغة كانت رائجة في تلك الجزيرة ويستنتج مما سبق ان نصيب الكريتيين في تمدين اليونان كان أكبر من نصيب الفينيقيين فيهِ . وهكذا قلبت المكتشفات الحديثة آراء رأساً على عقب

﴿ هل كريت هي الاطلانتيد ؟ ﴾ وقبل ان نختم بحثنا هذا لا نرى بدًّا من الاشارة الى نظر طريفة لا يستطيع الباحث ان يهملها من دون ان ينظر فيها وفي اسانيدها . لقد سمع الجميع عن القار المسماة بالاطلانتيد التي يقال انها غارت في المحيط الاتلانتيكي . ويقول افلاطون ان صولو تحدث عنها مع كاهن مصري فوصفها له الكاهن وصفاً دقيقاً ينطبق كثيرٌ منهُ على كريت . فمن ذ وصف الكاهن لغرف الحمام ومكافحة الثيران الخ يتذكر الحمامات الكريتية والالعاب الرياضية فا واليك وصف الكاهن لموقع القارة المفقودة : —

« انها كانت تقع بيننا وبين عدة جزائر اخرى واذا ما اجتزت تلك الجزائر وصلت الى القا التي تحيط بالبحر » فهل يمكن ان يكون وصف كريت ادق من هذا ؟ ولكن يعترض البعض ان الكاه قال ان الاطلانتيد تقع فيما يلي اعمدة هرقل (اي مضيق جبل طارق) فكيف ينطبق هذا الوصف على كر

والردُّ على ذلك ان كنوسوس زالت من الوجود قبل ان ابتدأ الفينيقيون يرودون البحا وقبل ان طاف بحارة «فرعون نكو» حول افريقيا فكانت كريت اقصى ما يعرفونهُ غرباً اذ ذاك . في زمن الكاهن اي بعد هذه الرحلات فقد اصبحت أعمدة هرقل اقصى البلاد التي يعرفونها ولما اسلافهم يعتقدون ان الاطلانتيد اقصى بلدان الغرب زعموا ان تلك القارة تقع بعد أعمدة هرق

العلم والسلاح

نظرات في اسلحة الحرب القادمة

نقلها بتصرف : عوض حمدي
[عن مجلة العلم العام الاميركية]

صوّر كثيرون من الكتّاب اسلحة الحرب المقبلة وويلاتها صوراً مروعة فتمثّلوا مدناً ضخمة عليها من الجوّ صيّبٌ من القنابل فيدكها دكّاً ، ووصفوا ضحايا الحرب من فريقي المتحاربين المتحاربين على السواء ، يلقون حتفهم بغازات تفوق سمومها مئات اضعاف سموم غازي ل والفوسجين[1] . ومثّلوا اهوالها في جراثيم خبيثة تنذر سرّاً وسْط جند الأعداء ، وفي هائلة تسحق تحت اطواقها الدوّارة الوفاً مؤلفة من الخلق

تخيلوا الاساطيل الجوية الضخمة ، تحسم الحرب قبل ان يتاح لجندي واحد اجتياز الحدود د عدوه . وان المتحاربين سيعولون على جنود صناعية (وهي الاجهزة الكهربائية التي تعمل شر) لكي تقاتل في الخطوط الحربية الامامية بدلاً من الجنود البشرية . ووصفوا الاساحة ائية البديعة التي تدحر المدرعات الضخمة وتسحق الجيوش قبل اطلاق اية طلقة نارية دفاعاً سها : فهل اذا نشبت الحرب كانت حقيقةً كما يتصورون؟

در بين خبراء وزارة الحربية في واشنطون من يؤيد تلك التخيلات . ولكنهم يزعمون بان المقبلة ستكون ، أساليبها ومعداتها مختلفة عنها في الحرب العالمية الغابرة ، ممتازة بالسرعة تة . ويتوقعون ان تكون الجيوش في الحرب المقبلة اصغر منها في الحرب السابقة مع شدة ا وتزويدها بالاجهزة العلمية من أدوات وأسلحة تيسّر لها زيادة السرعة في تنقلها والشدّة في عدوّها عند هجومها عليه . اما نصيب الطيارات الحربية في الحروب القادمة فسوف يكون عظيماً قد تشعبت آراء الخبراء الحربيين الاميركيين تشعباً كبيراً في موضوع الطيارات ، فضباط اركان في القيادة العليا يقولون ان الطيارات سلاح خطير مفيد جدّاً بحسبانه سلاحاً واحداً من حربية شتّى يراد به مساعدة المشاة على الزحف والظفر ، ومع ذلك فان ضباط الطيران لا يشكّون في كون تحسن الطيارات المطرد قد احدث انقلاباً تامّاً في مصير الحرب ، وجعل و الاساطيل بازائها قليلة الخطر وسوف يكون عليها دون سواها فصل الخطاب في الحروب القادمة ان للآراء التي اذاعها الجنرال دوهيه الايطالي الجندي العالم الذي توفي سنة ١٩٣٠ بشأن لجوية صدًى عظيم عند رجال الحرب الاميركيين الذين يعنون بالجو ، كما كانت موضع اهتمام

[1] الفوسجين مزيج من اوكسيد الكربون وغاز الكلور وقد استعمل هذان الغازان في اواخر الحرب الكبرى

غيرهم من اقطاب الحرب في الدول الأخرى . أدرك دوهيه ، لمّا كانت الطيارات لا تزال في الاختبار، انها سوف تصير عاملاً جوهريًّا من عوامل الحروب القادمة . وما وضعت الحرب ا اوزارها حتى اخذ يبثّ فكرة استقلال القوة الجوية وتحررها من سيادة القواد البريين والب قائلاً «متى نشبت نيران الحرب ، وجب على كل دولة حشد قواتها الجوية واستخدامها قوّ واحدة لكي تكفل لنفسها السيادة الجوية . وينبغي تسليح قاذفات القنابل لتستطيع حماية حينما يهاجمها العدو . أما قوات العدو الجوية فيجب تدميرها بقذف القنابل على حظائرها وم وهذا خير من مقاتلة طياراته . ومتى احرزت اية دولة السيادة في الجو ، تمكنت من قذف ا على مدن عدوها وعلى مراكز تدريب جنوده وعلى طرق النقل فتوهن عزيمة الشعب حتى تحم التمرد على الحرب». ومع ان الدول لم تتبع ارشادات دوهيه برمتها . بيد ان ايطاليا وبريطانيا العظ وفرنسا وروسيا والمانيا قد نفذت رأيه الخاص باستقلال القوة الجوية عن السلطتين البرية والبحر اما الولايات المتحدة واليابان فهما الدولتان الوحيدتان الحربيتان اللتان تخضع قواتهما الجوية لس الجيش والاسطول وتدل الانباء الواردة من عدة دول على ان خبراءها الحربيين يحشون الهجوم الجوي حواضرهم . وقيل ان في مدينة لندن مكاناً عميقاً انشىء تحت سطح ارضها في مكان سري مح البوح به ، لا تؤثر فيه القنابل ولا الغازات الخانقة ، سيجعل مقرًّا لوسائل الدفاع التي تتخذ الحاضرة البريطانية من هجوم الاعداء . وقد شرعت السلطات الحربية والبلدية في طوكيو وغ من المدن اليابانية في اتخاذ الوسائل الكفيلة بصون مصانع توليد القوة الكهربائية وموارد ونحوها من المرافق الوطنية الجوهرية من الغارات الجوية . وتجدّ فرنسا في اختراع احكم الاس لحماية سكانها من الغارات الجوية . ولا يرتاب ضباط سلاح الطيران في كون الغارات الجوية الش على الحواضر ستكون مظهراً من مظاهر الحرب القادمة في مطلعها . ويؤكدون ان با وبرلين ولندن وروما وطوكيو جميعاً قريبة المنال ممن يناوئها من قواعده الجوية . ويرون ا غارة جوية على مدينة من المدن الكبرى قد لا تدمرها بأسرها بوابل من القنابل الشديدة الان وربما لا تعدو مناطق محدودة . ولكنها تتوخى في الغالب شلّ الحركات الحربية التي تدور ويصرّ ضباط أسلحة الطيران على القول ان الغارات الجوية التي من هذا القبيل اذا شُنّت منطقتين او ثلاث مناطق منعزلة في مدينة كنيويورك او لندن لا بدّ أن تثبط عزائم السكان تا تامًّا ولا يبعد ان تضرم النار في المدينة برمتها وتحرقها حرقاً

وما من خبير حربي يرتاب في امكان حشد الطيارات للغارات الجوية في كثير من الاحوال المدن العظمى، ويندر منهم الذي يظن ان ذلك لن يحدث. بيد ان كثيرين من المعنيين بدراسة ا الحديثة يستبعدون تحقق نبوءات الخبراء الذين يؤولون التأويلات الخاصة بالحرب الجوية وما ي من الخراب وينكرون شدة تأثيرها في عزائم الجمهور غير المحارب ، تأثيراً يوجب اهتمامهم بها مست

ه الى ان الغارات الجوية في الحرب العالمية مع عنفها أثبتت ان غير المحاربين قلما يذعرون منها
مع ذلك فقد زيدت أحجام القنابل الجوية منذ الحرب العالمية زيادات مفرطة . والمعروف ان
قنبلة القيت فيها على مدينتي لندن وباريس لم تزد على ٦٦٠ رطلاً . اما الآن فان خبراء
الحربية يجربون صنع قنابل زنة الواحدة طنان . وذلك عقب ظفرهم بجعل الوزن القياسي
طنًّا واحداً . فاذا سقطت قذيفة منها على الارض فانفجرت : حفرت فوهة قطرها ٥٧ قدماً
ا ١٩ قدماً . ولكنها لا تستطيع التغلغل في المباني الحديثة المشيدة بالفولاذ والبرقاء (الاسمنت
ح) . على ان الرعب الذي يستولي على سكانها من صدمة القنابل قد يقضي عليهم جميعاً ، وان
الصروح قائمة . ومما لا جدال فيه انهُ ليس لدولة من الدول في الحالة الراهنة طيارات حربية
لحمل القنابل الشديدة الانفجار التي تستطيع بها تدمير مدينة كبيرة بحذافيرها . الاّ ان القنابل
ة ولا سيما المحتوية منهـا على « الترميت » اعظم خطراً من سواها . والترميت خليط من
رق الاليومنيوم واوكسيد الحديد . فاذا رفعت درجة حرارة جانب صغير من حشوة القنبلة
ة الكبسولة التي تشعل البارود في الخرطوشة ، تولد تفاعل شديد يصهر الحديد فيسيل كأنهُ
متوهج . واذا خلط الترميت بمادة شديدة الانفجار ، استطاعت القطـرات المصهورة المنطلقة
اختراق الفولاذ ، فالطيارات التي تلقي قنابل ترميت من زنة ١٠٠ رطل على احدى المدن ولا
يوم عاصف تحدث حرائق شتى تعجز جميع مصخات الحرائق فيها عن مكافحتها

ا استعمال الغاز السام في القتال فمحظور وفقاً للاتفاقات الدولية . فاذا خطر لاحدى الدول نقض
والاقدام على استعماله كان سلاحاً خطيراً جدًّا في الحروب المقبلة

لكن يظهر ان الفائدة المعزوَّة اليهِ مبالغ فيها ، لان خبراء الحرب في الولايات المتحدة الامريكية
، إنهُ لم يخترع غازٌ سامٌّ جديد من عهد انتهاء الحرب العالمية الى الآن ، وما زال غاز الخردل
نواع الغازات الفتاكة التي يحتمل استعمالها كسلاح كيميائي في ميادين الوغى

مما لاريب فيهِ أن غاز الخردل سيستعمل في الاغارات الجوية على المدن . فتتمكن طيارة واحدة
، مقدار منهُ يكفي مثلاً لقتل سكان مدينة نيويورك على بكرة أبيهم اذا استهدفوا لاستنشاقه
متعذّر بفضل الاحتياطات التي شرعت الدول في اتخاذها على ما جاءَ بهِ الانباء العامة

قدَّر الباحثون غاز الخردل الذي استهلك في الحرب العالمية باثنى عشر الف طن ، قتل بها
نفس واصيب ٣٥٠٠٠٠ نفس باصابات مختلفة . اما الآن فلا يمكن قتل جندي واحد بأقل من
من اجود انواع ذلك الغاز الفتّاك في المتوسط . لأنهُ اذا دُرِّب اهل مدينة من المدن على
ة ثبات الجأش عند غزوهم من الجوّ ، واستعمال الوسائل الواقية — والمعروف ان سكان
المدن الاوربية يُدرَّبون كل يوم على اساليب توقّيها — كانت نتائج الغاز الخردلي الذي
، الطيارات من قنابلها طفيفة ، وضحاياه يسيرة . وذلك بأن يختبىء السكان في الطابق الثاني من

دورهم لان غاز الخردل يستقر على مقربة من سطح الارض فلا يلحقهم منه ادنى ضرر ولا يخرج حتى يُغسَل عن سطح الارض ويمتزج الى المجاري العامة وذلك بصب المياه الغزيرة

وثمة غول آخر طالما وجف منهُ الكتّاب الذين يبحثون في احوال الحرب القادمة ، ونعني جراثيم الامراض التي تنثرها الطيارات على عدوها . وفيها يقول اطباء الجيش الذين توفروا على درس هذا الموضوع « ان الدولة التي تتسلح بهذا السلاح لا تجني منهُ سوى نتائج زهيدة لان الحرارة تقتل البكتريا بسهولة فلا يتيسر ادخالها في القنابل او القذائف . ثم ان الوسائل الصحية الحديثة قد تقضي على تلك الجراثيم . واذا اصبحت الامراض وبائية عادت بالوبال على قاذفها لا محالة اذ يستحيل حينئذٍ ومنع انتشارها بين قوات الدولة التي سبق أن اطلقتها من عقالها — والجراثيم لا تعرف العدو من الصديق

ورعموا ان الطيارات في وسعها قذف السموم الزعافة على مدن الاعداء وهذا معقول . وسم النقانق (بوتيلينس توكسين) هو من اشدّ انواع السموم المعروفة فيتسنى لطيارة كشافة واحدة حمل مقدار كاف منهُ لقتل كل مخلوق على سطح البسيطة بشرط ان يوجَّه وسقها الفتاك الى ضحاياهُ وهذا مستحيل في خلال الحرب لشدة احتياط الاعداء فان اطلق خبط عشواء على احدى المدن كان تأثيره ضعيفاً

ولما كانت دولة الولايات المتحدة الاميركية تبعد ٣٠٠٠ ميل عن اقرب الدول المرهوبة الجانب التي قد تناهضها من ناحية المحيط الاطلنطي و ٦٠٠٠ ميل من ناحية المحيط الهادىء ، فمشكلة دفاعها الجوي عن كيانها بازاء اعدائها الاقوياء اسهل بمراحل منها عند سائر الدول التي يستطيع عدوها الاغارة على حواضرها ومراكزها بعد طيرانه ثلاث ساعات من بلاده . ويرى بعض ضباط سلاح الطيران انهُ ستصنع طيارات تقطع ٧٠٠٠ ميل حاملة طنًّا من القنابل . هذا مع العلم بأن اقصى ما تقطعهُ الطيارة الحربية الآن ٩٠٠ ميل . فاذا سوّلت لاية دولة اسيوية او اوربية نفسها مهاجمة دولة الولايات المتحدة الاميركية من الجو ، وجب عليها في تلك الآونة نقل طياراتها ببواخر نقالة على مقربة من شواطئها ، بيد انها لا تتمكن من ذلك الا اذا تيسر لها تدمير الاسطول الاميركي او حصره على الاقل

ويرى خبراء الخدع الحربية الجوية امكان تعطيل قناة پنما بغارة جوية بحرية قبيل اعلان الحرب رسميًّا على دولة الولايات المتحدة . وبذلك يسهل ترك اسطولها عاجزاً لتعذر الاتصال بين قسميهِ الغربي والشرقي . وهذا مما جعل ضباط سلاح الطيران في دولة الولايات المتحدة يصرون على انشاء وزارة ثالثة للدفاع الوطني خاصة بالطيران . ويقولون انه يكفي لحماية ساحلي دولتهم من الغارات الجوية ومن اي جيش بري يهاجمهم ، قوة جوية مستقلة ذات قاعدة برية تؤلف من ٦٤٠ طيارة قاذفة للقنابل و ٦٤٠ طيارة طوافة (عسس) و ٢٠٠ طرادة جوية مدججة بمدافع ضخمة يديرها عشرة رجال

ومع ان خبراء الجو يكادون يحتقرون الدفاع البريّ ضد الهجوم الجوي ، نرى جنود القوة البرية واثقين بكون المدافع المحسنة التي اخترعت في بضع السنوات الغابرة لمقاومة الطيارات لتسقط كثيراً من الطيارات عند ما تصوب اليها قذائفها . ومنها احدث انواع المدافع المقاومة للطيارات

ن عيار ٣ بوصات وتطلق مقذوفاتها رأسيًّا الى ارتفاع ٩٠٠٠ ياردة ، وأفقيًّا الى مدى ١ ياردة . فاذا وضعت بطارية مؤلفة من اربعة مدافع من ذلك النوع ، وقام بتسديد نارها كهربائيٌّ robot كان ميسوراً لها اطلاق وابل من النار مؤلف مائة قنبلة في الدقيقة زنة ة ٢٦ رطلاً وتشعل بفتيل ميكانيكي . ومن المرجح ان كل طيارة تحوم في دائرة خمسين ياردة ضع انفجار احدى هاتيك القنابل ، لا مناص لها من التعطيل — ذلك لأن المدافع آنفة سدد مقذوفاتها بالقوة الكهربائية بجهاز بعيد هو كناية عن آلة ستيريوسكوبية stereoscope ة للصور المزدوجة) مضبوطة جدًّا يتمكن بها المراقبون من اتباع مجرى الطيارات السريعة السماء . وما على المدفعية (من البشر) الاّ تركيب القنابل وحشو مدافعهم بقنابلها . فاذا الليل استعان المراقبون بالمصابيح الكهربائية (الكشافة القوية جدًّا) على رؤية الطيارات المحلقة على ارتفاع ١٥٠٠٠ قدم . ثم ان (اجهزة الاصغاء) تمكن الجنود المناهضين للطيارات اع اصداء الطيارات المغيرة عليهم وهي على بعد عشرة اميال عنهم[1] . فتهيء الفرصة لحاملي ح الكشافة وللمدفعية لاعداد القوة لمناوأتها . وقد اخترعت مدافع رشاشة (مدافع آلية الطلقات) كبيرة العيار (قطر الفوهة) للدفاع ضد هجوم الطيارات المنخفضة الارتفاع لا جرم ان المدافع العصرية المقاتلة للطيارات تؤثر تأثيراً أشد منهُ في الحرب العالمية ت تصيب الهدف اصابة واحدة من كل ٦٠٠٠ طلقة . وأيًّا كان تأثيرها ، فما من دولة لها اعداد المدافع الكافية لدحر الطيارات عن كل مدينة تستهدف لغاراتها . لأن معظم تلك سيخصص للدفاع عن القواعد الجوية الخطيرة وغيرها من مواقع الحركات الحربية المهمة يكاد يكون محققاً ان السيادة الجوية هي أولى الغايات التي تتوخاها الدول القوية المتحاربة عند الحرب ، فان فازت بها ، سهل عليها اطلاق القنابل على مطارات عدوها اطلاقاً عنيفاً وقذفها سانع ذخيرته ووسائل نقل جنوده ومعداته ثم على مدنه . فاذا أمكن للعدو اعداد قوة جوية قوة الدولة المسيطرة على الجو من قبل ، فقامت بينهما ملحمة ، فلا بدّ ان تكون نتيجتها هدنة وقتية بين المتحاربين ، يعقبها ادوار القوات البرية حتى تضع الحرب أوزارها ضباط الجيش البري الذين لا يشاركون البتة رجال الاسطول الجوي في نزعاتهم القاضية باستقلال ل الجوي فينوهون بفوائد الطيارات كمساعد للجيش البري اذ تقوم بالاستطلاع والدلالة على ر ان مدافع العدو وبمهاجمة الطيارات المنخفضة وذلك بالمدافع الرشاشة والقنابل الصغيرة التي تطلقها ن البرية وبقيامها أيضاً بالقاء القنابل على المراكز الخطيرة للمواصلات في منطقة مساحتها ٢٥٠ ميلاً من قائد عام لجيش من الجيوش البرية يقتحم القتال الاّ اذا كان تحت امرته طيارات كافية واخرى لاقتفاء آثار عدوه ، وغيرها للمراقبة ، وسواها لقذف القنابل

[1] راجع مقالنا «احدث معجزات الصوت» في مقتطف اكتوبر ١٩٣٤

وقد احدثت المحركات الميكانيكية التي يتولد بخارها من احتراق البنزين ، انقلاباً في حرب
كما احدثتهُ في غيرها ، فاصبح الخبيرون موقنين بان الحرب القادمة سوف تكون حرباً قوامها الس
وعتادها المحركات الميكانيكية . فلن تكون فيالقها وئيدة الحركات بل جيوشاً شديدة السرعة ،
الحركات ، تقلها سيارات سريعة الى ميدان القتال حيث تقوم باطلاق المدافع اطلاقاً عاجلاً مر
ذات محركات ميكانيكية وحينئذٍ يبطل استعمال مركبات النقل التي تجرها الخيل والبغال
الفرسان اذا استخدموا وقتئذٍ — وهذا امر مشكوك فيهِ — فينقلون وخيولهم في سيار
المواقع التي يجب ان يمتطوا فيها جيادهم

واذ ذاك يتيسر للجنود مهاجمة بعضها بعضاً مهاجمة أشد منها في الحروب الغابرة لان الاساحة
اخترعت أو تم تحسينها منذ سنة ١٩١٨ تمكن الوحدات الحربية الضئيلة من اطلاق نيران حاصد
وقد اشتهرت في دولة الولايات المتحدة منذ سنوات بندقية (سبرنجفيلد) بكونها اصلح بندقية حر
في العالم . اما الآن فغدت نسياً منسيًّا لانها تطلق على الهدف ١٥ طلقة في الدقيقة . وهذا لا يح
اطلاقاً سريعاً في الحروب العصرية . ولذلك اخترع الاميركان سلاحاً جديداً لمشاة جيشهم وهو بن
جرند وعيارها ٣٠ /٠ من البوصة وهي نصف اتوماتيكية وتطلق ٦٠ طلقة في الدقيقة .
سلحت سائر الدول جنودها المشاة بمثل هذه البندقية نصف الاوتوماتيكية . وتبذل الدول ا
جهدها في اتمام صنع المدافع الرشاشة الخفيفة التي تبرّد بالهواء لتحل محل المدافع الثقيلة المست
للآن التي تبرد بالماء

وقد تبين ان الخبراء الذين تنبأوا بأن الدبابات سوف تصير بمثابة مدرعات برية رهيبة كا
مخطئين في مزاعمهم خطأً فاحشاً . وكان ثقل الدبابة في الحرب العالمية ٣٥ طنًّا . وكانت سر
لا تزيد على ثلاثة اميال في الساعة . وكانت اطواقها الدوارة تتكسر بسهولة وكان ما يضيع من
الخنادق وتتعطل محركاته اكثر مما كانت تعطله نيران الاعداء . اما الدبابات العصرية فأخف ك
من العتيقة واقوى منها على اطلاقها للنيران وسلاحها افضل من سابقاتها ثم ان استخدام الو
مما يجعل قوتها الحربية ذات شأن عظيم . فاذا استعملت الدبابات عجلاتها في سيرها على الارض
قطعت اربعين ميلاً في الساعة . واذا سارت على اطواقها الدوارة التي يمكن تثبيتها فيها في ن
قليلة ، كان في مكنتها قطع ٢٥ ميلاً في الساعة في الريف . ولا بدَّ من تسيير الدبابات مس
لكي يتاح الانتفاع بها والمعروف انهُ اذا اطلقت الجنود المشاة القنابل التي تزن رطلاً مباشرة
مدفع نصف اوتوماتيكي ، تسنى لها تعطيل اية دبابة من الدبابات المألوفة . وان الرصاص الذي
من المدافع الرشاشة عيار ٥٠ /٠ من البوصة (وهي ايضاً من سلاح المشاة) يخرق درعها . وم
الخبراء يتنبئون بأن الاجهزة الكهربائية التي تعمل أعمال البشر ، سوف يكون لها قسط عظ
الحروب القادمة

[البقية في باب الاخبار العلمية]

السيكلوجية الحديثة

التحليل النفساني -- تقدير عام

يعقوب قام

قد امعنا في نقد نظريات فرويد حتى انهُ قد يتبادر الى ذهن البعض اننا لا نرى عليها مسحة من والصواب ، والواقع بخلاف هذا على خط مستقيم ، لاننا نزعم ان فرويد من اركان السيكلوجية ة ، وان هذا العلم لا يستقيم لانسان مطلقاً قبل ان يدرس الفرويدية دراسة عميقة منظمة ا في المكان اللائق بها بين المذاهب الاخرى

كما ان النظرية المسلكية فتحت امامنا الابواب لتربية اطفالنا ، وبينت لنا الطرق التي نتحكم تصرفات الافراد ، كذلك اعانتنا سيكلوجية فرويد على فهم مشكلات الفرد النفسية ، ونشوء دات في الحياة العقلية ، وكيف نتجنب كل هذا قبل ان يحدث ، ثم كيف نعالجهُ بعد ان يصاب سان

***

نا في مقالاتنا السابقة ان التحليل النفساني بنت في الاصل في ميدان الطب ، اي انهُ ظهر على انهُ بعض الامراض المعينة التي لم تنجع فيها الادوية والعقاقير لانها لم تكن تتصل باعضاء و بوظائف تلك الاعضاء ، وانما هي عقد ومشكلات نفسية انتابت نفس الانسان فافقدته توازنهُ سلوكه مغايراً لسلوك الآخرين ، مغايرة جعلت الناس ينظرون الى ذلك الفرد على انهُ فهم في تفكيره ، لاينظر الى الاشياء كما ينظرون ولا يستجيب لها كما يستجيبون ، بحيث ان نهُ وبينهم لم يكن يعتبر لمزية له بل لنقص فيهِ ، وبحيث ان الناس لا يستريحون الى الجلوس هو يستريح الى الحديث معهم ، هو يظن بهم السوء ، ويحمل تصرفاتهم معهُ على غير محملها ، كة منهم تكون موجهة اليهِ بشكل من الاشكال ، وكل تصرف منهُ لا ينظرون اليهِ على انهُ انسان مالك زمام نفسه يقصد ما يقول ويعنى ما يفعل

ص هذه حاله كان من الصعب فهم اصل الداء فيهِ ، هل نشأ من اختلال في احد اعضاء او من عجز بعض تلك الاعضاء عن القيام بوظيفتهِ خير قيام ؟ هل مسَّهُ جن ، ام ارتجَّ

عليهِ مخه ، وانحرف عقله فصار بعيداً عن ان يفهمهُ الناس وبعيداً عن ان يفهم الناس ؟ وما هذا المرض ؟ هل هو شيء ورائي منطوٍ في خلايا الجسم يظهر عند سن معينة ، او قد نشأ الطعام ، او العمل او الاجهاد ؟ ثم كيف علاجه وما السبيل الى التغلب عليهِ ؟

***

ففضل التحليل النفساني على السيكلوجية الحديثة هو انهُ انار لها الطريق في هذا الموضوع بالذات. فوجهها الى السبب الاصلي في نشوء هذه الحالات النفسية المعقدة ، وكيف ان تعدد الدوافع والمنازع في النفسية الانسانية ، وتسابقها الى السيطرة والتفوق ، وكبتها بعضها لبعض ، واستيلاء بعضها على البعض بالاوضاع الاجتماعية ، وعجز الانسان عن حفظ التوازن بينها مع مراعاته للعقل ولما تتطلبه منهُ الحياة الاجتماعية ، كيف ان جميع هذه العوامل مجتمعة تفقد الانسان توازنه العقلي فيصبح عاجزاً عن وضع كل شيء في موضعه من النظام النفسي ، ويفلت من يده زمام نفسه فتتوزع عواطفه ونوازعه ويمرض وتنتابه تلك الحالات التي قدمنا ذكرها

وبعبارة اخرى استطاع هذا المذهب السيكلوجي ان يفتح امامنا باباً واسعاً للاحتمالات. نعم قد يخطىء هذا المذهب في تشخيص حالة بذاتها ، قد يأخذ بأسباب وفروض بعيدة الاحتمال متعذرة الوقوع لسبب من الاسباب ، قد يزعم ان الاصل في مرض هذا الفرد شيء معين . ويكون هذا ابعد الاشياء عن ان يكون السبب الحقيقي لمرض ذلك الفرد ، ومع ذلك فان الاتجاه العام لهذهِ النظرية في تشخيص الامراض النفسية اتجاه سليم قريب من الصواب القرب كله ان لم يكن هو عين الصواب ، وبعبارة اخرى ان التحليل النفساني كشف لنا عن حقيقة ثابتة وهي ان منشأ العقد النفسية انما يكون من الالتواء في النوازع والاختلاط في المشاعر ، وان حوادث معينة في حياة ذلك الفرد هي السبب الاصلي في هذه المشكلات النفسية

***

لقد كشفت هذه النظرية عن اصل الداء بوجه عام ثم تقدمت بالعلاج الصحيح بوجه عام ايضاً. صحيح انها تزعم ان الاصل في هذه الامراض انما هو المسائل الجنسية وصحيح ايضاً اننا لا نوافقها معها في هذا ، ولكنه صحيح ايضاً انها سعت الى الداء في منبت الداء ، اي انها دخلت الى بيوت مسكونة النفس لتكشف عن علل النفس ، فهي قد اتجهت الاتجاه الصواب وان كانت اخطأت مباشرة في التفصيلات بعض الخطأ لا الخطأ كله

ذلك لاننا مهما حاولنا لا نستطيع ان نقلل من خطر المسائل الجنسية في حياة الانسان الذي يدرعها . وما نغلو نحن في ثورتنا على هذه النظرية فنقع في شر مما وقعت فيه ، اي اننا نذهب من النقيض الى فنتعامى عن خطر هذه المسائل في حياتنا جميعاً ، فالاصل في العقد السيكلوجية مشر العلمية]

جنسية قبل ان تكون شيئاً آخر فلا نستطيع ان نعطي حكماً عامًّا شاملاً ينطبق على
لك المشكلات ، وانما نستطيع ان نبحث كل حالة بحالتها . وقد نرى اثر المشكلات الجنسية في كثير
الات وقد لا نجد لها هذا الأثر في غيرها

ملخص القول في هـذا ان هذه النظرية قد خدمت السيكلوجية الحديثة خدمة جليلة .
ها في الاتجاه العام الذي اتجهته للكشف عن الاسباب والعلل . ثم خدمتها في توكيدها المسائل
ية ، التي كدنا ان نتعامى عن أثرها تمشياً مع الاوضاع الاجتماعية ، الى حد غير معقول

***

لم تقف خدمة هذه النظرية عند حدّ الكشف عن الاسباب المباشرة في المشكلات النفسية وانما
ت ايضاً برأي في علاج هـذه الحالات . علاج أقل ما يقال فيهِ انهُ صواب في اتجاههِ العام ،
كان خاطئاً في بعض الحالات بذاتها . وشأن فرويد في هذه المسألة شأن الطبيب الذي يفحص
ض ، ويشخص المرض ويعطي الدواء . قد يخطىء هذا الطبيب في تشخيص المرض وقد يخطىء
صف الدواء ، ومع هذا كله وبرغم هـذا كله فالنظرية الطبية سليمة في اتجاهها العام ؛ سليمة
سفتها ؟ وان كانت تخطىء في التفصيلات

اذا اختلطت النوازع النفسية في الانسان . فقد توازنه الى حدٍّ معين ، وأصبح عاجزاً عن ان
ـم بزمام هذه النوازع والدوافع ويوجهها الى مصلحة الكائن كله ، وبمعنى آخر يخرج الأمر في
عن ارادته فيتصرف بنفسه تصرف انسان غير مسئول من جهته وعاجز عن توجيه مشاعره
ـاً منظماً مقصوداً يرمي الى غاية معينة . ولا يهم سواء أكان هذا العجز عامًّا ام مقصوراً على
بذاتها من نواحي النفس

هذا الانسان بالطبع مصاب بمرض نفسي ، ووظيفة السيكلوجية ان تكشف عن أصل الداء ،
ره في دائرته ، وتبين موطنه على التحقيق ، وبعد ذلك تتقدم بالعلاج . فالنظرية التحليلية
دية) تزعم ان منشأ الداء او موطنه هو المسائل الجنسية في معظم الحالات ونحن بالطبع
عـ هذا ونزعم ان منشأه قد يكون شيئاً آخر

بينـ ف الفرويدية الدواء على هذا الوضع . من حيث ان الاصل في الداء هو اصطدام الدوافع
لا هو بـ ضاع الاجتماعية ، ولما كان الفرد يسقط أمام هذه التجربة ويستكين ويغلب على
ركة منهـ لا تنشأ من السقوط وانمـا تنشأ من الشعور الحاد بالذنب وبالخطيئة وثبات الانسان
انسان من واستمراره في التشبث بهذا الاحساس — الاحساس بالخطيئة — وأخذه نفسه
خصّ هذ احساسه بأنه هالك لا محالة وان السماء والارض تألبتا عليهِ — هذا الاحساس
، او من عجز الداء وليس الاستجابة للغريزة الجنسية نفسها

جزء ١

وبعبارة اخرى تزعم هذه المدرسة ان الاوضاع الاجتماعية والخلقية والدينية تضغط على ن
الانسان وتقف في وجه هذه النفس فتزحزحها عن موضعها وتحدث خللاً في توازنها وتفقدها ا
والاطمئنان بأنها مثل باقي النفوس الآدمية ، والعلاج في هذه الحالة بالطبع يكون في إرجاع الثقة
النفس وفي تمكينها من استرجاع توازنها والاطمئنان الى انها بخير وانها تستطيع ان تتصرف
شؤونها مثل النفوس الأخرى

***

بغض النظر عن الخلافات في المسائل الجنسية فان التحليل النفساني فتح لنا باب العلاج
مصراعيه ، فأصبح من السهل على كل مدرسة ان تتبع وسائلها في العلاج ، والوسائل جم
متشابهة وهي الوصول بالمريض الى حالة معها يرى الداء كما يراه الطبيب ، يراه على حقيقته من غ
التواء او تشويش في التقدير والحكم . يراه على حقيقته لا كما كان يراه بعين المريض المص
المشوش الفكر الموزع القوى

هذه النظرة في ذاتها نظرة سليمة بغض النظر عن منشأ الداء وهل هو من الغرائز الجنسية او
غيرها . المهم في الأمر ان ينظر المريض الى دوافعه النفسية نظرة سليمة ، عاقلة لا تش
الاضطرابات النفسية ، فاذا كان سبب الداء حادثة معينة تغيب عن عقله ، يحسن به ان يعرف
الحادثة الاحوال المحيطة بها جميعاً ، واثر هذه الحادثة في اضطرابه النفساني

وهنالك خدمة اخرى قدمتها نظرية التحليل النفساني للسيكلوجية في مجموعها وهي انها كشفت
عن السبيل الى تجنب الاضطرابات النفسية اذا ما اهتم المربون بالتطور النفسي في اطفالهم ، فـ
هؤلاء الاطفال من الاختبارات القاسية الشديدة التي تترك اثراً عميقاً في زوايا النفس ، كأن يعر
لها لا قبل لهم باحتماله من الاضطرابات النفسية ، كالخوف الشديد ، او الحزن العميق المكتوم
التعرض للحوادث الجسام التي قلما تمضي دون ان تترك وراءها آثاراً لا تمحى

***

وملخص القول ان النظرية التحليلية قدمت للسيكلوجية ثلاث حقائق مهمة لهذا العلم

(١) كشفت عن العلة في كثير من الامراض النفسية ، ووجهت السيكلوجية الوجهة الصح
في هذا الميدان

(٢) تقدمت بعلاج نافع لبعض تلك الحالات فتقدم العلم خطوات واسعة في هذه الناحية

(٣) اعانتنا الى حد كبير في الكشف عن طرق الوقاية من بعض الامراض النفسية

سير الزمان

اليابان وسياستها الاسيوية
موقف الدول الكبرى وخططها

ايطاليا الجديدة
بين الانهيار والبعث الفاشي

السكابن انتوني ايدن
ممثل بريطانيا في جامعة الامم

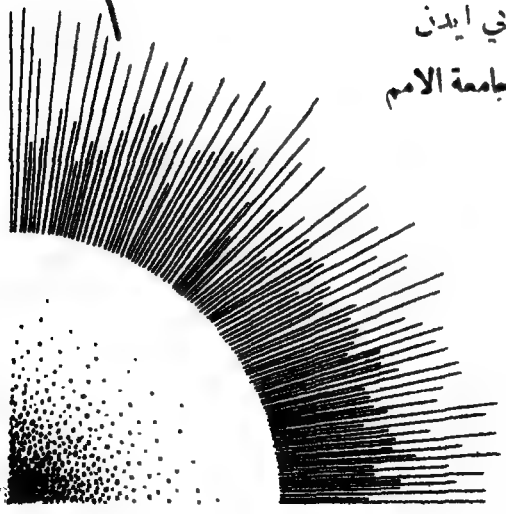

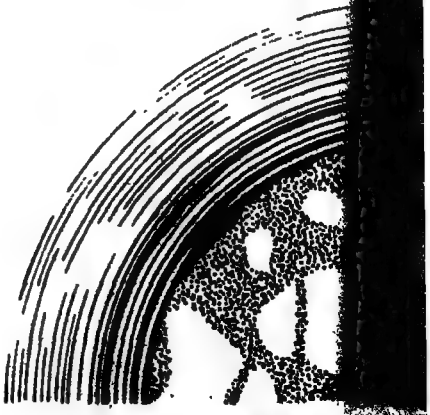

صاحب السعادة امين باشا يحي
احد كبار رجال المال والاعمال و
مصر راجع « صورة قلمية » ص
صدر باب المراسلة

الكابتن كرسويل
صاحب مقالة تأسيس القاهرة في
مقتطفي نوفمبر وديسمبر الماضيين

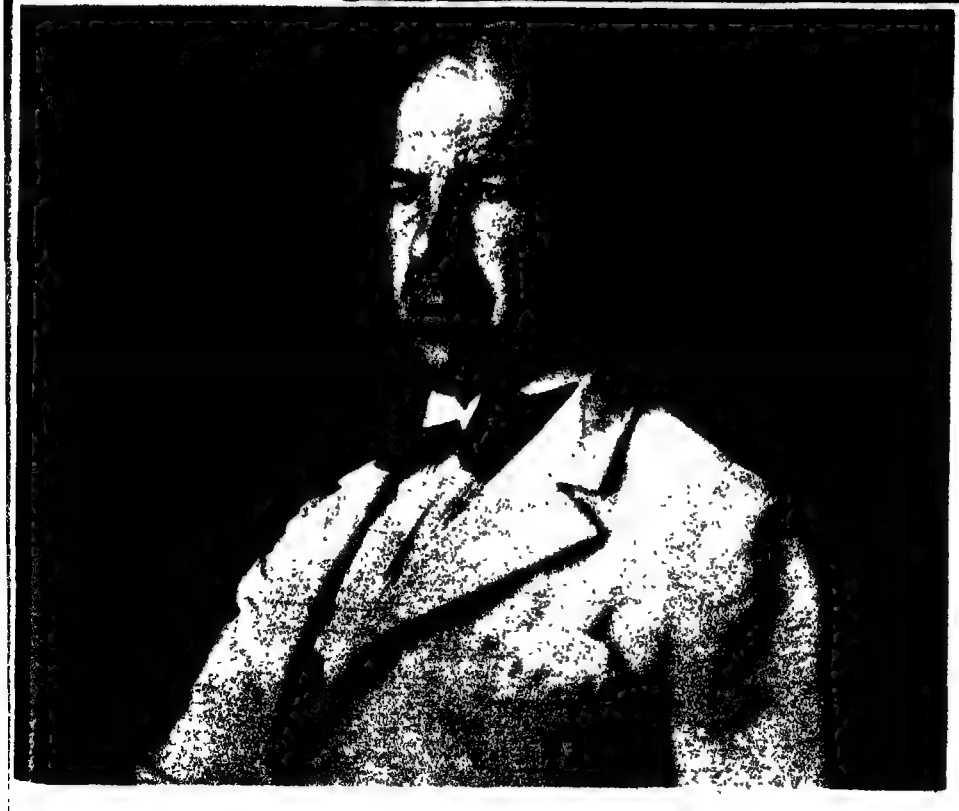

اليابان وسياستها الاسيوية

موقف الدول الكبرى وخططها

أعلنت اليابان خطتها الاسيوية الجديدة بلسان احد ممثلي وزارة الخارجية فيها في ١٧ ابريل سنة ١٩ وتلا ذلك تصريحات في هذا الصدد لممثلي اليابان الرسميين في وشنطن وبرلين وجنيف . هذه التصريحات تنطوي على القواعد الآتية :

أولاً : تعتبر اليابان نفسها الدولة ذات الشأن الاول في المحافظة على السلام في شرق آسيا وبوجه خاص في الصين

ثانياً : لقد انقضى العهد الذي كانت فيهِ الدول او جمعية الامم تستطيع ان تمارس خططها في استغلال الصين

ثالثاً : ان اليابان تنوي ان تقاوم في المستقبل اي عمل في الصين تحسبهُ ينطوي على خطرٍ وتقرير يعود اليها وحدها

وطوكيو تعلّق شأناً خطيراً بالقاعدة الثالثة ولذلك عني سايتو سفير اليابان في وشنطن بتفسيرها قائلاً : «ان اليابان يجب ان تفصل فيما هو خيرٌ للصين» ثم اقترح على اصحاب المصالح الاجنبية الكبيرة في الصين ، «ان يأخذوا رأي اليابان قبل اقدامهم على مشروعات جديدة هناك»

وما كادت هذه التصريحات تذاع حتى اجمع رجال السياسة وكتّابها في مختلف اقطار العالم على انها تصريح خاص بالصين صدر من عهد طويل فدهشوا لما انطوى عليهِ من القواعد الشاملة للعالم الذي افرغ فيهِ

***

وفي ٢٩ ابريل سلّم السفير الاميركي في وشنطن مذكرةً من حكومتهِ في صدد هذه التصريحات لروتا وزير خارجية اليابان . وقد بينت الحكومة الاميركية في مذكرتها ان علاقة الولايات المتحدة الاميركية باليابان ، بل ان علاقة الصين باليابان وبسائر الدول ، خاضعة لمبادئ معترف بها في القانون الدولي ولاتفاقات خاصة تتضمنها معاهدات مبرمة ، وان هذه المعاهدات تنصُّ على طرق تعديلها او الغائها بوسائل اتفقت عليها الدول المتعاقدة . ثم بيّنت المذكرة الاميركية ان الحكومة الاميركية تتوخى في علاقاتها الدولية ان تحترم حقوق البلدان الاخرى ومصالحها المشروعة وتنتظر من كل من حكومات البلدان الاخرى مثل هذا الاحترام لحقوقها ومصالحها المشروعة

وكانت بريطانيا العظمى الدولة الكبيرة الاولى التي طلبت من اليابان تفسيراً لهذه الخطة الجديدة التي تنتهجها . فاستفسر سفير بريطانيا في طوكيو « استفساراً وديّاً » عن مآل هذه الخطة ولفت نظر اليابان الى ان مبدأ « تساوي الحقوق » في الصين مضمونٌ صراحة في معاهدة الدول التسع ،

وان اليابان وقّعت هذه المعاهدة وأبرمتها ، وان حكومة بريطانيا تنتظر ان تبقى متمتعة بجم
الحقوق التي تتمتع بها سائر الدول التي وقعت هذه المعاهدة . وصرّح سفير بريطانيا لوزير خار
اليابان ان الحكومة البريطانية لا تستطيع ان تسلّم بحق اليابان في ان تحكم بأن عملاً معي
— كالمساعدة المالية او المشورة الفنيّة — ينطوي على خطر للصين ووجّه نظر اليابان الى ان المادّ
١١ و ١٧ من معاهدة الدول التسع تفرضان عليها ان تنبه موقعي المعاهدة الى اي عمل فيهِ خطر
سلامة الصين

وقد اقتضى « الاستفسار الودّي » الذي افرغ فيهِ السفير البريطاني ملاحظاتهِ على خطة الي
الجديدة ، جهداً من الوزير الياباني في الرد عليه ، مع ما هو مشهور عنهُ من البراعة السياسية . و
كانت اليابان قد قرّرت ان لا تنشر هذا الردّ فيجب ان نعتمد على الخلاصة التي اوردها ال
جون سيمون وزير خارجية بريطانيا في خطبة القاها في مجلس النواب البريطاني يوم ٣٠ اي
١٩٣٤ . وخلاصة هذا الردّ ان اليابان ايّدت رأي الحكومة البريطانية في حسبانها ان حكو
اليابان لن تعتدي على حقوق الدول الاخرى في الصين ولا تنوي ان تضرب بالعهود التي قضت
في المعاهدات القائمة عرض الحائط ، ثم اكّدت بأنها تنوي ان تحترم معاهدة الدول التسع و
سوف تمضي في تعليق اكبر الشأن بسياسة الباب المفتوح . وكذلك استعملت اليابان تأكي
احترامها لمعاهدة الدول التسع ولسياسة الباب المفتوح ستاراً لتغطية مطالبها الواسعة النطاق
ولكن الحكومة البريطانية اكتفت بتصريحات حكومة اليابان لان حكومة بريطانيا ، على ما قال ال
جون سيمون في البرلمان — لا يسعها ان تقول لدولة صديقة : « اننا لا نصدق ما تقولين »

اما دول البر الاوربي فقد اختلف موقفها في تصريحات اليابان . فايطاليا استفسرت
حكومة اليابان على نحو ما استفسرت حكومة بريطانيا وفازت بالتأكيدات التي فازت بها بريطانيا
المانيا فلم ترَ ان مشكلات الشرق الاقصى تهمها بوجهٍ خاص وان حلّها خاص بالدول ذات الشأن
تلك المنطقة . وأما فرنسا فلم تعن عناية خاصة بموقف اليابان الجديد ، مع اتساع ممتلكاتها في الشر
الاقصى . وأما روسيا فلم تعترض على خطة اليابان ولا طلبت منها تفسيراً لتصريحات رجالها المسؤو
لانهُ سبق لها ان احتجت في مواقف مختلفة احتجاجاً شديد اللهجة فلم يجدِ احتجاجها شيئاً

ولما كانت الصين هي المقصودة بالذات في تصريحات رجال اليابان ، كان موقفها مشوباً بالامتع
الشديد . وقد اصدرت مفوضية الصين في لندن بياناً قالت فيهِ ان الشعب الصيني الذي يعرف م
وما عليهِ كدولة مستقلة ذات سيادة لا يسلّم ببسط سيادة اليابان على الصين وانهُ واثق من ان الد
الاخرى لا يمكن ان تساق سوقاً الى التسليم بهِ

***

فبعد التأكيدات التي نالتها بريطانيا وايطاليا ، تفضل الدول المختلفة ان لا تثير هذه المسألة الآ

الحادثة نفسها كان من شأنها ان ذكرت امم العالم بالاتجاه الملموس في سياسة اليابان الاسيوية أول اثر من آثارهِ تحفيز الامم لتعزيز سلاحها ، وخاصة سلاح الطيران . فتقدمت اليابان سائر في تعزيز سلاح الطيران وتبعتها بريطانيا وفرنسا وايطاليا وروسيا . اما حكومة الولايات ة الاميركية فلم تفه بكلمة بعد احتجاجها الاول . ولكن الرئيس روزفلت لم يلبث حتى طلب لكنغرس ان ينفق جانباً من الاموال المرصدة للاعمال العامة على تعزيز الاسطول الاميركي الرئيس في ذلك انهُ اذا لم نجد وسيلة لمقاومة اليابان الاّ بالحرب،وهي حرب لا يرغب فيها احد، نا الاّ ان ننتظر تطوُّر الحوادث وان نعزّز الاسطول في خلال ذلك

وكذلك نرى ان هذه الحادثة افضت الى تنافس في التسلُّح لا يعلم احد الى اين ينتهي

ويهمُّ العالم بوجه خاص ان يعلم الى اي مدى تستطيع اليابان ان تحقق خطتها الاسيوية وما كون النتائج التي يسفر عنها هذا التحقيق

ولا بد لنا في الردّ على هذين السؤالين من ان ندرك ان اليابان ، بعد مهزلة حنيف ووقوف الامم ضعيفاً ازاء غزوة اليابان للصين في حرب لم تشهر ، اصبحت لا تعنى اية عناية بالتقريع واللوم لامتناع عن اعتراف الدول بدولة منشوكو صنيعتها . فالذي تحتاج اليهِ الدول لقمع اليابان هو العمل لا حجة الكلام . فلننظر الآن في الموضوع نظرة مجردة عن الهوى مقابلين بين العوامل ي اليابان في خطتها والعوامل التي تقاومها

***

ى الثقات ان روسيا السوفيتية هي الدولة التي تستطيع ان تقاوم توسع اليابان على برّ آسيا ية لانها تعرف خطط اليابان في سيبيريا الشرقية وانها قد اعدت معداتها لذلك . فارسال جيش عدده ٥٠ الفاً الى سيبيريا سنة ١٩١٩ ، وتأييد اليابان لسيمينوف في اعتراضه تقدم السوفيت ١٩٢٠ ، واحتلالها نيكولايفسك سنة ١٩٢١ ، حوادث اقنعت ولا ريب زعماء الروسيين بأن ن تقف عند حدود منشوريا وجيهول . فروسيا تعلم ان اليابان بعد ان توطّد قدمها في ا ، وبعد ان تقبض على سكة حديد منشوريا بابتياعها من روسيا او بامتلاكها عنوة ، وبعد ي من انشاء السكك الحديدية العسكرية التي تبنيها هناك ، تصبح في مقام عسكري ممتاز ن محاولة تحقيق احلامها بالامتداد غرباً . وان نظرة واحدة الى الخريطة لتبيّن ان ممتلكات الى الشرق من شيتا تصبح حينئذٍ تحت رحمة اليابان

ن الطبيعي ان تمانع روسيا في التخلّي عن ممتلكاتها الواسعة في الشرق الاقصى لانها غنية والحراج وغير ذلك من مصادر الثروة الطبيعية . ولكنها في الوقت نفسهِ تدرك المخاطر التي لها اذا غامرت في حرب مع دولة عسكرية كبيرة كاليابان . وقد لا تكون حكومة السوفيت ثقة من تمام الوحدة الداخلية في بلادها اذا طال امد الحرب علاوة على موقف الدول الاخرى

نحوها ونحو نظامها الجديد. لذلك يبدو للباحث ان زعماء السوفيت يدركون ان التخلي عن ممتلكا
في سيبيريا الشرقية لا بدَّ ان تكون ذا اثر سيىء في مكانتهم بوجهٍ عام. ولكنهم يدركون كذلك
هزيمتهم في حرب مع اليابان قد يكون باعثاً على انهيار نظام السوفيت. فهم واقفون بين شرين و
بدا منهم حتى الآن انهم يفضلون اختيار اهونهما. ولذلك نراهم يحاولون احتناب الحرب
اليابان بالغاً ثمنهُ ما بلغ. والاَّ فلسنا نستطيع ان نفسر تفسيراً معقولاً ، صبرهم العجيب على حوا
منشوكو وحدودها وسكة حديد الصين الشرقية ، التي قصدت منها اليابان ، في الغالب ، ان ت
روسيا وتحملها على مناجزتها. بل لما استطعنا ان نفسر رضا روسيا ببيع سكة حديد الصين الشر
اللازمة لمصالحها في منشوريا لزوم الرصاص للقلم

والنتيجة التي نخرج بها من هذه الناحية ، ان روسيا لن تقدم على مناجزة اليابان الاَّ اذا ق
بتأييد دولة اخرى من الدول الكبرى. اما ان تفعل ذلك وحدها فليس محتملاً

اما البواعث التي تبعث الولايات المتحدة على مقاومة اليابان فقوية ، لا تفوقها في ذلك الاَّ رو
وقد تتساويان. فاليابان قد اخلَّت بمعاهدة الدول التسع وبعهدة كلوج ، وكلتاهما من المواثيق الدو
التي ابدعها ساسة اميركا. فالاخلال بها بعد ابرامها من جانب اليابان طعنة ادبية قوية. ثم ان للولا
المتحدة الاميركية مصالح عظيمة الشأن في المحيط الهادىء. فشواطئها على المحيط الهادي اطول
شواطئها على المحيط الاطلنطي ولها في المحيط الهادي جزائر هواي وهي من ممتلكاتها وجزائر فل
وهي تحت حمايتها. والاسكا وهي اقرب الى اليابان من ممتلكات اكثر الدول الغربية. نعم ان الولا
المتحدة قد قرَّرت ان تنسحب من جزائر الفيليبين ، ولكن هذا الانسحاب قد لا يتم قبل
سنوات على الاقل ، وفي بضع سنوات قد تقع حوادث كثيرة خطيرة لا يمكن التكهُّن بها الآن
ثم ان اميركا بعد انتزاع جزائر الفيليبين من اسبانيا ، حكمتها حكماً طيباً افاد البلاد فائدة كبيرة فهي
لا يسعها ان تسمح لليابان بالسيطرة عليها بعد خروجها منها. يضاف الى ما تقدم ان تراجعاً
يضعف من هيبتها في الشرق الاقصى ، ويعزز من هيبة اليابان ، حتى لقد تصبح هواي وبعض
اميركا الجنوبية معرضة للخطر. اما شؤون التجارة في بلدان المحيط الهادىء فتهمُّ اميركا بوجه خا
وقد قال الرئيس السابق ثيودور روزفلت من سنوات ان مقام المحيط الهادىء لا بدَّ ان يفوق
المحيط الاطلنطي من هذا القبيل

ولما كانت الولايات المتحدة احدى الدول الكبيرة في المحيط الهادىء فانهُ لا يسعها بوجه
الوجوه ان تسمح بتوسع اليابان المطلق في هـذا المحيط. وما اقترح ساستها سياسة الباب المف
وحتَّموا المحافظة على سلامة الصين ووحدتها ، الاَّ بقصد حماية مصالح اميركا السياسية والتجار
ولما كانت خطة اليابان تهدد هذه المصالح ، فاميركا بحكم الطبع والمصلحة تجد كلَّ م
في سعيها لمقاومتها وإحباطها. ولكن الخطر الذي يهدِّد مصالح اميركا في المحيط الهادىء ، لا

في نظر الجمهور الاميركي ،حتى يسوّغ المخاطر التي تتعرّض لها حكومته في سبيل هذه المقاومة .
ف فالراجح ان الولايات المتحدة ،وهي معنية الآن بتنظيم حياتها الاقتصادية على اسس جديدة ،
ن تترك لغيرها من الدول البدء في مقاومة اليابان او مناجزتها
ما مصالح بريطانيا العظمى في الشرق الاقصى فعظيمة وواسعة النطاق . فاموالها وسفنها
رة على الحياة الاقتصادية في وادي نهر الينغستي وعلى شواطىء الصين ولمصانعها القطنية
رفية ومصنوعاتها الحديدية مكانة ممتازة في السوق الصينية الآخذة في الاتساع . وهذا بصرف
عن هنغ كنغ والهند وسائر ممتلكاتها في جزائر البحار الجنوبية . فهذه المصالح البريطانية
مة في الشرق الاقصى بوجهٍ عام ، او في الصين بوجهٍ خاص ، تهدّدها خطة اليابان الجديدة .
المشهور ان اليابان تستعدُّ لتحلَّ محلَّ بريطانيا في اسواق الشرق الاقصى ، بل ان اتساع تجارة
ن الخارجية يجعل هذا امراً لا ندحة لليابان عنهُ . وقد فازت حتى الآن بمنافسة بريطانيا في نواحٍ
ة في الصين بالرغم عن مقت الصينيين لليابانيين الناشىء عن احتلال اليابان العسكري لمنشوريا .
خفف من وقع هذه المنافسة الآن الأهبة بريطانيا في الشرق الاقصى التي بنتها في خلال
الماضي، وعزّزتها حديثاً بافعال ساستها امثال اوستن تشمبرلين ولورد ولنغدن ولورد لتون.
ضعفت هذه الهيبة — والدلائل تدلُّ على انها آخذة في هذا السبيل — استطاعت اليابان ان تملي
صين ممن يحق لها ان تبتاع ما تحتاج اليهِ . وعندئذٍ يصبح اسم لانكشير في الصين نسياً منسيًّا
ومما يجب ان يحمل بريطانيا على مقاومة خطة اليابان ، ان احترام المعاهدات الدولية بصرف
عن ناحيتهِ الادبية ، لا ندحة لها عنهُ . وهي الدولة التي لها ممتلكات ومصالح في جميع انحاء الارض
ولكن يظهر ان طائفة من البريطانيين لم يدركوا حتى الآن خطر خطة اليابان الجديدة ، او انهم
اقل يرون ان الاخطار التي يتعرضون لها في اوربا اعظم من الخطر الياباني . ولذلك فالمرجح ان
ريطانيا نهج الانتظار لترى ما تفعله روسيا والولايات المتحدة الاميركية في هذا الصدد اولاً
كذلك نرى ان الدول الغربية التي لها مصالح سياسية واقتصادية كبيرة في الشرق الاقصى قد
خطة اليابان الجديدة وترغب رغبة شديدة في صدّها ، ولكنها لم تحرك ساكناً حتى الآن في
سبيل . بل على الضدّ من ذلك نرى بينها تخاذلاً بادياً في موقفها من هذه الخطة ، اذ تميل كلّ امة
القاء العبء على الامة الاخرى . وعلاوة على ذلك كان للحزب الكبرى اثر في نفسية الجماعات
ة ، فهي اجنح الى السلم مما كانت ، وخشيتها من الحرب حملتها على الجري على خطة سلمية في
بعمل اليابان في الصين لئلا تشهر اليابان الحرب عليهم جميعاً ! ومن الغريب ان لا تستطيع الدول
ان تتّفق في موقفها حيال ازمة الشرق الاقصى ، وبوجهٍ خاص ان اليابان بعد حكم جمعية
تهور الرأي العام الدولي من عملها ، كان يتعذّر عليها ان تنال تأييداً في ناحية من النواحي.
باهُ الكتّاب السياسيون ان تعجز الدول الكبرى عن ذلك في المستقبل فتستطيع اليابان

ان تفوز بما تريد . وقد ظهرت اليابان في السنتين الاخيرتين بمظهر أُمّةٍ مقتنعة بان الاقدار تسو
الى البسطة والتوسع الامبراطوري . وكان غلاة الوطنيين والعسكريين فقط يحسّون بقوة
الدافع من وراء الغيب ، وكان يعارضهم رجال المال والاقتصاد من اليابانيين الذين يرغبون
انتظام اليابان عضواً محترماً في مجامع الدول الاوربية . ولكن هؤلاء اصبحوا يرون الآن
مصير مصالحهم مرتبط بمصير الامبراطورية اليابانية وتبسطها ، ولم يبق امام اليابان حائل يحول
وبين تحقيق هذا الحلم الزاهي ، الاّ مصالح الدول الغربية في الشرق الاقصى

وقد كانت الخطوة الأولى التي خطتها اليابان في هـذه السبيل ، احتلالها منشوريا وجيهول
وكان من شأن هذا الاحتلال ان تغلب رأي العسكريين في اليابان حتى اصبح من المتعذر على أية حكو
يابانية الآن ان تفكر في النكوص ذراعاً واحدة ، وحتى ارتدّ الجمهور الياباني عن تقليد الغر
أي الاقتناع بأنهم أسيويون وانهُ أسهل عليهم ان يفوزوا باحترام الغرب من ان يفوزوا بودّه

ومما تحتاج اليهِ اليابان الآن ، هو فترة راحة وسلام تستطيع في خلالها ان ترسخ قدمها
منشوريا وتنظم شؤونها المالية والاقتصادية والعسكرية هناك وتذيع في انحاء العالم رغبتها في الس
وفي ترقية البلاد التي احتلتها وما لرجالها من المآثر فيها . فاذا اتيحت لليابان هذه الفترة — وط
لا يزيد على خمس سنوات ولا يقل عن ثلاث — فنجاحها في نهايتها لا ريب فيهِ

والعقبة الوحيدة التي تعترض سبيل نجاحها الآن هي ضعفها المالي . فالدين القومي قد زاد
فاحشة . ونفقاتها على السلاح كبيرة جدًّا ، ورجال الصناعة والزراعة متبرمون بفداحة العبء الواقع
عواتقهم . ولكن هذه المصاعب ، على فداحتها لا ينتظر ان تثني حكام اليابان عن عزمهم ، بل
تكون على الضدّ من ذلك باعثاً حديداً لهم على الاندفاع في مغامرة جديدة محاولين السيطرة
الصين وما وراءها من البلدان ، سيطرة فعلية ان لم تكن سيطرة شرعية ، آملين ان يجدوا
منفذاً للتبرّم في داخل البلاد ، ومصدر قوة لمواجهة الامم الغربية . ولعلّ عسكريي اليابان يقو
في ذوات نفوسهم ، اذا استطعنا ان نستولي على منشوريا رغماً عن تنديد الدول الكبرى بعملنا وم
حالتنا المالية ، فماذا يمنعنا بعد فترة الراحة والاستجمام من السيطرة على سوق الصين الواسعة ؟

لابدّ للصين ان تقاوم ولكن الصين من دون مساعدة الدول الاخرى لا تستطيع ان تقاوم
مقاومة فعالة . والتاريخ يعلّمنا ان للهيبة اكبر مقام في الشرق الاقصى فتحدّي اليابان للعالم في
سنة ١٩٣٢ وتحديها له في ابريل سنة ١٩٣٤ لابدّ ان يرفعا هيبة اليابان في الصين فتستطيع ان تق
بأن الدول المسيحية دول مرائية لا تعرف غير الكلام ، وان الصين لا اصدقاء لها بينهم ، وان
الخطأ ان تقاوم الصين اليابان التي تستطيع ان تأمر الدول الكبرى بكفّ ايديهم عن الصين فلا يقاو

وفي هذا تتحقق نبوءة قائد ياباني قالها سنة ١٩١٥ : متى ادركت الصين انها لا تستطيع ان
بمساعدة ما ضدّنا هرعت الينا وارتمت في احضاننا

ايطاليا الجديدة

بين الانهيار والبعث الفاشي

◆

نا الى عهد قريب نحسب ايطاليا بلاد مجد قديم واطلال كريمة ومشاهد طبيعية رائعة ، لا دولة ل العالم الكبار . ولكننا نرى فيها اليوم امة متحدة الكلمة فتيّة العزم مسموعة الرأي في الدول حتى لقد وصف احد الكتّاب احوال اوربا السياسية ومكانة موسوليني في حسمها او ها بتكريرِ القول المأثور : « جميع الطرق تفضي الى روما » . ففي الاثنتي عشرة سنة الماضية عالم في ايطاليا بعثاً قوميًّا قد لا يفوقهُ بعث قومي آخر في التاريخ وان ساواهُ في عصرنا بعث تركية على ايدي مصطفى كمال. ولا بدَّ لنا في تلخيص قصة هذا البعث من الارتداد الى سنة ١٩١٤ ت ايطاليا حينئذٍ امة ملكية دستورية ، على رأسها ملك (هو ملكها الحالي فيكتور عمانوئيل) ولها برلمان دمقراطي على مثال البرلمان البريطاني . ولكن وحدة ايطاليا السياسية كانت العهد فلم يكن لها في سنة ١٩١٤ تقاليد يرعاها رجال السياسة او رجال الجيش . وهذا بطبعهِ الى تقديم المصلحة الخاصة على المصلحة العامة ولذلك كانت حياة ايطاليا العامة قبيل الحرب شوبها الفساد والارتكاب

نا نشبت الحرب الكبرى وقعت ايطاليا في مأزق . فقد كانت مرتبطة بالنمسا بمعاهدة ولكن كانوا لا ينوون الانضمام الى النمسا الاّ اذا تبيّن لهم ان كفة النصر راجحة في جانبها . حتى اذا كفة النصر راجحة في جانب النمسا فماذا تجني ايطاليا من ثمار النصر ؟ ان جلّ ما يمكن ان هنهُ النمسا هو مقاطعة الترنتينو . حالة ان دول الحلفاء كانت تمنيها باكثر من ذلك اذا خاضت ي صفوفهم ضد النمسا . وكذلك مضى ساسة ايطاليا يساومون هذا الفريق وذاك مدى ولكن الرأي العام في ايطاليا كان قد اخذ ينقلب ضد النمسا عدوة ايطاليا التاريخية . وفي ة ١٩١٥ طالب احد المحررين في جريدة اشتراكية بان تخوض ايطاليا الحرب ضد النمسا ، ا المحرر من الحزب الاشتراكي ومن ادارة الجريدة فانشأ جريدة دعاها الـ « بوبولو ديطاليا » ي الحال نجاحاً صحفيًّا عظيماً . وقد كان ذلك المحرر يدعى بنيتو موسوليني

خلال هذا كان رجال الدولة قد اتخذوا قراراً حاسماً . ذلك ان وزير الخارجية البريطانية ، اي ، كان قد وعدهم بضم التيرول النمسوية وشواطىء دلماتيا على البحر الادرياتيكي (ما عدا) الى ايطاليا اذا هي خاضت الحرب في صفوف الحلفاء . فقبلت ايطاليا ما عرض عليها عاهدة سرية في لندن في شهر ابريل (وتعرف باسم لندن ١٩١٥) وفي مايو شهرت

الحرب على النمسا . وقد ابلى بعض الايطاليين بلاءً حسناً في الحرب الكبرى واحرز بعضهم شهرة عالمية بشجاعتهم واقدامهم . وفي مقدمة هؤلاء الشاعر دانزيو الذي تعلّم الطيران وانتظم في سلك الطيران وحلّق بطائرته فوق ڤينا والقى عليها بدلاً من القنابل ، نشرات حث فيها النمسويون على طلب الصلح . ولكن الجيش الايطالي حذل في كابورتو في اكتوبر سنة ١٩١٧ فتقدم الجيش النمسوي على اثره زاحفاً نحو البندقية ولكن لم تنقض سنة على ذلك حتى كانت المانيا قد عجزت عن المضي في الحرب فتراجع النمسويون واقتفى الايطاليون اثرهم ثم اشتبكوا معهم في معركة احرزوا فيها نصراً باهراً

فلما اجتمع مؤتمر الصلح في باريس كان ممثل ايطاليا فيه السنيور اورلندو فقال ان هذا النصر الباهر الذي احرزه الايطاليون جدير بالمكافأة وطلب ان يضاف مرفأ فيومي الى المقاطعات التي قطعت لايطاليا في معاهدة لندن سنة ١٩١٥ . ولكن الرئيس ولسن تصدى لهُ . قال : لتضم ايطاليا التيرول والترنتينو وشاطىء دلماتيا حتى مدينة تريستا . اما فيومي فميناء سلافي ويجب ان يمنح ليوغوسلافيا (وكانت تعرف حينئذٍ باسم دولة الصرب والكروات والسلوفين) ولما تعذر الاتفاق استدعي اورلندو من باريس فخرج من مؤتمر الصلح غاضباً

وكان في ايطاليا رجال قد وطّنوا العزم على ان ينالوا بالقوة ما عجزت حكومتهم الضعيفة عن نيله بالمفاوضة . وكان في مقدمة هؤلاء جبرائيل دانزيو الشاعر الجندي . كان شعره الملتهب وافداحه في خلال الحرب ، قد جعلاه الزعيم الطبيعي لجماعة الشبان الايطاليين . ففي سبتمبر سنة ١٩١٩ جمع كلّ طائرة استطاع ان يلقي يديه عليها وطار الى فيومي فطرد منها جيش الحلفاء المحتل وادّعى فيومي مرفأً ايطالياً وحجتهُ في ذلك حجة الشاعر اذ قال : ان فيومي ايطالية بحق المشابهة بين مناظرها الطبيعية فيها ومشاهد الطبيعة في ايطاليا ! وجعل يلقي خطباً نارية على طريقة خطباء الرومان والاغريق القدماء . واعلن ان فيومي دويلة دمقراطية على مثال أثينا ، وجعل يجمع الجماهير كلما امام دارهِ فيطلّ عليهم من الشرفة ويسألهم : ما هي رغباتكم أيها المواطنون . وكان جنوده يحلمون بمجد روما القديم ويحلمون بانشاء مستقبل مجيد على غرار المجد الذاهب . وكان بين انصاره جماعة قد خاضوا غمار الحرب وخرجوا منها أبطالاً تلهبهم النزعة الوطنية فاقدم احدهم — كلر — على القاء قنابل من البنجر على وزارة جيولتي في روما . وكان هناك سفنٌ انفصلت عن الاسطول والتحمت الى دانزيو في فيومي وفي مقدمتها السفينة المعروفة باسم « دانتي » . فظلّت فيومي أشهر في قبضة دانزيو وصحبهِ ، بلاداً خليقة بالابطال . وفي ليلة عيد الميلاد سنة ١٩١٩ ارسل حبر الاسطول الايطالي الى فيومي — وهو يعلم ان الصحف تعطل اربعة أيام — فأخذها عنوةً وفرّ دانزيو واتباعهُ وانتهت على ذلك مغامرتهُ ولكن لما ذاعت الانباء اقفلت ايطاليا مسارحها وارتدت ملابس الحداد

ولكن حكومة جيولتي التي كانت على جانب كاف من القوة لطرد دانزيو من فيومي عجزت عن حفظ النظام في طول البلاد وعرضها . ذلك ان ايطاليا كانت متبرمة بنصر حربي لم يحقق لها

فلا هي فازت بجانب من مستعمرات المانيا ولا بشواطىء دلماتيا بل رأت على الضدّ من ذلك دولة كبيرة تنهض على شواطىء الادرياتيكي الشرقية تعرف باسم يوغوسلافيا. وكانت الامة تنتظر عودة السلام فخاب فألها. فامتدت الحركة الاشتراكية امتداد النار في الهشيم. وفي يناير سنة ١٩٢٠ شمال البريد والتلغراف وسكك الحديد. وفي الصيف بدأت مجالس العمّال (السوفيت) تحتلّ على ان الجماعة الاشتراكية لم تكن الجماعة الوحدة التي تقاوم الحكومة بل نشأت جماعة قليلة افق جيولتي السياسي اولاً كغيمة صغيرة لا تزيد عن مساحة الكف. ذلك ان بنيتو موسوليني انشأ في ميلان حزباً مناوئاً مؤلفاً من ١٥٠ عضواً ودعاهُ «فاشو» والاسمُ مشتقٌ من لفظ لاتيني «فاس» ومعناهُ حزمة العصي حول فأس كان يحملها اتباع الحكام (القناصل في روما) عند سيرهم في شوارع المدينة. فكان هذا الاسم رمزاً بديعاً للنهج الذي ينوي موسوليني ان ينهجهُ. كان موسوليني قد غمار الحرب الكبرى وجرح في احدى معاركها. وكان يدرك الروح الذي حفز الجنود الايطاليين شمال في ميادينها. فقد كان يهمهم انشاء دولة ايطالية جديدة تحتلّ في الحضارة الاوربية مكاناً في الطليعة اكثر مما يهمهم قهر النمسا. وكان يفهم ان شجاعة الافراد واقدامهم، كشجاعة واقدامهِ، يعجزان عن مقاومة حكومة منظّمة. ولذلك كان الامل الوحيد في انشاء ايطاليا معلّقاً باتحاد الوطنيين حول زعيم قوي وهو ما يمثله الاسم الذي اختارهُ — عصي فردة حول فأس

سقطت وزارة جيولتي في ٢٦ يونيو سنة ١٩٢٠ وتلتها وزارة بونومي. فاحتفلت بذكرى الايطالي المجهول في ٤ نوفمبر سنة ١٩٢١ وبعد يومين اي في ٦ نوفمبر سنة ١٩٢١ عقد الفاشيون في روما واصبح الحزب الفاشيُّ حزباً سياسيًّا منظماً. وفي العاشر من الشهر نفسهِ اعلن الشيوعيون والاشتراكيون اضراباً عامًّا احتجاجاً على وجود الفاشيين في روما فتلا ذلك اضطرابات قتل فيها خمسة وجرح بضع مئات. وفي اواخر الشهر افلس بنك الخصم فوجّه اللوم الى الحكومة لعجزها عن منع هذه الكارثة المالية واضطرّ بونومي ان يستقيل في ٢ فبراير سنة ١٩٢٢ وانضم بعض مؤيديه الى المعارضة

ولما استقالت وزارة بونومي تعذر تعيين خلفٍ لهُ حتى يعرف اي حزب او اي فريق يفوز بالفاشيين. وكذلك انقضت نحو ثلاثة اسابيع قبل ان تألفت وزارة برآسة السنيور لوجي فاكتا وهو رجل عرف بالنزاهة والوطنية ولكنهُ لم يشتهر بالحزم في الملمات. وادرك موسوليني ان الحكم اصبح بيده او كاد، فلبث ينتظر تطور الاحوال وهو يُعدُّ معداتهِ لليوم العصيب. وشمل امر الاضرابات التي اعلنها الشيوعيون والاشتراكيون في مختلف النواحي احتدم النزاع بينهم من جهة وبين الفاشيين من جهة اخرى. فلما اعلن حزب العمال في جميع مرافىء ايطاليا في مايو سنة ١٩٢٢ — وكانت الحكومة ميالة الى تأييد مطالب العمال الحمر — وقف لهم الفاشيون

بالمرصاد وفازوا عليهم فاعادوا العمل في المرافىء الى حالته السوية . وفي ٢٥ مايو اعلن اضراب في روما وفي يوليو نشر وزير المالية حساب السنة المالية السابقة فاذا فيه عجز على الخزينة يقدر بـ مليون ليرا وقال الخبراء ان العجز يبلغ ٦٥٠٠ مليون ليرا . فأصيب الرأي العام بذعر عظيم ونجم الاضطرابات وقبض الفاشيُّون على ناصية الحال في مناطق مختلفة ففرقوا جماعات الاشتراكيين والشيوعيين بالقوة . ولكنَّ النواب كانوا في شغل عن كل هذا بالمناورات الحزبية . وفي اكتوبر ١٩٢٢ أعلن اتحاد العمال اضراباً عامًّا في ايطاليا فوقف العمل في معظم المصانع وأضرب عمال السكك الحديد . ولكن الفاشيين أعلنوا تعبئة عامة وتولوا النهوض بالخدمات الضرورية كالمواصلات ونقل الطعام وأذاعوا بياناً وجهوهُ الى العمال حثوهم فيهِ ان يخلعوا عن اكتافهم المشتغلين بالسياسة وانذروا الحكومة بانهم يمنحونها ٤٨ ساعة لتثبت كفاءتها في القبض على الحال فاذا عجزت تولوا هم الامر . قالوا : « وعند انتهاء هذه المدة تكون الفاشية حرة في ان تحل محل الدولة ». ولم تنقضِ خمسة أيام حتى كان الاضراب قد خاب في تحقيق غرضهِ وهو نشر الفوضى في البلاد . واصطدم الفاشيون في خلال ذلك بالشيوعيين في مدن مختلفة اهمها مدينة ميلان واسقطوا مجلسها البلدي الاشتراكي الشيوعي . وكانت وزارة فاكتا قد عجزت عن معالجة الحال فقدم رئيس الوزراء الى الملك فكتور عمانوئيل اعلان الاحكام العرفية ولكن الملك ادرك ان ذلك يفضي الى حرب اهلية لان الفاشيين كانوا قد عبأوا صفوفهم وبدأوا الزحف على روما فرفض وطلب الى موسوليني ان يشترك في الوزارة فأبى فاستقالت وزارة فاكتا ودخل موسوليني على رأس الفاشيين لتقلد أزمة الحكم . وما لبث ان اطلَّ من شرفة دار الرآسة على الجمهور وهو قائلاً : سوف يكون لكم بعد اليوم حكومة لا وزارة . وخاطب الملك مرتدياً قميصهُ الاسود عفواً يا مولاي اذا سعيت اليكم بهذه الملابس ولكني احمل اليكم « ايطاليا المنتصرة » . وكان ذلك في ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٢٢

ولما تولى موسوليني الحكم قبض على ازمتهِ بيد من حديد ، فسار حذراً في البدء اتقاءً لما عليهِ الاحزاب المعارضة قبل ان ترسخ قدمهُ ولكن حذرهُ لم يخل من الجرأة لانهُ في اليوم الذي تقدَّم فيهِ الى مجلس النوَّاب خطب فيهِ قائلاً « اليَّ مرجع الحكم في هل تحتفظون بهذه شهرين او سنتين» . فكان لكلامهِ وقع عظيم في نفوس النواب فأولاهُ المجلس ثقتهُ ، والامة بهذا الانقلاب اذ بدا لها انَّ هنا رجلاً يستطيع ان ينقذها من الشيوعية . فما انقضى وعشرون من الشيوعيون في دسمبر سنة ١٩٢٢ هنأ وكيل وزارة الداخلية المغتالين وعدا عهد على ان موسوليني جسَّم الخطر الشيوعي ليعظم في نظر الامة جهد الفاشيين في انقاذها ولكنهُ لم يكن رجلاً يكتفي بالتنكيل بخصومهِ ، بل كان يرمي الى ان يبعث في جسم الهرم شرارة الحياة والنشاط ونظر بعين بصيرتهِ وخياله الى يوم ينشىء فيهِ ايطاليا الجديدة

يد بين الامم ، ويضفي عليها من اسباب القوة المادية والمعنوية ما يحلّها في مجامع الدول
ق بمجدها القديم وجهدها الحديث . بيد انهُ لم يبغ ان يسلك الى غرضهِ هذا سبيل الثورة
التحوُّل الدستوري . وقد كان لموقف الملك فكتور الثالث لما رفض اعلان الاحكام العرفية
لة موسوليني هذه ، فبقيت ايطاليا مملكة دستورية واحتفظ بمجلس النواب والشيوخ
سبل التحوُّل الى النظام الفاشيُّ في اربعة قوانين اصدرها البرلمان
الاول فشمل قانون الانتخاب وقد صدر في سنة ١٩٢٣ ثم عدل في سنة ١٩٢٨ وبمقتضاه
اليا بأسرها دائرة انتخابية واحدة . فيضع المجلس الفاشي الاعلى قائمة تحتوي على اربعمائة
اسماء تعرض عليهِ . ثم تذاع هذه القائمة وللناخبين ان يقبلوها أو يرفضوها جملة واحدة .
ها الناخبون وهو غير محتمل ، توضع قائمة جديدة وتعرض على الناخبين . وقد ثبت من
ت التي جرت في سنتي ١٩٢٩ و ١٩٣٤ ان ٩٠ في المائة من الناخبين في الانتخاب الاول
م في الانتخاب الثاني وافقوا على القائمة الاولى التي عرضها المجلس الفاشي الاعلى عليهم .
يمكننا ان نقول انهُ ما دام النظام الفاشي قائماً في ايطاليا فالمجلس الفاشيُّ الاعلى يعين بالفعل
لس النواب . ومجلس الشيوخ مؤلف من امراء البيت المالك واعضاء آخرين يعينهم الملك
اة من رجال تخطوا سن الاربعين وامتازوا في ناحية من نواحي الخدمة العامة . وليس ثمة
الشيوخ فتستطيع الحكومة ان تزيد عددهم اذا شاءت ومتى شاءت ولكن الضرورة لم
م الزيادة حتى الآن
لجلس الفاشي الاعلى فمؤلف (اولاً) من اربعة اعضاء يبقون فيهِ مدى الحياة وهم القواد
الاربعة الذين تقدموا الصفوف في الزحف على روما في اكتوبر سنة ١٩٢٢ (ثانياً) من
ون مناصب كبيرة في الدولة مثل بعض الوزراء وسكرتير الحزب الفاشي ورئيس الميليشيا
ؤساء الاتحادات القومية و(ثالثاً) رجال يعينهم رئيس الدولة جزاء لهم على خدمات عظيمة
لة ومدتهم ثلاث سنوات قابلة للتجديد . وليس ثمة حدٌّ لعدد هذه الطائفة من الاعضاء
انون الثاني حدد عمل رئيس الوزارة . فهو مسؤول للملك ولا يمكن ان يحمل على
ا اقترع مجلس النواب عدم الثقة بهِ او بوزارتهِ كما يقع في بريطانيا . بل لا يجوز ان
حٌ ما في المجلس من دون رضائهِ . فاذا رفض المجلس أحد مشروعاته حقَّ لهُ ان يعيد
الى المجلس بعد ثلاثة أشهر وعندئذٍ يقترع عليهِ سرًّا
الثالث منح الوزارة الحقَّ ان تحكم بمراسيم . وهذه المراسيم لها قوة القانون مدة ثلاث
ورها سواء اوافق عليها البرلمان او لم يوافق . اما القانون الرابع فهو القانون الذي
آ لحياة ايطاليا الاقتصادية وانشاء ما يعرف «بالدولة النقابية» او « الدولة المندمجة»
تالي

الكابتن انتوني ايدن

ممثل بريطانيا في جمعية الأمم

	اعقد مجلس جمعية الامم في النصف الاول من شهر دسمبر اجتماعاً خطيراً للنظر في وادي السار واتهام حكومة يوغوسلافيا لحكومة المجر في صدد جريمة مرسيليا التي فيها الملك اسكندر اليوغوسلافي والمسيو بارتو وزير خارجية فرنسا . وكان حوادث ملبداً بغيوم الحرب لان اي اضطراب في السار كان يحتمل ان يفضي الى ارسال فرنسي اليه وهذا ينطوي على خطر . ولان تحزب ايطاليا للمجر وفرنسا ليوغوسلافيا كان يهدد بجفاء العلاقات بين الامتين اللاتينيتين الكبيرتين بعد ما مضت في العهد في سبيل الصفاء والتوثق . فأتيح للكابتن انتوني ايدن ممثل بريطانيا ان يبدو اليوم اذ اعلن ان بريطانيا مستعدة ان تبعث بفرقة من الجيش البريطاني لحفظ الامن في السار فقبلت المانيا وفرنسا هذا الاقتراح ورضيت ايطاليا ان تشارك بريطانيا في تنفيذ اقتراحها . فلما أحرز الكابتن ايدن هذا النصر في مسألة السار استطاع ان يتدخل في المسألة الثانية تدخلاً أفضى الى الاتفاق على صيغة قرار رضيت به الحكومتان اليوغوسلافية والمجرية

قلما يتاح لشاب في هذا العصر، ان يمثل أمة كبيرة، بل امبراطورية مترامية الاطراف، في خطيرة مثل محادثات نزع السلاح أو مفاوضات جمعية الامم . لان رجال السياسة لايكسبون إلاّ بالمرانة الطويلة . والمرانة وليدة الذكاء والاستعداد الفطري من ناحية، واغتنام الفرص مجال العمل من ناحية أخرى . فالذين ينتظمون في السلك الدبلوماسي، قلما يبلغون رتبة وزير أو سفير، إلاّ بعد مرانة طويلة في مختلف عواصم الدنيا، ومع ذلك لا يبلغون المقام الاول الوزراء والسفراء إلاّ اذا بدا منهم ما يدل على استعداد فطري، وحنكة طبيعية، في معالجة الخطيرة، التي لابدّ في معالجتها، من الاتصال بالرجال المحنكين، وخوض معترك الارادات والعزائم التي لاتتقهقر

ولكن الكابتن ايدن، وكيل وزارة الخارجية البريطانية سابقاً، وحامل أختام الملك الذي تعتمد عليه الحكومة البريطانية في ان يمثلها في محادثات نزع السلاح وجمعية الامم ما يزال في السادسة والثلاثين، بيد انه أبدى من الاستعداد الفطري والحنكة في المفاوضات الدبلو ما حمل بعض النقاد على القول بأنه، قد يكون زعيم المحافظين المقبل

***

لاسرة ايدن مقام في حياة بريطانيا العامة يرتد الى بضعة قرون . فأحد رجالها في عصر بت Pitt منح لقب لورد وعين حاكماً للهند . وكان السر وليم ايدن والد الكابتن ايدن

فكتوري . اما ابنه الاكبر فقتل في السنة الاولى من الحرب الكبرى . فورث لقبه ابنه يموئي . اما ابنه الثالث انتوني — موضوع بحثنا اليوم — فانتظم في الجيش البريطاني الثامنة عشرة من عمره وشهد الحرب في الجبهة الغربية ونال وسام صليب فكتوريا . ولكنهُ صغره ميالاً الى الدرس والبحث من جهة . والى الحياة العامة من جهة اخرى . فعني وهو سة ايتون باللغات فاتقن الفرنسية . بيد انهُ ادرك في خلال الحرب انهُ لم يخلق للجندية فلما عاد ستها ، انتظم في جامعة اكسفرد وتوفر على درس اللغات الشرقية ، فبرع فيها ، وعين ي الجمعية الاسيوية الملكية وعرض عليهِ منصب كاتب في وزارة الخارجية فرفضهُ ان يصل الى وزارة الخارجية عن طريق البرلمان . وخاض معركة الانتخابات العامة سنة ١٩٢٢ فيها ، فرحل رحلة الى الشرق الاوسط وكتب كتاباً يصف فيهِ رحلته . بيد أن وستمنستر برلمان) كان يناديه فعاد إلى بلاده وخاض معركة الانتخابات ثانية ، في دائرة ، رشحت لها كونتسة وركشير وهي من اشهر سيدات المجتمع الانكليزي ، فانتزعها منها ، وما يزال حتى ممثلاً لتلك الدائرة في مجلس النواب

***

في المجلس ثلاث سنوات ، قبلما تعلم اساليبه . فلما عرض عليهِ السر اوستن تشمبرلين ان سكرتيره البرلماني سنة ١٩٢٦ ، رحب بهذه الفرصة ، التي ما زال يترقبها ، لتكون سبيله الى وزارة الخارجية البريطانية . فهو لم ينتظم في السلك الدبلوماسي قط ، وما اصابهُ من النجاح ، في وباريس وسائر العواصم ، في مفاوضات دبلوماسية دقيقة ، انما يدل على انهُ دبلوماسي بالفطرة على الكابتن ايدن سكرتيراً برلمانيًّا للسر اوستن تشمبرلين ، حتى سنة ١٩٢٩ ، فلما سقطت المحافظين رجع الى مقعده ، كنائب عادي . ولما أنشئت الحكومة القومية سنة ١٩٣١ رفع درجة سلم الارتقاء السياسي اذ عين وكيلاً برلمانيًّا لوزارة الخارجية ، واصبح بذلك ثاني السر سيمون وزير الخارجية نفسه في تسيير دفة السياسة الخارجية البريطانية . ولا يخفى ان وكيل وزارة البرلماني ، له من العمل في البرلمان ما يرهقهُ . بيد ان الارباب كانت تعطف على الكابتن أن رئيسه السر جون سيمون ، اصيب بضعف في صيف سنة ١٩٣٣ ، اقتضى غيابه عن خذ قسط من الراحة ، فوقع عبء المفاوضات الدقيقة الخاصة بنزع السلاح وجمعية الامم من المشكلات العالمية ، على كتفي هذا الشاب . وكان من الطبيعي ان يتسلم مكدونلد قيادة هو الرجل الذي يحب حضور المؤتمرات الدولية والقاء الخطب فيها . وانما يقال ان وجود ديم وخصمه الحديث المستر هندرسن في رآسة مؤتمر نزع السلاح ، حال دون ذهاب الى جنيف في السنتين الاخيرتين ، فلما عهد الى ايدن في ذلك ، ادهش رجال السياسة حنكين بذكائه وكياسته وحنكته على صغر سنه . لذلك عين في اوائل السنة الماضية (١٩٣٤) في

منصب رسمي ، هو منصب حامل اختام الملك ، على ان يتفرغ لشؤون نزع السلاح ، وجمعية الام
ممثلاً وزارة الخارجية البريطانية فيها جميعاً

***

على الوكيل البرلماني لوزارة الخارجية البريطانية ، ان يجيب عن الاسئلة التي يوجهها الاعضاء
الوزير ، وهو عمل ممل لمن كان من طبع الكابتن ايدن وخلقه . اذ يتحتم عليه ان يجيب في كثير
من الاحيان اجوبة بُلهاً ، كقوله مثلاً : «الجواب عن الشق الاول من سؤال العضو المحترم بالنفي
واذن فلا محل للشق الثاني من السؤال» . بيد انَّ كثرة عمل وزارة الخارجية في جمعية الامم وما يتبعها
من الشؤون ، ومرض السير جون سيمون ، او اعياءه ، مهَّدا له سبيل تمثيل بريطانيا في محادثات
نزع السلاح ، واجتماعات جمعية الامم

واذن ترى ان مكانته في مجلس النواب البريطاني ، قائمة على نجاحه في معالجة ناحية خاصة من
الشؤون الخارجية . فاذا سرت الكلمة في دهاليز مجلس النواب — « ايدن يتكلم » — هرع النواب
الى مقاعدهم فيرون شابًّا طويل القامة نحيف البنية حسن البزة ، عليه في وقفته ونظرته ولهجته
وملبسه ، دلائل الارستقراطية . في خطابته حرارة ، ولكن ليس فيها قوة وعنف ، كلامه رشيق
مصقول ، وصوته هادىء متزن ، لا تتبين فيه أثراً للعجلة التي اصبحت داء هذا العصر . فاذا كان
عنده ما يقوله في موضوع ما ، قاله ببساطة وصراحة ، يخالطهما شيء يسير من المَيل الى
الفصاحة الخطابية

وهو يؤمن بجمعية الامم حتى لقد قال فيه احد كبار الكتاب الانكليز ، المشهورين بالنكتة البارعة والحكمة العالية او السخرية اللاذعة في عبارة واحدة ، « ان ايدن من اولئك الرجال
النوادر الذين يدهشونك لانهم يؤمنون حقيقةً بجمعية الامم» . ولا ينبي عن الدعاية لها في بريطانيا
الفترات التي تتخلل زياراته الى جنيف فاذا نفخ زعماء حزبه في الابواق طالبين زيادة الاسطول
البريطانية في الماء وتحت الماء وفوق اليابسة ، بيَّن ايدن لقومه أن مؤتمر نزع السلاح في جنيف
هو البدل الوحيد من تنافس عام في التسلح لا بد ان يفضي الى نشوب الحرب العالمية من جديد
— ألا تذكر انهُ كان في الثامنة عشرة او في التاسعة عشرة لما انتظم في سلك الجيش وشهد فظائع
الحرب وأهوالها في الجبهة الغربية مدى اربع سنوات ؟ — بل انك تكاد تحسبه قريباً بعض القرب
من آراء الاشتراكيين والعمال . ولكنهُ ينبههم ، اذ يعقدون مجالسهم ، ويقترحون مقترحات مثالية
كمالية لحفظ السلام ، بان جنيف وجمعية الامم ومؤتمر نزع السلاح ، هي السبل العملية الوحيدة التي
تستطيع تحقيق امانيهم . فهذا الشاب الذي تتخلل الفتوَّة والحماسة نظراته السياسية الرزينة اذا قورن
بهرم السر جون سيمون وتحليله المنطقي الخالي من الشعور في غالب الاحيان ، يجعل الكابتن ايدن
مكانة خاصة في مجلس النواب البريطاني بل في ميدان المفاوضات الدبلوماسية الاوربية

مملكة المرأة

انواع الحب

لحنا خباز

قصص الحياة — خاتمة سعيدة

الملاحظة والربط والتعبير

في تعليم الاطفال

لمحمد حسين المخزنجي

الحق أقول لكم ان لم ترجعوا وتصيروا
الاولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات ..
ومن أعثر احد هؤلاء الصغار المؤمنين بي
فانه يعلق في عنقه حجر الرحي ويغرق
لجة البحر (انجيل متى)

انواع الحب

لحنا مبارك

فتاة : لقد غذّيتَ نفسي يا والدي ، بما امليته عليَّ في « ضامنات الحب » . فهل لك ان تنوّر
ي انواع الحب ؟

والد : يا فتاتي العزيزة — الحياة ، وهي اكثر شيوعاً من الحب ، لست ارى لها معنى من دون
الحب هو معنى الحياة . ولكن البلاء هو ان الناس يلوكون كلمة « حب » بألسنتهم ، او
بها اقلامهم ولكن ضياء الحب لم يذرّ على روابي قلوبهم ، فهم يخبطون في ظلام دامس .
يزعمون انهم ينشرون الحب اذا هم يطوونه

: ان قلبي ليرتاح الى ما تنشر . فتفضل ارني جمال ذلك النسيج الالهي

: اني اراكِ تلاطفين كلبكِ فتطعمينه ، وتغسلينه ، وتضمينه ، وتقبلينه . افيجوز ان ادعو
ا ؟

: بلى . ولكن أهذا ما تريد ان تنشر ؟

فاذكري اوّل كل اول حبّنا البهائم ، كالكلاب ، والقطط ، والطيور ، والجياد . ولنحسبْ
اولاً من الحب . ثمَّ اراكِ تعطفين على خادمتكِ « هدية » . وقد قلت انك تحبينها .
لك ؟

بلى اني أحبها . على اني اجد فارقاً بين خادمتي وكلبي . فكلبي ملكي ، وليست خادمتي كذلك
مع ذلك تحبينها . فهل تساوين بينهما ؟ واذا جاعا ، وعندك رغيف واحد من الخبز فقط ،
حين ؟ واذا ماتا فمن يحزنكِ اكثر ؟

لا اشك في اني احرص على الاثنين . واذا ماتا فلا ادري ايهما يحزنني اكثر . على اني اشعر
لكلبي ، لانهُ لي

فهل ترين ان حبك الخادمة نوع آخر من الحب !

نعم . واراه حبّ استحسان

لكِ ايضاً صديقة عزيزة هي « سهير » وهي شخص ثالث يتناول رعايتك . فتسهرين
تسعينَ في مصلحتها ، فحبُّك لها غير حبك للكلب وللخادمة

اني احب صديقتي سهير يا بابا

فهل تساوين بينها وبين الكلب والخادمة ؟ ولماذا لا ؟ وما الفرق بين الاثنين في عقلك وقلبك ؟

ف : صديقتي سهير اقرب الى قلبي ،لانها اقرب الى مستواي . وبيني وبينها تفاهم ليس م
وبين الكلب او الخادمة . وطبيعي ان الحب يلد الحب . فهي تحبني حبًّا جمًّا ، هو غير حب
وحب الخادمة . فارى اني احبها غير حبيهما

و : وكلبك ايضاً يحبك

ف : ان حب الكلب لي غير حب صديقتي، اذ لااختصاص فيهِ . فهو يحبّ ايًّا يكون
اما سهير فتختصني بالحب دون سواي . ولها عندي منزلة عالية لا يبلغها كلب ولا غزال
حبيبتي بصلة التفاهم الروحي ، والمؤانسة ، ورفعة المقام ، ولانها اثمن واوثق من الخادمة وال

و : فحب الصديقة الودود نوع آخر من الحب . ثم ان لك والدة حنون . عرفتها وعاشر
كل مخلوق. وهي الصق بكِ ، واعطف عليكِ ، من كل مخلوق . فما قولك في حبها ؟ ا
غير ما ذكرنا من انواع الحب ؟

ف : والدتي فوق كل شخص آخر . لانها احبتني اولاً . ولان بيني وبينها تضامناً ليس
وبين سواها . وهي مخلصة لي، مضحية في سبيلي باكثر مما يضحي بهِ كل انسان آخر . فانا و
روح واحدة في جسدين

و : فهذا نوع آخر من الحب

وهل يمكنكِ ان تتصوري شخصاً آخر تحبينه وتلاصقينه اكثر من والدتك ؟

ف : اذا حصل ذلك، وهو الى الآن لم يحصل،فهو نوع آخر من الحب .واظن انكِ تعنين

و : اياهُ اعني . فترين ان امامنا على بساط البحث خمسة انواع من الحب ١ً حبك
٢ً الخادمة ٣ً الصديقة ٤ً الوالدة ٥ً الزوج . وهذه الانواع الخمسة متفرعة عن اصل و
حب الذات . فتحبين ما ذكرنا لانك تحبين ذاتك . والمجنون ، وهو لايحب نفسه ، او انهُ
اضبط ، لا يعرف ان يحب نفسه حبًّا صحيحاً ، فهو كذلك لا يحب احداً من الناس

ف : واراك لم تذكر « حب الجمال » الذي لا يبنى على حب الذات غالباً، فانا نحب الجمال

و : واي جمالٍ تعنين ؟ الجمال الجزئي ام الجمال الكلي !

ف : افهمني الفرق بينهما اولاً

و : اعلمي يا عزيزتي ان الجمال نوعان : مجرّد واضافي :

فالاضافي هو الجمال في الجميل . او هو الشخص الجميل . وهذا لايكون الاّ جزئيًّا. كالورد
والحديقة الجميلة . اما المجرد فهو الجمال بالذات ، كالبياض غير مقيّد بالابيض ، او كالمودّة غ
بالودود . وقد اختلف الفلاسفة في أيّ الاثنين هو الموجود ، او هو الاصل في ا
فذهب افلاطون الى ان المجرّد هو الموجود.وان الاضافي هو ظله وظاهرته . وذهب ارسط
الى ان الاضافي هو الموجود . والمجرّد تصوُّر منتزع من متعدّد . وعنده انّا ا

بل نعرف الابيض كالورد الابيض ، والثلج الابيض ، والورق الابيض ، والوجه الابيض ، فة البياض المشتركة بين هذه الاشياء فقلنا — البياض — ولكنَّ البياض في ما ارى هُ لولا الاشياء البيضاء . كذلك رأينا الروض الجميل ، والطاووس الجميل ، والقدّ الجميل ، لميل ، والشعر الجميل ، والصنع الجميل ، فانتزعنا الصفة المشتركة من بين هذه الاشياء ، فقلنا — على ان الجمال لا وجود لهُ ، في عقولنا ، لولا الجميل . فالجمال والبياض وامثالهما من لا وجود لها عند ارسطوطاليس الاَّ في الموصوفات بهما

الاصحّ رأي افلاطون ، او رأي تلميذه ارسطوطاليس ، أعني سواء كان المجرَّد هو ، او الاضافي ، فالمجرد أعم من الاضافي ، والكلي اكبر من الجزئي . هذا الجمال هو غرض وظيفة الذوق العقلي فينا ادراكه اولاً ، واختياره ثانياً . والرغبة فيهِ والميل اليهِ هو الحب هو الفن . وهذا هو التدين . فالجمال خالق الحب ، في شرع افلاطون ، وفي من نحا نحو . واني من اولئك الناحين

تناول الحب جمالاً جزئيًّا — فلاناً او فلانة — فهو ما يدعونهُ العشق والهوى . وهو لحب . وتختاره النفوس الصغيرة المحدودة . واكثر الناس هم من هذا الصنف . ولخوى : اني اريد الجميل : ان أراه : ان اتمتع بهِ : ان امتلكهُ ، وذلك اثرة ، فاحفظي هذه « أثرة » ففيها اعظم اسرار الاجتماع البشري . ان الاثرة هي العامل في اكثر من تسعة كاتنا ، ومصدر اكثر من تسعة اعشار بلايانا

ذا تناول الحب ما هو مجرد لا ما هو اضافي ، فذلك هو الفن والتدين . فالفن يتناول الكلي ن الجزئي يؤلف عملاً فرديًّا فلا يحسب العمل الفردي فنًّا . اما المجرد فانساني ويؤلف الفن والدين . ولخوى حبه : اني اريد ان يمتلكني ، ان يلتهمني ، ان اتلاشى فيهِ : وهذا هو احفظي هذه الكلمة « الايثار » فانها ثاني آثار الآلهة فينا . والاثر الاول هو « الجمال » والايثار » تراث الآلهة في الناس

شكراً يا والدي . اني اود ان اكون كليَّة ، فأحب الجمال اكثر مما احب الجميل . وان اكون « الايثار » لا من عبيد « الاثرة » . ولكن ما ذا ترى في الناس باعتبار الموقفين ؟

لكل انسان وطيء الغبراء اعتباران . اعتبار نظري ، واعتبار عملي . ففي النظري هو سام . أفليس الانسان هو الذي أدرك المجرد العام الكلي ، وآثرهُ على الجزئي الاضافي الخاص ؟ لاعتبار العملي هو غيرهُ . خذي لكِ مثلاً على ذلك داود النبي . فهو قائد ، وملك ، وشاعر ، ن تصفح مزموراته لا يرتاب في عظمة شخصيته ، وجمال نفسه ، وطهارة وجدانه . على التي بين ايدينا ترينا داود عمليًّا غير هذا الذي نراهُ في مزموراتهِ . فقد صعد الى السطح جميلة تستحمّ ، فعلقها ، وافترسها ، ثم سعى لقتل زوجها اوريا واختص بها ذاته . فداود

هذا غير داود الشاب الجميل النفس . هناك نراهُ عالي الكلمة ، بعيد النظر ، نزيه العاطفة ، عا محترماً . وهنا نراهُ قصير النظر ، ضعيف الارادة ، يخون الصديق ، ويأتي فعلة السفهاء

ولا أخالك تطمعين في أن ترى كثيرين من بني حواء افضل من سيدنا داود — بحسب التوراة — قال باسكال : ليس الانسان ملاكاً ، ولا حيواناً ، ولكن الحيوان متملك فيهِ

ويؤول ذلك الى استعار حرب روحية في نفس الانسان ، لانهُ يود التحرر من رق الحيو وفي وصف هذا الجهاد ما ليس في الياذة هوميروس ، ولا في الاوديسا . وقد ألمع الى ذلك الـ ملتن في كتابهِ الفردوس الضائع والفردوس المستردّ . وفي ملتن نرى مواقف النفس امام الجمال انما نرى ذلك في كتاب « الاخلاق » لسبينوزا

ف : حسناً جداً ! واني احب ملتن واشعار ملتن ، لانها تسوق نفسي الى عاطفة عالية ، و عواقب الاستسلام للهوى . وما قولك يا بابا في العشق او الهوى الشائع في الناس !

و : اقول لك الصدق ياعزيزتي اني لا اؤمن بالعشق والهوى ، بل اراهُ مرضاً في النفس على اول اطواره لا يخرج عن النوعين المذكورين . واعلمي يا عزيزتي ان العشق ينشأ عن اصلين ا الاول الوهم . والثاني الامل . فالوهم هو اعتقاد العاشق ان في المحبوب سعادته وهنائهُ . فيلـ دون سائر الناس . وانكِ لترينَ ان ذلك لم يخرج عن « الأثرة » . فاذا كان هنالك امل في الح عليهِ عشقهُ . والاّ فلا . فلا يعشق العامي امبراطورة ولا يجنُّ في ما لا امل لهُ في ادراكه والامل والدا العشق . وهو مولود سخيف غالباً . والجنون هو انصراف العقل نحو موضوع لا يكترث لسواهُ . فهو عبارة عن الايغال في الوهم والامل ، او التطرف والتمادي . على ان ال لو حصل على من جنَّ بهِ لفتر حبه ، وتناسى غرامه . وأرى ان مجنون ليلى ، وامثاله في كل وفي كل جيل ، ليسوا الاّ من امثلة هذه السخافة الاجتماعية . واذا ارتقى الاجتماع الانساني ا هذا النوع من الحب ونسجت على تاريخه العناكب فيخذف من سفر الوجود تسعة اعشار النا ولا يشتري احد شيئاً من الاشعار الغرامية الاّ من باب درس الخرافات والاساطير التي اسـ بالبشرية في العصور الاشد ظلاماً . وأرى ان كل رواية غرامية لا تخرج عن احد امرين . استغلال اموال المشاهدين — في ردهات السينما مثلاً — الثاني ردع الناس عن الغواية والسقو الامران المؤديان الى الدمار

ف : وما قولك في الحب والزواج ؟

و : سأتكلم في هذا الموضوع في الفصل السادس من فصول هذا الكتاب

ف : وما قولك في حبي من يحبني !

و : اشرتِ الى ذلك في حبك «سهير» وفي حبك الوالدة . وسنتكلم عنه في باب « حوافز ا وهو في ما ارى من باب الاخلاق اكثر مما هو من باب الحب

وظائف الذوق فلسفة الفن ، بل فلسفة الفنون وهو حب نزيه سام ، وان مازجهُ الغرض
اس هذا النوع من الحب هو حب الجمال للجمال لا لعلاقة مادية . فهو الحب بمعنى
ودرجاته « المعرفة ، فالتفاهم ، فالميل ، فالائتلاف ، فالمودة ، فالارتياح » . وقد يشتد هذا
مُثُل الفضيلة والاخلاص كحب يوناثان داود . وهو حب ديني . والديانة كالفن من اعمال
عقلي الذي يدرك الجميل ويختاره . وخلاصة التدين انه استسلام القلب للجمال . او
ن » فالتدين هو حب الجميل ، وهو الذي يدعوه افلاطون « الخير » والمثل الاعلى
» وهو تعالى ، في متصور العقلاء اجمعين ، « جامعة المثل العليا » فهو الجميل ، النافع ،
الرفيق ، المحسن . ويرتقي التدين في بعض المتصوفين الى درجة الغرام . ترين ذلك في
ر بن الفارض القائل : —

زدني بفرط الحب فيك تحيرا وارحم حشًى بلظى هواك تسعّرا

ائد ابن الفارض في علم السلوك — حب الله — مثل في الارض كلها

هذا القبيل مزمورات داود . حبيب الجمال . ومناجاة اوغطينوس . وكتابات توما
. وشواعر الغزالي . ومناجاة نخت . واحلام سويدنبرغ . وعواطف محيي الدين بن العربي ،
ابعة العدوية . ونظريات يوناثان اودوردس . واناشيد فم الذهب . وتوسلات انطونيوس
ن . يجمع هذا الصف ارقى طبقات عشاق الجمال الكلي في كل العصور ، وهم الذين
اتهم على أسمى المطالب

***

لاصة ان الحب فرعان نفساني وعذري ففي الاول خمسة انواع حب الاشياء والخدم والصديق
والسند . وكله مبني على حبنا انفسنا

الثاني فرعان نفسي « سيكلوجي » وأدبي « اخلاقي »

ل حب الجميل لانه جميل . او الحب الافلاطوني . والثاني حب المتفضل وهو حب اقتصادي
لا انسى يا عزيزتي ان الفت نظرك الى ان الحب ليس موضوع مقالات صحافية ، بل هو
شعور وحياة . ولا ارى شيئاً في التاريخ اكثر انطلاقاً من الحب . لان الناس يريدون
ه ، فخدمتهم الحب او نداؤهم بالحب ، يشبه تصرف النادبات في المآتم ، فانهنّ يبكين او
استمطاراً للدموع ويأتين بعد ذلك لاستيفاء الاجرة . فايغالهنّ في اوصاف الفقيد وأناتهن
نّ لا تخرج عن انها تمثل لنا غيرة الصحافيين على الحب ولكن في صورة ابسط ، فالحب
وى الناس . واعظم الناس حبًّا اقلهم فيه كلاماً . وهو مجهول الحقيقة عند الاكثرين .
ب علماً بل هو فيض الهي ينشأ في النفس ويغيّر أوضاع الكائنات . وأكتفي الآن بما
أما بقي من شروح الحب لوقت آخر

قصص الحياة — ٣

خاتمة سعيدة

أ في حياة كل امرأة حادثة تفوق سائر الحوادث في حياتها خطراً واثراً في نفسها شرعت احدى المجلات النسائية الانكليزية تنشر قصص الحياة هذه من دون تنميق او خلا تعبير الاسم الصحيح ، مرأينا ان نختار لقراء المقتطف ما نحلو قراءته فائدته ، ففي بعضها فوائد تستطيع نساؤنا ان تقتبسها وفي بعضها مهاو تستطيع ان تجتنبها وفيها على الحالين نوح من حياة المرأة الغربية يحسن بنسائنا الاطلاع عليه

اجمع كل اصدقائي على ان زواجي مقضيّ عليهِ بالخيبة . وجميع الدلائل كانت تدل على ان كان في جانب الصواب . اذ كيف تستطيع فتاة مدللة ان تسعد في كوخ حقير ، حيث يحتم عا تقوم بجميع اعمال البيت وحدها، وان تبذل جهدها كل اسبوع من كل سنةٍ لتوفق بين الدخل والنفقات التي لا ندحة عنها ؟

ولكنهم كانوا على خطإ . بل ان خطأهم كان فاضحاً . وانني لأرثي لهم الآن اذ اتبيَّن مدى بالطبيعة البشرية ، لانهم ظنّوا ان الكنس والغسل والطبخ في بيت الرجل الذي احبُّ ، لا تكون من البواعث على شقائي ونكدي

كان زواجنا غريباً في بابهِ . فقد كنت ابنة ثريٍّ يملك طائفة من المصانع . وكان دونلد عا احد مصانع والدي . بل ان اسرة دونلد كانت قد قضت في خدمة اسرتنا اجيالاً متوالية

التقيت بدونلد في حفلة رقص اقيمت للعمال والموظفين . وكان ابي رجلاً صلب الرأي المراس ، وكان يحتم علينا دائماً ، انا وشقيقاتي ، ان نحضر هذه الحفلات . واذكر انني كنت ه كل الاستياء لتحتيمه عليّ الحضور في تلك الحفلة . ولكن استيائي زال بعد الرقصة الاولى ، تعرفت في خلالها الى دونلد . كان شابًّا مديداً قويًّا يختلف عن كثير من الشبان المدلّلين كنت اجتمع بهم في دائرتنا الاجتماعية الخاصة . فاحسستُ في تلك الدقيقة ، ان دونلد هو الوحيد الذي استطيع ان اقبلهُ زوجاً لي

كان علينا ان نتخطّى حوائل كثيرة اعترضت طريقنا اهمها معارضة اسرتهِ واسرتنا معاً . لقد لقينا معارضة من اسرتهِ بقدر ما لقينا من اسرتي . ذلك ان اسرة دونلد كانت معتزّة باصلها يصعب على افرادها ان يتزوج احد ابنائها من اسرةٍ تنظر اليهِ واليهم نظرة احتقار . وعلاوة على كانوا يعتقدون انني لست الزوجة التي تصلح لهُ . اذ ما هي مؤهلاتي لذلك ؟ هل اعر

وامسح واكنس واكوي ؟ هل استطيع ان احفظ نفقات العائلة ضمن حدود دخلك (وهنا لا بدَّ ان اذكر ان والدي رفض ان يزيد اجور دونلد بعد زواجنا). وما كنت املك سئلتهم هذه الاّ انني احبُّ دونلد وانني مستعدّة ان ابدل جهدي لاكون زوجاً صالحة له ، ي يرتقبها

ت اباهي بانني وُفّقت فيما سعيت اليه . فقضينا السنة الاولى من زواجنا على خير ما يرتجيه ن الهناءة والرغد . فكنت احسُّ بغبطة عظيمة ان عليَّ واجباً اؤدّيه ، بعد ما كنت احسُّ مضى من حياتي بفراغ لا اعرف كيف املؤه . فلما وُلد ابني شعرت بان كأس غبطتي قد حتى كادت تفيض

كن ذلك لم يدم . فكان دونلد اول من بدت عليه امارات القلق . ذلك انهُ كان في بدء زواجنا س الجهد في ان يجري على بعض التقاليد المرعية في الدائرة الاجتماعية التي ترعرعتْ فيها . جلس الى مائدة الطعام الاّ وهو مرتدٍ جاكتتهُ . وكان يعنى بان يعمل بعض ما يبعث السرور او ما حسبهُ هو من بواعث هذا السرور . فأعجبت بمحاولته هذه كلّ الاعجاب . ولكن بعد قف عن كل هذا . ولعلّ اشقّاءهُ ضحكوا منهُ لانهُ حاول ان يقلّد قوماً لم يكن هو منهم رجه ، ولعلّهم لمّحوا له انهُ بدأ يتعالى عليهم لانهُ تزوج ابنة « الرئيس »

ي لادرك ان ذلك النزاع النفسي الذي عاناهُ دونلد في تلك الفترة من حياتنا كان نزاعاً عنيفاً . ممزقاً بين محبته لي واحتقاره الطبيعي لمن يحتقر تقاليد قومه وطبقته . فكان يقول : « ان ما ح لابي يصلح لي » ويجلس الى مائدة الطعام من دون جاكتته او من دون ان يغسل يديه . ومع ان حبي لهُ كان اعظم من ان يدع هذه الصغائر تؤثر في حبنا ، الاّ انهُ كان يرى نظرة الامتعاض وعدم الرضا في عيني عند ما يفعل ذلك فيحسُّ بانهُ قد اخطأ

دها اخذ النزاع بيننا يتجدد كل اسبوع او كل يوم ، مع انهُ كان في الغالب يدور على صغائر لما في الحقيقة

كان ولدنا في الرابعة من العمر بلغت الحال بيننا من الشدة منتهاها

ذلك اليوم حافلاً بالحوادث الصغيرة التي لا تبعث على الطمأنينة والرضا . فلما جلست الى مائدة سبتُ ابننا « پيتر » على سلوكه . فانحاز دونلد الى جانب ابنه وقال لي بلهجة شديدة « دعي الولد على ماذا تريدين ان تنشّئيه ؟ على الدلال ؟ دعيه يأكل طعامهُ كما يشاء . انني لا اقبل ان مجموعة فارة من قواعد السلوك المصطنع كأخوتك »

أت لما قالهُ دونلد أمام ابننا . ولم تكن تلك المرة الاولى التي خاطبني بها بهذه اللهجة قلت في نفسي أي نشأة ينشأ عليها هذا الطفل بين والدين في نزاع دائم . فكظمت حنقي لم استطع ان أتجاهل خوفي على مصير ولدي

وكنت دائماً أقف موقف المدافعة عن نفسي اذ يزورنا أقرباء زوجي ، شاعرة انهم يوجه
اليَّ النقد واللوم فيما بينهم . وكان دونلد يمتنع عن مقابلة اهلي عند مجيئهم لزيارتنا . فكان من
هذا التنابذ الدائم ان أثَّر في اعصابي . فأصبحت استثار لاقل حادث ، ولا استطيع ان املك نف
عن ان استشيط غضباً في وجه ابني

عند ذلك شعرت بأنني لا استطيع ان امضي في الاحتمال ، وانه لا بدَّ لي من ان افترق عن
دونلد ، لان في هذه الفرقة فائدة لي ولهُ على السواءِ ، فعزمت ان اعود الى اهلي ، ولو كانت عو
وقتيةً فقط ، لعلَّ ريحاً تهبُّ فتتغير الحال

***

كان اليوم الذي اتخذتُ فيهِ هـذا القرار من ايام دسمبر القاتمة الباردة . فجمعت بعض امت
الخاصة ، وكتبت كلمة الى دونلد بينت لهُ فيها قراري والباعث عليهِ ، طالبة منهُ المغفرة . ووض
الظرف الذي يحتوي على هذا الكتاب في مكان يستطيع ان يراه فيهِ عند دخوله البيت ، وسم
الي غرفتي لاعدَّ ابني للذهاب معي . واذ كنت في سبيل هذا ، سمعت باب البيت قد فتح و
وكنت اعلم ان احداً لا يملك مفتاحاً للدار غير دونلد . ولكنهُ لم يتعوَّد الرجوع الى البيت في
هذه الساعة . وسمعت خطواتهِ داخلاً الغرفة التي فيها الكتاب . ولبثت انتظر ما يكون منهُ
قراءتهِ . فلم اسمع نأمةً . فدفعني فضولي الى النزول اليهِ . فوجدتهُ جالساً على ذراع كرسي ، ي
الى الفضاءِ نظرة ساهية كئيبة ووجههُ شاحب متعب . فلما سمع وقع اقدامي التفت الي
بصوت لم اكد أعرفهُ

« إذن هذه طريقتك الى الخلاص . اما انا فكنت قد فكرت في طريقة اخرى . . ولكن
لا يهمُّ الآن »

انني احبُّ هذا الرجل . وكل طريقة يفكر فيها للخلاص مما كنا فيهِ تهمني . بل ان كل ما
تحول دون افتراقي عنهُ تفضل طريقتي

فجثوت على ركبتي امامهُ وتوسلت اليهِ ان يقول لي ... ان يحول دون افتراقي عنهُ

وبعد قليل اتضح لي انهُ كان قد قضى الاسابيع الاخيرة يفكر في حالنا ، فتحقق انهُ ينبغ
علينا ان نمضي فيما نحن عليهِ ، وانهُ يستحيل علينا ان نحفظ حبنا من ان تشوبهُ الشوائب اذا
في بلدتنا بين اهلنا ومعارفنا . فاستقال من عمله واتفق مع احدى جمعيات المهاجرة على ان نسافر
كندا واعدَّ جميع المعدات لذلك

الى كندا ! هناك ابدأ حياة جديدة مع دونلد وبيتر . حياة لا بدَّ ان تكون حافلة بالمصا
والمغامرات . ولكن ذلك لا يهمني ما زلت معهما . ونحن مسافرون في صباح الغد

الملاحظة والربط والتعبير

في تعليم الاطفال بطريقة دكرولي

لمحمد حسين المخزنجي
الاستاذ بمعهد التربية بمصر (١)

دروس الملاحظة ﴿ الغرض من دروس الملاحظة هو تعويد الاطفال تدوين مذكراتهم عن كل ما يحيط بهم من الظواهر وتشجيعهم على البحث عن اسباب هذه الظواهر والحقائق هدونها بأنفسهم والتحقق من نتائجها وآثارها . كما ان دروس الملاحظة تعرض امام الطفل الحياة المعقدة ونواحيها المتعددة بشكل عملي ملموس ، كما تقفهُ على التطور فيدرس تطور لانسان والحيوان والنبات

كون دروس الملاحظة « عرضية » عن طريق الحوادث وما يقع تحت حس الطفل اثناء راسي فيلاحظ نمو النباتات في حديقة المدرسة ويترقب ولادة الحيوانات او موتها ، كما التغيرات الجوية اثناء النهار وتعاقب فصول السنة وحركة الشمس والقمر

يس المقصود من الملاحظة ان يشاهد الاطفال هذه الكائنات وهذه الظواهر ويدركونها حسيًّا فقط ، بل ترمي مدرسة دكرولي الى ما هو اجدى من هذا وأنفع وهو تشجيع على التفكير في كل ما يشاهدونهُ ، والبحث بأنفسهم عن اسبابها ونتائجها والتغلب على كل فهم من المشاكل

ك تعمل المدرسة الدكرولية على ان تهيىء للتلاميذ بيئة طبيعية يجدون فيها الظواهر ات الحية والنباتات وكل ما يجب ان يتعرفه الطفل

ساس دروس الملاحظة هو التشويق . فعليه كما يقول دكرولي يتوقف انتباه الاطفال ، وهو الاكبر في النشاط والانتاج الفكري . فمهمة المدرّس هي التأكد من معلومات وتجارب السابقة حتى يتمكن من ان يوجد لهم مواد وموضوعات شائقة طريفة لم يروها من قبل على تشويقهم وجذب انتباههم ، وبعد ان ينجح المدرس في ذلك يشجع التلاميذ على هذه الاشياء بعضها ببعض وملاحظة اوجه الشبه والخلاف بينها والوصول الى النتائج بأنفسهم تسمح بهِ درجة نموهم العقلي ، فيعرض المدرّس امام التلاميذ كميات مختلفة في الحجم وكرات الوانها ويطالبهم بموازنة أطوال الاشياء وحجومها وانواعها بعضها ببعض . والاطفال بمدرسة

(١) من كتاب « طرق التربية الحديثة » . راجع وصفه في باب مكتبة المقتطف

دكرولى يزنون الطيور بانفسهم كل يوم ويلاحظون الفرق في وزنها يوماً بعد يوم كما يقوم الا
ايضاً بقياس الاطوال المختلفة ويستعملون لذلك ما يرون من المقاييس كطول اذرعتهم أو أقد
أو أصابعهم

والغرض الذي ترمي اليهِ المدرسة من مطالبة الاطفال بقياس الاطوال ووزن الاشياء هو تم
وتعويدهم صحة الحكم . أما ما تتضمنهُ هذه من العمليات الحسابية المعقدة كالكسور مثلاً فلا
اليها التلاميذ ولا يعطيها لهم المدرّس الاّ اذا كانوا في مرحلة من النمو تمكنهم من فهمها وادر

ويستعين الاطفال في كل عملياتهم الحسابية بالمحسوسات التي يبدأ بها الطفل تعلّم العد و خ
فتضع المدرسة بين ايدي الاطفال عدداً من حبّات الفول والفواكه والخرز والاقلام وغيرها
الاطفال الحبات الواحدة بجانب الاخرى الى عشر حبات ثم عشراً وعشرين فثلاثين الى المائة
يعدوها بالآحاد . ويستعمل الاطفال في قياس الحجوم وحدات يعرفونها ككوب الماء او رجم
ملعقة وهكذا

واثناء قيام الطفل بهذه العمليات والالعاب يوجه نظره الى ملاحظة خواص الاشياء التي يس
من حيث الصلابة والحرارة واللون والكثافة وما شاكل ذلك . وينشىء الاطفال مخازن يدخرون
ما لديهم من الاشياء ويشترون من زملائهم ما يحتاجون اليهِ واثناء قيامهم بعملية البيع و
يقيسون ويزنون ويتعلمون الحساب

ومن دروس الملاحظة ايضاً ملاحظة الوقت اثناء النهار واستخدام ساعة تعلق في الفص
الغرض ويدرَّب الاطفال على استخدامها ويتعلمون قراءتها ويوزعون بانفسهم اعمالهم على اليوم الم

***

﴿ دروس الربط ﴾ في دروس الربط يشجع الاطفال على تعرف العلاقة بين الحقائق و
التي يشاهدونها وتقع تحت ادراكهم وبين المعلومات والحقائق المودعة في ذاكرتهم وخزانة تج
السابقة . لذلك يعمل المدرسون جهدهم لتوسيع دائرة تجارب الاطفال مستعينين في ذلك با
والقصص والوصف وغير ذلك من الوسائل التي تثير خيالهم وغريزة الاستطلاع فيهم وتشجعهم
البحث والتنقيب عن المعلومات المتعلقة بالارض ومن عليها وما فوقها وما في باطنها وما فيها من
وبحار وغابات وحراج ، فيصل بهِ بحثه الى معرفة العالم وما فيهِ من اناس واقوام يختلفون عن
العادات والتقاليد فيدرس احوالهم وطرق معيشتهم ويتعرَّف كيف يقضون اوقات فراغهم و
بينهم وبين نفسه وبني جنسه وليس الغرض هو مجرد الحصول على مثل هذه المعلومات لذاتها . بل
ان يربطها التلاميذ بعضها ببعض وان يوازنوا بين هذا وذاك ويسترجعوا معلوماتهم وتجا
الماضية ويربطوها ويوازنوا بينها وبين ما يجمعونه من المعلومات المستحدثة والتجارب الجد

الاساسي اذاً من دروس الربط هو مساعدة التلاميذ على استنتاج القواعد والأسس التي السير بمقتضاها والتي ترشدهم وتنيرلهم الطريق في حياتهم كما انها تشعر الاطفال بواجبهم نحو ونحو أبنائهم في المستقبل

م يتعرّفون كيف لاقى آباؤهم الصعوبات وتحملوا المشاق وكيف أعدّوا انفسهم لحياة الأبوة نظرهم فيها من مسئوليات ومتاعب

لك يدرس التلاميذ حياة الانسان الأول وهو في حالة الهمجية . وكيف كان يعمل العدد ت والاسلحة بنفسه فيقدرون بذلك قيمة الاشغال اليدوية ويوازنون بين حالة الانسان وحالته التي هو عليها الآن وما ادخل عليها من اصلاح وما اعتراها من تقدم

نضرب لك مثلاً لذلك:—

س على «الخبز» . أخذ التلاميذ حبات القمح وطحنوها بأنفسهم بين حجرين كبيرين . فقد ان هذه هي الطريقة التي كان يستخدمها الانسان الاول

ر الاطفال بتعب شديد وبعد الجهد حصلوا على الدقيق فأضافوا اليه الماء ثم وضعوه قطعاً بين حجرين ساخنين جدًّا ، وبعد ان انتهوا من خبزه بهذه الطريقة الشاقة اكلوا منهُ ما وكان ولا شك لذيذاً لانه من صنعهم

***

ذا هو خبز الانسان الاول . وهذه هي معلوماتهم وتجاربهم عنه ، ولكن لا بدَّ من الموازنة قة صنع الخبز قديماً وبين ما استحدثهُ الانسان الحاضر من الطرق

قوم التلاميذ بزيارة لاحدى مخابز المدينة الحديثة حيث العدد والآلات الكهربائية فيدهشون م هذه الصناعة وسرعة العملية ويوازنون بينها وبين الطريقة القديمة

ل آخر : في دروس على «المنازل» . بنى الأطفال منزلاً صغيراً بعد ان صنعوا الآجرَّ بأنفسهم وا مواد البناء وعملوها بأنفسهم كذلك . بعد يومين من بناء هذا المنزل الذي استغرقوا فيه يستهان بها قامت زوبعة شديدة فلما حضر التلاميذ الى المدرسة في الصباح وجدوا منزلهم قد صبح هشيماً تذروه الرياح في حين ان مدرستهم لم تتأثر كما لم تتأثر المباني الاخرى المجاورة يوازنون بين طريقة بنائهم وبناء المباني الاخرى بالمدينة

ناك أمثلة كثيرة جدًّا لدروس الربط والموازنة هذه فكثيراً ما يحاول التلاميذ صنع الملاعق ويوازنون بين نتيجة مجهودهم وبين ما تنتجه المصانع الكبرى في المدينة كما يصنعون القبعات وغير ذلك

دروس الربط هذه قيمة تهذيبية كبيرة فهي تقوي روح التعاون بين التلاميذ وتقنعهم

بحاجة الانسان الى اخيه الإنسان وهي كدروس الملاحظة عرضية تأتي عن طريق المصا وليست منظمة

***

﴿ دروس التعبير ﴾ يقسم دكرولي أعمال النشاط بالمدرسة التي تساعد التلاميذ على التع بأنواعه المختلفة الى قسمين :

التعبير الحسي بعمل النماذج والنقش والرسم والتصوير والاشغال اليدوية والتعبير المو بالقراءة والكتابة والانشاء والمناقشة . وفي نظر دكرولي ان الاشغال اليدوية أهم هذه الاعمال وهي تقسم في المدرسة الى عمل مشروعات متصلة بمواد الدراسة المختلفة وعمل أشياء لحديقة المد يحتاج اليها التلاميذ اثناء قيامهم بتربية الحيوانات والطيور وعنايتهم بهـا . وتلاميذ مد دكرولي يأتون في كل صباح ومعهم الكثير من الاشياء التي يهتمون بها . فهم يحضرون م الازهار والاحجار والصور والمجلات وغير ذلك ويترك اليهم أمر تنظيم هذه الاشياء وترتيبه ويرشدهم المدرّس اذا احتاجوا الى الارشاد وينصحهم اذا احتاجوا الى النصح ، حتى يقسمو جمعوه الى ثلاثة اقسام قسم للمملكة الحيوانية ، وقسم للمملكة النباتية ، وثالث للمملكة المعدنية. يضيفون الى كل قسم من هذه الاقسام كل ما يقع تحت ايديهم يوماً بعد يوم

ولا يقتصر عمل التلاميذ على جمع هـذه الأشياء وترتيبها بل هم بعد ذلك يرسمون . ويع النماذج ، ويصورون بعض ما يجمعون . ويخصصون مكاناً بحجرة الدراسة يضعون فيه ما ص بأنفسهم بنظام وترتيب خاص . وتجمع الصور بنظام معين فيعلق التلاميذ ظروفاً كبيرة على حا الحجرة ويكتبون على كل منها ما يحتويه . فظرف للملابس . وآخر للطعام ، وثالث للمسـ ورابع لوسائل النقل ، وخامس للألعاب ، وسادس للنباتات وهـكذا . وبعد ان يوزع المد على التلاميذ صوراً مختلفة يطلب اليهم التمييز بينها ووضع كل منها في الظرف الخاص بها . . اثناء قيامهم بهذا العمل يذهبون ويجيئون بنظام وهدوء وحرية تامة واهتمام كبير

وهذه العملية تشجع التلاميذ على التفكير كما تدربهم على ضبط النفس وتكوّن فيهم الا على النفس وتعودهم احترام حقوق الغير . ويكلف التلاميذ البحث عن المعلومات بأنفسهم الـكتب والمجلات والجرائد والاعلانات والمحال التجارية ومكاتب السياحة وغيرها . وليست د التعبير منفصلة عن دروس الربط بل تتصل بها اتصالاً وثيقاً

ويشجع التلاميذ على جمع الصور والنماذج والأشياء في منازلهم وتنظيمها وتقسيـ يعملون في المدرسة تماماً . ولا بدّ من ان يدوّن التلاميذ بأنفسهم ملاحظاتهم وما يحصلون من المعلومات اثناء دروس المشاهدة والربط والتعبير في كراسة خاصة يوضحونها بالصور والـ والألوان ، ويعنون بها عناية خاصة فهي عبارة عن ملخص للموضوعات التي يدرسونها جميـ

حديقة المقتطف

الشاعر وكتابه

للشاعرة ادنا سانت فنسنت ميلاي

المساء

لالفونس دي لامرتين

الحرية

لتنسون الشاعر الانكليزي

التدرج (Pheasant) وهو طائر ارقش
وهذا الصنف منه يقطن شبه جزيرة ملايا وجزيرتي جاوى وبورنيو

الشاعر وكتابه

للشاعرة إدنا سانت فنسنت ميلاى

نقلها الشاعر علي محمود طه

إلى الوراء ايها الموت

الى وجرك ايها المتلوّن المحتّال

اني استرقُ انفاسي من جذور هذا النبات

أَنشبْ براثنك ما شئت ، واستثر كل ما فيك من قوة،فستجهد كثيراً ، وستضيق بجرك ليالىَ طويلة ، وستطمر كثيراً من العظام قبل ان تسحق عظمةً واحدةً من هيكلي الرقيق

ومتى يدركني الموت ؟

ومتى يحل بي الفناء ؟

اعند ما يشيع الذبول في هذا الجسد ، ويلفُّ نبات الارض هذا الرأس بضفائره الشُّقر ؟ اعند ما يقف العشاق يعجبون مني ويتساءلون عني مَنْ اكون ؟ ... انا ذلك الذي قد تحت اطباق الثرى محتجباً عن ضوء القمر ؟

اهذا فنائي الذاتي ايها الموت ؟ عند ما يقف هذا القلب عن خفقانه فلا يردد شهيقاً ولا يصعد زفيراً ؟

أبهذه النهاية المهينة تلاشي روحي ايها الموت ؟

آه . . عند ما يذوب ثلج الشتاء ، ايها الاصدقاء ، ويساقط ذوبُهُ الرغام والهشيم لا تبكوا عليَّ ، ولا تندبوني يا اصدقائي . .

ليس في شيء من هـذا معنىً من معاني فنائي . . . بل تحققوا موتي الخالد ، في تلك الساعة التي لا يجد كتابي قارئاً له . . . ساعة تتلقفهُ الارض ، ويطويهِ الخمول ويحجبهُ النسيان ! فلا يصمُّهُ صدر ، ولا ترتفع لهُ صيحة معجب بالشيء الذي لم يرو بعد ، هذا الذي تنطوي عليه صحائفه . . .

وعند ما تُرِثُّ كثرة العرض نسخةً من اكداسه ، فلا تجدْ من عـرَضِ الناس شارياً بعد طول انتظار ، ينقدها الثمن البخس ، او يأخذها صفقة غبن . وعند ما تلقى اكواماً مهملةً مركومة في طريقٍ قذر ، تلطخهُ العجلات العابرة بالوحل والدَّنس

ايها المعجب ... قف قليلاً وانظر خلال غبار القرون ، وتناول هذا الكتاب ، ثم قلِّبْ صفحاته المهلهلة بيدٍ رفيقه ، اقرأني ولا تكلني للموت !

تقصَّ هذه الرسائل الذَّابلة ، والمس المناعة في هذا الغلاف المحزن ، تجدني ملء قلبك وسمعك ، فقد كنتُ يوماً ذات هذا الكتاب !

عند ما تحول هذه الشرايين اليافاً في جسم الارض ، فانظر الى هاتين الحجرين الغائرتين ، تحت هذا الحَبِّ النامي المتوفز لعودة الربيع ، وهو يخترقهما بجذوره المنطلقة انطلاق النيازك المنقضة ، واشهد هذه العروق الورديه ، وهي تهوى الى قرارة هـذا الأصيص[1] الاسود ثم تنفتل لتصوِّب صعداً كانما تتنسم المطر !

ايها الصِبْية... ايتها الصبايا ، اذا ، استلقيتم تحت هذا السياج ، واخذتم بأسباب النجوى ، اذكروني ولا تكلوني للفناء ...

ايها الشبان ... ايتها الشابات ، انتم ايها المتخطرون في الغابات محدِّقين إلى مَلْمَع الغار الورديّ ، مستغرقين في البكاء والعتاب ، ارجوني بعهودكم ووعودكم

(١) المقصود جمجمة الشاعر

لا تتركوني للموت ، ايها المزارعون الرائحون تحت الغيم الرقيق ، وتحت الشمس لتلألئة ، واذكروني عند ما تهيئون حصادكم، وتجمعون الحبَّ من ذوائب الشجرات يابسة ، وعند ما يلوّح لفحُ الظهيرة القائظة ثمر الفرصاد[٢] ، فيستحيل جنيّ شهيًّا .

وانتم ايها الرعاة المتطلعون من اعالي التلال ، حيث المروج الخضر وسمانة تحلم بلجلة الاجراس ، مُرنةً في اعماق القطيع الأمعط

وانتم ايها الملاحون ، ايها الصارخون في صخب العاصفة ، ايها الصيادون التأهون ، صقيع الشتاء وفي بُهر الجليد الأشهب
اذكروني ولا تكلوني للموت

ايها الرجال ، يا من تشتهون الرقاد ، ويا من يشترون باليقظة لحظات من المرح ، .ا ما مرَّت اغنية قديمة ، ذات روعة وصفاء ، فاذكروني ، إنها صادرة مني

ايتها النساء المكدودات ، ايتها المتلمسات بعضاً من الراحة ، الى ان يغلي القِدر ، تنزعنَ مني بعضَ السلوى وخذنَ مني مسراتكنَّ وانتنَّ ايتها الباكيات في اعماقهنَّ تى لا يكدّرن بالبكاء نوم الرجال ، امزجنني ببكائكنَّ . .

ايها الاطفال ، ايها السارقون من ضحكات العجائز ، اتركوا عنـد جِذْع منقَّط ندى ، او تحت طنف تزويه الاشجار العارية ، لتتندروا بأحاديث القداسة والحب ، اقاصيص الابطال واللصوص ، واساطير المردَة . اذكروني ولا تكلوني للموت .

ان الشمس التي تضيء في الليل ، والجبال الراسية على هذه الاودية ، تحملني الى نور حيث اشارفكم من هذه النافذة ، واغاديكم منها كهذه الطيور المرفرفة عنيها

وانت ايها اللحّاد !! امضِ في عملك ، واغمرني بوابلٍ من حصبك ، ثم ثنِّ بهذا لعول ، فستنفرط عقود كثير من الازهار ، وسيَصدأ كثير من الاكاليل وصفائر ذهب ، وسأمضي انا في غنائي حيث تطمر هذه الاكوام صلصالاً سافياً في الأرض

(٢) التوت

المساء

لالفونس دى لامرتين

نقلها جورج يقولاوس

المساء مجلبة للهدوء والسكينة ، فكنت آنس بوحشته وافزع اليه في همومي واشجاني ، ملتمساً مقعدي فوق الصخور الجرد ، وانا اتتبع في أرجاء السماء ، مركبة الليل تتقدم ببهائها وجمالها

لقد بزغت آلهة الجمال في الأفق ، وتحت قدميّ الكوكب العاشق يتطلع اليها بشغف وهيام ، وقد لمع ضياؤها البهي في الفضاء ، فبيّض على الغبراء ، بساط العشب الاخضر

وكنت اراعي شجر الزان ذا الورق الاكمد الداكن ، وأسمع حفيفه ، والرعدة التي تتمشى بين اغصانه ، فيخيّل اليّ ، اني محاط بأجداث عدة ، قد رفرفت حولها ارواح الموتى ، وأشباح الدُفَناء .

فانفصل من السماء فجأة ، شعاع من كوكب الدجى . منسلاً على جبيني المغضّن ، حتى مسّ عينيّ بلينه ولُدُونته

ايها الشعاع الزاهي ، لأنت انعكاس فتّان لنور الكرة الملتهبة ، فاذا تبغي من مجيئك اليّ ؟ أأتيت لترفّه عني بعض ما بي ؟ ام لتدخل الى قلبي المهدوم نور نفسي المتلألىء ؟

انزلتَ من عل ، لتكشف لي سرَّ الحياة المخفي ، وتبدي ما استتر من امور ذلك الكوكب ، الذي يعيدك اليه اول خيط من خيوط الفجر ؟ او ان ارادة مضمرة ارسلتك الى صرعى الشقاء ، لتنير دياجير قلوبهم ، كما ينيرها شعاع الامل ؟

او هل اتيت لترفع حجب الخفاء عن المستقبل المكنون ، فتنفس عن القلوب الكليمة التعبة ، التي تبتهل اليه وتضرع ؟ . . انشدك الله ان تخبرني ، ايها الشعاع السماوي ، هل انت فجر اليوم الذي ليس له إنتهاء ؟

ان فؤادي يتأجج تحت اضوائك ، ومشاعري تفيض من جوانب نفسي ، فافكر والاسى يقطع نياط مهجتي ، بالذين رحلوا دون عودة ، فهل انت ايها النور الهادىء رسولهم اليّ ؟ او روحهم السارية اقبلت تعطف عليّ ؟

ما يدريني ، قد تكون ارواح الاموات السعيدة عادت الى الارض ، بعد ما هزّها الشوق الى من خلفتهم فيها ، فتزلق على اديمها متغلغلة بين الادغال ، ومتجلببة بصورها الاصلية ، فيخامرني بقربها مني ، هناء يأسر لبي ويستولى على مشاعري

لئن كنتِ انت ايتها الاشباح المحبوبة ، فعودي كل ليلة ، لتنضمّي اليّ في تأملاتي وأحلامي ، بعيداً عن كل بشر ، وبمعزل عن كل جلبة وضوضاء

ارجعي الطمأنينة والحب الى احضان نفسي المتعبة ، وكوني لها برداً وسلاماً ، تكون للارض ، نقطة الندى الليلية ، التي تسقط بعد حمارّة النهار ، ولواذع نيرانه

هلمي اليّ . . . ولكن ما هذا ؟ . . غبرة داجنة ، وبخار اسود داكن ، يتصاعد من حوافي الافق واطراف الفضاء ، بشكل مرعب مريع ، فيحجب ذلك الشعاع الدرّي الطيف ، ويعاود الظلام الارض والسماء ، ويتلاشى كل مرئيّ في غياهب الحلك ، كما تتلاشى الحياة في مهاوي الزمن

الحرية

لتنسون الشاعر الانكليزي (١٨٠٩ — ١٨٩١)

..

جلسَتْ الحرية في القِدَمْ على الاعالي ، وكان الرعد يلمع عند اقدامها
وكانت السموات المكوكبة ترتجُّ فوق رأسها وفي اذنيها صخب اصطدام التيارات

جلسَتْ هناك مغتبطةً ، قنوعاً بعقلها الكشَّاف . ولكن مقاطع من صوتها
الداوي جاءت محمولةً على اجنحة الرياح

ثم هبطت الى الحقول والمدائن واختلطت بالبشر وازاحت النقاب رويداً رويداً
واشرقت بوجهها الكامل على الناس

يا أُمَّ الاعمال الجليلة الفخمة ، الرانية الينا من مذبحها ،
يا من تحمل كالارباب الشوكة المثلثة ، وتلبس التاج كالملوك

ان عينيك الصريحتين تطلبان الحقيقة . ان فيهما الف سنة من الحكمة
يا ليت الشباب الدائم يحتفظ بنورهما متلألئاً فلا تغشّيهِ الدموع

يا ليت قوامك الحسن يظلُّ منتصباً لامعاً يضيء ايامنا ويخفف قتام احلامنا
ويحقّر بشفتيهِ القديستين اكاذيب المتطرفين !

باب المراسلة والمناظرة

سورة فلمية

أمين يحيى باشا

بقلم نقولا شكري

جحت التجارة اليوم من الاعمال التي لا غناء لها عن تعرف اسرار النفوس ونزعاتها . ونواحي بها . وأساليب اقناعها وارضائها ونحن شعب اولي في كل ما يتعلق بالعمل . ولا يزال يعوزنا العملي الذي نستطيع به ان نكافح القوة التجارية التي يطالعنا بها الاجنبي في الاسواق لاننا لا نستطيع ان نجاريه في بسيكولوجية التجارة ونحن نفقد كذلك قوة الاعلان والمزاحمة رنا ، اذ كنا نقنع منها بالسكون والصمت . والتجارة من الاعمال التي لا بد لها من الصحة ة والصراخ في آذان الجمهور ، واكتساب البقاء في ذاكرته . ونحن نفقد الاثرة التجارية التي لانجليزي لايشتري الا من اليد الانجليزية والمصنوعات الانجليزية وكل ما هو انجليزي ومن ح التاجر الوطني الذي ينجح في وسطنا هذا وزكو متجره رجلاً يحمل ارادة قوية مدهشة . ن اكبر العارفين بعلم النفس ، لانه لم ينهزم في السوق التجارية الممتلئة بجبابرة تجار الغرب ، وعرف كيف يقاوم العوامل الاهلية العديدة التي تعمل على محاربته وهزيمته . ولهذا كانت ، التجارية العملية قليلة لدينا ، وذلك لأنها فقدت التشجيع الاهلي الذي يعينها على ان لبيوتات الافرنجية المتكاثرة العديد بيننا ، ولأن كل عمل صالح في هذا البلد كبير الاثر في نصرية لا يجد شيئاً من عناية الشعب واحتفاله والموآزرة له اذ كنا نعيش عيشة مفككة ، ليس عليها اثر ما من الظواهر الاجتماعية التي نراها في الشعب الحي المتماسك النشيط . ا كان خليقاً بأهل الصحف ان يتوفروا على تشجيع البيوتات التجارية ومعاونتها على عملها ، يح التنافس بين اصحابها ، حتى تكون لنا شخصية تجارية صحيحة . وحتى تحبس الثروة في ايدينا ، ونصبح بعد زمن كما يفخر الانجليز اليوم شعباً من اصحاب الحوانيت

من ازاء هذا قد عوّلنا على ان نقدم الى القراء كلمة موجزة عن بيت من البيوتات العملية الكبيرة ت يحيى باشا والفرد العصامي الاول الذي ترجع اليه شهرة هذا البيت هو المرحوم الحاج ي باشا عميد الاسرة وكبيرها وكانت وفاته سنة ١٩٢٣ وقد قضى شيخاً تجاوز الثمانين قطع لاً وصلاحاً وبرًّا ، والرجل ذو القوة الرهيبة في الاسرة ، هو عامل من عوامل صلاحها تها ونجاحها ، لانهُ يرسل في جوّ البيت انفاس الجلال والنظام والهدوء والصلاح ، ويجعل

جميع افرادها يتبعونهُ في مبادئه واخلاقه وجميع شؤونه والاسرات التي يفسد شبابها ون
ورجالها لا يكون فسادها الاّ عدوى من فساد الرأس الذي يسيطر عليها ، واذا كان ذلك ك
فلا غرو ان يذهب ذلك الشيخ الجليل المار بهِ تاركاً نسختين كاملتين منهُ . وهما نجلاه امي
وعبد الفتاح باشا، وقد قام الاول على اعمال ابيهِ التجارية يزيد فيها ويهذب من امرها ، ويسير فيه
طرائق من حسن المعاملة والاستقامة والشرف . فلم يلبث ان صار في الصفوة البارزة من رجال
والاقتصاد في مصر ، ونهض مثالاً فريداً نادراً على النبوغ القوي الاخاذ ، خليقاً بموضع الـ
بسعة اطلاعهِ ، وغزير مادته

وأمين باشا مثال الشخصية الوقور المحترمة ، والجنتلمانية البادية على اكملها في المظهر والكـ
والتزام المنطق في البحث ، وأدب الجدل والحوار ، ولطف المدخل على النفوس ، بجانب ثقافة تـ
واطلاع واسع وخبرة تلازمه في كل الظروف ، وهو الى هذا كله صريح . طيب القلب ، صافي
رقيق الحاشية ، حرّ السجايا ، ذو افكار جريئة ، وتعبيرات رقيقة يفيض بها كالسيل الدافق ب
مشقة ولا عناء ، سامي المكانة عند رجال المال ، بارز في الندوات الرفيعة ، والمحافل العالية

وقد ولد امين باشا في الاسكندرية ، وقضى طفولته في بيت الجاه والحسب ، ورأى الو
والده ان يأخذ ابنه حظه من علوم الدنيا فألحقه بمدرسة الفرير ، فكانت المعارف الاولى التي ا
ذهن امين الفتى هي تلك المعارف التي يعنى بثها جماعة الفرير باعتبارها عنصر مدنية وحضارة ، فرّ
وعقله كل اقرانهِ فيها وقد كان حقًّا ان تتهادى طفولته في افانين من التربية الصحيحة ، لحر
اثناء دراسته على ان يشبع رغبة نفسه في دراسة آداب اللغة الفرنسية على شيوخها البارزين ؛
بعض بعد ذلك غير قليل من الزمن حتى تفتحت حياته للناس جميعاً ، اذ انتظم في سلك م
البنك المصري فأحرز في الزمن القصير سمعة طيبة ارتفع بها اسمه وطارت شهرته

ثم اضفى عليه النبوغ حلة من نباهة الصيت في مطلع شبابه . فآثر الاعمال الحرة مع الم
والده ، وكان ذلك بداية مجده المادي . واتفق انه زار الماريشال اللورد اللنبي ابان الثورة الم
سنة ١٩١٩ وأخذ يدلل له على وضاحة حقوق المصريين وعدالة مطالبهم ويهيب به الاّ ما عمل
الدماء البريئة . ثم دار الحديث حول النهضة الاقتصادية في مصر فقال له الماريشال انكم معشر الم
لا تحذقون أساليب التجارة ولا غناء لكم عن الاجنبي وقد كانت هذه الكلمة صيحة قوية
اثارت وطنية امين باشا وهزت شعوره القومي فخرج من مجلس اللورد محموماً واخذ يعد
لانشاء الشركات وتحقيق المشروعات المالية والاقتصادية فأسس في تلك السنة شركة التج
المحاصيل المصرية. وفي سنة ١٩٢٤ اسس شركة المكابس وفي سنة ١٩٢٥ اسس شركة السيكور
سنة ١٩٢٩ اسس شركة الملاحة وهي اول شركة وطنية للملاحة انشئت في مصر والى امين باشا
فضل التقدم والابتكار في انشاء هذه الشركات المالية الكبرى على حد قول الشاعر : —

. . . ولكن بكت قبلي فهيج بي البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم

يصعب على من يتأمل شخصية امين يحيى باشا ان ينجو من تأثيرات العمق والرزانة التي د رمزاً لها. وهو بطبيعة العمل الذي ينهض به يتمثل فيه التدبير وصدق النظر. ورغم انه قد نتين فلم يفارقهُ نشاط الشباب بل ان الانسان لا يستطيع ان يستخلص من اعماله غير دلائل لحزم والميل الى الانشاء فان المهمة التي أداها حتى الآن في مضمار الحياة الاقتصادية تدل على العظيمة التي اوتيها في سبيل تحقيق المشروعات الحيوية

ا اردنا ان نتكلم عن هذه المهمة فلا بدَّ لنا ان ندرك بادىء ذي بدء المصاعب التي تعترض ين اولئك الرجال الذين يعملون للنهضة التجارية وهو كما نعلم سبيل شاق يحتاج دائماً الى دبير وقوة على المغالبة . وقد تمثلت هذه المزايا كلها في شخصيته وفي هذه الدائرة سيظل اسم قدوة للنشء الذي يتحتم عليه ان يسير في الحركة الاقتصادية الى الامام فاننا بمقدار ما نخبر التي تكون عادة في الطريق المحفوفة بالمنافسة والعراك ونعني بها طريق التجارة والاقتصاد ان ندرك القوى العظيمة التي اختصَّ بها رجل عصامي استطاع في وقت وجيز ان يحقق عدة وعات لخير هذه البلاد ونهضتها ويضع في الوقت نفسه قواعد الاشتراك في العمل للمستقبل ده تلك القنطرة العظيمة التي ستمر عليها الذريات المصرية الى الشاطىء الجديد لمصر الناهضة ي ان مجرد التفكير في ان مصر بلد زراعي قبل كل شيء وان استعداداته التجارية لا تزال وان الاجانب ما زالوا يحيطون حياة التجارة والمال بسياج من المنافسة العميقة التي تحميها ت يوحي الينا بمقدرة امين باشا وذكائه وخبرته وما أوتي من قوة على مغالبة العوائق وان ور الذي تقتضيه الظروف لاحياء الاقتصاد الاهلي وان ينحو على المثل الاوربية في انشاء ت التي تستحث النشاط العملي في المدينة وتبعث في الوقت نفسه اجاداً مندثرة وبالاختصار ن يرسم طريقاً للعمل في تشييد مستقبل جليل للاسكندرية . فهو صاحب الفضل في تأليف سكندري سنة ١٩٢٧ وهو الاتحاد الذي يجمع النخبة المستنيرة من رجال المال والاعمال حياة هذا الوطن التاريخي وانهاضه وان يبلغ من الترقي درجة يتفوق بها على سائر حواضر بيض المتوسط . وقد كانت كفاية امين يحيى باشا لهذه المهمة العظيمة . ومقدرته على تحقيق يخلد اسمه وكان موفقاً الى احراز ثقة الذين استطاعوا ان يدركوا هـذه الحركة النشطة كاء الفذ وكانوا وما زالوا أغلبية كبيرة تثق بعواقب هذه الحركة في مستقبل مصر القريب اد اهتمام امين باشا بكل فرصة لمنافسة الغربيين ومباراتهم في اقتباس المثل والوسائل التي مدى الترقي وتكمل اسباب النهضة واننا نستخلص الدليل على ذلك من تصريحات ادلى ا الى مراسل المقطم في باريس عن الغرض من رحلته الاخيرة الى اوربا ويستدل منها على دراء الذي يصدر من رجل الف الاعمال نحو النظريات والاساليب الناقصة وكيف ان

الاشتغال في الدائرة المادية لا يعرقل العمل المبني على العلم والاطلاع وان الذكاء لا يزال الق
الرئيسية في بناء الاعمال العظيمة . ونحن اذا واجهنا مشروعات امين يحيى باشا وطريقة اق
للاساليب المستحدثة في التجارة والانشاء نطلع على علم واسع ودراية وخبرة مدهشتين . وحي
طبيعة العمل للترقي والعمران لا تخلو من خفاف والها تحتاج الى مرانة طويلة ومماضلة ومقدر
على التحقيق وان توفر ذلك من الحظوظ التي لابد ان تتفق للرجل الطموح الذي يعمل للغايات الا
النبيلة . وفي الحقيقة ان نجاح امين باشا في هذه المهمة الحيوية ونتائج علاقاته الواسعة بالاوربيي
عادت على البلاد بخير كثير وبالاحرى من الناحية الانسانية . وحسبنا ان نذكر مشروع مستشفى الم
الذي لا يزال يحتاج الى كثير من تضامن المصريين وجهود رجال ذوي ثقة كبيرة ومناقب عظ
ولاشك ان هذه الجهود التي لا يزال المصريون يجنون ثمارها جديرة بالتأمل وان تظل قدوة
الحاضر وسفراً يحوي كثيراً من مبادىء الاصلاح والعمران. هذا الى العمل الخالد الذي نعد
عنصر في حياة امين يحيى باشا وهو رآسته للغرفة التجارية المصرية ومساعيه في سبيل توسيع
وازدهارها وقديماً كانت الاسكندرية مركزاً يجمع شتى العلاقات الخاصة بالتجارة والملاحة وبه
ان ثمة سعياً قوياً مستمداً من تاريخها يدل عليه عمل الغرفة وتوفيقها اخيراً لمضاعفة نشاطها في
النهضة . ولاشك ان اشتراك امين باشا كرجل خبير المسائل التجارية طويلاً يكفل ترقي الغرض
انشئت من اجله الغرفة ويرقي الناحية الاقتصادية ويوسع في الوقت نفسه العلاقات ووجوه التعامل بين

هذه الصفحة الخالدة من التاريخ الحديث لمصر تنسب كلها الى مجهودات زعماء الحركة الاقت
التي يعد من أئمتها امين يحيى باشا . ولا شك في ان مظاهر التقدم الاقتصادي التي تحيي بها م
البلاد اليوم مدينة في الكثير الى ذلك الاسم ويعظم تقديرنا لمهمة امين باشا عند ذكر الشركات
أسسها وعلاقتها بحياة مصر المستقبلة من الناحية المادية فان انشاء هذه المؤسسات وحده يمثل
من احدث نظم الحياة المادية في الغرب المتمدين وكان سعادته قد اخذ على عاتقه ان يخلي مصر من
عبء عظيم فاستطاع ان ينهض بتحقيقه لكي لا يعاب على الجيل الحاضر نقص النظام الاجتم
وفي الحق انهُ برهن على ذكاء وجرأة واطلاع واسع في سدّ الحاجات التي لا بدّ منها لترقي اي
وسيبقى اسمه مقترناً بنتائج المهمة التي تؤديها هذه الشركات لمصر . وسيذكر تاريخ مصر الحديث
احد ابنائها العاملين بعد ان وصل الى القمة في الدائرة التجارية وكان في الوقت نفسه مشار
كثير من المقتبسات المستحدثة لبعث تاريخها اسس لتوسيع نظامها الاجتماعي وتكميل اسباب
المادية عدة شركات تجارية كبرى. ولا شك في ان الاساليب المستحدثة التي اتبعها امين باشا في
نظام العمل في مصر تكفل وحدها تخليد ذكره

على ان من يلاحظ ما خلفه العصر القديم من آثار الخمول وعدم الاطمئنان للمستقبل في
الشعب المصري يدرك مقدار الجرأة التي ابداها سعادته في سلوك هذا السبيل وكيف غامر وظ

نافسيهِ ولم يبال بأقوال الذين كانوا يحسدون فيهِ الرجل التجاري العظيم الخبرة الواسع الاطلاع
بالاختصار نقول ان حياة امين باشا يحيى ستظل عنصراً هامًّا من عناصر تاريخ مصر الحديث
هناك ناحية اخرى ليست مجهولة في حياة امين باشا وهي تلك الناحية المتعلقة بالحقبة التي
دافع فيها عن مصالح الاهلين في القومسيون البلدي وكيف انهُ بقي محتفظاً بثقة تامة فيما يختص
وصدق النظر وانهُ عمدة في الرأي وان ثمة حاجة دائمة الى استفتائهِ في كثير من المسائل .
ني ذلك الى ما بعد تخليهِ عن عضوية القومسيون وإنا لا ننسى موقفهُ في الخلاف الذي
البلدية وشركة النور بشأن ثمن الاضاءة وتدخله المحمود في مقاومة جشع الشركة وكيف استطاع
ل قرار القومسيون وقتئذٍ بلا جدوى بعد ان تبين انهُ على نقيض مصلحة المدينة وان ينال بما
النفوذ والثقة بتأييد الوزارة وترجيح مصلحة الاهلين
هكذا يحتفظ لهذا الرجل الفذ الى الآن بميزة تدل على خبرته الواسعة وقوة نفسه في الرجوع
لباً عند الفصل في المسائل الهامة المتعلقة بالمدينة
نحن نستطيع ان نستخلص من كل هذه المجهودات الحيوية وطنية حارة واخلاصاً عمليًّا منتجاً
فقد كان امين باشا ولا يزال حافظاً لهذه الميزة دون ان يحيطها باعلان عن نفسه مطلقاً وهو
يعمل لاسمى غاية والى غرض هو اشد ما تحتاج اليهِ مصر في حاضرها ومستقبلها . ونرى
ه الشخصية التي اقتحمت الحياة المادية بجرأة ولم تبال بالمصاعب ستظل موضوع اعجابنا
فنا بالجميل

إرشاد لغوى

فى كل جزء كلمة

للاستاذ عبد الرحيم بن محمود

الوصفة

القرّاء فى مقتطف ديسمبر سنة ١٩٣٤ على أن القديمة هى أجرة الطبيب فعلينا ان
ة طبية ونميت ڤزت الانكليزية (visit) وڤزيت (visite) الفرنسية
هذا الجزء أرشد العرب والمستعربين إلى إحلال (الوصفة) محل رشته التى تداولتها
ل العامة بألسنتهم ويراعهم وهم يعلمون أعجميتها
يط المحيط «وصف الطبيب للمريض وصفة بيّن له ما يتعالج به والاسم — الوصفة — »
ى من مقامته العمانية : فإنك ستجد منى عرافاً كافياً ووصافاً شافياً — أى طبيباً ماهراً

ومصادر الهيئة (النوع) من الأفعال الثلاثية مقيسة فلا اعتراض علىّ فيما قلت وا
لتطمئن قلوبكم أيها القراء عرضت عليكم ما فى محيط المحيط — وقد فشت الوصفة فى كتب
عند المتقدمين من المستعربين فى « تذكرة داود » وكتاب الرحمة فى الطب والحكمة وفى غيره
والعامة يفتحون الواو فيقولون الوَصفة وهم يريدون الهيئة وهو خطأ منهم فإن أرادو
فلا أراهم مخطئين وليس هذا مقامها

ولمستدرك أن يستدرك قائلاً إن تخصيص الوصْفة بالدواء الذى يصفه الطبيب فيه
حرّية معناها فالوصفة تبيّن كيف يُصنع الطعام والشراب والدواء وكل شىء لإبانة ما
فأدفع استدراكه بأنه لا مانع من تخصيص العام إذا اتفقنا عليه كما فعلت العرب فى هذا و
وما صاحب محيط المحيط بمفتر عليهم الكذب لمّا روى فى مادة وصف ما روى ونقلته عنه وم
الاتفاق اتفاق الافرنج والعرب على تخصيص العام فى هذا المقام فالفعل اللاتينى recipere
يتسلّم ويأخذ أى شىء ومنه رِشْبِتَا recepta وقد اخذ الفرنسيون منه رِستّ recette والا
ricetta ريتشيته[1] فاستعملوها فى الوِصْفة للدواء سواء أكان مركباً ام غير مركب على ان ا
الغاية فى العموم مع البعد !! والوصف وما أخذ منه كالوصفة عام فتخصيصه بوصف الدواء وإبا
التى يتركب منها إن كان مركباً ليس فى الاصل اللاتنى فإذا ساغ لكل من الامتين الايطالية و
الاخذ من اللغة اللاتينية لفظاً تارة بمعنى التسلّم اى الاخذ وطوراً بمعنى وصف الدواء ف
لنا نحن المستعربين ان نخصص الوِصْفة ببيان ما يتعالج به المريض كما قال المؤلف لمحيط المحـ

وقد وهم من قال « الوِصفية » هى الورقة التى يكتب فيها الدواء فاننا فى غنية عن ه
لان الوصفة علم جنس على هذه الورقة التي يكتب فيها الدواء بعد تشخيص هذا المرض لا
فى الدلالة مكاتبة مقام اللسان محادثة . وقول صاحب محيط المحيط (الوصفية حال الوصف
شأن الوصف . على ان الورقة حاملة للوِصْفة قولاً والاوعية حاملة للوصفة عملاً والثانى
عن الاولى وقد يطلق السبب ويراد المسبب كما يطلق الملزوم ويراد اللازم وكذلك العكس با
كلّ — وهذه من سبل المجاز المرسل وهو من المجاز اللغوى . وإنى أرى اللفظ العامى رِشِـ
إلى الكلمة الايطالية منهُ إلى الفرنسية وقد تقدمتا — ولا يخفى عليك أن الاشتقاق من
فى هذا المقام قد انتقل من طور إلى طور حتى بلغ هذا الغور في تينك اللغتين[2]

---

(١) ويقال ان ricetta مأخوذة من recipe وتنطق بها ريتشيبّه أي الاخذ ايضاً وفعله ريتشيرى
وهذان المصدران صحيحان في اللغة اللاتينية لانها تختلف اللهجات فلا غرو اذا اختلفت فيها الكلمات وان لم

(٢) توجيه : زاغ البصر فى مقالى السابق بمقتطف ديسمبر سنة ٣٤ عن تحرير الكلمة (تلك) من المثال الم
تلك اللغتين العربية واللاتينية) والصواب في تينك الخ لان الاشارة الى اللغتين والخطاب للواحد المذكر
التاسع عشر من الصفحة ٥١٠

بشام لغوى

« قدمية » فى العامية ايضا

لاديب عباسى

ت مغتبطاً في المقتطف الاغر ما اعتزم عليهِ الاستاذ الفاضل عبد الرحيم بن محمود من مطالعة تطف عند آخر كل شهر بكلمة يحقّق فيها لفظاً لغويًّا مفيداً فيفيد الجاهلُ علم ما لم يعلم الغافل الى ما أهمل . وكانت كلمة الشهر الثالث في لفظة «قدمية» التي استعملها اطباء العرب لمثل ما تستعمل له كلمة « ڤزيت » الافرنجية هذا اليوم ، ولكن اطباء العصر الحاضر اهملوا ، او على الاصح . لم يهتدوا اليها ليستعملوها ، فاضطروا مرغمين الى استعمال « ڤزيت » للدلالة على الاجور التي يتقاضاها الطبيب مقابل سعيه الى المريض في بيته او في محل عيادته ت الكلمة وشعرت ، وأنا اقرؤها ، كأن هذا اللفظ الذي انتشله الاستاذ من هوة النسيان ريب عن ذاكرتي ولا بالطاريء على وعيي . بل لقد تجاوب في نفسي الالفة والحلو المطلق بة . فرحت اكد الذهن واداور الخاطر ، وسؤ لٌ على شفتي : متى وأين ؟ وأخيراً فطنت لامر اقرب مما توهمت وذكرت انه من الالفاظ الشائعة على ألسنة العامة في سوريا الجنوبية د شيوعه في بقية انحاء سوريا) الى حد الابتذال . وعلى كل فقد اتهمت نفسي عندها ايعقل ان يكون العامة احصف من الخاصة واكثر حفظاً لدرر اللغة من الاطباء والمتعلمين؟ ن ان اللفظ شائع على السنة العامة لغير المعنى الذي يراد من كلمة «ڤزيت» ؟ وضمني الى رهط باب مجلس بعدها بيوم، فأحببت ان ازيل الشك بطريقة عملية، فسألت : ماذا تقولون اذا شئتم ن الاجور التي تدفع للطبيب اذ يزور مرضاكم والمهندس اذ يكشف على بيوتكم المتصدعة وموظف ة اذ تكلفونه الكشف على عقار او خلافه ؟ فكان الجواب بلسان واحد من الجميع : «قدمية». ايقنت اليقين كله ان اللفظ دارج على ألسنة العامة مستعمل لمثل ما تستعمل له كلمة « ڤزيت » برة هذا ان العامية التي نبالغ في احتقارها والزراية عليها تحتفظ لنا في صدرها بكثير من الية . وما علينا لنالها الاّ ان نكون مفتحي البصائر والابصار بعيدين عن العجرفة واحتقار ن عاميًّا او منسوباً الى العامة . اذا فعلناها تيسر لنا ، ولا ريب ، ان نرد كثيراً من اللفظ لى اصوله الفصيحة التي كثيراً ما تكون مهجورة ، فنتسمها بذلك نسيم الحياة ونعيدها سيرتها وتخدمنا هذه العامية ايضاً اجلَّ الخدم اذا اتخذناها دليلاً وهادياً الى كثير من الالفاظ الفنية ما كان سائراً على ألسنة الخاصة حيناً من الدهر ثم غاب — لسبب من الاسباب — من كلامهم، ائراً على السنة العامة كلفظة « قدمية » السابقة ، مثلاً . وفرق كبير بين ان يعمد الباحث الى والمظانّ اللغوية يفتش عن اللفظ يراد للتعبير عن معنى من المعاني المحددة ولا دليل لهُ الاّ جلده ، وبين ان يعمد الى هذه الامهات ، واللفظ العامي الذي يعبر عن المعنى دليله وهاديه

الموضوع في الفلسفة وعلم النفس

ليعقوب فام

قدمت لقراء المقتطف كتاب الاستاذ مظهر سعيد والسيدة قرينته فردّ الاستاذ في مقا
دسمبر الماضي وعرج في ردّه على ترجمة كلمة « Subject » فقال « وكنا نرجو كذلك ان لا ي
كلمة Subject بموضوع لانها تأتي بهذا المعنى في الانشاء ومواد الدراسة فقط اما في علم النفس
دائماً على المجرب او الذات او الشخص او الفاعل اما الموضوع فترجمة object والكلمة لم
كتابنا بهذا النص كما قد يفهم القارىء »

وقد كنت اود ان يتنبه الاستاذ الى ان الكلمة Subject لها معان مختلفة بحسب
الذي تستعمل فيه ، فلها معنى في الفلسفة وآخر في الانشاء وثالث في علم النفس

ففي الفلسفة تعني الذات العاقلة المفكرة التي تتصل بالدنيا الخارجية وتحاول ان تتعرف ط
وأصولها وغاياتها . وقد استعرت الحرب في الفلسفة في وقت من الاوقات وما زالت مستع
الآن حول اثر هذه الذات او هذا العقل في مظاهر الكون هل هي كائنة مستقلة عن
ام هي مظهر من مظاهر هذا العقل وهذان المذهبان هما (١) sm or Realism
و (٢) Idealism or Subjectivism وهنالك استعمال ثان لكلمة Subject وهو في الا
موضوع الدراسة كما جاء في كلام الاستاذ في المقتطف

وأما في علم النفس التجريبي وفي التحليل فكلمة Subject معناها f study or experimen
فالمريض بأي مرض نفسي اسمه Subject والشخص الذي يخضع للتجارب النفسية تجرى
Subject وهذا هو موضوع الدراسة او موضوع التجربة او موضوع العلاج

وما كنت لارى داعياً الى التبرؤ من استعمال هذه الكلمة « موضوع » Subject
الاستاذ ، وما كنت لارى داعياً الى التنبيه الى انهُ لم يستعملها بهذا المعنى قط ، لان الو
كتاب الاستاذ بالذات لا يصح ترجمة Subject الاَّ بكلمة موضوع لأن كل من يحاول
بالتجارب المفصلة فيه هو experimenter ومن تجري عليه هذه التجارب هو bject
موضوع الدراسة والتجربة . ولعلَّ استعمال الكلمة في الفلسفة وفي الموضوعات الاخ
الاستاذ على الظن بأن ترجمتها بالفاعل أصح

ثم ارجو ان لا ينسى الاستاذ مظهر ان ثورندايك وباڤلوف ووطسون وبركس و
علماء النفس التجريبيين كانوا يجرون تجاربهم على ناس وعلى حيوانات كبيرة وصغيرة وكا
الحيوانات them subject وكانت هذه موضوع دراستهم

مكتبة المقتطف

ول كتاب

الاسلام والحضارة العربية [1]

م اني اسألك السداد ... وبعد فلو ذهبت استقصي للقارىء ما نما بنفسي وأنا اقرأ فصول كتاب لخرجت به من حدّ عرْض فكرة الكتاب الى بسط فكرتي عن الاسلام وحضارته وثقافتهم التي اختبأت في دمائهم وعقولهم وألسنتهم من اقدم عصور التاريخ ثم تنفست بالاسلام ن الفجر ضوءاً وحياةً وهمةً وشباباً وأنا هنا اجمع بين الامرين على ما يحفّ بذلك من عنت ومشقة لمؤلف الجليل الاستاذ كردعلي يقصّ على القارىء في مقدمته قصص كتابه فيقول «لما قرر علمي العربي » يعني بدمشق » انتدابي الى تمثيله في مؤتمر المشرقيات الذي عقد في مدينة ن بلاد القاع في صيف ١٩٣١ رغب اليّ اعضاؤه المفكرون ان ألقي فيه جلة اعرض فيها لما يسري على اسلات اقلام بعض مؤلفي الغرب . ولا سيما علماء المشرقيات ، من امور نابية عن حقيق والنصفة ، كلما ذكروا الاسلام واهله والعرب ومدنيتهم » . ثم يقول

وسبيل هذا الموجز الآن ، تصحيح هفوات من أساؤا وما برحوا يسيئون للعرب ودينهم لهم ومدنيتهم ، وذكر ما اثرته الحضارة العربية في أمم الغرب والشرق ، وما مني به الاسلام ، اهله ما بأنفسهم ، من خصماء غير رحماء ، نالوا من روحه وجسمه ، فالتاثت احواله ، وتنكرت ، والالماع الى ما قام به المسلمون بعد طول الهجعة ، يلوبون على استعادة مجد اضاعوه ، وعلقوا قطعون اليه اشواطاً ، حتى لم يبق امامهم غير مراحل لبلوغ الغاية»

هـذا الكفاية لمن يريد ان يكون رجلا عربيًّا من نسل ذلك الشعب العجيب الذي بدّد الأمم الطاغية في اول أمر الاسلام ، وانشأ على انقاضها اجتماعاً اسلاميًّا عربيًّا كلهُ محبةٌ وعدلٌ . وفي هذا الكفاية وفوق الكفاية للذين يتولون أمر التعليم في الامم العربية ليهبّوا لمتهم ، وينظروا إلى ما يحاط به مجدهم من كيدٍ وقتالٍ

العار أن يقضي الشاب من أول نشأته إلى آخر خروجه من دراسته — أعواماً طوالاً يدرس فيها تاريخ نابليون وأمته ، وفلاناً وفلاناً من افذاذ الامم الغربية ، وهو لا يعرف من ماضي عربية الاّ نتفاً تذهب مع الأيام . هـذا الماضي الذي يصوره الذين يتعرضون للتاريخ من قين يقولون غير ما يعلمون او يقولون فيما لا يعلمون ، او عربٍ قد فسدت قلوبهم على تاريخهم

[1] تأليف الاستاذ كرد علي لجنة التأليف والترجمة والنشر . مطبعة دار الكتب المصرية سنه ١٩٣٤ الجزء الاول

اني لأرى في هذا الكتاب الذي بين يدي انواعاً من الفكر وألواناً من القول كا
مثل الذي نقول به ونعمل له ، وهو دليل نافع لكل من يريد ان يقف على حقيقة ما يحي
الكيد والطمع ... ولا ارى لعربي فضلاً عن متعلم فضلاً عن مثقف وفضلاً عن رجل
والحرية . .مدوحةعن الاستفادة منهُ مع التاريخ الذي يردُ شرعته من اصوله وكتبه

ان امامنا المراحل كلها الى غاية المجد فلنبدأ بتكوين ما يؤدي اليها وان في حقائق
لحافزاً الى العمل والاخلاص والنهوض والمبادرة الى ما ليس منهُ بُدٌّ . وان في التاريخ ا
وان فيه لأمثالاً من المجد والعدل ، وان فيه لصوراً من الحرية يجب ان يتمثلها كل عر
حيًّا — بين عينيه أنى سار وحيثما نزل وفي هذا الكتاب أطرافٌ من كل ذلك . فلعل
لنا من بعد هذا ذكراً في العالمين محمود محمد شا

الشخصيات البارزة التاريخية

بقلم الدكتور أحمد فريد رفاعي — صفحاته ٢٢٧ قطع المقتطف

كان كاتب هـذه السطور مولعاً من حداثتهِ بتراجم العظماء . فقرأ اولاً كتاب
الذي ألّفه صموئيل صميلز ونقلهُ الى العربية الدكتور صرُّوف رحمهُ الله . ثم اكبَّ
مجلدات المقتطف يطالع فيها التراجم التي انطوت عليها ومنها تراجم لكبار الساسة
وغلادستون او لكبار القوّاد كالاسكندر وهنيبال وقلب الأسد ونبوليون او لـ
والشعراء من طراز تنيسُن وكبلنغ وملتن وأبي العلاء ، او لكبار العلماء والفلاسفة ا
وغليليو ونيوتن وارسطوطاليس وسبنسر ، او لكبار رجال المال والأعمال انداد ركفا
وكارنيجي وفورد ، او لكبار الروّاد من غرار سكوت وبيري وشاكلتن وامندصن .
هذه المطالعة في نفسهِ اثراً عظيماً تحوَّل بعد الدرس والاختبار وموالاة المطالعة في كتب
اعتقادهِ في ان خير الوسائل لعرض المعارف على الشبان والشابات وتشويقهم الى الاستزاد
ادماج الحقائق في صلب تراجم العظام والعظيمات . وكذلك يستطيع الطالب ان يستوعبها
او كدٍّ وهو يطالع حوادث السيرة بما فيها من نزاع بين المادة والروح ، وصراع بين عوامل
المشيئة ، وترفع عن الصغائر ، وعناية بالاركان ، وخلود الذكر بعد خمول واضطهاد في الحي

وهذا الاعتقاد حفزه الى اصدار بعض هذه التراجم التي نشرها المقتطف مجموعة في
المقتطف» و« الروّاد » و«رجال المال والاعمال» . وينتظر ان يظهر كتاب «اساطين ال
في المستقبل القريب

قدّمنا هذه الكلمة بين يديّ كتاب الدكتور احمد فريد رفاعي ، للدلالة على شدة
الضرب من الادب العالي ، الذي يلخص الحياة في سيرة رجل او سيدة ، وشدة حاجتنا
في مدى عشر صفحات او عشرين صفحة يتسع للكاتب ميدان السرد التاريخي القصصي

، واستخراج العبرة الخلقية والاجتماعية . وهذه العناصر في الكتابة « البيوغرافية » رفعت التراجم في الأدب الأوربي والأميركي الحديث حتى كادت تساوي القصص والروايات في وسعة انتشارها

صديقنا الدكتور رفاعي فقد جمع بين دفتي كتاب واحد سير طائفة من الناس قد لا تجمع بينهم ما ، الا جامعة العظمة الصحيحة والاثر الجليل في فائدة أممهم وأوطانهم . تجد بينهم بسمارك ، والصحافي بوك ، والصناعي المخترع فورد ، والمحرّرين توسان ولنكان ، والتاجر والمربي بوكر وشنجطن ، والخليفتين العظيمين أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب . فسيرهم في كتاب اشبه بمرآة تعكس نواحي مختلفة من الحياة لا تتم الثقافة الا بتدبرها جميعاً

ليس الغرض الذي توجّه اليهِ المؤلف تصوير العصر الذي نشأ فيهِ كلٌّ منهم وسرد حوادث تفصيلاً ، لانهُ لو قصد الى ذلك لما اتسع الكتاب الواحد لاكثر من ترجمة رجلٍ واحد . انهُ رسم صورة لحياة الرجل واثره لا تحتوي على اكثر من الخطوط البارزة في حياتهِ وعمله . واستخراج العبرة من ثناياها . وهو يعمد الى طريقة السرد حيناً والى اسلوب المخاطبة احياناً . فالقارىء كأنهُ يذكره بشيء يعرفهُ ، ولهذه الطريقة اثرها في استرعاء نظر القارىء لتراجمه . ثم انهُ يعمد في الحين بعد الآخر الى قطع حبل السيرة على القارىء ليلقي عليهِ عظة من الخلقية والاجتماعية التي يقتضيها السياق . والاستعبار بهذه السير مقصد جليل وانما كنا نود ان يترك ذلك للقارىء يستخلصهُ بنفسهِ من الحوادث ووقعها واثرها او يشار اليهِ من طرفٍ خفي لانهُ لا يستطيع قارىء ان يطالع سيرة فورد الا ويدرك ما للمثابرة والابتكار والمقدرة على التنظيم من الاثر في نجاح الصانع والتاجر ، ولا يسعهُ ان يقرأ ترجمة لنكلن من دون ان يدرك كيف سخّر الحياة جسماً من لحم ودم في سبيل اغراضها العليا ، فترفعهُ من الكوخ الخشبي الى القمة التي بهِ راضية ليكون مصرعهُ ذكرى خالدة لعتق العبيد والاحتفاظ بوحدة الامة الاميركية . والاميركي يقول « ان صوت اعمالك يصمُّ اذنيَّ فلا اسمع ما تقول » وهو قول ينطبق على الاولاء العظماء

خلاصة القول ان كتاب الدكتور رفاعي هو على حدّ قول الاستاذ مكرم عبيد « كتاب حي . بل هو ألزم ما يكون لأمةٍ ناشئةٍ كامتنا ، شعرت بكامن شخصيتها . . . . . الشخصيات البارزة . . . . تنمّي الشخصيات الناشئة وتبرز الشخصيات الكامنة . . . . ضرورية لنا نحن المصريين . . . . . لأن سير العظماء والبارزين لا تدرّس في مدارسنا الا عرضية ضمن دراسة التاريخ ، ومن المحزن اننا ونحن أغنى امةٍ في التاريخ ندرس دراسة جامدة لا روح فيها ولا حياة ، فتراه يدرس في مدارسنا من ناحية الحوادث لا من ناحية الاحياء الذين ينفخون في الحوادث روحاً من روحهم . . . . »

التجارة الدولية

بحوث اقتصادية — للدكتور احمد محمد ابراهيم — استاذ الاقتصاد السياسي — في مدرسة التجار العليا بالقاهرة صفحاته ٢٧٩ قطع المقتطف — لم يذكر اسم المكتبة ولا ثمن الكتاب

ان القول بأن المباحث الاقتصادية لها مكانة خطيرة في دراسة العمران الحديث ، قول الرياضية لا يحتاج الى دليل . فللانتاج الاقتصادي في كل بلادٍ من بلدان الارض اثر مبا مباشرٍ في وضعها السياسي وصلتها بالبلدان الاخرى ، ورفاهة شعبها وثقافته . وليس ثمة بلا ان ثبتَ روابط الاتصال الاقتصادي التي تربطها بالبلدان الاخرى وتعيش بمعزل عن ا لا نعرف بلاداً — حتى ولا الولايات المتحدة الاميركية — تستطيع ان تستنبط من ار الخامات التي تحتاج اليها في صناعاتها ومرافقها العامة . فتبادل مواد الزراعة والصناعة ، على وما يقتضيهِ ذلك من تبادل المال، ركن اساسي من اركان العمران الحديث . وقد اصبح له في هـذا العصر ، حتى ان جفافاً في اميركا او فيضاناً في الصين او استنباط آلة جديدة في او وقوع فضيحة مالية في باريس ، او إقبال في مواسم روسيا ، يؤثر في الحالة الاقتصادية امم الارض ولو لم يكن بعضها متصلاً اتصالاً مباشراً قويًّا بتلك البلاد التي حدث فيـ او الفيضان او الاستنباط او الفضيحة او الاقبال

فأسلاك الاقتصاد الدولي، الخفية تربط بين امم الارض ربطاً اوثق وأقوى من ربط حبال وامراس الكتان . وهي لشدة تأثيرها في اتجاهات السياسة العامة والخاصة تسيطر على الاحـ وما يصحبها من اضطراب او استقرار ، من غلاء المعيشة او رخصها ، من فورة النزعات الجامحة او سكونها ، من ميل الى الحرب والفتح ، او رغبة في السلام والوئام

فدراسة التجارة الدولية، دراسة انسانيةً علاوة على كونها دراسةً عملية مادية يحتاج الـ والمموّل وموظف البنك وتلميذ التجارة العليا

ومن هنا في رأينا فائدة هذا الكتاب . انهُ يجمع بين دفتيه اهم ما تريد ان تعرفهُ التجارة الدولية وقواعد الربح منها وميزانها الحسابي وتوازنها والصرف الدولي «الكامبيو» والعوامل التي تؤثر فيهِ وتسوية ديون الحكومات الخارجية وتدخّل الحكومة في الصناعة وحجج اصحاب حرية التجارة وحجج انصار حمايتها

كل ذلك وغيره مما يتصل بهِ تراه مفصلاً احسن تفصيل في ابواب هذا الكتاب . ولـ الوقت نفسهِ لا تستطيع ان تطالع هذه الفصول الا وتخرج منها وقد قويت فيك النزعة ولبّثها ان المصير الاقتصادي في امة من الامم لا يمكن ان ينفصل عن المصير الاقتصادي جميعاً ، وأن نكبة تصاب بهـا امة لا بدّ ان يكون لها دويٌّ وأثر في سائر الامم ، واذ القائم على اسس من التفاهم والتبادل هو الركن الصحيح للاقتصاد الدولي

الكتاب نفسهُ ينمُّ على سعة اطلاع مؤلفهِ وحسن بيانهِ في موضوعات لا تزال في حاجة الى مصطلحاتها العربية . وفي كل صفحة من صفحاته تقريباً اسناد الى الثقات من كتب الاقتصاد الكبيرة . فاذا قرأه التاجر اصاب فيه فائدة عملية لأنهُ يبسط له معقدات العمليات التجارية الدولية واذا قرأه غير التاجر اصاب لوناً نفيساً من الوان الثقافة الانسانية العالية

مذكرات

يلم الامير امين ارسلان صفحاته ١٣٨ — مطبوعة طبعاً متقناً في المطبعة التجارية في بونس ايرس

الامير امين ارسلان سياسي وكاتب ، تولى المناصب العالية في بروكسل وباريس وبونس ايرس وفيها مثال الغيرة على المصالح العمومية وسالت براعتهُ بالمقالات الاجتماعية والبحوث التاريخية تأوّاً بعيداً في البلاغة والدقة . يلم بالموضوع الذي يتناوله من جميع نواحيه ، ويمدّهُ في اثناء اطلاعه على الحوادث الشرقية في الثلاثين السنة الاخيرة اطلاعاً لم يتح الاّ لقليلين من الناس بالضاد لاتصاله الوثيق برجالات العرب والترك البارزين

وهو لبعده الآن عن التأثر بالعوامل السياسية المختلفة ينعم فيما يكتبه — خاصة — بثقة تُنزل منزلة التاريخ الذي يستطاع التعويل عليهِ

للامير امين مؤلفات عديدة باللغة الاسبانية كان لصدورها الدويّ القصي في الهيئات الادبية في الارجنتين ، وله كذلك مؤلفات باللغة العربية اقبل عليها محبو المطالعة المفيدة اقبالاً عمّا سطّر بين دفتيها . وبالرغم عن المهام التي تلتهم وقته فان سلسلة كتبه لم تنقطع ، وقد ختمها مؤخراً الجزء الاول من مذكراته وفيها وثائق سياسية هامة يرجع عهدها الى ايام كان قنصل السلطنة العثمانية في عاصمة البلجيك سنة ١٨٩٨ . وهو يصف لك في هذا الكتاب كيفية قطع العلائق الدبلوماسية بين فرنسا وتركيا من جراء دبن صير في ويكشف القناع عن السبب الذي دفع بملك بلجيكا الى رفض قبول سفير عثماني ، ويتناول ذكر خطة سياسية حربية بين اليابان وتركيا لسحق روسيا ، ويقف على مقدمات قتل قنصل روسيا في مناستير على اثر انتهاء الحرب الروسية اليابانية ، ويبين المصاعب التي اعترضت قنصلية تركيا في عاصمة البلاد الفضية

وهذه الفصول الهامة التي كان الامير من ابطالها ، مكتوبة باسلوب سهل لا تعقيد فيهِ ولا ابهام على معظمها الصبغة الروائية بحيث لا تحمل المطالع — المحدود الثقافة — على الملل منها . والى هذه الميزة — وهي ليست بالضئيلة — نجد اهميتها من الوجهة التاريخية وهي تلقي شعاعاً على نواحٍ كثيرة تبدو متناقضة في الكتب التي تبحث في الشؤون التركية — العربية الاخيرة

نهنئ الامير على هذه الخدمة الادبية القيمة ، آملين ان يبرّ بوعده فينشر في القريب العاجل ما عن « تركيا الفتاة » ولا نشك في انها ستفوق من حيث خطورة شأنها

عاصمة الارجنتين — الياس قنصل

طرق التربية الحديثة

للاستاذ محمد حسين المخزنجي

تكرم صديقي الاستاذ المخزنجي فاهدى اليّ كتابه « طرق التربية الحديثة» فقرأتهُ من اوله آخره بما في ذلك مقدمته ومراجعه وهوامشه ذلك لان الكتاب يستحق ان يقرأه كل انسان يشتغل بشئون التعليم والمدارس ، لا بل يجب على كل المثقفين الادباء والعلماء وارباب الفنون ان يقرأوه في الواقع كتاب فذ في اللغة العربية لم يسبق ان وضع مثله بهذه الاستفاضة والتطويل في شرح التربية الكثيرة التي تتبعها المدارس في الغرب . وقد عرض فيهِ الاستاذ النظم التي تتبع في خمسة من المدارس ، وهي طريقة منتسوري ودالتون ودكرولي والمشروع وجيري ، عرضها جميعاً مستفيض واف يكفي لاعطاء القارىء فكرة صحيحة عن جميع هذه الطرق ، لا بل تكفي لمن ليس له قط باحدى هذه الطرق ان يعرف مزايا الطريقة وعيوبها ويستطيع ان يرى لنفسه ايها تصلح له

ولا اظنني مستطيعاً ان اوفي هذا الكتاب حقه من المديح والثناء لانهُ يتبين للقارىء لاول ان واضعه محيط بما يجري في دوائر التعليم احاطة شاملة ؛ يستطيع من يقرأهُ ان يرى ان الا اكبّ على دراسة هذه الطرق دراسة وافية ، والواقع اني استطيع ان اقرر من معلوماتي الخا الاستاذ المخزنجي هو من اكثر شبابنا موالاة للدرس والاطلاع ، وانهُ يقف كل اوقات على هذا الضرب من النشاط دون غيره

ولي نقد على الكتاب ، وهو ان طريقة المشروع فيه لم تنل حظها الواجب لها من الاس في الشرح والتفصيل ، وكان يجب ان تستغرق معظم فصول الكتاب لانها في رأينا خير الطر التربية ، وهي اولى بعنايته من سواها ، ولكنهُ على ما يظهر سئم الاطالة في الكتابة وكلّ من ا واراد ان يتعجل ظهور الكتاب وكان من نتيجة ذلك ان خسرنا كثيراً ولم يكسب هو شيئاً

قابلت الاستاذ بعد ان قرأت كتابه ، فقلت « ما هذا يا استاذ ؟ » فقال كفى اني اعرف ان تقول ، واعرف موضع العتب ، واعرف اني اذنبت ، واني سأكفر عن هذا الذنب بوضع خاص لطريقة المشروع ، وسأفعل ان شاء الله » واني اظن انهُ سوف يفعل

واظنني لا اكون مغالياً اذا قلت ان اي مكتبة عربية تكون ناقصة نقصاً معيباً اذا لم يو فيها هذا الكتاب ، وارجو من وزارة المعارف ان تضمهُ في كل مكتبة تصل اليها يداها ، يمكن الاستغناء عنهُ بحال من الاحوال

انا لا ازعم مطلقاً ان الكاتب اتى بشيء جديد في موضوع التربية والتعليم ، وانا مو الاستاذ نفسه لن يزعم هذا الزعم ، ولكن هذا الكتاب شيء جديد في اللغة العربية ، جد الذين لم يطلعوا على هذه الابحاث في اللغات الاجنبية ، والحق اني معجب بهذا الكتاب ، واني مرة وسأقرأه مرة اخرى

يعقوب فام

احسن ما كتبت — هدية مجلة الهلال

محرر هذا الكتاب في وصف المصاعب التي يلقاها من يحاول ان يؤلف مجموعة من هذا النوع وقد يبدو وضع هذا الكتاب من أسهل الامور وأقرب الاعمال . والواقع ان العناية التي فاقت كثيراً من المجهود الذي يبذل في غيره . ذلك لان الموضوع دقيق ، يدعو الى الحيرة. يرة هي التي اعترتنا واعترت بعض الادباء الذين اقترحنا عليهم ان يمدونا بأحسن ما كتبوا . فمنهم من عارضنا بقوله : إن افعل التفضيل هذا مستحيل بين الآثار القلمية للكاتب لانهُ يعتبر مقالاته ومؤلفاته كأولاده لا يفضل احدهم الآخر . ومنهم من رأى ان احسن يكتبه بعد ، لانهُ لم يرض حتى الآن عما كتبه ، وليس لديه أحسن ولا حسن ... ومنهم ض على كلمة «احسن» ورأى ان تغير بكلمة «اصدق» فهو يقترح علينا ان يكون الموضوع ما كتبت » لان الكلام لا يكون حسناً الاَّ اذا كان صادراً عن شعور صادق . ومن ء جميعاً طائفة — على الكثرة — اجابتنا الى اختيار احسن ما كتبته في رأيها

ن هذه المصاعب لم تحل دون احتواء الكتاب على قطع شعرية ونثرية من ابلغ ما خطه ابنا المعاصرين ، وان كان نصفها تقريباً مما اختارهُ المحرّر لا الكتَّاب، تنتقل فيه من علم الى اجتماع الى شعر عالٍ الى فلسفة وتاريخ فكأنك في روض مونق فيه كل ضرب من والازهار تسترعيك الوانها الزاهية وروائحها العطرة ويشجيك تغريد الاطيار في افنانها . ق يقال « انثولوجي » بديعة للادب العربي الحديث

مجلتي

ارتقاب الجمهور لمجلة الاستاذ الصاوي الموسومة باسم « مجلتي » ، فلما طلعت عليهم في الماضي لم تخيّب ظنهم في ذوق صاحبها وحسن استعداده لخدمة الادب العربي والاجتماع فقد وعد في مقدمتهِ الموجزة ان يجعل القصص عمادة مجلته . وقد برَّ بوعده . ففي العدد خيص بليغ لقصة شاننكلير بقلم الاستاذ انطون الجميل بك رئيس تحرير الاهرام . وفصل تمثيلية للكاتب المجيد توفيق الحكيم . وتلخيص قصة « الغيرة » للفنان المجيد ساشا جيتري ب المجلة . وترجمة موجزة للكاتب الايطالي بيرندللو وترجمة احدى اقاصيصه . وفي المجلة صص شؤون اجتماعية مثل حديث مع هدى هانم شعراوي وصورتها وبحث في هوميروس لالياذة ومقال في التعاون الاقتصادي الاجتماعي ورأي اللادي اللنبي في السعادة الزوجية كذلك صور فنية متقنة الطبع . ولولا ان صفحات الاعلان فيها تتخلل صفحات المجلة لما ا مأخذاً . ولكن بعض المجلات الغربية يفعل ذلك ، وقد لا يلام الصحافي المصري اذا اب الاعلان دخلاً يمكنه من تجويد عمله . فنهنىء الاستاذ الصاوي بـ « مجلتي » ونتمنى النجاح لتقوم بنصيبها في خدمة الادب والثقافة في هذه البلاد

باب الأخبار العلمية

جوائز نوبل السنوية وأصحابها

لم يمنح من جوائز نوبل هذه السنة الاَّ اربع جوائز . وللجنة نوبل الحق في ان تمتنع عن منح اية جائزة من الجوائز اذا رأت بعد البحث ان ليس هناك بحث او كشف او تأليف في السنة السابقة يبلغ الدرجة الممتازة المطلوبة . اما الجوائز التي منحت هذه السنة (١٩٣٤) فقد اصاب الاميركيون اثنتين منها والانكليز واحدة والايطاليون واحدة

فالاميركيون فازوا بجائزة الكيمياء نالها الاستاذ يوري استاذ الكيمياء الطبيعية بجامعة ولومبيا جزاء على كشفه الايدروجين الثقيل وهو ايدروجين خواصه الكيمائية شبيهة بخواص الايدروجين المألوف ولكن وزن ذرتهُ مضاعف وزن الذرة في الايدروجين العادي. وفازوا كذلك بجائزة الطب والفسيولوجيا نالها ثلاثة اطباء هم الدكاترة مينو ومرفي وهويل لكشفهم عن علاج الانيميا الخبيثة بالكبد وخلاصتها

وقد فاز الانكليز بجائزة السلام (سنة ١٩٣٤) منحت للسنتر هندرسن وزير خارجية بريطانيا سابقاً ورئيس مؤتمر نزع السلاح ومساعيه في سبيل السلام وخفض السلاح شهيرة وقريبة العهد فلا داعي الى ذكرها . والسر نورمن انجل (سنة ١٩٣٣) وهذا ليس اسمه الـ اسمه الحقيقي هو رالف لاين وقد كا للمرحوم سليم بك مكاريوس في تحر الديلي ميل . واشهر ما اشتهر بل قبل كتابه «الوهم الكبير» الذي اثبت فيه خسارة على الغالب والمغلوب معاً . و نراه الآن لا يحتاج الى اي دليل ولك يسلم به سنة ١٩١١ لما اصدر السر نور ومن اشهر كتبه بعد الحرب « ثمار الـ فيه كيف تحققت النظريات التي بسطها الكبير »

اما « لويجي براندللو » الفائز الادبية فمن اكبر كتّاب المسرحيات في وله في كتابته نزعة فلسفية بارعة ورواد السينما في مصر لا ينسون ر تريدني » التي مثلتها للستارة الف الشهيرة جريتا جاربو

تبديد الضباب بزذاذ كي

لايزال الضباب من اعظم الحوا دون سلامة الطيران وبوجه خاص اذ فوق المطار الذي تحاول الطائرات ا

المخترعون ان يتغلبوا عليهِ من هذه
ستنباط آلات تمكن الطيار من الهبوط
المطار التي كان الضباب يحجبها عنه .
طبيعيون الكيماويون تبديده بوسائل
او كيمائية . وأحدث محاولة من هذا
بها طائفة من علماء معهد ماستشوستس
في اميركا . فقد اعد الاستاذ هوتون
ويًا اذا رشَّه في بقعة تلبد فيها الضباب
البخار المائي الذي في الهواء فيسقط
رض وينجلي الجو

وء الازرق وميل النبات

انحناء النبات او ميله او اتجاه ازهاره
ضوء الشمس ظاهرة معروفة ولكن
كنا نجهله في هذه الظاهرة هو ان
يتألف منها ضوء الشمس لا تؤثر
في اجتذاب النبات الى ناحيتها بل
د لا يجذبها على الاطلاق

في العالم ارل جونستون من علماء
نصوني الاميركي بدرس هذه الناحية
حياة النبات حلَّ ضوء الشمس الى
ان المختلفة التي يتركب منها فأدرك
أثير كل طائفة منها في ميل النبات
يجد ان اقواها تأثيراً من هذا القبيل
مواج تقع في منطقة اللون الازرق.
تأثير يضعف بالاتجاه من الازرق الى
رد فيقوى قليلاً عند اشعة اللون
رق ثم يضعف ضعفاً مطرداً بعد ذلك في
لاحمر حتى يبلغهُ . والنباتات التي جرب
تميل ولا تتجه نحو اللون الاحمر قط

الاستدلال بالنبات

على ثروة الارض المعدنية

كان معدنو اليونان القدماء يباهون بأنهم يستطيعون ان يعرفوا المعادن التي تنطوي عليها الأرض من مراقبة النبات النامي على سطحها فكان معاصروهم يهزأون منهم أو على الاقل يضربون بكلامهم عرض الحائط ! فاذا عمدوا الى التنقيب وعثروا على المعادن التي قالوا بوجودها استناداً الى النبات النامي على سطح الارض قال المرتابون انهم نقبوا في تلك الارض قبلاً فعرفوا ما فيها ثم حاولوا ان يقنعوا الناس بأنهم يعرفون السبيل الى سرها من مراقبة نباتها

ولكن احد علماء التعدين المحدثين يقول ان الادلة متوافرة الآن على ان المعدنين يستطيعون ان يعرفوا طائفة من المعادن المطمورة في الارض من النبات النامي على سطحها وبوجهٍ خاص اذا كان ذلك النبات كثيف النمو في بقعة ما. وكانت النتيجة التي اسفرت عنها هذه المباحث الحديثة ان شرع علماء البلدان المختلفة يعنون عناية خاصة بدرس النباتات المختلفة وعلاقتها بالثروة المعدنية المطمورة في جوف الارض

خذ مثلاً على ذلك مقاطعتي الرور وسيليزيا العليا في المانيا وبعض مقاطعات البلجيك تجد في بقاع منها نباتاً يعرف باسم « خمل (قطيفة) كالامين ». وعند البحث ثبت ان كل بقعة يكثف فيها نمو هذا النبات تحتوي على ركاز الزنك (الخارصيني) وليس من النادر ان يوجد هذا الركاز على بضعة امتار تحت سطح الارض فقط ويقول احد علماء التعدين انه طلب اليه

مرة ان يحدد نوع المعادن التي توجد في ارض يكثر فيها نمو اشجار الزان يقال «الحجر الجيري» وكان ما قال . وهو يستند في قوله هذا الى ان نوع المعادن المطمورة في الارض يعين نوع التربة ونوع التربة يؤثر في اصناف النبات التي تزكو فيها

قال انهُ كان مرة يجول في مقاطعة دربي في انكلترا فرأى حجاراً من الفصيلة السماقية فقال في هذه الارض رواسب غنية بالرصاص قال ذلك من دون ان ينكت الأرض بعصاه او يتفرس في حجر من الحجارة التي يدوسها فعجبوا لقوله. وقد وقع له شيء من هذا القبيل في الولايات المتحدة الاميركية ويقول ان اغنى مناجم الرواسب الرصاصية في اميركا قائمة في منطقة تزكو فيها هذه الاشجار السماقية

وثمة شجر يدعى شجر القان او التامول (Birch) يدل على وجود رواسب حديدية في الارض التي ينمو فيها . واغنى مناجم الحديد توجد حيث تكون اشجار القان اشد ما تكون نموًّا

وحدث مرة ان معدناً كان يجول في اسبانيا فاسترعى نظره نوع من نبات المحمودة وكان يعلم ان هذا النبات يتأثر في نموه وزكوه بمعدن الفصفات فقال ان وجوده في تلك البقاع لا بدَّ ان يكون دليلاً على وجود رواسب فصفاتية هناك . فأفضى برأيه الى جماعة تحترم رأيه فاعدوا المعدات للتنقيب وما انقضت بضعة اسابيع على تنقيبهم حتى عثروا على مناجم غنية بالفصفات

والظاهر ان الرواسب الفضية تؤاتي نمو [illegible] والعجب في هذا

ان المعدنين الاميركيين وجدوا انهُ ه هذا النبات توجد رواسب فضية غنية

وعثر المعدنون في ولايتي م ووسنكنصن على بجلات (شجيرات) من معين لا نذكر اسمه العلمي لانه غير فاسترعت نظرهم فاستدعوا بعض ا ليستطلعوا منهم طبائع هذا النبات و نموه . فقال لهم انهم قد يجدون في التر من مركبات الكبريت . وعند التنقيب رواسب كبريتور الرصاص المعروف با المستعمل في سقي الحديد وغيره من الصناعية

آلة سينما عجيبة

صنع المهندس هينز روزنبرجر آ عجيبة يمكن استخدامها لتصوير المشاه التي تشاهد بالمكرسكوب عند بحث ا اوما هو من قبيلها من الكائنات المك

وزن هذه الآلة ٥٠٠ رطل و تصور صوراً طول الصورة منها وعرضها ١٨ ملمتراً . وقد صنعت علمية بديعة لانقسام الخلايا وعملية ا الغريبة بواسطة لهمات الدم (اي ا عملها التهام الاجسام الغريبة التي الجسم) وصور دورة الدم ونمو الم المزدرعات وغيرها من الظاهرا البيولوجية التي لا تتاح مشاه بالمكرسكوب وفي احوال ليست ولو امكنت مشاهدتها لشوهدت

وحيذا الحال لو اتصل اولو

كفلر في اميركا وطلبوا نسخاً من بعض
قلام لعرضها في المدارس حيث تدرس
الطبيعة والفسيولوجيا وعلوم الحياة فانها
بادىء الى الطلاب وتغريهم بالامعان
ى والبحث

تأثير الغدد

علم الطب في العهد الحديث الى دراسة
م اي الغدد التي لا قنوات لها لمعرفة
احوال الجسم في الصحة والمرض وقد
ون بمعرفة اسرار طائفة منها كالغدة
غدد الكلى والغدة الحلوة (البنكرياس)
خمية . وكانت هذه المعرفة سبيلاً
ال كثيرة ظن حتى الآن انها مستعصية
علم الطبيب وعلاجه
ن هناك غدداً ظلت افعالها محاطة
يف من الجهل الى ان كشف الباحثون
، اماطة الستار عنها ومن هذه الغدد
نوبرية والغدة الصعترية
فهذه الغدة الصعترية اولاً وهي غدة
صدر الانسان . لقد ثبت من البحث انها
سم فتستعجل افعاله الحيوية والعقلية .
الدكتور رونتري الاميركي وصحبه
الجرذان واضافوا الى غذائها خلاصة
عترية خمسة اجيال متعاقبة . ثم لاحظوا
يل الخامس فاذا السرعة في نمو الجرذان
يا وعقليا ستة اضعافها في الجيل
د ظهرت الاسنان في جرذان الجيل
لال اربع وعشرين ساعة تقابلها
د عشرة في الجيل الاول . وفتحت
العينان ونبت الصوف في جرذان الجيل الخامس
في اليوم الثاني والثالث بدلاً من اليوم الرابع عشر
الى السابع عشر . وقطمت في اليومين الثاني والثالث
بدلاً من اليوم السادس . وتقدمت سن البلوغ في
ذكور الجيل الخامس الى الفترة الواقعة بين اليوم
الرابع واليوم الثامن عشر بدلاً من الفترة الواقعة
بين اليوم الخمسين واليوم التسعين . اما في الاناث
فتقدمت سن البلوغ فيها من ٧٠ — ٩٠ يوماً الى ٢٠
— ٢٥ يوماً . وزادت قوة الاخصاب كذلك

وهذا اذ تصورنا ما يقابله في البشر كان كما
يأتي : اذا اضفنا خلاصة الغدة الصعترية الى
غذاء خمسة اجيال من فريق من الناس استطعنا
ان نفطم طفل الجيل الخامس اذ يبلغ بضعة اسابيع
من العمر وتمكن الطفل نفسه من المشي وعمره
نصف سنة وان يبرع ويبرز في الالعاب
في الخامسة وان يتخرج في المدارس الثانوية
وهو في العاشرة

اما الغدة الصنوبرية فلها عكس فعل
الصعترية اي انها تبطىء افعال النمو او انها
بالقياس للغدة الصعترية كالفرملة بالقياس الى
محرك السيارة

والبحث لا يزال في مستهله ولكنهُ على كل
حال يفتح سبلاً جديدة الى دراسة الصلة بين
نفسية الانسان وحالته الفسيولوجية . ويحضرنا
في هذا الصدد ان العلامة مكلم الاميركي اثبت
ان اضافة المغنيزيوم الى الغذاء يميل الى جعل
الطباع «حلوة» وانهُ على الضد من ذلك يرى ان
طباع «الخلتي» سببها نقص ملح هذا العنصر
في الجسم

لودج والسنما العلمية

السر اوليفر لودج شيخ من شيوخ العلم وهو الآن في الثالثة والثمانين من عمره وكان في شبابه من رواد العلم الحديث. فقد كان من اوائل الباحثين في موضوع الاشعة اللاسلكية بحثاً عملياً وفي طليعة العلماء الذين رحبوا بفتوحات علم الطبيعة في عالم الذرة والالكترون وله مباحث طريفة في صلة الضباب الكهربائية ووقاية المباني الشاهقة من الصواعق. وهو من العلماء القليلين الذين لم ينبذوا الاثير بعد ما اثبت مذهب النسبية ان لا حاجة بالعلم اليه بل هو يقول ان الاثير لا غنى عنه لتفسير بعض الظاهرات الاساسية في الطبيعة والحياة والعقل. وعلاوة على كل ذلك يؤمن ببقاء الشخصية بعد الموت وبامكان مناجاة الارواح وقد وضع كتاباً ضخماً ضمنه وصف اتصاله بروح ابنه ريموند الذي قتل في الحرب الكبرى

***

هذا العالم الجليل لبى من ايام طلب شركة سينماتوغرافية انكليزية كبيرة تعنى الآن باخراج سلسلة من الافلام العلمية يتحدث فيها كل عالم من العلماء عن ذكرياته العلمية ثم يرسم صورة للعمران كما يتوقعه في آخر هذا القرن اي سنة ٢٠٠٠ ميلادية

وقد اشار السر اوليفر لودج في الفلم الخاص به الى ايام الكهربائية الاولى وضعف الوسائل المستعملة لتوليد التيار الكهربائي ثم قال انهُ يتذكر اول مصباح كهربائي عرض على المهندسين الكهربائيين وقيل فيهِ حينئذٍ مصباح يصلح للقراءة ولا يحتاج الى الثقاب (الكبريت)! وقال انهُ يتذكر زيارة بل وعرضهُ للتلفون على سبيل التجربة ثم اشار الى مباحث العلامة هرتز في الاشعة اللاسلكية والتقاطها

***

وبعد ذلك قال ان القرن الحاضر لم ينكر الاثير. ولكن الاثير في رأيه هو الرئيسي لاشعاع الطاقة وقبل ان ينقضي القرن وعلى الاكثر في مستهل القرن والعشرين يعترف العلماء بأن الاثير هو الوحيد للاتصال بين الذرات فيخرج علم من حالة الغموض المستولية عليهِ الآن للاثير مكانته العليا في نظام الكون هو المادة الوحيدة التي تربط اجزاء الـ بعضها ببعض ومن حيث هو اداة الحيا

وقد صرح السر اوليفر بعد ا لمكاتب الديلي اكسبرس ان اجسامنا ا اي الاثير الذي يتخلل اجسامنا الماد الاجسام التي تبقى بعد الموت وان مخ الاجسام لا بد ان تتقدم وانهُ لم يفز هذه المخاطبة ولكن ايمانه بامكانها لم

استانبول كما كانت قبل محمد

في رسالة العلم الاسبوعية ان الغ كمال قد قرر ان يعيد استانبول الى ما كا سنة ١٤٥٣ م وهي السنة التي فتحها محمد الفاتح. ولكي يعرف الغازي

ل في العصور الوسطى فعل كما يفعل
ت في بعض الشؤون الاقتصادية. اي انهُ
تاذ تاريخ فن المعمار في اكادمية الفنون
(مدرسة الفنون والصناعات) وطلب
ي يعدّ لهُ خارطة تكون مبنية على الصور
طات والوثائق المختلفة التي تبين كيف
استانبول قبل فتح الترك وان هذه
ة قد أعدت فعلاً
هذا المشروع يقتضي هدم طائفة من المباني
ة ثم يعاد انشاء الحدائق والميادين البديعة
أها امبراطرة بزنطية وترميم القصور
د القديمة

السر سعيد شقير باشا

رٌ على المقتطف ان ينعى الى قرّائهِ رجل
والاقدام . رجل الادارة والادب .
طرفة والنجدة . العصاميّ الكبير السر
شقير باشا . وافاه الأجل المحتوم في فجر
ثنين ٢٤ دسمبر بعد مرض قصير ،
عليهِ رنة حزنٍ واسى في الدوائر الوطنية
ية على السواء . وتساوى في الحزن
ال السياسة والادارة ، ورجال الصحافة
. فقد كان رحمهُ الله الى جانب اضطلاعهِ
الادارية والمالية الكبيرة في حكومة
، أديباً راسخ القدم واسع الرواية
قوي الحجة صائب الحكم سريع الخاطر
وادر ، ولهُ في الكتابة والخطابة نثراً
جولات صادقات . وسوف نأتي على
عدد المقتطف القادم لان فيها دروساً

للشبان يجب اذاعتها ، ولان بين طرفيها تمتدُّ حقبة من أحفل الحقب في تاريخ الشرق الادنى بالحوادث الجسام، من سياسية وادارية وثقافية وقد كان للفقيد يدٌ في غير طائفة يسيرة منها رحمهُ الله وعزّى قلوب اهله الكسيرة

العلم والسلاح

تابع الصفحة ٦٤

ويزعمون ان كل دولة من الدول العظمى تقوم بتجارب سرية في تسيير الطيارات والسفن بالراديو حتى اطلاق المدافع ايضاً. غير انهُ ما من امرئ يعلم يقيناً ان احداها قد اخترعت جهازاً كهربائياً يقوم بأشد ما يفتقر اليهِ الجندي العصري من المزايا ، ونعني بهِ التجسس وتسقط أخبار العدو

اما الحرب البحرية القادمة فستكون اساليبها غير مختلفة عنها في الحرب الغابرة . على الضدّ من الحرب البرية. ولكن لا بدّ ان تضطلع الطيارات باعباء كبيرة منها . ولم يبق الآن يثبت في القتال الحقيقي ان القنابل الجوية تستطيع اغراق مدرعة من المدرعات . وسيكون للغواصات نصيب كبير في الحرب المقبلة اذ يُناط بها تدمير السفن التجارية والاشتراك في القتال . غير ان السائد على الالباب حتى الآن هو ان المدرعات ما زالت دعامة القوة البحرية، وان كان الخطر الناجم عن الغواصات والالغام البحرية يحتم على الاساطيل المحاربة قضاء جل اوقاتها في الدفاع عن الموانئ الشديدة التحصن

الجزء الاول من المجلد السادس والثمانين

صفحة

١ كشف الايدروجين الثقيل (مصوّرة)
٦ مكتبة الاسكندرية ومدرستها : (مصورة)
١٥ بيراندللو ومسرحياته الوجيعة : للآنسة مي (مصورة)
٢١ دقائق الاحياء في قطرة ماء
٢٣ السمّ (قصيدة) : لبشر فارس
٢٤ مينو وصحبه (مصورة)
٣٣ مصرع بلبل (قصيدة) : لابراهيم عبد الفتاح طوقان
٣٦ الفاظ الغيوم : للامير مصطفى الشهابي (مصورة)
٣٨ الذرة الافريقية والذرة الاميركية : للفريق امين المعلوف باشا
٤١ الرياضة البدنية عند قدماء المصريين . للدكتور حسن كمال (مصورة)
٥٤ حضارة جزيرة كريت القديمة : لشارل عيساوي (مصوّرة)
٥٩ العلم والسلاح : لعوض جندي
٦٥ السيكلوجية الحديثة : ليعقوب فام
٦٩ سير الزمان : اليابان وسياستها الاسيوية — ايطاليا الجديدة بين الانهيار و
الفاشيّ — الكابتن انتوني ايدن
٨٣ مملكة المرأة : انواع الحب : لحنا خباز — قصص الحيـاة : خاتمة سعيدة — ا
والربط والتعبير في تعليم الاطفال : لمحمد حسين المخزنجي
٩٥ حديقة المقتطف : الشاعر وكتابه : للشاعرة ادنا فنسنت ميلاى : نقلها الشاعر ع
طه — المساء : لالفونس دي لامرتين : نقلها جورج نيقولاوس — الحرية : ا

١٠١ باب المراسلة والمناظرة * امين يحيى باشا : لنقولا شكري (مصورة) — ارشاد لغوي : للاستاذ
ابن محمود : قدمية في العامية : لاديب عباسي — الموضوع في الفلسفة وعلم النفس : ليعقو
١٠٩ مكتبة المقتطف * الاسلام والحضارة العربية : الشخصيات البارزة التاريخية : التجارة
مذكرات الامير امين ارسلان : طرق التربية الحديثة : احسن ما كتبت : مجلتي
١١٨ باب الاخبار العلمية * فيه ٩ نبذ

JULY—DECEMBER 1934 يوليو الى دسمبر سنة ١٩٣٤

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

الدكتور يعقوب صرُّوف والدكتور فارس نمر

المجلد الخامس والثمانون

AL-MUKTATAF

A MONTHLY ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

Edited by : FUAD SARRUF

VOL. LXXXV

Founded 1876 By Drs Y. Sarruf & F. Nimr

فهرس المجلد الخامس والثمانون

وجه

(ا)

* آريوستو الشاعر ٢٢٣
الاثير لغز الدهور ٤٥١
الارواح العائدة (قصيدة) ١٠٠
اسئلة واجوبتها ٣٦٧
اشعة غما والايدروجين الثقيل ٢٦٠
الاشعة وقتل الخلايا ٢٥٩
الاصداء (قصة) ١٧
الاعداد غرائبها ٤٤٧
الاغذية الكيميائية ٣٢٩
الاقتصاد الزراعي المصري نكبتهُ ٩٤
المانيا بعد غليوم ٣٣٥
ام في السابعة من عمرها ٣٩٢
* اناتول فرانس ٤٢٢
الانتعاش الاقتصادي في بريطانيا ٤٧٧
الانسان والنبات تحاربهما ٣٥

(ب)

* بارتو ٣٤٠
بريطانيا واليابان المنافسة التجارية ٨١
بلون كشاف يحمل مذيعاً لاسلكيًّا ٢٥٨
* برانكاره ٣٤٢

وجه

بيضة عجيبة فيها ٢٥٩

(ت)

التطفل في الاحياء ٢٨١
التعقيم واصلاح النسل ١٨١
« حق دعاته ٣١٤
التلفونات احصاء عالمي ٣٤٤

(ج)

جبران ونيويورك ١٤١
الجماد مرضه وتلقيحه ونموه ٦٣
جنة العاملين ٣٥٣
الجنس التحكم فيه بالكهربائية ١٢٩

(ح)

الحب والزواج بحث استقرائي ١١٠
الحب ضامناته ٤٨٧
الحرب تجارها ٢١٢
الحمية في الامراض ٤٩٢
الحياة داعيها (قصيدة) ٢٩٦
الحياة والكربون ٤١٢
الحيوان في عصر الآلة ٢٨٣
« والنبات ١٤٩

(خ)

خلاط ديمتري ٢٤٠
* خيري الشاعر ٥٠٥

(د)

درامة وطنية فاشستية

(ر)

رحلة جوية الى فلسطين
رحمة الله عليها (قصيدة)
رضا توفيق
* روسيا بعد القيصر
ريادة الاعماق

(ز)

زجاجة سياحتها
الزراعة والحضارة
* الزراعة الفرعونية
زكي باشا احمد
زنانيري غاستون شعره
زهر يتفتح ليلاً
الزوجان وصايا لهما
الزوجة ونجاح الرجل

(س)

السودان القضاء فيه
السيكلوجية الحديثة

(ش)

الشاهنامه (قطع منها منظومة)
الشباب والاشباب
الشباب والشيخوخة
شلي: من قبرته

وجه

النهار ٢٦٠
٦٥
س)
المدنية ٥٠
يدة) ٩٩
معجزاتهِ ١٩٩
ها ٤٥٩
هُ ١٠٦
ط)
القديم ٢٣
رة ٣٧٢
ع)
٣٩٧
طلحاته ١٧٢، ٤٦٨
العمر ٢٦٥
ية: ارخبيل ٣٩٣
ي والتسعون ٣٩٢
د والتسعون ١٩٥
و ٢٦١
(غ)
والحرب ٢٩٧
يدة) ١٥٧
(ف)
٢٧٧
لاح
ري ٤٨٤
سية بين الرجل
٢٣٢

وجه

(ق)

* القاهرة تأسيسها ٣٠١ و٤٦١
قدمية استعمالها ٥٠٩
القزم والقرقم ٣٩٤
قصص الحياة ٣٧٠ و٤٩٧
القصة روحها في الادب الحديث ١١
القطن قدمهُ في مصر ٣٢٧
القضايا الاجتماعية الكبرى ٨٧ و٤٧١
القوة والجمال ٣٦١

(ك)

كتاب الارض صفحات منهُ ٢٧٢
كتب ومراجعتها ١١٤ — ١٢٨ و٢٤٥ — ٢٥٦ و٣٧٩ — ٣٩٠ و٥١٦ — ٥٢٤
كراين ستيفن شعرهُ ٢١٩
الكريم والفتى والسيد ٣٧
الكندي التعريف بهِ ٣١٨
الكندي صلتهُ بعصرهِ ١٥٩
الكهارب معجزاتها ٥٤
* كوري مدام سيرتها وآثارها ١٣٣
الكون لبناتهُ ١

(ل)

اللغتان الصينية والعربية تناظرهما ٧١
* ليوناردوده فنشي ١٧٦ و٤٥٣

وجه

(م)

المادة فناؤها بالتشعشع ٢٩١
المرأة التركية الجديدة ١٠١
المرأة مهامها في الحياة ٢٣٨
المرأة النازية واتجاهها ٢٢٩
المرأة اليابانية ٣٦٨
المشتري أقمر عاشر ٨٠
معجم الحيوان استدراك ١٩٢
مكاريوس سليم وفاتهُ ١٩٧
ملدنهول ملبورن والطيران ٣٩١
المكروبات حربها ٢٦١

(ن)

النجوم قياس حرارتها ٣٩٣
النحاس المشع ٢٦٠
النثر الفني ٥١١
ندامة بعد الموت (قصيدة) ٣٥٨
النسبية لبابها مبسطاً ٣٠٨
نشيد الى الشرق (قصيدة) ٣٥٩
نوبل جائزتهُ الطبية ٣٩٤
النوم سرهُ ٢٣٧

(هـ)

هادو تقريرهُ في التعليم ٤٥٥
الهيموفيليا والنزف الوراثي ٢٦٢

(لا)

لافونتين امثاله بالعربية ٢٧٦

(ي)

اليابان نفسية شعبها ٣٤٧

فهرست الكتاب

وجه

(ا)

الابراشي محمد عطيه ٢٣٢
ابو شبكة الياس ٤٤
اديب عباسي ١٧٦ و٤٣٥

(ب)

البشبيشي محمود علي ٥١١

(ج)

جفرز روبنصن ٥٠٥
جيمز السر جيمز ٢٧٢

(ح)

حامد عبد القادر ٢٣٢
الحداد نقولا ٢٩١ و٣٨٧ و٤١٢
حسن كمال ٢٣ و١٨٥ و٣٢١
حسن محمود ١١
الحكيم زينب ٣٧٢

(خ)

خباز حنا ٣٠٨ و٤٨٧
خيري محمود ٩٩
الخوري خليل ٧٤ و٢٨٧

(ر)

رزق الدكتور عبده ٤٩٢
الريحاني امين ٦٥

(ز)

زنانيري غاستون ٢٢١

(س)

السيد محمد رجب ٣٠١ و٤٦١

وجه

(ش)

الشطّي الدكتور شوكت ١٦٥ و٤٤٠
الشهابي الامير مصطفى ٣٥ و١٤٩ و٢٨١
شهبندر الدكتور ٨٧ و٣٨٢ و٤٧١
شيبوب خليل ١٥٥

(ط)

طاغور ٣٥٣
طه فوزي ٢٢٣
طوقان قدري حافظ ٥٠ و٤٤٧

(ع)

عبد الرحيم بن محمود ٥٠٩
العقاد عباس محمود ٢٤٥
علي حسن الحاكم ٤٥٥
علي كامل ٤٢٢
علي محمود طه ٣٥٦
عوض جندي ٥٤ و١٢٩ و١٩٩ و٣٢٩

(ف)

فارس بشر ١٥٣ و٥١٦
فام يعقوب ٣٧٩ و٤١٨

(ق)

قطب سيد ٢٩٦ و٤٣٣

(ك)

كراين ستيفن
كرسويل الكابتن ٣٠١
الكرملي الاب انستا
(م)
متولي محمد ١٥٩
محمد مظهر سعيد ١٧٢
محمود محمد شاكر ١١٤ و٣٥٣
المعلوف امين باشا ٣٧

ميرزا عباس الخليلي
ميلاي ادنا سانت فنسنـ
ميّ الآنسة

(ن)

نعيمه ميخائيل
نقولا شكري
نيقولاوس جورجي ١٩

(و)

وايلد اوسكار
وهبه توفيق

(لا)

لاغالين رتشرد

(ي)

اليازجي توفيق

جبران خليل جبران

حياته — موته — ادبه — فنه

تأليف ميخائيل نعيمة

ظهر هـذا الكتاب المرتقب — مطبوعاً طبعاً متقناً على ورق جيد
ويطلب من المؤلف في بسكنتا ومن المكاتب المعروفة
وفي مصر من مكتبة الهلال
ثمنهُ عشرون فرنكاً ذهباً — وفي المقتطف القادم بحثٌ فيهِ

الجريدة السورية اللبنانية

الجريدة الرسميـة للنزالة العربية في الارجنتين

تصدر صباح كل يوم من ١٦ صفحة
باللغتين العربية والاسبانية

مديرها ورئيس تحريرها : موسى يوسف عزيزة

يحرر فيها نخبة من حملة الاقلام الحرّة

عنوانها :

El DIARIO SIRIOLIBANES
Recon quista 339
Buenes Aires Rep. Argentina.

معمل تحليل وديع فواديني

سبتالية الدكتور ملتون بمصر سابقاً . متخرج من جامعة الطب الاميركية ببيروت
استامبول بشارع جلال باشا رقم ٦ تجاه تياترو الكسار بشارع عماد الدين بمصر
لمن انه اعاد فتح معمله لتحليل البول كيماويًّا ومكروسكوبيًّا وفحص البصاق
والمادة ولبن الرضاعة وجميع مكروبات الامراض بغاية الدقة وبأحدث الطرق
بة مع المهاودة الواجبة تليفون ٥٠٣٣٠

الالحان الضائعة

مجموعة من شعر حسن كامل الصيرفي

ثمنها خمسة قروش صاغ — تطلب من المكاتب الشهيرة

الشاطىء المجهول

انتهى قبول الاشتراكات في « الشاطىء المجهول » ديوان « سيد قطب »
وبعد أيام قلائل يظهر في ثوبه الأنيق

النسخ المطبوعة ١٥٠٠ والاشتراكات ١٢٠٠

زاد عدد الصفحات من ١٦٠ — ٢٠٨ — وارتفع الثمن من ٥ — ٨ قروش

بادر بارسال الثمن للمكتبة التجارية لتحجز لك نسختك

فالعدد الباقي محدود

مكتبة كبيرة

كلفنا احد الاعيان العلماء بمصر في بيع مكتبتهِ الخاصة وهي تزيد عن خمسة آلا
كتاب من أنفس الكتب المطبوعة بمصر وسوريا ولبنان والاستانة والعراق والمغ
الاقصى والهند واوربا واميركا وقد صار ترتيب هذه الكتب الى كل فن وهي تش
الادب والتاريخ والدواوين الشعرية والقواميس العربية والصرف والنحو والان
والمراسلة والفنون الصناعية والزراعية والسحر والفراسة والفلك والموسيقى والملاه
والغناء وقصص عربية فكاهية وكتب ترجمة عربية وأفرنجية مختلفة ومسك دفاتر وحس
وهندسة ورياضة وجغرافيا واطالس وكتب اسلامية في جميع المذاهب وكتب مسيح
قديمة طبع رومية وكتب قانونية وسنوات مجاميع من جميع المجلات العربية القد
والحديثة الصادرة بمصر وغيرها من الاقطار الخ . .

ثم يوجد خلاف هذه الكتب ما يزيد عن الثلاثماية مخطوط عربي صار ترتيبها
فنونها كل علم على حدة وطبعنا فيها كشوفات على الآلة الكاتبة كما فعلنا بالكتب المطبو
ومطلوب بيع هذه المكتبة صفقة واحدة او نصفها او بعضها مع استعدادنا لتقديم ه
الكشوف مجاناً وهي فرصة نادرة خصوصاً تنزيل اثمانها ٢٠ و ٣٠ عن اصلها وا
مع ادارة المقتطف بمصر او صاحب مكتبة العرب بالفجالة بمصر

سيارات موريس الجديدة

دائما الاولى

١ — في خفض الضريبة . . . . . ٦٥٠ قرشاً في العام

٢ — في اقصى الاقتصاد . . لان الكيلومتر الواحد يكلف مليما واحداً

٣ — في ادنى الاسعار . . . من ١٤٥ جنيهاً (سيارة ذات مقعدين)

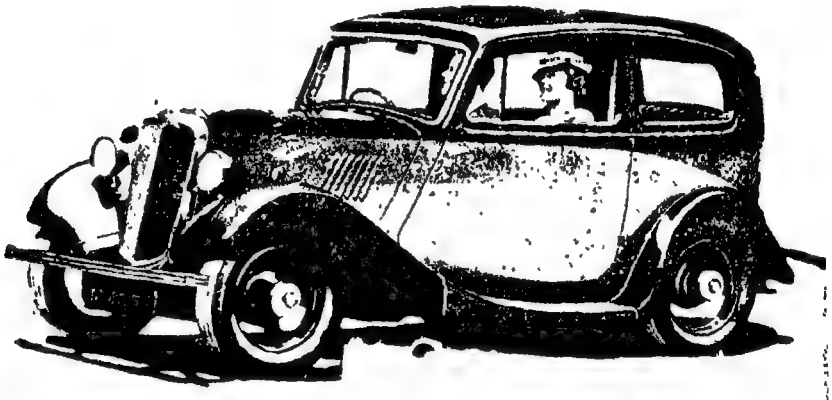

موريس — ثمانية احصنة

الوكالة : شركة كايرو موتور

ا — دي مارتينو وشركاه

بالقاهرة : — شارع سليمان باشا ٤١

بالاسكندرية : — شارع فؤاد الاول نمرة ٣٥

قائمة سلسلة المطبوعات العصرية

التي عنيت بنشرها « ادارة المطبعة العصرية » بشارع الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة بمصر

ص	
٣٥	القاموس العصري انكليزي عربي (طبعة ثانية)
٧٠	« « « « (طبعة ثالثة)
٧٠	« « عربي انكليزي (طبعة ثانية)
٣٥	« المدرسي عربي انكليزي وبالعكس
٣٠	قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس
٢٠	« « عربي انكليزي فقط
١٥	« « انكليزي عربي فقط
٧٠	« سفراط سبيرو عربي انكليزي (باللفظ)
٥٠	« « « انكليزي عربي (باللفظ)
١٠٠	« « « « وبالعكس
١٠	التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطول)
١٢	الهدية السنية لطلاب اللغة الانكليزية (باللفظ)
١٠	الف كلمة الماني (لتعليم الالمانية بسهولة)
١٥	في اوقات الفراغ (للدكتور محمد حسين هيكل بك)
١٠	عشرة ايام في السودان « « «
١٢	مراجعات في الادب والفنون للاستاذ عباس العقاد
١٥	روح الاشتراكية (لفوستاف لوبون) وترجمة (الاستاذ محمد عادل زعيتر)
١٥	روح السياسة « «
١٠	الاراء والمعتقدات « «
١٠	اصول الحقوق الدستورية « «
٢٠	الحضارة المصرية (لفوستاف لوبون)
١٥	حضارة مصر الحديثة (تأليف كبار رجال مصر)
١٠	الحركة الاشتراكية (رمسي مكدونلد)
١٥	ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء
٨	اليوم والغد (الاستاذ سلامه موسى)
١٠	مختارات « « «
٨	نظرية التطور وأصل الانسان « «
٢٠	اناتول فرانس في مباذله، للاميرشكيب ارسلان
١٥	الدنيا في اميركا (الاستاذ امير بقطر)
١٠	المرأة الحديثة وكيف تسوسها (عبدالله حسين)
١٠	جريمه سلفستر بونار (اناتول فرانس)
٥	المرأة بين الماضي والحاضر
٥	مركز المرأة في شريعتي موسى وحمورابي
١٥	حصاد الهشيم (للاستاذ ابراهيم عبدالقادر المازني)
١٠	قبض الريح (« « « « «)
٨	نسمات وزوابع شعر منثور مصور
١٠	رسائل غرام جديدة (سليم عبدالواحد)
١٠	الغربال في الادب العصري (مخائيل نعيمة)
٥	حكايات الاطفال ، اول (مصور بالالوان)
٥	« « ثان « «
٥	« « ثالث « «
٥	تذكرة الكاتب طبعة منقحة لاسعد خليل داغر
٢٥	جمهورية افلاطون (للاستاذ حنا خباز)
٦	مراقي النجاح (الارشندويت بشير)
٥	مريم المجدلية (موريس ميترلنك)

ص	
١٠	التربية الاجتماعية (للاستاذ علي فكري)
٥	خواطر حمار (للاستاذ الجمل)
٥	التعليم والصحة للدكتور محمد بك عبد
١٥	الحب والزواج (للاستاذ نقولا حداد)
١٥	ذكراً وانثى خلقهم « « «
٥٠	علم الاجتماع (جزآن كبيران « «
١٥	اسرار الحياة الزوجية « «
٣٠	الامراض التناسلية وعلاجها للدكتور
٢٠	المرأة وفلسفة التناسليات «
٢٠	الضعف التناسلي في الذكور والاناث
١٥	الزنبقة الحمراء (للاستاذ احمد الصاوي
١٠	تاييس « « «
٥	مكايد الحب في قصور الملوك (اسعد خليل د
١٠	القصص العصرية (٨٠ قصة كبيرة مص
١٠	مسارح الاذهان (٣٥ قصة كبيرة مص
١٢	رواية اهوال الاستبداد ، مصورة
١٠	« فاتنة المهدي ، او استعادة الم
٨	« الانتقام المذهب (اسعد خليل د
٥	« فقر وعفاف (للاستاذ احمد رأ
١٢	« باريزيت ، مصورة (توفيق عب
١٢	« غرام الراهب او الساحرة الجا
٧٥	« روكامبول ، ١٧ جزء (طانيوس
٢٥	« ام روكامبول ، ٥ اجزاء
٢٠	« باردليان ، ٣ اجزاء
٢٠	« الملكة ايزابو ، ٤ اجزاء
٢٠	« الاميرة فوستا ، جزآن
٢٠	« عشاق فنيسيا ، جزآن
١٦	« الساحر العظيم ، ٤ اجزاء
١٦	« كابيتان ، جزآن
١٦	« الوصية الحمراء ، جزآن
١٦	« بائعة الخبز
١٢	« فلمبرج ، جزآن
١٠	« فارس الملك
١٠	« ضحايا الانتقام
٨	« المرأة المفترسة
٥	« المتنكرة الحسناء
٥	« مروضة الاسود
٥	« شهداء الاخلاص
١٦	« دار العجائب جزآن (نقولا
١٠	« قرنسوا الاول «
١٠	« الجنون فنون «
٨	« حورية «
٨	« الغلامان الطريدان «
١٢	يسوع ابن الانسان (جبران خلي
٨	النبي « «
٥	آلهة الارض

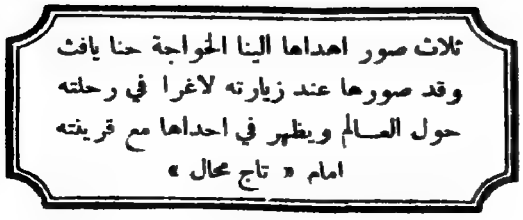

ثلاث صور اهداها الينا الخواجة حنا يافث
وقد صورها عند زيارته لاغرا في رحلته
حول العالم ويظهر في احداها مع قرينته
امام « تاج محال »

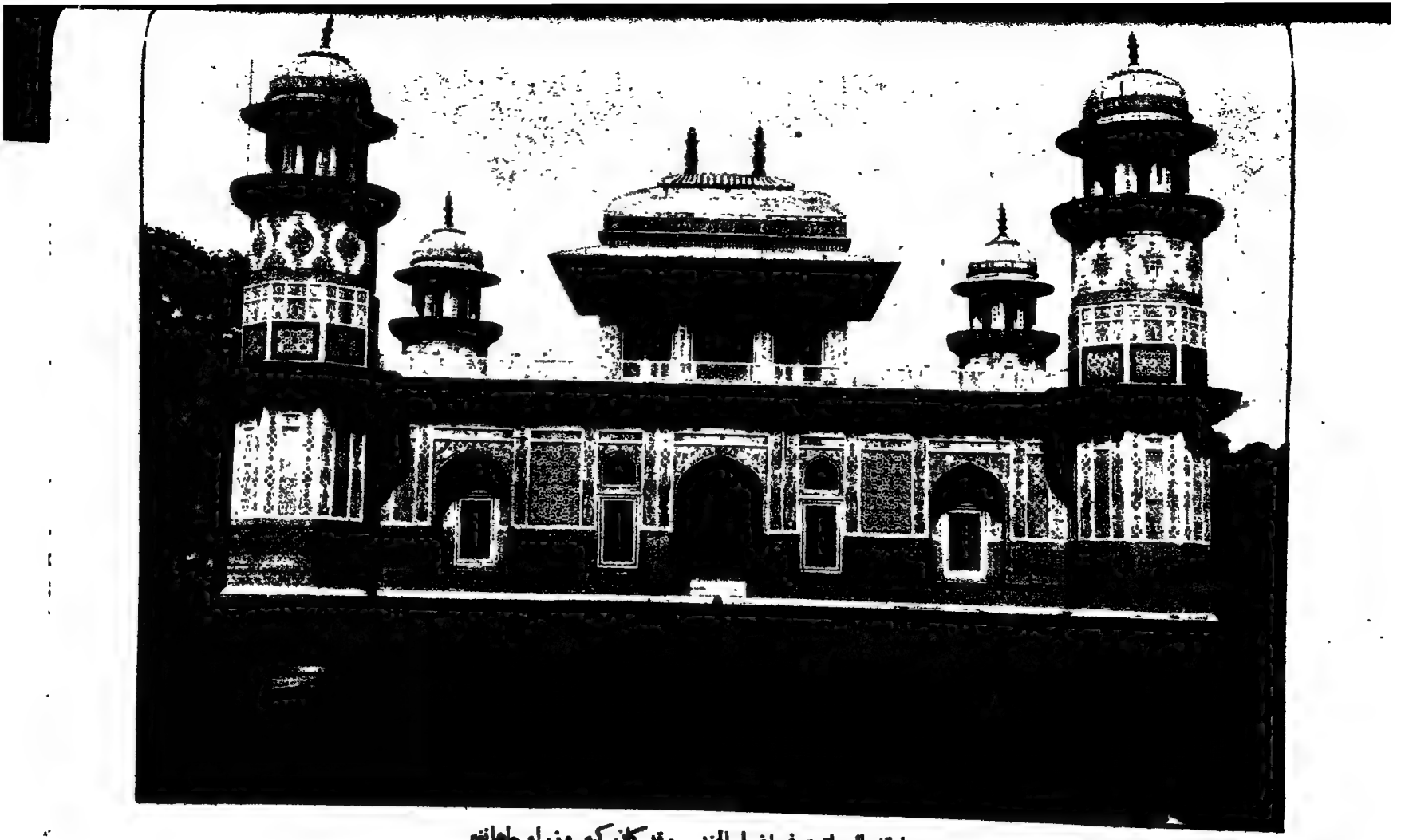

مقبرة « اعتماد الدولة » في اغرا بالهند . وقد كان كبير وزراء جاهانغير

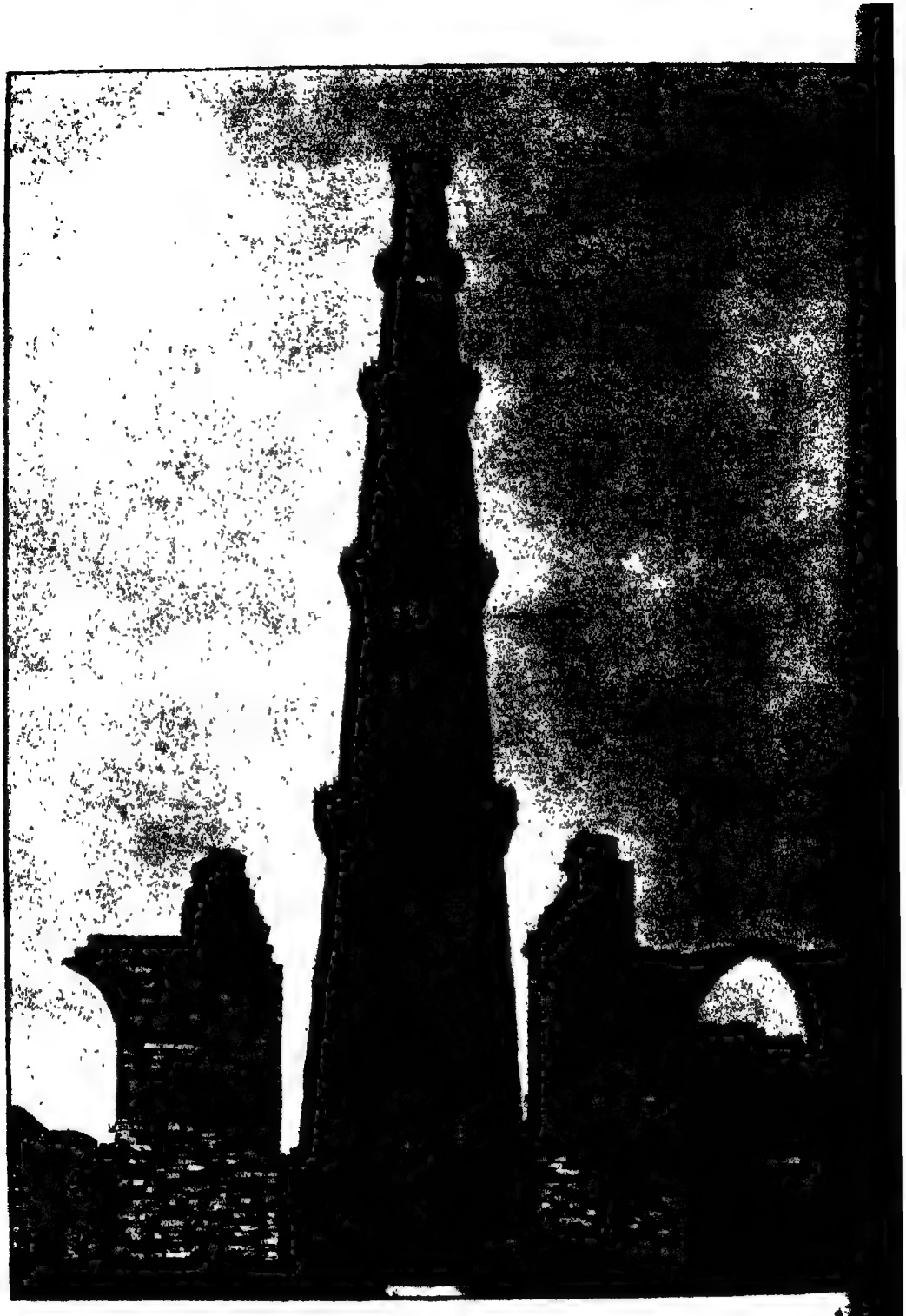

أذنة على ١١ ميلا من دلمي علوها ٢٣٨ قدماًوبوصة واحدة وقطرها عند قاعدتها
٤٧ قدما و٣ بوصات ، وعند قمتها ٩ اقدام

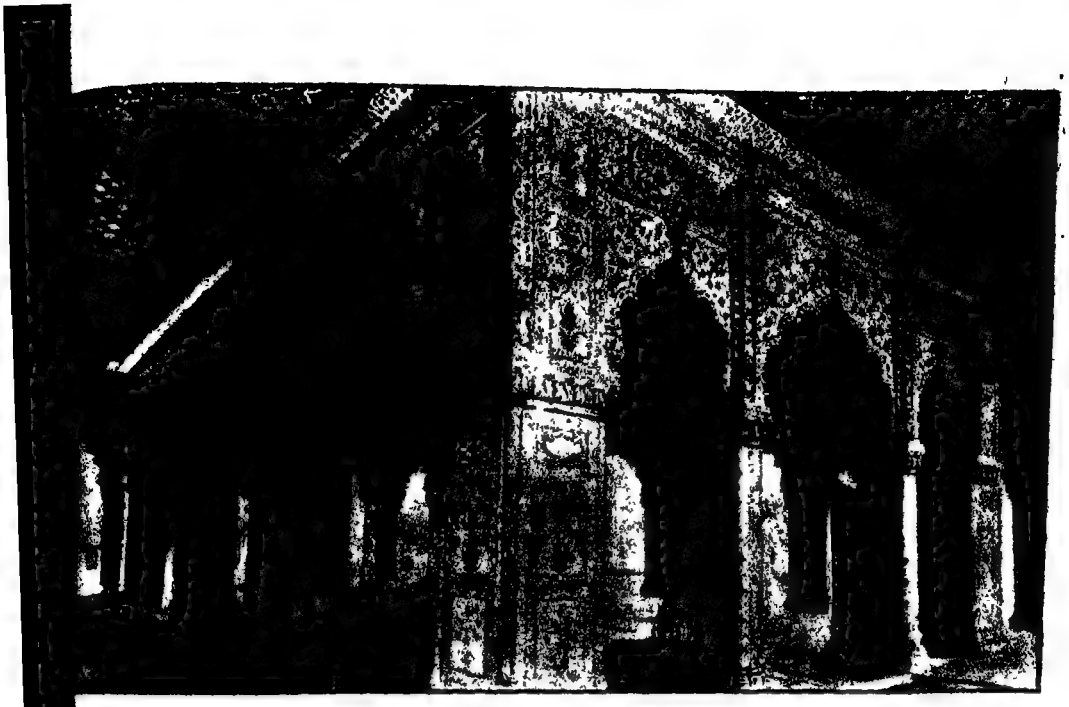

داخل الديوان الخاص في دلهي وهو معروف بردهة « عرش الطاووس » لان وراء العرش فيها كان يوجد طاووسان من الذهب وقد رصع ذيلاهما بالالماس والياقوت الاحمر والياقوت الازرق والزمرد واللؤلؤ وغيرها من الحجارة الكريمة تقليداً لالوان الطاووس الطبيعية

الى اليسار — امام « تاج محال »

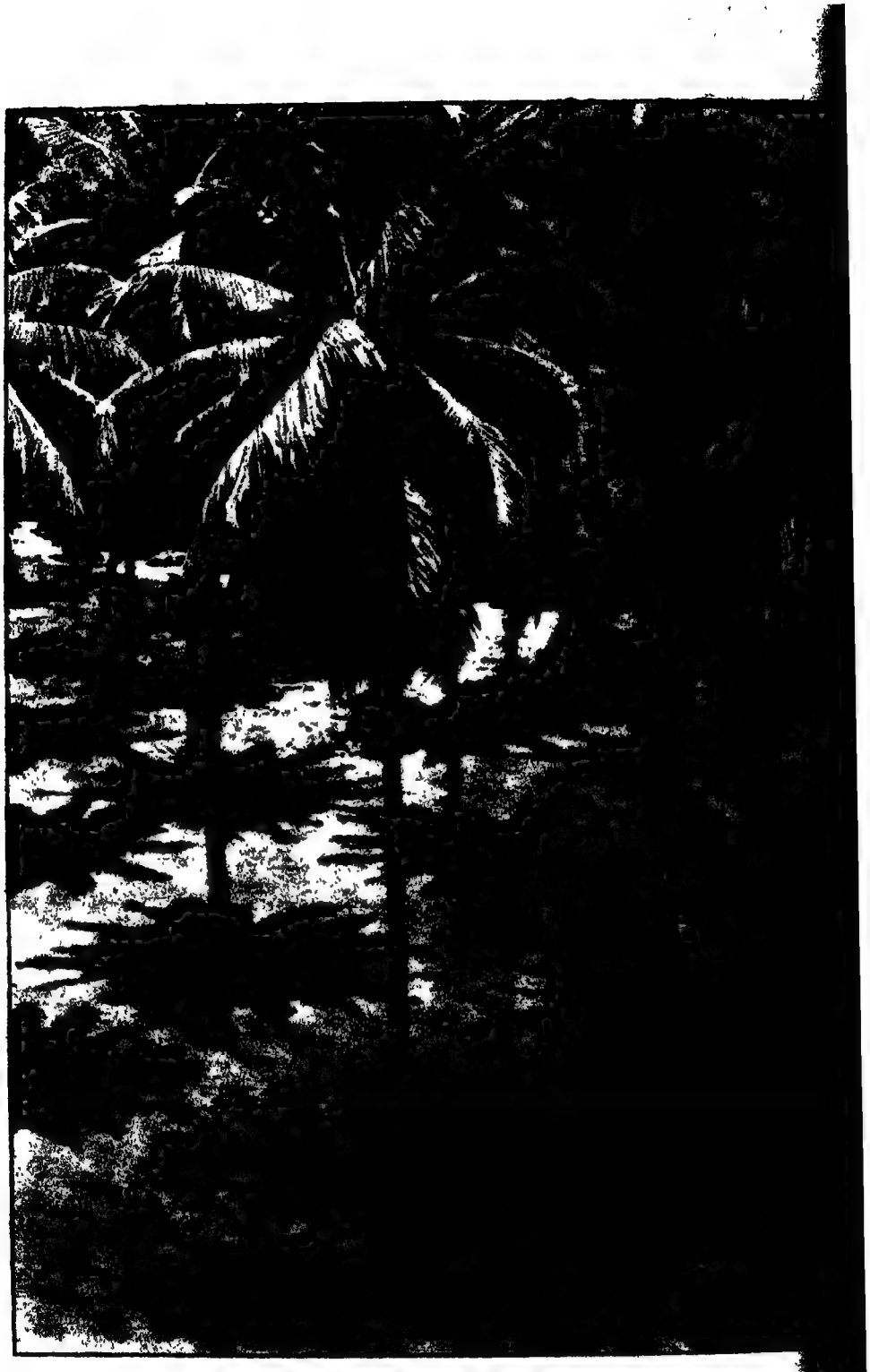

الشمس في كبد السماء
وقد وقع ظلها عمودياً على الارض تحت الاشجار

العلامة البرت اينشتين

Albert Einstein

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الرابع من المجلد السادس والثمانين

يل سنة ١٩٣٥ — ٢٧ ذو الحجة سنة ١٣٥٣

النفوذ الى سر الحياة

صلة مظاهر الحياة المختلفة بضروب الاشعاع

بين الخلية والكوكب

الحياة علمٌ واسع النطاق متشعّب الفروع ، يتصل من ناحية بالفلسفة ، ومن الناحية
لعلوم الطبيعية والكيمياء . فالجنرال سمطس السياسي والفيلسوف يذهب الى ان الحياة
ة مستقلة بل نظام معيَّن . والانسان في نظر احد الفلكيين ليس الاّ مركَّباً من مركبات
ن [1] في حالته الغروية وقد اضيفت اليه اخلاط اخرى . اما الكيماويون فيحاولون ان
ة الحية الى العناصر التي تتألف منها ، فيقيسون المقادير اليسيرة من المعادن التي تدخل في
م من الاجسام ، وغرضهم ان يضعوا للجسم الحيّ تعريفاً كيمائياً كما يكتب كبار الطهاة
كة معينة او لضرب من الحلوى ، ثم يعلنون ان المواد الكيمائية في جسم الانسان لا يزيد
قرشاً صاغاً !

الكيمائيين يستطيعون ان يركبوا من هذه المقادير المختلفة جسماً حيًّا ، لكانت الاجسام
ن من بعض اصناف الكمك والحلوى !

من السر ! اننا نعلم بوجه عام مما تتألف الاجسام الحية . ولكننا نجهل الوصفة ، التي
ضاها هذه الاجسام . ولا بدَّ ان تبقى بعض الظواهر الغريبة في حياة الانسان كالبله
فية مستسرّة ، حتى يتاح لنا الكشف عن هذه الوصفة

---

[1] هذا المركب العلمي اوكسينيتروكاربيد النتروجين oxynitrocarbide of hydrogen

فالجبلة (بروتوبلاسمة) اقرب مظاهر الطبيعة الينا وابعدها عنا . فهي قريبة الينا ، لان
مبنية منها . وهي بعيدة عنا ، لاننا اذا حاولنا الكشف عن اسرارها والتغلغل في
وجدناها انأى من النجوم . فثمة نجوم لا نراها ولو استعملنا نظارة مرصد جبل ولسن
ولكن المطياف وما يتصل بهِ من الواح التصوير الشمسي ، يكشف لنا عما يتصل بها من
فنستطيع ان نعرف شيئاً غير يسير عن حالة باطنها . بل ان الفلكي ادرى بالنجم ، في بعد
الاساسية ، من البيولوجيّ ببناء الخلية

نعم ان تسعين في المائة من مادة الكون مفرغ في اجسام النجوم والسُدُم . والنجوم
على عظمتها ، مركبة من مادة في حالة توهج شديد يستطاع تفسيرها وتصورها وفقاً لما
والكيمياء . ولكن الخلية الحية على صغرها ، مركّبٌ معقّد من السوائل والغازات و
الغروية ، وهي على برودتها اذا قيست بدرجات الحرارة العادية لا بحرارة الشموس ، ذ
ذريّ وجزيئي خفيّ تنشأ منهُ شعلة الحياة

إن الحيّ ، في ما نعلمهُ عن الحياة ، لا ينشأ الاّ من الحيّ . ولكنّ الاحياءَ تعتمد
على ما يحيط بها من الاشياء غير الحية . بل ان تغييراً تحدثه في بيئة الحي ، الطبيعية والكي
يفضي الى نشاط الحياة وتكاثرها ، او قد يفضي الى انحطاطها وانقراضها

خذ مثلاً على ذلك العلامة كارِلٌ Alexis Carel فانهُ كسر في سنة ١٩١٢ ب
توشك ان تنشقّ ليخرج منها صوصٌ ، واستخرج من جنين الصوص ، تلك القطعة ال
— قلبهُ — ووضعها في انبوب فيهِ محلول معيَّن . في هذا الانبوب ، وجد قلب الـ
مثلى للحياة . فهو مصون فيها ، من فعل الجراثيم والسموم ، وتأثير البرد والحرّ ، ومـ
لا ينفد من المواد اللازمة للحياة ، مثل الاكسجين والسكّر وغيرهما . وقد انقضى على
ثلاث وعشرون سنة ، وهو حيٌّ وافر الحياة ، لا تبدو عليهِ اية إمارة من إمارات الهرم و
بل ان جميع الدلائل تدلُّ على انهُ يستطيع ان يعيش ، اذا ظلَّت بيئتهُ الطبيعية كما هي ،
على قول الكاتب العلمي جورج غراي ، « حتى تبرد الشمس »

ان في تجربة الدكتور كارِلٌ هذه ، دليلاً ناهضاً على ان الاحياءَ تعتمد على غير
الاعتماد ، وهي حقيقة ليست بالجديدة ، ولا بالمبتكرة ، ولكن اقرارها على هذا الوجه ،
البحث عن سرّ الحياة ، لانهُ متى حلَّ الكيماوي الاجسام الحية الى عناصرها الاولى ، و
تحتوي على شيء جديد ، لم يعهدهُ قبلاً في الصخور والنجوم ، يخطر ببال الباحث والقارئ
الآتي وهو : متى او في اي دور من ادوار تطورها تتحول المادة الجامدة الى مادة حية ؟

ولا يخفى ان خارج الخلية مركبات مؤلفة من الكربون والايدروجين والنتروجين و
وجميعها عناصر لا حياة فيها ، تتألف منها الارض وما عليها والبحار وما فيها . هذه المواد

الخلايا وتتحوّل فيها الى غذاء . ثم تتركب هذه الاغذية في جسم الخلية تركيباً جديداً فتنتقل المواد الجامدة الى طبقة المواد الحية كخضوب النباتات Chlorophyll وحمور الدم Hæmoglobin

تفسير الحياة في طريقها تصنع الحيّ من غير الحيّ محوّلة مادة النجوم الى مادة الخلايا . متحركة

ففيه هي القنطرة بين الجمود والحياة

لبحث عن هذه القنطرة ، قد اصبح في العصر الحديث ، كما كان في العصور السابقة . غرضاً

اليهِ الركائب وهدفاً تتقطع دونهُ الاعناق

عجيبة التركيب الضوئي

س بين وسائل العلم الطبيعي الحديث ونظرياتهِ المبتكرة ، ما هو أجدى في نظر الباحثين عن

لحياة . من نظرية المقدار (الكونتم) في الطاقة ، والوسائل المستحدثة لتوليد ضروب

اع وقياسها

لضوء الذي كان سبيل الفلكي الى بواطن النجوم ، وسبيل الطبيعي الى قلب الذرّة ، أصبح

سيلة يعرفها الفسيولوجي لفهم التركيب الدقيق في الخلية الحية . بل أن الضوء في مقدمة

وعات التي يتناولها البحث الحيوي كذلك

لك ان الضوء هو المحرّك الاكبر في الطبيعة . وقد اقترح الاستاذ دُنن أحد علماء الكيمياء

عة لندن من بضع سنوات تحديد يوم معين كلّ سنة ، لعطلة رسمية عامة ، يخرج فيهِ سكان

لى الحقول والمراعي الخضر ، عند ما تهبّ نسمات الربيع الاولى ، لتقديم فروض الشكر الى الشمس

أنهينا اياه من نعمة الضوء ، وهو ما نفعلهُ في مصر يوم شم النسيم . فالانسان ينفق الطاقة ،

م الطاقة التي ينفقها مستمدّة اصلاً من طاقة الشمس ، ولكنهُ يتناولها من خلية نباتية خاصة لها

ة على التقاط طاقة الشمس وخزنها وهو ما يعرف بالتركيب الضوئي Photo-synthesis

وموضع الخطر في فعل الخلية النباتية هو أنها تصدُّ تيار الطاقة المنحدر . فالانسان — وسائر

ات — عاجز عن ذلك . وقد اثبت العلم لنا ان تيار الطاقة ابداً سائر في سبيل الانحطاط . تخرج

من بواطن الشموس قوية الفعل قصيرة الأمواج ، ثم تنحدر رويداً رويداً في خلال اختراقها

لكون ، تضعف قوة وتطول امواجاً ، ولكن النبات الاخضر يقف في سبيل هذا الانحدار

ئماً . فليس من الغريب أن يرى بعض علماء الحياة ان دراسة التركيب الضوئي ، يجب ان تكون

لى في البحث عن سرّ الحياة . وليس من العجيب ان يكون ثلاثة من حائزي جوائز نوبل

ن عني بهذه الناحية من البحث وهم رتشارد ڤلستاتر Wilstatter واوتو فربورغ Warburg

ر Fischer

وب — أي المادة الخضراء في النبات Chlorophyll — هو الهدف الذي تتجه اليهِ جهود

الباحثين في عشرات من معامل البحث البيولوجي في مختلف انحاء العالم . وجميع بحوثهم التجارب الدقيقة التي قام بها فلستاتر من نحو ثلاثين سنة في جامعة زوريخ . فقد اثبت كريات الخضوب في الاوراق الخضر تحتوي على مقادير معينة من الصبغ الاصفر ، علاوة الأخضر . واثبت كذلك ان الخضوب خضوبان ، يحتوي كلٌّ منهما على عناصر والنتروجين والاكسجين والمغنيزيوم . ولكن ترتيب ذراتها في الخضوب الواحد في الخضوب الآخر . وقد تتبع الخضوبين الى أصلهما الكيماوي ، فوجد انهُ مادة شبيهة الحمراء المعروفة باسم هيموغلوبين . وكذلك توصّل هذا العالم ، في خلال بحثهِ عن اسعل لضوء الشمس ، الى تبيُّن صلةٍ بين النبات والحيوان . فالهيموغلوبين في الدم ينقل الأ ثنايا الجسم الحي . أما الخضوب فيستخرج الاكسجين من ثاني اكسيد الكربون . فعمل الو عن عمل الآخر . ولكن أصلهما واحد . وكذلك تبيَّنا شاهداً على وحدة الطبيعة العلم شاهداً من هذا القبيل

***

والمسألة الاساسية في كلّ هذا ، هي أن نفهم كيف يستطيع الصبغ الاخضر في اوراق ان يجمع بين الماء وثاني اكسيد الكربون ، فيبني منهما مادة تنطوي على طاقة كامنة وهو التركيب الضوئي Photosynthesis . ومهما تكن الطريق فاننا نعلم نتيجة التركيب الكيماوية كما يلي : ثاني اكسيد الكربون + ماء + طاقة الشمس = سكر + اكسجين

كذلك يبني السكر في اوراق النبات ، ويعاد جانب من اكسجين ثاني اكسيد الكربون الى الهواء . أما السكر فيخزن في النبات ، ومنهُ تبنى المواد النشوية والادهان والمواد فهو غذاء الحياة الاساسي . وهو يحترق باتحاده بالاكسجين فتخرج منهُ المواد التي دخلت أي الماء وثاني اكسيد الكربون والطاقة

وكلُّ حيّ يستعمل السكر ، يحولهُ في جسمهِ بالاحتراق ، الى طاقة وماء وثاني اكسيد ولكن ليس في الطبيعة على ما نعلم الاّ الخضوب ، يستطيع ان يفعل الفعل المقابل ، اي يستطيع من هذه العناصر الثلاثة مادة السكر المنطوية على طاقة كامنة

وقد عنى الاستاذ اوتوفربورغ — احد علماء المعمل البيولوجي في معهد القيصر باستثنيات بعض الفطائر البحرية الخضر ، في ضوء ضعيف . فتولد في الفطائر كريات قاتمة الخضوب يسهل عليها تركيب السكر . ثم ثبت له بالتجربة انهُ اذا زادت قوة الضوء نقصت الخضوب على توليد السكر . اي ان توليد السكر ينقص بزيادة قوة الضوء . فكانت هذه اشبه ما يكون بالمفارقة . وظلت كذلك الى ان اخرج فربورغ نظريته التي يبيّن فيها ما يحدث لجزيئات الخضوب — بحسب رأيهِ — تمتصُّ الضوء . ولكن هذا الامتصاص لا يتمُّ الا

الثانية . بل ثبت ان هذا الامتصاص في بعض التفاعلات لا يتعدى جزءاً من مليون جزء
ية . و دن فاستعمال تلك الطاقة — كائناً ما كان — يجب ان يتم في ذلك الجزء اليسير من الوقت.
ض انه تكون استعمال الطاقة في هذا الجزء اليسير من الثانية . اذا كانت حمة الخضوب
حينئذ ثاني اكسيد الكربون. فتوليد السكر عند بدء هذا الاتصال يكون كاملا . فاذا زادت
وء سرعت فعل التركيب . فيزداد بناء السكر . ولكن لا يلبث ان يصبح بناء السكر
ا تستطيع الخلية ان تتصرف فيه . عندئذٍ يفصل السكرُ المحشود ، بين ثاني اكسيد
ن وحبة الخضوب . على ان اتصال هذا الغاز بالخضوب لا تدحة عنهُ حتى يتم بناء السكر ،
على بناء السكر بعيد الزيادة في قوة الضوء

دعا فريورغ في اخراج هذه النظرية الى نظرية « المقدار » فطبقها على فعل التركيب
. فالضوء بحسب هذه النظرية ليس تياراً متصلاً من الطاقة ، بل هو اشبه ما يكون بتيار
منقذف من فتحة انبوب ، مؤلف من دقائق او قطيرات صغيرة متوالية . او هو اشبه
ن الرصاص المنقذف من فوهة مدفع رشاش . فالطاقة التي تلطم حزيء الخضوب . تكون
ير صغيرة . فينشأ عن تصادم مقدار من الطاقة بجزيء من الخضوب ، ان يحلّ مقدار الطاقة
رب من كهارب الجزيء . فاذا عاد الكهرب الى مكانه ، بعد ان يزول فعل الاصطدام ،
مقدار الطاقة ثابتة فيستعمله الخضوب ، في بناء السكر ، لأن بناء السكر يقتضي ، كما بينا في
الكيمائية ، وجود الماء وثاني اكسيد الكربون والطاقة اللازمة والخضوب ، والخضوب هو
الاساسي في التركيب الضوئي

لكن مقادير الطاقة تختلف . فمقادير الضوء الازرق اقوى فعلاً من مقادير الضوء الاحمر .
ك يظهر ان الخضوب يفضل مقادير الضوء الاحمر على مقادير الضوء الازرق في صنع السكر .
يستعمل مقادير الضوء الاحمر في الغالب لهذا الغرض

كيف توصل فريورغ هذا ؟ عمد الى احصائيات تجاربهِ . فوجد ان فعل التركيب الضوئي
الى خمسة مقادير من الضوء الازرق لاستخراج الاكسجين من جزيء ثاني اكسيد الكربون.
يكتفي بأربعة مقادير من الضوء الاحمر لانجاز الفعل نفسهِ . وقد قام عالم المدني آخر اسمهُ
Emerson بتجارب من هذا القبيل معتمداً اساليب غير اساليب فريورغ فوصل الى النتيجة
. والظاهر ان الصبغ الاصفر في الخضوب — وحجمهُ في حبات الخضوب خمس حجم الصبغ
ر — يمتص الضوء الازرق بسهولة . ولكن مقادير الضوء الازرق التي يمتصها لا شأن لها
السكر فهي طاقة ضائعة من هذا القبيل . وهذا يفسر لنا السرَّ الذي سبق ذكره . وهو
ير الضوء الازرق وان كانت أنشط فعلاً من مقادير الضوء الاحمر ، اضعف اثراً في تركيب
في اوراق النبات

ولكن ما هي وحدة التركيب الضوئي ؟ اهي جزيءٌ واحدٌ من الخضوب او عدة جزيئات
هذه المسألة موضوع بحث دقيق قام بهِ عالمان اميركيان — احدهما روبرت امرسن في
كاليفورنيا التنكولوجي والثاني وليم ارنولد في جامعة هارفرد — فأثبتا ان نزع الاكسجين من
واحد من ثاني اكسيد الكربون يقتضي وجود ٢٤٨٠ جزيئاً من الخضوب . وهذا لا يعني
جزيئاً من الخضوب يجب ان تتألب حتى تنتزع الاكسجين من جزيء واحد من ثاني
الكربون ، لان جزيء الخضوب كبير مؤلف من ١٤٦ ذرّة وجزيء ثاني اكسيد الكربون
مؤلف من ثلاث ذرات فقط . ولكنهُ يعني ، انهُ كلما اتصل جزيء الخضوب بجزيء ثاني
الكربون لنزع اكسجينهِ منهُ ، كان ٢٤٧٩ جزيئاً من الخضوب قاعدة عن العمل

وقد تكون وحدة التركيب الضوئي جزيئاً كبيراً . فقد بين هارولد مستر احد علماء معمل
ان الخضوب الحي في خلية النبات يختلف كل الاختلاف عن الخضوب الذي نستخرجه ونحله
ووسائلنا الكيمائية . فالبحث الطيفي في الخضوبين يدل على انهما مختلفان . والخضوب خارج
لا يستطيع ان يبني السكر . ولكن التركيب الضوئي في النبات ، يمكن اسراعه بوسائل
وقد استنبط امرسن وارنولد لذلك طريقة تمكنهما من حمل النبات على صنع خمس دقائق
حيث كانت تصنع دقيقة واحدة من قبل

والظاهر ان التركيب الضوئي ، ليس فعلاً واحداً ، بل هو فعل دوري . ففي دور
تتأثر جزيئات الخضوب بالضوء في جزءٍ من الف جزء من الثانية . والدور الثاني دور
الكيمائي وهذا يمكن ان يتم في الظلام ويستغرق من الوقت اربعة آلاف ضعف ما يستغرقه

الاشعة وموت الخلايا

بيد ان عالم الاشعاع لا يقتصر على ضروب الاشعة التي تراها العين . بل ان الاشعة
ضعيفة الطاقة اذا قوبلت بالاشعة التي تملأ رحاب الفضاء وتعجز العين المجرّدة عن تبينها
التي فوق البنفسجي والاشعة السينية واشعة غما والاشعة الكونية . ثم ان الهواء حافل بدقائق
مكهربة تنطلق بسرعات عظيمة تقرب في بعض الاحيان من سرعة الضوء نفسها مثل
ودقائق بيتا (الكهارب) والايونات المختلفة

في هذه البيئة المضطربة ، من الانطلاق والاصطدام والتفتت والتألف ، نشأت الجبلة
ونشرت نسيج الحياة فوق سطح الارض . فهل فعلت ذلك رغماً عن اصطدامها بضروب
والدقائق المكهربة المختلفة ، او انها استمدّت منها عوناً على بلوغ ما بلغت ؟ او ماذا
تصطدم احدى هذه الدقائق بخلية من الخلايا الحية ؟

مضى على العلماء ثلاثون سنة وهم يعلمون ان اشعة الراديوم واشعة اكس تفتك بالنسيج

ذا الاكتشاف الى الاستاذ بكرل اذ لاحظ اتفاقاً انهُ بعدما وضع قليلاً من املاح الراديوم بجيب صدرته ، اصيب جلده تحت ذلك الجيب بقرحة . فكان هذا الاكتشاف الخطوة في استعمال الراديوم لاتلاف النسج المصابة بتورمٍ سرطانية . وقد مضت سنوات والعلماء يجمعون الحقائق التي يتعلمونها بالاختبار فثبت لهم مثلاً ان الخلايا الفتية اشدُّ تقبلاً لفعل من الخلايا الهرمة، اي ان الاشعة افعل في اتلاف الخلايا الفتية منها في اتلاف الخلايا الهرمة . م كذلك ان النسج والاعضاء تختلف في مقاومتها لفعل الاشعة . واقلها مقاومة هي الدم ونخاع العظام والخلايا اللمفاوية أو الشبيهة باللمفاوية

ان علماء البيولوجيا الطبيعية ، يصبون الى ما هو أدقُّ من ذلك . وقد توصلوا الى نتائج هذه الناحية في معاهد اوربا واميركا ، نضرب مثلاً عليها بسلسلة من التجارب قام بها كوف Wyckoff في معهد ركفلر الطبي . فقد تخيَّر ويكوف البكتيريا موضوعاً لمباحثه طلاق الدقائق الصغيرة على البكتيريا ، بسرعات مختلفة ثم يقيس ما يموت من البكتيريا وما يسلم التجربة الأولى التي جرّبها مع الأستاذ رفرز استعملا تياراً من الكهارب منطلقة بسرعة ١ ميل في الثانية . ولما كان الكهرب ايوناً ، أي جزءاً مكهرباً من الذرّة ، فهو شبيه الكثيرة المطلقة ذهاباً واياباً في الهواء . ثم نشر عدداً معروفاً من باشلس القولون في حدة على لوح من مادة « الاغار » واطلق الكهارب عليها فلما انقضت ١٢ ثانية كان عدد من باشلسات القولون ٣١١ باشلساً . وبعد انقضاء ٢٨ ثانية على الشروع في التجربة نقص شلسات الحيه الى ٢٦ باشلساً فقط ، ثم اجريت تجارب اخرى من هذا القبيل بانواع اخرى تيريا وأفضت الى نتائج مماثلة

لمعروف انهُ اذا انطلق كهرب بهذه السرعة واصطدم بدقيقة من دقائق المادة ، قذف من ايونات كثيرة في مساحة يسيرة . فكأنَّ اصطدام الكهرب بالدقيقة يحدث فيها انفجاراً وقد أثبتت الامتحانات ان كهرباً منطلقاً بهذه السرعة يطلق من الدقيقة التي يصطدم بها ايون في مساحة $\frac{1}{1000}$ من الملمتر المكعب . فاذا اصابت الكهارب دقائق جسم البكتيريا فيها نوعاً من العاصفة بانطلاق الايونات العديدة منها ، فيختلُّ توازن الجبلة الحيوي فتموت

ة طائفة اخرى من التجارب قام بها ويكوف وكان مدارها الاشعة السينية . فاداة الاصطدام التجارب ليست دقيقة مكهربة ، اوشحنة كهربائية تفعل فعل الدقيقة كالكهرب ، بل مقدار قة الشديدة النفوذ للمواد كمقادير الاشعة السينية . ولا يخفى ان طاقة اشعة اكس ، كطاقة الضوء المرئي ، ليست في طبقة واحدة بل تختلف ، باختلاف طول امواجها . وكذلك اطلقت السينية من خمسة ضروب مختلفة على باشلسات القولون فكانت النتيجة كما يلي :

[illegible]لايين من « مقادير » Quanta الطاقة من خلال البكتيريا من دون انتؤذيها . وامتصت

الخلايا ملايين اخرى من دون ان يحدث فيها الموت . فلما حدث الموت كان نتيجة لامتصاص واحد (Quantum) . وكان متوسط الكهارب الفتاكة في الاشعة السينية العالية الطاقة ١ في الاشعة السينية الضعيفة الطاقة (الضعف نسبي طبعاً) فكان المتوسط ١ : ٦٠ وقد حدث الموت في جميع هذه الخلايا وقوفها عن التكاثر بالانشطار

وقد تبين ويكوف من تجاربه هذه ان في الباشلس الواحد ، منطقة صغيرة شديدة الأشعة السينية، حالة ان سائر جسمها ليس كذلك . فهي تقابل انساناً لا تقتله الرصاصة أصابته في القلب . وقد حسب ويكوف حجم هذه المنطقة فاذا هو يقدره بنحو من جزء من حجم الباشلس . ولا يخفى ان باشلس القولون خلية واحدة اسطوانية الشكل من الملمتر وقطرها من الملمتر . اقسم حجمها هذا على ١٠٠ تعرف حجم المنطقة الخاصة فيها التي تتأثر بفعل الاشعة السينية الفتاك

أما في الطائفة الثالثة من هذه التجارب فقد استعملت الاشعة التي فوق البنفسجي التي لا ترى بالعين المجردة ، وانما نتبينها بفعلها الكيمائي في الواح التصوير الشمسي . ثم هي أضعف الاشعة السينية . ويمكن قسمتها الى مناطق تتدرج قوة او ضعفاً بحسب تدرج قصراً او طولاً . فهي أقصر امواجاً وأقوى فعلاً في ناحية الأشعة السينية من الطيف وامواجاً واضعف فعلاً في ناحية النور البنفسجي من الطيف . وقد استعمل ويكوف حزماً مختلفة من هذه الاشعة فأطلقها على البكتيريا فوجد ان البكتيريوم الواحد يمتص مقداراً واحداً من ٤١٩٠٠٠٠ مقدار من طاقتها . فاذا حاولنا أن نفسر مقدرة الامتصاص هذه في الحساس في الباشلس الواحد كما فعلنا في التجربة السابقة كان الجزء الحساس للأشعة البنفسجي . لا يتعدى مساحة جزيء واحد من جزيئات البروتين . وهو استنتاج يرفضه ولا يسلم به الآن اصغر جسم الجزيء من البروتين ، ويقول في تفسير ما حدث ان بعض تعرضاً بعامتها للتأثر بهذا الضرب من الاشعاع من الخلايا الأخرى

وكذلك نخرج من هذه التجارب بالنتائج التالية : ان مقداراً واحداً من طاقة الاشعة البنفسجي يكفي لقتل خلية اذا كان في الخلية استعداد طبيعي لذلك . وان مقداراً واحداً من الاشعة السينية يكفي لقتل خلية اذا اصاب تلك المنطقة الصغيرة فيها حيث تنبعث ولكن هذا لا يعني ان المقادير الاخرى التي تمتصها الخلية من دون ان تموت بامتصاص افعالاً بطيئة لا نعلم الآن شيئاً عنها [1]

(١) مما يتصل بهذا البحث اثر الاشعة السينية والاشعة الكونية في التطور والتحول الفجائي وكل يقال انها تنطلق من الخلايا الحية وتعرف بالاشعة البيونوجية . ونحن لم نتعرض في مقالنا لهذين الامرين ذكرنا معظم ما يعرف عنهما في كتابنا « فتوحات العلم الحديث » صفحة ٢٧٢ وصفحة ٢٧٥

نصف قرن

على ضفاف النيل

مرت خمسون سنة منذ نهضت مصر المقتطف ، ورحبت به ، وعطفت عليه ، ولم تكن سيف الاستبداد مصلتاً فوق رقاب الاحرار من أبناء سورية ولبنان ، فنزل المقتطف الديار المصرية ، على الرحب والسعة ، واتصلت اصوله بتربتها الغنية تستمد منها نموه والغذاء ، وامتدت فروعهُ في جوّها الصافي ، تتسامق الى أفسح الاجواء ، وأخذ من الحياة المصرية وتعطبها ، حتى غدا بتعصيد حكامها وعلمائها وأدبائها منارة بسط من عاصمتها أنوار العلم الصحيح والادب العالي على أرجاء الشرق

خمسون سنة من التاريخ ! والحضارة سائرة سيراً حثيثاً الى الأمام . ففي الآراء والافكار تقلب وتحوُّل ، وفي الآداب والأخلاق والمعتقدات ثورة وانقلاب ، وفي امور المعيشة تقدُّم لا يضاهيهِ تقدم في كلّ ما سبقهُ من عصور التاريخ ، وفي مختلف فروع العلم وأبواب البحث اكباب على كشف المجهول ، واستقصاء الاسباب الاولى . والعلماء من كل قطر ، منبثُّون في كل صقع ، يبحثون ويمتحنون ويكتشفون . وهو كل العلم سائر الى الامام وفي كثير من الاحيان على اشلاء مبدعيهِ

وقد كان المقتطف في خلال كلّ ذلك رسولاً أميناً بين حضارة الشرق وحضارة الغرب ، في ميدانه الرحب التقت أقلام العلماء والكتّاب من أبناء الحضارتين ، ومنشئو المقتطف واقفون للعلم بالمرصاد ، يقتطفون كل طارف وكلّ تليد ، حتى غدا المقتطف بمثابة مدرسة حوّلته ورابطة تضمُّ أبناء الشرق في وحدة متينة أساسها الثقافة العالية

وها المقتطف اليوم ، وقد انقضت خمسون سنة على المقتطف في مصر ، يأبى تحلّي جيد هذا العدد بثلاث رسائل تاريخية ، لثلاثة من عظماء مصر الراحلين هم المغفور لهم شريف باشا ورياض باشا وسعد زغلول باشا

رسالة شريف باشا

« ان الذين خبروا حال العالم واستقصوا سنن الهيئة الاجتماعية واستقروا اسباب ترقية البلدان واتساع نطاق الحضارة في كل مكان اجمعوا على ان العلم اعظم ركن في بناء التمدن والمعارف اوثق رباط لحفظ الامم وتعزيز شأنها ولذلك عظمت قيمة العلماء عند ارباب

العقول واعتبرت الوسائط التي من شأنها بث العلوم وتعميم المعارف في البلدان . ول
كان المقتطف خير ذريعة لنشر المعارف بين المتكلمين بالعربية فلا عجب اذا نال
من رفعة المقام في اعتبار الخاصة والعامة معاً وقد باغني في هذه الاثناء خبر تقا
القطر المصري بعد ما خبرته وخبرت معارفكم زماناً فاستحسنت ان ابدي مسرتي
لما فيه من الفوائد التي لا تستغني عنها البلاد . ولا ريب عندي ان عقلاء مصر و
لا يغفلون عن تعميم فوائده ولا يتقاعدون عن السعي لنشر علومه بينهم لا سيما و
علموا ان انارة الاذهان وتثقيف العقول اقوى واسطة لحفظ الامة وشد عرى اتحاده

مصر — مارس ١٨٨٥ محمد شريف

رسالة رياض باشا

« اخبرت انكما عزمتما على نقل جريدتكما الغراء الى الديار المصرية فسرني ذلك لما تعود
من الفوائد الجليلة والنفع الدائم لكل بلاد رفعت راية علومكم فيها وقد اغتنمت هذه
الفرصة لأبدي بها تهنيتي لابناء هذا القطر بمطالعتها واجتلاء فوائدها فان المقتطف
عندي منزلة رفيعة وقد ولعت بمطالعته منذ صدوره الى اليوم فوجدت فوائده تتزايد
وقيمته تعلو في عيون عقلاء القوم وكبرائهم . ولطالما عددته جليساً انيساً ايام التفرد
والاعتزال ونديماً فريداً لا تنفد جعبة اخباره ولا تنتهي جدد فوائده سواء كان في
العلم والفلسفة او في الصناعة والزراعة التي عثرت فيها على فوائد لا تثمن هذا علاوة على
ما فيه من المباحث الآيلة الى تهذيب العقول وجلاء الاذهان وتفكيه القراء الذ
ترحب مصر بالمقتطف الاغر وتحله محل الكرام الذين اشتهر فضلهم وعمت فوائده

مصر — مارس ١٨٨٥ رياض

رسالة سعد زغلول باشا

« يمثل «المقتطف» في الشرق عموماً ، وفي مصر خصوصاً ، ثمرة المعارف الو
والفنون النافعة ، والجد المتواصل ، والود الصحيح ، والتعاون الدائم ، والرغبة الص
في تقويم الافهام وتثقيف الاذهان . فالاحتفال بعيده الخمسيني ، انما هو احتفال بتلا
هذه الفضائل ، ومشرق انوارها . وكنت اود ان اشترك بشخصي ايضاً في
الاحتفال الجميل ولكن انحراف صحتي حال دون رغبتي . فأبدي لحضراتكم وحضر
أعضاء اللجنة الكرام وافر شكري على هذه الدعوة الكريمة ، وأرجو قبول عذري
وأتمنى لهذا العيد الجليل نجاحاً كاملاً ، وللمحتفل به عمراً أطول وانتشاراً أعرض
ولاصحابه الفضلاء دوام الصحة والاقبال» مصر — ابريل ١٩٢٦ سعد زغلول

ديث شهر ابريل — ٤

بين الڤاتيكان

وجريدة « لاكسيون فرانسيز »

للآنسة « مي »

ن في شهر ابريل الذي عُرِف يومهُ الأول باجازة تهادي السمكة التقليدية . فهل أنا بتغيير
الحديث هذه المرة . أبغي توجيه سمكة أبريل إلى قرّاء « المقتطف » ؟
. فالموضوع أهم وأجلّ من أن يكون وسيلةً للتراشق بطريف الأكاذيب والافتراءات . إلاّ
القراء يرون اني أوجزتُ كثيراً في الإلماع إلى هذه القضية . قضية التنافر بين الڤاتيكان
« لاكسيون فرانسيز » ، خلال حديث الشهر المنصرم وأن عليَّ — وأنا التي أثرت ذكرى
ضية — ان أوضحها بعض الشيء أو أزيل عنها بعض الغموض على الاقل ، نظراً لغرابتها
ا ان ذلك مفروض عليَّ ، فلا ! واما اني مستعدة للارضاء في حيّز مقدوري ، فنعم . ولكن
طيبة والاستعداد للارضاء ليسا كفيلين بتقديم ما يُرضي . عند ما أكتبُ عن شخصية
ستُ أعني كثيرا أو قليلاً برأي الآخرين فيها وبما كالوا لها من قدح أو أغدقوا عليها من
أعني بأثرها فيَّ وبالصورة التي رسمتها هي من كتاباتها في نفسي . ولا شأن لي في غير ذلك
موضوع الخصومة السياسية أو الدينية أو الأدبية فليس لي من رأي شخصيٍّ فيهِ ، وبخاصّة
جهل مجموعة تفاصيله وخفايا الامور التي كوّنتهُ . وكل ما استطيعهُ لا يزيد عن طاقة
د قرأ شيئاً في هذا الموضوع دون ان يجد من نفسه حافزاً لمشايعة هذا الفريق أو ذاك .
العلم بأن على الكاثوليك جميعاً ان يحترموا كل قرار موسوم بتوقيع قداسة البابا ، دون مناقشةٍ
ال

على ذلك . أتناول هنا أقوال كاتبين اثنين ليسا من أعداء الكنيسة بل على النقيض هما من
أعدائها وهما يدافعان عن عقيدتها . أوّلهما دوديه نفسه ، صاحب جريدة « لاكسيون فرانسيز » ،
هو رينيه دي پلانهول[1] الذي يُعدُّ في طليعة كتاب فرنسا المعاصرين في النقد السياسي

René de Planh

والاجتماعي والأدبي والفنيّ . ولستُ أعرف بالضبط قيمة رأيهما في هذا الموضوع . و
الأمر اني ألخص ذلك الرأي تاركة تبعته على صاحبيه

***

سبق أن أشرت في حديث الشهر الماضي الى كلمة مقتضبة من ليون دوديه في موضوع
وهنا أورد تلك الفقرة كلها :

« أما الاضطهادات التي يوجهها إلى جريدة « لاكسيون فرانسيز » الفاتيكان المستسلم لدى
الجرماني (germanomane) سكرتير الدولة (الفاتيكانية) جسباري (الكاردينال) ، الفا
يضللونهُ في أهمية حركتنا ومبلغ تأثيرها — تلك الاضطهادات أثارت سخطي لأجل أصحا
أمثال روجر لامبلان وتريستان لامبير ، ولأجل أصحابنا غير المؤمنين ولكنهم من أنصار
أمثال شارل موراس . بيد أنَّ تلك الاضطهادات فيما يختصّ بي لم تؤثر فيَّ ولم تزعزع من
بل اكثر من ذلك ، إنها بدت لي كامتحان من العناية الالهية يعدّنا للنصر النهائي بعودة
طبيعة تلك الاضطهادات الشادة الغبية اللاغية والتمرد السليم الذي أثارته ، كان لها الوقع
الذي كثيراً ما نجده في التوسطات الالهية . الاقدار تضربنا بطريقةٍ مباشرة . أما العنا
فتضربنا بطريقة منحرفة ، ملتوية . . . وقد أتيح لي ان ألاحظ ذلك غير مرة (صفحة
كتاب "Vingt-Neuf Mois d'Exil")

ويقول صفحة ٢٢٢ و٢٢٣ من الكتاب نفسه :

« كثيرون من رجال الاكليروس الذين أسخطتهم إجراءات روما المتعددة عبثاً ضد
بالحرم ومن تعذيب ضمائر المحتضرين ، طالما طرقوا بابي فاستقبلتهم دائماً بسرور وامتنان و
تلك الشجاعة التي يحتاج اليها الكثيرون من أصحاب المقامات في الكنيسة ، شجا
في هذا الموقف كما في غيره ، حليفة طريقة عكسيه في تدرُّج المراتب — عدا الاستثنا
الشأن . في جميع الأنظمة البشرية ، حتى الأنظمة المتصلة بحظوظ النفس ، نلحظ التناقض
وفاقاً للرقيّ الاداري . هو المجتمع الذي يريد ذلك . يجب ان نعرف ذلك مع حسب
الاستثناءات السامية — وان لا نحنق من جرائه . فقد قال موراس ان الحنق والامتهان
المهارة السياسية في شيء »

ويقول في كتاب « Paris Vécu [1] » : « ولما وجب قول الحقيقة فاني أضيف ان الا
الرومانية الموجهة ضد « لاكسيون فرانسيز » منذ سنة ١٩٢٦ لم تزعزع لحظة واحدة من

(١) صدر هذا الكتاب سنة ١٩٣٠

يحدث في الواقع ان يضطهد المدافعين عن قضية وان ينكرهم اولئك الذين يتفانى المدافعون ... يرى المضطهدون من مصلحتهم ان يتصافروا مع الاعداء على حساب المدافعين . لحين ... الاقل . هذا امر جد بشري . . . » (صفحة ٥٩ ٥٨)

... اعجاب دوديه بموراس ، وهاك شواهد اخرى على ذلك الاعجاب العظيم . فهو ... (Paris Vécu) عند وصفه الحي اللاتيني في باريس : « انما ذلك المزيج من ... والانصاف والشباب ايضاً ، ومن الاستحثاث والحب (اجل الحب ، حب المرأة وحب ... والدعابة التي لا تحمل غمّاً ؛ هو ما كان يكوّن وما زال يكوّن جو الفتنة العميقة في الحي ... في الوقت الذي اكتب فيه ترى الروح السياسي قد تبدل تماماً . في عهد دراستي ... جمهوريًّا راديكاليًّا ومضادًّا للجنرال بولانجه . اما اليوم فالحي ملكيٌّ ولا يخلف ... ويكون موراس من كبار رجال العلوم الادبية (un très grand humaniste) مما ... من الصفة السياسية الى صفة الثقافة العامة . ان الاعجاب كالحب ، ينزع الى الكمال ... »

... آخر : « انهزمت اليعقوبية (Jacobinisme) فحلت محلّها النابوليونية (Napoléonisme) ... التمركز . وما فتئت تنيخ بكلكلها على كلية الطب في باريس ، ولكن يقال لي ... وطأة منها في عهد دراستي . ذلك لانهم ادركوا ان الكثيرين من الاطباء والجراحين ... اعوام الى عقيدة موراس والى الملك . للامم كما للافراد ، اطباء امثال ... ، وبيزمارك ، وموراس ، يسمونهم رجال الدولة ولكنهم في حقيقة الامر أطباء . ... جهده ليشفي فرنسا ومن خلالها اوربا ، من عديد العلل التي خلقتها الثورة ... فأدركت ذلك هيئة الطب الفرنسي كالشبيبة الفرنسية ويمكن ان يقال كصفوة الامة ... ان البابا بيوس الحادي عشر ، على نقيض سلفه بيوس العاشر . لم يفهم ذلك ولم ... فداسته . بلا ريب ، الكاردينال المهووس بنزعته الجرمانية ، حساري . ولولا ... على نفسه خفاقاً لاذعاً ، نحن اول من يأسف له ». (صفحة ٥٨ـ٥٧ من "Paris Vécu")

***

في نظر رينيه دي پلانهول فجريدة « لاكسيون فرانسز » في طليعة الصحف الفرنسية ... مستقامة

و معجب بليون دوديه ، يفصح عن اعجابه هذا غير مرة ويحلل له ، نظراً لصدق مواهبه ، ... عند كثيرين من ذوي الشهرات التي شادها الغرض أو المال او الدسيسة او ... السخيف . وفي كتابه (Le Monde à l'Envers) الصادر سنة ١٩٣٢ حيث يحمل على

فرنسا الراهنة ويتناول بالنقد حتى انظمتها الفنية والادبية ، هو يسخر من وفرة ما ... لانحطاط نوعه الثقافي والفني في نظره ويلوم الذين يزعمون نفوسهم كتّاباً ومؤ... ما يسوّدون من لغو الكتب رغبة في الربح المالي وفي توطيد شهرات لا دعامة لها . و... صفحة ٢٠٥ من ذلك الكتاب يبرر كثرة الانتاج من ليون دوديه . فيقول :

« ان اكثر صانعي الكتب يندفعون وراء محنة التصنيف بما يفوق مقدرتهم ، لان... هي محور الموضوع . ليس الغرض حمل الكتّاب على الاقتصار على قاعدة متشابهة و... الانتاج عليهم جميعاً بطريقة متماثلة . عندما رجل كليون دوديه يخرج المؤلفات بوفرة ... يخضع لمزاجه اكثر مما يطيع مقتضيات العصر . وقد كان يفعل ذلك في عصر غير ... شأنه شأن بلزاك او ڤولتير . ولكن حيال هؤلاء الكتّاب الذين ترى عندهم الافكار ... في تفجر مستديم ، يوجد آخرون عبقريتهم اقل خصوبة وهم موهوبون لانتاج كمية ... الصفحات تتجمع فيها كل ماويتهم « الادبية » — (Toute leur sève) »

غير ان اعجابه بدوديه ليس هو الذي يقود قلمه في شرح قضية « لاكسيون ... الڤاتيكان ، على ما يبدو لي . وقد افرد في كتابه المذكور آنفاً ، فصلاً خاصاً لموضوع ... بين اعدائها والمدافعين عنها » . وهو الفصل السادس ويبتدىء صفحة ٢١٧ . فيس... ان « الكنيسة نفسها — كائناً ما كان الالم الذي ينتابنا من تعرف ذلك — الكنيسة ... مما يلازم هذا العصر من تشويش وارتباك » . « ليس المراد بهذا الكنيسة من حيث ... نفسها نظاماً الهيًّا وانها بصفتها تلك تحتفظ بالعقيدة الدينية وتعلمها . . . وانما ال... الصفحات هو عملها البشري والسياسي والاجتماعي خصوصاً في فرنسا اليوم . . .

« تأسست الجمهورية في فرنسا منذ ستين عاماً ومن غاياتها الاساسية الثابتة محا... والعمل على هدم العقائد والتعاليم المسيحية . . . فما هو سلوك الكنيسة حيال هذا ... ابت الكنيسة دائماً التحزب لأي سلطان زمني وهي تسلم بأن جميع صنوف الحكم مبا... فلم يكن لها ان تنكر الجمهورية من حيث هي نظام حكم . بل على النقيض ، لتتملص من ... تخيل انها تنكر الشعب الفرنسي وكانت الكنيسة لا تراها ضرورية وقد كان ذكرها ... بمظهر المغرضة — كان على الكنيسة ان تحمل المؤمنين على قبول النظام الجديد ... « ولئن باشرت الجمهورية حملتها ضد الكنيسة فان الزمن لم يكن ليثبت بعد ان هذا ال... ضروري . فأعرب البابا لاون الثالث عشر عن رجائه بأن كاثوليك فرنسا بقبول الدي... ينجحون بتجريدها من صفتها المضادة للمسيحية ، لأنهم بذلك يكفّون عن ... السياسي لمحاربة الدين . فيسّر اتحاد الفريقين (LeRalliement) اختباراً كان يومئذ مغرياً ... في وسعنا اليوم ان نقدر نتائجه » . وتلك النتائج في نظر المؤلف لم تكن الاّ الإحـ...

أنف في نفس الفصل فيوصلنا الى صميم الموضوع :
ذاء اصحاب عدم المبالاة في الموضوع الديني ، ومنهم العدد الأكبر ، يوجد بين الذين
و يقول : الفريق الاول يتكوّن من الموظفين الرسميين في الجمهورية ، وهم فريق الذين لا
يقنون الذين يؤمنون » ... « والفريق الآخر يتكوّن من الذين لا يؤمنون لانهم
ؤوسهم نعمة الايمان ، ولكنهم يكبرون الايمان كحسنة من اعظم الحسنات التي تغني
بحامون في الكنيسة ان لم يكن النظام الالهي فأعلى الانظمة البشرية . بينهم وبين الايمان
احات عقلية لم يتمكنوا من التغلب عليها . ولكن بدلا من ان يجعلوا عجزهم مثالاً
ون مثلهُ تعاليا . هم يتحرزون من تحقيق اي تحزُّب ضد الايمان الذي يتمنون سعادته
س . . .

كانت عاطفة موريس باريس . وهذا هو شعور شارل موراس وغيره من الذين لا يؤمنون
قوم كثيري العدد والاهمية من الكاثوليك الموالين لحركة « لاكسيون فرانسيز » . وهذا
ن منطقيًا وطبيعيًا . لم يكن مدهشاً ان ينضم الذين لا يؤمنون الى الذين يؤمنون في
ساسي ما دام هؤلاء وأولئك على اتفاق ليس فقط فيما يتعلّق بضرورات الدولة ، بل
ا يتعلق بحقوق الكنيسة وهي ذات الحقوق التي تطالب بها الكنيسة . او لم ينصح البابا
شر باتحاد جميع الاشخاص المستقيمين للدفاع عن الحريات الدينية ؟ ...
والامر هو انهُ بينما الفاتيكان يحاسن انصار العلمانية ويسمح للكاثوليك بمناصرتهم ، ترى
دحر لموراس ولاصحاب موراس اشد الجفاء. هؤلاء الناس الذين يخدمون مصلحة الكنيسة
جرد تام من الغرض ، يصب عليهم الفاتيكان اللعنات ويعاملهم معاملة الموبوئين ويهددهم
قوبات وبحرمانهم من الأسرار الكنسية ، كما يحظر على الكاثوليك الانضمام إلى جماعة
ز فرانسير » وتداول صحيفتهم وتأييد حملاتهم السياسية
لماذا ؟ إننا نجهل السبب . لقد كتب شارل موراس في الماضي كتباً لا يسع الكنيسة
ار بعض صفحاتها . ليس من يجادل في ذلك حتى ولا المؤلف نفسه . ولكن في مؤلفات
وانكاره وبريان وتارديو يمكن استقاء بيانات اخرى كثيرة لا يسع الكنيسة الأمصادرتها..
ه الكنيسة ليس كتابيْ موراس « طريق الجنة » و« آنثيفيا » ، ولكنها تنتقد عمل
ياسي وبخاصة العمل الذي يصطنعه منذ تأسيس « لاكسيون فرانسيز » اليومية . ان
وت الاكثر اطلاعاً يرون ذلك العمل في دائرته الخاصة وليس فيهِ ما يستوجب اللوم ،
فوا لانهُ لا يقوم على دعائم الحقيقة المنزلة . حتى الكاردينال آندريو (Andrieu) نفسه
هذا الرأي عند ما كان يثني على قلم موراس ، قائلاً ان ذلك القلم يوازي سيفاً
بينما امثال بريان وتارديو لا ينفكون عن العمل ضد الايمان فان موراس لم يعمد يوماً

لى تحويل نفس عن الايمان او الى هدم الوسائل الطبيعة التي تمكن الايمان من النمو وتحفظ
لنقيض ، كثيرون هم الذين ارتدوا الى العقيدة حواليه بفعل تأثيره ليس بسبب
لكنيسة من اعجاب وصداقة فحسب ، بل بفضل شتيت المقارنات التي أوضحها للكثيرين
لسياسية والاجتماعية التي ينادي بها وبين التقاليد الكاثوليكية . ومع ذلك فالذي يحد
بريان وتارديو ، بل هو موراس فبأي الضلالات تراه اوحى الى اصدقائه المؤمنين؟ لقد
ليُكشف لهم عن ذلك . ولكن عبثاً : العقوبة تطبق عليهم دون ان توضح لهم خط
« . . . ان النص الوحيد الثابت رسمياً من الفاتيكان وفيه البيان عن الحادث
الكاردينال آندريو ، ذلك الخطاب الذي يُشرّد الالباب ، وفيه ينسب الى موراس
في صحته : « محرم دخول الله الى مراصدنا » . من هذا الخطاب ادرك كاثوليك «لا كر
انهم يستطيعون العبودية ويأخذون بأسباب الالحاد . وقد احتج هؤلاء الكاثوليك
جدوى معانين انهم حياتهم لم يفكروا في اعادة تجارة الرقيق وانهم يؤمنون بكل ما تعلم
فلم يصغ اليهم احد . وفي مجرد بقائهم على وفائهم لموراس الكفاية للاثبات انهم يفكرون
حتى ولو كانوا واثقين من انهم لا يفكرون ! وبينما كان الفاتيكان يعلن على هذه الص
الملكيين مقاومي الانظمة العلمانية ، هذه الانظمة العلمانية ممثلة في ساسة يباركهم الفاتي
مبلاران وبريان . كانت سارية تشيع في البلاد الفرنسية الروح الذي لاهو ديني ولا حتى
ويختم دي بلانهول هذا الفصل بهذه الكلمات . « هذه هي المناقضات المحيطة
ايامنا» ... « لست احنق . اني ارقب واحاول ان افهم ، ولكن عبثاً . فافهموا انتم

* * *

أفهمتَ ، انت الذي يقرأ ؟

اما انا فأعترف بأني كلما توسعت في مطالعاتي في هذا الموضوع امعنت في الجهل
عن إدراك لبابه . قد يكون ان مطالعاتي لم تتناول الا النواحي الثانوية والاضافية وانها
من فكري باقصائي عن الفكرة الجوهرية الصميمة التي تفيض على المشكلة نوراً وتجلوها
فهل بين القراء من يهديني ؟

وبعدُ اوَليست هذه الحالة هي الواقعة حوالينا في اكثر الشؤون حتى اقربها
بحياتنا ؟ نرى من الامور المظاهر والنمو والترامي ، ونطّلع على الكثير او اليسير من
والاجزاء . ولكن منذا الذي يستطيع ان يزعم انه ملك الباعث الاساسي وتمكن من
وفي هذا الموضوع الذي تتنازعنا منه الفروض ، كيف يتسنى ان نبتّ في الحكم

الديموقراطية والتعليم

للدكتور امير بقطر

الجانب الاول من محاضرة القيت في ردهة نورت الذكارية في جامعة القاهرة الاميركية . وينتظر ان تجمع مع اخواتها في كتاب يعالج الدمقراطية من نواحيها المختلفة

ى، التعليم الديموقراطية، كغيرها من المسائل التي تتعلق بالديموقراطية، كالسياسة ، والاجتماع اد ، ونظام الحكم ، يرجعُ تاريخها الى الثورة العلمية ، وحرية التفكير ، والنهضة الصناعية ، ح الديني ، وغيرها من الحركات الفكرية النظرية والنهضات التجريبية العلمية ، التي تتصل منذ ماء مؤسسيها الابطال ، الذين أطلقوا الافكار من معاقلها ، وحرَّروا الانسانية من آلامها

— ١ —

ماها ﴾ معنى الديموقراطية في التعليم ان تهيأ الفُرَص ، وتمهَّد السُّبُل والوسائل، لجميع ة على السواء ، الفقير منهم والغنيَّ ، الصغير والكبير ، الخادم والسَّيد ، الذكر والانثى ، المدنيّ . ولا نقصدُ بتهيئة الفرص ، وتمهيدِ السبل والوسائل ، ان تقدم للجميع تربية تجانسة نوعاً وكمية . حاشا ، لاننا اذا فعلنا ذلك كان مثلنا مثل من يفصّلُ نوعاً واحداً لالوف من الافراد ، زيًّا ، ولوناً ، وحجماً ، بغض النظر عن اعمار لابسيها ، وقاماتهم ، شرتهم ، واختلافهم ، سمناً ونحافة ، ودماثة ورشاقةً ، وميلاً وذوقاً ، ومناخاً وأقليماً . فمن ة الواحدة من لا يصلح للدروس العالية ، ومن ابناء الامة الواحدة ، من لا يتسنى له اد التي تقدَّم لطلبة المدارس الثانوية ، ومن ابناء الامة الواحدة ، من لا يستطيع الانتقال الثالثة الابتدائية ، ولو بقي فيها محروساً بعناية الدولة كلَّ حياته . ومن ابناء الامة من يأفل المواد الثقافية النظرية الكلاسيكية ، وتتألق شمسهُ وتسطع في الدروس الصناعيه العملية . الامة من يخذل امام الجبر والهندسة والحساب ، وينتصر في معارك التاريخ والاقتصاد لاجتماعية ومنهم من يخفق في هذه وتلك ولكنهُ ينبغ في الرسم او النحت والتمثيل او الموسيقى

أبناء الامة الواحدة من تتطلب تربيته الاكثار من الدروس الصحية . والإلمام بمبادىء عينة ، تتفشى في الاقليم الذي يعيش فيه . ومنهم من تتطلّبُ تربيته العناية التامة بصناعة بها مدنٌ خاصة ، كالمنسوجات القطنية في شبين الكوم واخميم والحريرية في دمياط والخزف

في قنا والخراطة وشغل الابنوس في اسيوط ؛ والسجاجيد في عدة مدن مصرية . وقد تتطلب التدرب على القتال والدفاع عن النفس من غزوات الانسان او الحيوان. كما يفعل البدو و[illegible] بأبنائهم ، وكما تفعل بعض بلدان اوربا واميركا اليوم كايطاليا والمانيا وبعض الولايات [illegible] ومنهم من تتطلب تربيتهُ لوناً من الوان الرياضة ، كالرماية وركوب الخيل والسباحة او ضروب اللهو والتسلية ، كما في اوربا واميركا فكثيراً ما يشمل المنهاج المدرسي الشطرنج والرقص وفي بعض الكليات لا يمنح الطالب درجة بكالوريوس ما لم يجز امتحاناً في العوم وانقاذ الغرقى . وقد تتطلب احياناً الالمام بالوقاية من الأفاعي السامة كما في الهند حيث يموت سنوياً عشرون الفاً من السكان ، ومن العقارب كما في مديريات اصوان وقنا وجرجا واسيوط البلهارسيا والانكلستوما والرمد الحبيبي (٩٠٪ من سكان بعض الاقاليم المصرية مصابون بهذه الامراض) . وقد تتطلب التربية ان يلمّ الطالب بقيادة السيارات واصلاحها كما في اميركا حيث توجد سيارة لكل اربعة من السكان . والوقاية منها كما في انكلترا حيث يموت قتلا بالاتومبيل سنويا [illegible] آلاف ، ويجرح ١٩٢ الفاً (حوادث السيارات على ارصفة لندن وحدها بمعدل ثلاث [illegible] والولايات المتحدة حيث يموت سنوياً في حوادث السيارات ٣٠ الفاً ويجرح نحو ٧٠٠ الف نيويورك وحدها نحو ١٥٠٠ نفس تموت سنوياً بسبب السيارات

يتضح من هذا أن التربية الديمقراطية ، تؤمن بالفروق الفردية ، التي تكلمنا عنها في الناحيتين النفس ، وتعتقد أن الناس يولدون متساوين أمام القانون ، متساوين الى حدٍّ محدود في التفكير و والواجبات ، ولكنهم لا يولدون متساوين في الذكاء والعقول ، لا يولدون متساوين في الوجه مزاولة الاعمال ، في الاستعدادات والكفايات . لذلك أمكننا أن نقول إن من أهم مبادىء الديمقراطية انها لاتفصل لكل فرد من أفراد الامة الثوب الذي يلائمه ، وتهيىء له من الطعام الذي [illegible] شهيته ، ويتفق ومزاجه ، ولا يسبب له التخمة أو عسر الهضم

﴿ الموضوعات التي تتناولها ﴾ الديمقوقراطية في التعليم لا تنحصر في السياسة [illegible] تتناول الادارة والمنهاج ، وأساليب التدريس ، والنظام ، وتوزيع الميزانية على درجات [illegible] اختلاف أنواعها ، ونسبة الميزانية المخصصة للتعليم ، الى ميزانية الدولة العامة أولا [illegible] للدخل القومي ثانياً . وسنتكلم بايجاز عن بعض هذه الموضوعات واحداً فواحداً : —

— ٢ —

﴿ المركزية في السياسة العامة ﴾ من أظهر المسائل التي تتعارض مع روح الديمقراطية [illegible] سيرها هي المركزية ، خصوصاً الجامدة المتطرفة . ويقصد بالمركزية ، أن تخضع النظم [illegible] مجموعها ، في طول البلاد وعرضها ، الى سلطة عليا واحدة . ولعلّ من أشدّ الانظمة المركزية [illegible] وتطرفاً في العالم . هي مركزية التعليم في بلادنا المصرية فإن مدارسنا من ساحل البحر

ة الى اليونيا جنوباً ، ترجع في كل كبيرة وصغيرة في جميع شئون التعليم الى السلطة
تمثلها وزارة المعارف العمومية في القاهرة . فلا يملك المفتش او الناظر او المعلم في اية
ة ان يتصرف في اصغر المسائل شأناً ، فيما يختص بالمنهاج ، او طرق التأديب ، او
او مواعيد الدراسة ، الا بعد مصادقة الديوان . ومما يؤسف له ان مراقب التعليم وهو
على نوع التعليم الذي يقع في دائرة اختصاصه لا يتسنى له في كثير من الاحوال ان
ه مباشرة او ان تخاطبه تلك المدارس رأساً بل لا مندوحة من أن تعرض الاوراق
ن من المراقب . ومما يؤسف له ان سكان الاقليم لا يملكون حق المطالبة بنوع خاص
او منهاج خاص يلائم اقاليمهم ويتفق وحاجاتهم . ومما يؤسف له ان هذا النوع من
دي في كثير من الاحايين الى ضياع الزمن في مكاتبات ومراسلات جافة رسمية في مسائل
طلع الناظر المتتبع فيها من تلقاء ذاته وقد لا يصله من الديوان جواب شاف قبل ان
من حوادث التاريخ القديم . ومن المعلوم ان المركزية في فرنسا ، التي قد نسجنا على
ا في هذه الدرجة من الشدة واليبوسة . فمن بواعث الاسف ان مصر كمعظم البلدان
بست جسم هذا النظام وتركت روحه ففات عليها اهم ما في التربية الفرنسية واثمنه
تهذيب النشء بتراث ما تركه السلف الصالح من الدراسة الثقافية وما يعمل على تقوية
اية والنفسية باقتباس العلوم والوسائل الحديثة . وفرنسا مع مركزيتها تعنى كل العناية
لق ولا تدع المركزية تدفعها الى تنمية الذاكرة وحشو الادهان بالمعلومات . بل بالعكس
رية الذوق السليم والحكم الصادق والاعجاب بالجمال . ولا يقاس نجاح الطالب هناك
والمعلومات التي يستوعبها بل بمقدرته على استعمال الآراء المجردة ورؤية العام في الخاص
نح المركزية في مصر هو انحدارنا بالتعليم العام الى هوة سحيقة من الحفظ والاستذكار
بالجوهر والتفكير والتربية الحرة . وهذا ليس من الديمقراطية في شيء . حقيقة ان مصر
، الادنى لا تستطيع الغاء نظام المركزية في التعليم الغاء باتاً نظراً الى حداثة عهدها بالانظمة
. فليس من الحكمة ترك الحبل على الغارب واتباع نظرية laissez faire غير ان ما تحتاج
السلطة المركزية والسلطة المحلية والاعتماد على بعض المدارس الخصوصية الراقية كما هي
ا . ان البلدان الشرقية لا تحتاج الى تلقي كل كبيرة وصغيرة في التعليم من سلطات عليا
مرتبطة بطبيعة الحال بمراجع لا عدد لها ومقيدة بسلطات من تقاليد وعادات اجتماعية
بل وخرافات وليس ثمت حاجة الى مزيدها
ا تحتاج الى عناية شديدة بالابتكار والاعتماد على الذات والاستقلال الفكري كما هي الحال
نكليزية وغيرها ولكن انى لنا ان ننمي هذه الصفات ونغرس بذورها في جو مدرسي
رية ، ومقيد بسلسلة اوامر وسلطات ومراجع ؟ ان نظام التعليم في انكلترا يؤيد النظرية

ي نتكلم عنها الآن وهي انهُ من المستطاع ان تكون هناك سلطة مركزية للتعليم بغير ان تستطيع بواسطة لحكومة المركزية امره وبغير ان تصبح المدارس ونظارها ومعلموها آلات صُمًّا في يدها تسوقهم الاجتماعية . الى تقصُّ اجنحتهم فلا يستطيعون الى المعالي سبيلا ني نعيش فيها

كان من المحتمل ان تكون المركزية اخفَّ وطأة مما هي الآن ، وكان من المحتمل ان تماس متين من لآمال على اصلاح عيوبها تدريجاً ، فيما لو كانت وزاراتُنا التي تقبضُ على السلطة بيدٍ من حديدٍ وعقولها ثابتة ، طويلة الاعمار . اما وهي عرضة للعواصف السياسية ، وزوابعها ، فأنها لا تعمر طويلا شاء اوقات الفر نكاد « نتبلور » سياستُها — اذا صحَّ هذا التعبير — حتى تهبَّ عليها ريح صرصر فتسو انني لا ابا وقد قال لورد كرومر مرة في احد تقاريره عن حالة التعليم في مصر « انهُ بين سنة ١٨٦٣ و في كثير من تعاقب الوزراء على المعارف تباعاً حتى اصبح عددهم ٢٩ وزيراً » واردف ذلك بقوله « وقد جرت الشهرية ، و يقلب كلُّ وزير سياسة سابقه رأساً على عقب ، ويبني على انقاضها سياسة اخرى تخالفُها . ما وجه اليها ما قارب البناء التمام ، سقطت الوزارة ، فجاء الوزير الجديد بمعوله وهدمه ، وهكذا دواليك ذاعات الراديو

يقولون ان المركزية ضمانٌ للتجانس القومي ، اي انهُ اذا تركت الهيئات المحلية ، والمحاضرة . وأنهم الاهلية ، تبثُّ نوع التعليم الذي تبغيه ، فان شطراً من ابناء الامة يولُّون اتجاهاتهم الفكرية و سياسية والا نحو الشرق ، وآخر نحو الغرب وآخر نحو الشمال وآخر نحو الجنوب . وفي هذا من المغالاة نشر الثقافة يخفى على الباحث . اولاً لان تنويع التعليم لا يُفرِّق بين ابناء الامة ، طالما ، كان في طقة ، فانها الاصول المعقولة ، فانَّ التنويع في كل شيء سنة من السنن التي تجري عليها الطبيعة . و مية التي انشأ الاحياء والجماد . وثانياً لأننا كما قلنا نستطيع ان نتقي التطرف والمغالاة في هذا التنويع مع تختلف كثيرا السياستين ، المركزية والمحلية ونصيحتي

ومن هذا يتبين انَّ سلامة المركزية مسلول على رؤوس القائمين بالتعليم ، فلا يستطيعون شيان دور الا وفي هذا اشدُّ ما يمكن من الاعتبات على حرية التعليم التي هي ركن من اقوى اركان الديمقراطية الحقيقية ولا يغرَّنَّ

— ٣ —

﴿ المنهاج ﴾ نستطيع ان نتكلم طويلاً عن المناهج الدراسية ، وما ينبغي ان يتوافر فيها يقال عنها حقًّا انها ديمقراطية ، بيد اننا نقصُرُ الكلام على شرطين اساسيين

الشرط الاول ، هو ان المناهج لا يمكن ان تكون ديمقراطية مالم تتمشَّ مع العصر الذي هي لم يمض على العالم عصرٌ كعصرنا هذا ، تعدو فيهِ المخترعات والاكتشافات عدواً سريعاً ، فاذا مناهج الدراسة بالتغيير والتعديل والحذف والزيادة والتبديل بغير انقطاع كان تفكير المدرسة و وتفكير الناس في عالم آخر . لانه ما معنى المناهج الدراسية ؟ المناهج الدراسية ما هي

(١) ويقول جون ديوي ان التجديد كالوالد والغذاء لازم للحياة فكما ان التوالد والغذاء لازمان الفزيولوجية ، فن التجديد المستمر كذلك لا بد منه لحياة الجماعات

الالمام بالحضارة وتطوُّرها ، ومظاهر الحياة ، المادية منها والروحية . السياسية
ج الدراسية لا يمكن ان نقال عنهـا ديمقراطية ، ما لم نتوصَّل بها الى تفهم البيئه
ا لم نتوصلْ بها الى كسب الرزق ، ما لم نتوصَّل بها الى بناء نظام الأسرة على
احة والطمأنينة والصحة والخلق الكريم ، ما لم نتوصَّل بها الى المحافظة على سلامة
ما لم نتوصل بها الى الانتفاع بالمدرسة والحضارة الحديثة ، ما لم نتوصَّل بها الى
في غير ما يضر بأحسامنا ويخلُّ بميزان وجداننا ، ما لم نتوصل بها الى خدمة اوطاننا
عن الصواب كثيراً اذا صرحتُ برأيي الخاص في ان المناهج المدرسية في بلادنا
لدان الاخرى ، اقلُّ ديمقراطية من الجرائد اليومية ، والمجلات الاسبوعية
الراديو ، ومن دور التمثيل ، ومن دور الصور المتحركة ، مهما قيل في هذه كلها .
سهام النقد ومهما عددنا فيها من عيوب . وفي اعتقادي ان هذه الصحف والمجلات
دور السينما والتمثيل ، اشدُّ أثراً من الناحية الديمقراطية من المدارس في حالتها
در على تعليمنا مبادىء الحضارة الحديثة وشرح المبادىء الاجتماعية والاقتصادية
ة والاخلاقية ، كما يفهمها القرن العشرون ، وذلك لأنها تتمشى مع هذا العصر
ة من غير تردد او تحفظ . ونستطيع ان نضرب مثالاً بالاشرطة السينمائية المصرية
حداثة عهدها وما تحتاج اليه من وجوه الاصلاح ، أحدث من كثير من المعاهد
منذ خمسين عام الى مائة عام او اكثر ، ولا تزال ادواتها وتخت جلوسها ومناهجها
ا كانت عليه يوم انشأها

باء ان يعوّدوا ابناءهم قراءة بعض الصحف والمجلات ، والكتب غير المدرسية ،
ا . وزيارة المعارض الفنّية ، لان المدارس على حالتها الراهنة لا تزال بعيدة عن
حاجات هذا الزمن

ما يهمسُ به البعض الآن من تبذل بعض الصحف والمجلات ، وتهتك بعض
كيه يتخيّر الصالح منها . كما يتخيّر لأبنائه الجيّد من الطعام ، والحشيم من
لاسواق والمخازن ملأى بالاطعمة الفاسدة ، والثياب الزاهية الالوان ، المهتوكة
لها الجبين خجلاً

عن إخفاق التعليم الالزامي ، وننحي باللائمة على المدارس التي أُنشئت من أجله ،
ها ان تفسح مجالاً لهجرة سكان الأرياف الى المدن . سنرجىء الكلام عن التعليم
لكنا نريد أن نقول ان المنهاج الديموقراطي الذي يتمشى مع حاجات السكان ،
ه الهجرة المزعومة . ما الذي يجب ان يشمله منهاج المدارس الالزامية ؟ أبسط
ه جغرافية مصر ، والعالم المتصل بها — المبادىء الزراعية — معلومات أولية

— شيء عن البيع والشراء واعداد الحاصلات للاسواق العمومية — مبادىء صناعة
ه من اصلاح آلاته الزراعية وأدواته المنزلية — الوقاية من الامراض المحلية الفتاكة (هذا
وم مصلحة الصحة العمومية ووزارة الاشغال وغيرها من القيام بما عليها من اعداد
، والاكثار من النماذج القروية ، واقامة المستشفيات وغير ذلك) — شيء عن حقوق
جباته — شيء عن الناس الذين يعيشون معهم ، عن طبيعتهم الانسانية ، عن هفواتهم
ة له من الزلل والخطأ

يلاحظ انني لم اذكر شيئاً عن القراءة والكتابة والحساب ، لأنني اريد أن تكون
موعات وسيلة لاغاية . وهذه الغاية هي فهم الموضوعات الكثيرة التي عددناها لآ
ج يفرض فيهِ أن يكون مشوّقاً ، مرغباً ، متصلاً بحاجات التلميذ ، الى حدٍّ يحمل
ذاته على تعلم القراءة والكتابة حتى يستعين بها على فهم هذه الموضوعات الجدّابة
قال لي صديق انتدب لتفتيش المدارس الالزامية انهُ رأى التلاميذ وهم لايكادون يعلمون
افة وطرد الذباب من عقد اجتماعاته فوق العيون ، لان هؤلاء يدرسون بالتطويل مطولات
ماذا يريد القروي من الحساب سوى القواعد الاربع البسيطة ، مع الكسور البسيطة
$\frac{1}{3}$ و $\frac{1}{4}$ و $\frac{1}{8}$ و ٣ قراريط من ٢٤ وكفى

والشرط الثاني الذي ينبغي ان يتوافر في المنهاج حتى يكون ديموقراطيًّا هو مراعاة الفروق
ا ان الناس لم يخلقوا سواءً في قواهم وكفاياتهم ، ومراتب ذكائهم واذا كان الامر كذلك
كمة في شيء ان نجرّعهم جميعاً شراباً واحداً ، ومقادير منها متساوية . ففي المدارس
ن من الديموقراطية في شيء ان يدرس كل طالب من طلبة الكفاءة فوق اللغة العربية
فرنسية ، والجبر والهندسة والحساب ، والنبات والحيوان والطبيعة والكيمياء والتاريخ والجغر
ن الطلبة من لا يستطيع القيام بهذه كلها دفعة واحدة . من الطلبة من يكفيه درس الحس
ن الموضوعات الثلاثة في الرياضة ، ويكفيهِ درس الطبيعة مع استغنائهِ عن الكيمياء

ومراعاة الفروق الفردية تؤدي بنا الى تخفيف المناهج للضعاف من الطلبة ضعفاً طبيعياً
قوياء منهم فوق طبيعتهِ

مراعاة هذه الفروق تؤدي بنا الى انتقاء النابغين من تلاميذ القرى الذين تكلمنا عنهم
ى حساب الدولة تعليماً عالياً وهذا لا يخيفنا بتاتاً فانها فئة قليلة لا تكاد تؤثر في الميزانية

وسأنقل ما اقترحهُ اخيراً مدير معارف العراق على حكومته فيما يتعلق بالتعليم في
ستجدون في عباراته اشارة الى الشرطين اللذين تكلمنا عنهما ، وهذه هي العبارة :

« ينبغي أن يكون التعليم (في الارياف) ذا قيمة اقتصادية ، متصلاً بحاجة الريف
البنت يجب ان يتناول تعليمها الانتاج في مواد الطعام على اختلاف انواعها . والصبي

الزراعية الصناعية ، وان يشمل شيئاً عن زراعة الخضروات ، وتربية
جنة ، وتحسين نتاجها . اما القراءة والكتابة والحساب ، وان كان لا مندوحة
ج الدراسية ، الا انهُ يراعى ان تكون « وسيلة » لغاية لا غير اي ان يكون
بها على تفهم المبادىء الزراعية والصناعية المشار اليها لا لمجرد القراءة والكتابة
ن العلاقة بهذه المبادىء . اما البنات فيجب ان يشمل منهاجها التفصيل
مناعة الزبدة والجبن ، وأن يكون ذلك بأبسط طريقة ممكنة »
هذه الناحية من الموضوع من قولنا ، ان المنهاج الديمقراطي يمهد لنا سبل
بسط صورها ، لا ان يكون وسيلة من وسائل الزينة والحلية الخارجية مع
، نوعه ، كما انه يعنى بالعبقرية والنبوغ ، في الارياف والمدن على السواء ،
الذي يلائمه

— ٤ —

من اهم اركان الديمقراطية في التعليم الطريقة التي يتخذها المعلم في تربية
ريقة اوتوقراطية ، فان المعلم يكون الحاكم المستبد ، دكتاتوراً ، يملي ارادته
قبل التلاميذ كلامه وحلوله وآراءه بغير مناقشة . يطبع لهم المذكرات او
هم ان يوافقوا على كل ما جاء بها ، وأن يجيبوا عن اسئلة الامتحان ، طبق
ا جاء في مذكراته او كتبه ، والويل لهم اذا ابدوا آراءهم الخاصة المبتكرة .
« القول انهم على رأي مؤلف آخر . واذا اردتم الايقان مما اقول فسلوا طلبة
الية . ان هذه الطريقة الاتوقراطية المستبدة ، تدرب الطفل ، كما يتدرب
طالب ، كما يروّض عمال « السرك » القردة وسائر الحيوانات
راطية فتترك الطالب يبحث عن الحقيقة العلمية في جو فسيح من الحرية ،
، لا عاطلاً ، فاعلاً لا مستقبلاً ، متكلماً لا مصغياً . اما المعلم فيكون كمدير
ل ، يدير العمل وراء الستار ويشد الحبال اذا استدعت الحاجة ، ولكنه
ح امام الحاضرين . ولعلَّ ما قاله مرة امرسون في هذا الشأن ابلغ ما جاء به
« احترم الصغير فانهُ بشر مثلك وافسح له مجال التفكير ، والتعبير عن رأيه ،
واذا كنت والداً فلا تكن له والداً فوق ما يجب ان تكون ، واذا كنت معلماً
ن ما يجب ان تكون »
اطية ﴿ قلنا ان الطالب في الديمقراطية ، ينبغي ان يحاط بسياج من الحرية
لما كان المعلم مقيداً بأوامر ونواه وقوانين تفصيلية لا حد لها ، وطالما كمَّ
ناقش طلبته في كثير من الموضوعات العلمية او الاجتماعية او الاخلاقية ،

وى انها تمس السلطات العليا ، او تقلب النظم الاجتماعية او تهدم العادات والتقاليد
اذا كان المعلم يحرّم عليه مناقشة الطلبة في مادة التاريخ فيما يتعلق بظلم الحكام واستبد
ية ان يعد هذا تطاولاً على سلطة او سلطات — واذا حرّم عليه في مادة التربية الوط
سة الدول بحث دستور وموازنته بدستور آخر خشية الاخلال بالنظام العام — واذا حرّ
ش طلبته في مادة الفيزولوجيا او علم النفس في العاطفة الجنسية وما يتعرض له
خطار في جهاده العنيف مع هذه العاطفة ، بدعوى ان هذا مفسد للاخلاق ، — واذا
لم في مادة الاخلاق ان يبحث في الانظمة القائمة في الزواج والطلاق ، بدعوى ان هذ
التقاليد — واذا حرّم عليه ان يبحث في اضرار الفاشية او الهتلرية او البلشفية
ربها ومنافعها ، ما لها وما عليها بدعوى الخوف من القلق والانقلاب الاجتماعي — و
المعلم في مادة البيولوجيا بحث نظرية دارون وارجاع الانسان الى اصله من ذوات
حيوان آخر ، بدعوى ان هذا مخالف لهذا وذاك — اذا حرّم على المعلم ان يستعمل
تدريس المناهج المقررة ، نظراً لعدم مرونتها ، او ان يقوم فيه بأسلوب غير الاسلوب
ي تسير عليه المدارس ، ويقره المفتشون — اذا حرّم على المعلم كل هذا ، وقيد بهذه
لاغلال ، فكيف يتسنى لنا ان يمرح الطالب في جو من الحرية ، وأنى له ان يترك
اق للحرية يسير على مبادىء الديمقراطية ؟؟

في عهد السلطان عبد الحميد رأى مفتش احد معلمي الرياضة يكتب على السبورة امام
معادلة الجبرية وهي ع خ = صفراً ، فأمر بالقاء القبض عليه وأودعه السجن بزعم
ع + خ = صفراً ، هو عبد الحميد خان يساوي لا شيء

في اميركا تترك الحرية للمعلم في اتباع الطريقة التي يريد ، وله ان يختار من مواد المنهج
لائماً لمقتضيات الاحوال . ولست استطيع ان اقول ان المعلم الاميركي يبلغ من الحرية
غير انه في معظم الولايات يتمتع بحرية يحسدها عليه زملاؤه في كثير من انحاء العالم و
الديموقراطية بمعظم الولايات ان لم اقل كلها بالغاء كلمة مفتش inspector واستبدالها بكلمة
نها كلمة « مساعد المعلم »

وربما يستغرب القارىء اذا علم ان المدرسة الاميرية في اصوان مثلاً لا يستطيع المعلم
يعلم التلاميذ نشيداً ، او يمثل التلاميذ رواية ، قبل ان يصادق عليها الديوان في القاهرة
الغريب ان منشوراً بهذا المعنى صدر في يونيه سنة ١٩٢٦ وتبعه آخر بالمعنى ذاته في ابريل

والديمقراطية في التعليم فوق هذه الحرية التي يجب منحها للمعلم ، تؤدي بنا الى
مهما كانت درجة التعليم التي يشتغل بها ، سواء أكان في المدارس الاهلية أم الاميرية
هذا بواقعتي حال . الاولى لا بد ان نذكرها وهي التي طلب فيها احد اعضاء مجلس النو

يكون مرتب المعلم في المدارس الالزامية لا يزيد عن جنيهين . والواقعة الثانية هي السابقين دعا نظار المدارس الاميرية والاهلية منذ سنوات قليلة مضت . فاستدعى رس الاميرية ، وما علينا انهُ نسي ان نظار المدارس الاهلية ضيوف كان واجب يعطى لهم حق الاولوية . غير أن ما يعنينا من المسألة ان نظار المدارس الاهلية ن في اماكنهم في حضرة الوزير حتى قابلهم بكل عنف وهددهم بأشياء لا أذكر اشترك احد تلاميذهم في مظاهرات ؛ ثم امرهم بالخروج فخرجوا فهل في هذا من ية وحرية المناقشة واحترام المعلم في شيء ؟

— ٥ —

والامة ﴿ الديمقراطية في التعليم تعاون بين المدرسة ووحدة السكان الذين انشئت م فعلى هذه الوحدة كالقرية او الكفر او العزبة ان تشيد بناء المدرسة ، وتقوم كفل بمرتب المعلم كله ، او تستعين ببعضه من وزارة المعارف ، وان يكون للمستنيرين هذه الوحدة رأي في ادارتها والاقتراح بشأن مناهجها ، والتفاخر بنجاحها . ومن حر يجب على المدرسة ان تكون مركزاً لاجتماعات القرية العامة . وسماع النصائح الصحية ادية فيها ، وان تكون بعد انصراف التلاميذ مركزاً علمياً يجتمعون فيهِ لسماع د والموسيقى ومشاهدة الصور الرمزية والخرائط بارشاد المعلم وبذلك يشعر الاهلون م حقاً ويغارون على نجاحها ، وقد يستغنون عن مساعدة الحكومة لها(١)

اطة ان تكون المدرسة الثانوية مفتوحة الابواب لوالدي الطلبة واولياء امورهم عة في اميركا مكتوب عليها ادخل بغير استئذان . اما في مصر فغرفة الادارة حصن كاتب والشكاتب ، والصابط والفراش . وقد تستعمل الحجر الواسعة والقاعات دريس ، في حين ان من المستطاع استخدامها لالقاء المحاضرات واقامة حفلات السمر د المدرسة فيهِ

ات زراعية تمد مندوبها للتلاميذ وتعينهم على نقل الخضرات الزراعية وانتقاء النوع وتحسين ... وتعلمهم ... والعناية بالعمل والنظافة وترتيب الاثاث

ة دورية واردنا ان نعلم مقدار الارتباط بين المدرسة و... القرية . فقادنا تلميذان الى عدة والاصلاح التي تقوم به المدرسة من الخدمات في المنازل كترتيب الاثاث والستائر والعناية ... المنزل جميعاً وكنا خمسين وجدت ربة الدار وكانت مشغولة بغسل الملابس واخذت ... ان للمدرسة القروية من الاثر في منزلها ومزرعتها من تربية الدواجن وتحسين نسلها والعناية ... الاعداء في الاسرة

رائق الإشباب واطالة الحياة

طريقة فورونوف

وتأثيرها في الجسم والعقل

للدكتور شوكت موفق الشطي

﴿ طريقة فورونوف ﴾ (١) يقول فورونوف ان رسل الغدد التناسلية تؤثر في معظم
بالاحرى في البنية جميعها ويزعم ان الغدة المذكورة توزع القوة وتنشط جميع اعضاء جسد
ل فيهِ الوف الملايين من الخلايا بلا انقطاع ولكل منها عملها الخاص . فالخصية تفرز الحس
وية لإلقاح البييضات والتناسل غير انها في الوقت نفسه تفرز مفرزاً متى سار في الدم حمل
سُج القوة والنشاط والشباب فقد وضعت الطبيعة في هذه الغدة وحدها مصدر الحياة
دد النسل . ويدعي فورونوف ان شيخوخة الإنسان هي شيخوخة خصيته وفتوته هي
صيته او تطعيمه بخصية جديدة تفرز مفرزاً جديداً تقوى بهِ الاعضاء السائرة في الجسد
رد فورونوف لإثبات نظريته كثيراً من الشواهد فقد درس الامر اولاً في الحيوان ثم
سه في الانسان فاذا خصي الديك ذبل عرفه وامتنع عن الصياح وفقد نشاطه وحماسه
يزة السيطرة فيهِ واذا خصي كلب الصيد خسر كثيراً من صفاته الحسنة الدالة على ذكائهِ و
كلاب الاخرى والامثلة كثيرة على ذلك يطول بنا عدُّها . اما الإنسان فلا تجيز القوانين حصـ
عوارض والتبدلات التي تطرأ عليهِ بعد الخصاء غير ان درس المخصيين في مصر واستانبو
شولة كافية لمعرفة هذا الأمر . وقد استفاد فورونوف اثناء اقامته في مصر من احتكاكه
درس طباعها والتبدلات التي كانت تطرأ على اجسادها وعقولها بعد الخصي الفائدة الكبيرة
يهِ هذا التأمل طريقته وكشف له الطريق الذي سلكه فقد لاحظ ان المخصي اذا خصي
تأثر شعر وجهه ويترهل خداه ويشابه منظره منظر النساء المسنات ويسمن بدنه و
و تضعف عضلاته ويسترخي قوامها ويلطف صوته ويقل نشاطه ويشيخ باكراً ويتجعد

(١) من محاضرة القاها استاذنا الفاضل امس وزميلنا اليوم العالم الاديب الدكتور مرشد بك
ورونوف والمجتمع البشري

لخمسين ويتوسف وتظهر على قرنيته دائرة الشيخوخة ويفقر دمه وبكلمة واحدة تضعف
لجسدية جميعها وتخمد ذاكرته وينقص ذكاؤه وتخشن عواطفه ويستولى عليه الخوف

اخرى في الانسان يستطاع درسها اعني بها الاشخاص الذين يفقدون خصاهم لطوارىء
لأمراض تصيبهم فتستدعي استئصال غددهم فان هؤلاء تعتريهم التبدلات المذكورة
اقول في من يولدون وخصاهم ضامرة وفي الحياة عدد عديد من هؤلاء . ألسنا نرى من
مرط الوجوه مجعدي الجلود لطفاء الاصوات تبدو عليهم الشيخوخة الباكرة فهؤلاء
ت خصاهم ونضب افرازها الداخلي او قلّ
اثبات الامر بضده فمتى كانت الخصيتان كبيرتين او احداهما جسيمة او متى ولد الولد
ن منظره معاكساً للمشهد الاول والمجلات الطبية تورد لنا آونة بعد اخرى مشاهدات

الاستاذ مارو Marro حادثة ولد في التاسعة من عمره نبتت لحيته وذرّ شارباه
ظر شاب له من العمر عشرون سنة على الرغم من قصر قامته وكان نشاطه شديداً
ة وعقله يفوق عقل ابناء سنه وما ذلك الا لأن احدى خصيتيه كانت جسيمة للغاية فهال
هبا الى من استلّ له تلك الخصية فلم تمر بضعة اشهر عليهِ حتى تناثر شعر وجهه
ضلاته وخفت قوى عقله وعاد ولداً مناسباً لابناء سنهِ . كل هذا يبين لنا ان الخصيتين
ا الداخلي في الصفات التناسلية فقط بل في القوتين الجسدية والعقلية ايضاً . وما يقال
التناسلية يقال ايضاً في غدة المرأة التناسلية او المبيض فاذا نزع المبيض والمرأة فتية
واذا كان المبيضان جسيمين سرعا نمو الابنة واحدثا اعراضاً شبيهة بما تحدثهُ
يمتان

ت المطبوعات الطبية منذ بضع سنوات صورة ابنة عمرها ثلاث سنوات واحد
منظرها شبيهاً بمنظر ابنة لها من العمر اربع عشرة سنة لان احد مبيضيها كان
دوحة في عرف فورونوف نوع من الخصاء لان الطبيعة تخصي الرجل والمرأة وتعاقب
الغدد التناسلية فيعود منظر الشيخ شبيهاً بمنظر المخصي بما يتعلق بصفات جسده
عرف فورونوف كل ما ذكر فكر في ان يعيض عن الخصيين اللتين تصلبتا وذبلتا
ما المجددة للشباب بخصية مأخوذة من خليقة فتية ولما كان الامر متعذراً في الانسان
تجيز له التصرف باعضائه وهبتها ولو اراد ، فكر في الحيوان الاشد قرباً من الانسان
وكريات دمه ، فكر في بعض انواع القرود ولاسيما البَعَام (الشمبنزي) وبدأ يطعم
هذا القرد فكان له ان دفع عن الانسان وقر الشيخوخة

نتائج طريقة فورونوف

بقي علينا الآن ان نبين نتائج هذه الطريقة اولاً في الجسد ثانياً في العقل ثالثاً في اطالة الح

يؤثر التطعيم في الجسد تأثيرات عديدة تبين بجلاء ما للغرز الخصوي من الفعل العجيب

ينبه القوة التناسلية : وليس هذا بالامر الذي يرغب فيه الانسان عادة متى هرع الى الاختصاص

اياه ان يطعمه بخصية قرد فتي لان الشيخ بعد ان يكون قضى حياة طويلة واكمل بها دوره

ينظر اعياء هذه الحياة التي تثقل كاهله فيرغب في زحزحتها عنهُ وقلما يفكر في التصابي والعودة الى

مغازلة الحسان . واذا ظلمنا الاحصاء لذي وضعه فورونوف رأينا ان الذين طعموا انفسهم على الخلايا

القوة التناسلية لايتجاوزون ثلاثة في المائة على ان التطعيم لا يعيد هذه الخاصة الاَّ متى

الشيخ لم تبلغ من العطب حدًّا اقصى لأن التطعيم لا يحيي الميت بل ينبه الحياة الذابلة

على اننا لانؤمن بدعوى فورونوف هذه تماماً ونعتقد ان الشيوخ يخفون رغبتهم الشديدة

من يجاهر بها اذا استثنينا بعض الشعراء الذين يظلون يتغنون بما يخالج قلوبهم من الحب

والشاعر الفرنسي المبقري فيكتور هيغو اكبر مثال على ما نقول فان زهرة الحب لم تذو فيه

الثمانين من عمره

ويؤيد هذا القول ما جاء في كلام الجاحظ حيث يحدثك عن محمد بن عباد فيقول

« وحرى ذكر النساء ومحاهنَّ من قلوب الرجال فقال لمخاطبيه ألستم تعلمون اني قد

فينبغي لمن كان كذلك ان يكون وهن الكبر ونفاد الذكر وموت الشهوة وانقطاع ينبوع

أمات حنينه الى النساء وتفكيره في الغزل وينبغي ان يكون من عوَّد نفسه ترك

سنين ودهرا ان تكون العادة وتمرين الطبيعة وتوطين النفس قد حطت من ثقل

ودواعي الباه

« وينبغي أن يكون من لم يذق طعم الخلوة بهنَّ ولم يجالسهنَّ ولم يسمع حديثهنَّ و

واستحالتهنَّ للاهواء اذا تقدم له ذلك مع طول الترك أن لا يكون بقي معه من دواعي

وينبغي أن يكون من دعاة الزهد في الدنيا وسنحت نفسه عن السكن والولد وعن أن يكون

بالعقب الصالح أن يكون قد نسي هذا الباب كله ان كان قد مرَّ منهُ على ذكر ثم قال فاني

ما وصفت لكم لأسمع نغمة المرأة فأطن مرة ان كبدي قد ذابت وأظن مرة أنها قد

مرة أن عقلي قد اختلس وربما اضطرب فؤادي عند ضحك احداهنَّ حتى أظن انهُ قد

فكيف ألوم عليهنَّ غيري» ودليل آخر نقدمه ردًّا على دعوى فورونوف هو ما شاع

زواجه بفتاة في ريعان الصبا

الحموي هاقاً أولاً لاعتقاده بأنهُ متى تم لهم ذلك تحققت في الغالب اغراضهم الاخرى
رونوف شواهد عديدة بيّن فيها ان القوة التناسلية قد تذهب تمام التذهب أثر التطعيم
كانوا قد فقدوها منذ زمن طويل وكثيرون منهم تزوجوا في الثمانين من عمرهم ورزقوا
هذه السن

الانضاج وأعني به فرط السمامة﴾ نرى حيث سرنا أشخاصاً يتجاوز وزنهم مائة كيلو
ارروا هذا الحمل الثقيل ولا يجدون الى القائه عنهم سبيلاً. ان هؤلاء تكون مفرزات
قد قلّت أو انحلت ولاسيما مفرزات خصاهم فطمت الغدد الامعية في أجسادهم
يفة وحلت محلها غدد دهنية. يعزو هذا الامير الحموي بأن طعم الثة بخصية حديدة
نهم هذا السائل الذي به خفت وطأة تلك الشحوم وفقدوا كثيراً من وزنهم وطرحوا
حمل الثقيل الذي امتهم الطبيعة فيما كانوهم فان أحدهم عاد مني فورونوف فقد في بضعة
كيلو من وزنه وما زال على ذلك عديدة

ن التوتر الشرياني﴾ شرايين الانسان مرنة لينة غير ان مرور السموات يصلبها ويقسيها
في الكلسيين فمتى صلبتا ارتفع توترالدم في الشرايين واضطر القلب الى مضاعفة عمله
لدم في شرايين مصابة لا تساعده بمرونة جدرانها على عمله فيضخم ويتسع ويرتفع التوتر
ان يكون في الاناب المرنة شرايد ١٣٠ يبلغ ٢٠ سنتمتراً وينجاوز هذه الدرجة احياناً
مراض مهلكة لأن العمر اشبه شيء حسب تشبيه بعضهم بالسد الذي يعاق بتلك العروق
ما طعم الشيخ المتصلب وبعث فيه الطعم تمرزه المحيي في الدم ونبه الخلايا الشريفة
ح الحياة والتجدد فلانت العروق وانخفض توتر الدم وهذه الحالة التي لا يدركها غير
ء أيها المرضى لأنهم لا يفقهون مالها من الشأن اكبر دليل على ما للطعم الخصوي من التأثير
شباب لأن الانسان شرايينه فاذا ما صلبت شاخ ولو لم يتجاوز الاربعين واذا ما كانت
ولو تجاوز السبعين فلم يكن للطعم من تأثير سوى هذا لحق لما ان ندعوه المنقذ
ح

معضلات﴾ الطعم يحيي من المضلات روح الحياة فينشط الجسد ويقوى ويعود
ياة الكهولة

حالة المصابين بضخامة الموثة (البروستاتة) والمرابها﴾ — متى شاخ الانسان تضخم
احتشالات بولية قد تفضي الى السمامة فموته أو تضطره الى اجراء عملية جراحية
ذه الغدة ولا يخلو هذا العمل الجراحي من خطر

خصوي يحسن حالة المثانيين تحسيناً شديداً ويزيل الاختلالات البولية التي تعتريهم
طأة هذه الحالة المزعجة التي قد تتغلب في بعض المصابين

أما تأثير الطعم في العقل فلا يقل عن تأثيره في الجسد لا بل يفوقه لأن خلية الانسان ... الحيوانات فاذا كان مقعداً وبقيت له قواه العاقلة وظل نور دماغه مضيئاً يبعث بأفكاره الوضاءة التي ... فورونوف كشاً في ... الاختبار الطويل سداداً فانهُ يظل سعيداً ولو حرم حياة المشاركة لأنه اذا تعذر عليه ان يشارك ... حياة ... تعادل جنسه بجسده الضعيف تمكن من مشاركتهم بعقله النير وكتاباته وافكاره والسواد الاعظم من ... واقصى ... يصل ال... يطلبون الطعم على رأي فورونوف يطلبونه لهذه الغاية فاما أن يكونوا قد فقدوا ... بقي الى آخر ايام حيا... فيأملوا أن يعاد اليهم ما فقدوه وأما ان يكونوا قد خسروا توليد الافكار وإحكامها ... خمس ... والا... فيرجوا ان يستعيدوا ما خسروه واما ان يكونوا قد عجزوا عن الاتيان بأخف الاعمال ... الطعم يطيل الحياة ا... خلايا دماغهم تكون قد عجزت عن الإنتاج فيهرعوا الى الطعم ليستعيدوا مقدرتهم ... ذلك ما يقوله العقلية . وفعل الطعم في هذه الحالة عجيب غريب فكم من المحامين عادوا الى كراسي المحاماة ... المبضوعين وانها تخ... كانوا قد اعتزلوا مهنتهم الحرة لتبدد افكارهم ولعجزهم عن المرافعة ولضياع ذاكرتهم . وكم من ... وقد ذكرت ح... الذين هالهم ما هم فيهِ من وهن القوى العاقلة وعجزهم عن استجماع افكارهم لتشخيص ... نثبته هنا ... وتوجيه المعالجة الفعالة اليهم فقبعوا في بيوتهم واعتزلوا مهنتهم واذا بهم بعد التطعيم ... هذا الحيوان كما اشا... مسرح الطبابة كأن حياتهم قد تجددت وكأن الشباب قد عاد اليهم . وكم وكم من الشعراء ... تفاصيل حادث عجيب نضبت قريحتهم وخشنت عواطفهم بعد ان كانت اشعارهم ترنح سامعيها وتسكر منشديها ... الاستاذ المذكور ان يستمدون وحياً جديداً وينظمون شعراً طريفاً لم ينظموا اجمل منهُ وهم في زهرة حياتهم ... خطر له ان يطعم المؤلفين والعلماء الذين اوقفهم وهن قواهم العقليه عن متابعة عملهم فكسروا القلم وقطعوا ... الدكتور ريمس . بالكتابة والتنقيب فاذا بهم يعودون الى تدبيج المقالات الشائقة ووضع المؤلفات النادرة ... يوم ان زار الاستا... الكشوفات العجيبة . ولا عجب فانا اذا القينا نظرة على حياة كل فرد من المتفردين النابغين ... أغمي عليه وحف... اعظم الاعمال التي قام بها قد تمت في الزمن الذي كانت بهِ غدتاه التناسليتان نشيطتين ... القرود وكانت دهشا... متشنيكوف ان النابغة يفقد كثيراً من نبوغه متى خسر وظيفته التناسلية ... ماندور عيشة الفرو... فاذا ما اعيد الى الشيخ الحكيم الذي خبر الدهر وحنكته السنون نشاطه المفدى الذي ... لم يكن يأكل غير ... له قوة الشباب وحكمة الشيوخ وصفوة القول ان قوى العقل والجسم جميعها تتبدل ... خيل الى بعضهم ... بفعل الطعم ... سده بالتطعيم

هل تطيل الحياة

لم يبق سوى الامر الاخير من هذا البحث وهو اطالة الحياة . اذا كان المفرز الخصوي ... طريقة دو... يؤثر هذا التأثير الحسن واذا كان المخصيون يشيخون قبل الاشخاص الاصحاء فانهم ولاشك ... قد سنة ١٩٢٨ في ... قبلهم ايضاً واثبات الاول مستصعب على الانسان لانهُ يستدعي وقتاً طويلا لم تجتره ... طرائق الجراحية ا... ... ايين بماد... ... عادة الا... ... الحيوانات لأن حياتها اقصر من حياة الانسان

نات فقد دلت الاحصاءات البيطرية على ان حياة الحيوانات المطعمة تطول . فقد طعم في سنته الثانية عشرة فعاش وهو ممتلىء نشاطاً حتى العشرين والسنة العشرون من دل في الانسان المائة والستين لان شيخوخة هذا الحيوان تبتدىء في السنة التاسعة ل اليها لا تتجاوز الرابعة عشر فيكون الطعم قد اقصى الشيخوخة عن الكبش لانهُ حياتهِ نشيطاً يقوم بوظيفتهِ التناسلية حتى الموت واطال حياته في الوقت نفسه زهاء والاختبارات من هـذا النوع عديدة نضرب صفحاً عنها غير انها تبين بجلاء ان اة ايضاً

له فورونوف عن طريقته غير ان المنقبين ابانوا ان النتائج ليست واحدة في جميع تختلف من شخص لآخر

، حديثاً الصحف الطبية والجرائد اليومية ما شوهد في شيخ طعم على طريقة فورونوف ة ليكون بحثاً كاملاً . على اننا لا نعتقد بأن تطعيم خصية القرد الفتية تكسبه صفات شاع احصام فورونوف . ذكرت جريدة كورييري ديللا سيرا التي تصدر في ميلانو عجيب وقع للأستاذ المتقاعد جان ساندور وكان له ٧٦ سنـة من العمر . وجد ان بلوغ هذه السن يجب الاَّ يكون حائلا بينه وبين الاستمتاع بما يتمتع بهِ الشباب ـعَّم بخصية القرود بحسب طريقة فورونوف في الإشباب وقد اجرى له هذه العملية ، . وخيل بادىء ذي بدء انها نجحت الى ابعد حدود النجاح . الاَّ انهُ اتفق ذات سناد ساندور حديقة الحيوانات في بودابست ورأى القردة فيها فاصفرَّ لونه فجأة ـ الناس لاسعافه فلما افاق اخذ يصرخ ويصيح قائلا ان حياته ستصبح كحياة هذه هشة القوم عظيمة حين شرع يقلد اصوات القرود وحركاتها . وعاش منذ ذلك اليوم ـرود فلم يكن ينام في فراش بل يقضي الليل جالساً القرفصاء في احد اركان غرفته غير الخضر وتحلى ميله الى جوز الهند بنوع خاص . واقبل بعض العلماء يفحصونهُ ـم ان ما طرأ على الرجل ليس سببه الجنون وانما سببه الغدة التي ادخلت على

***

دوبلر Doppler ﴾ — بُحث عن هذه الطريقة في مؤتمر الاطباء الالمانيين الذي في براغ والغاية منها استئصال الودي (السمباتي) بالطرائق الكيماوية بدلاً من ية التي لجأ اليها لوريش (Leriche) وتقوم هذه الطريقة بتخريب الالياف الودية بمادة كيماوية كالكحول والنشادر . غير ان هاتين المادتين مؤذيتان ولذلك استعاض الايزوفنول (Isophénol) . ينتج من ملامسة هذا السائل لنسيج من النسج الحية

تقبّض موقت في العروق يتبعه اتساعها اتساعاً شديداً في البيئة المجاورة . يبقى هـذا التمدد اسابيع تقريباً فيطلي دوبلر عروق الحبـل المنوي والغدد التناسلية بهذه المادة فتتوسع ويفضي ذلك الى نشاط الغدة ويؤول هذا الامر الى الإشباب. وطريقة العمل سهلة للغاية فيجري مائل حذاء ثقب القناة المغبنية الظاهر وبجرد الحبل المنوي ثم يضرج بقطن أو شاش مبلل الايزوفنول . ثم يفتح قميص الصفن المصلي وتجذب الخصية الى الخارج وتبزغ بزغاً دقيقاً بالمحلول المذكور . ويطلى في المرأة الرباطان العريضان . وقد لوحظ ان النتائج في طريقتي فو ودوبلر تكاد تكون واحدة وتفضل الثانية الاولى بكثير لانها أيسر عملاً وأقل مصرفاً وقد الأستاذ سيمون من بطرسبرج (لسغراد) هذه الطريقة فاتضح له حسن تأثيرها . واليك ما شد مبضوعيه: تحسنت الرؤية وزالت الكدورة الناتجة من الساد (الماء الأزرق في العينين) ؛ وتقد البصر الشيخي ونشطت الحالة العامة بعد اسبوعين من يوم البضع واستمر هـذا النشاط عديدة استعاد فيها الجسم صحته وعافيته وعادت الغريزة الجنسية الى الظهور بعد طول الغياب استمرت هـذه التفتية ثلاث سنوات

﴿ طريقة كاواري ﴾ تقوم هذه الطريقة بحقن باطن جلد الشيوخ بـ ٢ — ٣ سنتيمترات مكعبة من مصل الدم الصادر من خصي حيوانات فتية وسليمة وتستند الى كثرة المرسل النازح عن الخصية ويمكن في هـذه الحالة ان يؤخذ مصل دم أي حيوان كان على شرط أن فتيًّا في أول البلوغ وسليما . وهذه الطريقة حديثة قال بها كاوازي من بولونيا سنة ١٩٣١ و في باريس تحت اشراف ابن شارل ريشه وغوتيه وغي لاروش وغلاي لخمسة شيوخ من مأوى في ايفري فاتضح للمراقبين أن مصل دم الخصية الراجع يعيد القوى والشبق ويحسن العصبية ويزيد وزن الهزال وغير ذلك من مظاهر الشباب . لم تدرس بعد هذه الطريقة درساً غير أن سهولتها وسرعة ظهور النتائج المستحصلة منها واستمرار النشاط أثرها قد يجعل لها سامياً بين الطرائق المتبعة في الإشباب

ومن الوسـائل المستعملة في تجديد الشبـاب والمستندة الى رسـل الخصية وحفظ النشاط تسليط لاشعة المجهولة على الخصيين لتنبيه خلاياها على الانقسام أو معالجتهما بالاشعة (diathermie)

تلك هي الطرائق المستندة الى عمل الخصية وأثره في الوجود أثبتناها في هذا المقال ايسكلوندسكي ينتقدها انتقاداً مرًّا ويقول ان تأثيرها لا أثر له الاَّ في مخيلة موجديها و لدعواهم بالحقيقة . وسوف نذكر في المقال أو المقالات القادمة طريقة ايسكلوندسكي و

أينشتين
ALBERT EINSTEIN

الرأي على ان اينشتين عبقريٌّ من الطبقة الاولى . وقد سلكهُ برنارد شو في نفر التاريخ وصفهم بقوله « بُناةُ الاكوان » . ويرى الكاتب العلميّ الانكليزي صليڤن او اربعة فقط في تاريخ العلم ، يجلسون على القمّة مع الارباب
، عالم طبيعيّ والركنان اللذان تقوم عليهما البحوث الطبيعية ، هم ركنا الرياضة ث في تاريخ العلم يسفر عن رياضيين ابرع من اينشتين ، ومجربين اكثر لباقة وإبداعاً. تي رفعتهُ الى القمّة ، هي هذا الخيال الوثّاب الذي قلب بهِ نظرتنا الكونية رأساً على به النسبية ، وهي اعظم آثارهِ ، هي كذلك اعظم المبتدعات في تاريخ العلم
على صفة الابتداع او الابتكار فيها originality تهجّم طوائف من العلماء عليها ، في عن تاريخها ، على حدّ قول الشاعر العربي « كفى المرء نبلاً ان تعدَّ معايبهُ ». فبعضهم يدرك مقتضياتها كلَّ الادراك . وبعضهم نقم على رجل رأوا فيهِ عقلاً لا يتّسق رة اينشتين المبتكرة الى الكون لم تحيرهم فقط ، بل اغضبتهم ايضاً . خذ مثلاً على ثرتهُ جماعة من علماء الالمان وفلاسفتهم قالوا فيهِ :- « ان موقعي هذه الرسالة يعتبرون معرَّضة اشدَّ الاعتراض للنقد ، امر لا يتفق وكرامة العلم الالماني ، وانهُ لمن الهون هية العلماء والأطباء الألمان لتعزيز هذه المحاولة » . وفي هذا ما يدلّنا على ان وجوه تمسُّ شعور الانسان ، لا تقتصر على الآراء المتعارضة في الدين وادب النفس
عتراض الذي من هذا القبيل قد سكنت عاصفتهُ الآن . واصبحت نظرة اينشتين أون كلون الزجاج في المناظر يلوّن جميع المرئيّات ، وغدا علماء الطبيعية الرياضية ينظرون ة اينشتين اليهِ . ولسنا نغالي اذا قلنا ان اينشتين بتغييره النظرة الكونية ، قد ادخل ى طبيعة التفكير العلمي . وهذا أمر لا يستطيع ان يحدثهُ الا عبقريٌّ من الطبقة الاولى حدة التي يشعر بها عبقريٌّ من طبقة اينشتين ان انهُ لا يكره الناس ولكن المجتمع هو المجتمع ، الذي يودُّ كل عاقل ان يتجنبهُ ، لو كان ذلك في وسعهِ . على ان الذين باينشتين في حداثته ، رأوا فيهِ هذا الميل الظاهر الى العزلة والعكوف على نفسه . نراهُ ري الصحف في رحلاتهِ العديدة ولا يبخل عليهم احياناً بالردِّ على اسئلتهم ومماز حتهم ،

تقبُّض موقت في العروق يتبعه اتساعها اتساعاً شديداً في البيئة المجاورة . يبقى هـذا [illegible] اسابيع تقريباً فيطلي دوبلر عروق الحبـل المنوي والغدد التناسلية بهذه المادة فتتوسع ويفضي ذلك الى نشاط الغدة ويؤول هذا الامر الى الإشباب. وطريقة العمل سهلة للغاية [illegible] مائل حذاء ثقب القناة المغبنية الظاهر ويجرد الحبل المنوي ثم يضرج بقطن أو شاش [illegible] الايزوفنول . ثم يفتح قميص [illegible] المصلي وتجذب [illegible] الى الخارج وتبزغ بزغاً [illegible] بالمحلول المذكور . ويطلى في المرآة الرباطان العريضان . وقد لوحظ ان النتائج في طريقتي [illegible] ودوبلر تكاد تكون واحدة وتفضل الثانية الاولى [illegible] لانها أيسر عملا وأقل مصرفا [illegible] الأستاذ سيمون من بطرسبرج (لسغراد) هذه الطريقة فاتضح له حسن تأثيرها . واليك [illegible] مبضوعيه: تحسنت الرؤية وزالت الكدورة الناتجة من السداد (الماء الأزرق في العينين) [illegible] البصر الشيخي ونشطت الحالة العامة بعد اسبوعين من يوم البضع واستمر هـذا النشاط عديدة استعاد فيها الجسم صحته وعافيته وعادت الغريزة الجنسية الى الظهور بعد طول الغد استمرت هـذه التفتية ثلاث سنوات

﴿ طريقة كاوازي [illegible] ﴾ تقوم هذه الطريقة بحقن باطن جلد الشيوخ بـ ٢—٣ [illegible] مكعبة من مصل الدم الصادر من خصي حيوانات فتية وسليمة وتستند الى كثرة المرسل النازح عن الخصية ويمكن في هـذه الحالة ان يؤخذ مصل دم أي حيوان كان على شرط [illegible] فتيًّا في أول البلوغ وسليما . وهذه الطريقة حديثة قال بها كاوازي من بولونيا سنة ١٩٣١ [illegible] في باريس تحت اشراف ابن شارل ريشه وغوتيه وغي لاروش وغلاي لخمسة شيوخ من مأوى في ايفري فاتضح للمراقبين أن مصل دم الخصية الراجع يعيد القوى والشبق ويحسن [illegible] العصبية ويزيد وزن الهزال وغير ذلك من مظاهر الشباب . لم تدرس بعد هذه الطريقة درسا غير أن سهولتها وسرعة ظهور النتائج المستحصلة منها واستمرار النشاط اثرها قد يجعل [illegible] سامياً بين الطرائق المتبعة في الإشباب

ومن الوسـائل المستعملة في تجديد الشبـاب والمستندة الى رسـل الخصية وخلق النشاط تسليط لاشعة المجهولة على الخصيين لتنبيه خلاياها على الانقسام أو معالجتهما بالا[illegible] (diathermie)

تلك هي الطرائق المستندة الى عمل الخصية وأثره [illegible] الوجود أثبتناها في هذا المقال [illegible] ايسكلوندسكي ينتقدها انتقاداً مرًّا ويقول ان تأثيرها لا أثر له الاَّ في مخيلة موجديها و[illegible] لدعواهم بالحقيقة . وسوف نذكر في المقال أو المقالات القادمة طريقة ايسكلوندسكي [illegible]

أينشتين

ALBERT EINSTEIN

مع اهل الرأي على ان اينشتين عبقريٌّ من الطبقة الاولى . وقد سلكهُ برنارد شو في نفر
ن عظماء التاريخ وصفهم بقوله « بُناةُ الاكوان » . ويرى الكاتب العلميّ الانكليزي صليڤن
د ثلاثة او اربعة فقط في تاريخ العلم ، يجلسون على القمّة مع الارباب
، اينشتين عالم طبيعيّ والركنان اللذان تقوم عليهما البحوث الطبيعية ، هم ركنا الرياضة
بة . والبحث في تاريخ العلم يسفر عن رياضيين ابرع من اينشتين ، ومجربين اكثر لباقة وإبداعاً .
الصفة التي رفعتهُ الى القمّة ، هي هذا الخيال الوثّاب الذي قلب بهِ نظرتنا الكونية رأساً على
ان نظرية النسبية ، وهي اعظم آثارهِ ، هي كذلك اعظم المبتدعات في تاريخ العلم
ما يدلك على صفة الابتداع او الابتكار فيها originality تهجّم طوائف من العلماء عليها ، في
مختلفة عن تاريخها ، على حدّ قول الشاعر العربي « كفى المرء نبلاً ان تعدّ معايبهُ » . فبعضهم
لانهُ لم يدرك مقتضياتها كلَّ الادراك . وبعضهم نقم على رجل رأوا فيهِ عقلاً لا يتّسق
م . فنظرة اينشتين المبتكرة الى الكون لم تحيرهم فقط ، بل اغضبتهم ايضاً . خذ مثلاً على
تراضاً نشرتهُ جماعة من علماء الالمان وفلاسفتهم قالوا فيهِ :- « ان موقعي هذه الرسالة يعتبرون
ة نظرية معرّضة اشدّ الاعتراض للنقد ، امر لا يتفق وكرامة العلم الالماني ، وانهُ لمن الهون
نخدّم جمعية العلماء والأطباء الألمان لتعزيز هذه المحاولة » . وفي هذا ما يدلّنا على ان وجوه
لف التي تمسُّ شعور الانسان ، لا تقتصر على الآراء المتعارضة في الدين وادب النفس
لكن الاعتراض الذي من هذا القبيل قد سكنت عاصفتهُ الآن . واصبحت نظرة اينشتين
ة الى الكون كلون الزجاج في المناظر يلوّن جميع المرئيّات ، وغدا علماء الطبيعية الرياضية ينظرون
ون نظرة اينشتين اليهِ . ولسنا نغالي اذا قلنا ان اينشتين بتغييره النظرة الكونية ، قد احدث
كذلك على طبيعة التفكير العلمي . وهذا أمر لا يستطيع ان يحدثهُ الا عبقريٌّ من الطبقة الاولى
اشد الوحدة التي يشعر بها عبقريٌّ من طبقة اينشتين انهُ لا يكره الناس ولكن المجتمع
تجنبهُ ، هو المجتمع ، الذي يودُّ كل عاقل ان يتجنبهُ . لو كان ذلك في وسعهِ . على ان الذين
على صلة باينشتين في حداثته ، رأوا فيهِ هذا الميل الظاهر الى العزلة والعكوف على نفسه . نراهُ
نفر المصوري الصحف في رحلاتهِ العديدة ولا يبخل عليهم احياناً بالردِّ على اسئلتهم ومماحتهم ،

ولكنَّ هذه الملاءمة بينهُ وبين البيئة الاجتماعية ، في اوربا واميركا ، اقتضت منهُ جهداً عظيماً

كان في طفولتهِ بطيءَ النمو ، فتأخر نطقهُ ، عن العمر المعتاد بين الاطفال . فظنَّ والده عقله ضعفاً . يقابل ذلك ، انهُ — على ما يقال — لما رأى بوصلة وهو في الرابعة من عمره ، واصيب بقشعريرة . فلما كان في السادسة من العمر انتظم في مدرسة اولية في مونيخ ، حيث النظام صارماً بل وحشيًّا في صرامته . هنا احسَّ للمرة الاولى في حياتهِ بالفروق بين والاغنياء ، ولمس ما اوغرت بهِ بعض الصدور على الساميين — اي اليهود — فتصاغر كل بطئهِ في النمو العقلي وحيائهِ الطبيعي على توسيع الهوَّة بينهُ وبين الناس . فظلَّ طول حياته بعيداً عن ابناءِ جيله ، غير مختلط بغيرهم ممن يتقدمونه سنًّا ، فكأنهُ احسَّ من صغره ... دار لا تؤاتيه سكناها

* * *

تنبَّهت فيهِ حاسة الشعور بعظمة الطبيعة وجمالها ، على اثر زيارة جماعة من ابناء عمومته جنوى . وصفوا لهُ عند أوبتهم شمسها المشرقة ، ومشاهدها الطبيعية الفخمة ، ومرفأها فيهِ ، فاصغى الى وصفهم وكأن كلماتهم تحتوي على رؤيا رائعة لعظمة الله . فمال الى التعليم وتاق الى ان يعيش معيشة الرهبان والنسَّاك . فازداد شعورهُ بالوحدة ، لانهُ لم يجد في يفهمهُ ويعطف عليهِ

وكان والدهُ على جانبٍ من الثروة ، يفاخر بانطلاقه من قيود العقيدة اليهودية وشعائرها عصرهُ في قبول الفلسفة المادية السائدة في اواخر القرن التاسع عشر . فحمل كلُّ هذا ابنه نظم اناشيد في مدح العزة الالهية . ثم وقَّع هذه الاناشيد ، وجعل ينشدها في بيته وكذلك جعلت الموسيقى ، تحتلُّ رويداً رويداً ، مقاماً سامياً في نفسه . ولكن شوقهُ الى الكمان لم يحفز الاَّ وهو في الثانية عشرة من العمر ، مع انهُ بدأ يتعلم التوقيع عليهِ قبل ذلك بسنة

الاَّ ان عبقرية أينشتين لم تتجلَّ في الموسيقى ولا في الادب ، بل في العلوم الرياضية ابدع الابداع كله . كان في صغره قد حل القضية الفيثاغورية وحده ، وقبل ان يبلغ النظامية علم الهندسة المسطحة ، وقع كتاب فيها في يديهِ ، فأكب عليه . فقال في مفتاح الحقيقة ، متمثلاً في اشكال كلها اتقان وجمال . ومن الهندسة انتقل الى فروع العلوم الرياضية . وقد وصف هذه الفترة من حياته ، بأنها الفترة التي اصاب فيها اكبر النعيم . فلما كان في الرابعة عشرة من عمره ، ثبت لمعلميهِ ولرفاقهِ في الدراسة ، ان هذا عبقريٌّ رياضيٌّ . هنا اخذ الوهن يتطرق الى عقيدتهِ الدينية ، وبدأ احساسهُ بالرياء الذي المجتمع يزداد دقة وإرهافاً

... انتقلت اسرتهُ الى سكنى ميلان ، فظل بضعة اشهر مطلقاً

. فوجد في ايطاليا فردوسهُ المنشود . كان يطالع ما طابت لهُ المطالعة ، ويختلف الى متاحف ، ويتنزه في الحقول وأرياض الجبال يكرع من خمرة الجمال الطبيعي ، فارداد فيه شروده ، وتعززت نزعتهُ الى الابتعاد عن ميدان الحياة العملي . هنا تخلى عن رعويتهِ الالمانية ، ان يتقيد بمذهبهِ الاسرائيلي . كان لا يطمع في المجد والشهرة ولا يبغي «النجاح» الدنيوي . شُلُّهُ الحرية المطلقة من جميع القيود ، والابتعاد كل الابتعاد عن العمل ، والانصراف عن حمل ة الأتباعهُ نحو نفسهِ

لكن ثروة الاسرة كانت آخذة في النقصان فاقتضى الدهر من اينشتين ان يتمّ دروسهُ النظامية بعمل عملاً ما يرتزق منهُ . وكذلك بعث بهِ الى سويسرا ليحاول الانتظام في ا كادمية زوريخ . في الامتحان واضطر ان يبقى سنة في مدرسة تحهيزية يستعدُّ فيهِ لدخول الا كادمية ، وبعد بأمنيته

* * *

نا اتى على اينشتين تحول ذهني غريب . فالبطء في نمو ملكاتهِ الذهنية ، تحوَّل اقبالا شديداً لالعة في مخالف العلوم ، فالتهمَ حقائق الطبيعة والبيولوجيا والجولوجيا التهاماً ، واقتنع ان دة والتجربة هما مفتاحا الحقيقة . ولكن موجة من الريب في العلوم الرياضية طغت عليهِ . كل احدٍ عن اقناعهِ بحضور الدروس الرياضية . فلما انقضت عليهِ ثلاث سنوات او اربع ، ان حشد الحقائق لا يفضي به الى الحقيقة التي ينشدها ، وان ما يحتاج اليهِ ، انما هو البصيرة ة . فوقف عند ذلك ، من المحاولات العلمية المختلفة موقف المشكك المرتاب . وظلَّ على ذلك سنوات ، أقبل في خلالها على درس الفلسفة مفضلا المرتابين منهم ، وفي مقدمتهم الفيلسوف يزي هيوم Hume

، هذه الفترة من حياتهِ ، عاش عيشة انفرادٍ وعزلة ، مقتنعاً بالكفاف من الرزق ، وعمد الى غذائهِ حتى يكفيهِ دخل يسير ، فأدَّى هذا الى اضطراب معدتهِ في مقتلا من حياتهِ . ولم جد سلوى لهُ الاَّ في الموسيقى

نت نية والدهِ ، أن ينتظم ابنه في مكتب هندسي ، ولكن تحقيق هذا الاقتراح . كان يقتضي مل اينشتين بالناس في ميادين العمل والمال ، فانصرف عنهُ . لذلك لما تخرج من اكادمية زوريخ ردَّ على الاعلانات التي يطلب اصحابها معلمين للتدريس في معاهد مختلفة . وعين فعلا في غير واحد ، ولكنهُ عجز عن القيام بما طلب منهُ ، لهذا النفور الأصلي في طبعهِ . من الناس . انت سنة ١٩٠٤ عين في خريفها ، وهو في الثالثة والعشرين من العمر ، في منصب صغير ، «الباتنة» في برن عاصمة جمهورية سويسرا

اينشتين ولا يزال ، يرى رأي الفيلسوف سبينوزا ، ان العبقرية يجب أن تصان ، من

عواصف الحياة المالية . ولكنهُ يرى كذلك ان العلماء الشبان يجب أن يتقلدوا عملاً لا
يرتزقون منهُ . لان شغل المناصب في معاهد التدريس مرهقٌ وقلما يفسح للعالم الوقت والجـ
والابتكار والظاهر أن عمله في مكتب الباتنتة، كان من نوع العمل الذي يطلبهُ . بل أنهُ في خلال
أخرج للعالم سنة ١٩٠٥ نظريته في النسبية الخاصة . كانت المسألة التي ابتدع هذه النظرية لحـ
خطرت لهُ وهو في السنة الثانية في اكادمية زوريخ ، ولكن الحلّ ظل متعذراً عليهِ اصعـ
وليس هـذا بالأمر العجيب ، متى عرفنا أن الحلّ الذي اقترحهُ ، كان عملاً قليل النظير
الخيال العلمي وتطوره ، لا يقابله في العصر الحـديث ، الاّ ابتداع الهندسة غير الاقليـ
مائة سنة تقريباً

سارت
وها هي الد
منصب واـ
عاد استاذاً
من الطلاّب
ينفق ساعاه
بيد از
ان يتقلـد

أما المسألة التي خطرت فكانت كما يلي : — ان المباحث التجريبية تثبت ان سر
لا تتغير ، سواء اكان المشاهد ساكناً أم متحركا . فكيف ذلك ؟

منصباً وتمد
سنة ١٩١٤

وقد وصل الى الحلّ الذي اقترحهُ عن طريق تحليل فكرة « التواقت » . فأدرك أن
ليس مطلقاً . أي أن حادثتين تحدثان في وقت واحد ، في نظر مشاهد ما ، قد تسبق احداهما
في نظر مشاهد آخر ، متحرك والاول ساكن ، او متحرك حركة تختلف عن حركة الآخر

قضى
خطوة محتو
ينشتين اذ
غيّرٌ في ظ
لى حركة المـ
لمتحرك و
ظرنا الى الـ
ثم خطـ
لماذا لا يطـ
علم الحديـ
ذا كان ا
ث أحدـ
ألوفة السـ
، الخفاء .
يبتدعها
رسالتهُ الـ
ولكن
في هذا

الحقيقة ، تفضي حتماً ، الى تنقيح نظرنا في الزمان والمكان . فاذا افرغ هـذا التنقيح
الرياضي الملائم ، ظهر أن سرعة الضوء ثابتة لا تتغير

هذا هو المبدأ . ولكن مقتضيات المبدأ ، تفضي الى نتائج خطيرة جداً ، منها ان كـ
تزداد بازدياد سرعتهِ ، وان الكتلة تتحول الى طاقة ، والطاقة تتحوّل الى كتلة

نشرت هـذه النظرية سنة ١٩٠٥ فثبت لطائفة من اكبر العلماء المعاصرين . أمثـ
وبوانكاره وبلانك ، ان نجماً من القدر الاول قد لمع في القبة العلمية . الاّ أن هذه الرسالة
قوة الابتكار في صاحبها . فما لبثت حتى تلتها رسائل اخرى في « الحركة البرونية » و« نظرية
(الكوانتم) » . فكأن تلك السنوات التي قضاها اينشتين ، متأملاً متحيراً ، مرتاباً ، آتاً
لا يؤمن ، قد اعدّته حتى يطلّ على العالم العلمي ، عبقريّاً كامل العبقرية . وقد وصف ابنـ
الفترة من حياته بقوله :— « كأن عاصفة قد انطلقت في رأسي »

قبل ذلك بسنتين كان اينشتين قد تزوج فتاة سربية الاصل تدعى ميليفا ماريك كانـ
في الدرس وفي سنة ١٩٠٤ رزق منها بابن . فاضطرهُ ذلك ان يرضخ لحكم الواجب عليهِ والرـ
مكتب الباتنته بدلاً من ان يطلق لنفسه العنان يطالع متى شاء ويفكر فيما يشاء . وفي سنة ١٩
ان يشغل منصب استاذ من الطبقة الثانية في زوريخ . ولكن مهامّ هذا المنصب اقلقت باله لكـ
وصف محاضراته في تلك السنوات بانها « اعمال بهلوانية على المائدة » وانها ليست بصلة ذهنـ

رت حياتهُ في هذه الفترة سيرَها المألوف بين رجال العلم لقد اصبح معروفاً والدوائر العلمية
الدعوات تترى عليهِ لالقاء المحاضرات في معاهد مختلفة في اوربا ، بل لقد عرض عليهِ غير
واحدٍ يفوق منصبهُ في زوريخ ، فقبل منصب استاذ في براغ ولكنهُ بعد سنة ونصف سنةٍ
اذاً من الطبقة الاولى الى اكادمية زوريخ ، فاذا شهرتهُ قد اجتذبت الى زوريخ طوائف كبيرة
لأب لتلقي العلم عليهِ ، فكانت مهام منصبه مرهقة كلّ الارهاق ، وبوجهٍ خاص لانهُ كان
اعات الفراغ متأملاً في تعميم نظريتهِ النسبية الخاصة
ن ان جامعة برلين كانت ترقب هذا النجم اللامع في سماء العلم ، يزداد سنىً وتألقاً ، فدعتهُ الى
عد فيها منصب استاذ من دون ان يعمل فيها عمل استاذ . اي انها عرضت عليهِ ان تقلّدهُ
وتمنحهُ مرتباً وافياً للتفرغ في بحوثهِ . فقبل اينشتين ما عرض عليهِ وانتقل الى برلين في ربيع
١٩١٤ ، فلم تنقض عليه سنة واحدة حتى اخرج نظريتهُ الثانية وهي المعروفة بنظرية النسبية العامة

* * *

ى عشر سنوات بعدُ المعدّات لاتخاذ هـذه الخطوة الجديدة الجريئة . كان قد احسّ بانها
ستومة لانداحة عنها بعيد اصدار رسالتهِ في النسبية الخاصة سنة ١٩٠٥ . ففي تلك الرسالة بين
ان نواميس الطبيعة مستقلة تمام الاستقلال عن حركة المشاهد القياسية . فاذا تراءى للمشاهد
ي ظاهرات الطبيعة شاذ عن نواميسها فليس ذلك لان تغيّراً طرأ على الناموس بل لان التغيّر طارىء
ة المشاهد . ولذلك فالظاهرات البصرية (النور) والظاهرات الكهربائية تتغير بتغير مكان المشاهد
ه وبتغير اتجاه حركته ولا سيما بتسارع حركته . وقد كان قولهُ هذا غير مألوفٍ فاقتضى تنقيح
ن الزمان والمكان
خطر على بالهِ ان هذا القول لا يكفي . اي انهُ لا يشمل كل ما يجب ان يكون مشمولاً بهِ .
يطلق مثلاً على جميع انواع الحركة . وقد لا يدرك القارىء مقام هـذا السؤال في تاريخ
لديث . ونحن لا نعلم هل خطر على بال احدٍ من معاصري اينشتين . وانما نعلم انهُ
ان قد خطر فعلاً على بال أحدٍ ، فانهُ ولا ريب قد أهمل كلّ الاهمال . اذ لا نجد أثراً لهُ في
عدهم . لان الردّ عليهِ كان يقتضي نظرة جديدة الى الكون ، والجاذبية ، تختلف عن النظرة
السائدة . ولم يكن عند اينشتين أركان يبني عليها الاّ الحقائق المعروفة . فانه لم يجرّب تجارب
اه . بل لعلهُ لم يجرب تجارب على الاطلاق . ثم ان الاساليب الرياضية التي احتاج اليها في بحوثهِ
ها كما فعل نيوتن بحساب التمام والتفاصل . بل تعلمها شأنهُ في ذلك شأن سائر الطلاّب .
ة التي نشرها سنة ١٩٠٥ فهمها سائر العلماء كما فهمها هو
لكنهُ كان يختلف عن سائر معاصريهِ في خيالهِ الأدبيّ الوثّاب
هذه الرسالة الثانية ، التي قرّر اينشتين فيها فيما قرّره ، أن الجاذبية ليست الاّ صفة هندسية

من الكون الزماني المكاني space-time continuum قفز اينشتين الى المكان الاول بين علماء
حتى أصبحت الصحف ، التي لا تعنى بعويص المسائل العلمية ، تذيع كلّ ما يتصل به
الاولى . فانهُ ما لبثت ان وضعت الحرب أوزارها ، حتى أعلن ان جماعة من علماء الانكليز
المعدّات لامتحان أقوال اينشتين في أثناء كسوف الشمس في ٢٩ مايو سنة ١٩١٩ قد
منها الى شمال البرازيل وآخر الى غرب افريقية . وأيّد الرصد ما قالهُ اينشتين . وأصبح من
المسرح العلمي العالمي في ملتقى الانوار . ومع هذه الشهرة الواسعة لا يستطيع الكثير
نظريتهُ قد فهمت فهماً واسع النطاق لان صعوبتين تحولان دون ذلك . أولاهما
الالمام بالرياضة العالية لفهم رموزها . وثانيا أن الصورة الكونية التي ترسمها غير مألوفة

لقد تغيرت نظرة اينشتين العلمية . فهو في سنة ١٩٢٠ غيره في سنة ١٩٠٠
لا يعتمد في العلم الاّ على التجربة . بل أنهُ صرّح في محاضرة القاها سنة ١٩١٨ ان
الاكتشاف العلمي للبداهة . فعندهُ ان بداهة العالِم ، في اكتشاف نواميس الطبيعة
بداهة الفنان . ثم تقابَل الحقائق التي تستنتج من هذه النواميس بالحقائق المشاهدة .
بداهة العالم . فأما ان تؤيد وأما أن تنهار . والأصل الذي تنبع منهُ عملية الابداع
والفنان هو الشعور الديني

انهالت على اينشتين بعد ان وضعت الحرب اوزارها الدعوات لحضور المآدب
المحاضرات ومقابلة الصحافيين والمصورين ، واتسع نطاق بريده اتساعاً عظيماً . وم
ونزعته الخاصة التي ظهرت في حداثته في مظهر ميله الى العزلة ، الاّ انه لم يتجنبه كل
فهو يعتقد ان رجالاً مثله ، لا تعرف بحوثهم الحدود القومية ، لا بد ان يكون لهم
في التقريب بين الامم المتعادية ، فهم سفراء السلام والصداقة بين الشعوب . كانت
في نظره غاية ، يقضي عليه الواجب نحو الانسانية ، ان يبرزها للناس . وقد كان اول
الذين زاروا عواصم الدول التي كانت معادية للالمان في الحرب . وقد لقي في
سنة ١٩٢١ ترحيباً عظيماً على لسان السر ارنست باركر في حفلة الترحيب به في جامعة

وعلى ذلك سلم اينشتين بنصيبه من الارهاق والسآمة في هذه الحفلات والدعوات
الغرض النبيل . أما السبب الآخر فهو اقتناعه بوجوب خدمة القضية اليهودية . ففي
اجتمعت طائفة من مفكري اليهود في مطعم ببرلين للبحث في عقد مؤتمر يهودي
الاجتماع ، وجلس مصغياً كل الاصغاء لما قيل فيه . فاقتنع بما قيل . وزال ما كان
التعالي ، عن الخوض في سبيل جنسه . وأصبحت النزعة اليهودية ، في نظره حقيقة
رأى بصيرته النفاذة ، المخاطر التي تنشأ عن تشجيع النزعة اليهودية ، كنزعة قومية

ناية اينشتين بهذه المسائل العامة تعلل لنا حبه للسفر . فقد زار حتى الآن معظم بلدان أميركا الشمالية وأميركا الجنوبية والشرق الادنى . وهو يعلق شأناً خطيراً ، بفهم الفروق بين ت الشعوب المختلفة وثقافاتها . وله يومية دوّن فيها في خلال اسفاره ، ما استرعى نظره من الطبيعية والاجتماعية وأثرها في نفسه

هو بعد كلّ هذا الثائر الحقيقي . نعم هذا الرجل المسالم ، المحبّ السلام ، الداعي اليه ، ثائر ثائر في ميدان العلم . بل هو يعيش في ثورة دائمة على الصور الكونية القديمة ، على الحقائق ة ، بل على نظرياته هو ، وهو ادعى ما يكون للعجب. اخرج نظريتهُ في النسبية الخاصة هادماً ن الآراء والاوليات القديمة الراسخة ، ولكنهُ لم يقنع بهذه الثورة الصغيرة ، فاخرج نظريتهُ بية العامة التي تناولت في نتائجها الفلك والطبيعة ، وبنى بها كوناً يختلف عن الكون النيوتوني بها في نظر بعضهم ، بعض ما اثبتهُ في نظريتهِ الاولى . كان الكون في نظريتهِ الاولى كوناً ساكناً ولكن لا حدود لهُ . فما كاد الاب ليمتر يخرج نظريتهُ في «الكون الآخذ في الاتساع» حتى تخلّى رة السكون والاستقرار في الكون مسلّما بفكرة الحركة والاتساع . ولكنهُ لم يقف عند هذا الحد . ة العامة فسّرت تفسيراً معقولاً الجاذبية . ولكنها لم تفسر « المجال الكهرطيسي » فابتدع اينشتين جديدة لتوحيد الظاهرتين . ولتحقيق هذا نقّح المعادلات التي انطوت عليها نظريتهُ الاولى ن الثورات ثورة تفيد وثورة تضر . ولكن طالع اينشتين كان مرتبطاً بكوكب السعد . ففي علماء كبار لم يفوزوا بشهرتهم الاّ بعد جهاد عظيم ودهر طويل . ومنهم من لم يعرف قدره مماته . على حدّ قول الشاعر العربي « لا يعرف القوم الفتى الاّ متى مات فيعطى حقهُ تحت الثرى » . ر العلماء الذين ماتوا مجهولين ! ولكن اينشتين فار هو ونظرياته بالشهرة ، وهو لا يزال في كهولته . ففي خلال عشرة أعوام ، رفع هذا العالم الشاب الى مستوى الاعاظم — الى مستوى بكوس وغاليليو ونيوتن . بل هو في نظر بعضهم نصف آلهة . فكيف نعلل كلّ هذا !

تعليل وافي لهُ الاّ بطبيعة عبقريته . عبقرية اينشتين المؤلفة من عناصر مختلفة ومتناقضة : — على التقاليد وعدم التقيّد بها — ملكة للنقد الصائب وبوجه خاص لنقد نفسهِ ونظرياته — عدم ، دائم — حبّ الهدم والعناية بالبناء — نظرة شاملة تتناول جميع نواحي الموضوع وترمي الى ام شامل بتصريح علمي واحد . تخدمها مقدرة عجيبة في الرياضة العالية انهُ لا يسمح لحائل ما ل دون استرسالهِ في تفكيره الرياضي الطبيعي مع انه يعترف انه في مباحثه الاخيرة ، قد بلغ للاعتبارات الفلسفية والفنية شأن كبير . هذا حدود التكهن العلمي . وسواء خرج اينشتين ا التيه ، بآراء تساوي نظرياته السابقة ، او لم يخرج الاّ باحكام اقرب الى الصوفية منها الى العلم حه ، فان له من مباحثه السابقة وأثرها في توجيه الفكر العلمي الحديث ما يجعله من جبابرة في التاريخ

التربية والتعليم

عند قدماء المصريين

للدكتور حسن كمال

ان موضوع اليوم وافر المادة كثير التشعب يصعب الالمام بهِ في مقال واحد لكن حصره والاحاطة بأهم نواحيه رأيت ان اقسم بحثي الى فصول تمكن القارىء الكريم من الاحاطة بالموضوع بكل سهولة وسرعة . . وهي نظام التدريس في العهد الفرعوني ثم الادوات الكتابية نصائح القوم التي كانوا يوجهونها الى تلاميذهم ثم الخطابات التي كانت تدرّس كنماذج تحتذيها القوم بشأن اكرام اساتذتهم واخيراً الآثار العلمية التي تركها لنا قدماء المصريين

ومعظم معلوماتنا عن التربية والتعليم عن هؤلاء القوم يرجع الى ما ورد في نصائح القراطيس البردية والالواح الكتابية والشظايا الحجرية التي كتب عليها تلاميذ المدارس لاساليب الكتابة الرسمية standard والتعليمية didactic وذلك على الاخص في عهد المملكة (١٥٥٥ — ٩٤٥ ق . م .) ونحن نتقدم بالشكر الى هؤلاء الطلبة الذين كتبوا ونقشوا وتكراراً تعاليمهم المدرسية فوصل الينا جانب كبير منها استدللنا بهِ على كثير من معلوماتنا اللغوية والعلمية واستعرفنا بوجه التقريب على مناهج التعليم التي كانت متبعة عندهم

نظام التدريس في العهد الفرعوني

يظهر ان الدراسة كانت مقسمة وقتئذٍ الى قسمين دراسة اولية ويقابلها عندنا دراسة ودراسة اعدادية او تخصصية . اما الدراسة الاولية فتتلخص في تعليم القراءة والكتابة الآداب القديمة وقد استعمل القوم لتمريناتهم الكتابية في الكتاتيب كِسَر الفخار وشظايا لانها عديمة الكلفة متحصلين بذلك القراطيس البردية الغالية الثمن

ومعلوماتنا عن كتاتيب تلك الازمنة قليلة لكنها تفوق غيرها نسبيًّا . وقد اكتشف لاحدى هاته الكتاتيب او المدارس الاولية ملحقة بمعبد رمسيس الثاني بالاقصر المعروف والواقع على شاطىء طيبة الغربي . وهذا الكتّاب كان ضمن ادارات رسمية ملحقة بالمعبد

عليها ان طلبة ذلك المعبد كانوا يتعلمون على الشظايا المذكورة طريقة الكتابة والقراءة ثم
انياً . وبفحص عبارات تلك النقوش وجدت عبارة عن مجموعة لآداب قديمة وحديثة .
ب القديمة نصائح الملك امنمحعت الاول (١٩٥٥ — ١٩٦٥ ق . م) وحكم العالم دواوف
والي عام ٢٣٠٠ ق.م) ومدحة الميل .. ومن الآداب الحديثة الشيء الكثير
ت منتخبات الآداب القديمة المذكورة مدونة بنصها الكامل في كتابين مدرسيين يعرفان
قرطاس سالبير وقرطاسي انسطاسي[1] كانا يستعملان بمدارس منف على الارجح ويكونان
من منهج التعليم الاولي وقتئذٍ . والشظايا الحجرية المذكورة كانت تحوي مقتطفات من
. ولا يبعد ان هذه المنتخبات كانت تدرس كمحفوظات لكل طفل وقتئذٍ
الفراغ من الدراسة الاولية او الكتاتيب ينتظم الطالب في التعليم الاعدادي . وهذا
الاندماج بشكل « كاتب » في لغتهم او « مساعد » في عرفنا وذلك في بعض الادارات .
لقن الطالب علومه الاعدادية من موظف قديم يتعهد بالاشراف عليه اشرافاً تاماً ويتكون
هذه المرحلة من كتابة لنماذج موضوعات انشائية مسهبة خلافاً للمختصرة التي كانت خاصة
الاولية . وقد عثر على بعض من هذه القراطيس التي كان المدرس يصحح على هامشها الاخطاء
ون التعبيرية التي كانت احياناً ركيكة التركيب خالية من المعنى . ومنه استنتجنا ان هذه
كانت تمرينات في الخط ليس الا . ولكن هناك قراطيس مدرسية اخرى عديدة يستدل
الطالب كان يتلقن العلوم من جهة ويتمرن على المخاطبات التجارية ومادة الهجاء من جهة
علوم ان مادة ضبط الهجاء ليست بالهينة اذ لا توجد طريقة كتابية يسهل الوقوع في
ثل الخط الهيرغليفي . وتتجسم في قرطاس هود[2] وموسكو الدقة العظيمة التي كان الاساتذة
ي تلقين الطلبة لمعرفة اصول الكتابة المصرية ولا بد ان امثال هذين القرطاسين كانت موجودة
ن الاخرى التي من طراز معبد الرماسيوم . واليكم ترجمة عنوان احد الكتب المدرسية المعروف
ود والخاص بمادة ضبط خط الهجاء : — « طريقة التعليم التي تثقف العقول وتنور
فهم الطالب جميع الكائنات التي خلقها (بتاح) وكتبها ؟ (تحوت) من سماء ونجومها
محتوياتها وما تتمخض عنه الجبال وما ينهمر من البحار وكل ما تصيئه الشمس وتنبته الارض
» كاتب الكتاب المقدس في منزل الحياة (امنمؤپ) بن (امنمؤپ) »
منزل الحياة » عبارة اطلقوها على المدرسة او دار التعليم وهي توضح عظم منزلة العلم عند
وم لانهم شبهوه بالحياة تمييزاً له من الجهل الذي اعتبروه كالموت . وعنوان الكتاب المذكور
محتوياته تشمل جميع العلوم مع انها لا تحوي سوى قوائم مطولة لاسماء دارجة واخرى غريبة

Pap. Sallier II & Pap. Anastasi V.
(Pap. Hood) Maspero Etudes Egypt. II.

مقسّمة تقسيماً اصوليًّا فهي تبدأ بالسماء وما تحويه مثل « سماء شمس قمر نجم برج الجوزاء
الاكبر الجبّار سحاب عاصفة فجرٌ دجى شمس ظلٌّ .... شعاع الشمس » وتلي ذلك
والحقول ثم ست مجموعات لاسماء الافراد تشمل احداها الفاظاً كالآتية : « معبود . معبودة
ميتة ملك . ملكة » وغير ذلك . وقائمة اخرى تحوي الفاظاً « للوظائف الكبرى والقاب
الدين واساطين العلم ثم قائمة بأسماء الوظائف الصغيرة والحرف المختلفة ثم مجموعة بالطوائف
ثم قائمة بأسماء رتب الجيش ثم جدول بالاقوام الاجانب واسماء الاماكن والبلدان

والقصد من وضع هذا الكتاب هو افهام الطالب سنة وتسعين اسماً لمدن مصرية و
اسماً للمباني واجزائها . كذا عدة مصطلحات للارض والحقول ومأكولات الانسان
ومن هذه ثمانية واربعون اسماً للحوم المشوية واربعة وعشرون اسماً للمشروبات وثلاثة
نوعاً للحم . وبالرغم من تلف الجانب الاخر من هذا القرطاس امكننا ان نعرف انه كان
باسماء الطيور والانعام وغيرها . ومنهُ يتضح ان هـذا الكتاب هو في الحقيقة أقدم
المصرية القديمة جمع وصنّف بعناية كبيرة بواسطة الكاتب (امنموب) ليظهر
الكون مقـدماً بذلك تشكراته الى المعبود (بتاح) و (تحوت) بأسلوب بسيط
ارشاد الطالب الى معرفة طريقة كتابة كل كلمة على حدتها

واعترضت طلاّب العلم الاولي والاعدادي عقبة معرفة الالفاظ الاجنبية الدخيلة
القديمـة والتي تنتمي الى اصل أسيوي وبربري (أي من شمال افريقيا) وسوداني
ما أوردهُ الأستاذ « ماكس مولر » أن احـد التلاميذ في عهد الاسرة الثامنة عشر
١٣٥٠ ق . م) كان يجهد نفسه كثيراً على السبورة في معرفة أسماء قبائل الخفتيو

واهتم القوم بتعليم أطفالهم أسلوب الكتابة الرشيد فألزموهم بنسخ نمـاذج كثيرة
متباينة الموضوعات وكذا خطابات تحوي نصائح وتحذيرات خاصة بالعلم في شكل مراسلات
طرفين وأطلق القوم على هذه الـكتابات اسم « علم الانشاء » . وعليه فالمصريون هم أول
هذا العلم وأجاده . وكثيراً ما حوت هذه الخطابات اسم الطالب ومعلمه باعتبارهما طرفين
في المنزلة والثقافة . وفي بعض المراسلات نرى ان الطالب يصف نفسه بالكسل و
لنفسهِ قصاصاً يعادل المائة كلمة مثلا

ومدرّسو التعليم الاعدادي موظفون متباينو المناصب من كاتب مالية الملك الى
الملك » الى « كاتب المصنع الملكي » وهكذا . وجاء عن أحدهم انهُ عَهد اليهِ في القيام
رمسيس التاسع (حوالي ٩٥٠ ق . م) ومع ذلك تمسك بمهنة التدريس فكان يلقن
بذمة صادقة وضمير حي . وشظايا الاحجار المتخلفة عن صخور ذلك القبر دلتنا على

(١)

جداً أنموذجيًّا وقصيدة عتيقة من عهد رمسيس الثاني (١٢٩٢ — ١٢٢٥ ق . م)
وان المدرس صحح اخطاء ذلك التلميذ حيثما وجدها

***

ام العصور الفرعونية يجد الباحث عناية شاملة بالعلم في جميع فروعه على مدى الدهر .
ـ — وهؤلاء يقابلهم عندنا الموظفون المتعلمون — كانت دائماً رفيعة بدليل قولهم
ـابة والكتب تجلب السرور والثروة » . وكانت المدارس اولا تابعة للسرايات الملكية
ذا سبقه) ان أحد ملوك مصر الأول كان عالماً بالكتابة (١) . أما مدارس
ة (١٥٥٥ - ٩٤٥ م ٢ ق م) التي وصلنا اسمها الشيء الكثير فيظهر انها كانت على نظام
ـد دواوين الحكومة ومخازنها وتتعهد اطلاق موظفين فنيين لادارة شؤونها وعلى
ـون المالية . والحصول على مثل هؤلاء الموظفين كان يتحتم تعليمهم اولا بالمدارس
ـهم بعد ذلك تحت المرين مع موظفين اكفاء وأحد الرئيس كهنة آمون المدعو
ـ) انهُ مضى من السنة الخامسة الى السنة السادسة عشر من عمره يتعلم من « رئيس
ـلة الملك » بعد ذلك التحق بمعبد آمون في منصب كهنوتي وضيع وعبارة « اصطبلا
ـ) تشير الى الارجح « مدرسة تدريب الخيل » — « او مدرسة السواري » وعليه عام
ـ ر ان مدة الكتابة التي تتردد دائماً في التاريخ المصري القديم تتفق في اوصافها
ـ « الموظف المتعلم » . ولا بد ان الرغبة في التوظف كانت شديدة كما هي الآن لان المتعلمين
ـ من الخدمة العسكرية والسخرة . ولفظة « كاتب » تطلق على كل موظف من مسجل بسيط
ـ العلم والشاعر العظيم مثل بنتاؤر . والترقي من وظيفة الى اخرى كان بالكفاءة والامانة
ـ كثيراً ما نشاهد ان الموظف بعد اختباره ككاتب بسيط يرتقي تدريجاً حتى يصبح حاكماً
ـدة او عرفا) ثم حاكماً لقرنين ثم مديراً لمديرية وهكذا حتى يصل الى المرتبة العالية
ـ . كما يستدل على ذلك من ترجمة حياة الكاتب (امتن Amten الذي عاش في حكم الملك
ـة ٣ — حوالي ٢٧٢٠ ق م) ومقبرة امتن هذا كانت في ابي صير ثم نقلت الى دار تحف
ـ فطائفة الكتاب كانت تمثل طبعاً الموظفين المتعلمين المثقفين . واشترك النسوة في
ـصار مهن الموظفات كالرجال مما يشير الى الدرجة العالية التي بلغها مستوى التعليم في
ـ . ولا يعهد مثل ذلك الآن الا في ارقى امم الغرب مدنية وحضارة
ـ ان النظام بالمدارس كان شديداً . فلم يكن يحتمل من أي طالب ان يطيل مدة بقائه بالمدرسة

(١) Inscriptions of Statue of Beeknechons Mus. Munich

عن الحد المعتاد . وقد جاء بقرطاس ساليير [1] ما يفيد ان الطالب كان يتحتم عليهِ ان يلزم
يهتم بكتبه وملابسه وحذائه

والمعتاد ان التعليم كان لا يتعدى في الزمن نصف اليوم فقد جاء بقرطاس ساليير
الاطفال كانوا يتركون كتابتهم وقت الظهيرة . فكان غذاء الطفل بسيطاً ويتكوَّن عادة
أرغفة وانائين من الجعة [2] كانت تأتي له بها والدتهُ يوميًّا . ولم يشمئز القوم من العقـ
لاطفالهم لانهم قالوا « ان للطفل ظهراً اذا ضرب عليهِ سمع » [3]

أدوات الكتابة

﴿ المحبرة ﴾ تتكوَّن هـذه من لوحة خشبية صغيرة تحوي حفرتين صغيرتين و
الاسود واخرى للمداد الأحمر . وحفرة ثالثة لوضع الماء فيها لتنظيف القلم . وتحوي
جراباً صغيراً لحفظ الاقلام فيهِ . والعادة في الحفر المذكورة ان تكون مستديرة الشكل
قد تكون مربعة . وعثر على محبرتين من هذا النوع مصنوعتين من العاج بمقبرة (توت عـ
الكخرى من خشب مموَّه بالذهب في نفس المقبرة وعلى غيرها من المرمر والصوَّان كما عثـ
للحبر خاصة دون الاقلام وعلب خاصة للاقلام دون الحبر

﴿ الأقلام ﴾ كانت تصنع من نبات الأسـل الذي تعمل منهُ الحصر ويقال
Juncus maritimus — وليس من الغاب كما يقال عادةً — وذلك بتجزئته قطعاً صغيرة
الطول ثم تفصل خيوط أحد الطرفين كي يشبه الفرشة الصغيرة . ولما أتى العهد اليوناني
هذه الفرشة بالبوص أو الغاب الذي كان يقطع بطول الأقلام الحديثة ثم يُبرى أحد
أقلام البسط تماماً . ونبات الاسل لا يزال موجوداً بمصر بكثرة في المستنقعات أو البحيرات
أما كيفية صناعة الاقلام منه فبقطعه قطعاً يرفع أحد طرفيها بالمدية ميلاً ثم يعالج بالاسنان
تفصل خيوطه بعضها عن بعض وتتكوَّن منهُ فرشة رفيعة . ويبلغ متوسط طول أقلام
الثامنة عشرة (١٥٥٥ — ١٣٥٠ ق . م) عشرين سنتيمتراً ومتوسط قطرها ١ر٥ مليمتر
يتضح ان أقلام هؤلاء القوم لم تكن أقلاماً بالمعنى المعروف بل فرشاً دقيقة لا غير
الحقيقي فلم يستعمل الاَّ من العهد اليوناني أي حوالي القرن الثالث قبل الميلاد وهذا
كثيراً من القلم القديم ومصنوع كما أسلفنا من البوص أو الغاب المصري المعروف بالـ
Phiragmites aegyptiaca وهو موافق لكتابة الخط اليوناني ، وكثيراً ما كان يعاد بري

(١) Pap. Sall. II 10.2

(٢) Pap. Sall II 10. 6 (٣) Pap. Anastasi V 8. 6.

الحالة فيقصر تدريجاً حتى يبلغ الستة سنتيمترات تقريباً طولاً . وقد بيّن الاستاذ وينلوك هذه الأقلام الكثيرة الاستعمال اوصل بقطعة خشبية لابلاغه الطول المعتاد . ولا تزال تستعمل في الارياف الى وقتنا هذا

المداد ﴿ كان المداد يحفظ بشكل دوائر صغيرة اشبه باقراص الالوان المائية الحديثة . وهذه الدوائر كانت تصنع على الارجح بمزج مسحوق المداد مع الصمغ والماء ثم تجفيف ذلك بطريقة استعماله فأشبه تماماً بالتلوين المائي — اي بغمس الفرشة في الماء وتمريرها فوق قرص والمداد الاسود كان يصنع من هباب الدخان (او الكاربون) . اما الاحمر فمن ملح الحديد سم المغرة أو تراب الحديد red ochre

بون هو اقدم مادة استعملت للمداد وذلك من العهد السابق للاسرة الاولى (اي قبل ٤ ق . م) وقد عثر الاستاذ بتري على مقدار كبير من هذا المداد داخل اوانٍ صغيرة من ة الاولى

اد التي استعملت للكتابة عليها ﴿ تتلخص هذه في العظام (مثل لوحة الظهر) والالواح وداء . (وذلك في عهد الاسرة الحادية عشرة وهذه تنقش في بعض الاحيان ويكتب ا دون ذلك) ثم الالواح الطينية المحروقة (وكانت تستعمل في المكاتبات الرسمية بين مصر د الاسرة الثامنة عشرة) ثم العاج والجلود والكتان والمعادن كالبرنز والرصاص ثم البردي لوص والحجر والشمع والخشب الطبيعي والمدهون وهذا الاخير كان يستعمل للكتابة او الطباشير مدة قصيرة ثم تزال الكتابة عنهُ بسهولة . واهم مادة للمكاتبات هي البردي ن النبات المسمى كذلك والمعروف باللاتينية باسم Cyperus Papyrus) ومنهُ اشتق لفظ كليزية و [illegible] بالفرنسية

نصائح القوم لتلاميذهم

القوم الى تلاميذهم كثيراً من نصائحهم الغالية التي استرعت اهتمام الاثريين لاشتمالها على المعلومات التاريخية والاجتماعية

اس هذه النصائح ترغيب الطالب في العلم دون الحرف الاخرى لذا يجب على الباحث ان يرأ ببعض النصائح لانها متحيزة في الغرض ومبالغةٌ في التعبير . من هذه ما جاء بقرطاس [1] وترجمته

ـا الكاتب لا تكن كسولاً ! لا تكن كسولاً . والاَّ فستعاقب عقاباً صارماً . وى فتهوى . اكتب بيديك واقرأ بفمك . واسأل النصيحة ممن يفوقك في العلم .

[1] Pap. Anastasi III 3. 9

لنفسك خطة اكابر القوم علك تبلغ مستواهم اذا ما تقدمت في السن . ما اسعد الـ
باستاذ . ثابر على العلم يوميًّا فالمثابرة تسود . حذار ان تترك يوماً يمر سدًى والأ
اءك من القصاص . ألا فاعلم ان ادنى الطفل على ظهره اذا ضرب عليهما فهم النصيحة . ا
جوارحك فكلامي يفيدك مستقبلاً . ان من وحش السودان ما يجبر على الرقص ومن
يرغم على المؤالفة ومن الحدأة ما يسحن في القفص ومن النسور ما توثق جناحاه — و
ه العبارة ان كسر شوكة هذه الحيوانات سهل وأسهل منه كسر شوكة التلميذ العاق

وجاء بقرطاس انسطاسي [1] ايضاً ما ترجمتهُ : — بلغني انك هجرت الكتابة واتبعت
صبحت تترنح في الطرق تتنسم رائحة الجعة لتحتسيها فتردي . ألا فاعلم بأن الجعة (
ك الرجال وترمي بنفسك الى الهلاك فمثلك في ذلك كمثل دفة مكسورة لا تملك
احدى الجهتين وكمثل ناووس خال من الـ وأيضاً منزل خال من الخبز . انت لا
تسلقاً لجدار . واذا رآك الرجال تجنبوك خوفاً من اذاك وما تحدثه فيهم من جراح
تعلم ان النبيذ مكروه وان تحلف اليمين بالامتناع عن تعاطي مشروب (قدح) و
حاجة المسكر وتتناسى مشروب (تلك Telek) . لقد بدأت تتعلم العزف على
جلس في المنزل محاطاً بالغادات . . . . وتقعد امام الفتاة مطيباً جسمك بالعطر ومطوقاً
اكليل الزهر ومطبلاً على جوفك ثم تتمايل فتسقط على بطنك فتتلوث بالقاذورات . . .

وجاء بقرطاس ساليير [2] صورة خطاب من والد لتلميذه يرغبه في العلم ويزهده
نقتطف منه ما يأتي : — بلغني انك هجرت الكتابة واتبعت الملذات ووجهت همك
ووليت ظهرك نحو كلام الله (اي الخط الهيرغليفي والنصوص القديمة) الم تفكر ملياً في
الفلاح اذا ما حل به ميعاد الحصاد . حينئذ تجد الديدان قد التهمت نصف حبوبه وحصاد
اتى على النصف الآخر والجرذان عمت الحقول والجراد نزل على المزارع ، ثم تأتي
المحصول ويحلق العصفور فيقتنص كل ما يمكنه فواحسرة على الفلاح ! لان ما يتبقى له من
بعد درسه تسطو عليه اللصوص فتسرقه . زد على ذلك ان خيوله كثيراً ما تموت وقت
والدرس وعندئذٍ يأتي الكاتب ليسجل المحصول مصحوباً بالصرافين القابضين على
الشرطة العبيد المسلحين بجريد النخل قائلين « ورد ضريبة القمح » فيجيبهم بقوله «
قمح ! » وقتئذٍ يمدّ على الأرض ويجلد ويرمى في الترعة . . . . أما زوجه فمكبلة
أطفاله . وأما جيرانهُ فيهجرونهُ ليهتموا بجمع القمح اللازم لضريبتهم — هكذا
على أعمال الناس طرًّا . فضلاً عن أنهُ لا يدفع الضرائب لانهُ يؤدي ضريبته كتابة فهو
من الديون . اذن استمع لذلك جيداً

(1) Pap. Sallier I 5-11 88. (2) Pap. Anastasi IV 11 ...

ـ خطابات حقيقية كان يطلب من
نها مراراً للتثبت منها والاقتداء بها
ـ يخص أموراً مصلحية والباقي
ـية . ولدينا مجموعة من هذه
حسنة الأسلوب جيدة اللغة .
من مراسلات لأفراد عائلية او
ـة

ـد خطاباً كان يدرس مثلاً لموضوع
ـ كثيراً من المعلومات الهامة عن
ـه وعن طريقة المخاطبة
الحكومة وشدة
ـمة بالجزية وحرصها
ـعون وقتئذٍ . وهو
ـ حاكم مستعمرة الى
ـا ووارد بقرطاس
Pap. Koller

ـ المروحة الواقف على
حاكم أراضي أتيوبيا
ـسر Pase) يقول :
ـر مديرية — أبعث اليك بهذا
ـا بعد . فحالما يصلك خطابي هذا
ـن تجمع الجزية على اختلاف أنواعها
وعجولٍ وثيران ذات القرون
ـلان ووعول وتياتل ونعام وأن
لشحن الخيرات والحيوانات
ـمالها بحيث يكونون جميعاً على
ولا تنسَ مقادير الذهب العظيمة
ـكل أطباق . كذا الذهب الناعم

الموضوع داخل الأشولة . وكذا تراب الذهب الجميل المستخرج من الصحراء المحفوظ داخل اكياس الكتان الأحمر . وتذكر العاج وخشب الابنوس وريش النعام وغيرها ... من راتنج وأحجار كريمة وبلور وقطاط ونسانيس وقردة .... ولاحظ العدد الغفير من رجال قبيلة (ارمي Irmi) الذين يتقدمون مهرجان الجزية ومعهم عصيهم الغليظة والمذهبة ... وعمالق قبيلة (تيرك Tirr) حاملين المراوح الذهبية ولابسين الريش العظيم والدمالج المزركشة وكثيرين من العبيد من كافة الأنواع

زد في الجزية عاماً بعد عام واحتفظ برأسك واترك الكسل ..... أشرف على الجزية بنفسك واعرها اهتمامك وتعهدها بحرصك . وتذكر دائماً يوم وصول الجزية يوم تمر اسفل النافذة الملكية امام جلالة الملك ومستشاريه المصطفين على جانبيه ، ورؤساء البلاد الاجنبية وسفرائها والكل واقفون يتفقدون الجزية ويعجبون بها . حينئذٍ يدخلك الوجل ..... وتسقط في يدك . فلا تدري ايكون نصيبك الموت او الحياة . وليس امامك الاّ التوسل بالمعبودات فتناجيهم بقولك. —

« خلصوني ارحموني ايتها الآلهة هذه المرة فقط ! »

شرنا في هذا العدد الحديث الاول من هذه المحاضرة النفيسة وفي العدد التالي تتمتها وهي تشتمل على البحث في اكرام الاساتذة وحكم الفلاسفة وآثارهم في النثر والشعر والقصص والعلوم المختلفة

عودة الملوك

الى المدينة

للمستر كرستوفر سكايف استاذ الادب الانكليزي في كلية الا[illegible] بالجامعة المصرية مقام عالٍ بين أدباء الانكليز المعاصرين وشعرائهم ، و[illegible] مجموعة من الشعر الانكليزي (Towards Corinth, O Englishman) يبدو فيها شاعراً دقيق الحس بليغ العبارة مبتكر التشبيه . وقد سمعناه [illegible] بعض قصائده ، فأعجبنا مما يتزاحم فيها من الصور والمعاني، وهزنا ما أفرغ فيه من قالب يأخذ النفس بايقاعه المطرب ، مع ان معظمها من الشعر المرسل وقد تفضل فأهدى الينا نسخة من مجموعته فاخترنا ان ننقل الى العربية قصيده بليغة منها في موضوع مصري عنوانها « عودة الملوك الى المدينة » محافظين جهد الطاقة على معانيها ومراميها الاصلية ، معترفين ان [illegible] لا تجاري الاصل في فخامة العبارة وجرسها !

ها هم الموتى الهانئون قد اقبلوا من قبورهم
وطفوا على لجة النهر كالاوراق المُغْر
فبكى الفلاحون ما شاهدوا .
لقد سُلَّت جواهرهم ، ونصلت جلالتهم ،
اجل لقد امتهنت كرامتهم ودنست قداستهم ،
ولكن جلالة المعرفة والسنين
ما بَرحت تُضفي عليهم جلالها السامي .
واذ مروا قافلة صامتةً أثر قافلة
رأيتُ أشباح الملايين تعمر ضفات النهر.

لايين وراء ملايين من الموتى طال عليهم الموت

في عيونهم التي عرفت العالم امس ودموع

رؤوسهم العريقة حسرة واطراق .

وقفت تلك الامة المجيدة بأسرها

صب عليهم المحزن وتفجّعهُ بالنظرة الكئيبة .

وا . فافا كالغيم فوق الجبل

حتفوا كالرياح المتبدّدة في اغوار الكهوف

ر قبورهم العظيمة تنعاهم

لي الى الارواح العابرة بنبأة صداها المشجي

ا اقفرت . انها اقفرت .

يريس ! ايزيس ! هوروس !

أنتم الآن ؟

. حتى دوركم كالاوراق الطافية في تيار النهر

س ثمة اثر لسكم .

ن تتحجر كون بين العوالم

ن تطأون المجرات

مبحون على متون المذنبات

اصرتم ؟ حتى عاد امتهان اسمائكم

نيكم ؟

طوا وا سبغوا السلام على احبابكم .

تم كذلك اوراق طفت على لجّة النهر !

تقدم الطيران ومستقبله

خطوب الارتقاء في ثلث قرن

وما ينتظر في المستقبل

﴿ نبوءة شاعر وتحقيقها ﴾ للشاعر البريطاني العظيم ، الفرد لورد تنيسون في قصيدته « لُكسلي هول » مقطع ينطوي على نبوءة من أعجب النبوءات الحديثة في هذا العصر الحديث. قال ما ترجمته : « وحدقت في المستقبل الى مدى ما تستطيعهُ العين البشرية فشاهدت وما تنطوي عليهِ من العجب العجاب . رأيت الجو حافلاً بالتجارة . رأيت أساطيل الطيارة الاشرعة السحرية . وطيارات الشفق القرمزي المثقلة بالبالات النفيسة . وسمعت الصائح السماوات العلى . ثم هالني ندى مروع من اساطيل الامم الهوائية تتصارع في كبد السماء... الارض سالمة من حروفها يتحقق . فالطيارات العظيمة الخاصة بالنقل والتجارة تحلق في الفضاء ناقلة من « البالات النفيسة » اذا قصدنا بالبالات كل ما يحمل لغرض تجاري . انها تنقل الناس والبضائع الخفيفة الثمينة . بل ان الراكب اذا شاء ان يدفع الثمن يستطيع ان ينقل معهُ حقائبهُ في طيرانهِ بين العواصم الاوربية . ويذكر كاتب هذه السطور انهُ اصطحب حقيبتين كبيرتين رحلها بين لندن وباريس في سنتي ١٩٢٧ و١٩٢٨

وها هو ذي ، كذلك ، الطيارات الحربية ، متنوعة الاشكال والاغراض ، من المستكشفات . الى الطيارات الضخمة قاذفات القنابل من الجو ، تدمر المدن وتهلك نوعاً ان خيال تنيسون الشعري أسبغ على مقذوفاتها صورة « الندى » . ولكنهُ أي ندى ! ومن يدري فقد تكون مقذوفات الطيارات الحربية في المستقبل من الغازات السامة اذا مضى الانسان في عنوه وعناده ، أشبه شيء بقطرات كبيرة من الندى ، تنفجر

ثم هناك الطيارات المائية . التي تطير من سطح الماء وتحط على سطح الماء ، وقد بعضها من الخاص بسباقات السرعة ٤٤٠ ميلاً في الساعة او يزيد . وهناك الطيارات الامفيبية التي يصنعها سكورسكي الروسي في اميركا . وقد دعيت امفيبية Amphibian تشبيهاً الامفيبية كالضفادع التي تعيش في خلال حياتها في الماء وعلى اليابسة ، لان هذه الطيارات فتستطيع ان تحط على الارض ، ولها اطواف فتستطيع ان تنزل على سطح الماء . والغرض

ار ، وليس بقربها نهر او بحر لم يتعذر عليها النزول على الارض واذا تعطل محركها
دة او فوق ريف ، ليس فيهما مطار او ارض ممهدة . وانما تخترقهما نهر وسيع . لم يتعذر
أن تحط على صفحة النهر سالمة

الطيارات ذوات السطح الواحد ، والطيارات ذوات السطحين . والطيارات ذوات المحرك
ات المحركين او المحركات الثلاثة ، او المحركات العشرة . كالطيارة الالمانية الجبارة المعروفة
ن ١٨١٨ . والطيارات التي لا تتسع الاَّ لسائقها او لسائقها وراكب آخر . والطيارات التي
و عشرين او اكثر من الركاب فالطيارات التي قطع فيها كاتب هذه السطور المسافة بين
ذهاباً واياباً ، كانت تتسع لثمانية عشر راكباً وأمتعتهم ، وفيها يوفيه ما يحول منه ما
المشروبات وألوان الغذاء . ولا تندر الطيارات التي فيها اسرة النوم شبيهة بأسرة السكك
وهناك الطيارات المجهزة بالآلات اللاسلكية — بل هي جميعها كذلك الآن حتى يبقى
ال الطيران ، متصلاً بالمطار ، الذي قام منه وبالمطار الذي يتجه اليه . وبالمطارات التي
تعلمه في كل دقيقة من دقائق الطيران ، بأنباء الجو والضباب ، حتى يكون نزوله الى
من الاصطدام بالحوائل والعثرات . بل اذا تلبد الجو بالضباب . وتعذر على السائق
الارض ، لانه لا يراها ، ارشده مدبرو المطار بالاذاعة اللاسلكية الى ذلك

ان ! كل هذا كائن حادث في سنة ١٩٣٥ ولكنه لم يكن كذلك سنة ١٩٠٢ بل لم
يطنون في مطلع هذا القرن ان الطيران بآلة اثقل من الهواء امر مستطاع

الاول في كل ما تقدم يرجع الى الاخوين ولبر واورفيل ريط الاميركيين فهما رائدا
يث بآلة اثقل من الهواء

ريط في ٦ ابريل سنة ١٨٦٧ في بلدة ملفيل بولاية انديانا من عمال الطيران المتحدة
وولد اخوه اورفيل سنة ١٨٧١ وبعد ما تلقيا علومهما [illegible] لاصلاح
العجلات ، ثم اتجهت افكارهما الى العناية بشؤون الطيران . فدرسا درساً علمياً وعملياً
مبر ١٩٠٣ طار احدهما بطيارة من صنعهما مسافة ٢٦٠ ذراعاً فلبث في الجو ١٧ ثانية .
ول انسان طار بطائرة اثقل من الهواء ، وفي ٥ اكتوبر سنة ١٩٠٥ طار اورفيل ريط
ن بلدة ديتونا الاميركية بولاية اوهايو فاجتاز مسافة ٢٤ ميلاً في ٣٨ دقيقة
اصابه الاثنان من النجاح لم يقدم احد من المتمولين على تعضيدهما بالمال . فذهب ولبر
سا سنة ١٩٠٨ وفي يوم ٢١ سبتمبر فاز بجائزة ميشلن بعد ما طار مسافة ٥٩ ميلاً فذاع
يلة وضحاها . وفي شهر ديسمبر من السنة نفسها طار مسافة ٧٧ ميلاً في ساعتين وثلث
سنة ١٩٠٩ طار فوق مدينة نيويورك مسافة ٢١ ميلاً في ٣٣ دقيقة و٣٣ ثانية
ك السنة ضرب مجلس الامة الاميركية وساماً خاصاً منحه للشقيقين الرائدين . ثم اشترت

تقدم الطيران ومستقبله

ضروب الارتقاء في ثلث قرن

وما ينتظر في المستقبل

﴿ نبوءة شاعر وتحقيقها ﴾ للشاعر البريطاني العظيم ، الفرد لورد تنيسون في قصيدته المشهورة «لُكسلي هول» مقطع ينطوي على نبوءة من أعجب النبوءات الحديثة في هذا العصر الحافل بالمعجزات قال ما ترجمته : «وحدقت في المستقبل الى مدى ما تستطيعهُ العين البشرية فشاهدت رؤيا ... وما تنطوي عليهِ من العجب العجاب . رأيت الجو حافلا بالتجارة . رأيت أساطيل الجو ... الاشراعة السحرية . وطارات الشفق القرمزي المثقلة بالبالات النفيسة . وسمعت الصياح ... السماوات العلى . ثم هال ندى مروع من اساطيل الامم الهوائية تتصارع في كبد السماء . . »

نشرت هذه القصيدة في العقد الخامس من القرن الماضي على ما تذكر وها هوذا كل حرف من حروفها يتحقق . فالطيارات العظيمة الخاصة بالنقل والتجارة تحلق في الفضاء ناقلة من بلاد الى بلاد « البالات النفيسة » اذا قصدنا بالبالات كل ما يحمل لغرض تجاري . انها تنقل الناس والبريد والبضائع الخفيفة الثمينة . بل ان الراكب اذا شاء ان يدفع الثمن يستطيع ان ينقل معهُ حقيبة من ... في طيرانهِ بين العواصم الاوربية . ويذكر كاتب هذه السطور انهُ اصطحب حقيبتين كبيرتين في رحلة رحلها بين لندن وباريس في سنتي ١٩٢٧ و١٩٢٨

وها هو ذي . كذلك ، الطيارات الحربية ، متنوعة الاشكال والاغراض ، من ... المستكشفات . الى الطيارات الضخمة قاذفات القنابل من الجو ، تدمر المدن وتهلك الزرع والضرع ان خيال تنيسون الشعري أسبغ على مقذوفاتها صورة « الندى » . ولكنهُ أي ندى ؟ ندى مرّ ومن يدري فقد تكون مقذوفات الطيارات الحربية في المستقبل من الغازات السامة والمكروبات اذا مضى الانسان في عنوه وعناده ، أشبه شيء بقطرات كبيرة من الندى ، تنفجر وتنتشر وتفتك

ثم هناك الطيارات المائية . التي تطير من سطح الماء وتحط على سطح الماء ، وقد تبلغ ... بعضها من الخاص بسباقات السرعة ٤٤٠ ميلا في الساعة او يزيد . وهناك الطيارات الامفيبية القوية التي يصنعها سكورسكي الروسي في اميركا . وقد دعيت امفيبية Amphibian تشبيهاً لها بالحيوانات الامفيبية كالضفادع التي تعيش في خلال حياتها في الماء وعلى اليابسة ، لان هذه الطيارات لها ... فتستطيع ان تحط على الارض ، ولها اطواف فتستطيع ان تنزل على سطح الماء . والغرض من ... تكون مستعدة لكل طارىء . فهذا الجهاز يقيها اخطاراً كثيرة . فاذا تعطل محركها على مقربة

مطار ، وليس بقربها نهر او بحر لم يتعذر عليها النزول على الارض واذا نهضت
بلدة او فوق ريف . ليس فيهما مطار او ارض ممهدة ولما تحلق فيهما
لذلك أن تحط على صفحة النهر سالمة

هناك الطيارات ذوات السطح الواحد ، والطيارات ذوات السطحين . والطيارات ذوات المحرك
وذوات المحركين او المحركات الثلاثة . او المحركات العشرة . كالطيارة الالمانية الكبيرة المعروفة
بدوكس ١١١٨ . والطيارات التي لا تتسع الا لسائقها او لسائقها ومسافر آخر . والطيارات التي
العشرة او عشرين او اكثر من ركاب فالطيارات التي قطعت في الشهر الماضي المسافة بين
باريس ولندرا ، كانت تتسع لثلاثة عشر راكباً وامتعتهم ، وفيها بوفيه يقدم
من المشروبات وألوان الغذاء ولا تسير الطيارات التي تسير مسافة مئات الاميال
وهناك الطيارات المجهزة بالآلات اللاسلكية — التي هي جميعها كذلك الآن
في خلال الطيران ، متصلا بالمطار . الذي قامت وبالمطار لدى بدئه
وطيارات التي
تماسه في كل دقيقة من دقائق الطيران . بأنباء الجو والجهات التي يكون مروره بها
لما من الاصطدام بالحوائل والعثرات . بل ان تأييد الجو والجهات
الارض ، لانه لا يراها ، ارشدهُ مدير المطار بالاذاعة اللاسلكية التي
الطيران ؟ كل هذا كائن حادث في سنة ١٩٣٥ ولكنه لم يكن كذلك سنة ١٩٠٢ لم
يطون في مطلع هذا القرن ان الطيران بآلة اثقل من الهواء ضرب مستحيل
الفضل الاول في كل ما تقدم يرجع الى الاخوين ولبر واورفل رايت اللذين
الحديث بآلة اثقل من الهواء

الاخوان رايت في ٦ ابريل سنة ١٨٦٧ في بلدة ميلفيل بولاية
. وولد اخوه اورفيل سنة ١٨٧١ وبعد ما تلقا علومهما
«العجلات» ثم اتجهت افكارهما الى العناية بشؤون الطيران . فدرسا
١٧ ديسمبر ١٩٠٣ طار احدهما بطارته من
٢٦٠ قدماً في ثانية
ذلك اول انسان طار بطائرة اثقل من الهواء ، وفي ٥ اكتوبر سنة ١٩٠٥ طار اورفيل رايت
دقيقة من بلدة ديتونا الاميركية بولاية اوهايو فاجتاز مسافة ٢٤ ميلاً في ٣٨ دقيقة

ومع ما اصابه الاثنان من النجاح لم يقدم احد من المشتغلين على تقليدهما
في فرنسا سنة ١٩٠٨ وفي يوم ٢١ سبتمبر طار بجائزة ميشلن بعد ما طار مسافة ٥٦ ميلا قطع
فيه بين ليلة وضحاها . وفي شهر ديسمبر من السنة نفسها طار مسافة ٧٧ ميلا في ساعتين وثلث
. وفي سنة ١٩٠٩ طار فوق مدينة نيويورك مسافة ٢١ ميلا في ٣٣ دقيقة و٣٣ ثانية
وفي تلك السنة ضرب مجلس الامة الاميركية وساماً خاصاً منحه للشقيقين الرائدين . ثم اشترت

منهما الحكومة الاميركية طيارتهما الاولى بستة آلاف جنيه

﴿ تقدم عجيب ﴾ ما أقصر الشقة بين ١٧ ديسمبر سنة ١٩٠٣ واول ابريل سنة ١٩٣٥ اطولها ! استغرقت الرحلة الجوية الاولى بالطيارة ١٧ ثانيـة . ومن الطيارات الآن ما يبقى محلقاً في الجو أياماً . لا يحط على الارض بل يستمد في خلال الطيران ، البنزين من طيارة اخرى ، بأنبوب بين الطيارتين . وقد بلغت سرعة طيارة الايطالي آجلي التي ضرب بها الرقم القياسي في سرعة الطيارات ما يزيد على ٤٤٠ ميلاً في الساعة

واستطاع طيارون بريطانيون أن يطيروا من لندن الى قبيل جنوب افريقية ، وطيارون اميركيون من نيويورك الى اسطنبول ، وطيارون فرنسيون من نيويورك الى رياق في سهل البقاع في سوريا وكل من هؤلاء الجماعات قطع المسافة في مرحلة واحدة . وطار الطيار ولي بوست وحده حول الارض في سبعة أيام — وبلغ القومندور برد الاميركي القطبين الشمالي والجنوبي بالطيارة . بل يجب ذلك انهُ تحدث وهو طائر فوق القطب الجنوبي بالآلة اللاسلكية التي تحملها طيارته ، مع جزر النيويورك تيمس على مسافة نحو عشرة آلاف ميل منهُ ، وكان الصوت واضحاً والكلام جلياً مفهوماً

***

كان الناس في بدء عهد الطيران هذا يسمعون اخبار رواد الطيران ولا يصدقونها الا ولاعتقادهم الراسخ ان مجاراة العقبان في الجو امر متعذر على الانسان

اما الآن فنرى الطيارات تطير في مواعيد معينة وتصل في الغالب الى طلبتها في مواعيد معينة تحمل على متنها الرسائل والركاب وامتعة الركاب . ونرى الرواد يستقلونها لاجتياز البحار والصحراء ولارتياد القطبين وما يحيط بهما من الاصقاع المتجمدة . ولتصوير مواقع الحضارات القديمة . ومكافحة المهربين وآفات الزراعة ، وبذر البزور ، وما الى ذلك من اغراض السلم والعمران . ثم اننا نرى الدول تهب الى انشاء اساطيلها الجوية كما كانت تعنى في الماضي ولا تزال باعداد جيوشها وبناء اساطيلها البحرية استعداداً للمعارك فوق اطباق الغيوم وكانت فواجع الطيران يتلو بعضها بعضاً فصارت بعض الشركات تمنح راكبيها تأميناً مجانياً على حياتهم في خلال الطيران ، لشدة ثقتها بسلامة الذهاب والاياب

كل هذا التقدم تم بين يوم ١٧ ديسمبر سنة ١٩٠٣ . لما فاز والبر ريط باجتياز مسافة ٢٦٠ ميلاً بطيارته في ١٧ ثانية ويومنا هذا . فالتاريخ الاول يجب ان يصبح بعد اليوم حداً من حدود الدهر التي ينتهي عندها عصر ويفتتح عصر جديد

من الجور والخطإ ان ننسب كل الفضل في هذا التقدم الى الاخوين ولبر واورفيل ريط آخر ما يدعي هذا الفخر ، لان تاريخ الطيران مكتوب بدماء الرواد والشهداء الذين استخفوا الدماء في سبيل الفتح العلمي المجيد . .

﴿ نظرة الى المستقبل ﴾ اكتفينا حتى الآن بالاشارة الى ضروب الارتقاء التي اصابها الطيران

ث القرن الماضي . فيهمنا الآن ان نبين بعض الاتجاهات التي ينتظر ان يسير فيها الطيران في
ن . وفي وسعنا ان نقسم هذه الاتجاهات الى بابين الاول : ما يتوقعه العلماء المستنبطون
وب الاصلاح والاتقان في الطيارات كما هي الآن . وتنظيم خطوطها . والثاني : ما ينتظر
اع او تحقيق اسلوب آخر للطيران قائم على مبدأ آخر غير مبدأ المحرك ويعني مبدأ الصاروخ

الباب الاول

﴿ ازالة صخب الطيارات ﴾ أثبتت المباحث الحديثة ان ما يصيب ركاب الطيارات من الدوار
ه الغالب اهتزاز الاجزاء المعدنية في الطيارة . ولذلك نرى طائفة كبيرة من الناس لا تزال تؤثر
ة الحديدية والسفينة على الطيارة . ولولا ان الضرورات العسكرية تقتضي ازالة صخب
ات ، لكان من المتعذر ان يتوقع تحقيق هذا الغرض قبل خمسين سنة من الزمن . فقد يحدث
ث . ان مسألة ازالة صخب الطيارة . في داخل الطيارة نفسها . ليست بالمسألة الصعبة . اذا شاء
ركات الطيران ان يبذلوا المال الكافي للتجارب والبحوث يقوم بها الاحصائيون . ولا ريب
ن زالت روعة الجدة التي يحس بها المسافرون في الطيارات ، يشرعون في المطالبة بكل ما يمهد
أسباب الراحة وفي مقدمتها عدم انزعاجهم بصخب يصم الاذنين . أما مسألة ازالة الصوت الخارجي
ى ، ثم هدير الطيارات وما يطلقه محركها من الغازات . فقد تكون اعقد من مسألة الصوت
. ولكن لما كانت الضرورة العسكرية تقتضي ان تكون الطيارة « صامتة » في خلال
ها . فالراجح اننا نبلغ هذه الامنية قبل انقضاء زمن طويل . وقد ذكر الاستاذ لو الانكليزي .
الطلباء قد شرعوا يجربون التجارب . في تغطية المحركات بأغطية تخفف من صخبها

﴿ السلامة في الجو ﴾ ان الاقبال على استعمال السكك الحديدية لم يكن مستطاعاً في عهدها الاول ،
لم يتمكن اصحاب شركات القطارات من المباهاة والاعلان ، بأن السفر فيها امين الجانب . كالسير
شارع — قبل استنباط السيارات — او الصعود على سلم . وكذلك الطيارات لن تصبح اسلوباً
ئاً من أساليب الانتقال ، الا اذا تمكن اصحابها من جعل السفر بها أمين الجانب ، واقناع
س به . بل ان سكك الحديد نفسها تستطيع ان تنافس الطيارات ما زالت سكك الحديد تدعي
ها أمينا الجانب وأصحاب الطيارات لا يستطيعون ذلك وهذا لا يعني ان الطيران التجاري الآن
وف بالمخاطر . ولكن الاقبال عليه سوف يظل محصوراً في دائرة ضيقة من جماهير المسافرين ما زالت
ات الطيارات مما تتناقل انباءه اسلاك البرق وامواج الاثير . ولعل الحكومات التي ادركت هذا
د في منح الرخص للطيارين من جهة . وتحول بعض الشيء دون المغامرات التي تنتهي احياناً
ح تطبل لها الصحف وتزمر . فيرسخ في اذهان الناس ان الطيران كله من قبيل هذه المغامرات
والراجح ان « المظلة » او « الباراشوت » سوف تكون في مقدمة الوسائل التي تتقن حتى يصبح

استعمالها ميسوراً في الاحوال الخطرة ، او عند وقوع الحوادث التي تتعطل فيها محركات الطيارات وهي في الفضاء . ويظن الاستاذ « لو » أنهُ من المستطاع ان تبنى الطيارات اجزاءً يمكن فصلها بعضها عن بعض عند وقوع مثل هذه الحوادث ، ويكون لكل جزء منها مظلة خاصة فيسقط الى الارض براكبهِ من دون ان يتعرض الراكب للخطر

ثم هناك ناحية المحركات . فاذا كانت الطيارات ذات محرك واحد كان التعرض للخطر فيها كبيراً لان المحرك بالغاً ما بلغ من الاتقان فقد يتعطل . ولكن اذا كانت الطيارة ذات محركات عديدة وكان بعض هذه المحركات كافياً للنهوض بها او حفظها في الجو او نزولها سالمة الى الارض ، فهي محرك او اكثر في وقت واحد . لا تعرض الركاب للخطر . وهذا الاتجاه مشهود في هذا العصر في طائفة من طيارات الشركات الكبرى العالمية

ثم انهُ لا بد لعلماء الظواهر الجوية من توسيع نطاق معارفهم بتقلبات الجو . لان ما يعرف من نزر يسير لا يكفي لجعل الطيران التجاري منتظماً . فجل ما نستطيعهُ الآن هو ان تأتي الاخبار من محطات الظواهر الجوية منبئة بهبوب عاصفة في ناحية معينة فيتأخر قيام الطيارات ، حتى تأتي الاخبار بخمود العاصفة وسكونها . ولو كانت السفن البحرية مضطرة الى تأخير سفرها عند ما تعلم ان عاصفة تهبُّ في طريقها ، لما بلغ السفر البحري الشأو الذي بلغهُ الآن

والتقدم في هذه الناحية ، قد يجيء من ناحية زيادة قوة الطيارة ، واستنباط وسائل جديدة للملاحة الجوية وتعديد المطارات ، وتقريبها بعضها من بعض ، حتى يسهل نزول الطيارة التي يحدق بها خطر الجو في مكان يسهل النزول فيه

يضاف الى ذلك وجوب اقامة منائر على الارض ، في الخطوط التي تسير فوقها الطيارة فتهتدي بهديها . ولما كان الضباب من أعدى عداة الطيران ، ولما كانت الاشعة التي تحت الاحمر تخترق الضباب ويستطاع تبينها بأجهزة خاصة . فلا بد من بناء منائر تذيع الضوء تحت الاحمر ، في الاماكن التي يخشى فيها من الضباب على الطيارات

وقد استعملت الاشعة اللاسلكية لهدي الطيارات عند ما تحاول النزول في مطار ملبد بالضباب الكثيف فيستطيع سائق الطيارة ان يهبط سالماً الى الارض مهتدياً بهدي هذه الاشعة ، ولو كانت الارض محجوبة عن انظاره . ولا بد في المستقبل من التوسع في استعمال هذه الوسيلة البديعة

﴿ الطيران الليلي ﴾ لا تستطيع الطيارة ان تبلغ اقصى نفعها في توفير الوقت الا اذا كان الطيران الليلي مستطاعاً وميسَّراً . فلا تستطيع الطيارات ان تجاري البواخر والسكك الحديدية اذا تمكنت من الطيران في الليل والنهار على السواء . لذلك اتجهت الانظار الى الناحية العملية في هذه المشكلة . فأنشيء خط طيران ليلي بين لندن وباريس ، وبين نيويورك وسان فرنسسكو ، وبين منائر قوية الضوء في هذين الخطين وغيرهما ، يراها السائق وهو محلق في الجو كأنها خط واحد

... فوقهُ كأنهُ سائر في طريق معبَّد. ثم التفت اولو الامر الى ساحات الطيران والمباني المجاورة ... لها مصابيح ملونة اصطلح عليها لكي يعرف الطيار ما حوله . اذا اضطر الى النزول وكل ... ينتظر تعميمهُ ، ولا بد من تعميمه قبل ان نصيب تقدماً يذكر في الطيران التجاري

﴿ طيارات الاوتوجيرو ﴾ من اكبر مواطن الضعف في الطيارات كما عهدناها حتى الآن عجزها عن ... اذا اقتضى الامر ذلك . وعجزنا عن السيطرة عليها كل السيطرة متى حطت على الارض . الا ... ان تبقى سرعتها عند مسّها سطح الارض نحو خمسين ميلاً في الساعة . وهذا يعني ان ... التي تصادفها في طريقها بجسم تجسيماً عظيماً . ثم ان هذه السرعة تضطرها ان تسير مسافة ... ان تقف وهذا يقتضي ان تكون ميادين الطيران متسعة الارجاء ... في مناطق قريبة من ... المدن الكبيرة متعذر . والاحصاءات التي جمعت للذين قتلوا في الطيران تدل على أن نسبة ... في نكبات نشأت عن سرعة الجري على الارض ، أو عن صغر مساحة المطار ، أو الاصطدام ... نسبة كبيرة جداً

كل هذا حدا ببعض المستنبطين الى محاولة ابتداع وسيلة تمكنهم من التغلب عليه . ... أن المستنبط الاسباني ده لاشيرفا كان حتى الآن اعظمهم حظاً من النجاح ... بنى ... مؤلفة من أضلاع ، مثبتة في عمود قائم فوق مقدم الطيارة ، وتدور دوراناً أفقياً . فاذا ... عطل ما للطيارة في الهواء ، كان من أثر هذه المروحة أن تجعل هبوطها الى الارض بطيئاً ، ... الى الارض وتتحطم وتحترق . ثمَّ أن هذه المروحة تمكنها من أن ... في الجو من دون أن ... مسافة طويلة في أرض المطار[1] ، وأن تنزل الى الارض وتقف في البقعة التي تهبط عليها . فلها ... الناحية فائدتان جليلتان ، الاولى حيلولتها دون النكبات المروعة التي أشرنا اليها ، والثانية ... المطار الواسع الارجاء يصبح غير ضروري . واذاً يمكن اقامة المطارات في ... سطوح ... الكبيرة . وهذا يقرب الطيران من مقتضيات الحياة كوسيلة من وسائل ... ولا تزال ... وما هو من قبيلها في طور - وان كان قد أصاب بعض النجاح ... لا يصح أن ... انا بلغنا فيه الامل المنشود . ومما لا ريب فيه ان جانباً عظيماً من تقدم الطيران في الجيل ... سوف يكون في هذه الناحية

﴿ تجديد الوقود في الجو ﴾ ان الطيارات التجارية التي تسير بسرعة ١٥٠ ميلاً في الساعة ، تفقد ... كبيراً من ميزة سرعتها ، إذ تضطر أن تقف في الليل — وقد أشرنا الى موضوع الطيران الليلي ... فقرة سابقة — وأن تجعل مراحلها قصيرة لا تتعدى المرحلة الواحدة منها ٥٠٠ ميل في الغالب . ... الطيارة التجارية اذا أحدث في أحواضها قدراً كبيراً من البنزين ... من اجتياز مرحلة

(١) بعد كتابة هذا المقال حملت الينا الانباء البرقية ان ده لاشيرفا استطاع أن ينهض بطيارته نهوضاً عمودياً ... من دون أن تجري على سطح الارض اولا

طويلة تبلغ ألفاً من الاميال او ألفين ، نقص ما يمكن ان تتسع له من الركاب والبضائع وهي التي تـ
نفقات الخطوط الجوية التجارية بالاشتراك مع اعانات الحكومة في الغالب

وإذن فالطيارات لا تستطيع أن تحتفظ بميزة سرعتها الا اذا استطاعت أن تقطع الرحلات الطويلة في مراحل قليلة ، وهذا يقتضي استنباط طريق لتجديد وقودها وهي في الجو

فمن بضع سنوات استطاع بعض الطيارين الاميركيين أن يبقوا اسبوعاً كاملاً في الجو بطيـ كانوا يجددون وقودها وهي على متن الهواء . ذلك ان طيارة اخرى كانت ترتفع في اوقات معـ أو تلبية لاشارة لاسلكية ، الى ما فوق الطيارة المحتاجة الى الوقود ، ثم يمدُّ منها انبوب المطاط ، يلتقطهُ احد الطيارين ويصلهُ في حوض البنزين فيجري فيه البنزين من الطيارة الـ الى الطيارة الاخرى

ولا بد من السير في اتقان هذه الوسيلة حتى يستطاع استعمالها استعمالاً يصح الاعتماد عليه الخطوط الجوية المنتظمة . فتقوم الطيارة الكبيرة من لندن ولكنها لا تحط في باريس وجنوى ومرسيليا مطروح مثلاً ، بل تلاقيها وجميع من هذه الاماكن طيارة تغذيها بالوقود في خلال نصف ساعة من الزمان او اكثر وتمضي هي في طريقها ، فتزداد سرعة الانتقال الجوي بهذا التنظيم ثلاثة اضعاف او اربعة ، من دون ان تزداد سرعة الطيارة الذاتية . اما الخطوط الجوية الطويلة التي تجتاز البحار الشاسعة ، فلا يمكن ان يعتمد في قطعها على طريقة تجديد الوقود التي تقدم ذكرها ، ولذلك يرجح بناء جزائر طافية في اماكن معينة ، على طريقه جزائر لرمستر ونغ وما اليها ، تصلح لنزول الطيارات عليها وتجديد وقودها ، وتكفل راحة الركاب من دون ان تكون عرضة لفعل العواصف والامواج وهذا الامر الاخير يحقق بجعلها قائمة على اعمدة ، تتخللها الامواج المتلاطمة ولا تلطمها ، استقرارها فيحقق بجعل مراكز الثقل في اعمدتها ، تحت المستوى الذي اثبت العلم ان ميله لا تضطرب تحته بل تبقى ساكنة مستقرة

ولا ريب عندنا في ان هذه النواحي من تقدم الطيران ، أو ما هو من قبيلها لا بدَّ ان تتـ في خلال العشرين السنة القادمة

الباب الثاني

نريد ان نوجز الكلام في هذا الباب كل الايجاز . فالمجال أمامنا قد ضاق ، والتحقيق الـ اسهباً الذي ينطوي عليه البحث ، قد لا يأتي قبل جيلين على الاقل

من المسلم بهِ ، ان أشد خصوم الطيارة ، المندفعة الى الامام بفعل محرك هو مقاومة الهواء فاذا زدنا قوة المحرك حتى يقتحم هذه المقاومة ويتغلب عليها ، زاد ما ينفق من الوقود بنسبة عظيمة تجعل تسيير الطيارة لا يتفق بحال ما ، وقواعد العمل الاقتصادي ، بل ان المقاومة تزيد

السرعة، وهي زيادة عظيمة جداً. وقد بذل المستنبطون مساعي عظيمة لتقليل المساحة المعرضة جسم الطيارة لمقاومة الهواء بجعل شكلها منساباً، وهذا ما يعرف باسم ... الانسياب أصلح الالفاظ العربية لتأدية معناه

أن الخبراء يرون: ان التحليق في الجو الى علو ٣٠ ميلاً والطيران على هذا العلو حيث ... لطيف كل اللطف، يقلل المقاومة ويزيد السرعة زيادة عظيمة، من دون زيادة مقابلة في ... فالطيارة على هذا العلو تستطيع أن تطير بنفس الطاقة بسرعة تبلغ ٣٠ ضعف سرعتها علو ألف متر مثلاً. وعند ذلك تستغرق الرحلة من نيويورك الى لندن ساعة واحدة بدلاً ... ساعة

ولكن الطيران يتوقف على دوران المحرك في الهواء. فاذا خفت كثافة الهواء حتى يقرب من ... المحرك وكأنه دائر في الفراغ، او ما كان قريباً منه. فلا يستطيع ان يدفع الطيارة الى ... وقد يتغلب على هذه الصعوبة بعض التغلب بوسائل مختلفة. ولكنها في الغالب لا تحل المشكلة

واذن يجب البحث عن مبدإ آخر لدفع الاجسام في الهواء اللطيف. غير مبدإ المحرك: وهذا مبدأ هو مبدأ الصاروخ. فالصاروخ ينطلق في الهواء بقوة ما يتفجر في مؤخره. ويمكن التمثيل ... أخذ بيضة ونقرها نقرين صغيرين في مقدمتها ومؤخرتها وتفريغ محتها وزلالها: ثم ... في المقدمة، وتملأ قشرة البيضة الى نصفها ماء. ثم خذ قطعة من الخشب رقيقة. ودق فيها ... مسامير وضع عليها البيضة بحيث تبقى مرتفعة عن سطح الخشب نصف بوصة او نحو ذلك. ... تحت البيضة ذبالة مشتعلة. ثم ضع الخشبة والذبالة والبيضة جميعاً في حوض صغير من الماء. ... ان ترى البيضة والخشبة تسيران في الماء كباخرة من البواخر. وتعليل ذلك ان بعض الماء ... البيضة يتبخر فلا يجد منفذاً يخرج منه الا الثقب الخلفي فيندفع منه بقوة. فيدفع الخشبة ... في جهة مناقضة لجهة اندفاعه هو

فاذا صنعت طيارات، في مؤخرتها انابيب تحتوي على مواد متفجرة قوية التفجر، مكن ان ... الطيارة الى الامام بقوة الغازات المنطلقة من الانابيب التي في مؤخرتها، فهي لا تحتاج الى كثافة الهواء في الطبقات العليا، كما يحتاج اليها المحرك المألوف؛ واذاً تستطيع أن تسير بسرعة ... في طبقات الجو العليا، وتتوقف سرعتها على قوة المواد المتفجرة التي في انابيبها

وقد قام بعض العلماء والمجربين ببحوث وتجارب عديدة في هذه الناحية؛ ويعتقد بعضهم ان ... الطريقة قد تكون في المستقبل وسيلة تمكننا من الانفلات من جاذبية الارض والسير في رحاب ... ولهم في ذلك اقوال وتنبؤات ليس هذا مكان التبسط فيها [1]

(١) راجع فصل «السفن السهمية» صفحة ٢٣٧ من كتابنا «فتوحات العلم الحديث»

تاريخ المآذن ومأذنة القيروان

بقلم جناب الكبتن كرسويل استاذ العمارة الاسلامية بالجامعة المصرية

نقله الى العربية السيد محمد رجب مدرس بمدرسة العباسية

﴿ الأذان ﴾ لم تكن المآذن معروفة في زمن النبي صلى الله عليهِ وسلم وقد روى ان هذه النبي حينما هاجر الى المدينة كان يصلي هو وأصحابه من غير أذان . ولكن لما سمع أن اليهود يستعملون قرناً ينفخون فيه ، والمسيحيين ناقوساً أحسَّ المسلمون بحاجتهم الى شيء مماثل فيستعملونه هم أيضاً . ويؤخذ من بعض الاحاديث ان الدعوة الى الصلاة اقترحها عمر على النبي صلى الله عليهِ وسلم ولكنهُ علم حينما أخبره بذلك أن الوحي قد سبقه الى ذلك في تلك اللحظة . وفي حديث آخر ان عبد الله بن زيد أوحي اليه ذلك في منامه فأخبر النبي بهِ فوافق واقرَّه وبناء على ذلك أمر مولاه بلالاً أن يؤذن داعياً الى الصلاة فكان بذلك بلال أول مؤذن في الاسلام . وكان من عادة بلال أن يؤذن من أعلى سطح يجاور المسجد الذي كان الى جانبه فناء منزل النبي

﴿ مقدمة عن المآذن ﴾ وذكر المقريزي عند تكلمه عن اعادة بناء مسجد عمرو بالفسطاط (أن الخليفة معاوية أمر مسلمة أن يبني صوامع للأذان فبنى مسلمة أربع صوامع لهذا المسجد على اركانه الاربعة فكان بذلك أول من بنى هذه الصوامع بهِ ولم يكن هناك قبله شيء منها وكان الذي يصعد عليهِ المؤذنون يقع بالطريق حتى حوله خالد بن سعيد الى داخل المسجد) وفي نفسه اضيفت المآذن (المنارات) الى مساجد الخطط عدا مساجد خولان وتجيب

هذه أول اشارة الى المآذن . وقد كان مسجدا الكوفة الاول والثاني ومسجد البصرة وربما الثاني أيضاً من دون مآذن كما أن مسجد عمرو الاول بالفسطاط لم تكن بهِ هو الآخر وقد جاء في شعر الفرزدق وهو أحد شعراء العصر الاموي ان الأذان كان يلقى من اسوار المسجد

﴿ ماذا كانت هذه الصوامع الاربع ؟ ﴾ ان الخليفة الذي أعطى هذه الاوامر هو معاوية ابي سفيان أول الخلفاء الامويين وكان مقر حكمه دمشق حيث كان المسلمون يصلون بداخل السور الذي كان بهِ المعبد الوثني القديم وهذا السور الذي نعنيه هو الذي يشغل مكانه الآن المسجد الاموي

ولما فتح العرب دمشق كان لهذا السور اربعة أبراج ليست كبيرة الارتفاع في كل جانب من جوانبه برج . ولا شك في أن هذه الابراج كانت المآذن الأولى لان ابن الفقيه (٩٠٣ م) يشير بقوله مئذنة مع انهُ كان يعلم انها ترجع الى ما قبل الاسلام

ولدينا من الاسباب ما يحملنا على الاعتقاد أن الابراج الاربعة بسور المعبد الوثني بدمشق هي
ن الذي بنيت على مثاله الصوامع الاربع التي انشأها مسلمة وان هذه الصوامع كانت أبراجاً
ة مربعة ويؤيد هذا الرأي ان كلمة (صومعة) هي الاسم الذي يطلق على المآذن في شمال افريقية
هذه المآذن هي في الغالب أبراج مربعة في هذه البلاد
وعلى أي الاحوال فمن الواضح ان هذه الصوامع الاربع كائناً شكلها ما كان ، كانت المآذن
لى في مصر لان المقريزي يقول بصريح العبارة انهُ لم تكن هناك مآذن بمصر قبل مسلمة
ولم تكن فكرة بناء اربع مآذن بأربعة أركان المسجد مقصورة على دمشق والفسطاط فان الخليفة
بد بن عبد الملك حينما وسّع مسجد المدينة جعل مأذنة في كل ركن من اركانه . وليس من
يب أن نجد ان الحرم الشريف بالقدس كان به أربع مآذن منذ سنة ٣٠٠ هجرية (٩١٣ م) على
ل أما ما رواه مجير الدين من وجود اربع مآذن به في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان فهو
نظرنا بعيد الاحتمال للاسباب التي ذكرناها

﴿ اصل الاصطلاحات العربية للمأذنة ﴾ استعملت في العربية ثلاث كلمات للدلالة على المأذنة
مئذنة او مئذنة (٢) صومعة (٣) منارة . وتنطق الكلمة الاولى في بعض الاحيان مأذنة (بفتح
) وهي مشتقة من الأذان وهو الدعوة الى الصلاة ومعناها المكان الذي يلقى منهُ الأذان .
الصومعة فالظاهر أنها الاسم الذي اطلقه العرب على ابراج الزهاد . فانا نقرأ مثلاً ان برج كنيسة
المعمدان في دمشق كان يقيم بهِ راهب وان هذا الراهب رفض أن يتركه حينما بدأ الوليد في هدمه
الشروع في بناء الجامع الاكبر . ويتكلم ابن جبير عن زهاد من المسلمين كانوا يشغلون المئذنة الغربية
الجامع المذكور وقت زيارته لهُ . وكانت الكلمة المستعملة في جميع الاحوال هي كلمة صومعة
وقد كانت جميع الابراج السورية والمآذن التي بنيت قبل القرن الثالث عشر الميلادي مربعة
هو جدير بالملاحظة في هذا الصدد أن هذه الكلمة (صومعة) هي الاصطلاح المستعمل في شمال
ية حيث كان معظم المآذن من هذا الطراز
اما الاصطلاح الثالث (منارة) فكان يطلق اول الامر على المكان الذي تشعل فيهِ النار ثم على
الذي ينبعث منهُ الضوء وقد استعمل بهذا المعنى في اشعار العرب للدلالة على مصباح الزيت
شكاة التي كان يستعملها الرهبان المسيحيون في خلوتهم وللسبب نفسه أطلق على منارة جزيرة
فاروس بالقرب من الاسكندرية ثم على الفنارات عامة ثم اطلق بعد ذلك على ابراج المساجد
تها للمنارات ومنه اشتقت الكلمة الانكليزية Minaret . وقد ذكر فان برشم عند بحث اصل
ان لهذه المسألة ثلاثة اوجه تجب العناية بدراستها
١ — الغرض منها اي استخدامها للاغراض الدينية ٢ — دراستها من الوجهة المعمارية ٣ — دراستها
جهة اللغوية . وقد تناولنا الآن النقطتين الاولى والثالثة ونذكر فيما يلي التاريخ المعماري للمآذن

مئذنة مسجد القيروان

تاريخها : — يقول البكري (١٠٦٨ م) وهو اقدم مؤرخ نعتمد عليهِ في هذا الصدد : —
انشأ محراب مسجد القيروان لاول مرة عقبة بن نافع وقد هدم المسجد جميعه عدا محرابه وا
بناؤه باسر حسن وهو الذي نقل اليهِ من كنيسة قديمة العمودين الاحمرين المرقشين بالاصفر الل
يمتازان بجمالهما الذي لا يضارع

ولما ولي هشام بن عبد الملك الخلافة (شعبان ١٠٥ هـ . يناير ٧٢٤ م) وصلته رقعة من و
القيروان وكان في ذلك الوقت بشر بن صفوان يقول فيها ان المسجد اصبح لا يسع المصلين وان
شماله مباشرة حديقة متسعة يمتلكها بنو فهر فاجاب الخليفة على هـذه الرقعة بان امر بشراء ه
الارض وضمها الى المسجد وقد اطاع ذلك الوالي وانشأ بصحن المسجد مستودعاً لماء يقع غ
الاروقة . ثم بنى مأذنة فوق البئر التي كانت بتلك الحديقة وضعت اسسها في الماء . ومن غر
المصادفة انهُ وجد ان هذه المأذنة كانت تقع في منتصف الحائط الشمالي بالضبط وكان المؤمنون المخلص
يمتنعون عن الصلاة في الجزء الذي اضيف للمسجد مسوّغين سلوكهم هذا بقولهم ان الوالي قد أ
مالكي الحديقة على بيعها ولا تزال المأذنة حتى اليوم كما بناها حسن . يبلغ ارتفاعها ٦٠ ذراعاً وا
٢٥ ذراعاً ولها بابان يواجه احدهما الشرق والآخر الغرب جوانبهما وما كفاها من الرخام المزخ
المنحوت . فقول البكري «ولا تزال المئذنة حتى اليوم كما بناها حسن» يناقض — كما لحظ ذلك ريفو
Revoira التفاصيل التي سبق ان ذكرها البكري بقوله ان المئذنة التي كانت في عصره كانت تلك
بناها والي القيروان بشر بن صفوان باسر الخليفة هشام . وفي الحقيقة فقد توضح بجلاء ان ا
الذي كان يشغله القسم الشمالي من المسجد والمنارة قد اشتري فقط في ذلك العهد ولذلك فذكر
حسن لا بد ان يكون جاء سهواً من البكري او قد يكون من اخطاء النساخ . فقد كان بشر
من ١٠٣ هـ (٧٢١ — ٢ م) الى ١٠٩ هـ (٧٢٧ — ٨ م) الاّ ان تلقيه امراً من هشام في
الصدد يجعلنا نرى ان التاريخ المحتمل لهذه المئذنة هو من شعبان ١٠٥ هـ (يناير ٧٢٤ م) الى ١٠٩

هل المئذنة الحالية هي التي بناها هشام ؟

يقول ريفويرا « يبدأ الطابق الثاني من النقطة التي يرتد عندها جدار البرج . وان مواد ال
اذا حكمنا عليها من ذلك الجزء الصغير الذي يمكن ان يرى من الداخل فاننا نجد انها تختلف
المواد التي بني منها الطابق الاسفل للمئذنة » الخ

ولكن الحال ليست كذلك في هذه الايام فان بناء جوانب السلم وقلبهُ يمكن ان يرى بوض
كلما صعدنا الى اعلى وهي متماثلة تماماً ومن نوع واحد وليس هناك اقل شك في ان الطابقين ال
والثاني قد بنيا معاً في وقت واحد . اما الطابق العلوي فهناك ما يدعو الى الاعتقاد في انه بُ
الى النصف الاول من القرن التاسع عشر . ونحن نرى مع مارسيه Marcais ان المئذنة الحالية تش

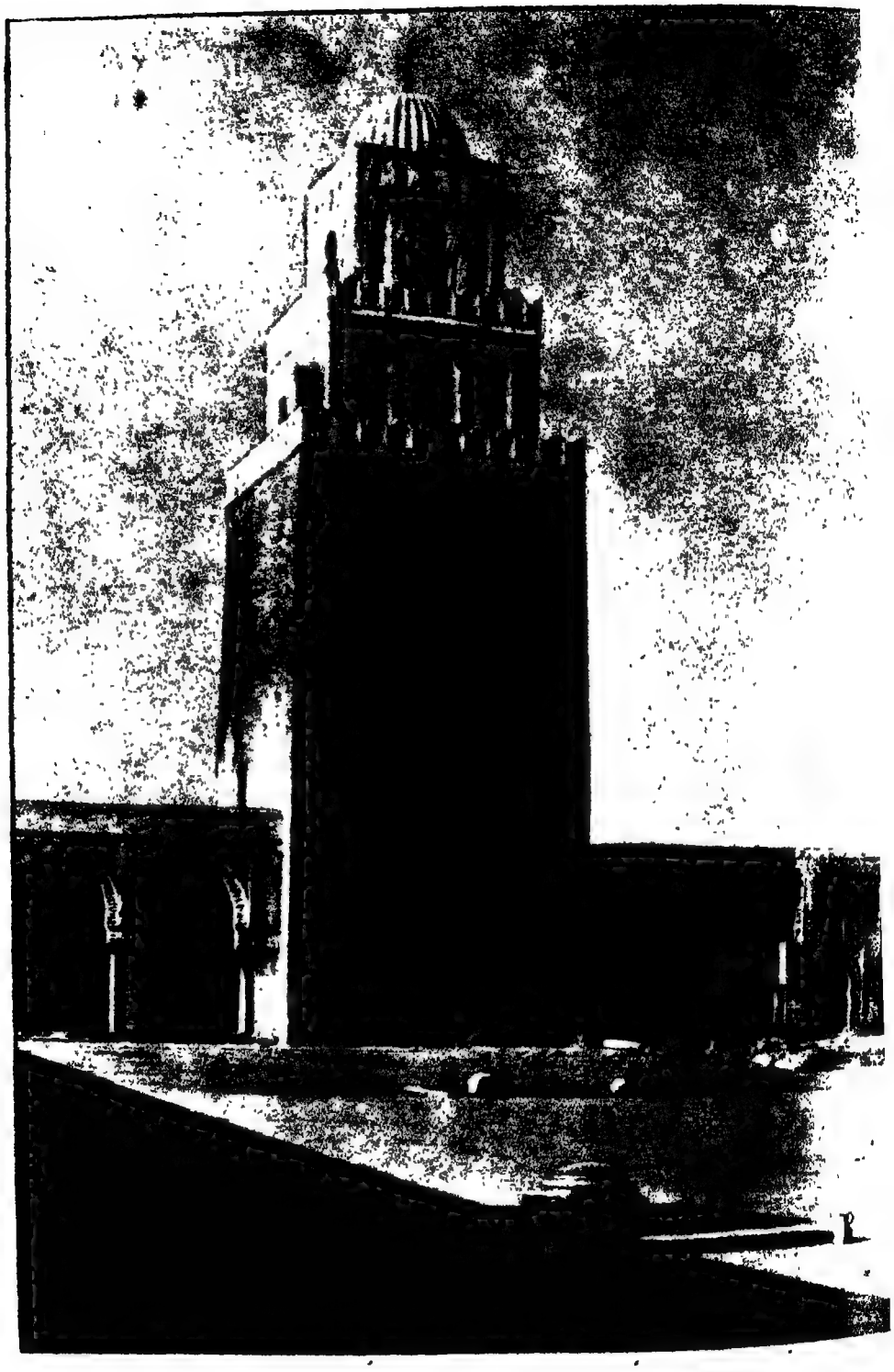

مأذنة جامع القيروان

برج كنيسة القديس سرجيوس في « ام السرب »

ماً جميع التفاصيل التي ذكرها البكري. فهو يقول ان المئذنة التي كانت في عصره كان يبلغ كل
ن جوانبها ٢٥ ذراعاً والآن نرى ان متوسط طول كل جانب من جوانب المئذنة الحالية
امتار و٦٣ سنتمتراً اي ان الذراع الذي يتكلم عنه البكرى = ٠٫٤٣ السنتمتر . ويقول
ان ارتفاع المئذنة ٦٠ ذراعاً فاذا ضربنا عدد الاذرع وهو ٦٠ في طول الذراع الواحد
رنا آنفا انه = ٤٢٫٥ السنتمتر لكان الارتفاع = ٢٥٫٥١ المتر بينما يبلغ الارتفاع كما
فسي ٢٥ متراً و٣ سنتمترات حتى قمة ثمانيات الطابق الثاني . وهذا تناقض مدهش في النتيجة
لمنا اليها . من ذلك يتضح ان الطابقين الاول والثاني من المئذنة هما الذان وصفهما البكري
م) وان الطابق العلوي قد اضيف بعد ذلك العهد ونظراً لان البكري مؤرخ قديم وقد
نا بالتفصيل تاريخ بناء مئذنة القيروان فان لنا كل الحق في ان نرى ان هذه المئذنة يرجع
الى ٧٢٤ م وهي السنة التي ولي فيها هشام الخلافة

ني وان كنت مقتنعاً بأن المئذنة الحالية هي بذاتها التي وصفها البكري فانى اذكر هنا
ل الآتي على سبيل الحيطة . فان بناء المئذنة يشبه تماماً بناء الجزء المكشوف من الدعامات
لجانب الجنوبي الشرقي من المسجد وهذه الدعامات لا يمكن ان تكون قد بنيت قبل سنة
ه (٨٣٦ م) وان هذه المئذنة التي ينطبق عليها ما رواه البكري ربما كانت حقيقة
من المسجد الجديد الذي بناه زيادة الله في تلك السنة (٢٢١ه) ولهذه المناسبة يجب ان
ان البكري نفسه لم يزر شمال افريقيا ولكنه صنف كتابه معتمداً على مؤلفات كتّاب آخرين
غلبهم في النصف الاول من القرن الحادي عشر وعلى التقارير الرسمية التي كان يكتبها المعاصرون
ل الدولة الاموية باسبانيا وقد عزا مرة الى زيادة الله ٢٢١ ه اعمالاً يظهر انها لم تكن من عمله
، عمل ابي ابراهيم احمد الذي خلفه في سنة ٢٤٨ ه (٨٦٢م). على اننا حتى لو عزونا هذه المئذنة
دة الله فانها مع ذلك اقدم مئذنة في الاسلام موجودة الى الآن اذا استثنينا مئذنة قصر الحير

﴿ الاصول المعمارية ﴾ ان اهم ما يستوقف النظر من التفاصيل المعمارية في هذه المئذنة هو معالجة
ها الذي يذكرنا بمدخل البرج الذي يقع شمالي حماه بنحو عشرة اميال كما يشبه مدخل الجزء
القديم من المئذنة الجنوبية الشرقية بالمسجد الكبير بحماه . ونظراً لان مئذنة القيروان قد
بأمر الخليفة الاموي الذي كان مقر حكمه سوريا فلذلك نجد اثر العمارة السورية واضحاً فيها.
دنا مواصلة بحثنا وجب علينا معالجة التطور المعماري للمآذن

﴿ التطور المعماري للمآذن ﴾ رأينا فيما سبق ان المئذنة التي بناها عمر بن عبد العزيز ٩٩ —
(٧١٧ — ٧٢٠ م) بالرملة ، لا بد انها كانت برجاً مربعاً وانهُ من الطبيعي جداً ان تكون
لان ابراج الكنائس قبل الاسلام كانت من هذا الطراز ويمكن ملاحظة ذلك في كثير من
س التي بقيت الى يومنا هذا والتي نذكر منها الامثلة الآتية : —

١ — (قصر البنات) . دير ذو برج مربع يبلغ ارتفاعه ٢٣ قدماً بناه كيريوس Kyriakos وكان هذا الاسم هو اسم المهندس الذي وجد منقوشاً على اربع كنائس اخرى في كتابات تخلد تاريخها من ٣٩٠ الى ٤١٨ م

٢ — (أم السرب) في حوران الجنوبي . كنيسة للقديس سرجيوس Sergius وباخوس وبها برج عال مربع الشكل لا يزال سليماً — عدا سقفه فقد تهدم — وقد بني سنة ٤٨٩ م

٣ — (سما) في حوران الجنوبي . دير القديس جورج وبه برج مربع يبلغ ارتفاعه حوالى ٢٠ متراً ولا يزال سليماً وقد بني سنة ٦٢٤ — ٦٢٥ م

٤ — (ام الرصاص) وبها برج مربع طول كل ضلع منه ٢٫٥٠ المتر وارتفاعه حوالى ١٢ م وبجانبه بقايا بناء يعتقد ترسترم Tristram (١٨٧٢م) انه كان كنيسة نظراً لانهُ استطاع أن يميز بقايا هيكل كنيسة . أما فنسنت Vincent فيقرر أن هذا البناء كان حصناً ويقول برونوف وفون دوماس زويسكي Von Domaszewski ان هذا البناء المتهدم كان كنيسة . وفي الحقيقة بو هناك بناءان متجاوران أحدهما يظهر أنهُ كان برجاً محصناً (قد يكون كل ما تبقى من سور المد والآخر وهو اكثر تهدماً لكنه متصل تماماً بالبرج ونحن نرى أن هذا البناء كان كنيسة لان صليباً يونانيًّا محفوراً على الواجهتين الشرقية والغربية للبرج

٥ — (جرادة) . يضاف الى الامكنة السابقة البرج ذو الخمس الطبقات الملاصق لاروقة كنيسة جرادة فان هذا البرج لا يزال في حالة جيدة

يتضح اذاً ان المئذنة المربعة بالرملة ومئذنة القيروان هما مثالان من امثلة استمرار الاحياء المعمارية السورية التي كانت بسوريا قبل الاسلام ولبس بهذه المآذن طبقات مثمنة او مستديرة ان الطابق العلوي لم يكن اساسيًّا كما رأينا . ولا يمكن ان يدعي احد — كما فعل ثيرش — ان كل مئذنة ذات طبقات مربعة ومثمنة ومستديرة على التوالي قد اشتقت من الفنار ثم يدعي الدعوى نفسها في مئذنة اخرى كل طبقاتها مربعة على ان النسب التي لحظت في جميع الطبقات في كل حالة غير متشابهة كما يدعي ثيرش . مثال ذلك : ان نسبة قاعدة الطابق السفلي للفنار الى تساوي ٥ الى ١٢ بينما نجد النسبة في مئذنة القيروان حوالي ٥ الى ٩ اضف الى ذلك ان مئذنة هي اشبه بابراج الكنائس في سوريا منها بابراج الفنارات

﴿ الخلاصة ﴾ يمكننا الآن ان نقرر — ونحن واثقون — ان فكرة بناء المئذنة نشأت في عهد الخلفاء الامويين وان المآذن الاولى كانت هي الابراج المربعة القديمة بسور الجامع بدمشق . وان المآذن التي بناها المسلمون اشتقت معماريًّا من أبراج الكنائس السورية . اضف ذلك ان التقاليد المعمارية السورية في بناء المآذن قد بقيت عدة قرون بل أنها تمذت الى الجانب

اله القدر

للدكتور رمزي مفتاح

[illegible]

كم شكونا سطوة الأقدار كمْ تسلبُ النعمى وترمي بالألم

يا حبيبي ! حينما فارقتني ذبل الزهرُ وزهرُ الناس لمْ
فأرى العيش وما كنتُ أرى عابساً وهو لغيري يبتسم

حكمُ ربي أو قضاءٌ عابثٌ يرفع الوغد ويزري بالاشمْ
يرفع الرأس فخاراً بالذي نالَ دون الحرّ من تلك النعمْ
نَقَم القلبُ عليه فَخْرَهُ لو تساوى الناسُ يوماً ما نقم

وعزيز غادرَ الدنيا فهلْ قد سلا قلبي عزيزاً في الرممْ ؟
وصديقٍ هاجر هل بعدهُ غير حقدٍ أو حنينٍ أو ندمْ ؟

***

سطوةُ الاقدارِ في اهوائها ! كم شكونا سطوةَ الاقدارِ كمْ
لا تقلْ حكمُ الهٍ عادلٍ انما الاقدارُ من لحمٍ ودمْ ..

اسماء النجوم

للفريق الدكتور امين باشا المعلوف

نشرتُ في سنة ١٩٢٩ في مجلة المجمع العلمي العربي اسماء بعض النجوم بالانكليزية وما يقابلها بالعربية وكتبت قبل ذلك الى العلامة احمد تيمور باشا استفتيه في الامر فاشار عليَّ رحمه الله ان ارسل الجداول برمتها الى العلامة السيد عبد الحميد البكري ففعلت وبعثت اليهِ بالجداول كلها وردت في معجم وبستر مع ما يقابلها بالعربية فتفضل حفظهُ الله واجابني على الفور واستحسن كتبتهُ وخالفني في الفاظ [illegible] يدل على سعة علمهِ ودقة بحثهِ . ونشرت هذه الجداول في مجلة المجمع العلمي العربي كما تقدم . ثم عدت الى مصر فاقمت يوماً صديقي الاستاذ محمد [illegible] فاعطيتهُ نسخاً منها ليعلق عليها [illegible] وقد رأيت الآن ان اعيد نشر هذه الجداول بعد اضافة ما [illegible] عليهِ اثناء مطالعتي . وفي [illegible] الجزء الاول منها اما المجموع فسينشر على حدة بعد [illegible] حروف يونانية لانها ضرورية جداً في مثل هذا البحث . وكان جملة ما نشرتهُ في مجلة المجمع نحو [illegible] كلمة بلغت كلها نحو ٢٤ صفحة من قطع الربع وقد اضفت اليها الآن سائر المصطلحات [illegible] فصارت كانها معجم فلكي يقع في ما يقرب من مائتين و خمسين صفحة

انحراف النور — Aberration of Light

تغيير في مكان جرم سماوي حادث من حركة الارض في فلكها . وكنت اود ان اسميَهُ زوغان او زيَغانهُ ولكن الفلكيين من العرب قالوا انحراف النور (فنديك ونلّينو) وانحدار النور [illegible]

امتصاص النور — Absorption of Light

نقص يظن انهُ يقع في لمعان النجوم البعيدة

التسارع — Acceleration

زيادة بطيئة في سرعة القمر في دورانه حول الارض . ويقال التسرُّع ولكن التسارع افضل

آخر النهر الظليم — Acamar. Theta Eridani

[illegible] — Achernar. Alpha Eridani

من الافرنج هذا النجم والذي قبله آخر النهر ويُظن ان الاول منهما وحده الـ في وسماه
ولو الظليم وكان في ايامه من القدر الاول اي انهُ كان آخر النهر اما الآن فبيد النهر هو هذا
منهما (انظر كلمة اريدانوس في المعلمة البريطانية) . وكتب لي السيد البكري في تعليقه
منهما ان الكلمة تصحيف آخر النهر فكأنهم قرأوا [illegible] وهذا غير بعيد
من ان يكون النهر صحّفوا الكلمات العربية اكثر من ذلك كثيراً

[illegible]

ي مزيل للون يقال نظارة ماصحة وبلورة ماصحة

[illegible]

نجم خفيّ قرب نجم آخر اشد منه لمعاناً كالسُّها في الدب الاكبر فهو كوكب خفي قالوا انهُ
لاه ق وكنت اود ان اترجم هذه الكلمة بالتابع لكن العرب سموا الدبران تابعاً وهو
يس من الكواكب الخفية بل من اشدها لمعاناً . كذلك الاقمار فان المحدثين سموها التوابع
ك ن نترجم هذه الكلمة باللصيق

See Aleor

Acrab, Beta Scorpii, Calbol
Iso Pectoris, Rukbat al Jobha

الا كليل او اكليل الجبهة . بيتا العقرب

ن العقرب عند العرب اسم صورة يقال لميّزها قلب العقرب وسنذكره هنا وليس
ك آخر في الاكليل او اكليل الجبهة فاكليل الجبهة ثلاثة نجوم هي بيتا ودلتا وپي وخمسة
ودلتا وبيتا وايسلون فيكون انور الاكليل هو المرموز له بحرف بيتا اليوناني . وينبغي
ن الاكليل فهو صورة شمالية واحرى جنوبية لا علاقة لهما بالعقرب فاكليل العقرب

[See Scorpio, Antares, Corona]

Acronical, Achronical

ول عن حرم سماوي اذا شرق او غرب عند افول الشمس . والافولي عن البحري بذلك

Acrux, Alpha Crucis

صليب

الصليب هو الصليب الجنوبي كما سيجيء

[See Crux]

السرطان . الزُبانى الجنوبي

Acubens, Alpha Cancri

قول لاين في معجمه المشهور ان نير السرطان هو الطَرْف ولكن هذا الكوكب ليس الطرف

بل في الزبانى الجنوبي من السرطان والطرف عند الافرنج Altarf وسيأتي ذكره . ويقول و...
الكلمة من زبانى العربية وهو من اغرب ما رأيت في التحريف

See Cancer

...ara, See Adhara

ضفيرة الاسد ...dadera Zeta Leonis.

وتسمى ايضاً الهلبة ولها اسماء اخرى غير هذه

See Coma Berenice

كبرى العذارى ...dara, Adara, Epsilon Canis Majoris

هي عند الافرنج إبسلون الكلب الاكبر والعذارى عند العرب خمسة كواكب على ...
الاكبر وذنبه وفخذه وهي حسب رواية فانديك ابسلون وذلتا وايتا وأميكرون و٢ الكلب ...
فالاول منها اي ابسلون هي كبرى العذارى اما الثالثة اي ايتا فاسمها العذرة وسيأتي ذكره

See Aludra, Canis Major

الذيخ Adib, Thuban, Alpha Draconis

سمى الفلكيون من العرب هذا الكوكب بالذيخ منهم الصوفي والقزويني. قال القزويني في ...
التنين وفي اصل الذنب كوكب يسمى الذيخ وهو ذكر الضباع فاخذ الافرنج قولهم لكنهم ...
وبقيت كلمة الضباع فقالوا Adibà ثم جعلوها Adib فصار اسم هذا الكوكب Adib (...
الكلمة في معجم وبستر) . وفي نسخة الصوفي التي اطلعت عليها الذيخ بالمهملة والصواب ...
المعجمة وهي كذلك في القزويني طبع اوربة وفي الفيروزابادي وفي جميع كتب اللغة ...
يفسر كلمة Adib التي نجدها عند الافرنج

اما كلمة ثعبان وهي الكلمة الثانية التي أطلقها الافرنج على هذا الكوكب فسببها ان العرب ...
التنين بالثعبان ايضاً والدليل على ذلك انهم سموا كوكباً في التنين برأس الثعبان ...aban
ذكرهُ . فالذيخ كوكب في ذنب التنين اي الثعبان والآخر في رأسهِ وهو من الكواكب ...
بالعوائذ . وقد كنت حائراً في امر هذا النجم لذلك لم اذكره باسمه هذا في ما نشرته في ...
العلمي العربي بدمشق بل قلت انهُ لا يعقل ان العرب لم يذكروا نجماً من القدر الاول في التنين
اما الآن فقد اهتديت اليهِ وهو الذيخ وليس الثعبان فان العرب لم تذكر نجما اسمهُ الثعبان في ...
ثم ان الافرنج قد سموا هذا النجم El Asich ذكره استاذنا الدكتور صرُّوف في كتابهِ بسائط ...

حجر جَوّي ...olite

نوع من الرجوم ليس فيه الاَّ قليل من الحديد

[illegible] See Ether

[illegible]رة يقال أنها تملأ الفضاء

[illegible] بينا قنطورس Alpha Beta Centauri

هذا عن السيد عبد الحميد البكري

[illegible] الاكبر Alsh Ar[illegible] for the Great Bear

والكلمة الانكليزية عبرانية الاصل وهي عيش بالعبرانية

[illegible] . أظفار النسر الواقع . ايتا الشلياق Alpha Eta Lyrae

[illegible] الشلياق في فانديك وأظنه مصيباً فهي ليست السليق المهملة

[illegible] . سعد بلع Al Beta Eta Aquarii

وهو المنزل الثالث والعشرون من منازل القمر

See Aquarius

[illegible] Al[illegible] of a Planet

ويراد به نسبة النور المنعكس عن سطح سيار الى ما يأتيه من نور الشمس والكلمة ليست عربية ولكنها شبيهة بالعربية

[illegible] الدجاجة Alpha Beta Gygni

والكلمة الاعجمية ليست عربية الاصل بل هي تصحيف ما ورد في المجسطي

See Gygnus

[illegible] منقار الغراب. نيّر الغراب. والخباء كذلك الصورة كلها Alpha Corvi

See Corvus

[illegible] السهى Alcorag Ursae Majoris

[illegible] في ملاصق للعناق من بنات نعش في الدب الاكبر كان الناس يمتحنون به أبصارهم ومن [illegible] والصيدوق . والكلمة الافرنجية من حوّار العربية فقالوا في وصفه كوكب حوّار [illegible] وقد تكون الكلمة من حَوَر العربية والحور كوكب آخر من بنات نعش الكبرى [illegible] الاب لامنس ولكنني ارجح قول وبستر وهو ما تقدم

See Ursa Major

الذراع اليمنى . الفا قيفاوس Alderamin, Alpha Cephei

والاسم عربي من الذراع اليمين أي اليمنى

نير الثريا . وَسْط الثريا Alcyone

ويقال له الكيوني أو القيوني وهذه يونانية

الدَبران . نيّر الثور Aldebaran. Alpha Tauri

ومن أسمائه عين الثور وثاني النجم والتابع وتالي النجم وسائق الثريّا وتابع النجم أي ال
النجم والمِجدح والمُجدح والفنيق . وقد سمي بالدبران لاستدباره الثريا . أما النجم فمن

See Taurus, Pleiades

Aldhafera. Same as Adhafera

الذئبان . ايتا وزيتا التنين Aldhibain. Eta & Zeta Draconis

See Draco

نيّر الفكة Alfeta. Alpha Coronae Borealis. See Alphecca

الفِرق . بيتا قيفاوس Alfirk. Beta Cephei

Algedi. See Geidi & Dabih

جبهة الاسد . جمّا الاسد Algeiba. Gamma Leonis

See Leo

جنب الفرس . جنَاح الفرس lgenib. Gamma Pegasi

هو أحد كواكب مربع الفرس ويسمى مع سرة الفرس الفرغ الموخر أو الفرغ

See Pegasus

مَرْفِق او مرْفَق الثريّا genib. Alpha Persei. Called also Mirfak

جنب فرساوس أي من أسمائه جنب فرساوس

giba. Same as Algeiba

رأس الغول gol. Beta Persei

نجم مشهور متغير

الغراب . جناح الغراب الشرقي أو الايمن orab. Delta Corvi

جناح الغراب الغربي ores, or Gienah. Gamma Corvi

الميْسان . انور الهنعة na. Gamma Geminorum

الهنعة كوكبان زاهران في المجرة بين الجوزاء أي الجبار ورأس التوأمين أنورهما ا
الزّر وهما المنزل السادس من منازل القمر . فأطلق الافرنج اسم الهنعة على أنورهما أي ا
فأطلقوه على كوكب آخر هو إكسي التوأمين

See Gemini

[illegible] . الجوْن . الأَلية — [illegible] Epsilon Ursae Majoris

[illegible] من بنات نعش الكبرى وهو الثالث منها قرب المغرز . أما كلمة الألية [illegible] قال [illegible] مسعود في تعليقه على هذا النجم ما نصه: سماه الألية ادفونش العاشر ملك قشتالة وقد [illegible] الفلك على عرب الأندلس في قرطبة وألف الزيج المعروف باسمه . أما الجوز فقد قال [illegible] الجوز من بنات نعش وسماه عبد الرحمن الصوفي بالجون لانه يكون مع المغرز والفخذ [illegible] الخليج الصغير وتابعه على هذه التسمية ألغ بك ابن تيمورلنك

[illegible] العقرب — [illegible] Epsilon Scorpii

[illegible] شولة العقرب مع اللسعة

See Scorpio, Shaula, Lesath

[illegible] قائد بنات نعش — [illegible] Majoris. Called also Benatnasch

[illegible] بنات نعش الكبرى هو طرف بنات نعش الكبرى ويسمى القائد هذا قائد بنات [illegible] الانكليز أحياناً بنات نعش باسم نجوم لذنب جميعاً [illegible] Benatnasch

[illegible] وس . في العواء أو الصباح — [illegible] My Boots

و [illegible] في رمح العواء قال السيد البكري تعليقاً على هذا النجم لعله كما ذكر فانديك [illegible] عصا الراعي باليونانية

[illegible] الثانية في الدب الاكبر — [illegible] Chi Ursae Majoris. See El Kophra

[illegible] تصحيف القفزة الثانية فقرأوا الزاي المعجمة راءً مهملة

[illegible] س او الباطية — [illegible] Alpha Crateris

See Crater

[illegible] الارض — [illegible] Almak. Gamma Andromedae

ويقال الماق والموق ورِجْل المسلسلة . جمّا المسلسلة

[illegible] . كتاب في الفلك الفهُ بطلميوس ونقله العرب الى لغتهم — [illegible]

و [illegible] بطلميوس قبل الياء فيقال بَطلميوس لا بطليموس والمجسطي بكسر الطاء فلا يقال [illegible] المجسطِي

[illegible] للقطاف . المقدَّم للقطاف — Almuredin. Epsilon Virginis. Called also Vindemiatarix

[illegible] السنبلة او العذراء اما الكلمة الانكليزية فمن الموردين العربية

See Virgo. Vindemiatrix

بنيون الفنان

بين التصوير والشعر

للدكتور احمد زكي أبو شادي

(١)

شهدت مصرُ في السنوات الاخيرة من النجوم المتألّقة في عالم الأدب — على تفاوت وتباين في الاشعاع — ما شغلها أو بالأحرى ما شغلَ انديتها الأدبية المحترمة بالحديث عنهم متوالية. وآخرُ من أتيح لي الاستمتاع بأدبهم عن كثب من أولئك الزائرين الأعلام الشاعر الا المخضرم لورنس بنيون (Laurence Binyon) وقد ألقى بدعوة من الجامعة المصرية بضع مح في ردهة الجمعية الجغرافية الملكية عن التصوير الفارسي والتصوير الصيني، وعن التقليد و الشعر الحديث، وعن التعاليم الروحية للشاعر وليم بليك، كما قرأ نماذج مختارة من شعره. و أن يلقي محاضرة عامّة عن معارفه من شعراء الانجليز في كلية الآداب بالجامعة، وكانت هذه محاضراته التي دُعيتُ الى سماعها في ١٠ مارس الماضي، كما كانت أولى محاضراته في الثامن عش فبراير المنصرم. وكان موفّقاً كلّ التوفيق فيها جميعاً، وقد اجتذبَ اليه الأدباء العارفين بلا من شتّى الطبقات. لذلك لم اعجب لاهتمام صديقي محرر (المقتطف) بهذه المحاضرات التي يس أُلبيّ رغبته وغيرته الأدبية في التعليق عليها، معرّفاً بهذا الشاعر المجيد المجهول لدى من لا به الأدب الانكليزي

لقد عاصرَ لورنس بنيون الشاعر تينسون والشاعر سونبرن وغيرهما من كبار الشعراء في العصر الفكتوري وللامبراطورية الانجليزية ما لها من العظمة المتألّقة والطمأنينة الشاملة الكبرى مما كان له أثرهُ البالغ في مَرائي الشعر الانجليزي، كما صاحب تطوّر الشعر الانجليز عصرنا الحاضر وله ما له من صلات الصداقة بهاردي وبردجز وماسفيلد ودي لامار وغيره يزال يُنجب من الشعر الناضج الكلاسيكيّ الصياغة غالباً العصريّ الروح ما يسترعي به عناية عشّاق الشعر المتسامي. فهو شخصية فذّة جامعةٌ الى الشيخوخة في السن فتوّة في الروح ولكنها فتوة أنضجتها التجربة الطويلة وتأملات الحياة والثقافة. ولم يزدني تعرفي الشخصي

، الخطابية وحضور بديهته وروحه الشعرية الغلابة مما لا يعزّ هذه السنّ . وقد درس بنيون في
ة سانت پول بمدينة لندن ثم في جامعة اكسفورد وأظهر منذ صباه نبوغاً حليًّا في الشعر فنال
١٨٩٠ (اي في الحادية والعشرين) جائزة نوردْهيت لقصيدته الموسومة (پرسيفون) ،
ت بالمتحف البريطاني في سنة ١٨٩٣ وعُهد اليه فيما بعد بادارة قسم المطبوعات والنقوش الشرقية
في دراستهما بما لهُ من حبّ الفنّ وقدرة النقد الخصيف . والى همته وخبرته يرجع الفضل في
ج فهارس المتحف البريطاني عن الصور الانجليزية والتصوير الخشبي الياباني (وهي في اربعة
) ، الى جانب مؤلفاته المتعددة عن الفنّ الصيني والياباني والهندي ، وعن تصوير الشاعر الفنّان
لبك وحفره . فنال بجدارة شهرة عظيمة كناقد فنّان ومؤرخ عظيم للفنّ الشرقي ، الى جانب
المحترمة كشاعر جهير صادق الشاعرية كما شهد لهُ السير چون اسكوابر الناقد الشاعر الانجليزي
، ومحرر مجلة (عطارد) اللندنية . وأول دواوينه الشعرية أخرجهُ سنة ١٨٩٤ . وآخر شعره
ع ظهر سنة ١٩٢٧ في صورة مختارات للشاعر نفسه . وهو يعنى الآن بعمل شعري جليل يقدر
ه — كما اخبرني — نحو سبع سنين ، وقد اكتفى بما قدّمهُ لخدمة التصوير الشرقي بعد ان
خدمة المتحف البريطاني سنة ١٩٣٣ وتفرغ للشعر ، كما انهُ يُعنى بترجمة دانتي الى الانجليزية .
اهمّ محاولاته الشعرية حركتهُ العظيمة لاعادة الدرامة الشعرية المرسلة النظم الى المسرح
ليري ، وهذا يُشعرنا بروحه الفنيّة الطليقة حيثما تحسُّ الطلاقة الكاملة
هذا هو الشاعر الناقد الفنّان الذي حفلتْ بدعوته الجامعة المصرية لالقاء محاضراته القيّمة
ة بين التصوير والشعر والنقد الفني ، فكانت هذه المحاضرات غنماً عظيماً للأدباء في مصر ، كما
لاحتكاك بشخصيته الجهيرة غنماً أجلّ . ولعلّ اكبر المزايا لمحاضراته تفسيره المشترك للفنون ،
سما يتكلم عن التصوير الفارسي او الصيني شاعرٌ فيلسوفٌ ، وهو حينما يتناول الشعر بالدراسة
ر ساحرٌ ، وهو حينما ينقد الآثار الفنية خبيرٌ يهدم ويبني ببراعةٍ فائقةٍ . لذلك لم أدهش
به بالشاعر بردجز لدقته التصويرية والتأملية ، ولا لاعجابه بالأديب الشاعر الناقد إنجرام بريان
فسّر الادب الانجليزي تفسيراً فنيًّا فاتناً . فهذه هي هي روح بنيون نفسه موزعة على من
م وأحبهم وهي أظهر لديه منها لدى جون درنكووتر فيما لحظتُ وقدرتُ ، وقد قرأت لكلا
رين الناقدين واستمعت لهما . وهـذا الأسلوبُ الطريفُ الجميل في المحاضرة كان في الواقع
ا لألباب المستمعين وأنا بينهم ، فان لتوحيد الفنون من الجاذبية النفسية ما له ، ولا ينافي هذا
ح ما ندعو اليهِ من تحديد استقلالها أولاً من باب التنمية لعناصر كلّ منها ، فان التمازج
تأليفاً أو تفسيراً شيءٌ وارضاخ أحدها ارضاخَ الضعف لغيره شيءٌ آخر
ذن ليس الحديث عن لورنس بنيون بالحـديث السهل ، فهو متعدد النواحي في نبوغه ، عظيم
ف برسالته الفنية التي يعبر عنها في دقة وحرص مع البعد عن الثرثرة بعده عن الابهام ، فهو

فصبح رائع محبوب، له بساطة العظمة، وفيه الروح الانجليزية السمحة التي يتمتعون بها من عاشر منهم الانجليز وأدبائهم في بلادهم حيث يتنفسون في جو الحرية والديمقراطية

(٢)

يعتبر فن التصوير الفارسي كما نعرفهُ فنًّا اسلاميًّا إذ لم يبق شيء يذكر من آثاره قبل القرن الثالث عشر للميلاد. وقد بدأ بصورة تجريبية مختلفة العناصر متأثرة بالفن الصيني في القرن الخامس عشر حتى اذا جاء القرن الخامس عشر أخذ الروح الفارسي المستقل يتجلى فيهِ. وقد ظهر في القرن فيما بعد الرسام الفارسي بهزاد زعيم مدرسة نابهة وأشهر الرسامين الفرس وقد أمضى معظم حياته في هِرات، وأشهر صوره الموثوق من اصالتها في دار الكتب الملكية بمصر. وفي القرن السادس عشر في عهد الاسرة السافافية ظهرت مدرسة فخمة للفن الفارسي نهضت بهِ الى غاية الرقي الفاخر. ولكنهُ أخذ في الاضمحلال بعد ذلك وان يكن الفنانون الفرس الذين أنشأوا حتى المدرسة المغولية في الهند

بهذه المقدمة مهَّد الشاعر لورنس بنيون لمحاضرته الاولى منبهاً المستمعين الى أن الفن الفارسي محدود الطاقة فانه لم يستطع أن يبرز لنا من الخواطر الدينية مثل ما أبرز الفن المسيحي أو البوذي ولو أن الفن الفارسي قد أبدع أحياناً في تصوير اسراء النبي (صلعم) كما نشاهد ذلك في أثر الفارسي نظامي المحفوظ بالمتحف البريطاني في لندن. كذلك لا نجد فارس أنجبت شيئاً من فن الخالص، وكان شائعاً حينئذٍ في الصين كما لم تنجب تصوير الأشخاص في إبداع صحيح تصوير الأشخاص نادراً. ولكن بالرغم من حدود الفن الفارسي في التصوير فانهُ كان في صفاته عديم النظير. فقد كانت لهُ القدرة الممتازة على استعمال أزهى الالوان وأنقاها ومزجها فنًّا بديعاً. وكان أداةً فذَّةً في التعبير عن عظمة الدنيا، متفرداً تفرُّد الجوهرة المتألقة ولكن غير بهرج. ولم تكن هـذه الروح الفنية وقفاً على التصوير الملوَّن فان الرسم الخطي أبلغ فيه في التعبير

وقد عرض المحاضر الالمعي في لغته الشعرية كثيراً من الألواح المصورة بالفانوس السحري مشيراً الى أن تلك الصور — بالرغم من قيود التقاليد — نابضة بالحياة الفنية ولها جوُّها الخاص تحس فيه بمرور الريح بين الأشجار ونحس بالحياة فيما حولها ونسمع خرير المياه المتسلسلة ويكون هذا الابداع أقوى ما يكون في الفن الصيني الاصيل الذي تأثر بهِ الفن الفارسي. وبين فيها صورة يونس في الحوت وصورة اسكندر المقدوني جالساً بين حكماء الهند وهي مأخوذة من أحسن وأغلاها، وهذه الصورة من مظاهر أعمال الفن الفارسي في أحسن عصوره وكمال ذلك الوقت. ولعلَّ من أجل خصائص الصور التي عرضها بروفسور

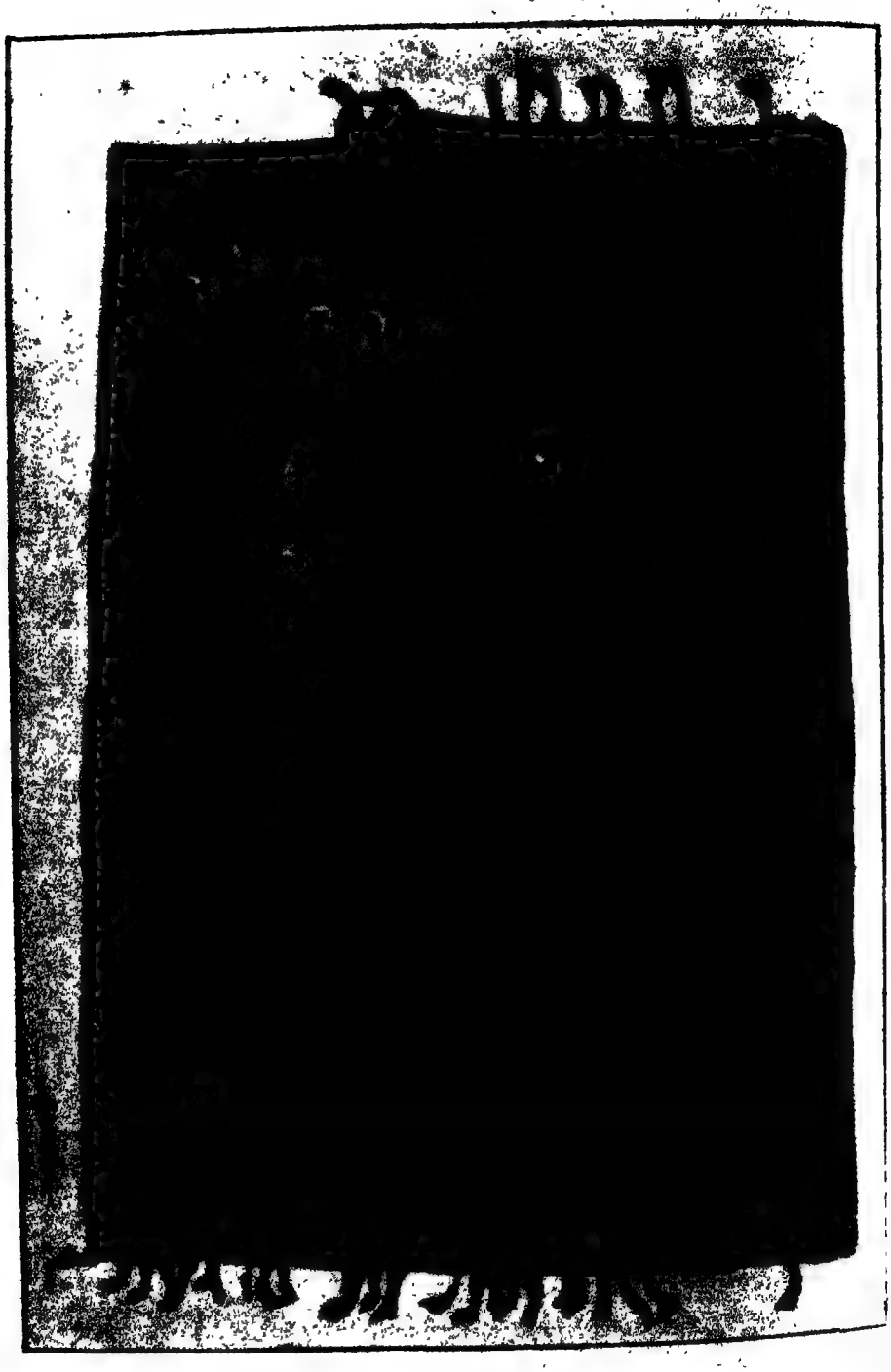

من صناعة اصفهان في القرن السادس عشر

سجادة من الحرير مشغولة بالذهب والفضة وبأطارها المذهب جامات مستطيلة عليها كتابات وفي وسط السجادة زخارف من الأزهار وفيها ايضاً خطوط متشرجة تدل على ما بها من تأثر بفنون الشرق الاقصى وكانت هذه السجادة في كنوز كاتدرائية بلنسية وآلت الى صاحب السمو الامير يوسف كمال فاهداها الى دار الآثار العربية . وقد عرضت في معرض الفن الفارسي بالقاهرة — (زكي محمد حسن)

صحن من الفضة المذهبة وعليه رسم بارز لملك ساساني في الصين وهو محفوظ في المتحف الاسلامي ببرلين ويرجع عهده الى القرن السادس الميلادي
(زكي محمد حسن)

اناء من الخزف على شكل تمثال امرأة . من صناعة الري بايران في القرن الثالث عشر محفوظة الآن بالمصف الاسلامى ببرلين
(زكي محمد حسن)

سلطانية من خزف من صناعة الري ببلاد ايران يرجع تاريخها الى اوائل القرن الثا
عشر الميلادي وزخارفها مختلفة الالوان على ارضية بيضاء وفي وسطها صور
اشخاص فوقهم وتحتهم صورطيور للاثنين الاسفلين منها رأسا انسان . وحافة السلط
مزينة بشريط من الكتابة الكوفية

(زكي محمد حسن)

ي (صلعم) صاعداً الى السماء السابعة (المعراج)، وهي صورة فذّة في تصميمها الفني وفي تكوينها.
ن ألطف الصور التي عرض لها المحاضر صورة ملك في احدى غزواته وقد اعترضته عجوزٌ شاكيةً
تصرُّف جنوده. فسألها الملك أن تخلي له السبيل لانهُ متعجلٌ الغزوة. فقالت لهُ العجوز:
ل الاولى بك أن تسيطر على رجالك بدل ان تفكر في غزو الآخرين ؟!
والواقع أن مركز البلاد الفارسية جغرافيًّا وسياسيًّا أهّلها لهذه الالوان المختلفة من الثقافة
رت في فنها بجلاء، وإن احتفظ الفن الفارسي بشخصيته بحيث لا يصعب تمييزها في جميع آثاره،
شخصية مستمدة من صميم الواقع مع احترام للتقاليد وعناية بالحدود المرسومة لهُ عناية توجب
ص على التناسق والزخرفة الدقيقة واجتناب الترسّل
ومما عرضهُ المستر بنيون صور شتّى تمثل مأساة مجنون ليلى التي قوامها البحث عن المثل الأعلى
ب بدل قبول الواقع في الحياة، وكانت صورة المجنون بين الحيوانات الآبدة أوقعها في النفس.
الصور الخلّابة صورة شاعر جالس في الحديقة وخلفه الأزهار المتفتحة الناطقة بتعابير الجمال
ي، ومع أن الصور الشخصية في ذلك العهد كانت نادرة فانّ ما صُنِعَ منها كان آيةً في الاتقان
ل لمرائي الحياة وعواطفها، بيد أن فنّ التصوير الفارسي في جملتهِ كان تصويراً مصغّراً
يف الأدبية ومآلُهُ للمكاتب قبل المتاحف
معروف انّ الثقافة الاسلامية الفنّية تأثرت كثيراً بالفنّ الفارسي وبأعلام الفرس، فقد كان
الفضل في ابتداع الخطّ النسخ والخط الثلث كما نعرفهُ الآن، وعنهم تلقّى ابن مقلة فنّ الخطّ،
ذي عمّم استعمال الخط النسخ بدل الخط الكوفي. وكان الفرس أول من عُني بالاخراج
كتب ولا سيما للمصحف الشريف. ولكن أثرهم في التصوير كان أبلغ وأعظم وان كانت
التي بين أيدينا من العهد الساساني القديم ضئيلة للدلالة على الذوق الفارسي في تصوير الطبيعة
نات والجمال الانساني في الراقصات وغادات الصيد ونحو ذلك، ومن بين هذه الآثار الخاضعة
الفارسي بعض التصاوير على حيطان قصر الخلافة في (سرّ من رأى)[1] التي أظهرتها الحفريات
. والمعتادُ في عرض الفنّ الفارسي التكلم على مدارس بغداد وتبريز واصفهان من باب التمييز
للعناصر الفنية ولعناية أرباب الفنون وأذواقهم

(٣)

أوجد الاسلامُ روحَ الأخوة عند الامم المختلفة التي ارتبطت بهِ وصهر حضاراتها المختلفة
واحدة فلا عجب اذا قلّد العربُ الفرسَ في مظاهر مدنيتهم من ضرب النقود الى التصوير
رجات ومختلف الأثاث والأواني وعلى حيطان الحمامات والقيشاني وفي التصوير التفسيري

[1] راجع الى كتاب (التصوير عند العرب) تأليف المرحوم احمد تيمور باشا، وهو من مؤلفاته المخطوطة وقد
نشر منه في مجلة (الهلال). تراجع كذلك دراسات الدكتور زكي محمد حسن الامين العلمي لدار الآثار العربية.

لكتب الأدب ودواوين الشعر والمؤلفات الطبية والعلمية مثل كتاب (عجائب المخلوقات) للقزويني و (مقامات الحريري) وكتاب (كليلة ودمنة) وقد كان للعرب اسوة في ذلك بتصوير (الشاهنامة) للفردوسي و (بستان) سعدي و (كلستان) سعدي وديوان حافظ الشيرازي وقصائد النظامي الخمس وغيرها من الآثار الأدبية الشهيرة . ولما كانت بغداد مركز الحضارة الاسلامية في القرن الثاني عشر للميلاد فقد صارت مركزاً لمدرسة فنية قوية متأثرة الى درجة ما بالروح الفارسي ومتأثرة كذلك بأهل الفن من مسيحيي الكنيسة الشرقية

وترجع مدرسة بغداد هذه في تقاليدها ومزاجها الى أبعد من القرن الثاني عشر و[illegible] القرن الثالث عشر حافلة بتصوير مؤلفات الاغريق المترجمة الى العربية وبما نسج على [illegible] المؤلفات القديمة . ولم يكن لقصص بيدبا التي نُقلت عن الهندية في كليلة ودمنة ولا لنوادر [illegible] السروجي في مقامات الحريري نصيب يسير من عناية مدرسة بغداد التي خدمها اولئك [illegible] المنتسبون للكنيسة الشرقية كما خدمها الفرس لان روح الاسلام كانت متقبّلة للحضارة غاية [illegible] ومن أولئك المعلمين أخذ العرب صناعات فنية مختلفة ليس أهونها شأناً صناعة الفسيفساء والعاج ولهؤلاء النصارى فضل على الفرس انفسهم حتى ان الفن الفارسي في القرنين الخامس عشر والسادس عشر للميلاد ظهر وفيه ما فيه من بذور هذا التأثر الى جانب العوامل المؤثرة من الشرق الأقصى والأوسط بعد الفتح المغولي

والملحوظ في تصاوير مدرسة بغداد الدقة في مَزْج الالوان والقوة في التعبير الى درجة مدهشة والثروة البالغة في معاني التظليل اجمالاً وتفصيلاً ، مع الأمانة للطبيعة . ولئن ضاع الكثير من هذه المدرسة فالباقي منها بأيدينا هو مثال للمفقود منها ، لان الفنانين انصرفوا الى تكرار تلك الصور في تفسير المؤلفات الشهيرة وعلى الأخص في مقامات الحريري ، حتى صارت مدرسة بغداد مدرسة عربية اكثر منها فارسية في الاختيار وفي تصوير الاشخاص بسماتهم العربية وفي نشاط وقوة لما عُرف به الفن الفارسي الخالص من الدعة والرشاقة

ومن العجيب أنّ بعض هذه الصور العربية الاسلامية تحيط برؤوس أصحابها هالات من على مثال المألوف في التصاوير الكنسية ، وهذا كاف لاشعارنا بمبلغ تأثير أولئك الفنانين المسيحيين إن لم يكونوا هم انفسهم مبدعي تلك الصور . كذلك يبدو أثرهم في كيفية رسم الملائكة بأجنحة مدببة وفي تصوير الطبيعة نفسها في بساطة تقليدية وفي العناية بزركشة الملابس ، فكان مصور بغداد في روحها مزيج من التعاليم البيزنطية والساسانية مطبقة على احوال العروبة والاسلام

نجد الفن العربي المستقل بعض الاستقلال الاّ في المؤلفات العلمية مثل كتاب (خواص الحيوان) الذي كتبه وشرحه رسماً المصور العربي الشهير عبد الله بن الفضل سنة ١٢٢٢ م . ومع ذلك [illegible] الخفة واضحاً في زركشة الملابس والاستهانة بالبساطة الطبيعية . ومن

رب المبدعين يحيى بن محمود بن يحيى بن الحسن الواسطي فقد برع في تصوير مقامات الحريري سنة ١٢٣٧ م.) تصويراً فنيًّا جامعاً لم يترك كبيرة ولا صغيرة الا سجلها. فكانت صوره سجلاً [illegible] التقاليد والعادات الاجتماعية في عصره. ولولا هذا التغالي الزخرفي بتأثير [illegible] لوجب [illegible] بأن مدرسة بغداد صادقة التعبير عن الطبيعة والحياة. ترسم الاشياء كما هي في غير تكلف [illegible] خاف أن الورق حل محل الرق في كتابة التآليف بل وفي كتابة القرآن نفسه. وقد [illegible] الورق في تلك الاصقاع بمدينة سمرقند ثم انتشرت الى الاقطار الاسلامية. وأخذ [illegible] يتفننون في اخراج أجود أصنافه، كما اخذ التخصص في زخرفة الكتب ولا سيما [illegible] تشريف) يزدهر ويصير فنًّا مستقلاً له جماله وروعته كما استقل الخط وصار فنًّا [illegible]. [illegible] من الروح الفارسي والفن الفارسي يرجع كل هذا التطور الفني في الذوق والانتاج [illegible] بغداد

(٤)

[illegible] كان حكم التاريخ على غزو المغول لايران وبلاد الجزيرة متأثراً بشتى الاعتبارات. فما من [illegible] له حكماً واحداً بالنسبة لفن التأليف التصويري. فقد نشأ عن هذا الغزو ظهور المدرسة [illegible] العظيمة، اذ لم يكتف هولاكو وخلفاؤه بتشجيع هذا الفن حيثما وجد بل غذوه [illegible] الزاخر بالهامات الشرق الاقصى وتعاليمه مما فتح آفاقاً جديدة للفنانين في الاقطار المغزوة [illegible] الطلاقة الفنية التي امتاز بها المصورون الصينيون مبدعين في التعبير عن العواطف وفي [illegible] المختلفة بدقة وحرية معاً مستلهمين الطبيعة في ثقة وقوة، فتأثروا بهم واستمدوا من فنهم [illegible] استولى المغول على بغداد في سنة ١٢٥٨ م. فكانت احدى العواصم الثلاث الكبرى التي [illegible] الادارية والفنية، اما العاصمتان الاخريان فهما تبريز وسلطانية. ولم يكن الفن [illegible] غريباً عن العرب فان العلاقات التجارية بين الشرق الاقصى والممالك الاسلامية ترجع الى [illegible] كما ان استيلاء المغول على مقاليد الحكم في الصين وخلقهم تلك الامبراطورية العظيمة [illegible] العرب على اتصال مباشر اخيراً بكل من الفن الصيني والفن المغولي، بعد ان كانوا قانعين من [illegible] التحف الفنية التي كانوا يظفرون بها عن طريق المبادلات التجارية. وهكذا ازداد النفوذ [illegible] في الفن الفارسي العربي الى جانب تأثره بالفن المغولي، ومن هذا المزيج القوي نشأت المدرسة [illegible] التترية. وحتى بعد اضمحلال أو زوال العوامل السياسية والحربية بقيت للعوامل الادبية [illegible] نفوذها العظيم في حياة الفنون بسبب الاحتكاك المباشر بأهل الفنون من المغول. وكانت [illegible] في بداية ذلك العهد منوعة: فمنها ما كان محتفظاً بتقاليد مدرسة بغداد، ومنها ما جاء متأثراً [illegible] الصيني الى درجة كبيرة، ومنها ما ظهرت فيه الروح الفارسية الخالصة قوية، وهذا هو [illegible] في فترات الانتقال من عهد الى عهد. والمعروف أن صور هذا العهد على أي حال لم تكن

كثيرة ، وذلك بسبب كثرة الغزوات والحروب في مدى سبع وسبعين سنة (١٢٥٨ - ١٣٣٥
ولكن هذه الروح الحربية ذاتها أدت الى العنايه بالتآليف التاريخية الحربية . فاتجه
الى ابراز الحوادث التاريخية العظمى وقصص البطولة بل التاريخ العام في مجال فسيح
التصويري ، وكان من الاتصال بآثار الفنانين في العهد السلجوقي المفاوة بمرائي الطبيعة و
وكل هذا محسوس منذ بداية القرن الرابع عشر . حيث تمتزج المؤثرات الأجنبية
الموروثة لدى المدرسة البغدادية حتى ظهرت المدرسة المغولية الفارسية أو الفارسية التي كا
واذا كانت الصور الفنية في ذلك العهد المضطرب تلوح عليها مظاهر العجلة والارتج
حالة الحروب والفتوحات التي كانت الشغل الشاغل للمغول زمناً مديداً . فلم تخل التشخي
للتأني والاتقان ، الا أنها جميعاً كانت من الطرافة بمكان فأدهشت بغرابتها اضعاف ما أ
المحدود من الدقة أو الاتقان ، خلافاً لحالة الفن في العهد العباسي وفي أزمنة الهدوء و
وكان من آثار التحرر الفارسي في الفن أن يظهر الخط الفارسي الصميم بدل الخطين الثلث
كما أن صور التآليف اخذت تتفرّس خصوصاً عند ما ظهرت الآثار الفارسية الكبرى
للفردوسي وآثار الشاعرين نظامي وكرماني في نسخ مصوّرة عديدة . فسمح هذا للفنانين
بالابداع المنوّع في تصوير مشاهد البطولة من الشاهنامة والموضوعات العاطفية في خمس
وفي مجنون ليلى وغيرها من القصص الشرقي بما لم يعهد من قبل

كان من آثار تيمورلنك ترعرع الفن في سمرقند لا في التصوير البارع الملوّن خص
الرسم الدقيق المذهّب بالمداد أيضاً ، وهذا بتأثير الثقافة الاسيوية . ولم يكن للمؤلف
حينئذٍ نصيب كبير من هذا الفن الجديد . ولكن القرآن الشريف نال عناية الفنانين الفرس
المزدادة في كل من تبريز وسمرقند . واشتهر وزير تيمورلنك المدعو الامير محمد بدر الد
ببراعة خطه وكذلك اثنان من حفدة هذا الامبراطور المغولي وهما ابراهيم ميرزا وبيزنكر
وقد أسس الاخير قبل وفاته المبكرة (وقد كانت في سنة ١٤٣٤م) معهداً فنياً لاخراج الكت
هرات ، الى جانب مكتبته الفخمة ، وكان يعمل في ذلك المعهد أربعون خطاطاً الى جانب الكث
من المتخصصين للزخرفة والتصوير . وكان المصورون على شغف عظيم بتصوير الموضوعات
فكان هذا دافعاً اكبر الى إبداعهم . فأولعوا بمشاهد وطنهم وسحرها الريفي كما اولع المصو
الغربيون بالفن القوطي . ولكن استمرّ في الشرق الروح الزخرفي العام حينما تحول الفن
تحولاً آخر تحت تأثير التصوير الخاص للحيطان والالواح ونحوها . ولكن من الحق الاعتراف
المدرسة المغولية الفارسية من الكمال في التوفيق بين موضوعات التأليف وتصويرها الفني
نجد براعة المصوّرين ماثلة في الصور الدقيقة التي كانت أحجامها الصغيرة تفرض عليهم
الفنّاخ ! وكانت أرضية هذه الصور حمراء اللون في بداية القرن الرابع عشر ، ثم شاع بعد

استعمال لون أزرق واضح لأرضية الصور، واحياناً في نهاية ذلك العهد شاع استعمال الأرضية الصفراء الذهبية. ولكن الألوان الأخرى المستعملة كانت زاهية غالباً وناصعة دائماً. وكانت الأشجار المختارة شبه مدرّجة كمثالة لأشجار معروفة وصخور وشعاب وتلال مغطاة بين حشائشها الأزهار. وهذه الصورة أصبحت تقليدية مألوفة في جميع المشاهد الريفية وقد كان هذا النوع ما يُشعر بروح الريف أو الغابة أو البساتين. وكثيراً ما كانت تضيع صورة شجرة كبيرة المشاهد المصغرة. وهذه من آثار الفن الصيني في العهد المسيحي بعد أن صار الاتصال بين الأقصى سهلاً مباشراً

وقد عمل على المدرسة التبريزية المدارسة التصوير الكروكي الاصطلاحي للاشخاص. ورسم وجوههم في غير تمييز لشخصياتهم. والعدام التعبير في حركاتهم يعكس المصورين هذه من الذين كانت تهمهم تتبع الطبيعة لرغباتهم وكانوا يتجنبون اي وحدة معينة. وفي الحقيقة انه لم يحدث أي تقدم في هذه الناحية بعكس التقدم في النواحي الفنية الأخرى للتصوير الفارسي. على أن صورة عقربية للأمير بهزاد الذي يُعتبر أعظم مصور فارسي. وقد عرف بهزاد حتى في صوره المزدحمة بالصور والشخصيات كيف يميز كلّ شخصية من الأخرى في الشكل والتعبير. وكان بارعاً كل البراعة في توزيع الألوان وابتداع ما لا حد له من الأصباغ والظلال للملابس والآدميين. كما انه كان مصححاً لصور الطبيعة الريفية التي تلوح أقرب الى الحقيقة في صوره منها في صُوَر من تقدموه فقد ذهب الى الفنان الصيني في استيعاب المسافات وفي احترام الطبيعة والحرية الفنية. كذلك اختيار ألوانه كان اكثر توفيقاً من اختيار سابقيه بالنسبة لحقائق الحياة. وليس غريباً بعد هذا أن ثورت على تحكم الخطاطين في تحديد الفراغ المصورين وذهب الى عكس ذلك فجعل لا يسمح بمساحة قليلة في الصفحة المصورة، او كان لا يسمح بشيء ما من الكتابة مما يحيط بصوره!

***

ولد بهزاد قبل سنة ١٤٥٠م. وتوفي بعد سنة ١٥٢٠. وهو يمثل الدولة المغولية في اوجها الفني في عهد الاسرة الصفوية وقد كان على رأس أكاديمية هرات حتى سنة ١٥٠٦ م الى ان استدعاه اسماعيل الى تبريز فجعله امين مكتبته وأغدق عليه النعم وامارات الشرف. ولم تبق من آثاره هذا الا اعمال قليلة مثل تصوير (تاريخ تيمور) الذي قام به في سنة ١٤٦٧ وهو مودع الآن وتصوير (بستان) سعدي في سنة ١٤٨٧ وهذا الاخير مودع في دار الكتب الملكية ومثل تصوير مجنون ليلى وهو مودع الآن في لينغراد. وقد تتلمذ عليه كثيرون في تبريز فنشروا تعاليمه في انحاء فارس وغرب تركستان وفي الهند. وبقي صيته داوياً حتى في السادس عشر إذ كان الفنانون يقلدونه في كل مكان ويقلدون امضاءه على شتى الصور!

(٥)

أما عن الجيل التالي من المصورين الفرس فهو الذي يمثل مدرسة تبريز بزعامة الفنان الموهوب سلطان محمد الذي كان عظيم النفوذ في عالم الفن إذ ذاك نظراً لصلته بالشاه طهماسب . وقد تعاون مع بعض زملائه البارعين في تصوير النسخ الفخمة من الشعر الحماسي الفارسي وقد سرق منها من الضياع الى زمننا هذا . ولكنه كان يؤثر الموضوعات العامة وصور الاشخاص . وكان يخرجها من اوراق مستقلة صالحة للتجديد في اجزاء مع نماذج من خطوط مشهوري الخطاطين وقد فتح ميادين جديدة للفنانين مثل تصميم السجاجيد وزخرفة الانسجة الملبوسة والمعاتق . وقد ظفرت الاخيرة بصور بديعة فنية للصيد ومجالس الشراب ونحو ذلك . واشهر هذه النماذج ترجع الى القرن السادس عشر رُسمت في مرسمه الخاص ، وعنه صدرت ابهج الانسجة الحريرية المشجرة والمخمل المزدان بدقيق الصور التي تضارع في جمالها نظائرها المشهورة في الكتب .

ومنذ القرن الخامس عشر حفلت تبريز بتحلية نسخ القرآن الشريف الى أقصى الغايات من التحلية بالنجوم والزهر والعقد ونحوها ، وفي عصر بهزاد نبغ كثيرون من الخطاطين وامتد صيتهم الى القسطنطينية وهناك أسسوا مدرسة للخطوط وزخرفة الكتب بتشجيع السلاطين وكانت مثال مدرسة تبريز الفخمة

وفي الواقع ان تبريز كانت مثابة قوية للفن حتى قبل ذلك العهد ، وإن ننس فلا ننسى الوزير المؤرخ رشيد الدين وقد نبغ في أواخر القرن الثالث عشر واوائل الرابع عشر وأسس بجوار تبريز مدرسة صناعية باسمه كانت كعبة لرجال الفن ، وهو مؤلف كتاب (جامع التواريخ) الذي يضم بدائع الصور لحوادث الانجيل وحياة بوذا وتاريخ الصين والسيرة النبوية وتاريخ الاسلام . ونرى في جميع هذه الصور أثر الفن الصيني في التصوير الفارسي الذي لم يكن قد استوعبهُ بعد ، فكان لهذا الاثر أثر المحاكاة وإن لم يخل من صور عربية صرفة كصورتي سيدنا علي وسيدنا حمزة . وهذه الصور على غاية من الاهمية في تحليل الذوق الفني في ذلك العهد الجامع بين نزعات الشرق الاقصى ونزعات العرب ، كما أنها بمثابة مرشد أمين للفنانين في عصرنا الحاضر اذا ما أرادوا تصوير هذا التاريخ في تلك القرون الغابرة تصويراً جديداً . ونسخ هذا الكتاب النفيس موزعة بين باريس وادنبرة وباريز

(٦)

وفي اواخر القرن السادس عشر تجمعت العناصر الفنية القوية في عاصمة فارس الجديدة (اصفهان) ، وثمة تحت الرعاية القوية التي بسطها الشاه عباس الكبير نشأت في اصفهان مدرسة جديدة زاهرة لفن انتاج الكتب بجميع أشكالها . وكان يتنافس في الخط الفني

ـاد الحسني وعلي رضـا عباسي اجتذاباً لرضـاه الحاكم . وكان غيرهما يُعنى بالصور الرمزية
ات ؛ بينما كان الاستاذ محمدي يتفنن في التصوير الحر بالمداد غير معتمد على مرجع من مراجع
ـ . وكان خليفته في هذا الفن الجديد الفنان رضا عباسي . وكثيراً ما نجد امضاءه على صور
ذا القبيل وإن كان من الصعب ان نحكم على انها جميعاً من ريشته . ولرضا عباسي العديد من
للحياة اليومية وللمألوف المناظر بالطباشير الاحمر . وغيرها بألوان راهية . وفي جميعها يتجلى
الفنان الواثق من قدرته . فلا عجب اذا تصاءلت امامه شهرة الفنان بهزاد زمناً غير قصير ،
و اذا أُولع بآثاره محبو الفن الفارسي وانتشرت في مجموعاتهم النفيسة . ولم يقتصر فنُّ رضا
ي ا ولم يُعرف الى الآن على وجه التحقيق اذا كان هو نفس الخطّاط البارع السالف الذكر ام
ـيه اخرى)على هذا التصوير العام البديع، بل شمل كثيراً من وسائل الزخرفة للألواح والأبواب
ق في قصور اصفهان ، فكان فنُّهُ طليقاً في الموضوع والمادة والتعبير على السواء
وكان ابرع تلاميذ رضا عباسي الفنان مُعين وقد اصطفاهُ بصداقته . ومن آثاره الخالدة صورة
ه الذي بقيت تعاليمهُ حيةً قوية حتى نهاية القرن السـابع عشر متجلية في آثار الفنانين محمد
ومير محمد علي ومحمد يوسف وكثيرين غيرهم
وبعد القرن السابع عشر اخذ الفنّ الفارسي يضمحلّ في اهميته لان الفنانين الفُرس عمدوا الى
الأوربيين في التصوير والحفر تقليداً اعمى ، وان كانت ارساليات نادر شـاه الى الهنـد قد
ت وقتيًّا بعض الأثر السابق من المدرسة المغولية وفي بداية القرن التاسع عشر اخذ المصورون
ـ يعنون بالزخرفة التجارية على شتى المصنوعات ، ثم كان لعناية محبي الصور الفـارسية القـديمة
شهود في تقليد الفنانين القدماء، وأصبحت هذه حرفة جديدة لعدد وافر من اهل التصوير في
. كما يقلّد بعض المصريين آثار الفراعنة حبًّا في التجارة ؛ ولكنّ الابتكار الفني لم يتجدد
وإن كان من الصعب الحكم على المستقبل بالنسبة للنهضة الفارسية الجديدة وأثرها في الثقافة
والفنون خاصة

(٧)

مثال هذه المعارف العامة أتحف الشاعر لورنس بنيون مستمعيه في محاضرته الاولى . ومادتها
ة في دوائر المعارف وفي مؤلفات أمثال مارتن وأرنولد وشولتز وغيرهم ، ولكن بنيون اعتمد
رات الصور التي عرضها بالفانوس السحري ، فكان له من كل صورة قصيدة وشاهدٌ نقديٌّ
على تطوّر الفن الفارسي وتأثره بالعناصر المختلفة من الشرق والغرب . وللأسف ليس من
ع اخراج هذه الصور مع هذا المقال مع انها لباب محاضرته، وتتبع عناصرها المتفقة والمختلفة
ذهنية نفسية بديعة . ولـئن فاتتنا بعض التفاصيل وذلك الاندماج الفني المتوالي في تلك

القرون — وهو ما تهيؤه متابعة الصور وحدها — فلا ينبغي ان يفوتنا الاطمئنان الى الحقائق الآتية بصفة خاصة :

(١) لقد كان الفن الفارسي بالاجمال محدود التقاليد ملتزماً للتناسق بين احزائه وترتيب بعض اجزاء البعض الآخر متجنباً الشرود ، ولكنهُ مع ذلك كان ذا جاذبية ساحرة وروعة خاصة فيما الابداع في حدود القيود ، مستشفًّا للحقيقة من خلال الطلاسم ، وللشعلة من بين اسداف الظلام وللصواب من بين عوامل الضلال كما يستخرج التبر من التراب

(٢) كان فتح العرب لفارس حادًّا من اتساع الفن الفارسي ولكنهُ لم يكن قاضياً عليه بل كان واسطة نقل الثقافة الغربية من شعوب البحر الابيض المتوسط الى فارس . وقد كان الفن الاسلامي قائماً قبل ذلك بقرون ، فاكتسب من الاتصال بالفرس كما تجلى ذلك في مدرسة بغداد وبالمثل استفاد الفرس منهُ . ولم يقتصر ذلك على التصوير بل تناول الهندسة المعمارية وصناعة الخزف وزركشة الانسجة وغير ذلك

(٣) استفادت فارس فنيًّا من موقعها الجغرافي بين امم شتى ومن تقلب الدول الحاكمة عليها فتأثرت بثقافة الاغريق والبيزنطيين والهنود والصينيين . ولئن بكى الفرسُ انقراض الدولة الساسانية ورضخوا لنفوذ العرب من القرن السابع الميلادي الى القرن السابع عشر ، فانهم قد غنموا فنيًّا من الاتصال بشتى الامم وما لبثت روحهم الوطنية ان تجلت ثانية في الأعمال الفنية بعد ان هضمت هذه العناصر الاجنبية ، من مسيحية واسلامية ، من غربية وشرقية . وفي هذا دليل كاف على ان الفن يحييها الاختلاط ومن عادتها ان يهضم بعضها بعضاً وبهذا الغذاء الجديد يترعرع كل منها . وقد كان الشعر اكثر تأثراً بهذه العوامل من التصوير

(٤) قد تستنكر بعض الفتوحات من الوجهة الوطنية او الدينية او الانسانية او من وجهة حضارة خاصة كما يستنكر فتح المغول وما صحبه من التدمير الكثير . اما حكم الفن فقد يختلف كل الاختلاف عن ذلك ، فان هؤلاء المغول انفسهم كانوا حريصين على حياة الفنانين واهل الحرف والصناعات في الاقطار المغزوة وان جنوا ما جنوا على غيرهم وان أساءوا تقدير آثار العرب الا انهم لم يجنوا على المكتبة العربية شرَّ جناية !

وقد كان المحاضر موفقاً كلَّ التوفيق للأسباب الآتية :(١) تناوله موضوعاً شرقيًّا فنيًّا هو الشغف العظيم الذي ابداهُ في عاصمة شرقية وفي بيئة مثقفة تقدّرهُ ، (٢) اظهاره المحبة الواجبة للأعمال الشرقية المجيدة وتأييده لعالمية الفنّ الذي يجب ان يُقدَّر ويُخدم من جميع عارفيه على اختلاف الامم ، كما ان الفنّ نفسه لا يحجم عن تناول عناصره المفيدة من شتى الامم ، (٣) ملاءمة البيانية في اسلوب فصيح جزل وفي لهجة شعرية تتطلع الى ما وراء الصُّوَر من روح فنية هي الجمال في هذا الوجود

العلم واحياء الموتى

هل يفوز العلماء بذلك ؟

[عن مجلة العلم العام : نقلها عوض حمدي]

وقف في كليفورنيا ثلاثة رجال مرتدين ثياباً قشيبة ، حول منضدة للعمليات الجراحية ، في مختبر من المختبرات العلمية . ورُقِّد أمامهم كلب صيد سليم الجسم كل السلامة ، على غطاء من الجوخ فوق المنضدة ، فوضع احد اولئك الرجال كمامة على فم الكلب وأدار الآخر صمام صهريج محتوٍ على النيتروجين ، فانقطع الاوكسيجين عن الكلب ، ولم يستطع النيتروجين وحده القيام باسباب الحياة . ولبث الكلب ان سكنت حركتهُ فتراخت عضلاته ثم مات وخُيِّلَ للجمع أن موته أزليٌّ

وحينئذٍ جاؤوا بمحاقن للحقن تحت الجلد ، وسوائل مجهولة التركيب ، محفوظة في قوارير محكمة السدّ . وكان قد انقضى على موت الكلب اربع دقائق . فأخذ احدهم ينظر في ساعته ، والآخر يملأ المحقنة من احدى القوارير ثم يغرزها في صدر الكلب الميت حتى تنفذ سنها في قلبه . وغطى الرجل الثالث كمامة الكلب بقناع محتو على اوكسيجين فتقوت اعصابه حينما زال عنهُ ذلك العبء فوضعت على صدره مستقصية صدرية ، وما كادت تحس بنبضهِ حتى صرخ واضعها قائلاً « لقد جعل القلب يخفق »

تلك الوسيلة تمنّى لهم احياء الكلب وقد قضى اربع دقائق ميتاً . ثم قضى يومين تيسّر لهُ في اثنائهما استئناف تناول الطعام . ولم تنقض اسابيع قليلة حتى تمنّى له المشي والعدو واللعب واطاعة الاوامر التي تلقى على مسامعه

فتحقق على ذلك الاسلوب ، حلم طالما شغف بهِ الناس من قرون . ونعني بهِ اعادة الحياة الى الموتى !! أجل ان الذي جربت فيهِ التجربة ، كلب ، بيد ان الدكتور روبرت إ . كورنيش العالم الكليفورني الشاب الجريء ، الذي تمكن بتلك الوسيلة من التغلب على الموت ، زعم بأنهُ سوف يستطيع بتلك الطريقة احياء الموتى من البشر اذا ماتوا موتاً اسود [1] . وقد حذا حذوه في ذلك الاعتقاد جماعة من علماء بلتيمور وكليفلند وروسيا وسويسرا . فأصبحوا يقولون ان بعض معجزات العصور الغابرة سوف تتكرر يوماً ما بوساطة العلم الحديث

ومن هذا القبيل ان فئة من الباحثين المحققين ، أتيح لهم في مستشفى جونس هوبكنز في بلتيمور احياء بعض حيوانات كانت الكهربائية قد صعقتها فنفقت ، فدهشوا اذ تبين لهم حقيقة غير مألوفة ،

---

[1] الموت الاسود — هو الموت خنقاً

وهي ان الرعدة الكهربائية ذات التيار الوئيد ، قد تهلك من تصيبهُ . على حين ان الرعدة القوية الغالب لا تحدث اكثر من اضطراب وقتي في سير القلب . فلما استعجم عليهم ذلك الامر ، أخذوا يتفحصون عنهُ ، فثبت لهم ان الرعدات الكهربائية الخفيفة تحل نظام افعال عضلات القلب وتفسدها فتعجز عن القيام بمهمتها متحدة فلا تدفع الدم في مجاريه

واثباتاً لذلك جاؤوا بقطبين كهربائيين يحملان نحو امپير واحد (وحدة لقياس التيار الكهربائي) وسلطوهما مباشرة على قلب كلب فاقد الشعور ، فأحدثا رعدة وقفت اضطراب القلب ، فاستأنف خفقانهُ الطبيعي فعادت الحياة الى الكلب

واستعمل الباحثون المحققون في روسيا قلباً صناعيًّا اخترعهُ الدكتور سرج برو كهانسكي فنجحوا من عهد قريب في اعادة « شبه الحياة » الى امرىء كان قد شنق نفسه وذلك بعد قرر نطس الاطباء موته قبائذٍ بثلاث ساعات فجاءوا بجثتهِ عاجلا الى المعمل الكيميائي حيث بدأ الجراحون بضيعة مستطيلة في شريان وعرق من عروقهِ وادخلوا في كل منهما انبوباً متصلا بالقلب الصناعي ثم أداروا مجرى كهربائيًّا فجذب انبوبهُ (القلب الصناعي) الدم القاتم من العرق فسرى الدم في الرئتين الصناعيتين اللتين في الجهاز حيث تطهر الدم مما يشوبهُ وتشبع بالاوكسجين وقام انبوب آخر بدفع الدم المنقَّى في الشريان ، فما لبثت خلايا الجسم ان امتصت الاوكسجين حتى انتعشت ففتح الرجل عينيه وأخذ يشخص ببصره الى الاطباء المحدقين بهِ كأنهُ قد أفاق من سباتهِ . ولكن تلك الحيوية انطفأت بعد دقيقتين

وحدث من ثلاثة اشهر ان جيءَ بسيدة الى غرفة العمليات الجراحية في مستشفى جامعة بلنبرة وما كاد احد المساعدين يجس نبضها حتى صرخ مذعوراً قائلاً « ان القلب قد بطل عمله » وكان الجراح قد سبق ففتح تحت حجابها الحاجز فتحة فلم يسعهُ وقتئذٍ الاّ ان مدَّ يدهُ منها وضغط بأصابعه على قلبها الساكن وجعل يضغطهُ تارة ويطلقهُ اخرى فأخذ القلب يطلق الدم في المريضة . وكرر الجراح تلك العملية حتى تمكن القلب من القيام بأفعالهِ الحيوية من تلقاء نفسه تمت العملية وشفيت المرأة

وفي جنيف بسويسرا عالمٌ دأبهُ احياء الموتى الذين يموتون غرقاً او صعقاً بالكهربائية ، حين يبطل النبض من اجسادهم وينعدم كل دليل من ادلة حياتهم . فيقوم ذلك العالم بتدليك الميت تدليكاً خفيفاً يستمرُّ من عشر دقائق الى ربع ساعة . وقد أفلح في عدة حوادث اذ اعادة الحياة الى الموتى بتنشيط قلوبهم لأداء افعالها الحيوية

ونسج على منوالهِ طبيب فرنسي فجرب التجربة نفسها غير انهُ لم يقم الميت بل تناول طفلاً روحه قبل ٢٤ ساعة واخذ يدلك قلبه حتى شرع ينبض من تلقاء نفسه . وفي اليابان طبيب نحا نحوه في معالجة قلب صبي ميت . وبحث المسألة الاستاذ ويلدر بنكروفت (المدرس في

كورنل بالولايات المتحدة) وذلك من جهة اخرى اذ توخى تأجيل الوفاة فقر رأيه على رودانات وديوم (Sodium rhodanate) وهي مادة كيميائية مجردة تطيل حياة الانسان سنتين على الاقل . ا اعتاد المرء تناولها بعد بلوغه الخامسة والاربعين من العمر حالت دون تصلب نسيج العصب والمخ ادت في متناولها قوة مقاومته للمرض

بيد ان اعادة الحياة لانسان ثبت انهُ مات ، لما يظفر بها أي عالم . ولكن اغتباط الدكتور رنيش بنجاحه في التجارب التي جربها في الكلاب حمله على الرغبة في تجربتها في أجساد الناس ايضاً ذ يسعى لدى ولاة الامور ليسمحوا له باجراء تجاربه في مجرم اعدم الحياة بالغاز السام . فاذا وا له ذلك ، أوثق الجثة في أرجوحة (مكونة من عارضة خشبية تصعد وتهبط) ودعم الجثة قد كهربائية ليدفئها ثم يحقن العروق بمادة كيميائية وهي صبغ ازرق الميثلين لكي توقف تأثير خرة السامة التي كانت علة الموت . ثم يدخل الاكسجين النقي في الرئتين بوساطة قناع فيتمكن من ر حركة الدم بهز الارجوحة هزًّا وئيداً

وكانت آخر وسيلة توسل بها العلماء الى اعادة الحياة الى الموتى ، حقن سائل منعش في عرق كبير أن يكون معظمه دماً بشريًّا محتوياً على مادة الادرينالين او مادة epinephrine الابنيفرين م الذي يسمى بهِ الادرينالين في الكشف الرسمي الخاص بالمقاقير الطبية) وهي مادة ذات تأثير ي ، تجعل القلب يتقلص تقلصاً شديداً فيعود نبضه الى حالته الطبيعية ولو كان قد وقف بنفسه ويعتقد الدكتور كورنيش اعتقاداً وطيداً أن الميت يمكن احياؤه بتلك الطريقة ، مخالفاً من العلماء الذين يرون أن مخ الانسان الذي تعود اليهِ الحياة ، يصبح عاطلاً عطلاً لا يرجى . ويرى أحد ثقات الاميركيين أن خلايا المخ تأخذ في الوهن متى كف القلب عن عمله أو قبيل حينما يضعف النبض ضعفاً شديداً . وحدد أحد علماء فرنسا الوقت الذي يتم فيه ذلك بعشرين عقب الوفاة . ولذلك يؤكد كثير من العلماء ، بناءً على ما تقدم من الاسباب ، ان الانسان الذي يه الحياة يصير أعمى او مشلولاً شللاً كليًّا أو جزئيًّا أو ضعيف العقل

ثبت الدكتور كورنيش بتجاربهِ التي جربها في الكلاب ، ان الخوف من عواقب اعادة الحياة س لهُ البتة ، لان كلب الصيد المسمى « لزاروس الخامس » الذي باشر الدكتور نفسه إماتته ود « خنقاً » ثم أعاد اليهِ الحياة بعد اربع دقائق ، قد استعاد ذكاءه الطبيعي

ن الآراء في هذا الصدد ان القوة التي يكتسبها المخ بعد اعادة الحياة انما هي أثر من القوى . وان الكلاب التي نزعت من أدمغتها المادة السنجابية المؤلفة للمخ ، أمكن تدريبها على اجابة شارات . وان الكلب «لزاروس الخامس» فاق أقرانه في كل ما أبداه من أدلة الذكاء الفطري اع بعد احيائه النباح وتناول طعامه والوقوف بلا معين والعرجان

سنة ١٨٥٥ وضع اتفاقاً طبيب لندني اساس الوسائل التي يستعملها الآن الدكتور كورنيش

ونعني به الدكتور توماس أديسون Addison احد اطباء مستشفى الملك وكان مولعاً بابتداع علاج لمرض غريب سمي فيما بعد باسم (مرض أديسون) وهو داء يؤثر في القلب وينحس البشرة ويضعف النبض ويحدث فيه اضطراباً ويسمى ايضاً المرض النحاسي . وقد تكشف لاديسون ان ذلك المرض يحدث من عجز الغدة التي فوق الكلية عن قيامها بفعلها الحيوي . وهي غدة صماء يبلغ طولها بوصتين فوق الكلية . ولمفرزاتها تأثير عظيم في القلب وأنابيب الدم . وكان المعروف بشأنها وقتئذ قليلا . وسرعان ما نجح الباحثون في استخراج خلاصة تلك الغدة ، وتبين لهم ان تلك الخلاصة ايضاً ذات مفعول رائع في منع نزف الدم فاستخدموها في الجراحة لذلك القصد . ولكنهم ما عتموا ان ظهر لهم عدم ثبات ذلك التأثير لان الخلاصة الآنفة الذكر كانت تفسد عاجلا اذا تعرضت للهواء فتفقد خاصيتها . وحينئذٍ طفق كثيرون من العلماء في ارجاء المسكونة لايدخرون وسعاً في استخراج العنصر الفعال من تلك الغدة كما فعل زملاؤهم فيما بعد اذ استخلصوا الفيتامينات من الادهان وغيرها من المواد التي في زيت كبد سمك القد

وفي سنة ١٩٠٠ نجح في ذلك العمل عالم ياباني كان قد هبط اميركا وأخذ يمارس عمله فيها . وكان نجاحه عرضيًّا اذ كان قدم اميركا قبل ذلك بعشر سنوات ليدخل فيها طريقته الخاصة بصنع الويسكي فاستبقاه هناك احد معامل تقطير المسكرات في مدينة پيوريا بولاية الينوي فثارت عليه ثائرة حسد ارباب معامل التقطير والجعة في تلك الجهة فأحرقوا معمله ذات ليلة ، فحزن حزناً شديداً اضعف صحته ، فقصد الى مدينة نيويورك حيث زيَّن لاحد صناع الادوية الاستنباط الذي سبق ان امتهن مقطرو المشروبات . فاهتم ذلك الصانع اشد الاهتمام بموضوع خلاصة الغدة التي فوق الكلية ، فعهد الى ذلك العالم الياباني في استخراج العنصر الفعال في الغدة السابقة الذكر . فأنشأ معمل تحليل كيميائي في الطبقة الارضية من مسكنه في نيويورك وأخذ يباشر اعماله حتى تمكن في غضون بضعة اشهر من استخلاص مسحوق ابيض متبلور محتوٍ على الخواص الفعالة للغدة التي فوق الكلية ، وهي مادة طفيفة المرارة ، تبيض الاغشية المخاطية توًّا ، ومستنبطها الدكتور يوكيشي تاكامين Jokichi Takamine فسماها ادرينالين ومن محسن طالعه انه توفي سنة ١٩٢٢ قبل ان يعلم ان الادرينالين وبعض مركباته ذات الاسماء المختلفة ستقوم يوماً ما بالمعجزات

ولم تعرف خواص الادرينالين المدهشة الا في سنة ١٩٢٣ وذلك في احد مشافي مدينة سان لويز اذ وفد عليه شيخ اشيب مدنف فأدخل توًّا الى غرفة العمليات الجراحية حيث عملت له عملية مستعجلة . ثم عقبتها عملية اخرى بعد اسبوعين غير انه بعيد تخديره وقف تنفسه ، ففحص بالـ electrocardiograph المصورة نبضات القلب وهي شديدة الاحساس ، فأظهرت وقوف حركة القلب فاستعانوا على احيائه بالتنفس الصناعي فلم يجد نفعاً ، فقرر الجراحون اتخاذ الوسائل الدالة على الموت

شرة بحقنة من ذلك المحلول في بطينه الايسر فأثر فيه توًّا فلم تمض ثلاثون ثانية على حقنه حتى
د يتنفس وقلبه يخفق

ومن ذلك الحين غدت تلك العجائب امراً مألوفاً . فتمكن الاطباء والجراحون من انقاذ حياة
ت من المرضى بالادرينالين بعيد استهدافهم للاغماء الكلي حين اجراء العمليات الجراحية في
سامهم . ومنهم اطفال ولدوا ولادة مبتسرة (اسقاط) وأشخاص صعقتهم الكهربائية . واصبحت
يقة التي تستعمل لتلك الغاية قاعدة مرعية في المشافي . واستخدمت احياناً لاغراض مدهشة
ك في مدينة دترويت من عهد قريب

وتفصيل الحادث أن عصابة من اللصوص هجمت على مصرف مالي فأطلق الشرطة عليها النار
ابت أحدهم في اثناء فرارهم فأردته قتيلاً ، فنقل الى أقرب مستشفى حيث حقن بحقنة من
ينالين فأفاق حتى استطاع انباء ولاة الامور باسماء شركائهِ . غير ان الاطباء ليس في مقدورهم
ة حالة من الاحوال التي تعاد فيها الحياة الى الميت ، ان يقرروا كونه مات حقيقة . وهذا ليس
ربًا لانهُ ما من أحد يتاح لهُ تحديد الزمن الذي يموت فيهِ الجسد، لان الموت الفجائي لا وجود لهُ
وكثيراً ما قيل ان الموت يحدث بغتة كما ينطفىء المصباح الكهربائي اذا قطعت الدائرة الكهربائية
ها . والوجه ان الموت حادث تدريجي بطيء بمثابة تفرق مملكة ذات مستعمرة مترامية
اف ، فتموت اولاً الحواضر ممثلة في المخ والقلب . أما الخلايا وهي أشبه بالمستعمرات في سائر
، فلا تموت في الحال بل تبقى زمناً طويلاً بعد ذلك وحينئذ لا تصل اليها مؤونة كافية من
جين من تلك الحواضر ، ولا تتلقى امداداً لمساعدتها على مكافحة البكتيريا والتقلبات الكيميائية
واذا غُذيت الخلايا نفسها قد تعيش بل يتضاعف عددها. وقد تحقق العلماء ذلك من عشرين
معهد روكفلر اذ وضعوا فلذة من قلب فروج في سائل من سوائل التربية الكيميائية
ت حية حتى اليوم

وضع عالم آخر من علماء انكلترا فلذة دقيقة من نخاع احدى الضفادع في مخبار محتوٍ على محلول
ع نفسه فعاشت الفلذة ٥٨ ساعة وتضاعف حجمها مئات المرات . واحدث من ذلك ان اثبت
كلترا ان الخلايا الحية التي تؤخذ من جلود الحيوانات وتوضع في محاليل صالحة للتربية قد ينمو
ر او الصوف نموًّا غير محدود

المصير اذن تحديد الزمن الذي تنقطع فيهِ حياة الجسم البشري فيبدأ الموت ، لان الكواشف
لعاجزة عن فتح الشريان لا تخلو من الخطأ . وكذلك وقوف القلب وانقطاع التنفس ، وهما
ك اللتان تصحبان الموت دائماً ، ليسا دليلين قاطعين عليهِ في جميع الاحوال . ومما يؤيد قولنا
ع في لندن يدل على ان بعض الامراض والاصابات مثل التخشب catalepsy او تصلب
« مرض عصبي اعراضه فقد الارادة وسببهُ مرض الجهاز العصبي المركزي» وكذلك القواجع

المثيرة للاشجان تجعل المرء اقرب الى الميت منهُ للحيّ فلا يستطيع الفحص الطبي احياناً اثبات وجو
الحياة . ومن هذا القبيل ان صبيًّا كان يطوف في احد متنزهات لندن فغشي عليهِ ، فظنهُ الذ
شاهدوه على تلك الحال ، ميتاً ، فنقلوه الى أقرب مستشفى حيث فحصهُ الاطباء وايقنوا انهُ قد فارق
نفسه « مات فجأة » فاصدروا له شهادة الوفاة وحملوه الى معرض الجثث المجهولة . وما عتمت ان قدمت
امه وما رأت الجثة وعلمت من الخدم ان ابنها قد مات ، حتى استاءت جدًّا وسخرت منهم . و
لبثت ان عرضت عليهم ثلاث شهادات وفاة سابقة لولدها نفسه المزعوم موته ، فسقط في ايديهم
ولم يسع الاطباء الاّ اعادة فحصه وافاقته حتى دبت فيهِ الحياة فعاد مع والدته راجلاً الى دارها

وقد يتصنع الموت بعض الناس الاصحاء ، ومثال ذلك ان ناسكا هنديًّا اسمهُ هارورداس أسبت
سبوتاً اختياريًّا في معرض مشهور في مدينة لاهور في الهند حتى اقتنع مشاهدوه انهُ قد مات حقيقة
فادخلوه في كيس وخاطوه عليهِ ثم وضعوه في نعش ودفنوه في مقبرة عمقها عدة اقدام ووقف الحرا
حولها يحرسونها اربعين يوماً ثم اخرجوا الجثة من قبرها وجعلوا يبلون عينيه وفمه بالماء فلم يلبث
انتعش وانتصب فطلب طعاماً

واخترعت وسائل كثيرة لتحقيق الموت ، ومنها الجهاز الكهربائي الحساس جدًّا المعروف با
مصورة نبضات القلب . اذا وضع على الصدر دلّ على أخفت خفقة من خفقان القلب ، واخ
الدكتور جورج كريل احد اطباء كليفلند بولاية اوهيو من ثلاث سنوات كشافاً كهربائيًّا آ
وقد أثبت ان الخلايا البدنية تكن شحنة كهربائية تتولد من التفاعل الكيميائي وتنخفض طا
عند الوفاة الى الصفر . والدكتور ايكار الفرنسي يحقن الشخص المزعوم موته بصبغة صفراء في عرو
فان كان في غيبوبة ، نقلت الدورة الدموية الضعيفة التي تبقى في جسده ، تلك الصبغة الى الغ
المبطن للأجفان فيصفر

وكان الناس قبل اختراع تلك الوسائل الكشافة المحققة للموت يذعرون دائماً من الدفن
التحقق من الوفاة . ومنذ ربع قرن سردت جريدة الفيغارو الباريسية اربعمائة حادثة لوفيات اشخ
دفنوا قبل ثبوت موتهم موتاً حقيقيًّا وحلت حملة شعواء على ولاة الامور لاتخاذ أشد الا
لتلافي ذلك الخطأ . وفي سنة ١٩٠٧ جمع أديب انكليزي ٧٠٠ حادثة من ذلك القبيل

وعندي انهُ يحسن وضع جثث الموتى في غرف خاصة بالمدافن ، بعد فحص القلب ، قبل
لكي يسهل على من يفيقون منهم التخلص من الاكفان . وتوصيل هاتيك الغرف والنعوش با
كهربائية قوية توصل الى حجرة حارس المقبرة لتنبهه الى أية حركة تبدو من الميت . وهذا ما
فرنسا والمانيا وغيرهما من نحو ثلاثين سنة وسلكت منهاجه اسرة الطيب الذكر جورجي بك
صاحب الهلال حين وفاته اذ ابقوا جثته يومين بالكنيسة بعد الصلاة ليتحققوا أنهُ قضى
رحمة الله عليهِ

ابن حمزة المغربي

واضع اصول اللوغارثمات

لقدري حافظ طوقان

﴿ مقدمة ﴾ قلنا ولا نزال نقول ان هناك طائفة كبيرة من نوابغ العرب والمسلمين لم يعط لهم في البحث والتنقيب ، وان التراث الاسلامي في حاجة ماسة الى من يكشف عنهُ ويظهر نواحيه بسحب الابهام . نقول هذا مع اعترافنا بما بذله المستشرقون من علماء اوربا واميركا في البحث عن آثار أسلافنا وفي الكشف عن غوامضها . وتدفعنا الصراحة العلمية الى القول أنهُ لولا هؤلاء لما عرفنا شيئاً عن تراثنا وعما وصل اليهِ المسلمون في العلوم والفنون . ونرى واجباً ان نصرح ان الفضل في اظهار جهود العرب الفكرية في ميادين المعرفة المتنوعة يرجع فقط للمنصفين من علماء الغربية ، لا لنا . ولكن رغم كل ذلك فلا تزال هناك نواح في حاجة الى التنقيب وفي حاجة الى من يعنى بها . واذا اطلعت على كتب الفرنجة في تاريخ الرياضيات لسمث وكاجوري وبول وغيرهم رأيت ان عدداً من علماء العرب قد أهمل ذكرهم فنسجت على أسمائهم عناكب النسيان من كل جانب. وقد يكون هذا ناشئاً عن عدم عثور علماء اوربا على آثارهم ، وقد يكون عن غير ذلك . وثمة أسباب غير يسيرة من علماء العرب والمسلمين من الذين عُرفت أسماؤهم ولم تُعرف آثارهم . ولقد بحثت وفتشت طويلاً في البحث عن العلماء المغمورين واستطعت بعد لأي ان آتي على ترجمة بعض هؤلاء في مقالات نشرتها في هذه المجلة ومجلة الرسالة . ولدى مراجعة كتاب « آثار باقية » وبعد الفصول كتاب « تحفة الاعداد لذوي الرشد والسداد » ظهر لي أن ابن حمزة المغربي هو من علماء القرن العاشر للهجرة ومن الذين اشتغلوا بالرياضيات وبرعوا وألفوا فيها المؤلفات القيمة التي أفضت الى قدم بعض النظريات في الاعداد . وسيظهر للقارىء ان ابن حمزة من الذين مهدوا لاختراع اللوغارثمات وان بحوثه في المتواليات كانت الاساس الذي بني عليهِ هذا الفرع من الرياضيات . وهو الجزائري الأصل أقام مدة في استانبول حيث درس العلم ثم عاد في أواخر القرن العاشر للهجرة الى الجزائر ومنها توجه الى الحجاز بقصد أداء فريضة الحج . ويظهر من مؤلفاته انهُ استفاد من ابن الهائم وابن الغازي

﴿ اللوغارثمات ﴾ من الغريب أن تجد في أقوال بعض علماء الفرنجة ما يشير الى عدم وجود بحوث او مؤلفات مهدت السبيل الى اختراع اللوغارثمات الذي أتى العالم عن طريق نابيير . قال مولتون « ان اختراع اللوغارثمات لم يمهد له وان فكرة نابيير في هذا البحث جديدة لم ترتكز على بحوث سابقة لعلماء الرياضيات وقد أتى العالم بها من دون ان يستعين بمجهودات غيره .. » هذا ما يقوله

اللورد مولتون ولكن اسمع الآن ما يقوله العلامة سمث في كتابه تاريخ الرياضيات : « يظهر أن هناك من المسلمين من فكر في ايجاد معادلات يمكن بواسطتها تسهيل الضرب والاستغناء عن الجمع . . . » وقد سبق وأشرنا الى ذلك في مقال لنا نشرناها عن ابن يونس . أما المعادلة التي توصل اليها ابن يونس فهي : جتا س جتا ص = ½ جتا (س + ص) + ½ جتا (س − ص)

ويقول سمث من المحتمل ان نابيير توصل الى اختراع اللوغارثمات عن طريق هذه المعادلة فتكون هذه هي التي اوحت اليه بفكرة اللوغارثمات . ويقول العلامة سوتر « وكان لهذا القانون اكبر شأن قبل اكتشاف اللوغارثمات عند علماء الفلك في تحويل العمليات المعقدة «لضرب» العوامل المقدرة بالكسور الستينية في حساب المثلثات الى عمليات «جمع» . . . »

يظهر مما مرّ ان فكرة تسهيل الاعمال المعقدة التي تحتوي على الضرب واستعمال الجمع بدلاً منها قد وجدت عند بعض علماء العرب قبل نابيير . وزيادة على ذلك فقد ثبت لنا من البحث في مآثر ابن حمزة المغربي ومن بحوثه في المتواليات الهندسية والعددية ان هذا العالم المغربي قد مهد السبيل للذين أتوا بعده في ايجاد اللوغارثمات . يقول ابن حمزة «ان أس الاساس لاي حد من حدود متوالية هندسية تبدأ بالواحد يساوي مجموع أسس اساس الحدين اللذين حاصل ضربهما يعدل الحد المذكور ناقصاً واحد . ولما كان في هذا الكلام بعض الغموض فاننا نوضحه بما يلي .

خذ المتوالية الهندسية الآتية : ١ ، ٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٦ ، ٣٢

وخذ السلسلة العددية الآتية : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦

وقد اعتبر ابن حمزة ان حدود المتوالية الثانية أسساً للاساس في حدود المتوالية الاولى ١ . . .

نظرنا الى المتوالية الهندسية وجدنا ان الاساس هو ٢ . والآن لنأخذ العدد ١٦ فيكون العدد الذي يقابله في المتوالية العددية هو ٥ . ولنأخذ الحدين اللذين حاصل ضربهما يساوي ١٦ وهما ٢ ، ٨ فالعدد في المتوالية الهندسية يقابله ٢ في العددية والعدد ٨ في الهندسية يقابله ٤ في العددية . وعلى هذا خمسة تعدل ٢ + ٤ − ١ = ٥ وهذا يطابق ما قاله ابن حمزة . ولو ان ابن حمزة استعمل المتوالية الهندسية المذكورة اعلاه المتوالية العددية التي تبدأ بالصفر واتخذ الحدود في هذه الاخيرة اسساً لاساس نظائرها في حدود المتوالية الهندسية لكان اخترع اللوغارثمات او على الاقل لاح اهم قانون يسود بحث اللوغارثمات الذي اوجده نابيير وبركز بعده (اي بعد ابن حمزة) وعشرين سنة . ومعنى هذا ان نابيير وبركز اتخذا متوالية هندسية تبدأ بالواحد تقابلها عددية تبدأ بالصفر وبيّنا ان اس الاساس لاي حد من حدود المتوالية الهندسية يساوي اسس الاساس للحدين اللذين حاصل ضربهما يعدل الحد المذكور ، ولايضاح ذلك نقدم المثل الآتي

المتوالية الهندسية : ١ ، ٥ ، ٢٥ ، ١٢٥ ، ٦٢٥

السلسلة العددية : ٠ ، ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤

س السلسلة الاولى هو ٥ واس الاساس للحد ٦٢٥ (مثلاً) هو ٤ واس الاساس للحد ٥ هو ١ وللحد هو ٣ فعلى ذلك يكون اس الاساس للحد ٦٢٥ يعدل اس الاساس للحد ٥ واس الاساس للحد ١٢٥ والحقيقة التي اودّ الادلاء بها انهُ ما دار بخلدي اني ساجد بحوثاً كهذه لعالم مسلم كابن حمزة هي سها الاساس والخطوة الاولى في وضع اصول اللوغارثمات . قد يقول البعض ان نابيير لم يطلع هذه البحوث ولم يقتبس منها شيئاً . قد يكون ذلك . ولكن اليست بحوث ابن حمزة في البات تعطي فكرة عن مدى التقدم الذي وصل اليه العقل العربي في ميادين العلوم الرياضية ؟ ت هذه البحوث هي الطرق الممهدة لوضع اساس اللوغارثمات ..؟

﴿ محتويات كتاب تحفة الاعداد ﴾ والكتاب الذي يحتوي على هذه الموضوعات هو كتاب الاعداد . وقد قال عنه العالم الرياضي صالح زكي انه من اكمل الكتب وهو موضوع في اللغة ية . ويقول عنهُ كتاب كشف الظنون «تحفة الاعداد في الحساب تركي لعلي ابن ولي (وهو ابن) الفه بمكة المكرمة ورتبه على مقدمة واربع مقالات وخاتمة في عصر السلطان مراد خان بن سليم .. » اما المقدمة فتبحث في تعريف الحساب واصول الترقيم والتعداد واستعمل ارقاماً على ل مخالفة للاشكال التي كانت منتشرة في عصره وقد سماها الارقام الغبارية . وتحتوي المقالة الاولى عمال الاعداد الصحيحة من جمع وطرح وضرب وقسمة . وتبحث المقالة الثانية في الكسور ذور في مخارج الكسور وفي جمعها وطرحها وضربها وقسمتها واستخراج الجذر التربيعي للاعداد يحة وكيفية اجراء الاعمال الاربعة للكميات الصُمّ واستخراج جذور الاعداد المرفوعة الى الثالثة والرابعة . اما المقالة الثالثة فتتناول البحث في الطرق المختلفة لايجاد قيمة المجهول وذلك عمال التناسب وطريقة الخطأين وطريقة الجبر والمقابلة . واما المقالة الرابعة وهي الاخيرة فتبحث في يات الاشكال والاجسام كالاشكال الرباعية والمنحنية وبعض انواع الجسوم. وفي الخاتمة اتى المؤلف دد كبير من المسائل التي يمكن حلها بطرق مختلفة ولم يكتف بذلك بل اتى على ذكر بعض ل الغريبة الطريفة وقد حلها بطرق لم يسبق اليها . ويجد القارىء ادناه مسألة غريبة لها حل طريف كاهة فكرية وقد سماها ابن حمزة (المسألة المكية)

﴿ المسألة المكية ﴾ : يقول بخصوص هذه المسألة ان حاجًّا هنديًّا سأله هذه المسألة في مكة ز عن ايجاد حل مرض لها عند علماء الهند اذ لم يستطيعوا ان يجدوا قاعدة لحلها، قاعدة يمكن في الاعمال التي تكون على نمطها . ولا يظنن القارىء ان حل هذه المسألة هيّن ولا يحتاج الى عميق . وسيجد القارىء واخص بالذكر الذي يعنى بالرياضيات بعض الصعوبة في حلها وسيجد ايضاً حل مرض مقنع يسير على قاعدة مخصوصة يحتاج الى اجهاد الفكر وصرف القوى العقلية مدة ن . واظن ان البعض قد يرغب في الوقوف على منطوق هذه المسألة الهندية ، ولذا اعطي كما وجدته في كتاب «آثار باقية» مع بعض التصرف في استعمال بعض الكلمات. والمنطوق كما يلي

ترك رجل تسعة اولاد وقد توفي عن احدى وثمانين نخلة تعطي النخلة الاولى في كل سنة ثم
زنته رطل واحد والثانية تعطي رطلين والثالثة ثلاثة ارطال وهكذا الى النخلة الواحدة والثمانين الـ
تعطي احدى وثمانين رطلاً . والمطلوب تقسيم النخلات على الاولاد التسعة بحيث تكون انصبـ
متساوية من حيث العدد ومن حيث الانتفاع من الثمر اي ان يكون لدى كل ولد تسع نخلات بحيـ
تعطي عدداً من الأرطال يساوي العدد الذي يأخذه الثاني من نخلاته التسعة ويساوي العدد الـ
يأخذه الثالث وهكذا . وقد يجد القارىء لذة في سرد الحل الذي وضعه ابن حمزة ولذا نضعهُ كما يلي:

	الولد الاول	الولد الثاني	الولد الثالث	الولد الرابع	الولد الخامس	الولد السادس	الولد السابع	الولد الثامن	الولد التاسع
	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩
	١٨	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧
	٢٦	٢٧	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥
تعد	٣٤	٣٥	٣٦	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣
	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١
	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩
	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٥٥	٥٦	٥٧
	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٦٤	٦٥
	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٧٣
عدد الارطال	٣٦٩	٣٦٩	٣٦٩	٣٦٩	٣٦٩	٣٦٩	٣٦٩	٣٦٩	٣٦٩

هذا هو الحل الذي وضعه ابن حمزة ولدى التدقيق نجد انه اتبع الطريقة الآتية التي تدل على مقدرته الـ
وقوة عقله في حل المشكلات الرياضية. يلاحظ ان الاعداد في السطر الاول مكتوبة من الواحد الى التـ
وانه في السطر الثاني كتب ١٠ في العمود الثاني وهكذا الى ١٧ وهو العدد الذي في العمود التا
ثم نجد في العمود الاول في السطر الثاني العدد الذي يلي ١٧ وهو ١٨ . وفي السطر الثالث ر
حمزة العمودين الاولين وبدأ بالعدد ١٩ فوضعه في العمود الثالث الى ان وصل الى ٢٥ فوضـ
العمود التاسع ثم وضع في العمودين الاولين العددين اللذين يليان الى ٢٥ وهما ٢٦ و ٢٧ .
السطر الرابع ترك الاعمدة الثلاثة الاولى وسار على نفس الترتيب الذي سار عليه في السابق و
هذه فكرة موجزة عن حياة عالم اشتغل في العلوم الرياضية ورمز في الكتابة غيبا وكان له
عقول متكررة وطرق غامضة في حل العويص من مسائلها لم يسبق اليها . فعسى ان تكون
الترجمة قد وفت بعض حق هذا الرجل الذي كاد أن يكتنفه معمور أو كاد الزمن يمحو ما تر
هذا مختصر ما وجدناه في الكتب القديمة وفي رواية أخرى عن الباحثين

سير الزمان

عقم المؤتمرات الدولية
لتقولا الحداد

الثورة — ٢
الدكتور عبد الرحمن شهبندر

اقطاب السياسة الدولية
المرشال بلسودسكي

الصور : تمثل نواحي من حياة
اليابان الاقتصادية

منسجات اليابان وواردتها

منسجات اليابان

واردتها

القمح

وكاز الحديد

البترول

الارز

القطن

المطاط

تجارة اليابان والولايات المتحدة الاميركية

واردات اليابان من اميركا

واردات اليابان من سائر البلدان

البترول

القطن

الحديد و

الحر

الخا

الخز

صادرات اليابان الى سائر البلدان

صادرات اليابان الى اميركا

THE MENE
سيبيريا السوفيتية
منشوكوو
الصين
اليابان
جزائر الهند الشرقية
الشرق الاقصى وسكانه
كل رجل في الصورة يمثل ٢٠ مليوناً

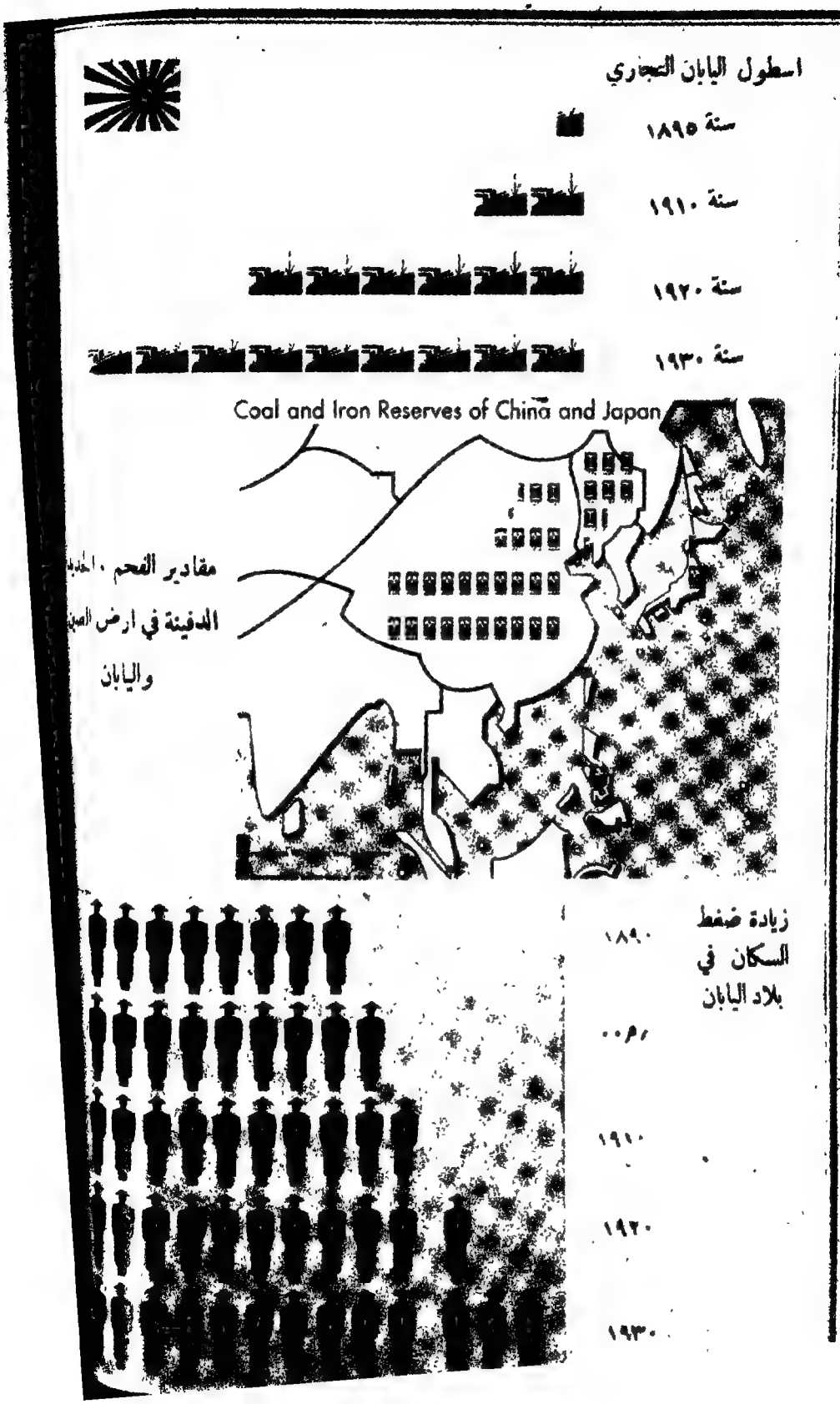
اسطول اليابان التجاري
سنة ١٨٩٥
سنة ١٩١٠
سنة ١٩٢٠
سنة ١٩٣٠
Coal and Iron Reserves of China and Japan
مقادير الفحم ، الحديد
الدفينة في ارض الصين
واليابان
زيادة ضغط
السكان في
بلاد اليابان
١٨٩٠
١٩١٠
١٩٢٠
١٩٣٠

علم المؤتمرات الدولية

أين مصدر العدل المطلق ؟

بقلم نقولا الحداد

في الجزء الاسبق من المقتطف فصل ملخص من محاكمة ماتا هاري الجاسوسة الشهيرة التي كانت جس في فرنسا في اثناء الحرب لحساب المانيا . كانت تدافع عن حياتها ببذل عرضها . كانت تدعي كل صلة بينها وبين من احتكت بهم من رجال الحرب من الجانبين صلة عشق وغرام ، وانها كانت بقة وخايلة لا جاسوسة . ولكن هذا الدفاع الخسيس لم يقنع المحكمة ببراءتها فحكمت عليها ت ، في حين أن قضاة هذه المحكمة كانوا يعلمون جيداً ان لفرنسا جواسيس في المانيا وان ومة فرنسا تكافىء خدمهم مكافآت كبيرة ممتدحة عملهم

أفليس غريباً أن محكمة عدل تعد عملاً ما جريمة عظمى اذا عمل في بلادها وحكومتها تعده محمدة مل لاجلها في بلاد اخرى ؟

تحكم محكمة العدل على ماتا هاري بالموت بحجة ان تجسسها أفضى الى قتل كثيرين من الجنود سيين في الحرب . فما هو رأي هذه المحكمة في تجسس الجاسوس الفرنسي الذي أفضى الى كثيرين من الجنود الالمان في الحرب ! فلماذا هذا القتل يعد حقاً وعدلاً ؟ ولماذا ذاك القتل جريمة

جسس ماتا هاري سبّب قتل جزء من الجنود . ولكن سياسة السياسيين القابضين على أزمة د سببت قتل جميع الملايين الذين قتلوا في الحرب . فما رأي محكمة العدل في سياسة هؤلاء ! دها جريمة عظمى ؟ أليس من ثمار هذه السياسة فن الجاسوسية الدنيء ؟

ذا تحولنا الى المانيا وجدنا محكمة العدل هناك تسلك نفس مسلك محكمة العدل الفرنسية . ولكن المحكمتين متناقضة على خط مستقيم . فما تعدّه هذه خيانة عظمى تعده تلك محمدة تستحق . والعكس بالعكس . ومعنى هذا ان ما هو رذيلة في ناحية يحسب مبرّة في ناحية اخرى . للعدل وجهين متناقضين تمام التناقض وكل وجه منهما حق وباطل في وقت واحد . فما هو لحقيقي اذاً ؟ وما هو مصدره ؟

تقول ان لكل دولة عدلها الخاص ، مصدره الحرص على سلامتها . فقبل النظر في هذا ورد بعض الامثلة الكثيرة في المجتمع البشري التي ترى فيها العدالة ذات وجهين متناقضين نفس المملكة فراجعه

في العام الماضي اكتشفت في المانيا مؤامرة محكمة التدبير لقلب حكومة هتلر واقامة حكومة اخرى من خصومها . فبادر هتلر وأعوانه لخنق هذه المؤامرة في مهدها بمحاكمة رؤوسها واعدامهم في ليلة واحدة . فبحسب قانون الدولة اعتبرت تلك المؤامرة جريمة « الخيانة العظمى » واستحق مرتكبوها الحكم بالموت ، وعدّ الحكم عدلا

لو نجحت تلك المؤامرة — وكان ممكناً أن تنجح — وقلبت الحكومة الهتلرية وتمكن المتآمرون من مقاومتها وعدتهم مرتكبين جريمة « الخيانة العظمى » وحكمت عليهم بالموت وفي ظنهم هم انفسه — أفما كان يحسب هذا الحكم عادلاً ؟ طبعاً . اذن للعدالة وجهان متناقضان في البلد الواحد

الثورة اليونانية الناشطة الآن حين كتابة هذه السطور تجعل العدل في كفتي ميزان متساويتين لا ندري الى الآن أيتهما ترجح . وانما ندري ان مصدر العدل في مثل هذه الحال هو حيث ترجح القوة

وفي الثورة التركية التي أفضت الى خلع السلطان عبد الحميد مثل آخر أوضح . فقد حوكم عبد الحميد عقاباً عادلاً بحسب قانون الدولة لأن هذا السلطان حاول القضاء على الدستور وعلى مجلس المبعوثان . ولكن لو نجح عبد الحميد في قمع الثورة وعاقب زعماءها بالاعدام بتهمة الخيانة العظمى أما كان يحسب هذا الحكم عدلاً بحسب قانون الدولة ؟ اذن أليس للعدل وجهان متناقضان في البلد الواحدة . فأين هنا الحرص على سلامة الدولة الذي هو مصدر العدالة كما تقول ؟

اذن . فلنبحث عن مصدر العدالة في مقام آخر غير سلامة الدولة . بالبداهة نفهم ان العدالة المطلقة ذات وجه واحد لا يتلوّن مهما تغير المكان أو الزمان والاّ فما هي عدالة بل هي ضرب استبداد أو انتقام . فأين نجد هذه العدالة ؟ أو ما هو مصدرها ؟

أين مصدر العدل المطلق

اذا تبحرنا في مصدر العدل غير المتلوّن لا نجده الاّ في فلسفة « أدب النفس » القائلة ان العدل الذي مصدره سلامة الدولة يفترض ان الاقوام من طينات مختلفة ولكل قوم الحق الاعلى الذي ليس لغيره . ولذلك تبقى سلامة الدولة تحت خطر . ولكن العدل الذي مصدره « أدب النفس » يفترض ان الاقوام جميعاً من طينة واحدة . جميعهم بشر ، تجمعهم الانسانية ، والحقوق متساوية عليهم بالتساوي . فاذا روعي هذا الادب النفسي فلا تبقى سلامة الدولة في خطر البتة بل يجب ان تصبح في ضمان وأمن

فالعدل الذي مصدره الحرص على سلامة الدولة عدل مزيف خطر قتّال . واندفاع الدول واطماعها بدعوى الحرص على سلامة الدولة ونجاح الامة الاقتصادي ورفاه الشعب هو الذي سوّغ للساسة جميع وسائل التقتيل والتنكيل الشريرة والخبيثة . وهو الذي سوّغوا به الجاسوسية

(١) قمت الحكومة الثورة اذ كان هذا المقال تحت الطبع وقررت الغاء مجلس الشيوخ لان اكثريته ضد الثورة فكيف يتفق هذا الالغاء مع الحكم الجمهوري واذا كان مجلس الشيوخ يمثل الامة فأي الحزبين يمثلها مغتصباً او ثائراً ؟

حروا العدل لتبريرها هنا وتجريمها هناك . وهو الذي برروا به النفاق السياسي و[illegible] الدولي
غير ذلك من الوسائل الشيطانية للحرص على سلامة الدولة - واخيراً هو الذي جعل الجهاد الحربي
ل « الوطن » فرضاً مقدَّساً . فالتنازع الذي تثيره المطامع جعل الشر فضيلة و[illegible] محمدة . فهل
ن من عدل هذا مصدره ؟

قد تقول : سلمنا ان فلسفة « ادب النفس » هي مصدر العدل الحقيقي على افتراض ان جميع
م من طينة واحدة لا امتياز لاحداهنَّ على الاخرى بل هنَّ متساويات في الحقوق والعدل
ني هو تمتعهنَّ جميعاً بهذه الحقوق بحيث لا تفتئت احداهنَّ على الاخرى وتهضم حقها . ولكن
م هذا العدل بينهنَّ بالفعل ، اي عمليًّا لا نظريًّا فقط . يستلزم وجود سلطة منفذة للعدل . وليس
ن فقط بل يستلزم ايضاً وجود سلطة قضائية تفسر العدل او تطبقهُ على مبادىء ادب النفس .
مصدر هاتين السلطتين ؟

قد يتعمق المفكر في البحث عن مصدرهما الى ان يجدهما في الله تعالى الحاكم الاعلى المقيم في الضمير
ساني . ولكن هل لجميع الانام ضمائر صالحة لاقامة الله العادل فيها ؟ ان تصرفات الافراد والامم
على ان معظم البشر خالون من هذه الضمائر الصالحة . بل تدلُّ بالاحرى على ان ضمائرهم تحتلها
لحة الذاتية . لذلك قامت الدول والحكومات مقام الله . اذن فلنحاول ان نكتشف مصدر تلك
لطة المزدوجة : سلطة القضاء وسلطة التنفيذ في مصلحة الجمهور التي تُستمد منها مصلحة الفرد :
المصلحة العليا التي اذا روعي فيها العدل المطلق ضمنت سلام الجماعات والامم والسلم الدولي العام .
بحثنا عن مصدر هذه السلطة وجدناها في قرار الاكثرية . فما يُقره الحزب الاكبر يكون حقًّا .
يحكم به ويقضي يُعدُّ عدلا . فالعدل الحقيقي البشري يصدر من محكمة الاغلبية . اذن لا حيلة في
العدل الاَّ في الاذعان لقرار الاكثرية . ولكن هذا القرار قد يحتمل عيباً يفسده . لان المراد
ي قرار اجتماعي ان يكون صالحاً للمجتمع برمتهِ او اصلح له من اي قرار آخر . افلا يحتمل
كون قرار الاقلية اصلح من قرار الاكثرية ؟ ألا يحتمل ان تكون العقول الاصوب سياسة في
الاقلية والعقول الساذجة الغبية في جانب الاكثرية ؟ هذا محتمل جدًّا ألا يحتمل ان يكون
قادة الاقلية ابراراً ومعظم قادة الاكثرية اشراراً ؟ هذا محتمل ايضاً . فاذاً . العدل المطلق
المطلق غير مضمونين دائماً بقرار الاكثرية . ففي اي شكل من اشكال الاجتماع نجد مصدر الحق
ل المطلقين اللذين يبنى على اساسيهما بنيان المجتمع المتين ؟

هما حاولنا ان نجد ضامناً للعدل في شكل سلطة بشرية غير الهية نجد اننا لا نستغني عن الضمير
الذي يوحي بالعدل المطلق من غير تحيز لمصلحة ذاتية او حزبية . ولذلك يستحيل ان نجد
النزيه الطاهر الاَّ في مجتمع تمكن في افراده او في معظمهم « ادب النفس » — الفضيلة . حينئذٍ
ا او يندر ان يكون قرار الاكثرية غير سديد . وان ظهر انهُ خاطىءٌ فلجهل لا لسوء قصد .

وثمة يصلح جانب الاكثرية خطأَهُ من تلقاء نفسهِ بعد اختباره ، بلا ثورة ولا نزاع خطـ
سلامة المجتمع

اذن . سبب ان للعدل وجهين متناقضين كما رأيناه في الامثلة السابقة هو ضعف « ادب
في البشرية . واذا تيقنا صحة هذا السبب علمنا سرًّا تحار فيه الافهام الآن . وهو سر
المؤتمرات السياسية العديدة التي عقدت على التوالي بعد الحرب (وقبلها ايضاً) لفض
الدولية المختلفة وتسويتها ولنزع السلاح وتلافي الحروب

ان تدابير ساسة الدول منذ صارت السياسة انظمة مقننة تصدر من ضمائر تمثلها شيطـ
والمصالح المتضاربة المتلاعنة . ضمائر خلت من روح العدل المطلق الحقيقي . ضمائر مجردة من
النفس » العالي . ضمائر دساسة كائدة ماكرة . لذلك يستحيل ان يسفر اي مؤتمر دولي
سلمي عادل خالٍ من الضغائن والاحقاد . وبالتالي يستحيل ان تقوم للسلم العام قائمة ما
الامر في ايدي ذوي هذه الضمائر ...

ان شيطان المطامع والمصالح المتنافسة يزين لكل فئة من ساسة الدول ان مصلحة شعبها
اهتضام حقوق الامم الاخرى في الحياة ؛ وتحلل للامة القوية استعباد الامة الضعيفة . و
انتهاز الفرص للتحكم بأمة اخرى منكوبة بضعف او بأزمة او بمشكلة داخلية او خارجية
اساس كل سياسة دولية الآن وعلى هذا الاساس تئتمر الدول فيما بينها وكل منها « تشد
الى ناحيتها » . فكيف يمكن ان تتفق فيما بينها وتعقد معاهدات محترمة نظيفة من
الضغينة والحقد

واذا كان مصدر العدل الدولي مصلحة الدولة او الامة كما ترى فلا مناص من ان يكو
العدل متلوناً بألوان مطامع الدول او الامم انفسها . فالاستقلال مثلاً الذي هو حلال للامة
حرام في نظرها على امة اخرى . والحق الذي لهذه هو مغنم لتلك . والرزق الذي تحصله هذه
تلك وهلمَّ جرًّا . لان القوة ، لا « الادب النفسي » المطلق ، تملي ذلك العدل وتعين الحق
بحجة ان مصلحة الامة القوية تقتضي هذا الاملاء . بحسب هذا التشريع الدولي « المـ
احتلت انكلترا مصر لكي تأمن على طريقها الى الهند . واحتلت فرنسا سوريا لكي يكون لها
حربي يعزز قوتها البحرية في البحر المتوسط ، الى غير ذلك من الامثلة العديدة المتنوعة

فلو كان للمجتمع الاعظم تشريع واحد يقيم عدلاً واحداً مطلقاً غير متلون لكانت
الاممية في الاستقلال والاسترزاق ، و (بعبارة شاملة) في الحياة ، موزعة على الامم بالتـ
وحينئذٍ يحفظ هذا العدل لكل امة نصيبها من الحقوق ويتدارك التنازع فيما بينهما . ولكن
عادلاً كهذا لا يزال نظرية تجول في العقول ولمَّا تبرز الى حيز المفعول ، لان الامم بالرغم
اصبحت مشتبكة في المصالح والمعاملات والعلائق لا تزال في فوضى حزينة ، لا نظام ينظم

ع عام يقيدها، وليس ثمة قانون دولي متين مبني على العدل المطلق الذي يوحيه «أدب النفس» يرشدها.
ان العلائق الدولية في فوضى مطلقة بلا نظام ولا قانون لان المصالح الذاتية والمطامع الدولية
كل قانون ونظام بل هي تدوس كل قانون دولي (وتتمرد على عصبة الامم). وما تلك المعاهدات
تعقدها الدول الا شعوذات تضحك بها بعضها على ذقون بعض. لانه متى اقتضت المصلحة الذاتية
ها عاتها قصاصات ورق: لذلك اقول ان العلائق الدولية في فوضى بلا نظام ولا قانون وبالتالي
ل فيها على الاطلاق

وهنا لا بد ان يسأل القارىء نفسه: الى متى تبقى علائق الدول في هذه الفوضى في حين ان
اليوم بلغ من المعرفة والعلم ما يقنعه بسهولة ان النظام اساس كل نجاح وسعادة؟ أما حان
الامم ان يفهموا ان السلام لا يتأيد الا بنظام عادل! أما اقنعتهم حوادث التاريخ القديم والحديث
جعل المصالح الذاتية فوق كل نظام وقانون لهو مدمر للمصالح نفسها. وان نتائج الحرب الكبرى
يرة كانت البرهان الساطع على ان تصادم المطامع دك اركان سعادة الامم الى الحضيض؟ فما حان ان
ا عن هذه الفوضى الدولية ويجنحوا الى نظام دولي وطيد مقيد بقوانين عادلة؟ فاين العلم
المعرفة وابن العباقرة؟ وما نفع هذه المدنية الجديدة التي نحن فيها؟

أين بؤرة هذه الفوضى الدولية

الجواب: ان مدنية هذا العصر فاقت المدنيات الغابرة بالعلم فقط وقصرت بالادب النفسي
ا عظيما. لا تزال منحطة ادبيًّا كما كانت منذ الفي قرن. لذلك بالرغم من ان اشتباك العلائق
ستلزم نظاماً دوليًّا قانونيًّا متيناً لا تزال المطامع الفردية والشعبية تحول دون كل تنظيم
ولي. فبؤرة هذه الفوضى هي هذه المطامع.

صر هذه المطامع في نوعين رئيسيين وفي فئتين من الناس: هما فئة الرأسماليين الجهلة العميان،
ساسة الماكرين المغرمين بالسؤدد. اولئك استعبدهم اله المال. وهؤلاء استعبدهم اله الشهرة
غرام اولئك ادخار الثروة ولو نهباً. وغرام هؤلاء الاستعلاء الى المناصب ولو على عواتق
كلا الفريقين متعاونان — كلاهما مجردان من «أدب النفس». لا عدل مطلق يقيم في ضمائرهما
يزين الساسة للشعب ان هناءهُ وسعادتهُ في الفتح والاستعمار. ويزين الرأسماليون للشعب
المال في المشاريع الكبرى التي تستلزم التوسع الاستعماري، يفتح ابواب العمل لملايين
ذا التزيين الذي يغترُّ بهِ هؤلاء العمال على اختلاف طبقاتهم ويطمعهم بانفراج ازماتهم كانوا
ن للتجند والقتال. ولكن جاءت نتيجة الحرب العظمى عكس ما أغروا بهِ وكانت تجربتها
في ظننا) اقناعاً لسواد العامة ان نتائج الفتح والاستعمار ليست الا مغانم لفئتي الرأسماليين
ن، ومغارم القتل في الحرب والعطلة بعدها لملايين العمال. لذلك لما ارسل موسوليني اول بعثة

جندية الى حدود الحبشة كان الشعب الايطالي يشاهدها ساعة فراقها متبرماً ويقول : لماذا يسير اولادنا الى الهلاك ؟ واما ما ذكر بعدئذٍ من هتاف الحماسة الوطنية للفرق السائرة لم يكن الا رماد في العيون، او كان حماسة مصطنعة

فبالله كيف يتوطد السلم اذا كان العدل الدولي الكاذب يسوّغ لموسوليني ان يختلق حادثة الحبشة وايطاليا لكي ينتهزهُ فرصة لغزو هذه المملكة . ولكل دولة من دول اوروبا في كفها خطة كخطة موسوليني كما يعلم القارىء

ان جميع ساسة الدول بلا استثناء هم من اضراب موسوليني . فانون كل منهم السعي لتقدم أمته تفوقاً اقتصادياً على حساب غيرها عن طريق الرأسمالية . وغايته اقناع الشعب بأنه حقق ذلك وبتقلد زمام السلطة والنفوذ . وما دام هذا التفوق هو هدف كل دولة فلا مناص من تصادم الدول . وبالتالي فلا أمل في اسفار المؤتمرات الدولية عن اتفاق وطيد يؤيد السلم التام الشامل

سيبقى العالم مقاسياً الضيق الذي هو فيهِ الآن ما دامت أزمّة الامور في ايدي الرأسماليين الاغبياء والساسة الافاكين . ولا رجاء بالفرج الا اذا ثاب العالم الى رشده وأقام نظاماً دولياً مبنياً على دستور دولي عادل . ولا أمل بنظام كهذا الا اذا قاب العالم تينك الفئتين عن عروشهما واحتل مكانهما زعماء من اهل العلم الصحيح الذي احيا علمهم فيهم ضميراً صالحاً مشبعاً بالادب السامي

العلم الصحيح هو دين الانسانية القويم الذي وضع مبادىء علم « ادب النفس » على قواعد طبيعية اجتماعية ليكون اساساً لنظام اجتماعي عام يجمع الامم كلها تحت راية واحدة وتمتعها بحقوق متساوية مصونة بقضاء عام عادل حاسم لكل نزاع بينها وكافل لها سلماً خالداً

لذلك يعتقد هذا الضعيف ان اهل العلم الصحيح هم اجدر من ساسة اليوم الذين — الرأسماليين — أجدر منهم بقيادة الامم وتسلم ازمّة السياسة الدولية العامة ، لان معظمهم الضمائر حريصون على العدل المطلق . فاذا ولتهم الامم سياسة امورها جعلوا عصبة الامم الحكومات وقضاءها محكمة المحاكم وسلطتها فوق كل سلطة وقوتها فوق كل قوة بحيث تستطيع أن تحسم كل نزاع بين الامم على قاعدة العدل المطلق الحقيقي . كذا تتلافى الحروب التي كانت ولا تزال تتدهور فيها الثروات ويحرم من التمتع بها العاملون في انتاجها

قد تقول ان هذا الانقلاب الذي يتحول فيه زمام السياسة الدولية من أيدي الرأسماليين والمنصبيين الى أيدي العلماء الصالحين الزاهدين بأبهة المناصب لهو حلم جميل ولكنهُ بعيد المنال فأقول : اذن لا تستغرب اخفاق المؤتمرات السياسية مهما توالت ولو بلغت الملايين عدداً

بعد البيان السابق لم يبق عندك شك في أن سياسة هذا العصر الدولية التي تمليها ارادة وتتحذلق بها عقول المنصبية لهي سياسة عقيمة مستحيلة الانتاج . وسيبقى العالم معرضاً دائماً الى أن ننفضها عن عاتقه مختاراً او مضطراً . ولكن متى يفعل ؟ — من يدري ؟

الثورة

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

(٢)

﴿ الثورة والديموقراطية الصحيحة ﴾ دلّ التتبع على ان الدول التي رسخت قدمها في الطريقة النيابية
[illegible] ديموقراطية حقًّا كالدولة البريطانية لا تجد الثورات فيها مرتعاً خصيباً، وذلك لا لانها ميزاة
كل [illegible] بعيدة عن مواقع الزلل ولا يشعر ابناؤها بشيء من الغبن الفاحش وخيبة الامل بل لان
[illegible] الراسخة تمكنهم كما قلنا في الفصول السابقة من الخلاص من هذه الحكومة بطرق
[illegible] القانونية ومن غير التجاء الى العنف والشدة . ولعل ذلك اعظم ميزة تتجلى بها الطريقة
[illegible] الصحيحة الموفقة ومعظم ما قيل من قبل عن غير ذلك من الميزات دلت الوقائع على
فساد غالباً

واما تلك الدول التي لم ترسخ لها قدم في الاصول النيابية كمعظم جمهوريات اميركا المتوسطة
[illegible] الجنوبية فالدستور فيها يكون بيد الحكومة المتسلطة ألعوبة تفسره وتنسخه وتمسخه كما
[illegible] من غير خوف ولا وجل لان الشعب الذي يجب ان يقوم هذا الدستور على قوته المادية
[illegible] هو شعب لم يختمر له رأي عام ولم تنتظم له ارادة حازمة

ولا يعني هذا الكلام ابداً ان الشعب متى استاء من الحكومة ثار في وجهها وقلبها دائماً بل ان
[illegible] من الاجهزة ولاسيما في ايامنا هذه ما يمكنها من منع بوادر الثورة او من قمعها متى وقعت،
[illegible] الثورة شيء وقمع الافكار شيء آخر — تستطيع الحكومة بقوة الحديد والنار ان تمنع
[illegible] اخرى ان تحل محلها مهما تذرعت هذه الهيئة بزرع الآمال الوهاجة والاحلام الذهبية
لكنها لن تستطيع ان تصادم سيل الافكار المستجدة ولاسيما متى كانت مبنية على العلم الصحيح
المضبوطة ومتفقة مع المصلحة والعاطفة ؛ فمثل هذا السيل جارف لا تقف في وجهه السدود
[illegible] من الثخانة والاحكام

[illegible] الاستاذ (كونارد جل) ان الفلاحين والعمال المحجوزين في قفص من جهل وفقر لا يثورون
[illegible] اسيادهم ما لم يكونوا قد تعلموا ان في طاقتهم الوصول الى غرضهم بالثورة ؛ فمما يستوقف
[illegible] الفلاحين الفرنسيين الذين ثاروا في سنة ١٧٨٩ كانوا اخف حملا من غيرهم من الفلاحين
[illegible] البلدان الاوربية الاخرى وهؤلاء لم يتوسلوا بشيء لتحرير انفسهم ؛ لكن الفرنسيين كانوا

قد فقهوا شيئاً من الديموقراطية مجهولاً عند غيرهم فحفزهم الى العمل ، ولا تقوم ثورة من ا
ما لم يختمر في عقول الناس حلم او امل بتحسن في الحياة — او على اقل تقدير بما يحسب تحسن
مما يعد هذه العقول للانقلاب المنشود، والامل لا الخوف هو الذي يحدث الثورات المتكاثر

﴿ التنظيم ﴾ الاستياء والامل والغاية التي يضعها الزعيم نصب العيون هي عوامل ثلاثة
في حدوث الثورات ولكنها لا تحقق الغرض وتأتي بالانقلاب المنشود الأمتى دخلت فيه
فلتحقيق الثورة لا بد من ايد قوية مارست امزجة الناس وعرفت كيف تستولي على لبهم و
السفينة التي يركبونها . وجميع الانقلابات الخطيرة التي قامت في العالم انما قامت بالتنظيم
الزعامة القوية . وغني عن البيان ان القوة التي نشير اليها هنا ليست قوة الابدان اذ ليس من
ان يكون لزعيم مصارعاً ، ولا شدة الصياح وانتفاخ الاوداج فالسوقة من أهل الشوارع
ويجيدونها خيراً منهُ ، وانما نريد العقلية الروحية التي ترفع المتحلي بها على هام الرجال . وعلى
القوة في الزعامة يكون النجاح في المقاومة

ثم ان الحكومة التي يترتب على الثورة ان تزحزحها عن العرش تتمتع بقوة الجيش
والاسطول في البحر واسراب الطائرات في الجو وسائر ما استحدث من آلات الهلاك
على عيار واسع ، وفي قبضة يدها المحاكم والسجون والمرافق الاقتصادية وما يضاف الى
حثالات نفعيين مأجورين واذناب لا همّ لهم الاّ ان يسبحوا بحمدها آناء الليل واطراف
خرب الوطن والساكنوه ونضبت منابع الحياة فيه ، فلا بدَّ للزعامة والحالة هذه من
القوى الناشئة عن الاستياء وتنظيمها بحيث يكون في مقدورها ملاقاة هذا العدد العديد
وزحزحته عن مكانه

هذه هي العوامل بالاجمال من ناحية زعماء الثورة والقائلين بقولهم فإلى أي حد
الحكومة يا ترى أن تقاومها ؟ وليس الجواب عن ذلك متعذراً اذ قد جرت في الشرق
ثورات متنوعة تزود الباحث بالاجوبة المقنعة ، فحيثما كان الشعب حيًّا نشيطاً شاعراً بضلالة
الغرض الذي ينشدهُ عارفاً رجاله بعيداً عن التوسخ بالاراذل المنحطين ومنظماً تنظيماً يوحد جهوده
الضربة التي يكيلها تنزل على الرأس المقصود في الساعة المعينة ولا يفسح مجالاً للدجالين الذ
يندسّوا بين أفراده وكانت الحكومة جبانة ضعيفة لا سلطة لها على الجيش والاسطول و
القوة وكانت يابسة لا تابى للمقتضيات الزمنية الملجئة التي استجدت فالنتيجة الانقلاب السيء
بل قد لا تكون الامة على الشيء الكثير من تلك الشمائل ولكن خصمها الجالس على
فيها يكون ضعيفاً جباناً غير مزود بغير الملاحظات التي تزيد وساوسه فتقع الواقعة ويتم الا
عشية وضحاها كما حدث في المملكة العثمانية سنة ١٩٠٨ ، فان ثورة محلية دبرها افراد من

للي وكبر من شأنها بعض صغار الموظفين في البرق والبريد فجازت على السلطان عبد الحميد وقواده ـ انقلاب سياسي غاية في الابداع، وزحزحت كابوساً من كوابيس الاستبداد تربع على صدر الامة ان السنين فكاد يقطع الانفاس ، وثلت عرشاً من العروش فحكم في وقت الغد وفعلم الارض و تودعه الصغار

وفي درس الثورة العربية الكبرى والبحث عن اسباب هبوبها وجمودها والنتائج التي نالت عنها لنا على هذه الملاحظات التي قدمناها . فقد ألمعنا الى الانقلاب العثماني في سنة ١٩٠٨ وكان ما سلفناه ان اتجه الرأي العام بين فتيان الترك الى تنزيك سائر العناصر في الدولة عثمانية حتى ـ هذه العناصر في آخر الامر على الترك أنفسهم . ولحظ رجال العرب في الاستانة منذ تلك الاولى المبادىء التي يسير عليها مصطفى كمال باشا اليوم من اصطهاد العربية وقطع كل علاقتها ا أدّى بطبيعة الحال الى ايقاظ القومية العربية من سباتها العميق و بثه العرب الى حوزتهم ة والمعنوية . فعدّ الترك هذا العمل خروجاً على الدولة والثقة فيهم حتى اذا اعلنت الحرب به انتهزوها فرصة فأرسلوا الى سورية وهي دماغ النهضة العربية المفكر طغيتهم احمد جمال باشا يته ومن انضم اليهم من المأمورين فأتوا في البلدان العربية من الاعمال ما يعيد الى الخاطر ان جنكيز خان وهولاكو خان وتيمورلنك فصبت المشانق وسيق اليها رجالات العرب اد باحكام مزورة مصطنعة حتى ان احد الاعلام المرحوم عبد الوهاب بك المليحي كان لحكم صدر عليه بالموت انهُ لا يحب الدولة — يعني يحكم على الناس بالموت والحياة بمجرد الحب ض على طريقة ديوان التفتيش في القرون الوسطى !

اثارت هذه المظالم والمغارم بما بثهُ الزعماء من دعاية استنكاراً عاماً لان لها الزكي المهراق ة الحمراء بيد المستفزين اللاعبين في المنطح يهيج الثيران ويدفعها الى الغضب . أضف الى الجايات السياسية اعمال الموظفين ولا سيما رجال العسكرية منهم وما كانوا يحدثونهُ في الرعية كبرات باسم اعانة الجيش ولو بجمع زجاجات (الكولونيا) وغيرها من العطور . ولم تعدم مثل رص السياسية دولة تنتهزها فتكشف عن ساقيها البضتين الناعمتين وتلوّح للعرب بدياها ي الفتان فنفتح في خيالهم أبواب جنة طالما حلموا بها وظنوا فيها السعادة المنشودة ؛ وقد عاب بعض المتنطعين قبولهم المعونة التي عرضتها عليهم الدولة البريطانية وفاتهم ان صلح السفاحين محادبين بلغ بالناس درجة ان لو نادتهم دولة (هايتي) او قبائل (نيام نيام) للموها وهرولوا بالك والملوح اعظم دولة على وجه الارض — هي انكلترة مليكة البحار وقارون المال

عيوب الثورة العربية الكبرى فهي كبيرة على نسبتها . فمنها ان زعامة على ما تحلّت بهِ من ادة وعزيمة ثابتة كانت عتيقة بالية في تصوراتها ووسائلها « حميدية » في نزعتها طافحة بالكبرياء

على غير اساس تكاد تكون فكرتها ابتدائية ، ومنها ان الرأي العام كان لا يزال في كثير من الاحوال تحت كابوس الفلسفة التي اناخت بكلكلها على عقول القرون الوسطى ، فكان الناس يتأثرون كلمة خلافة وامامة اكثر مما يتأثرون بكلمة وطن وشعب ، ومنها نقص التربية السياسية .. و... ولكن على التحقيق اعظمها فقد التنظيم بين ابنائها فكانت مقاومتهم للسفاحين اشبه ... الانعكاسية الفطرية ليس للرأي فيها كبير شأن ، ولم تتجاوز في عيارها الهبّات الموضعية ... فكانت اذا اشتعلت في جهة بفعل المهيجين لا يعدم الاتحاديون من يساعدهم على اخمادها ... البلاد انفسهم في جهة اخرى ، وقد بقيت بعض الاقطار العربية متعلقة بأهدابهم واهدابهم ... الى النفس الاخير وذلك لا قنوطاً من عقلية الملك حسين واستيحاشاً من فوضى البدو ... طمعهم الاشعبي الذي لا حدَّ لهُ ، او تعمقاً في فهم الخطط الاستعمارية التي تتهددهم من الغ... بدسائس الافرنج بل خضوعاً لنظريات عتيقة انقبرت مع القرون الوسطى وزالت ... الاكليريكية السياسية

ومما اذكر هنا من غرائبها ان نحو ثلاثة آلاف اسير من ابناء العراق الاقحاح كانوا ... (سمربور) من بلاد الهند فبث بعض الضباط العرب بينهم فكرة القومية العربية والجهاد ... الاوطان لانقاذ اخوانهم من مظالم جمال باشا في سورية وخليل باشا في العراق فقبلوا ... الثورة وفيما هم على الطريق انبث بينهم بعض الافراد المستتركين ففتنوهم عن قوميتهم و... وطنهم فلما وصلوا الى (جدة) ونزلوا الى البر يتأهبون للذهاب الى ميادين الجهاد نكصوا ... فجأة وصاحوا بأعلى اصواتهم يحيون السلطان في القسطنطينية بقولهم « پادشاهم چوق ياشا » ... (كمال اتاتورك) مطلق العربية والاسلامية والشرقية يصغي الى صياح العرب هذا ... الباقية من ابناء الخلفاء العثمانيين واحفادهم ويدفع عنهم وصمة التشرد وذل الحاجة

وهذه الثورة السورية التي اندلع لهيبها في سنة ١٩٢٥ قد اتت من اعمال البطولة ما ... بمداد الفخر لكن البطولة شيء والتنظيم شيء آخر ، فقد الجأتنا سيرة الكابتن (كارنه) في ... الدروز وخفة الجنرال (سراي) في بيروت الى انتهاز الفرصة المبتسمة من السخط ... فباشرنا العمل وخضنا غمار الثورة قبل ان يتم تأليف (حزب الشعب) ويتم لنا بتأليفه تنظيم ... من اولها الى آخرها حتى اذا اقتضت الحال ان نضرب ضربتنا شددنا المطرقة وارخيناها على ... بالاوامر المنظمة لتقع الضربة على الرأس المقصود ، فكان اسراعنا الاضطراري هذا سبباً ... الوطن من اقتطاف ثمار جهوده بما يتكافأ مع البذل الغالي الذي بذله بالمال وبالرجال ، ذلك لان ... ويا للاسف لم تثر كلها بل الذي ثار جزء صغير منها وفي اوقات متقطعة

***

﴿ الثورة وقابلية الشعوب لها ﴾ وتقسم الاقوام بالنسبة الى الثورة كما قال الاستاذ (كونارد ...

د سات ، فالدرجة الاولى وهي احطها قوم يأكلون الصفع على رؤوسهم وتشن عليهم الغارات في عقر ديارهم فيستسلمون الى الذل والصغار من مخاطمهم فلا تصدر منهم بادرة واحدة تدل على أنهم يأبون ان يعيشوا فرح السيد الحر بالانطلاق حتى ان الذي يستعبدهم لا يرى حاجة الى مراقبتهم لأنهم يؤدون الوظائف الحقيرة التي يمن بها على رجالهم وكسر الخبز يقتلهم لانهم لا يتصورون حياة بدونه ، ولذلك كما قال الاستاذ قد بلغوا من الانحطاط انهم لن يثوروا

وفي الدرجة الثانية) قوم حاروا المقدار الكافي من الامن والنشاط للاقدام على الثورة ولكنهم يفتقرون الى عدة مادية ومعنوية لا قيام لهم الا بالدفاع عنها والتعلق باهدابها فثاروا لكنهم سرعان ما رجعوا الى الميدان فما عليهم الا ان ينتظروا سموح فرصة اخرى ملائمة وهذه فرصة قلما تسمح حتى اذا ثاروا بالصبر واحتفظوا بقواهم الحيوية

وفي الدرجة الثالثة) قوم عرفوا كيف تؤكل الكتف فنظموا ثورتهم واختاروا حين الوقت لانها ونجحوا في تنفيذها وفازوا بتحقيق غاياتها وتمكن الشعب من عدد ان يسير في الحياة السياسية التي تسير عليها الامم الحية المستقلة

وثمة درجة رابعة هي في نظر الاستاذ ارقى الدرجات واكملها وهي قائمة على التدرج في الانقلاب المحول بالطريقة السلمية المجردة من العنف والشدة . وفي وسع الباحث ان يتصور ان مثل هذه الدرجة هي في حيز الامكان في الشعوب المستقلة ذات التربية السياسية السمحة و د حريتها لامة ثورتها من التعدي الخارجي الذي يهددها في اقدس مقومات حياتها وامة مستعمرات و محميات تطمح الى الطريقة التي رأيناها او سمعنا بها فانتظار خلاصها بالطريقة الشورية التدرجية الهادئة هي القوة المحتلة الفرصة المديدة لامتصاصها وتمثيلها . والمجاز مهما كان جهلا ومنذره ثني معجته الزمن الكافي فهو واصل الى قطع الشجرة حتماً

***

لا مراء أن الحصول على الانقلاب المنشود بالطريقة السلمية — متى كان ممكناً — لا يرغب عنهُ بريقه الثورية الا الحمقى، وهل يترك السهل ويسلك الوعر الا مضطر ألجأتهُ الحوادث الى ركوب خطر ؟

لا النتيجة في الثورات الحاضرة على ان معظم الاعتراضات على الثورة كتب في تقبيح ثر على الانظمة الاجتماعية والاقتصادية التي خضعت لها الجمعية البشرية حتى الآن . وفرت الشيوعية من هذه الاعتراضات بالنصيب الاوفر ، فقد حمل عليها النقاد في بعض البلدان حملة منكرة تنفيراً للخلق منها ومن زعمائها والقائلين بها ، ونمقت هذه الانتقادات وحبّرت خاصة في البلدان المتطرفة في رأس ماليتها مما سنبينهُ في مقالنا الآتي

المارشال بلسودسكي

منشىء بولونيا الجديدة

جاء في انباء بولونيا الحرة ان مجلس نوابها قد وافق على مشروع [illegible] بتعديل دستورها بأكثرية ٢٦٠ صوتاً على ١٣٩ . وقد خول رئاس الجمهورية المعدل الجديد سلطة عظيمة . منها حق تعيين الوزراء وقائد الجيش العام ورئيس العليا وحق عزلهم ، وحق حل ثلث مجلس الشيوخ اي ٤٠ عضواً من ١٢٠ ، دعوة البرلمان وفضه ، وحق معارضة الدول في المعاهدات الخارجية وامضائها ، وشهر الحرب . والراجح ان المارشال بلسودسكي يرضى الآن ان يتحمل للرئاسة ذلك فعلا (سنة ١٩٢٦) محتجاً بضعف سلطة الرئيس !

لسنا نتوقع عادةً ان تكون حياة السياسي حافلة بألوان المغامرة والحوادث ، كأنها منثورة صفحات قصة رومانطيقية . ولكن حياة المارشال بلسودسكي من هذا القبيل . فقد قضى سنوات من حياته منفيًّا في سيبيريا . وسجن في امنع السجون وأشدها احكاماً ، في قيصر (وارسو عاصمة بولونيا) ولم ينجو منه الاَّ باصطناعه الجنون . وانشأ صحيفة ثورية (روبتونك اي العامل) كانت امرأته تغني في خلال طبعها حتى لا يسمع البوليس صوت الطابعة وهديرها وكان هو يحررها ويطبعها ويوزعها . وحارب في خلال الحرب الكبرى في الدول المركزية (المانيا وحلفائها) اولاً ثم انقلب عليها وحاربها وقبض عليه الالمان واعتقلوه في منيع . ثم انهُ في فترة من حياته اشتغل بالتشرد وقطع الطرق في سبيل استقلال بولونيا !

***

لبولونيا تاريخ قومي مجيد حافل بآثار الادب والفن والعلم ، ولكنها بلاد مشؤومة لو ثلاث امبراطوريات عظيمة ، فكانت تتقاذفها وتتشاطرها . هذه الامبراطوريات هي المانيا وروسيا . وقد شطرت غير مرة ، فجزء اخذته المانيا وآخر روسيا وآخر النمسا . فظهور بولونيا بمظهر الامة الموحدة المستقلة درس يلقيه علينا التاريخ ، بأن الشعور القومي في امة ما لا تخمده بالضغط والظلم بل هو كالشعور الديني يتقد ويقوى في ظلال الارهاق والاستعباد

***

ولد يوسف بلسودسكي (سنة ١٨٦٧ في الجانب الروسي من بولونيا) ونشأ في بأحاديث استبداد الروسيين وبطشهم في محاولتهم خفت كل صوت بولوني حر و

استقلال الذي يعمر صدور البولونيين . وكان قد مضى على بولونيا نحو قرن وهي منقسمة مجزأة لكن القرن كان غير كاف لاخماد الشعور القومي . وكانت والدة باسودسكي . واحدة من الامهات التي كن يقرأن لاطفالهن . او يقصصن عليهم، حكايات وأشعاراً تنطوي على عظمة بلادها التالدة ومجدها العجيبة

* * *

كان باسودسكي في العشرين من عمره لما حوكم بتهمة اشتراكه في دسيسة ضد القيصر فحكم عليه بالنفي الى سيبيريا مع ان المحاكمة اثبتت براءتهُ واعراضه عن وسائل الارهاب

في سيبيريا ، جمع باسودسكي أفكاره ونظمها ، وكان معظم المسجونين الآخرين من الاشتراكيين الروس ، فأصبح اشتراكيًّا ، ولكن من نوع خاص . اصبح اشتراكيًّا كموسوليني . يستعمل العرب ، لانهُ حزب ثوري لغايته أي ليفوز باستقلال بلاده . وفي سنة ١٨٩٢ ، عاد من المنفى فأنشأ الحزب البولوني الاشتراكي وأسس جريدة تدعى « لروبوتنك » — وهي لآن اكبر جريدة اشتراكية في بولونيا — ولا يخفى ان تحرير جريدة ليس عادة بالعمل الخافل بالخطر والمغامرة ، لكنهُ يصبح كذلك إذ تضطر أن تخفي مطبعتك الصغيرة في خرابة ، وان تهرّب كل نسخة تهريباً ان اكتشافها يفضي الى السجن . وكان باسودسكي وزوجته يقضيان نحو اسبوع في طبع ٢٠٠٠ نسخة منها اصغر الآلة الطابعة ، ومع ذلك ظل رجال البوليس يبحثون عن مطبعتهِ في مدينة لودز ، مع سنوات قبلما اكتشفوها ، فسجن باسودسكي ثانية . وجاء بعده من أصدر عددين منها في لودز ولكن زعيم الحركة كان في السجن ، بل في امنع السجون

في هذا السجن اصطنع باسودسكي الجنون لكي ينقل الى مكان آخر يستطيع ان يفرّ منهُ . لكن حكام السجن وولاة الامر لم ينقلوه الى مستشفى لامراض العقلية ، حتى كاد تصنع الجنون يصبح حقيقة واقعة ، فنقل الى مستشفى في العاصمة الروسية — بطرسبرج — فهد لهُ احد الاطباء الفرار لابساً بدلة عادية . ثم تزيّى بزي موظف جارك روسي وفر من بطرسبرج . فجاء الى لندن في الحي الذي يكثر فيهِ الثوار الروس والبولونيون . وكانت لندن حينئذٍ مباءة لهم ، بعد ما نفتهم كل بلاد أوربية ان تؤويهم، وكان غرضهم جميعاً ثل العرش الروسي. فما نشبت الحرب الروسية اليابانية سافر باسودسكي الى طوكيو عاصمة اليابان لكي يقنع اليابانيين بمنحهِ الاعتمادات اللازمة لانشاء فيلق بولونية للمحاربة في صفوف اليابانيين. وكان نجاحه مؤكداً لولا أن زعيماً آخر يدعى دنفسكي لم يسبقه الى طوكيو ، وكان دنفسكي لا يعتقد ان استقلال بلاده ينال بالقوة والثورة بل بالحجة والعقل . وحينئذٍ اتسعت شقة الخلاف بين هذين الفريقين من البولونيين ، وكانت مصدر حيرة واضطراب لما بقيت البلاد بعد الحرب الكبرى

يقول باسودسكي في نفسه : اذا لم أستطع ان اكون زعيماً حربيًّا فلا أكون قاطع طريق فجعل

ينشىء العصابات في بولونيا الروسية لاطلاق سراح المسجونين بالقوة ، ومهاجمة الموظفين البريد لكي ينفق ما يسرقه في سبيل القضية البولونية ، وقد فازت احدى عصاباته ، ما قيمته ثلاثة ملايين روبل

ولكن هذه الفترة في حياته كانت قصيرة ، لانهُ أدرك ، ان العصابات لا تحدث الأثر فقال اذا كانت اليابان لا تساعده على انشاء فرقة حربية بولونية فقد تساعده دولة اخرى فتحول فيكفيه رجالها مما يريد وكلا الفريقين يضمر عداءً للآخر . فلما أعلنت الحرب العامة خاض غمارها في جانب المانيا والنمسا خاض غمارها وهو يعلم حق العلم ، انه لابد ان ينقلب يوماً ما عليهما روسيا فيحارب النمسا نفسها ، لان كلتيهما عدو لاستقلال بولونيا . ولما انقلب فعلاً روسيا من ميدان الحرب سنة ١٩١٧ التي الالمان القبض عليه ، وسجنوه في حصن منيع فلما انهارت الامبرطورية الالمانية اطلق الثوار الالمان سراحه وعاد الى بلاده بطلا كلا مائة ألف بولوني الى استقباله في محطة فرسوفيا في ٤ نوفمبر ١٩١٨ . واستقبل مجلس انشأه الالمان ورضيت السلطات العسكرية ان تخضع لزعامته فمنح ساعة دكتاتورية وانتخ رئيساً للدولة وعينه الجيش مارشال بولونيا الاول

***

وما لبث بلسودسكي ان رأى بولونيا مشتبكة في حرب مع روسيا الحمراء . وفي نزاعات السياسة فيها وكان بعضهم يضن على بلسودسكي بالفضل الذي يحق له ، فجمع جيشاً وسار به نحو في أوقرانيا ، ولكن الجيوش الروسية ارتدت اليه بعد ما تغلبت على كولشاك ودنيكين وما تتوغل في بولونيا حتى اصبحت على ميل او ميلين من عاصمتها . اما بلسودسكي فتراجع وجمع فلول الجيش البولوني بعد نداء حار وجههُ الى الامة ، ودحر بهم الجيش الروسي في معركة التي تحسب من العجائب ، وكذلك انتهت الحرب مع روسيا وعقد الصلح في مدينة ريغا سنة

بعد ذلك اعتزل بلسودسكي الحياة العامة فترة قصيرة من الزمن ولكن البرلمان لم يضيع الوقت في الامور التافهة ، فوصفه المارشال ، وصفاً بديعاً اذ قال انهُ « كالقاطرة التي ان تحر قشة » . وفي سنة ١٩٢١ زحف على العاصمة ، وطرد الرئيس — وكان هذا يوم من الايام زميله في تحرير الجريدة الثورية السرية — وتقلد منصب وزير الحربية يرتخب رئيساً للجمهورية ، بل انهُ انتخب ورفض لان سلطة الرئيس محدودة

***

وهو يقيم الآن في قصر بلفدير ، وليس لهُ أي نصيب في الحكم الآ من وراء ستار العيون تتجه اليه في الملمات لانهُ الرجل الذي لم يساوم ضميره في أي شيء يتعلق باستقلال

باب التربيـة

بعض عوامل الضعف في تكوين الفرد

للدكتور محمد بهي الدين بركات بك

التربية ولغة الاطفال

لزكي المهندس

استاذ التربية بدار العلوم

بعض عوامل الضعف

في تكوين الفرد

وطرق علاجها في الاسرة والمدرسة

لبهي الدين بركات بك وزير المعارف الاسبق

[illegible]

سادتي : بينما كنت اطالع منذ أيام احدى المجلات الزراعية استرعى نظري ما قرأته لخبير زراعة [illegible] من قوله ان الفلاح المصري وصل في بعض الشئون الزراعية بفضل مثابرته وارتقائه لزراعته [illegible] من الاتقان لم يصل اليها العلم الحديث فالتجربة علمت من طرق الزراعة ما يأتي بأحسن الثمرات [illegible] قد يدهش المرء لتلك العبارة ولكنهُ اذا فكر أن الحاجة تفتق الحيلة وان الضرورة أم الاختراع [illegible] كيف تستطيع الجهود المتجمعة أن تصل الى ما لا يستطيعهُ العلماء أنفسهم

هذه شهادة العلماء عن نتيجة ما وصلنا اليهِ بفضل عنايتنا بنباتنا وزراعتنا فهل نحن وصلنا الى [illegible] تلك النتيجة فيما يتعلق بتربية أبنائنا وبناتنا ؟

[illegible] الاسف كلاَّ !

[illegible] أي مجلس من مجالس الفلاحين تجدهم يبحثون في أوان الزراعة الملائم لنجاحها وفي طرق [illegible] معالجتها وأحسن الوسائل لاكثار الانتاج وطرق مكافحة الآفات الزراعية وغير ذلك .

[illegible] ذلك مجالس القاهرة تجدهم يتناقشون في السياسة وفي الدرجات وفي [illegible] تفصيل زيد [illegible] وغير ذلك من المسائل التي تشغل الرأي العام . ولكنك يندر أن تجد مجلساً يتناقش في [illegible] معاملة الأطفال وفي أحسن السبل لتربيتهم وتقويم المعوج فيهم وكثيراً ما تسمع الناس [illegible] العيب الى المدرسة والتقصير الى الحكومة ويندر أن تجد من يذكر أن الاسرة هي المدرسة [illegible] الطفل وان للطفل ذاكرة كالمرآة ينعكس فيها كل ما يراه وينطبع أثره في نفسه وينتج نتيجة [illegible] وتكوّنه اذا ما بلغ شابًّا ثم رجلاً

[illegible] فكرنا نحن في تربية أولادنا ان نحجم عن ارتكاب النقائص أمامهم وأن يكون الأبوان [illegible] حسناً لهم ؟ أظن لا

[illegible] جمهرة الآباء والأمهات عندنا لا يشعرون بأن عليهم واجباً لأولادهم ولا بأن الأمثلة [illegible] يراها الطفل ستلازمهُ حتماً مدى الحياة

ألسنا نرى كثيراً من الآباء والأمهات يلقنون أولادهم الكذب ويطبعون فيهم روح الغيرة والحسد بما يقصون أمامهم من الأحاديث ويلقنونهم من الأوامر ؟

فكم من الآباء والأمهات يتنبهون إلى أن كثيراً من القصص العائلية والمشاجرات الزوجية لا يصح ذكرها أمام أبنائهم وبناتهم حتى لا يفقدوا روح العطف نحو أهلهم وحتى ينشأوا بعيدين عما يثقل ماضي أهلهم فيبدلوا حياة أسعد من حياتهم ويعملوا بروح من المحبة بعيدة عن الشحناء وعن الأثرة والأنانية

هل فكر أحد منا في ذلك وعمل عليه في تربية أبنائه ؟ أو لسنا في كثير من الاحيان نتعدى أولادنا وبناتنا الى العمل من طريق بث روح الغيرة والحسد نحو الآخرين ؟ بل من طريق بذور عدم الثقة والكراهة بين الاخوة . فكم من والد يقول لولده (أنا أحبك اكثر من حبي — أخوك بطال — كلّ هذه القطعة ولا تخبر أخاك عنها أو اخفيها منهُ) وغير ذلك مما يبعث الطفل منذ نعومة أظفاره الاثرة والانانية ويغرس في نفسه الغيرة والحسد حتى من اخوته

***

كذلك كان من نتائج عدم تفكيرنا في طرق معالجة أطفالنا أنهُ بينما يفكر كل منا في رفاهة ولده المادية اذا به يهمل الجهة المعنوية اهمالاً تامًّا . فلقد كنا في ماضٍ ليس ببعيد نسمع أن الولد لا حق لهُ أن يجالس أباه وان الزوجة لا تأكل مع زوجها وان الطاعة واجبة على كل منهما نحو ربه وما درى هؤلاء انهم كانوا بذلك يغرسون روح الذل والاستبداد في أبنائهم وبناتهم ويعملون على جميع الصفات الضرورية لجعلهم أفراداً أحراراً في مجتمع يحميهم ويعملون هم على رقيه

حقًّا لقد تغيرت تلك الحالة الآن ولكن تغيرها كان في الشكل أما في الجوهر فلا يزال من الآباء والأمهات يتصورون ان الطفل يجب أن يربى على الادب والطاعة

فالأدب في عرفهم ، ان يجلس الطفل جلسة مخصوصة . وان لا يتحرك في مجلسه ولا ضرب فلا يبكي

وأما الطاعة فهي أن يتلقى الاوامر فيخضع لها مهما كانت وما دروا أن الطفل محتاج الى الحركة وان السكون في الطفولة الاولى علامة المرض والخمول وان من يضرب ولا يبكي يكون ذليلاً حقيراً ، وان من يحرم حق التفكير لا يمكن أن يكون حرًّا ، وان النظام والطاعة غير والخنوع ، وان الوالد لو فكر في حق ابنه عليه لما جعل لتفوقه المادي على ذلك الطفل الوقتية التي تأخذه باللائمة اذا ما اعترض الولد على أمر من أوامره ، اي أثر فيه ، في تربية ولده للأسف نجد الحالة الفكرية في أذهان الناس على الضد من ذلك

فهم يطلبون من الولد أن يكون أداة طبيعية لهم من غير أن يفكروا فيما لتلك الحالة من العمق في تكوين الطفل وما لها من نتائج بعيدة المدى

اد ان من يرى على الخنوع لا يكون عاجزاً فقط بل يقاسي طاغية مستبداً اد ... وفي الامر بدوره
لا ازال اذكر اني في المناصب التي شغلتها كنت احتاج الى كثير من الشجاعة حتى يسعني غالب
الذين كانوا تحت رآستي ان يبدوا رأيهم بحرية لانهُ انطبع في اذهانهم ان
... معناه ان يفنى المرؤس في الرئيس وان الشخص الذي يعارض رأيك لا يمكن ان يكون محباً
لك وان طاعة الرئيس معناها شلُّ كل رأي يخالف رأيه . فلعمري كيف يمكن التقدم في الحالة
الحالة عن ما قدمنا بل كيف يرقى مجتمع تلك حالة افراده

ولا بد لي ان اذكر كذلك اني عندما كنت وزيراً للمعارف لاحظت عدم وجود ادنى اتصال بين رجال
العلم وحثهم على نظم التربية والتعليم ويعملوا على ترقيتها واصلاح ما فيها من العيوب ففكرت في شيء
لكن يراد لتلك الأبحاث وفعلاً دعوت بعض رجال المعارف لمباحثتهم في الامر فسألني حينئذ
هل يكون لتلك المجلة حق نقد النظم الحاضرة فقلت له نعم لان سبيل التقدم والرقي هو معرفة
العيوب الحاضرة ولا يمكن ان نصل الى ذلك بغير النقد وما دامت الابحاث محصورة في الحدود العلمية
البحتة من غير ان تتعدى الى الاشخاص او السياسة او الدين فمجالها حرٌّ للباحثين فجرى وقتئذ شعور
بأنه وفي سؤاله من نفسي بانهُ انما اراد الاستفسار لان الفكرة عرضت في عهد احد الوزراء الذين
تولوا امر الوزارة قبلي ببضع سنين فاعترض عليها ذلك الوزير وقال كيف اسمح لرجال التعليم ومهمتهم
كما هي من الوزارة ونظمها بنقد نظم التعليم

ايتها السادة : ارجو ان لا يدهشكم هذا القول فلقد كان الوزير الذي اشير اليه معروفاً بين الناس
بالحكمة وحسن التدبير وهو ممن تركوا في نفوس الكثيرين اثراً طيباً ولكن لامور شتبهت علينا
في الاسرة فينا اضلَّتنا السبيل حتى صرنا لا نحسُّ بآثار تلك التربية وما تركته فينا من الخنوع
والاستبداد فالتبس علينا الامر وصرنا نرى حسناً ما ليس بالحسن

* * *

... وجه اخرى من نتائج تلك الحالة في الاسرة وهي ان ما يسمعهُ اطفالنا من حديث ابويهم
... ومن عرض الخلافات الصغيرة والحقيرة امامهم ساعدنا على ان نغرس في نفوسهم روح الغيرة
والحقد مما يضعف فيهم روح التعاون والعمل المشترك . ذلك انهُ انطبع في الاذهان من أثر
الغرائز وما نراه فيها من شحناء وبغضاء ، والتعلق بكثير من سفاسف الامور ، والميل الى
الوضيعة ، واثارة الحقد الدفين في النفوس ، مما جعل الناس ينتقدون بعضهم بعضاً
من غير سبب . ومما جعل الكثيرين يظنون انهم لا يستطيعون ان يجعلوا لانفسهم مكانة
ما الا اذا اضعفوا من قيمة غيرهم وشوّهوا اعمالهم . فكم سمعنا عن المديرين في الاقاليم
في المصالح والوزراء في الدواوين انهم يجعلون همهم تشويه ما عمله اسلافهم حتى يكون لهم
الفخر . وكم سمعنا عن خيبة دبَّت بين جماعات انشئت لتعمل متحدة . ذلك لان الاشخاص ربوا على

القطيعة والحقد فلا يفهمون روح التعاون . ولست اود ان اذكر امثلة ما نراهُ في مصر [illegible] موضوعي الليلة ان اتعرض للحياة العامة ولكني اذكر اني كنت في تركيا عام ١٩٢٩ وقد [illegible] مباراة كرة القدم بين الفريق التركي والفريق المصري ولقد كان افراد الفريق المصري [illegible] زملائهم الاتراك ولكن الاسف كان الكثيرون منهم اذا امسك بالكرة حاول ان يدخل [illegible] لينال هو فخر الانتصار وحده . اما الفريق التركي فكان الواحد منهم يأخذ الكرة فاذا [illegible] هجوماً يدبّر صدده مررها الى زميل له وهكذا حتى انتهى الامر بانتصار الفريق التركي [illegible] ونالت تركيا فخر الانتصار مع ان افرادها كانوا اقل كفاءة من افراد الفريق المصري ولكن [illegible] سرًّا للنجاح في الحياة خفي علينا ألا وهو ان التعاون يزيد القوى قوة ويخلق سبباً جديداً [illegible] تعم فائدته الافراد

فالطفل عندنا متروك لمحض الصدفة فهو اشبه بنبات الغابة واحواشها ينمو فوضى لا [illegible] ويقتل قويها ضعيفها ويتغلب خبيثها على طيبها . ولو شئنا له نجاحاً وللانسانية فلاحاً لعهدنا [illegible] يتعهد النبات او الاشجار المثمرة التي نحرث لها الارض ونتعهدها بالسقيا ونطهرها من الحشرات والنباتات الخبيثة ونعمل على تلقيحها باحسن الثمار واجود الاصناف . ولا شك ان هذا [illegible] يحتاج الى النشر والدعاية والمثل الصالح وبالجملة ان رمنا فلاحاً وجب ان نعنى بحالة اولادنا [illegible] والمعنوية كما نعنى بحالتهم المادية والصحية

لقد شعر كثير من الناس بنتائج تلك الحالة السيئة فارادوا معالجتها من طريق معاملة [illegible] معاملة طيبة وغرس روح الاستقلال فيهم ولكن تغلبت فيهم روح الزهو فنظروا الى ولدهم [illegible] لا نظرة الامين على فلذة كبده بل نظرة المفاخر بجمال ولده . ولذلك اسرفوا في طريقة لبسهم [illegible] من الاطفال عندنا يلبسون الحرير والملابس الثمينة بينما ثروة الوالدين لا تسمح بشيء من ذلك [illegible] من الامهات يباهينَ بان ابنهنَّ يلبس احسن من لبس ابن فلان الثري وكم منهنَّ يلبغ بهن [illegible] لا يشترينَ ملابس الاولاد الاَّ من اوربا غير عابئات بالاثر السيء الذي ينطبع في ذهن الطفل [illegible] اهتمامه في تلك الناحية حتى اذا ما شبَّ وجد والديه غير قادرين على ان يحفظا له من النعيم [illegible] في نشأته الاولى فيقع الخلاف في الاسرة ويغلو الولد في طلباته وهكذا تكون الاسرة مصنعاً [illegible] داخلي وفريسة تبذير ينتهي بخرابها

ومن الاسف أن هذا الضعف قد ينشأ بطرق شتى خصوصاً في تربية البنت فان كثيراً من السيدات يضعنَ مسئلة الزي في المرتبة الاولى من تفكيرهنَّ ولا يحسبنَ لثروتهنَّ أو ثروة ازواجهن اي حساب فتنشأ البنت في هذا الوسط ضعيفة مبذرة لا تستطيع ان تقوم بواجبها نحو منزلها نحو اولادها وترى الثروة التي لديها قليلة حتى ولو كانت واسعة ، لانها لا تستطيع لنفسها [illegible] . بذلك ينتقل الآباء من خطإٍ الى خطإٍ آخر. ذلك أن معالجة أمور الطفل من أدق المسائل [illegible]

بها احاديها بالعناية والاهتمام ولا يصح للانسان ان يأخذ برأي من غير ان يقف على جميع وجوهها وأن يبحث عن ذوي الرأي والتجربة للاستشادهم فيه لحين . ومع ذلك فان الانسان ان به والوسط هما كل شيء فان للطبيعة نفسها ولميراث الطفل من الاجداد العديدة التي . ليست له دخلا في تكوينه فنحن اصناعة انما نساعد الطبيعة او نعطلها ولا نستطيع ان نخلق خلقاً جديداً . وما الاسرة الا صورة مصغرة للمجتمع الذي نعيش فيه فمن واجب هذا المجتمع الاخذ وجب ان نبدأ بالاسرة اولاً فاذا ما صلحت الاسرة عمت هي على صلاح مجتمع

لا وقد عرضت لاحد عوامل الضعف في تكوين الاسرة لفرد انتقل الى غير من عوامل ضعف في تكوين الفرد في المدرسة

كثيرا نسمع الشكوى المرة من حالة التعليم ونسمع الصرخة العالية ضد انتشار التعليم في الاريف ة يثار بين المتعلمين والغيظ فالولد الذي يدخل المكتب او الكتاب يرفع بعد ذلك ان يتولى لا من اعمال الزراعة وكثيراً ما نقرأ في الجرائد عن العاطلين من حملة الشهادات وهم نحسب هم من بحيه ونقرأ الاقتراح تلو الاقتراح عن وسائل تفريج تلك الازمة ومايجب على الحكومة ازاءها . قد كان الناس يقدسون العلم ويرونه خطوة نحو الكمال في الانسانية صبحوا الآن يشكون ائدته ويرونه خطراً على المجتمع الانساني ، ومما يجب ان نحتاط من تناوله لا بالقدر الضروري . قد ان كان الشك في فائدة العلم قاصراً على طبقة الجهلة من الناس اصبح حديث الجميع في ارق صر العصمة نسمع كثيراً من الناس يقولون بوجوب حصر التعليم حتى لا تزداد طبقة المتعلمين لا يجدون وظائف في المجتمع فيقلبون خطراً عليه ويكونون اداة اضطراب في البلاد

واذا وجهت هؤلاء القائلين اجابوك على الفور ، الا ترى كيف ان حملة الشهادات صبحوا عالة لامة ، الا تراهم في كل يوم يأتون اليك طالبين وظائف حكومية . وكيف يكون الحال اذا طلا ا مستمرين في تلك السياسة . اليس الاجدر بنا ان نعترف بالامر الواقع ونواجه الحقائق وتترك الافكار النظرية لنكون عمليين وندرأ خطر الفوضى عن البلاد قبل ان نخطف خطف هل حقيقة ان الامور انقلبت رأساً على عقب الى هذا الحد ؟ وهل صح العلم الذي كنا به وكنا ننهي بالحكمة الجارية « اطلبوا العلم من المهد الى اللحد » و « اطلبوا العلم ولو ين » أصبحت خرافة من الخرافات

يا سادة ! لم تنقلب الحقائق ولكنا رأينا حالة شاذة ورأينا اضطراباً في المجتمع كان حالة الشهادات ومتخرجي المدارس ودور العلم فربطنا ظاهرتين احداهما بالاخرى واخطأنا المنطق ا بأن الخطر ناشيء من العلم وناديا بوجوب الحد منه بتقليل عدد طلابه ولكنا لحسن نؤمن بذلك المذهب كل الايمان فليس منا من يرضى بأن يعمل بتلك النظرية بالنسبة لاولاده قت على احدهم كان اول ساع الى المطالبة بالاستثناء الملحّ في الدفاع عن وجوب فتح ابواب

التعليم لجميع الناس والاّ اضطروا ان يرسلوا اولادهم الى اوربا . فالحمد لله الذي جعل غريزة الدفاع عن النفس اقوى الغرائز فهي تتغلب على جميع النظريات وكثيراً ما تصل من ... الى الحل الصحيح غير عابئة بما ينسجه المتفلسفون من النظريات وما ينادي به السفسطائيون من ...

فالحق ايها السادة ان العلم لا يزال هو هو له من القداسة ما كان له في الماضي ولكن ... التعليم والمدرسة عندنا فيها من العيوب ما جعلنا نشعر بتلك الازمة الشديدة التي ... اليوم فضل كثير من الباحثين ونسبوا الى العلم ما هو راجع الى نظم التعليم والمدرسة . فاني ... الى دليل او برهان ان العلم زيادة في المعرفة واذا زادت معرفة الانسان كان اقدر على ... وأكفأ على استثمارها واستدرار خيراتها فاذا ظهر لنا خطر من حالة من نسميهم متعلمين فانما ... ذلك لعيب في تعليمهم وضلال في طريقة تنشئتهم فالتعليم الاولي والابتدائي بل والثانوي ... الولد من ممارسة اي عمل من الاعمال البدنية في اوربا بل يزيده استعداداً للعمل ويفسح له مجالاً ... من التقدم فيه اكثر من غيره . اما نحن فبمجرد ان يصل الولد الى الشهادة يعتبر نفسه ... وظيفة حكومية ولا يرضى بمزاولة عمل ابيه من تجارة او براعة او طهي او غير ذلك

فما السر في هذا ؟ لقد استعرضت امامي عوامل عديدة لتلك الحالة منها ان المتعلمين عندنا ... قليلي العدد فمن تعلم مما يعتبر نفسه انتقل الى طبقة ارستوقراطية تعطيه حقوقاً اكبر من حقوق ... الاوربي تفسر له وجاهته ولكن كيف لم تستطع الازمة الشديدة التي مررنا بها ان تخفف من غلواء هؤلاء الناس بل كيف لا يغير تلك الحالة ما نراه عليه حملة الشهادات من الفقر والعوز ! الجواب عن ذلك هذا كان من شأنه ان يغير تلك الحالة تماماً لولا ان لدينا في تعليمنا عنصراً يبدو في ظاهره ... ولكنه في الواقع عميق الاثر في نفسيتنا وطريقة تفكيرنا . ذلك العنصر هو اللباس الذي يرتديه التلاميذ في المدارس . فلقد قضى النظام المتبع عندنا في المدارس الابتدائية ان يلبس الولد الملابس الافرنجية فهو منذ صغره يلبس لباساً مخالفاً تمام المخالفة للباس والديه فيثبت في ذهن الولد ، بل وفي ذهن والديه ، انه صار من طبقة غير طبقتهم ، فهو من الحكام ، وأهله من المحكومين ، فلا يجب منذ تلك الساعة ان يعمل عملهم ولا ان يساعدهم في مهنتهم فهو لن يكون نجاراً ولا براداً ولا ... بل ولا يصح له ان يكون ناظر زراعة ولا بأماً ولا تاجراً ويجب ان يكون افندينا في الدواوين هو السر في تلك الازمة المريعة ، وفي ان المتعلمين من الاوربيين يقبلون تلك المهن ويباشرونها ... وقد يتدرجون فيها الى ان يكونوا اصحاب ثروة وجاه عريض أما نحن فلا نتولاها ولا نصل بها درجة ما ذلك انهم لا يأنفون العمل مهما كان نوعه بل يحبونهُ ويحترمونه ويباهون به . اما نحن ... مرتبة اقل من مرتبة المتعلم

ولقد شعر بعض رجال التعليم بهذا الضرر في المدارس الابتدائية وتلافوا جانباً منه في الكتاب ولكن تصرفهم ظل ناقصاً فلم يقض على ذلك الشعور في نفس الطفل فظل ولد الكتّاب مخالفاً ...

ف من المزرعة التي يعمل فيها والده عاري القدمين معرضاً للطين والتراب يلوث ملابسه وجسمه
اما علاج تلك الحالة فهو ان يكون المكتب صورة لحياة الولد المنزلية بحيث لا تخرجه عن حالة
سط الذي يؤهل للعمل فيه وبهذا العلاج تمنع الفوضى الفكرية التي تلازم الآن كل من دخل
كتب . اما في المدرسة فيجب ان يلبس الصبية لباساً بسيطاً متيناً . ومن الغريب ان مدارس
ت حتى ارقاها من المدارس المصرية والاوروبية هنا تنحو هذا النحو فتلبس البنات جميعهن
راويل من نوع واحد مصنوعة من قماش قليل الثمن . اما الاولاد فيلبسون رابطة الرقبة الحريرية
الاشعة الغالية الدقيقة الصنع والاحذية الرشيقة القد فما هذا ايها السادة ! وكيف ينتظر لهذا
ولد ان ينشأ رجلاً قوياً يشتغل بساعديه ولا يبالي بمجهود الرجال الجثماني

نشئوا الاولاد تلك النشأة وسترون منهم رجالاً يحبون العمل وينهضون به ويفاخرون
حاجهم فيه فيكونون ملوك الصناعة والزراعة والتجارة كما هو الحال في اوروبا وامريكا . أما تلك
عيشة الناعمة فليست من شأن الرجال الناهضين

جربوا هذا وقدروا تأثيره الادبي والنفسي في الاطفال ودويهم ثم قدروا ما يدره من الخير
في تلك الطبقة المتوسطة من الامة التي رزقت من الصفات الخلقية ومن حب العمل والاجتهاد
المثمرة ما نغتبط له اشد الاغتباط بما يقلل من تكاليف اولادهم ما يجعلهم يستطيعون الاقتصاد
معاشتهم لان تربية اولادهم تصبح في متناول ايديهم فينشئونهم نشأة صالحة تزول معها اسباب
كثيرة من الخلاف الذي يترتب على كون الآباء غير قادرين على اجابة اطماع اولادهم في الملبس والمعيشة
المناظرة فيها ستزول لارتداء الاولاد جميعاً رداءً واحداً

***

هذه ناحية من نواحي الضعف في المدرسة وهناك ناحية اخرى ترتبط بها اذ اننا كما نسمع
شكوى عالية من اصحاب الشهادات كذلك نسمع الشكوى عالية من جانب الجامعة ورجال التعليم
من ان مستوى الثقافة في الشهادة الثانوية اقل مما يؤهل للدراسات العالية ولذلك طالب الكثيرون
من يدخلون المدارس العالية على عدد محدد او نسبة مخصوصة من النجاح في الشهادة الثانوية
ونحن من جهة أخرى نسمع صيحة داوية لآباء الشبان الحائزين للشهادة الثانوية الذين لم يقبلوا
المدارس العالية قائلين لنا ماذا نعمل بأبنائنا وقد وصلوا الى درجة من العلم هي باقراركم كافية
لهم في التعليم العالي

بين هذين الرأيين نرى وزارة المعارف تتذبذب في تطبيق المبادىء فهي طوراً مع الفريق
وطوراً مع الفريق الثاني فاذا ما اتبعت الرأي الاول كثر عدد العاطلين واذا ما اتبعت الرأي
انحط مستوى التعليم ونال الشهادات العالية من ليسوا اهلاً لتولي الاعمال التي يجب ان يؤهل
النوع من التعليم . فاذا لم يجدوا عملاً صرخوا هم بدورهم صرخة طلاب البكالوريا الذين لم

يجدوا محلاً في المدرسة وبذلك تكون الازمة انتقلت من حائزي الشهادة الثانوية الى طلاب الشهادات العالية او حائزيها

ولو انا واجهنا الامور على حقيقتها لكان علاجها ميسوراً . ذلك اننا نرى ان المدارس ... تشترط نسبة للنجاح هي ٦٠ في المائة بينما يمرُّ الطالب في الشهادة الثانوية اذا حاز الامر ... اربعين في المائة والبون شاسع بين الدرجتين في التحصيل. ومن الواجب ان يكون الطالب ... الثانوية مؤهلاً حقيقة للدراسة العالية وان تكون مقدرته على التحصيل قريبة من الدرجة ... للدراسة العالية وبذلك يزول الابهام الموجود في النظام الحاضر ويرى الآباء والابناء ... يمكن ان يقيسوا به استعداد الابناء ويكون الحاصلون على الشهادة الثانوية قادرين على ... الدراسة العالية ويحق لهم حينذاك ان يطالبوا وزارة المعارف بأن تعمل على ايجاد الامكنة ... لجميع المتعلمين الذين وصلوا الى درجة معينة لمتابعة دراستهم العالية . وسينتهي الخطر ... العدد سيقتصر بمجرد تطبيق هذا النظام على من يكونون صالحين حقاً لتلقي التعليم ... تؤهلهم كفاءاتهم للاعمال المنتجة بعد ذلك

وهذا الذي أريده في المدرسة العالية هو نفسه الذي يرشدني الى الحل الصحيح في ... الدراسة الثانوية فشهادة الكفاءة أو شهادة الدراسة الثانوية قسم اول يجب أن يكون ... احداهما يعد للدراسة الثانوية فالعالية وبالتالي تعد لمستوى الثقافة والتعليم النظري والعملي ... والاخرى تعد للمدارس الصناعية والزراعية والتجارية المتوسطة

أما الشهادة الابتدائية فلعمري لست أدري ما هو المسوّغ لبقائها سوى تحميل الوزارة و... والممتحنين عبئها وتضييعهم الوقت على غير جدوى لاجراء امتحاناتها

وهذا فضلاً عما هو ثابت في أذهان الناس جميعاً من أن الشهادة تؤهل صاحبها لعمل ... حقاً على الدولة والمجتمع فمن حاز شهادة رأى لنفسه هذا الحق وتركز في ذهنه المطالبة ... من الوظائف والاعمال فما الداعي لابقاء تلك الحالة سوى مساعدة العوامل التي تتعاون على ... الازمة وخلق طبقة غير القانعين في البلاد

لذلك نرى علاجاً لتلك الحالة ان تكون المرحلة الاولى هي شهادة الكفاءة

على أن يجعل الناجحون فيها فريقين : الفريق الممتاز الذي يكون برهن على استعداد ... الدراسة الثانوية فالعالية . والفريق الاقل استعداداً الذي يصلح لمتابعة دراسته في المدارس ... والزراعية وغيرها واذا نحن جعلنا الوسط المعاشي في المدارس الابتدائية الى الكفاءة على ... فان الاولاد لا ينفرون عند ذلك من مزاولة مهن آبائهم وأهليهم وبذلك نساعد على ايجاد طبقة ... حظاً من التعليم نعمل بنشاط على رقي البلاد الصناعي والزراعي ونتلافى ازمة من اشد الازمات ... تهددنا في مستقبلنا ونغرس في نفوس الامة وشبيبتها ان العلم وحده عصب الحياة ومفخرتها

التربية ولغة الاطفال

لزكي المهندس استاذ التربية بدار العلوم

قد يخيل الى كثير من الناس ان التحدث الى الاطفال امر سهل المنال ولكنهم في الحقيقة واهمون . فان قليلا منا هم الذين يوفقون الى استمالة الاطفال حين يتحدثون اليهم . ولقد يستطيع كثير من الناس أن يسوقوا المعاني الى نفوس الاطفال كرهاً ، ويدفعوها الى اذهانهم عصباً ولكن المربين — آباء او معلمين — لا يستطيعون ان يفخروا بهذا النوع من الاساليب ، لانهم يعلمون ان للاطفال [illegible] خاصة بهم ، واسلوباً [illegible] يكون مقصوراً [illegible] ، وليس من السهل [illegible] كثير من الناس ان [illegible] هذه اللغة او [illegible] هذا الاسلوب

[illegible] هذا هو السبب في [illegible] كثيراً من الآباء [illegible] عن افهام اطفالهم كل ما يريدون ، [illegible] هو السبب كذلك في ان كثيراً من المعلمين [illegible] في ايصال الحقائق الى اذهان الاطفال [illegible] يعرون

[illegible] هذا يقال عن تلك الكتب التي توضع [illegible] فقد رأينا المطابع المصرية في السنوات [illegible] تخرج مئات الكتب ، التي يفرض [illegible] انها تعين الاطفال على فهم دروسهم بأسلوب شائق ممتع . ولكن نظرة واحدة في هذه الكتب حقيقة ان تبين لك ان عدداً كبيراً منها يقصر دون هذه الغاية . لا الخطأ في مادة الكتاب ، ولا العيب في طبعه . ولا الخفاء في صوره . بل لان المؤلف لم يوفق الى اختيار لغة تلائم الاطفال . أو اسلوب يشوقهم ويستهويهم

والواقع ان التحدث او الكتابة للاطفال فن لا يحذقه الا قليل من الناس ، وهو ككل فن يقتضي علماً واسعاً ودراية مستمرة . واذا كان استهواء الكبار بالحديث او الكتابة في معظم الاحيان عسراً شاقاً فاستمالة الاحداث قد تكون أشق وأصعب لانها تتطلب دراية واسعة بطبائع الطفولة ونزعاتها وأسلوب تصورها كما تتطلب معاناة طويلة وتجارب واسعة ومراناً متوالياً ؛ ومن اجل ذلك ترى ان هؤلاء الذين يعجزون عن التأثير في الاطفال في احاديثهم ومؤلفاتهم انما يخفقون لانهم لا يفهمون لغة الاطفال ، ولا يحذقون الاساليب التي تلائم نفوسهم وتستهوي أفئدتهم ومن الخطإ ان يعمد المحدث او المؤلف الى لغة الكبار فيختصرها وينقص من اطرافها ويغير من

اخرج احمد عطية الله المؤلف المعروف بالتعاون مع مطبعة عيسى البابي الحلبي مكتبة للاطفال تحتوي على ٢٥ كتاباً متباينة الحجم والشكل والموضوع . وجعل احدها توطئة بعنوان « الطفل الحديث » ضم فصولا نفيسة لطائفة من علماء التربية في مصر ، فنقلنا منها هذا الفصل لما احتوى عليه من المبادىء العملية في تربية الاطفال

لها وعباراتها ثم يلقيها بعد ذلك الى الاطفال واهما بأنها اصبحت ملائمة لهم قريبة المنال من ركهم ، فقد علمت ان للاطفال لغتهم واسلوبهم وان الطفل ليس رجلاً صغيراً ولا الرجل طفلاً آ ، فلكل عالمه وعقليته واسلوبه ولغته ، فالتفاوت بينهما في النوع لا في الدرجة

ولقد أبان العلم ودلت التجارب على ان لغة الطفل وثيقة الارتباط بحياته العقلية وانها تنمو — ينمو عقله وجسمه — على التدريج . خاضعة في هذا النمو لقوانين نفسية ثابتة ، ممثلة في احل التطور التي سلكتها لغة الانسانية من بدء الخليقة الى الآن ولسنا هنا في مقام يسمح لنا ببيان لك القوانين النفسية التي تسيطر على لغة الاطفال ولكن يكفي هنا أن نبين لك في ايجاز أهم والخصائص التي تمتاز بها هذه اللغة وأهم القواعد التي يجب أن تراعى في أسلوب التحدث اليهم أو

﴿مميزات لغة الاطفال﴾ تمتاز لغة الاطفال فيما بين الخامسة والعاشرة تقريباً بميزات أهمها

(١) ضيق نطاق هذه اللغة ، فنطاق الاطفال اللغوي لا يكاد يتجاوز عشرات من الالفاظ ولكن الذي يسترعي الانتباه في هذا الحصول اللغوي ، هو الكثرة المطلقة للاسماء دون والحروف والواقع أن أسماء الذوات تكوّن الشطر الأول من مادتهم اللغوية ، أما الأفعال فمحدود جداً لا تكاد تتجاوز تلك التي يستعملها الطفل في حاجته الطبيعية الاولية من مثل وشرب ونام وجلس ، ولا تكاد الحروف التي يستعملها الاطفال تتجاوز من الى على ثم و

(٢) يبدأ الطفل بعد ذلك يشوقه العمل والحدث فيأخذ في معرفة الافعال ، ويتنقل من المستوى الطبيعي الى مستوى أرقى ، فهو يلعب ويتعلم من طريق اللعب الانكسار والالتواء والمط والوثب والعض ، وما الى ذلك من أنواع الحدث التي تعرض لهُ في ألعابه ويدرك أثرها ويبدأ يأخذ في استعمال هذه الافعال التي يزداد بها قاموسه اللغوي

(٣) يكوّن الاطفال مما عرفوه من الاسماء والافعال جملاً يتحدثون بها الى رفاقهم وآنائهم ولكن هذه الجمل في مجموعها قصيرة المدى مستقل بعضها عن بعض ، وجلها جمل اسمية لان الاسماء أسماء الذوات تشوق الاطفال وتستهويهم . ومما يلاحظ أن حديث الاطفال لا يكاد يجاوز المحسوس فليس لاسماء المعاني مثل « واجب وفضيلة وصدق وامانة » مكان في محصولهم اللغوي حتى لا يستطيعون ان يفهموا في الدور الاخير من طفولتهم هذه المعاني الا بتجريدها من المعاني ثوباً محسوساً يحس ويلمس ، فهم يفهمون من الفضيلة رجلاً فاضلاً ومن الصدق تلميذاً

(٤) فلا اسماء المعاني ولا الالفاظ الكلية تشوق الاطفال وتستهويهم الا في نحو السنة عشرة من أعمارهم ، حينئذٍ تعينهم تجاربهم في المحسوسات على عقد الموازنات والمقابلات ، والصفات المشتركة وتجريدها من الذوات ولادراك الصلات والعلاقات بين الاشياء ، ويومئذٍ الى المعقولات والالفاظ الكلية واسماء المعاني والحروف والادوات التي وضعت للتعبي الادراك وما اليها . هذه صورة مكملة لما تكون عليه لغة الأطفال . أما القواعد

مراعاتها عند التحدث اليهم أو الكتابة لهم فيمكن ادماجها فيما يلي :

(١) مراعاة ما قدمناه لك من الخصائص والصفات . بحيث يكون كل اسم مقروناً بمسماه أو على الاقل بصورة تمثل مدلوله ، وأن يكون كل حدث أو فعل مصحوباً بتصوير معناه . هذا واجب في جميع أدوار الطفولة ، وهو في الدور الاول منها أوجب . اما الجمل فيجب أن تكون قصيرة تعبر كل منها عن معنى مستقل بالفهم . فاذا كنت بصدد التعبير عن معنى طويل وجب أن تقسم هذا المعنى الكلي الى معان جزئية وتعبر عن كل معنى بجملة قصيرة في مبناها محدودة في معناها .

(٢) اختيار الالفاظ الشفافة التي تنم على معانيها في وضوح وجلاء ، معتمداً في ذلك على المعاني الحقيقية الوضعية للألفاظ والعبارات . فان الطفل لا يستطيع أن يدرك المعاني والعبارات الملتوية المملوءة بالمجازات والاستعارات والكنايات او ما اليها من المحسنات اللغوية . وقد يضطر المحدث او المؤلف احياناً الى عقد التشبيهات لايضاح المعاني . ولكن شرط ذلك ان يكون المشبه به واضحاً جلياً في أذهان النشء ، وان يكون وجه الشبه مما تستطيع عقولهم ادراكه

(٣) مراعاة الوضوح التام في الحديث او الكتابة ، وفي هذا تتفاوت اقدار المعلمين والمؤلفين فكثير من هؤلاء لا يستطيعون ان ينزلوا الى مستوى الطفل ويدرجوا معهُ في احيائه واسلوب تصوره فتجيء عباراتهم نابية عن ذوقه متنافرة مع طبعه . ومن ثمَّ وجب ان يتبسط في وضع الحقائق او القائها تبسطاً تامًّا ، بحيث تستطيع ان تجد سبيلها الى ذهنه في غير عنت او اكراه ، وقد يقتضي هذا بعض التكرار والاعادة للمعنى الواحد ، ولكن في أثواب مختلفة ، وصور شتى وقد يكون هذا واجباً اذا استعملت ألفاظاً أو عبارات لا عهد للاطفال بها

(٤) مراعاة التأثير والروعة في نفوس الاطفال ، وبخاصة اذا كان موضوع الحديث أو الكتابة قصصاً ، فالمحدّث أو المؤلف فنان ، وهو بهذه الصفة يجب أن يعطي الفن حقه من التأثير في نفس السامع أو القارىء . والاَّ كانت عباراته ميتة لا حياة فيها . وليس كل الناس يستطيعون أن يكونوا فنانين ولكن هناك بعض أفراد وهبوا خصوبة في الخيال ولباقة في أسلوب الوضع ومرونة في التعبير ، بحيث يستطيعون أن يبلغوا من نفوس السامعين أو القارئين ما لم يطمح فيه العلماء والباحثون . وقد رأينا بيننا من مهرة المعلمين من يستطيع أن يجعل من أشد المعاني تجرداً صوراً محسوسة ملموسة اذا تحدث أو كتب

(٥) وغني عن القول أن محدّث الاطفال يجب أن يكون «ممثلا» حاذقاً فصوته ونغمته ونبراتهُ وتشخيصه للمعاني وحسن ادائه للعبارات ، كل هذا مضافاً الى حسن بيانه ، مما يؤثر في نفوس الاحداث تأثيراً كبيراً . هذا مجمل ما يجب على المحدّث او المؤلف مراعاته ، سردناه لك في ايجاز من غير ان نعرض للاصول النفسية العلمية التي يستند اليها . وحسبك منها ان ترى ان التحدث او الكتابة للاطفال ليس من الهنات الهينات ، كما يخيل الى كثير من الناس

باب المراسلة والمناظرة

إرشاد لغوي

في كل جرم كلية

للأستاذ عبد الرحيم بن محمود

« الساعور »

كانت الأقطار العربية ، في عهد الدولة العثمانية . تستعمل « حكيم باشي » للطبيب الاول اي أس الاطباء في كل فرع من الطب . وبين ايدينا كتب الاطباء المصريين التي ألفت في هذا العهد وعليها أسماؤهم مصحوبة بألقابهم التركية مثل «رشدي بك حكيمباشي محافظة مصر »

والحكيم عند الترك ،معناه الطبيب و«باشي»معناهُ رأس او رئيس او مقدّم . ولهم استعمال آخر بهذا المعنى وهو أكثر تداولاً في تركيا من الاول . وهو « سر طبيب » وقد شاع في فجر العهد الجمهوري التركي . ولكن الترك في هذا العام لا يقفون على طبيب لانهُ عربي صميم . حتى إنهم غيروا أعلامهم العربية التي اشتهرت أكثر من نظائرها الأعلام مثل مصطفى كمال فسمى « أتاتورك »

واذا قيل فلان هو الطبيب الاول في الجراحة في مستشفى كذا كان هذا خيراً من اللفظ التركي السابق . وخيرٌ منهما استعمال كلمة واحدة عربية صميم بهذا المعنى وهي (الساعور) . وقد أطلعني عليها في محيط المحيط للبستاني ، صديقي محمد عبد الحميد بك مدير مستشفى الملك وساعور جراحيه ومعناها في هذا الملغى (اي محيط المحيط) مقدّم المصارى في معرفة الطب . وقد ظهر لي أن البستاني « أحسن الله إليه » نقل هذا المعنى في محيطهِ من القاموس المحيط للفيروزبادي ، وهو من معاني الساعور . ولا يضيرنا تخصيص المقدم في الطب بكونهِ نصرانيًّا . فان العباسيين أخذوا الطب عن أساتذتهم الاطباء في فجر حضارتهم وكانوا من نصارى اليونان ، كما لا يخفى على القراء . فوضعوا هذا النص اللغوي في ملاغيهم (كتب اللغة) . ثم نقله صاحب القاموس المحيط وعنه أخذ صاحب محيط المحيط

وباذاعة هذا اللفظ كتابةً ونطقاً تذهب وحشته ويصير مألوفاً كما أَلِفنا غيره . ولو ألفينا لفظاً

[illegible] لدفناه ولم نتقدم إلى أبناء العرب والمستعربين باحيائهِ والسلام

مكتبة المقتطف

انقاذ السودان

[illegible] by Pierre Crabitès Routledge, London 12/6—

هذا الكتاب هو ثالث ثلاثة كتبها القاضي كرابيتس في نواح تاريخية من شؤون مصر والسودان . اما الاول فكان كتابه «عن غوردن ومكافحة الرقيق الابيض» وقد انتهى فيه عند مصرع غوردن في الخرطوم

واما الثاني فكتابه عن «اسماعيل الخديوي المفترى عليه» وقد رد فيه على بعض ما عزي الى الخديوي اسماعيل ردًّا قائماً على تحليل الوقائع والموازنة بين اقوال المؤرخين

وهذا هو كتابه الثالث فيه المساعي التي لاسترداد السودان [illegible] احواله من سنة الى يومنا هذا

[illegible]وح لنا ان التنقيب [illegible] الذي نقبه القاضي كرابيتس تمهيداً [illegible] كتابيه الاولين ، مكنه من حقائق الموضوع . فبرز لنا في كتابه الثالث كتاباً ألمعيًّا ومؤرخاً محققاً في وقت واحد فقد كانت المادة التاريخية في «غوردن» و«اسماعيل» متسلطة على اسلوب الكاتب فاذا اسلوب الكاتب في «انقاذ السودان» متسلط على مادته التاريخية يتصرف فيها تصريف الخزاف البارع بصلصاله . فاذا شرعت في قراءة الكتاب استهواك موضوعه وطريقة معالجته . فتمضي في قراءته كأنك تطالع قصة فاتنة مع انك لا تخرج في كل صفحة من صفحاته ، عن اسناد الى ثقة من المؤرخين ، او رجال السياسة . في ما نشروه من كتب او بعثوا به من التقارير الى وزارة الخارجية البريطانية

والغريب في امر هذا الكتاب ، ان المؤلف وهو قاض مدقق قد نفذ الى الناحيتين السياسية

مطبوعات جديدة

تدرس في مقتطف مايو القادم

الانكليز في بلادهم

للدكتور حافظ عفيفي بك

مجلة مجمع اللغة العربية الملكي

ضحى الاسلام

لاحمد امين

محمد

للدكتور محمد حسين هيكل بك

تاريخ الاسلام السياسي

لامين سعيد

شعر ابي شادي الجديد

فوق العباب — الكائن الثاني

العسكرية من تاريخ السودان الحديث تفوذ فهم وادراك . تطالع في كتابه اخبار الوقائع العسكرية وتفصيلاتها الحربية ، فلا تنبو بك الارقام الجافة عن الاورط والسفن وانباء الكر والفر . لان القاضي كرابيتس ادرك الناحية الانسانية في كل هذا . فتراه اذ يكون في سبيل وصف معركة او الاستعداد لمعركة ، يطالعك بصور قلمية ، لشخصيات بارزة من الانكليز او المصريين او السودانيين ، وفي هذه الصور القلمية على الاخص ، يتجلى لك ما سبق ان اشرنا اليهِ ، وهو ان اسلوب الكاتب سيطر في هذا الكتاب على مادة المؤرخ فاندمجا اندماجاً يملك اعجاب المطالع

***

ليس في فصول الكتاب الاولى مكتشفات تاريخية ، ولكن فيها اتزان في عرض حوادث التاريخ يجعل الكتاب في هذه الناحية مرجعاً يصح الاعتماد عليه . فالتراجع من قلب السودان بعد سقوط غوردن واستفحال امر المهدي واشتداد انصاره في شمال السودان وشرقه ، واعداد العدة لاعادة السودان كل ذلك مبسوط بسطاً وافياً ، مخدوم خدمة تاريخية صحيحة . مؤيد بشواهد لا تنقض من أقوال الكتاب والتقارير الرسمية . مما يشهد للمؤلف بسعة الاطلاع وحصافة الرأي ورجاحة الحكم

وانك لتعجب وانت تطالع هذه الفصول لمقام الاقدار في احوال الامم . فكتشنر الذي كان لهُ شخصية في استرداد السودان بعد كرومر ، انما اتصل اتفاقاً بالقائمين من الانكليز على شؤون مصر فقد كان ضابطاً في القسم الهندسي في الجيش البريطاني وعهد اليهِ في الاشراف على مسح جزيرة قبرص فلما نشبت ثورة عرابي طلب اجازة مرضية وأتى مصر وكانت اجازته المرضية لا تتعدى اسبوعاً ولكن يظهر ان الضابط المهندس عجز اتفاقاً (!) عن اللحاق بالسفينة التي كان عليه ان يعود بها الى قبرص ويظهر انهُ في خلال اقامته بالاسكندرية اتصل باحد ضباط « الاستخبارات العسكرية » فلما تم عن عودته الى قبرص ابرق اميرال الاسطول البريطاني الى حاكم قبرص يطلب تمديد اجازة كتشنر فرفض هذا طلب الاميرال مصرّاً على وجوب احترام النظام والخلاصة ان كتشنر عاد الى قبرص ثم جاء طلب من الجنرال ولزلي في مصر الى حاكم الجزيرة بان يسمح لهُ بكتشنر وكذلك كان

ومن محاسن الصدف ان كتشنر كان مهندساً . فان الحملة التي جردت لاسترداد السودان تحتاج الى عمل مهندس تنظم لها جميع وسائل التقدم ويكفل لها اسباب الشرب والغذاء والوقاية الامراض وقد كان كتشنر بطبيعة نشأته اقدر من يقوم بهذا العمل فأصابت الحملة النجاح الذي

***

ومن الفصول التي تستوقف النظر في الكتاب فصل بعنوان « تمويل الحملة » لما تقرر ايفاد الحملة لاسترداد السودان نشأت مسألة المال الذي ينتظر انفاقه في هذا [illegible] مسألة مصرية بحت وانه من العدل ان تنهض الخزانة

ات المطلوبة وان ذلك في وسعها . ولكن يظهر ان لندن لم تلق بالها حينئذ الى ان مفتاح الخزانة
رية . كان في ايدي لجنة دولية هي لجنة صندوق الدين

هنا نشأ صراع بين لورد كرومر وطائفة من أعضاء صندق لدين على مسألة استعمال جانب من مال
كومة المصرية في تمويل حملة السودان . ذلك انه بعد ما قر القرار على «حملة دنقلة» طلب من
دوق الدين ان يمنح ٥٠٠ الف جنيه من الاحتياطي العام لهذا الغرض فأقرّ الصندوق ذلك
ق اربعة اصوات على صوتين وكان المعارضان مندوبي فرنسا وروسيا . فأقاما قضية في محكمة
رة المختلطة . ثم تلي صفحات حافلة بحسن الاستشهاد ودقة التحليل يرد فيها القاضي كرابيتس
ما عزاه لورد كرومر في كتابه الى قضاة المحكمة المختلطة من عجزهم عن التجرد من «تأثير الكهربائية
سية التي حفل بها جو مصر حينئذٍ» وعلى قول المستر تشرشل في كتابه «حرب النهر» اذ قال
لمحاكم المختلطة اصدرت حكمها على اساس الاعتبارات السياسية . والحق يقال ان القاضي كرابيتس
ج من اصطدامه بكرومر وتشرشل في هذا الصدد والحق في جانبه

***

أما تفصيلات تقدم الحملة الى ان بلغت غرضها فتأخذ بلب القارىء لانها تاريخ ينطوي على
رات ، كأنها منتزعة من كتب الابطال القدماء . وتليها حكاية فشودا والتقاء كتشنر بمارشان
سي . وكيف ان النظرية البريطانية فارت على النظرية الفرنسية بحجة ان فشودا داخلة في
الخديوي اصلاً وان انتزاعها منه موقتاً بقيام الحركة المهدية لا يعني انها اصبحت ارضاً مشاعاً
ك لها ، واذاً فاعادة احتلالها انما هي من قبيل اعادة الملك الى مالكه . وفي صدد هذه الحادثة
القارىء تفصيلات المفاوضات السياسية بين دلكاسه ولورد سلسبري وهي من الذ ما يطلبه
لم عما يحدث وراء ستار في الشؤون الدولية

يلي ذلك تفصيل الاتفاق على حكم السودان حكماً ثنائيًّا باسم سمو خديوي مصر ، وتحول
بعد مصرع السردار سنة ١٩٢٤ وتفصيل السعي لوضع اتفاق خاص بمياه النيل ومواد ذلك
ق من ناحيتيها النظرية والعملية ورأي الخبراء فيها . وقد بسط المؤلف بعد ذلك وجهة نظر
ي مسألة السودان بسطاً شافياً وكذلك وجهة نظر بريطانيا

في آخر الكتاب ثلاثة فصول بيَّن فيها ان اهم ما يهم متمولي الانكليز في السودان زراعة
يها ، وان هذه الزراعة غير ناجحة ، وان العامل الفاصل في مستقبل السودان ، من ناحية
هو مستقبل مشروع الجزيرة . فهل يستحق هذا المشروع كل هذا العناء ؟ هل هو جدير
الاتفاق مع مصر على حسابه ؟ ويختم القاضي كرابيتس كتابه بعبارة من غوردن مؤداها
دان لن يكون من الوجهة العملية البريطانية عملاً رابحاً

كتاب البلهارسيا

تأليف الدكتور رمسيس جرجس

Schistosmasis (Bilharziasis) by Dr. Rameses Girgis

John Bale, Sons & Danielsson Ltd. London. 2

منذ أمد بعيد وأنا مشتاق توّاق الى قراءة هذا المؤلف النفيس . ذلك لاني عرفت بعض هذه المجهود من سبع سنوات مضت حظيت فيها بمعرفة زميلي الدكتور رمسيس وشاهدت بعض ما يؤول بنفسي في خلال هذه المدة مبلغ ما تطلبه منهُ هذا الكتاب من مجهود الجبارة في البحث الطفيلي المرهق وجمع النماذج المرضية وتحضير الشرائح الباثولجية وتطبيق هذه المعلومات على أحدث الطرق الاكلينيكية والدرس الطويل لتاريخ حياة الطفيلية ورسمها برسوم متقنة ومن نماذج جمعها بنفسه وما بذله من بحث للطرق المعملية التي سهلت عليهِ ما اكتشفهُ من نوعي البلهارسيا المنسوم وايجاد سبب لتضخم الطحال المصري وغير ذلك من الاكتشافات التي لم يضارعه فيها حتى الباحثين السابقين في أمراض الطفيليات . . .

حصلت على هذا الكتاب فلم أدعه من يدي حتى أتيت على آخره وما انتهيت منهُ حتى ردت إ بمجهودات المؤلف الكبيرة التي أثبتت للعالم الطبي مبلغ نبوغ هذا الزميل الكريم وعبقريته

ولا يمكنني في هذه العجالة وصف كل ما أعجبني من هذا الكتاب . . . ولهذا ساجعل قاصرة على مجمل الموضوعات التي كان للدكتور رمسيس فيها الفضل الاول في البحث أو الاكتشا واليك ملخصها : —

١ — كان المؤلف أول من جمع شتات موضوع البلهارسيا وجعلها في مجلد واحد يستطيع الرجوع اليهِ في وقت قصير

٢ — وهو أول من قسم المرض الى ادوار محددة تنطبق على التقسيم الباثولجي والاكلي

٣ — بعد درس طويل وبحث مستفيض عن التولد المرضي للبلهارسيا والعوامل المؤث كان المؤلف أول من قال بوجود مناعة عند المرضى ضد عدوى جديدة ...

٤ — وفي الباب الاول من الكتاب نجد تاريخاً ممتعاً عن أدوار البحث العلمي يتخلله من المفاجئات وبهِ آراء جديدة للمؤلف مما يجب على الباحث اتباعه احتفاظاً بمكانته في الحال والمستقبل . . .

٥ — وفي الباب الثاني وصف دقيق للطفيلية والبويضة والسركاريا ولا يوجد في هذا من جديد غير أن جميع الرسوم التي عملها لتوضيح هـذا الوصف أصلية ومن نماذج أخذ هو بنفسه . . . .

٦ — وفي الباب الثالث الوفود (Epidemology) وهو موضوع كلهُ جديد في ما

٧ – وفي الباب الرابع طرق معملية مستحدثة فيها كثير من الطرق الجديدة التي أوجدها لف لدراسة هذه الطفيليات

٨ – وفي الباب الخامس بحث نفيس في البلهارسيا المعوية ضاف اليه كثيراً من المعلومات ان الحلزون والتولد المرضي كما أثبت فيه أنه ليس الشوكة الوحيدة التي تحمل وتنشر البيض بل تقف كل التوقف على العمل الجسمي للحيوان . وفي هذا الباب عن البلهارسيا المعوية لف كثيراً مما كان غامضاً عن العوارض الاكلينيكية كعلامة المعص الكاذب البلهارسي وعدد ض معروفة تشبه البلهارسيا المنسونية . وفيه قسم عن الاندركة آراء جديدة لمؤلف

٩ – والباب السادس عن البلهارسيا المنسونية وهذا الباب هو الذي حصله الدكتور رمسيس من العناية وبذل في درسه مجهودات عنيفة استغرقت زمناً طويلاً . وكان من نتائج ه الطويلة انه اول من فرّق بين فرعي البلهارسيا المنسونية : المعوي و حشوي . فالمعوي تصاب الامعاء وحدها او مع الكبد والطحال قليلاً فذكر أنها تنتج عن عدوى للديدان ور والاناث بعدد متساو تقريباً بعكس النوع الحشوي الذي فيه يزيد عدد الذكور عن عدد ك زيادة كبيرة . ولقد قسم سير المرض في هذا القسم المعوي الى دوار ربعة محدودة ودرس الوجهه الاكلينيكية أحسن ما كتبهُ في هذا الموضوع و كثيره تفصيلاً . . . لذلك كان الانذار مشفوعاً بآرائه الجديدة

١٠ – الباب السابع وهو عن « تضخم الطحال المعوي » أو « النوع الحشوي من البلهارسيا نية » وهو الباب الفذ في الكتاب كله والخطوة الجريئة والبحث المستفيض الذي عالجهُ ر رمسيس وقد توصل بعد فحص اكثر من ثلاثين كبداً ومائة طحال فحصاً باثولجيًّا وهستولجيًّا سبب تضخم الطحال المعوي هو وجود عدد زائد من ذكور ديدان البلهارسيا عن عدد او عدد الذكور وحدها (كما تبين لهُ ذلك في ٣٠ ٪ من الحالات) . ويعلل الدكتور سبب خفاء علة هذا المرض على من سبقهُ من الباحثين الى نقص عدد الاناث أو غيابها ف و بمعنى آخر صغر عدد البويضات أو غيابها . . . والباحثون لم يفحصوا ارسيا بدون بويضات .. وعندما نشر الدكتور رمسيس رأيه هذا لاول مرة منذ في قريباً وجد له معارضين كثيرين غير ان احداً منهم لم ينشر للآن اثباتات عملية تدفع رأيه. ر الدكتور رمسيس غير مرة بانهُ على استعداد لسماع اقوال المعارضة اذ يقول . . « اني عد يدي لمن يثبت لي خطأ رأيي واعتقد ان العلم ليس ملكاً لفرد بل مشاع للجميع وحيهِ لي ل الصواب من التمادي في الباطل ... » . وهذا القول يدلنا على مبلغ ثقة المؤلف بنظريته وح العلمية من نفسه التي تبحث عن الحقيقة والحقيقة وحدها ... غير اني اعتقد ان هذه زال في حاجة الى مواصلة الدرس والبحث وفحص الكثير من عينات باثولجية وهستولجية

اخرى حتى اذا ما ثبت ان لخص هذه المئات من النماذج الاخرى يؤيد النتائج الاولى زال كل
للشك يحوم حول هذه النظرية . . ولا اخال المؤلف الاَّ فاعلا ومواصلا درسه وجهوده

١١ — الباب الثامن عن البلهارسيا اليابانية . ولقد درس المؤلف هذا الباب درساً
اول من قسم المرض الى معوي وحشوي ايضاً ثانياً هذا التقسيم على مشابهته للبلهارسيا
وقد عرض هذا الفصل قبل طبعه على الاستاذ الدكتور فوست
(تولين) واعظم ثقة في هذا الموضوع فكان هذا رده على المؤلف : « لقد كان دهشتي عظيمة
اظهرته من درس عميق مستفيض في هذا الباب كما اني معجب كلَّ الاعجاب بما توصلت اليه من
معلومات دقيقة عن هذا المرض مبنية على ابحاثك القيمة على البلهارسيا المنسونية ... »

١٢ — الباب التاسع : وهو العلاج النوعي وتأثير الانتمون في الجسم وفيه كثير من حسن
المؤلف الشخصية التي تخالف الآراء المألوفة وهي جديرة بالاهتمام الكلي للاسترشاد بها عند

١٣ — أما الباب العاشر والاخير : فقد خصه بآرائه عن طرق الوقاية في مصر ويدهشك من
المؤلف من معلومات عن احوال المجاري وطرق الري المختلفة في الوجه القبلي والبحري وتأثيرها
في انتشار مرض البلهارسيا بنوعيه . . ولقد ذكر المؤلف في هذا الباب ان من أهم طرق الوقاية
تعميم المستشفيات لتكون امكنة للعلاج والتعليم والتهذيب

وبعد . فلا يسعني الاَّ ان اردد ما جاء في المجلات الطبية الاوربية وغيرها ولاسيما مجلة
اكبر المجلات واوسعها انتشاراً من عبارات التهنئة للزميل الكريم لنجاحه الموفق في معجمه
الذي يُعد بحق اعظم مرجع لمرض البلهارسيا يرجع اليه الطلبة والاطباء في انحاء العالم

بني سويف الدكتور ابولس بولس

الاطلال

مجموعة أقاصيص مصرية — تأليف محمود بك تيمور

«الاطلال» كـ «الايام» صورة لمجتمع آيل الى الفناء ومثال من حياة مصرية مألوفة لدى
وقع عميق عذب كأنهُ رجع لصوت صديق بعيد نذكرهُ ويذكرنا ويسرُّه ويسرنا ان نتلاقى
الفينة والفينة في شوق وحنان يزيدان عذوبة كلما بعد العهد بيننا وان نتخافت ما فعلت
الاحداث . و« الاطلال » عالم صغير له افراحه وأتراحه ، له بيئته وتقلباته ، قد نسفنه
مرنة معتدلة تحسن النحت وتميل اليهِ اكثر مما تميل الى الرسم والتلوين فهو يؤثر فيك حيناً
حيناً آخر وهو يوقظ شعورك تارةً ويبعثك على التفكير طوراً ولكنهُ في هذا وذاك لا يبلغ
يصدمك لانهُ سهل وئيد منتظم تعلوهُ الحكمة ويسوي بينهُ الاعتدال حتى اذا ما أمعنت فيه
بأن ذاكرتك تتوالى عليها ذكريات بعيدة واسماء قديمة فاذ هذا التجنب لكل ما هو تفاعل
النفسية وهذا الامعان في تدقيق الوصف الخارجي يذكرك بالآداب القديمة عموماً وبوصف

ه الآداب. وهذه الدقة في التصوير الشاملة لكل صفحاته لاطلال، كسيشخ ... تصويرية ظاهرة
تصيبة واقعية مدروسة ولكنها تغلو حيناً حيث لا يستحسن الغلو وتخفق حيناً آخر حيث لا ... منها
ن الاخفاق . فلقد نذكر مثلا وفاة «حماده» ونذكر دار الخمر وهي تمتلئ بالخمارين والمخمورات
رق الحزن النفوس وتقبض هيبة الموت الافئدة فنتوقع من «صامي» مشهداً من المشاهد التي نتوقعه
هو أعظم منها وزاه فعلا يندفع نحو غرفة المتوفى ويبكي على يده يملأ بالدموع والكلمات الشعرية
ل المؤلف يحذر التمادي ويتوقف حتى في تلك الساعة الرهيبة الحرجة ليصف لنا وجه المعيشة
وجزء الموقف من أثر بليغ هو منطوٍ عليه

ولقد ذكر أيضاً تلك الصور النسوية التي تمرُّ بالقارىء وتنزل في نفسه آثاراً متباينة ولكنها
متفقة لان المؤلف لم يكن وهو يذكرها ويصفها الا رسماً لا غير. ذكر صورة أم حضر وفتحية
وتهاني وما يحيط بهنَّ من ملابسات وظروف هي على ما أرى خلاصة هذه الشكوك والصلة التي تربطه
بالحقيقة التي نحياها. «فالاطلال» اذا أردنا أن ننظر اليه من حيث موضوعه من حيث الفكرة التي تضم
رواياته يدور حول مشكلة خطيرة هي في الواقع مشكلة هذا القرن ومرضه الخبيث. مشكلة أعقد من
المشاكل السياسية والمالية تتسرب الى كل الميادين وتظهر في ثنايا كل الأفكار وترتسم طابعها الوحيم
على وجوه شباب اليوم وعماد المستقبل أعني مشكلة العلاقة والاتصال بين بعضي المجتمع فلا نزال منا
نعتقد أن خير الوسائل للذود عن الفضائل والشرف هي وئد الفضائل والشرف نفسها ولا نزال
منا من يرى أن خير وسيلة لصون عفاف النساء هي ابعادهنَّ عن صعب الرجال

صامي بطل «الاطلال» مثل من الشباب المصري الذي لا يرى عادة من النساء الا من هنَّ على
شاكلة أم حضر ممن حبسن في شبابهنَّ باسم الطهارة فوقفن حيرتهنَّ العقلية والجسدية على
طرفي نقيض عكسها تماماً، أو من هنَّ على شاكلة فتحية ممن يشعرنَ بعاطفة الحب الملازمة لسن الشباب
ولكن لا يفهمن ما يشعرنَ به ويخشونه وينطلقن بالغريزة. أو من هنَّ على شاكلة تهاني ممن
مرن كل طابع خاص فصرنَ ما بين اجنبيات ومصريات

هذه الانواع الثلاثة من النساء مكانة وانتشار متبايناً الدرجات في الحياة المصرية تظهر كل الظهور
في صورة أم حضر وفتحية وتهاني من كمال او نقصان في كتاب «الاطلال» فاننا نلاحظ
بادئ ذي بدء ان الصورة التي تبقى في مخيلتنا لفتحية هي صورتها وهي طفلة صورتها يحدد ظلها السود
الحديقة الفسيحة ولا وجود لصورة لفتحية في سن المضوج وفي حقيقة الحب الحقيقي لان
هذه الحال شخصية نادرة لا توجد باستمرار في الحياة المصرية قد يصادفها الشاب المصري
يصادفها وكثيراً ما لم يصادفها ومن هنا هذا النقصان الذي لا يوجد في صورة فتحية الطفلة
المؤلف بلا الطفولة وهو يذكرها ولكنك لا تتبيّن هذا النقصان في صورة ام خضر اذ انها
تنتشر انتشاراً كبيراً في المجتمع المصري

بقيت صورة تهاني وهـذه هي الصورة التي يحفظها كثير من الشبان لنوع بعينه من النساء المنتشر بين الطبقة المتوسطة صورة مبهمة من تلك الصور الجسدية التي تتسلط على العيون الضائقة بخشونة الحياة المحرومة من كل عطف أو حنان فهي غلاف رقيق وساق بض وهي صورة بهيمية تتردد على المخيلة وقد يحسها الجسد ولكنها لا تهز العواطف ولا تنبعث والذي أقصده من هذا هو أن صورة المرأة التي تحِبُّ وتحَبُّ في «الاطلال» هي الصورة التي تستقر في مخيلة الشباب المصري صورة غير محدودة صورة جنسية لا نوعية، أعني صورة المرأة غير معينة فهي ليست بهذه المرأة أو تلك ولكنها المرأة فقط، المرأة مجردة من كل طابع خاص معنوي أو عاطفي

هذا هو سرّ واقعية «الاطلال» وهذه هي الصلة التي تجمع بينه وبين الحياة التي تحدثه

بقي شيء آخر لا يمكن اغفاله وهو ذلك الأثر الهادىء العميق الذي تثيره فيك احداثه المؤلفة من غير تعمد او اسراف فأن هذه الصورة الاخيرة مثلاً، صورة الاب وهو يحدث ولده المستقبل والحياة تترك في النفس اثراً عميقاً تشعر معهُ وكأنك خارج من الظلام الى النور ومن الركود الى الحركة الجادة النشطة بعد حقبة بلوت فيها لذة عذبة نادرة قد تعود اليها مرة اخرى

مدينة الاحلام

قصص ومحاضرات للدكتور ابراهيم ناجي، طبع بمطبعة التوفيق بمصر، في ١٠٥ صفحة بقطع المقتطف

للدكتور ابراهيم ناجي روح شاعرة وقلب حساس وذهن متوقد مطلع. ومن هذه المحاضرات تتكون شخصية الشاعر والقاصّ والطبيب. ومن هذه الشخصية نحسّ العاطفة جياشة ملتهبة في شعره وفي قصصه وفي حنوّه على مرضاه. فلا عجب اذا اخرج اليوم كتابه (مدينة الاحلام) يعالج بهِ سأم النفوس بعد ان جاء ديوانه (وراء الغمام) فضمد بهِ جراح القلوب، ومجلته (حكيم البيت) فداوى بطبه فـ آلام الاحلام

(مدينة الاحلام) قد تكون أقرب الى قرّاء (المقتطف) من غيرهم. فهي قصة نشرها في هذه المجلة منذ ثلاثة أعوام. وفي هذه القصة ترى صوراً من حياة ناجي مبعثرة خلال مواقعها التي يتحدث فيها عن رجل آخر. وناجي يغمس قلمه في قلبه عند ما يكتب، ويستعير عواطفه ما يسكبه على شخصياته. وترى قلم رسّام فنّان يرسم بالالفاظ صوراً جميلة فتانة الاجتماعية في هذا البلد، وتجد الى جانب ذلك تحليلاً نفسيًّا دقيقاً للشخصيات التي يستعرضها

و «مدينة الاحلام» ليست هي كل الكتاب فقد جمعت صفحاته الى جانب ذلك قصصاً ألّفها ناجي أو نقلها ولخّصها وضمّ اليها بعض محاضراته في الأدب والاجتماع

ولقد يذكر قرّاء هذه المجلة ايضاً من موضوعات هذا الكتاب محاضرة المؤلف عن «الاديب»، وكيف استطاع ان يشرّح حياة هذا الرجل ومميزات أدبه واهتمامه بالفرد وانتقاله الى قصصه، وعرضه بلباقة ملخصات بديعة لطائفة مشهورة منها

[illegible] هذه المجموعة غير قصة «مدينة الاحلام» قصة «الحرمان» وهي من اروع

وفيها تتجلى شخصية المؤلف بعناصرها جميعاً ، وتتغلغل في صميم النفس [illegible] وحاسيسها تصويراً رائعاً تعمل فيه الشاعرية عملاً قوياً . وله [illegible] لا تقل في روحها عن سابقتيها ، أما قصصه الملخصة [illegible] « [illegible] » لتشارلز مورجان . و « الليل » للونجي [illegible]

على انني أذكر أن صديقي ناجي كان في استطاعته ان يجعل اسلوب [illegible] اللغة العربية البسيطة السليمة كما كان يفعل في بعض الاحايين حتى لا تخدش [illegible] الجميلة التي رسمها على القرطاس . ولقد صدر المؤلف كتابه هذا بكلمة [illegible] من الشعر العاطفي ، ولون قاتم من تفكير ناجي الآن في هذا البلد الذي يغمر [illegible] من رأيه ، فلئن نسي اليوم شيئاً فالغد لن ينسى ولن يمحو من سجله شيئاً يشق [illegible] . وليس [illegible] ناجي في الشعر والقصة بالذي يمحى وينسى

رسالة العلم

هي صحيفة علمية تخرجها جماعة خريجي كلية العلوم بالجامعة المصرية ، وهي [illegible] العلم [illegible] معنى في التصور الحديث حقيقة بأن تدعى رسالة العلم ، والقائمون [illegible] من رواد نشر الثقافة العلمية في هذا العصر

[illegible] نهضتنا الحديثة بنشر الآداب شأن كل نهضة فكرية . ولكن [illegible] الادب [illegible] مرافقنا الثقافية اثر جعل كثيرين ممن يعنون بالعلم ويعرفون ماله من [illegible] في توجيه الفكر [illegible] المثاليات العملية وفي توسيع نطاقه والرجوع به الى تاريخ الكون [illegible] يفكرون [illegible] في ان يحولوا دون طغيان الادب على الفكر بجهد يصرف نحو [illegible] العلمية الحديثة [illegible] الخطا وتتساند الجهود في الوصول الى الغاية المرجوة من [illegible] الفكر في بؤرة [illegible] منها مختلف الاضواء ويرى في كل ظل من ظلالها الشتيتة لون من [illegible]

ورسالة العلم تحقيق عملي لهذه الغاية . وهي بعد عمل من اعمال الشباب [illegible] الحكومة بالمدد المالي ، وتمده همة الشباب بما في الشباب من امل جياش [illegible] الذين ارتووا من مناهل العلم بين جدران جامعة مصرية صميمة . ولا شبهة [illegible] هذا الاثر [illegible] من اخص الاعمال التي يجب على المصريين جميعاً ان يرعوه بالتشجيع والعطف في هذا العمل كله من وجه للنقص الا قلة العناية بامر اللغة العربية . واظهر ما [illegible] ذلك في بعض الاساليب وفي اختيار المصطلحات . ولا شبهة مطلقاً في ان هذا العمل العلمي [illegible] بكليته نحو غرض رئيسي هو نشر الثقافة العلمية في اللغة العربية . فاذا عدمنا هذا الغرض في مثل [illegible] العمل ، فكأنما عدمنا به الغاية الاولى منه لان العلم قد يطلب لذاته في اية لغة وفي اي كتاب [illegible] انما يجب ان يتجه مثل هذا العمل الى احياء اللغة العربية لتكون لغة علم كما هي لغة ادب .

والغرض من هذا القول ان تصبح اللغة العربية قادرة على تأدية رسالة العلم الى ابنائها رسائل ومصطلحات عربية . اما انهُ تؤدي هذه الرسالة باساليب ومصطلحات اعجمية مرسومة حروفها عربية ، فكأننا خرجنا عن القصد وعدمنا الغاية التي من أجلها نخرج مثل هذا العمل العلمي

ولم يقتصر الامر على استعمال مصطلحات لم يضعها المترجمون مقابلاً في اللغة العربية بل تعدى ذلك الى مصطلحات انتهى من امرها الواضعون واستعملها الكتّاب في الصحف وكتب العلم من اكثر من قرن مثل كلمة « كون » [illegible] فقد استعملتها رسالة العلم « كوزمس » حتى يخيل اليك ان ذلك انما يقصد به إحياء الرطانة اللاتينية في اللغة العربية لاخدمة الاسلوب العلمي في [illegible]

ولا يخفى ان اكثر المصطلحات التي استعملها كتاب القرن الماضي واوائل القرن العشرين مثبتة في ما عندنا من معاجم تكفي على قلتها حاجة من يريد الفحص عن مختلف الاستعمالات العلمية التي وصلنا اليها في نهضتنا الحاضرة . اما ان نصاب بالكسل العقلي حتى يظهر اثر ذلك الكسل في استعمال مصطلحات لاتينية بنصها الاعجمي بعد ان تقديم لها ترجمات عربية صحيحة ، وفي مؤلفات عصرية [illegible] فظاهرة يجب ان يقضى عليها في نفس المهد الذي يحملها

جولة أدبية

في بعض البلاد الشمالية — تأليف احمد وصفي زكريا — صفحاته ٤٠٠ قطع المقتطف

ساح الاستاذ احمد وصفي زكريا سياحات عديدة في بعض المدن الشامية ولا سيما بعض المدن الشمالية ثم الف هذا السفر النفيس واصفاً مدنها وقراها ومعاهدها ومغانيها وآثارها التاريخية بأسلوب شائق طلي وعبارة سهلة حرلة ونحا في كتابته نحو المحققين من رجال التاريخ والعلم فلم يدع شيئاً من اخبار البلاد التي زارها الاّ استوعبه استيعاباً يدل على غزارة المادة واستفاضة الجهد والتحقيق والتدقيق فسد كتابه فراغاً كبيراً في المكتبة العربية وقد اشار الى ذلك في مقدمته فقال

« وكان مما يشجيني انني لم اجد كتاباً عربيًّا يصف احوال بلادنا وصفاً يعرف به القارئ الكوائن الطبيعية من جبال وانهار ونجود واغوار وعمران المدن والشعوب في العهود القديمة والحاضرة وحالة المصانع القديمة والاماكن الاثرية وسبب بنائها وكيفيته ومسافة الطرق وسمتها واتجاهاتها الى غير ذلك من الابحاث التي تدعى في عرف الافرنج الطبوغرافيا التاريخية فجعلت اقرأ القدماء وضعوا مؤلفات جديرة بكل اجلال واطراء عامة لا خاصة وليس فيها من الابحاث التي انشدها بالقدر الذي يفي بحاجتنا في هذا العصر بعد ان تغيرت البلاد ومن عليها وكتب الجغرافية الخاصة بالبلاد الشامية جعلها اصحابها وجيزة ان وفت بحاجة المدارس لا تنقع غلة الباحث المدقق فقد احاطوا علماً بكل اصقاعنا فلم يغادروا مدينة من مدننا ولا قرية من قرانا او بادية من بوادينا وجاسوا خلالها واستقرؤا صامتها وناطقها واجادوا وصفها والفوا فيها مجلدات تفوق الحصر [illegible]

وبياس والاسكندرونة وجبل اللكام وبيلان وقلعة بغراس وقرق خان وسهل العمق وانطاكية ودفنه وجبل القصير ودركوش وجسر الشغر وسهل الروج وجبل الزاوية وقلعة كردطاغ واعزاز والباب وجبل سمعان ومنبج وقلعة النجم والمعرة وسهل الغاب وقلعة المضيق وحرية افاميا وقلعة شيزر ومجردة وحماة وسلمية والحمراء وقصر ابن وردان والاندرين وجبل النعاس والرستن وحمص وضواحيها وحسيه والنبك والقطيفة وما حولها من قرى قلمون الاعلى والاسفل وينتهي عند ابواب دمشق

وفي الكتاب ايضاً ٢٥ رسماً فتوغرافياً للامكنة التي ورد ذكرها وهو مطبوع طبعاً نفيساً متقناً ويطلب من مؤلفه في دمشق الشام وثمنه ٧٥ قرشاً سورياً مع اجرة البريد للخارج امين سعيد

بيرون

تأليف نظمي خليل صفحاته ٢٨٧ — طبع بمطبعة الاعتماد

اللورد بيرون عالم من اعلام الشعر الانكليزي في اوائل القرن التاسع عشر بل من اشهر اعلامه في جميع العصور . بلغ في حياته ذروة من المجد والشهرة لا يطمع بأعظم منها عظيم في الارض . حتى غوته شاعر الالمان العظيم قال ان شكسبير وبيرون ذروتا الادب الانكليزي السامي

والواقع انه من اصعب الامور ان تعين لبيرون مقامه بين شعراء الانكليز وادبائهم — لا يميل النقاد الانكليز الى وضعه في الطبقة الاولى من شعرائهم — لانه ليس منهم حقيقة . ويذهب الناقد الفرنسي مرسكي الى ان بيرون جزء من الادب الاوربي الذي لا يختص بشعب من الشعوب ومن اعلامه فولتير وغوته وتولستوي وولز . فمقام بيرون في الادب الاوربي لا يكون رهن الحكم الذي يحكم به الانكليز بل رهن الحكم الذي تحكم به اوربا نفسها . وقد كتب ماكولي سنة ١٨٣٠ فقال « لاشك في ان اشعار بيرون سوف تغربل وتنخل فينبذ منها ما كان يحسب افضلها في زمنه على اننا لا نرتاب في انه بعد التمحيص يبقى كثير من شعره خالداً بخلود اللغة الانكليزية » . وكتب بعده الناقد ارنولد فقال انه متى بزغت شمس القرن العشرين اتضح ان بيرون ووردزورث اعظم شعراء الانكليز في القرن التاسع عشر على أن بعض النقدة يضيف اليهما اسمي تنسون وبروننغ وكثيرهم يضع شلي فوق هؤلاء جميعاً . ولكن ليس ثمة من ينازع في أن مقام بيرون بين الخالدين

ونحن نرحب بهذه الدراسة العربية ، لاهم النواحي ، في عصر بيرون وحياته وشعره . وهي بأمرين أولهما تحليل بعض قصائد بيرون المشهورة مثل تشايلد هارولد ومانفرد ودون جوان . وثانيهما نقله مختارات رائعة من شعر بيرون الى العربية . والاصول التي بني عليها تحليله ، ما على أستاذ الأدب الانكليزي في كلية الآداب ، أو مما طالعهُ في كتب النقاد الانكليز . فيصحُّ أن تكون أساساً لفن النقد الأدبي عندنا ، القائم على قواعد أهمها ربط الشاعر الذي نشأ فيهِ وتياراتهِ الفكرية والاجتماعية وربط قصائده بأطوارهِ النفسية المختلفة

الكتاب من حيث تناولهِ لحياة بيرون الحافلة لا يشفي غليلاً ، لان المؤلف كان أعظم عناية في دراسة شعره وقد أصاب في هذا قسطاً وافراً من النجاح

فهرس الجزء الرابع من المجلد السادس والثمانين

صفحة

٣٨١ النفوذ الى سر الحياة

٣٨٩ نصف قرن على ضفاف النيل

٣٩١ بين الفاتيكان وجريدة لاكسيون فرانسيز : للآنسة « ميّ »

٣٩٧ الديمقراطية والتعليم : للدكتور امير بقطر

٤٠٦ طريقة فورونوف وتأثيرها في الجسم والعقل : للدكتور شوكت موفق الشطي

٤١٣ اينشتين : الرجل والعالم

٤٢٠ التربية والتعليم عند قدماء المصريين : للدكتور حسن كمال

٤٢٨ عودة الملوك الى المدينة (قصيدة) : للمسترسكايف

٤٣٠ تقدم الطيران ومستقبله

٤٣٨ تاريخ المآذن ومأذنة القيروان : بقلم الكابتن كرسويل

٤٤٣ آلة القدر (قصيدة) : للدكتور رمزي مفتاح

٤٤٤ اسماء النجوم : للفريق امين باشا المعلوف

٤٥٠ بنيون الفنان والفن الفارسي : للدكتور احمد زكي ابو شادي

٤٦١ العلم واحياء الموتى : لعوض جندي

٤٦٧ ابن حمزة المغربي : لقدري حافظ طوقان

٤٧١ سير الزمان : عقم المؤتمرات الدولية لنقولا الحداد — الثورة : للدكتور عبد الر
شهبندر — المارشال بلسودسكي

٤٨٥ باب التربية : بعض عوامل الضعف في تكوين الفرد : لبهي الدين بركات بك
المعارف الاسبق — التربية ولغة الاطفال : لزكي المهندس استاذ التربية بدار العلوم

٤٩٦ المراسلة والمناظرة * « الساعور » للاستاذ عبد الرحيم بن محمود

٤٩٧ مكتبة المقتطف * انقاذ السودان : كتاب البلهارسيا : للدكتور ابولس بولس . الاطلا
امين حسونه . مدينة الاحلام : للصيرفي . رسالة العلم . جولة اثرية : لامين سعيد . بيرو

مجلدات المقتطف

المقتطف مجلة تقرأها اليوم وترجع اليها في المستقبل — ولا بدّ من ذلك من مطالعة مجلداتها السابقة

كل مجلد تاريخ وافٍ للسنة التي صدر فيها. فيه وصف المستنبطات التي استنبطت والمكتشفات التي اكتشفت والشهر حوادث التاريخ وسير اعظم الرجال وآراء كبار العلماء — وكل ذلك بكلام بليغ قريب التناول وصور كثيرة وتحقيق وتمحيص اشتهر بهما المقتطف مع مقالات كثيرة في مواضيع شتى علمية وادبية وفلسفية

فاذا كنت ممن يعنون بالمجلة الشرقية الحديثة — اذا اردت ان تطلع على ارتقاء الحضارة الغربية في الثمانية والخمسين السنة الماضية — اذا اردت تاريخاً وافياً لسير العمران مدة اكثر من نصف قرن الى الآن

فيجب الاّ تخلو مكتبتك من مجلدات المقتطف وهي تباع مفردة او مجموعة واثمانها ترسل لمن يطلبها

الى محبي المطالعة

طلب الينا كثيرون من قراء المقتطف ان نتسهل معهم في بيع سنوات المقتطف القديمة فنزولا على ارادتهم قررت ادارة المقتطف بيع بعض سنوات المقتطف القديمة بثمن ٢٥ قرشاً يضاف اليها اجرة البريد وهي السنة عشرة اعداد » فمن يرغب في اقتناء بعض هذه السنوات فليرسل طلبه مصحوباً بالقيمة

ادارة المقتطف بمصر

الاصلاح

مجلة تثقيفية علمية

تصدر مرة في الشهر في بونس ايرس عاصمة الارجنتين

لصاحبها ومنشئها الدكتور جورج صوايا

عنوانها شارع سان مرتين ٦٤٠ بونس ايرس

مجلة الشرق

ادبية سياسية مصورة

انشئت للدعاية عن الشؤون البرازيلية وما في النزلاء الشرقيين في البرازيل تصدر باللغة العربية مرتين في الشهر — صاحبها ومحررها الاستاذ موسى كريم وتشاركه في تحريرها طائفة من اكبر ادباء العربية في البرازيل وبدل شتراكها ٢٤٠ غرشاً صاغ

وعنوانها Journal Oriente

Caixa Postal 1102, Sao Paulo, Brazil

الجريدة السورية اللبنانية

الجريدة الرسمية للنزالة العربية في الارجنتين

تصدر صباح كل يوم من ١٦ صفحة

باللغتين العربية والاسبانية

مديرها ورئيس تحريرها : موسى يوسف عزيزة

يحرر فيها نخبة من حملة الاقلام الحرة

عنوانها :

EL DIARIO SIRIOLIBANES

Reconquista 339

Buenes Aires Rep. Argentina.

معمل تحليل وريع هوادينى

كيماوي اسبتالية الدكتور ملتون بمصر سابقاً . متخرج من جامعة الطب الاميركية ببيروت وجامعة استامبول بشارع جلال باشا رقم ٦ تجاه تياترو الكسار بشارع عماد الدين بمصر

يعلن انه اعاد فتح معمله لتحليل البول كيماوياً ومكروسكوبياً وفحص البصاق والمني والمادة ولبن الرضاعة وجميع مكروبات الامراض بغاية الدقة وبأحدث الطرق الكيماوية مع المهاودة الواجبة

تليفون ٥٠٣٣٠

وكلاء المقتطف ومحلات الاشتراك

في القاهرة ادارة المقتطف بشارع الفاصد رقم ١ —	بباب اللوق
في الاسكندرية والبحيرة والشرقية مصطفى افندي سلامه	في دمنهور
في القليوبية والمنوفية مصطفى افندي سلامة	في دمنهور
في الغربية والدقهلية والمحافظات مصطفى افندي سلامه	في طنطا
في الفيوم — الشيخ محمود مليحي	بالفيوم
في المنيا — ابو الليل افندي راشد	في المنيا
في اسيوط — تامر افندي سيف	باسيوط
في جرجا — الشيخ عبد الهادي احمد	في طهطا
في بيروت — سوريا — جورج افندي عبود الاشقر	ص.ب. رقم ٩٢٩
في طرابلس الشام	عبد الله الياس حصني
في دمشق — المهاجرين	الاستاذ عمر افندي الطبي
في شرقي الاردن — عمان	فهمي افندي يوسف
في القدس الشريف ويافا وحيفا	الخواجات بولس سعيد ووديع سعيد
	اصحاب مكتبة فلسطين العلمية
في حمص — سورية —	الخوري عيسى سعد
في الناصرة فلسطين	فريد عوده زعمط
في حلب — شارع السويقة — السيد عبد الودود الكيالي صاحب المكتبة العصرية	
في صيدا	نقولا افندي حريصي داغر — صيدلية الهلال
في حماه	السيد طاهر افندي الحسامي
في البرازيل	Snr. Miguel N. Farah Caixa Postal 1393 Sao Paulo Brasil
في الارجنتين	Sr. Fuad Riboix Cordoba 499 Buenos Aires. Rep. Argentina
في الولايات المتحدة والمكسيك وكندا وكوبا	Mr. N. Arida c/o Al-Hoda 55 Washington St. New York. U. S. A.

التي عنيت بنشرها « ادارة المطبعة العصرية » بشارع الخليج الناصري رقم [illegible]

ص	
٣٥	القاموس العصري انكليزي عربي (طبعة ثانية)
٧٠	« « « « (طبعة ثالثة)
٧٠	« « عربي انكليزي (طبعة ثانية)
٣٥	« المدرسي عربي انكليزي وبالعكس
٣٠	قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس
٢٠	« « عربي انكليزي فقط
١٥	« « انكليزي عربي فقط
٧٠	« سقراط سبيرو عربي انكليزي (بالنقط)
٥٠	« « « انكليزي عربي (بالنقط)
١٠٠	« « « « « وبالعكس
١٠	التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطول)
١٢	الهدية السنية لطلاب اللغة الانكليزية (بالنقط)
١٠	الف كلمة الماني (لتعليم الالمانية بسهولة)
١٥	في اوقات الفراغ (للدكتور محمد حسين هيكل بك)
١٠	عشرة ايام في السودان « « «
١٢	مراجعات في الادب والفنون للاستاذ عباس العقاد
١٥	روح الاشتراكية (لغوستاف لوبون) وترجمة (الاستاذ محمد عادل زعيتر)
١٥	روح السياسة « «
١٠	الاراء والمعتقدات « «
١٠	اصول الحقوق الدستورية « «
٢٠	الحضارة المصرية (لغوستاف لوبون)
١٥	حضارة مصر الحديثة (تأليف كبار رجال مصر)
١٠	الحركة الاشتراكية (رمسي مكدونلد)
١٥	ملقي السبيل في مذهب النشوء والارتقاء
٨	اليوم والغد (الاستاذ سلامه موسى)
١٠	مختارات « « «
٨	نظرية التطور وأصل الانسان « «
٢٠	اناتول فرانس في مباذله، للامير شكيب ارسلان
١٥	الدنيا في اميركا (للاستاذ امير بقطر)
١٠	المرأة الحديثة وكيف نسوسها (عبدالله حسين)
١٠	جريمة سلفستر بونار (اناتول فرانس)
٥	المرأة بين الماضي والحاضر
٥	مركز المرأة في شريعتي موسى وحمورابي
١٥	حصاد الهشيم (للاستاذ ابرهيم عبدالقادر المازني)
١٠	قبض الريح (« « « « «)
٨	نسمات وزوابع شعر منثور مصور
١٠	رسائل غرام جديدة (سليم عبدالواحد)
١٠	الغربال في الادب العصري (ميخائيل نعيمة)
٥	حكايات للاطفال، اول (مصور بالالوان)
٥	« « ثان « «
٥	« « ثالث « «
٥	تذكرة الكاتب طبعة منقحة لاسعد خليل داغر
٢٥	جمهورية افلاطون (للاستاذ حنا خباز)
	[illegible] (الارشمندريت بشير)

ص	
١٠	التربية الاجتماعية (للاستاذ علي فكري)
٥	خواطر حمار (للاستاذ [illegible])
٥	التعليم والصحة للدكتور محمد بك عبد الحميد
١٥	الحب والزواج (للاستاذ نقولا [illegible])
١٥	ذكراً وانثى خلقهم « « «
٥٠	علم الاجتماع (جزآن كبيران « «
١٥	اسرار الحياة الزوجية « «
٣٠	الامراض التناسلية وعلاجها للدكتور [illegible]
٢٠	المرأة وفلسفة التناسليات « «
٢٠	الضعف التناسلي في الذكور والاناث «
١٥	الزنبقة الحمراء (للاستاذ احمد [illegible])
١٠	تاييس « « «
٥	مكايد الحب في قصور الملوك [illegible]
١٠	القصص العصرية (٨٠ قصة [illegible])
١٠	مسارح الاذهان (٣٥ قصة [illegible])
١٢	رواية اهوال الاستبداد، مصور
١٠	« [illegible] المهدي، او [illegible]
٨	« الانتقام [illegible] ([illegible])
٥	« فقر وعفاف (الاستاذ [illegible])
١٢	« باريزيت، مصورة ([illegible])
١٢	« غرام الراهب او [illegible]
٧٥	« روكامبول، ١٧ [illegible]
٢٥	« ام روكامبول، ٥ اجزاء «
٢٠	« باردلبان، ٣ اجزاء «
٢٠	« الملكة ايزابو ٤ اجزاء «
٢٠	« الاميرة فوستا، جزآن «
٢٠	« عشاق فنيسيا، جزآن «
١٦	« الساحر العظيم ٤ اجزاء «
١٦	« كابيتان، جزآن «
١٦	« الوصية الحمراء، جزآن «
١٦	« بائعة الخبز «
١٢	« فلمبرج، جزآن «
١٠	« فارس الملك «
١٠	« ضحايا الانتقام «
٨	« المرأة المفترسة «
٥	« المتنكرة الحسناء «
٥	« مروضة الاسود «
٥	« شهداء الاخلاص «
١٦	« دار العجائب جزآن (نقولا [illegible])
١٠	« فرنسوا الاول «
١٠	« الجنون فنون «
٨	« حورية «
٨	« الغلامان الطريدان «
١٢	يسوع ابن الانسان (جبران خليل [illegible])
٨	النبي (« «
	[illegible] (« «

المقتطف

المجلد — ٨٦
مايو — ١٩٣٥

رأس فتاة نوبية
(تصوير ابى نمر)

رؤوس نوبيين صغار

(تصوير ايمي نمر — راجع ما كتب عنها في باب مملكة المرأة)

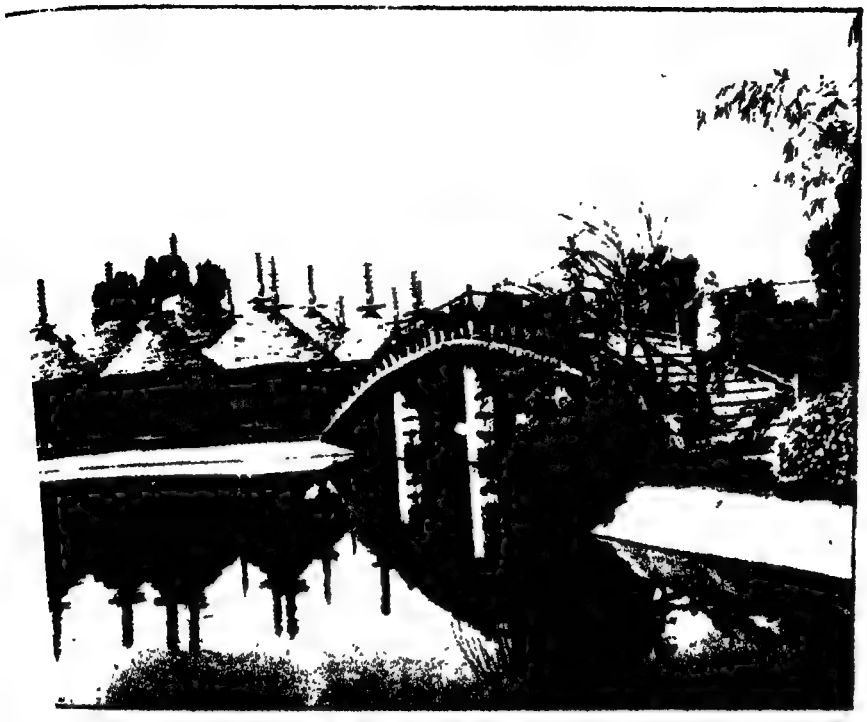

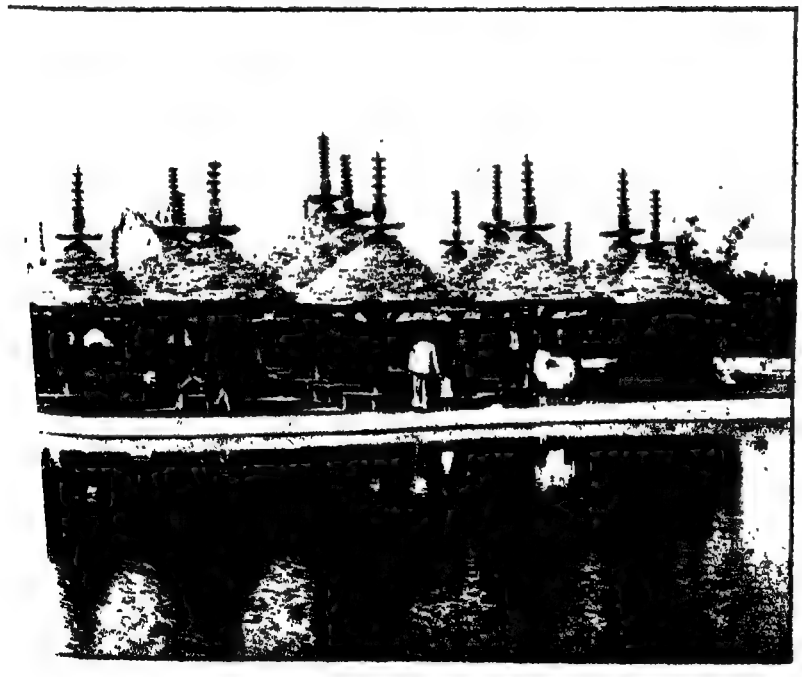

منظر عام لبحيرات حلوان

— صورها الدكتور حسن كمال —

جدار قلعة انطاكية كما يرى الآن

... حائط الفن الصيني مرسومة بالحبر على الحرير وهي ملونة قليلا وصاحبا

العقاب في الفن الصيني

صورة مرسومة على الحرير وقد قيدت
إليه بحبل من الحرير الى صخر في
الحديقة . ويرجع نسبة هذه الصور الى
الصور من العهد السنجي في القرن
الحادي عشر

صورة من العهد السنجي رسمها تشاو — منغ — فو
(١٢٥٤ — ١٣٢٢) وهي تمثل مشهداً طبيعياً
مكسواً بالثلج

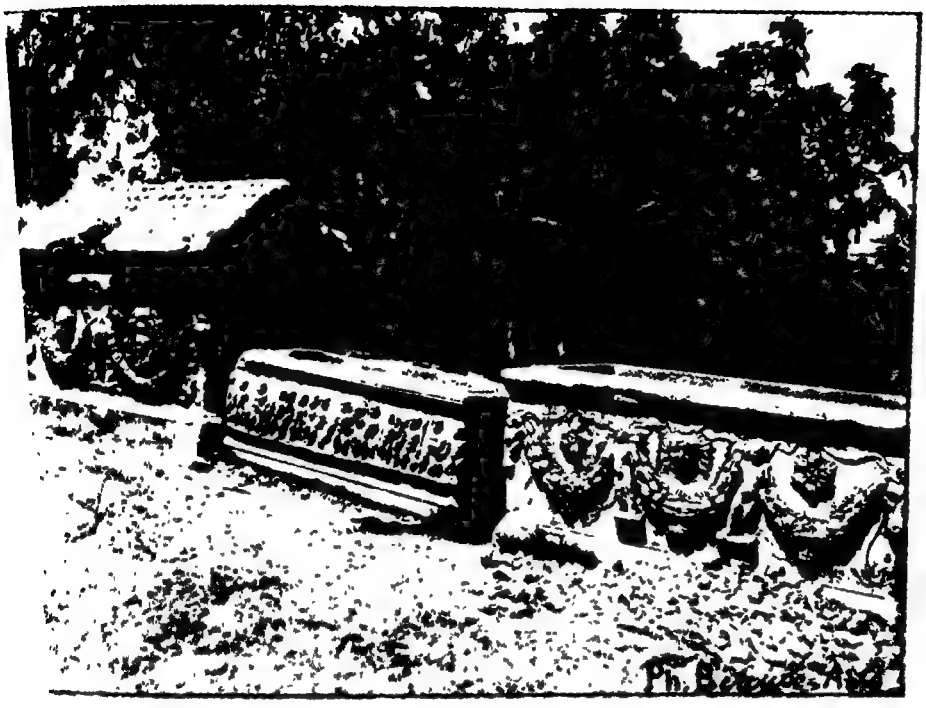

ثلاثة نواويس محفوظة في سراي انطاكية

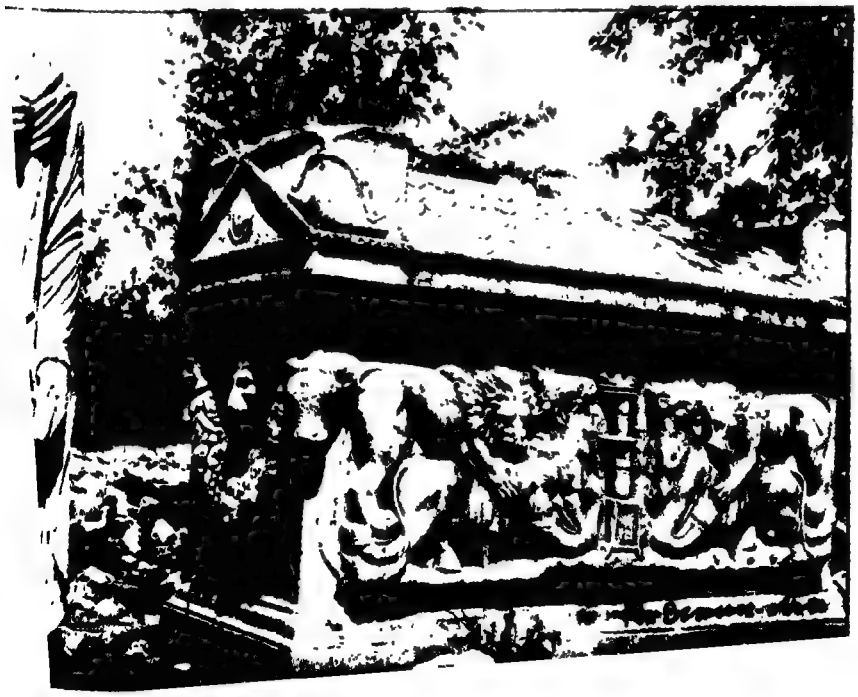

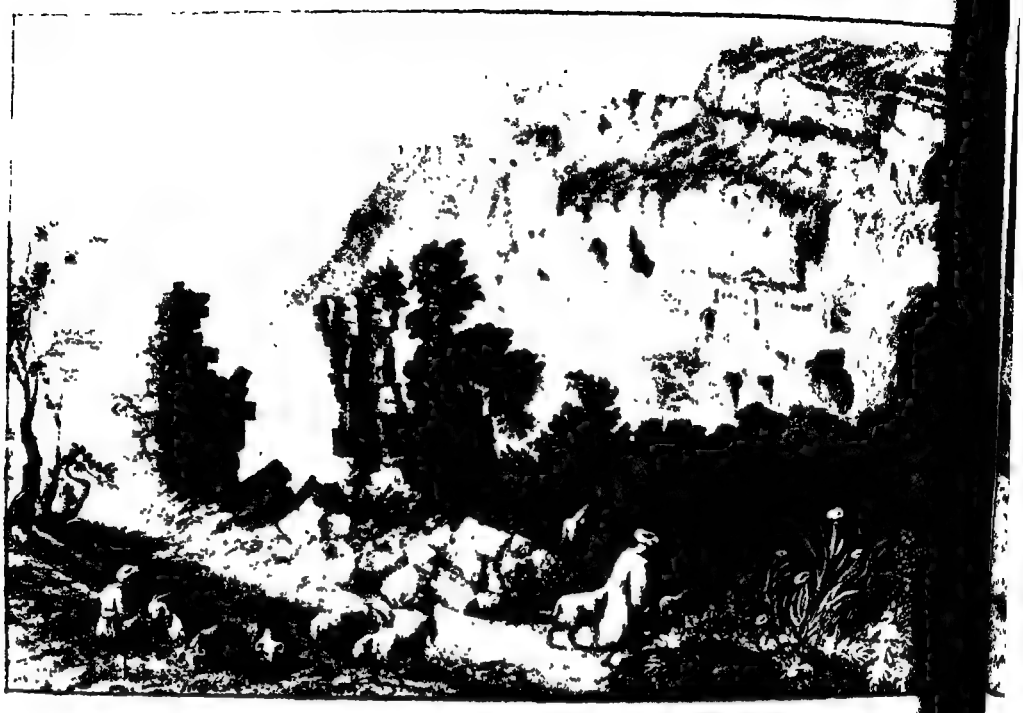

باب سلوقية في العهد الروماني — عن الكولونل جاكو

اسوار انطاكية كما كانت قديماً — عن الكولونل جاكو

خرائب باب الحديد قبل العهد الحاضر
نقلا عن كتاب الكولونل جاكو

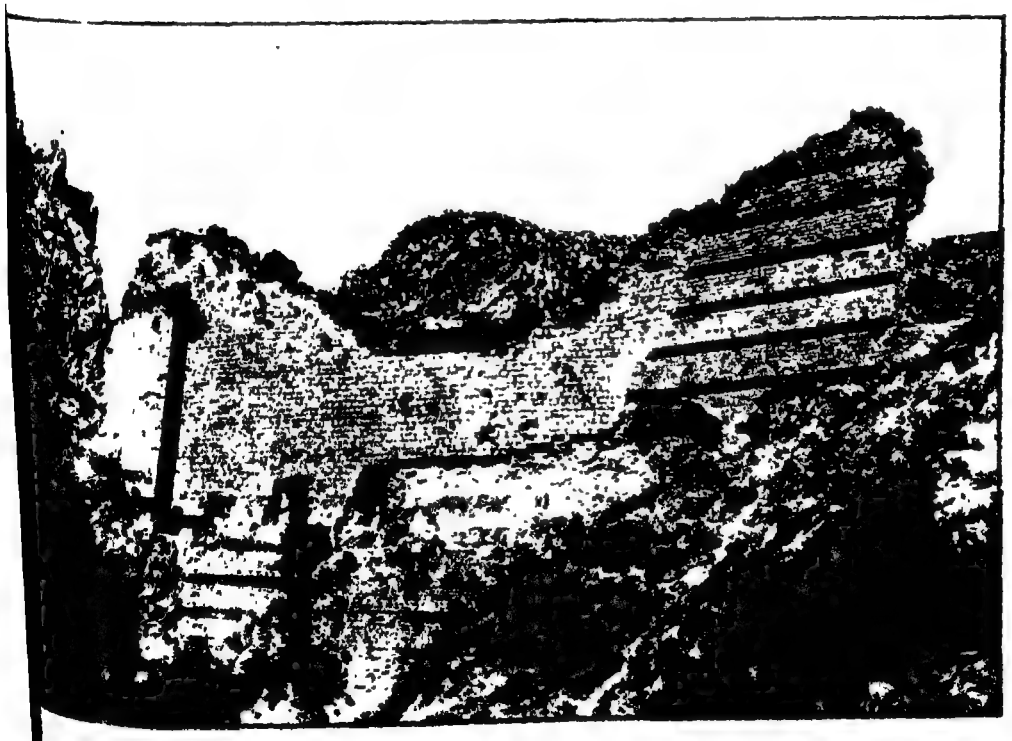

بقايا خزان باب الحديد بانطاكية

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الخامس من المجلد السادس والثمانين

١ مايو سنة ١٩٣٥ — ٢٨ محرم سنة ١٣٥٤

الطبيعة في ربع قرن

مآثر العلماء البريطانيين في عهد الملك جورج الخامس

تحتفل الامبراطورية البريطانية في شهر مايو بانقضاء ربع قرن على ارتقاء الملك جورج الخامس الملك . فيجدر بنا ان نقف بضع صفحات من المقتطف على تلخيص اهم ما حفل به ربع القرن من المآثر العلمية التي تمت على ايدي العلماء الانكليز . وقد يتوهم بعض القراء ان البحث لا يصح ان يكون موضوع مقال مستقل في المقتطف ولكن الواقع ان مباحث العلماء الانكليز في الطبيعة الحديثة ، من الاركان التي قام عليها علم الطبيعة الجديد فاجمالها بمثابة عرض لاشهر المكتشفات في العلوم الطبيعية في ربع القرن الاخير

ان حكم الملك جورج[1] الخامس حافلاً بنشاط عجيب في ميدان العلوم . امتاز بطائفة من ...فات العلمية الاساسية ، كان لها اكبر الاثر في توجيه الفكر العلمي في هذا العصر . ومن الاتفاق ان معظم وجوه التطور في العلم الحديث ، نشأ من مكتشفات ونظريات برزت للعالم عهد الملك جورج ففي سنة ١٩١١ اخرج الاستاذ رذرفورد نظريته في الذرة ونواتها . وقام ...زف طمسن بمباحثه في الاشعة الموجبة فأفضت الى مكتشفات الاستاذ استن في النظائر — وكان الاستاذ صدى قد سبق الى فكرة النظائر وتسميتها في سنة ١٩١٠ — وصور ...ولسن C. T. R. صورته الاولى بطريقة الغرفة الغائمة التي كانت اكبر معوان لعلماء الطبيعة في ...نشر الاستاذ غولند هبكنز نتائج مباحثه الاولى في الفيتامينات . وفي سنة ١٩١٣ نشر السر

---

[1] ...ت حقائق هذه المقالة في فصل للدكتور اندريد استاذ الطبيعة في جامعة لندن نشرته مجلة انباء لندن المصورة

وليم راغ وابنهُ الاستاذ وليم راغ رسالتهما الاولى في اصول البناء البلّوري واستعمال الاشعة السينية لتبيّنهِ، واذاع الاستاذ مكلود (قسيم بانتنغ مكتشف الانسولين) نتائج دراسته في البول السكري

لقد اثبت البحث ، ان نظرية رذرفورد في بناء الذرّة ونواتها . كانت من احسن النظريات العلمية واكثرها ثمراً في مختلف البلدان والمعاهد العلمية . فقد بين رذرفورد سنة ١٩١١ ان النتائج التي حصل عليها باطلاق دقائق الفا من احد مركّبات الراديوم ، يمكن ان تفسّر اذا فرض ان كتلة الذرة مركّزة في جسم صغير ، موجب الشحنة الكهربائية ، دعاهُ النواة . وان النواة تحيط بها غيمة من الكهارب ، وهي جسيمات سالبة الشحنة الكهربائية ، فتعدّل كهربائيتُها السالبة ، كهربائية النواة الموجبة ، وتصبح الذرّة محايدة او متعادلة الكهربائية . وبعيد ذلك فاز الاستاذ بلز بوهر ، وهو عالم دنماركي كان يشتغل في معمل رذرفورد ، بتطبيق نظرية الذرة الجديدة . على ظاهرة خاصة في خطوط الطيف ، ففسّر بها ، ما كان لغزاً مستسرًّا عن افهام العلماء . وحوالي ذلك الوقت ابتدع موزلي — وكان في معمل رذرفورد كذلك وقد قتل في خلال الحرب في حملة الدردنيل — ان قدر الشحنة الكهربائية على النواة لا وزن العنصر الذرّي ، هو الشيء الاساسي في تعيين طبيعة العنصر وبيّن ان الشحنة الكهربائية على نوى الذرات ، تتدرج صعوداً واحداً واحداً . وانه وفقاً لهذه الاعداد يمكن ترتيب العناصر من ١ الى ٩٢ فدعيت هذه الاعداد او الارقام بالاعداد الذرية وهي من اهم المكتشفات العلمية الحديثة في ميداني الطبيعة والكيمياء على السواء . ومن جملة ما افضت اليهِ ، تمهيد السبيل الوعر ، الى الكشف عن عناصر الهفنيوم والرينيوم والماروريوم والالنيوم

ثم اثبت الاستاذ فولر بالتجربة ، ان العنصر الواحد قد يحدث اكثر من طيف واحد ، وذلك يتوقف على فقد ذرتهِ لكهرب واحد او اكثر من كهاربها عند تهيجها واطلاقها للضوء ، وتفسير الطيوف الخاصة بهذه الذرات المؤيّنة ionized atoms (اي التي فقدت كهرباً واكثر من كهاربها) مطابقاً كلَّ المطابقة لنظرية رذرفورد وبور في بناء الذرة

ولما وضعت الحرب اوزارها ، وجّه رذرفورد نظره الى نواة الذرة ، وجمع حوله في معمل كافنديش بجامعة كمبردج طائفة من العلماء الشبان ما لبث ان طار ذكرهم كل مطار . ولا يخفى ان نواة الذرة اصغر من جزء من مليون مليون جزء من البوصة . فاذا اخذت ورقة رقيقة من الذهب (والذهب يمكن تطريقه حتى تصير ثخانة بضع مئات من اوراقه تساوي ثخانة ورق السيكارة) وصحّمتها تصبح سماكتها ميلاً كان علو الذرة فيها ذراعاً وحجم النواة في الذرة لا يزيد على حبة من الغبار . ذلك اسفر بحث رذرفورد وصحبه في النواة عن نتائج كان لها اثر عظيم في تمهيد السبيل الى سر البناء

من النواحي التي تسترعي النظر في بناء النواة مسألة تحويل العناصر بعضها الى بعض ، وهو طالما حلم بهِ أصحاب الكيمياء القديمة . ولما كانت الشحنة الكهربائية على النواة ، هي التي تعيّن خواص الذرّة من الناحية الكيمائية ، فنحن اذا استطعنا أن نغير تلك الشحنة بوسيلة من

استطعنا أن نحوّل العناصر بعضها الى بعض . ولكن الصعوبة . ان النواة أشبه بالحصن تحيط به المعاقل . وهي الكهارب . علاوة على كون الحصن نفسه متين البناء يفعل الطاقة العظيمة التي تشدّ وثاق الدقائق التي يتألف منها . فاستعمل رذرفورد دقائق الفا وطلقها على هذا الحصن فاخترقه . ثم استعان بمساعده الدكتور شدك فكانت النتيجة ان استطاعا احداث هذا التحويل في بعض الذرات ، وقد تبيّنا آثاره بكواشف غاية في الدقة

والصعوبة في استعمال دقائق الفا قلة مصادرها . وهي تنطلق من الراديوم في خلال تحوله الذاتي ومن غيره من العناصر المشعة . والمقادير التي تملكها من هذه العناصر قليلة . على انه في إمكاننا ان نصنع مقذوفات قوية ، بتعريض الذرات لطاقة كهربائية عالية الضغط . ولما كانت طاقة بضعة ملايين من الفولطات لا تجعل طاقة هذه الذرات الا من رتبة طاقة دقائق الفا . فالمظنون أن الضغط الكهربائي اللازم لجعل طاقة هذه الذرات يفوق طاقة دقائق الفا ، سوف يظل بعيداً عن متناولنا على أن الباحثين كوكروفت وولطن رأيا أن يستعيضا عن النقص في طاقة مقذوفاتهما ، بزيادة عددها . فكأن النواة حصن فيه ثغرات أو مواضع ضعف . فاذا استعمل عدد كبير من المقذوفات ولو لم تكن على جانب عظيم من الطاقة ، كان من المحتمل الرياضي ان يصيب بعض المقذوفات هذه الثغرات ، فيفعل العدد ما لا تفعله القوة . وكذلك استعمل كوكروفت وولطن ضغطاً كهربائية يقل عن مليون فولط . فاستطاعا أن يحوّلا عدداً من العناصر الخفيفة . وفازا بنتائج على أعظم جانب من الخطر في فهم البناء الذري . وقد استعمل رذرفورد نفسه طريقتهما هذه بعد أن حسّنها

ومن الاساليب الجديدة التي كان لها أثر كبير في ارتقاء علم الطبيعة ، اسلوب الغرفة الغائمة الذي استنبطه الأستاذ ولسن (C. T. R.) ومبدؤها ان الهواء الرطب اذا تمدّد ، وبرد بتمدّده ، تتقلص قطيرات من الماء على الذرات والجزيئات المكهربة فيه . فاستعمل الاستاذ ولسن هذا المبدأ لتبيين مسارات الذرات والكهارب ، مع أن الذرات والكهارب نفسها لا تُرى . وليس في وسع المطلع على نواحي التقدم في علوم الطبيعة الحديثة أن يغالي في مقام هذا المعوان على البحث

وقد اعتمد العالمان بلاكيت واوكياليني ، وهما من أعوان رذرفورد في كمبردج . على طريقة هذه فأثبتا وجود جسيم مادي دقيق مشحون شحنة كهربائية موجبة وهو صنو الكهرب . وهذا الجسيم بالكهرب الموجب (البوزيترون) وأول من قال بوجوده الاستاذ بدرسن معهد كاليفورنيا الذي يرئسه العلامة مِلِكَن . ومن الجسيمات المادية الجديدة التي كشفت (أي المحايد) كشفه الاستاذ شدك وهو مثل البروتون كتلة ولكنه لا يحمل شحنة ما واسمه يدلّ على ذلك

المباحث العلمية العظيمة الشأن ، لاتصالها أوثق اتصال بتحويل العناصر ، مباحث الاستاذ

أستن في النظائر (Isotope) . فقد استنبط طريقة عملية تمكنهُ من معرفة وزن الذرات معرفة دقيقة بامرار تيار من الذرات في مجال كهربائي ثم في مجال مغنطيسي ، فتبين لهُ أن بعض العناصر خليط من نوعين من الذرات ، أو اكثر ، تتشابه في الخواص الطبيعية والكيمائية ولكنها تختلف في وزنها الذري . فوزن الكلور الذري ٣٥٫٤٦ وهو في الواقع خليط من صنفين من الذرات أحدهما وزن ذراته ٣٥ والآخر وزن ذراته ٣٧ وقد ثبت بعد ذلك أن ذرات طائفة كبيرة من العناصر هي خليط من هذا القبيل . وأحدثها ما عرف عن نظائر الايدروجين . وهو العنصر المعروف باسم دوتيريوم في اميركا ودبلوحين في انكلترا ومنهُ يتركب الماء الثقيل ([illegible])

وقد اتجهت مباحث الاستاذ أستن في السنوات الاخيرة الى مقدار ما تفقده الذرة من كتلتها عند اندماج اجزائها بعضها في بعض وهو بحث متصل بنظرية الاستاذ اينشتين في تحول الكتلة الى طاقة

ولا ريب في أن البحث في الذرة الذي تمّ معظمهُ في جامعة كمبردج على ايدي طمسن وردرفورد واعوانهما من الامجاد العلمية التي يمتاز بها عصر الملك جورج الخامس

فاذا انتقلنا من الذرة ، الى البحث في الدقائق المادية التي تفوقها حجماً اي البلورات المؤلفة من ذرات وجزيئات ، وجدنا القدح المعلى فيه للسر وليم براغ ونجله الاستاذ وليم براغ فقد استعملا معاً قبيل نشوب الحرب الكبرى الاشعة السينية ، لتبين انتظام البناء الذري والجزيئي في البلورات . ذلك ان الدقائق المادية الصغيرة ، اصغر من امواج الضوء التي نبصر بها الاشياء فلا تنعكس عنها ولذلك لا نستطيع رؤيتها . لاننا انما نرى الاجسام التي تعكس امواج الضوء ولكن الاشعة السينية اقصر حداً من اقصر امواج الضوء ، ولذلك يمكن ان تنعكس عن الاجسام الدقيقة التي تتألف منها البلورات . ولما كانت الاشعة السينية مما لا نستطيع ان نحس به بالبصر فاننا لا نستطيع ان نرى الذرات والجزيئات بها ، فتستعمل طريقة التصوير الشمسي لتبين انتظام البلورات الداخلي . وقد تناول السر وليم براغ ونجله طائفة كبيرة من المواد ، بطريقة بها هذه المركبات المعدنية ، وهي بلورية صريحة في بلورتها ، ومنها مواد بلورية التركيب ولكنها لا تبدو كذلك مثل الزبدة والياف القطن والكتان والصوف . وقد استنبط الاستاذان طمسن (نجل جوزف طمسن) وراماان (الهندي) اسلوبين جديدين لاستعمال الضوء في تبين صفات الكتل والذرات والجزيئات ، واحرز ثانيهما جائزة نوبل العلمية جزاء له على اكتشافه

اما في ميدان الكيمياء فقد كان جانب كبير من العناية موجهاً الى دراسة الجزيئات المعقدة التركيب التي لها شأن بأفعال الحياة . ولعلّ اهمها شأناً من الوجهتين الكيمائية والحيوية العملية ، صنع الاستاذ ورنفتن لمادة الثيروكسين بالتأليف الصناعي ، وهي مفرزة الدرقية ومؤلفة من جزيئات كبيرة معقدة التركيب . فكان انساناً يفقد غدته الدرقية ، او ينشأ ضامرها ، يستطيع الآن ان يستعيض من مفرزاتها بمركب كيمائي صناعي

من أندية العلم

أنباء وآراء

لم يتسع لها باب الاخبار العلمية

﴿سرعة الطيران الجديدة﴾ جاء في المجلات العلمية الاميركية ان خطوة عظيمة الشأن في ارتقاء الطيران تمت لما استقل الطيار الأميركي ولي بوست — وهو الذي طار وحده حول العالم في أقل من سبعة أيام — طائرته القديمة «وني ماي» من لوس انجلوس متجهاً الى شيكاغو. فقد حلّق هذا الطيار، الى ارتفاع ٣٥ الف قدم او اكثر قليلا حيث الهواء لطيف كل اللطف. وليس ثمة عقبات هوائية تعيق الطائرة عن التقدم، فبلغ متوسط سرعته بهذه الطائرة القديمة ٣٥٠ ميلاً في الساعة مع أن اقصى سرعتها على بضعة آلاف قدم فوق سطح الارض لا يزيد او قلما يزيد على ١٥٠ ميلاً في الساعة

وبعد ذلك نشط المستنبطون ومهندسو الطيران الى صنع طائرات تتوافر فيها الاجهزة اللازمة للطيران على هذا العلو او فوقه قليلاً — مثل أجهزة تكفل للسائق والركاب الدفء اللازم، ومقداراً كافياً من الاكسجين للاستنشاق حيث الاكسجين قليل هناك، والضغط الكافي على المحرك — فعندئذ يمكن أن تبلغ سرعة الطائرات الطائرة على هذا العلو ما متوسطه ٤٠٠ ميل في الساعة، دون تغيير يذكر في تصميم الطائرات الحالية فتجتاز المسافة بين نيويورك وباريس في نحو سبع ساعات فقط. مع أن لندبرغ اجتازها في ثلاث وثلاثين ساعة ونصف ساعة

***

﴿قلاع في الهواء﴾ يرى الاستاذ لو المستنبط والعالم الانكليزي، ان بناء القلاع في الهواء سوف يكون صفة من الصفات البارزة في الحروب القادمة. وقد يسأل القارىء كيف تبنى القلاع والاصل في القلاع بناؤها المتين الراسخ في الارض بحيث لا تهزّها القنابل ولا تزعزعها. والاستاذ لو ان الحروب المقبلة سوف تكون في الغالب، حروباً في الجو، وان المدن الكبيرة تحتاج الى اسراب من الطيارات، ترتفع من مطاراتها، لمقابلة اسراب العدو. ولكن هذا لا يكفي. فلا بد من ان يبنى في الجو ما يقوم مقام القلاع والحصون على الارض. وهذا الجهاز، يستطيع ان يطلق القنابل من مدافع خاصة اطلاقاً افقيًّا واطلاقاً عموديًّا او نصف

عمودي ، فيسددها الى الطيارات التي تحاول ان تحوم فوق المدينة لرمي قنابلها المحتوية
والمكروبات . والطائرات لا تستطيع ان تفعل ذلك لانهُ لا بد لها من الحركة الدائمة
على الارض . وعنده ان هذه القلاع الجوية يجب ان تقام على اكياس صغيرة مملوءة بالهيدروجين
خفيف ، يكاد يقترب من الهيدروجين في خفته ، وقد ملئت به بلونات امريكا لانه
على ان الاكياس يجب ان تكون صغيرة ، لانه اذا كانت كبيرة . وأقيمت القلعة
اكياس منها، ثم اصيب احد الاكياس بقنبلة اختلَّ توازن القلعة وهوت الى الارض
اكياس الهليوم ، صغيرة وعديدة فانثقاب احدها او بعضها لا يكون لهُ هذا التأثير

***

﴿ اوراق الكوكا والكوكايين ﴾ جاء من بوانس ايرس عاصمة الجمهورية الارجنتينية
ان الحكومة ارصدت في ميزانيتها مبلغاً من المال غرضهُ ان ينفق في مكافحة مصع
بين هنود البلاد . فأوراق الكوكا هذه مصدر المخدر المعروف بالكوكايين وهنود
اعتادوا مضغها فتخدرهم ويعودون لا يحسون بالحر ولا بالبرد ولا بالتعب

بل ان اوراق الكوكا اروج بضاعة بينهم من جنوب بلاد كولومبيا الى الولايات
جمهورية الارجنتين ومعظم محصول هذه الاوراق تنتجهُ بوليفيا وبيرو
بوليفيا — كالقطن في مصر — محصولها زراعي الرئيسي

واسم هذا النبات العلمي معقد ولكن لا بأس بايراده فهو « اريثروكسيلون كوكا »
هنود تلك البلدان مضغه وهم سائرون وراء قوافلهم او وهم حاملون على ظهورهم اعباء
بها مسافات طويلة . بل انهم يستعملون ورقه في شكل مكمد لكل جرح او رض او
وعند ما يمر احدهم بمزار لاحد آلهة الانكاس « الاقدمين يقدم له تقدمة مؤلفة من ورقة
من نبات الكوكا

ويقول الكاتب الاميركي جون هوايت انهُ وقف مرة على نجد جبال الاندس على
الف قدم مرتدياً اكثف الملابس الصوفية ومع ذلك احس بالبرد ينخر عظامه . واكنه رأى
الهنود غير متأثر بالبرد مع انهُ كان يرتدي قميصاً من القطن . فكانت قطعانه تكسر الجليد الذي
جدولاً من الجداول وهو يخوض في ماء الجليد وراءها وسبب ذلك ادمانه مضغ اوراق الكوكا
المادة الغروية التي فيها ضعيف الاحساس بالبرد

***

﴿ البذر بالطيارات ﴾ في سنة ١٩١٩ استعملت الطيارات في بذر البذار في الحقول في
١٩٢٢ وسنة ١٩٢٦ وسنة ١٩٢٧ زرع العشب الخضير في الولايات المتحدة الاميركية وجزر

طيارات كذلك . وفي سنة ١٩٢٩ بذرت بزور الرز في كاليفورنيا . ولكن هذه التجارب جميعها
انت محاولات متفرقة لم تتعدَّ مساحات محدودة من الحقول . ولا يعلم ان الطيارة قد استعملت
هذا الغرض في غرب اوربا

اما في روسيا السوفيتية فقد استعملت الطيارة لبذر البذر في مساحات واسعة من الارض في
سنة ١٩٣٠ - ١٩٣١ وقد اتسع نطاق استعمالها لهذا الغرض في تلك البلاد اتساعاً مطرداً
بعد ذلك فبذرت بها البزور سنة ١٩٣٢ في مناطق مجموع مساحاتها ١٧٠ الف فدان . وفي سنة
١٩٣٣ في مناطق مجموع مساحاتها ٣٣٢ الف فدان . وفي سنة ١٩٣٤ في مناطق مجموع مساحاتها
٣٧٠٥٥٠ فدان

ومبرات البذر بالطيارة كثيرة . فبذر البزور باليد في منطقة مساحتها ٢٥٠٠ فدان يقتضي
٣٠٠٠ ساعة عمل وبذرها بآلة يجرها حصان او بغل يقتضي الف ساعة عمل وبذرها بآلة سيارة
يستغرق ٢٠٠ ساعة عمل . اما بذرها بالطيارة فلا يستغرق اكثر من ٦٠ ساعة عمل ثم ان محصول الفدان
الواحد المبذور بالطيارة اكبر من المتوسط المعتاد لان الطيارة في البلاد الباردة تمكن اصحاب الارض
من بذر ارضهم عقب ذوبان الثلج مباشرة . ومن اقوالهم المأثورة ان البذر في الطين يزيد المحصول
زيادة كبيرة تبلغ احياناً ٥٠ في المائة . ولكي يتمكن الفلاح من التبكير في بذر بذره يجرب الآن
تجارب غرضها اسراع ذوبان الثلج بذر مسحوق اسود على سطحه الابيض اللامع فيكثر امتصاصه
لحرارة الاشعة الشمسية ويسرع ذوبانه

***

﴿ عن بعوضة واحدة ﴾ في فصل من فصول هذا الجزء قصة العلامة فون يورغ الطبيب
النمسوي الذي كشف عن طريقة استعمال الحمى الملارية لعلاج الشلل العام الناشيء عن الاصابة
وقد قرأنا في السينتفك اميركان ان حكومة اميركا عهدت الى طبيب يدعى ماين في توليد
الخاص بالملاريا ليستعمل في لسع المصابين بهذا الضرب من الشلل لادخال الملاريا في اجسامهم .
حساباً فوجد ان توليد البعوض ونقله من مكان الى مكان يحتاجان الى نفقة كبيرة
جنيهاً للبعوضة الواحدة فارتأى ان يفعل ما يأتي : — يولد البعوض ويلوث بجراثيم
يستعمله في لسع المصابين بهذا النوع من الشلل في منطقة ما ثم تنزع غدده اللعابية وهي
تحتوي على جراثيم الملاريا ويبعث بها الى المراكز المختلفة فتستعمل جراثيمها في حقن
الشلل بعد معالجتها بطريقة خاصة وهذا يوفر على الحكومة نحو عشرين جنيهاً لكل
اجرة نقل الغدد اقل جداً من اجرة نقل البعوض في اقفاص خاصة ، ولان ستين في
المرض الحي كان يموت في خلال النقل واما الغدد فلا تصاب بتلف ما

كتابان في الفن الاسلامي — ١

نشأة الفن الأسلامي

والجامع الكبير بالقيروان[1]

لاحمد فكري

تكاد تكون المساجد التونسية مجهولة لعلماء الآثار جهلاً تامًّا ، فهي مغلقة في وجوه لا يسمح لهم بزيارتها ، ولم يظهر من المسلمين من يعنى بقيمتها الفنية فيدرسها ويكتب ولكن احوالاً خاصة تركت جامع القيروان مفتوحاً لزواره من الأجانب ، وتساهل المسلمون سكان القيروان فلم يحولوا دون زيارة معابدهم كما فعل سكان المدن الاخرى في تونس . و كتباً ظهرت حديثاً عن هندسة هذا الجامع وتأسيسه وبنائه وتاريخه فقد تبين لنا ان ما كتب إما غير واف وإما لا يطابق الحقيقة أو يشوّهها . والسبب الاول في هذا أن جميع من تناولوا الجامع بالبحث كانوا يجهلون المساجد التونسية الاخرى مع ما لها به من صلة وثيقة ، فهي تفسر منه ، وتجلو ما كان فيه موضعاً للشك . وقد اتيح لنا ان نكون أول من دخل هذه المساجد عن آثارها باحثين عن قيمتها الفنية . ولما كان لجامع القيروان شأن كبير ، لانهُ اكبر الآثار الاسلامية في تونس وأقدمها ، فقد جعلنا من دراستنا له الجزء الاول من كتابنا الفن الاسلامي في تونس

وقد أسفرت دراستنا هذه عن نتيجتين : الاولى تاريخية . والثانية فنية

اتفقت آراء علماء الآثار الاسلامية على أن الجامع الذي اختطه عقبة بن نافع سنة خمسين تهدم ولم يبق اليوم منه أثر . بل كان المتفق عليه أيضاً انهُ لم يبق شيء من الجامع الذي أمر هشام بن عبد الملك على انقاض جامع عقبة . وأن جامع القيروان القائم اليوم هو من آثار ابراهيم الاغلبي وانه يرجع الى عام ٢٢١ هجرية . ويصعب على الكابتن كرسويل — وهو آخر عن القيروان — ان يقرر أن مأذنة القيروان ترجع الى أوائل القرن الثاني للهجرة ويقول ان التاريخية وحدها هي التي حملته على الاخذ بهذا

واذا كان مؤرخو العرب نقلوا الينا تاريخ هذا الجامع مشوّهاً بعض التشويه او بالغ فيما نسب الى بعض الامراء من الاصلاحات والزيادات فيه ، الاّ ان ابحاثنا التي تتبعناها القواعد الحديثة لعلم الآثار قد أوصلتنا الى أن نجد بقية للجامع الذي اختطه عقبة بن

(١) تعمق الدكتور احمد فكري استاذ تاريخ الفن بمدرسة الفنون الجميلة في دراسة فن المعمار الاسلامي بلداناً عديدة باحثاً ومنقباً وقد وضع كتابين باللغة الفرنسية أحدهما في المسجد الكبير بالقيروان أحرز ... وقد وضع بارشاد المؤلف وأجري على لسانه

تحقق بقية محرابه القديم ، كما أوصلتنا الى أن نثبت ان أساس الجامع يرجع في نشأته الى عشر
هشام بن عبد الملك في عام ١٠٥ هـ . لا الى زيادة الله بن ابراهيم . والى هذا العهد يرجع بناء
من الصلاة . واذن فجامع القيروان يعود في مجموعه الى اوائل القرن الثاني للهجرة وهو فيما يكون
يرجع الى اقدم جوامع الاسلام القائمة ان لم يكن اقدمها جميعا وليس هذا مما يدعو الى الدهشة
تتركه مؤثراً او لم تمسه بتغيير . فقد افسح لاطه الوسطى . وادخل في محراب بقبته
وأقيمت امامه قبة عالية . وكان ذلك في سنة ٢٢١ هـ اي ٨٣٦ ميلادية في حكم زيادة الله
من التاريخ بأربعين عام في حكم ابراهيم بن احمد اصيبت في الصحن زيادته . وقامت فيه قبة
على القبة الاولى على انتهاء البلاط الوسطى . واكن جامع القيروان حفظ بعد هذا التاريخ
التي لم تؤثر فيه الاصلاحات الطفيفة التي ادخلت عليه في العصور التالية

وحسبنا بحثنا من الوجهة الفنية الى ان نحدد الفصل الذي يعود الى المسلمين في نشأة
الاسلامي ونهضته وتطوره . ولما كان لا يسع البحث في دقائق هذا الموضوع الا مجلدات ضخمة
هذه طويلة فقد قصرنا بحثنا على بعض نواحي هذا الفن الهامة

شكل الجامع وهندسته هما اول ناحية يتشخص فيها الفن الاسلامي . وقد كان متفق عليه
علماء الآثار المستشرقين ان ليس للمسلمين فضل في وضع هذا الشكل . وهم مجمعون على هذا الرأي
الاستاذ فان برشم حين يقول : « لم يكن لرجال الفن المسلمين وهندسيه الاولين
الا في غير تلك التي كانت متبعة وقائمة في الفنون البيزنطية او القبطية او السورية او الهندية
لم يكن لهم الاولى انظمة واشكال غير تلك التي اشتقت او نقلت عن الآثار القائمة حينئذ في
التي نشر فيها الدين الجديد بعد الفتوحات الاسلامية »

التاريخ والدين والسنة وعادات المسلمين وحالة جوهم وطبيعة بلادهم . غير ان هذه كلها
اقوال المستشرقين ، ويدل دلالة واضحة على ان شكل الجامع يعبر عن فكرة دينية غير
على ان وجوهاً عديدة تثبت اختلافه عن اشكال المعابد التي سبقت الاسلام

مسجد الرسول في المدينة هو اول مسجد بني في الإسلام . ولم يكن هذا كما دعى الكونت
الكونت « كرسويل » منزلاً خاصاً ولكنه كان بيتاً للعبادة اقيم لهذه الغاية . وليكون فيه
يأوى من الشمس والمطر والرياح ، ومعزلاً من الطريق والضوضاء . واذا كان في بعض
ما يدعو الى الظن في مشابهته لما سبقه من الآثار ، فما هذا التشابه الا صوري لا يتفق
ولا يظهر الا على الرسومات التي وضعها علماء الآثار بأحجام مختلفة ، يتضخم عليها ما
غير ملموس من الدقائق ، او يصغر عليها ما كان في حقيقته كبيراً

استطاع مثلاً العلامة ديولافوى ان يقرب ما بين محراب جامع قرطبة ومحراب الكنائس
محراب هذا الجامع اوسع حجماً في صورة مكبرة وضعها لجزء منه ، حتى انه لا يكاد

يظهر في القطاع العادي الكبير للجامع اذ ان عمقه لا يتعدى جزءاً من خمسين جزءاً من طول الجامع ، اذ به يتضخم في هذه الصورة المصطنعة ويصبح جزء من عشرة اجزاء

واذا ضربنا مثلاً آخر يتصل بجامع القيروان فقد يكفينا ان نعيد ما ادعاه [illegible] الآثار في اشتقاق صورة البلاط المتوسط فيه من كنائس افريقية البيزنطية . وقد يكون هذا هو [illegible] هذا الادعاء لو أننا رسمنا صورة لجامع القيروان يظهر فيها البلاط الاول مكبراً والبلاطات [illegible] متسعة ، ونجرد هذه الصورة من ثلاثة ارباع بلاطات الجامع ومن صحنه ومن مأذنته ومن [illegible] وزياداته واسواره . فنخرج من هذا كله بشكل قد يتفق مع شكل احدى الكنائس [illegible] عملية تسهل على صحيفة من الورق او في خيال أحد المفكرين ولكنها لا تطابق لو [illegible] او لا تصلح ولا يمكن ان تتم في بناء قائم حي كجامع القيروان . واذا عدنا الى [illegible] وجدنا صريحة لا تقبل النقض ولا تتحمل الشك . فقد بحثنا في جميع كنائس الارض علنا نعثر [illegible] طولها ٧٧ متراً او نسبة طولها الى عرضها كنسبة طول المسكبة الاولى الى عرضها في [illegible] او ١٣ الى واحد فلم نجد اثراً لهذا ، او لما يقرب من هذا ، بل ولا لما يقرب من [illegible] صممنا يوماً بكنيسة من الكنائس يراد ان تتسع فيزاد في طول مسكباتها ، وانما [illegible] في طول صحنها ، فالكنيسة بناء لا يقبل زيادة من اية جهة كانت ، اما الجامع فيقبل [illegible] ان شئت زدته اتساعاً من جنوبه او من شرقه او من غربه او من شماله

بين الجامع والكنيسة اختلاف في الشكل ، وبينهما اكثر من هذا اختلاف في [illegible] يقتصر الامر فيما نحن بصدده على تنظيم شكل او على ابتكار فكرة ، ولكن الذي يهمنا [illegible] هذه الفكرة الى حيز العمل ، هو هذا البناء القائم عليها . ولا شك ان بناء جامع القيروان [illegible] اكثر ايضاحاً واشد حجة من كل ما كتبه عنه المؤرخون وعلماء الآثار

وكما ان الحاجة لا تدعونا الى وثيقة تاريخية تثبت بها ان اعمدة هذا الجامع [illegible] قديمة أخذها العرب عن آثار مندثرة — فهي وحدها تنطق بذلك — فكذلك لا تدعو الى مثل هذه الوثيقة لتثبت بها الابتكار الاسلامي لما يعلو هذه الاعمدة من حدادات (chapiteaux) وقرم (tailloirs) وأقواس ، اذ لم يسبق ان استعملت هذه العناصر في تاريخ فن العمارة لهذه الوظائف التي تؤديها في القيروان ، ولم تتخذ قبل ذلك مثل الاشكال التي اتخذتها او وجه الشبه التي رآها فيها علماء الآثار مع اشكال اخرى كانت موجودة قبلها فهي لا تتفق مع الفنون ولا تطابق تطوراتها ، إذ لا يمكننا ان نقبل ادعاء يقول بأن القوس المتجاوز — القرس — كان مستعملاً في الهند وفي سوريا قبل استعماله في الفن الاسلامي لم تكن لبناء جامعة غاية زخرفية عند ما فكر في اقامة هذه الاقواس والعقود وانما كانت كل عنايته متجهة الى تذليل المعمارية التي ظهرت أمامه من دفع للقوى وضغط للاثقال ومقاومتها ، ومن اضاءة بيت الصلاة [illegible] كان تشغل فكره ولم يقابلها مجتمعة بناء قبله ، كان

في حدوثها وكانت الفكرة التي حلت صعابها جديدة أيضاً . فلم يسبق في تاريخ فن العمارة ان استعملت مثل هذه الأقوس المتجاورة على جدارات مرتفعة . وهي وعناصرها تؤدي في جامع القيروان وظائف عملية عديدة منها اقتصاد في مواد البناء ، وزيادة في اضاءة بيت عميق جداً من كل الفتحات الا تلك التي تصل اليه من الصحن ، وضغط أقل على الأعمدة ، ومقاومة أكثر لطرد الانحناءات .

ويجب أن لا ننسى انه من الخطأ أن نحكم على أثر من الآثار من ناحية واحدة فقط ، سواء كانت هذه الناحية في قطاعه السطحي وتنظيم رسمه ، أم كانت في بنيته الداخلة واقامتها ، أم كانت في كتلته ، أو في بنيته الخارجة ، أم كانت في زخرفته ومؤثرات اجزائه . واذا نحن اردنا أن ندرس أثراً من الآثار فلن تكون دراستنا مجدية ان نحن فرقنا بين ناحية وبين اخرى ، أو ان لم ندرسها باعتبار الواحدة منها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمجموع النواحي الاخرى . فاذا نحن أخرجنا منارة القيروان من الجسم التي هي عضو فيه ، فقد تتصل في شكلها الخارجي بالابراج السورية ، وقد تكون مأخوذة عنها ، كما قد تكون لقباب القيروان صلة بالقباب الفارسية ، ولدعامات أبوابه علاقة بدعامات الحصون البيزنطية . ولكن هذه الصلة وهذه العلاقة لن تبقى قائمة اذا نحن أعدنا هذه الأعضاء الى الجسم الذي كانت تعيش فيه . ولن يجوز وجه للشبه بعد هذا ، وسرعان ما تتلاشى ذكرى هذه العناصر ، ليس جامع القيروان عبارة عن مجموعة من الأعمدة والعقود . ولا هو قبة ، أو منارة ، أو مدخل ، أو اسوار . بل ليس هو كل هذه العناصر متعشقة ، ولكنه جسم حي وما هي الا أعضاء فيه اذا هو عاش بها فهي تستمد حياتها من جسمانه ، وبيانها المعنوي من كتلته

وكيف لا نشعر بذلك اذا وقفنا امام مدينة القيروان . فكأنها تمتد فسيحة منطحة ليظهر فيها الجامع أكثر جلالاً وأسمى عظمة . بل ان المدينة كلها تكتسب عظمتها من هذا الجامع . وهل اقتضاء بعد هذا ذكرى الابراج السورية امام هذه المنارة المنيعة الاساس ، القوية التوازن ؟ وكم تتصاغر القباب الفارسية أمام خفة قباب القيروان ورشاقة صورتها . وكم تتثاقل وتغلظ الدعائم الفارسية اذا قوبلت بدعائم القيروان التي تمد أسواره بقوة فيها كثير من الجمال . وتحيط مداخله بحلة الجلال . لم تكن غاية دراستنا لجامع القيروان ان نصفهُ وصفاً دقيقاً في جميع اجزائه بل نثبت بها ان هذا الجامع كتلة واحدة لا تنفصل اجزاؤها وفكرة واحدة لا تتشعب عناصرها . الفكرة جديدة تهيأت في وسط ديني اسلامي وخضعت للبيئة الاجتماعية التي نشأت فيها ، والمادية التي تكونت منها . وأردنا ان نحدد ايضاً الفضل الذي يرجع في ابتكار هذه الفكرة وتخريجها ، الى رجال الفن من المسلمين . فدلنا البحث على ان بنائي القيروان كانوا مهندسين متسع بكل دقائق الفن ، وذوق متسع لكل نواحي الجمال ، وتقدير منطقي لكل وظائف البناء بيت الصلاة والمصلين . وكفاهم فخراً وكفى عبقريتهم فضلاً انهم تركوا في تاريخ المدنيات جديدة باهرة ، فأقاموا أثراً معمارياً اصيلاً في شكلهِ وبنيتهِ وكتلتهِ ومؤثراتهِ

احتضار الغرب

أو فلسفة القدر الحديثة [1]

لعلي حسن الرابع

ليست الثورة الفكرية التي أحدثها شبنجلر بالتي تتسع لها مجالة صغيرة ، وهي التي [illegible] والفن منذ سبعة عشر عاماً ، وصدمت المألوف حتى في أكثره بداهة وجلاء

ولقد فرغتُ من قراءته للمرة الثالثة و بلغتين احداهما لغة المؤلف . وهي اللغة التي [illegible] للوصول الى معاني شبنجلر الدقيقة وفهم العبارات والألفاظ التي صاغها لتأدية المعاني الجديدة [illegible]

ومهما يكن في آرائه الفذة من الشذوذ الا انها في مجموعها تقسرك على النظر الى الكون وحياة وتاريخ الانسانية والفنون والمجتمعات والمدنيات والثقافات نظراً كله جدة وغرابة . والجدة لذة ليس بعدها لذة

حقاً أن شبنجلر هو ذلك الفكر الذي حلّق في آفاق لم يكن الخيال ليحلم باختراقها وهو صدع فيه معاقل كانت لبداهتها وألفتها في مأمن حريز من النقد والاعتراض . لعل [illegible] قلبت أوضاع البحث الفلسفي والفنون وسائر الاتجاهات العلمية والأدبية . وعلى رأس ذلك التاريخ نفسه . وكفاك دليلاً على ثورته الهائلة أنهُ اكتسح هياكل فكرية وفنية حفرها [illegible] بل آلافاً من السنين . من المحتمل أنهُ تاه قليلاً أو كثيراً في ميادين بحثه الجديدة . ولكن العذر لمن غزا فردوس عقليًا لم يطأه مفكر من قبل . يعذر أن فلت منهُ خاطر هنا هناك . اذ لن يمسَّ ذلك عظمة ابحاثه . وكفاك أنهُ نزع عن المنطق سلطانه المتين وعرّاه أسلحته التي مكنت لهُ في الميادين العلمية . وأرانا كيف أن القدر هو المحرك الوحيد لاعظم وأصغرها . كما أبان كيف أن الحضارات والمدنيات تسير في أدوار مرسومة لا مفرّ منها ، وأن الغربية التي نشهد احتضارها الآن لا مناص لها من السقوط الذي قد بدأ . ومن [illegible] بمظاهر القوة من اسلحة فتاكة واستعمار . فذلك ـ وهنا احد أوجه الغرابة ـ شأن السقوط [illegible] ويستخرج لك شبنجلر من بطون الحوادث التاريخية القديمة والحديثة ما يقطع برأيه ويسند

وأن عظمة شبنجلر لا تقتصر على هذه الثورة الفذة من الآراء الهادمة . بل أنها [illegible] تلك المقدرة الاعجازية التي جعلت ذهنه الجبار يتسع لتلك الجبال الضخمة من المعلومات التي

---

(١) كتب بعد قراءة Oswald Spengler وهو مترجم الى كل اللغات الحية Untergang des Abendlandes

نفسها وتناولها في خفة وحذق . فهو يكاد يُلمّ بكل شيء . تعلم اللغات الحية والقديمة . ثم تاريخ كل أمة وحضارة — ثم بالعلوم والرياضيات بجميع أنواعها — ثم بالفنون الجميلة من نحت وتصوير وموسيقى وشعر وأدب — ولكل أمة وحضارة . حتى الدين والفلسفة . وفي الهند والصين والارتيك (احدى حضارات امريكا المتوسطة القديمة) ثم — وهذا الخ — قد تضلع كل ذلك بقوة حتى أصبحت هذه المعلومات شطراً من نفسه وملكة من ملكاته يلاعب بها الكبير ويقتنص بينها علاقات لم تخطر لذهن بشر — علاقات وارتباطات كم هي مدهشة — بين الحادث في مصر القديمة ، ويعطيك مقابله تمثالاً معيناً في مدينة من المدن القديمة ، ثم فطرة مستقرة في الحضارة الغربية الحديثة . أو بستاناً نصراً في زمن معين من تاريخ الصين

وهذا الشخص في عبارته كأنما قد عاش بين تلك المدنيات . ثم يستقري سرها ويعرف كأنه — سبحانه الله — مبدع تلك الفنون وخالق تلك الحوادث والاشخاص التي غرت مجرى التاريخ وهو في كل ذلك يرجع الى المنطق ليهدم المنطق ويلجأ الى دهشة الحس وطريقته المعقدة ليهدم بها السهل والعلم العمي المألوف

وهو قد أرغم التاريخ على أن يبوح بسره لأول مرة . فتتجلى لك شروع الحوادث من جديد في وجهها الحقيقي القديمة التي تخرج من الاسباب الى النتائج وتتجاهل الاهمية والصدفة والعرضية لاهمية

وحذار من قراءة شبنجلر ان لم تكن واسع العلم . عميق الاطلاع فانك غير مفهوم فتصحح من نفسك . والا فانك مضطر للرجوع الى المراجع والمظان بين كل سطر وآخر . بل بين كل كلمة وكلمة . والى ذلك يرجع احد الاسباب في عدم ذيوع آرائه ذيوعاً يتفق وعظمتها . ولكن يصح ان كتاب شبنجلر في عشرة آلاف صفحة بدل الألف التي حصره فيها

فالى الحشى ان يؤخذ شبنجلر على انهُ رجل فكر وخيال فحسب ويظن به عدم تصال آرائه بالحياة كالخلقية Ethical والاقتصادية والسياسية . فذلك وهم . اذ انهُ ضرب في كل ذلك بسهم . فهو كما علمنا كيف نقرأ التاريخ فانهُ هدى الملحد الى الايمان بالله وعلمنا كيف نفكر ونثق بالواقع اكثر من ثقتنا بالمعقول . وكشف لنا عن المبادئ التي لا غنى عنها من حيث الاهمية والاجتماعية والفنية فيها . واليك احدى نواحيه وتحذيراته : ذلك ان الفلسفة والفن قد زلت في هذا العصر عن عروشها . وان الفنان الآن انما يحاول المستحيل لامحال الروح في جسم الحضارة . وانهُ اولى بالتوجيه في العلم والتربية ان يتجه الى الناحية المادية والسياسية لمثل هذا الدور في المدنية الغربية الحالية كما سنبين ذلك بعد

طعن الداروينية في احد اسسها الهامة وهو التطور التدريجي مطابقة للبيئة . واثبت أن الهامة في تطور الكائنات والمجتمعات والانظمة والفنون والعلوم بل والعقائد انما كانت القضاء المحتوم كما يملي على نمو الفرد من الكائنات في تشكيل جسمه الى ان يصير تام الشكل

والتكوين . وأثبت بأدلة جلية أن هذا القضاء هو الذي فصل فجأة وطفرة لا تطوراً و[illegible] الجماد والحياة وبين النبات والحيوان وبين كل نوع والآخر وأن القضاء هو الذي حدّ[illegible] وكل نوع وكل حضارة . وفسّر بذلك عجز علم الحفريات عن الاهتداء الى هيا كل بشرية [illegible] بين الانواع السفلى للانسان وبين ظهور الانسان فجأة . وعجز علم طبقات الارض عن الا[illegible] في وجود تلك الطبقات المحدودة من التكوينات الارضية وكان أولى بها بناءً على النظرية القائلة [illegible] ان تكون الطبقات المذكورة ذات تدرج غير محسوس عكس الواقع (١)

وإن ما حصل له في كيفية وضعه مؤلفه التاريخي لدليل على صدق ما أتى به من [illegible] والمجتمعات مسوقة بدورة محتمة لا تدبير فيها للارادة الذاتية والاجتماعية اذ انهُ لم يكن [illegible] الفتح الذي اتى بهِ والذي يُقر شبنجلر نفسه بأنهُ فلت منهُ عن غير قصد او تدبير [illegible] ١٩١١ يُفكر في وضع بحث عن الموقف السياسي واحتمالاته وكان يُحسُّ دنوَّ الحرب العظمى [illegible] التقديرات . ولكن أفق البحث أخذ من تلقاء نفسه وبمسا ساحر يتسع امامه حتى خرج [illegible] من ميدان العوامل المحيطة الى العوامل المشابهة في العصور الاخرى ثم تشعب الى [illegible] بحضارات اخرى) واذ ذاك (تكشفت له علاقات بين الحضارات) ومشابهات في دورانها [illegible] من قبل . فأخذ يدرس العصور والحضارات بفنونها وادبائها وآدابها وانقلاباتها السياسية [illegible] مهتدياً بضوء جديد ارسلتهُ العناية الالهية . حتى نما شيئاً فشيئاً ذلك الصرح السحري لدى [illegible] شبنجلر والبناء الجديد الذي بنتهُ فلسفتهُ وابحاثه للكون بعد ان قضى على البناء القديم والفلسفة القديم الذي بنتهُ بهِ الفلسفة المألوفة

وكي تفهم شبنجلر لابد من معرفة مدلول الفاظ ابتدعها لمعنى خاص يغلب عليها القداسة والسمو اي ازواجاً متضادة منها الكينونة وبالألمانية Sein والصيرورة وبالألمانية [illegible] الحالة الاولى رمزاً للجمود والتصلب والموت وفي الثانية رمز الحركة والالهام والحياة [illegible] نظره عنوان الجمود والزمن عكسه — فهناك منطق الفراغ الصامت الجامد وهو المنطق [illegible] ومنطق الزمن الحي النامي وهو منطق شبنجلر الذي يتصل بالقضاء والتعاقب الزمني [illegible] عجيب واستعراض لحوادث التقدم العلمي والفني يُريك الادلة الناصعة على ذلك فالفيزيائي [illegible] يتغلغل في الديانات الميثولوجية والالهام الفني بعكس المنطق المألوف الذي تحجّر في اللغة [illegible]

وجوهر بحثهِ يدور على محور الحضارات لا الشعوب ولا الامم ولا اللغات كما بحث [illegible] من قبل وضلَّ في بحثهِ . اذ اثبت شبنجلر بالادلة القاطعة عدم وجود الفوارق الرئيسية [illegible] علم الشعوب الحديث . ويرى ان (وحدة التاريخ انما هي الحضارات) ودلَّل على ان لها حياة

(١) اكتشف النباتي De Vries الهولندي في تجاربه النباتية ظهور نباتات بصفات جديدة لا [illegible] في حقل تجاربه . وكان ذلك دافعاً له الى تسجيل النظرية الغريبة التطورية التي سماها Mutation Theory

ادوار معينة من ميلاد الى شباب ثم شيخوخة وموت محتم. وقد حدد حياة كل حضارة بالف سنة. مثبتاً ذلك بأدلة قاطعة مطبقاً نظريته على سائر الحضارات المطروقة وغير المطروقة كالمصرية القديمة والهندية والصينية والعربية واليونانية والغربية (الحالية) حتى الامريكية القديمة (الازتيكية).

قد رأى شبنجلر ان المؤرخين درجوا على سنة تقسيم التاريخ الى قديم ومتوسط وحديث متأثرين من الحاضر والمكان القريب واللغة والقومية، قاذفين بالماضي البعيد الى نصيب ضئيل من العناية. كان مؤرخو العرب مثلاً يرون في حاضر بلادهم من خطر الشأن ما دفعهم الى تقدير تاريخ البلاد الاخرى والماضي البعيد للبلاد العربية نفسها تقديراً ثانوياً. وكذلك مؤرخو الفرنجة في العصر الحديث فانهم يجمعون تاريخ الامم القديمة جميعها في حيز ضئيل تحت عنوان العصر القديم ثم يبحثون تاريخ الامم الوسطى ناظرين اليه نظرتهم الى المجتمعات غير الناضجة. ثم يتناولون التاريخ الحديث كأنه الكل في الكل. وقد تأثرت بهذه الوجهة النظرية جميع الابحاث والمناهج الموضوعة للتدريس. كما فصل في مصر من تخصيص دروس السنة الاولى الثانوية لتاريخ الامم القديمة جميعها.

***

لم يكتف شبنجلر بهدم هذا الاساس بالنسبة للماضي والحاضر بل تخطى ذلك الى معجزة التنبؤ المستقبل قياساً على الماضي، لا كنتيجة لاسباب حاضرة فعالة. بل كمراحل محتمة شأن الكائنات تماماً اذ تستطيع ان تقدر ما يصيبها من تغيرات في تكوينها في اوقات معينة بحسب نوعها.

ويطلق شبنجلر كلمة اوقليدسي على التقسيم التاريخي المألوف نسبة الى اوقليدس [illegible] الرياضي [illegible] حالة انه اطلق كلمة كوبرنيكي على نظامه نسبة الى كوبرنيكوس [illegible] واضع النظام الفلكي [illegible] الذي فيه الكرة الارضية ذات شأن ضئيل في المجموعة الشمسية والنظام الفلكي عامة.

[illegible] ابان شبنجلر ان العالم الانساني يصوره في تطوره حضارات متسلطة على كل العناصر الاجتماعية [illegible] الحضارات تخضع لناموس عام من النمو لا يفرّق بين حضارة واخرى الا في الطابع الخاص [illegible] كل حضارة عن الاخرى كما تتميز انواع الكائنات وافرادها بعضها عن بعض. فقضى بذلك [illegible] الحاضر والتأثر بالتاريخ القومي، تلك المكانة التي سيطرت على الابحاث التاريخية في كل العصور. [illegible] الاساس او قل على هذا البناء الجديد الذي شيده شبنجلر للتاريخ استطاع ان يقوم بمعجزة [illegible] العمران بانواعها المختلفة في مكانتها الطبيعية، فكشف لنا عن سر تقدم الفنون الجميلة في [illegible] وانحطاطها في عصور اخرى، كما ارانا سر التطورات السياسية والاجتماعية والعلمية غير [illegible] دون ان يزيل عنها ذلك الغموض والخلط اللذين تسلطا على الابحاث الى عصرنا هذا وهي [illegible] اليه الحكم والتدليل. وبذلك تكشف لنا التاريخ عن مظهر جديد، فاذا بتاريخ الامم [illegible] الفنون والعلوم المستقلة بعضها عن بعض اوهاماً، وأصبح هناك فن وعلم ورياضة [illegible] وفلسفة خاصة بكل حضارة. وأصبح القول بتاريخ فن النحت او التصوير او

الموسيقى او البناء خرافة من الخرافات اذ لكل منها في كل حضارة روح خاصة غير [illegible] الحضارة الاخرى

وقد اتى باكتشاف رائع اساسه تحديد جلي للفظين لا يزالان مختلطين في [illegible] وهما Culture و Civilization ودعنا نسمي الاول حضارة والاخير مدنية. فالحضارة هي الاصل. وهي التي يطلقها على الدورة جميعها. وهي التي تُبتدع وتبلغ عن ايجاز [illegible] الدورة كالمصرية القديمة في عهد الاهرام والحضارة الغربية في القرون الوسطى [illegible] المادي الحالي الذي يخدع المؤرخ فيتصوره اوج الحضارة. ألا وهو العمران [illegible] الاقتصادي والاستعماري والآلي فقد دلل شبنجلر على انهُ رمز الموت والفناء وعبّر عليهِ شبنجلر كلمة مدنية «Civilization» وهي المرحلة الاخيرة للحضارة كالحالة التي [illegible] الحضارة الغربية من القرن التاسع عشر وسنفنيها حتماً. فالحضارة الشباب، والمدنية الكهولة [illegible]

وفي الحضارة تزدهر الروح الفنية وتكون على اشد خصوبتها فتظهر روح الفن [illegible] طابع الحضارة وتتخذ رموزها شكلها الخالد الذي يختلف بين كل حضارة وأخرى ويدور [illegible] محوره المدن الريفية الصغيرة التي تسيطر عليها حياة الاشراف ورجال الدين مثل [illegible] في المدنية العربية وبروج ونورنبرج في الغربية. وفيها تنشأ الفنون لا لكسب شأن [illegible] بها الفنانون الملهمون. أما المدنية ففيها يجدب الفن ويصبح عقيما منحصراً في [illegible] والاساليب والزخارف التي انحدرت من عصر الحضارة بعد ان فقدت روحها [illegible] ميتة. وفي الوقت نفسه تتقوى الناحية العقلية Intellectual وتسيطر على المدينة [illegible] المذاهب الاجتماعية المبنية على تنظيم جديد لمجتمع اساسه المصالح المادية كالاشتراكية والشيوعية وهنا يأتيك شبنجلر من تاريخ مصر القديمة وبلاد الصين والهند بما يثبت وجوده هو واقع الآن في المدنية الغربية. وفي هذه المرحلة تنشأ المدن الكبيرة الهائلة [illegible] وتصبح الأخلاق مادية ويضعف الايمان وتضمحل سلطة الاديان ويقضي على [illegible] في الفن والحياة

ويخضع شبنجلر تاريخ الامم العبرانية والعربية والفارسية والبيزنطية وسائر امم الشرق [illegible] الاولى قبل الاسلام وبعده الى حضارة واحدة اطلق عليها الحضارة العربية. كما وضع [illegible] في مكانه الطبيعي كمرحلة المدنية Civilization المتحدة للحضارة الاغريقية التي بدأت [illegible] الواقعة بين ٨٠٠ و ١٠٠٠ قبل الميلاد. وفيها نشأت الالياذة. ورأى في تاريخ روما [illegible] وبيزنطة روحاً عربية. وابان كيف كان الامبراطرة الرومان والبابوات في القرون المسيحية يأتون بصناع وفنانين من الشام وبخاصة بيروت ليبنوا الكنائس في روما والقسطنطينية وبقية الاخرى في ايطاليا وجنوب فرنسا وهي كنائس متأثرة بروح المساجد ذات القباب اي غير

ى وكذلك عند تحول كنيسة ايا صوفية الى مسجد لم يحصل فى تغيير وتة وسمت المدينة ة الها المفقود !

ى شبنجلر ان الحضارة الغربية قد اجدبت واوغلت جمودية كما تجمدت الحضارة ر من الطرق المرسوم والمومياء وغيرها من رموز الاستمرار والخلود بينما تجمدت الحضارة ن التمثال العاري. والحضارة العربية عن الكيمياء والجبر والتقشف. والحضارة المصرية من ان الخلود فى الطبيعة كرموز لروحها . ولم يكن هذه الرموز محددة تعنى ما تعنى ي المعلقات في الحضارة ونطقت عن لسانها . فهو يرى ان الحضارة الحضرية حضارة ذات تسيطر ورية عرقا لزمن متجهة في خط مستقيم الى غاية معينة متشبثة بالخلود ورمزها الحقيقي والهيكل ة مجرد نقيض من ذلك الحضارة اليونانية والهندية التي تجلت روحهما فقصت بعدم الاحتفال ا في طقوسها الدينية عند الموت ، ولم تكترث العناية بالتنقيب عن الآثار المدفونة في ثنايا قب حراق الفرس لها ولم يعن باستخراجها الا ممثلو الحضارة الغربية في العصر الحديث . الحضارة الغربية الحالية كالمصرية من حيث استصحاب الزمن و حتمه. ويرى شبنجلر في حضارة الاولى المتجلية في كاتدرائياتها المحلقة في الفضاء واللانهاية موسيقى متحولة في البناء نظير ة الكلاسيكية « اليونانية القديمة » المحيطة بوطنها . وعلى ذلك يرى في موسيقى صاحبه هذه الخالدة انها لم تتمكن من الانطلاق الطبيعي « كما الى الموسيقى » الا في حريات حضارتها ر العظماء كموزار وبيتهوفن وآخرهما فاجنر . ولا يتصور احد مقدار الروعة لهذه الموسيقى ت من الانطلاق في شبابها بدل الاختناق في ذلك الرسم البنائي [illegible]

القصد في عصر المدنية فانما هي حرف ، ان كان لها جمال فهو جمال مصنوع او مركب جسم الروح والسحر شأن البناء والموسيقى والادب في العصر الحالي . ولا تجد يعبر انتاج الفنان وانما هو تشكيل من سائر الاساليب التي انتجتها الحضارات الاولى على اره الحالية . خذ بناء من الابنية الشهيرة التي تشيد او قطعة موسيقية حديثة فانها تثبت لن تبقى وتخلد . ومن ذا الذي يطمئن الى هذه الفلسفة التي فسرت ذلك الاسراح المتحول عليها في هذا الاوان وهو انتاج عقيم لا روح ولا خلود ولا قيمة فيه . شأن الادباء ين غمروا الاسواق مسوقين بدوافع الكسب والدعاية وتعروا من سمو الالهام والعبقرية الحضارات في ميلادها واثناء دورها بالحضارات المحيطة تأثراً مدنياً لا روحانياً . وكثيراً زي غريب مأخوذ من المدنيات القائمة كما تأثرت الحضارة العربية بمدنية الرومانية «التي المتممة للحضارة اليونانية كما سبق الذكر »

كشف شبنجلر عن سر قد خفي الى الآن . هو ذلك التناقض الذي وقع فيه فلاسفة بية بعد دراستهم الفلسفة اليونانية . ذلك أن روح المدنية العربية القائلة بالازدواج

والخفاء والروحانية لم تكن تتصور الفلسفة اليونانية الفردية المجسمة تصوراً اميناً . ولذلك [illegible] عبثاً من الفارابي وابن رشد وغيرهم التوفيق بين آراء افلاطون وارسطو من ناحية والفلسفة [illegible] المحضة من ناحية اخرى لانهما لغتان غير قابلتين للترجمة . وكذلك المدنية الغربية منذ [illegible] الى الآن فانها لا تدرس المدنية اليونانية وانما تدرس روحاً غربية في شكل اكلاسيكي

وكما تتدثر الحضارة بزي حضارة اخرى في احدى مراحلها كذلك قد تقتل قتلاً او [illegible] جامدة لا حياة فيها . فالحضارة الازتيكية كانت في عنفوان شبابها ابان اكتشاف [illegible] الاسبان لها ، ولكن جاءت تلك الغزوة فسحقت تلك الحضارة ولم تبق لها على [illegible] الحضارات اي بقاؤها جامدة لا حياة فيها بعد عمرها المحدود فهو يصيبها في اواخر ايامها [illegible] النظام الامبراطوري اي عقب انتهاء المدنية كما اصاب المدنية الهندية والصينية والعربية [illegible] مئات السنين في مواطنها

ويرى شبنجلر ان لكل حضارة رياضة خاصة « Mathematics » . وان الرياضة [illegible] واللذة — انما هي تحجُّر للصور التي تمخضت عنها الحضارة وانها لا تتكوَّن وتستقر في [illegible] الثابتة الاَّ في اول عهد المدنية . فالرياضة من رموز الموت ويرى في العدد رمز الحضارة [illegible] والهندية، وفي الجبر — اي العدد غير المحدود — رمز الرياضة العربية ، وفي حساب التفاضل [illegible] « Calculus » اي الوظيفة العددية رمز الرياضة الغربية بروحها اللانهائية

وعلى اساس هذه الابحاث اصبح شبنجلر يطلق « المعاصرة » على معنى جديد [illegible] والاحقاب وينصبُّ على مكان المعاصر في مرحلة تطور الحضارة . فهو يرى ان بوذا [illegible] الهندية يقابل سقراط في اليونانية والكندي في العربية وروسو في الحضارة الغربية . و[illegible] التشابه السطحي كما بين الاسكندر واغسطس قيصر اللذين يختلفان اختلافاً كبيراً . كما [illegible] افلاطون معاصراً للفارابي في المدنية العربية وجيته Goethe في الغربية

وليس من الممكن التعرض لكل ما اتى به شبنجلر من آراء فذة في مقال بسيط كهذا [illegible] ما يمكن استخلاصه من قراءته هو انه رجل هادم لأمتن العقائد والمذاهب الفلسفية [illegible] علم أو فن الاَّ اتصل بأعمق اغواره ثم اخذ معوله الجبَّار وانقضَّ تهشيماً وتحطيماً فلم [illegible] ولا عقيدة ولا علماً الاَّ وعراها . ونزع عن المنطق سلطانه على الابحاث بعد ان اكتشف [illegible] لغز الوجود ، وابان كيف يلعب القدر بالعقول والاحكام ، وكيف ان النظريات التي اتت بها [illegible] متقيدة بالمكان والزمن ان هي الاَّ اوهام . كما بين ان القوانين العلمية والاخلاقية والر[illegible] اوهام تبرز في عصر المدنية . اذ ان لكل شيء بداية ونهاية يمليهما القضاء والقوة الخفية [illegible] الكون . وكذلك بعد ان فرغ شبنجلر من تحطيم كل شيء استطاع ان ينتحي ناحية من [illegible] المحطم وان يستضيء بالهامه فيبني كوناً آخراً على نسق لم تألفهُ العقول البشرية

تاريخ الديموقراطية

في الصحة والعلاج

للدكتور محمد خليل عبد الخالق بك (١)

نريد في مستهل الكلام ان اريل لبساً قد تعلق بمعنى الديموقراطية عند استعمالها مقرونة بتاريخ الطب والصحة العامة . فقد وضعت كلمة الديموقراطية في الاصل للتعبير عن « حكم الجمهور » . ثم تغير المقصود منها على تعاقب العصور وبحكم الاحوال حتى صار يقصد به « المساواة » في العرف الشائع . فاذا استعملنا هذا الاصطلاح في بحثنا هذا فانما نقصد به « حق التمتع بالصحة والعلاج »

ولا يُنكر ان المساواة المطلقة في الصحة والعلاج تكاد تحسب في جملة المستحيلات . اذ هنا تولد على درجات مختلفة من الاستعداد الصحي ومتانة التركيب . وعلى ذلك يكون المقصود من معنى الديموقراطية هو توفير الوسائل الضرورية للعلاج وصون الصحة لمختلف افراد الشعب . وبالطبع لا يتعارض هذا مع قدرة البعض على استشارة اكفاء الاطباء واغزرهم خبرة وعلماً . ودفع نفقات العلاج بأحدث الآلات وأنجع الوسائل في التطبيب والسكنى في اصح الجهات مناخاً وفي فخم المنازل بناء مما لا يتيسر لعامة الناس

ان حق التمتع بالصحة هو في الواقع جزء لا يتجزأ من الحرية الشخصية التي تعتبر في عصرنا من الحقوق المطلقة لكل انسان . لم يتمتع الانسان الاول في فجر التاريخ بالصحة ، ولم ينعم بحق الصحة من غير مقابل ، كما ينعم بالهواء ونور الشمس ؛ بل كان هذا مقصوراً على من يحبوهم رئيس العشيرة ويخصهم برعايته وايثاره ، فقد كان هو الطبيب المعالج كما كان المتصرف في الادوية . وهذا شأن رؤساء القبائل في مجاهل افريقيا . ثم انتقل الطب من دائرة اختصاص زعيم القبيلة الى رجال الدين ، فكان هؤلاء يضمون الى معالجة الارواح معالجة الابدان والعناية بصحتها . ويبذلون خدماتهم الطبية والصحية لقاء ما يقدم اليهم من قربان وهدايا . وعلى هذا لم يكن فرص الصحة تتاح الا للاغنياء واصحاب السلطة والنفوذ بقدر ما كانت بعيدة عن متناول الجمهور

في هذا العهد كان الطب ضرباً من الشعوذة والتعاليم الدينية الساذجة وخليطاً من الصلوات والتعاويذ والتبرك بالآلهة والاصنام وتقديم القربان وما هو على سبيل ذلك

ما زلنا في وقتنا هذا نرى في الشعوب الهمجية ان التطبيب يدخل في اختصاص رجال السحر

---

(١) استاذ علم الطفيليات بكلية الطب ومدير معهد الابحاث ومستشفى الامراض المتوطنة بمصلحة الصحة . وهذا هو الجانب الاكبر من احدى المحاضرات التي القيت في ردهة يورت بجامعة القاهرة الاميركية

والشعوذة ... وما تزال آثار هذا العهد ملحوظة في اعرق الامم مدنية ، ففي برلين و[illegible] افراد يعالجون اليوم بالتمائم والتنجيم ويقصدهم افراد من ارقى الطبقات كما هو الحال [illegible] وفي القاهرة ، وتلك بقية من عهد بائد كان المرض فيه منظوراً اليه على اعتبار انه [illegible] استولت على الجسم ، ولا يخرج هذه الروح الخبيثة غير السحر ، وبعد ذلك اتيح [illegible] الفرعونية ان يخرج من الظلام الى النور وينتقل من ايدي الكهنة الى رجال يخ[illegible] ووضعت لهم اسس علمية ما زال الكثير منها قائماً الى اليوم . ومن مصر الفرعونية [illegible] الطب الى اليونان فالرومان . وفي القرن الخامس قبل الميلاد كان نفر من الاطباء المتجو[illegible] خلال القرى في اليونان ويعالجون من يشاء . ولعل هذا اشبه بالحركة الجديدة التي فش[illegible] الاخيرة في كثير من الممالك على صور مستشفيات متنقلة وسيارات مجهزة كأنها عياد[illegible]

وحدث ان الجماعات الممتازة الغنية في اليونان القديمة كانت تحتكر طبيباً يقيم [illegible] دون سواها . لكن الى ذلك العهد كان التطبيب مقصوراً على الاغنياء القادرين على [illegible] الفقراء فكانوا يعالجون بطب الركة او الوصفات البلدية التي هي مزيج من التعاليم الط[illegible] والعود

واهتم الرومان بصحة عبيدهم لانهم كانوا مصدر ثروتهم . فحرصاً على دخلهم اقا[illegible] خاصة بالعبيد. وقد كان سيدنا موسى عليه السلام واضع الاساس في الطب الوقائي [illegible] بأن الراحة والطعام والماء والامراض المعدية هي من أهم واجبات المملكة. ثم بزغ نجم [illegible] عليه السلام ، ومن تعاليمه التي بثها « ان المرض علامة على رضى الله على عبيده » ومن [illegible] تباري الاتقياء من المسيحيين في ايواء المرضى والانفاق عليهم بسخاء في معاهد خ[illegible]

وعلّمت البوذية معتنقيها ان العطف على المرضى من صفات البررة واهل الـ[illegible] الاسلام وحثّ على العناية بالمرضى وبذل المعونة لهم وايوائهم ومؤاساتهم . فكان من [illegible] المباركة من جانب جميع الاديان ان كثرت المعاهد الخيرية كما نرى في الاوقاف المحبوسة [illegible] والاحسان والتكايا والمستشفيات المجانية. وسار الحال على هذا المنوال متروكا لاريحة [illegible] من اهل الديانات المختلفة الى سنة ١٨١٨ . ففي هذا العام بدأت حركة لتعميم الانتفاع [illegible] الاطباء لكافة السكان بلا تمييز . وشرح ذلك ان دوقية (ناسّو) في المانيا سنت قانو[illegible] الاطباء ان يرتدوا ملابس خاصة تميزهم عن بقية السكان حتى تسهل الاستعانة بهم و[illegible] بطبهم . ثم بدأ العلامة الباثولوجي رودلف ڤيرشو في سنة ١٨٤٨ حركة واسعة [illegible] الطب . وبلغ من حماسته لفكرته ان أصدر مجلة باسم « اصلاح الطب » واساس هذه الحر[illegible] الديمقراطية في الطب ، أي حصول كل فرد على نصيبه في العلاج كحق وليس كاحسان [illegible] كان الاخفاق نصيب هذه الحركة

وفي سنة ١٨٧٨ حدثت مؤامرة في المانيا على حياة غليوم الاول ادّت الى حل [illegible]

الديمقراطي . لكن بسمارك رأى بحصيف رأيه ان تيار الاصلاح الاجتماعي [illegible] وحدها [illegible] . فأصدر قانون التأمين الصحي الاجباري في سنة ١٨٨٣ [illegible] [illegible] الصدوره من الهيئة الحاكمة . اذ ظن الجميع ان هذا القانون [illegible] لكن [illegible] ما حذت الدول الاخرى حذو المانيا

وهذا القانون يضمن للعامل المعالجة وان يتقاضى [illegible] [illegible] عليه ايجاد عمل . على ان هذا القانون لم يجعل تنفيذه الزاميًّا الا في سنة ١٨٨٩ [illegible] ١٨٨٨ [illegible] قانوناً يشبهه . والمجر في سنة ١٨٩١ ، وبريطانيا العظمى في سنة ١٩١١

والقانون البريطاني يطبق على العمال بين سن ١٦ وسن ٦٥ سنة ممن [illegible] ٢٥ جنيهاً [illegible] ان يكونوا غير موظفين في الحكومة او في هيئات تدبر لهم معاشاً [illegible] وعلاجاً [illegible] المرض ويدفع العامل ٣٦ مليماً في الاسبوع ، وتدفع المرأة العاملة ٣٤ مليماً في الاسبوع . [illegible] العمل ١٨ مليماً في الاسبوع ، وتدفع الحكومة تسعة مليمات عن كل [illegible] مليمات [illegible] كل عامل في الاسبوع . وبمقتضى هذا النظام يتمتع العامل بالفحص والعلاج [illegible] [illegible] في الاسبوع اثناء مرضه في حدود مقررة . وتأخذ المرأة ٥٢ قرشاً في الاسبوع

ويتقاضى الطبيب ٤٥ قرشاً عن كل شخص مؤمن عليه . ومعدل [illegible] من هذا المشروع [illegible] يبلغ ٢٥ جنيهاً في الشهر . اذ ان عدد هؤلاء الاطباء بلغ ١٥٧٦٤ طبيباً [illegible] ١٩٣٢ ، [illegible] عدد الاشخاص المؤمن عليهم ١٥٨٠٣٠٠٠ شخص

واذا درسنا الحال في اكثر البلاد ديمقراطية من الوجهة الطبية — مثل امريكا والمانيا وانجلترا — [illegible] ان هناك عناية شديدة بأفراد الجمهور على مختلف طبقاتهم ، وكان ذلك [illegible] الاجتماعي [illegible] وشعور الطبقات العاملة بمكانتها في المملكة . اما في الممالك الاخرى [illegible] حركات [illegible] الشعب الفقيرة فيها شأواً بعيداً في المطالبة بالاصلاح الاجتماعي [illegible] هذه [illegible] حذت حذو البلاد السابقة ، فوفرت للعامل والفقير الكثير من وسائل العلاج والمحافظة [illegible] . ويرجع هذا الى الامور الآتية : —

اولاً — ان العناية بصحة الافراد الفقيرة من الشعب لها اكبر التأثير في كثرة السكان . وبالتالي [illegible] الدفاعية في الحروب وغيرها . وهذا موضع عناية القائمين بالحكم في اكثر الممالك

ثانياً — ان الامراض التي تتفشى بين الطبقات الفقيرة لا يمكن حصرها بينهم ، ولذلك فالطبقات [illegible] والغنية » تقاوم الامراض خوفاً من انتشارها واصابتهم بها ، ومن ذلك المحافظة الصحية [illegible] حدود المملكة حتى لا تتسرب اليها الامراض المعدية الوبائية

ثالثاً — توفير سبل العلاج للطبقات الفقيرة قبل ان تطالب به عمل حكيم لتهدئة الحركات الاشتراكية [illegible] قبل ان تستفحل وتؤدي الى ثورة على النظم تخرج بها عن الحدود المعقولة

فالعناية بالصحة في جميع الممالك المتمدينة سارت شوطاً بعيداً في طريق الديموقراطية الحقة، وذلك ما يتميز به القرن الماضي والقرن الحاضر في تاريخ المدنية. ويتبين ذلك على الخصوص في توفير الماء الصالح للشرب، والتخلص من الفضلات، وتحسين المساكن، ومراقبة الأغذية، ومقاومة الأمراض المعدية

فالماء الذي نشربه من أهم مصادر العدوى اذا لم يكن نقياً جداً. فمياه النيل في مصر وفي كثير من الممالك مياه النزع ملوثة جداً ببراز الانسان والحيوان من آلاف الفلاحين الذين يشتغلون في الأرض ويتمولون ويتبرزون فيه عدا ما يغسل على الشواطىء من الأواني والملابس القذرة الملوثة ببراز الانسان المريض والسليم، ومن يتبولون ويتبرزون على الشاطىء ويستحمون فيه. فاذا كانت هذه المياه على حالها كانت مصدراً كبيراً للعدوى بالأمراض خصوصاً الحمى التيفودية ورمد (الديسنطاريا) والكوليرا . . الخ فاذا ما تفشى أحد هذه الامراض في منطقة انتقل بسرعة الى من يشربون هذه المياه الملوثة

ففي المدن الكبرى في القطر المصري وفي جميع المدن والقرى في اكثر الممالك الأوربية مواسير تنقية ميكانيكية وكيمائية بحيث يكون خالياً من شوائب الامراض ويوزع على جميع افراد الجمهور بدون تمييز بينهم بأجر قليل أو بالمجان، ومن الخطأ ان يكون الماء احتكاراً للشركات التي تنشئه للكسب بل يجب أن يكون من الاعمال التي تقوم بها الحكومة من الضرائب العامة

ولعلّ الرجل العادي في مدينة القاهرة لا يدرك ان الماء الذي نشربه الآن لم يصل مثله حتى الملوك والامراء في العصور السابقة ولا يتمتع به الفلاح في القرى المصرية بعد. ولعلكم تعرفون ذلك بعض الجهال في مدينة القاهرة يذهبون الى النيل لاحضار مياه الشرب مفضلينها على مياه الحنفيات ويقولون انها (مياه بخيرها) ولا يدركون ما بها من المرض، وهذا يشاهد كثيراً في شهر بؤونة حيث تباع الزلع الملأى بمياه النيل على العربات في الاحياء الوطنية، وهذا مثل من فرض السيطرة على الجمهور الذي لا يقدّر فوائد هذه الاعمال

والقانون في البلاد الانكليزية يحرّم السكنى في منزل لا توجد به المياه الجارية من الحنفيات فيسمّى في عرف القانون « بيت لا يمكن سكناه » وأما في القاهرة فهناك منازل كثيرة محرومة من المياه الجارية وذلك لان قيمة اشتراك المياه اكثر مما يسع الفقير دفعه

وأما القرى المصرية فلا تزال محرومة من المياه الصالحة للشرب الذي يقي السكان من كثير من الأمراض

والتخلص من الفضلات له المقام الثاني في المحافظة على صحة السكان بدون تمييز بينهم وهو أيضاً من الاعمال التي تقوم بها الحكومات أو البلديات لصالح جميع أفراد الجمهور، وخير ذلك اما بنقل المواد البرازية في الحال من المساكن الى حيث تعالج حتى تستحيل الى مواد غير

أو نافعة في الزراعة أو الصناعة . وهذا ما يشاهد في عملية المجاري

أما فضلات الأكل وما يتخلف عن كنس المنازل والطرقات فيزال تجمعه وتقله بسرعة . وما زالت القرى المصرية محرومة من كل هذا ، فالفلاح يعيش بين فضلاته وفضلات المواشي في جو لا يطاق ، عدا خطره على الصحة . ومن الديموقراطية الحقة أن لا يترك [illegible]

وأما تحسين المساكن فقد جرى شوطاً بعيداً في الأمم الحديثة . فقامت الحكومات ببناء آلاف من المنازل الصحية وآوت اليها الفقراء بأجر قليل فوقتهم ووقت باقي أفراد الأمة شر الأمراض العديدة والضعف الصحي الذي ينتج عن المساكن الغير الصحية

وقد عملت تجربة من هذا القبيل في القاهرة ، فبنيت مساكن للعمال في مكان تل معمل البارود بالقرب من كلية الطب . ولكن تبين فيما بعد أن العمال لا يمكنهم أداء إيجارها المرتفع . فسكنها الآن بعض الموظفين . وذلك لأن العامل في البلاد الأوربية يمكنه أن يسكن في منزل صحي وأن يدفع إيجاره باعتبار الفوائد المعقولة بالنسبة لرأس المال الذي تقتضيه ، ولكن العامل في مصر لا يمكنه في الوقت الحاضر أن يقيم في منزل صحي ويدفع فوائد رأس المال الذي يتكلفه . فهو لا يكسب في المتوسط أكثر من خمسة قروش في اليوم . أما في القرى فالعامل يشتغل في الوقت الحاضر بقرشين ونصف القرش ينفق منها على جميع ضروريات الحياة له ولزوجته وأولاده الصغار فلا يمكنه أن ينفق على المسكن أكثر من نصف القرش في اليوم أي ١٥ قرشاً في الشهر أو ١٨٠ قرشاً في العام . وهذا المبلغ يعتبر فائدة لرأس مال قدره ٦٠ جنيهاً باعتبار ٣ في المائة إذ ضربنا صفحاً عن القدر اللازم لإصلاح المنزل والمحافظة عليه . ولا يمكن في الوقت الحاضر إقامة مسكن صحي بهذا المبلغ . ولذلك لا يرجى إصلاح في مصر ما لم تُزد أجور العمال ، ومن الخطأ اعتبار هذه المساكن منحة لساكنيها بل مساعدة لهم ودفعاً للاستغلال الغير المشروع عنهم

وأما مراقبة الأغذية وإعدام غير الصالح منها فهو عمل أساسه منع الضرر عن جميع الأفراد من دون تمييز . ومن الأسف أن تنفيذ القوانين الخاصة بذلك لا يلقى للآن العناية الواجبة في مصر لأن الأفراد أنفسهم لا يقدرون قيمة هذا العمل بل يقبلون على شراء الأشياء التالفة من الغذائية طمعاً في قلة ثمنها ولكن فاتهم مقدار الفائدة العظيمة التي تعود عليهم إذا كانت المواد خصوصاً في المواد السهلة التعفن مثل اللبن وهو قوام حياة الأطفال والمرضى والناقهين

ومقاومة الأمراض المعدية والأوبئة من أجل الخدمات الديموقراطية التي تؤدى في الوقت الحاضر ، فقد أصبح الجدري مرضاً نادراً ، وقد كان إلى عهد قريب لا تغيب ذكراه عنا لكثرة الذين تظهر على وجوههم آثاره والتي لا تزول حتى الممات ، وكذلك الكوليرا التي كانت تودي بألوف من السكان ، فكثيرون من الحاضرين لم يروا أهوالها ، وكل ذلك بفضل الاحتياطات ومقاومة الأوبئة في مبدئها بدون تفريق بين أفراد الأمة ، فالمرض بطبيعته لا يفرق

بين الافراد . فهناك المحافظة الصحية على الحدود وفي الموانئ وفي المطارات وفي مديريات [illegible] وهي على استعداد دائم للعمل حالما تظهر حالة مرض وبائي . فيتغلبون على الداء قبل استفحاله [illegible] عدد وافر من المعامل الصحية ومستشفيات الحميات والكوردونات لعزل مثل هذه الحالات [illegible] بها والمحافظة على سائر الافراد من انتشار العدوى بينهم . وعلى هذا نرى ان تعاليم [illegible] القيمة من الوجهة الصحية قد صار تنفيذها على شكل ديموقراطي واسع النطاق في عدد [illegible] تكللت باكبر قسط من النجاح . فكان من تأثير الاعمال الصحية الكبرى في الامم المتمدنة [illegible] متوسط عمر الافراد جميعاً سنوات عديدة بدون تمييز بينهم وقلت نسبة الوفيات بين الاطفال [illegible] لا فرق كبير بين مختلف الطبقات في ذلك ، وهذا اكبر دليل على ديمقراطية الصحة [illegible]

وآخر ما وصلت اليه الحال في أرقى البلدان الأوربية من هذه الوجهة ان العناية بصحة [illegible] الشعب تبدأ عند التفكير في الزواج ، فلا يصرح به الا اذا كان الزوجان خاليين من [illegible] يمكن أن تنتقل الى الذرية ، بل قد شرعت المانيا اخيراً في تعقيم افراد الشعب المصابين [illegible] في نسلهم تحسين وقاية للمجموع من انتاج نسل شرعي أو غير شرعي مصاب بآفات شديدة [illegible] خطر على باقي أفراد الشعب . فاذا حملت المرأة فقد أعدت لها مستوصفات للعناية [illegible] للحامل من المصاعفات أو الحوادث . فاذا جاءها المخاض تولى أمرها قابلات أو اطباء [illegible] المملكة حتى يتم الوضع وتنهض الام . أما الطفل فيتولى أمره مركز رعاية الطفل حتى [illegible] عمره . فيجبر على الانتظام في مدرسة ، وهناك يكون تحت رعاية اطباء المدرسة وهم [illegible] اختصاصهم في مختلف فروع الطب خصوصاً الأمراض الباطنية المعدية وامراض [illegible] والحنجرة والاسنان . ويستمر هناك الى أن يبلغ السادسه عشرة من عمره فينتقل [illegible] وهناك يكون ملزماً بالاشتراك في التأمين الصحي . الا اذا كان ممن يزيد ايرادهم [illegible] فهولاء بطبيعة الحال يمكنهم الحصول على العناية الطبية والصحية ببذل الاجور المقررة [illegible]

وعلى ذلك نجد أن الديمقراطية الطبية والصحية متوفرة تماماً في هذه الممالك . فهي [illegible] الشعب قبل ان يكونوا أجنة في ارحام امهاتهم ولا تزال ترعاهم حتى يتوارون في [illegible] الوسائل المتبعة في هذه المنشآت الطبية والصحية من الوسائل الضرورية فقط ، [illegible] طرق العلاج المتبعة بما يمكن ان يحمل عليه الاغنياء ، وليس معنى هذا ان هناك [illegible] الفنية . بل الذي ينقص هو وسائل الراحة والترف والتنعم ، ويمكن ادراك هذا من حالة [illegible] بالنهاب الزائدة الدودية أحدهما في عنابر مستشفى قصر العيني والآخر في الدرجة الاولى في [illegible] خصوصي . فالعملية في كلا الحالين تعمل بالطرق العلمية الصحيحة ، ولكن الحجرة والفراش [illegible] و . و . الخ تختلف تمام الاختلاف في الحالتين[1]

(١) وقد وقف المحاضر الجانب الاخير من محاضرته على مشروع الالتزام العلاجي القروي وقد نشر [illegible]

الفاظ التصنيف

في الحيوانات

للامير مصطفى الشهابي

— ١ —

نشرت في عدد شباط (فبراير) ١٩٣٤ من المقتطف اصلح الطرائق الواجب اتباعها في نقل المصطلحات العلمية الى لغتنا العربية. ومن جملة ما ذكرته في ذلك المقال ان الالفاظ التي تدل معانيها على صفات بارزة في النبات او الحيوان تترجم الى العربية بمدلولات تلك المعاني. فالفاظ التصنيف في الحيوانات الدنيا كلها او معظمها لها معان. فينبغي اذن الرجوع الى اصلها اليوناني او اللاتيني وبعدئذ توضع لها ألفاظ عربية تفيد المعاني المذكورة إما تماماً او على وجه التقريب عند الحاجة الى الاختصار. وهذا ما قمت به في هذا المقال الموجز. وقد سبقني الى بعض الالفاظ الواردة فيه اصحاب مؤلفات الحيوان والمعاجم (أو المعجمات) العلمية. ولكن نصف تلك الالفاظ على الأقل هي من وضعي او مما لي فيه نظر يختلف عن نظر المؤلفين المشار اليهم. ومن البديهي ان هذا البحث انما كتب لمن يشتغلون باللغة العربية والفاظها ولاساتذة الحيوان في مدارس التجهيز والجامعات. ما غيرهم فربما ملّوا قراءته

...

يقسمون دوحة الحيوان (مملكة الحيوان) بادىء بدء قسمين كبيرين كل منهما ردف دوحة (مملكة) وهما اولاً الحيوانات التي يكون فردها خلية واحدة. ثانياً الحيوانات التي تركب من خلايا عدة

الاولى تسمى Protozoaires واصلح لفظة تقابلها « حُيَيْوينات » وسماها بعضهم دُويبات ... والثانية تسمى Métazoaires ومعناها العديدة الخلايا وقد يفيد التعبير عنها بلفظة ... « الحَلَوِيَّات »

الحييوينات

الحييوينات ثلاث شعب (قبائل، قُبَل برأي من درسوا بالانكليزية خاصةً) ففي الاولى ... وينات مجهرية خليتها خالية من غشاء يحيط بها. ويكون لها نواغض تسعى بها او تلتقط ... ونها Rhizopodes اي جذرية الاقدام. فاذا لزم ان نطلق عليها لفظة واحدة قلنا

« الجَذْريّات » . وفي الشعبة الثانية تكون الجبلة الاولى من خلية الحيويين محاطة بغشاء كما يكون لتلك الخلية أهداب تتحرك بها في الماء . وهي تسمى Infusoires اي « النقيعيّات » . اما الثالثة فهي شعبة الطفيليات المسماة Sporozoaires اي « الغُبَيْريّات » سميت كذلك لانها تتكاثر بواسطة غُبَيْرات Spores (ولا تقل بزوراً) . وتكون خلايا بعض الغبيريات محاطة بغشاء وبعضها لا غشاء لها . وجميعها خالية من اهداب تتحرك بها

***

﴿ الجذريات ﴾ تقسم شعبة الجذريات قسمين . ردف شعبة « الجذريات الفصّية » Rhizopodes lobés وردف شعبة « الجذريات الشبكية » R. réticulés وفي الردف الاول صفان (طائفتان) وهما اولاً صفّ « النغّاضات » او « المتحوّلات » Amibodes وهي الحييونات المسماة Amibes ومعناها النغّاضة او المتحوّلة او المتبدلة . ثانياً صف « الشمسيات » Héliozoaires وجميعها حييونات مائية لها نواغض دقاق تشع حول الخلية ولذا سميت الشمسيات

اما الردف الثاني ففيه ايضاً صفان اولهما « النقبيّات او « المثقبات » Foraminifères وثانيهما « الشعاعيات » Radiolaires ولكل منهما صفات ليس ذكرها من متناول هذا المقال

***

﴿ النقبيات ﴾ في شعبة النقيعيات Infusoires صفان الاول تتحرك حييوناته بأهداب طوال غلاظ قليلة العدد يندر ان يتجاوز عددها ست هدبات في الحييون الواحد . ويسمون الاهداب اسواطاً ولذا اطلقوا على هذا الصف اسم « النقيعيات السوطية » او « السوطيات » Flagellés . اما الصف الثاني فله اهداب مهتزة صغار دقاق كبيرة العدد ربما بلغت ٢٥٠٠٠ في حييون واحد . واسم هذا الصف « النقيعيات الهدبية » او الهُدْبيات » Ciliés

وفي كلٍّ من صفي السوطيات والهدبيات أربع رتب . فرتب السوطيات هي أولاً « السوطيات الجذرية » Rhizoflagellés وهي ببساطتها تقرب من الجذريات . ثانياً « السوطيات الأصيلة » Euflagellés وفيها أهم خصائص السوطيات . ثالثاً « السوطيات المُطَوَّقة » Choanoflagellés ويكون سوطها محاطاً بطوق . رابعاً « السوطيات المثانية » Cystoflagellés وفيها حييونات تشتمل أجسامها على فصفور مشع

أما صف الهدبيات فتقسيمه رتباً يقوم على شكل الاهداب في تلك الحييونات . ورتبه هي : اولاً « كاملة الهُدْب » Holotriches سميت كذلك لان أهداب الحييوين تكسو كلها . ثانياً « مختلفة الهدب » Hétérotriches ويكون في أهدابها ضرب يختلف عن الاهداب الاخرى . ثالثاً « قرصية الهدب » Discotriches ولها أهداب تقوم على صفيحة كالقرص . ورابعاً « سفلية الهدب » Hypotriches وأهدابها قد زالت اجمالاً الاّ حوالي الفم

ويقسمون السوطيات والهدبيات الى فصائل عدة يطول بنا نفس الكلام اذا ما رحنا نستقصيها

***

﴿ العُنبيريات ﴾ جميع العنبيريات طفيليات تعيش في أجسام غيرها من الحيوانات . واسمها مشتق من العنبرات لانها تتكاثر بها . وفي هذه الشعبة صفان مهمان . اولا « الخيشوميات » . وجميعها كروية الشكل صغيرة القد تعيش واحدتها في حاية من خلايا مضيفها من الفقريات ولرحوة خاصة . ومنها أشكال كالعنبيريات الدموية Hemosporidies و« العنبيريات اللحمية » « العنبيريات المخاطية » Myxosporidies و « العنبيريات الدقاق

أما الصف الثاني فهو يسمى بالفظة Grégarinens لم اهتد الى أصلها فيما حوته حزانة كتبي من المراجع

الخلويات

اختلف علماء الحيوان في كيفية تقسيم الخلويات الى شعب . وقد اتبعت أحد هذه التصنيفات فسكان على الصورة الآتية : يقسمون الخلويات بادئ بدء قسمين كبيرين كل منهما فوق شعبة وهما. « الحيوانات النباتية » Phytozoaires و « الحيوانات المتناظرة أو المتضفرات » في القسم الاول ثلاث شعب معروفة وهي « الإسفنجيات » و « المجوفات أو ذوات الطون » Coelentérés و « الشوكيات أو شوكيات الجلد » . أما القسم الثاني ففيه شعب « الديدان » Vers و « أشباه الديدان أو وحيدة الشعبات » Vermidiens ou و « الرخوة أو المُلاميات » و « المفصليات » و « الحبليات » Cordés

***

﴿ الاسفنجيات ﴾ تعيش معظم الاسفنجيات في البحر لاصقة بالصخور شأن كثير من النباتات النباتية . وفي أصقالها شبكة من ألياف متشابكة يسمونها « سُنَيبلات » . وعلى هذه السنيبلات . وعلى اختلافها يبنون تصنيف الاسفنجيات فيجعلونها على صفين : « الاسفنج الكلسي » Eponge calcaire و « الاسفنج الرملي » كما أنهم يبنون على تلك السنيبلات تصنيف الاسفنج الرملي وتقسيمه الى رتب مثل « سداسية الفروع » و «رباعية الفروع» Tétractinellidés و«وحيدة الفروع» . رتبة « الاسفنج القرني » Kératospongiés لها اصقال مؤلفة من الياف قرنية متشابكة ب الاسفنج الشائع

﴿ المُجَوَّفات ﴾ المجوفات أو مجوفات البطون من اكثر الحيوانات عدًّا وانتشاراً في ... ومعظمها بحرية . ويسمونها زهر البحر لما لها من الاشكال الجميلة والالوان الزاهية ، والـ... العُدَار Hydre (عن معجم الحيوان) ورئة البحر أو فرج البحر Méduse واضرابهما

وتقسم هذه الشعبة الى أربعة صفوف وهي اولاً « العُدارات الرئوية » ... « المرجانيات » Coralliaires ثالثاً القُرُاصيّات Acalephes رابعاً « المِشْطيّات »

فصف العُدارات الرئوية يحتوي على ثلاثة روادف وهي ردف صف « العُدَاريّات » وردف صف « الرئويات الخشنة او رئويات البحر الخشنة » Trachynémides ثم ردف صف « المِمَصّيات » Siphonophores (من السيفون وهو المَمَصّ)

وفي العُداريات ثلاث رتب : « العُدارات » Hydraires و« الجُرَيسيات او الخ... Campanulaires والعدارات المرجانية » Hydrocoralliaires

وفي صف المرجانيات بعض من الرتب وتحت الرتب مثل المُشيعّات Vétonaires وغيرها

***

﴿ الشوكيات ﴾ تشتمل شعبة الشوكيات على حيوانات متجانسة كبيرة العدد تعيش في الـ... وتتركب من جسم له شكل نجمة ذات خمس شعب إجمالاً . تقسم الشوكيات خمسة صفوف وهي ... « النَجْميات » Stellérides وفيها نجم البحر المعروف وغيره من الحيوانات تتجلى فيها حـ... الشوكيات المهمة . ثانياً « قُنْفُذيات البحر » Echinides واليها تنسب قنافذ البحر التي لا... فيها الشعب الخمس جلية كما هي في نجوم البحر . ثالثاً « الصلّيّات او أذناب الحية » سميت بالاسم الأخير لأن شعبها الخمس تشبه الحيات في حركاتها حول مركز الجسم ... « قِثّائيّات البحر » Holothurides وفيها خيار البحر او قثاء البحر وغيره من الشوكيات التي ... النبات المسمى بهذا الاسم . خامساً « السَوْريّات » Crinoides وشكلها ابعد الشوكيات عن ... نجم البحر او قنفذ البحر فهي تشبه ازهاراً قائمة على اعناقها ولذلك سميت بما ذكر

***

﴿ الديدان ﴾ الدود او الديدان حيوانات لافقار لها ولا مفاصل حتى عندما يكون ... مركباً من اجزاء متصلة . وثمة اختلاف بين العلماء في تصنيفها شأنهم في تصنيف كثير من الحيو... السائرة . ونحن نذكر احد هذه التصنيفات وقد لا يكون اصلحها لان غايتنا من هذا المقال ... الالفاظ العربية لاقسام المصنفات ليس غير . تقسم شعبة الديدان ثلاثة اقسام كل منها ردف ... وهي « المُفلْطحات » Plathelminthes و« الحَلَقيات » Annelés و« الخَيْطيات » Nématodes

فالدود المفلطحات سميت كذلك لاشكال معظمها المفلطحة وان كان بعضها غير مفلطح ... لجهازها الهضمي مخرج او فتحة . وليس لها جهاز للتنفس ولا جهاز لدوران الدم . ومعظمها

طفيليات . وفيها ثلاثة صفوف « المُهْتَزّات » Flagellates ولها هدب مهدبة تكسو جسمها وهي تعيش في الماء الحلو او الملح . و« المُنَقِّطات » Sporozoaires وتشتمل على دود مدبب الطرفين لا أهداب لها بل لها افواه كالمحاجم . و« الشريطيّات » Ciliés وهي حيوانات مركبة من خلايا متقاربة تعيش الدودة الوحيدة (تينيا) المعروفة التي تعيش في جوف الانسان . وهناك جماعة من الدود معروفة في طولها ربما بلغ طول واحدتها ثلاثين متراً بعرض خمسة ملليمترات وهي تدل طول الحيوانات على الاطلاق ولذا سميتها « السلسلبيات » ويسمونها بالفرنسية Cestodes وهي يحتقرون الفصحات وبعضهم يلحقها بالمهتزات مع ان لجهازها الهضمي مخرجاً ومع ان لها جهاز الدورة الدموية فيها ذكوراً وإناثاً

ان لدود الحلقيات فلها اجسام طوال مجزءات قطعاً تفصل بينها حواجز . وهذه القطع والحلقات تشتمل على زوائد يتحرك الحيوان بها وأظهرها زغب شائك . ولحلقيات صفوف ورتب منها « الهلسية » Polychete وهي دود بحرية في الغالب يكثر فيها الزغب ولذا سميت الهلسية . ومنها « المقلاء » Oligochète وهي على العكس من الاولى تقطن اليابسة او المياه الحلوة . زغبها قليل وفيها يسمى دود الارض أي الخراطين Terricoles ودود المنقع Limicoles . ومن الحلقيات ايضاً « العلقيات » Hirudinées نسبة الى العلق المعروف وفي هذا الصف رتبتان « الخرطوميات » Rhynchobdellidés و« الحنكيات » Gnathobdellidés

واما الخطيات فلها اجسام مستطيلات او اسطوانيات او معزليات . وهنّ حاليات من الاهداب عارية . ولهنّ رداء او جلد شفاف قاس شبيه بالذي يكون في الحشرات . ولهذا ينفصلها بعض علماء الحيوان من شعبة الديدان ويجعلونها شعبة مستقلة هي اقرب الى المفصليات منها الى الديدان . وفي الخطيات ديدان مهمان وهما اولاً « الاسطوانيات » Nématodes واكثرها تعيش طفيلية في اعضاء الانسان كالدودة الصغيرة او الصفار او الصفار Ascaride والمعقوفة Oxyuride والدودة Trichocéphale التي ذكرها الدكتور حبيب صادر عرقة في كتابه « الامراض المعدية في البلاد العربية » ولم احدد جملة (بعد المعرفة معنى لصفات الدودة المذكورة) . ثانياً « شائكات الرأس » Acanthocéphales وفيها دود يعيش في جوف الخنزير وبعض الطيور

***

« اشباه الديدان » يسمونها ايضاً وحيدة الشعبات . وهي حيوانات لها اشكال مختلفة وصفات قريب من صفات الديدان ومنها حيوانات صغيرة هي اصغر الحلويات . وصفوفها ثلاثة . « الدوارات او الدولابيات » Rotifères و« الطُحْلُبيات » Bryozoaires و« عضديات الاقدام » Brachi

﴿ الهلاميات ﴾ يسمونها ايضاً الرخوة . ومن ابرز صفاتها وجود المحارات او الصدفات الكلسية فيها . واجسامها رخوة بلا اعضاء قاسية ولا اجزاء مفصولة . وليس لجلودها شعر ولا شوك وهي منتشرة في انحاء الارض في البحار والأنهار والأحواض والمناقع . وعدد انواعها عظيم . صفوفها المهمة ثلاثة وهي اولاً « مزدوجات الصدف او ذوات الصدفتين » Pelecypode ثانياً « المعديات او معديات القوائم » Gastéropodes ثالثاً « الرأسيات أو رأسيات الارجل » [illegible]

فذوات الصدفتين تشتمل على رتب منها « مختلفة العضل » Anisomyaires و« متساوية العضلتين » Dmyaires . والى صف ذوات الصدفتين تنسب الميدية والاستريدية ومحار اللؤلؤ وغيرها كثير

أما صف المعديات ففيه ردف صف « قُدَّامية الخياشيم » Prosobranches ومنها رتبة « وحيدة الأُذَين » Monotocardes ورتبة « مزدوجات الأُذَين » Diotocardes ورتبة « مختلفة الأذين » Hétérocardes

وفي صف المعديات ايضاً ردف صف « خلفية الخياشيم » Opsthobranches وفيها رتب الآتي

مستورة الخياشيم أو مغطاة الخياشيم Tectibranches

جُرابية اللسان أو زِقية اللسان Ascoglosse

عريانة الخياشيم Nudibranches

جناحية الارجل Ptéropodes

وثمة ردف صف ثالث للمعديات وهو « الرئويات أو المعديات الرئوية » Pulmonés وفيه رتبة « ريشية الاعين » Stylommatophores ومنها البزّاق المعروف . ورتبة « دُعاة الاعين » Basommatophores وفيها أنواع كثار تشبه البزاق

واعلى صفوف الهلاميات في التصنيف صف الرأسيات المار الذكر . وأعضاء هذه الحيوانات متكاملة تشبه أعضاء الفقاريات في بعضها . وجميعها بحرية . وكثير منها يصاد ويؤكل . وفيها « رباعية الخياشيم » Tetrabranches ومزدوجة الخياشيم Dibranches . والرتبة الثانية تشتمل « الأَخْطَبُوطيات » Octopodes وهي ثمانية الاقدام وعلى « عُشَارية الأقدام » ومنها الحَبّار أو السَبَيْدَج وهو باللسان العلمي Sepia وبالفرنسية Sèche

هذا ما رأيت درجه في هذا المقال من أهم الالفاظ المستعملة في تصنيف الحيوانات الدنيا أدعي العصمة فيما وضعته ولا فيما عدلته من الالفاظ العربية . وانما هي محاولة حاولت فيها التقريب بين الدلاء فيكون امام المسئولين عن وضع معجم المصطلحات العلمية المرتقب مادة جديدة ينظرون فيها اذا شاءوا وشاء لهم مبلغ علمهم بهذه الامور . وبقي لاتمام هذا البحث الصغير ان الالفاظ المختصة بالمفصليات وأخص منها الحشرات . ولما كان عدد هذه الالفاظ كبيراً وكان منها لديّ شيء كثير مما خلت منه المعجمات الاعجمية العربية المعروفة ارجأت ذكرها الى

اذا استشفيت من داء بداء

حمى تشفي من الشلل الجنوني

بطل هذه القصة ، رجل يُدعى فاجنر يورج . اذا نظرت اليه حسبته أستاذ مدرسة . لا ثائراً في نفسه روح الحرب والنضال ، التي مكنته بعد كفاح ثلاثين سنة من ان يضع في يدي الناس وسيلة ، تقهر شلل المجانين الناشيء عن الاصابة باكره الامراض وأشدها فتكا نعني الخ[1] ن الميكروب الحلزوني المخيف الذي يسبب هذا الداء من افتك الميكروبات بالانسان . ومن اروعها في ابتداع الوسائل للاختفاء عن النظر ، والابتعاد عن وسائل الاضناء في مطاردته . والداء الذي يحدثه هو والسرطان من اعظم اللعنات التي اصيبت بها الانسانية . ولكن ثلة من الرجال ، الشجعان ، وقفوا حياتهم على هذا الكفاح ، وفي مقدمتهم شجاعة وصبراً وابتكاراً صاحبنا فاجنر يورج كان عمله مقتصراً على التطبيب النفساني ، وهو من جمع فروع الطب ، اقلها فائدة في دفع الموت . ولكن هذا الرجل المسالم ، البعيد عن عمل الطب الحقيقي ، قلب ناحية من تعاليمه رأساً على عقب . فأثبت ان الحمى ، وقد كانت تحسب اعدى عداة الانسان ، ليست الا نارا تشوي في لهوبها ، هذا الميكروب المخيف ، باعث الشلل الجنوني في الانسان

فان عمله يبعث على الدهش والاعجاب ؟ فلقد استعمل داء عياء لمعالجة داء عياء . بل انه مهد السبل لرجل لا صلة له بالطب ، فاستنبط وسيلة لهذا النوع من العلاج ، لا تنطوي على المخاطر التي تنطوي عليها معالجة داء بداء

***

قضت عليه ثلاثون سنة وهو يتقلب بين الامل واليأس ، بين النجاح والاخفاق ، الى ان كان يومه في ١٤ من يونيو سنة ١٩١٧ . في ذلك اليوم التاريخي ، جمع فاجنر يورج شجاعته . وحقن جسد مصاب بشلل الخلق ، قطيرات من الدم تعجُّ فيها جراثيم البرداء (الملاريا) . كان في من عمره ، حينئذٍ ، وكان عمله أقرب الى الخيبة منه الى النجاح ، وكان قد انقضى عليه ثلاثون عاماً . لذ ألهمه ، ان نار الحمى ، تطرد من ادمغة المصابين بهذا النوع من الشلل ، غيوم الجنون

---

[1] الخلق استعمله امرؤ القيس ويقول الباحثون ان القرائن تدل على أنه عنى به ما يدعى في عصرنا بالسفلس

ارتدَّ بنظرك اليهِ ، وهو واقف في منتصف العقد التاسع من القرن الماضي ، امام [illegible] وهو لا تزال في السابعة والعشرين من العمر ، وقد تحوَّل فيها اضطراب الاعصاب ، عقب ولادتهِ ، جنون لا يشفى . كان يعلم ان جميع الاساليب في حجبة طبهِ النفساني ، لا تجديها نفعاً

وكان قد قضى ستَّ سنوات يدرس علوم الطب، حتى فاز بشهادةٍ ولقب . ولكن التنافس [illegible] حرمهُ من منصب وُعد بهِ . فتألم ولكنهُ انطوى على ألمهِ . وقرَّر ان يهجر بلادهُ ويجي[illegible] ان ضميره القى اليهِ بهمسة ، مؤداها ان استزد علماً قبل ذهابك الى مصر . فلم يجد امامه [illegible] للمجانين يقوم عليها طبيب شيخ يدعى ليدسدورف . فانبرح له ان يقف الى جانب سرير هذه المرأة هنيئاً لها انها مقبلة على الموت ! كانت قد انتابتها العيادة ، وهي تقول ان الشياطين تزخر [illegible] بها الجنون الهائج تلتهُ فترة من الخرد والانكماش عن الناس . وها هي الآن وقد انقضت [illegible] اشهر وهي لم تكلِّم احداً . ان وجهها صفحة لا يرتسم عليها اي اثر من آثار العقل ولا [illegible] والحيوان سواء ، بل هي دون الحيوان في ذلك

ثم اتفق ان اصيبت المرأة بالحمى التيفودية . وكانت اصابتها حادة ، فصارت تتشنج تشنجات وفاجنر يورج ، ملازم سريرها ، منتظراً وفاتها . ثم وقف تشنجها ، وتراخت اعصابها في غيبو وهو يجأر الى الله ، ان ينقذها من الالم قبل ان تفيق . ولكن المرأة افاقت ، فشفيت من وشفيت كذلك من الجنون

فعدل فاجنر يورج عن السفر الى مصر ! ألم يتسرَّع في اتخاذ هذا القرار ؟ ألم تكن شفاء المرأة من الحمى والجنون اشبه بالقشة الطافية على سطح البحر ، يتعلق بها المشرف على ألم يكن رجلا قد تلقى أساليب العلم ، فدلهُ علمهُ على أن شفاء المرأة من اصابتيها جاء [illegible] اذا كان شفاء الشاذ الجنوني مصاحباً للاصابة بالحمى التيفودية ، فمن يأذن لهُ في اقامة [illegible] ذلك ؟ من يسمح له بتعريضه عمداً للموت بالتيفودية ، على أمل شفائه من الشاذ والجنون

ولكن حادثة المرأة التي تقدم ذكرها ، تركت اثراً في نفسهِ لا يمحى . فاكبَّ على كتب [illegible] من الحكماء . بل رجع الى ابقراط المعروف بأبي الطب . فوجد في بعض ما يعزى اليه من انهُ رأى مصروعين يشفون من صرعهم بعد اصابتهم بالبرداء ثم قرأ في مجلد آخر قديم [illegible] في فرنسا اكتسحت احد البيمارستانات ففتكت بمعظم قاطنيهِ ، ولكن الذين نجوا منها [illegible] نعمتي العقل والاتزان

قصص اذا أُلقيتَ عليها ضوء العلم ، حكمت بأنها الى الاساطير والخرافات اقرب . ولكن يورج ، كان يقضي نهاره يجول في اجنحة المجانين في المشافي ، وليله مكبًّا على هذه الكتب يحاول ان يتبين بين سطورها طريقاً هادياً

واذ كان يجول في احد الأيام ، رأى امرأة ، كانت أمًّا لها تسعة اولاد ، ولكنها

تأتي بها الى المستشفى وهي حاملٌ . واصيبت بعد الولادة بالحمرة . وما انقضت عليها بضعة أشهر حتى كانت في دارها ، سليمة الجسم والعقل معاً

وهذا الى كتب الطب الحديثة ، لعله يستشف في صفحاتها شيئاً يهديه . او يقصه فيما يرى تأتي عليه . فوجد مباحث متفرقة فعلت فيها الاصابة بالتيفوس او بالغرلة الصفراوية ، ومعض الحمى التيفودية أو الملاريا و الحمرة . بل انهُ عثر على تجربة لرجل يدعى لودوج مايبرٌ . فقد ان هذا الرجل حبيبة قلبه ، وحمل يفرك به شواة (جلد الرأس) المصابين بشلل الجبين فتقرحت وجهه . فحمى فاصابته من الحمى ومن الجنون . فضحك العلماء من لودوج مايبر وتجربته . واصبحت ... كل سبيل سيراً كشفاً حولها

وكان فاجنر يورج مذكرة بما رأى وقرأ ، واقترح ان يحقن المصابون الذين لا يرجى لهم شفاء بالحمرة والملاريا فلم يصغ اليهِ احد في اوربا . اما في اميركا فيقول الدكتور دوكروف انهُ ذهب في سنة ١٩٢٣ الى كلية الطب في نيويورك لمطالعة هذه المذكرة فوجد ان صفحاتها لم تُقصَّ !

***

ولكن الرجل اذا اندفع بشعلة من الايمان لم يُصدَّهُ حائلٌ من مثل قد تكون المعارضة والمقاومة . فانها تذكي في الرجل الحماسة ، فيندفع في سبيل غرضه . لا لحاء المعارضين وكبت اصوات المقاومين . ولكن فاجنر يورج لم يلاق من يعارضهُ ، ولا من يقاومهُ . وكان الاهالي نصب ما يقول . و لاهالي رجال ايسر من بواعث النشاط والحماسة في العالب

فالحكمة حاول ان يحقن بعض المصابين المُشْفين بمكروب الحمرة فلم يصابوا بالحمى ولا شفوا من الجنون. وحقن بالحمرة الملاريا فلم يرَ احدٌ من الحكمة انشاه عبدة في قاب فينا . تكون ثورة تنشر الملاريا . كان ذلك قبل ايام رُسْ وغراسي اللذين كشفا كيف تنتقل الملاريا وكيف تعالج

فالحكمة مات عليهِ ثلاث سنوات ، وهو عاجز عن التقدُّم ، حتى وجد طريقة تمكنهُ من استعمال الحمى في احسام المصابين من دون ان تكون سبباً لتفشي الاوبئة في العاصمة . ذلك ان اوربا اصيبت سنة ١٨٩٠ كل العناية ، بمادة التوبركولين ، التي استخرجها روبرت كوخ . اعظم غرة ... من باشلس الدرن . وكان الامل الذي بعثتهُ هذه المادة في النفوس قد تحول الى خوف من الذي يتعرض لها من يحقن بها ، لان مئات من الوفيات حدثت على اثر ذلك واصبح استعمالها بعين الريب

اما فاجنر يورج اقبل عليها . فقضى عشر سنوات يجرب التجارب بها ، حتى بعد ان رُقي الى استاذ في معهد فينا العالي . جرَّب مئات التجارب ولكنهُ لما اهلَّ القرن العشرون ، ترك هذه التجارب ، فحكم بأنها الى الاخفاق اقرب . نعم كان قد شفى بعض الذين حقنوا بهذه الحمى من جنونهم . ولكن تجاربهُ لم تكن قائمة على اساس علميّ . ذلك انهُ حاول ان يعالج بها

جميع ضروب الجنون، على اختلافها، وهو لا يدري، ان نوعاً خاصًّا منها فقط يعد [illegible]

وكان فاجنر يورج رجلاً لا يخدع نفسه. كان في وسعه ان يذيع النجاح العظيم الذي [illegible] بعض الاصابات فلم يفعل. بل اعترف فيما بينهُ وبين نفسه، انهُ اخفق. فجلس يتأمل في [illegible] الجنون واسبابها فتبين ان اسباب معظمها مجهولة، الاَّ ضرب واحد اتفق الثقات [illegible] الشلل العام الجنوني، وهو مرض لا يشفى بل يدوم سنوات ثم يفضي الى العُتْه والموت.

فقرر في تلك الليلة التاريخية، انهُ لن يحاول بعد الآن، ان يعالج بالحمى، الاَّ [illegible] النوع من الجنون — أي الجنون الناشىء عن الشلل العام الذي سببهُ الحلق (السفلس) [illegible] استعان في سنة ١٩٠١ بطبيب يدعى « پلكز » [illegible] فجعلا يحقنان بالتوبركولين [illegible] المجانين في بيمارستان شتينوف. كان بعضهم مصاباً بالعته وآخرون بالملنخوليا فمنهم [illegible] الانتحار، وغيرهم بجنون العظمة والعبقرية او اضطهاد الناس لهم. لم يعرف من هؤلاء [illegible] دخل هذا البيمارستان وخرج حيًّا لان الموت كان محتوماً على جميع المصابين طالت حياتهم او [illegible]

***

ومضت بضع سنوات كشف في خلالها عن سبب الشلل الجنوني العام. كان [illegible] قبل ذلك ان هذا النوع من الشلل سببهُ ، مكروب الحلَق الحلزوني. ولكن في سنة [illegible] اوغست فون فاسرمن الكاشف الذي استنبطه بورديه البلجيكي. لاكتشاف مكروب [illegible] ثنايا الجسم. وهو كاشف فاسرمن المشهور. وفي السنة نفسها طبق فاسرمن هذا الكاشف [illegible] الحبل الشوكي في المشلولين (الكلام في المقال خاص بالمصابين بهذا النوع الخاص من الشلل [illegible] نكتفي بذكر المشلولين) فتبين له ان مكروبات الحلَق مختفية في الدماغ. وفي سنة ١٩٠٩ [illegible] فاجنر يورج ان ٩٩ في المائة من هؤلاء المشلولين، يخفون في ثنايا دماغهم هذه المكروبات.

وفي سنة ١٩٠٩ عقد مؤتمر طبي دولي في بودابست فقرأ فاجنر يورج رسالة [illegible] نتائج معالجة المشلولين بالتوبركلين. كان قد اخذ تسعة وستين مصاباً وحقنهم حقن [illegible] بالتوبركلين. وترك تسعة وستين آخرين من دون حقن. فكانت النتيجة ان ثمانية من [illegible] وخمسة من الفريق الثاني، ظلوا على قيد الحياة. وهي نتيجة ضئيلة لا يمكن ان يبنى عليها [illegible]

ولكنهُ لم يقنط. فمضى في تجاربه، كأنه يجري وراء سراب. والانكى في كل هذه [illegible] المصابين كانوا يشفون بهذا العلاج، فيغتبط فاجنر يورج، ثم تمضي شهور، واذا هم يعودون [illegible] فيتبين فيهم انهم على طريق القبر. فيأسف اشدَّ الاسف، من دون ان يسمح للقنوط [illegible] يتطرقا الى نفسه.

فلما كانت سنة ١٩١١ تبيَّن شعاعة من الامل. ذلك ان ارلخ كان قد صنع حقنته [illegible] المعروفة برقم ٦٠٦ وبعد التجربة ثبت انها تفتك بمكروبات الحلَق في ادواره الاولى [illegible]

طال الزمن على هذه الميكروبات وهي معششة في جدران الاوعية الدموية . اصبحت سيمة حتى على حقنة لرح الفعّالة . فاذا هيجت استفاقت وهي افتك ما تكون . فيكون في استفاقتها موت المصاب

وقد حاب امل فاجنر يورج في حقنة ارلح معي يستعمل الهوركين . والكينا حاول لآن ان تستعمل في المراتب الاولى من الشلل الجنوني . وفي سنة ١٩١٤ تبع ٨٦ مشلولاً كان قد عالجهم سنة ١٩٠٧-١٩٠٩ فوجد ان واحداً وعشرين منهم كانوا لا يزالون على قيد الحياة وان سبعة من هؤلاء يقومون بأعمالهم على اوفى وجه

ومن غرائب البلاء الانساني ، ان نتيجة كهذه لم تحدث أي أثر في دوائر الطب العالمية ، مع ان الاطباء كانوا يعلمون ان اقصى مدة يعيشها مصاب بالشلل الجنوني العام قبلا تعدو سنتين !

وهذا جاء يومه المشهود . كان يوم ١٤ يونيو سنة ١٩١٧ لما جاءه احد معاونيه واسرّ في اذنه ان في المستشفى جندياً مصاباً بصدمة القنابل وبالملاريا . وسأله هل يعالجون الملاريا بالكينا . فوقف فاجنر يورج قليلا . كان قد اشرف على الستين وهو يعلم ان علاج التوبركلين اشبه بالسراب : ظل وراءه ثلاثين سنة ، حتى اكتشف انه سراب

ها هي اساريره تنقبض وتنفرج . لقد وصل الى قرار حاسم . ولكن هل يجرؤ على تنفيذه ؟ انه يعلم ان الملاريا انواع منها ما هو حميد ومنها ما هو خبيث . وهو على كل حال ليس خبيراً بالملاريا . على انه لم يأمن من ان تفوّت . فأسرّ شيئاً في اذن مساعده . فانطلق هو واحوان له يستحرجون من الجندي قطيرات من الدم ، حافلة بجراثيم الملاريا

ولكن ما العمل اذا اخذت الملاريا تنتشر في قشا وأحوال المعيشة فيها في السنة الثالثة من الحرب الكبرى اعسر من ان يضاف اليها وباء مخيف ؟ ألا تلقى التبعة على كاهله ؟ ألا تسلقه الصحف والجرائد ؟ ألا يحسب قاتلا عموميًّا ؟ ولكن فاجنر يورج لم يفكر في تلك الساعة في شخصه . فقد غابت الذاكرة ، مواكب المشلولين المجانين ، يمرّون امامه موكباً اثر موكب . خلال ثلاثين سنة من المدرسة الطبية وهو يعالجهم بالتوبركلين . فلا يقضي لبانة . اين هم الآن ؟ معظمهم قد مات واقلهم قد شفي . أما كيف شفوا فلا يعلم الاّ الله

ثم صمم فاجنر يورج في ١٤ يونيو سنة ١٩١٧ ان لا يعالج الجندي المصاب بالملاريا بالكينا . وبالغ في الحيطة ، بعث بطائفة من معاونيه يبحثون في جوار المستشفى عن البعوض الذي ينقل الملاريا فلم يجدوه . عند ذلك اخذ الدم المستخرج من عروق الجندي ، ووضع قطيرات منه في خدش ممثل مصاب بالشلل الجنوني ، وقطيرات اخرى في خدش احد موظفي البريد . وأعيدت العملية سبع مرات في خلال الشهرين التاليين . وانقضت عشر سنوات فاذا احدث في خلالها ؟ في سنة ١٩٢٧ كان ثلاثة من المصابين التسعة الذين حقنوا بجراثيم الملاريا ، يزاولون اعمالهم ،

ويكسبون رزقهم بعرق جباههم وهم اوفر ما يكونوا صحة عقلية وجسدية . كانت جرائم [illegible] رفعت حرارتهم الى ما فوق الاربعين بالميزان المئوي ، وكانت القشعريرة التي تعقب [illegible] ينتفضون في السرير انتفاضاً ، حتى لتحسب ان جوعهم قد ثار واشتدّ ، وكانت [illegible] فترنُّ اصداؤها مزعجة مخيفة . ولكن ثلاثة من تسعة خرجوا من هذا الاتون و[illegible] الادران التي جعلتهم الى الحيوانات اقرب منهم الى الانسان العاقل . ولكن ماذا حل [illegible] مات احدهم — موظف البريد — في خلال تشنج عنيف اصيب به عند حلول دور القشعريرة [illegible] واما الاربعة الآخرون ، فكانوا قد حقنوا على ما يظهر بجراثيم نوع خبيث من الملاريا [illegible] ثلاثة منهم وانقذ الرابع باعطائه جرعات كبيرة من الكينا . وكذلك تعلم فاجنر يورج بعد [illegible] المصابون بالشلل الجنوني ، بجراثيم الملاريا الحميدة ، شفتهم حمّاها من اصابتهم الاولى [illegible] الكينا من اصابتهم الثانية . وهذه حقيقة جديدة في كفاح الانسان ضد المرض والموت

***

بيد ان الشيء الوحيد الذي عكّر على فاجنر يورج صفو انتصاره ، كان انّ ثلث الذين [illegible] بالملاريا شفوا واما الثلثان الباقيان فلقيا حتفهما . ولكن لا غرابة في ذلك لان [illegible] اذا هرأهُ مكروب الحمّى لا يستطيع ان يُرمّم نفسهُ كما يفعل العظم اذا كسر او كما يفعل العضل او الكبد او غيرها من نُسُج الجسم . فكأن الثلثين من المصابين الذين عولجوا [illegible] جاءهم العلاج بعد فوات الاوان

هنا شرع هذا المكافح الشديد الشكيمة ، يفعل ما يقضي به المنطق . شرع يعالج [illegible] بالشلل الجنوني العام ، عند ما تبدأ الاعراض بالظهور عليهم ، اي عندما تبدو عليهم اعراض [illegible] وتثبت الكواشف ان مكروب الحمّى مختفٍ في ثنايا ادمغتهم ولكن قبل ان يفتك [illegible] نتيجة هذه التجربة ، وقد وضحت له معالم الطريق ، ان ثلاثة وثمانين من هؤلاء [illegible] بالموت المحتوم ، شفوا وعادوا يزاولون اعمالهم وهم على احسن ما يكون صحة ونشاطاً

ولكنهُ لم يكتفِ بهذا . والطبيب اذا اكتشف اسلوباً من العلاج ، ينقذ به ٨٣ في [illegible] الموت المحتوم ، ميّال في الغالب الى التحكُّم والقول بان طريقتهُ خير الطرائق . الآن فاجنر [illegible] لم يفعل ذلك بل مضى في تجاربهِ وامتحاناته . وبعد قليل صرّح في رسالة علمية ، انهُ اذا تبين [illegible] بالملاريا ، حقن كبيرة من مركب ارلخ (٦٠٦) كانت النتائج اوفى ما يمكن ان تكون . وجملة [illegible] رسالتهِ هذه ما معناهُ : ليست المسألة مسألة تفضيل طريقة من العلاج على اخرى بل الوصول [illegible] طرائق العلاج والشفاء

اما كيف تحوّل الملاريا ، حقنة ارلخ ، في هذا الدور من العلاج ، من شيءٍ لا يفيد [illegible] يفيد ، فلا يزال من الاسرار . يقال ان حمّى الملاريا لا تشوي جميع المكروبات كل [illegible]

تضعف ما لا تشويه ؛ فتعدُّهُ لفعل مقذوفات الحقنة ؟ او هل تنشئ الحمى في جسم الانسان ، مكافحاً جديداً للميكروب فيجهز عليهِ ؟ او هل هي تحوّل النسيج الحائل [illegible] في دماغ المصاب الى نسيج سليم . فتعدُّ الطريق لمقذوفات ارلخ الزرنيخية لتكسح الميكروبات المختفية في ثناياه ؟

وفي سنة ١٩٢٧ كان هذا الرجل المحسن الى الانسانية ، قد بلغ السبعين . وكان على وشك ان يعتزل منصب الاستاذ في معهد فينا الطبي . فاجتمعت طائفة من تلاميذه واعضائه وغيرهم ممن كان مديناً لهُ بالحياة والعقل للاحتفال بهِ . وكان العالم قد اعترف بيدهِ على الانسانية لما منحتهُ لجنة نوبل جائزة نوبل الطبية . ولكنهُ كان شارد الفكر في ذلك الاحتفال . لانهُ وحده كان يدري . ما يزال امامهُ من الكفاح مع انهُ في السبعين !

وهل تحول السبعون دون الكفاح ؟ ان في هذا الرجل نفحة من بيتوفن ، الذي مات في التسعين من العمر ، متحدياً العاصفة الثائرة خارج داره ؛ وهو يلفظ نفسهُ الاخير

ان الملاريا تشفي من الشلل الجنونيّ العام ، اذا كان المرض لم يبلغ من فتكه بنسج الدماغ مرتبة بعيدة . ولكن الطبيب الجنديّ ، يبغي ان يمنع الشلل العام . وفي هذا الميدان يرى الفائدة الصحيحة لطريقة العلاج بالملاريا . لماذا لا يعالج بها ، الذين يثبت وجود مكروب الحلق في اجسامهم ، قبل ان يصابوا باعراض الشلل الجنوني الاولى ؟ لماذا لا يحال بينهم وبين الشلل الجنونيّ على الاطلاق ؟

وكان كيرل Kyrle ، احد كبار الاطباء في قسم الحلق بعيادة الدكتور فنجر بفينا من الذين اصغوا اليه . وهو يتحدث بهذا ، ولكنهُ لم يأنس من نفسهِ اندفاعاً الى تجربة ما يقول . بيد انهُ في احد الايام في سنة ١٩٢٢ ، كان يتنزهُ مع ڤاجنر يورج فقال له انهُ قد بدأ التجربة ...

استعمل كيرل جميع وسائل الاغراء والاقناع ، ليحمل هؤلاء المصابين . وهم لا يزالون في الظاهر [illegible] صحتهم ، ان يقامروا هذه المقامرة ، بالرضوخ لهذا العلاج . فحقنهم اولاً بحقنة ارلخ [illegible] ٩١٤ بدلاً من ٦٠٦ وهي تدعى نيوسلڤرسان — ثم ادخل جراثيم الملاريا في اجسامهم [illegible] يتقلبون في نار حمّاها وارتجاف قشعريرتها ، ثم شفاهم من الملاريا بالكينا ثم حقنهم [illegible] سلڤرسان ثانية . والنتيجة ... ! كانت النتيجة ان واحداً من المئات الذين عولجوا بهذه الطريقة [illegible] بالشلل الجنوني العام ، وقد انقضت نحو تسع سنوات على ذلك . بل هناك ما هو اغرب من [illegible] بينهم وبين الشلل الجنوني . فقد اثبتت هذه التجارب ، ان هذه المعالجة . تعدُّ الجسم . [illegible] حقنة ارلخ الزرنيخية على قتل المكروبات . وبذلك تفسّر عجزها السابق الذي حيّر العلماء [illegible] حصل كيرل على نتائجهِ الاولى ، اندفع من غير ان يحثّهُ صديقهُ الشيخ ، ووجد كما وجد [illegible] يورج قبلا ، ان التبكير في اشعال نار الملاريا في اجسام الملوّثين بهذا المكروب الخاتل ، اهدى [illegible] . كان كيرل قد عالج ٢٥٠ مصاباً بهذه الطريقة ، وها هم قد فحصوا جميعاً ، وامتحنت [illegible] فثبت ان دماءهم جميعاً — الاّ ثلاثة — خالية من ميكروب الحلق ، على قدر ما يستطيع

العلم الحديث ان يتبيّنهُ بأدق الكواشف . ومات كيرل في سنة ١٩٢٦ ولكن المشعال الذي سلّمه اياهُ فاجنر يورج ، انتقل الى يد مهندس كهربائيّ في اميركا يدعى هوتني

***

القِ نظرة على احد معامل البحث في الشركة الكهربائية العامة تر فيه انابيب الراديو [illegible] ولكنك لا تسمع محادثة دائرة بين قارتين ، بل تشهد طائفة من الاطباء ومساعديهم [illegible] ملابسهم البيض ، وهم يحاولون ان يمتحنوا آلة جديدة الغرض منها استعمالها في [illegible] الامراض . ذلك ان الامواج اللاسلكية القصيرة التي تنقل الاصوات بين البلدان [illegible] كذلك تأثيراً غريباً في جسم الانسان والحيوان اذا جمعت ووجّهت اليه ، فترفع حرارته اختراقها له ويصاب بحمى عالية

افلا يمكن ان تستعمل هذه الطريقة الطريفة في معالجة الشلل الجنوني بدلاً من الملاريا ؟ فالمريض معصوماً عن الخطإ . والملاريا اصناف منها الحميد ومنها الخبيث . فالخبيث منها تميت من [illegible] بل ان الحميد منها قد يستعصي احياناً ، يظهر آناً ويكمن آخر . والاصابات الملارية تنهك تنهك الجسم وتفقر الدم . أفلا يستطيع الاطباء ان يستعملوا هذه الحمى التي تحدثها الامواج اللاسلكية ، لما استعملت له حمى الملاريا ، وتكون في الوقت نفسه خاضعة لسيطرتهم كل خضوع

جاءت الاشارة الاولى ، الى امكان استعمال الاشعة القصيرة في هذا السبيل من الدكتور [illegible] هوتني ، مدير قسم المباحث في الشركة الكهربائية العامة في سكنكتدي نيويورك . [illegible] وجد ان العمال المشتغلين بآلات الاذاعة اللاسلكية التي تستعمل امواجاً قصيرة . يصابون لم يعرف لها سبب طبي . فوجّه طائفة من الباحثين الى البحث عن وسيلة تمكنهم من ضبط الامواج ، وتحقيق اثرها في الجسم ، ومعرفة تفصيلات فعلها في احداث الحمى ، لعلّ [illegible] السبيل الى استعمالها في معالجة بعض الامراض

فبنيت الادوات الكهربائية اللازمة في معامل الشركة المذكورة وعهد الى الدكتوره هان [illegible] من كلية ألبني الطبية في امتحانها . فوجّهت اشعتها في احد امتحاناتها الى ضفدع صغيرة حرارتها ١٢ درجة . ثم جربتها في حيوانات مختلفة فارتفعت حرارة اجسامها . ثم وضعت محلولات ملحية مختلفة فارتفعت حرارتها أيضاً . وللحال اصدرت تحذيراً يقضي بمنع توجيه اللاسلكية القصيرة الى اجسام الناس قبل ان يزداد الباحثون معرفة بخصائصها وأثرها

وقد عني الدكتوران تشارلز كارينتر والبرت بايج بصنع آلة متقنة لهذا الغرض واقدرا في رفع حرارة الجسم الانساني الى درجة تفيد في معالجة بعض الامراض من دون ان يصاب بضيق ما . وبعد تجارب كثيرة جرّبا آلتهما ورائدهما الحذر العظيم في معالجة بعض المصابين ان بقاء حرارة المصاب مدة طويلة لا يعقبها أي ضرر

والآلة أشبه شيء بآلة لاسلكية عادية ولكن بدلا من ان يكون لها سلك هوائي تنبعث منه الاشعة القصيرة في الفضاء لها لوحان من معدن الالومنيوم يدعيان « لوحا المكثف » Condenser Plate فتجمع بهما القوة الكهربائية داخل الآلة وتستعمل لرفع حرارة الجسم . وللآلة صندوق تحفظ فيه طوله ست اقدام وعرضه ثلاث اقدام وهو قائم على عجلات ليسهل نقله من مكان الى آخر في حجرة الامتحان

يلقى المريض على ظهره على رباطات قطنية متشابكة معلقة من هيكل خشبي حذر به من نوع من السلولويد فكأن الصندوق تحت المريض غرفة مملوءة هواء . ويغطى المريض بلوح من السلولويد هو غطاء للصندوق فيحكم اقفاله فلا يظهر الا رأس المريض من احد طرفيه وكأن المريض فيه معلق في غرفة محكمة السد ويوضع لوحا التكثيف على جداري الصندوق كل منهما على جدار حتى تخترق جسم المريض الامواج التي تنبعث منهما . وسرعة التذبذب في هذه الامواج تتباين من عشرة ملايين موجة الى اربعة عشر مليوناً في الثانية . والمسافة بين اللوحين تتغير ولكنها تكون نحو ثلاثين بوصة عادة . ويغشى اللوحان بالمطاط منعاً لتطاير الشرر منهما . وللآلة اجزاء اخرى ولكنها ثانوية لا محل للتبسط فيها هنا . وقد تمكن الدكتور كاربنتر والدكتور بايج من رفع حرارة الجسم ٥ درجات او ست بميزان فارنهيت فوق درجة الحرارة الطبيعية وذلك في مدى ساعة الى ساعة وثلث . وبلغت درجة الحرارة في احدى الحالات ٥و١٠٦ بميزان فارنهيت ويستطاع رفعها الى اعلى من ذلك . ولكن الباحثين ظنا صواباً ان الحذر يجب ان يكون رائدهما في بدء مباحثهما هذه خوفاً من تعريض الارواح لهذه الاشعة الفتاكة

ومتى بلغت حرارة الجسم الدرجة المطلوبة احتفظ بها اما بتخفيض قوة التيار او بابعاد لوحي التكثيف او باستعمال منفاخ يحرك الهواء الذي يحيط بالجسم ثم تأخذ الحرارة في العودة الى درجتها الطبيعية تدريجاً اذا ترك المعالج في الصندوق ملتحفاً بملايات من الصوف

***

فرتز شودن الالماني وبورديه البلجيكي وڤاسرمن الالماني كشفوا عن ميكروب الحلق الفضيع وا الكواشف لتبينه في ثنايا الجسم . ثم جاء ارلخ فأخرج قنابله الدقيقة في محلوليه ٦٠٦و٩١٤ ... على ميكروباته ، فأفادت بعض الفائدة ، وتلاه فاجنر يورج ، فامد الميكروبات بفعل الحمى في الجسم فصارت اتم فتكاً . وها هوذا هوتني وصحبه يجربون التجارب لوقاية الجسم من الامراض . مستعينين على ذلك بالامواج اللاسلكية العجيبة

واحداً من كل تسعة يموتون بين الاربعين والستين من العمر في نيويورك يموتون بالشلل العام . فهل يدري مكافحو المرض والموت ، ان هؤلاء الرواد قد وضعوا في ايدينا الوسيلة للقضاء على هذا العدو الخاتل

الزمكان

أو اندماج الزمان بالمكان والبعد الرابع

بقلم نقولا الحداد

لكي نفهم البعد الرابع الذي كشفت عنهُ المباحث العلمية الجديدة وأخصها مباحث «[illegible]» يجب أن نفهم معنى اندماج الزمان بالمكان كما يعبّر عنهُ علماء اليوم بلفظ واحد Space-time ونحن نعبر عنهُ بلفظ عربي واحد «الزمكان» مختصر «زمان — مكان» ولكي نفهم هذا الاندماج الذي يستهجنه البعض ويتعذر عليهم تصوُّره يجب أن نفهم ما هو المكان وما هو الزمان أو ما هو المعنى المراد منهما

ما هو المكان

حتى أوائل هذا القرن كان المعنى المراد بلفظ «المكان» الحيز الذي تشغله المادة فحسب أو يمكن أن تشغله. مثال ذلك هذا الكتاب الذي في يدك هو مجسم طوله ٢٥ سنتيمتراً وعرضه وسمكه سنتيمتر واحد فقط. فالفراغ الذي يملأه هذا الكتاب بهذا المقياس يعتبر مكاناً له. أخذت الكتاب من موضعه وأبعدتهُ الى مكان آخر فهل يبقى ذلك الحيز الذي اشغله معتبراً مكاناً؟

لا بدَّ أن تقول: طبعاً. يعتبر مكاناً، اولاً لأنهُ يحتمل أن يشغله ذلك الكتاب كما كان قبل أن ننقله منه أو يشغله جسم آخر بحجمهِ. وثانياً لاني أستطيع أن أتصوره مشغولاً بالكتاب أو بأي جسم آخر مثله. وبناءً على هذا القول جميع رحاب الفضاء التي نحسبها خالية أمكنة، لأن اجرام المادة تنتقل فيها من حيز الى حيز على التوالي، ويمكننا تصوُّرها مشغولة بالأجسام المادية جنباً الى جنب وان كان حدوث هذا بالفعل مستحيلاً — يمكننا أن نتصور العوالم الفضاء هكذا بالرغم من أنها منثورة في الفضاء ومتفرقة فيه تاركة فيما بينها رحاباً شاسعة

ولما كنا نستعين بالتصور — حتى تصور المستبعد أو تصور بعض المستحيلات — في المكان نوغل في التصور لكي نفهم كيف يمكن أن نتصور المكان. فلنتصور اذاً اضمحلت تمام الاضمحلال من الوجود ولم يبق لها أي أثر، ولم يبق في الوجود الا عقل يتصور، فأي صورة تكون فيهِ للمكان؟

قد تقول: بالرغم من تصوري اضمحلال المادة لا أزال أتصور الفضاء الخالي مكاناً يمكن أن تشغله مادة اذا عادت المادة المضمحلة الى الوجود — أجل تتصوره كذلك لان صورة المادة لم تضمحلالها، مطبوعة في ذهنك. فيتعذر عليك أن تمحو من ذهنك صورة مطبوعة فيه. فرضنا محقها من الفضاء. ولكن اذا طلبنا اليك أن تتعمق في تصور الفضاء خالياً من المادة

هل تستطيع أن تتصوره فراغاً مطلقاً ؟ وان قلت : أستطيع أن أتصوره هكذا ، فهل أن تتصوره بلا حدود مهما كان رحيباً ؟

أراك واجماً . أراك في حيرة . لانك ان كنت تتصوره ذا حدود فالحدود هي مادة أو شبه أنت إذن لم تفرغه في تصورك من المادة فراغاً تاماً كما فرضنا . بل لا تزال تتصوره مادة . وحينئذ يمكنك أن تقيسه بين حدوده ولو كما يقيس الفلكيون الابعاد والرحاب بواسطة سرعة النور . وحينئذ يمكنك أن تتصور هذه الحدود متنقلة فيه كتنقل الاجرام ... وان كنت تزعم أنك تستطيع أن تتصوره خالياً من كل شيء حتى من الحدود فأنت العدم . وتصور العدم عدم . فاذاً أنت لا تتصور شيئاً . بل أنت غير متصور . أنت ساكن ولا فما هو العدم ؟ أو ما هو الفرق بين الفضاء الخالي والعدم

ن . لا تستطيع أن تتصور الفضاء خالياً من المادة . أزل المادة من الوجود — أعدم م معاً ، ينعدم الفضاء أيضاً . ينعدم المكان . واذن لا معنى للمكان بلا مادة تشغله . للفضاء بلا أجرام تحد رحابه — واذن ، منطقياً ، لا وجود للمكان بتاتاً لولا وجود وجود المادة قرّر وجود المكان . المادة خلقت الحيز الذي أشغلته . فاذا قلنا « المكان » لحيز » أو «الفضاء» (Space) كنا نعني مادة تشغل حيزاً وتتنقل من حيز الى حيز . فذكر يستلزم وجود المادة . وذكر المادة يستلزم معنى المكان . أعني أن معنى المكان مستمدّ د المادة . وتفسير الفضاء بالحيز الخالي خلواً مطلقاً خطاء محض

ك ما نسميه فضاء هو فضاء محدود بالمادة . متناهٍ . لأن المادة متناهية أي أن لها قدراً الفضاء محدود بها . لهُ أول ولهُ آخر . ولا تسل عما قبل الاول وعما وراء الآخر . فهذا عجز العقل البشري تصوُّره . دعه لعقل الالوهية . ولذلك أيضاً ، يكتسب الفضاء أو المكان ... ته من طبيعة المادة نفسها . فاذا قال العلم الحديث أن الفضاء متحدب ... فلأن المادة متحدبة . وهذا بحث دقيق لامتسع له هنا . فنرجئه

هذه فرضنا الرحاب بين الاجرام خالية . والحقيقة انها ليست خالية الا من المحسوس . بل من أنواع مندثرات الاجرام المشعشعة الثلاثة : ١ : امواج الفا وهي بروتونات ايجابية ... ئية : ٢ : امواج بيتا وهي الكترونات (كهارب) سلبية الشحنة : ٣ : امواج حمّا ... فوتونات بلا شحنة . — (وفي رأي هذا الضعيف ليست الامواج نفس البروتونات ... نات والفوتونات ، بل هي امواج أثيرية صادرة من اندفاع هذه الوحدات المادية بحر الاثير المالىء رحاب الفضاء) فالرحاب ليست خالية كما تتراءى لنا بل هي مملوءة تشععات ... لاؤها بها جعل لها قيمة المكان أو جعل للمكان قيمة بها ، أو جعل له طبيعته . هذا ... فحاً عن الاثير ، (أوقيانوس المكان) الذي، وان كان لا يزال فرضاً بلا برهان امتحاني

معملي ، يعد أفضل فرض لتعليل الظاهرات الطبيعية ، ولا سيما ظاهرات التشعع الموجي . ولا حا
هنا للاسترسال في هذا الموضوع . نعود الآن الى « الزمان »

ما هو الزمان ؟

خرجنا من البحث الآنف بنتيجة صعبة التصور . ولكنها نتيجة منطقية لا مناص م و
ان المكان لا وجود حقيقي له . هو العدم . وانما المادة اوجدته . فما قولك بالزمان ؟

اذا كان المكان — مستقلاً عن المادة — عدماً ، فالزمان بالاحرى عدم ايضاً . او
هو أشد عدمية . المادة اوجدت المكان . وحركة المادة اوجدت الزمان . ان انتفت الحركة ا
مطلقاً — ان سكن كل متحرك في الكون — انتفى الزمن معها

قد يتراءى لك هذا القول مستهجناً . ولكن اغرب منهُ القول بان الزمن (او الزمن
واحد) منتحلٌ من المكان الذي هو منتحل من وجود المادة كما سترى فيما يلي : —

كيف نفهم الزمن ، او الوقت الذي هو في اصطلاحنا جزءٌ من الزمن ؟ — مصبت صبا
عملك . ثم عدت عند الظهر الى منزلك . فكيف عرفت ان الوقت صار ظهراً ؟ — قد تقول :
الشمس تكبدت كبد السماء . صارت في السمت . تقلص ظلي حتى صار تحت قدمي . وقد كان
مجيئي الى عملي في الافق وظلي اطول مني . فكان الوقت صباحاً ، ثم صار ظهراً

فما معنى الصباح والظهر عندك ؟ أليس معناهما ان الشمس سارت من الافق الى كبد الـ
وبعبارة فلكية ان الارض اتمت ربع دورتها على محورها . فاذاً . انت قست الوقت بحركة الأ
محورها ، او بانتقال الشمس المجازي من الافق الى السمت

قد تقول : ليس ضرورياً ان ارقب الشمس لكي اعلم مواقيت النهار . ارقب سا
مواقيت النهار والليل جميعاً . حسنٌ . استغنيت عن حركة الارض او مسير الشمس .
استعضت عن حركتهما بحركة عقرب ساعتك . فانت تقيس الزمن بحركة عقرب الساعة
حركة بحركة . وهو امر يثبت لك ان الزمن ليس الاَّ قياس حركة المادة فقط . وقد تقول : ا
عن مراقبة الشمس وعن مراقبة عقرب الساعة فاعرف ميعاد الظهر من احساسي بمجرى عملي
اعرف اني قضيت من الاشغال ما يستغرق ٦ ساعات . فاقول بنفسي : صار الوقت ظهراً

اذن . في مقايسة الوقت او المدة لجأت الى حركتك في عملك الذي اعتدت ان تنجزه في بر
(علمتها من حركة الارض) طالما قستها بحركة عقربي ساعتك . فاذاً لا مناص لك من قياس الوا

قد تقول متعنتاً : يمكنني ان انقطع عن كل عمل وألجأ الى غرفتي بعد ان اقفل جمي
وتصبح ظلاماً وابقى مدة في هذه الحالة . ومع ذلك احس بمرور الوقت . وقد استطيع
المدة التي مرّت عليَّ في هذه الحالة

اقول ان فكرك في هذه المدة كان متنقلاً من موضوع الى آخر . وبهذا التنقل

اساً تقريبيًّا . فتنقُّل فكرك هو نوع من الحركة . اذن الزمن الذي احسست به هو هذه الحركة .
نفرض اننا خدرناك بالكلوروفورم او بأي مخدّر آخر بحيث لا تعود تشعر بشيء وبحيث تقف
حركة فكرية لك . وبعد مدة منعنا عنك فعل المخدّر وصحوت . فاذا سألناك : منذ متى غفوت؟
ريب ان تجيب : اشعر اني كنت صاحياً منذ بضع دقائق ثم غفلت هنيهة قصيرة ثم صحوت . واذا
الك انهُ مرت ساعة على نومك تندهش لانك تعتقد ان وقت غفلتك كان قصيراً جدًّا ولانك لم
تشعر بحركة خارجية ولا داخلية ولا فكرية . فهل يبقى عندك شك بعد هذه الفروض بان الزمن
وجود حقيقي له ، وان ما نسميه زمناً ليس الاَّ توالي الحوادث بعضها اثر بعض ؟ فلو توقفت كل
كة في الكون لم يعد للزمن معنىً بتاتاً . فكما ان وجود المكان مكتسب من وجود المادة . كذلك
ود الزمن مكتسب من حركة المادة . وحركة المادة هي انتقال الجسم المتحرك من حيز الى حيز
في المكان اذن فترات الزمان منتحلة من فسحات المكان . ولذلك نقيس الزمن والمكان بمقياس واحد
نقيس المسافة المكانية بمقياس اصطلحنا عليه كالمتر مثلاً وكسوره السنتي والملّي متر ومضاعفه
يلو متر الخ . والمتر هو طول رقاص Pendulum يخطر ٨٦٤٠٠ خطرة كلما دارت الارض على
رها دورة كاملة . وهذا العدد هو عدد ثواني اليوم . ولذلك خطرة الرقاص المتري تساوي ثانية .
س المكان وقياس الزمان منتحلان معاً من حركة الرقاص

والغريب اننا نستهجن القول ان الزمن لا وجود له البتة وانهُ ليس الاَّ مقداراً معيناً من الحركة ،
ين اننا في اعمالنا اليومية نقيس الزمن تارة بالمسافة المكانية واخرى نقيس المسافة المكانية بالمدة
نية . فنقول مثلاً : ان القرية تبعد عنَّا مدة تدخين سيكارة ، وان المسافة بين القاهرة
سكندرية ٣ ساعات بالسكة الحديدية . واغرب من ذلك ان بعض الناس في الولايات المتحدة
ون المسافة بالعملة فيقولون ان فيلادلفيا تبعد عن نيويورك ريالين ونصف ريال ، يعنون ان
ة السكة الحديدية بينهما هذه القيمة النقدية

وحاصل القول ان الزمن او الوقت هو تعبير مجازي عن انتقال جسم من حيز الى حيز آخر بالنسبة
نتقال جسم آخر من حيز الى حيز . جعلنا انتقال الشمس من افق الشرق الى افق الغرب ثم
نها الى الافق الاول مقياساً للوقت سميناه يوماً . ثم قسمنا اليوم الى ٢٤ قسماً سميناها ساعات .
سمنا الساعة الى ٦٠ جزءاً سميناها دقائق وقسمنا الدقيقة الى ٦٠ جزءاً سميناها ثواني . وجعلنا
القياس الادنى لكل حركة اخرى . وما الثانية الاَّ جزء من ٨٦٤٠٠ من دورة الارض على
ها . اي ما يقطعه هذا الجزء من محيط الارض في الفضاء وبعبارة اخرى هو انتقال اي نقطة
ط الاستواء الارضي في الفضاء ٤٣٠ متراً تقريباً (وهو الخارج من قسمة ٤٠٠٠٠ كيلو متر
الارض على ٨٦٤٠٠ ثانية) . فانتقال هذه النقطة الارضية الاستوائية في الفضاء ٤٣٠ متراً
انتقال الارض في فلكها حول الشمس ٣٠ كيلو متراً . وانتقال المريخ في فلكه ٢٤ كيلو متراً

وانتقال المشتري ١٣ وزحل ١٩ وكسور ونبتون ٥ تقريباً . ويوافق انتقال النور في الفضاء الف كيلومتر ، وانتقال النظام الشمسي كلهُ في قرص المجرّة ٢٠٠ كيلو متر وهلمَّ جرًّا . وهذه الانتقالات تتم معاً في هنيهة واحدة نسميها ثانية

اذن الحقيقة اننا نقيس الزمن او الوقت بمسافة مكانية كما نقيس المكان نفسه بمسافة مكانية . فالقياس للاثنين واحد مقياس مكاني[1] . اذا تصورت الكون ساكناً سكوناً مطلقاً . . . البتة فلا تعود تستطيع ان تتصور مجرى الزمن . لا يبقى ماض ولا مستقبل . واذا قيل لا ولدت من الشمس منذ مليون مليون سنة عنينا ان الارض دارت حول الشمس مليون . . .

كيف يتزمكن الزمن بالمكان

مجمل ، ما عرفت مما تقدم ان المكان هو الحيز الذي تشغله المادة ، وان الزمن هو . . . عن حركة المادة في المكان ، وان هذا القياس هو مسافة مكانية ، ومقياسه الاصطلاحي المعمول في خط الاستواء الارضي مسافة ٤٣٠ متراً في اثناء دورة الارض على محورها ، او هذه الخطة طوله متر . وقد سمي ثانية — اما وقد عرفت ذلك فصار سهلاً عليك ان تفهم كيف ان الزمن في المكان بسبب تحرك المادة

هل تستطيع ان تنتقل في المكان من غير ان تنتقل في الزمان ؟ مستحيل . لماذا ؟ لان هو خطوات متتابعة الواحدة بعد الاخرى ، وكل خطوة هي عبور مسافة مكانية . فعمرك هو تعبير عن الامتار التي عبرتها وتعبير عن الثواني التي امضيتها ، لانه يوافق خطوات لرقص او انتقال نقطة استوائية مسافة ٤٣٠ متراً في الفضاء — اعني اذا فرضنا كل خطوة هي متر فالمتر هو خطوة والثانية هي خطوة ايضاً . وكلاهما تعبير عن حركة الانتقال

قد تقول : اذن يمكننا ان نستغني عن القياس الزمني للحركة ونقتصر على المقياس المكاني مثلاً ان اليوم هو ٨٦٤٠٠ خطوة (او متر) لان دورة الارض على محورها مرة واحدة تولد هذا العدد من الخطوات وبتقسيم اليوم نجعل الساعة ٣٦٠٠ خطوة والدقيقة ٦٠ خطوة والثانية واحدة . نتكلم بالخطوات ومجموعات الخطوات بدل الثواني والدقائق والساعات

اقول : نعم ونحن فاعلون مثل هذا . وما سمينا ما يوافق الخطوة ثانية والستين ثانية دقيقة اصطلاحاً . ولابد من هذا الاصطلاح لتحديد المقاس الزمني لاختلاف سرعات الاجسام فلا

(١) يؤيد هذا القول الحساب الرياضي : م المسافة = ت الوقت مضروباً بالسرعة س فلدينا م = ت س ومنه ت = $\frac{م}{س}$ — اي ان الوقت يساوي المسافة مقسومة على السرعة : مثال ذلك : المسافة بين بيروت والاسكندرية ٢١٥ كيلو متر او سرعة الاكسبرس ٧٥ كيلو بالساعة اذاً $\frac{٢١٥}{٧٥}$ = ٣ ساعات و ٢١٥ كيلو متراً أترى كيف دخل الوقت مع المسافة بالحساب فهما من طبيعة واحدة

يستغرق منذ صدوره من الشمس الى ان يصل الينا (٨ دقائق) ٤٨٠ خطوة علمنا انه كلما خطوت خطوة (متراً) خطا النور ٣٠٠ الف كيلومتر أي ان خطوة النور تساوي ٣٠٠ مليون خطوة تك. فترى اننا نستطيع ان نصرف النظر عن اصطلاح الثواني و لدقائق الذي نعودناه كرمز زماني عن حركة الانتقال بالامتار لان الثانية والدقيقة الخ رمز مسافة مكانية كما تقدم. فلا يمكن ان زمن عن المكان عزلاً يجعله مستقلاً. ولذلك اكرر القول ان الزمن هو مسافة مكانية كالمكان تماماً لكن لان سرعات الاجسام والاجرام مختلفة عظيم الاختلاف نحن مضطرون ان نجعل حاً خاصاً للتعبير عن هذه السرعات لكي نميزه عن الاصطلاح الخاص بالمسافات فجعلنا الثواني ق الخ لنعبر بها عن سرعة الانتقال (الحركة) وجعلنا الامتار والأميال الخ لنعبر بها عن الانتقال. ولكننا في حين تعبيرنا عن السرعات بالثواني و لدقائق لا نستغني عن ذكر المسافة ة فنقول مثلاً ان سرعة القطار بالثانية ١٥ متراً وسرعة الارض بالثانية في فلكها ٣٠ كيلومتراً النور بالثانية ٣٠٠ الف كيلو متر وهلم جرًّا. استنبطنا هذا الاصطلاح لقياس السرعات ت مما تقدم كيف ان ما نسميه زماناً يندمج تمام الاندماج بالمكان لانه يعبر عن تحرك المادة كما أن المكان يعبر عن وجودها في الحيز. وبعبارة اخرى ليس الزمن الا وسيلة للتفرقة بين ادة وتحركها. وكلاهما في المكان

معنى البعد الرابع

هذا البيان الواضح يسهل عليك ان تفهم المراد من قولهم « بالبعد الرابع » فأنت تعلم ان او ذرة في الكون يتحدد موقعها في الفضاء بثلاثة ابعاد متعامدة فيها — ابعاد عن اجسام اخرى. أي لا يكفي لتحديد موقعها بعدها عن جهة واحدة فقط، ولا بعدها عن امدتين عندها فقط، بل لا بد من اتجاه ثالث معامد للاتجاهين الآخرين وهي في نقطة يعاً. هناك ينحصر موضعها. فاذا فرضنا انها سائرة (في خط مستقيم او خط منحن) تعبيرها هي البعد الرابع. لانه لما كنا نعبر عن عبورها هذا بالاصطلاح الزماني (الذي ينوب لاح المكاني للتمييز بين وجود الجسم في المكان وسرعته فيه) كما علمت صح القول بأن رابع مكاني ايضاً[1] وختام الكلام: الوجود هو مادة متحركة، من خواصها «الزمكان» قتطف ابريل ١٩٣٣ مقال ضاف شرحت فيه قضية الابعاد الاربعة شرحاً وافياً فليراجع

هذا القول المعادلة الرياضية. هكذا: —
عن الابعاد الثلاثة بالاحرف ط (طول) ض (عرض) ع (علو أو عمق) م (المسافة) التي يعبرها الجسم متنقلا ة معه) كان لنا بحسب قضية فيثاغورس م٢ = ط٢ + ض٢ + ع٢ باعتبار ان المسافة هي وتر المجسم ذي ة. والمجسم هنا هو الحيز الذي يسير به الجسم المتحرك. وقد علمت في الحاشية السابقة ان م = ت س اذاً = ط٢ + ض٢ + ع٢ فترى ان الوقت دخل في حساب المكان كصاف فيه (ت س) ولذلك عد بعداً رابعاً ن هذه العملية الرياضية الصغيرة تحتاج الى شرح مسهب لكي يفهم القارىء العامي المراد منها. ولكن خطه المقتطف لا تسمح بهذا الشرح الذي قد لا يلذ الا لنفر معدود من القراء

الغفران

نشيد من ملحمة له عنوانها غلواء

..

مضت أشهرٌ نُذِرت للمطرْ وأظلم فيها المسا والسحرْ
وأقبل نوّارُ — عرسُ الطبيـــعة — يضحك في ورقات الشجرْ
يدغدغُ بالطلّ عشب الحقول ويطبع ألوانهُ في الزهرْ
ويبني على الهضبات متاحف تسخر من هذيان البشرْ
كأنّ عباقرةَ الجن فيها سكنّ وعلّقن تلك الصورْ
نخفّ الشبابُ ندىّ الحياة يستقبل الحلُم المنتظرْ
على ثغرهِ بسمات الربيع وفي قلبه بسماتٌ أُخرْ

***

وفي يومِ عيدٍ نقيّ السماء كأنّ السما صفحةٌ من سُورْ
اطلّ شفيقٌ على الهضباتِ فراءَ الشبابَ عليها انتشرْ
وأبصرَ غلواءَ بين الزهور كحوّاءَ بين شهيّ الثمرْ
تسرّحُ في عدنها نظراتٍ عرفن ازاهير خيرٍ وشرْ
وقد لبست ثوبها الزنبقيّ عليه نسيج بلون الخضرْ
وألقت على العشب جسماً هزيلاً كغصنٍ من الياسمين انكسرْ
نخفّ اليها وفيه عذابٌ بدا منهُ في مقلتيه أثرْ
وأثبتَ فيها عيوناً سكارى تجمّد فيها رحيق الخدرْ
وقال : « لقد خلعَ الحقلُ عنهُ رداءَ الشتاء وغطى الحجرْ
وألقى عليه الربيعُ وشاحاً جمالُ الطبيعة فيهِ انحصرْ
فهلاّ خلعتِ رداءَ الليالي والبستِ روحكِ ثوبَ الزهرْ
وهلاّ تشبهتِ بالياسمين فما كاد يحجبُ حتى ظهرْ
لقد غسلت بسماتُ الزهور ذنوبَ الشتاء الكثيف البصرْ
وعاد العفافُ الى الهضباتِ ففي كلّ غرسٍ «فؤادٌ غفرْ»

فقالت : « أحاول أن أتناسى زماناً مضى وخيالاً عبر ... »
فقال : « وماذا يمثل هذا الخيال ؟ »

فقالت : « غراماً عذرياً ! »
فقال لها : « أوضحي ، بالسماء ! .. وهذا الغرام ؟ »

فقالت : « دعني ! »
فقال ، وقد جحظت مقلتاه : « وهذ ؟ »

فقالت : « حبيباً مجيراً ! »

— وهذا الحبيب ؟ !

— غفرتُ له ... ويعفو إلهك عمَّا بدر

غَفَرتُ كما غفرتْ في الربيع زهورُ الربى لشتاءٍ كفر
ولكنَّ بي ندماً كاللهيب يريبي الحياة حلال الشرر !

. . . . . .

وكان النسيمُ يهزُّ الغصونَ فينشر في الجوِّ عطر الزهور
كأنَّ العطورَ خطايا عذارى حلمْن بأثمارها في الخدور
ولمَّا أفقْنَ اعترفنَ بها وقد هزَّهنَّ الضميرُ الطهور
وكان المساءُ على الهضباتِ يَنفثُ اشباحهُ في فتور
وشمس المغيب تعيرُ الظلالَ ألوانها في مطاوي الصخور
فقال شفيقٌ ، وفي قلبهِ رجاءٌ يموتُ وحبٌّ يثور
« عشقتكِ ، يا غَلوَ ، عشقاً نما شقيَّ الرؤى في شواطىء صور
وكنت من الداء في نشوةٍ تريكِ الحياةَ ظلاماً ونور
ظلاماً تلمَّست فيهِ الفناءَ ونوراً تنشَّقت فيهِ الغُرور
وما ذاكِ الاَّ لأنَّ فؤادكِ ما ذاق في الحب صدق الشعور
جهلتِ حقيقةَ وجهِ الهوى نخاتِ الهوى وجه مين ورور
ولما سكرتِ بكذب الأغاني وعوَّدتِ قلبكِ تلك الخمور
أفقتِ فلم تجدي في الكؤوس إلاَّ قذارةَ خمر الثغور

جهلتِ الهوى فنكرتِ الربيعَ وقد تنكرينَ نمو البُذورْ
ومن لم يقدِّرْ لهُ أن يَشمَّ ينكرْ حتى أريج العطورْ ! »
فقالت : « صدقتَ ولكنني أحسُّ بقلبي جفافَ الجُذورْ
فأنت ترى في الربيع الجمالَ وأبصرُ أزهاره كالبُثورْ
وتُبصر في الزهر لونَ الحياةِ وأبصر في الزهر لون القبورْ ! »
فقال : « ترينَ بعين القنوطِ الجمالَ الذي أيَّدته الدهورْ
فهذا الربيعُ سيبقى ربيعاً وهذي الزهور ستبقى زهورْ
ولكنَّ في أعين اليائسينَ زجاجاً يريها نواحي الشرورْ
لئن كنتِ دنَّستِ تلك العيون وذاك الفؤاد بماءِ الفجورْ
ولم تسمعي نغماتِ العفافِ ولم تنشقي في العفاف البَخُورْ
فقد كفَّر الدمعُ عمَّا جنيتِ وصادفتِ ياغلْوَ قلباً غفورا ! »

***

وأهوى على صدرها باكياً وأهوت على رأسهِ باكيهْ
وما هي إلاَّ دقايقُ حتى تلاشت رؤى نفسها الدامية
فأدنت الى ثغرهِ ثغرها على مشهدٍ من تُقى الرابيهْ
على مشهدٍ من نقاء الزهور المذارى ومن عفَّة الساقيهْ
فأحرق ثغرٌ شفيقٌ على مراشفها القُبلَ الماضيهْ !

***

وإذ صعدَ البدرُ خلف الجبالِ وذابَ على الربوةِ العاليهْ
وهوَّمت الطيرُ بين الغصون لتحلمَ أحلامَها الصافيهْ
ولم يبقَ يُسمعُ في الحقل إلاَّ تنهُّد شبَّابة الراعيهْ
أفاقَ الحبيبانِ من سكرةِ الدموع الى سكرةٍ ثانيهْ
وظلاَّ من السُّكر في نزواتٍ تطهِّرها عِفَّةٌ باقيهْ
الى أن دنا موعدُ للفراقِ واصفرَّتِ الأنجمُ الساهيهْ
كأنَّ النجوم الضئيلةُ في الأُفْـ ـقِ رَشْحُ خمورٍ على خابيهْ
كأن النجوم زفيرُ خطايا تصعِّدهُ ليلةٌ زانيهْ !

المحاضرة الثانية

الفن الصيني

بنيون الفنان

بين التصوير والشعر

للدكتور احمد زكي ابو شادي

(١)

بلغت حماسة بنيون الغاية من الاندماج الأدبي في محاضرته الثانية وسترعى عجب المستمعين درجة جعلت أحد أدباء الانجليز يقول لي مداعباً « إنّ بنيون يتحمّس للفنّ الشرقي وللفنّ الصيني خاصة تحمّس صفوة ابنائه المثقّفين حتى كاد تذوّقه له يخيله صينيّاً في سماته ! »

استهلّ بنيون هذه المحاضرة بأسلوب دراميّ فقال : في سنة ١٢٩٥ بلغ وطنه (البندقية) سائح الشرق ، وكان قد تغيّب في صميم آسيا مدى ستّ وعشرين سنة قضى معظمها في الصين في ... الفاتح المغولي كوبلا خان . وكان هذا السائح ماركو بولو ، وقد استقبل في وطنه بارتياب ثم بتهليل العجب والدهشة . وقد تزعّم بعد ذلك بقليل إحدى السفن في معركة بين البندقيين ... انتهت بأسره ، فلما كان في السجن أملى بياناً عن رحلاته وهو المشهور الآن باسم ... ماركو بولو — The Book of Marco Polo) وكان هذا الكتاب الذي أثار أحلام كولومبوس ... وأهبه بخواطر الوصول الى الجُزر الهندية عن طريق المحيط الغربي — كان هذا الكتاب ... عن الصين والصينيين لاوربا

... الرومانيون في عهد الامبراطورية يستوردون الحرير الصيني ، ولكنهم لم يعرفوا عن أهل ... ما نقلته الروايةُ عن انهم شعبٌ ظريفٌ عجيبٌ في الجانب الاقصى من آسيا . ولكن ... لو كان مبعوث سيده الى جميع انحاء الامبراطورية الصينية ؛ وهو بفضل ذلك يضمّن كتابه ... عن كلّ ما شاهد وقد كان مشاهداً اريباً

... مدينة هانج شو عاصمة الصين حينئذٍ في مبدإ انحطاطها لمّا رآها ماركو بولو ، ولكنها ... خطفت بصره وأذهلته ! وهو الذي عرف البندقية والقسطنطينية يصف هانج شو بأنها ... مدينة على الارض بمحيطها الفسيح وبجسورها الصخرية التي بلغت الألفين فوق قنواتها ... وبحماماتها العامة ذات الماء الساخن وقد بلغت الثلثمائة ، وبرجال شرطتها البارعين ، وباسواقها ... الحافلة بشتى المحصولات من كلّ مقاطعة ، وبأمرائها التجار الذين كانوا يعيشون ناعمين كالملوك ،

وبتلك الكائنات الانيقة الملائكية : زوجاتهم ! وكانت شواطئ البحيرة التي قامت عليها العاصمة م
بالقصور والمعابد والاديرة . وقد احتشدت في الماء القوارب والصنادل كما ازدحمت الطرقات
لا آخر لها من العربات

وما هو حالُ السكان في هذه المدينة العجيبة ؟ يحدّثنا ماركو بولو انهم ما كانوا يحملون
ولا يحتفظون بها في بيوتهم — وهذا هو المظهر الخارجي لحلة من المدنية الصادقة — وهم
بصفة خاصة أدبهم نحو الاجانب ورغبتهم في معاونتهم . فهذه هي جميع الامارات لا لهذ
فقط بل لما نسميه عهداً «عصرياً» ؛ وفي الواقع وصف حديثاً أحد كتّاب الفرنسيس
بأنهُ من فترات الانسانية الكاملة

(٢)

كان ذلك العهدُ الذي انقرض اثناء إقامة ماركو بولو في الصين عهدَ الدولة السنجنه
بصفة خاصة عن الفنّ في ذلك العهد لان العبقرية الصينية عُبّر عنها فيهِ كما يلوح لي أوثق
فأولاً يجب عليَّ ان اقول كلمةً عن السمة الفنية للتصوير الصيني : فما عدا التصاوير الحائ
اندثرت جميعها تقريباً (وإن كان عددٌ منها نُقل اخيراً الى اوربا واميركا ، ويوجد
منها في المتحف البريطاني) نجد ان التصاوير الصينية منقوشةٌ عادة على الحرير أو
الورق ، وتُستعمل لها الصبغات المائية أو الحبر . ولم يُستعمل التصوير الزيتي الا
ولكنهُ لم ينل حظوة لدى الصينيين

وقد أخذ المستر بنيون بعد هذا التمهيد يعرض ألواحه المختارة بالفانوس السحري
الفن الصيني وتطوُّره . فوجّه الانظار الى ان التصوير كان معدوداً فرعاً من الكتابة
الحروف الصينية تكتب بالفرشاة ، وإجادة كتابتها كانت تستدعي مرانةً فائقة و
بمثلها الاّ القليلون من المصورين الاوربيين

وكانت الصورة الاولى عبارة عن رسم خيزران نامٍ على صخرة وقد نُقشت في القرن
الميلاد . فوجّه المحاضرُ الانظار الى الجمال في ضربات الفرشاة ، والى درجات التعبير وا
أغمق السواد المصقول الى الاشهب الباهت الى السنجابي الفضّي . وقد ذكر المحاضر انهُ
كثيراً الى النقّاش الشاب على سبيل التمرّن في استعمال الفرشاة ان يقلّد بنقشه ضو
ضوء القمر على ستار ، وكان على النقاش ان يرسم ذلك من مخيلته

وكانت الصورة الثانية عبارة عن رسم تقليدي الموضوع وهو مشهد القمر فو
الصاخبة ، وقد ذكر المحاضر انهُ عرضها ليظهر وجهاً آخر من اوجه الفنّ الصيني
الغربيين الذين قد يحاولون نقل المنظر الواقعي نجد ان المصور الصيني عُني بالخيال
اكثر من عنايته بالمظاهر الخارجية للاشياء . ففي رسمه البحر ، كانت محاولتهُ موجّهة

لماء الى المشاهد للصورة اي التفعيل العظمى (الرّدّه) الذي خُلقت منه الأمواج . وهذا ما يطابق النظرية الصينية في الفن ، فمنذ القرن السادس الميلادي عُرفت في الصين بمقياس ستة لتحكم في اي عمل فني كما وضعها احد روّاده . فكانت نهاية الرباعة الصينية تلك التي جعلت وحدتها الحياة. كان من المعترف به ان حركة الحياة إذا لم تعرقلها الظروف ... ترتيبه ، دقيقة (متناسقة التفعيل او التوقيع) . وانّ الواجب في العمل الفني الحقيقي ان يشمل الرّدّه والتوقيع المثلى للحياة

وعرض المستر بفيون بعد ذلك عدداً من الصور المنسوبة الى الفنان كوكي الذي عاش في القرن الرابع ، وكانت هذه الصور بمثابة رسوم شرحت بها رسالة وجيزة ألفت في القرن الثالث بعنوان تعليمات فهرمانة القصر) ، والدفتر الحاوي هذه الصور محفوظ بالمتحف البريطاني . ونحن نحفظ بصورة هذه القهرمانة او المربية ذلك الثبات المسجم الذي ينتسب الى المدرسة الصينية و لدى يُعبّر عنه كونفشيوس بقوله : « اعتمد في الحكم على التعليم والآداب الرصينة كثر من الاعتماد على القوانين والعقوبات . واذا وجدت كلمة يمكن ان تهدينا عملياً أثناء حياتنا كلها فربما كانت الاحسان الى الغير » . فكونفشيوس يبشر بدين الفرد في كل شيء الى المجتمع و لدولة . وقد جعلت تعاليم لاوتزو ... في دلك القرن الرابع نفوساً كثيرة . ومعروف في السياسة المصرية تياران فكريان متعارضان : فثمة الفكر الذي يعتبر النظام اثمن شيء في الدنيا . وثمة الفكر الآخر الذي يعتبر الحرية اثمن شيء . ولكن أتباع لاوتزو كانوا يطبقون نوعاً من المقاومة السلبية ، فلم يكونوا في كفاح الدنيا وانما انسحبوا منها . كان لاوتزو يقول . « لا تفعل شيئاً . وكلّ شيء يُفعل ! ليس شيء (ألعم واضعف من الماء ، ولكن لمهاجمة الاشياء الصلبة القوية لا يوجد شيء في قوته مثل ... » وتمثل هذه الخواطر الذهنية ثار كثيرون من الرجال البارزين على نمط الحياة الرسمية . في سبيل فكرة الخدمة العامة ، وانتحوا أماكن بعيدة منعزلة في الجبال لغرس الاقحوان . والشراب تحت ظل الأشجار ولعزف الموسيقى !

وهكذا أظهر لنا المستر بفيون ذلك التجرّد الرمزي وذلك البحث عن المطلق ، وهو ما كان على وشك ان يظهر لاوتسو الطاوية Laotsu أو كان قريباً من عقيدة استمدّها من لهند طائفة من وهي طائفة زن ... — طائفة التأمليين — وامتزاج هذين التيارين الفكريين صنع بلون آخر من الفن في العهد السنجي . وعرض المحاضر بعد ذلك صورة تمثل بودا في سمات هذا الطراز ماثلٌ في متحف لاهور . وقد تعرّض له كبلنج في قصته كم ...

(٣)

المحاضر بعد ذلك الى الحديث عن انتشار البوذية انتشار المظفر الغلاب من الهند الى الاسيوية الوسطى ، الى الصين ، الى كوريا ، الى اليابان ، والى شواطىء المحيط الهادىء . خلال آسيا جميعها الطرق العظمى للتجارة حيث كانت البضائع الصينية الحريرية تنقل

الى البحر الأبيض المتوسط ، وكان التجّار من كل صنف يغدون ويروحون بين اوربا وال
الاقصى والهند . ولكن نظراً لخذلان الجوّ والسُّقيا انقرضت حول القرن الثامن تلك الو حات
كانت كعقد منظوم في ذلك الطريق التجاري العظيم ، وقد جاءت الحفريات الحديثة كثير
المكتشفات الرائعة عنها ، فمثلا في مدينة تَنْج هُوَانج — وهي مدينة مسوَّرة في ... ى
واقعة في نهاية الحدود الغربية للصين — وجدت سلسلة من الكهوف المحفورة في ... بحر
ملئت بالتماثيل البوذية وبنظائرها من التصاوير الحائطية . وفي احدى هذه الخزائن المقدسة ...
السير أورال استين في سنة ١٩٠٨ قبواً مخبوءاً كدّست فيه مخطوطات وتصاوير حريرية ... الا
وقد كومت بعضها فوق بعض كوماً عمقها عشر اقدام ، معرّضة للتحطيم ، ويظهر ا... ت
في وقت ذُعر عند احدى الغارات البربرية منذ ألف سنة مضت . وكثير من هذه الصور
الآن في المتحف البريطاني حيث استدعت سنين من الجهد العظيم لتنظيفها وتنسيق أجزا
لصقها على نظامها الاول بعد ان كانت في حالةٍ من التمزّق والتناثر تبعث على اليأس

***

وأردف المحاضر هذا البيان بعرض طائفة من هذه الصور وكلها ذات مناظر بوذية : فظهر
احداها صورة بوذا راكباً عربة يصحبها الجنُّ من الكواكب السيَّارة ، وفيها يلوح بوذا هنا
الطراز بينما يلوح الجنُّ صينيين . وفي صورة اخرى منقولة عن عَلم صغير نرى مشهداً من الا
البوذية اذ يَرى بوذا يلتقي لأول مرة برجلٍ مريضٍ ، وفي هذه الصورة نجد كلَّ شيء من
الصينية — النماذج ، والملابس والتركيب الهندسيّ

(٤)

بدأ عهد الدولة التّنجيَّة العظيم في القرن السابع وهو أول العهود الفنية التي ... أما
الثاني فالعهد السَّنْجي ، وأما الثالث فالعهد المِنْجي . وقد بقيت كلٌّ من هذه الدول حو
سنة ، فكأن الحياة الفنية الخطيرة في الصين شغلت تسعة قرون تقريباً ، اذ كان العهد التنج
القرن السابع الى القرن العاشر ، ومكث العهد السَّنْجي من القرن العاشر الى الثالث
وامتدَّ العهد المنجي من القرن الرابع عشر الى القرن السابع عشر . وبين الدولة السنجية
المِنجية قامت دولة قصيرة العهد هي دولة اليوانيين أو المنغول وهي عهد كوبلا خان

ومن نماذج التصوير النادرة للدولة التنجية عرض المستر بنيون صورة « القديس
نموذج صادق النسبة الى ذلك العهد الذي ضاعت معظم آثاره الفنية ، ولذلك يشق علينا ا
حكماً جازماً عن حالة الفن في ذلك العهد اعتماداً على الآثار الفنية الضئيلة التي بين أيدينا ا
اذا اعتمدنا على ما سجله المؤرخون فاننا نميل الى الاعتقاد بأنهُ كان أعظم عصور النهضة الف

ة والسؤدد ومن أعظم عصور الفن في تاريخ الدنيا بأسرها . كانت [illegible] في أوج سلطانه
ن حكمها ممتداً غرباً حتى بحر قزوين . وكان ذلك العصر أيضاً [illegible] في [illegible]
أما عن اعظم آثار التصوير البودي فيرى [illegible]
[illegible] اشهر الاساتذة الصينيين [illegible]
م منظراً عاماً كبير الحجم على حائط في القصر الامبراطوري . وقد [illegible]
بحة الفنان الى جانب لكي يرى الامبراطور ذلك المنظر الجامع [illegible] عظيم
سول المياه المنعطفة ولجماعة المرتادين للمار الصخرية وللطيور [illegible] . فدهش
امبراطور أي دهشة لهذا المنظر الرائع . وشخص اليه مبهوتاً ! فقال [illegible] ولكن داخل
نظر أجمل من خارجه ! » ثم صفق بيديه فانفتح باب كهف بين الصخور الأمامية . وحينئذ خط
سان الى داخل عمله وأغلق الباب خلفه . وبينما الامبراطور يحملق مشدوهاً [illegible]
[illegible] ويغيب عن الحائط دون أن يبقى أي أثر منه . فلم [illegible] بعده [illegible] مرة
[illegible] وهذه الاسطورة الرمزية البديعة السامية المغزى تحدثنا بأن الفنان [illegible] يخلقه .
وجه تنتقل الى عمله

المعروف أن جميع الثلثمائة من التصاوير الحائطية التي نقشها وو — تو — تزو قد فقدت ،
ن قليلا من التصاوير الحريرية تنسب اليه فمن المشكوك فيه كثيراً أن هذه [illegible] أصيلة ،
[illegible] من حقيقة القوة الفنية والحيوية العظيمة المنسوبة الى وو — تاو — تزو عند
ل مجموعة من الرسوم الخطية المأثورة عنه . وهذه موجودة بين احدى المجاميع الخاصة في
وهي مصداق افتتان النقاد والمؤرخين بحذقه العظيم . وليست هذه الصورة مع ذلك من
ذلك الاستاذ العبقري ، وانما هي نسخ من الصور الاصلية صنعها [illegible] النازعين في
الحادي عشر ، وربما كانت الصور الأصلية المفقودة صوراً حائطية . [illegible] تمثل بعض
[illegible] الشعبية القديمة عن المردة التي تصارع الحيوانات ؛ ولم يعرف عن صور اخرى فاقتها في
رسم الخطي وفي التعبير عن القوة في الحركة . في ذلك الوقت نشأت [illegible] للتصوير
الطبيعة ، وكان أحد زعماء هذه المدرسة الفنان وانج وي ([illegible]) وقد كتب بحثاً
[illegible] ، وسجلات هذا التصوير هي أشبه ما تكون بسجلات الموسيقى في اوربا الحديثة حيث
موضوعات متقاربة ومتقابلة وتعرضها بعضها إثر بعض . وليس لهذا [illegible] من الرسم
[illegible] الفن التصويري

(٥)

الدولة التنجية العظيمة في سنة ٩٠٥ م ؛ وبعد نصف قرن من الحكم بواسطة دول

قصيرة العمر دخلت الامبراطورية في عصر جديد من المجد الذهني — ذلك هو العصر الـ
الذي استمرَّ كالعصر الاول الزاهر ثلثمائة سنة

وروح التصوير في هذا العصر الجديد روح التنبيه القوي . مثال ذلك أن نرى الا
من الخارج في داخل إطار الصورة . وأن نجد خيال نُوَّارةٍ محجوبة عن أعيننا مثلاً
فيخلق هذا لخواطرنا دنيا من الاخيلة عَبْرَ ما نرى !

كان الجمال ينشد لذاته ، وكان يلحظ في اهون الاعمال وأحقر الحرف والصنائع كما
الناسك الذي يقطع الخشب . وكان مشهد النوار لشجرة البرقوق مثلاً ، او مشهد
ترتعش في مجرى الريح لا يقل في دلالته المعنوية والفنية لروح الفنان عن صورة
او احد الملائكة !

نبغ هذا العصر اذن في فن التصوير الطبيعي العام ، وفيه وجد العصر اسمى الادوات
الفني . فكان الجبل والضباب والجدول للفن في العصر السنجي بمثابة ما كان الجسم
للفن في العصر الاثيني . وهذا ما يجعل للفن في ذلك العصر شأناً عديم النظير . اذ لم يعرف
عصر آخر ولا في اي مكان آخر ان المناظر الطبيعية العامة اكتسبت مثل هذا الشأن
تصير موضوعاً رئيسيًّا غلاّباً حتى كأنما تِشَنْ وروبنز ورمبرانت قد وهبوا جميعاً
الفنية وأقوى جهودهم لا لتصوير النماذج الجسدية بل لتصوير هذه المناظر الطبيعية !
الصور التي عرضها المستر بنيون اثر ذلك شاهداً صادقاً على ان هذا الشعور العميق
وحبها مما ميز الشعب الصيني منذ اقدم العصور . كان المصور الصيني بغير تعمد
الصور عن ذهنيته وعن اسلوبه في النظر الى الدنيا والى الحياة . فاذا اردنا ان نفهم
في العصر السنجي فمن الميسور ان نلج اليها عن طريق شعر وردزورث . وقد يدهش
القول ، ولكن في اشعار الطاويين taoists الصينيين واقوالهم نجد تطابقاً عجيباً
التعابير لشعر وردزورث ، فنقرأ لهم امثال هذه التعابير « ان الدنيا شغلتنا
و« السلبية الحكيمة » و « الباصرة الداخلية التي هي نعيم الوحدة » و « اني اعتقد
تتمتع بالهواء الذي تستنشقه » و « ان نفحة من غابة الربيع قد تعلمك عن الرجال وعن
الادبي اكثر مما تتعلمه من جميع الحكماء » !

أليس غريباً حقًّا ان يتفق هكذا في التفكير رجلٌ من وهاد كمبرلاند
واولئك الناس في الطرف الآخر من الدنيا منذ مائة والف سنة ! ؟ أليس هذا بمثابة شهادة
على تماسك الانسانية ؟ !

وقد عرض المحاضر بعد ذلك صوراً توضيحية لهذه العناية الفائقة برسم الطبيعة
الانظار بصفة خاصة الى احداها حيث يبدو الاهتمام بالمنظر العام فوق الاهتمام برسم

ب الواقع كان الصينيون في العهد السنجي يعتبرون الخلوات الجبلية والسيول المتدفقة رفقاء
وح . وهذا ما نلمحه مثلا في صورة الجبل الذي يشمخ حتى يغيب في الضباب قمة بعد قمة كأنها
وج بعد الاوج من مقاطيع ملحمة شعرية عظيمة ، حتى ليحس بأن الطبيعة صارت مرآة الذهن
لساني ! ومثل آخر صورة «عودة الصياد» فكأننا حين نتأملها نتأمل كورو الرسام الفرنسي
ير الطبيعة : ١٧٩٦ — ١٨٧٥) وقد وصفت صوره بأنها عبارة عن قصائد شعرية منقوشة
ا . كما عدّت من اسمى النماذج في تآلف الاصباغ وانسجامها وفي روحانيتها الفنية

ولعل الروح الصادق للفن الصيني هو ما رمز اليه احد كتاب الصين في القرن الثامن حين نعت
ه بأنه « صائد السمك المسن في الضباب والمياه » ! لقد انفق وقته في صيد السمك ، ولكن
نوع من الانفاق الرمزي ، اذ انه لم يستعمل طعماً ولم يصطد سمكاً ! وقد سأله بعضهم : لماذا
ول هكذا شريداً ، وعرض عليه سكناً مريحاً بدل الزورق الحقير الذي يعيش فيه . ولكنه
قائلا : «ماذا تعني بجولاني وتشردي حينما السماء العلى بيتي ، والبدر الساطع رفيقي ، والبحور
عة اصدقائي الذين لا ينفصلون عني ! ؟ اني لأوثر ان اتبع زمّج الماء الى وطن السحب على
فن نفسي السرمدية تحت تراب الدنيا ! »

ومن انفس الصور التي عرضها المستر بنيون صورة من ريشة — ما يوان [illegible] — ولعله
مصوري الطبيعة عند الصينيين — وهي شبيهة من بعض الوجوه بصورة رمبرانت المشهورة
حونة » ، ففي كلتيهما يبرز من الجانب شكل قائم هو اظهر ما في تركيب الصورة . ولكن
ضع رمبرانت طاحونته القديمة تجاه الافق عند الغروب الباهت ، نزع ما — يوان الى شجر
تلفحه الريح وقد شمخت فوقه بروج الصخور لممر نهر . وصورة اخرى استرعت الانظار
كما قال المحاضر — شبيهة في موضوعها بصورة «جرس التبشير ([illegible]) للرسام الفرنسي
[illegible] [1] ، وهي واحدة من ثماني صور طبيعية في روحها ومراميها مما كان يرسم مثيله
صيني على ما يظهر في وقت ما من اوقات حياته الفنية . وموضوع هذا الرسم الصيني هو
المساء من الهيكل البعيد » . وهو عبارة عن رسم تقريبي بالمداد يمثل الساعة حينما يخطو
و التلال التي تمثل آخر غاية رحلته فيسمع عن بعد جرس المساء ، ويتطلع الى اعلى فيرى
انتهى ورؤوس التلال آخذة تعتم في الغسق . ولكن الفنان الصيني لا يلجأ الى رسم
لسان قصته ، وحتى الجرس لا يبدو في الرسم ، وانما يكتفي بالرمز اليه باظهار قبة الهيكل
ئ من بين اشجار الغابة فوق التل ، مكتفياً بهذه الاشارة

تقدم الفن الصيني واستكمل نضوجه ابتدع طريقة في تقسيم فراغ الصورة لم يكن لها مثيل

وغير سميه المولود في انتورب (١٦٤٢ — ١٦٧٩) وان كان كلاهما فرنسي الدم . ورسامنا الشهير
روش بفرنسا في سنة ١٨١٤ وتوفي سنة ١٨٧٥م ، فبينهما فصل قرن ونصف القرن

في عالم التصوير ، تلك هي طريقة « الموازنة » وهذا النوع من « التفريغ » الذي يبدو ء الاوربية كان يبدو لاول وهلة هوائيًا ، ولكنه في الواقع ناجم عن نظام فكري للطاوي ائمة هذه الديانة الصينية كان لاو — تسي Lo Tse في القرن السادس قبل الميلاد و. التأمل والتفكير المنطقي واجتناب العنف واغفال الشعائر المجردة هي وسائط التجدد اصبح الفراغ لا الامتلاء وحده ذا قيمة في التعبير الفني

وعرض المحاضر جملة صور لتمثل كيف انجب الخيال الصيني الرمزين الرائعين للتعبير و في تأليفها مثال للاستادية البارعة . وكانت الصور الختامية جميعها ممثلة لمشاهد ا بنيون : « ان حلم جميع هذا الفن الصامت تكمن العقيدة الثابتة بأن الفن في جوهره ذهن وذهن ، واتصال خواطر وعواطف صهرت في مزاج واحد ومجال التعبير عن طاقة المشاهد ان يبلغ الى صميم ذهنية الفنان بواسطة الاثر الفني الصادق ، ثم عن ايضاً الى العمق والفراغ ، الى الافق غير المحدود للحياة العالمية ، وما لم تكمل هذه الارتباطات فان الصورة تعد كأنها غير موجودة او غير مستكملة الوجود . وهي لا تكتس الكاملة الا في اذهان من يتأملونها منا ، ولن يزهر تفكير الفنان الا فينا ، ولا يولد الا في نفوسنا . ومن هذا تظهر قيمة التوكيد للنصيحة القديمة التي توجه دائماً عن الناظر وتهيئة نفسه للتأمل في العمل الفني ، وذلك باخلاء ذاته ليملأها كل الاثر الفني ذهنه جميع الفروق الدخيلة ، بحيث يدخل فكر الفنان دخول ضيف في غرفة هيئت

ازاء هذه الخواطر الفياضة يمكننا ان نفهم كيف ان هذا الفن استحال شيئاً فشيئ المادة واذابتها في فكرة ، وللتعبير بالاشارة عن المعنى الرواغ وعما لا يمكن وصفه . والتخ الذي عدّ ضروريًا للعمل الفني هو ان يجانب معه بذرة التفاح بحيث يزهر في ذهن

(٦)

يتضح مما تقدم ان الهام التصوير في العهد السنجي يتنقل ما بين سر لم يبح به كاملاً ا وخواطر لا نعرف مصادرها وانما تأتي الينا في حالات خاصة واماكن خاصة ، وذلك الامتلا الوقتي الذي يبدو كالاسترداد لانسجام مفقود بين الانسان والطبيعة

وحول اواخر الدولة السنجية اخذ التصوير يتحول تحولاً مدرسيًا . والتقليد الم التصوير الغربي يعنى بالاشخاص وبموضوعات البطولة (كما توصف) وهي موضوعات مع تصير جد متعبة ، وأما الروح المدرسية في التصوير الصيني فقد لجأت الى تحويل الرمز التأثري بالمداد الى طابع مألوف خاو وهكذا استحال الى مجرد تسلسل واطراد

وفي الدولة اليوانية التي جاءت بعدُ ثم بالاكثر في الدولة المنجية (من القرن ا

لسابع عشر) — بالرغم من وجود فنّانين بارعين — أخذت النزعةُ الفنيةُ العامةُ تتحوّل
ئاً غير محسوسٍ الى التعلّق بالمظاهر وبالزخرفة وبالصبغة بدل ان تكون عميقة وبسيطة.
د في ادوار الفنّ الصيني الاخيرة — جنباً الى جنب مع التقليد المدرسي الذي تتكرر معهُ
ندعة والأغراض القديمة — نزوعاً الى الثورة

المستر بنيون محاضرتهُ النفيسة بقوله : « ولكني اريد أن أختم بشيءٍ مثاليٍّ للعبقرية
مظهرها المدرسيّ (الا كاديمي) ؛ فلنعدْ الى العهد السنجي » . وهنا عرض صورتهُ
تي تمثّل طائفةً من البلشون (مالك الحزين) ثلجية البياض مستولية على شجرة صفصاف
لى جمال الفن الصيني في طلاقتهِ وفسحتهِ وحركتهِ وانسجام فراغه . قائلاً : « وكأننا
ة تلك الطيور وهي تخرج من الصورة وتدخل فيها ! ولو حاولت أن تقتطع بعض ذلك الرسم
راً بالتحلخل فيه كأنما شيءٌ حيٌّ قد شُوِّه ! وكيفما كان قصورُ الفن الصيني — واني
لاً لوجه او اثنين من وجوهه — فلا يستطيع أحدٌ ان ينكر صفته الفنية كفن خالص .
ن الصيني لا يعيش لزخرفته الجميلة فقط فانه مثل دنيا لم يكشف بعد الاّ عن نصفها ،
دائماً نعجب بنضارة خواطرها ومشاعرها التي تزهر منها . هي الايحاء والإلهام اللذان
نفسنا اليوم » !

***

راع في أن موضوع الفن الصيني موضوع مشوّقٌ جدًّا لانهُ مشبع بدراسات متنوعة
وقد اقتصرت محاضرة المستر بنيون على ناحية التصوير في أسلوب عرضي قصصي مقارن .
لمعارف اللغة الانجليزية أن تفوته مقالة بنيون نفسهُ في الجزء الخامس من الطبعة الرابعة
ة المعارف البريطانية (ص ٥٧٥ — ٥٧٩) ولا كتابه المسمى (المصورون في الشرق
Painters in the Fa...) فضلاً عن اهم المؤلفات الممتعة في هذا الموضوع واخصها
ب جايلز Giles في التقديم لتاريخ الفن الصيني التصويري Introduction to the History
of Chinese Pa... وكتاب أمورا S. Omura عن المصورين الصينيين (Chinese Painters)
كان بنيون بمثابة رسول يبشر لنا بجمال الفن الشرقي ، فما احرانا بالتطلع الى روعة الشرق
للغرب سحره وجاذبيتهُ [1] ، فان من ينشد متعة الجمال الفني يتقصاه في الاقطار والاجيال
اللغات والاديان كما ضرب لنا المثل الحي على ذلك شاعرنا المحاضر الفنان

راجع ما تنشره مجلة (آسيا) Asia بين وقت وآخر من بحوث عن الفن الشرقي . انظر مثلاً عدد يونيه
وما ذكر فيه عن مدرسة بالك الروسية وتأثرها بالفن الصيني وعدد ابريل ١٩٢٦ عن الفن اليابانى

التحليق بمنطاد

الى علو ستين الف قدم

تنزل قصة غزو الانسان لطبقات الجوّ العليا من كتاب المغامرة في صفحة من اعجب ما فيه فمن نحو ثلاثين سنة حلّق رائدان المانيان بسلّ مدلّى من بلون الى علو ٣٥٤٣٠ فحسب تحليقهما من العجائب . ولكن الانسان لا يستطيع العيش طويلاً حيث مقدار الاكسجين في الهواء قليل ، وهذان الرائدان كادا ان يلقيا حتفهما فظلّ عملهما هذا لا ندّ لهُ مدّة عشر

ولكن ارتقاء الطائرات ، واستنباط اسطوانة خاصة تجهز الطيّار بالاكسجين عند حاجة العنصر الحيوي في الهواء ، مهّدا للانسان طريقاً جديدة لغزو طبقات الجوّ العليا . فحلّق الفرنسي لوكوانت Lecointe سنة ١٩٢٣ بطيارة الى علو ٣٦٥٢٠ قدماً . ومن ثم مضت الامم في هذا الميدان فاحرزت امم مختلفة قصب السبق فيهِ الى ان كانت سنة ١٩٣٤ اذ حلّق Donati الايطالي الى علوّ لم يبلغهُ احدٌ قبلهُ ولا بعدهُ ، بالطيارة ، وهو ٤٧٣٥٠ قدماً . ثم الاميركي قد حاول ان يفوق من تقدمهُ مرتين باستعمال المنطاد فاضطرّ في الاولى ان يقصر به ان بلغ ارتفاع ٤٢٤٧٠ قدماً ووجد في الثانية ميتاً وسلّ المنطاد وقد تعطّل جهاز الاكسجين

فلما استنبط الاستاذ بيكار البلجيكي الكرة المعدنية المحكمة الاقفال، المدلاّة من البلون تغيّر وجه هذا الضرب من المغامرة او الرياضة . ذلك ان المطيار يستطيع ان يجلس الآن داخل كرته بمنجى عن هبوط الحرارة وقلّة الاكسجين خارجها ، معتمداً على اجهزة في الداخل تعمل على جوّ طبيعيّ ، فثمة مادة كيمائية تمتص ثاني اكسيد الكربون الذي يزفرهُ واخرى لامتصاص الرطوبة واسطوانات خاصة لتجهيزهِ بالاكسجين . فاصبح الارتفاع الذي يبلغهُ غزاة الجوّ بعد ذلك لا يتوقف على جلَد الطيار ، بل على حجم البلون الذي تُدلّى منهُ هذه الكرة المحكمة

بلغ بيكار في مغامرته الاولى (سنة ١٩٣١) ارتفاع ٥١٧٧٥ قدماً وفي رحلته الثانية ارتفاع ٥٣١٥٠ قدماً وهما ارتفاعان لم تبلغهما اية طيارة بعد . وتلت محاولتي بيكار محاولة في بلجيكا وثلاث في الولايات المتحدة الاميركية . وقصب السبق في هذا التحليق للكومندور ستل Settle والكابتن فوردني Fordney الاميركيين اجريا في اذ حلّقا بمنطاد «قرن التقدم» الى ارتفاع ٦١٢٣٧ قدماً . ومما يؤسف له ان الطيارين الو

تحليقهم الى علو ٧٢ الف قدم ولكنهم لم يعودوا احياء الى سطح الارض وعودة الطيارين احياء الى سطح الارض شرط اساسي في احراز قصب السبق

الا ان التحليق الى أقصى ارتفاع مستطاع لم يكن بحد ذاته الغرض الذي رمت اليه المحاولات المختلفة في بلجيكا وروسيا واميركا بل كان المنطاد في كل حالة قد جهز بأدوات علمية متباينة غرضها الكشف عن بعض الاسرار الطبيعية التي يمنعنا عن كشفها الدثار الهوائي الكثيف المحيط بالارض

ولعل القارىء يدرك ما تقتضيه محاولة من هذا القبيل وما تتجه اليه من الاغراض من وصف رحلة قام بها المنطاد الاميركي (اكسبلورر Explorer) في صيف السنة الماضية

كان الغرض من هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر الكشف العلمي . ولذلك كانت الادوات العلمية التي جهز بها — وبعضها صنع له خاصة — تزن اكثر من طن . فكرة المنطاد كانت في الواقع معملاً علمياً محلقاً في الجو . ولما كان الهواء في طبقات الجو العالية لطيفاً كل اللطف . وضغطه هناك لا يزيد على جزء من ١٥ جزءاً من ضغطه على سطح الارض . كان لا بد من جعل كيس المنطاد كبيراً حتى يستطيع ان يحمل بعد انتفاخه . كرة من المعدن فيها ثلاثة طيارين عدا الادوات العلمية

فالمنطاد الذي حلق به بيكار كانت سعته ٥٠٠٠٠٠ قدم مكعبة من الغاز . والمنطاد الذي حلق به « ستل » و « فوردني » كانت سعته ٦٠٠٠٠٠ قدم مكعبة . ومنطاد الروس كانت سعته ٥٠٠٠٠٠ قدم مكعبة . اما هذا المنطاد — الاكسبلورر — فكانت سعته ٣٠٠٠٠٠٠ قدم مكعبة

وكانت الجمعية الجغرافية القومية الاميركية بالاشتراك مع سلاح الطيران الاميركي . قد عينت لجنة من العلماء لوضع برنامج علمي لرحلة المنطاد فحصرته في اربعة اغراض : —

(اولاً) دراسة الاشعة الكونية — (ثانياً) تحديد مكان طبقة الاوزون في الطبقة الطخرورية (Stratosphere) — (ثالثاً) تركيب الهواء على مرتفعات مختلفة من الطبقة الطخرورية — (رابعاً) المقابلة بين اقيسة الارتفاع المعيّنة بطريقة التصوير الفوتوغرافي لسطح الارض من علٍ ، والاقيسة المعينة بالاعتماد على ضغط الهواء (البارومتر)

وقد اشتركت طائفة كبيرة من علماء اميركا في إعداد أفضل الأجهزة العلمية لتحقيق هذه الاغراض . بل أن هذه الرحلة من أولها الى آخرها آية من آيات التعاون في سبيل العلم . فالجمعية الجغرافية القومية تعهدت بتسديد نفقات الرحلة ، وسلاح الطيران الاميركي بانتداب ثلاثة من ابرع الطيارين للقيام بها ، وقد اشتركت السلطات العامة والمحلية في اختيار ميدان لملء المنطاد بالغاز واعداده وتجهيزه بوسائل الاضاءة والحراسة والمخاطبة السلكية واللاسلكية والمعالجة والوقاية من النار والانباء بحالة الجوّ

لما تمت المعدات في ٢٣ يوليو سنة ١٩٣٤ ووردت الانباء من رصّاد الجوّ ان الحالة الجوية على ما يمكن ان تكون ، أخرج كيس المنطاد من مخبأه ، وبدأ ملؤه بغاز الايدروجين في الساعة

الثامنة مساء فلما كان منتصف الليل كان كيس المنطاد يحتوي على ٢٠٠ الف قدم مكعبة من الغاز أن سعته ثلاثة ملايين قدم مكعبة . وتفسير ذلك انهُ اذا أخذ المنطاد في الارتفاع ، تمدد الغاز بلغ الغاز مدى سعة المنطاد من التمدُّد ، اخذ يخرج من صمامات خاصة بذلك . وكان هذا يرتفع هذا المنطاد الى ٦٥ الف قدم . وعند هذا العلو يكون الغاز الذي فيهِ قد بلغ في المنطاد الكاملة فيشرع في التسرُّب منهُ . لذلك اكتفي بملئهِ بما مقداره ٧ في المائة من سعتها ويقول الذين رأوا المنطاد عند أول تحليقهِ أنهُ كان يشبه علامة كبيرة من علامات التعجب

ولما تمَّ فحص معدّات المنطاد جميعها ، صعد الماجور كيتر والكابتن ستيفنز والملازم الى الكرة ، وكان قرن الغزالة قد ذرَّ ، فأصدر الماجور كيتر أمره باطلاق المنطاد من القيد تقيده بالارض . فهتف عشرون الفاً من الاميركيين كانوا قد احتشدوا هناك لمشاهدته

كانت الخطة ان يتريث الطيارون قليلاً في تحليقهم عند ما يبلغون ارتفاع ٤٠ الف قدم بالارصاد العلمية ثم يتوقفون ثانياً عند ما يبلغون ارتفاع ٦٠ الف قدم . ثم بعد ذلك يرتفعون أقصى ما يمكن ان يبلغه المنطاد وهو ٦٥ الف قدم . وقد تمت المرحلة الاولى بحسب البرنامج عليهِ . ثم مضوا في التحليق رويداً رويداً ، حتى أتموا المرحلة الثانية ، وكان كيس المنطاد قد فاصبح كرة عظيمة وقد تدلت منها كرة صغيرة . فتطلع أحد الرجال من ثقب في أعلى الكرة الى الكيس الكبير ، فوجد فيهِ شقوقاً دلَّت على أن الحيطة تقضي بالاستغناء عن التحليق ٦٥ قدماً لئلا يتسع الخرق بازدياد انتفاخ الكيس . ولذلك بعد أن قضوا نحو نصف ساعة في ٦٠ الف قدم ، اخذوا يهبطون رويداً رويداً الى ان بلغوا ارتفاع ١٨ الف قدم فخرج الرجال الكرة — لان التنفس على هذا العلو طبيعي لطيارين مجرَّبين — الى سطحها وقد لبس كل منهم الواقية ، وراقبوا الشقوق في كيس المنطاد ، فرأوها قد اتسعت . ثم ما لبث القسم الاسفل من الكيس ان سقط على الكرة واصبح في مستطاع الرجال أن ينظروا الى داخل المنطاد . هذا هو يكون بمظلة (باراشوت) الكبيرة . ولكن وجه الخطر في ذلك ان ايدروجينهُ كان قد اختلط بالهواء ، وخليط الايدروجين والهواء ، خليط متفجر ، فلما كان المنطاد على ثلاثة آلاف فوق الارض حدث انفجار نسف الكيس ، واخذت الكرة المعدنية تسقط كأنها حصوة منقضّ . ولكن الرجال كانوا متأهبين للخطر ، فقفزوا في الهواء معتمدين على مظلاتهم وسقطت الكرة في حقول الحنطة ووصل الرجال سالمين الى الارض

وكان الظن في البدء ان الادوات العلمية تحطَّمت جميعها ، وان الشرائط السينمية التي دوَّن الارصاد تدويناً فتوغرافياً قد تلفت لتعرضها للضوء بعد السقوط ولكن المجلة العلمية الشهرية تقول كبيراً من الارصاد قد حفظ ، والمعدات تعدُّ الآن لرحلة اخرى في الصيف المقبل بمنطاد تكون ٣٧٠٠٠٠٠ قدم مكعبة ويملأ كيسه بالهليوم بدلاً من الايدروجين منعاً لخطر الانفجار

مفردات النبات

بين اللغة والاستعمال

لمحمود مصطفى الدمياطي

اجتمع لي طائفة من أسماء المفردات [illegible] وحررت ما يقابلها في بعض اللغات الاجنبية لترتيبها في معجم ولا أن عن لي أن أنشرها [illegible] في [illegible] بيان موجز اذكر فيه المفرد ووصفه وموطنه واستعماله مشيراً الى بعض فوائده في الزراعة او الصناعة أو التغذية [illegible] عسى أن يكون في ذلك بعض الفائدة — الدمياطي

شجر الأراك

وهو شجيرة ملساء اوراقها متقابلة كاملة الحافات ثخينة ولها ملمس الجلد مستطيلة . واذا مضغت طعمها كالخردل فلا عجب اذا سماها الانجليز في لغتهم بشجرة الخردل. وزهرها صغير جداً [illegible] يوجد في عناقيد باطراف الاغصان او في آباط الاوراق . وثمرتها اكبر من الحمصة قليلاً (1) اسمه العلمي (Salvadora persica, L) (سالڤادورا پرسيقا) وفصيلته الاراكية [illegible] ڤادوراسية) وبالانجليزية (The mustard-tree) وبالفرنسية [illegible]

وهو بري نادر في الصحاري المصرية في الارض الكلسية ولكنه ذائع في السودان وفلسطين وبلاد [illegible] وغيرها

واهل السودان يستاكون بالفروع وهذا ما يعرف عند العرب وعندنا بالسواك . ويعتصرون [illegible] ورزيتاً اخضر. ويستعملون خلاصة ما يغلى من قشرة الشجيرة طبياً لامراض الجلد ويأكلون [illegible] يقال ان الشجيرة تنتج نوعاً من الراتنج او الصمغ نافع لصنع (الورنيش)

***

شجر الأثل

[illegible] له (العبل) و (الحطب الأحمر) . في بلاد النوبة والسودان (الفارق) و (العبل) [illegible]

[illegible] تاج العروس انها عند العرب الجهاض او الجهاد او البربر او المرد او الكبات

وهو شجر تتصل فروعه بعضها ببعض اتصالاً مفصليًّا وورقه ضئيل تبدو الطائفة من الصغيرة كمنفضة الريش المعروفة وزهره مبعثر بلا نظام في سنابل رفيعة طويلة

اسمه العلمي (Tamarix articulata, Vahl.) (تاماريقس ارطيقولاتا) وفصيلته (Tamaricaceae) (تاماريقاسية) وبالانجليزية (Tamarisk) وبالفرنسية (Tamaris)

والأثل موجود في مصر في الأراضي الرملية والملحية وفي السودان وفي جنوب الاستوائية وشمال افريقية والشرق الادنى الى الهند

ينتفع بخشبه للوقود ويصنع منهُ فحم وخشبه أبيض متوسط الصلابة واذا احرق وهو تصاعدت من دخانه رائحة كريهة

وفي السودان يستعمل عفصه في الصباغة والدباغة ويسمونه (البحّم) وهو (كَزْمَارِك)[1] ونقل الى العربية (حَزْمَازِج) أو (حد مازج) أي ثمرة الأثل

وتوجد من الأثل أنواع اخرى أهمها نوعان بمصر والسودان وبلاد العرب و (T. nilotica, Ehrb.) (تاماريقس نيلوتيقا) وهو شجرة توجد في الأراضي الرملية و الترع اوراقها كقشور السمك وفروعها دقيقة قائمة وزهرها أبيض أو أبيض فرمزي عناقيد بأطراف الفروع . والثاني (T. mannifera, Ehrb.) (تاماريقس مانيفرا) شجرة الشواطىء البحرية أوراقها كما في النوع السابق وزهرها في سنابل كثيفة

ويوجد في الهند (T. indica, Rox. v. T. gallica, L.) (تاماريقس انديقا أو تاماريقس وفي بلاد العرب وبلاد البحر الابيض المتوسط أيضاً وينتفع طبيًّا بما يفرزه من السكر (بالمن العربي) قيل إن افرازه ناتج عن وخز حشرة (Coccus manniparus) (قوقس) وهو غير (الترنجبين) أو (التره نيان) أو (الترانجلين) أو (المن الفارسي) الذي يفرزه اسمه (الحاج) المعروف في مصر (بالعاقول) أو (شوك الجمال) من الفصيلة البقلية (الشيرخشت) أو (المن الخراساني) الذي قيل إنهُ من نوع شجر من الزيتون وغير المن الذي يفرزه نوعان من شجر (لسان العصافير أو الدردار) من الفصيلة الزيتونية وغير (المن الاسترالي) الذي يفرزه نوع من شجر (الاوكاليبتوس) من الفصيلة الآسية وغير (المن الكبير) الذي يقال بأنهُ من نوع شجر من البلّوط من الفصيلة البلّوطية الى غير ذلك من انواع هذا وكثيراً ما تسمى جميع انواع المن (بالشيرخشت) وهي كلمة فارسية نقلت الى العربية

اما المنّ الذي انزل على بني اسرائيل فقد قيل فيهِ ان كلمة (manna) الافرنجية ويقال بالعربية اصلها مشتقة من كلمة (man-hu) العبرية ومعناها بالعربية (ما هي ؟) للاستفهام

---

(١) قال الرئيس بن سينا في القانون الكزمازك حب الاثل وهي كلمة فارسية اى عفص الطرفاء وزن العفص وكز تعريب كج وهو الاعوج وكأن تفسيره العفص الاعوج

اصح ذلك فهي دلالة على ما كان عليهِ بنو اسرائيل من الدهشة والجهل بحقيقة تلك المدة اثناء وع المعجزة

وعليهِ فالقول بأن منّ بني اسرائيل كان من المن العربي افتراضي محض خصوصاً وقد قيل في فه في بعض المراجع انهُ (كان ابيض شبيهاً ببزور الكزبرة)

وتقول بعض المصادر العربية إنهُ طل كان ينزل من السماء على شجر او حجر ويحلو ويعقد يلا ويخف جذف الصمغ كالشيرخشت والة تجبير .وفي الصحاح المن كالترنجبين . وفي المحكم من ينزل ن السماء وقيل هو شبه العسل كان ينزل على بني اسرائيل .وقال الليث المنّ كان يسقط على بني اسرائيل ن السماء اذ هم في التيه وكان كالعسل الخاص (الشديد) حلاوة . والمعروف بالمن عند الاطباء ما يسيل من شجر البلوط

وقال الآلوسي والمشهور ان المن الترنجبين وهو شيء يشبه الصمغ حلو مع شيء من الحموضة كان ينزل على بني اسرائيل كالطل من طلوع الفجر الى طلوع الشمس في كل يوم الا يوم السبت فان كل شخص مأموراً بأن يأخذ قدر صاع كل يوم و ما يكفيهِ يوماً وليلة ولا يدخر الا يوم السبت فان ادخار حصة السبت كان مباحاً فيهِ وقيل المراد بهِ جميع ما منّ الله تعالى به عليهم في التيه عفواً بلا تعب واليه ذهب الزجاج ويؤيدهُ قوله صلى الله عليهِ وسلم الكمأة واسمها بالانكليزية (Truffle) من المن الذي منّ الله تعالى بهِ على بني اسرائيل

***

نبات الفوة

الفوة عشب اخضر براق له ساق زاحفة تكون قصيرة احياناً وله سوق هوائية منتشرة قد تكون شوك قصيرة توجد على حافات الاوراق وعروقها او على زوايا الساق الرباعية الضلوع لونه الجذرية قرمزية اللون تقريباً شحمية وامتدادها في الارض اطول من السوق . وأوراقه في كل منها اربع او ست . وورقته بيضية مستطيلة طولها من ٢ — ٣ ½ سنتيمتر ولها ذنيب (عنق) جداً او جالسة تقريباً . وزهراته صغيرة مصفرة تميل الى الاخضرار في عناقيد ابطية او طرفية مكتظة اطول بكثير من الاوراق . وثماره صغيرة سوداء . وهو من الاعشاب المعمرة

واسمه العلمي (Rubia tinctorium, L.) (روبيا تنقتوريوم) وفصيلته الفوية (Rubiaceæ) بالعربية) وبالانكليزية (Dyers' Madder) وبالفرنسية (La Garance)

والعرب يطلقون الفوة على العروق (الجذور) وهي التي تستعمل في الصباغة للحصول على اللون الاحمر وذلك من قبيل اطلاق اسم الكل على الجزء فهم يسمون عروق النبات باسمه كما في المعجمات

والفوة تزرع في بلاد البحر الابيض المتوسط وفي الهند وقد كانت تزرع في مصر الى سنة ١٨٣٣ من النباتات التي ادخلها محمد علي باشا ثم ابطلت زراعتها بعدئذ

والجذور تجفف وتسحق وتستعمل في الصباغة ويطلق عليها (فوة الصباغين) او (الحمر) أو (عروق الصباغين) وتدخل في صناعة المداد المسمى (اليزارين) (Alizarin) ويقال عنه بالاليزارين الصناعي المستخرج من قطران الفحم الحجري

وللفوة استعمالات في الطب ويوجد منها انواع مختلفة عديدة باوربا وآسيا وافريقية

***

كوكب الوعر

عشب معمر اغصانه ترتفع ٢٠ سنتيمتراً وأوراقه بيضية الشكل مستطيلة تكون في الساق في كل منها ٨ اوراق وزهراته ذكية الرائحة جدًّا بيضاء اللون مجتمعة في سورة ثلاثية الشعب

اسمه العلمي (Asperula odorata, L.) (اسپرولا اودوراتا) وفصيلته الفويّة (Rubiaceae) (روبياسية) وبالانجليزية (Woodruff)

وبالفرنسية (Asprule odorant, hépatique étoilée; reines de bois)

وتحوي زهراته زيتاً طيّاراً فيه كثير من مادة (القومارين) (Cumarin) يحضر منه قرمزي اللون بألمانيا يسمى (مترانق) (Maitrank) له استعمالات في الطب

وهو ينبت في الغابات الجبلية بأوربا وآسيا وشمال افريقية

***

الغاليون الاصفر

ساقه قائمة او صاعدة خشنة اسطوانية وأوراقه منعكسة رفيعة ملساء خضراء اللون من اعلاها ومائلة الى اللون السنجابي من اسفل ووبرية وتكون دوائر على الساق في كل منها من ورقة وزهراته صفرٌ فاقعة تكون سنبلة متفرعة طرفية . اسمه العلمي (Galium verum, L.) (غاليوم وروم) وفصيلته الفويّة (Rubiaceae) (روبياسية) وبالانجليزية (Yellow Bedstraw) وبالفرنسية (Caillet-lait jaune)

ويطلق عليه (عشب الإنفحة) من قديم لأن بعضه يخثر اللبن (يجعله جامداً) اذا ما

وله استعمالات في الطب ويوجد من الغاليون انواع مختلفة عديدة باوربا وآسيا وافريقية

التربية والتعليم

عند قدماء المصريين

للدكتور حسن كمال

اكرام الاساتذة

ولا بد ان ننتقل الى موضوع اكرام احدادنا لاساتذتهم وشدة احترامهم لهم ومنه يتضح عظم تقديرهم وشدة ولعهم بالتعليم ومعاهده. ولا ادل على ذلك من ايراد خطاب كتبه طالب الى استاذه ورد في بردية انسطاسي (١) وفيه يتجلى الشعور الرقيق والاحترام والحب الذي كان يغمر قلوب التلاميذ نحو معلميهم. واليكم تعريبه: —

« الى الاستاذ . . لقد تعهدت تربيتي في طفولتي وكنت تصرخ على صوتي حتى دخلت تعاليمك في . اني الآن اشبه بالجواد المرح فلا انوم ولا تأتيني نهاراً ولا تعاس يغشاني ليلاً وكل همي ان اقوم بما يريدني كما يخدم الخادم سيده

« فلو شيد لك قصراً فخماً ببلدتك تحيطه الاشجار من كل الجهات. وورائه مجموعة بساتين وشونة شعيراً وقمحاً . . وبه القمح والفول والعدس . . والكتان والخضراوات . . وفوائه تكاثر الاسلال اكثر من ان يكون لك مع القصر اغنام يتضاعف عددها وكذا بقرات حلبى . وان ازرع لك خمسة الخضراوات في جنوب بلدتك من خيار وغيره وخيرات كعدد الرمال . . . .

« ايضاً خطاب من تلميذ الى معلمه نقتطف منه ما ترجمته : —

« سيدي العزيز : اطال الله عمرك ووهبك الخيرات كل يوم. واسبغ عليك السرور والفلاح وارضى عنك ولا تحصى. وجعل الفرح والسرور ملازمين لك والصحة من نصيب اعضائك انت تزداد ورالايام ولا يعتريك الاذى وتدور احياناً بمخيلتي فأتذكر جمالك الفذ الذي لا يصارعه جمال. ملاك كل يوم واذنك تنصت (لكل ما يقال). سنوبك جميلة جداً واشهرك مقرونة بالعيم. الآلهة حياة وساعاتك كلها صحة وسلامة . الآلهة راضية عنك راغبة في كلامك . . . »

الآثار العلمية

لخط الهيروغليفي يعتبر استنباط الكتابة في ذاته اهم ما انجبه الذهن المصري القديم من ية. فبه تمكن اجدادنا من اثبات معلوماتهم واخبارهم نقشاً على الحجر او كتابة على الورق.

(١) Pap. Anast. III 4, 4. (٢) Pap. Anastasc IV. 8, 7

جلوا بذلك مباحثهم الفنية واثبتوا سبقهم لسائر الامم في كل العلوم ولعمري كم من السنين
فيها القوم في ابتكار هذا الخط في احوال معاشية اقل ما يقال عنها انها فطرية. وكان الخط الهيروغليفي
مبدئه صوريًّا . وبالرغم من التحسينات التي طرأت عليه قد حافظ على صوريته الى آخر عهده
سب القوم ابتكار هذا الخط الى معبودهم (تحوت) . وحوالي عام ٣٠٠ بعد الميلاد زال كل أثر
خط الهيروغليفي فبقي مجهولاً حتى عام ١٧٩٩ ميلادية لما اكتشف حجر رشيد . ومنهُ عرفنا
احرف المصرية القديمة نوعان صوري وصوتي . وان الاحرف الصورية قسمان هجائي ومركب
تمثل الاحرف الصورية الاشياء التي تعنيها . ويكتب الخط الهيروغليفي من اليمين الى الشمال ومن
شمال الى اليمين او بهيئة اعمدة رأسية . ويقرأ من الجهة التي تتجه اليها اوجه الحيوانات والطيور
ولا يخفى ان هذا الخط هو مجموعة لحيوانات واشجار وادوات ذات الشكل الجذاب . لذلك استعمل
كثيراً لزينة المعابد والمنازل والادوات المنزلية كالصناديق والحلى وادوات الحرب وغير ذلك ومن
هذه المصادر استنتجنا شيئاً كثيراً من معلومات هؤلاء القوم . والجزء الباقي وصل الينا عن طريق
القراطيس البردية وروايات المؤرخين

ومن أقدم الازمنة المعروفة اختزل هذا الخط الى الخط الهيراطيقي الذي اعتاد القوم ان يكتبوه
على الادراج البردية والتوابيت الخشبية . ويكتب عادة من اليمين الى الشمال ووجد هذا الخط في
بعض قصاصات بردية من عهد الاسرة الرابعة (٢٧٢٠ — ٢٥٦٠ ق . م) بجزيرة الفيل بصوان
واقدم سجل هيراطيقي هو المعروف باسم قرطاس (پريس Prisse) الذي يرجع تاريخه الى الاسرة الثانية
عشرة (٢١٠٠ — ٢٠٠٠ ق . م) وهو محفوظ بالمكتبة الاهلية بباريس Nationale

واستمرَّ استعمال الخط الهيراطيقي حتى القرن الرابع بعد الميلاد

واختزل الخط الهيراطيقي في عهد الاسرة الخامسة والعشرين حوالي (٧١٢ ق . م) واطلق عليه
اسم الخط الديموطيقي الذي بطل استعماله حوالي القرن الرابع بعد الميلاد

﴿علم الفلك وتقسيم الزمن﴾ من سنة ٤٢٤٢ ق.م. استعمل المصريون السنة الشمسية في توقيتهم
وقسموها الى ٣٦٥ يوماً . وقد رسموا السماء وعرفوا اهم نجومها وابتدعوا الآلات التي تعين
مواقع النجوم . وهناك رسوم لمواقع النجوم لكل خمسة عشر يوماً على طول السنة . وأهم هذه
كان في طيبة ودندرة ومنف وعين شمس . وقسم القوم سنتهم الى ثلاثة فصول زراعة وكل منها
الى اربعة اشهر فصارت بذلك السنة اثنى عشر شهراً . ولم يستعمل المصريون في زمنهم
اطول من السنة ولم يستعملوا الاسبوع وقسموا الليل والنهار الى اثنتى عشر ساعة . واتخذوا
ساعات الظل والمزاول والساعات المائية

﴿الزراعة﴾ اهتم المصريون بالزراعة منذ اقدم العصور فقسموا سنتهم الى ثلاثة فصول
البذر وفصل الحصاد وفصل الفيضان . وابتكروا مقاييس النيل وفرضوا الضرائب على

شادوا خزاناً بالفيوم يحجز مقداراً من الماء يكفي لري الدلتا بعد هبوط النيل. وابتكروا فأس والمحراث والمدراه والمنجل ومساحة الاراضي وأنشأوا الترع والجسور . واعتنوا لداجنة واستوردوا الاشجار والحيوانات من البلدان المجاورة . وتفننوا في الصناعات نقشوا كل ذلك على جدران مقابرهم

ندسة والحساب ﴾ اهم ما عثر عليه من هذين العلمين هو قرطاس (Rhind) المحفوظ ة وهو قرطاس يرجع تاريخه الى حوالي ١٦٠٠ ق . م. وجميع المسائل التي فيه عملية فة كبيرة في علمي الحساب والهندسة

١) (عملية ٣٩) مطلوب قسمة مائة رغيف على عشرة رجال بحيث يكون نصيب ستة رغيفاً ونصيب الاربعة الباقين الخمسين رغيفاً الباقية

ه المسألة بايجاد العدد الذي يضرب في ٤ كي يصير حاصل الضرب ٥٠ وهو في هذه الحالة اد العدد الذي يضرب في ٦ كي يصير حاصل الضرب ٥٠ وهو في هذه الحالة $8\frac{1}{3}$

٢) مطلوب معرفة مساحة مثلث ارتفاعه ١٠ (خت) وقاعدته ٤ (خت). الحل : قسم ٤ على ٢ جة ٢ وهو طول ضلع المستطيل الذي مساحته تساوي مساحة المثلث : اضرب ١٠ خت ع المثلث) × ٢ فيساوي ٢٠ خت مربع وهو المساحة المطلوبة

ي على القارىء ان المقام لا يتسع للتفصيل لذلك اكتفيت بذكر ابسط مثال حسابي وآخر هندسي بطريقة حلها . لكن زيادة في الايضاح سأورد بياناً ببعض الاسئلة التي كانت ة للاجابة عليها للاستئناس بها فقط

ا هو الكسر الذي يضاف الى $\frac{2}{3}$ + $\frac{1}{15}$ كي يصير المجموع ١ صحيح (عملية ٣١)

سم ستة ارغفة على عشرة رجال (عملية ٣) : قسم تسعة ارغفة على عشرة رجال (عملية ٦)

ا هو العدد الذي اذا اضيف اليه ربعه يكون المجموع ١٥ — الجواب ١٢ (عملية ٢٦)

هو العدد الذي اذا اضيف اليه نصفه وربعه يكون المجموع ١٠ — الجواب $5\frac{1}{7}$ (عملية ٣٤)

حجم المكعب الذي يبلغ طول كل ضلع فيه ١٠ — الجواب ١٠ × ١٠ = ١٠٠ × ١٠ (عملية ٤٤

رم طول ضلعه ١٤٠ ذراعاً ونسبة ميله $\frac{1}{4}$ ٥ قبضة فما هو ارتفاعه ؟ الجواب $93\frac{1}{3}$ (عملية ٥٧)

ا مساحة قطعة ارض دائرية قطرها ٩ (خت) (عملية ٥٠)

رم طول ضلعه ٣٦ ذراعاً وارتفاعه ٢٥٠ ذراعاً والمطلوب نسبة ميله (عملية ٥٦)

لب ﴾ : برع القدماء المصريون في الطب وخلفوا لنا الاوراق البردية والنقوش الطبية ثبتوا لنا بأجلى صورة طول باعهم في هذا العلم . فهم أول من اعتبر القلب مركزاً للاوعية. كتشف النبض وعلاقته بالقلب . ثم أنهم أوردوا لنا رسوماً واضحة لعملية الختان وذلك

بمقبرة بسقارة ورسوماً اخرى لتجبير العظام في المقبرة نفسها. وأوضحوا لنا وجود مرض السل بال
الفقري ولين العظام وأمراض العظام الاخرى وذلك في صور الاشخاص المنقوشة على جدران ا
أما معلوماتهم عن التحنيط فحدّث عنها ولا حرج فهم أول من أوجد هذه الطريقة وأتقنها و
لذلك العقاقير المتباينة والاجراءات الجراحية الفنية المختلفة. وقد أخذ الغير عنهم هذه الـ
انتقلت الى آسيا وامريكا وغرب افريقيا والهم يرجع الفضل في استعمال العقاقير الكثيرة في الـ
عهدنا هذا. من ذلك: زيت الخروع. وقشر الرمان والحنظل. وكبريتات النحاس. والافيون و

التعاليم الدينية والفلسفية

﴿ التعاليم الدينية ﴾ هي اقدم ما عرف من علوم قدماء المصريين. وجدت مدونة
جهات من اهرام وتوابيت وصفائح قبور وادراج بردية وغير ذلك

واهم هذه التعاليم هي المعروفة بنصوص الاهرام [١] التي يرجع تاريخها الى الاسرتين
والسادسة (٢٥٦٠–٢٢٧٠ ق.م) وهي خاصة بنعيم الميت وتحوي التعاويذ الكثيرة لراحته
وكذا الدعوات التي كانت ترتل وقت تقديم القرابين. ومن عهد الاسرة التاسعة (٢٢٤٠ ق م
الاسرة الحادية والعشرين (١٠٠٠ — ٩٤٥ ق. م) نقش الامراء هذه النقوش على توابيتهم
الداخل. وهناك تعاليم دينية اخرى وجدت مكتوبة على توابيت الموتى خاصة بالرعية التي
ضمان الغذاء والشراب والراحة لصاحبها والتمكن من الظهور بالشكل الذي يرغبهُ كي يتلاءم
وملذاته وتعرف هذه النصوص باسم نصوص التوابيت Coffin Texts [٢]

وهناك نصوص دينية اخرى تعرف باسم كتاب الموتى Book of The Dead هي مجموعة
وصلوات وتعاويذ متنوعة وردت مدوّنة بكثرة على الورق البردي حتى العهد الروماني

ثم كتاب الآخرة Book of what is in the underworld [٣] وكتاب ابوا
Book of Gates [٤] ودعاء الشمس Litany of the Sun [٥] وقصة ابادة البشر
the God Mankind E. Naville Recherche I. I. 12 ومدائح المعبودات
مثل مدحة النيل Hymn to the Nile Maspero 1912 ومدحة امون رع Amen Re
Amen Vol 4,6 Davies ومدحة اتون A. Mariette Pap. Mus. Boulogne 1871–H
Rock tombs of El-Amarna

ولكي أظهر ما تحويهِ تلك التعاليم من معانٍ سامية وآداب راقية أورد هنا بعض
جاءت في كتاب الموتى يقولها المتوفي أمام الآلهة في الآخرة هذه ترجمتها: —

(١) Kurt Sethe Die Altaegyptichen Pyramiden texte 4 vols Lepzig 1901—22
(٢) Sarcophage anterieur au nouvele enpire, 2 vols 1901. Galso Cat. General
(٣) E. Lefebure Annales du Musée Guimet vol. 9, 16 des musie du Caire
(٤) Naville La litanie du Solleil 1875

لم استعمل القسوة مع انسان . لم أسرق . لم أقتل رجلاً أو امرأة . لم أخسر المكيال . لم أرتكب
. لم آخذ لنفسي حاجات الآلهة . لم أكذب ولم اهرّب الغذاء ولم أتفوه بألفاظ جارحة .
على انسان . ولم اقتل الوحوش المخاسة بالمعبودات . ولم ارتكب رياء . ولم أترك الأواصي
ه بوراً ، ولم اوقظ فتنة . ولم أغتب أحداً . ولم أترك نفسي ضحية الغضب . ولم أتعرّض لروحة
ه . ولم ارتكب ذنباً ضدّ العفة . ولم اسبب رعباً . ولم أتعدّ حدود الأرمنة والأمكنة
ه . ولم أكن غليظ الخلق . ولم أتصنع الصمم وقت سماع الحق والعدل ولم أشعل نار ثورة .
سبب البكاء لانسان . ولم أرتكب الموبقات . ولم أكن أحمق . ولم أسيء الى انسان . ولم أتبع
رهبة . ولم أتسرع في اصدار حكم . ولم أنتقم لنفسي من معبود . ولم أزد في كلامي عن
ق . ولم أخن أحداً . ولم ألعن ملكاً . ولم ألوّث ماءً . ولم أتكبر . ولم أشتم معبوداً . ولم
سيء الخلق . ولم أسع لترقية . ولم أزد في ثروتي الاّ بالحلال . ولم أقصر في احترام معبود مدينتي
ه . ما ينصح أن هذه العبارات التي اطلق عليها القوم اسم «الاعتراف السلبي» لم تك في الحقيقة
تعريف مطوّل لما نسميه « مكارم الاخلاق »

﴿ حكم الفلاسفة ﴾ أقدم هذه هي حكم الفيلسوف (پتاح حوتب) حوالي ٢٥٠٠ ق.م نقتطف منها
جه المرحوم كمال باشا : اذا كان لك حاجة عند منازع . وكان يفوقك في المهارة فابسط له يديك
هرك ولا تغضب منهُ لانهُ لا يمكنك من نقض حديثه بل يسوؤك كثيراً لو ناقشته في الكلام
يظهر عدم كفاءتك . الزم الحزم متى حدثت لك مناقشة . اذا كان لك حاجة عند شرس
في الشراسة فكن كالذي لا يتحرك لتكون أفضل منهُ (لا سيما) لو التزمت الصمت
سلام . ولقد قيل في المثل خير انسان من التزم الحياد . من الصواب التعرّف بالكبار
كن رئيساً تحكم في أمور كثيرة بين العالم فابحث عن أكمل شريعة لتكون غير ملوم .
العدل الثابت الاركان الذي لم يكدّر صفوهُ من عهد المعبود ازوريس . التعرّض في سبيل
مسالك الظلم . لا ينال الوضيع رفعة ما لم يهتد الظالم الى مسلك العدل . حدود العدالة ثابتة .
يريب يأخذه كل انسان عن أبيه

وقع الرعب (في قلوب) الناس فان الله يجازيك . وان ظن انسان أنهُ يعيش بذلك ينزع الله
ن ثقته . وان تراءى له أن يغتني بسببه يقول له الرب استرد لنفسي (غناك) . اذا تعدّى
ن آخرين لقتالهم انتهى أمره الى أن يصير عاجزاً . يجب ان لا يبثّ الخوف بين الناس .
الله كما يجب وصل عيشهم في حال السلم وليقبل منهم ما يعطونه عن رغبة ولا يدعي عليهم
حده بالرهبة . اذا أكلت مع اناس جالسين عند أمير وكانوا اكبر منك فخذ ما يعطونهُ اياك
وتواضع وانظر الى الذي أمامك ولا تحدث فيهِ لان الانسان يكون مذموماً ان لم يتجنب هذه
. ولا تتكلم بأكثر مما تسأل اذ أنك لا تعلم ما يحتمل استقباحه . تكلم حينما تسأل .

وليكن كلامك مقنعاً . الكبير الذي عنده مؤونة لمعيشته يسلك في سيره حسبما يهوى فيفعل ما يشاء . فان قصد الراحة فعل ذلك . لان الكبير متى بسط يده فعل ما لا يتوصل الناس اليه . لكن لما كانت وسائل المعيشة متعلقة بارادة الله فليس من الممكن عصيانه

كن نشطاً مدة وجودك وفعّالاً لما يقال ولا تضرّ بوقت نشاطك . فالانسان المذموم هو الذي يستعجل بأوقاته استعجالاً قبيحاً . لا تضيع الفرصة اليومية ليزداد ما تمتلكه في بيتك . فالاجتهاد يأتي بالغنى والغنى لا يدوم متى (فارقه) النشاط

﴿ آراء الفلاسفة في العلم ﴾ وردت في ذلك كتابات كثيرة كلها درر ولآلىء . وورد بقرطاس الفيلسوف (آني Ani)[1] الذي يرجع تاريخه الى الاسرة الثانية والعشرين (٩٤٥—٧٤٥ ق م) نقتبس منهُ ما تعريبه :—

« اذا كنت عالماً اطاعك الخلق اجمع . فهب نفسك للعلم واملأ قلبك به حينئذٍ لا يبدو لك الاّ كلاماً بليغاً . ألا فاعلم ان كل موظف ذي مركز علمي لا غنى له عن الرجوع الى مصادر العلم ان وزير المالية لا يملك تنصيب ابنه في مركزه من بعده ولا قائد القلعة يمكنهُ تعيين ورثته محله ... ويفهم من ذلك ان المناصب الكبيرة لا تقلد الاّ للاكثر علماً وامتن ثقافة

الآثار الادبية

﴿ الشعر ﴾ وردت عدة قصائد رنّانة ضمن آداب اللغة المصرية القديمة حافلة بالمعاني السامية الخيال الرائع . نقتطف منها ما يأتي : —

قصيدة قيلت في سيزستريس الثالث (اسرة ١٢) مقسمة الى ستة أقسام منها القسم الآتي :

أنت عظيم أنت عظيم يا مليك مدينته — وأنت كالسد العظيم الحاجز لتيار الفيضان
أنت عظيم أنت عظيم يا مليك مدينته — أنت الملجأ الذي يستريح فيه الانسان متى يسطع ضوء النهار
انت عظيم أنت عظيم يا مليك مدينته — أنت كالحصن المشيد حذره من أحجار [illegible]
أنت عظيم أنت عظيم يا مليك مدينته — أنت مأوى اللاجئين اليك من عبث قطاع الطريق
أنت عظيم أنت عظيم يا مليك مدينته — أنت حامي الضعيف الخائف من عدوه القوي
أنت عظيم أنت عظيم يا مليك مدينته — أنت مظلة القيظ وخضرة النيل في فصل الحصاد
أنت عظيم أنت عظيم يا مليك مدينته — أنت الركن الدافىء الجاف في زمن الشتاء
أنت عظيم أنت عظيم يا مليك مدينته — أنت الصخر الحامي من ويلات العواصف

واليكم ترجمة أنشودة كان يترنم بها عازف القيثارة في ولائم الوجهاء : —

«ما أسعدك أيها الامير . لعلك تعلم أن هذه الحياة محتم عليها الفناء ، فالاجساد تموت وتبلى ثم يأتي بعدها آخرون يحلون محلها. انظر الى الآلهة (أي الفراعنة) الموجودين في الاهرام من

(١) Pap. Ani – Chabas 1874 in L'Fgyptologie

زمان . والى الامراء والحكماء الذين دفنوا فيها تجدهم مطروحين في الحادهم (ولا غرابة) فكل م
شيد منزلاً (قبراً) زال أثره من الوجود . استمع لي فسأخبرك بما آل اليه أمر هؤلاء القوم
لقد سمعت حكم (امحوتپ) و(خرزوزف) الذائعة الصيت ولكن أين هما الآن . لقد تحطمت بيوت
وانعدمت آثارهم . فلا خبر يأتينا من ناحيتهم ينبئنا عنهم ويطمئن قلوبنا قبل أن نرحل الى ذلك المكا
تناسى تلك الأمور واصرف همك فيما ينفعك . اعمل كل ما تطلبه نفسك عطر رأسك بالمر واك
نفسك بالكتان الجميل المعطر بالروائح الذكية المقدسة واكثر من الفرح والسرور حتى لا يحزن قلبا
اتبع شهوتك ومسرتك وسير الامور كما تشتهيها حتى يأتيك يوم الحزن وهو اليوم الذي لا يس
فيه قلبك الساكن ما يدور حوله من النحيب
البكاء لا يعيد للميت الحياة . فتنعم اذاً في هذا اليوم الحزل . ولا تهمله يذهب سدى . ف
أحد يأخذ من الدنيا شيئاً معه كما أنه لم يرجع الى هذه الدار من ذهب الى الدار الآخرة

« القصص والروايات » وصلنا منها عدد كبير نقتطف منها ما يأتي :—

روي أن اميراً شاباً حكمت عليه المعبودات وقت ميلاده ان يموت بتمساح او بثعبان او بكل
فسافر الى سوريا حيث وجد قصراً تسكنه ابنة ملك النهرين وحوله الشبان يحاولون تسلقه وذا
لان والدها وعد ان يؤهلها لمن يتسلق جدار القصر . فحاول الامير المصري ذلك ونجح وبلغ الامي
لكنه ادعى اولا انه ابن ضابط مصري مخفياً بذلك حقيقته . فلما علم ملك النهرين بخبره اغت
وامتنع عن اعطائه ابنته حتى كاد يقتله حينئذٍ اقسمت الاميرة انها تنتحر اذا أعدم الامير فتسك
والدها من هذا القسم واخيراً سمح لها بالاقتران به . وجاء ان الامير نجا من الموت من تمساح ثم من ثعب
وفقدت بقية القصة بعد ذلك والمظنون انها انتهت بموت الامير من كلب يتبعه من مصر طول رحا
الاسيوية ويلاحظ ان هذه الرواية تحوي اقدم مثال للعقيدة العالمية بأن كل شاب يتحتم عليه ق
الاقتران بزوجته ان يظهر لها ضروب الشجاعة كي يستميل قلبها

ومن قصصهم ايضاً ما تناولت امور الفلاحة وهي تعرف بقصة الاخوين تتلخص في ان اخو
اشا معه في كوخ بأحد الحقول وكان اكبرهما متزوجاً قابضاً على زمام البيت . اما الاصغر فكان عائ
معه كابن له فصبت نفس زوجة الكبير الى الصغير فرفض طلبها . عندئذٍ ارادت ان تكيد له فوش
حقه عند اخيه الكبير فصمم على الاقتصاص من اخيه واراد قتله خلسة . فتحفز له وراء الباب
في مساء اليوم عاد الاخ الصغير بالبهائم ليدخلها اصطبلاتها فلحظت احدى هذه الحيوانات الا
سرت الى راعيها بما يضمر له اخوه الكبير فلما علم بذلك فرّ هارباً خوفاً من القتل ثم حصلت ب
اثنين حوادث خرافية لا تتمشى مع ما جاء اولاً من مطابقتها للواقع . وبالتأمل في هذه الحكاية ي
ارى في جزئها الاول شبهاً لقصة سيدنا يوسف الغرامية التي رواها لنا بنو اسرائيل وجاء شرح
كر الحكيم والتوراة

القانون والقضاء

جرت العادة ان يرفع كل متظلم او مدّعٍ دعواه الى الوزير كتابة ويستحسن حضور صاحب الد
بنفسهِ . ولذلك كان قصر الوزير ملجأ يحيء اليهِ المدعون والمتظلمون كل يوم . وكانت تعقد في
القصر كل يوم جلسة لاصدار حكمها في تلك الدعاوي. ودلتنا الآثار ان هذه الجلسات كانت تؤلف
حجّاب وكتبة . وكان الناس يدخلونها بالترتيب بعد ما يصفون استعداداً لمثولهم بين يدي
وحتم القانون على الوزير اصدار حكمه في قضايا الاراضي المتعلقة بطيبه في ثلاثة ايام من
الدعوى . اما قضايا الاراضي الخارجة عن طيبة فالنطق فيها كان لا يتأخر عن شهرين . هذا
القضائي مرعيّ الجانب لما كانت المملكة تحت اشراف وزير واحد . لكن لما عين وزير ثان لتسهيل
النفوذ والسلطان بين وزيري الشمال والجنوب وكل جرائم طيبة كان ينظرها الوزير شخصيًّا . اما
فيحجزون في سجون خاصة ما داموا في التحقيق فاذا صدر الحكم عليهم ارسلوا الى سجون
ينفذ فيها العقاب . ولكل قضية اوراق تحفظ في السجلات الرسمية كما هو الحال الآن . وعلى
كاتب الوصية ان يسجلها شخصيًّا في قصر الوزير . وتحفظ صور لجميع المستندات وحدود الاراضي
والعقود في ادارتي وزيري الجنوب والشمال . وكل طلب يقدم للملك يتحتم عرضه على
وزيادة على قصري الوزيرين انشئت بالارياف محاكم فرعية من رجال الادارة المتمرسين في
القانون ويعرفون برجال المجلس المحلي والقضايا الكبيرة الخاصة بالاسر الرفيعة كان يتحتم
مندوب من مجلس القضاء الاعلا ليسفذ قرار ذلك المجلس بمعرفة رجال اقرب مجلس محلي
وكان القانون الذي يلجأ اليهِ الفقير غاية في العدالة . وجرت العادة ان ينسخ في
رديًّا ويوضع على مسند القاضي وقت انعقاد المحكمة للمراجعة وزيادة الايضاح وكان
شخص ان يقرأ القانون ويستفسر الغامض. ومن دواعي الاسف اننا لم نعثر على نسخة من
الذي لا نشك لحظة في عدالته فقد جاء في الآثار ان الوزير كان يحكم بالعدل بدون محاباة حتى
المتخاصمان من حجرته مجبوري الخاطر . وجاء أن احد الملوك فاه امام احدى المحاكم
ثابت لم احدث فيه تغيير . لذلك التزمت خطة السكوت خوفاً من احداث الفرح
وبلغت العدالة حدًّا لا يكاد يصدقه العقل . من ذلك انه لما ظهرت مؤامرة لاغتيال حياة
يكتف الملك بتحقيق مختصر واصدار حكم الاعدام على الجناة بل اصدر امره بتشكيل محكمة
في القضية بشرط ان لا تصدر حكماً بعقاب المتهمين الاّ بعد ثبوت اجرامهم

واليكم مادتين من قانون حور محب

(١) كل موظف او كاهن يقال عنه انه عين في القضاء ليحكم بين القضاة وهو يجلس على
محاكم بتهمة الخيانة العظمى » (ب) كل شرطي علم عنه انه دخل المساكن لاجل سرقة الجا
عليه ابتداء من هذا اليوم بمائة جلدة ويجرحه في خمسة مواضع ثم تسترجع منه الجلود المدكو

الديمقراطية والتعليم

(تابع ما قبله)

للدكتور امير بقطر

— ٦ —

الميزانية العامة للتعليم ﴿ من اركان الديموقراطية في التعليم ان تكون نسبة ميزانية التعليم ية الدولة الباقية ، متفقة مع حاجة البلاد . ولا نستطيع ان نشرح هذه النقطة بغير ان نبين سبة في بعض بلدان العالم ومنها مصر

البلد	نسبة ميزانية التعليم لميزانية الدولة
جنيف	٣٠ر٠ ٪
بورتيريكو	٤٥ ٪
جزائر الفلبين وغيرها	٥٠ ٪ (سابقاً) و ١٨ ٪ اليوم
مصر	٧ر٣ ٪

البلد	نسبة ميزانية التعليم لميزانية الدولة
	١٠ ٪
	١١ر٤ ٪
	١١ر٧ ٪
	١٣ر٧ ٪
	١٤ر٢ ٪
	١٩ر٣ ٪

ول الاستاذ الدكتور بول منرو صاحب دائرة المعارف (في التربية) ورئيس اللجنة التي نيط ن حالة التعليم في العراق ، ان كثيراً من البلدان خصصت في بعض السنوات ٥٠ ٪ من ها العامة للتعليم ... كما يرى من الجدول السابق

ليس في هذا غرابة اذا علمنا ان الامية والجهل والانحطاط في مستوى العيش كالحمى والطاعون ء الاصفر يحتم على الامة قطع دابرها واستئصال شأفتها في اقرب فرصة ممكنة ، لان تأجيل على هذه الاخطار عشرين سنة مثلاً يؤخر الامة مئات من السنين

يقول علماء التربية ان مجموع ما ينفق على التعليم يجب في الحالات المعتادة (لا في حالة الجهل ة الضاربة اطنابها) ألاّ يقل عن ٤ ٪ او ٣ ½ ٪ من مجموع الدخل القومي او دخل مجموع د . وعلى هذا الحساب يكون هذا الرقم من ١٠ ½ الى ١٢ مليون جنيه لان دخل مصر بحسب ر الذي عمله حديثاً دكتور ليفي هو ٣٠١ مليون جنيه في العام

﴿ توزيع ميزانية التعليم على درجاته ﴾ مصر تنفق على التعليم الاولي ١٫١٥٥٫٧٣٧ من الجنيهات

من الميزانية العامة للتعليم وقدرها ٣٦٠٧٥٦١٦٠ عن سنة ١٩٣٤ — ٣٥ وحتى نعلم هذه النسبة في بعض البلدان الاخرى اقول ان مستر مان الذي انتدبتهُ وزارة المعارف سنة ١٩٢٩ لدرس حال التعليم في مصر ذكر ان في انكلترا كل جنيه واحد ينفق على التعليم غير الاولي ، يقابله اربعة جنيهات تنفق على التعليم الاولي، في حين ان في مصر كل جنيه يصرف على التعليم الاولي يقابله ٢ على غير ذلك

في كندا وسكانها نحو عشرة ملايين نسمة اي ٢/٣ سكان القطر المصري تبلغ الميزانية العامة للتعليم ٣٣ مليون جنيه مقسمة كما يأتي : —

العالي ٤ مليون جنيه والثانوي ٧ مليون جنيه والاولي ٢٢ مليون جنيه المجموع ٣٣ مليون جنيه . اي ان ما ينفق على الاولي ضعف ما ينفق على الثانوي والعالي مجتمعين

وفي ولايات اميركا المتحدة يوجد في المدارس الاولية ٢٥ مليون تلميذ وتلميذة ، وفي المدارس الثانوية ٥ ملايين وفي العالي مليون واحد . هذا مع العلم ان عدد تلاميذ المدارس الثانوية في مجموعه عن مجموع تلاميذ المدارس الثانوية في جميع ممالك اوربا وآسيا

والتعليم الأولي أهم بكثير من التعليم الثانوي والعالي كما يشاهد من الميزانية المخصصة له التعليم الثانوي من الكماليات في حين ان الأولي من الضروريات ، لأن الأولي عادة يشمل الاعظم من السكان في حين أن الثانوي لا يشمل الاَّ أقلية صغيرة منهُ . وربما تستغربون اذا علمتم ان التعليم الثانوي في انكلترا في يد المدارس الخصوصية (الاهلية) ومجلس الولايات

انظروا ما يقوله دكتور كلاباريد الخبير السويسري الذي انتدبتهُ الوزارة سنة ١٩٢٩ عن التعليم الثانوي في مصر

« شاهدنا في المدارس الابتدائية والثانوية في مصر ما تحسده عليها الدول الاوربية من المعدات ، وشاهدنا طبقة من النظار والمفتشين والمعلمين من الدرجة الاولى »

نعم هذا صحيح — معامل وأجهزة وبنايات فخمة ومرتبات وكماليات ... في المدارس الابتدائية والعالية ولكن على حساب الفلاح البائس » على حساب المدارس الاولية التي يؤمها الانحطاط والفقر في المعلمين والمعدات والأثاث . أقول في الأثاث والمباني ولا أريد أن أتفوه أطباء وزارة المعارف يقول في تقريره أن التلاميذ القروبين يقضون حاجتهم في أثناء الدرس المدرسة في الاماكن التي تقول مصلحة الصحة انها مرعى خصيب للبلهارسيا والانكلستوما لا توجد بها مراحيض . ثم ارجو أن تقارنوا معلم المدارس الاولية بالمدارس الثانوية والعالية

نسبة مرتبات المعلمين في درجات التعليم

في مصر المدارس الاولية : الابتدائية من	١ : ٣ — ١ :
« اوربا ١٠	النسبة واحد

في مصر نسبة الأولية الى الثانوية من	١ : ٣ — ١ : ١٠
« اوربا « « « «	١ : ١½ — ١ : ٢
« مصر نسبة الأولية الى الجامعة من	١ : ١٦
« اوربا	١ : ٣ — ١ : ٤

ولا غرابة اذا كان التعليم الاولي متأخراً فانا حديثو العهد به . ففي سنة ١٩١٨ — ١٩ انفقت مصر ٤ ٪ لا غير من ميزانية التعليم على المدارس الاولية في حين أن فرنسا في تلك السنة انفقت ٧٢ ٪ من ميزانية التعليم على التعليم الاولي

اذا رجعنا الى هذا الجدول الذي يبين ما كانت تنفقه الممالك المختلفة على كل تعميذ أولي سنة ١٩١٣ ١٤ مقارناً بين ما كانت تنفقهُ مصر : —

اسماء البلاد	للتعليم الاولي عن التلميذ الواحد قرشاً مصرياً	اسماء البلاد	للتعليم الاولي عن التلميذ الواحد قرشاً مصر
[illegible]	٦٠	بلجيكا	١٨٧
[illegible]	١٤٠	سويسرا	٢٠٠
[illegible]	١٤٣	ولايات اميركا المتحدة	٢٢٢
[illegible]	٧١٠	استراليا	٣٠٧

مصر ١٤ مليماً في العام عن التلميذ في الابتدائية والاولية (الوزارة ومجالس المديريات معاً)

***

﴿ ٧ — الامية والديموقراطية ﴾ من العبث اصلاح القرية او تعويد السكان النظافة والوقاية من الامراض المعدية والطفيلية بغير ان يتمشى التعليم الالزامي وزوال الامية مع سائر الاصلاحات جميعها في آنٍ واحد . وربما كان مناسباً هنا ان نعلم شيئاً عن الامية وتاريخها في مصر وغيرها

في اوربا سنة ١٥٠٠ كان الملوك والامراء اميين — اذا استثنينا القليلين كالفريد الكبير وسنة ١٥٠٠ م كان عدد الذين يقرأون ويكتبون اقل من ١٠ ٪ وسنة ١٥٠٠ — ١٧٠٠ لم تزد النسبة ١٠ ٪ الا قليلاً وسنة ١٨٠٠ أخذ التعليم يكون الزاميًّا تدريجيًّا وسنة ١٨٧٠ اصبح ٧٥ ٪ في انجلترا وفرنسا والمانيا متعلمين

وفي المانيا كانت النسبة سنة ١٨٤١ ٩٠ ٪ وسنة ١٨٨١ — ٩٧ ٪ (قبل الاحتلال بسنة) وسنة ١٩١٤ — ٩٩٫٧ ٪ (اي قبل عباس الثاني بثلاث سنين)

وفي فرنسا من سنة ١٨٧٥ اصبح عدد القراء كثيراً جدًّا حتى ان كلًّ من الـ Petit Journal والـ Petit Parisien كان يوزع من النسخ يوميًّا مليوناً

وهذا الجدول يبين لنا تفصيل سير التعليم في شتى البلدان

البلد	النسبة المئوية للذين يقرأون ويكتبون		
	١٨٣٠	١٨٥٠	١٨٨٠
انكلترا	٥٥	٦٤	٨٤
اسكوتلندا	٧٧	٨٣	٨٨
ارلندا	٤٦	٥٥	٦٧
فرنسا	٤٢	٥٧	٧٨
روسيا	١	٢	١١
النمسا	٢٨	٣٤	٤٩

البلد	النسبة المئوية للذين يقرأون و	
	١٨٣٠	١٨٥٠
ايطاليا	١٦	٢٨
اسبانيا والبرتغال	٩	١٨
سويسرا	٨٧	٨٠
اسوج ونروج	٨٠	٨٢
الولايات المتحدة	٨٠	٨٤
مصر	١	٣

ولننظر الى هذه النسبة اليوم ١٩٣١ — ١٩٣٢

البلد	النسبة المئوية للاميين
بريطانيا العظمى	من صفر الى ½ ٪
المانيا	» ٪
اليابان	» ٪
ولايات اميركا المتحدة	٤ ٪
فرنسا	٨ ٪
بلجيكا	٩ ٪

البلد	النسبة المئوية للا
اسبانيا	٥٤
الصين	٨٠
سوريا	٨٠
فلسطين	٨٠
مصر	٨٨

خاتمة

﴿ النظام الدكتاتوري والتعليم ﴾ من الغريب ان الانظمة الدكتاتورية التي لا
الاصل والديموقراطية ، بل هي والديموقراطية على طرفي نقيض — من الغريب ان النظام الدك
الذي نراه ينتشر اليوم في كثير من بلدان العالم ، اكثر ديموقراطية في التعليم (في معظم ال
من البلاد العريقة في الديموقراطية . ففي تركيا ، يدير مصطفى كمال دفتها بيد من حد
بخطوات واسعة نحو نشر التعليم بين الكبار والصغار البنين والبنات ، ولا تمضي سنو
تصبح تركيا من ارقى بلدان العالم في التعليم ، لانها تتبع احدث الانظمة ، وقد دعت جو
منذ سنوات للانتفاع بآرائه الفلسفية الحديثة . وفي ايطاليا التي تحكمها يد الفاشزم الفولا
رأسها الجبار موسوليني يتناول التعليم جميع طبقات الامة ، والمدارس الثانوية مثلا س
حتى تشمل جميع الافراد في سن التعليم الثانوي وتقوم بسداد حاجات الامة على الوجه الك

وفي روسيا البلشفية ، وهي آخر ما كان ينتظر ذكره من البلدان التي تراعي روح ال
في التعليم، هذه البلاد اكثر ديموقراطية من جميع بلدان العالم من هذه الناحية، لان ١٠٠
التلاميذ بنات وبنين بين سن ٢ و١٤ في رعاية الدولة تعنى بغذائهم ولباسهم وتعليمهم و
رجال التربية يسافرون كل عام الى تلك المملكة لدراسة نظم التربية هناك

انطاكية وآثارها الفخمة

ارض حضارة ضائعة

بقلم نقولا شكري

اشارت الصحف الى ان الجنود عثروا في جبل سلبيوس المطل على مدينة انطاكية على آثار رومانية نفيسة كانت مغطاة بطبقة ترابية حتى جاءها السيل فاكتسح الطبقة وجلاها . وتعد الآثار الجديدة من خير ما خلفهُ الرومان ويقال انهُ لا مثيل لها في جميع متاحف العالم الاخرى . وانى القارىء بيانها المفصل وفاقاً لما اشارت اليهِ الصحف

١ — تمثال نصفي من الرخام الابيض يمثل قنصلاً رومانيًّا ببزّتهِ الرسمية وهو دقيق الصنع سليم من التشويه كأنهُ صنع حديثاً والرأس والصدر والقاعدة منفصلة بعضها عن بعض وتتصل بركائز حديدية . وسبب هذا الاتصال هو انهُ كان من عادات الرومان نصب تمثال لكل قنصل جديد يتولى شؤون الولاية او المدينة ولما كانت البزّة الرسمية معروفة لا تتبدل قط بشاراتها ورموزها ونقوشها كانوا يكتفون بتغيير الرأس فقط وركزه فوق التمثال الجسمي وهناك في المتاحف العالمية كثير من مثل هذه النصب التامة ويفضل هذا لان صاحبهُ معروف ومتصل بهِ كما ان ما عليهِ من صور الاشكال البارزة والنقوش البديعة رائعة وجميلة جدًّا

٢ — تمثال يوناني للآلهة : فينوس (الزهرة) .. وهي نصف حاشية من الرخام الابيض ايضاً مقدم الرأس وبعض الساعدين ، اما التكوين الجسمي فهو آية فنية للجمال في المرأة من الكتفين الى الصدر والعنق والنهدين والفخذين حتى والقدمين وكأن ذلك الجمال الفني سئم الدفن بين طيات الثرى فشق الارض وظهر للعيان فتنة للناظرين

٣ — تمثال نصفي لاحد آلهة اليونان او جبابرتهم ذو لحية مسترسلة وعيون تنبعث منها الهيبة والوقار وهو اضخم القطع الموجودة وسليم من التشوه ايضاً وملابسهُ بطياتها وثنياتها وتجعداتها تنم عن دقة الصنع ومهارة المثالين القدماء لعدم وجود الوسائط الفنية الحديثة لديهم لنحت مثل هذه الدقائق

٤ — تمثال بارز فوق قطعة مستديرة من الغرانيت الاسود يبلغ قطرها ٨٠ سنتمتراً تقريباً يمثل امرأة عارية ونصفها السفلي يمثل حيواناً جاثماً وهي سليمة كاملة

٥ — رأس للاله باخوس بابتسامته الهازئة الساخرة وشعره المشوش وهو اقدم الآثار الموجودة حسب رأي العارفين

٦ — تمثال طير يشبه فرخ النسر منحني العنق الى الجانب وهو جاثم فوق قاعدة من الرخام وكل جسمهِ من ريش وتكوين بديع الصنع

٧ — رأس سيدة رومانية هو مثل الجمال الروماني بتقاطيع الوجه وتكوين سائر اعضاء الرأس خصوصاً اسلوب تنظيم الشعر وجمعهُ فوق الرأس بهيئة تاج جميل حسب الزي الروماني

٨ — رأس رجل من الغرانيت الاحمر الوردي تظهر عليهِ كل ملامح الرجولة والقوة

٩ — تمثال رجل شيخ مستند الى جدار بحزن وكآبة وهو مرسل الشعر واللحية

ويقول بعض العلماء ان هذه النفائس كانت ملكاً لعظيم خاف عليها فطمرها في الجبل وهرب ولم تمتد اليها يد حتى جاء السيل فجرف ما كان يغشاها فظهرت الوجوه فتنة للناظرين

وبعد فقد كتبت في عدد سابق من المقتطف مقالاً مستفيضاً اشرت فيهِ الى الآثار القديمة الموجودة في انطاكية واهمها الجسر الروماني وبقايا القصور والهياكل والحمامات ومدارس واقنية المياه والقبور والتماثيل الرخامية والسور الروماني القديم الذي يحيط بالمدينة والآن للعودة الى هذا الموضوع . على انني ارى لمناسبة الاكتشافات الاخيرة ان اذكر باختصار تاريخ حضارة انطاكية وترعرعت ثم ضاعت

وقد لا يكون من الاستطراد الخارج عن الموضوع ان اؤيد لمناسبة الاكتشافات الاخيرة اشهر الآثار الرومانية في انطاكية الطرق والجسور القديمة وقد اكتشفت في سنة ١٩٠٧ رسمت عليها الطرق والدروب العسكرية في الامبراطورية الرومانية القديمة من بريطانيا والمظنون انها وضعت في القرن الرابع للمسيح وانها نسخت عن خريطة اقدم منها بكثير

وترى الطرق في بعض ضواحي انطاكية محفوظة حفظاً عجيباً كما في الطريق الممتدة وكلس فان عرضها عشرون قدماً او اكثر وهي مبلطة ومن البلاط ما طوله اربعة أقدام وعرضه وسمك الواحدة منها ثلاثة اقدام ايضاً

وفي انطاكية وضواحيها جسور رومانية كاملة وكثير من الجسور التي عقدت في القرون وأهمها الجسر القائم عند مدخل المدينة واتفق اني رأيت هذا الجسر بعد مطر غزير الاودية وحرف السيل جسرين حديثين بناهما المهندسون الفرنسيون فوقع منظر هذا الجسر عظيماً في نفسي لثباته على مقاومة العناصر الطبيعية هذه القرون الطوال واثبت الثناء المهندسين الرومانيين وطأطأت رأسي امام اشباحهم اجلالاً لقدرهم واعترافاً بتفوقهم في

واذا سأل سائل من كان سكان تلك البلاد الذين مدوا هذه الدروب المتقنة وشيدوا وبنوا المسارح التمثيلية واعلوا القصور وزخرفوا الحمامات زخرفاً نادر المثال وسكبوا شيء من اسباب الراحة في هذه الدنيا وتوفوا فاحتوتهم اضرحة رحبة لا تقل فخامة عن بيوتهم اذا سأل سائل هذا السؤال قلنا له ان هذا الوصف الوجيز الذي ينطوي عليهِ سؤالك كاف ان حضارة انطاكية بلغت شأواً رفيعاً في ذلك العهد . وهناك ما يدل ايضاً على ان تلك في ذلك العهد لا تزال في أوجها وانها لم تكن قد مالت الى الزوال او دبَّ اليها شيء من الا

دهنها قوى خارجية غير منظورة ودرستها كأن لم تكن شيئاً مذكوراً

وكان لاهل البلاد فنون خاصة بهم اثرت فيها الفنون اليونانية الى حين ثم نفضت عنها ذلك التأثير وعادت رونقها الاول كصورها الاصلية ولكنها استبقت من الاثر الغريب ما زادها بهجة وطلاوة واتخذت لها طرازاً يفوق طراز سائر الفنون في ذلك الزمان . وظاهر من درس فنون اولئك السكان التي اكتشفت في آثارهم وعادياتهم ان معظمهم كانوا اذكياء واغنياء واذا قيست الحضارة بمقياس المنازل ظهر لنا ان حضارة انطاكية القديمة كانت رفيعة وان كان كثير من الكتابات التي تركوها والنقوش التي احتفروها على الآثار كثير الخطأ في التهجئة والتركيب النحوي فما ذلك الا لان الكتاب كانوا يكتبون بلغة اجنبية يعرفها العلماء المحدثون الآن اكثر مما عرفها اهلها اليونان في عصرهم

اما قولنا ان سكان تلك البلاد كانوا اغنياء في الثروة فمبني على كتاباتهم ونقوشهم التي تركوها وهي تدل على انهم كانوا اهل كفاف من العيش ينفقون عن سعة وتبقى عندهم فضلة موفرة . ففي تلك النقوش ان فلاناً اهدى الى مدينته حماماً عمومياً وآخر بنى كنيسة او ديراً على نفقته الخاصة وهكذا . ومن كان اقل غنى اهدى الى قريته هدية على مقدار حاله . وكانوا اهل مسالمة ونظام محافظة على الامن في مجتمعهم بدليل ان كثيراً من قصورهم كانت تبنى ولا جدار او سياج حولها للحماية من الاعتداء . على انهم لم يكونوا من كبار اصحاب العقار بدليل قرب مدنهم بعضها من بعض فانهم لم يربوا قطعاناً كبيرة من الماشية ولكنهم كانوا يزرعون شجر الزيتون والكروم ويعصرون الزيت والخمر على قدر كبير بدليل كثرة المعاصر في القرى المحيطة بانطاكية . وكانت تجارة القوافل بين انطاكية والبلاد الجنوبية ومصر وفارس واسعة النطاق ففي بعض الكتابات ان تاجراً حرج بقافلة من مصر الى السند او الهند وآخر سافر بمهمة سياسية الى رومه

وربما سائل يسأل : متى كانت آخرة خصب تلك البلاد وآخرة مدنيتها الزاهرة وكم دام عمرانها وما هو سبب زواله ؟

ليس من ينكر ان بعض هذه المسائل يتعذر الجواب عنه ، وبعضها لا يكون الجواب عنه شافياً وانما قصد محاولة الجواب عن تلك المسائل وانما اقصد وصف البلاد كما هي والاستدلال بالحاضر على الماضي وسيرى القارىء ان هذا الوصف يسهل السبيل الى الجواب عن بعض تلك المسائل على قدر الامكان . وتدل الآثار والنقوش والكتابات التي وجدت في تلك البقاع انها لم تكن آهلة بالسكان بعد القرن السابع للمسيح ويخيل الينا ان سنة ٦١٠ كانت تاريخ آخر مدنية الجزء الاكبر منها وهذا التاريخ يوافق تاريخ الفتح الفارسي الكبير سنة ٦١٠ — ٦١٢ واوائل الفتح الاسلامي الذي بدأ بعده بعشرين سنة . ويستدل من اقدم الكتابات التي وجدت في البلاد ان العمران بلغ فيها شأواً رفيعاً قبل اوائل التاريخ المسيحي كذلك تدل الآثار والتاريخ دلالة قاطعة على ان ذلك العمران بدأ هناك قبل التاريخ المسيحي بنحو مئتي سنة او ثلاث مئة سنة على القليل ولكن هناك آثاراً أخرى يؤخذ منها

ان تلك البقعة اقدم عهداً ولو لم نعرف الاَّ القليل عن تلك المدينة القديمة . وتاريخ البلاد كما يؤ من التوراة وكتابات المصريين والآشوريين القدماء تدل دلالة صريحة على انه كان في تلك ا حضارة راقية في اوائل مدنية الانسان

ومن يسيح الآن في شمال انطاكيه ويهبط وادي العاصي الخصيب يرى في ذهابه سلسلة غير منتظمة من الآكام الكلسية ممتدة الى الشمال الشرقي ومتوسط علو هذه ا ١٥٠٠ قدم ومنها ما علوه ٣٠٠٠ قدم الى ٣٥٠٠ فوق سطح البحر وهي آكام رمداء لا يرى فيها أثر يد الانسان من طرق مرصوفة وجدران تفصل الحقول بعضها عن وارصفة هائلة الكبر ثم يشاهد خرائب مدن صغيرة مهجورة فيها ابنية كبيرة وصغيرة من حجارة كلسية بديعة النحت واذا صعد الى مرتفع هناك رأى حواليه خرائب مثل هذه ا ممتدة في كل جهة واذا كان بعيداً عنها لا يصدق انها خرائب مهجورة وبعض هذه المباني لا قائماً ولكن سقوفه منزوعة عنه على مر الزمن . وقد يسير المرء اميالاً كثيرة في تلك البقعة يرى فيها انساناً ولا خضرة ما سوى بعض شجر البطم هنا وهناك ولا ارضاً ترابية تصلح الاَّ في اماكن بين الصخور وحول كل خربة بقايا معاصر لعصر الزيت وصنع النبيذ . ا في هذه الخرائب فيمثل كل طراز معروف عند الامم العريقة في الحضارة من ذلك ابنية تدل على انها قديمة جداً وان لم يكن عليها كتابة وهي على شكل كثير الاضلاع ولها افاريز عا سطوحها وأبوابها ومنها ابنية بنيت في القرن الاول والثاني للمسيح بينها هياكل ا ومعظمها خرائب لان الناس جعلوا يسطون عليها لاخذ حجارة البناء منها وفي جميع تلك بيوت جميلة بنيت في القرنين المذكورين وكنائس كبيرة وصغيرة وحمامات ومخازن واسواق و على اشكال شتى لا عداد لها . اما كنائس القرن الرابع فأبنية خالية من الزخرف و القرنين الخامس والسادس فأكثر زخرفاً من جميع الابنية التي تمثل العهد المسيحي قبل العهد في اوربا . والآكام التي في اقصى الشمال غير آهلة ولكن يقصدها في بعض فصول السنة التركمان يضربون خيامهم فيها وينزل بعض جوانبها بضع عائلات من الاكراد . وفي التلال الى شرقي العاصي قرى صغيرة يسكنها قوم من الفلاحين يتكلمون التركية وبينهم قليل من وهم يعتمدون في حرث ارضهم وزرعها على مطر غزير يرويها والاَّ امحلت وفي الشمال كثير الشراكسة في سفوح الآكام وقد جاء بهم السلطان عبد الحميد اليها وسلحهم وملكهم ا تلك البقعة ليكون منهم حاجز حصين بينه وبين العرب

اما القرى التي تكتنف انطاكية فآهلة بالعلويين وهم امة مستقلة على صغرها ولغة وهم يتزوجون زوجة واحدة وديانتهم سرية ولهم زعماء اصحاب مكانة عظيمة عندهم وسا عليهم ومنازلهم كبيرة رحبة فيها جميع اسباب الراحة

بقي انه ليس من السهل ان نعرف لاول وهلة سبب انقراض حضارة انطاكية الزاهرة هذ الانقراض السريع وكل ما يخبرنا به التاريخ انه طغى على البلاد سيلان من الغزاة سيل الغزاة الفرس من الشرق وسيل الغزاة العرب من الجنوب في الثلث الاول من القرن السابع بعد المسيح وكانت عادة الفرس انهم اذا غزوا بلاداً ، ولم يقووا على البقاء فيها جلوا عنها ودمروا جزءاً كبيراً منها بفصل بينهم وبينها فيأمنون بذلك قيام البلاد المغزوة للاحد بالثأر فلا يبعد والحالة هذه بما احتياجهم تلك البلاد ان يكونوا قد قطعوا ما فيها من غابات الزيتون والكروم وخربوا المعاصر وهدموا حدران الحقول ولكن حربين تسيل فيهما الدماء انهاراً ويكثر فيهما التخريب والتقتيل والاسر لا يحولان بلداً خصيباً قفراً جديباً في مثل هذا الزمن الوجيز فلا بد فوق ذلك من اضافة العوامل الطبيعية كالزلازل التي قربت البعيد وعجلت النتائج

وانطاكية موطن اميانوس مرشكينوس وارشياس الشاعر الفيلسوف الذي كان شيشرون من تلامذته وليبيانوس والقديس لوقا والقديس يوحنا فم الذهب . وينسب اليها جماعة كثيرة من اهل العلم وغيرهم من المسلمين . وفي القرن الخامس لقب اسقف انطاكيه بطريركا ويطلق لقب بطريرك انطاكيه على بطريرك الروم الارثوذكس وثلاثة من بطاركة الكنيسة الكاثوليكية وهم بطريرك الموارنة وبطريرك الروم الكاثوليك وبطريرك السريان الكاثوليك وما من أحد من هؤلاء يقيم في انطاكية

***

وقد ازدهرت النصرانية في انطاكية ازدهاراً كبيراً . وليس في العالم كله مدينة غير القدس اربعة اكثر من انطاكية بتاريخ الكنيسة الرسولية . ومما يذكر هنا اشتراك المدينتين في كثير من المسائل المتعلقة بانتشار النصرانية من ذلك أن احد الشمامسة السبعة الذين انتخبهم الرسل لخدمة الموائد كان من انطاكية (اع ٦ : ٥) ولما تشتت النصارى من اورشليم بعد قتل استفانوس قام قوم منهم الى انطاكية وبشروا فيها بالانجيل (اع ١١ : ١٩) وانحدر اغابوس وغيره من انبياء من اورشليم الى انطاكية وانبأوا بالمجاعة (اع ١١ : ٢٧و٢٨) ومنها ارسل برنابا وشاول الى اورشليم للقيام بأعمال خيرية (اع ١١ : ٣و١٢ : ٢٥) واليها انحدر قوم من اليهودية وألقوا في نفوسهم رجساً (اع ١٥ : ١) وبها لام القديس بولس القديس بطرس لنهجه طريقاً ساقه اليها رسل اورشليم (غلا ٢ : ١١و١٢) ومعظم أهمية انطاكية دينياً ناشئة عن استظهار النصرانية على الوثنية فقد قامت بها أول كنيسة للامم (اع ١١ : ٢و٢١) وبها دعي التلاميذ مسيحيين (اع ١١ : ٢٦) وقام القديس بولس بأعماله الاولى التبشيرية (اع ١١ : ٢٢ — ٢٦) وسافر في بدء سياحته الاولى للتبشير (اع ١١ : ١—٣) واليها رجع (اع١٤ : ٢٦) وبعد ان عقد المجمع الرسولي الذي انفذت أوامره الى الأمم المرتدة في انطاكية خاصة (اع : ١٥ : ٢٣) بدأ رحلته التبشيرية الثانية وانتهى اليها (اع ١٥ : ٣٦ و١٨ : ٢٢) ثم خرج منها حين بدأ رحلته

الثالثة (اع ١٨ : ٢٢) التي انتهت في اورشليم وقيصرية وما من شيء يدل على انهُ رجع اليها بعد ذلك غير أنها بقيت بعده مركزاً مهمًّا لتقدم النصرانية

أما بطرس الرسول فهو أول اسقف سيم لكنيسة انطاكية سنة ٤٤ فبعد أن أقام فيها سبع سنين عين افوديوس خلفاً له وقصد الى روميه . أما كنيسة القديس بابيلاس اسقف انطاكية الذي مات في اثناء الاضطهاد الذي قام به داكيوس فقد كانت في « دفنه » بجوار انطاكية واستطار شهرتها حتى أنست الناس عظمة هيكل ابولون المقام هناك . ولما قدم بوليانوس الجاحد دفنه لتقرباً لابولون دهش جد الدهشة لانهُ لم يرَ في الهيكل الاحتفالات المعتادة وشكا في بعض كتاباته من أنهُ لم ير من القرابين الاَّ طيراً من الاوز قدمه رجل فقير بدلاً من التقدمات السابقة التي كان كل منها مؤلفاً من مائة ذبيحة وحملته غيرته الدينية على الاخذ بثأر ابولون فهدم كنيسة القديس بابيلاس واصدر أمره الى النصارى بنقل موتاهم المدفونين في « دفنه » الى انطاكية مع بقايا القديس بابيلاس فوضعت عظامه في مركبة ونقلت محفوفة بالنشائد والترانيم والناس من حواليها يهللون ويضجون بحماس كبير . وفي الليلة التالية اضرمت النار حول تمثال ابولون في « دفنه » فسقطوا نسب يوليانوس ذلك الى نصارى انطاكية فعاقبهم على ذلك عقاباً أليماً وفي سنة ٣٠٣ حدث الاضطهاد الذي قام بهِ ديوكلتيانوس على انطاكية فجرى فيها من الفظائع ما تقشعر لهُ الابدان هولاً ورعباً وجرى بين الكاثوليك والآريوسيين من الشقاق ما كاد يفضي الى خراب المدينة . وفي النصف الثاني من القرن الرابع اضطربت أحوال كنيستها لتكاثر فرق الهراطقة فيها والتأم في انطاكية عشرة مجامع مسيحية من سنة ٢٥٢ الى سنة ٣٨٠ وفي أواسط القرن السادس للميلاد فتح كسرى ملك فارس انطاكية بعد ان كان يوستنيانوس قد بذل جهده في ترميمها واعادة الابنية التي هدمتها الزلازل فاضرم فيها النار فاحترقت ما عدا منطقة « ستراتيوم » والكنيسة الكبرى الاَّ أن الفرس سلبوا منها كثيراً من النفائس وكان القيصر قد انفذ الى ملك فارس سفيرين يدعى احدهما يوحنا والآخر بوليانوس فتمكنا من مقابلته وعقدا معه معاهدة صلح تقرر فيها أن يؤدي القيصر الى الملك فارس مبلغاً سنويًّا على سبيل الاعانة وعلى سبيل الجزية

وقد اتفق المؤرخون ان يوستنيانوس ساعد أهالي انطاكية مساعدات كبيرة فتمكنوا من بناء حمامات جميلة وانشاء قصور جديدة غاية في الابداع وكنيستين كبيرتين احداهما للعذراء والاخرى للقديس ميخائيل وحولوا مجرى النهر ووسعوه وبلطوا اسواق المدينة تبليطاً حسناً وجروا المياه الصالحة للشرب بأقنية ووسائل اخرى كثيرة ووزعوها على الاحياء المختلفة وحفروا آباراً للمنشآت القائمة على التلال والاماكن المرتفعة واقاموا لمياه الشتاء سدوداً متينة لوقاية البلد من ذاهها انشأ يوستنيانوس ثلاثة مستشفيات احدها للنساء والثاني للرجال والثالث للمرضى من السياح

وفي آخر سبتمبر سنة ٥٨٩ حدثت زلزلة شديدة في الساعة الثالثة صباحاً فتساقطت الا

دقائق وهدم جزء كبير من الكنيسة الكبرى غير ان قبة الكنيسة انفصلت من أصلها وسقطت
عض الجدران فارتكزت عليه ولم تحل عنه لأنها توازنت ولم تنفصم انها كانت من المعدن
ب ولم يعقب هذه الزلزلة من الاضطرابات ما عقب الزلزلة التي حدثت سنة ٥٢٦ غير أن شوكة
يا كانت قد مالت الى الزوال لان الفرس كانوا يدنون من الفرات وينهبون آسيا الصغرى وفي
هذه الأخطار أخذ فوكاس المغتصب يضطهد اليهود ويهددهم بالفناء ان لم يعدلوا عن شريعة
ي فثارت ثورتهم وانقضوا على انسطاسيوس الاسقف واحرقوه بالنار حيًّا فجرَّت عليهم قساوتهم
واصاً مرعباً وذبحهم فوكاس شر ذبحة وفي سنة ٦٣٨ للميلاد فتحها المسلمون صلحاً على يد ابي
ن الجراح في ايام الخليفة عمر وذكر المؤرخون الافرنج ان الذي مكنهُ من ذلك خيانة يوقنا
قواد الروم ولم يدخلها الاَّ بعد حصار شديد . وذكر ياقوت ان ابا عبيدة سار اليها من حلب .
يقال اليها قوم من اهل حمص وبعلبك منهم مسلم بن عبد الله بن حبيب بن العمان بن مسلم
كي وكان مسلم قد قتل على باب من ابوابها فهو يعرف بباب مسلم الى الآن . وفي سنة ٩٧٥
رجعتها الامبراطورية البزنطية وذكر ياقوت ان الروم استرجعوها سنة ٣٥٣ للهجرة الموافقة ٩٦٤
بلاد بعد ان ملكوا طرسوس واطنه غير ان الرواية الاولى هي الاصح واستمرت انطاكية في ايدي
وم الى ان استولى عليها منهم سليمان السلجوقي جد ملوك آل سلجوق في سنة ٤٧٧ للهجرة وفي سنة
١٠٨٤ للميلاد حاصر الصليبيون انطاكية ولم يكن لها حينئذٍ من القوة ما كان لها في عهد الرومانيين
لعدد سكانها تناقص غير ان مساحتها كانت لا تزال ثلاثة فراسخ وكانت اسوارها منيعة جدًّا
كان فيها ٣٦٠ برجاً للقتال وقلعة مبنية على صخر وخنادق عميقة وفي احد جانبيها نهر وفي الآخر
ة والتلال من حواليها تقيها الهجمات . وكان المحاصرون مؤلفين من اربع امم من الافرنج فتمكنوا
فتحها سنة ١٠٩٨ للميلاد ويقال ان الذي سهل لهم ذلك خيانة رجل ارمني يدعى فيروز كان قد
. وذكر ياقوت ان الافرنج استولوا عليها بحيلة وقد جعل الصليبيون انطاكية قاعدة امبرية
اول من ملكها بوهيموند الترنتي وكانت مدة ملكه من سنة ١٠٩٨ الى ١١٠٨ ثم ضمت الى
اورشليم واعيدت بعد ثماني سنوات الى بوهيموند الثاني سنة ١١٢٦ وفي سنة ١٢٦٨ حاصرها
الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري ففتحها بعد حصار استمر اربعة ايام واحرق كنائسها
وقتل من اهلها نحو ١٧ الف نفس وأخذ منهم مئة الف اسير . وقد انحطت قواها بعد ذلك
١٥١٦ كان لها من الرونق والبهاء وفي سنة ١٥١٦ استولى عليها الاتراك . ومن الزلازل التي اصابتها
في حوزة الدولة العثمانية الزلزلة التي حدثت سنة ١٦١٥ وكادت تهدم المدينة برمتها وقد قتل فيها
وفيها تم الزلزلة التي اصابتها سنة ١٨٧٢ وقد بدأت في ١٣ ابريل واستمرت عدة ايام فهدمت
من الاسوار وانشق الجسر الروماني القديم في عدة اماكن وتساقطت كنيسة الروم الارثوذكس
الوف من الاهلين

حب الام

في أنابيب التجارب العلمية

..

ان حب الام في نظرنا هو روح الامومة ومجلاها لذلك نسبغ عليهِ في الناس والحيوانات ، السواء ، مسحة من الالوهة ، ومع ذلك يقول الكاتب « رتشي كالدر » في كتابه الجديد « ولا المستقبل » انهُ رأى حب الام في انبوب المختبر !

ذهب هذا الكاتب الى الدكتور ويسنر في معهد الوراثة الحيوانية بادنبره فعرض عليهِ انبوباً ف سائل قال انهُ يحتوي على سرّ الحب في الام . فاحسّ الكاتب عندئذٍ برعشة في يديه حتى كاد ان يقا الانبوب منهما ويتحطم على الارض . فقد أثبت الدكتور ويسنر أنهُ يستطيع أن يولد في اناث الحيو غريزة الامومة وفقاً لرغبته . وليس السائل الذي يحتوي عليهِ الانبوب المذكور ، الأ غريزة الام هذه ، وقد أفرغت في قالب مادي . فقد استخرج الدكتور ويسنر هذا السائل من الغدة النخ المؤلفة من ثلاثة فصوص في مخفض صغير داخل الجمجمة عند القذال . ثم أثبت انهُ عند ما تخ الفئران التي لم تلد تتصف بجميع مظاهر الامومة ومنها حب الام . فكأنهُ خلق غريزة الامومة بحقنة

والمظاهر التي تجلت في تصرف الفئران تستوقف النظر ، فالامومة في الفئران تستغرق عشر يوماً بعد الولادة ، تبالغ الوالدة في خلالها ، في العطف على مواليدها ، فتحملها وترأمها لها العشوش وتدافع عن كيانها ، ثم اذا انقضت الايام الخمسة عشر ، تركتها وشأنها ، مصروف كل عناية بها ، فلا يبدو عليها بعد ذلك اي مظهر من مظاهر عطف الام على فلذات مشتقة من كـ الاّ ان حقن الخلاصة المستخرجة من الغدة النخمية ولد في اناث الفئران مظاهر الامومة مع انهـ غير قريبة العهد بالولادة . وهذا السائل يحتوي على هرمون (رسول) خاص مستخرج من الامامي في الغدة النخمية ، فاذا توصل العلماء الى معرفة بنائه الكيمائي ، اصبح في وسعهم انا « حب الام » في المعمل

ان الدكتور ويسنر واعوانه معنيون الآن بالبحث في أسرار الولادة والتناسل ، وقد جانباً كبيراً من عنايتهم الى استكناه اسرار الهرمونات (الرسل الكيمائية التي تطلقها الغدد المسيطرة على العمليات الشقية (الجنسية Sexual) المعقدة في الجسم ، ويؤخذ من هذه ان أعمال التناسل والولادة خاضعة لسيطرة الغدة النخمية ، وان هذه الغدة بمثابة المركز الر مقر أركان الحرب لنظام الغدد في جسم الانسان ، منها تنطلق الرسل (الهرمونات) في حافزة بعض الغدد للعمل أو لنقل الاوامر الى ما يتصل بها من الغدد الاخرى

ومن هذه الغدد ما يصد الرسل عن سيرها ، ولا يطلقها من عقالها الاّ متى حان الوقت والعمل كله قائم على أساس عجيب من التضافر والاتساق

ستانلى بولدوين زعيم المحافظين البريطانيين

Stanley Baldwin

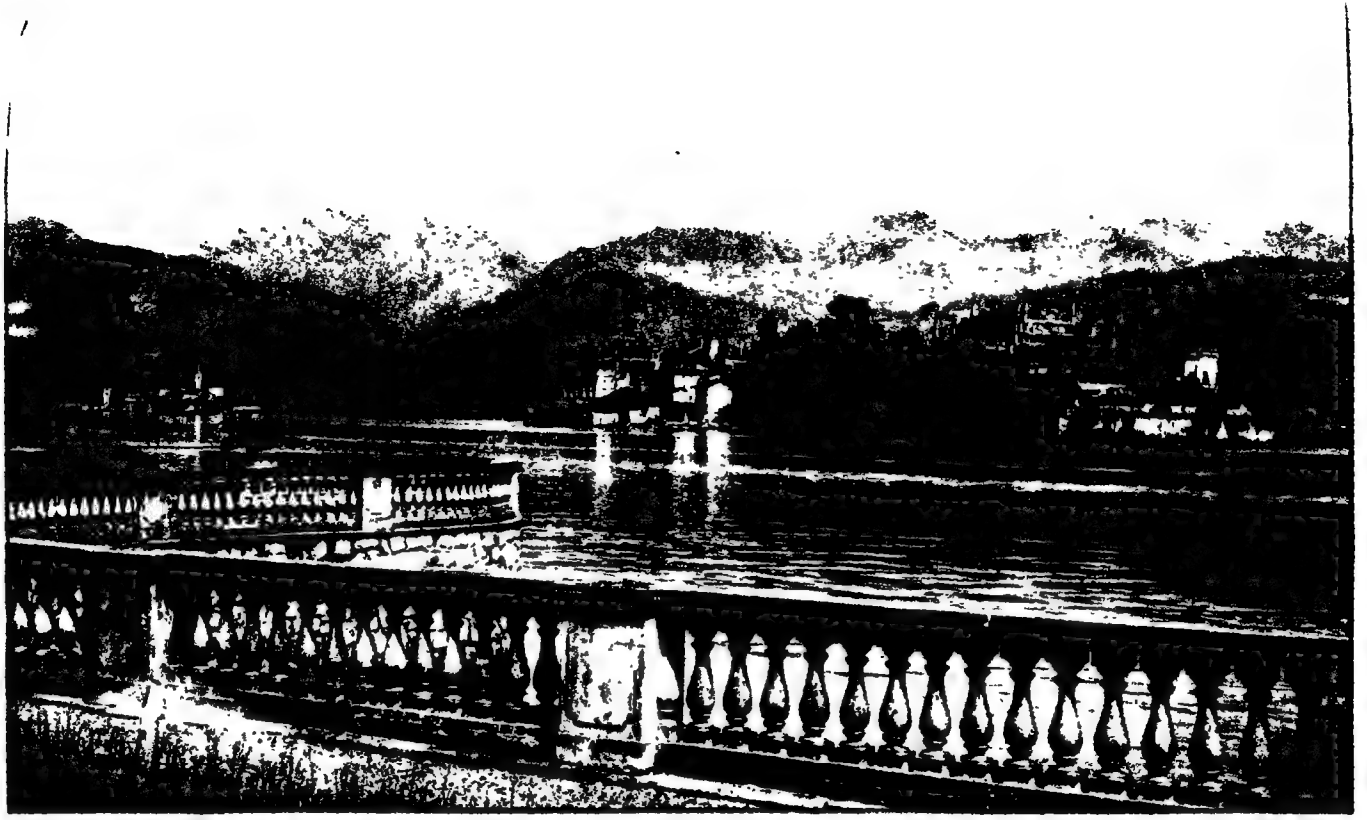

قصر « ايزولابلا » القائم على جزيرة في بحيرة ماجيوري امام بلدة ستريزا حيث عقد مؤتمر ستريزا في ١١ ابريل الماضي
لحضره موسوليني ومتكدونلد وفلاندان ولافال والسر جون سيمون

روح اليابان ورسالتها

زعيمها الحربي يتحدث

«كيوريا المقدسة ، هي [illegible]
رمزاً للرحمة ، والسيف [illegible]
هي سر روح اليابان» [illegible]

لما دعي الجنرال اراكي من نحو ثلاث سنوات ونصف سنة ، من قيادة [illegible] ، الى تقلد وزارة الحربية ، كانت الحملة المنشورية في بدئها . ولكن مكانة وزير [illegible] وشأنه الكبير في الوزارة اليابانية ، كانا مستمدّين من خطورة الحملة في منشوريا ومن [illegible] أن يسير فيسير الجيش الياباني وراءه . ذلك أن الجيش كان قد دبّ فيه [illegible] ، إذ رأى الدبلوماسية اليابانية في مسألة منشوريا مترددة خائفة لا تقف من [illegible] . وكان الضباط الشبان يقرأون لبعض متصوفة اليابان بأن الله لا بدّ معيد [illegible] الجيش والقواد والضباط ، فينقضي عندئذٍ عهد المتمول وعهد خادمه [illegible] القوم يسمعون في أندية اليابان ودوائرها همساً باحتمال وقوع انقلاب في نظام الحكم ، يقوم به الجيش المتمرد ، فيطردُ السياسيون من منصات الحكم وتنشأ حكومة عسكرية قومية

وكان التقلقل السياسي حينئذٍ على أشده ، فالوزارة السابقة كانت قد [illegible] خروجها من قاعدة الذهب ، وكانت الجمعيات السرية قد دوّنت في قوائمها أسماء بعض الوزراء وكبار المتمولين لكي تتخلص منهم ، لأن في الخلاص منهم فائدة — في رأيها — للوطن ، وكان الضباط يمدون رجال هذه الجمعيات بالمسدسات وقنابل اليد

كانت الحالة في اليابان على ما ذكرنا ، لما دعي الجنرال اراكي لتقلد وزارة [illegible] والجنرال اراكي يحبه الشبان من الضباط ويحترمونه ويثقون به . وهو من ناحية يشاطر [illegible] ويعطف على [illegible] يشكون منهُ . وكان ، وهو في منصب مدير المدرسة الحربية ، قد بسط [illegible] ووجوب [illegible] بالحديد والنار . ففي اراكي رأى الجيش زعيماً يجدر بهم أن يتبعوه . فإن أين [illegible] . . ؟

أما الجيش في منشوريا ، فوجد في اراكي وزير الحربية الامثل . لانهُ لما تقلد [illegible] ، أصبحت [illegible] اليابانية بجميع مواردها وقواها ، تؤيد الجيش الياباني في [illegible] . فاراكي [illegible] لسان الجيش ، والمعرب عن مشيئته . وفي ذلك ، كاد يكون مستقلاً كل الاستقلال عن الوزارة [illegible] سلطته من الامبراطور مباشرة ، والامبراطور هو قائد الجيش الأعلى ، بل هو بمثابة [illegible] في [illegible] ، والسلطة التي منحها الامبراطور للجنرال اراكي ، استعملها اراكي الى أقصى حدودها

لذلك رأينا الجيش الياباني في سنة ١٩٣٢ . بعد فترة من التردد والأحجام ، في منشوريا

وقد اتخذ خطة الهجوم ، تنفيذاً للمشيئة الوطنية . فلما سارت الاعمال الحربية سيرها المرسوم . عجز رجال السياسة عن التدخل في السيطرة عليها، فكان اراكي وأركان حربه ، والقواد الذين في [illegible] أصحاب الحلّ والربط الفعليين في كل ما يتعلق بمنشوريا

ويذكر القرّاء انهُ قبلما يقدم تقرير لتون الى جمعية الامم — وهو تقرير اللجنة التي [illegible] الصين برآسة لورد لتون من قبيل جمعية الامم لتحقيق مسألة اعتداء اليابان على الصين — [illegible] حكومة اليابان بدولة منشوكو — وهي الدولة التي أقامتها اليابان في منشوريا وأقامت [illegible] امبراطورة المنشو الصينيين — فأعلنت بهذا الاعتراف انها اتخذت قراراً حاسماً فيما يتعلق بخطتها في شرق اسيا . وفي سبيل هذا القرار خرجت من جمعية الامم متحدية الرأي العام الدولي

والجيش الياباني الآن يعتقد انهُ قد فاز بحل المشكلة المنشورية (أو هو يظن انهُ قد فاز [illegible] دولة منشوكو ، فاتسع المجال أمام اليابان لتعيش اذ كفل لها هذا الحل موارد زراعية ومعدنية [illegible] اليها ، وأسواقاً لبيع بضائعها ومجنًّا تردُّ بهِ روسيا . فالجيش قد اختصر الطريق الى هذا الغرض وصرم حبال السياسة الطويلة ، بفعل الحديد والنار ، وحقق خطة معينة في السياسة الخارجية تعتقد الأمة اليابانية عن بكرة أبيها ، انها خطة لا ندحة لها عنها اذا أرادت اليابان أن تعيش

والجنرال اراكي اليوم[1] هو رجل الساعة في اليابان ، عُيّن في وزارة الحربية ليمتطي النمر المهتاج — أي الجيش — فامتطاه على ما يهوى النمر نفسه . وفسح له المجال لتحقيق الاماني التي [illegible] وهو في رنوّه اليها انما يعبر عن مشيئة الامة اليابانية بأسرها

وكان بعض المشتغلين بالسياسة يتوقعون أن يقوم اراكي بعد فوزه هذا ، بقلب الحكم اليابان ، وخصوصاً بعد الخطأ الذي ارتكبه بعض الشبان من الضباط في قتل رئيس الوزارة [illegible] ولكن آمالهم خابت فيما يتوقعون ، لان وزير الحربية — اراكي — لم يلبث بعد وقوع الحـ[illegible] ان أصدر أمراً قال فيه « ان الجيش افراداً وكلاً مندمجاً ، لا يتحرك الاّ وفقاً لأمر الامبراطور وان كل انحراف عن هذه القاعدة خيانة » . فأثبت انهُ دستوريٌّ ، وقضى الشهور التالية ، محا[illegible] أن يعيد الى اليابان استقرارها واتزانها ، وكانت قد فقدتهما على أثر التجارب والمغامرات التي [illegible] هزًّا . ثم ان اراكي رجل لا ينتمي لحزب ، ولا هو صديق للنظام البرلماني ، ولكنهُ بذل كل [illegible] لكي يمكن اليابان من استئناف نمو الانظمة النيابية فيها

كان قبل تقلده وزارة الحربية ، مجهولا عند السواد من الشعب الياباني . انتظم في سلك [illegible] وليس له ما يميزه من عزوة أو مال أو نفوذ . كان والداه فقيرين وبدأ هو حياته في منصب [illegible] معمل « صلصة » . وغنيٌّ عن البيان أن رجلاً بدأ حياته كاتباً بسيطاً في معمل « صلصة » [illegible]

(١) استقال اراكي من وزارة الحربية لما رأت الوزارة ان لا تمنحه كل ما طلبه من الزيادة في ميزانية [illegible] ولكنه لايزال من أصحاب الحول والطول في توجيه سياسة اليابان ، وانما من وراء ستار

في السابعة والخمسين « وزير الحربية » وزعيم الجيش الياباني . كان فتىً طموحاً . ولكنهُ ب الشهرة ولا سعى اليها . فلم يظهر في ميدان الشؤون العامة في بلاده . حتى اقتضت ذلك ث ما لهُ فيها يد

وليس في سيرته ما يسترعي النظر وانما في ذهنه ما يسترعي العناية . فصفة كونه جديدًا ا ، شعر بوجوب وضع مبدأ جديد ، يسير بمقتضاه الجيش الياباني . ففي الايام القديمة اي في لاقطاع كان السامواري يطيع أميره طاعة عمياء . فلا بدَّ اذاً من وضع مبدأ ينظر اليه الجندي ي كما كان السامواري ينظرون الى أمرائهم في العهد القديم . واليك ملخص هذا المبدأ : —

ان الطبيعة والقدر وضعا الشعب الياباني موضعاً تحيط به المخاطر والمصاعب من كل ناحية . ه الزلازل والاعاصير والنيران وتضيق به جزائر اجداده . ولكن الشعب لا يسلم لمخاطر زحيها اليه الطبيعة ، ولا يجب ان يقف دون العراقيل التي تقوم في سبيل توسعه مكتوف ن . فالحياة « حياة خطرة » وهي مصير اليابان المحتوم . وفي دولة هذه حالتها . تعظم التبعات اة على عاتق الجيش نحو الامة

وهو يضحك من اولئك الكتاب الذين يشبهونه بكبار رجال السياسة من الاوربيين ويقول اليابان لا تحتاج الى هتلر ولا الى موسوليني » ولكنه لا ينكر انها تحتاج الى اراكي . ليس ظهره ما يدلُّ على انه قائد عظيم او امير من امراء الحرب ، فهو قصير القامة هزيل الجسم تدل ره على التقشف والحياة البسيطة ، ولكنهُ شديد العناية بالآراء التي تطرح عليه ، ويسرُّه كل ور ان يناقشها ويجادل فيها

قاطعه احد الصحفيين وبادره بالقول : يا جنرال انني اريد ان أُفهم العالم من انت ، فالناس خارج البلاد يعتقدون انك دكتاتور ، وكثيرون يظنون انك تمثل خطة السطو والبسطة في حياة ل الخارجية والنزعة الفاشستية في حياتها الداخلية، فما هو «ركن الروح اليابانية» التي تتحدث عنها .

الجنرال : ان ركن الروح اليابانية كنوزنا المقدسة : هي المرآة تمثل العدل ، والجوهرة تمثل . والسيف يمثل الشجاعة . ان ركن الروح اليابانية هو هذه الفضائل ممثلة في البيت لطوري من بدء تاريخنا : هذه هي حكومتنا المثلى . ان مثلكم الاعلى في الحكومة هو لحكومة على رضاء المحكومين . اما نحن فمثلنا هو وحدة الحاكم والمحكوم . فنحن ننظر ة نظرنا الى الاسرة . ونحسب ان الحكومة تعاون الشعب والامبراطور على تحقيق ما فيه الخير ذه الروح مناقضة للنزعة الدكتاتورية . ولما كان مثلنا السلم والوحدة في داخل بلادنا فلا بد كون روحنا الهادي مناقضاً لنزعة السطو والبسطة في الخارج . وقد مضى على الشعب الياباني ، ظل حكومة الامبراطرة ، القائمة على هذا الروح ، نحو الفي سنة ولكن في العقود الاخيرة كارنا ، متأثرة بمثل الغرب، وأخذ بعض شعبنا يميل الى نسيان الاغراض السامية التي وضعها

أجدادنا . فأنا لا أمثل خطة خاصة بي . بل ادعو الى العودة الى مبادئنا ومثلنا القديمة

الصحفي — لقد ذكرت في كتابك الذي جعلت عنوانه « رسالة اليابان » ان كل آسيا تقريباً عدا اليابان ، إما محكومة فيها الفوضى او هي محكومة من سلالات اجنبية وقلت ان « رسالة اليابان القومية هي رسالة بناء ومصيرها بقول الحكيم : اقيموا هذه الارض الطافية على اساس مستقيم فهل هذا يعني انه من الواجب على اليابان ان تعيد النظام الى نصابه في بلاد الصين ؟ »

الجنرال — انا استعمل ذلك الحكيم الالهي الكلمات التي اشرت اليها كان ينادي اليابانيين ان يجعل اليابان بلاد نظام وسلام . وانك ولاشك تقر باننا حاولنا ، ان نحول الفوضى في بلادنا الى نظام فاذا كنا نستطيع ان نمد يد المعونة الى الصين او الى اي بلاد غيرها حيث الانسانية تئن وحيث الناس يقاسون بعضهم بعضاً ، فالواجب علينا يقضي بأن نفعل ذلك . ان مثلنا الاعلى النهائي هو سلام العالم ، قائم على العدل والرحمة . واود ان تفهم ، اننا في سبيل الوصول الى هذا الغرض نستشير جمعية الامم

الصحفي — ان مغوليا بلاد شاسعة مترامية الاطراف ، يقطنها نحو اربعة ملايين من السكان في مليون ميل مربع من الارض . فهل تعني يا حضرة الجنرال ان اليابان تستطيع ان تحتل هذه البلاد بسهولة اكثر مما تستطيع الصين ، من دون ان تعتدي او تسطو على احد ؟

الجنرال — ان من حق الانسان الحق ان يعيش على وجه الارض فلنفرض ان السكان في بلاد ما كانوا قلالاً اذا قيسوا بمساحة البلاد وغنى مواردها الطبيعية . ولنفرض ان السكان في بلاد اخرى كانوا كثاراً جداً اذا قيسوا بمساحة البلاد وضآلة مواردها الطبيعية . وان البلاد الاولى تقفل في وجه سكان البلاد الاخرى اليابان وتمنع تبادل البضائع بالحواجز العالية . افلا يكون هذا العمل حداً لحياة وانطلاقها . وهل يمكن تحقيق السلام العام ، والرخاء العام بهذه الوسائل ؟

أنا لا اعتقد ان السلام يمكن ان يعزز ، بالاحتفاظ بالحالة الراهنة بين الامم . فالعالم شيئاً مستقراً . والامة اليابانية ، مثل سائر الامم ، لها الحق في ان تسعى الى الفردوس على ارضها على اني اشارك الاقتصاديين في ان الهجرة لا تحل مشكلة زيادة السكان . فنحن نطلب هجرة حيث نستطيع ان ننمو نمواً طبيعياً بمقتضى القواعد العلمية (وهذه اشارة لاريب فيها الى منشوريا)

الصحفي — ان الصين في حالة يرثى لها من الفوضى ، وتضعضع أسباب النظام . فاذا سعت الدول جانباً كبيراً من التبعة في مساعدة جاراتها ، أفلا تكون رسالة اليابان في الصين ان تأتي بها من الفوضى الى النظام

الجنرال — ان السلام في الشرق الاقصى يجب ان يقوم على وحدة الصين القومية ، وعلى اليابان والصين ، وقد كان هدف سياستنا الخارجية من ايام الميجي (١٨٦٠ و١٩١٢) ان ترقية الصين والتعاون بين الصين واليابان ، وحتى الآن لم نلق جزاء لنا على صنيعنا . والصين

دون تفكير وتروٍّ في اعمالهم ، هبطوا بالصين الى الدرك الاسفل من الفوضى ، ونحن جيران الصين نأسف اشد الاسف على هذه الحال السائدة هناك ، ولكننا لن نيأس ولن يدب القنوط الى نفوسنا ، وسوف لا نضن بجهد لمساعدة الصين على توطيد الامن والنظام في ربوعها

الصحفي — وكيف تعيدون الصداقة بين اليابان والصين ؟

الجنرال — إن وجود الامة الصينية ووجود الامة اليابانية يجب ان يكون وجوداً متسقاً فالامتان ليستا خصمين ولا متنافسين . والصلة بينهما يجب ان تكون وثيقة كصلة العجلة بمحورها . يجب ان يتقدما معاً والاَّ فانهما يتألمان معاً . وقد عكر صفو الصلات الودية بينهما . أن رجال السياسة وامراء الحرب في الصين مكبُّون على نزاعاتهم الخاصة ومصالحهم الذاتية ولا يعنون حقيقة بالواجب الوطني وهو تعزيز بناء النظام في انحاء البلاد وإقامته على اساس راسخ

والاساس الذي تقوم عليه صداقة الصين واليابان يقتضي ان يتجه الضمير الوطني المستيقظ في الصين الى الحق والعدل . ويجب على الصين ان تتخلى عن خطتها القديمة باثارة دولة ضد اخرى . اذا ادرك الصينيون مصلحتهم الحقيقية واتجهوا الى عمل البناء والتشييد ، صفت في الحال صلاتنا ثم يشوبها فنستطيع ان نتعاون حينئذٍ معاً على تعزيز السلام في الشرق الاقصى

الصحفي — في جزائر الفيلبين ١٢ مليوناً من السكان . ويظن المستر هوفر ان جزائر الفيلبين تتسع لمليونين مليوناً . فهل تقول ان اليابانيين وبلادهم شديدة الازدحام بهم يحقُّ لهم ان يهاجروا الى الفيلبين

الجنرال — الشعب الياباني شعب مجتهد . منظم . امين . فنحن ندعي اننا نصلح من الناحيتين الجسدية والعقلية ، للمهاجرة الى الفيلبين ، بل والى اي بلاد من بلدان العالم ، اذا وازنت بيننا وبين الامم . وانما نحن لا نريد ان نكون ضيوفاً ثقالاً غير مدعوين . بل نطلب ان نعامل معاملة من الحزب والظلم ، ونحن نأمل من البلدان غير المزدحمة بالسكان التي ترضى ان ندخلها على قدم المساواة والحرية ، ان تفتح لنا صدرها في اول فرصة

الصحفي — وما مقام الجيش الياباني في الدولة ؟ ألا يصح ان نقول ان الجيش في اليابان ليس من ادوات الحكومة ، وانما هو الابن الاكبر في الاسرة القومية — اي الامة اليابانية ؟ وقد الواجب على الابن الاكبر احياناً ان يتصرف في الاحوال الاستثنائية تصرفاً تقتضيه الاحوال عليه عقله وضميره ، فيكون في تصرفه هذا نائباً عن الاسرة ؟ أكانت هذه الروح روح الجيش وعامة المغامرة المنشورية ؟

الجنرال — ان الواجب على الجيش الامبراطوري محاربة الشيطان بفضيلة الشجاعة الممثلة في ، وهو احد كنوزنا المقدسة الثلاثة ، فالجيش ليس اداة في يد الحكومة ، ولا هو الابن في الاسرة القومية ، انما هو جانب من الفضائل العظيمة التي يتصف بها الامبراطور ، اي العدل والشجاعة . فهو في الواقع ينفذ مشيئة الامبراطور

فاما تقلد الجيش الزعامة في منشوريا لم يكن الجيش الاّ سيف الامة ، والمعبر جميع في افعاله عن مشيئتها ، فقوة البلاد وعزمنا على توطيد السلام الدائم في الشرق الاقصى — كل ذلك يبدو في الجيش الياباني في منشوريا

الصحفي — هل يقبل الجيش اوامر الحكومة المدنية ، او يدّعي الحق في تقرير الخطط السياسية في بعض الامور

الجنرال — ليس على الجيش من واجب الاّ الدفاع عن البلاد ، واظهار الهيبة الامبراطورية فقيادته العليا في يدي الامبراطور . ومقامه في الدولة يختلف عن مقام الجيوش في الدول الاخرى التي تنفذ اغراض الحكومات القائمة . فالجيش الياباني يتصرف في صغائر الامور او كبائرها ، في وجب اظهار الارادة الامبراطورية و « الاودو » اي رغبة الامبراطور . فمن البداهة ان يشترك الجيش في تقرير السياسة الوطنية في ما يتعلق بالدفاع

الصحفي — اتعتقد ان الجيش يجب ان يظل مبتعداً عن السياسة ، واذا فسد السياسيون وأصبحوا مرتكبين ، وعرضوا الامة ، بحكومتها الفاسدة الى الخطر ، فهل يظل من الواجب على الجيش ان يقف مترفعاً عن الشؤون السياسية

الجنرال — لا يمكن للجيش ان يظل مترفعاً عن سياسة تنطوي على الارتكاب والفساد ولا يسعه ان يسكت عن انتشار الآراء الخفيفة والمتطرفة . ولكن الجيش لا يتحرك الاّ بأمر الامبراطور ، ورئيس اركان الحرب مستشار الامبرطور في ذلك

الصحفي — سمعنا كثيراً في السنة الماضية عن اثر « الضباط الاحداث » في السياسة ، ولا نستطيع ان نفهم كيف يؤذن للضباط وخصوصاً الشبان منهم ، ان يتدخلوا في الشؤون السياسية فهل تستطيع ان تفسر لي كيف فازوا بهذا النفوذ في الجيش الياباني

الجنرال — الضباط الشبان هم زهرة الجيش الامبراطوري وذخره . ان شجاعتهم في ساحة الوغى وشغفهم تبعث على النشوة . على ان الجنود اليابانيين لا يسمح لهم ان يتدخلوا في الشؤون السياسية وانما ينظرون الى الامبراطور كزعيمهم الاعلى . هم جنود الامة وحراسها . والجيش وحدة . ولا يمكن الشبان ليسوا طبقة فيه منفصلة عن الطبقات الاخرى . ولكنهم لشبابهم وشجاعتهم يجتذبون عناية الناس اكثر مما يسترعيها غيرهم

الصحفي — ان العالم يعجب بنظام الجيش الياباني ، لذلك صدم الناس صدمة عنيفة عندما علموا ان ضباطاً لابسين البذلة الجندية الامبراطورية قتلوا رئيس الوزراء اينوكاي

الجنرال — عمل فظيع ! ولكن يجب ألا تحكم على الاقليم بالاعاصير والعواصف احياناً . فلا تحكم على الجيش الياباني بهذه الحادثة التي اسفنا لها جميعنا اسفاً عظيماً

ستانلي بولدون

السياسة بين الذكاء والخلق

..

في السابعة والستين ، ربعة القوام حليق العارضين والشاربين ، ازرق العينين اسمر البشرة ، الملابس ابسطها الى حدّ الرثاثة . وفي يدهِ او فمهِ غليون لا يكاد يفارقهُ

هو بولدونْ في مظهره الخارجي . بولدون الذي تقلّد رآسة الوزارة البريطانية مرتين افظين من يوم تخلّى عنها بونارلو قبيل وفاتهِ من نحو اثنتي عشرة سنة . هذا هو الرجل على كتفيهِ وشاح دزرائيلي وسالسبري وروزبري وبلفور . تراهُ وهو يدخن غليونهُ ن عامة الشعب او رئيساً من رؤساء نقابات العمال لا زعيم المحافظين البريطانيين

تخطئهُ عند النظرة الاولى ، فشكلهُ اقرب الى شكل مقاولٍ معماريّ منهُ الى اي شيءٍ آخر . . عليك ان تتصورهُ واقفاً على الجدار وحواليهِ العمال على الصقالة ، وفي اذنيهِ رنين المطارق لصّة بارزة هي رسوم المهندس . قد لا يوافق هذا المقاول المهندس في كل ما رسم وصمم ني في عملهِ من دون ان يبدي اعتراضاً ، لان الاعتراض على تصميمات المهندس ليس قاول

النظرة الاولى كثيراً ما تخطئ ، لانّ وراء سكون المستر بولدون وهدوئهِ صفات عظيمة صفات التي يمتاز بها المشتغلون بالسياسة ، نعني حسن التقدير ورحابة الصدر . والواقع ان قاول » السياسي مزيج انكليزي عجيب من السريّ والمتموّل الصناعي في ناحية ، والخيالي اخرى . فيهِ تلتقي النزعتان ، الواقعية ، وقد تلقاها من اشتغال اسرته بصناعة الحديد ، ية وقد اخذها من ناحية والدتهِ . اليس رديرد كبلنغ الشاعر والروائي ابن خالتهِ ؟ اوَ لمْ في بولدون « انهُ اديب اسرتنا » ؟ وهاتان النزعتان تخرجان منهُ رجلاً يمثل الطبع البريطاني دق تمثيل

***

بولدون عن اكثر الزعماء المحافظين الذين اشتهروا في القرن التاسع عشر ومطلع القرن انهُ اتى السياسة من ناحية الصناعة . ولا يخفى ان اتجاه حياة الامم القومية والدولية شكلات الاقتصاد والصناعة والنقد والتبادل والعمل والعمال ، يفسح في الصفوف المتقدمة اب السياسية مكاناً خاصًّا لهذا الطراز من الزعماء

ولكنّ بولدوِن يختلف عن زملائهِ من رجال السياسة حتى الناشىء منهم في الاوساط الصناعية انهُ لا يجري على المعهود المألوف من اصول التفكير السياسي. فأيُّ سياسيٍّ يفكر تفكيراً سياسياً لمعنى المألوف يمنح خزينة دولته خمس ثروتهِ الكبيرة ، ثم يرفض ان يذاع ذلك عنهُ. ولو لم يعبر هبتهِ اتفاقاً لظلّ اسم بولدوِن واهبها مطويًّا عن السواد من الناس لا يعرفهُ الا الخزينة . انهُ فعل ذلك وهو يأمل ان يقتدي بهِ أثرياء الامة الانكليزية فيمحوا بهباتهم للخزينة مليون جنيه من ديون انكلترا . وهذا في الواقع عمل شاعر اكثر منهُ عمل سياسيٍّ

بل اي سياسيٍّ يقدم ، وهو في مستهلّ حياتهِ العامة ، على القاء خطبة يقاوم بها لويد جورج وصحبه امثال بركنهد وتشرشل وتشمبرلين وهم سادة بريطانيا حينئذٍ — ١٩٢٢ — واصحاب الحول والطول فيها ، بل يقاوم بها السواد من حزبهِ ، حزب المحافظين ، طالباً انفصالهم عن الوزارة الائتلافية القائمة حينئذٍ . كان من الممكن ان يفضي هذا الخطاب الى اخفاقهِ في ما طلب ، فيُقضى على آماله السياسية في مهدها ، ولكن المستر بونارلو ايّدهُ ، وخرج من عزلتهِ رغم مرضهِ ، لتقلّد زعامة الحزب فهو لويد جورج من ذروة مجدهِ ، وتفرّق ائتلافهُ ايدي سبا

***

والواقع ان ارتفاع بولدوِن من مقعدٍ خلفيٍّ في مجلس النواب البريطاني ، الى اعلى منصب في البلاد سوف يبقى من اخفى خفايا السياسة البريطانية في السنوات التي تلت الحرب الكبرى . وهذا القول يذكرنا برسم كاريكاتوريٍّ رسمهُ الرسّام بيربوم مثّل فيهِ بولدوِن الفتى واقفاً امام بولدوِن الكبير وهو يقول لهُ دهشاً : — « أنت رئيس وزارة ! يا الهي ! »

***

ولد في سنة ١٨٦٧ وتلقى العلم في جامعة كمبردج وتولى أعمال ابيهِ الصناعية نحو عشرين سنة انتخب عضواً في البرلمان البريطاني سنة ١٩٠٨ فخطب خطبته الاولى فيهِ في موضوع يفهمهُ الفهم وهو « مناجم الفحم » . ولكنه ظلّ على القواعد الخلفية ، أي من النواب الذين لا شأن لهم ، حتى كانت سنة ١٩١٦ فعين سكرتيراً لبونارلو ، ومن ثمَّ تقلّب في المناصب حتى عين وزيراً للمالية سنة ١٩٢٢ في وزارة بونارلو — بعد سقوط لويد جورج — وعقد مع الولايات المتحدة الاميركية تسوية على الدين الاميركي البريطاني . وبعد وفاة بونارلو تقلد زعامة المحافظين ومن زعيمهم مع أن فريقاً منهم حاول أن يتحدّى زعامتهُ في موقف الحزب نحو مشكلة الهند وتغليب النزعة الامبراطورية الاستعمارية على نظام الحكم فيها . ولكنه ردّهم خاسرين واحتفظ بزعامة الحزب وبوحدتهِ كذلك . وقد رأس الوزارة مرتين . وينتظر أن يتولى رآسة الوزارة القادمة اذا كانت الاكثرية للمحافظين وهو الغالب

والمرجح ان سرّ المقام الذي احرزهُ والثقة التي فاز بها ، ان أبناء قومهِ يعلمون انهُ لا

وراء مصلحة مالية او نفع خاص . وكثيراً ما يشبهونهُ في ذلك بوزيرهم العظيم وليم بت كان بت كثيراً وما عرض عليهِ منصب ذو مرتب كبير رفضهُ ، فأثبت لاهل وطنه ان المال ليس غايتهُ . أما بولدون فغني ، ومع ذلك لم يتعذر عليه ان يقيم الدليل على تجرده عن طلب المصلحة الخاصة في خدمة بلاده وبخلي سرًّا سنة ١٩١٩ عن ١٥٠ الفاً من الجنيهات للخزينة ولم تعرف هذه الحقيقة الاّ اتفاقاً

***

وكأننا اذا تأملنا في مكانة بولدون بين ساسة بلادهِ نراه دخيلاً على السياسة . اقتحمها من دائرة بعيدة عن السياسة ، ليست هي دائرة الصناعة فحسب ، بل اذا أنت تأملتهُ وهو داخل البرلمان خلت انهُ قادم من جولة في الريف ، بندقيتهُ في كتفهِ وغليونهُ بين شفتيهِ . فلما اقبل على قسر منسفيلد ترك بندقيتهُ وغليونهُ في حجرة « الفستيير » ومشى بملابسهِ البسيطة الى مكان الاجتماع وأقل النواب شأناً لولا انهُ زعيم المحافظين

فتحم ميدان السياسة من قبل ، رجالٌ أتوها من الخارج . فبلفور جاءها من عالم الفكر الصرف ، وغراي من عالم الطيور ، بل يقال أن بلفور كان ينظر الى شؤون السياسة ، كأنهُ يطلع عليها من التاريخ . وان غراي قلما حضر جلسة من جلسات مجلس النواب الاّ واسرع بعدها الى كتابهِ في « صري » ليعنى بدراسة الطيور وضبائعها العجيبة . ولعلَّ كتابهُ فيها أبقى على الزمن من سيرة حياتهِ السياسة الموسومة « خمس وعشرون سنة »

ولكن بولدون دخل حلبة السياسة من ناحية الريف ، حيث يحبُّ التجوُّل والتحدث الى الفلاحين والعمال ، كأنهُ جارهم وخدنهم ، فيستمدُّ من أحاديثهِ هذه الافكار والآراء العملية التي يبني عليها خطتهُ السياسية . وهذا من جانبهِ — مع انهُ خريج جامعة كمبردج وصاحب المصانع الكبيرة — طبيعيٌّ لا كلفة فيهِ . ذلك انهُ من طبقة الحكام الذين ينظرون الى الصلة بين طبقتهم وطبقة العمال على انها صلة عائلية ، تهمهُ بنوع خاص ، ويوجه اليها عنايتهُ ، ولا يعرف معنى لكلمة الاحتقار فيما يختصُّ بها

بل انهُ لا يفهم القول بالعداء بين الرأسمال والعمل . فالصناعة في رأيهِ عمل عائلي ، يدار بإشراف العائلة . فلا العامل يطرد منهُ بوجه من الوجوه ، ولا يضرب فيه عاملٌ عن العمل ، بل انهُ لفظة مستأجَر ، ويقول ان علماء الاقتصاد يخترعون لنا الفاظاً ممجة منها هذا اللفظ . فهو في انجلترا التي خرجت من الحرب الكبرى ، بمثل « جون بول » بفضائله ونقائصه ، بأمانته واستقامته في معاملته وتراخيه وضعف خياله

***

لعل مؤرخي المستقبل اذا جاءوا يكتبون سيرة بلدوين ، حكموا بأنهُ امتاز بتلك الصفات العالية لانها من القلب وتسند الى الشعور ، دون الصفات التي مردّها الى الذكاء والعقل . فلم يعرف في

ميدان السياسة البريطانية رجل اكثر تجرداً منه عن المصلحة الخاصة ولا اكثر بذلا في خدمة الدولة

ولكن الناس يختلفون في المقابلة بين الذكاء المتوقد والخلق الطيب واثرهما في الحياة العامة وكل ما يمكن ان يقال في هذا الموضوع يلخص في كلمتين : كان الاجتماع الذي اشرنا اليه في مطلع المقال لما ثار بلدوين وبونارلو على وزارة لويد جورج الائتلافية سنة ١٩٢٢، وكان ان بلدوين وبونارلو تمكنا من الفوز بتأييد صفوف المحافظين لهما فتنبأ بركهند وهو من اعضاء الوزارة ومن اشد الانكليز ذكاء بأن البلاد تسعى الى حتفها اذ تتخلى عن ادمغتها التي من الطبقة الاولى . فردَّ عليه اللورد روبرت سسل في الحال وكان في الرد فصل الخطاب : « ان الادمغة التي من الطبقة الثانية تفضل على الاخلاق التي من الطبقة الثانية »

وفي هذه الجملة يلخص موقف الانكليز نحو كبار رجالهم . انهم لا يؤمنون بمجرد الذكاء والتوقد والالمعية ، ولا يمنحون ثقتهم في الغالب الاّ لصاحب الخلق المتين

***

على ان الاخلاق والذكاء لا يجديان السياسي الاّ اذا كان ذا مقدرة على الاقتناع بفكرة معينة واكتساح كل شيء في سبيل تحقيقها . وما عرف عن بلدوين حتى الآن ، يشير الى انه مقصر في هذه الناحية ، لان نزعة الشاعر تتغلب عليه احياناً ، فيميل الى التراخي . ولعل للطبقة التي نشأ فيها اثراً في ذلك . فرجل مثل المستر مكدونلد نشأ من الحضيض ، كان مضطرّاً في خلال حياة الكفاح ان يعتاض بزوجته عن سكرتير له ، فهو بحكم نشأته يهتم بتفاصيل كل شيء . ولكن المستر بلدوين الذي قضى عشرين سنة ، مديراً لاعمال صناعية كبيرة قبل ان يخوض ميدان الحياة العامة ، لم يعن في حياته قط بالتفاصيل ، فهو لا يهتم بها في منصب زعامة المحافظين فيكتفي بأن ينظر في المسائل السياسية الكبرى التي لها صلة بخطة الحزب . وقد يستطيع ان يعود المستر بلدوين . رجلا قوي الشعور مضطرم الاحساس كأنهُ صليبيٌّ يكافح في سبيل عقيدة ، أو قد يصبح صاحب خطة معينة غير مفككة ، ولكنهُ لا يستطيع أن يوضع في مصاف الكبار من رجال السياسة ، الاّ اذا ملكت القوة المكتسحة التي تمكنهُ من تحويل خطة سياسية منسقة الجوانب ، الى حرب صليبية في سبيل الاغراض العليا

قد يجيء ذلك اليوم ، فيخرج بالحزب من سباته الحالي ، لانهُ لما حاول بعض خصومه ان يمنع عليه مشيئتهم وجدوا فيهِ خصماً عنيداً يستطيع أن يتلقى الضربات ويكيلها أشد مما يتلقاها . ما لم يخرج « بولدون » جديد شديد الحماسة قوي الكفاح ، يعنى بمشكلات البلاد العامة ، من عنايته بمشكلات الحزب ، يظلُّ مكانه في تاريخ بريطانيا السياسي متراوحاً بين النجاح والخيبة قد تخلقه أيام الضيق التي تجتازها بريطانيا خلقاً جديداً ، ومن دون انتظار ، وإلاّ فلا بد من ان يخلي مكان الزعامة لغيره أو انتزعت الزعامة من الحزب بأسرهِ

فكتور هوجو في حداثته

Victor Hugo

(١٨٠٢ — ١٨٨٥)

لورنس بنيون

Laurenc eBinyon

وقد صورت في حديقة منزله الريفي بانجلترا

المساكين

مختارات من قصيدة لفيكتور هوغو — وقد احتفل بانقضاء نصف قرن على وفاته — تتلو علينا قصة رجل من الصيادين مضى كعادته الى البحر يصطاد ليحمل الى عياله القوت . وبينما كان يصاول الهاويل اليم وينافح عاصف الريح ، كانت امرأته تأوي في كوخهما طفلين خارة لهما من المساكين ماتت بالليل عنهما ، فتبوؤهما فراشاً وثيراً ما وجد الصعاليك فراشاً وثيراً ثم جعلت ترقب أوبة بعلها وحلة تساورها الهواجس تسأل نفسها ماذا عسى يكون رأيه في صنيعها هذا ؟

مناجاة الشاعر لنساء الصيادين

وارحمتاه لكُنّ يا نساء الصيادين ! ما افظع ان تتناجي تقولين : « هناك ارواح لي أب ، حبيب ، اخوة ، ولد . كل عزيز عندي ، هناك في هذه الفوضى ! — قلبي ، دمي ، جوارحي » . يا لله ! ان من كان فريسة الامواج كان فريسة الوحوش . يا ويلتا ! اذ نتصور ان جميع هذه الرؤوس يلهو بها اليم ويلعب ، من الولد الذي يتعلم الملاحة الى الزوج المعلم ، وأن الريح الهوجاء النافخة في ابواقها قد ارسلت من فوق رؤوسهم شعورها المفدودنة [1] المتشعثة . وان نظل دائماً لا نعلم تمام العلم ما هم يفعلون ، وانهم ، اذ يصاولون ذا الخِضمّ الذي لا قرار له ، وكل مهلكات الظلام حيث لا نجم فيها يضيء ، لا يجدون سوى حزّة [2] لوح وقطعة قماش ! همّ بغمّ ! ننطلق بين الجنادل ، ويقبل المدّ فنخاطبهُ ونصرخ في وجههِ : « ويحك ردهم الينا ! » ولكن وا أسفا ! ماذا عسى يقول بحر لا يبرح ملتطماً ، لِذي بال لا يبرح في هم وحسرة ؟

وجنة ايضاً اشد حزناً وكمداً . إن بعلها لوحيد ! وحيد في هذا الليل الأليل ! وحيد تحت هذا الستار الاسود ! لا وليّ ولا نصير . انما الاولاد جد صغار — ايتها الام ! انك تقولين : « ليتهم كانوا كباراً ! ان اباهم لوحيد ! » اوهام واضاليل ! غداً حين يمسون بجانب ابيهم وينطلقون تقولين باكية : « ويلاه ! ياليتهم كانوا صغاراً ! »

في بيت الجارة الميتة

فولجتْ . واضاءَ داخل البيت سراجُها . بيت مظلم لا تسمع فيهِ ركزا [3] ولا نبأة [4] عند شاطىء الامواج القاصفة قد ثوَى [5] وكان الماء من السقف يسيل ، كأنما من عيون غربال يسيل

(١) الطويل الناعم (٢) قطعة (٣) الصوت الخفي (٤) الصوت ليس بالشديد (٥) اقام

في الصدر كان سواد يبعث الهلع مستلقياً . امرأة ساجية[١] منقلبة والقدم منها عارية . بصر منطفىء ، وهيئة مرعبة هائلة . جثة ، — من قبل امٍّ مرحة شديدة ؟ شبحُ ذاتِ بؤسٍ هلكت محلولة الشعر . ما يبقى من المسكين بعد طول عراك وحمى . وكانت قد تدلت منها بين قش الفراش البالي ذراع صفراء باردة ويد يعلوها احمرار وكان الذُعر جاثماً بين هذا الفم المنفهق[٢] الذي كانت الروح ، وهي مولية منهُ حسرى كئيبة ، قد صرخت صرخة الموت الكبرى التي تسمعها الابدية !

بجانب الفراش الذي كانت الام فيه منطرحة ، كان طفلان جد صغيرين . ذكر وانثى ، في مهد واحد نائمين يبتسمان ، وكانت امهما ، إذ احست بدنو الموت ، قد القت على ارجلهما إتْبها[٣] وعلى بدنهما ثوبها ، لكي لا يشعرا ، ساعة الاحتضار اذ الموت يفتاشنا[٤] بالحرارة تفترُ ، وليجدا الدفء بينما هي تبرد

***

ما أشد نومهما في مهدهما الذي يضطرب ! انفاس هادئة واسارير وجه راضية . وكأن لا شيء يوقظ هذين اليتيمين النائمين ، حتى نفخ الصور في يوم البعث . لا . وها الطاهران ، لا يخافان الحساب ولا الديان

والقطر في الخارج كالطوفان يهدر وينهمر . ومن السقف العتيق المتهتك الذي تنبعث منهُ الريح ، تقع أحياناً على هذا الوجه الميت قطرة تسيل منهُ على الخدين فتستحيل عبرة ودمعة . والموج له دويٌّ كدوي جرس الاستغاثة ، والميتة مصغية الى الموت لا تفقه ! إذ كأن البدن ، حين تزايله الروح المشرقة ، ينشدُ الروح وينادي ما كان وكأنما تسمعُ هذا الحوار العجيب بين الفم الذي ذبُل والعين الزائغة : ما سمعت بانفاسك ؟ — وانتِ ببصرك ؟

يا أسفا ! احبوا ، واحيوا حياتكم ، واقطفوا زهر الربيع ، وارقصوا ، واضحكوا واحرقوا قلوبكم ، واجرعوا كؤوسكم ، فكما الى البحر الخضم غاية كل نهر ، كذلك كتب القدَرُ ان غاية الوليمة ، والمهد ، والامهات الوالهات بأطفالهن الفَرِحة ، وقبلات البدن التي تبهتُ النفسَ وتُذْهِلها ، والاغاني ، والابتسامة ، وجديد الحب وحلوه ، غاية كل اولئك برودة الجَدَث المحزنة !

(١) ساكنة (٢) المفتوح الواسع (٣) قميص المرأة او ثوب لها بلا اكمام (٤) افتاش . تناول المقتطف

فتح الباب بغتة على المصراعين يصرُّ صريره فولج منهُ الى الكوخ شعاع أبيض وبدا الصياد على العتبة حذلان يجر شبكة تنضح بالماء وقال : « هـذه هي الملاحة ! وقالت حنة : أو أنت ! » وعانقت بلهفة بعلها ولثمت رداءه لثمة الوله بينما كان الملاح يقول : « هاءنذا يا امرأتي ! » فترى منهُ على حبينه الذى كان أتون النار يلقى عليه نوره ، قلبه الطيب الراضي الذي تلقي عليهِ حنةُ نورها. وقال : «لقد سُلِبت وضاع كدحي . انما البحر غابة — وكيف كان الجو ؟ — عاصفاً شديداً — والصيد ؟ — خاسراً رديئاً ولكن هاءنذا معانقُك وتقرُّ عيني . ما أصبت و شلا . لقد تخرقت شبكتي. لقد كان الشيطان رابضاً من وراء الريح التي كانت تهدر. يا لها ليلة ! لقد ظننت لحظة مع كل هـذا القصيف والعجيج ان السفينة تضطجع وان المرسى قد انقطع . وما صنعتِ أنت خلال ذلك ؟ »

فمرتْ حنةَ في الظلام هزة واضطربت وقالت : «أنا ؟ عمر الله ، لا شيء حطت كالعادة ، وكنت اسمع البحر كالرعد وكنت خائفة — أجل ، ان الشتاء كلب شديد ولكن سيان» . حينئذٍ قالت ترتجف كحال من يركبون المعصية : « والحديث ذو شجون ، ان جارتنا قد ماتت . أمس قضت نحبها . وبعد ، فسيان وانما اذ مضيت أنت عشاء ، تركت هي طفليها ، وانهما لصغيران يدعى أحدهما غايوم والثاني مادلين. واحد لا يمشي والآخر لا يكاد يتكلم. لقد كانت المسكينة الطيبة فقيرة عاوزة . »

فاتخذ بعلها هيئة الجد،والتي في أحد الاركان تلفسوة مكدود شقي بأملها الاعصار وقال وهو يحك رأسهُ : «يا عجباً ! يا عجباً ! لقـد كنا بخمسة أطفال فهاهم سبعة . لقد كنا من قبل في هـذا الفصل الرديء العاتي نتجاوز عن العشاء أحياناً ، فكيف بنا الآن ؟ ... انهما والله لصغيران ! لا يمكن ان يقال لهما : اشتغلا . يا امرأة هلمي فأتي بهما . لئن كانا قد استيقظا فلا بد يخافان مع الميتة وحدها . ها هي امهما تقرع بابنا فلنفتح للطفلين . إنا نخلطهم جميعهم معاً وكل مساء ينشبان بحجورنا وسيعيشان معاً ويكونان أخاً وأختاً للخمسة الآخرين . . . . وأشرب انا المـاء صرفاً واضاعف جهدي وكدي. قضي الامر . هلمي فاحضريهما. ولكن ما بك ؟ أساءك هذا ؟ عادتك في مثل هذا الاعجال والمبادرة .

فقالت وقد شقَّت عن الاستار . انظر . ها ها !

الفتاة الاجنبية (١)

ا يعنى صديقنا الدكتور بشر فارس الآن بدراسة اللغة الالمانية وآدابها في برلين. وهذه القطعة من بواكير ما نقله عن الشعر الالماني وهي للشاعر الالماني الابتداعي شلر (١٧٦٩ — ١٨٥٠)

في غُرَّةِ كل سنة ، أوّلَ ما تصفِر القناير ، كانت فتاة جميلة فتّانة تبرز في وادٍ الى رعاةٍ مُقِلّين

لم يكن الوادي مَسْقَط رأسها ، ولم يَدْرِ أحد مأتاها ، وكانت متى انصرفت عفا أثرها

السعادة كانت بين يَدَيها ، فما انفكّت القلوب تفرح بها ، غير أن جلالةً لها من الطَرْفِ والكفِّ جعلت تصونها

كانت تأتي بأزهارٍ وفواكه : هذه نضجت وتلك تَفتّحت في قرى أخر ، في أقاليم أخرى ، عند طبيعةٍ أوفرَ حظًّا

كانت تصل الرعاة واحداً واحداً : فتقبّلُ هذا فاكهة وتَهبُ ذاك زَهْراً . وكان كلُّهم — فتاهم وشيخُهم المتوكىء — ينطلق الى داره وبين يديه تحفة

وكانت ترحب بالضَيْف جميعهم . الاّ أن عاشقَيْن دَنَوا منها ، فنحتهما الطفَ الهدايا إذ جادت لهما بأتمّ الازاهر حُسْناً

الدمعة

نقل هذه القصيدة من الادب البرتغالي الاديب الياس زغزوز ونشرتها مجلة « العصبة » التي يصدرها في سان بولو الكاتب المعروف حبيب مسعود ويعاونه فيها طائفة من اكبر ادباء العربية في المهجر

في صباح يوم من ايام الربيع الدافئة ، ذرفت مقلة الفجر دمعة صافية . فصادفت ورقة من تينة يابسة على جانب طريق موحش في سبسب مقفر . دمعة نقية مثلالئة تظهر للقريب كماسة براقة وللبعيد كنجمة لماعة

---

(١) Das Maedchen aus Jer Fremde ، وبها يرمز الشاعر الى الشعر نفسه

مرّ بها ملك يحف به الجند والاتباع ، فقال وقد راقه منها ذلك الاشعاع . إن في تاجي من الجواهر ما لا يثمن ، وفيه من لآلىء الشرق الساحرة ما يزري بدموع غوان صهرها الحب الدفين . ولكنني اتخلى عنها كلها مسروراً لو يتاح لي ان اعتاض منها بهذه الدرة اليتيمة لاجعلها شعاراً لملكي العظيم ومجدي الاثيل

سمعت الدمعة السماوية ما قال الملك وظلت شامخة ولم تحفل بتاجه ودرره

ومرّ بها صليبي مدجج بسلاحه وعلى حسمه درع ذهبية الزرد فقال وحق الصليب المقدس لا يليق بدرة كهذه الاّ مقبض حسامي فأسير بها في ساحات الجهاد من نصر الى نصر حبًّا بفادي الانام ومتى رجعت اجعلها قلادة في عنق حبيبتي فتكون عوذتي في جهاد الحروب ونصيري في امتلاك القلوب

سمعت الدمعة السماوية ما قال الصليبي وظلت صامتة يمنيها الرجاء ولم تعبأ بوعوده وعظمته

ومر بها يهودي شيخ بقافلة تحمل ما خفّ وغلا من الكنوز فصاح يا لاسرائيل ما كنت احسد ملكاً على ما حشد من اموال ولا بحراً على ما حوى من لآلىء ولكنني تحاه هذه الدرة الفريدة ارى يديّ الشحيحتين تجودان ولا اسف بكل ما املك من كنوز وتحف

سمعت الدمعة السماوية ما قال اليهودي ولم تأبه لكنوزه وتحفه

وكان تحت التينة عوسجة صغيرة ذاوية تشرئب مدلة بحقها من رحمة الله فقالت تعالى ايتها الدمعة السماوية روّي جفاف تربتي بحق الاله فكلما ضرعت اليه تزيدني لمسه جفافاً وانا بين الصخور لم اسمع زقزقة العصافير ولا لامست نعومة الاعشاش اغصاني اد لا غصن لي يجثم عليه العندليب ولا ظلّ لي يؤمه بحبيبه الحبيب فأغيثيني ايتها القطرة السحرية ان لي بكِ غنى عن كل مال

سمعت الدمعة السماوية ما قالت العوسجة فاختلجت وسقطت منعمة صامتة

وبعد قليل من الزمن رأى الناس معجبين ان الحياة قد عادت الى تلك العوسجة الذاوية فأورقت وأزهرت زهوراً كجراح المصلوب وجاء النحل يمتص الشهد منها كما يجتنيه من ازهى الورود

الخريف

لالفونس دى لامرتين

نقلها عن الفرنسية : جورجي نصيف يقولاوس

سلاماً أيتها الغابة ، ، المتوّجة ببقية من الخُضْرة ، سلاماً أيتها الاوراق الصفر المبعثرة على العشب ، سلاماً أيتها الايام الأخيرة ذات الروعة والبهاء ، فحُزنُ الطبيعة يحلو في نظري ، ويتردّد صداه في جوّ أحزاني

اني لاسلك ممرّ الغابة الموحش مفكّراً مهموماً ، ويحسن في قلبي ، ان أرى المرة الأخيرة ، هـذه الشمس الشاحبة ، وضياؤها الضعيف لا يكاد يخترق ، تحت قدميّ ، ظلام الغابة

أجَلْ ، في أيام الخريف هـذه ، حيث تقضي الطبيعة نحبها ، أجد في نظراتها المحتجبة بهاءً وجمالاً ، فهي وداع صديق ، هي آخر ابتسامة للشفتين ، اللتين سيغلقهما الموت الى الأبد

هكذا ، وقد اوشكتُ ان اغادر افق الحياة ، باكياً من ايامي الطويلة الامل الضائع التفتُ ورائي ، ملقياً نظرة اسىً وحسرةٍ ، على تلك النِعم التي لم يُتَحْ لي التمتع بها

ايتها الارض ، ايتها الشمس ، ايها الوادي ، ايتها الطبيعة الجميلة الوديعة ، اني مَدينٌ لكِ بدمعة على حافة قبري ، فالهواء معطر الأريج ، والنور صافٍ زاهرٌ ، وما اجملَ الشمس في عين الراحل المائت !

اني لأتوق الى شرب الكأس حتى الثُمالة ، تلك الكأس الممزوجة بالرحيق والمرارة ، فقد يتبقّى في ذلك القدح ، الذي اشرب فيهِ الحياة نقطةٌ واحدة من الكوثر اللذيذ

قد يخبّىء لي المستقبل بين ثناياه ، عوداً الى الهناء الذي فقدتَ من الامل ، وقد اجد بين الملا ، روحاً لا اعرفها الآن ، تفهم روحي ، فتتآلفا وتمتزجا

ان وداع الزهرة عند سقوطها ، تسليمها عبيرها الى النسيم والشمس والحياة ، وأما انا فاذا قضيتُ ، تصاعدت روحي كلحنٍ حزين مُشجٍ

طفل يبتسم للحياة

رأس فتاة

(تصوير ايمي نمر)

في معرض ايمي نمر

ت لي مشاهـدة آثار السيدة الفنانة إيمي نمر في المعرض الخاص بصورها ، فسرني اني شاهدة هـذا المعرض الفذ وعددت من حظي الكبير ادراكه قبيل انفضاضه ، سيدة شرقية ذات نصيب وافر من الثقافتين العامة والفنية تبرز آثارها القوية للعيان حفاوة النقاد الخبيرين وبينهم ولديمار جورج وبول فيرتز وماريشال وأندريه سالمون ارنود ولورنس بنيون ، وتثبت جدارتها بالعرض في لندن وباريز قبل العرض في القاهرة . الآن بعد جهود عشر سنوات أو أكثر درجة عظيمة من الشخصية المتميزة في فنها قها الخاص الى جانب نضوجها في التعبير المستقل ، فكيف لا نأبه لفنها وكيف لا نفخر به ؟ دأت إيمي نمر في تصويرها الاول بالمشاهد المبسطة والصور السطحية مع شغف بالألوان تصويرها لليهود في فلسطين ، ثم أخذت تتحول عن ذلك رويداً الى أن صار فنها أخيراً عل لنزعتها الاولى ، فاذا به الآن يعنى بالحجم والمتانة والضخامة . واذا بالألوان الهادئة عل محل الألوان الزاهية القديمة ، واذا بالشخصية المرسومة من انسان وحيوان ونبات رة على المظاهر ، واذا بالروح وقوة التكييف غاية ما يرمي اليه فنها وليست الصنعة أو حس أزاء هذه العوامل بأن التعابير المرسومة التي تتجلى لك مبعثها من داخل الصور ستمدة من مظاهر عرضية ، فهي تعابير ثابتة مصورة ذات روحانية محسوسة . وهذه ت بارزة في صورها القديمة ولكنها ملموسة ناطقة في صورها الحديثة . وقد يلوح التشابه ، موضوعاتها ، ولكنها ككل فنان أصيل تهمها كيفية التعبير قبل أن يهمها الموضوع ، ، غير الخبير بالفن عن موضوعاتها البسيطة في تصويرها الفاكهة مثلاً وان يكن تصويراً كاد يجعلها تلمس وتشم وتتذوق ، ولكن سيزان Cézanne العظيم تجلى فنه الرائع في كهة بقدر ما تجلى في موضوعات أخرى . وقد يعتعض بعض النظارة لتجرد الصور لكن من عادة الفن النقي تصويراً كان أم شعراً الابتعاد عن الرمزية ، فلن يعيبها ذلك ا المعرض البديع عشرات من الصور وقد قسمت الى أربعة أقسام مختلفة :

ور لرؤوس آدمية (٢) صور لفاكهة (٣) صور لمجموع مختارة (٤) رسوم قلمية . ولكن جميعاً واحدة ، فان ايمان صاحبتها بما للاشعة والظلال من قوة خالقة جعلتها تترك لها كال وتجسيمها ولم تفكر لحظة في اعتبارها اعتباراً ثانوياً فهي عندها بمثابة الروح الذي ر . وإيمان صاحبتها بتجسيم الفكرة جعلها تتعلق بالضخامة في التصوير ، ثم ان ارتياحها لوان القاتمة جعلها تبدع في اختيار الالوان المعبرة سواء للفاكهة أو للوجوه الآدمية ة القاتمة وليس هـذا أمراً سهلاً بأي حال . ولعل من أبرع الشواهد على ذلك صورة

الإعياء » في وجه السيدة المطرقة بلحظها فقد أبدعت في اختيار اللون الاخضر القاتم بصفة خاصة إبراز معنى «الأعياء» في ما يوحيه تركيبُ الصورة . ومن الصور الفريدة تلك التي تمثل معنى الأنفة الازدراء ، فقد ظهر النور الخافت في جانب منها في قوس ممدود وقابله الظلُّ في الجانب الآخر مقابلة طبيعية جميلةً فكان النور والظلُّ هما المكيفين للصورة ولمعناها ، ولم يكن ذلك من أثر رسم آلي هو بعد ما يكون عن طبيعة فنانتنا في نضوجها الحاضر وما من شك في أن الرسوم القلمية في مجملها ناطقة بحذقها ، وكأنها في بعضها تتلمذ على تجاريب ميخائيل أنجلو ، ولا عجب فان نزعتها كلاسيكية صميمة وليس لنا أن نحاسبها على ذلك فنزعات الفنانين — لاعتبارات سيكولوجية — تختلف جد الاختلاف ، وانما تعنينا طاقتها الفنية وقوة تعبيرها الصادق . واذا كانت ايمي نمر مقتصدة في استعمال الألوان اقتصاداً كبيراً لأنها لا تحفل الآن بالزخرفة بل بالروح وقوة التعبير فقط ، فان مذهبها هذا كان ضميناً لعنايتها بالتشريح وبالجسم الانساني كما ترى بصفة خاصة في صورتين تمثلان النوم ففيهما جرأة مع صدقٍ في التعبير وسلامةٌ وتناسبٌ في أجزاء الصورة ، وان لحظنا الميل الى الضخامة العضلية وهو ذلك الميل المشهود في الفن الكلاسيكي . بيد أن هذه النزعة الكلاسيكية في الروح لم يصحبها عادة الاهتمام بالتفصيل ، ولو عنيت بالتفصيل البالغ لحدّت من استثارة خيال الناظر وتأملاته

الفنُّ الجميل جميلٌ والاتقانُ اتقانٌ مهما تباينت الاذواق ، والتثقيف الشخصي كفيل أن يُفهمنا مواطن الجمال حتى فيما لم نتعوده ، فليس الاعتراف بالجمال وقفاً على رضانا ، وليس عزوف ايمي نمر عن الروح الرومانطقية مما يجعلنا نبخسها حقها في صدق التعبير الفني والشخصية الفنية . وقد رسمت مشهداً في «درب الاربعين» (طريق قوافل الرقيق قديماً بين دنقلة وأسيوط) حيث العسف وجماجم الضحايا ، وهو رسم تجريبي غير كامل ومع ذلك فهو يسترعي الاهتمام بتركيبه وغرابته وبالاعتبارات النفسية العميقة التي اوحته . وقل مثل ذلك عن شغفها بصور العبيد والسود ، فقد لا تعشق هذه الصور لاعتبارات مختلفة ، الاّ اعتبار الفن الخالص الحافل بالجهامة وظلام الحياة وآلامها ووحشيتها فانه كفيل باجتذاب عنايتنا بها . ومع هـذا ألم تستخلص لنا ايمي نمر معنى الحنان الخالص في صورة النوبية وطفلها ثم ألم تحفل ببعض الموضوعات الانجيلية بروح جميل من الايمان ؟ وهي لا تقصر فنها على تلك الموضوعات المكتئبة الغريبة لعجزها ، عن غيرها ، ولـكن اختيارها لما توحيه ظروفها ، ورد فعل لنزعاتها القديمة وتعلقاً بالنماذج القوية التي تفسح المجال لبراعتها في تكثيف الأنوار والظلال . وكثير من الصور الكلاسيكية نُسيت ظروفها التفصيلية ومناسباتها الفكرية والعاطفية ولـكن يبقى منها بعد ذلك الروح الفني المعبر الكشاف عن اسرارها الحيوية ، ومن اجله نمجد

ولا نزاع في أن أمام فنانتنا القديرة ميادين كثيرة لبراعتها في المستقبل ، ولها من قدرتها وثقتها بمذهبها وبشعورها وتفاسيرها ما يكفل لها التقدم المطرد والاعتراف بألمعيتها

احمد زكي ابو شادي

الصحة والزواج

اجمع الاطباء على وجوب منع المصابين بالامراض الزهرية المزمنة من الزواج . ذلك ان فتك
ه الامراض بالمتزوجين لما يقصر عنهُ الوصف . فهي من اعظم اللعنات التي تنتاب الازواج
دهب بهناءتهم . وكثيراً ما تضيع بهجة الحياة وتزول مسرات الزواج لما قد يغشاهُ من الاثر
صحة المتزوجين ونسلهم وفي قوامم العقلية كذلك

فسلامة الزوجين من هذه الامراض شرط لازم . وعلى الذين يقدمون على الزواج ان يلزموا
ب الصراحة ويعترفوا بحقيقة حالتهم الصحية على وجه الاجمال سلامتهم من كل محظور ومحذور.
ن المستحسن تأييد هذا الاعتراف بشهادة من حكيم الاسرة . وفي الواقع ان القانون في بعض
لان ينص على وجوب فحص طالبي الزواج ، لاثبات صلاحهم له من الوجهة الصحية . ومثل
ا القانون يجب نشره في جميع البلدان المتمدنة ، بحيث لا يباح لمن كان مصاباً بعاهة جسمية
ئة او وراثية او بداء السل ، او ضعف القلب او ما اشبه ان يتزوج من دون ان ينذر زوجهُ
ٔ عُدَّ خادعاً وكان زواجه عرضة للالغاء . فاذا اعترف كل من طالبي الزواج للآخر بحقيقة حاله
يكتم عنهُ شيئاً ثم اتضح انهما مع ذلك لا يحجمان عن الزواج فذلك شأنهما وليس لاحد ان
ض لهما ، مع ان بعض دعاة اصلاح النسل يرون ان هذا من شأن الامة في الامراض الوراثية ،
شأنهما الخاص ويجب على الامة ممثلة في الحكومة ان تمنعهُ لتمنع تكاثر المرضى والمصابين بالعاهات
ومن بواعث الاغتباط ان الامراض التي ثبت ثبوتاً قاطعاً انها وراثية ليست كثيرة . ومن
الرأي ان يحجم المرء عن الزواج خيفة ان يورث نسله الديابيطس (البول السكري) او
النظر او ضعف الاعصاب لان هذه الامراض ليست وراثية . ولكن عدد الامراض الجسمية
لية كثيرة جدًّا ومن المستحسن ان يستشير المقبل على الزواج طبيباً في امرها وان يبحث
مصدرها ، وهل هي موروثة او طارئة . وقد يكون من الحكمة في بعض الحالات تعمد
ث العقم والامتناع عن النسل بحيث يكتفي كل من الزوجين بأن يعيش مع زوجهِ محروماً لذة
، ومتناصاً عنها ببهجة العيشة المنزلية الراضية

***

ذا طلب شاب ان يؤمن على حياته فحص فحصاً طبيًّا دقيقاً قبل ذلك . كذلك تطلب الحكومة
هذا الفحص ممن يطلب الانتظام في مصلحة من مصالحها . وهو عمل القومسيون الطبي هنا .
. الشركات الاجنبية في القطر المصري ، ومعظمها في بلدان اوربا واميركا تطلب من كل
غب في الانضمام اليها ان يعرض على طبيب الشركة . وليس يجد احداً في كل ذلك غضاضة او
وكذلك يجب أن يكون في امر الزواج

المرض امتحان

لقوة الرابطة الزوجية

المرض امتحان عظيم يكشف مواطن الضعف او القوة في العقد الزوجي . فاذا كان الحب يربط الزوجين حقيقيًّا فالمرض يقويه ويزيل جميع عوامل الخلاف والشحناء . واذا لم يكن كذلك اي اذا كان مؤسساً على الشهوة وحب الذات ، فان المرض يبرزه في حلته الحقيقية . ومن هنا من قد لا يكون الحب عندهم كثير الظهور ، وفي هذه الحالة يكون مرض احد الزوجين بركة يعين على اظهار ذلك الحب الكامن . وليس غريباً ان يكون الحب كامناً وان لا يقوى احدهما التعبير عنهُ فكأنهُ يقيم حول عواطفهِ اسواراً تحول دون الوصول اليها . وهذه الحال توجد عن كثب ان الحبَّ ميت بين الزوجين ، فينشأ من ذلك شيء من النفور الذي يسميهِ الاطباء «تفاهم» . فاذا اصيب احد الزوجين بمرض وقام الآخر بالعناية بهِ واظهار الحنان عليهِ ، ازال ذلك الزوجين من نفور وفتور

بل ان الاشخاص الممتازين باظهار ما تكنُّهُ جوانحهم من الحب ، والذين يغالون في الاعراب قد يوثق المرض اواصر حبهم ويزيد كلاًّ منهم تعلقاً بالآخر . ولقد يتفق ان تتوالى الامراض على اسرة من دون ان يكون ثمة سبب ظاهر . فينشأ عن ذلك شيء من الضيق قد يزيد في مشاكل الاسرة ومصائبها . فمثل هذه الحالة قد تزيد في ارتباط الزوجين وتوثيق اواصر الحب ، كما عند الشدائد تعرف الاخوان . واذا مرض الاولاد واحتاجوا الى العناية في الليل والنهار والخطر ولاح حبل الرجاء ضعيفاً ، فحينئذٍ يبرز الحب من مكمنهِ وتتجلى العواطف على احسن ما يكون الجهد الذي يبذل في تربية ولدٍ مصاب بعاهةٍ او علةٍ ورثها من احد والديهِ تقوّي روابط الوالدين . على ان الاهتمام بالولد العليل تجب ألاّ ينقلب الى ما يشبه الشفقة . وكذلك التعطف يجب ان يفصل بينه وبين الشفقة . وكثيراً ما تكون المؤاساة رباطاً قويًّا بين الزوجين واما الشفقة تفصل احدهما عن الآخر لانها تشعر بوجود تفاوت بين المشفق والمشفق عليه . وليس اشد من ان تكسب ودّ من اشفقت عليهِ

على ان المرض لا يقوي بالضرورة الرابطة الزوجية ، بل قد يضعفها احياناً . ولاسيما ذلك المرض مزمناً يقضي بعزل المصاب وخدمته خدمة خاصة . وقد تكون هذه الخدمة ثقيلاً على الاسرة يستنزف قواها . فضلاً عن ان مرض احد الزوجين قد يحول دون بعض الاعمال والزيارات التي تقتضيها الحياة الزوجية . وهذه الحيلولة توسع شقة الفصل بين الزوج المريض منهما الى مرضهِ ويلتمس الصحيح مناهج الحياة من غير طريقة الزوجية وهذا ما يؤدي به الى ادمان المسكر والميسر لالتماس القوة الكاذبة وما يليها من العواقب

هواجس فتاة جميلة

بعد اصابتها بصدمة شوهت جمالها

بين جمال الوجه وشجاعة النفس

ترى ماذا يكنُّ لي المستقبل ؟ كنت من شهر فتاة جميلة هانئة ارقص للحياة . وكنت قد فزت مرة الى تمثيل دور صغير في شريط سينمي . لم يكن دوراً يباهى به . ولكن الكفاح الذي كافحته بها الذي جاهدته قبل الفوز به جعلاه في نظري تحقيقاً لحلم من احلامي وخطوة اولى نحو هدفي ان اصبح كوكباً متألقاً في عالم التمثيل السينمي . فكنت سعيدة به السعادة كلها

ولكن النظري اليَّ الآن . انني لا ادري ما اصبح وجهي بعد حدوث ما حدث. لانهم لم يسمحوا بان انظر الى وجهي في المرآة . ولكنني اعلم ان ثغري الذي كان رطباً احمر كورقة الورد اصبح جافاً مشوهاً . وفي خدي الايمن ندبة جرح عميق احسها بانامل

كنت في سيارة مع صديقي جفري عائدة من حفلة راقصة . وكنت متهللة طروبة . واذا بالسيارة تدهم فتاة بمصباح قائم في وسط الطريق . فسمعتُ وكأنني في غيبوبة تأوه صديقي وما افقت الاَّ لأجد مستلقية ورأسي مضمد بضمادات أكاد لا ارى من خلالها الاَّ سقف الغرفة الابيض

والعي اغمط لان ساقي سليمتان فاستطيع ان امشي. ولان والديَّ حيّان فاستطيع ان اقضي دور الابنة بينهما الربقي . ولانني ما زلت حية على كل حال

حياتي ! ما اشد الاختلاف بين حياتي بعد الصدمة وقبلها . في السنة الثالثة عشرة من عمري كنت شؤون الجمال . فعليَّ الآن ان انسى جميع هذه السنين وان انشأ نشأة اخرى

قال لي الطبيب الذي عالجني : يا ابنتي مضت عليك سنوات وانت تنظرين الى الحياة من نافذة واحدة . وقد سحرك جمال ما رأيت لانك كنت في مقتبل العمر وعلى جانب عظيم من الجمال . والعالم عطاياه على المتصفين بالجمال لان الجمال بلسم في عالم يكثر فيهِ القبح والقتام . ولكن العالم يغدق على من اتصفوا باللطف والشجاعة والدماثة ولو لم يتصفوا بالجمال

انت مخدوعة : ولكن يا دكتور ، لم اقض ما مضى من حياتي كالفراشة متنقلة بين اطايب الروض. كان عملي في الفوز بكل ما اريد . بل كافحت كفاحاً عنيفاً في سبيل تحقيق ما اصبو اليهِ

كنت لا ازال في السابعة عشرة لما تركت المدرسة بعد ان فزت بجائزة الجمال فيها . وانتظمت في تمثيل لتعلم فنونه واساليبه . واما وقفت ساعات متوالية امام مكاتب التوظيف اطلب عملاً . الساعات التي قضيتها في البرد القارس انتظر دوري لافوز بمقابلة المسيطرين على شؤون السينما عند عودتي وقد انهك البرد والانتظار قواي ، اذهب توًّا الى دروس الرقص الكلاسيكي عندي وافية متى اتيحت لي الفرصة . فما كاد الحظ يرمقني بنظرته فيتيح لي تمثيل دور صغير في

شريط سينمي حتى نكبت هذه النكبة. هنا اضطرب صوتي واغرورقت عيناي بالدموع. فقال الطبيب أنا اعلم يا بنتي انك كنت على اعظم جانب من الشجاعة في مواجهة الحياة وأملي ان تبقى هذه الشجاعة عدتك حتى تفوزي بالغلبة وربّت على يدي ومضى في سبيله يزور سائر المرضى. فأحسست [illegible] بشيء من الغبطة في نفسي. قال « املي ان تبقى هذه الشجاعة عندك حتى تفوزي بالغلبة » [illegible] انهُ عنى ما قال. أعتقد أنهُ اسف لوتر المرارة الذي ضربت عليهِ في كلامي معهُ كما آلمه ان [illegible] من أثر الصدمة والجروح التي اصبت بها. ولكن بوارق الامل والشجاعة تتراجع في الغالب أمام [illegible] اليأس. وانني لا ازال عاجزة عن أن اتصور كيف استطيع أن اتحمل كل هذا. كيف استطيع اصبر على نظرات الاشفاق في عيون صحبي اذ أخرج من المستشفى أو كيف احتمل تفرس [illegible] وجهي عند ما أمشي في الشارع او أذهب في طلب عمل ما؟ اذ لابدَّ لي من العمل والا [illegible]

سهلٌ على الطبيب ان يقول لي أنهُ يجب عليّ ان اكون طروباً. ولكن هناك فرق [illegible] نفس تبذل وسعها لتدرّع درع الشجاعة، وذلك الطرب الذي يصدر عفواً كتغريدة [illegible] ما أجمل الحياة اذ كنت أتلقى ثناء الشبان وازاهيرهم، اذ كنت أستطيع ان أضحك معهم [illegible] من دون أن أنسى ان الحياة في الحقيقة أمر جدي وجميل معاً

يغمرني أحياناً ضياء هذه الصور الباهرة ثم أفيق فأدرك كابوس الواقع

قد اتغلب على كل هـذا. فانني ما زلت في الثانية والعشرين من العمر. ولكنني [illegible] الآن ذات اليمين وذات اليسار واقول يا ربي كيف استطيع ان اتحمل كل هذا؟ كيف [illegible]

نصيحة لفتاة تخشى الحياة

كتبت فتاة الى محررة احدى المجلات النسائية ما يلي: انني اخشى الحياة. مات [illegible] سنتين وكان اصدق اصدقائي علاوة على كونه والدي. وما كدت اتغلب على حزني حتى [illegible] والدتي من نحو ستة اشهر. وأنا الآن مخطوبة لشاب ممتاز، وليس لي غيره في الدنيا. [illegible] ان يقترن بي حالاً ولكنني اخشى ان اقبل لانني اخشى ان يسلبني الموت اياه. انا [illegible] الكلام يحملك على الضحك مني، ولكنني خائفة وجلة فماذا افعل؟

فردت المحررة ما يلي: كثير من الناس تأتي عليهم فترة في الحياة يحسون فيها بمثل ما [illegible] ويطلق الكتاب الدينيون على هذا الاحساس « ليل النفس الحالك ». ولكنني واثقة بانك تخرجين من ظلام الليل الى وضح النهار. ان والديَّ كل انسان مصيرهما الى الموت عاجلاً ولكن الاحصاء يثبت ان الزوجين يعيشان معاً مدة طويلة في الغالب قبل ان يدرك الموت فيجب ان تتعلمي الثقة بالحياة، وان تتطبعي بروح المغامرة، وان تعيشي في الزمن الحاضر بدأ تحصري فكرك وهمك في مخاطر المستقبل. إنسي الماضي ودعي المستقبل لله

الاعمال المنزلية

وما تقتضيه من الطاقة والعناء

عنت جماعة من علماء اميركا بقياس الجهد الذي تقتضيه أعمال المرأة في تدبير شؤون بيتها من غسل ومسح وكنس وكي وخياطة وغير ذلك . ومقابلة كل عمل من هذه الاعمال بالآخر . لان المرأة وهي مستريحة . وصنعوا لذلك آلة سموها مقياس حرارة التنفس أو مقياس الحرارة بقدر ما اريد المعنى العام . وهو بالانكليزية Respiration Calorimeter

والآلة مؤلفة من غرفة ارتفاعها متران وطولها متر وخمس وعرضها ٧٥ سنتيمتراً وحدرت منها بعض الهواء . وفيها عدة أجهزة صغيرة منها جهاز لحفظ مجرى هوائي في الغرفة يجتمع فيه الماء واكسيد الكربون اللذان تخرجهما المرأة التي تجرب التجارب بها . وفيها جهاز لقياس الحرارة التي تتولد في الغرفة عند اجراء التجارب

وقد اختير لهذه التجارب فتاة نحيفة سنها ٢٢ سنة وطولها ٥ اقدام و٤ بوصات وثقلها بملابسها ١٢٠ رطل . وقد عرضت هذه الفتاة لثلاث وخمسين تجربة وكانت توزن عند انتهاء كل تجربة وتحاور مدة التجربة ساعتين كل يوم

وقد ظهر من هذه التجارب ان الفتاة كانت تنفق من جسمها وهي تعمل الاعمال الخفيفة كالجلوس والوقوف ٩ وحدات حرارية في الساعة زيادة عما كانت تنفقهُ وهي في حال الراحة . وانها تنفق ٥٠ وحدة حرارية في الساعة في الاعمال التي تستدعي تعباً كالغسل والكنس وتنظيف الارض زيادة لما كانت تنفقه في حال الراحة

***

من غرائب هذه التجارب انهم لما جاؤا الى تجربة الغسل أمرت الفتاة ان تجري حركات الغسل والكنس من دون استعمال الماء لان وجود البخار في الغرفة يوقع الخلل في القياس . ومثلها عند محاولتهم قياس ما تبذله المرأة من الطاقة عند العناية بطفل من حيث ارضاعه ثيابه وغسله . فانهم استكبروا وضع طفل رضيع معها في غرفة ضيقة حيفة ان يلمّ به مكروه فاستعاضوا عنه دمية تشبه في حجمها طفلاً محولاً اي ابن سنة . فظهر ان العناية بالطفل تقتضي زيادة انفاق الطاقة نصف ما تقتضيه أعمال الغسل والكنس أي ان الزيادة كانت ٢٣½ وحدة مقابل ٥٠ وحدة حرارية في الحالة الاخرى

وقد ذكر الاعمال العديدة التي يجب على المرأة عملها نذكر قول الشاعر : « الرجل يعمل من الشروق الى الغروب أما المرأة فعملها لا يفرغ »

بين طفل وعنكبة

[قطعة مختارة من الجزء الثاني من قصص ... للاطفال تأليف كامل كيلاني وينتظر ان يصدر ...

الطفل :

قد تأكل العنكبةُ العنكبا وتهلك الزنبارَ والعقربا
وكم بعوض في حبالاتها راح اسيراً يبتغي مهربا
فخدّرت بالسّم أعصابهُ وأنشبت — في جسمه — المخلبا

***

وقد يصيد الضفدع العنكبا كما تصيد البومة الأرنبا
وتهلك القطةُ فأراً ، ولا تبقي على فرخ صغير حبا
وقد ألفنا كلّ هذا ، فلم ندهش له ، مهما بدا مُغربا
لكنّ ما حيّر البابنا ان تأكل العنكبة العنكبا

العنكبة

ان تأكل العنكبةُ العنكبا أو تأكل الام ابنها الأنجبا
أو تأكل الآباء أبناءها أو تأكل الاخت أخاً أو أبا
أو تأكل الزوجات أزواجها فليس هذا حادثاً مُغربا
أما ترى الاسماك قد شابهت في اكل ما تنجبه — العنكبا
تلتهم الكبرى صغيراتها ويأكل الحوت ابنه الاقربا

***

وانتم الناس — على رشدكم — صرتم — لأمثال الاذى — مضربا
لم ترحموا طيراً على غصنه رتّل لحناً شائقاً معجبا
ولم تغيثوا بائساً معدما ولم تقيلوا عاثراً مذنبا
وكم اكلتم لحم اخوانكم ميتاً ، ولم ترعوهم غيبا
فلا تعيبونا بأدوائكم فقد غدا مَنْ عابنا أعيبا

كامل كيلاني

تنظيم حياة الطفل

مبادىء جوهرية [1]

هناك عاملان جوهريان لتكوين خلق الطفل

اولاً : — يجب ألا تكبت ميوله وغرائزه ، بل يطلق له كل حرية لتنميتها وتقويتها

(ثانياً) يجب أن تساس وترشد وتدرب على كل عمل صحي يساعد على نمو الطفل . فاذا تركت الميول حرة بغير قيد فان الطفل يصبح شهوانيًّا عنيداً ، واذا سحقت وتلاشت يصير عرضة لنقض عقلية ، واذا ضبطت وارشدت يصير رجلاً ذا خلق قوي الدعامة . والأخلاق المتينة هي ثمار تهذيب الطبيعة وضبط العواطف . أما اذا حبست هذه الميول الاولى عند ظهورها فالأخلاق وتشوّه ، كالقدم اذا وضعت في قالب فانها تفقد شكلها الطبيعي وتشوّهُ . واذا ما على الطفل حبنا وحمايتنا له في الطور الأول ، استولت عليهِ الكآبة وانقبض النفس نحو ليا) في حالة الكبر ، والطفل الذي تسحق ارادته ربما تنتابه نوبات مؤذية مثل الخوف من ل أو القلق . واذا حرم من العطف الابوي فانهُ قد يصاب بالهستريا أو الشلل أو الألم . اذا سحقت الأنانية فيهِ وانكر عليهِ استقلاله الذاتي فانهُ يصير انساناً جافًّا بغير ارادة أو

ومن ناحية اخرى اذا لم يوجد ضابط ورادع صار الطفل شهوانيًّا وظلّ على طوره الاول، طور الثاني يصير عنيداً لا يكبح جماحه ويكون ضحية لشهواته وأهوائه . وفي الطور الثالث سجيه الامزجة والاهواء وعبداً لارادة الآخرين. وأخيراً تتكون فيهِ صفات خاطئة واهواء كتسبها من الاوساط البذيئة . امثال هؤلاء الاولاد يصيرون مجرمين واشقياء

في هذه المقالة نريد ان نبين كيف انهُ لو اعطيت الحرية الحقيقية مع ضبط النفس فان هذه الاوا ة تظهر وتترعرع لانها المادة الخام التي منها تتكون وتنشأ الاخلاق . اما اذا كبتت ن عرضنا لامراض عصبية فاننا نفتقر الى الاخلاق افتقاراً شديداً

هم بعض المبادىء :

لا — تقوية روح الطاعة والاستسلام للوالدين

طفل خليق بالرعاية والعناية والعطف . انما الافراط في الحنان والتدليل يترك اثراً في النفس طفلا (حتى عندما يصير رجلاً) في تصرفاته واعماله اليومية ، ولا يقدر على مواجهة ت التي تصادفهُ ولا تحمل المسؤوليات التي تلقى على عاتقه . كما ان انكار مثل هذا العطف على

[1] وهو مقتبس من مقال مسهب كتبه الاستاذ هدفيلد استاذ علم النفس في كلية الملك بلندن ونقله ميلاد وكتابه الموسوم (اسرار الطفولة وخفايا الشباب)

الولد (اما لانه غير مرغوب فيهِ او لتفضيل آخر عليهِ) يبقى اثره في العقل الباطن وربما يؤدي الى كآبات مضنية عند ما يصبح رجلاً . واما تربية ميول الطاعة والثقة بالوالدين تربية صحيحة فانها تؤدي الى ميزات في الاخلاق ذات قيمة عظمى . وهذه الميول هي التي تتحول بعد حالة العناد الى حالة الايحاء ثم الى حالة الاستسلام . وهو ليس استسلاماً جثمانيًّا بل نزولاً على اهواء والديهِ وحكمهم العقلية وعندما يكبر يسر ويغتبط بلعبه مع الاولاد الآخرين وباشتراكه معهم في رغباتهم سواء خارج البيت او في المدرسة مع الرفاق . وبعد سن البلوغ يزج بنفسهِ في وسط الجماعة خاضعاً للقوى التي تربطها ماديًّا وادبيًّا

وعند ما يكبر فان هـذا الميل الاستسلامي يشعره بالنقص الذي لا يكمل الاَّ في محبة الغير وحياة الاسرة . وأخيراً يرشده الخضوع والاستسلام الى المثل العليا التي تشاد عليها دعائم الحياة الفاضلة كالولاء للحق وللانسانية وللدين . وما كل هذه الميول الاَّ ثمار الاستسلام الذي يعزي شعورنا بالضعف وحاجتنا الى الآخرين . ومما هو مشاهد في هذا الميل في الطور الاول انه أقوى قوامه حماية الذات أما الطور الثاني فيتخذ شكلاً آخر هو الغيرية . ولذا يجب أن نفهم ان خدمة التضحية وخدمة الغير في الطفل ليست نتيجة التدريب على الاستقلال الذاتي ، وانما هي اشباع للاستسلام والمحبة ، فاذا اهمل اشباع هـذه الميول في الطور الاول فلا تتاح لها الفرصة لتظهر الطور الثاني وعليهِ يبقى الطفل أنانيًّا

مثال لذلك ، أب لهُ ابن وحيد يريد أن يجعل منهُ رجـلاً . فانهُ بتربيته له تربية خائفة ومخاوفه واعتبارها خيالية لا صحة لها ، وانكاره عليه حتى العطف والمحبة والحماية التي هي من حقوقه الطبيعية ، يحرمه من الشعور بالطمأنينة وتتربى فيه صفات الخجل والخوف من الحياة ويتصف

أما الولد الذي تتغذى روحه بالاستقلال الذاتي وتتوافر ثقته بأبويه واستسلامه لهما فانه يجد هذه الثقة في حياته العملية عند ما يشب ، ويكون قادراً على مواجهة الصعوبات والمشاكل حتى

ثانياً — تنمية الميل الى ارضاء النفس

يؤول ارضاء النفس الى فرح والفرح الى سعادة لما يأتي : —

يبدأ اشباع النفس في الطفل في طوره الاول في النشاط والحركات الجثمانية مثل الرضاعة والهضم وازالة الضرورة وحركة أعضاء الجسد وبعـد ذلك — في اثناء تكوين الارادة — بفرح في التعبير الحر عن النزعات الغريزية ، المصارعة وحب الاستطلاع والبناء . وأما اشباع الى الحد المعقول في سني الطفولة الاولى فانه يصير شهوانيًّا عصبيًّا عند ما يكبر للانفعال ، ومع ذلك فان لاشباع الميول والمشاعر في الطفولة قيمة جوهرية ، لان في اشباع تكوين الوظائف الجسدية كالعادات وغيرها والفرح في النشاط الذي هو لذة الحياة . وكما ارضاء الحواس والمشاعر في دور الطفولة الاولى تنقضي ليحل محلها لذة التعبير عن العواطف

الدور الثاني ، فكذلك تتطور هذه الرغبة في السنة الثالثة أو الرابعة الى سعادة تتولد عن اتزان ل و تناسقه . والسعادة — وشتان بينها وبين اللذة — تنتج عن اداء مجموعة الوظائف كاملة وليس هذه العاطفة او تلك . هي ثمار الشخصية كلها عاملة بكل عواطفها وميولها الى الغرض أو المثل ي الذي تختاره النفس ومن الجهة الاخرى اذا ضغطنا على ميول الطفل وعواطفه واحساسه دناه اللوم والتعنيف نشأ في موقف الزاهد الكاره للحياة الذي لا يشعر بأية سعادة حقة . وفي ن الحالات يكبر طفل كهذا انساناً كئيباً مغموما لا يفعل شيئاً الا مدفوعا باداء الواجب ليس وأما في اسوأ الحالات فيكبر انساناً شاذاً شهوانيًّا ضالاً تسوقه تلك العواطف والميول بوة إلى الانغماس في الضلالات الجنسية

ثالثا — تنمية الارادة

يقصد بالارادة هنا طلب اشباع كل عاطفة غريزية ؛ مثال ذلك :

له اذا اراد الطفل الحصول على شيء فلا بد ان يناله ، واذا اراد رؤية شيء او عمل شيء ما فلا من تنفيذ فكرته ورغبته . ونحن نعلم حالة الطفل في السنتين الاولين . واذا كان عنيداً بطبيعته ه فقد يكون سبب يأس لكثيرين من الوالدين . ومع هذا كله فلا حاجة لليأس والفزع ، ولا يدعو الى معاملة الطفل بقسوة لا يستحقها ، لان هذه الحالة يتبعها الايحاء الذي يكون فيه مستعدًّا ن . وقبول رغبات والديه واهوائهم . والواجب في هذه الحالة ان يعامل الطفل بحزم وصبر مع البواعث والميول الطبيعية الفرص الكافية للتعبير عنها . واطلاق طفل كهذا على هواه معتدًّا بذاته عنيداً . وسحق ميوله يصيره عاصيا متمرداً ظاهراً او باطناً . وإنما الذي يفتقر ه تنمية ميوله ودوافعه القوية . واذا اراد ان يعمل عملا لا يليق فلا ينبغي ان تستعمل معهُ الهي كقولك « لا تعمل هذا او ذاك » لان هذه الطريقة تزيده رغبة في عمل الشيء ، بل تعلمهُ كيف يفعله فاذا اراد طفل في الثانية من عمره ان يستعمل سكيناً حادة علمه كيف ماذا تقطع شيئاً امامه في الصحن . واذا اراد ان يتسلق شجرة ليأخذ ثمراً منها نخذه الى شجرة سهلة تعلمها من التلف ودعه يتسلقها . ففي فعل ذلك اشباع لرغباته . ولو اراد اشعال ثقاب الكبريت ك . وعلى العموم دعه يعبر عن رغباته بشرط ان تعلمه الحيطة والحذر والتمييز بين المسموح ممنوع وبين الضار والنافع . وتكون انت في هذه الحالة قد تجنبت الخطر واعطيته فرصة دوافعه وميوله القوية

- يفعل اشياء لا نستحسنها كأن يضرب الارض برجليه في حالة غضب او يتلف لعبة اخيه او يلحق بهما ضرراً بدنيًّا . فلعلاج ذلك إبحث اولاً عما اذا كان محقا في ذلك او مخطئاً وربما ديعة تستحق ذلك . ولكن لنفرض أن ذلك شقاوة منهُ فكيف نطبق مبدأنا ؟ ان الطريقة لرفع الطفولة والصعود بها الى المستوى الاعلى انما تتأتى بطريقة اللعب . لان اللعب هو التعبير

الطبيعي لدوافع الطفل الذي سيتحول الى عمل جدي عندما يكبر . ان الطفل يريد اللعب وإكر
ربما يستعمل ميوله بشدة كما مثلنا قبلاً فعلينا ان نحولها الى اللعب . خذ لذلك مثلاً : اذا اراد الطفل
ان يعض اخته قل له : هاك الأسد — بدلاً من ان تقاصه — وتظاهر بالهرب من امامه . فانه
يتحول غضبه الى حالة اللعب . واذا نكث الارض برجله خذه من يده وارقص معهُ . واذا قاتل
أخوه للعب واللهو فتظاهر بالوقوع أمامه وامرح . وفي هذه الحالة تكون قد اعطيته
بالقوة فرصة للعب بدلاً من الكبح والضغط . ولكن لا بد لهذه القاعدة من شواذ
أن يحدد وقت نوم الطفل . وعند ما يحين ذلك الوقت يجب أن يترك اللعب ويذهب
ويستعمل معهُ الحزم والجد . وأيضاً في حالة نزول المطر الغزير لا يجب ان يخرج من
هذه الحالات وغيرها الصرامة والحزم والشدة لازمة لتربيته والأفان اللين والتساهل وعدم
تنشىء فيهِ عدم ضبط النفس وعدم الاذعان لارادتك ، لانهُ كما تكون أنت معه في
يكون هو في الكبر . وتكون ارادته من ارادتك . فلنكن على حذر مع أطفالنا

تعليم البنات في انكلترا

في سنة ١٩٠٢ كان عدد مدارس البنات التابعة لمجلس المعارف ٩٩ مدرسة وكان
مدارس سنة ١٩٢٥ وفي المدة عينها زاد عدد المدارس التي يتعلم فيها الذكور والاناث معاً
مدرسة الى ٣٦١ مدرسة وزاد عدد التلميذات من ٣٣١٥٩ تلميذة الى ١٧٣٢٧٣ تلميذة
امثال (والكلام هنا مصبوب على المدارس الثانوية)

***

أما تعليم الصبية والصبيان معاً فتلك مسألة لا تزال موضع نزاع ومثار جدل بين
فبعض المدارس التي يعلم فيها الجنسان قامت على اسس اقتصادية فقط في حين ان هناك
اخرى يعتقد المشرفون عليها اعتقاداً راسخاً في وجوب تعليم الجنسين معاً منذ نعومة اظفارهما
وعلى كل فان الشطر الاكبر من المعلمين والمعلمات ويشاركهم في ذلك معظم الشعب الانكليزي
على انهُ وان صلح تعليم الذكور والاناث معاً في سني دراستهم الاولى ، ثم بعد ذلك في الجامعة
فانهُ من مصلحة الجنسين معاً ان يعلم كل منها على انفراد في السنين تتخلل التعليم

[عن كتاب الانكليز في بلادهم

باب المراسلة والمناظرة

إرشاد لغوى

فى كل جزء كلمة

للأستاذ عبد الرحيم بن محمود

« لفيفٌ من الأمراض بزنة فُعَال »

أهـ ب بحضرات الأطباء فى الأقطار العربية أن يتحفّظوا الأسماء العربية للأمراض الآتية ... رادفها باللغات الافرنجية وأن يعملوا على إذاعتها بوسائل الإذاعة بمؤلفاتهم وبوصفاتهم ... وبمجلاتهم وبمحادثاتهم وبالصحف السيارة وبالمجلات ليحيوا أوطانهم العربية بإحياء لغتهم ... — والمجامع اللغوية تشدّ أزرنا وأزرهم كما تشدّ أزرها فلتتعاون جميعاً على إنماء لغتنا ألفاظنا ... من رمسها اذا أحسنّا التطبيق والمطابقة . ويعاوننى على بحثى هذا العلماء الأعلام مثل ابن ... الأندلسى «صاحب المخصص» والشيخ ابراهيم اليازجى «صاحب نجعة الرائد» والثعالبى «صاحب ... » وأخواى الاستاذان « عبد الفتاح الصعيدى وحسين يوسف موسى» (صاحبا الافصاح) ... للفيروزبادى وابن منظور والرافعى (وهما مصريان) والزمخشرىّ والجوهرى ثم البستانىّ ولويس ... حس همام الشويرى وهم سوريون وأصدقائى الأطباء مثل محمد عبد الحميد بك وسامى إلياس ... مشرق وإبراهيم ناجى فى القاهرة

... ﴿ مرض يمنع الانسان الحركة [1] وهذا المرض يعرفهُ الاطباء باللغة الانكليزية ... (Catalepsy)

... ﴿ وهو ورم حارّ في العضلات من جانب الحلقوم وتلك العضلات تساعد على بلع ... [2] أى خُرَاجة حول اللوزة وترجمتها الى الانكليزية (Peri-Tonsillar Abcess) وينطق ... ى تُنْسِلَرْ أبْسسْ

... ﴿ دود في البطن يصفرّ منهُ الوجه [3] وهو يُحدث الصَّفَر المعروف عند الاطباء باسم ...) والصفر أعدى من الحرْب — ويصيب المصريين في القرى كثيراً ولذلك بُنيت له المشافى ... القرى ومن الواجب أن نطلق على كل منها مستشفى الصَّفَر بدلاً من «مستشفى الانكلستوما»

... ونجعة الرائد للشيخ ابراهيم اليازجى السورى (٢) كما يؤخذ من معجم الطالب لخرخس همام الشويرى السورى ... ما يخرج بالجيم كالدمل وجمعه المكسر خراج بضم الخاء وفتح الراء فيهما وجمعه السالم خراجات (٣) كما ... المنجد للقس لويس معلوف السورى

﴿ العُطَاش ﴾ عرض [٤] يصيب الانسان فيشرب الماء فلا يُروى ويرادف هذا بالانكليز (ديبسومانيا Dypsomania) . ﴿ السُّلاَق ﴾ بثر صغير عند أصول اهداب العين تحمر الأجفان وتتقرح أشفارها [٥] ويرادف هذا كله بالانكليزية (Ulcerative-Blepherits)

﴿ الزُّحار ﴾ وهو المعروف عند المصريين والأطباء عامة باسم (دوسنتاريا) وقد أذاع ... الطبيب محمد عبد الحميد بك مدير مستشفى الملك وساعور [٦] جرّاحيه هذا اللفظ العربي في مؤلفاته الطبيّة منذ ثمان وعشرين سنة في صباح حياته الطبيّة حينما كان طبيب مستشفى قليوب

﴿ القُلاع ﴾ داء يصيب الانسان يتنفّط منه اللسان والشفتان وهذا الداء يعرف بالانكليزية بأسم (أفْث) « Aphthe »

﴿ الهُدام ﴾ دُوار البحر وهو داء يصيب مركز الجهاز العصبي فلا يعي الانسان كأنه ... عليه يصحبه قيء — وأكثر ما يصيب الذين يركبون البحر أول مرة أو الذين لا يكثرون من ...

﴿ الخُنَاق ﴾ داء يعسر منه نفوذ النفس إلى الرئة ويصيب الانسان وغيره كالابل ... المعروف بالدفتيريا . ﴿ الكُزاز ﴾ داء يصيب الانسان فيرعد حتى يموت وهو المعروف بالتتنوس Tetanus والعامة تقول عنه تتنوس

﴿ الجُحاف ﴾ مشي البطن عن تخمة وهذا اللفظ العربي المفرد يغني عن لفظتين عربيتين يحققان معناه وهما النزلة المعويّة وقد تحدث عن تخمة كما قال الطبيب النطاسي سامي ...

﴿ القُلاب ﴾ وجع القلب ويقال للطبيب المتوفر على علاجه طبيب قُلاَبي بضم القاف الطبيب القلابي أنيس سلامه ومثل الطبيب القلابي جرس جرجس الضبع بك

﴿ الكُباد ﴾ وجع الكبد . ﴿ الرُّعاف ﴾ دم يسيل من الأنف

هذا وأرجو أن نتعاون على إذاعة هذه الاسماء العربية بدلاً من الاسماء الافرنجية ... حتى تشتهر كما اشتهرت أسماء أخرى لأمراض مثل (الكُسَاح) و(السُّعال) و(السُّلال) و(الطـ... و (الجُذام) و (الطُّحال) و (النُّكاس) وهو معاودة المرض بعد البرء منه

﴿ توجيه ﴾ قال الرافعي المصري صاحب المصباح المنير (المرض حالة خارجة عن الطبيعة بالفعل ويعلم من هذا أن الآلام والأورام أعراض عن المرض ثم قال : قال الاصمعي : قرأت عمرو بن العلاء — في قلوبهم مَرض — فقال لي مرْض يا غُلام) بسكون الراء فعلى هذا يكون القلب بسكون الراء وغيره بالفتح ولكني أرى ان القراءتين متواترتان والفتح أكثر تواتراً ...

(٤) أخطأ اللغويون في جعل العطاش مرضاً أي داء . والصواب انه عرض كما يرى الطبيب النطاسي ... بالقاهرة فان العطاش يحدث من امراض — واني انتهز هذه النهزة فأقول ان كتبنا اللغوية في ... فني من الاطباء فيما يتعلق بالطب ومن النباتيين فيما يتعلق بالنبات ومن المعدنيين فيما يتعلق بالمعادن ... من معجم الطالب لجرجس همام الشويري (٦) ساعور يعدل اللفظ التركي البائد حكيم باشي كما قلنا في ... استعمل هذا اللفظ الامام أحمد فارس الشدياق في كتابه الساق على الساق ص ١٨ فقال « ان العمامة الضخمة الوجه الكبير وتشوه الوجه الصغير فضلاً عن كونها توجع الرأس وتمنع صعود الابخرة من مسامه كما نص عليه ...

مكتبة المقتطف

الانجليز في بلادهم

. الدكتور حافظ عفيفي باشا — طبع بمطبعة دار الكتب المصرية صفحاته ٤٦٧ قطع المقتطف — ثمنه اربعون قرشاً

المأثور ان اللورد بريس (Bryce) — وقد كان سفيراً لبريطانيا في وشنطن مدة طويلة — ل كتاب عن جمهورية الولايات المتحدة الاميركية ونظمها السياسية وحالتها الاجتماعية بوجهٍ ث أن من كان مثل بريس مفكراً عميق التفكير ، ومؤرخاً ينظر الى التاريخ وحوادثهِ سياسية وتطورها بعين الفيلسوف الاجتماعي ، وفي الوقت نفسه غريباً عن البلاد التي يكتب ا تربطه بها روابط اللغة والثقافة والفهم ، يستطيع ان ينظر الى حضارتها نظرة عميقة ومجردة ى في آنٍ واحد

لا يكون كتاب حافظ باشا عن الانكليز ، خير كتاب أُلّف فيهم ، ولكن الامر الذي الريب هو ان هذا الكتاب افضل كتاب عربي في موضوعه ، وجدير بأن يوضع الى جانب الغربية ، فيظهر عند المقابلة انها لا تبزُّه في شيءٍ في الناحية التي اخذ بها الموضوع . ولا بدع فقد قضى حافظ باشا سنوات وزيراً مفوّضاً للمملكة المصرية في بلاط سانت جيمس ، الانكليز مخالطة الصديق للصديق ، علاوة على مخالطة الوزير المفوّض لرجال الحكم في البلاد ملكه فيها . وهو الى هذا رجل كامل الثقافة ، واسع الاطلاع ، دقيق الملاحظة ، متوقد فرأى ان اجل خدمة يستطيع ان يؤديها لقومه ، الى جانب الدفاع عن مصالحهم في بلاد الانكليز ، ن رسول صداقة وفهم بين مصر وانكلترا . فأخرج كتابه هذا لقومهِ ليقرأوه وينفذوا من محاسنهِ الى نظم الانكليز ونفسيتهم وطبائعهم في الحياة العامة . وحبذا الحال لو اكمل هذا العمل بالاعراب عن ضمير مصر في كتاب انكليزي يطالعهُ الانكليز فيكون حلقة اخرى في صلة الصداقة بين الامتين

كتاب ستة ابواب حافلة بحقائق التاريخ المتصلة بتطور الحياة السياسية والتجارية والفكرية في ، وقد جمع شتاتها من ملاحظاته الدقيقة ومطالعاته الواسعة النطاق . فقد اشار سعادة في نهاية كتابه الى اكثر من ثلاثين كتاباً معظمها بالانكليزية وبعضها بالفرنسية ، طالعها في خلال دراستهِ للانجليز في بلادهم

لباب الاول موضوعهُ الدستور البريطاني وهو بحث جامع بين الوصف الحالي والعرض التاريخي

جمعاً متزناً . وعندنا ان هذا الفصل هو محك الكتاب . ومطالعتهُ تثبت ان المؤلف انما اتى
قليلة النظير . ذلك ان الدستور البريطاني ، لا يمكن ان يفهم الاّ اذا عولج من ناحيتي
والوصف في وقت واحد . فهو ليس دستوراً مكتوباً في وثيقة واحدة ، قائماً على قواعد
بل هو جانب من حياة الامة البريطانية في ناحية تدبير شؤونها العامة ، تسلسل معها على مر
وتطور بتطور حاجاتها وذهنيتها ومقتضيات العصر والحياة . فاذا حاول كاتب ان يقف
القاعدة في نظم بريطانيا هي كيت وكيت فقد تستغربها وقد تستهجنها وقد تستبعدها . و
ارفق قوله ، بذكر مراتب التطوُّر التي مرّت بها تلك القاعدة ، وصلة ذلك باحوال العصر
الدستور في نظرك شيئاً حيًّا ، واصبح لما تراهُ فيهِ من المفارقات مغزًى يعينك على الفهم

راجع صفحة ٤٨ وما يليها في موضوع « فصل السلطات » في الدستور البريطاني
المؤلف اولا الى ما كتبهُ مونتسكيو وبلاكستون في هذا الصدد وكيف اعتبر الدستور
احسن مثال لفصل السلطات في وقتها . ثم بيّن ان هذا المبدأ اخذ يضعف بنموّ مبدأ
الوزارية . ولذلك خالف « بايجهو » الفيلسوف منتسكيو في نظرية فصل السلطات وقال
ضعيفة في الدستور البريطاني الآن

خذ مثلاً استقلال القضاء عن السلطة التنفيذية . فقد اثبت ذلك سنة ١٧٠١ بقانون
استقلال القضاء معمول بهِ من ذلك التاريخ ولكن قانون سنة ١٧٠١ قانون عادي ويملك
تغييرهُ كما يملك اقالة اي قاضٍ من القضاة ولو انهُ لم يستعمل هذا الحق الى الآن . بل للبرلمان
قوانين مخالفة لاحكام المحاكم . ثم ان مجلس اللوردات وهو جزء من السلطة التشريعية هو
السلطة القضائية العليا في البلاد . ورئيس مجلس اللوردات هو رئيس الهيئة القضائية اي وزير
فهو اذن احد اعضاء الهيئة التنفيذية . او خذ موضوع صلة السلطة التنفيذية بالسلطة التشريعية
فقد اتجهت سياسة البرلمان الانجليزي في السنين الاخيرة ، نظراً الى كثرة اعماله وتشعب
الى تحويل جانبٍ من سلطتهِ التشريعية الى الوزارة وهو ما يسميه الانكليز « السلطة
Delegated Powers ثم بيّن المؤلف بعضاً من نواحي هذا التحويل وما يوجه اليهمن النقد
كيف اعطيت السلطة التنفيذية بعض السلطة القضائية مثل حق مصلحة الجمارك النظر
الخاصة بالتهريب . وهذه جميعها حقائق قد تربك القارىء وتشوش ذهنه ولكن اسمع
باشا عليها ، وتأمّل فيهِ تخرج من تشويش هذه الحقائق اتساقاً ييسّر لك الفهم : قال

« لهذه الاسباب يرى ان السلطات في بريطانيا ليست منفصلة انفصالاً تامًّا في الوقت
ولكنه ينبغي الالتفات الى ان ذلك الامتزاج التدريجي انما حصل تحت ضغط الحوادث
لا رغبة في العدول عن مبدإ فصل السلطات . والواقع انهُ لم يحصل الى الآن في انكلترا
سلطة على اخرى مع ان الباب مفتوح على مصراعيه لاعتداء كل سلطة على حقوق الاخرى

من جهة الى تلك الفضيلة البارزة في اخلاق الانكليز السياسية وهي الشعور بالواجب واحترام
ق الغير . ومن جهة اخرى الى استعداد رأي عام متيقظ لوضع الامور في نصابها . وقد كان
نتائج هذه المرونة في اساليب الانجليز السياسية ان زاد التعاون بين السلطات المختلفة وقلّت
ى من تعطيل المشروعات وتراكمها أمام مجلس العموم ومجلس اللوردات . كما هو حاصل
البلاد الدستورية الاخرى ، بعد ان صار لمجلس العموم الحق في ان يكل الى الوزارة تحت
عمل تشريع لاية مسألة فنية او مستعجلة . وان استمرار البريطانيين على احترام هذه التقاليد
ورية قد جعل من هذا الدستور العتيق آلة ديمقراطية على احدث طراز لانها دائمة الاصلاح
باستمرار بدقة وانتظام فلم تقف عن العمل في اي دور من ادوار حياتها »

وحبذا الحال لو اتسعت هذه الصفحات لبيان حسنات هذا الكتاب النفيس في ما تناوله من
الصحافة والتعليم والاعمال من وجوهها المختلفة . ولكننا سقنا ما تقدم مثالاً ناهضاً على
ت به صفحاته من الدراسات التاريخية والسياسية والاجتماعية التي نرى ان لا مندوحة لنا عن فهمها
نحن الشرقيين ، وقد اخذنا نتطلع الى النظم الديموقراطية الصحيحة لنبني على قواعدها حياتنا
ة الجديدة . وكتاب حافظ باشا في هذا الصدد دليلٌ هادٍ

اسرار الطفولة وخفايا الشباب

تأليف ميلاد كدواني — طبع بمطبعة المجلة الجديدة — ثمنه ٨ قروش
يطلب من المكاتب ومن المؤلف بالجامعة الاميركية بالقاهرة

ر في باب مملكة المرأة جانباً من فصل نفيس احتوى عليهِ هذا الكتاب المفيد . ولعلّ
كلمة تقدمهُ بها للوالدين والمدرسين ما قاله الدكتور امير بقطر في مقدمتهِ :— خيل اليَّ وأنا
هذا السفر الصغير انني اتلمس جوهر الحقيقة في دياجير اغواره كحجر الماس لا ينتقط الاّ في
المناجم . وهل في هذا ما يدعو الى الغرابة ؟ اليست الطفولة جبارة عتية ؟ اوليست الشبيبة
ة النواحي ، متشعبة المعارج ؟ وكيف يتسنى لامرىء ، درس الطبيعة الانسانية واختراق
اسرارها بغير ان تقطع عليهِ وعورتها السبيل ؟ . . . ان الموضوعات التي طرقها المؤلف في
السفر الصغير ان هي الاّ نظرة عجلى القاها على الطبيعة البشرية ، وليست الاّ جولات صغيرة
ن الطفولة ، والشبيبة . . . . فهي ترغّب من له اتصال بجماعات الاطفال والشبان في
في مثل هذه الابحاث ، واستيعاب بعض ما وصلت اليهِ الجهود العلمية من احدث النتائج
تطبيقاً علميًّا محمود العاقبة يتفق وطبيعة الافراد ، واختلاف نزعاتهم وميولهم . . . . »
ضوعات التي طرقها المؤلف عارضاً آراء علماءِ النفس فيها . الغيرة والبكاء واغلاط الاطفال
والتأديب واختلاط الجنسين وغير ذلك من الموضوعات التي تهمّ جميع المربين سواءٌ الوالدين
علمين

تاريخ الصحافة العراقية

معجم مفصل لجميع الصحف والمجلات والنشرات الدورية التي صدرت في العراق منذ مدحت باشا حتى اواخر سنة ١٩٣٣ . عني بتأليفه الاستاذ السيد عبد الرزاق الحسني ، صاحب المؤ والمباحث المعروفة في شؤون العراق .. وكتب مقدمته الاستاذ الفيكونت فيليب طراري ، كتاب « تاريخ الصحافة العربية » ووصف الكتاب ومؤلفه في هذه المقدمة فقال :

« اما الكتاب الذي نحن بصدده فهو خليق بالثناء من وجوه شتى ، لانهُ جمع بين دفتيه خ اخبار « صاحبة الجلالة العراقية » بدقة وافرة . وتضمن على صغر حجمه عناوين جميع الصح ابصرت النور في تلك المملكة الفتاة مع اسماء منشئيها ومكان طبعها وتواريخ صدورها »

وافتتح المؤلف كتابه ببيان ما لقيه من عقبات في سبيل بحثه لقلة المراجع واهمال ك واصحاب المطابع تدوين اسماء المطبوعات الدورية

ويؤخذ مما اوردهُ في مقدمته انه لم يكن في العراق قبل اعلان الدستور العثماني سنة ٠٨ ثلاث صحف كانت تنشرها الحكومة باللغتين التركية والعربية مرة في الاسبوع في كل من م الولايات الثلاث : بغداد ، والبصرة ، والموصل

فلما اعلن الدستور ، انتعشت الافكار وانتشرت الصحافة في الامبراطورية العثمانية انتش فكان العراق احد الاقطار التي شمَّ شذاها واقبل عليها اقبالاً كبيراً . فصدرت فيهِ خلا سنوات زهاء سبعين جريدة بين سياسية وادبية وهزلية

ثم ضيَّق الاتحاديون الخناق على الكاتبين والمحررين والمفكرين فقلَّ عدد الجرائد والمجلا

ولما استولى الانكليز على العراق اخذوا ينشرون في البلاد بعض الصحف التي تروِّ وتحسِّن للناس سياستهم . فاصدروا جرائد : الاوقات العراقية ، والاوقات البصرية و العرب ودار السلام في بغداد والموصل والنادي العلمي في الموصل ونجمه في كركو وبيشكوتن في السليمانية الخ الخ

وبلغ عدد المجلات التي صدرت في العراق قبل الحرب العامة ٢٠ مجلة والمجلات التي الحرب العامة الى نهاية سنة ١٩٣٣ — ٤٨ مجلة والصحف التي صدرت بعد الحرب وا جريدة بين ادبية وسياسية

والصحف التي صدرت بعد الحرب ١٤٤ منها ٦٠ جريدة اسبوعية و٨٤ ادبية . وا فيهِ من اجمال وابتعاد عن التفصيل لتاريخ الصحافة العراقية والمشتغلين بها والقوانين التي في الوزارات المختلفة ، يعد وثيقة لها قيمتها عند من يعنون بتاريخ الادب الحاضر والـ في انحاء العالم . وثمن النسخة من هذا الكتاب ٥٠ فلساً . ويطلب من مؤلفه و الاعتدال في النجف الاشرف تو

بحث في الطائفة الاسلامية في فنلندا

بقلم الدكتور بشر فارس

شر الدكتور بشر فارس في مجلة البحوث الاسلاميه الفرنسية بحثا حليلاً طريفاً عن الجماعة
مية في فنلندا لم يطرقه باحث عربي من قبل لذلك رات المجلة الفرنسية الكبرى نشر هذا
على حدة بعد نشره في صلبها فأصدرته بشكل كراسة هي التي نعالجها الآن

دأ الدكتور بشر فارس بحثه بذكر تاريخ هجرة المسلمين الى فنلندا فيقرر ان اصلهم من الاتراك
غادروا روسيا على اثر الثورة البولشفية وهاجروا الى الشمال فأقاموا في فنلندا وكانوا قبلاً
ن هذه البلاد لاتصالهم التجاري بها

يحصي الباحث عدد هؤلاء المسلمين الذين يبلغون ٦٤٨ اي نحو من ١٠٠ عائلة موزعة في
شرة مدينة وقد اعترف مجلس الشورى بتاريخ ٢٤ ابريل ١٩٢٥ بالطائفة الاسلامية رسميًّا .
الطائفة الاسلامية للشريعة القرآنية الكريمة في الاحوال الشخصية فالزواج مثلاً يعقده
والوفيات تسجل في دفاتره وما زال هؤلاء يعملون بالعادات الاسلامية كدفع المهر في الزواج
ان بعضهم قد يتزوج من نصرانية ولكن بنيهم يقيدون في دفتر المسلمين . ويدرس صغار
في فنلندا القرآن الشريف باللغة العربية ويطالعون تاريخ الاسلام وتاريخ تركيا على الاخص
تركية. اما اللغة العربية فلا يحسنون منها الاّ المبادىء الاولى والاّ التجويد . ولهم مدارس
ويقيم ادباؤهم المحاضرات بين حين وحين . وهم مثقفون بالثقافة التركية وملتفتون نحو
يحتفلون عيد استقلال تركيا ويعلقون رسم الغازي في منازلهم

في فنلندا ثلاثة مساجد وحيث لامسجد لهم يجتمع المؤمنون في دار احدهم لصلاة يوم الجمعة وليس
هناك سوى امام واحد مأجور من المسلمين وحيث لا امام يتولى الصلاة اعرفهم باصول الدين
في الاعياد الدينية ويوزع الاغنياء العطايا والحسنات على الفقراء . والصيام عندهم غير اجباري
في نيسان ويوليو الطويلة ولكن يصوم من يريد في شهر آخر

لم يحج مسلمو فنلندا الاّ واحد منهم . وتنعم المسلمة في فنلندا بالحرية نظير اختها الفنلندية
لا تراقص مثلاً فنلنديًّا وقد قال لي واحد : ان هذا الامر لن يطول

هذه التفاصيل القيمة يشرح الدكتور بشر احوال هذه الجماعة التي اكتشف مقرها وأبان
موقفها الرسمي ازاء الحكومة وقليلون الذين كانوا يعلمون ما كتبه الدكتور عنها . وفي
رسوم وصور الاسر الاسلامية ومدارس المسلمين واندیتهم الرياضية والاجتماعية
هذا البحث فضلاً ان صاحبه زار فنلندا بنفسه وخالط هذه الجماعة الكريمة ونزل بينها
ث ويدقق ويتفهم ولا شك ان كشف الدكتور هذه « المستعمرة الاسلامية » في اطراف

اوربا عمل جليل يستحق من اجله كل الشكر لانه سهل للمؤرخين الذين يعنون بشؤون الام مهامهم ووضع بين ايديهم وثيقة جديدة مكتوبة بصدق وامانة وعلم . وعلى ذكر ذلك نقول ان البحوث الاسلامية التي عنيت بنشر بحث الدكتور بشر فيها ثم بنشره على حدة هي لسان المستشرقين الفرنسيين يديرها حضرة المستشرق الكبير الاستاذ ماسينيون

قصص للاطفال

١ — قصص جغرافية — لكامل كيلاني — تولت طبعها ونشرها المكتبة العصرية بصيدا
٢ — قصص علمية — لكامل كيلاني —

الحمد لله اننا بدأنا نلمس اثر الجهود التي بذلها روّاد مطالعات الأطفال في ما تنشئه لهم العربية الآن من قصص منوعة الموضوعات والاشكال غرضها ان تبعث النشوة والسرور في نفوس الصغار وتحبب اليهم المطالعة العربية : ولا تزال كتب كامل كيلاني — وقد كان سبّاقاً في هذا الميدان — من خيرة ما تخرجه المطابع للاطفال ، شكلاً وموضوعاً واسلوباً ، وقد سبق ان اشرنا الى بعض ما صدر منها في حينه . وأمامنا الآن قصص جغرافية للأطفال وفيها يدعو لفنجستون الى قلب افريقيا . ومن حسنات المؤلف في هذه القصة ، انهُ عمد ، وقد تقدم به الأيام الذين طالعوا قصصه السابقة في المعرفة والفهم ، الى تقطيع حديث الرحلة الأخاذ بفصول قصيرة بديعة تناول فيها بعض الحقائق الجغرافية والتاريخية والأدبية المقترنة بالأنهر والجبال والشلالات وغيرها مما ورد ذكره في خلال القصة . وهو اسلوب مفيد اذا احسن المرء سبكه

أما كتاب القصص العلمية فيتناول فيهِ المؤلف حقائق معروفة ومشهورة ، وهي لا تخلو من غرابة ، في التاريخ الطبيعي من حياة الحيوان والنبات في اسلوب قصصي . وفي الكتاب معجم لغوي للالفاظ العربية الصحيحة الخاصة بنسل الحيوانات المختلفة واجناسها وقفهُ على حياة النحل ويليه الالفاظ العربية الخاصة بالنحل ثم هناك معجم آخر لاسماء الطير وهذه المعاجم مما يكفي المربي مؤونة التفتيش في المطوّلات ساعات طويلة احياناً وغيره في على كلمة واحدة

ومما لا ريب فيهِ ان لمؤلف هذه القصص فضلاً كبيراً على تنشئة الاطفال المتكلمين العربية ولذلك سرّنا صدور كتيب في ٩٥ صفحة يحتوي على ما قيل في حفلة تكريمه وعلى مختارات من الصحف والمجلات الكبيرة في وصف مؤلفاته . ولكننا والحق يقال لم نستحسن عنوان «عميد الادباء ومنشىء الجيل» . وليس شعورنا هذا مصبوباً على هذا العنوان بحد ذاته ولكنهُ بما كان من قبيله من اسباغ الالقاب العامة على المؤلفين والكتّاب بحيث اذا مضينا في ذلك سنة او سنتين ، اصبحنا وكل كاتب او اديب اميراً او نقيباً او ما الى ذلك من الالقاب التي لا تضيع معناها ومغزاها فتختلط الاحكام وتضطرب المقاييس

شعر ابي شادي الجديد

١ — فوق العباب
٢ — الكائن الثاني

اذا تثقف عقل الشاعر من دون أن تطغى الثقافة على الشعور الدقيق والحسّ المرهف ، خلا لهُ عجائب الكون والحياة صوراً تغذي العقل وتهزّ النفس معاً . وهذا شأن ابي شادي ، في الغالب من شعره الاخيرين . فالشاعر فيهما لم يكتف بترديد المعاني المطروقة في الغزل والمديح وغيرهما من اغراض الشعر ، ولكنهُ ارسل القوافي تبحث عن الجمال الاعلى في عجائب الحياة ورحاب الكون على نظرات العلمية الحديثة ، حتى لترى بين قصائد السفرين موضوعات تحسبها عنوانات لكتاب علمي . ولكن أبا شادي لم يكتف — وأي شاعر يكتفي — بسرد الحقائق العجيبة التي كشف عنها او تكشف عليها النظريات العلمية الحديثة ، بل دمج ذلك في الاعراب عما تركتهُ تلك المعاني في نفس الشاعرة من الاحساس بالجمال والعظمة والتصوف ومعاني الانسانية السامية ، ولعلّ قصيدة «شعلة الكونية» التي تفضل فأهداها الى رئيس تحرير هذه المجلة بعيد صدور كتابهِ «فتوحات العلم الحديث» من أبلغ الامثلة على ما ذكرنا . فقد أشار الى نظرية ملِيكِن في تولد هذه الاشعة بقولهِ

امن الخواء اتيت منح عناصرٍ ... تُبنى فكنت لها شهود عيانِ
ام من فناء الايدرجين تحوّلاً ... فيعود في النسترون ذاك الباني

لكن هذا التقرير لا يكفي الشاعر فيقول

من أين مصدرك الكريم الباني ... يا مأمل الأحياء والانسانِ
من نفخ خلاق الحياة فروحهُ ... روح الحياة وشعلة الايمانِ
ليست رحاب الكون غير رحابهِ ... والكون غير فتونهِ الفنّانِ
جعل التفجّر مبدأً لفنونهِ ... كتفجر الأطياف بالألوانِ
فاذا انبثاق الكون يوم اول (١) ... واذا المجرّة منهُ يوم ثانِ
واذا نظام الشمس يوم ثالث ... خلقتهُ صدفة ساحر فتّانِ (٢)
واذا الحياة قصيدة علوية ... من هذه الأيام والأوزانِ

ومن هذا القبيل قصيدتاه في بلوطو (السيار التاسع الجديد) وما وراء المجرّة
والثانية في الثانية عن السدم التي خارج المجرّة

عوالم لا تحصى ولا هي تعرف ... ويا ربما المجهول منها المعرّفُ

(١) هذه الاشارة الى رأي ليمتر وده ستر وغيرهما في تفجر الكون وتمدده (٢) الاشارة الى اقتراب شمس من شمسنا فيها مدًّا وان بعد احتمال اقتراب مثل هذا يجعل ما حدث من قبيل الاتفاق او الصدفة

تناهت تناهت في الفضاء الى مدًى يقصر عنهُ العالم المتلهّفُ
فما قنصتها بؤرة[1] العلم مرةً وان لم يفتها الشاعر المتصوّف
رأى من وراء الكون آيات غيره بخط من النور الالهي يخطف الخ
ثم قال تشتت هذا الكون حتى فضاؤه ومن خلفهِ عقل دقيق ومنصف
كأن رحاب الكون وجدان شاعر فكلّ فضاءٍ فيهِ حيٌّ مثقّفُ
وفيها «كونتات»[2] الحياة أجنةٌ وفيها من الذرات ما لا يؤلّف
ولكنما للشعر من لبناتها عوالم باللحن السماويّ تعزف

ولم يقصر الشاعر عنايته بهذه الموضوعات على الطبيعة والفلك الحديث بل تناول نواحي من التاريخ الطبيعي لا يتسع هذا الباب لدراستها جميعاً دراسة وافية . ومع ان الاندماج بين الحقائق العلمية والتعبير عن الشعور الذي توحي بهِ الى النفس لم يبلغ بعد ذروتهُ في هذا النوع من شعر ابي شادي ، الاّ ان الظاهرة في الشعر العربي جديدة تستوقف النظر فيسرنا أن نسجّ

نشأة الدولة الاسلامية

تأليف أمين سعيد . مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاهُ . سنة ١٩٣٥

التاريخ الاسلامي كله لا يزال مادةً مبعثرةً منشرة ما بين كتب التاريخ التي ألفها علماء الامناء على الرواية في غير تبديل ولا تحريف وبين كتب الحديث والادب والشعر والمحاضرة والفقهِ الاولى كالامّ للشافعي وكتب الرجال الكثيرة . هذا على ان أكثر كتب التاريخ العربي لم يعد ككتاب التاريخ الكبير للمسعودي صاحب مروج الذهب وهو اكبر من تاريخ الطبري لكنه تفصيل للحوادث الكبرى في تاريخ الاسلام ثم ان كثيراً من امهات الكتب العربية قد ضاع بعضه ككتاب أنساب الاشراف للبلاذري وغيره

أجملنا هذا لتعلم قدر ما يقاسيه طالب التاريخ وكاتبه من المشقة في تأليف مادة الحوادث يريد ان يجمعها ثم ينقدها ثم يؤلف بينها ثم يصل بين بعضها وبعض حتى يستوي له الوجه الذي عليه اعظم تاريخ واحفله وأروعه . ولا تنسَ ان مؤرخي العرب قد خفي عليهم ان يكتبوا مفردة في الاجتماع العربي والاسلامي من اول عهده الى عهودهم فعلى الكاتب ان يتتبع دلالة كلمة وحادثة من كتب اللغة الى كتب الفقه الى كتب التاريخ وغير ذلك حتى يكتب التاريخ لا كما يتخيّل

ونحن احوج الامم في هذا العصر الى الكتّاب الذين يتولون نشر الكتب في تاريخنا الا

(١) أي عدسة النظارة المقربة (٢) مقادير الطاقة بحسب نظرية بلانك

ربي ، فان كل كاتب يؤلف من المادة التي تجتمع له كتاباً مهذباً يؤدي الى كل من يأتي بعده يداً احساناً ، ويمهد له سبيلاً مهما اختلفت الآراء وتباعدت المذاهب بل ربما كان هذا الاختلاف هو د الحقيقة الثابتة فيه تنمو وتمتدُّ حتى تتكامل على الصورة البينة التي لا لبس فيها ولا ابهام

وهذا الكتاب الذي ألفه الاستاذ امين سعيد هو من طلائع المؤلفات الجيدة في التاريخ الاسلامي د رتبه فأحسن ترتيبه واستخلص من امهات كتب التاريخ مادته كما انتقاها واختارها وجرى فيه على ى غير مضطرب يصل اول الامر بآخره على نسق واحد متجنباً ذكر اختلاف الرواة لئلا يشق ك على القراء الذين يريدون ان يتعرفوا الى التاريخ الاسلامي كما تعرفوا الى غيره من التواريخ في اضطراب ولا مشقة

***

بدأ المؤلف تاريخه كما يجب ان يُبدأ بمختصر وافٍ لسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم زواته وبعوثهِ وما أحدثتهُ الدعوة الاسلامية في نفوس الامة العربية . ولم يخلُ هذا الباب في يرة النبوية من رأي صائب قد تفرد بهِ الاستاذ وأضافهُ الى الحقائق التي تعتمد فيما بعدُ في كتابة خ مفصل لهذا العهد الاول وهو عهد الرسالة

ثم ينقل من ذلك العهد بفصل جيد ذكر فيه تأثير وفاة الرسول صلى الله عليهِ وسلم في يرة العرب حتى كان اختيار أبي بكر الصديق رضي الله عنه للخلافة ، وهنا بدأت الطامة الكبرى كادت تودي بالمسلمين ألا وهي حرب الردة لولا حزم ابي بكر وعمرٍ وائمة الصحابة رضوان الله ، وقد استوفى المؤلف الكلام على حرب الردة وبين وقائعها واحدة واحدة وبخاصة ما اتى بهِ ن الوليد من دقة التدبير الحربي الذي أهله فيما بعد ليفتح العراق ثم الشام . وبعد ان غ من حرب الردة أزمع أبو بكر رضي الله عنهُ ان يفتح العراق فأرسل جيشه . وهنا يبدأ جزء من الكتاب هو فتح العراق وفارس استقصى فيه المؤلف ما وصل اليه من علاقة العرب بالفرس جاز جميل يوضح تاريخ هذا العهد بعض التوضيح . وقد كان قطب هذا الفتح القائد العربي ة (خالد بن الوليد) الذي مهد للمسلمين اسباب النبوغ الحربي ، وكان كما سماه رسول الله صلى الله وسلم (سيفاً من سيوف الله) وقد أحسن المؤلف في افراده ترجمة موجزة لخالد في هذا ع من الكتاب فان خالداً بعد ان استقرَّ به القرار وانذر كسرى فارس بالهجوم في موقعة فاصلة الى حرب الشام بجزء من جيشه بعد ان استخلف على بقية جيش العراق وذلك في خلافة عمر لخطاب امير المؤمنين رضي الله عنه . وعلى هذا النسق يستمر الاستاذ امين في عرض تاريخ الاسلام أصحيحا حتى آخر عهد عمر وقد كان عهده عهد الفتح الاكبر في دولة الخلفاء الراشدين

وينبه القارىء الى فصل جيد في آخر الكتاب فيه تلخيص أمهات المسائل التي تعرض لها المؤلف ق عليها « يساعد ايرادهُ على فهم كثير من حقائق التاريخ ويميط اللثام عن بعض خفاياهُ »

الادب العربي في آثار اعلامه

تأليف الاساتذة «فؤاد أفرام البستاني» و «واصف بارودي» و «خليل تقي الدين»

هـذا كتاب ألفه الاساتذة بعد تدبر وتمحيص لخير الطرق المؤدية الى تثقيف الطالب العربي وتعريفه بأدب امته، وقد وضع وفقاً لمنهاج البكالوريا اللبنانية فيهِ نصوص من الادب [illegible] للجاهلية وصدر الاسلام اي آخر دولة بني امية، وقد اختاروا في القسم الاول منهُ قصائد لامرئ [illegible] والنابغة وطرفة وزهير وعنترة ومن حسن الصنيع انهم اختاروا لهؤلاءِ الشعراء قصائد [illegible] ما كان لامرىء القيس من الفجور في القول، ثم اختاروا بعد ذلك قصائد في عصر [illegible] للاخطل والفرزدق وجرير وعمر بن أبي ربيعة من الشعراء وقد قسّموا ما اختاروه [illegible] الابواب المعروفة من المدائح والاوصاف والهجاء ثم اختاروا من النثر في هذا العصر [illegible] الحجاج ورسائل عبد الحميد الكاتب

ولقد احسن الاساتذة كل الاحسان في اختيار هذه الطريقة لتدريس الادب العربي في مدارسهم فان الشاعر من الشعراءِ لا يجدي في معرفتهِ بيتٌ او بيتان وانما يعرف الشاعرُ حين تقرأ قصائده بأكملها على وجهها مشروحة مفصّلة فحين ذاك يرجى ان يقدر الشاعر ويفهم شعره ثم يرجى [illegible] فطرة الطالب على السليقة العربية في التعبير الدقيق عن الاغراض التي يتناولها حين يكتب او ينظم

من حيٍّ الى ميت

بقلم توفيق حسن نادر الشرتوني، طبع بمطبعة المعرض ببيروت، ١٤٦ صفحة من قطع المقتطف

هذا الكتاب، احساسات نفسية وخواطر وتأملات في الحياة والموت، في الدنيا والآخرة جاشت بنفس مؤلفه على اثر صدمة عنيفة هي مصابه بفقد اخيه طانيوس حسن [illegible] فأرسلها قطعاً من الشعر المنثور في اسلوب رقيق يلونه الاسى بلون من التأمل والتفكر [illegible] عليه لوعة المؤلف ووفاؤه لاخيه حناناً وهدوءاً يشعر بهما من يطالع هذه الرسائل كقوله: «يا [illegible] يخيّل اليَّ ان الانفس سواء اكانت محرَّرة من المادة او مقيَّدة بها تعمل على الدوام مجدَّة [illegible] وكمالها تعثر تارة وتنهض احياناً ولا تنفك متجهة نحو غايتها، وما غايتها سوى رجوعها [illegible] لانها فرع وكل فرع يعود الى اصله. فكما يحمل السحاب مياه البحر ويقذفها فوق الجبال [illegible] والاودية ثم تعود المياه بحكم طبيعتها الى البحر، هكذا الى مصدر الروح ترجع الروح [illegible] الحياة ترجع الحياة. اني اتمثل النفس كالكهرباء تشتغل مقيدة وبلا قيد. وكالرائحة العطرية [illegible] في الفضاء وفي قلب الزهرة على السواء. فكما ان الارض لا تهدأ دورتها والكهارب لا تقف [illegible] هكذا الانفس لا يبطل عملها، وجمال الحياة العمل»

مفتاح العقول

انشأه وجمعه واختصر اجاته — نجيب نجم كرم — طبع في بيروت [illegible]

حوى هذا الكتاب طائفة مختارة من حقائق العلوم والتاريخ والاجتماع [illegible] مأثورة مفرغة في قالب شذور طريفة يسهل تناولها على طالب العلم الناشئ [illegible] من جهة وتوسع نطاق معارفه من جهة اخرى . والشذرة من هذه الشذور لا تتعدى في [illegible] عشرة اسطر ولكن كل كلمة في كل سطر منها لازمة لاستيفاء المعنى . فهي مثال [illegible] المقصود والايجاز في التعبير عنهُ . فتحنا الكتاب اتفاقاً عند الصفحة العاشرة فقرأنا [illegible] بعنوان « الكوبلت » : — الكوبلت معدن ابيض يضرب الى الحمرة سريع الانتصاف يقبل التطرُّق [illegible] لا يصهر الاّ بحرارة شديدة جدًّا ولا تفعل بهِ الحوامض [illegible] ويذوب في [illegible] التتريك بسرعة ولهُ مركبات كثيرة تستعمل في الصناعات لاجل [illegible] يوجد في [illegible] مختلطاً بالنكل الآتي ذكره وبالكبريت والزرنيخ . وفتحناه عند الصفحة ١٥ فوجدنا نبذة عن عظم عظماء العالم كما اختارهم احد الكتّاب وهم ارسطو في الفلسفة وارخميدس في العلم ونيوتن في [illegible] ومبخائيل انجلو في التصوير والنقش وبيتوفن في الموسيقى ودانتي وشكسبير في الشعر ثم [illegible] سطور عن كل منهم تشمل اهم ما عرف عنهم . فالكتاب من اصلح كتب المختارات التي اطلعنا [illegible] بها لمطالعة تلاميذ المدارس

مجلة اوريان — باريس

اصدر حضرة الصحفي البارع توفيق وهبه مراسل المقطم في باريس مجلة باللغة الفرنسية سمّاها [illegible] باريس وفقها لخدمة الشرق في اوربا واظهار فضائله ونشر ثقافته وتعميم [illegible] حضارته القديمة [illegible] الحديثة . ويعاونهُ في تحريرها نخبة من كتاب الغرب الذين وقفوا على روح الشرق ونفذوا [illegible] في دراساتهم عنه خلافاً لاولئك الكتاب الذين المّوا به الماماً [illegible] احكامهم مغلوطة [illegible] . ومن محرري هذه المجلة الراقية المطبوعة طبعاً جميلاً بعض وزراء فرنسا ونوابها وشيوخها مما [illegible] لها مكانة عالية في الاوساط السياسية والادبية

ويروقك فيها تنوع موضوعاتها ودقة بحوثها كما يستفزك منها حسن دفاعها عن الشرق وبلاؤها [illegible] الغرب وتمجيدها لحضارتهم السالفة وتنبيهها الغربيين لوجوب معاملة الشرقيين معاملة حسنة [illegible] حسن التفاهم بين الجانبين . ومن موضوعاتها الاخيرة . وزارة نسيم باشا والسياسة المصرية . [illegible] المسلمة وكتاب الغرب . الوفد المصري . تاريخ الصحافة المصرية . الحروف العبرانية . لمحة [illegible] تاريخ جامع باريس . الفن المصري في فرنسا . الكتب العربية . الشرق قديماً وحاضراً . ابن [illegible] والوهابية الخ . والخلاصة ان هذه المجلة رمز الذوق الصحفي والاطلاع العام والاندفاع [illegible] والوطنية الصادقة الحكيمة

باب الأخبار العلمية

انباء زراعية مفيدة

[نقلها عوض جندي]

﴿ آفة الصدإ ﴾ تنتاب الحبوب طائفة من النباتات الطفيلية الدقيقة ، من فصيلة الفطريات فتحدث في محصولاتها عجزاً كبيراً . وأخص الحبوب التي تصاب بها ، القمح والزمير والشعير وقد ينجم عنها أيضاً آفات شديدة في الجويدار والفول والبرسيم والذرة المصرية والذرة العويجة «الدخن» وبعض الثمار ذات العجم «النوى» وتسطو على الخشب عند قطعه من الغاب فتحدث فيه تلفاً شديداً

ولا مراء في القول ان آفتي الصدإ والخميرة قد عمتا العالم بأسره . وهما تتولدان من جراثيم على هيئة أجسام ترابية دقيقة جداً لا تراها العيون المجردة ، وانما يتاح للمرء رؤيتها بالمجهر. وتتغذى جراثيم صدإ القمح ، في اطوارها المختلفة بصنفين من النبات يسميهما علماء النبات بالنباتات الآوية للجراثيم . ومنها الحنطة والبرباريس

ولو فحصت ورقة من اوراق البرباريس لوجدت جانبها السفلي يكنُّ جماعة من جراثيم برتقالية اللون ، تختفي في شقوق صغيرة يسميها علماء النبات كؤوس العناقيد . ولما كانت تلك الجراثيم أخف من ذرات العثير ، فتستطيع الريح نقلها ، شذر مذر الى مواضع [illegible] تسقط على سيقان القمح وهي غضة [illegible] هناك بين الخلايا الحية وتشرع [illegible] فتنتج جماعات خيطية الشكل تعرف باسم الفطر وهي تشبه البذور . ومتى [illegible] الجراثيم سيقان الحنطة واتخذتها مراعي لها، رأيت هاتيك الخويطات (الديدان) تترعرع بينما نبات القمح [illegible] الطبيعي ويذوى . ثم يظهر محصول الصيفي ، قبيل زمن الحصاد كأنه [illegible] نقط صدإ . وذلك على اوراق القمح [illegible] تظهر على سوقه أيضاً . وهذا هو [illegible] المعروف باسم الصدإ الاحمر للقمح . [illegible] الريح تبثُّ تلك الجراثيم في كل مكان فانها [illegible] ما يصادفها من النباتات المتاخمة لها [illegible] في التفريخ عاجلاً وتتفشى عدواها [illegible] في ابان فصل النمو ، حتى اذا اوشك [illegible] على الانتهاء ظهر الصدأ الاسود [illegible] كجماعات من جراثيم الشتاء القائمة [illegible]

ومتى حلَّ فصل الربيع الثاني [illegible] الجراثيم في التفريخ فيتولد منها [illegible] جراثيم اكثر عدداً تطيرها الريح

ات البراريس وهي مستعدة على الدوام
ستئناف كرّتها القتالة

﴿ آفة الخميرة ﴾ تتولد خميرة القمح والزمير
عير من تلك التقاوي بجراثيمها عند بذرها
ي تلك الفطريات تسطو على النباتات الصغيرة
تنبت على سطح الارض وتتبعها في نموها
تلس غذاءها فتحول دون قيامها بتكوين
رها . وحينئذٍ ترى النبات عاجزاً وتأوى
جماعات كثيرة من جراثيم الخميرة الملوثة
مد بالملايين فتتحد بعضها ببعض وتعلق
ب السليمة عنـد عمليتي درس القمح
رف فيهِ وهذا مصدر الضرر الذي يلحق
يل التالي

ا خميرة الذرة الهندية فيختلف منشؤها
دم وصفه لانها لا تتولد من التقاوي
بل من الجراثيم نفسها التي تكون قـد
عليها فصل الشتاء كامنة اما في باطن التربة
السماد التي تسمد بهِ الارض . ومتى حل
بيع انتجت تلك الجراثيم جراثيم اخرى
الريح في ارجاء الحقول حيث تتخلل
الغضة . وهناك تتكون نوامي كأنها
رة يسودُّ لونها شيئاً فشيئاً حتى تتولد
الخميرة »

صناف الخمائر النباتية ﴿ تنقسم الخمائر
ثلاثة اقسام وهي : اللينـة والخفية
اللينة تجعل السنابل الصغيرة مثل كتلة
، تعبث بها الريح فتبعثرها وتترك
بردة . اما الخميرة الخفية فتؤثر في
سكنها تبقيها على سيقانها حتى زمن
الحصاد — والخميرة الجلية تؤثر في جنين القمح وهي افتك الآفات التي تعتري القمح لانها قد تتلف نصف محصوله ، وتجعل رائحتهُ كرائحة السمك المتعن ويعلق خبراء الزراعة آمالاً وطيدة على وقاية المحصولات من آفة الصدا باستبدال اصناف جديدة من الحبوب تقوى على مناوأة الفطر

وقد يساعد تناوب المحصولات على علاج التربة المصابة بالصدأ كما ان فرط الازوت او الرطوبة يسهل التعرض للاصابة به . وثبت من التجارب التي جربها العلماء في هذا الموضوع ان بيئة البراريس ليست من مستلزمات الاصابة بالصدإ على الدوام ولكنها تزيد انتشار الطفيليات

ويرى العارفون ان آفة الخمائر ايسر من آفة الصدأ استئصالاً بالوسائل العلمية الحديثة المستعملة لوقاية المزروعات . وسبب ذلك ان جراثيم الخميرة تتعلق بظواهر الحبوب فتسهل ابادتها بالمواد المطهرة قبل البذر ، وذلك بثلاث وسائل : وهي الماء السخن ، والفورمالدهيد ، وكبريتات النحاس

ثم ان البذر المبكر احتياط مفيد للوقاية من آفتي الخميرة والصدأ

﴿ الطلق يبيد خميرة الشعير ﴾ الطلق هو المادة الاساسية التي تدخل في صناعة الذرور — البودرة . وقد ظهر بالامتحان الذي قام به معهد التجارب الزراعية التابع لحكومة آيوا ان للطلق شأناً عظيماً في ميدان مكافحة الآفات الزراعية كالذي له في ميدان التبرج الصناعي اذ جعلوه قواماً لمسحوق سام مكوّن من بيكربونات الصـودا وكبريتيت الصوديوم وغيرها من المواد الكيميائية

الجزء الخامس من المجلد السادس والثمانين

صفحة
٥٠٩ الطبيعة في ربع قرن
٥١٣ من أندية العلم
٥١٦ نشأة الفن الاسلامي : لاحمد فكري
٥٢٠ احتضار الغرب : لعلي حسن الهاكم
٥٢٧ تاريخ الديموقراطية في الصحة والعلاج : للدكتور محمد خليل عبد الخالق بك
٥٣٣ الفاظ التصنيف في الحيوانات الدنيا : للامير مصطفى الشهابي
٥٣٩ كفاح الانسان ضد المرض
٥٤٨ الزمكان : لنقولا الحداد
٥٥٤ الغفران (نشيد) : لالياس ابو شبكة
٥٥٧ بنيون الفنان : للدكتور احمد زكي ابو شادي
٥٦٦ اعظم الرحلات الجوية
٥٦٩ مفردات النبات : لمحمود مصطفى الدمياطي
٥٧٣ التربية والتعليم عند قدماء المصريين : للدكتور حسن كمال
٥٨١ الديمقراطية والتعليم : للدكتور امير بقطر
٥٨٥ انطاكية وآثارها الفخمة : لنقولا شكري
٥٩٢ حُبُّ الام في انابيب التجارب العلمية
٥٩٣ باب سير الزمان : روح اليابان ورسالتها : للجنرال اراكي. ستانلي بولدون : صورة
٦٠٣ باب حديقة المقتطف : المساكين : لفكتور هوغو . الفتاة الاجنبية : للدكتور فارس . الدمعة : لالياس زعرور . الخريف : لالفونس دي لامرتين
٦٠٩ باب مملكة المرأة : في معرض ايمي نمر : للدكتور ابو شادي . الصحة والزواج . امتحان . هواجس فتاة جميلة . نصيحة لفتاة تخشى الحياة . الاعمال المنزلية . بيت وعنكبة . تنظيم حياة الطفل . تعليم البنات في انكلترا
٦٢١ باب المراسلة والمناظرة : ارشاد لغوي : للاستاذ عبد الرحيم بن محمود
٦٢٣ مكتبة المقتطف * الانجليز في بلادهم. اسرار الطفولة . تاريخ الصحافة العراقية . الطائفة الدرزية في فنلندا . قصص للاطفال . شعر ابي شادي الجديد . نشأة الدولة الاسلامية . الادب في آثار اعلامه . من حي الى ميت . مفتاح العقول . مجلة اوريان باريس
٦٣٤ الاخبار العلمية * أنباء زراعية مفيدة : لفوزي جندي

التي [illegible] الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة بمصر

ص	
٣	القاموس العصري انكليزي عربي (طبعة ثانية)
٧	« « « « (طبعة ثالثة)
٧	« « عربي انكليزي (طبعة ثانية)
٣	« المدرسي عربي انكليزي وبالعكس
٣	قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس
٢	« « عربي انكليزي فقط
١	« « انكليزي عربي فقط
٧	« سقراط سبيرو عربي انكليزي (باللفظ)
٥	« « « انكليزي عربي (باللفظ)
١٠	« « « « « وبالعكس
١	التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطول)
١	الهدية السنية لطلاب اللغة الانكليزية (باللفظ)
	الف كلمة الماني (لتعليم الالمانية بسهولة)
	في اوقات الفراغ (للدكتور محمد حسين هيكل بك)
	عشرة ايام في السودان « « «
	مراجعات في الادب والفنون للاستاذ عباس العقاد
	روح الاشتراكية (لغوستاف لوبون) وترجمة (الاستاذ محمد عادل زعيتر)
	روح السياسة « «
	الاراء والمعتقدات « «
	اصول الحقوق الدستورية « «
	الحضارة المصرية (لغوستاف لوبون)
	حضارة مصر الحديثة (تأليف كبار رجال مصر)
	الحركة الاشتراكية (رمسي مكدونلد)
	ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء
	اليوم والغد (الاستاذ سلامه موسى)
	مختارات « « «
	نظرية التطور وأصل الانسان « «
	اناتول فرانس في مباذله، للامير شكيب ارسلان
	الدنيا في اميركا (للاستاذ امير بقطر)
	المرأة الحديثة وكيف نسوسها (عبدالله حسين)
	ريمه سلفستر بونار (اناتول فرانس)
	المرأة بين الماضي والحاضر
	مركز المرأة في شريعتي موسى وحمورابي
	صاد الهشيم (للاستاذ ابرهيم عبدالقادر المازني)
	ض الريح (« « « « «)
	سمات وزوابع شعر منثور مصور
	سائل غرام جديدة (سليم عبدالواحد)
	ربال في الادب العصري (ميخائيل نعيمة)
	ايات الاطفال، اول (مصور بالالوان)
	« « ثان « «
	« « ثالث « «
	كرة الكاتب طبعة [illegible] داغر
	رية افلاطون (للاستاذ [illegible])
	اقي النجاح (الارشـ[illegible])
	الهدلية (مور[illegible])

ص	
١٠	التربية الاجتماعية (للاستاذ علي فكري)
٥	خواطر حمار (للاستاذ الجمل)
٥	التعليم والصحة للدكتور محمد بك عبد الحميد
١٥	الحب والزواج (للاستاذ نقولا حداد)
١٥	ذكراً وانثى خلقهم « « «
٥٠	علم الاجتماع (جزآن كبيران) « «
١٥	اسرار الحياة الزوجية « «
٣٠	الامراض التناسلية وعلاجها للدكتور فخري
٢٠	المرأة وفلسفة التناسليات « «
٢٠	الضعف التناسلي في الذكور والاناث «
١٥	الزنبقة الحمراء (للاستاذ احمد الصاوي محمد)
١٠	تاييس « « « «
٥	مكايد الحب في قصور الملوك (اسعد خليل داغر)
١٠	القصص العصرية (٨٠ قصة كبيرة مصورة)
١٠	مسارح الاذهان (٣٥ قصة كبيرة مصورة)
١٢	رواية اهوال الاستبداد، مصورة
١٠	« فاتنة المهدي، او استعادة السودان
٨	« الانتقام العذب (اسعد خليل داغر)
٥	« فقر وعفاف (للاستاذ احمد رأفت)
١٢	« باريزيت، مصورة (توفيق عبد الله)
١٢	« غرام الراهب او الساحرة المجدورة
٧٥	« روكامبول، ١٧ جزء (طانيوس عبده)
٢٥	« ام روكامبول، ٥ اجزاء «
٢٠	« باردليان، ٣ اجزاء «
٢٠	« الملكة ايزابو، اجزاء «
٢٠	« الاميرة فوستا، جزآن «
٢٠	« عشاق فنيسيا، جزآن «
١٦	« الساحر العظيم، اجزاء «
١٦	« كابيتان، جزآن «
١٦	« الوصية الحمراء، جزآن «
١٦	« بائعة الخبز «
١٢	« فلمبرج، جزآن «
١٠	« فارس الملك «
١٠	« ضحايا الانتقام «
٨	« المرأة المفترسة «
٥	« المتنكرة الحسناء «
٥	« مروضة الاسود «
٥	« شهداء الاخلاص «
١٦	« دار العجائب جزآن (نقولا رزق الله)
١٠	« فرنسوا الاول « «
١٠	« الجنون فنون « «
٨	« حورية « «
٨	« الغلامان الطريدان « «
١٢	يسوع ابن الانسان (جبران خليل جبران)
٨	[illegible] (« « «)
	[illegible] (« « «)

وكلاء المقتطف ومحلات الاشتراك

في القاهرة ادارة المقتطف بشارع القاصد رقم ١ —	بباب اللوق
في الاسكندرية والبحيرة والشرقية مصطفى افندي سلامه	في دمنهور
في القليوبية والمنوفية مصطفى افندي سلامة	في دمنهور
في الغربية والدقهلية والمحافظات مصطفى افندي سلامه	في طنطا
في الفيوم — الشيخ محمود مليجي	بالفيوم
في المنيا — ابو الليل افندي راشد	في المنيا
في اسيوط — تامر افندى سيف	باسيوط
في جرجا — الشيخ عبد الهادي احمد	في طهطا
في بيروت — سوريا — جورج افندي عبود الاشقر	ص.ب. رقم ٩٢٩
في طرابلس الشام	عبد الله الياس حصني
في دمشق — المهاجرين	الاستاذ عمر افندي الطيبي
في شرقي الاردن — عمان	فهمي افندي يوسف
في القدس الشريف ويافا وحيفا	الخواجات بولس سعيد ووديع سعيد
	اصحاب مكتبة فلسطين العلمية
في حمص — سورية —	الخوري عيسى سعد
في الناصرة فلسطين	فريد عوده زعمط
في حلب — شارع السويقة — السيد عبد الودود الكيالي صاحب المكتبة العصرية	
في صيدا	نقولا افندي حريصي داغر — صيدلية الهلال
في حماه	السيد طاهر افندي النعساني

في البرازيل

Snr. Miguel N. Farah
Caixa Postal 1393
Sao Paulo Brazil

في الارجنتين

Sr. Fuad Ribeiz
Cordoba 499
Buenos Aires, Rep. Argentina

في الولايات المتحدة والمكسيك وكندا وكوبا

Mr. N. Arida
c/o Al-Hoda
55 Washington St.
New York. U. S. A.

مجلدات المقتطف

المقتطف مجلة تقرأها اليوم وترجع اليها في المستقبل — ولا ادلّ على ذلك من مطالعة مجلداتها السابقة

كل مجلد تاريخ وافٍ للسنة التي صدر فيها. فيه وصف المستنبطات التي استنبطت والمكتشفات التي اكتشفت واشهر حوادث التاريخ وسير اعظم الرجال وآراء اكبر العلماء — وكل ذلك بكلام بليغ قريب التناول وصور كثيرة وتحقيق وتمحيص اشتهر بهما المقتطف مع مقالات كثيرة في مواضيع شتى علمية وادبية وفلسفية

فاذا كنت ممن يعنون بالنهضة الشرقية الحديثة — اذا اردت ان تطلع على ارتقاء الحضارة الغربية في الثمانية والخمسين السنة الماضية — اذا اردت تاريخاً وافياً لسير العمران منذ اكثر من نصف قرن الى الآن

فيجب الاّ تخلو مكتبتك من مجلدات المقتطف وهي تباع مفردة او مجموعة واثمانها ترسل لمن يطلبها

الى محبي المطالعة

طلب الينا كثيرون من قراء المقتطف ان نتساهل معهم في بيع سنوات المقتطف القديمة فنزولا على ارادتهم قررت ادارة المقتطف بيع بعض سنوات المقتطف القديمة بثمن ٢٥ قرشاً يضاف اليها اجرة البريد وهي السنة عشرة اعداد »

فمن يرغب في اقتناء بعض هذه السنوات فليرسل طلبه مصحوباً بالقيمة

ادارة المقتطف بمصر

الاصلاح

مجلة تثقيفية علمية

تصدر مرة في الشهر في بونس ايرس عاصمة الارجنتين

لصاحبها ومنشئها الدكتور جورج صوايا

عنوانها شارع سان مرتين ٦٤٠ بونس ايرس

مجلة الشرق

ادبية سياسية مصورة

انشئت للدعاية عن الشؤون البرازيلية وما في النزلاء الشرقيين في البرازيل تصدر باللغة العربية مرتين في الشهر — صاحبها ومحررها الاستاذ موسى كريم ويشترك بتحريرها طائفة من اكبر ادباء العربية في البرازيل وبدل اشتراكها ٢٤٠ فرشاً صاغاً وعنوانها Journal Oriente .

Caixa Postal 1402,Sao Paulo , Brazil

الجريدة السورية اللبنانية

الجريدة الرسمية للنزالة العربية في الارجنتين

تصدر صباح كل يوم من ١٦ صفحة

باللغتين العربية والاسبانية

مديرها ورئيس تحريرها : موسى يوسف عزيزة

يحرر فيها نخبة من حملة الاقلام الحرة

عنوانها :

EL DIARIO SIRIOLIBANES

Reconquista 339

Buenes Aires Rep. Argentina.

معمل تحليل وديع شواديني

كيماوي اسبتالية الدكتور ملتون بمصر سابقاً . متخرج من جامعة الطب الاميركية وجامعة استامبول بشارع جلال باشا رقم ٦ تجاه تياترو الكسار بشارع عماد

يعلن انه اعاد فتح معمله لتحليل البول كيماوياً ومكروسكوبياً وفحص المني والمادة ولبن الرضاعة وجميع مكروبات الامراض بغاية الدقة وبأسرع الكيماوية مع المهاودة الواجبة تليفون ٣٣٠

مجلدات المقتطف

المقتطف مجلة تقرأها اليوم وترجع اليها في المستقبل — ولا ادلّ على ذلك من مطالعة مجلداتها السابقة

كل مجلد تاريخ وافٍ للسنة التي صدر فيها. فيه وصف المستنبطات التي استنبطت والمكتشفات التي اكتشفت واشهر حوادث التاريخ وسير اعظم الرجال وآراء اكبر العلماء — وكل ذلك بكلام بليغ قريب التناول وصور كثيرة وتحقيق وتمحيص اشتهر بهما المقتطف مع مقالات كثيرة في مواضيع شتى علمية وادبية وفلسفية

فاذا كنت ممن يعنون بالنهضة الشرقية الحديثة — اذا اردت ان تطلع على ارتقاء الحضارة الغربية في الثمانية والخمسين السنة الماضية — اذا اردت تاريخاً وافياً لسير العمران منذ اكثر من نصف قرن الى الآن

فيجب الاّ تخلو مكتبتك من مجلدات المقتطف وهي تباع مفردة او مجموعة واثمانها ترسل لمن يطلبها

الى محبي المطالعة

طلب الينا كثيرون من قراء المقتطف ان نتساهل معهم في بيع سنوات المقتطف القديمة فنزولا على ارادتهم قررت ادارة المقتطف بيع بعض سنوات المقتطف القديمة بثمن ٢٥ قرشاً يضاف اليها اجرة البريد وهي السنة عشرة اعداد

فمن يرغب في اقتناء بعض هذه السنوات فليرسل طلبه مصحوباً بالقيمة

ادارة المقتطف بمصر

الاصلاح

مجلة تثقيفية علمية

تصدر مرة في الشهر في بونس ايرس عاصمة الارجنتين

لصاحبها ومنشئها الدكتور جورج صوايا

عنوانها شارع سان مرتين ٦٤٠ بونس ايرس

وكلاء المقتطف ومحلات الاشتراك

في القاهرة ادارة المقتطف بشارع الفاصد رقم ١ —	بباب اللوق
في الاسكندرية والبحيرة والشرقية مصطفى افندي سلامه	في دمنهور
في القليوبية والمنوفية مصطفى افندي سلامة	في دمنهور
في الغربية والدقهلية والمحافظات مصطفى افندي سلامه	في طنطا
في الفيوم — الشيخ محمود مليجي	بالفيوم
في المنيا — ابو الليل افندي راشد	في المنيا
في اسيوط — تامر افندى سيف	باسيوط
في جرجا — الشيخ عبد الهادي حمد	في طهطا
في بيروت—سوريا—جورج افندي عبود الاشقر	ص.ب. رقم ٩٢٩
في طرابلس الشام	عبد الله الياس حصني
في دمشق — المهاجرين	الاستاذ عمر افندي الطيبي
في شرقي الاردن — عمان	فهمي افندي يوسف
في القدس الشريف ويافا وحيفا	الخواجات بولس سعيد ووديع سعيد واصحاب مكتبة فلسطين العلمية
في حمص—سورية—	الخوري عيسى سعد
في الناصرة فلسطين	فريد عوده زعمط
في حلب—شارع السويقة—السيد عبد الودود الكيالي صاحب المكتبة العصرية	
في صيدا	نقولا افندي حريصي داغر — صيدلية الهلال
في حماه	السيد طاهر افندي النعساني

في البرازيل

Snr. Miguel N. Farah
Caixa Postal 1393
Sao Paulo Brazil

في الارجنتين

Sr. Fuad Ribeiz
Cordoba 499
Buenos Aires, Rep. Argentina

في الولايات المتحدة والمكسيك وكندا وكوبا

Mr. N. Arida
c/o Al-Hoda
55 Washington St.
New York. U. S. A.

سلسلة المطبوعات العصرية

التي عنيت بنشرها « ادارة المطبعة العصرية » بشارع الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة بمصر

ص	
٣٥	القاموس العصري انكليزي عربي (طبعة ثانية)
٧٠	« « « « (طبعة ثالثة)
٧٠	« « عربي انكليزي (طبعة ثانية)
٣٥	« المدرسي عربي انكليزي وبالعكس
٣٠	قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس
٢٠	« « عربي انكليزي فقط
١٥	« « انكليزي عربي فقط
٧٠	« سقراط سبيرو عربي انكليزي (باللفظ)
٥٠	« « « انكليزي عربي (باللفظ)
١٠٠	« « « « « وبالعكس
١٠	التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطول)
١٢	الهدية السنية لطلاب اللغة الانكليزية (باللفظ)
١٠	الف كلمة الماني (لتعليم الالمانية بسهولة)
١٥	في اوقات الفراغ (للدكتور محمد حسين هيكل بك)
١٠	عشرة ايام في السودان « « «
١٢	مراجعات في الادب والفنون للاستاذ عباس العقاد
١٥	روح الاشتراكية (لغوستاف لوبون) وترجمة (الاستاذ محمد عادل زعيتر)
١٥	روح السياسة « «
١٠	الاراء والمعتقدات « «
١٠	اصول الحقوق الدستورية « «
٨	الحضارة المصرية (لغوستاف لوبون)
١٥	حضارة مصر الحديثة (تأليف كبار رجال مصر)
١٠	الحركة الاشتراكية (رمسي مكدونلد)
١٥	ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء
٨	اليوم والغد (الاستاذ سلامه موسى)
١٠	مختارات « « «
٨	نظرية التطور وأصل الانسان « «
٢٠	اناتول فرانس في مباذله، للامير شكيب ارسلان
١٥	الدنيا في اميركا (للاستاذ امير بقطر)
١٠	المرأة الحديثة وكيف نسوسها (عبدالله حسين)
١٠	جريمة سلفستر بونار (اناتول فرانس)
٥	المرأة بين الماضي والحاضر
٥	مركز المرأة في شريعتي موسى وحمورابي
١٥	حصاد الهشيم (للاستاذ ابرهيم عبدالقادر المازني)
١٠	فيض الريح (« « « « «)
٨	نسمات وزوابع شعر منثور مصور
١٠	رسائل غرام جديدة (سليم عبدالواحد)
١٠	الغربال في الادب العصري (مخائيل نعيمة)
٥	حكايات للاطفال، اول (مصور بالالوان)
٥	« « ثان « «
٥	« « ثالث « «
٥	تذكرة الكاتب طبعة منقحة لاسعد خليل داغر
٢٠	جمهورية افلاطون (للاستاذ حنا خباز)
٦	مراقي النجاح ([illegible]

ص	
١٠	التربية الاجتماعية (للاستاذ علي فكري)
٥	خواطر حمار (للاستاذ الجمل)
٥	التعليم والصحة للدكتور محمد بك عبد الله
١٥	الحب والزواج (للاستاذ نقولا حداد)
١٥	ذكراً وانثى خلقهم « « «
٥٠	سر الاجتماع (حسن كيرلس) « «
١٥	اسرار الحياة الزوجية « «
٣٠	الامراض التناسلية وعلاجها للدكتور فخر
٢٠	المرأة وفلسفة التناسلية « «
٢٠	الضعف التناسلي في الذكور والاناث «
١٥	الزنبقة الحمراء (للاستاذ احمد الصاوي محمد)
١٠	تاييس « « « «
٥	مكايد الحب في قصور الملوك (اسعد خليل داغر)
١٠	القصص العصرية (٨٠ قصة كبيرة مصورة)
١٠	مسارح الاذهان (٣٥ قصة كبيرة مصورة)
١٢	رواية اهوال الاستبداد، مصورة
١٠	« فتنة المهدي، او استعادة السودان
٨	« الانتقام العذب (اسعد خليل داغر)
٥	« فقر وعفاف (للاستاذ احمد رأفت)
١٢	« باريزيت، مصورة (توفيق عبد الله)
١٢	« غرام الراهب او الساحرة المحذورة
٧٥	« روكامبول، ١٧ جزء (صابيوس عبده)
٢٥	« ام روكامبول، ٥ اجزاء «
٢٠	« باردليان، ٣ اجزاء «
٢٠	« الملكة ايرابو ٤ اجزاء «
٢٠	« الاميرة فوستا، جزآن «
٢٠	« عشاق فينيسيا، جزآن «
١٦	« الساحر العظيم ٤ اجزاء «
١٦	« كابيتان، جزآن «
١٦	« الوصية الحمراء، جزآن «
١٦	« بائعة الخبز «
١٢	« فلمبرج، جزآن «
١٠	« فارس الملك «
١٠	« ضحايا الانتقام «
٨	« المرأة المفترسة «
٥	« المتنكرة الحسناء «
٥	« مروضة الاسود «
٥	« شهداء الاخلاص «
١٦	« دار العجائب جزآن (نقولا رزق الله)
١٠	« فرنسوا الاول « «
١٠	« الحنون فنون « «
٨	« حورية « «
٨	« الغلامان الطريدان « «
١٢	[illegible]

مجلة الشرق

ادبية سياسية مصورة

انشئت للدعاية عن الشؤون البرازيلية ومآتي النزلاء الشرقيين في البرزيل تصدر باللغة العربية مرتين في الشهر — صاحبها ومحررها الاستاذ موسى كريم ويشترك في تحريرها طائفة من اكبر ادباء العربية في البرازيل وبدل شتراكها ٢٤٠ غرشاً صاغاً

وعنوانها Journal Oriente

Caixa Postal 1402,Sao Paulo , Brazil

الجريدة السورية اللبنانية

الجريدة الرسمية للنزالة العربية في الارجنتين

تصدر صباح كل يوم من ١٦ صفحة

باللغتين العربية والاسبانية

مديرها ورئيس تحريرها : موسى يوسف عزيزة

يحرر فيها نخبة من حملة الاقلام الحرة

عنوانها :

EL DIARIO SIRIOLIBANES

Reconquista 339

Buenes Aires Rep. Argentina.

معمل تحليل وديع فواد بني

كيماوي اسبتالية الدكتور ملتون بمصر سابقاً . متخرج من جامعة الطب الاميركية بيروت وجامعة استامبول بشارع جلال باشا رقم ٦ تجاه تياترو الكسار بشارع عماد الدين بمصر

يعلن انه اعاد فتح معمله لتحليل البول كيماوياً ومكروسكوبياً وفحص البصاق والمني والمادة ولبن الرضاعة وجميع مكروبات الامراض بغاية الدقة وبأحدث الطرق الكيماوية مع المهاودة الواجبة تليفون ٥٠٣٣٠

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثاني من المجلد السابع والثمانين

١ يوليو سنة ١٩٣٥ — ٣٠ ربيع الاول سنة ١٣٥٤

الارض في محيط الاشعاع

وتأثرها بضروبه المختلفة

ليست الارض في بحر الفضاء الاّ دقيقة من الهباء . ولكنها مع ذلك تستطيع ان تلتقط من
ة الاشعاع ، ما يحرك الرياح ويجري الامواه ويدفع النمو في اجسام الاحياء

اذا نظرنا الى السماء في ليلة صافية الاديم ، رأينا المريخ كرة صغيرة محمرّة ، وهو اقرب الى الارض
الارض الى الشمس . فاذا اتيح لمراقب ان يقف على سطح الشمس وينظر من خلال جوها الى
الفضاء ، رأى الارض كما نرى المريخ او اصغر ، فيعجب ان كان عالماً بأحوال الارض ، كيف
يع هذا السيار الصغير ان يلتقط من الطاقة التي تسكبها الشمس في الفضاء ، قدراً يكفيه . والواقع
رض لا تستطيع ان تلتقط من طاقة الشمس الاّ جانباً يسيراً مما يصيب سطحها وهذا يعني
مرين : اما ان الطاقة التي تطلقها النجوم — ومنها شمسنا — في الفضاء عظيمة جدًّا ، وإما ان
، شديدة الاحساس بقسطها اليسير منها

ن الطبيعي ان تكون اقرب النجوم الينا ، ابعدها تأثيراً في احوالنا . قد تكون الارض
مس وقد لا تكون . فالعلماء مختلفون في ذلك . ولكن الرأي السائد الآن ان الارض
ر وسائر سيارات النظام الشمسي وتوابعها ، نشأت في وقت واحد من كتلة سديمية عظيمة .
فالشمس شقيقة الارض الكبرى وليست بأمّها . ولكن الامر الذي لا يختلف فيه عالمان ، ان
مدينة بجانب كبير من شكلها وخواص سطحها لاشعاع الشمس . فالشمس تطلق اطلاقاً دائماً تياراً

الطاقة قوته ٦٠٠ مليون مليون مليون حصان . ونصيب سطح الارض من هذا التيار لا يزيد جزئين من الفي مليون جزء منهُ ، ومع ذلك فهذا النصيب يبلغ مقدار حصان واحد لكل ذراع من سطح الارض المضيء . على ان قدراً يسيراً جدًّا من نصيب الارض ، تمتصُّه الارض ستعمله ، ولكنه كاف لابقاء المحيطات سائلة ، والجو غازيًّا ، وأحوال الحياة على ما هي

اما القمر فأقل من الشمس كتلة بل ان كتلته لا تبلغ الاّ $\frac{1}{27000000}$ جزء من كتلة الشمس لكنهُ اقرب الينا من الشمس فمتوسط بعدهِ عنا ٢٣٨ الف ميل مع ان بعد الشمس عنا يبلغ متوسطهُ ٩٣ مليون ميل ، وكذلك يعوض قربُ القمر عن صغر كتلتهِ من حيث تأثيره في الارض

ولا نتولّى هنا شرح المدّ والجزر كما يبدوان في مصابّ الأنهر وعلى بعض الشواطىء خاصة وكيف درست تفصيلاتهما درساً مدققاً ، حتى اصبح في الامكان معرفة علو الماء في بعض الموانىء معرفة دقيقة في كل ساعة من ساعات النهار والليل

أما ما لم يعرف الاّ من عهد قريب عن تأثير القمر في الارض ، فهو جذب القمر للجو ، وغير منهُ جذب القمر لقشرة الارض . فقد اثبت العالمان الاميركيان الفرد لومس وهارلن ستتسن انهُ اذا كان القمر فوق الجانب الشمالي من المحيط الاطلنطي كانت وشنطن اقرب الى لندن بمقدار ١٣ قدماً ، منها اذا كان القمر فوق الجانب المقابل للمحيط الاطلنطي من سطح الارض . اي ان القمر يحدث مدًّا في قشرة الارض فيقرب المسافة بين مدينتي وشنطن ولندن . والواقع ان الفرق في المسافة بين شواطىء اميركا واوربا ، لا يؤثر في أجور السفر والتلغرافات ، ولكنهُ فرق كبير في نظر العلماء الذين يقيسون خطوط العرض والطول قياساً دقيقاً بالثواني من درجات القوس وأجزائها

وقد عني ستتسن بعد ذلك بالمقابلة بين تواريخ الزلازل والتقويم القمري فظهر انها ان زلازل تكثر عند ما يكون القمر في مواقع معينة في الفضاء

والشهب اصغر من القمر ، ولكنها تفوقهُ في اقترابها من الارض ، وبعضها يسقط على سطحها ويضاف وزنهُ الى وزنها . ويقدر العلماء عدد الشهب التي تخترق جوّ الارض بألف مليون شهاب كل يوم (٢٤ ساعة) . نعم ان معظمها لا يعدو كونهُ دقائق وحبيبات من الغبار الكوني ، وتحترق خلال اختراقهِ لطبقات الهواء العليا ، ولكن بعضها كبير فيخترق الفضاء ويبقى منهُ جانب الى الارض وهي الرجم ، ومنها رجم تبلغ زنة الواحدة منها بضعة اطنان ، وكثير منها يقع في المحيط والبحار والادغال . ولذلك قدر الاستاذ ويلي Wylie جملة ما يضاف الى وزن الارض كل يوم بسقوط الرجم عليها ، بنحو ألفين وخمسمائة طن

وللشهب تأثير آخر هو تأيين ionize طبقات الهواء العليا او كهربتها بتمزيق بعض ذراته وقد اكتشف هذا الفعل من مراقبة الزيادة في وضوح الاشارات اللاسلكية في الفترات التي فيها شآبيب الشهب . فالشهاب اذ ينقضُّ في الهواء سائراً بسرعة تتباين من عشرة اميال

ميل في الثانية يحمى من احتكاكه بدقائق الهواء فتتوهج وتبلغ درجة حرارته احيانا ٣٠٠٠ درجة مئوية فتنطلق اشعاعات قوية وتصطدم بدقائق الهواء فتمزّق بعضها . وكذلك يسحب الشهاب في اثره ذيلاً من الدقائق الممزقة والهواء المكهرب

***

هذه هي الاجسام التي تراها العين — الشمس والقمر والشهب — وهذا بعض تأثيرها في سطح الارض وجوّها . ولكن الاشعة الكونية مما تعجز العين عن رؤيته ، بل مما تعجز الآلات الدقيقة عن تبيينه الاّ اذا كانت قد صنعت خاصة لذلك . والعلماء مختلفون في طبيعة هذه الاشعة ، ففريق يقول انها اشعاع من قبيل الاشعة السينية . وفريق يقول انها مؤلفة من دقائق متناهية في الصغر متناهية في السرعة . ولكنّ احداً لا يرتاب في انها تصدم الارض وما عليها بطاقة عظيمة . فضغط الكهرب في صاعقة قد يبلغ الف مليون ڤولط ، ولكن ضغط بعض الكهارب التي تقذف من المادة عند اصطدام الاشعة الكونية بها قد يبلغ مرتبة عشرة آلاف ڤولط او اكثر من ذلك

ولا يحتمل ان تتعرّض الارض وما عليها لاشعاع هذا قوته ولا تتأثر به . فالاستاذ حولي الجولوجي الارلندي ذهب من بضع سنوات الى ان هناك علاقة بين الاشعة الكونية وتفشي حوادث السرطان . ولا يزال هذا الرأي نظرية من دون برهان يؤيدها . ولكن الاستاذ مولر الاميركي بيّن ان الاشعة السينية تؤثر في احداث التحوّلات الفجائية في ذباب الفاكهة . ومن هنا نشأ القول بأنّ بين الاشعة الكونية ومراتب التطوّر العضوي صلة وثيقة ، بل قد يكون في الاشعة الكونية مفتاح التطور العضوي . الاّ ان البحث الاحصائي في كثافة الاشعة الكونية يشير الى ان هذه الاشعة غير كافية لاحداث جميع التحولات الفجائية التي حدثت على مرّ الدهور . فتحوّلت بها حياة وتطوّرت ، ولكنّ من المؤكد ان بعض التحولات الفجائية يمكن اسنادهُ اليها

ولعلّ احدث النظريات المتصلة بفعل الاشعة الكونية في الارض نظرية وضعها لوس العالم الاميركي والاستاذ في جامعة كاليفورنيا . فعلماء الجولوجية الطبيعية الذين يستطلعون طلع الارض بطريقة الزلزلة يقولون ان قلب الارض كرة ضخمة كثيفة من الحديد والنيكل ، تحيط بها قشرة الارض الصخرية ، وهذه تعلوها طبقة التربة في مناطق ومياه المحيطات والبحار في مناطق اخرى

فلما تأمل الاستاذ لوس في هذا التركيب استوقف نظره ما يعرف عن الرجم وهو انها مركبة من الطائفتين من المواد . فثمة رجم ٩٩ في المائة من أجسامها مركبة من حديد ونيكل ، وثمة اخرى حجرية مركبة من المواد الداخلة في تركيب قشرة الارض بوجه عام

الصخور التي تتركب منها قشرة الارض والرجم الحجرية مؤلفة في الغالب من السليكون وبعض اخرى . وذرة السليكون تزن بوجه عام نصف ما تزنهُ ذرة الحديد أو ذرة النيكل . اي اذا ... ان تطلق ذرة سليكون على ذرة سليكون اخرى ، في احوال مؤاتية من الطاقة العالية —

ل نحو ما يفعل العلماء في تحويل بعض العناصر الآن — فقد تندمج الذرة الواحدة الذرة
لاخرى فتولد ذرة حديد أو ذرة نيكل . يقابل ذلك انك اذا اطلقت تياراً من الطاقة العالية
حديد أو ذرة نيكل فقد يكون في المستطاع ان تقسم هذه الذرة الى جزئين كلٌّ منهما ذرة
ولا يخفى ان الحديد والسليكون من العناصر المستقرة والطاقة التي تفعل بهما هذا
ان تكون عالية جدًّا ، أعلى من أية طاقة استطاع الانسان توليدها في المعمل حتى الآن

وهنا نصل الى مكان الاشعة الكونية في نظرية لوس ، لانها تنطوي على ما يظهر
كافية لاحداث هذا التحويل . فالاشعة الكونية تستطيع من الناحية النظرية أن تحطم
أو ذرة نيكل الى ذرتي سليكون . والسليكون كذلك عنصر مستقر ولكن في طاقة الا
ان تحلّ ذرتهُ الى ذرتي عنصرين خفيفين احداهما ذرة المغنيزيوم والاخرى ذرة الهليوم
يمضي فعل التحويل فتنشأ العناصر الخفيفة من العناصر الثقيلة . وقد بيّن الاستاذ لوس
عناصر لها نظائر ، وان اوزان هذه النظائر كسور بسيطة من أوزان الحديد والنيكل ، فهي
قد نشأت منهما بطريقة التحوُّل التي تقدم ذكرها

وهذه النظائر الثمانية هي العناصر التي تتركب منها الرجُم الحجرية . وعلى ذلك نستطيع
الارض مركبة في الاصل من الحديد والنيكل ثم تحوَّل سطحها بفعل الاشعة الكونية
عناصر القشرة الارضية اي السليكون والمغنيزيوم والالومينوم والصوديوم وغيرها

فالنظرية طريقة تغري بالنظر ولكنها على كل حال لا تقول شيئاً عن اصل الحديد والنيكل
بغاز السديم الاصلي الذي نشأت منهُ الارض . والاستاذ لوس نفسهُ يعترف بأن
وضع نظرية كونية شاملة بل محاولة تعليل بعض الظاهرات التي تستوقف النظر
ظاهرة التشابه بين بعض الرجم وقاب الارض من ناحية ، وبين بعض الرجم الاخرى
من حيث العناصر التي تدخل في بنائها جميعاً وصلة ذلك بالاشعة الكونية

***

الاّ ان حدود الكرة الارضية ليست الطبقة العليا من قشرتها . بل هناك غلافها الغازي الذي
عليهِ اسم الجو . فاذا كانت الارض تتأثر بمؤثرات خارجية ، آتية اليها من الفضاء فالرجح
من مظاهر هذا التأثر يبدو في جوها . وهذا هو الواقع ، ولكننا ما نزال بعيدين عن معرفة
لما يضطرب به الجو . والفضل في كشف ما كشف حتى الآن يرجع الى علماء المواصلات اللاسلكية
اعظم اكتشاف حديث في بناء الكرة الارضية ، انما هو اكتشاف ان الهواء مركب تركيباً
كان الرأي القديم ان الارض يحيط بها غلاف غازي تقلُّ كثافته رويداً رويداً الى ان
في الفضاء الرحب الفارغ على مائة ميل او اكثر فوق سطح البحر . اما النظر الجديد الى
الغازي فهو انهُ بمثابة سقف كهربائي للكرة الارضية

لما كشف العلامة الالماني هرتز عن الامواج اللاسلكية. وبدأ المستنبطون والعلماء يتصورو كيف يمكن استعمال هذه الامواج للتخاطب . كانت القاعدة التي بني عليها كل تفكيرهم ان التخاط بهذه الامواج لا يمكن ان يمدو نقطتين قريبتين على سطح الارض لان الامواج اللاسلك لا تنحني بانحناء الارض وتكورها . فالمسافة بين محطي التخاطب . تمكن زيادتها بزيادة ارتفا الاعمدة التي تحمل الاسلاك الهوائية وهذه الاعمدة كالمنار يزداد امتداد ضوئها بزيادة ارتفاع بناء

وكانت تجارب مركوني الاولى مما قوّى هذا الاعتقاد . ففي سنة ١٨٩٦ حرّب لاتص اللاسلكيّ بين نقطتين في سهل سالسبوري بانكلترا ، تبعد احداها ميلين عن الاخرى . ثم زا ارتفاع الاعمدة فزادت المسافة بين النقطتين المتصلتين . ولما كانت سنة ١٩٠٠ كانت هذه المسافة قد بلغت سبعين ميلاً ، وفي الاحوال الجوية الموافقة . امكن الاتصال اللاسلكي على مسافة مائة ميل

وكان مركوني مع اجلاله لآراء العلماء يحسُّ انهُ من الحمق . الجزم في موضوع لم يدرس درسا وافيا كهذا الموضوع ، وكان علاوة على ذلك يحسُّ ان هذه الامواج اللاسلكية تتحدب بتحدُّب الارض ، والاّ فكيف يعلّل اجتيازها مائة ميل من محطة الى محطة . ولو انها كانت كما يقولون لما استطاعت ذلك

لذلك اقدم سنة ١٩٠١ على تجربته المشهورة فاثبت ان في الامكان الاتصال اللاسلكي بين اوربا واميركا (راجع « الكلمات المجنحة » في كتابنا فتوحات العلم الحديث) . فهي من اعظم التجارب العلمية في التاريخ ، لانها اضافت حقيقة جديدة الى العلم وهي ان تكوُّر الارض لا يعيق الامواج اللاسلكية عن الوصول من محطة الى اخرى على جانب الارض المقابل ، ثم لانها كانت مفتتح عصر المخابرات اللاسلكية العجيب

فاذا كانت هذه الامواج تنحني وتتحدّب بتحدُّب الارض فلا بدّ من شيء يحميها . وقد كان رأي العلماء ان موصلاً كهربائيًّا كلوح من النحاس او شبكة من السلك المعدني يستطيع ان يعكس الاشعة اللاسلكية . فاذا فرضنا وجود موصل من هذا القبيل في طبقات الجوّ العليا كطبقة من الايونات — كان ذلك كافياً لعكس الامواج اللاسلكية . والنظر العلمي كان يقضي ان هذه الامواج من الطبقة الجوية المكهربة او المؤينة (ionized) في زاوية تعدل زاويتها عند اصدارها من ثم عند عودتها الى الارض ترتدُّ ثانية الى الفضاء ، وكذلك تتقدم في سيرها بهذا الشكل بين سطح الارض وطبقة الهواء المكهربة

هذه هي القاعدة التي بنيت عليها نظرية هيڤيسيد وكنلي وهما مهندسان كهربائيين اولهما انكليزي والثاني اميركي . على ان القول بوجود طبقة مكهربة في اعالي الجو لم يكن قولاً جديداً لان العالم الانكليزي ستيورت كان قد قال بها بناء على ادلة اخرى لا صلة لها بالمواصلات اللاسلكية . ولكن هيڤيسيد وكنلي كانا اول من فسر انتقال الامواج اللاسلكية بها . وقد ظلّ قولهما نظريًّا ، حتى سنة ١٩٢٥

ذ اثبت وجود طبقة الهواء المكهرب المعروفة بطبقة كنلي هيڤيسيد بتجارب جرّبت في [illegible] وانكلترا . وكذلك اصبح للغلاف المؤيَّن (ionosphere) مكان في كل بحث جغرافيّ جيولوجي

وقد اثبت البحث الحديث في الطبقة المؤينة انها ليست طبقة واحدة وانها ليست طبقة [illegible] بل فيها اودية وجبال ، تتغير اماكنها وفقاً لتقلب النور والحرارة وغيرها من العوامل الا[illegible] رحاب الفضاء . واشهر هذه الطبقات ثلاث سميت بثلاثة حروف من الابجدية الا[illegible] هي D و E و F تردُّ الامواج من اعالي الجوّ الى سطح الارض فتجعل التخاطب اللاسلكي [illegible] فطبقة D تعلو ٣٠ ميلا من سطح الارض وترد الامواج اللاسلكية الطويلة ، وطبقة E (وهي المعروفة بطبقة كنلي هيڤيسيد) علوها من ٦٥ الى ٧٠ ميلاً وترد الامواج اللاسلكية الطويلة [illegible] وطبقة F (وهي المعروفة بطبقة ابلتن) علوها ١٥٠ ميلاً وتردُّ معظم الامواج القصيرة [illegible] تنفصل طبقة F الى طبقتين او ثلاث طبقات وفقاً لفعل الحرارة والضوء والاشعة المختلفة . وهذا يعلّل لنا تصرُّف الراديو في بعض الاحيان تصرفاً شاذاً

***

وهنا يخطر بالبال السؤال التالي . ماذا يكهرب اعالي الجو ؟ والجواب عن هذا السؤال [illegible] الشمس هي العامل الاقوى في كهربة اعالي الجو . فقد اثبتت التجارب ان قوة كهربة هذه الطبقة وانفصالها احياناً ، يتبع موقع الشمس في الفضاء واداً من المعقول اسناد هذه الكهربة اليها [illegible] عند ما تكون كلف الشمس على اشدها فعلاً ، تقع تقلبات عظيمة في الغلاف المؤيَّن

والمقام الاول بين اشعة الشمس المختلفة في تأيين طبقات الهواء العالية هو للاشعة التي [illegible] البنفسجي . بل ان بعض الباحثين امثال هلبرت ومارس يعتقدون ان الاشعة التي فوق البنفسجي في اشعة الشمس هي المصدر الوحيد لهذا التأيين . ويعتقد تشابمن احد علماء جامعة لندن [illegible] من الكهربائية السالبة تنطلق من الشمس وتحدث بعض التأين في الهواء . ثم هناك ضروب [illegible] من الاشعاع تصدم الهواء وتحدث فيه هذا الفعل بتمزيق بعض دقائقه وذراته

وقد عمل المستر سكلت Skellett جدولاً بمصادر التأيين في طبقات الجو العليا فاذا هو [illegible]

الاشعة التي فوق البنفسجي في ضوء الشمس	٢٨٫٣٦
الشهب	٢٫٤٠٠٣٦
الاشعة التي فوق البنفسجي في ضوء النجوم	٫٠١٤
الاشعة الكونية	٫٠٠٠٣١
الاشعة التي فوق البنفسجي من ضوء البدر	٫٠٠٠٠٤٤

فالارقام في هذا الجدول تدل على وحدات الطاقة التي تقع على مساحة معينة من سطح [illegible] في الثانية . ويلاحظ فيها ان طاقة الاشعة التي فوق البنفسجي تفوق عشرة اضعاف طاقة

. وليس ذلك لان الاشعة التي فوق البنفسجي اقوى فعلاً من الاشعة الكونية نقطهُ الارض منه اكثر كثيراً مما تلتقطهُ من الاشعة الكونية

***

ليالي سنة ١٩٢٧ لاحظ المهندس اللاسلكي النروجي هالز حادثاً في اثناء اصغائه ذاعة من محطة ايندهافن الهولندية ، انهُ يسمع احياناً الاشارة الواحدة ثلاثة سمع الاشارة الاصلية ليث سُبُع ثانية فسمعها ثانية كأنها واردة من جهة مقابلة ث ثوانٍ سمعها ثالثة . اما الصدى الاول فيمكن تعليله بأنهُ تمَّ بعد ما دارت لية دورة كاملة حول الارض وهذه الدورة تقتضي سبع ثانية من الوقت لان قطر الف ميل تقطعها الامواج اللاسلكية في نحو سبع ثانية . ولكن من اين جاء فان مجيئه بعد ثلاث ثوان يقتضي ان يكون قد قطع ٥٤٨٠٠٠ ميل قبل رجوعه انت الامواج اللاسلكية تسير جميعاً بسرعة واحدة في انطلاقها من سطح الارض من احدى الطبقات المؤينة ، فالطبقة التي ردَّت هذا الصدى الاخير يجب ان تكون على وق سطح الارض . وهذا يعني ان هذه الطبقة أبعد من فلك القمر وهو مما يصعب ث هذا النبأ هزّة في الدوائر اللاسلكية العالمية وتنبه المشتغلون بالشؤون اللاسلكية الاصداء فقيل بعد قليل ان بعضهم سمع صدى بعد خمس ثوانٍ وآخر سمع صدى بعد (وهذا يقتضي ان تكون الطبقة العاكسة على ٢٫٣٢٥٠٠٠ ميل فوق سطح الارض) ذكر فريق من علماء فرنسا كانوا قد ذهبوا لرصد الشمس في الهند الصينية انهم سلكيًّا بعد انقضاء ثلاثين ثانية على سماع الاشارة الاصلية (وهذا يقتضي ان تكون على نحو خمسة ملايين ميل فوق سطح الارض)

ن فان درپول الهولندي واپلتن الانكليزي ان أفضل تعليل لهذه الاصداء ان بعض كية يحصر بين طبقتين متغيرتين من الايونوسفير اي الغلاف المؤيَّن ، فتتذبذب من ثم يطلق أمامها المجال بتحرك احدى الطبقتين او بحدوث فرجة فيها فتعود الى ليل لابأس بهِ ولكن العلماء يقولون انهُ لايسلم من الاعتراض عليه . وقد نظم في امج دولي لدراسة هذه الظاهرة . ومن غريب ما يروى في صددها ان هذه الاصداء سمعت منذ ما اشار اليها هالز سنة ١٩٢٧ ولكن المشتغلين باللاسلكي في اميركا لم يسمعوها مطلقاً ض القوى التي تصدم الارض في خلال سيرها في الفضاء . فاذا كان في طاقة بعض حوِّل الفلزات الى ضوء ، وفي طاقة البعض الآخر ان يجعل من الغلاف الغازي شَقُّ فيهِ الاودية وتُبسط السهول وتُرفع الجبال ، فماهو يا ترى تأثيرها في المادة ن بين اجسام الاحياء ، او في دقائق الدم وخلايا الدماغ ؟

بحث لغوي في :—

مجلة المجمع الملكي

لمرتب انستاس الكرملي

| عضو مجمع اللغة العربية الملكي |

١ — توطئة

برز الجزء الاول من مجلة مجمع اللغة العربية الملكي بحلة تزري بحلل العرائس ، فتلهف الادب العطشى الى اصلاح ما افسد الزمان من لغتنا المبينة ، والراغبون في رقيها ومساواة المتفننين بمصر ، واقبلوا على مطالعته بكل شوق ، للاستفادة منهُ ، وللتمسك بلغة عدنان التي قصر بل ان جمهوراً من هؤلاء الفضلاء اقتنوهُ لنقدهِ ، وتزييف ما ورد فيهِ ، فانقسموا ثلاث حزّقة لم تر فيهِ حسنة بل كوماً من المساوىء ، وفرقة لم تجد فيهِ سوى المحاسن ، وجماعة بين بين ، اي رأت فيهِ محاسن ومساوىء ، وليست عبارة النقد ، فكانت من المنصفين ، هدف الحقّ ، لا غير

اما المسوّئون ، فانهم لم ينطقوا إلاّ عن غرض او مرض في النفس ، او لا اقل من هوى القلب . وكان المستحسن في أمرهم ان يكونوا اعضاء في المجمع دون غيرهم ، لإظهارهم بانهم غير اكفاء لما انتدبوا اليهِ . والغاية اذا ما زجت قلب المرء ، أفرغتهُ من مكارم الاخلاق وقد قرأتهُ في « مملكة العميان » ، اذ لم تجد سواه ملكاً لتلك الدولة المعيبة — واما المنصفون لكل ما وقفوا عليهِ من المقالات ، فهم لم يفعلوا هذا الفعل ، إلاّ مدفوعين بدافع سماوي ، هو الدافع هو المصانعة ، في امل انهم يستميلون الخواطر اليهم ، ليكونوا شيئاً او بعض شيء في من نأي او من كسب . — اما الذين جمعوا بين النقد المنزّه من الغايات الدنيئة والمرغوب فيهِ ، فقد احسنوا في المقال والمآل معاً

ونحن من هذا الفريق الاخير ، لوجودنا في المجلة محاسن لا تحصى ، إلاّ انها لا تخلو من مغامز هي لا تكاد تكون شيئاً بالنسبة الى ما حوت من جلائل الاعمال والاوضاع والمصطلحات وهذه المغامز هي ان بعض اللجان (لا المجمع كما توهم بعضهم) خالفت الاقدمين في بعض ونحن نعرض هنا على القراء وجهة نظرنا للتأمل والتدبّر ، لعلها تجد موافقة تبدو من تلقاء انفسها ، فتطمئن اليها النفوس وتنقاد الى ما فيهِ حسن السبك والصوغ والوضع

٢ النسبة الى فعيلٍ او فعيلةٍ لغير العلم فعْلي لا فعِلي

جاء في مجلة المجمع في (ص ٧٠) ما هذا نصهُ : « القيام بالعمل . او النشاط العملي — تطلق الكلمة على حالة العضو في اثناء تحقيق الوظيفة . او على النشاط الوظيفي » . فنسبت اللجنة الى ...فة بقولها « الوظَفِيّ » وفتحت الواو والظاء المثناة وهذا مخالف لما سمع ونقل — اما انه ... لما سمع ، فلاننا لم نجد من نسب الى فعيلة « النكرة » فقال فعِلي . فالوظيفي منسوبة الى ...فة . والوظيفة نكرة من النكرات . ولم يسمع في فعيلة هذه فعِلي بالتحريك البتة . بل فعيلي ... الياء على حالها . فقد قالوا مثلاً : الطبيعي . والسليقي ، والبديهي . والغريزي . والبهيمي . ...لها ولم يقولوا ابداً : الطبعي ، والسلقي ، والبدهي . والغرزي . والبهمي . بتحريك الاول ... واسقاط الياء

... عادت المجلة الى تكرار مثل هذا الاصطلاح المخطوء فيه (في ص ٩٨) اذ قالت : « وشيعي ... » وضبطت الكلمة ضبط قلم ايضاً بفتح الواو والشين . ونحن لم نعثر على « كلمة واحدة نكرة » ...لها هذه النسبة التي نعدها وهماً فظيعاً يفقأ في عيني المطالع حصرماً شديد الحمر — واما ...رت علينا مجيء المنسوبات التي ذكرناها لك بهذه الصيغة في كتب القوم . فنحن نسرد لك ورودها فنقول :

— اما (الطبيعي) ، فقد وردت في جميع المصنفات . من قديمة ، وحديثة ، ومعاصرة لنا . اما والمعاصرة لنا ، فهي اشهر من ان تذكر . والمحدثون والعصريون لا يكادون يعرفون سواها . ...قدمون فقد ذكروها في دواوينهم ، منها كتاب العين . قال صاحبهُ في مادة (ج ب ل) : كل مخلوق : تُوْسُهُ الذي طبع عليهِ . وشيء جبلي : منسوب الى الجبلة كما يقال طبيعي » اه . ...عين حجة . وقد ورد في المصباح ايضاً ما يقارب هذا التعبير في مادة جبل . فليراجع . من اهل المئة الثامنة للهجرة

— جئنا الى (السليقي) ، فقد جاء في لسان العرب ما هذا قوامه : « قال سيبويه : والنسب ...ة : سليقي ، نادر . وقد أبنت وجه شذوذه في عُمَيْرة كلب ... الليث : والسليقي من ...ما لا يتعاهد اعرابهِ ، وهو فصيح بليغي في السمع ، عثُورٌ في النحو . غيرهُ : السليقي ...: ما تكلم بهِ البدوي بطبعه ولغتهِ ، وان كان غيره من الكلام آثر واحسن . وفي حديث ...د : انهُ وضع النحو حين اضطراب كلام العرب وغلبت السليقية اي اللغة التي يسترسل ...م على سليقته اي سجيتهِ وطبيعتهِ من غير تعمُّد اعراب ، ولا تجنب لحن . قال

ولست بنحويٍ يلوك لسانهُ ولكن سليقيّ اقول فاعربُ اه ما في اللسان

قلنا. قول سيبويه .« سليقي نادر »لا يوافق المنقول من كلام العرب ، كما لا يوافق ائمة اللغة ستري بُعَيْد هذا

ج — (والبديهي) ،على ما قاله السيد الجرجاني في تعريفاته(وكذلك في كليات البقاء في ص ١٧٩ ن طبعة الاستانة) . « وهو الذي لا يتوقف حصوله على نظر وكسب سواء احتاج الى شيء آخر من حدس او تجربة او غير ذلك ،او لم يحتج .فيرادف الضروري ،كتصوُّر الحرارة والبرودة، وكالتصديق ن النفي والاثبات لا يجتمعان ولا يرتفعان » اه — ولم نجد مؤلفاً قديماً او مولداً او حديثاً مصيباً سب الى البديهة فقال « بدَهيٌّ » (او بدَهيًّا ، ان شئت اعراب الكلمة)

د — وورد(الغريزي) في مدّ القاموس ، لكنهُ لم يعزُه .وهو كثير المجيء في كتب الطب والحكمة والفلسفة. قال ابن سينا في قانونهِ في كلامه على امزجة الاعضاء (ص ٤ من طبعة رومة) : « ان الرئة في جوهرها وغريزتها ليست برطبة شديدة الرطوبة ، لان كل عضو شبيه في مزاجه للغريزي الذي يتغذى به . . . فالكبد ارطب من الرئة كثيراً في الرطوبة الغريزية. . .»وجاء في تلك الصفحة في كلامه على امزجة الاسنان . « ولأن الحرارة الغريزية المستفادة فيهم من المنيّ اجمع واحدث وبعضهم يرى ان الحرارة الغريزية في الشبان اقوى بكثير » اه

وقد تكررت « الحرارة الغريزية والرطوبة الغريزية » مراراً لا تحصى في قانون ابن سينا وفي جميع مصنفات الاطباء ، من قديمة وحديثة . ولم اجد كاتباً واحداً قال : غرزي وغرزية — وقال ابن القف المسيحي عند كلامه على خواص العدس « وأما من حرارته الغريزية قوية . وطبعه فائقة جيدة لا يغلبها سبب ممرض» اه — وفي مقدمة ابن خلدون في الفصل الـ ٢٦: «وكذا الحرارة الغريزية في كل طور » وقد اعاد هذه اللفظة مراراً لا تقدر في سفره الجليل . ولو اردنا ان نسرد النصوص التي جاء فيها الغريزي والغريزية لملأنا كتاباً قائماً برأسه . فتدبر

ه — اما (البهيمي) فقد ذكرها صاحب مد القاموس ايضاً ولم يعزُها ، مع انها وردت في جميع دواوين الطب عند كلام اصحابها على العشق . قال صاحب الروضة الطبية (في ص ٣٥ من النسخة المطبوعة في القاهرة »:« وبعضهم قالوا انهُ «اي العشق » يختص بالنفس البهيمية ، وهو مرض يعرض لها من قبل افراط الشهوة » — ولصاحبها ايضاً في الصفحة ٣٦ : « ونرى التعشق يختص بالنفس البهيمية اكثر» اه— ووردت الكلمة مرتين اخريين في تلك الصفحة نفسها .وجاءت مراراً لا تحصى في اسفار الاطباء البلغاء عند الكلام على العشق وأنواعه . وكذلك في كتب الادب الماحثة في هذا الموضوع الاخلاقي

٣ — لماذا لا يقال فَعَليّ (بالتحريك) في النكرات والاعلام غير المشهورة

اما انه لا يجوز ان يقال : (الطَبعيّ) و (الساقي) و (البَدَهيّ) و (الغَرَزي) و اوالبهَ

بالتحريك ، فلأنها ليست بأعلام مشهورة ، ولأن (الطَبَعيّ) نسبة الى الطبع بالتحريك الدنس والوسخ الشديد من الصدإ — ولأن (السلقي) نسبة الى السلق بالتحريك وهو البعير اذا برئت وابيضّ موضعها ، والقاع الصفصف الاملس . الطيب الطين ولأن (ال لم يسمع من احد ولم ترد في كلامهم ولا وجود لها في لغتنا — ولأن (الغرزيّ) بالتحريك الى الغرز بالتحريك وهو ضرب من الثمام ونبات كنبات الاذخر من شرّ المرعى — (البهمي) بالتحريك نسبة الى البهم بالتحريك ، وهو جمع بهمة بالفتح وهي اولاد الضأن والبقر . فما سمعناه ذكرناه قبيل هذا ، وما لم نسمعه ، صرحنا به هنا وبأنه لم ينقل عن فص ولا عن مولديهم ولا عن محدثيهم . فكيف يجوز لاعضاء لجنة من لجان المجمع ان تجري على ه ولا تعمل بما وصل الينا من كلام البلغاء ؟

٤ — المنقول عن النحاة الراسخين القدم في كلامهم على فَعِيْلي وفَعَليّ

كل ما اوردناه الى هنا كان من قبيل المسموع او المنقول عن فصحاء الكتاب من اقد ومولدين . اما ان النحاة قالوا لا ينسب الى فعيل او فعيلة النكرة او العلم غير المشهور بحذف بل بالقائها على حالتها فواضح مما نص عليه ابن قتيبة [1] في (ادب الكاتب) ص ٣٠٧ من ط الافرنج : « اذا نسبت الى فعيل او فعيلة من اسماء القبائل والبلدان وكان (مشهوراً) القيت الياء ، مثل ربيعة وبجيلة : رَبعيّ وَبَجَليّ . وحنيفة : حنفيّ . وثقيف : ثقفي . وعتيك : عتكي وان لم يكن الاسم (مشهوراً) « علماً كان ام نكرة » لم تحذف الياء في الاول « اي في فعيل لا الثاني « اي في فعيلة »

فانت ترى من هذا انه لم يذهب الى حذف الياء في ما ليس بمشهور ، لئلاّ يضلّ الانسان ا معرفة الاسم الذي ينسب او نسب اليه . ومما يؤيد قول ابن قتيبة الدينوري انك اذا نسبت الى مدينة الرسول — وهي من اشهر الاعلام وأعرفها بين الناس — قلت : مدني ، بالتحريك بحذف الياء ، لانك ان نطقت بهذا الحذف لم تضل الطريق في معرفتها بل اهتديت حالاً اليه

---

(١) كان ابن قتيبة من علماء النحاة الذين عاشوا بعد سيبويه . وكان قد اطلع على كل ما كتبه صاحب « الكتاب » خالفه في امور كثيرة فتكون نظراته ابعد مدى من نظرات سيبويه حتى ان ابن الخطيب قال فيه « كان رأساً في ... واللغة والاخبار وأيام الناس ، ثقة ، ديناً ، فاضلا » وهذا اعظم مديح قيل في رجل . واذا كان ابن قتيبة الدينوري ... كان سائر العلماء بالنسبة اليه ، اعضاء لتلك الهامة . وليست الاعضاء كلها كالرأس

في الفهرست لابن النديم ان ابن قتيبة كان صادقاً في ما يرويه ، عالماً باللغة ، والنحو ، وغريب القرآن ، ومعانيه ... والفقه » آه . وراجع ما قاله ابن الانباري وابن خلكان في الوفيات ، وبغية الوعاة للسيوطي وروضات الجنان ومعجم ... وابن النديم الى غيرهم تراهم جميعاً يثنون عليه اطيب الثناء

بن جميع الناس قاطبةً . واما اذ نسبت الى المَدِينة بمعنى البلدة ، فانك تقول «مدينيّ» اء في موطنها . وكذلك تفعل اذا اردت ان تنسب الانسان او الثوب الى المدينة تقول » والطائر ونحوه تقول « مديني » — اما اذا اردت ان تنسبهُ الى « المدائن » ، علَمَ لمدينه ، فتقول « مدائني » . قال سيبويه : « واما قولهم « مدائني » فانهم جعلوا هذا البناء د » اه

ت : ومن هذا القبيل قولهم « الفرائضي » للعارف بعلم قسمة التركات على مستحقيها : فانهم ا اللفظة (اي علم الفرائض) علَماً للعلم المذكور . وسموا الفرائضي ايضاً : الفارض والفراض ض والفرضي وكلها من قبيل النسب اما للكثرة واما لغيرها . وقالوا « الفرضي » ولم يقولو يضي » لانعدام « علم الفريضة » لهذا العلم ، ولان الفريضيّ نسبة الى « الفريض » للعارف لفرائض . وانت بصير ان اغلب المنسوبات تكون لاعلام المواطن والرجال . وقد جروا في اعلام م كما جروا في اسماء المدن ، التي هي الاصل في النسب . ثم انتقلوا منها الى اسماء الرجال . وفي فر الى النكرات من باب التوسع والتجوز . ولهذا كانت النسبة الى النكرات قليلة جدًّا ، اللهم ان تكون نكرات تقع على الجنس ، فتكون من قبيل اعلام جنس لا اعلام نكرات مفردات سها . ولهذا قالوا «فرضي» بالتحريك والنسبة منعاً للبس (اي منعاً لها من الاختلاط «بالفرضي» ي هو العالم بالفرائض مع ياء النسب ، واحتفاظاً بقاعدة اصل الوضع للنسبة التي اوضحناها لك) فانت ترى من هذا التتبع ان العرب لم ينسبوا مطلقاً الى فعيل او فعيلة بقولهم « فعلي » بالتحريك اكان غير مشهور ، علماً كان ام نكرة ، بل « فعيلي » باثبات الياء على اصلها . والآن نثبت لك هذه لحقيقة بكثرة ما سمع منهم منذ عهد الجاهلية الى صدر الاسلام الى عهد المولدين الى عصرنا هذا

٤ — شواهد على ورود فَعَلِيّ في الاعلام المنسوبة الى فعيل او فعيلة

قلنا : لا يقال «فعلي» الاّ في النسبة الى ما «اشتهر» من الاعلام واجناس النكرات ، ويقال « فعلي » في العَلَم نفسه وفي النكرات ايضاً . ونحن نسرد لك هنا ، ما عثرنا عليه من القبيل ، مرتباً على حروف الهجاء وهو اكثر من مئة لفظة . ودونكها ، منقولة عن كتاب ا للسمعاني ، واللباب لابن الاثير ، ومعجم البلدان ، ومعجم الادباء لياقوت الحموي ، ولب للسيوطي : —

١ الاديمي كالكريمي نسبة الى الاديم ، بطن من خولان — ٢ الاشيري نسبة الى اشير بالمغرب — ٣ البحيري نسبة الى بحير ، جدّ — ٤ البديهي نسبة الى البديهة وهي المظم — ٥ البذيسي نسبة الى بذيس ، من قرى مَرْو — ٦ البريدي نسبة الى البريد وهو الساعي — ٧ [illegible] — ٨ البشتي نسبة الى بشيت قرية بفلسطين — ٩ البشيرة

الى قلعة بشير بنواحي الزَوْران من بلاد الاكراد ، والى جد ايضاً — ١٠ البشيلي نسبة الى بشيلة قرية قرب بغداد — ١١ البصيري نسبة الى بصير ، جد . وهي ايضاً نسبة الى بصير الحِنْدور . بالجيم والتحتية والمهملة والراء ، من نواحي دمشق - ١٢ البكيلي نسبة الى بكيل ، بطن من همدان - ١٣ التزيدي نسبة الى تزيد من بلاد اليمن . وبطن من الانصار — ١٤ التليدي نسبة الى تليد ، بطن الازد — ١٥ الثبيري نسبة الى ثبير . جبل بمكة — ١٦ الجديلي نسبة الى جديلة . وهو موضع في طريق مكة على طريق البصرة — ١٧ الجليقي نسبة الى جليقة . بلد بالروم — ١٨ الجملي نسبة الى جميل ، جد ، والى درب جميل ببغداد حاضرة العراق — ١٩ الجابلي نسبة الى الجابل من عمل سمداء — ٢٠ الجهيري نسبة الى جهير ، جدٍ — ٢١ الحديثي نسبة الى الحديثة والحديث من مدن العراق — ٢٢ الحريمي نسبة الى حريم قبيلة . والى الحريم الطاهري من محلات بغداد — ٢٣ الحزيمي (بالذاي) نسبة الى حزيمة . بطن من نهد — ٢٤ الحسيني الكاريمي نسبة الى حسين ككريم ، وهو بطن من طيئ — ٢٥ الحظيري نسبة الى الحظيرة ، موضع فوق بغداد — ٢٦ الحكيمي نسبة الى حكيم ، جد — ٢٧ الحليمي نسبة الى حليمة السعدية ، وجدة ، والى حليم جد الفقيه الشافعي — ٢٨ الحميدي نسبة الى الحميد ، الامير السامانى — ٢٩ الخبيصي نسبة الى خبيص ، وهي مدينة بكرمان — ٣٠ الخصيبي نسبة الى خصيب (بالعراد المهملة) رجل — ٣١ الخطيبي نسبة الى خطيب جد ، كان خطيباً — ٣٢ الخطيمي نسبة الى خطيم ، جد — ٣٣ الديري نسبة الى دير ، قرية بنيسابور — ٣٤ الدبيقي نسبة الى الدبيقية . قرية ببغداد — ٣٥ الدثيني نسبة الى الدثينة ، قرية باليمن — ٣٦ الدميري نسبة الى دميرة من قرى مصر — ٣٧ الربعي نسبة الى الربيع ، جد - ٣٨ الزريقي نسبة الى زريق ، محلة بمرو — ٣٩ الرشيدي نسبة الى الرشيد الخليفة العباسي الشهير . والى رشيد بلدة بمصر — ٤٠ الزهيبي نسبة الى زهيب ، جد — ٤١ الزعبي نسبة الى زعب ، جد — ٤٢ الزبيني نسبة الى زبينة ، جد — ٤٣ الزبيدي نسبة الى زبيد ، مدينة باليمن - ٤٤ الزعيمي نسبة الى زعيم الدولة — ٤٥ السميري نسبة الى سميرة ، قرية ببخارى — ٤٦ السبيعي نسبة الى سبيع ، بطن من همدان ، والى محلة السبيع وهي بالكوفة — ٤٧ السعيدي نسبة الى سعيد ، جد ٤٨ السليحي نسبة الى سليح ، بطن من قضاعة — ٤٩ السليطي نسبة الى سليط ، جد — ٥٠ السليمي نسبة الى سليم ، درب ببغداد والى سليمة بطن من الازد — ٥١ السنيجي نسبة الى سنيج ، مدينة من عمل كرمان — ٥٢ السنيكي نسبة الى سنيكة ، قرية بمصر — ٥٣ الشبيبي نسبه الى الشبين وهو الصور او نوع منهُ وهو المسمى في عهدنا هذا بالشربين في سورية ولبنان — ٥٤ الشريجي نسبة الى شريج ، جد — ٥٥ الشريشي نسبة الى شريش مدينة بشذونة — ٥٦ الشريفي نسبة الى شريف بطن من تميم — ٥٧ الشريكي نسبة الى شريك ، بطن من دوس — ٥٨ الشعيري نسبة الى الشعير للبقلي — ٥٩ الشفيقي نسبة الى الشفيق — ٦٠ الصديقي نسبة الى صديق ، جد — ٦١ الصريمي

بة الى صريم ، جد — ٦٢ الصغيري نسبة الى صغير . جد — ٦٣ الضبيسي نسبة الى ضبيس .
ن من عذرة — ٦٤ الطريفي نسبة الى طريف ، بطن من طيء — ٦٥ الطريقي نسبة الى الطريق
هو علي بن المنذر ، لانهُ ولد في الطريق — ٦٦ الطميسي نسبة الى طميس ، قرية بمازندران —
٦٧ العتيقي نسبة الى عتيق، جد — ٦٨ العريشي نسبة الى العريش، موضع بناحية الشام وهي اليوم
ن ديار مصر — ٦٩ العريفي نسبة الى عريف بن جُشَم — ٧٠ العقيلي نسبة الى عقيل بن ابي طالب
٧١ العليجي نسبة الى عليجة (بفتح العين وكسر اللام) تصغير علي على الطريقة الفارسية
٧٢ العميري نسبة الى عميرة ، بطن من ربيعة — ٧٣ الغسيلي نسبة الى غسيل الملائكة ، حنظلة
ابي عامر — ٧٤ الغشيدي نسبة الى غشيدة من قرى بخارى — ٧٥ الفقيري نسبة الى الفقير ، جد
٧٦ الفليشي ، نسبة الى فليش ، قرية بالاندلس — ٧٧ القتيري الى قتيرة ، بطن من تجيب
٧٨ القريبي نسبة الى ابي قريبة ، جد — ٧٩ القريحي نسبة الى قريح ، بطن من سامة بن لؤي
القشيبي نسبة الى بني القشيب ، بطن من لخم — القطيعي نسبة الى قطيعة الربيع والى قطيعة الفقهاء
والى قطيعة ام جعفر والى قطيعة الدقيق . وكلها محلات كانت في بغداد — ٨٢ القطيفي نسبة الى
القطيف ، بلد بناحية الاحساء — ٨٣ القميري نسبة الى قمير بن حبشة بن سلوك بن كعب بن عمرو
ابن ربيعة — ٨٤ الكبيري نسبة الى كبير، بطن من اسد وغيره وقرية قرب بخارى — ٨٥ الكبيري
نسبة الى كثير ، جد — ٨٦ الكفيني نسبة الى كفين قرية ببخارى ٨٧ اللقيطي نسبة الى لقيط
جد ٨٨ المريسي نسبة الى مريس ، قرية بمصر . — ٨٩ المريضي نسبة الى المريض ، جد —
المطيري نسبة الى المطيرة ، قرية بنواحي سر من رأى — ٩١ المغيلي نسبة الى المغيلة ، فصيلة
البربر — ٩٢ المنيحي نسبة الى المنيحة . قرية بدمشق — ٩٣ المنيعي نسبة الى منيعي جد —
النجيحي نسبة الى نجيح جد — ٩٥ النذيري نسبة الى نذير ، بطن من بجيلة — ٩٦ النزيري
نريز قرية باذربيجان — ٩٧ النضيري نسبة الى بني النضير ، قبيلة من اليهود — ٩٨ النعيمي
الى النعيت ، بطن من سامة بن لؤي — ٩٩ النعيمي نسبة الى نعيمة ، بطن من الكلاع
الوجيزي نسبة الى حفظ الوجيز — ١٠١ الوجيهي نسبة الى وجيه ، جد — ١٠٢ الوزيري
الي الوزير، جد، وغيره — ١٠٣ الوكيعي نسبة الى وكيع ، جد . ورجل . وهناك غير هذه
وعلى هذا الوجه مما لا يقع تحت حصر . ولا يزيدنا فائدة لعلمنا أن هذه المنسوبات اكثر مما ذكرناه

***

اذن هذه مائة وثلاث كلمات ، جاءت فيها فعلي منسوب الى فعيل أو فعيلة وكلها أعلام .
ما تقدم اننا لم نذكر ما جاء منها اجوف او مضاعفاً لشهرة قاعدتها ان الياء لا تحذف منها في
اليها ، ولو جمعناها لازداد العدد المذكور ضعفين أو ثلاثة اضعاف واكثر هذه الكلم من
[illegible] عهد الجاهلية كأسماء بطون من العرب أو اسماء ، مدن في ديار الجزيرة العربية

ى من هذا التعداد الطويل الممل — وان اجتزأنا بالوشل منهُ — ان الاولين ، او قل بالاحرى : ن الاول الذي وضع قاعدة النسبة الى فعيل او فعيلة بحذف الياء لم يستقر جميع ما جاء من هـذا قبيل ولو تتبعها كما تتبعناها لعدل عن قاعدته ووضع ضابطاً مخالفاً لما قرره ، وحمل ما خالف ذا الضابط شاذاً لا غير . لكن الذين جاؤوا بعد الواضع الاول تأثروه في قاعدته من غير أن ينعموا نظر في صحة ما قال او علتهِ ، فقرارة تسفّهت قراراً

ونزيد على ما تقدم ان النسبة الى فعيل وفعيلة بابقاء الياء في قلب الكلمة وكسْع الآخر بياء نسبة كثير الورود في ما ذكره القاقشندي في صبح الاعشى ونحن لم نذكر تلك الشواهد ، لانها ضعت بعد العهد العباسي الزاهر . اما ما نقلناهُ عن السمعاني وابن الاثير وياقوت الحموي والسيوطي هو مما عرف في الجاهلية او صدر الاسلام او في العصر العباسي . — فأين بقي كلام من يقول خلاف ا ذهبنا اليهِ — وتلك الالفاظ الشاذة لو جمعت بحذافيرها لما ارْبتُ على العشرين ، على اعظم تقدير ، ع عنك اننا لم نذكر من الكلام الاّ ما عثرنا عليهِ في الدواوين المذكورة بسرعة البرق الخاطف لقلة ا سمحنا من الوقت ، ولهذا نظن ان هناك الفاظاً كثيرة فاتتنا في تلك الاسفار نفسها

وسوف نذكر بقية ماجاء من الاوهام في مجلة المجمع والتوفيق منهُ تعالى

مقالات لغوية اخرى في هذا العدد من المقتطف

١ — ايقال كريات بيضاء (صفحة ٢٠٩)

لامين ظاهر خير الله

٢ — اسماء النبات (صفحة ١٦٥)

لمحمود مصطفى الدمياطي

٣ — اللغة وأسماء الامراض (في باب المراسلة والمناظرة)

لعبد الرحيم بن محمود

٤ — تعليق على اسماء النبات (في باب المراسلة والمناظرة)

للفريق امين باشا المعلوف

الاتجاه الجديد في

اشكال السيارات والسفن

والقطارات والطائرات

رغبة في السرعة مع توفير الوقود

من عجائب الطبيعة انها تتوخى الاقتصاد كلَّ الاقتصاد في خلقها ، فقطرة المطر الساقطة من
غمام الهامي ، تتخذ الشكل الذي يجعلها اقلَّ ما تكون تعرُّضاً لمقاومة الهواء لها وهو شكل كمثري
الضوء المنبعث من بعض الحيوانات البحرية والبرية لا يضيَّع معظم الطاقة التي تولدهُ في التغلب
على مقاومة السلك كما يحدث في ضوئنا الكهربائي . ومنقار الطير تجعله بحيث يكون افعل ما يكون
ر الثمار او نقد الحبوب . والعقاب تهيىء لها طريقة لكنع جناحيها وهي منقصة لكي
الجناحان المنشوران مقاومة الهواء لها . والسمك على اختلاف اشكاله تراعي فيه ان الرزق
البحر الخضم ، وان الاسماك لا طاقة فائضة عندها تنفقها في طلب القوت ، فتخلقها بحيث
هذه الطاقة جهدها ولذلك تجعل شكلها اقلَّ ما يكون مقاومة للسير في الماء

تفعل الطبيعة ذلك لا عن وعي ، ولكن مجاراة لنواميس عامة ، بدأ الانسان يمتط
العصور الاخيرة . ولو هو راعى بعضها لوفَّر على نفسهِ جهداً كبيراً بذل في غير
ظيمة بدَّرت على غير سبيل ، ولكفَّ عن التبجُّح بانهُ غزا الطبيعة ولقال في دعة انهُ تعلم

خذ سيارة اليوم ، فانت حين تسير بها بسرعة ثلاثين ميلاً في الساعة تنفق نحو
لاندفاعية المستمدة من محركها في مقاومة الهواء ، لان شكل السيارة حين سيرها بهذه السرعة
وامات من الهواء فوق السيارة وحولها وخلفها تعيقها عن المضيّ . فاذا ارتقت سرعة سيارتك
يلاً في الساعة اصبح ما تنفقهُ من الطاقة في مقاومة الهواء خمسة اسداس الطاقة التي يولدها

او خذ السفينة الايطالية العظيمة « ركس » . فرغبة اصحابها في زيادة سرعتها عقدتين
قتضت منهم زيادة ما تحرقهُ محركاتها من البترول من ٧٠٠ طن في اليوم الى ١١٠٠ طن
عقدتين في الساعة في سرعة السفينة اقتضى زيادة النفقة على الوقود نحو الف جنيه في اليوم
السرعة تقتضي زيادة مقاومة الماء للسفينة زيادة كبيرة ، ومن هنا زيادة ما ينفق من الوقود
على هذه المقاومة

ولو ان الطبيعة تجسمت مهندساً يصنع سيارة او يبني سفينة ، لما عمدت الى زيادة القوة
لتغلُّب على مقاومة الهواء والماء . بل لحاولت ان تجعل شكل السيارة ، او شكل السفينة ،

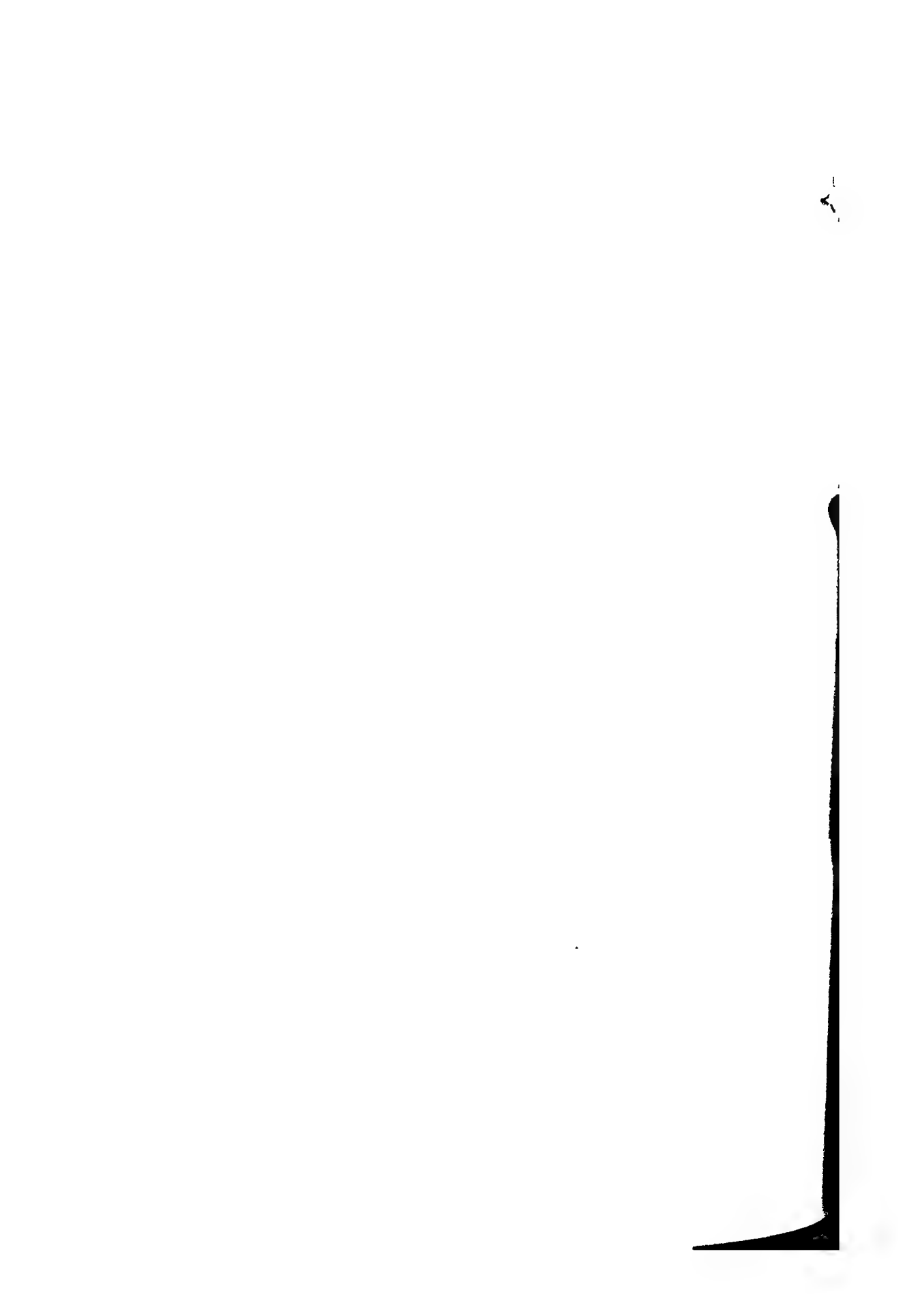

بحجم سيارة متوسطة مألوفة ، على ان يفرغ شكلها في القالب الامثل الذي تقتضيه قواعد الحركة والمقاومة ، لتقصت المقاومة التي تلقاها السيارة من الهواء تسعة اعشار اي ان هذه المقاومة تصبح عُشر ما هي الآن . ولكن بلوغ الكمال في هذه الناحية من الحياة متعذر تعذره في سائر نواحيها. الاّ ان هذا الخفض العظيم في مقاومة الهواء للسيارة لا يبدو لصاحبها وهو يسير بسرعة ثلاثين ميلاً او اربعين ميلاً في الساعة ، بل يبدو عند ما ترتقي السرعة الى نحو مائة ميل في الساعة

ولعلّ السؤال الاول الذي يخطر بالبال بعد بسط القواعد المتقدمة هو لماذا لا يعمد المهندسون وصانعو السيارات الى صنع سيارات من هذا القبيل لا يقاومها الهواء مقاومة شديدة فيوفرون على مستعمليها جانباً من نفقة الوقود ان لم يرغبوا في زيادة السرعة او حالت القوانين والطرق دونها

والواقع ان الحائل دون ذلك نفسيٌّ في المقام الاول لان الناس وقد أُلِفوا اشكال السيارات كما هي ، يأنفون من اشكال جديدة تختلف عنها كل الاختلاف . فالسيارة المصنوعة على هذه القواعد يجب ان تكون كمثرية الشكل ، وهو قالب تستهجنهُ العين لانها لم تألفه . ثم هناك حائل اقتصادي يقتضي من اصحاب المصانع احداث تغيير كبير في التصميمات التي يجرون عليها والآلات التي تخرج هذه التصميمات من حيز الرسم الى حيز الفعل . وقد كان غوستاف ايفل ، صاحب برج ايفل المشهور اول من عُني من نحو عشرين سنة ، بدراسة تأثير الهواء وتياراته في سير السيارات والقطارات ومركبات القطارات والطائرات . ثم شرع العلماء والمهندسون يبنون أنفاقاً خاصة لتجربة التجارب على نماذج من الطائرات والسيارات والقطارات . وقد عيّنت الاميرالية البريطانية لجنة من العلماء لدراسة الاحياء البحرية مثل سمك التنّ والسلمون والحوت الازرق والقرش رغبة منها في التوصل الى اصلح الاشكال لسفن الهواء والغوّاصات . وقد اسفرت هذه الدراسة عن ان افضل الاشكال الطبيعية الجامعة لهذه المزايا ، انما هو شكل القرش Shark

وعُني المستر هيلد Heal احد علماء مجلس المقاييس والموازين في الحكومة الاميركية بنتيجة تجارب في انفاق من هذا القبيل فاخذ اربعة نماذج قياسية لسيارة مقفلة (سيدان) صنعت سنة ٢٢ ولسيارة مفتوحة صنعت سنة ١٩٢٢ ولسيارة (سيدان) خفيفة صنعت سنة ١٩٢٨ ولسيارة اسد خفيفة صنعت سنة ١٩٣٣ ونموذجين لسيارتين مصنوعتين على اساس القواعد التي يجب ان تتو في السيارة لتكون اقل ما تكون مقاومة للهواء . ثم قاس مقاومة الهواء لكلّ من هذه النما فوجد ان مقاومة الهواء لنموذج سيدان ١٩٢٢ يدلُّ عليها الرقم ٠٫٠٠١٧ وان مقاومته لنم سيدان ١٩٢٨ يدلُّ عليها الرقم ٠٫٠٠١٨ وان مقاومتهُ لنموذج سيدان سنة ١٩٣٣ يدلُّ الرقم ٠٫٠٠١٥ اما المقاومة للنموذجين الاخيرين فيدل عليها الرقم ٠٫٠٠٠٥ اي ان السيارة تصنع وفقاً للقواعد العلمية الصناعية تفوق في كفاءتها ٣٥٠ ضعفاً كفاءة سيارة كانت مستعم ثماني سنوات . وهذا يعني ان سيدان سنة ١٩٢٢ تحتاج الى قوة ٢٧ حصاناً لتسير بسر

تصميم وضعهُ المهندس
عدس لسيارة كما يجب
ان يكون شكلها حتى
تكون مقاومة الهواء
لها أقل مايمكن ان تكون

نوع من الحيتان (الى اليسار)
وسمك التن (تحت) وهما من
ابدع الامثلة في الطبيعة على
مجاراة قواعد الحركة ويعتقد
سمك التُّن بأنهُ يستطيع ان
يصم زعانفه لتقليل مقاومة
الماء له الى ادنى حد ممكن

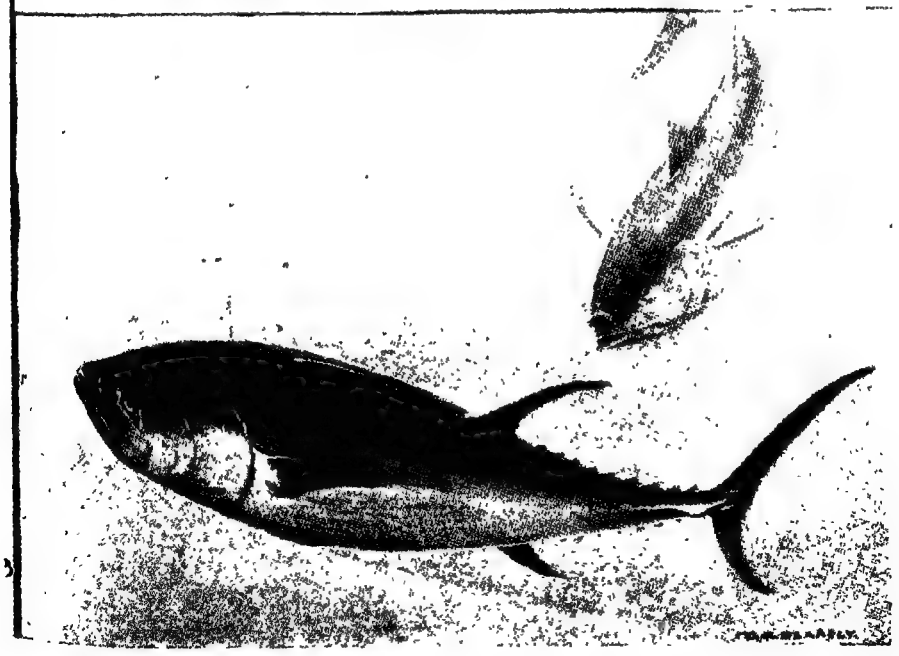

نقلاً عن مجلة « التاريخ الطبيعي » الاميركية

ميلاً في الساعة واما سيدان سنة ١٩٢٨ فيحتاج الى قوة ٢٦ حصاناً ليسير بالسرعة نفسها وسيدان سنة ١٩٣٣ الى قوة ١٨ حصاناً وان كلاً من السيارتين المصنوعتين وفقاً للقواعد العلمية تحتاج قوة ٨ احصنة فقط . فكفاءة هاتين السيارتين الميكانيكية تزيد ٣٠٠ ضعف على كفاءة سيارة ٣٣، و ٦٠٠ ضعف على كفاءة سيارة سنة ١٩٢٢

هذا فيما يتعلق بالسيارات . فاذا نظرنا الى القطارات وجدنا أن ارتقاء السفر الجوي و لاتقة بالسيارات ، قد سلبها جانباً كبيراً من زبائنها . ولا ريب في ان السفر الجوي سوف يهدد قريباً السفن التي تمخر عباب البحار . ومن الغريب ان شركات السفانة عمدت الى تكبير حجم السفن في مواجهة هذه المنافسة من الطائرات غير عابئة على ما يظهر بالقواعد العلمية التي يجب أن تتوافر في تصميمها

ففي الولايات المتحدة الاميركية مهندس يدعى نورمن بل غدس N. B. Geddes له نظرة خاصة في هذا الموضوع يهزأ بها بعض المهندسين لانها متطرفة في رأيهم . ولكن غدس يرى ان شكل السفينة المثلى يجب أن يكون أشبه بالدلفين منهُ بأي شيء آخر . وفي الصورة المقابلة رسم لسفينة مصنوعة على هذا المثال . وعنده أن سفينة حمولتها ٧٠ الف طن وطولها الف قدم اذا صنعت على هذا المثال زادت سرعتها ٢٠ في المائة أي نحو ستّ عقد بحرية من دون أن تزيد ما تنفقهُ من الوقود كما فعلت السفينة الايطالية «ركس»، فتستطيع ان تختصر مدة سفرها بين نيويورك وبليموث ٢٢ ساعة . ثم ان بناءها على هذه القواعد يخفض مقاومة الريح لها ١٤ في المائة

أما القطارات فحالتها أحرج من حالة السفن الآن لأن الطائرات والسيارات تنافسها في ميدان الانتقال والنقل على سطح الارض . وقد نقص عدد الأميال التي قطعها المسافرون بالسكك الحديد الاميركية من ٤٧ مليوناً سنة ١٩٢٠ الى نحو ١٧ مليوناً سنة ١٩٣٣

وقد صنع في أميركا قطار من هذا القبيل وفقاً لقواعد الحركة العلمية باسم زفير Zephyr . هذا القطار يحتاج الى قوة ٥٠٠ حصان لجرّه مسافة ٩٠ ميلاً حاملاً ١٢٠ مسافراً وما زنتهُ ٢٥ الف رطل من البريد والامتعة . أما القطار المألوف فيحتاج الى قوة ٣٤٠٠ حصان لنقل الحمل نفسهِ بالسرعة نفسها . فعلى القاطرة في القطار المألوف ان تجرّ علاوة على كل راكبٍ ، ما وزنهُ ثمانية اطنان من عربات القطار نفسهِ ، والنفقة التي تتكبدها الشركة على جرّ هذا الوزن الاضافي ، تبلغ ريالاً لكل ميل من السير ، وتنفق القاطرة ما قوتهُ ٨٫٣ الحصان على كل مسافر وما يتبعه . فاذا سمح للمهندس ان يصنع قطاراً تجتمع فيه القواعد التي بسطناها وحولت قاطرتهُ من قاطرة بخارية الى قاطرة كهربائية ، اصبحت القوة التي تنفق على جر المسافر الواحد وما يتبعه خمسة أحصنة بدلاً من ٨٫٣ الحصان ، واصبح ما تنفقه الشركة على الميل الواحد من السفر تسعة قروش بدلاً من عشرين قرشاً . وبذلك تستطيع سكك الحديد ان تنافس السيارات والطائرات . وقد بدأت شركات السكك

الحديد تتنبه لهذا الامر، ولكنها مترددة في احداث الانقلاب التام الذي يقتضيه، لان الانسان بوجه عام يكره التزحزح عن شيء ألفه ولو كان الربح في الانقلاب مضموناً، والخسارة في الاستقرار لا ندحة عنها

ان سر السرعة في الطبيعة هو خلق الاحياء حتى تكون مقاومة الوسط الذي تتحرك فيه اقل ما يمكن ان تكون. « فالعودة الى الطبيعة » يجب ان تكون شعار هذا العصر الراغب في السرعة

***

كتبنا هذا المقال ولم نذكر فيه اللفظ الانكليزي الذي يُدلُّ به الآن على السيارة او القطار المصمم على اساس القواعد التي بسطناها. هذا اللفظ هو Streamlining واصل الكلمة من ان السوائل نوعان احدها جريان في خط مستقيم او يكاد يكون مستقيماً streamline motion والثاني جريان مضطرب تكثر فيه الدوامات وتزداد بازدياد السرعة turbulent motion فلفظ streaming مطبقاً على سيارة مصنوعة وفقاً لقواعد الحركة العلمية يقصد به ان يكون شكلها بحيث تكون السائل او الغاز الذي تسير فيه خلواً من الدوامات على قدر الامكان لأن هذه الدوامات هي التي تحركه اي انها سرُّ مقاومة السائل او الغاز لهُ. وشكل الجسم الذي يسير في سائل او غاز من دون ان يحدث هذه الدوامات، او يحدث منها اقل مما يحدثهُ اي شكل آخر، هو الشكل المستطيل ذو المقدمة المستدق المؤخرة. وقد يصلح القول بأنهُ شكل مساير للتيار (استعمال عوض جيد) ولكننا نفضل كلمة واحدة اذا امكن ليسهل التصرف بها عند الكتابة. فراجعنا في المخصص في اوصاف حركة الحيوانات المختلفة لعلنا نعثر فيها على ما يمكن استعارته لما نحن في صدده

ثم خطرت على بالنا مادة مشق ومن معانيها « مشقت الجارية على المجهول مشقاً اي طالت رقة . . . . المشق سمكة بحرية . . . (بينا في هذا المقال ان الاسماك بوجه عام اقرب ما يكون من المخلوقات للشكل الامثل الذي تقتضيه قواعد الحركة والراجح ان اسم هذه السمكة أخذه من مادة مشق نفسها لانهم كانوا يطلقون على النبات والحيوان اسماء مشتقة من اوصافها فالمشق طائر طيفور لانه كثير الطفر. وقالوا في نبات إسليح لانه يسلح الحاشية) .... وفي قدها مشق طول مع رقة . . . والمشق من الرجال الخفيف اللحم .... المشيق من الخيل الضامر . . . ورجل مشيق اي خفيف اللحم . . والممشوق « من الجواري والقدود والخيل والرجال بالمعاني التي تقدم » ومن القضبان الطويل الدقيق . . . » ومن عجائب الاتفاق ان من الأمثلة التي يضربها اللغويون على streamlining في الطبيعة اغصان جردت من اوراقها وزوائدها

فالطول مع الرقة، وخفة اللحم في الرجال، والضامر من الخيل، والطويل الدقيق من القضبان كل هذه معان يتضمنها المقصود من الجسم الذي يصح عليهِ الوصف streamlined لذلك قد يصح ان يقول سيارة مشيق او ممشوقة بمعنى streamlined car وقطار مشيق او ممشوق streamlined train وهكذا

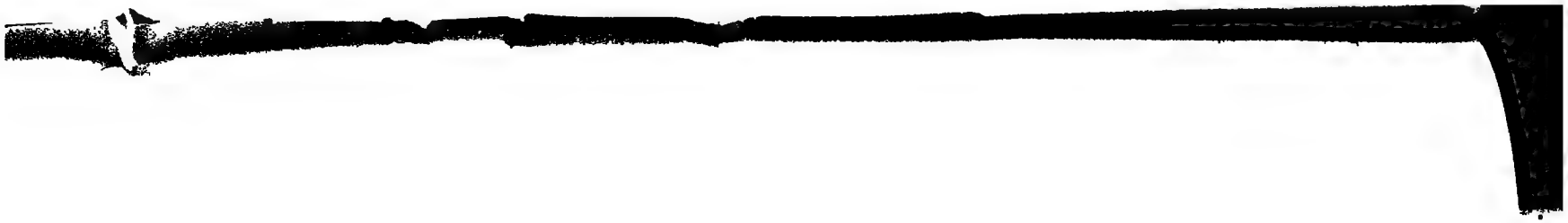

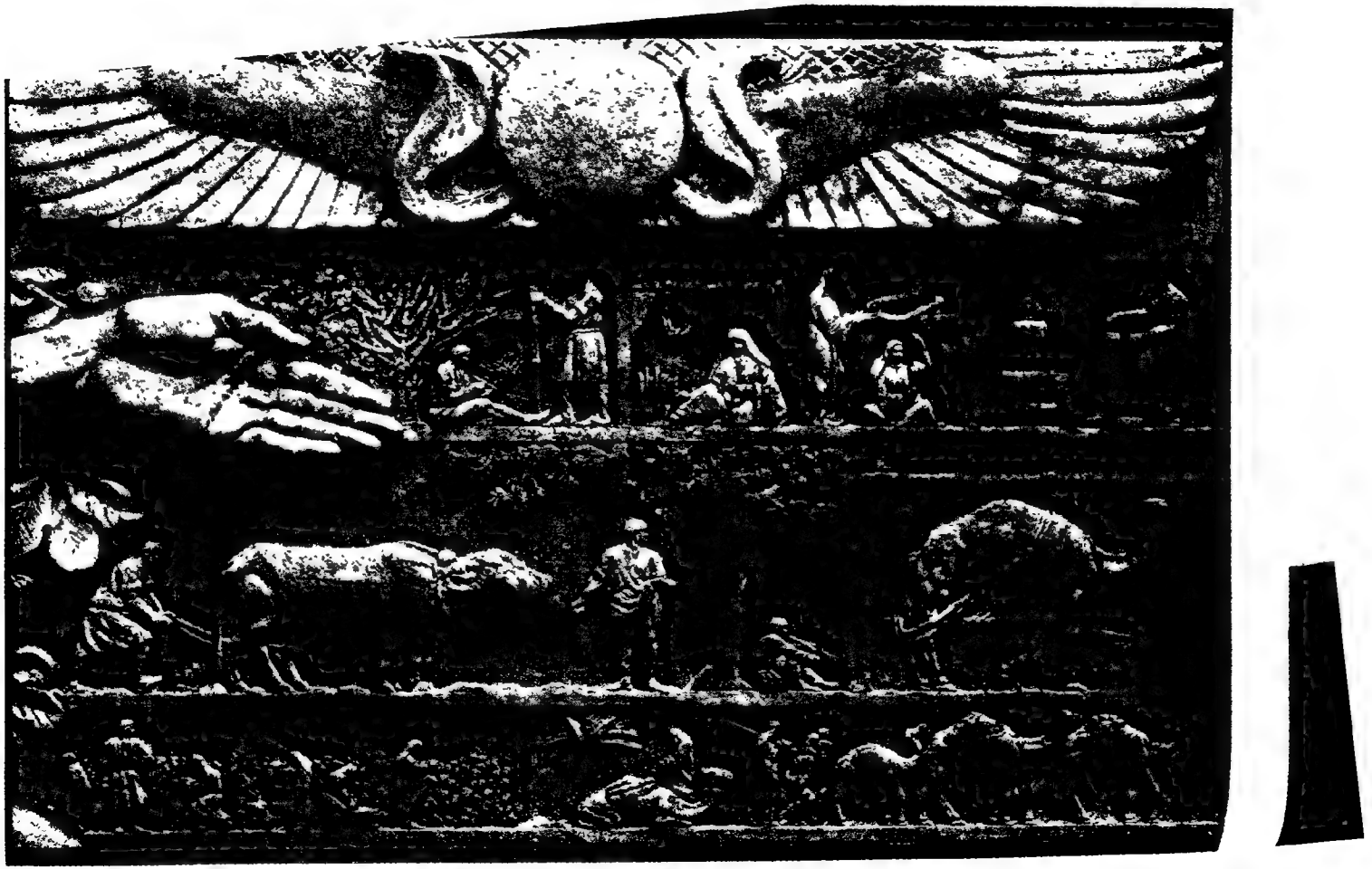

الربع الاعلى من يمين التمثال مكبراً وفيه تظهر رموز الحياة المصرية

النباتات المصرية القديمة

للدكتور حسن كمال

أ وكيل القومسيون الطبي العام

الحبوب وصناعة الجعة

حبوب اللوطس هي الحبوب الوحيدة التي عثر عليها من الزمن السابق للعهد التاريخي . والفضل في ذلك يرجع الى (ده مرجان) الذي اكتشفها مع زميليه (بتري) و(اميلينو) . اما مقابر الاسرة الاول (حوالي ٣٤٠٠ ق .م .) فخوت بعض اوعية عثر فيها على نوع من القمح يعرف بالقمح الجبلي او قمح جبل فارس وعلى الشعير ايضاً (Recherches 1897 t II p 100, 94)

(١) قمح جبل فارس : ويقال له باللاتينية Triticum Spelta عثر عليه اولاً في اوعية قبور الموتى الخاصة بغزاة مصر الاقدمين . وثبت وجوده في الزمن السابق لعهد الاسر (٣٤٠٠ ق م) . ونسب المصريون الى (ازوريس) شرف اكتشاف الحبوب ودراسة النبات المجهول و لدقيق كما نسبوا الى زوجته (ازيس) فخر ابتكار صناعة الخبز

واننا لم نهتد حتى الآن الى موطن هذا النبات الاصلي . لكن الرأي السائد انه لا يبعد كثيراً عن وادي الرافدين ويرجح بعضهم وجوده ايضاً في العراق (بلاد النهرين) . وقسم المصريون هذا الحب الى نوعين ابيض واحمر ولا يبعد ان يكون لهذا التقسيم صلة جغرافية بمواضع زراعته كأن يكون الوجه القبلي موطن النوع الابيض والوجه البحري مزرعة النوع الاحمر ويقال لهذا النوع من القمح بالمصرية القديمة (بدت)

(٢) البرّ — او — الحنطة Triticum Vulgare : — قال (ده كاندول)[1] ان الانسان اجتهد من قديم الزمان في تحسين القمح الجبلي (قمح جبل فارس) بطريقة التلقيح المختلط فتمكن بذلك من الحصول على نوع القمح الحالي المعروف بالبرّ او الحنطة . ولما لم يهتد الاثريون على حبوب البرّ منذ اوائل القرن التاسع عشر بعد الميلاد الى عهد قريب استنتج (كروساتس Crosatz) [2] ان ذلك يتمشى تماماً مع ما نسب الى بطلميوس الاول من انهُ اوّل من ادخل البرّ في حياة مصر الاقتصادية . لكن عثر حديثاً على آوان وكؤوس حاوية برّاً باحجام متباينة (بتري مجلة مصر قديمة مجلد ١ ص ٧٨ و٧٩) . وكان المصريون يكسون البرّ بطبقة خفيفة من الورنيش للمحافظة عليه . واهم انواع الحنطة او البرّ التي كانت معروفة عندهم وقتئذٍ هي (Triticum Amyleum[3]

(1) De Condolle, Recherches Sur Les Porigines des plants cultivées p 289
(2) Mem. Sur l'Egypte Paris X t II p 114 (3) Meyer Hist. Vol II

Triticum Vulgare و Triticum Turgidum . ودار تحف اللوفر بفرنسا يحوي مزيجاً من النوعين الاخيرين . (راجع مجلة العاديات المصرية مجلد ٧ ص ٢١٢)

وكانت مصر تصدر الحنطة الى جميع سكان البحر الابيض المتوسط . ويستدل على عظم محصول مصر وقتئذٍ بتأثير القحط الذي حل بمصر على بلدان البحر المتوسط . فقد جاء بالذكر الحكيم حكاية عن ذلك « يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا » — سورة يوسف . اما سفر التكوين فقد جاء فيه عن ذلك ما يأتي (اصحاح ٤١ آية ٥٧) « واشتد الجوع في ارض مصر . وجاءت كل الارض الى مصر الى يوسف لتشتري قمحاً . لان الجوع كان شديداً في كل الارض » واحتكرت الحكومة المصرية حق تصدير الحنطة وحق بيعها

قال شاباس (Bibl Egypt. Vol XII p. 32) ان آسيا كانت تورد في عهد تحوتمس الثالث (١٤٧٩ — ١٤٤٧ ق . م) الحنطة كجزء من جزيتها

قال المرحوم كمال باشا : ان «قمح» هو لفظ مصري قديم وجد على الآثار هكذا — قمح قمح — بدليل ما جاء في هرم تيتي من ان حوريس اكل خبز القمح الخاص به وكانت قد خبزته له خادمته الكبيرة (Pyr. Teti p 96) . ويوجد من القمح الفرعوني الآن مقادير كبيرة في جميع متاحف اوربا مأخوذة من المقابر المصرية القديمة . ووجدت مرة بالأقصر حوالي سبعة ارادب قمحاً احضرت الى متحف القاهرة . قال لوريه وقد اختبروا زراعة هذا القمح القديم فنذروه بعد ان مضى عليه سبعة آلاف سنة لكنه لم ينجح . وبحثه الكيماويون بالقائه في الكؤول الساخن الى درجة الغليان فوجدوا انهُ قد انفصلت منه مادة راتنجية رسبت في قاع الاناء . فاستنتجوا من ذلك نتيجة غريبة وهي أن المصريين الاقدمين كانوا يمدون لمؤونة موتاهم قمحاً مدهوناً بنوع من الوريش قبل وضعه في المقابر كي يقاوم مرور الزمن وتأثيراته . والواقع ان هذا الدهان الراتنجي حفظ القمح وحفظ ما فيه من الدقيق وخاصيته الى ان وصل الينا . قال ووجد (شوينفورت) قمحاً أقل حجماً من قمحنا الاعتيادي شبههُ بالقمح البحيري ويشاهد القمح مرسوماً بكثرة في المقابر بين المر وعسل ومذكوراً في نصوص القرابين . وكانوا يستعملونه كثيراً في الطب مع تراكيب لألم المعدة وفروة الرأس[1]

(٣) الشعير (Hordeum Vulgare) : — وجد بمقابر الاسر الاولى مع القمح الجيد ولم يعلم للآن موطنه الاصلي القديم بالضبط . وميز قدماء المصريين بين « الشعير الابيض » و « الشعير الاحمر » . وفي دار تحف القاهرة سنبلة شعير يرجع تاريخها الى الاسرة الخامسة (٢٧٥٠ — ٢٦٢٥ ق.م.) في حالة تحلل (مجلة المعهد العلمي المصري رقم ٥ سنة ١٨٨٤ ص ٩) وعثر العالم (أونجر) في قالب لبن بدهشور على شعير [2] وميز شوينفورت هذا النبات بين ما وجده في جبلين (مجلة المعهد العلمي المصري) سنة ١٨٨٦ ج ٧ ص٤٢٢

(1) De Morgan, Recherches t II p 100 (2) Loret (La Flore p. 24)

وكان المصريون يصنعون الخبز من الشعير في عهد الاهرام (اي قبل عام ٢٧٥٠ ق .م.) الجعة او البيرة فكانت تصنع في جميع العصور من الشعير (هيرودتس ٢ — ٧٧ ، ديودورس ١ — استرابون ١٧ — ٢٤ ، بلينى ٢٢ ٢٥) . وكان المصريون ينسبون صناعة البيرة دائماً الى المعبود ايزيس وكانت كل سيدة تحرص دائماً على اقتناء البيرة او الجعة بمنزلها (ماسبرو حكايات العامة ص).

ولصناعة الجعة كانوا يستعملون الشعير النابت دون المختمر . قال شوينفورت (مجلة المعهد العلمي المصري سنة ١٨٨٥ ص ٢٧١) ان هذه الحقيقة ثبتت من وجود شعير نابت بجذور يتراوح طولها بين ٥و٧ سنتيمترات بنفس الوصف الذي تصنع منه الجعة (البوظة) هذه الايام . وهو ما يصنعون منه كعكاً يكسرونه ثم ينقعونه في الماء حتى يختمر . الى هذه المرحلة فقط كان الاقدمون يكتفون في صناعة جعتهم (بوظتهم) وكثيراً ما تشاهد بالمقابر المصرية القديمة رسوم تمثل صناعة الخبز (البسيوس دنكمايلر لوحة ٢١ — مقبرة تي — دشاشة لوحة ٢٧و١٨ الخ) . ويلاحظ ضمن هذه الرسوم الطحانون يطحنون الحبوب بين الاحجار والعجانون يعجنون العجين والخبازون يخبزون الخبز . وبالقرب منهم عمال يصنعون الجعة (البيرة — البوظة) ويصفونها بمصفاة. واعتاد القوم ان يرسموا هذين العمليين جنباً الى جنب لانهما يمثلان اهم مرحلتين في صناعة هذا الشراب الوطني

وفي العصور المتأخرة اضاف القوم بعض النباتات الى الجعة ليكسبوها رائحة ذكية وتمكنوا في العهد الفرعوني من عمل عدة انواع من الجعة . من ذلك الجعة العذبة (البوظة) المقال لها عندهم (حكت) ويقابله بالعربية وحاق . وحيق (كمال باشا) . ايضاً سخب — من سكب الماء صبه (كمال باشا) [1] . وفي العصور الاخيرة اشتهر اهالي بلوزيوم (قرب بور سعيد) بصناعة نوع الجعة المعروف باسم زيتوس (Zythus) (راجع ديودورس ١ — ٣٤) . وبعد تصفية الجعة كانت تخزن داخل اوان داخلها مطلي بالقار حتى يتم اختمارها. ويقال للشعير بالمصرية القديمة (ات) — ويقابله بالعربية عُنُز وهو الشعير (كمال باشا) . ومنه اخذت الكلمة القبطية (يوت)

(٤) الذرة (Sorghum vulgare) قال شوينفورت في (مجلة المعهد العلمي المصري سنة ١٨٨٦م ٧ ص ٤٢٦) ان الذرة لم توجد في مصر القديمة لانه لم يعثر عليها في المقابر ولم ترسم على الآثار. وخالفه في ذلك الاساتذة ارمان ولبسيوس واونجر (راجع رسم لبسيوس الذي اورده اونجر في كتابه عن النباتات المصرية القديمة ص ٣٤) حيث قالوا ان هذا النبات منقوش على الآثار . واما ولكنسون فقد ذكر في كتابه عن (عادات قدماء المصريين م ٢ ص ٤٢٦) انه استطاع تمييز الذرة على الرسوم المصرية القديمة باللون والارتفاع والشكل الخ . وهذه الآراء المتناقضة تشير الى ان وجود الذرة ان لم يكن امراً مؤكداً فلا يبعد ان يكون هناك نبات آخر شبيه به استعمل في صناعة الخبز والكعك والمعروف عن الذرة انها نوعان نوع اميركي الاصل يعرف في الشام بالذرة الصفراء وفي مصر

(1) Weil, Les origines de l'Egypte Pharaon p 251

بالذرة الشامية وهي دخيلة في الشرق منشؤها اميركا الجنوبية كما يقول الاستاذ (إيست) بجامعة هارفرد . قال الفريق امين المعلوف باشا في مقتطف يناير سنة ١٩٣٥ ص ٣٨ » : اما الذرة المعروفة بهذا الاسم العربي فشرقية نشأت بأفريقيا في عهد راسخ في القدم فاذا ذكرنا هذين النوعين من الذرة ارى ان نسمي الذرة المعروفة بهذا الاسم في كتب اللغة العربية بالذرة الافريقية او الذرة البلدية ونسمي الاميركية بالذرة الاميركية او الذرة الصفراء دفعاً للالتباس . قال واقدم ذكر للذرة بهذا الاسم فيما وقفت عليه هو في القرن الرابع للهجرة اي قبل اكتشاف اميركا بزمن طويل فلا يمكن ان تكون الذرة التي عرفها العرب اميركية الاصل . فهذه زرعها المصريون في زمن عريق في القدم كذلك العبرانيون فقد ورد ذكرها في سفر حزقيال باسم الدخن . ويرى البعض ان الدخن نوع من الذرة البيضاء وكلاهما قديم في الشرق

(٥) الفول (Vicia Faba): اعتاد قدماء المصريين ان يقدموا الفول لموتاهم منذ عهد العائلات الاولى (حوالي ٣٠٠٠ ق. م.) واكتشف الاستاذ بتري كثيراً من الفول في مقبرة من عهد الاسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠—١٧٨٨ ق.م.) [1] . وورد ذكر الفول كثيراً في قرابين الدفن الطيبوية . وجاء عن رمسيس الثالث (١١٩٨—١١٦٧ ق. م.) انه زاد في دخل الفول كثيراً لمخازن اغذية معبد آمون (مجلة المعهد العلمي المصري سنة ١٨٨٤ ص ٧)

اما هيرودوتس فقال ان المصريين لم يبذروا الفول في حقولهم . واذا حصل ونبت فانهم لا يأكلونه طازجاً كان او مطهيًّا . ولم تجرأ طائفة الكهنة على رؤيته لانهم اعتبروه دنساً واسمه بالمصرية القديمة فوير ويقابله بالعربية فول (بقلب الراء لاماً كما يحصل كثيراً)

(٦) العدس (Ervum lens) : قال هيرودوتس (٢ — ١٢٥) ان العدس كان من ضمن اطعمة عمال اهرام الجيزة . وقد عثر بمقبرة بدراع ابي النجا بالاقصر على طبق يحوي عجين العدس (مجلة المعهد العلمي المصري سنة ١٨٨٤ ص ٧ رقم ١٢) وهذا العجين محفوظ الآن بمتحف القاهرة

وكان المصريون يفصلون قشور العدس عن حبه . وورد في القصص التاريخية عن فلوطرخوس (قصة ازيس وازوريس ٦٨) ان بشائر العدس كانت تقدم الى المعبود هبرو قراط . قال المرحوم كمال باشا (بغية الطالبين) وكان العدس من المآكل المألوفة عند قدماء المصريين . فقد جاء عن بني اسرائيل انهم قالوا ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ويقال له بالمصرية عرمش ويقابله بالعربية بُلسن وهو العدس المأكول (كمال باشا)

(٧) الحمص (Cicer arietinum) : ويقال له بالانكليزية Chick-pea : قال هيرودوتس ان الديانة المصرية القديمة حرّمت اكل الحمص . وفسّر ذلك ديودورس (٢ — ٣٣) بقوله ان هذا المنع مقصود به افهام الناس معنى الحرمان . واسمهُ بالمصرية القديمة لم يعرف بعد

(1) Loret, La Flore Pharaon. II 94

حجم ذرة الاثير

كيفية استخراجه بالمقايسة

بقلم نقولا الحداد

نشأت نظرية الاثير حين ثبت ان النور حركة موجية تحدثها اهتزازات ذرات الجسم المنير ففرضوا وجود شيء ادق جداً من المادة المعروفة يملأ الفضاء سموه اثيراً ، تموجه ذرات المادة وهي مهتزة ، او بالاحرى وهي دائرة على محاورها . فيرحل التموج بسرعة ٣٠٠ الف كيلو متر بالثانية . وبقيت نظرية الاثير سائدة نحو قرنين الى ان اكتشفت بعض ظاهرات طبيعية تدل على ان النور امواج كهرطيسية (كهربائية مغنطيسية) كأمواج الراديو ، وان المادة المتشعة كالراديوم تنقص كتلة مادتها بهذا التشعع نقصاً يدل على ان الشيء الشاع (او الشعاع) هو مادي ايضاً . فقالوا ان النور ذرات مادية Particles منتشرة من الجسم المنير . ثم تحققوا ان كلاً من البروتون والكهرب متى قضي عليه لسبب ما بالاندثار تفتت الى ذرات سموها فوتونات فالكهرب ينحل الى ١٠ آلاف فوتون. ولما كان البروتون يساوي ١٨٤٠ كهرباً كتلة ووزناً فهو اذا اندثر ينحل الى ١٨٤٠ × ١٠٠٠٠ = ١٨٤٠٠٠٠٠٠ فوتون . فذرة الهيدروجين المؤلفة من بروتون واحد وكهرب واحد اذا اندثرت انحلت الى ذلك العدد من الفوتونات . والفوتون هو اصغر ما عرف من اجزاء المادة ، ويظن انه آخر « وحدة » Unit منها لا يقبل التجزئة . فاكتشاف الفوتون هذا جعل العلماء يعتقدون ان الشيء الشاع هو الفوتون نفسه وان الذرة التي تنقص بالتشعع Emanations (كالراديوم) انما هي تقص فوتونات منتثرة في الفضاء بزخم بسرعة ٣٠٠٠٠٠ كيلو متر في الثانية . وقد ظهر ان الفوتون خلافاً للبروتون والكهرب غير مشحون شحنة كهربائية . هو لكنه باندفاعه بتلك السرعة يحمل طاقة Energy

بناء على هذا الاكتشاف قالوا ان النور (وكل تموج كهرطيسي) انما هو هباء مادي ينتقل بنفسه بلا وسيط . فلا لزوم لفرض الاثير . وفي رأي آخرين ان هذا الحكم القاضي على الاثير تسرُّع وتطرُّف . لان المتعمقين منهم في البحث لا يرون غنى عن الاثير ، ما دام النور (وكل شعع كهرطيسي) يسير امواجاً مختلفة بالطول وبعدد الموجات في الثانية . على ان الذين يصرُّون بوجود نظرية الاثير يزعمون ان الفوتونات المذكورة تسير متموجة من تلقاء نفسها. وفي رأي السر جيمز جينز الذي يصالح بين النظريتين ان الفوتون يسير دائراً على نفسه دوراناً حلزونياً في الفضاء كما

تسير رصاصة «دم دم». وذلك كقولك ان الرصاصة المنطلقة من بندقية «دم دم» تندفع متعرجة بشكل الموجة. ولا نرى مسوّغاً لهذا الفرض لانه ليس اقرب الى العقل من القول ان الرصاصة وهي مندفعة بخط مستقيم تحدث امواجاً في الهواء. وهكذا القول ان الفوتون نفسه يسير متعرجاً، اذ لا نرى سبباً لتعرجه الاّ اذا كان السبيل الذي يسلكه متعرجاً فيضطر ان يتعرج بتعرجه. واذن فلا مناص من افتراض شيء يملأ الفضاء يمنع الفوتون ان يسير بخط مستقيم. وهو الاثير المفروض

ولا متسع هنا للتوسع في البحث لاثبات ان النور (وكل طاقة كهرطيسية) انما هو امواج اثيرية لافوتونات مندفعة في فضاء فارغ فراغاً مطلقاً. فالاثير يتموج بفعل دوران كل من البروتوز والكهرب على محوره ودوران الثاني حول الاول وباندفاع الفوتون فيه. وتموجه هو الكهرطيسية بعينها والنور من ضروبها. وجينز وادنغتون وغيرهما يرجحون نظرية الاثير. وبناء على ارجحيتها نبحث في طبيعة الاثير كما نستدل عليها من قوانين التموج

طبيعة الاثير

من ظاهرات التموج الكهرطيسي (النور وغيره) يستدل ان هذا الاثير ضرب من ضروب المادة (اي لا هو روح ولا هو عقل) وذراته ادق جداً من ذرات المادة (البروتون والكهرب بحيث يستطيع ان يتخلل كل فراغ بين الجزيئات Molecules وبين البروتونات والكهارب. وانه ساكن لا يجري في مجارٍ او تيارات، ولا حركة له الاّ الحركة الموجية الطارئة عليه من دوران الذرات المادية. وهو معلوم ان الحركة الموجية لا تستلزم انتقال الذرات من مكان الى آخر انتقالاً متوالياً، كما ان تموج الماء مثلاً لا يستلزم انتقال ذراته من اماكنها، بدليل ان الشيء العائم على الماء (غير الجاري) يعلو ويسفل مع الموجة ولكنه يبقى في مكانه. فالتموج انما هو اصطدام الذرات بعضها ببعض. وهكذا الاثير لا يتحرك جارياً بل ان ذراته يصادم بعضها بعضاً متى جاءتها الصادمة من البروتون او الكهرب او الفوتون

الاثير كالفوتون ليس فيه شحنة كهربائية لا ايجابية ولا سلبية. ولهذا هو ثابت غير جار، وانما هو بتموجه يحمل طاقة، اي ان الطاقة تنتقل بواسطة تموجاته. والفوتون متى تلاشت الطاقة التي يحملها في امواج الاثير (اي متى انتقلت الى امواج الاثير) بمصادمته لذراته يهدأ ويصبح كجزء من بحر الاثير، كما ان الماء المندفع في النهر الى البحر يبقى برهة مندفعاً فيه ومحدثاً امواجاً الى ان تتلاشى قوته فيشترك مع ماء البحر في الهدوء او الاضطراب كجزء منهُ

ولان بعض العلماء مثل جينز وادنغتون ولودج لا يتورعون عن القول بانهُ لا يستحيل ان تكون المادة متكونة من ذرات الاثير، فلا نتورع نحن عن التوسع في فرض ان الاثير هو فوتونات لم تتكون كهارب ولا بروتونات، او ان بعضها كانت تؤلف بروتونات وكهارب ثم انتهى عملها فعادت الى سكونها

في بحر الاثير الذي تألفت منهُ وفيهِ قبلاً ذرات مادية ، على حد قطرة الماء التي تصاعدت من ا بخاراً ، ثم تجمعت وهبطت مطراً ، ثم جرت من اليابسة الى البحر حيث انتهى عملها

وبناءً على ان الاثير هو بحر فوتونات غير مؤتلفة ائتلافاً ماديًّا نبحث في مقدار كثافة ه البحر الفوتوني الذي سميناه اثيراً . نبحث في مقدار كثافتهِ density بالنسبة الى كثافة ذرات ا السابحة فيهِ . على اننا ننبه القارىء الى ان هذا الاثير لايزال فرضاً بلا برهان ايجابيّ على وجو ولا دليل محسوس عليهِ سوى ان معظم ظاهرات التموج لا تتفسر الاّ بهِ . وبناءً على هذه الظاهر نستخرج مقدار كثافتهِ (على فرض وجوده) بالمقايسة بين سرعة امواجه وسرعة امواج الم كامواج الصوت مثلا

حجم الذرة الاثيرية

كيف يمكننا اكتشاف حجم ذرة الاثير ؟

اذا درسنا انواع الامواج المختلفة بحسب اختلاف طبائع المواد المتموّجة درساً دقيقاً فقديمكننا ان نتوصل الى ناموس عام لسرعة التموج بنسبة كثافة الوسط المتموج : — « كلما كان الوسط المتموج كثيفاً كانت امواجه اسرع » . مثال ذلك الصوت . امواجه في الحديد اسرع منها في الماء، وهي في الماء اسرع منها في الهواء : سرعة الصوت في الهواء على درجة حرارة الصفر بمقياس سنتغراد ٣٣١ متراً في الثانية ، وفي الماء على درجة ١٣ سنتغراد ١٤٤١ ، وفي الحديد ٥٠٠٠ متر تقريباً . كل ذلك في الثانية . لان الحديد اكثف من الماء والماء اكثف من الهواء كما هو معلوم

ولكن ايضاح هذا الناموس يستلزم تفسير معنى كل من الكثافة والتموج . فاولاً ما هي الكثافة؟

الكثافة هي نسبة عدد وحدات الجسم (المتموج) الى حجمه . والمراد بالوحدة كل ذرة او كل مجموعة ذرات متحدة في جزيء او مجموعة جزيئات متحدة في كتلة بحيث تتحرك ذرات المجموعة معاً حركة واحدة . فكلما كان عدد الوحدات (ذرات او جزيئات) اكثر في الحجم الواحد كالسنتيمتر المكعب مثلاً عُدَّ الجسم اكثف . فالماء يعد اكثف من الهواء لان في السنتيمتر المكعب منهُ ذرات او جزيئات اكثر مما في سنتيمتر مكعب من الهواء . وفي سنتيمتر مكعب من الحديد ذرات اكثر مما في ذينك الاثنين (فناموس الكثافة اذاً : الكثافة = عدد الذرات ÷ الحجم)

وسبب ان الجسم الاكثف مادةً اسرع تموُّجاً يظهر في تفسير معنى التموُّج — فثانياً ماهو التموج؟

التموج هو مصادمة الذرة (المصدومة بالجسم المصدر الحركة الموجية) لذرة مجاورة لها . ثم ارتدادها عنها (رد فعل) . ثم مصادمة هذه الذرة الثانية لذرة ثالثة اخرى مجاورة لها كما فعلت الاولى بها . ثم مصادمة الثالثة لرابعة وهلمَّ جرًّا . ولا يخفى ان المصادمة تستغرق وقتاً مناسباً للمسافة التي تقطعها الذرة في انتقالها من موضعها الى موضع الذرة الاخرى التي تصادمها او تصطدم بها . فكلما

كانت المسافة بين الذرات اطول (اي كلما كانت الذرات متباعدة وبالتالي تكون الكثافة اقل كما علمت كان الاصطدام يستغرق وقتاً اطول ، وبالتالي تكون الموجة ابطأ . فاذاً يجمل ناموس التموج هكذا : مثلا

$$\frac{\text{سرعة تموج الهواء}}{\text{سرعة تموج الماء}} = \frac{\text{كثافة الهواء}}{\text{كثافة الماء}}$$

الى هنا غضضنا النظر عن امر آخر لا بد من ادخاله في الحساب وهو وزن وحدة الجسم (ذر او جزيئه) وحجمه او الحيز الذي يملأه . فوزن جزيء الماء اثقل من وزن جزيء الهواء (المعد الاوسط لجزيئات الهواء المختلفة من اوكسجين ونيتروجين الخ) ووزن جزيء الحديد اثقل م وزن جزيء كل من ذينك . فما هو حساب الوزن في سرعة التموج ؟

كلما كانت الوحدة ، (ذرة او جزيئاً) ، اثقل كانت حركة المصادمة ابطأ كما هو معلوم من ان تحريك الاثقل يستلزم قوة اكثر لتحريكه . ثم ان اوزان الجزيئات مناسبة لاحجامها على الغالب . جزيء الحديد اكبر من جزيء الماء ، لان فيه بروتونات وكهارب اكثر تشغل حيزاً اوسع . جزيء الماء (ثماني . ذرتان) ١١٠ بروتونات وجزيء الماء ١٦ اوكسجين + ٢ هيدروجين . والنسبة ، ، ٨ الى ١ وهي تقارب النسبة بينهما في الكثافة وهي ٧،٧٥ الى ١ ، لذلك كانت سرعة التموج في الحديد

$\frac{٥٠٠٠}{١٤٤١} = ٣،٤$ اضعاف سرعة تموج الماء في حين ان كثافة ذاك ٧،٧٥ اضعاف كثافة هذا

واذا تفرغ رياضي لهذه المسألة مراعياً فيها الوزن الذري والثقل النوعي والحجم امكنه ان يتوصل الى عبارة رياضية عامة يستطيع بها ان يستخرج حجم ذرة كل جسم متموج بالنسبة الى حجم ذرة الهيدروجين باعتبارها مقياساً . هذا اذا عرف مقدار سرعة التموج في ذلك الجسم ولا ينكر ان العملية معقدة تستلزم اعنات الفكر . اما نحن في هذا البحث فنستطيع التوصل الى غرضنا من غير عملية معقدة اذا قايسنا بين سرعة امواج الهيدروجين الصوتية وأمواج الاثير النورانية . لان الهيدروجين ابسط العناصر كما هو معلوم وذرته معتبرة الوحدة الاولى لكل العناصر ومركباتها . فهو بروتون واحد مع كهربه . وسرعة الصوت في غاز الهيدروجين ١٢٥٨ متراً في الثانية اي كيلو متر وربع تقريباً (وذلك ٤ اضعاف سرعة الصوت في الهواء)

فاذا صح قانون تناسب السرعة والكثافة الذي تقدم نصه كانت سرعة موجة الهيدروجين ($\frac{١}{٤}$ ١ كيلو متر) الى سرعة موجة الاثير (٣٠٠ الف كيلو في الفراغ) كنسبة كثافة الهيدروجين الى كثافة الاثير . فلنتخذ الحيز الذي تشغله ذرة واحدة من الهيدروجين وحدة للكثافة لكي نعلم كم ذرة اثير تشغل ذلك الحيز نفسه :

$$\frac{\frac{١}{٤}\ ١\ (\text{سرعة موجة هيدروجين})}{٣٠٠٠٠٠\ (\text{سرعة موجة اثير})} = \frac{١\ (\text{كثافة هيدروجين . ذرة واحدة})}{ك\ (\text{كثافة اثير})}$$

اذن ، ك = ٢٤٠٠٠٠ ذرة اثيرية

في هذا الحساب اعتبرنا السرعة في خط واحد مستقيم . وهي ولحقيقة تنتشر الى جميع الجـ فاذاً ذلك الرقم ٢٤٠٠٠٠ ليس الا عدد ذرات الاثير التي تشغل قطر الحيز الذي يشغله الهيدروج فاذا كعبناه حصلنا على عدد ذرات الاثير في الحيز الذي تشغله ذرة واحدة من الهيدروجين و تقريباً ١٦ الف بليون ذرة

فانظر ما اكثف الاثير بالنسبة الى كثافة الهيدروجين . ولو انحلت ذرة الهيدروجين فوتوناتها وهي ١٨ مليون تقريباً لكان بين كل فوتون وآخر نحو ١٠٠ مليون ذرة اثير تقريباً

واذا صدق هذا الحساب وصدق الظن بأن الفوتون ليس الا ذرة اثير فلا نعود نتعجب م ان البروتون الذي يساوي الكهرب بالحجم يزن ١٨٤٠ مرة كوزنه ويحتوي على ١٨ مليون فوتو تقريباً محشودة فيه حشداً اكثف من البحر الاثيري . وكذلك لا نستغرب ان الكهرب المحشو فيه نحو عشرة آلاف فوتون لا يكاد يعد ذا كتلة مادية . ولا نستغرب ايضاً ان بين الكهرب وبروتونه رحبة واسعة المدى بالنسبة الى حجمهما ، وان المسافة التي بين فلك الكهرب وبروتونه تشغلها ملايين ذرات الاثير ، والكهرب يفاجها فاتحاً في اثناء دورانه ، ولا يكاد يشعر باحتكاكها فيه. مع انهُ يصدر فيها أمواجه الكهرطيسية. فدقة ذرات الاثير لهذا الحد واحتشادها هذا الاحتشاد هما سرّ سرعة النور الفائقة وسرعة كل تموج كهرطيسي . وهذا هو السر في انها السرعة المتناهية التي لا يمكن ان تفوقها سرعة اخرى، لانه لا يوجد في الكون وسط لانتقال الامواج أدق ذرةً من الاثير واكثر احتشاداً بذراته (كثافة) . أفليس في هذه الحقيقة برهان دامغ على أن النور (وكل طاقة كهرطيسية) انما هو تموج أثيري ؟ لانهُ لو كان مجرد فوتونات منتثرة من الذرات لما كان ذا سرعة ثابتة لا تتغير ، بل كانت الفوتونات تندفع كسائر القذائف وبسرعة تعادل القوة التي قذفتها، كسرعة القنبلة بالنسبة لقوة المدفع

بعض خواص الاثير

بناءً على تقارب الذرات الاثيرية العظيم بالنسبة الى ذرات المادة كذرات الهيدروجين، او أي عنصر آخر او اي مجموعة ذرات سابحة في بحر الاثير أو متحركة فيه أية حركة او تدور على نفسها او حول مركز — كانت هذه الذرات من غير بد تصادم ذرات الاثير في طريقها وتشق فيها اثلاماً وتحدث تموّجاً . وهذه بنوبتها تصادم اخواتها التي حولها ، وهكذا دواليك تنتشر الموجة في الفضاء الى ما لا نهاية لهُ

لذلك لا نقدر ان ننفي من الذهن فكرة الاصطدام بين الاثير والذرات المادية المتنوعة وكهاربها خلافاً لرأي السير اوليفر لودج نصير الاثير . فلا بدّ ان يكون بين الذرة والأثير شيء زهيد جدًّا

من الضغط يساوي جزءاً من ملايين من مقاومة الذرة لذرة اخرى . وفي نظر هـذا العاجز لولا وجود هذا الضغط لما وجد ناموس الجاذبية . ولهذا بحث خاص

لا ينفي السير اوليفر لودج هذه المقاومة فقط بل ينفي اللزوجة عن الاثير . فلا يعاق منهُ شيء بالمادة المتحركة فيه كما يعلق الماء بجوانب السفينة الماخرة في البحر . وهو مصيب بنفي اللزوجة لانها تستلزم وجود تجاذب او الفة بين ذرات الاثير وذرات المادة . وهذا التجاذب غير موجود بحسب رأي جينز وغيره ممن يقولون بأن الفوتون خالٍ من الشحنة الكهربائية . فما للاثير من خاصة الحركة الاّ انهُ الوسط الذي تنتقل الحركة (او بالاحرى الطاقة) بواسطة تموجهِ

وزعم انصار الاثير انهُ لا وزن له . وانما بحسب حسابنا السابق وباعتبار ان الأثير بحر فوتونات تزن الذرة الاثيرية نحو جزء من ١٨ مليون من وزن ذرة الهيدروجين . ولكننا لا نستطيع ان نزن الاثير كما نزن الماء والهواء لاننا لا نستطيع الخروج منه والاستقلال عنه كما نحن خارجون عن الماء ولا نستطيع ان نفرغ حيزاً منه كما نفرغ انبوبة من الهواء . نحن فيهِ كالسمكة في البحر لو كانت تعقل لما كانت تستطيع ان تعلم ثقل الماء وهي غائصة فيه لا تستطيع الخروج منه

واذا كانت الفوتونات ذرات أثيرية (كما يميل الى هذا الظن بعض العلماء) انحلت اليها المادة بروتوناً وكهرباً . فهي اذن كلما تبأرت من المادة وتدفقت في بحر الاثير العظيم فلا تزيد كثافته فقط بل تزيد اتساعه ايضاً . وقد تعود كثافته الى حالتها الطبيعية باتساعه على حساب الفراغ المحيط به وهذا الظن يطابق نظرية . ان الحيز الكوني يتسع رويداً كما حققته ارصاد هوبل وكما علله ديستر ولاميتر

واذا كانت ذرات الاثير كالفوتونات غير مشحونة كهربائيًّا كما قرر العلماء بشأن الفوتون بناء على اختبارات ظاهرات طبيعية فلا توجد قوة التدافع بينها كما توجد بين الكهارب وكلها سلبية الشحنة من نوع واحد . فلا تصد بعضها بعضاً كما يصد الكهرب الكهرب ، وانما تزحم بعضها بعضاً واذن فيحتمل جدًّا ان يكون النسيج الاثيري حول الجرم الذي تتدفق منه الفوتونات كثيفاً جدًّا مثلاً ، كثيفاً جدًّا بسبب ازدحامها . وهـذا الازدحام يقلل كمربع البعد (طبقاً لناموس التجاذب) فلذلك تقل سرعة النور العابر من هناك ويعتوج خط سيرهِ كما أثبته اينشطين

***

اذا صحت نظرية الاثير كما شرحها هذا الضعيف فيما تقدم سهل جدًّا تعليل سر الجاذبية باعتبار ان الجو الجاذبي Gravitational field ليس الاّ تموجات أثيرية تحدث قوة الشرود عن المركز Centifugal force المعادلة لقوة التجاذب Centripetal force التي هي خاصة من أهم خواص المادة وعلة حركتها . وفوق كل ذي علم عليم

فلسفة الجمال

ESTHETICS

يخلق الحب جمالاً والجمال حبًّا

لحنا مبارك

ليس في لغات هذا السيّار الصغير اقدس من هاتين الكلمتين : الحب والجمال : على انك لا تر ضوعاً اقصر الناس باعاً فيهِ منهم في الحب والجمال . واليك المثل المحسوس الملموس . هذا مقتطف يز ، وقد ادرك الستين من العمر ، ولم يترك من بحوث العلم والادب شاردة ولا واردة . ولكن مقالة لهُ في فلسفة الحب ؟ فلست اطرق اذاً موضوعاً مبتذلاً في هذه المقالة . بل اراني غاية في فتقار الى آراء كبراء الكتّاب والباحثين

***

في كل قلب معبد للجمال ، وفي كل بيت هيا كل ومذابح . على ان القليلين هم الذين يعنون بكشف تاره ، وسبر اغواره . وبحث الجمال والحب هو من خصائص علم النفس — Psychology — كن علم النفس تخلى عنهُ للفلسفة ، شأن العلوم في كل بحث عويص ، فانها تتخلّى عنهُ للفلسفة . ا هو ديدن العلوم ولا سيما العلوم العصرية الممتازة بالمختبرات والتجارب ، وبردّ القواعد العلمية المقادير والارقام . فانها عاجزة عن خوض مثل هذا البحث . ولذلك حملت عنوان هذه المقالة لسفة الجمال » وليس « علم الجمال »

على ان الفلسفة نفسها ، وهي في ذروة مجدها ، في العصر الباركليسي وبعدهُ ، لم تُعن كثيراً مسألة «الجمال » . ما هو الجمال ؟ ولماذا تقول عن شيء انهُ جميل ؟ فاقتصر فيثاغورس في امر ال على ردّ السلم الموسيقيّ الى قواعد الرياضة ، ووصف الاتزان بالشكل الكروي . وكان الفلاسفة قدمون — قبل سقراط — يصفون الجمال بحدود المكان والمقدار . فكانت الموسيقى عندهم انتظام الاصوات » وجمال المرئيات « انتظام النسب » . اما افلاطون الالهيّ فوحّد ذاتية الجمال لخير . فالمثل الاعلى عنده هو « الجميل » او « الخير » ولم يفسح للموسيقى مجالاً واسعاً في مدينتهِ لى الا في تثقيف الاحداث

***

وكان الفيلسوف بمغارتن الالماني اول من افرد الجمال ، وجعلهُ موضوع بحث خاص . واختصّ ونشي بهِ فدعى « فيلسوف الجمال » . وقد سبقه اريسطوطاليس فوضع للجمال التعريف التالي :

الجمال هو الاتزان ، وحسن اندماج الاجزاء في الكل : وقد اضاف الفيلسوفان لاسن وونكلمن الى هذا التعريف شيئاً يسيراً . فظل الجمال عندهما كما كان عند اريسطوطاليس ، مسألة : بناءٍ وصورة : من حفرٍ وتلوين الخ . اما « الفيلسوف « كنت » ، واضع المذهب التصوري Idealism فتقدم خطوة الى الامام في تعريف الجمال ، فجعله : ما يسرُّنا لغير انتفاع : فنسرُّ بالجميل لانهُ جميل ، لا لغرض شخصي . بمثل هذا الشعور السامي نفهم ماهية الجمال ، او نشعر بتأثيرهِ في نفوسنا وحياتنا

ولكن « شوبنهور » جعل الجمال : شعوراً استاتيكيًّا (وضع بمغايرتهِ لفظة « Dynamics » — فلسفة الجمال —) او غريزة فنية في نفوسنا : وبذلك يتحرر العقل نوعاً من سلطة الشهوة . فيتمكن من تحقُّق المُثُل الافلاطونية « العليا » . على ان « هيغل » عاد بنا صفقة واحدة الى العهد الاغريقي ، فجعل الجمال « الوحدة في التعدُّد » ، او تغلُّب الصورة على المادة

قال « اناطول فرانس » : لسنا نعرف لماذا نقول عن شيءٍ انهُ جميل : ولكن الجمال اشهر مايدور على ألسنتنا ، ويتغنّى بهِ شعراؤنا ، وتلهج بهِ نفوسنا ، ويعبده افرادنا وجمهورنا . فهل قُضي على هذه البشرية ان تعبد الهاً تجهله ؟ ! او صحيح ما قيل ان ما يمكن تعريفه ليس بإلهٍ ؟ مهما يكن من ذلك فالجمال يملأ الارض والسماء ، والظاهر والباطن . فهو اشهر ما تراه العين وتلمسهُ اليد . استغفر الله ان الجمال لا يُلمَس ولكن يُشعَر بوجوده شعوراً . انما الذي يُرى هو آثاره ومجاليه . اما ماهية الجمال فمستترة وراء تلك المجالي والآثار . شأن الكليات او المثل العامة العليا

الحكمة واسطة ، والغاية وراءها هي احراز الصحة التامة جسماً وعقلاً . فما هي فائدة الحكمة اذا لم تفتهِ بنا الى بلوغ تلك الغاية ، ولم تحملنا على حب الجميل ؟ وما هي قيمة الحكمة اذا هي لم تخلع فينا جمالاً اسمى مما وهبت لنا الطبيعة ؟ فالفن دون علم مسغبة . والعلم دون فنٍّ بربرية . والفلسفة تاج الاثنين ، العلم والفن ، على ان الفلسفة نفسها ، حتى الروحية ، هي واسطة لا غاية . اللهم الا اذا وسّعنا نطاقها فشملت كل مرافق الحياة ووسائلها وجمالها . فاذا لم تنشىء الفلسفة فينا حبًّا كهذا غير جديرة بالانسان . والجمال روح الفلسفة وغرضها الخاص . فهو حياة الفلسفة كما انهُ حياة الحكمة

الجمال الانساني

الشيء جميل لانهُ مرغوب فيهِ . قال الفيلسوف بندكت سبينوزا : لسنا نهيم بشيءٍ لجماله بل نراهُ جميلاً لاننا بهِ نهيم . فكل ما يسدّ جوعاً في نفوسنا فهو جميل . حتى ان الطعام هو في عين الجائع اجمل من الحور العين . وذلك الشاب الراغب في البحث والطلب ، وقد جدَّ واجتهد ، وصبر وحرّ وعاد من المطبعة حاملاً اجمل شيء في عينه ، اي ملازم اول كتاب عني بتأليفه . فما كورة مؤلفه اجمل جمال في الوجود . حالة كون جيران ذلك المؤلف من فلاح وبقال لا يريان اية قيمة لاوراق ذلك الكتاب ، الا لصرّ الملح والفلفل أو لمسح أواني المطبخ بعد غسلها

قال نيتشه : الجميل والقبيح كلمتان من خصائص البيولوجيا : فما أضرّ الجنس حسبناه قبيحا وما نفع الجنس حسبناه جميلا . قال سندرلند : ليست السماء زرقاء لتسر نواظرنا ، ولكننا زرقتها فحسبناها جمالاً . فالجمال قرين النفع . والدراهم يفوق جمالها نفعها في عين المعدم . . كان جمال النور والشعر والملمس الناعم . فالقبيح ما اضعف الحيوية وشوش الهضم والاعصاب سنتايانا الفيلسوف العصري : الجمال لذة مجسمة : وقال ستندهلد : الجمال هو الاستبشار باللذة : و القول نحا ستندهلد نحو هُبْز عن غير قصد

والجمال في الفرد كالجمال في المجموع ، لا يعنى به المرء الاّ وقد استفضل بعد الاكتفاء . فلم يخلق جمالاً ، كما يخلق الجمال حبًّا . وكل ليلى هي أجمل بنات حواء في عين قيسها . فالجمال والحب قرينان ، فان يخلق هـذا ذاك خلق ذاك هذا . واصلهما بحسب رأي ول دورنت مستقر في حفظ النوع ، ولا سيما في التوليد . يعني ان غرض الحب والباعث عليه العلاقة الجنسية . وهـذه متى وجدت نحو شخص فاذا لم يكن ذلك الشخص جميلاً في ذاته خلقت له جمالاً . اعني جعلته جميلاً في عين من يحبه ، وان كان جميلاً في ذاته زادته جمالاً عليه ، فظاهرات الجمال وجواذبه ليست الا ملابسات التوليد المقارنة عهد الاستعداد له ولذا حسبت جمالاً . فتورُّد الخد ، وتقبب النهد ، واعتدال القد ، وترعرع الصدر ، ودقة الخصر ، وصقل النحر ، وريا المخاخل ، واستدارة الكفل ، ولين العذار في الذكر — هذه الامور وامثالها — حسبت جمالاً لانها ظاهرات تصحب طور الصلاحية للتوليد وتدل عليه . فميل الذكر للانثى هو خالق الجمال الاول . فليس جمالها انشأ حبه . بل حبه انشأ جمالها . وكل ما صحب عهد البلوغ من الظاهرات فهو جمال مستحب . كذلك التستر والحياء هو من مزيدات الجمال ، لأن الثياب تستر ما يميل المرء الى رؤيته . فهي نوع من الصد ، والصد من مزيدات الوجد . فكما أن السفور يزيد المرء هياماً في من يحسبها جميلة ، كذلك التحجب يزيد المرء رغبة فيهن

والمرأة في عرفنا مثل الجمال الاعلى . ولماذا ؟ . لانها مصدر التوليد ، مصدر الجنس ، ومحور آماله ، ومحط رحاله . فلم نحبها لجمالها ، بل رأيناها جميلة لأنا نميل اليها ونحبها . جاء في رواية تايبيس ما يلي : انا جمال الانثى . فانّى تهرب مني يا ارعن ؟ فانك تراني حيثما التفت ، وأينما اتجهت ، فانا في نضارة الازهار ، وميلان الاشجار ، وخرير الانهار ، وتغريد الاطيار ، وبهاء الاقمار . بل انك اذا اغمضت عينيك وسددت اذنيك فانك تراني حينذاك في ذاتيتك

كان شرخ الشباب جمالاً عند الاثينيين والاسبرطيين . لان ذلك آذن بالتوليد . فالجمال عندهم قرين القوة ، لذا كان الفن في عرفهم اكتمال الرجولة . اما عندنا فالفن هو اكتمال المرأة . فاذا استثار رجل حبنا فما ذاك الاّ لان قناة الصداقة والاخلاص عندنا كما عند الاغريق من لوازم الحب المقدّسة

ولقد صارت المرأة مثل الجمال الاعلى لانهُ يحبها اكثر مما تحبُّه . وشدة رغبته فيها تزيدها في عينه جمالاً . وقد قيلت هي شهادته — انها أجل منه — لانها تؤثر ان تكون محبوبة على ان تكون مالكة . لذا هي تعنى بما يثير هيامه بها . أما هي فبقوته تعنى لا بجماله . فهي تؤثر قوته . لأن تلك القوة ضامنة سلامتها واطفالها . والدليل على أن الحب خالق الجمال فتورنا في حب من امتلكنا زمانها ، مع كونها لا تزال جميلة ، لذا قيل ان الزواج يقتل الحب . على أنا ما دمنا نحب فجمال المحبوب لا يذبل . بهذا الاعتبار الحب حياة الجمال . لا الجمال حياة الحب

جمال الطبيعة

المحبة علة الجمال لا معلوله . والاصل في الجمال جمال الاشخاص ، لا جمال الاشياء . اما جمال الاشياء فهو فرع عن جمال الاشخاص . فكيف نعلل جمال اشياء كثيرة لا علاقة لها بمحبتنا . كعبوس قزح ، وحدائق الورود والازهار ، والشلالات ، والاودية ، والغصن الرطيب ، وما لا يحصى من انواع الجمال في العالم الخارجي ؟

الجواب : كما ان لكل كلمة في قاموسنا معنيين ، الواحد اصليّ اوليٌّ ، والآخر فرعيٌّ ثانويٌّ ، هكذا في رغباتنا ما هو اولي اصليٌّ ، وما هو ثانوي فرعيٌّ . فقد تطور الجهاد لاجل القوت فكان منهُ الخير والميل الحربي . وتطورت عاطفة حب الجمال الانساني ، او بالحري فاضت ، فتخطت الاشخاص الى الاشياء . فحبنا الطبيعة فرع حبنا الاشخاص . وناشيء عنهُ . فنحن لا نحب قامتها المعشوقة لانها تشبه الغصن الاملد . بل احببنا الغصن لانهُ يشبه قامتها . ولم نحب وجنتها لانها تشبه الورد . بل احببنا الورود لانها اشبهت وجنتها . فترى ان النعومة والاستدارة ليست جمالاً في الذات . والا فرمز الكمال عند ارسطوطاليس المربع لا الكروي فنحب الاستدارة والنعومة والبضاضة ، لان هذه الاوصاف من مزايا من نحبها ، وهي الكاعب وما فوق الكاعب من ربات الجمال

كذلك الاصوات الشجية ، التي لها رنة تأسر القلوب ، وكل ما هو لطيف ورقيق في الكون هو جميل في اعيننا لانه يمثل لنا بعض مزاياهنّ . فحبنا اياهن جعل ما يماثل اوصافهن جمالاً في الاشياء بل انه قادنا الى الاعتقاد في جمال اوصافهنّ وما ماثله في غيرهن من الاشياء . فلم تكن عين المها حبيبة الاّ لانها اشبهت عين محبٍّ

ما رأت مثلكِ عين حسناً وكمثلي بك صبًّا لم تَرَيْ

فالصوت الشجي استفزاز جنسي في آذان الرجال . على ان الصوت لم يستقل بالاتصاف بآثارة الحب ، وان كان حنوناً . فهنالك اللحن والايقاع ، وما فيها من حفز والحاف واستفزاز لايقاظ العواطف للحب

فالموسيقى تلطف خشونة طباعنا ، وترفعنا الى الملأ الاعلى فتخفف الالم . وتحسن الـ
وتعقل المجنون وتقود الجندي مختاراً الى الموت في ساحات القتال

ولقد اقترن السمو بالجمال (كنت) اقتران الانثى بالذكر ، فهو اكثر رغبة في الجمال .
السمو . وهي اكثر رغبة في السمو منها في الجمال . لذا كان السمو ضالتها المنشودة . والجمال
المنشودة . من هنا كان حبها للسامي في الرجال . قالت احداهن لاحدهم ، لم اكن لاكترث لـ
انك رجل عادي . انما انا كلفة بك لانك عبقري وذو همة شماء

اما هو فيقول لها :

قوامك فتّان وطرفك احور ووجهك من ماء الملاحة يقطر

لذا كانت الانثى ارقى من الذكر ذوقاً اذا صح هذا القول

جمال الفن

فاض حبنا ، وتخطى الاشخاص الى الاشياء ، فانتهى ذلك بانشاء الفن . واليك البيان . حـ
الذكر في مخيلته صورة حبيبته ، فقرن تلك الصورة بمشهد كمال الكل ، هذا هو الفن فللفن مولدا
بيولوجي وتاريخي

١ — بيولوجيًّا . يتولد الفن من غناء القرين ورقصه وجهوده في احراز الازدهار الذي
يستميل العاشقين ويستهويهم

٢ — تاريخيًّا . يتولد الفن عن التطرئة والوشم وخمش الجسوم والتزين بالملابس على انواعها .
ولا سيما ما كان منها فضفاضاً آدماً برؤية الزندين ، والنهدين ، وما فوق الكعبين . ولكن التطرئة
الى حين ، والثياب فانية ، فآثر شعب عريق بالخلود كالاغريق اثراً خالداً . فرسم رموز حبه ، وصور
آراءه وعواطفه في تماثيل منحوتة خالدة . هذا هو مولد الفن . وبهذا الاعتبار يكون الحب خالق
الفن كما انه خالق الجمال . فالملابس تراد بها الزينة اولاً ، لا التحفظ او الاحتياط الصحي . قال
دارون انه لما اثر في نفسه تحملهن البرد القارس في فيجي ، عطف عليهن وأمدهن بالاقمشة لوقاية
جسومهن من قرس البرد . فما كان منهن الا انهن مزقن تلك الاقمشة شرائط مستطيلة ووزعنها
بعضهن على بعض ، للزينة . اليس ذلك ما تفعله الحسان في اوربا واميركا ؟ فانهن يلبسن الفرو
صيفاً ، ويحسرن النحر والزندين شتاء . فالملابس عندهم للزينة اكثر مما هي للصحة

***

ولما فرغ الانسان في العصور الخالية من تزيين جسمه عمد الى تزيين الاشياء كالحراب والانصاب
والصروح ونحوها . فأفضى به ذلك الى الانصاب والتماثيل . ألا ترى ان ذلك هو الفن . ومع ان

لديانة ليست مصدر الجمال فقد ضحت في سبيل الفن اكثر من كل مضح الاّ الحب . فالحب اعظم لمضحين في سبيل الفن . والفن مدين للحب اكثر مما هو مدين للديانة . فلم تكن الانصاب والتماثيل الراقية في عهد المدنية الاّ ارتقاء عاطفة حب الجمال بعد عهد البداوة والخشونة . ولم يعن المثال بالحب الاّ بعد ارتقاء الفن ، ففيدياس دائماً قبل بركستيلس ، هو ناموس عام في كل عصر وفي كل مصر

الجمال الوضعي

بقي في ميدان البحث امامنا المسألة الاساسية وهي : هل للجمال وجود في الخارج ؟ او هو من صور الخيال ؟

من الناحية الواحدة نرى الجمال مختلفاً في مختلف الامم في عصر واحد ، او في الامة الواحدة في مختلف العصور . مثال ذلك ان الجمال عند الهوتنتوت يبدو في ضخامة الشفتين ، وندوب الوشم الازرق . وعند اليونانيين في القوة والاتزان . وعند الرومان في السمو . وفي عصر الاحياء في الاتزان وعندنا اليوم في الموسيقى والرقص . ويؤثر اهالي تاهيتي فطس الانوف لذا هم يضغطون على أنوف اطفالهم لاجل الجمال . والمياس — سكان مربدا في مكسيكو — يخرمون الانوف ويتخزمون كما يخددون اسنانهم ويطعمونها . وقد دهش منجو بارك لما علم ان الزنوج يكرهون بياض بشرته

وحتى عند الاوربيين يختلف الجمال في عصر عنه في عصر آخر . فقد كانوا فيما مضى يؤثرون ضخامة الجسم ، بل في عهد الاحياء كانوا يؤثرون الجسوم الممتلئة . أما اليوم فانهم يؤثرون الجسوم النحيفة

بهذا الاعتبار نرى ان الجمال انما هو في العقل لا في الخارج ، وفي عين الناظر لا في الشيء الجميل . ولكن هنالك مبدءاً واحداً عاماً مطلقاً في الجمال ، وهو ما لابس عهد التوليد . أو ما له علاقة بالتناسل . فكل آلة تصلح لما وضعت له هي جميلة . واذا لم تخدعنا التطرئة فالجمال أمر بيولوجي فأجمل منظر في عيوننا الفتاة في عهد البلوغ . او المرضع وعلى صدرها طفل مملوء صحة وقوة فالجمال كما ارادته الطبيعة هو ازدهار الصحة ونضارتها وسلامة النسل . وهو ما آل الى سلامة الجنس . لا الى وهنه . وكل ما اضعف الجسم وحط من شأن الجنس فهو غير جميل

***

قال إيليس وحكمه جدير بالاعتبار ، بناءً على اختباراته الكلية . الجمال مستقل عن الذات . انهُ يرى ان الجمال شيء في الذات لا في العقل . وهو يستند في ذلك الى عمومية استحسان الجمال عند كل الأمم . وحتى هـذا مردود وفيه مناقضة للاستقراء كما هو معلوم . على ان فلسفة الجمال والاخلاق قرينان . وبذا نوافق استنتاج افلاطون : — مبدأ الخير يرجع الى ناموس الجمال

مفردات النبات

بين اللغة والاستعمال

لمحمود مصطفى الدمياطي

اجتمع لي طائفة من أسماء المفردات النباتية وحررت ما يقابلها في بعض اللغا الاجنبية لترتيبها في معجم والآن عنّ لي أن أنشرها تباعاً في مجلة المقتطف الغراء بيان موجز أذكر فيه المفرد ووصفه وموطنه واستعماله مشيراً الى بعض فوائده في الزراء أو الصناعة أو التغذية أو الطب عسى أن يكون في ذلك بعض الفائدة — الدمياطي

الكَمْأَة

واحدة (الكَمْء) مثل تمرة وتمر وقيل إنها تطلق على الواحد والجمع ويتنازع اللغويون دها وجمعها في كلام كثير وهي معروفة للعرب بهذا الاسم ويسمونها (نبات الرَّعد) جُدَرِيّ الارض)

وهي ضرب من النبات الفُطْرِيّ لا ورق لها ولا ساق توجد في الارض من غير ان تزرع يقة تكاثرها لم تعرف تماماً حتى الآن رغماً عن مشاهدة غبيراتها (جراثيمها)

ويظن بعض النباتيين أن القوارض من الحيوانات اللبونة كالفار والارنب تهتدي اليها بسبب منها وتأكلها فتنقل بواسطتها الغبيرات مع البراز من مكان الى آخر فيكون من ذلك انتشارها قل جراثيمها

والمأكول منها درنات تنمو تحت الارض شحمية او صلبة مرداء او على سطحها شعيرات قصيرة ناء او حلمات او ثآليل وتكون عند كمال نموها ذات رائحة خاصة ويشاهد في القِدَّة منها مثل وق الرخام وهذه العروق على نوعين نوع ابيض عقيم (غير مثمر) والثاني ملوّن ماتو يحيط به يج رنشيمي مثمر لونهُ شاحب . واما الغبيرات فتوجد داخل زقاق بيضية او كرية في كل منها اربع اكثر اواقل والغبيرات نظراً لصغرها المتناهي لا ترى بالعين المجردة بن بالمكرسكوب وسطحها كي وهي شبيهة بالنخاريب (الثقوب) التي في قرص عسل النحل

ويعرف من الكمأة نحو خمسين نوعاً اغلبها اوربي والباقي في امريقة الشمالية والجمهورية الفضية

يشملان الانواع الجيدة التي تؤكل

واسم جنسها العلمي (Tuber) (توبر) وفصيلتها الكمئية (Tuberaceae) (توبراسية) وبالانجليزية (Truffle) وبالفرنسية (Truffe)

فمن الانواع الجيدة : —

(١) (Tuber aestivum, Mich.) (توبر ايستيوم) وبالانجليزية (Common or Spring Truffle) وبالفرنسية (Truffe de Bourgogne, ou de champagne; Truffe blanche) وهو ينبت في الغابات ذات الشجر المتساقط الاوراق بشمال ايطاليا وفرنسا والمانيا وغيرها ويوجد بكثرة في اسواق اوربا

(٢) (Tuber uncinatum) (توبر انسيناتوم) وبالانجليزية (Autumn Truffle) وبالفرنسية [illegible]

(٣) (Tuber magnatum, Pico.) (توبر ماغناتوم) وبالانجليزية (Grey Truffle) وبالفرنسية (Truffe grise ou T. blanche d'Italie et de la Provence) وينبت في جنوب اوربا بايطاليا و[illegible] بروفانس بفرنسا وسطح درناته املس ورائحتها كرائحة الثوم وهو نوع مرغوب فيه

(٤) (Tuber melanosporum, Vitt.) (توبر ميلانوسپوروم) وبالانجليزية (Perigord or Winter Truffle) وبالفرنسية (Truffe du Périgord) وينبت في ايطاليا و[illegible] وجميع انحاء فرنسا وهو كمأة الشتاء المرغوبة وطعمها كطعم الشليك

(٥) (Tuber brumale, Vit.) (توبر برومالي) وبالانجليزية (Perigord or Winter Truffle) وبالفرنسية (Truffe musquée ou T. du Périgord)

(٦) (Tuber rufum, Pico.) (توبر روفوم) وبالانجليزية (Red Truffle) وبالفرنسية (Truffe rouge) وينبت في أرض الكروم

(٧) (Tuber albidum, Cesae) (توبر البيدوم) وهو مثل توبر ايستيوم في اسمائه

(٨) (Tuber album) (توبر البوم) وبالانجليزية (Grande White North-American Truffle) وبالفرنسية (Grande truffe blanche de l'Amerique du Nord) وهو أبيض كالثلج وطري [illegible]

(٩) (Tuber cibarium, Sibth.) (توبر سيباريوم) وبالانجليزية (Black Truffle) وبالفرنسية (Truffe noire) وينبت في وسط اوربا وجنوبها في الغابات التي أرضها [illegible] تبلغ درنته زنة رطل ويستعمل من التوابل أو يحمس ويؤكل غذاء طيباً

هذه أشهر الانواع وهي لا توجد بذاتها في بلاد الجزائر وتونس وجزيرة سردانية وغيرها و يوجد أنواع اخرى أقل جودة منها دونتها كبيرة يقال لها (ترفا) (terfa) أو (ترفاس) (...) أو (قامس) (kame) تابعة لجنسي (Terfezia) (ترفيزيا) و (Tirmania) (تيرمانيا) من فص اخرى تسمى (Terfeziaceae) (تيرفيزياسية) تعرف العرب مواضعها من تفطر الأرض عنـ فتستخرجها وهي مغذية ايضاً لوفرة المادة الزلالية (البروتينية) فيها

اما جمعها باوروبا فيقوم به رجال مختصون يرتزقون من ذلك فاذا جمعت اكلت طازجة أو محفوظة

وكانت الكمأة معروفة عند العرب وفي الصدر الاول من الاسلام امتدحها النبي صلى الله عليه وسلم فقد اخرج الترمذي من حديث أبي هريرة ان ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا الكمأة جُدَرِيّ الأرض فقال النبي صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين والمراد بكونها من المن انها من المن الذي انزل على بني اسرائيل وهو الطل الذي كان يسقط على الشجر فيجمع ويؤكل حلواً (الترنجبين) فكأنهُ شبه به الكمأة بجامع ما بينهما من وجود كل منهما عفواً بغير علاج . وقيل إن المراد انها من المن الذي امتن الله بهِ على عباده عفواً بغير علاج فهي شيء ينبت من غير تكلف بذر ولا سقي فهو من قبيل المن . وقيل المن الذي انزل على بني اسرائيل كان أنواعاً منه ما يسقط على الشجر كالطل ومنه ما يسقط عليهم عفواً بغير اصطياد كالسلوى ومنهُ ما يخرج من الارض كالكمأة . والمن مصدر بمعنى المفعول اي ممنون به . فلما لم يكن للعبد شائبة تسبب كان منّاً محضاً وان كانت جميع نعم الله على عبيده منّاً منهُ عليهم لكن خصَّ هذا باسم المن لكونهِ لا صنع فيه لاحد فجعل سبحانه قوت بني اسرائيل في التيه الكمأة تقوم مقام الخبز والسلوى تقوم مقام اللحم والطل يقوم مقام الحلوى فكمل بذلك غذاؤهم . فقوله في الحديث الكمأة من المن اشارة الى انها فرد من افراده فالترنجبين فرد من أفراد المن وان غلب استعمال المن عليه عرفاً ولا يعكر على هذا قولهم لن نصبر على طعام واحد لان المراد بالوحدة دوام الاشياء المذكورة من غير تبدل لاعيانها . وفي الحديث وماؤها شفاء للعين يفسره ما ورد في مفردات الغافقي (المتوفي سنة ٥٦٠ هـ) ان ماء الكمأة اصلح الادوية للعين اذا عجن بهِ الإثمد واكتحل به فإنه يقوي الجفن ويزيد الروح الباصر حدة وقوة ويدفع عنها النوازل . وقد ذكر ابن سينا وغيره من أفاضل الاطباء ان ماء الكمأة يجلو العين انتهى ملخصاً من فتح الباري شرح البخاري

***

شجر الأُتْرُجّ

وتقول العامة (الأُتْرُنج) و(التُّرُنْج)

ترتفع الشجرة الى ستة امتار قصيرة الاغصان شائكة او غير شائكة اوراقها كبيرة متماسكة

مستطيلة كثيرة الغدد الزيتية وتشاهد عليها كالنقط وحافاتها مسننة وأزهارها عديدة التزاوج في لون أرجواني من الخارج وفي إبط كل ورقة زهرات من ٥—١٢

واسم ثمرتها بالفرنسية (Cédrat ou Pomme de Medie) ومعناه أترجة ميديا او تفاحتها وهي التي كانت تعرف عند الرومان باسم (Mala Medica) (مالا مديقا) كبيرة الحجم مثالثة (ذات ارتفاعات وانخفاضات) وسطح قشرتها اصفر مبيض او ذهبي اللون ويليه طبقة بيضاء ثخينة وهي ذلك اللب وهو قليل المادة قليل الحموضة على خلاف الليمون

اسمها العلمي (Citrus Medica, L.) (سيتروس مديقا) وفصيلتها السذابية (Rutaceae) (روتاسية) وبالانجليزية (Citron Tree) وبالفرنسية (Cédratier)

ويعتبرها علماء النبات اصلاً لكل انواع (الموالح) وبينها وبين شجر الليمون شبه فوق ما بينه من اصنافه يكون ثمره شحميًّا ثخيناً يشبه ثمرها

والاترج موطنه القديم بلاد ميديا وبلاد فارس وينبت بطبيعته في الهند وجبال حالايا والآن يزرع في جزائر صقلية وقورسيقا ومادورة ومصر وغير ذلك

وهو بالنسبة الى ثماره ثلاثة أقسام :

(١) الاترج الشبيه بالليمون واسمه بالفرنسية (Cédratier limons) ومنهُ نوعان ثخين القشرة (Cédratier à grosses côtes) وليموني الشكل (Cédratier limoniforme)

(٢) الاترج الحقيقي واسمهُ بالفرنسية (Cédratier proprement dits) ذو الثمرة المبيعة ذات الاخاديد ومنهُ اترج فلورانسة (Cédratier de Florence) واترج سالو (Cédratier de Salò)

(٣) اترج بونسير او الاترج الدرني واسمهُ بالفرنسية (Cédratier Poncires) ذو الثمرة الكبيرة الدرنية الشكل والرغبة في اصنافه قليلة

وعلى الاجمال فالمنتفع بهِ من الاترج انما هو الجزء الابيض او شحم الثمار في عمل المربات ويحصل من قشور هذا الثمر على عطر طيار ذكي الرائحة يدخل في ماء الكولونيا ويؤخذ من العصير يستعمل كعصير الليمون في بعض البلاد . والاترج يوجد في بلاد العرب وقد وصفهُ المتقدمون واطنب اطباء العرب في خواصه ونقلوا فيه أقوال القدماء . قال ابن سينا إن حماض الاترج يقوي القلب الحار المزاج وينفع من الخفقان الحار وفيه ترياقية تنفع من لسع الافاعي والحيا وانهُ نافع من اليرقان ويكتحل به فيزيل يرقان العين وعلى الجملة فمنافع الاترج كثيرة حسبما وصفه اطباء العرب فانهم جعلوا لكل من قشره ولبه وحمضه وبزره منافع كثيرة لا يتسع المقام لسردها وكانت العرب تحب رائحته والنظر اليه لما في منظره من جلب الفرح

وقد ضرب النبي صلى الله عليهِ وسلم المثل للمؤمن الذي يقرأ القرآن بالاترجة طعمها طيب وريحها طيب كما ورد في الصحيح

سفن جوية كالقنابل

تشقُّ الفضاء كالصواريخ

علم الملاحة بين النجوم

ان موضوع التملُّص من قوة الجاذبية ، والانطلاق في الفضاء بين السيارات والنجوم ، موضوع شغل بهِ العلماء والكتَّاب من اقدم الازمنة . وفي سنة ١٨٦٥ كتب اشيل ابرو وهو من معاصر جول ڤرن الفرنسيّ كتاباً موضوعهُ « من الارض الى القمر » اقترح فيهِ استعمال « صاروخ للطيران من الارض الى القمر . اما جول ڤرن فقد تخيَّل رؤاد السماء سائرين في قذيفة كقذائف المدافع تنطلق بتفجّر مقدار من المواد المفرقعة . فنظر كبراء العسكريين الى اقتراحهِ هذا شزر هازئين بهِ . ولكن اقتراح ايرو كان صواباً في مبدإه ، على ما اثبتت التجارب الحديثة في المانيا وغيرها

وفي سنة ١٩٠٧ عني مهندس فرنسي بحساب مقدار الطاقة اللازمة لقذف جسم معيَّن بسرعة معيَّنة ، الى القمر ، او الى الزهرة ، او الى المريخ . هذا المهندس هو المسيو روبير اينو پلتري احد [illegible] فرنسا الممتازين ومن ادكى مهندسيها واشهر مصممي محركات الطيارات في خلال الحرب الكبرى . وقد نشر حساباتهِ الخاصة بالطيران بين السيارات ، في سنة ١٩١٢ بعد ما عرضها على الجمعية الطبيعية الفرنسية . وفي السنة السابقة كان الدكتور اندره بيغ البلجيكي قد نال امتيازاً لآلة تمكنهُ حسب قوله من زيادة طبقات الجوّ بلغ الهواء من اللطافة ما بلغ

وفي سنتي ١٩١٢ و١٩١٣ حسب الاستاذ غودرد الاميركي — وهو من اعلام هذه المباحث — [illegible] دقيقة شجعتهُ على محاولة تحقيق فكره في سنتي ١٩١٥ و١٩١٦ في جامعة كلارك الاميركية [illegible] انهُ في الامكان صنع صاروخة تصل الى القمر وعند وصولها تشعل مقداراً من مسحوق [illegible] يوم فيضيء بنور لامع تمكن مشاهدتهُ من الارض باقوى النظارت المقربة . ثم عني ثلاثة من [illegible] وهم اوبرث (وهو من اصل روماني) وهوهمن وماكس فاليه بدراسة الموضوع كلٌّ على حدة . [illegible] الى نتائج لا تختلف اختلافاً كبيراً عن النتائج التي وصل اليها اينو پلتري وغودرد

ومن بضع سنوات اطلق الروائي الفرنسيُّ روسني لفظ « استرونتكس » على هذا الضرب من المواصلات ومعناهُ « الملاحة بين النجوم » وهو يقابل لفظ « إرونُتكس » اي الملاحة في الهواء

***

وقد مضت سنوات وبعض المخترعين يحاولون أن يصنعوا طائرة تنطلق في الفضاء كالسهم أو الصاروخ . وذلك بأن يوضع في أنابيب او اسطوانات في مؤخرتها مواد متفرقعة شديدة التفرقع . [illegible] انفجرت هذه المواد رويداً رويداً انفجاراً منتظماً ، وخرجت الغازات التي تتولد من هذا الانفجار

من ثقوب في مؤخرة الانابيب بقوة عظيمة دفعت بخروجها الطائرة في الجهة المقابلة

هذا هو المبدأ . اما تطبيقه أي بناء الانابيب المتينة التي تتحمل ضغطاً عظيماً كالضغط الناشيء عن مثل هذا الانفجار ، وصنع المادة المفرقعة المثلى ، وبناء الطائرة المناسبة لهذا النوع من السير ، واعدادها حتى تؤاتي الجسم الانساني — كل ذلك أمور صعبة لا يمكن تحقيقها بين ليلة وضحاها . وقد اقتضت من أعلام المجرّبين وشجعانهم ثمناً فادحاً دفعه معظمهم بحياته

ومع ذلك لا يني هؤلاء عن التجربة والامتحان وقد قطعوا حتى الآن شوطاً لا بأس به نحو تحقيق ما يرمون اليه

فقد ذكر كاتب انكليزي اسمهُ وليم مكين انهُ ذهب الى المانيا ، الى مطار السفن السهمية وهو على خمسة أميال من برلين ، لاستطلاع ما تم في هذه الناحية ، فطالعه أولاً برج ذو ثلاث قوائم متين البناء يستعمل لاطلاق السفن السهمية منهُ في الفضاء

والسفن السهمية التي تجرب الآن ليست مما يستعمل لنقل مسافر أو اكثر ، بل هي تحتوي على أدوات علمية مختلفة لقياس الحرارة والسرعة وغيرها من الظاهرات الطبيعية . ثم أن في مقدمة الطائرة « مظلة » (باراشوت) لأنهُ اذا نفد المركّب المتفرقع من أنابيب الطائرة وأخذت تهوي الى الارض وجب ان يكون لها ما يحول دون سقوطها كنيزك منقضّ فتتحطم الآلات التي فيها

***

في المطار ستة مهندسين قلما سمع اسم احدهم الاّ في دوائر خاصة . وهم في الثلاثين من العمر في الغالب ، ويمثلون الشباب الالماني أحسن تمثيل . تراهم يذهبون ويجيئون بين المواد المفرقعة والغازات السائلة من دون كبير اهتمام مع ان الموت كامن في كل دقيقة من دقائقها

وعلى مقربة من المطار بناية صغيرة رأى فيها الكاتب الانكليزي ميكانيكيين مرتدين أثواباً من حجر الفتيلة (اسبستوس) الذي لا يحترق وهم يملأون اسطوانات معينة بالاكسجين السائل وخارج البناء صفوف من اكياس الرمل يقف وراءها العلماء والمهندسون عند اطلاق السفينة السهمية في الفضاء ليدرأوا بها ما قد يصيبهم من شظايا اذا انفجر أنبوب من الانابيب المحتوية على المواد المفرقعة

والمواد المفرقعة التي تستعمل في هذه التجارب صنفان . الاول جاف وهو مبني على أساس من البارود والثاني سائل وهو في الغالب مزيج من الكحول والاكسجين أو البترول والاكسجين والصنف الثاني أعنف فعلاً وأشد تفجراً من الاول بل هو يفوق اشد المفرقعات في ذلك

وقد يسأل القارىء عن نتيجة كل هذا التجريب والامتحان والتعرض للخطر . والواقع ان الكاتب الانكليزي سأل السؤال نفسه فقيل لهُ ان طائرة من هذه الطائرات قد حلقت الى علو ستة اميال وهي نتيجة لا بأس بها مع أنها لا تقابل بتحليق بيكار البلجيكي الى علو عشرة اميال ببلونهِ . ولكن يجب ان نذكر ان هذه السفن السهمية تنطلق بسرعة ٦٠٠ ميل في الساعة لان الغرض منها انفلات الطائرة من

فعل جاذبية الارض وان هذه خطوة اولى فقط . فطائرة ريط الاولى لم تطر يوم ١٧ دسمبر اكثر من ثانيتين ولم تقطع الا مئات من الامتار

واذ كان الكاتب واقفاً يوجه السؤال اثر السؤال مستطلعاً قدم له رجل قوي البنية وقا ان هذا هو الرجل الوحيد الذي طار بطائرة سهمية وعاد الى الارض سالماً يحدث بما رأى وسـ

كانت الطائرة من صنع شقيقه الدكتور برونو فشر . فبعد ان اتم شقيقه صنعها نقلها في تكتم الى جزيرة روغن في بحر بلطيق ولم يدر أحد في المانيا بهذه التجربة الا زعماء الريخسفهر

وفي يوم احد من شهر اكتوبر ١٩٣٣ صافح اوتو فشر شقيقه برونو وبعض رجال الريخ الذين جاءوا خاصة لمشاهدة التجربة ودخل الطائرة من باب فولاذي ثم انسحب برونو شقيقه وم الى خندق في الارض على بعد مائتي متر من البرج ثم ضغط على الزر الذي اطلق الطائرة في الفضـ

فبرق بريق يبهر الانظار وحدث دوي يصم الآذان وانطلقت الطائرة وهي بشكل الطور او السيجار كأنها سهم يشق الفضاء وبعد بضع دقائق رئيت الطائرة عائدة الى الارض عوداً وئيـ بفعل المظلة المتصلة بها واذ اقتربت من الارض شوهدت زعانفها الفولاذية تتحرك فادرك المشاهدو ان الرجل حيٌّ في داخلها وانهُ بتحريك هذه الزعانف يوجه الطائرة حتى لا تسقط في البحر

فلما استقرت على الارض على مقربة من اكياس الرمل فتح الباب وخرج الرجل ممتقع الوجـ مهزوز الاعصاب ولكن ثغره كانت تعلوه بسمة الظفر

وكانت رحلته هذه قد استغرقت تحليقاً ونزولاً عشر دقائق وستاً وعشرين ثانية

***

فسأله الكاتب : وبم احسست . فقال سمعت اولاً دويًّا هائلاً ثم شعرت بضغط عظيم على جسمي يستمر في ارض الطائرة ثم فقدت وعيي لان سرعة الطائرة العظيمة دفعت جانباً كبيراً من الدم الذي في عروق الرأس والدماغ ولما استعدت وعيي ونظرت الى مقياس العلو رأيته وقد سجل ٣٢ الف قدم . ثم بدأت الطائرة تسقط الى الارض بسرعة فنظرت من نافذة صغيرة الى جانبي فرأيت المظلة وقد بدأت تنفتح فعلمت انني عائد سليماً الى الارض

ومما استرعى نظري الحرارة الشديدة في أرض الطائرة وهي مصنوعة من حجر الفتيلة . وبعد ان قال كلمة عن طريقة تحريك الزعانف ختم حديثه بقوله « ولا يخفى انني سررت سروراً عظيماً بعودتي سالما »

***

ثم هناك مهندس ألماني يدعى يوهانس ڤنكلر ، مضى عليه بضع سنوات ، وهو يحاول ان يحقق امنية قديمة له . وهي الوصول الى القمر بطائرة سهمية . ومن نحو ثلاث سنوات ، أتم بناء هذه الطائرة ، ونقلها الى سهل رملي فسيح في بروسيا الشرقية . وكان طول الطائرة ست اقدام وقطرها ١٨ بوصة وكان الوقود المتفجر في انابيبها خليطاً من كحول الخشب والاكسجين السائل ، وكان قد انفق

٧٥٠ جنيهاً على بنائها . فلما تمت المعدات ، اطلقت هذه الطائرة فارتفعت مسافة خمسين قدماً تقريباً ثم انفجرت احدى حجراتها الداخليـة ، وسقطت على الارض قرب الخندق الذي توارى فيه صاحبها وصحبهُ ، لمراقبة التجربة عن كثب من دون ان يتعرضوا لخطر ما . والواقع ان هذا الانفجار لم يؤذ احداً ، ولكنهُ غطى المنطقة المحيطة بالمطار بسحابة قاتمة من الدخان

واذا حاولت ان تستطلع طلع الدكتور فنكلر في هذا الصدد رأيتهُ الآن اميل الى الحرص ان لا يدلي الى الكتمان . فهو يقول انهُ كسب شيئاً كثيراً من الخبرة من تجربتهِ الخائبة . وقد فسّر للكاتب الانكليزي انصراف المستنبطين عن استعمال الوقود المتفجر الجاف ، اي القائم على اساس من البارود واقتصارهم على استعمال الوقود المتفجر السائل القائم على اساس الاكسجين السائل . فضرب له مثلا بطائرة سهمية لنقل مقدار معين من البريد مسافة معينة . فقال انها تحتاج الى نحو مليوني رطل من البارودي ولكنها تحتاج الى ٤٠٠٠ رطل من الوقود السائل في انجاز العمل نفسه . ولذلك فان المستنبطين الالمان وقد اتجهوا الآن الى اتقان طائرة سهمية على هذا الاساس ، الغرض منها نقل البريد ثم يعمدون بعد ذلك الى الطائرة السهمية التي غرضها الرحلة بين السيارات

ومن نحو سنة تقريباً ذهب الى لندن مستنبط المـاني شاب في السادسة والعشرين من عمره اسمه جرهارد زوكر ليعرض طائرة سهمية خاصة بنقل البريد وهي مصنوعة من الالومنيوم المقسّى وتتسع لنحو الفي رسالة . وقد اتيح للهر زوكر من بضعة اشهر ان يجرب طائرتهُ هذه امام جمع من المهتمين بهذا الضرب من الاختراع وكان بينهم لورد لندندري وزير الطيران البريطاني . وكانت التجربة عن نجاح تام . وضعت الرسائل في حجرة خاصة في مقدمة الطائرة وملئت الخزان بالوقود وهو مركب وفقاً لوصفة وضعها الهر زوكر ولا تزال سرًّا مكتوماً . وكان الامل ان يتم نقل هذه الرسائل بالطائرة السهمية من احد ميادين « الجولف » في مقاطعة همشير الى جزيرة وايت على مقربة من شاطىء انكلترا الجنوبي . ثم اطلقت الطائرة فرقت في الفضاء كالسهم وسقطت على بعد ميلين من الميدان الذي اطلقت منه . وقد يبدو لبعض القراء ان تجربة كهذه لا تصلح ان تكون اساساً للبحث في رحلة الى القمر ولكن الاستاذ غومنتش الالماني يقول : « اني لواثق انه اذا لم يضطرنا الى محاولة بلوغ القمر تمكنا من ذلك بالوسائل والمواد التي في متناولنا الآن . لان الرحلة الى القمر تقتضي منا مواجهة اختلافات شديدة في ضغط الهواء وحرارته والى بعض الرجم المنطلقة في الفضاء بزخم شديد ولذلك اظن اننا لن نحاول ذلك لأن اليأس من ان تسوغهُ »

***

وطار الكاتب من برلين الى بروكسل فقابل الاستاذ بيكار وهو الرجل الذي حاق اعلى ما بلغه انسان بطيارة او منطاد فسأله في موضوع الطائرة السهمية فقال بيكار انهُ لا يرتاب

تقان الطائرة السهمية في المستقبل وعنده ان طائرة المستقبل سوف تكون وسطاً بين الطائرة ا
لآن والطائرة السهمية فتطير وهي في طبقات الجو السفلي بمحركاتها كما تطير الطائرات التجارية وا
لآن، فاذا بلغت الطبقة الطخرورية حيث يصعب على المحركات جرّ الطائرة في هواء لطيف كل الا
طير بالطاقة المولدة من مادة متفجرة في انابيب خلفية خاصة اي تنطلق فيه كأنها سهم او صار
بذلك تستطيع هذه الطائرات ان تبلغ سرعة عظيمة جداً في الطبقة الطخرورية . الا ان المس
الطائرات الطخرورية (stratoplanes) يجب ان يجهّزوا بوسائل وافية لتدفئتهم لان طائرة تـ
نطلقة بسرعة فائقة في جوّ حرارته ستون درجة تحت درجة الجمد تقتضي ذلك . ومن المؤكـ
هذه الطائرات يجب ان تكون سوداً حتى تمتص اكبر قدر من حرارة اشعة الشمس . فسألته الـكـ
يموضوع الرحلة الى القمر فهزّ العالم رأسهُ وقال : ان الملاحة بين السيارات والطيران الى القمر
فيه مسائل لم نجد لها حلاً وافياً حتى الآن ولا يحتمل ان نبلغ القمر الآن ولا في المستقبل القر
لأني لا احسب الوصول اليه مستحيلاً والراجح اننا نحقق ذلك يوماً ما

— بالطائرة السهمية ؟

— طبعاً بالطائرة السهمية ! انها الوسيلة الفذة للطيران في هواء لطيف كل اللطف وادراك سر
عظيمة تمهد لنا يوماً سبيل التفلت من جاذبية الارض . ان المباحث الحديثة في هذا الصدد قد جعلت
لطيران بين القارات بهذه الوسيلة امراً وشيك التحقيق

***

ولقي الـكاتب في مدينة ليون اشد العلماء حماسة لموضوع الطيران الى القمر وهو الاستاذ
زيدور باي مدير الجمعية الفلكية بمدينة ليون ومن اقواله في هذا الصدد ان التفلت من جاذبية
لارض يقتضي ان تبلغ سرعة المقذوفة سبعة اميال ونصف ميل في الثانية وهذه سرعة تفوق اسرع
طيارات ستين ضعفاً اما مقدار الطاقة اللازمة لقذف ما زنتهُ كيلو غرام واحد بهذه السرعة فيجب
ان يكون ١٥ الف وحدة حرارية

ثم قال الاستاذ باي ان العلماء لم يتوصلوا حتى الآن الى صنع مادة متفجرة تستطيع ان تولد
هذه الطاقة ولكن كيلو غراماً واحداً من الراديوم يولد في خلال « حياته » ٣٠٠ مليون وحدة
حرارية فاذا استطعنا ان نسرع تحول الراديوم اي اذا استطعنا ان نزيد سرعة انطلاق الطاقة منهُ
كانت الطاقة الـكامنة في كيلو غرام من الراديوم لقذف ما زنتهُ بضعة أطنان الى الفضاء ولـكن غلاء
ثمنهِ يظلّ حائلاً دون استعماله

وليست الولايات المتحدة الاميركية والمانيا وفرنسا البلدان الوحيدة المعنيّة بهذا الضرب من
الطيران ولـكن ايطاليا وروسيا مهتمتان به اشد الاهتمام . الا ان الـكاتب الذي نقلنا عنه لم يتح لهُ

قصة كتاب لورنس

«اعمدة الحكمة السبعة»

في وصف الثورة العربية

اصرَّ هوغارث[1] على لورنس بان التاريخ يقتضي منهُ انشاءَ كتاب جدير بذكرى الثورة العر... سلّم لورنس بذلك متلكئاً . ولكنهُ لما سلّم بهِ اقبل على إنجازه بنفس الاندفاع الذي ا... معاركها

قلما نجد كتاباً عظيماً انشىءَ ومؤلفهُ موزّع الفكر كما كان لورنس عند انشاءِ هذا الكتاب ... ن اصولهُ فقدت مرتين ، الاولى في روما لما تحطمت الطيارة التي كان لورنس مسافراً بها الى الشرق الادنى وكان لا يزال في مستهلّه ، والثانية عند الانتقال من قطار الى آخر في محطة ردنغ بانكلترا وهو ذاهب الى اكسفرد ، وكان قد اوشك ان يتمّهُ

ما كاد يضع لورنس منهجاً لفصول الكتاب حتى تبيّن له انهُ في حاجة الى مراجعة اوراقهِ ويوميتهِ وكانت لا تزال في القاهرة . فعرض عليهِ الجنرال غروڤز مندوب بريطانيا الجوّي في مؤتمر الصلح ان يسافر في احدى طائرات السلاح الجوّي ، وكانت طائفة منها متجهة الى الشرق الاوسط لتخطيط المواصلات الجوية الامبراطورية . فكتب لورنس مقدمة « الاعمدة السبعة » في الطائرة وهي محلقة فوق نهر الرون بين باريس ومرسيليا ولم يكد يتمها حتى تحطّمت الطيارة التي كان فيها عند وصولها الى روما ، فقتل سائقاها ونجا هو لانهُ كان جالساً وراءَ المحركات بعد ان رفض دعوة السائقين الى الجلوس بينهما . فنجا بحياته ولكن ثلاثاً من اضلاعه كسرت وكذلك عظمة ترقوته واخترقت احدى الاضلاع المكسورة رئتهُ وقد ظلَّ أثر ذلك يبدو فيها على اثر اي جهد كبير يبذل

لم تكن هذه الحادثة الفردة التي نجا فيها من الموت بل ان لورنس قال للكابتن لِدِل هارت ... نلخص عن كتابهِ الموسوم ت . ي . لورنس — انهُ نجا سبع مرات من حوادث مميتة في حال معالجتهِ الطيران وكانت حادثة روما سادستها . وقد نجا مرتين اخريين على الاقل من حادثتي اصطدام خطيرتين لانهُ كان شديد الميل الى السرعة وهو ممتطٍ دراجته الخاصة وكانت من احدث ... في « الموتوسيكلات »

---

(١) هو غارث دايفد جورج «١٨٦٢ — ١٩٢٧» عالم أثري انكليزي وكان رئيساً للجمعية الجغرافية وأميناً للمتحف الاشمولي في اكسفرد ، ومديراً للمكتب العربي في القاهرة خلال الحرب الكبرى وصديقاً حميماً ...

بعد ان لبث يومين او ثلاثة ايام في احد مشافي روما تحدث تلفونيًّا مع رفيقهِ في ا
رنسيس رُدْ نجل السر رنل رُدْ وكان السر رنل حينئذٍ سفيراً بريطانيًّا في عاصمة ا
نتقل لورنس الى السفارة وبعد بضعة ايام اصرَّ على مواصلة السفر الى مصر مع سائر طيارات الس
وكان عند مغادرتهِ لروما لا يزال في جبائر الجبر ، ولكن الحوائل التي حالت دون الاسراع في و
اطيارات الى مصر مهّدت له فترة للراحة فالشفاء

فلما انتصف الصيف كان قد عاد الى باريس فنقل سكنهُ بعيد وصوله الى مقرّ الوفد العربي في
ترب « بوا ده بولون » وهناك اكبَّ على عمله . وقد قال لورنس انهُ كان يكتب في فترات قد تطول اح
حتى تبلغ اربعاً وعشرين ساعة ، لا يتوقف في خلالها الاّ مرة واحدة لتناول الطعام . وكان متو
ما يكتبهُ حينئذٍ من الف كلمة الى الف وخمسمائة كلمة في الساعة . وقد بلغ اكثر ما كتبه في أ
هذه الفترات ٣٠ الف كلمة أو نحو سبعين صفحة من صفحات المقتطف اذا كان اساس القياس ع
الكلمات . وكان بين فترات الكتابة فترات طويلة ، يعمد في خلالها الى تحقيق ما كتب وتنقيحهِ

ذلك ان كتابته كانت ثلاث مراتب . ففي المرتبة الاولى ، كان يروي الحوادث كما يتذكرها .
بعد ذلك يراجع الوثائق و المذكرات اليومية ويعيد كتابة ما كتب وهي المرتبة الثانية . أما المر
الثالثة فكانت تنقيح الكتابة من ناحية الاسلوب ، حتى يكون الكتاب كلهُ متجانساً . وكانت المرتبة
الثانية والثالثة تستغرقان أياماً بعدد الساعات التي ينفقها في المرتبة الاولى

ومع ذلك ، كان كتابهُ هذا قد اوفى على التمام عند ما غادر باريس في أواخر الصيف . كان قد
سرّح من الجيش في شهر يوليو ولكنهُ دعي الى حضور مؤتمر الصلح . وفي نوفمبر اختير زميلاً في
كلية كل الارواح All Souls بجامعة اكسفرد تدوم سبع سنوات حتى يتاح لهُ وضع تاريخ للشرق
الاوسط ولكنهُ لم ينتظم في كلية كل الارواح فوراً بعد عودته الى انكلترا بل أقام في غرفة فوق مكتب
صديقه السر هربرت بايكر المهندس المعماري حيث مضى في انجاز كتابهِ عن الثورة العربية

وفي آخر السنة غادر لندن متجهاً الى اكسفرد حاملاً معهُ معظم أصول الكتاب في حقيبة من
الجلد كالحقائب التي يحملها بعض التجار . وكان عليه ان ينتقل من قطار الى آخر في محطة
رذنغ فذهب الى بوفيه المحطة ليتناول بعض المنعشات فوضع حقيبتهُ تحت الخوان ولما نهض للسفر
بالقطار التالي نسيها فلما وصل الى اكسفرد تحدث بالتلفون مع مدير البوفيه فلم يعثر هذا على أثرٍ لها

فكان شعوره الاول شعور فرجٍ وكذلك كتب الى هوغارث فرحاً ساخراً فقال : « لقد
ضيّعتُ الكتاب الملعون » ! ولكن هوغارث كان قد قرأ اصول الكتاب كلها أو معظمها هو
وصديقان آخران من أصدقاء لورنس ، فاضطرب عند ما بلغهُ هذا النبأ ، وعاد يحاول اقناع لورنس
بوجوب كتابتهِ كتابة جديدة

ألقى هذا الطلب على كاهلي لورنس عبئاً لا ريب في أن كلَّ كاتب يؤثر التملص منهُ . ولا يزال

ضياع أصول كتاب جديد من اكبر المخاوف التي تقلق بال المؤلفين . ولكن لورنس تغلب على ذلك الشعور ومضى في عمله مستعينا بذاكرته التي كادت ان تكون كألواح التصوير الشمسي، ومستندا الى يومياته . فعاد الى الغرفة فوق مكتب السر هربرت بايكر واكبّ على العمل فما أقبل ربيع سنة ١٩٢٠ حتى كان لورنس قد كتب ثمانية من فصول الكتاب العشرة وهي الفصول التي صاغها اصولها ، ونقح الفصلين الباقيين وكذلك تمّ الكتاب

لم يكن الاسراع في النشر ، الباعث الذي حمل لورنس على بذل هذا الجهد العنيف في انجاز الكتاب بل كان غرضه الرئيسي تفريغ ما في ذهنه من حوادث الثورة العربية بكتابتها ، لا فائدة الغير ومنه على الاقل لم يرم الى فائدة احد في عصره . ومما يدل على ان النشر لم يكن الغرض من الاسراع في انجاز الكتاب ان الكتاب لم ينشر قبل سنة ١٩٢٦ وانهُ الّف ثلاثة كتب اخرى ولم ينشر منها واحداً منها فقط . وكان احدها كتاباً وصف فيه رحلاته في الشرق الادنى والشرق الاوسط وقد كاد يتمه حتى حرق اصوله حرقاً . ومن غرائب الاتفاق ان عنوان ذلك الكتاب كان «اعمدة الحكمة السبعة » وهو مستمد من عبارة جاءت في امثال سليمان : — «الحكمة بنت بيتها ونحتت اعمدتها السبعة . ذبحت ذبائحها ومزجت خمرها وصففت مائدتها . ارسلت جواريها تنادي على متون مرتفع المدينة . من هو غرٌّ فليمِلْ الى هنا وتقول لكل فاقد اللب . هلموا كلوا من خبزي واشربوا من الخمر التي مزجت . اتركوا الغرارة واحيوا . انهجوا طريق الفطنة ..... »

كان الكتاب الذي كتبه قبل الحرب ، كتاب وصف ينطوي على مغزى ادبي : ولكن الكتاب الذي كتبه بعد الحرب كان كتاب تاريخ ينطوي على فلسفة

انقضت فترة ليست بالقصيرة ، بين انجاز التأليف واخراج الكتاب . فقد كان لورنس غير راض عن اسلوبه فيه . فمضى ينقحه ويصقل عبارته ولم يكتف بذلك بل عني بدراسة اصول الطباعة دراسة وافية . فطلب الى نفر من اصدقائه ، وكان بينهم طائفة من اكتب الكتّاب باللغة الانكليزية ان يكشفوا له عن المبادىء والقواعد التي يرعونها في كتاباتهم . وهو يعترف بأن ذلك لم يهده السبيل السوي، وان كبار الكتّاب لا يجرون على قواعد معينة في الكتابة ، جرياً واعياً، وانما هم فقط يفعلون ذلك . ولذلك كانت القواعد التي اتبعها في كتاباته ، نتيجة تفكيره الخاص وملابسته ملابسةً حتى اصبحت كل رسالة كتبها قطعة من الفن مطبوعة بطابعه الممتاز

وقد جرى على هذه القواعد في تنقيح كتابه في الثورة العربية خلال سنتي ١٩٢١ و ٢٢، فلما انجز النص الجديد، حرق النص القديم، وطبع ثماني نسخ منه بمطبعة اكسفرد، لان نفقته الهائلة بالمطبعة كانت اقل نفقة من الطبع بالمكتاب او مثلها على الاقل، فكلفه طبعها — والكتاب مؤلف من ٣٣٠ الف كلمة — نحو ثمانين جنيهاً . وكان يعتقد ان النسخ الثمان التي طبعها تكفي اصدقاءه الذين كانوا يرغبون في الاطلاع على وصف تام لحوادث الثورة العربية . ولكن دائرة الاصدقاء

الراغبين في ذلك كانت اوسع مما ظن ، فلما اشتدَّ اصدقاؤهُ في محاولة اقناعه بوجوب طبع ا عجز عن ردهم ، وبوجه خاص لانه كان يميل ميلاً خاصًّا الى الكتب المطبوعة طبعاً متقناً و تجليداً فاخراً

وكان الباعث الذي حمله على تقرير طبع الكتاب رغبة السر جرترود بل في حيازة نسخ بعد ما اطلعت على نسخة صديق لها . فحثته على اخراج طبعة محدودة لاصدقائه . فسلم بذلك الطبعة الجديدة تتيح له ان يخرجه على الوجه الذي يرتضيه . فعين لثمن النسخة الواحدة ثلا جنيهاً . ثم اتسعت دائرة الأصدقاء حتى صارت شاملة لاصدقاء الأصدقاء . ولما كثرت الاشتر حمله ذلك على التفكير في اخراج الكتاب إخراجاً أفخر مما كان يتوقع . فعهد الى طائفة من ا الفن برآسة إريك كنتنغتن في وضع الرسوم لهُ . وكذلك زاد ثمن النسخة الواحدة من ثلاثين ـ الى تسعين جنيهاً . ولكنها مع ذلك ظلت دون ما يقتضيهِ هذا الاخراج من النفقة

وقد قدرت نفقات الطبعة المحدودة بثلاثة عشر الف جنيه ، وكان هو عاجزاً عن النهوض فتقدم أحد أصدقائه في الحرب — روبن بكستن وكان عند الاقدام على طبع الكتاب أحد مدير بنك مارتنز — متعهداً بتوفية الفرق بين نفقات الكتاب ودخله . ولكن لورنس رغب في أن يحو دون أية خسارة ، يتكبدها صديقهُ ، فاتفق معهُ على اختصار الكتاب ، واخراج طبعة عادية منهُ بعنوان « ثورة في الصحراء »

وأخيراً ظهر كتاب « أعمدة الحكمة السبعة » في سنة ١٩٢٦ . فتنقلت بعض نسخهِ تنقلا سريعاً من بائع الى شار الى ان عرضت احداها في دكان كتبيّ بلندن بسبعمائة جنيه

أما كتاب « ثورة في الصحراء » فظهر سنة ١٩٢٧ واعيد طبعهُ خمس مرات . فلما علم لورنس أذ مبيع من هذا الكتاب كافٍ لتوفية الدين على كتاب « الأعمدة السبعة » طاب الى الناشرين ان يكفوا بذلك . ولكن ما بيع منهُ في الولايات المتحدة الاميركية ، أسفر عن ربح كبير للمؤلف

الا ان لورنس رفض رفضاً باتًّا أن يمسّ فلساً واحداً من هذا المال . بل انهُ كان قد دبَّر قبل نشر الكتاب ، اشترط فيهِ تعيين لجنة يحق لها أن تتصرف بأي مال يجنى من بيعهِ في الوجه الذي تراهُ . ولما طلب اليهِ أحد الناشرين الفرنسيين ان ينشر ترجمة لكتابهِ اشترط أن يطبع في النسخة الفرنسية العبارة الآتية : « خصص ريع هذا الكتاب لضحايا الظلم الفرنسي في سورية »

من عجائب ما يروى عن كتاب « الاعمدة السبعة » انهُ ظهر من غير ان يظهر عليه اسم المؤلف. الواقع ان اسمهُ كان مطبوعاً على تجربة الصفحة الاولى فلما اطلع عليها شطب اسمهُ ، فلما سئل في ذلك ، قال يبدو الكتاب كذلك أنقى مما لو كان اسمي عليهِ (It looks cleaner) . أما النسخ التي اهداها الى أخصائهِ ، فلم يمهرها بالحروف T. E. L. أي ت.ي. لورنس بل مهرها بحروف T. E. S. أي ت.ي. شو وهو الاسم الجديد الذي اتخذه عند ما انتظم في فرقة الدبابات وسلاح الطيران

نجران

بحث جغرافي تاريخي

في منطقة تكاد تكون مجهولة من بلاد العرب

لسعادة فؤاد بك حمزة وكيل خارجية المملكة العربية السعودية

لدراسة جغرافية نجران شأن كبير يرتكز على ثلاثة اعتبارات : أولاً — من الوجهة التاريخية والا بسبب انتشار اليهودية والنصرانية فيها قبل الاسلام ووجود بقايا آثار مدن قديمة فيها قد ـ كثيراً على حسر اللثام عن حوادث تاريخية غامضة . ثانياً — من الوجهة السياسية لأنها كانت ال المباشر للنزاع بين الملك ابن سعود والامام يحيى مما حرّ الى الحرب الاخيرة بينهما . ثالثاً — من الو العلمية والاجتماعية لان اكثر الخرائط الحديثة لا تحوي عن هذه البلاد شيئاً صحيحاً ولان خاطوا في أحوالها ووجود اليهود والاسماعيلية فيها ثم لان موقعها الجغرافي الصحيح وو بالنسبة الى البلاد المجاورة مجهولان بعض الجهل

موقع نجران

نجران احد الاودية الستة ، وأقربها الى جهة خط الاستواء ، التي تصفى مياه الأ المتحدرة من السفوح الشرقية لسلسلة الجبال الممتدة من جنوب بلاد العرب الى شمالها بعد د في البلاد المشمولة بحكم ابن سعود والتي يسميها العرب جبال «السراة» أو «الحجاز» [1] . و نجران ليس أهم الاودية الستة المشار اليها من حيث طوله ، والروافد التي تصب مياهها فيه و والمزارع القائمة على جوانبه ، فان له شأناً خاصاً من جهات عديدة اخرى اهمها علاقته بتاريخ الد واليهودية ووجود آثار كنيسة ومباني مدينة قديمة يدعي بعضهم انها بقايا المدينة الوارد ذ القرآن باسم «الأخدود» ولما كنت قد ذكرت الأودية الستة فانني أرى من المناسب ان أذكرا والبلاد التي تنبع منها والتي تنتهي اليها مبتدئاً بها من الجنوب الى الشمال على وجه الترتيب

الاودية الستة بحسب وضعها من الجنوب الى الشمال [2]

اولاً — وادي نجران وهو منفصل عن الاودية التي في بلاد الامام يحيى بجبال مرتفعة سطحين مائلين لخط تقسيم المياه ، سطح جنوبي تتصفى مياهه الى وادي الفرع واضح اللذين

(١) بعضهم يسمي السلسلة ساق الغراب وهم بالاحرى يسمون السلسلة الغربية ساق الغراب والسلسلة لها اسماء اخرى (٢) حصرنا بحثنا في الاودية القائمة ضمن حدود المملكة العربية السعودية فقط

في بلاد الجوف في اليمن، وسطح شمالي تتصفى مياهه الى وادي نجران الا ان اكثر مياه الوادي من جهة الغرب لا من جهة الجنوب . ومياه الامطار التي تأتي الى وادي نجران من جهة ا تتجمع من السيول والروافد العديدة القادمة من بلاد قبيلة سحار وبعض قبيلة بني جماعة (وه ترجع في أصولها الى قبيلة خولان بن عامر) . وأما مجرى الوادي نفسه واطرافه ومنتهاه فانه لاحد فروع قبيلة همدان بن زيد المعروفة باليامية

ثانياً — وادي حبونه (ويسميه جغرافيو العرب المتقدمون حبونن) ويقع الى الشمال نجران وتفصله عنه هضاب عديدة اكثرها مرتفع وفي أعاليها منبسط اسمه الصحن . والواديين يسي متوازيين تقريباً وبعد أحدهما عن الآخر في غالب نقاطهما مسافة يوم للجمال المحملة ومصبهما . رمال المهمل اي الربع الخالي يبعد هذه المسافة ايضاً . ووادي حبونة أقل اهمية من نجران وأ عمراناً وقرى بالرغم من أن هنالك أودية مشهورة تصب فيه منها أودية بدر والخانق وهد والحرشف . وهو يصفي المياه التي تنحدر الى جهة الشرق من القسم الشمالي من بلاد بني جما اليمانيين كما انهُ يصفي بلاد وادعة من همدان والقسم الجنوبي من بلاد قبيلة قحطان . ويمكن ذ متة أودية مهمة في بلاد بني جماعة ووادعة وقحطان يمكن اعتبارها أساساً لوادي حبونة وه ١) وادي الحاجر ويصب في هدادة (٢) وادي قتام ويمر ما بين عقبتي الشطبة وعلب اللتين هما نقط لحدود بين بلاد ابن سعود والامام يحيى الفاصلة بين حدود بني جماعة وسحار الشام وحدود وادع ٣) وادي العرين ويمر في قرى عديدة منها ظهران والمجزعة (٤) وادي الغيل وينتهي الى حبونة بعد أن يمر في وادي القرن (٥) وادي طلحة (٦) وادي رشاد

ثالثاً — وادي تثليث وهو يصفي الامطار التي تتجه الى جهة الشرق من بلاد بطون قبيلة طان كما انهُ منتهى عدة أودية مهمة تصفي قسماً من بلاد قبيلة شهران ضاحية لوادي الرابع ي سنذكره فيما يلي . وهذا الوادي أطول من الواديين المتقدمين واكثر اعوجاجاً منهما وهو في اهه مختلف عنهما نوعاً لانهُ منحرف الى الشمال الشرقي ، والاودية التي تصب فيه كثيرة نذكر ا وهي (١) المَجْمَع (٢) جَنَاب (٣) سروم (٤) راحة سَنْحان (٥) راحة شُريف وادي الحرجة (٧) وادي مِحْلاَة (٨) وادي يَعُوض (٩) وادي الوفيرة (١٠) طريب) الهَيْج (١٢) وادي المُسَيْرق وهو يتألف من ثلاثة أودية كبيرة في بلاد شهران : وادي ق ووادي السَّلِيل ووادي خيبر، ومجمعها بقرب خيبر، وتتجه الى وادي ثَقْن ثم تصب في ث (١٣) وادي القاعة . وينتهي وادي تثليث عند الرمال المعروفة باسم المختمية بقرب وادي سر . وقد فاض تثليث عام ١٩١٧ وكسر السد الرملي وطغى على وادي الدواسر فأغرق قرى ة وسبب خسائر عظيمة في الارواح والاموال . ويمكن القول ان مجرى الوادي واطرافه ملك ع قبيلة قحطان ما عدا ال

رابعاً — وادي بيشة وهو أطول الاودية الستة وأهمها ولذلك يقسمونه الى ثلاثة أق
يسمونها بيشة بن سالم من قحطان وبيشة بن مُشَيْط وبيشة النخل . وهو يصفي مياه الأمطار
تتجه الى الشرق والشمال من ديار بطني رُفَيْدة وعَبِيدَة من قبائل قحطان وديار قبيلة ء
كلها وديار شهران عدا ما يصب في تثليث من المسيرق والقاعة وديار بالاحمر وبالاسمر وبني شهر
أما الاودية الكبيرة التي تصب فيه فاننا نذكرها على وجه الاختصار لان ذكرها كلها يست
من التفصيل ما لا يسمح المجال بذكره هنا (١) وادي تَنْدَحَة (٢) وادي أبها الذي ك
اسمه في علوه حيث ينبع عند السقا مركز بني مفيد من عسير (خَبِيبي) (٣) وادي عتْوَد (٤) و
الحُمْرَة (٥) وادي هرجاب (٦) وادي ترج (٧) وادي تبالة (٨) بطنة الحبيب . ومن المه
نذكر ان وادي بيشة ينبع في علوه من بلاد عبيدة ورفيدة من قحطان عند مكان فيهِ آثار
لبلدة خربة كانت مشهورة في الكتب العربية باسم « جرش » وبعد أن يمر في بلاد ابن مشيط
بهِ وادي تِنْدَحة قادماً من ضفته اليمنى ووادي عتود وابها من جهة الغرب ووادي الحمرة
هو الى الغرب والشمال من وادي ابها الى أن تلتقي عند بلاد ابن هشْبَل فيصبح اسم
اعتباراً من هذا المكان وادي شهران ثم يظل هذا الاسم عليهِ الى أن يصل الى مزارع تسمى
وهي تعتبر أول وادي بيشة الذي هو الاصل فيما يطلق عليهِ «وادي بيشة» وهي تبعد عن الر
مركز بيشة اكثر من يومين للجمال المحملة . ويمتد الوادي بعد قرى بيشة التي آخرها الخينة
يصل الى منطقة الرمال فيغور فيها في الرمل المسمى رغوة عند مكان اسمه ظاعن

خامساً — وادي رنية ومنبعه الاصلي في بلاد غامد الواقعة الى الشمال من بلاد بني ش
موضع اسمه ثَراد وبعد ان يصفي ديار قبيلة غامد وبعض زهران وبالحارث وبني عمرو يبدأ
فيهِ عند نخيل اسمه الاملح وبعد أن يسقي القرى العديدة الموجودة على اطرافه والتي آخرها
مصبه بلدة العبابر الى ان يصل رغوة وينتهي عند هجلة المتحتمية . ويصب في هـذا الوادي
فرعية عديدة أهمها (١) غثران (٢) الهجرة (٣) قَرَة

سادساً — وادي تربة واصل منبعه في علوه في ديرة زهران وبني مالك ولكن اكبر
تأتي من ديرة البقوم في حضن واطرافه من حرة سبيع الواقعة الى الشرق والجنوب من الخرمه و
الوادي في عرق سبيع الرملي عند القنصلية والعرق يبعد مسيرة مرحلة المطية عن الخرمه
وادي تربة عن وادي رنية حرة سبيع المشهورة . ويصب في وادي تربة عدة أودية أهمها (١)
(٢) المبايع (٣) سعدانات (٤) الجوفا (٥) الحرملية (٦) الشضو (٧) الجنينة (٨) الظليم ومعيذ و

نجران في كتب العرب

ورد ذكر نجران في كثير من الكتب العربية غير انهُ يتراءى لي ان الذين كتبوا عنها في الا
القديمة انما كتبوا ما سمعوه كما فعل المتأخرون والفرق بين كتابة السامع والمشاهد عظيم و

داعي الاسماعيلية في نجران (لابس البرد المخطط) والى يمينه احد اولاد حسين بن احمد الكرمي الواقف الى يسار الداعي . وقد اخذت هذه الصورة في ابها

المؤلفين من العرب يذكرون ان نجران مخلاف من مخاليف اليمن وانهُ يقع بين صنعاء واليمامة (ويذكر بعضهم ان اسمه مشتق من اسم احد حفدة يعرب بن يشجب ويغلب على الظن انهم يشيرون الى نجران كانهُ علم لمدينة كبيرة لانهم يذكرون ان نجران وحرش مدينتان هما دون صعد جهة مكة وانهما متشابهتان (ذكرت عن حرش انها خربة وقد بقيت منها اطلال دارسة في علو و يشة) . وقد ذكر اسم احدى قرى نجران المسماة بالاخدود في القرآن الكريم في سورة البروج و لاسم ايضاً في السيرة النبوية بمناسبة وفود اهل نجران الى النبي (صلعم) ودخولهم في الا بيل وفاتهِ . وورد ذكر اهل نجران بمناسبة اخرى ايضاً وهي حديث النبي عن مشاهدته لقس اعدة الايادى خطيب العرب المشهور وقد كان قس اسقفاً لنجران قبل الهجرة

النصرانية واليهودية في نجران

يذكر مؤرخو العرب ما يستفاد منهُ ان النصرانية سبقت اليهودية الى نجران وان محاولة اح ملوك اليمن الحميريين الذين هادوا ان يرغم نصارى نجران على اعتناق اليهودية ادت الى تدخل قياصر الروم بواسطة الحبشة والى فتح اليمن من قبل الاحباش كما هو مشهور في الكتب العربية . وق لخص السير وليم موير في كتابه (حياة محمد) اقوال مؤرخي العرب في ذلك ونقل الدكتور هيو في كتابه (قاموس الاسلام) ما هذه خلاصته

كان ذونواس الحميري في احد اسفاره الى المدينة اعتنق الديانة اليهودية وحينما عاد الى اليمن حاول نشرها فيهِ ايضاً . فلقي مقاومة عنيفة من اهل نجران الذين كانوا يدينون بالنصرانية فجهز اليهم جيشاً كبيراً وهدم كنيستهم وقتل كثيرين منهم وكان يحفر لهم حفراً يغرقهم فيها ومعنى لفظة الاخدود وهو المقصود بالآية الكريمة الواردة في سورة البروج« قتل اصحاب الاخدود الخ» وقد من أثر ذلك ان استنجد نصارى نجران بالقسطنطينية التي كانت حامية للدين المسيحي عهدت هذه الى ملك الحبشة بنصرة نصارى نجران وكان ما كان من استيلاء الاحباش على اليمن عام ٥٢٥ م) ونشر النصرانية فيهِ وشروعهم في مهاجمة الحجاز لهدم الكعبة المكية واقامة كعبة رى مكانها في صنعاء يسميها العرب (القليس) وربما كانت محرفة عن كلمة (Eglise)

ومن المعلوم ان النبي ولد في العام الذي غزا الاحباش مكة فيهِ . ولم يدم ملك الاحباش في اليمن ان النصرانية ظلت في نجران الى ظهور الاسلام وظل في اليمن كثيرون من اليهود ومن العرب ن دانوا باليهودية الى يومنا هذا . وحينما انتشر الاسلام اوفد اهل نجران اساقفتهم ورؤساءهم النبي وصالحوه على ان يظلوا على نصرانيتهم ويؤدوا الجزية ولكن حينما قرر الخليفة عمر ألاّ في جزيرة العرب دين آخر مع الاسلام صدر الامر باخراج من يصر منهم على النصرانية وعوض ن خرج مالاً مقابل املاكه

الاسماعيلية في نجران

يتمذهب اهل نجران كما يتمذهب سائر ابناء عمومتهم واخوانهم من قبيلة يام بالمذهب الاسماعيلي وهو مذهب احدى الفرق الشيعية الباطنية في الاسلام واتباعه يعتبرون ائمة سبعة من اهل البيت آخرهم محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ويختلفون عن الاثني عشرية بان هؤلاء يقولون بامامة اثني عشر اماماً آخرهم محمد الحسن العسكري ولا يعترفون لمحمد بن اسماعيل بل يتبعون موسى الكاظم والاسماعيلية بانفسهم منقسمون الى عدة فرق اهمها (١) فرقة الخواجية التي يترأسها آغا خان (٢) فرقة الداودية التي يترأسها طاهر سيف الدين من بومباي (٣) فرقة السليمانية التي يترأسها الداعي المكرمي الذي له منصب في الهند في بدر باغ وهو غلام حسين الهندي . اما كيفية دخول الاسماعيلية في اهل نجران وسائر يام فما لا نستطيع الجزم به ولا تحديد وقت معين لحصوله . الا ان الذي يظهر لي ان طبيعة اليامية جعلتهم يميلون الى مخالفة جيرانهم من القبائل في العقائد الدينية وفي النظم الاجتماعية ومعان اليامية بطن مهم من بطون همدان بن زيد فانهم يختلفون عن مجاوريهم بانهم يمتازون بمزيتين الاولى اختلاف المذهب والثانية كونهم من اشد القبائل شكيمة وقت الحروب ومعنى الغزو والغارات. ولم تشتد دعوة الاسماعيلية في نجران وتسمح لرؤسائهم سيطرة مدنية وقوة عسكرية حكومية الا منذ ثلاثة قرون ونصف تقريباً حينما قدم الى نجران الداعي الاسماعيلي المسمى محمد اسماعيل المكرمي فاراً من بلدة (طيبة) التي تبعد عن مدينة صنعاء مسافة بضع ساعات الى جهة الجنوب

المكارمة في نجران

كنت مخطئاً في ظني ان المكارمة من السادة العلويين الى ان اتيحت لي فرصة الاجتماع مع نائب المنصوب عن الداعي والمسمى حسين بن احمد فاعلمني ان المكارمة قحطانيون وسلسلة نسبه الى يعرب (حسين بن احمد بن حسن بن حسين بن علي بن حسين بن علي بن حسين احمد بن محمد وهذا اول من سكن بدر من المكارمة ابن الفهد بن صلاح بن داود الناصر بن عبد الله بن عمرو بن علي بن صبيح بن حسان بن مكرم بن سبا بن حمير الاصغر بن المنتهب ابن علاق بن ذي ابين بن ذي يقدم بن الصوار بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيداز ابن غريب بن زهير بن ايمن بن الهميسع بن حمير الاكبر بن يشجب بن يعرب بن قحطان). وهو المكرمي حادثة قدوم محمد بن اسماعيل الى نجران ثم كتب اليَّ خلاصة وافية نقلها عن كتاب لتاريخ ائمة الاسماعيليين ودعاتهم واعمالهم في مدة الدعوة ولكنهُ رفض ان يطلعني على اصل الذي عنده مع انهُ قديم ويتناقله الدعاة خلفاً عن سلف . وفهمت ان سبب امتناع اطلاعي عليهِ يعود الى ان ما فيهِ عائد لشؤون باطنية محضة وقاعدة اهل الباطن في الاسلام على اسرار معتقداتهم وعدم اطلاع الاجانب عنهم عليها

كانت [illegible] تسمى في الزمان القديم دورم

كان المكارمة مقيمين في طيبة ولكن الدعوة لم تنقل اليهم الا متأخرة فقد قرأت فيما كتبه المكرمي اسماء اربعة دعاة من الهنود قاموا بأمر الدعوة في الهند وطيبة من عام ٩٧٤ الى هجرية وهم داود بن عجب الذي حصل بعد وفاته انفصال فرقة الداودية عن السليمانية وسليم حسن هندي وجعفر بن سليمان وعلي بن سليمان وحين وفاة هذا اوصى بالامر لشخص اسمه ا ابن محمد بن الفهد (راجع سلسلة النسب) ابن صلاح المكرمي فقام بالدعوة في بلدة طيبة مدة ٤ وحين وفاته عهد بها الى حفيده محمد بن اسماعيل بن ابراهيم فحصل بينه وبين الزيود حرب فيها فهرب الى القنفذة ومنها دعاه اسماعيليو نجران ليكون بينهم فحضر الى بلاد نجران وسكن بلدة بناها وأسماها الجمعة ولكنها الآن خراب

ومع ان المكارمة غرباء عن نجران وليس لهم سلطة زمنية (لا سيما اذا اخذنا بعين الاعتبار ان اليامية مؤلفة من ثلاثة فروع لكل فرع رئيس زمني قوي) فانهم نجحوا في اعمالهم وأصبحوا اصحاب الشأن في الامور الدينية والزمنية وامتدت فتوحاتهم الى الاطراف المجاورة ووصل بعضهم زيم في حضرموت وبعضهم الى اواسط نجد أيام النزاع بين آل سعود وابن دواس وآل معمر

أما الذين تعاقبوا من دعاة المكارمة في نجران فهم: (١) محمد بن اسماعيل توفي ١١٢٩هـ (٢) ه بن ابراهيم توفي ١١٦٠ (٣) اسماعيل بن هبة توفي ١١٧٤ (٤) حسن بن هبة توفي ١١٨٩ (٥) ع علي بن الحسن بن اسماعيل بن ابراهيم توفي ١١٩٥ (٦) عبد الله بن علي بن هبة توفي ٢٢٥ ٧) يوسف بن علي بن هبة توفي ١٢٣٤ (٨) حسين بن حسين بن علي بن هبة توفي ١٢٤١ (٩) اسماعي ن محمد بن حسن بن هبة توفي ١٢٥٦ (١٠) حسن بن محمد بن حسن بن هبة توفي ١٢٦٢ (١١) حسن بن ماعيل وهو من آل شبام ومن غير المكارمة توفي ١٢٨٩ (١٢) احمد بن اسماعيل بن محمد بن حسن بن هب في ١٣٠٦ (١٣) عبد الله بن علي توفي ١٣٢٣ (١٤) علي بن هبة توفي ١٣٣٠ (١٥) علي محسن حسين آل شبام تولى ١٣٣٠ وهو الداعي الى الآن وخليفته غلام حسين الهندي والمنصوب خر حسين بن احمد المكرمي . وجميع المكارمة الاحياء الموجودين في بدر ونجران وشهارة في اليمن ة اتخاذ ويجتمعون في جد اعلا اسمه محمد بن الفهد المار ذكره في سلسلة النسب وحسين بن احمد كرمي الخليفة المقبل يقول ان اخذه اسمه نخذ آل ذي الجدين دليلاً على انه مكرمي اباً وأمّا

سكان نجران

يقطن نجران فرع من فروع قبيلة همدان بن زيد القحطانية كما انه يوجد فيه عدد قليل من ين (اليهود) بعضهم من اصل يهودي والبعض الآخر من العرب الذين اعتنقوا الديانة اليهودية د فريق ثالث من السكان يحسب من الطبقات المنحطة التي لا يحترمها العرب ومكانة هذا ن اعلى من مكانة اليهود وأحط من مقام القبائليين . اما اليهود فانني قد علمت بعد البحث بواسطة زعماء المكارمة واليامية انهم لا يزيدون عن مائة عائلة منتشرة في قرى وادي نجران

وحبونة وعملهم في الصنائع التي يحسب العرب القبائليون انها حطة في قدرهم مثل الخرازة وس
اشغال الجلود والحدادة والسمكرة وسائر الاعمال الصناعية . واليهود كاهن يقيم في الخلاف يس
الاهالي « الذبّاح » وهم يسبتون يوم السبت ويجتمعون غالباً في بيت الكاهن ويقرأون بالعب
واليهود متمتعون بحماية زعماء اليامية الثلاثة وحماية المكارمة ايضاً ويظهر انهم مسرورون
معيشتهم وهم يؤدون الجزية سنة فسنة ويبلغ مقدارها ريالاً واحداً عن البالغ ذكراً او انثى .
لي بعضهم ان احد هؤلاء اليهود اغري على السفر الى فلسطين فأقام فيها مدة ثم عاد منها الى ق
فسئل عن اسباب عودته فقال : « وجدت معاملة المسلمين والنصارى غير التي نعرفها عنهم ف
وغير ما نقرأه في كتبنا ووجدت اليهود غير اليهود الذين نعلمهم فقنعت نفسي وعدت الى قومي

اما العرب القبائليون او اليامية فانهم ثلاثة بطون :—

﴿ اولاً ﴾ — بطن آل فاطمة — كبيرها جابر بن حسين ابو ساق

١ آل سالم
٢ آل شرية
٣ آل مسعد
٤ آل المحامض
٥ آل سليم
٦ آل ذيبان
٧ الزبادين
٨ آل زمنانان
٩ آل القفيلي
١٠ آل بشر
١١ القشانين
١٢ الشركان في هداءة
١٣ المكابيل في حبونه
١٤ آل مخلص بدو
١٥ آل زابن »
١٦ آل معجبة »
١٧ آل راكه »
١٨ آل فطيح »
١٩ آل رشيد »
٢٠ آل فهاد بدو
٢١ آل العرجاء »
٢٢ آل سالم بدو وحضرهم في بدر وفي حبو
٢٣ آل فروان بدو وحضرهم في بدر وفي
٢٤ آل سفران بدو وحضرهم في بدر وفي
٢٥ آل لبيد بدو في بدر
٢٦ آل عمرو » وحضرهم في
٢٧ آل معمر »
٢٨ آل زائد حضر في حبونه
٢٩ آل شرار حضر في نجران
٣٠ آل دكان » » »
٣١ آل معيط » » »
٣٢ آل سعد » في حبونه
٣٣ آل قائد » في حبونه
٣٤ آل الخريت » » »
٣٥ آل الظويل » » »
٣٦ ابن قنة » » »
٣٧ ابن حامد » في نجران

﴿ ثانياً ﴾ — بطن آل ام واجد كبيرها ابن نصيب آل المهري

١ وهم ثلاثة أقسام آل غانم وآل علي بن سعيد وآل حسن المحمد وابن الخزوبر يسكنون نجران
٢ آل الحارث وفيهم آل بحري — آل الحارث في نجران — وآل بحري في حبونه
٣ ابن الحزوبر
٤ آل عامر
٥ الدلاوين
٦ آل بنيان
٧ العطازة
٨ آل علي بن عامر
٩ آل صليع بدو وحضرهم في حبونه
١٠ الخضرا في حبونه
١١ آل هميم «
١٢ آل بحري
١٣ آل عباس في نجران
١٤ وادعة « «
١٥ آل قريع بدو وحضرهم في حبونه
١٦ الهيسان بدو وحضرهم في حبونه
١٧ آل رزق بدو وحضرهم في نجران
١٨ آل علي بن الأحسن في نجران وحبونه حضر

﴿ ثالثاً ﴾ — بطن ادشم (اجشم) وكبيرها سلطان بن منيف

١ آل مقاتل ومنهم بنو منيف في نجران
٢ آل حرث «
٣ زبيد «

يطلق على هؤلاء الثلاث آل عامر وهم بدو

٤ آل بوريده في ن
٥ آل منصور
٦ آل سليمان وفيهم آل بدر وال والحسان وآل كليب وآل مطار خطاب وآل سنان وآل والدويس في نجران
٧ آل حسن في نجران
٨ ابن سليمان وهم آل هتيله بن علي مشرف — وآل حابس وآل سو وآل حوار في نجران
٩ ابا الحارث في نجران
١٠ الصقور «
١١ آل جعفر « ويقال لهم آل جب
١٢ آل ربعه «
١٣ آل مصعب «
١٤ آل ريح «
١٥ الاشراف « هجرة آل الهندي
١٦ آل جعران « في بدر
١٧ آل الهندي وقد ورد ذكرهم بصفة متفرقة ولكنهم كما يأتي :—
آل حسن
آل سليمان
بالحارث
آل منصور
آل مقاتل
آل حرث
آل ابو زيده آل جير
الربعة الاشراف هجرة آل الهرفى

ومن اليامية بدو يتبعون الاقسام السابقة وبعضهم ليس فيها

١ جماعة ذيب المهان (من آل فطيح)
٢ جماعة ابو نقايا (من آل فطيح)
٣ جماعة حسين بن سداح بن آل معجبة
٤ جماعة الحمدي من آل مطلق وآل مخلص
٥ جماعة منير الرشيد من آل زائد من الرشيد
٦ جماعة فلاح بن سمحه من آل عمرو
٧ جماعة ابراهيم الاسلومي من آل عامر بن نصيب
٨ عوض بن حليمة من آل فروان
٩ مفاشر آل سالم من آل سالم
١٠ صالح بن حمد آل لبيد من آل لبيد
١١ جابر بن دكام يتبع بن نصيب

ثانياً : آل ام واجد وكبيرهم ابن نصيب واكثر في حبونة ولهم في نجران ثماني قرايا سأ فيما بعد ثالثاً : ادشم او اجشم وكبيرهم سلطان بن منيف ولهم في نجران ١١ قرية كبيرة على ذكرها حين ايراد اسماء القرايا ومواقعها فيما يأتي :

قبائل اليمن المشهورة ونسبة اليامية الى همدان بن زيد

علمت من كثيرين من الثقاة ان القبائل العربية التي تقطن جبال اليمن الواقعة الى الش صنعاء حتى حدود بلاد ابن سعود ترجع انسابها الى اصلين كبيرين ويحدهما من شماليهما عربية سعودية تنحدر من اصل آخر سأذكره ايضاً . اما الاصلان فهما : اولاً همدان والثاني : خولان بن عامر والاصل الذي يجاورهما من شماليهما هو قحطان بن عامر « ورء عمرو » . اما قبيلة همدان بن زيد فانها تنقسم الى قسمين كبيرين (١) حاشد وهو اقربهما الى (٢) بكيل وتنقسم بكيل الى عدة اقسام ادكرها فيما يلي

اولا — دهم وتتألف من فرقتين ذوى محمد وذوى حسين وهما رأس بكيل . ثانياً اهل الحرف . ثالثاً — ارحب . رابعاً — وائلة وأهل الفرع . خامساً — اليامية وهي الش وحبونة وآل مرة والعجمان في نجد . سادساً — وادعة التي تقيم في بلاد ظهران

واما قبيلة خولان بن عامر فانها تقيم في السورات الى جهات الغرب من اقسام وفروء وخولان ثلاثة مراكز رئيسية في الادارة الاول : مركز رازح والثاني : مركز ساقين والثالث صعدة . واما اهم اقسام خولان فانها كما يأتي : —

اولاً قبيلة سحار وهي في صعدة واطرافها وفي بلاد الصعيد المجاور لصعد تولها فريق منفصلة عن بقية سحار بواسطة بني جماعة وهي اقرب القرايا اليمانية الى حدود الملك ا واسمها « يباد » قرية ابن صبحان . ثانياً قبيلة بني جماعة وهي في بلدة باقم واطرافها . ثالث رازح والنظير . رابعاً قبائل بني مشيخ وبني منبه . خامساً قبائل فيفا وبني مالك وبني التابعون لابن سعود . ويفهم مما ذكرنا اعلاه ان لليامية اقارب في نجد وفي اليمن على السواء شاء زيادة التوسع عليه ان يراجع قسم القبائل العربية في كتابي قلب جزيرة العرب)

(البحث تتمة مع خريطة لنجران)

طلسم الآباد

لالياس قنصل

لا تطمعي يا نفسُ في ادراك ما ... أعيى حجا المتعمق المتفلسفِ

طلّسمُ آبادٍ خلال قشوره ... تبدو الظنون الحائمات وتختفي

القربُ منه هو البعاد بعينه ... ان لم يزد في غمضه المتكثفِ

أنا ما عدلتُ عن التسائل قانعاً ... بحقيقة أروت غليل تشوّفي

لكنني الفيتُ ابلائي سدى ... ثوب الشباب من الجنون المتلفِ

ولَو أنني ادركتُ بعد الجهد ما ... امّلتُهُ ، وكشفتُ ما لم يكشف

افكنت ادرج في نعيم دائم ... صفو السعادة فيه غير مزيّف ؟

لا ! فالحياة بجهلنا وبعلمنا ... لم يعرُها نقصٌ ولم تتشرّف

يا نفسُ لن تجدي السبيل فاطفئي ... هذا السراج ، فما الضياء بمسعف

ما زلتُ ابحث ممعناً في حيرتي ... واجدُّ خلف الوهم جدّ تلهّف

حتى رجعتُ الى الشكوك مصدّعاً ... ورأيتُ اني مصدر السر الخفي

عاصمة الارجنتين

الدفتيريا وعلاجها الواقي

بحث علمي صحي

للدكتور محمد علي

[بكتريولوجي بمعامل مصلحة الصحة]

اذا اردنا ان نحدد معلوماتنا الطبية عن مرض الدفتيريا ، وجدناها تقع في اربع مراحل . ا
مرحلة المشاهدات الاكلينيكية ايام كان الطبيب يشخص الدفتيريا معتمداً على مشاهدات خا
اكثر ما تكون عرضة للخطإ للتشابه الكبير بين الدفتيريا وامراض الحلق المختلفة الاخرى . وا
مرحلة اعتمد فيها الطبيب على التشريح المرضي في تمييز الامراض وتشخيصها. والثالثة مرحلة الت
وفيها تكشف للطب سبب المرض . فبالتجربة العلمية امكن احداث مرض الدفتيريا في الحـ
فكان ذلك مدعاة للتفكير والبحث عن العامل الخفي المجهول المسبب لهذا المرض . وفي عام ٤
نال فخر هذا الاكتشاف العظيم العلامة لوفلر بكشفه عن الميكروب المسبب للدفتيريا ، وما ل
ايد العلماء كشفه فأصبح حقيقة ثابتة . وتوالت الجهود بعده فكشف الشيء الكثير عن خـ
هذا الميكروب وتاريخ حياته . وأمعن كل من رو ويرسين في دراسة خواصه وتوصلا سنة ٠
الى فصل سم الدفتيريا الفعّال (توكسين) وذلك بترشيح مزرعة من الدفتيريا في المرق ، وتحقـ
التوكسين في حيوانات التجارب تبين لهما الشبه بين مفعوله ومفعول باشلس الدفتيريا نفسه .
عملهما هذا ختام مرحلة التجارب وتمهيداً للمرحلة الرابعة الهامة

ويعتبر عام ١٨٩٠ بداية المرحلة الرابعة التي اضاء فجرها اكتشاف بهرنج وكيتا ساتو
الدفتيريا العلاجي . ذلك الاكتشاف الخالد الأثر الذي يعتبر بحق فاتحة جدية للتقدم المطرد
بلغه تحضير الامصال العلاجية فيما بعد ، وقد بلغ الغاية في هذه الايام ، ولعل اول نتيجة مد
مشكورة محسوسة له هي قلة الوفيات من الدفتيريا ، قلة واضحة في جميع انحاء العالم

***

بعد ذلك اتجهت البحوث الى ايجاد الوسائل لوقاية القابلين للعدوى بالدفتيريا وخصوصاً الا
بين السنة الاولى والخامسة عشرة من العمر حينما يكونون اكثر تعرضاً للمرض من غيرهم

كان من المعلوم اذ ذاك امكان التحصّن ضد الدفتيريا بزيادة مقدار الانتي توكسين Antitoxin الذي في الجسم اي في الدم وذلك بحقن مصل الدفتيريا الحاوي للانتي توكسين . وهو المصل لسموم الدفتيريا وقد رغبوا في الاستفادة من تلك الظاهرة في الوقاية كأول خطوة في هذا ا ولكن التجارب المتعددة والمشاهدات الكثيرة اثبتت حبوط هذه الطريقة . ومما لا شك ف يمكن تأخير ظهور اعراض المرض بحقن مقدار كافٍ من مصل الدفتيريا لمن تعرض للمرض او اصابته العدوى وما زال في دور الحضانة ، فتحدث بذلك مناعة وقتية تبقى ما بقي في الدم ما واف من « الانتي توكسين » المحقون ، واذا ما تضاءل هذا المقدار بسرعة وهو غالباً ما يحد زالت عن المريض المناعة وتعرض للمرض فتبدو اعراضه واضحة خصوصاً ما زال ميكر الدفتيريا في حلقه

وحبوط هذه الطريقة في ايجاد الوقاية الكافية صرفت عنها الافكار وحوّلتها الى اتجاه آخر

***

وفي عام ١٨٩٢ قام كل من فون بهرنج ووارنيك بعدة تجارب في الحيوانات القابلة للعدوى فأثبتا امكان حقنها مع بقائها سليمة بمقادير متزايدة من الميكروبات الحية الفعالة وذلك به اعطائها حقنة واقية من المصل . مضى على ذلك ست سنوات عند ما تمكن نيكاروف من تحصير الحيوانات باعطائها حقناً متكررة من التوكسين المتعادل بالانتي توكسين (اي ان كل حقنة مر هذه الحقن كانت تحتوي على مقدار معين من التوكسين مع مقدار آخر معيَّن من الانتي توكسين لتخفيف فعلهُ التسممي) . ثم حقنها بعد ذلك بالتوكسين وحده بغير ضرر يذكر . وفي عام ١٩٠٠ اقترح درار تبين المقادير اللازمة من التوكسين والانتي توكسين وذلك بواسطة حقنها في خنازير الهند قبل استعمالها في تحصين الخيل

وبالرغم من الجهود المتوالية لاستنباط طرق للوقاية لم تسفر أية طريقة حينئذ عن الفائدة المرجوة في الحيوانات فكان من الصعب جدًّا تطبيق احداها على الانسان

وجاء بعد ذلك بهرنج عام ١٩١٣ واعلن عن نجاحه في توصله الى طريقة نافعة لتحصين الانسان ضد الدفتيريا . وطريقته : ان يحقن مركباً مؤلفاً من التوكسين والانتي توكسين داخل الجلد . وصرح أن تركيبه هذا الذي لم يذكر طريقته لا يضر خنزيراً من خنازير الهند اذا حقن به

ولعلَّ الفضل كل الفضل في تقدم هذه الطريقة في العلاج الواقي من الدفتيريا راجع جلُّهُ الى عمال بارك وزنجر اللذين استعملا مركباً معيَّراً من « التوكسين انتي توكسين » فكان ذلك سبباً في يوعه وتعميمه لتحصين الاطفال والافراد القابلين للعدوى . ومما يؤسف لهُ ظهور بعض العواقب ير المحمودة لاستعمال هذا المركب . ويعزى ذلك الى خطإٍ في تركيبه وتحضيره ، فكان باعثاً على صرف النظر عنهُ الى محاولة لاستعمال التوكسويد (التوكسويد هو توكسين الدفتيريا مضافاً اليه

الفورمالين بحيث يضعف فعله التسممي مع بقاء مقدرته على توليد المناعة) بدل التوكسين لقلة ضـ اذا قيس بالتوكسين مع كفائته في التحصين وأول من استعمل مركباً من التوكسويد والانتي تو كـ هم الانجليز والاميركيون وكانت نتائجهُ محمودة . أما الممالك الاخرى وخصوصاً فرنسا فاقتصـ على استعمال التوكسويد وحده فأسفر فيها عن نتائج تفوق ما كان منتظراً منهُ ويرجع فضل ذلك فرنسا الى اكتشاف رامون سنة ١٩٢٤ لخواص هذا التوكسويد الذي سماه « اناتوكسين رامون وتركيبه هـذا عبارة عن توكسويد ، محضر باضافة فورمالين الى السموم المرشحة من مـ دفتيريا في مرق ، ثم حفظه في فرن التفريخ مدة طويلة كافية لازالة قوته السامة وهو مع ذلك لم خاصة اتحاده بالانتي توكسين بل يظلُّ كفوءاً للتحصين كما تبين ذلك من التجارب العديدة

***

ويحسن هنا ان نشير الى طريقة شيك المتبعة لكشف قابلية العدوى في الاشخاص . فهي عن حقن مقدار يسير جدًّا من التوكسين داخل الجلد ومراقبة تأثيره المحلي في الجلد . فمن كان للعدوى ظهر في مكان الحقنة التهاب يختلف شـدة وضعفاً باختلاف قابلية الشخص للعدوى ، التجربة ايجابية وليس لها أي تأثير ضار بالشخص . واذا لم يبدُ أي تفاعل موضعي يعتبر الشـ سلبيٌّ النتيجة لتجربة شيك أو غير قابل للعدوى لتمتعه بنوع ما من المناعة الطبيعية ضد الـ وتعرف هذه التجربة باسم كاشف شيك Schick

ويقول رامون ان الحالات التي اصبحت سلبية لتجربة شيك بعد تحصين تام بالاناتوكسين بعد ٣ حقن) بلغت نسبة النجاح عندهم من ٩٤ الى ٩٨ في المائة أي ان نجاحها فاق كثيراً نتائج ا « التوكسين انتي توكسين » بل ان كثيرين غيره من العلماء منهم ديكس وسفارتس وجيتي يد الاناتوكسين بالنجاح الكامل اذ بلغت نسبة النجاح عندهم ٩٨ ٪ أو ما يزيد

وطريقة الوقاية به هي أن يعطى على ثلاث دفعات حقناً تحت الجلد الاولى نصف سنتمتر والثانية سنتمتر مكعب بعد ثلاثة أسابيع من الحقنة الاولى . والاخيرة حقنة تختلف من مكعب الى سنتمتر ونصف بعد اسبوعين من الحقنة الثانية . ومنعاً لما قد يحدث من الـ البالغين يحسن اعطاء مقادير صغيرة تتراوح بين عُشر سنتمتر مكعب وربع سنتمتر حقناً تحـ قبل اعطاء العلاج الواقي السالف الذكر

وللحقنة الثالثة شأنها الكبير وقد وجد ان ٣٣ ٪ ممن اكتفوا في الوقاية بحقنتيـ امتحانهم يسفر عن نتيجة ايجابية لكاشف شيك دلالة على عدم تكون المناعة اللازمة لديهم

وينصح رامون امعاناً في الوقاية لكل من أتمَّ العلاج الواقي اي الحقن الثلاث ان يأخذ حقنة اناتوكسين مقدارها سنتمتر مكعب واحد

---

(١) وقد جاء في بعض المجلات العلمية انهم قد حسنوا هذه الطريقة بحيث يكتفى فيها بحقنتين بدلا من ثلا

والثابت الآن أن المناعة تتم في نهاية الشهر الرابع من أخذ اللقن ، وتبلغ أقصاها في السادس كما يتبين جليًّا من مراقبة المحقون بتجربة شيك وتستمر المناعة في الاطفال عامين أو اذا لم يتم العلاج كله . أما اذا أتمّ الحقنة الثالثة فالمناعة اكيدة مدى أعوام طويلة

* * *

ولقد كان لتعميم استعمال « الاناتوكسين » للوقاية بفرنسا اكبر الفضل في اختفاء أوبئة من جلّ المعاهد والمدارس وتدليلاً على ذلك يذكر موزار انهُ حقن ما يزيد على ٣٠٠٠ ، مستشفى برش في مدى سنوات اربع بدايتها ١٩٢٥، ففي العامين الاوليين اي ١٩٢٦ و١٩٢٧ كا حالات الدفتيريا ١٠٣ وعدد الوفيات بها ٨ ، اما في العامين التاليين لهما اي ١٩٢٨ و ١٩٢٩ ف من شدة التعرض لعدوى جديدة من المرضى الجدد لم تظهر سوى خمس حالات في ١٠٠٠ محصّن . وحتى هذه الحالات الخمس كان شفاؤها سريعاً

أما في المدارس فقد هبطت عدد الاصابات بالدفتيريا في المحصنين الى حد أدنى

وفي عام ١٩٢٨ عممت الحكومة التحصين المجاني بالاناتوكسين رامون

وفي فبراير ١٩٢٩ حقن ٥٥٠٠ طفل في المدارس الابتدائية منهم ٥٠٪ تقل أعمارهم ع سنوات ولم يمرض أحدهم بالدفتيريا لغاية سبتمبر سنة ١٩٢٨

وفي اجتماع يناير ١٩٣٠ لجمعية طب الاطفال ذكر ابربوليه وجورنيه انظهور اصابات الدفتيريا الافراد المحصنين أمر نادر الحصول . بل وحدا انها لا تظهر الاّ فيمن لم يتم العلاج بحقنه الثلاث

وكذلك اتضح جليًّا فائدة هذه الطريقة في الوقاية من الدفتيريا ، فاصبح لزاماً تعميم استعم كطريقة صحية ناجعة في فرنسا عموماً وادخلت حتى في الجيش

ثم اتخذتها بلجيكا وهولندا طريقة للوقاية من الدفتيريا فنشأ عن ذلك هبوط عظيم في عدد الوفيا بهما كما دلت على ذلك تقارير مصالح الصحة

***

وكان لنجاح طريقة التحصين ضد الدفتيريا بالحقن في امريكا اكبر الاثر في انكلترا في البداية ولكن النجاح الباهر الذي نالهُ في انكلترا بعد ذلك فاق كل وصف . فمثلاً في ادنبره حصّن ١١ الف نفس وبقي ٩٥ الف بغير تحصين فبلغت نسبة الاصابات بالدفتيريا في غير المحصنين ١٠ امثالها في المحصنين ولم تحصل اي وفاة في المحصنين ، وقد بلغت الوفيات في غير المحصنين ٦٣ من كل ١٠٠٠٠٠ نفس وهذه احصاءٌ واحدٌ فقط من الاحصاءات التي تبين اثر التحصين ومفعوله في انكلترا مما ادى الى تعميم استعماله في جميع انحاء انكلترا واسكتلندا وارلندا ، ومما يستحق الذكر دلالة على عدم ضرر التحصين انهُ لم يصب اي واحد من ١٥٠٠٠٠ نفس حصنوا بها باي ضرر يذكر

وفي الولايات المتحدة ويبلغ سكانها ١٢٢ مليون و ٧٠٠ الف نفس عام ١٩٣٠ بدأ التحصين ضد

الدفتيريا من امد طويل، ولكن المجهود الجدي بدأ حقيقة عام ١٩٢٩ — ١٩٣٠ حيث عم التـ
نظام مضمون وكانت اصابات الدفتريا عام ١٩٣٠ تبلغ ٦٢٫٢٧٤ في الالف تقابل ٨٠٫٠٤١ ف
عام ١٩٢٩ اي ان نسبة الاصابات هبطت من ٠٫٧ في الالف الى ٠٫٥ في الالف وهي قلة واضحة
وكان عدد الوفيات في عام ١٩٣٠ — ٥٠ ٪ اقل منهُ عام ١٩٢٩ والاصابات قلت في عام ٠
٦٥ ٪ والوفيات ٧٠ ٪ عن عام ١٩٢٨

ومن الادلة الواضحة ان في عام ١٩٣٠ حدثت ٣٥٣٠ اصابة وكان ٩٣ ٪ من اصحابه
ممن لم يتحصن ضد الدفتيريا و٢ ٪ ممن تحصن وهؤلاء لم يستعملوا العلاج كاملاً

اما عام ١٩٣٠ فقد قلت الاصابات فيهِ قلة واضحة مما دل على فائدة التحصين ضد الدفتيـ

***

اما في المانيا فقد اختلفت الآراء في بادىء الامر بين تحبيذ له ورفض ولكن ساد اخيراً ا
بفائدة التحصين فذاع استعماله في كثير من المدن والمعاهد والمدارس

وقررت وزارة الصحة البروسية في نوفمبر سنة ١٩٢٧ تحصين جميع الاطفال الذين تقل اع
خمس سنوات كما قررت تحصين كل من كان ايجابيًّا لتجربة شيك وعمره اكثر من خمس سـ
خصوصاً في الاماكن التي زادت فيها اصابات الدفتيريا

وفي كندا سنة ١٩٣٠ كانت اصابات الدفتيريا ٧٥٣٤ والوفيات ٥٧٩ يقابل ذلك في عام
٨٨٨٤ اصابة و٨٧٩ وفاة ويدل ذلك على نقص في اصابات الدفتيريا ووفياتها . وما من شك
النجاح سيكون عظيماً عند اتمام التحصين العام الذي بدأ عام ١٩٣٠

امام هذه الدلائل الواضحة على فائدة التحصين ضد الدفتيريا نجد ان ممالك الارض طرًّا قد
كاداة ناجعة في الوقاية من مرض طالما فتك بالانسانية . ومن ذلك مثلاً ما قررتهُ اليابان و
وبلدان اميركا الشمالية والجنوبية وروسيا وجميع ممالك اوربا

***

اما مصر فلا يمكن اعتبارها بين البلدان التي تحسب معرضاً للدفتيريا ولكن الجدول الآتي ي
على نسبة اصابات الدفتيريا في القاهرة : —

٣٣٣	اصابة عام	١٩٢٦	اي بنسبة	٣٠٫٢	في ١٠٠٫٠٠٠
٤٨٦	»	١٩٢٧	»	٤٤٫١	»
٣٤٤	»	١٩٢٨	»	٣١٫٣	»
٣٠٥	»	١٩٢٩	»	٢٧٫٦	»

وهي نسب عالية وقد لاحظتها مصلحة الصحة العمومية ، فعملت على تحضير الاناتوكسين
معاملها بالقاهرة حتى تزود المصريين بسلاح ناجع في مقاومة هذا المرض الخطر على غير المحصنين

سوريا في زمن الصليبيين

تتمة البحث

لنقولا زياده

الصليبيون وجموعهم

كانت اوربا المسيحية في القرنين العاشر والحادي عشر تختلف كل الاختلاف عن الصورة رسمناها للشرق . كان الاقطاع سبيل الحياة السياسية ، الا حيث قامت المدن التجارية التي انت حريتها من النبلاء ، لقاء ضريبة تدفعها لهم . وقد فرض هـذا على الاتباع قيوداً اجتماعية سيا ثقيلة جداً ، كما فرضت عليهم الحياة الزراعية قيوداً اقتصادية . ولم يعرف الحرية الا اولئك التجار ا كانوا يتحولون بين اوربا والشرق . وكانت الكنيسة قد سيطرت هناك على العقول ، فأغلقت دو أبواب المعرفة الا ما رضيتهُ ووافق عقائدها وتقاليدها . فكانت آمال اتباعها في السماء . وسبب شقيقها ارضاء الرئيس الروحي أو التبرك بأثر من آثار القديسين أو الحج الى البلاد التي قضى فيه المخلص أيامه على الأرض[1] . وهذه فكرة جديدة تستهوي الافئدة ، وتملك الالباب ، ذلك عودة المسيح أصبحت قريبة فليعمل كل جهده ليكون له ملكوت السماوات . فكان هم الكبير والصغير ، المجرم والبريء ، أن يفوز بهذه النعمة

وهذا الطاعون والقحط ، يهجمان على غرب اوربا في أواخر القرن الحادي عشر ، فيتركان الناس على شر ما يكونون [2] ، فقر مدقع ، وارض ليس من يعمل فيها ، ويأس من النجاح في بلادهم فسعى بعضهم الى الارض المقدسة ليكفر عن ذنبه ، ودخل آخرون الدير ليصوموا ويصلوا [3] وبين هما كانت بين الجماعات الأوروبية نزعة قوية نحو تبديل ما هم عليه ، وميل الى تحسين أمورهم [4] . وكثيرون خرجوا من بلادهم ليعملوا في مكان آخر لندرة الاعمال عندهم [5]

والتجار الذين سحرتهم ثروة الشرق ، وراقتهم اسواقه ، رغبوا في أن يكون لهم منها حصة اكبر ، لتزداد مغانمهم ، ويقوى نفوذهم ، لاسيما وان التنافس بين تجار المدن الايطالية نفسها كان قوياً . والتزاحم كان شديداً [6]

---

(١) راجع «الرحلة والرحالون في القرون الوسطى» — المقتطف (٢) Lamb 39.42 (٣) Lamb 33 والرحلة والرحالون (٤) Prutz 15 (٥) حوا نقيل ١٧ (المقدمة) (٦) الحسني ١٠٨—١٠٩

والامراء جالت في نفوسهم خواطر متعددة عن أمارات خاصة ينشئونها ، في البلاد التي «تفيض لبناً وعسلاً » ، حيث لا ملوك يحكمونهم [1] . والفرسان كانت تعروهم هزة اذا هم ذكروا انهُ . الممكن أن يحققوا الاغراض التي أقسموا ان يسعوا وراءها ، يوم قلدوا وشاح الفروسية

والبابا [2] كان يتطلع وهو شديد الشوق الى اليوم الذي يستطيع فيه أن يعيد الكنيسة البزنطية الشرقية والارمنية الى حظيرة الهدى ، وحصن الطاعة الروحية

هذه هي الهواجس التي كانت تجول في الخواطر ، لما ان جاءت رومة ، او ادعي ان قد جاءت رومة [3] ، رسالة صاحب بزنطية ، يستنجد بحامي النصرانية الاكبر ، ان يوقف التقدم الحثيث تقدم الجيوش التركية ، في هجومها العنيف على دولته الكبيرة

وسنحت الفرصة ، وكان على العرش الروحي ، البابا الذهبي [4] ، اوريانوس الثاني ، الفرنسي الاصل . فتسلل الى كلرمون الفرنسية ، في خريف ١٠٩٥ ، ووقف بين مئات من رجال الدين والامراء وآلاف من غيرهم [5] ، وقال «ان الاتراك قد أسروا وقتلوا كثيرين (في الشرق) وهدموا الكنائس ودمروا مملكة الله [6]» . وطلب من الحاضرين [7] « ان يذكروا الالوف الذين لاقوا موتاً شنيعاً وعدد الفظائع التي زعم ان الشرقيين ارتكبوها مع الحجاج المسيحيين ومع مسيحيي الشرق . و الكنائس . وذكرهم بقول المسيح ان من ترك بيته وارضه وأهله من أجلي ، جوزي على ذلك ضعف ، ونال ملكوت السموات . ولما وثق أنهُ أثار الشجون ، وأسال العبرات ، استصرخهم «فعلى عاتق أي غيركم يقع اذن واجب الانتقام ؟ من أعمال الظلم هذه ؟ واسترداد الاراضي المقدسة انتم الذين حباكم الله بالاسلحة والشجاعة الفائقة ؟ والقوة الجسدية والمقدرة على الانتصار على كل يجرؤ على مقاومتكم ؟ لا ترهبوا الموت ، لأن فيه تاج الشهادة . فالطريق قصير ، والعناء قليل والجزاء وفير أبدي. احملوا سلاحكم وامضوا فانهُ خيرٌ لكم ان تقعوا في المعركة من ان تتألموا لما ... اخوانكم ، وما تتعرض له مقدساتكم . سيروا . . . فانني أرى أمامكم في الطليعة ، القائد الذي لا يغلب — المسيح »

وفعلت هذه الكلمات فعلها في نفوس الجماهير ، فصاحت « ارادة الله ، ارادة الله » وشجع كل سمع الخطاب من لم يسمع ، وكذلك انضم الناس الى الجيوش التي بدأت في السنة التالية تفد على سوريا لتنقذ البلاد المقدسة من أيدي حكامها المسلمين . وروج كل طمّاع الدعوة بين الفئات المتنفذة

---

(١) Lamb 53, 65-6,25,69,95 و Kugler 86 و Prutz 120 (٢) Kugler 424 و Lamb 44 ... الكنيسة ٧٥ و La Monte 295 والعلاقة بين البابا والفرق الدينية في La Monte 206 والمتاجر ... والبابا وهناك بحث واف في العوامل التي دفعت البابا الى اثارة الحروب في Lamb 277-9 (٣) ... (٤) Lamb 41,43,44 (٥) حضر الاجتماع ١٤ من رؤساء الاساقفة و٢٢٥ مطراناً و ٤٠٠ رئيس ... Kugler 18 (٦) الكلية ١٨ : ٢٠٧ و Kugler 11 (٧) Lamb 46-9

أو الناقمة على الحياة الاجتماعية بما يتفق ورغبته. فتهم تكال للمسلمين جزافاً[١] — «هم عباد اصنا
« وهم يعبدون محمد كآله[٢] » و«هم جبناء ضعفاء تعوزهم الشجاعة ... يعمدون في الحرب ال
الهرب ... سهامهم مسمومة ، وهي ، لا الشجاعة ، التي تنزل الموت بعدوهم[٤] » — ليزيدوا ح
وتشويق المؤمن الى ملكوت السموات . والمجرم الى الغفران ، والعبد الى الحرية[٥] . وا
الشبع ، والفقير الى الثروة ، والامير الى الامارة ، والفارس الى الاجر[٦] ، والتاجر الى الر
والشهواني الى النساء الشرقيات الجميلات — كل يخلع ثوبه ويرتدي ثوب التقى والصلاح :
شارة الصليب ، لانها حرب دينية

هذه الحملات الصليبية اذن حققت تلك الاماني التي كانت تخفق بها الصدور . واوجدت
والرغبات الحبيسة منفذاً للانطلاق ، ومجالاً للعمل ، وسبيلاً للاعلان عن نفسها[٨] . ثم فقدت
سنين ، صبغتها ، وصار للفرنسيين والبنادقة اعمال اخرى[٩] . من دون ان يعنى الآخرون بالد
فلسطين . وبعض الامراء أرادوا ان يتخلصوا من نقمة ملك فرنسا عليهم ، فحملوا الصليب
للرماد في العيون[١٠]

والحملة الصليبية الاولى . والفظائع التي ارتكبتها في طريقها[١١] . وفي احتلال القدس[١٢]
يست مما يشرف . وقد تظهر لنا رغباتهم من خلال تصرفهم السيء مع مسيحيي فلسطين أنفسهم
فقد استولوا على اديرتهم . وطردوهم من الكنائس والبيوت . فتبعثر المسيحيون في جهات فلس
وشرق الاردن[١٣] وكان بطريركهم يقيم في القسطنطينية أو في القاهرة تحت حماية الخلفاء الفاطميين[١٤]

وعلى هذا فان هذه الزوبعة الاجتماعية التي هبت على اوربا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر
كانت لها عوامل اقتصادية وسياسية ودينية[١٥] . وقد هزت شعوب اوربا من نروج الى صقلية
وحملت في مدى القرنين الى سوريا نماذج من جميع الاصناف والاجناس البشرية التي كان العالم الاورو
يعج بها[١٦] . وعلى ما بينها من تفاوت في الجنس واللغة والفكر ، فقد كانت كلها تجمعها وحدة الد
الحماسة والشارة[١٧] . فهم على حد تعبير شرف الدين ابن عنين[١٨]

قد اجتمعوا رأياً وديناً وهمةً وعزماً وان كانوا قد اختلفوا سنا

---

(١) Prutz 88 (٢) الكلية ١٨ : ٢٠٨—٢٠٩ و Lamb 153 (٣) الكلية نفس المكان (في الكلية ١٨ : ٢٠٦ — ٢١٢ مقال في الموضوع) (٤) الكلية ١٨ : ٢١٠ والنوادر ١٢١ (٥) Prutz 16 وفي ... ٧٢—٨٨ و ١٠٨ — ١٠٩ (٦) جوانفيل ٢٤٠،٢٤١،٢٤٤،٢٤٥،٣٠٢ (٧) الحسني ١١٠ (٨) Prutz 17 وجوانفيل ٣٣—٣٤ (المقدمة) ، ١٧ (الاصل) و Kugler 65,126-7 (٩) جوانفيل ١٦ (المقدمة) (١٠) جوانفيل ١٧ (المقدمة) (١١) راجع Lamb 175 عن احتلال المعرة (١٢) Kugler 61 (١٣) تاريخ الكنيسة ٧٥ (١٤) نفس المكان (١٥) حتي — كتاب المقتطف الذهبي — ١٤٣ و Prutz 119 (١٦) La Monte 203 و Lamb 126 (وهذه رواية مؤرخ معاصر هوفلكر) (١٧) Kugler 11 و Lamb 126 (١٨) المقريزي (السلوك) ١ : ٢١١

تداعوا بأنصار الصليب واقبلت جموع كأن الموج كان لهم سفنا

كان في الجيوش الصليبية . ومع التجار الصليبيين [١] . الفرنسيون من مختلف المدن [٢] واللومبارديون [٣] من مدن ايطاليا التجارية الشمالية . والمالطيون [٤] . والاسبان [٥] والاسكندنافيون [٦] . والانكليز . والهنغاريون [٧] . والبلغاريون [٨] . والجرمان من الفئ المتفرقة في أواسط اوروبا وكان عددهم كبيراً جداً حتى تألفت منهم فرقة الفرسان التو . وكانت فلاعهم الخاصة حصينة [٩] . وكان بين هؤلاء القادمين على رواية المؤرخين المعاصرين الغربيين . القاتل . واللص . وقاطع الطريق . والمجرم [١٠] . والقرصان . والسكير . واللاعب . والر . والراهبة . والرجل . والمرأة . والطفل . والماهرة . والمحكوم عليه بالاعدام [١١] . والملك . والفلاح . والتاجر . والنبيل . والغني . والفقير . وباختلاف هم اختلفت الغايات والاطماع [١٢] . خالصة . الى مادية بحتة . والاخيرة هي التي غلبت متسترة بالأولى [١٣] . وقد كان من جاء يفتش عن اميرة شرقية غنية يتزوجها [١٤]

***

انهُ لمن الصعب تقدير عدد الاوربيين الذين هبطوا البلاد السورية في القرنين المذكورين هذا البحث لم يستوفه المؤرخون بعد ولكننا نسمع دائماً الارقام تعدو عشرات الالوف في الحملة الواحدة . فالحملة الاولى كانت نحو نصف مليون [١٥] والثانية فاقتها [١٦] والثالثة ربع المليون [١٧] وفي حصار عكاء كان عدد الافرنج لا يقل عن خمسمائة من الآلاف [١٨] حتى ان ابن شداد ركب دابته بعد احدى المعارك العادية في تلك السنوات ، وخاض بين القتلى و يعدهم فلم يقدر [١٩] . وهناك غير المتحاربين التجار والحجاج الذين زاد عددهم كثيراً في هذه ولذلك فلا يبعد ان يكون عدد الذين اشتركوا في هذه الحروب مليونين من الافرنج [٢٠]

(١) ان التجار وحركتهم جزء من الحملات الصليبية . راجع La Monte 227,8,30,33,31 (٢) وقد كان عدد الآتين من بريتني كبيراً حتى انشىء لهم مستشفى خاص بهم في عكاء (١٢٥٤) . (٣) راجع الخطط ١ : ٢٨٤ و ٣٠٤ والحسني ١١٠ (٤) Prutz 112 (٥) راجع Prutz 112 و Lamb 13 (٦) مثل سيجور وجماعته . راجع EarlyTravels 50-62 و Kugler 10,11,101 (٧) وقد عد السورية على نقود هنغارية وغيرها . Prutz 113 (٨) ابن جبير ٢٩٣ (٩) منها قلعة القرين في ص (١٠) بركهارد في Prutz 119 (١١) يعقوب متري — في Prutz 119-121 ، راجع ايضاً ١٦٩ — ١٧١ (١٢) Kugler 11,21,31 و Prutz 337 و La Monte 228,230-1 (١٣) (١٤) في Prutz 121 امثلة كثيرة لهذا النوع من المحاربين (١٥) Kugler 30 وميشو — في الخطط راجع ايضاً La Monte 138 و Lamb 276-7 (١٦) Kugler 137 (١٧) Kugler 23 راجع (١٨) الخطط ٢ : ٧١ (١٩) النوادر ١١٣ (٢٠) الحسني — عن قطف الزهور — ٩٩ ويقدر (الخطط ٢ : ١٢٨) عدد من قتل من الشرقيين والغربيين بخمسة ملايين

الاختلاط في سوريا

يبدو لنا الآن ونحن ننظر النظر المشارف مدى احتكاك هذه الملايين من مختلف الاجناس الـ
والعادات والاخلاق خلال قرنين ، والأثر العميق الذي تركه هذا الاختلاط في نفس الجماعات الـ
التي اتيح لها ان تعاشر اقواماً راقين ، مخالفين لهم في الدين والمدنية . وهذا الاحتكاك امر و
التجاور في المسكن ، والتبادل في المصلحة . فان الصليبيين بعد ان استوطنوا سوريا ، ورأوا
عليهم من الفائدة المادية ، كان امراؤهم وتجارهم يحبون ان ينتشر السلم ويستتب الأمن بينهم
جيرانهم المسلمين ، ليعيشوا في اطمئنان[1] وليصمموا لتجارتهم سيراً امينا الى اسواق بغداد . و
اكثر الساعين الى ذلك تجار ايطاليا في الموانىء الكبيرة . حتى انهُ لم يكن غريباً ان يكون بين المسـ
والصليبيين حروب ومعارك ، وفي نفس الوقت تروح القوافل بالمتاجر وتجيء[2] وليس عليها
ان تدفع الجعل[3] . وقد يتفق ، كما روى ابن جبير ، ان يدخل سبي الافرنج مدينة ، وتخرج
نفس اليوم قافلة من تجار المسلمين الى بلاد الصليبيين[4] . اضف الى هذا ان امراء الصليبيين قد جند
كثيرين من اهل البلاد في جيوشهم[5] . ثم ان جهل هؤلاء الامراء اصول الزراعة ، وقلة الزر
الافرنج ، حملاهم على استخدام السكان الوطنيين . وكانوا بادىء الامر يشتدون معهم . لكن بعد حين
احسنوا إليهم[6] واقطعوا اصحاب النفوذ منهم الارض[7] بل ولّوا على بعض الضياع التي كان لا يعمرها
الاّ المسلمون ، رؤساء مسلمين من قبلهم ، حتى في امكنة قريبة من مراكزهم[8] . وكثيراً ما قيل
ان فارساً افرنجيًّا اخذ اقطاعاً من امير عربي ، لقاء مال دفعهُ اليهِ[9] . وقد كانت بعض الاراضي
الواقعة على الحد بين المسلمين والصليبيين تقتسم غلاتها مناصفة ، مثل البطحاء بين بانياس وهونين[10]
وعلى هذا فقد كان الافرنج والمسلمون يعيشون معيشة ترفيهٍ ، خشي منها ابن جبير فاضاف الى
وصفها[11] « نعوذ بالله من الفتنة » . ولعل اغرب ما روي عن الاتفاقات التي عقدت حينئذٍ ما رواه
ابن جبير ، من انهُ كانت شجرة كبيرة بين بيت جن (الشامية) وبانياس ، تسمى شجرة الميزان ، وهي
حد بين الامن والخوف فمن اخذ وراءها (شرقها) الى جهة بلاد المسلمين ، ومن اخذ امامها (غربها)
فالى جهة بلاد الافرنج . ولهم في ذلك عهد يوفون بهِ[12]

وهكذا فقد ضعف النفور بين السكان انفسهم من الفريقين[13] حتى ان ابن جبير لاحظ

(١) Prutz 61.62 وحتى انه لما استولى ابن قلاون على عكاء كان فيها تجار مسيحيون اوربيون (٢) ابن جبير ٢٦٨ و Prutz 360 (٣) الحسني ١١٥ (٤) ابن جبير ٢٨٠ و ٢٨٢ وهو انفس (٢٤٦) قص حكاية يوحنا الارمني الذي ارسله صليبيو عكاء الى دمشق ليبتاع معدات عسكرية مع ان [illegible] دمشق وافرنج عكاء كانوا حرب (٥) موترو — الكلية — ١٨ : ٢١١ و Lamb 270 ولاموب . (٦) الحسني ١٠٦ وموترو — الكلية ١٨ : ٢١١ و La Monte ٢٠ (المقدمة) (٧) اسامة ١٠٣ و ١٢٠ و La Monte 21 (المقدمة) (٨) ابن جبير ٨٤ واسامة ٨٢ (٩) اسامة ٩٧ «قرية كانت بيننا وبين فارس من افرنج كفر طاب و Lamb 173 (١٠) ابن جبير ٢٨٢ — ٢٨٣ (١١) ابن جبير ٢٨٤ (١٢) ابن جبير ٢٨٤ (١٣) Prutz 61

ذلك في اهل صور فقال عنهم انهم [١] « ألين في الكفر طبائع ، واجرى الى بر غرباء المسلمين ، ومنازل ، فخلائقهم اسجح ، ومنازلهم اوسع وافسح ، واحوال المسلمين بها اهون واسكن » وقد ابان اقامته بصور عرساً صليبيًّا ، فوصفه ، ووصف ثوب العروس المزركش الفضفاض ، ومشيتها اليه ونقلها الى بيت عريسها ، يتقدمها المسلمون وسائر النصارى من النظار ، وليس من ينكر ذلك حتى الرهبان كانوا يضيفون المسلمين في الدير [٣] واهل لبنان المسيحيون يقدمون للمنقطعين من المسلمين القوت ، ويحسنون اليهم [٤]

ويحدثنا المؤرخون المعاصرون عن الثقة المتبادلة بين المسلمين وجيرانهم من الصليبيين ، ان اقاموا في البلاد مدة ، وتبلدوا وعاشروا المسلمين [٥] وكثيراً ما كان صاحب الامر في حيرة به رسول عدوه فيكرمه [٦] او يطلب احدهم الامان لجماعة تجتاز بلاده فلا يبخل بذلك [٧] . المعرفة بينهم حدود المودة ، كهذا الذي يحدثنا اسامة عنهُ ، فانهُ كان فارساً محتشماً وصل من يحج ويعود . فأنس باسامة ولازمهُ وكان يدعوه « أخي » وبينهما المودة والمعاشرة [٨] وهو صلاح الدين ، يفد عليهِ صاحب صيدا بالناصرة ، فيحترمه ويكرمه ويؤاكله ، ويعرض عليه ويذكر طرفاً من محاسنهِ ويحثهُ عليهِ [٩] كما ان تبادل الهدايا مع الرسل كان مألوفاً [١٠]

فسوريا اصبحت لهؤلاء الصليبيين بلاداً تفوق غيرها بالحرية حيث الملك والبطريرك ، والتجار والحجاج والعامة من الناس جربوا ان يتبلدوا مع جيرانهم من المسيحيين الشرقيين [١١] .

والحق ان الاختلاط الاجتماعي [١٢] بدأ بين الشرقيين والغربيين بعد مرور زمن قصير جداً على البلاد . فان بلدوين ملك القدس ارسل لحيتهُ . وحيّى بالانحناءة الشرقية . واكل على الارض . وقدم امامه المبوقين على عادة سلاطين الشرق . وتنكر واتخذ الزي الشرقي . فلبس الجبة والجبة المرصعة بالجوهر . [١٣] وعلى هذا سار كثير من الامراء فيما بعد . حتى ان الامير هنري اشار الى صلاح الدين ان يبعث له بعمامة وفروة . لان الفرنج يحبون هذا الزي [١٤] ولم يقتصر هذا على الامراء . بل شمل الكل تقريباً . رجالاً ونساءً [١٥] وحذا الفرنجة حذو الشرقيين في اعدادهم وسائر لهوهم . فاستخدموا جوقات الطرب في ساعات السرور . وقلدوهم في بناء دورهم . فجعلوها فسيحة غرف واسعة ودواوين مكشوفة [١٦] وقلدوا الشرقيين كذلك في مآكلهم واتخذوا منها مصريات . وامتنع بعضهم عن اكل لحم الخنزير تقليداً للمسلمين [١٧]

---

(١) ابن جبير ٢٨٧ (٢) ابن جبير ٢٨٨ (٣) ابن بطوطة ١ : ٤٩ (٤) ابن جبير ٢٦٨ (٥) ابن جبير ١٤٠ و ١٩٦ و Lamb 262 يقل قول فلكر المعاصر « ان الثقة المتبادلة جمعتنا » (٦) اسامة ٣٤ (٧) اسامة ٣٤ (٨) اسامة ١٣٢ و ١٤٠ (٩) النوادر ٢٤ (١٠) القلقشندي ٣٥٦ (١١) جوانفيل ٢٦١ — ٢٦٣ (١٢) و (١٣) Prutz 62 (١٤) و (١٥) Early Travels واسامة ١١٦ (١٦) كتاب المقتطف الذهبي ١٤٥ — ١٤٧ (١٧) اسامة ١٤٠

وقد كان كثيرات من المسيحيات في حريم الامراء والكبار من المسلمين . وكان اولادهن دعاة . وعمال صلح بين الفريقين[١] وكان صاحب جبيل (الصليبي) متزوجاً ابنة سلطان حلب[٢] وتزوج كثير من الصليبيين بنات البلاد المسيحيات او ممن تنصر من المسلمات كما ان المسلمين تزوجوا مسيحيات ابقين على دينهن او اسلمن[٣]

واعجب الافرنج ببراعة السوريين في الرماية والمسابقة واللعب بالصوالجة . واخذوا يرتاضون بها وينسجون على منوالها[٤] وكثر اجتماع الفرسان من الفريقين للرياضة والصيد وعقدوا لهذا عهود خاصة[٥] وكانوا يقبلون هدايا بعضهم مهما كان نوعها حتى في ايام الحرب[٦] وشملت هذه العادة فرسان الفرق الدينية الصليبية والحشاشين الشرقيين[٧] كما ان الجند العادي كان اذا وقفت رحى الحرب انس البعض بالبعض بحيث ان الطائفتين كانتا تتحدثان وتتركان القتال وربما غنى البعض ورقص البعض لطول المعاشرة . ثم يرجعون الى القتال بعد ساعة[٨]

وكثيراً ما احتفظ السلاطين والملوك والامراء برهائن توثيقاً لحلف او معاهدة . وهؤلاء الرهائن كانوا عادة من كبار القوم وابناء الامراء . ومعاشرتهم لانداده من المسلمين كانت ذات اثر طيب في تعريف الفريقين كل بالآخر[٩] حتى الاسرى كان امراء المسلمين يعاملونهم معاملة حسنة . ويعطونهم قسطاً وافراً من الحرية . وعلى هذا المنوال كان حظ بعض المسلمين في اسرهم عند الصليبيين[١٠]

وتعلم كثيرون من القادمين اللغة العربية ليتمكنوا من التخاطب مع السكان في المتاجرة والمناسبات الاجتماعية[١١] كما تعلم بعض الشرقيين اللغة الفرنسية والايطالية[١٢] واتخذ كثير من الامراء كتاباً شرقيين يتكلمون العربية وغير العربية من اللغات الشرقية[١٣] كما انهُ كان من حق الاستاذ الاعظم وظائفه في الفرق الدينية ان يكون له كاتب عربي[١٤] وعمل العرب كتاباً وتراجمة للتجار واصحاب المعامل التي انتشرت في المدن السورية[١٥] ، وقلما فرق هؤلاء في المعاملة بين المسلم والمسيحي الشرقي[١٦] وقد رأى ابن جبير في عكاء كتاب الديوان من النصارى يتكلمون العربية ويكتبون بها[١٧]

وقد ادرك الصليبيون من اول الامر تفوق الشرقيين عليهم في الطب ، فكانوا يستدعون اطباء المسلمين لمعالجتهم[١٨] وللصليبيين العذر في استدعاء اطباء المسلمين اذا كان اطباؤهم من ذلك النوع الذي اورد ذكره اسامة بن منقذ في الاعتبار[١٩] فقد روى ان صاحب المنيطرة كتب الى عمه يطلب

---

(١) و(٢) Prutz 63 (٣) Prutz 111-3 والكلية ١٨ : ٢١٢ (٤) حتى «كتاب المقتطف الذهبي» ١٤٤ (٥) Prutz [illegible] والكلية ١٨ : ٢١٢ (٦) Prutz 61 (٧) حواشيل ٢٤٥ و٢٤٨ و ٢٥٠ (٨) النوادر ٩٢ (٩) اسامة ١٠٥ والقرزي «السلوك» ١ : ٢٠٨ والفتح ١٩٣ (١٠) الكلية ١٨ : ٢١٢ (١١) حواشيل ٢٤٦ والنوادر ٨٠ (١٢) Prutz (١٣) حواشيل ٢٧٧ و Sykes 61 والخطط ٤ : ٣٩ (١٤) دائرة معارف بريطانية مادة Templars (١٥) Prutz 145 (١٦) Prutz 146 والكلية ١٨ : ٢١٢ (١٧) ابن جبير ٢٨٠ (١٨) Prutz 62 نقلا عن يعقوب الصوري (١٩) اسامة ١٣٢–١٣٤

انفاذ طبيب يداوي مرضى من اصحابه . فارسل اليه « ثابتاً » فما غاب عشرة ايام حتى عاد . فقالوا « ما اسرع ما داويت المرضى » قال « احضروا عندي فارساً قد طلعت في رجله دملة ، وامرأة لحقها نشاف . فعملت للفارس لبيخة ، ففتحت الدملة وصلحت . وحميت المرأة وربطت مزاجها . طبيب افرنجي فقال لهم هذا ما يعرف شي يداويهم . وقال للفارس دايماً أحب اليك أن تعيش واحدة أو تموت برجلين . قال اعيش برجل واحدة . قال . احضروا لي فارساً قوياً وفأساً . فحضر الفارس والفأس . وأنا حاضر . فحط رجله على قرمة خشب وقال الفارس : اضرب رجل ضربة واحدة اقطعها . فضربه . وأنا أراه . ضربة واحدة . ما انقطعت . ضربه ثانية . الساق . ومات من ساعته . وابصر المرأة فقال . الشيطان قد دخل في رأسها . فأخذ الموسى رأسها صليبا وسايخ وسطه حتى ظهر عظم الرأس وحكه بالملح . فماتت في وقتها . فقلت لهم الي حاجة ؟ قالوا « لا » . فجئت وقد تعلمت من طبهم ما لم اكن اعرفه . وروى اسامة عن الصليبيين[1] وقد رافقه من عكاء الى طبرية ، انهُ كان في بلد الامير فارس كبير القدر . فمرض على الموت ، فجاؤا الى قس كبير من قسوسهم ، واستصحبوه الى المريض . فلما رآه القس فلينه وعمله مثل عقد الاصبع ، وعمل كل واحدة في جانب أنفه ، فمات الفارس

وقد كان عند الافرنج أمر آخر آثار استغراب العرب ، وهو محاكماتهم ، فقد كانوا يحتكمون الى وسائل الامم الجرمانية التي استعملتها في القرن الخامس للميلاد وقبله . وروى اسامة انه مرّ بنابلس ، وحدث ان أحد الفلاحين اتهم انه كبس ضيعة من ضياع المدينة فقال « انصفني : أنا ابارز الذي قال عني اني دللت الحرامية على القرية » فجاء صاحب القرية الدعي قوي ، واعطاها شحنة البلد عصاً وترساً ، واخيراً تغلب الحداد الشاب ، وترك على حدقة أصابعه في عينيه ، ثم قام عنه وضرب رأسه بالعصا حتى قتله . فطرحوا في رقبته حبلاً وجروه وشنقوه اذ ثبتت لهم ادانته[2]

ولعلّ خير ما يمثل الاتصال بين الغربيين والشرقيين ما ذكره المقريزي عن الامير اطوخان من انهُ كان متبحراً في علم الهندسة والحساب والرياضيات ، وانهُ بعث الى الملك الكامل مسائل مشكلة في الهندسة والحكمة والرياضة فعرضها على الشيخ علم الدين قيصر الحنفي — بتعاسيف — وغيره فكتب جوابها[3]

فالاستيطان في البلاد الشرقية ، وتقليد الشرقيين ، والتزاوج ، والثروة التي حصل عليها أنستهم بلادهم الاصلية ، فلم يفكروا بالعودة اليها ، ولم يسمعوا حتى باسمها ، واثبتت لهم التجربة الممكس للمسيحيين أن يعيشوا مع المسلمين على وفاق تام ، فيكون لكل حظه من العمل و

(١) اسامة ١٣٧ (٢) اسامة ١٣٧ — ١٣٩ (٣) السلوك « المقريزي » ١ : ٢٣٢

والزرع والربح [١] ؛ بل ويكون لكل معبده: فللمسلم مسجده وللمسيحي كنيسته ، وبهذا ان نعلل ما رواهُ المعاصرون من ترك الصليبيين المتأخرين للمساجد في المدن . فالهروي ي « ان جميع ما على أبواب الصخرة من آيات القرآن العزيز واسامي الخلفاء (ر) لم تغيره الافرنج حبير قضى مدة اقامته بصور بمسجد بقي في أيدي المسلمين [٣] ويضيف «ولهم فيها مساجد ا ويصف الهروي [٤] مساجد عكاء ، وابن جبير وابن بطوطة يوافقانه على ذكر المساجد . و ما رواه المؤرخون [٥] من انهُ لما زار الامبراطور فردريك القدس نزل في دار القاضي . و الليلة أمر القاضي المؤذنين ان لا يؤذنوا ألبتة . فلما أصبح قال الملك للقاضي « لم لم يؤذن المؤ على المنائر ؟ » فقال القاضي «منعهم المملوك اعظاماً للملك واحتراماً له» فقال له الامبراطور « ا فيما فعلت . انهُ كان اكبر غرضي في المبيت ببيت المقدس ان اسمع أذان المسلمين وتسبيحهم بال

وقد تغير رأي الصليبيين في الشرقيين والدين الاسلامي . فقد بلوا من شجاعتهم الكثير اول الامر . فبعد ان قالوا عنهم انهم يفرّون من الحرب ولا يجرؤن على التلاحم في العراك [٦] ، « انهُ ليس لهم الحكمة والعلم الكافي على وصف شجاعة الاتراك [٧] واعترفوا « بمهارة الشرق الحربية وفروسيتهم وكرم اخلاقهم » [٨] و « انهم محبو الضيافة والفائقون في الادب واللطف » ومن الجميل ان نلاحظ ان الصليبيين كانوا في السنين الاولى من القرن نفسه قد عللوا عظمة عماد الد زنكي بان جعلوه ابن الكونتس ايدا (Ida) التي اشتركت في حملة ١١٠١ ، وفي زمن الحملة الثا اعتقدوا ان قلج ارسلان من نسل جرماني شريف . ولكن بعد ان انتشرت شهرة صلاح الدين ظهرت خرافة تعلل عظمة توماس بكت احد مشاهيرهم بجعله ابناً لام عربية [١٠] ومن تأثرهم بالحي شرقية اعتنق كثيرون منهم الاسلام [١١] ، حتى شعر البابا غريغوريوس العاشر بالخوف من ذلك ضرورة وضع حد لهذا الامر ، فحرم مد يد المعونة الى المرتد [١٢] وفي معاهدة عقدت سنة ١٢٨٣ م الافرنج على التعهد بحماية حقوق المرتدين عن الدين المسيحي [١٣]

***

ويحق لنا ان نسأل الآن ، ما كانت آثار هذا الاختلاط ؟ ما الذي حمله هؤلاء الغربيون من المدنية الشرقية الى بلادهم ؟

المؤرخون والباحثون مجمعون على ان هذه الحملات احدثت انقلاباً كبيراً في الحياة الاوربية ، في

(١) Prutz . وهذا ما كانت تقاومه الكنيسة لانه يحول دون تحقيق غاياتها (٢) الهروي « المخطوطة ١٩ (٣) ... ٢٨٨ (٤) الهروي « المخطوطة» ١٩ (٥) المقريزي «السلوك» ١: ٢٣١-٢٣٢ وهناك تجد الروايات في ... اللطيفة (٦) الكلية ١٨: ٢١٠ (٧) الكلية ١٨: ٢١١ و Lamb ... وهو ينقل عن مؤلف معاصر ... الكتاب المعروف باسم Gesta (٨) الكلية ١٨: ٢١١ وهنا ينقل موثرو عن جيبرت (٩) الكلية ١٨: ٢١٩ نقلا عن بركهارد «١٢٨٣م» (١٠) موثرو الكلية ١٨: ٢١٦ (١١) موثرو الكلية ١٨: ٢١٩ عن رئيس فرقة دومنيكان الاعلى (١٢) موثرو الكلية ١٨: ٢١٩ . صدر هذا ...

تمع ، والثقافة ، والحكومة [١] والقانون [٢] والبابوية ، والكنيسة ، والتجارة [٣] ولكن
لاف بينهم في مدى هذا الانقلاب كأثر لهذه الحملات . وسبب ذلك ان المدنية العربية انتقلت الى
روبا عن طريق الأندلس وصقلية [٤] والشرق . والمتفق عليه أن العلم كان سبيله الطريقين الاولين .
ناحية الاجتماعية والاقتصادية تأثرت بالطريق الثالث [٥] فالحروب الصليبية فتحت امام اوروبا
ابا جديدة للعمل والتفكير ، واوجدت لهم اغراضاً جديدة في الحياة فاتجهوا في نهضتهم اتجاهاً
عاً حرًّا ، بعد أن كانوا مقيدين بالنظام الاقطاعي [٦] والنواحي التي نقل الصليبيون اثرها الى
ربا متعددة ، لا نستطيع ان نحيط بها في هذه الالمامة الوجيزة ، وعلى ذلك فنحن نجتزىء بأمثلة
ين القصد ، دون ان تبلغ بنا الحد [٧] . فقد اخذوا من الشرق الورق [٨] ، والسكر [٩] ، ودود القز
تربيته [١٠] ، والفواكه كالليمون والمشمش [١١] ، وصنع الاقمشة كالموصلين (الموصلي) [١٢] والدمقس
الدمشقي) والاقطان [١٣] والسجاد [١٤] والاصباغ واسماء الالوان [١٥] والجبة وصنع المرايا [١٦]
طواحين الهواء [١٧] واستعمال الرنوك والشعار الخاص [١٨] والمسابح [١٩] واستخدام الحمام
زاجل [٢٠] وقلدوهم في البناء الحربي والديني [٢١] والتطعيم بالصدف والتنزيل بالفضة والعاج [٢٢]

وكانت طبيعة الحروب التي شنوها تقضي عليهم بتخليد ذكرى ابطالهم بقصص شعرية ثم اخذوا
قصص الشرقية لاشعارهم [٢٣] مثل كتاب كليلة ودمنة [٢٤] ولما عرفوا قصص التسامح الاسلامي
ا ظهر في اعمال صلاح الدين وخلفائه صاغوها شعراً وقصصاً واصبحت غرام الشعراء في اواسط
ين القرنين الثاني عشر والرابع عشر [٢٥] وهكذا فقد تأثرت الحياة الادبية والانتاج الادبي و
أثره عميقاً [٢٦] كما انهم افادوا معرفة جغرافية من الرحلة ومن درس الكتب العربية [٢٧] وعلوماً
جديدة [٢٨] كالصيدلة والجبر والطب فان مدرسة مونبلييه الطبية أثر من آثار احتكاك الصليبيين
الشرقيين [٢٩] كما انهم نقلوا عن الشرقيين مستشفياتهم [٣٠]

عكاء (فلسطين)

---

(١) Prutz 335,402 وفي المكاتب نعطي امثلة لكلمات ادارية دخلت اوربا عن طريق الحروب الصليبية
(٢) La Monte 20-21 «المقدمة» ، حتي «كتاب المقتطف الذهبي» ١٤٢ (٣) يمكن مراجعة الاماكن التالية للحصول على
آراء المؤرخين في المسئلة . Tegacy of Islam ٦٨–٧٧ و Sykes 61 وجوزي ١٢١ و Travel & Travellers
و Kugler 131-2 و Prutz ٥٥ و ١٩٤ و ٤٥٣
(٤) و (٥) Legacy of Islam 63-1 و Legacy of Israel 215-237 (٦) Sykes 65 «نقلا عن ...
و Prutz 55,72,397,479,493 وحتي «الكتاب الذهبي» ١٤١ و Legacy of Islam 148 (٧) راجع ...
في Prutz والكليه المجلد التاسع (٨) الخطط ٢:١٢٩ (٩) حتي و Lamb (١٠) Prutz 323 (١١) Prutz 408
(١٢) و (١٣) نفس المكان (١٤) Prutz 433 و Leg. of Islam 63 (١٥) Legacy 61 و Prutz 410
(١٦) حتى «الكتاب الذهبي» (١٧) و (١٨) Prutz 415 (١٩) Legacy 60 (٢٠) النوادر ٢٨
(٢١) Prutz 194,423 ورأي باركر في Legacy 58,62,63 وآراء اخرى في Legacy ايضاً ص ٦٨
و ١٧٦ (٢٢) Prutz 432 (٢٣) Prutz 441,450 (٢٤) Prutz 450 و Legacy (٢٥) Prutz 441
و Legacy 61 (٢٦) Leg. 64 و Prutz 441,451 (٢٧) Legacy 65,471 (٢٨) Legacy 349-50,473
(٢٩) حتي «الكتاب الذهبي ١٤٤-١٤٨ و Legacy 57 (٣٠) Legacy 349-50

عجيبة المرأة المضيئة

امرأة ايطالية تنطلق منها اضواء غريبة

ورأي الدكتور بروتي بعد فحصها

من الحقائق المعروفة ان بعض اسماك البحر وحشرات اليابسة يضيء اضواء فسفورية للماء وفسروها [1]. وقد نقل الرواة روايات عن ظهور مثل هذا الضوء احياناً في آدميين وفي الغالب يسند اليهم قبيل الوفاة . واذن لا يستغرب القول بان ما يعرف عن هذا التألق نزر لا يعتمد عليه . لذلك عني العلماء في مختلف الاقطار بما روي عن سيدة ايطالية تدعى «ونارو» وقد اطلق عليها لقب «سيدة بيرانو المضيئة» ولكن الدكتور بروتي احد اطبا لم يشأ ان يدع الحكاية للسماع فاغتنم هذه الفرصة ليدرس ظاهرة التألق في هذه المرأة در

بدأ الدكتور بروتي يجمع اقوال الذين شاهدوها فتبين له من اقوالهم ان ميعاد ظهور كان في الهزيع الاول من الليل وانهُ لا يظهر مطلقاً في خلال النهار او حين تكون حمة خفيفاً . هذا التألق او هذا الضوء الفسفوري لا يدوم اكثر من ثلاث ثوان او اربع ، وهو دائماً في ناحية القلب ويختلف في لونه من اخضر الى احمر

اما السيدة نفسها بحسب اقوال الشهود فلا تشعر بالضوء والضوء لا يؤثر فيها و اي اثر من رائحة او حرارة او لون

فذهب الدكتور بروتي الى هذه السيدة وفحصها فحصاً دقيقاً فوجدها سوية من كل ناح انها تشكو «الازما» «اي الربو» وارتفاعاً يسيراً في ضغط دمها . وهي فقيرة معوزة ، الطعام الذي تتناوله لا يختلف عن الطعام العادي المألوف في شيء . ولكنها في الصيام تصوم و على جميع قواعد الصوم محافظة دقيقة فلا تتناول الاّ الحساء واللبن . وفي خلال الصوم تبدو التألق فيها على اشده وخاصة في خلال الاسبوع المقدس عندما يكون الصوم مطلقاً حتى من كل يوم — ففي ليلة واحدة من ليالي هذا الاسبوع ظهر الضوء فيها ٢٥ مرة

ولما اقتنع الدكتور بروتي بأن ظهور هذا الضوء ليس وهماً اجمع عليه الرواة اقام آلة سينمية قو فلم شديد الاحساس يمكن ان يدوّن عليه اي اثر ضوئي من تلقاء نفسه «تدويناً اوتوماتيكياً» في خلال الليل

وعلق فوق منطقة القلب بصاصة — (وهي بطرية كهربائية ضوئية تتأثر بأقل اختلاف في

(١) راجع فصلي الضوء البارد والاحياء المنيرة في مقتطف سنة ١٩٣٠

وء ما حتى انها تفرق مثلاً بين الضوء المعكوس عن سيجارين لون أحدهما أغمق من لون الآخر ظهر تأثرها هذا في قوة التيار الكهربائي الذي تولده) — متصلة بآلة كهربائية حساسة تدعى فانومتر لمقياس قوة الضوء بعد تحوله الى تيار كهربائي في البصاصة. ومبالغة في الاحتياط أقام آلة هربائية اخرى تدعى الكترو سكوب عملها ان تثبت ان طاقة كهربائية لم تستعمل في احداث هذه الظاهرة ، وهذه الآلة تفعل ذلك بفحصها مقدار الشحنة الكهربائية في الهواء حول سرير المرأة . هل تغيرت هذه الشحنة وما مدى تغيرها . ثم انهُ فصل بين قوائم السرير والارض بمادة عازلة حول دون اي اتصال كهربائي خفي

وبعيد ما اطفئت الانوار في الغرفة ظهر ضوء خارج من اغطية السرير فأدار الدكتور بروتي آلة السينمية لتصويره وكان متوسط سرعة الجهاز ست عشرة صورة في الثانية

وقد استغرق ظهور الضوء ثلاث ثوان وثلاثة اجزاء من ١٦ جزءاً من الثانية (٣/١٦) ثم خبا رويداً . وقد اضيء به عظام الفكين والوجه . وظهر من منطقة حول القلب مساحتها بقدر الكف كان على جانب من اللمعان حتى ظهرت بهِ الاسرة المجاورة . أما الغلفانومتر وهو الآلة التي تقيس تيار الكهربائي فلم تسجل شيئاً ، وأما الالكترسكوب الذي يقيس الشحنة الكهربائية في الهواء فدل على ان قوة كهربائية خارجية قد استعملت

أي أن المظاهر صحيحة على قدر ما يستطيع الباحث أن يؤكد ذلك بعد اتخاذ جميع اسباب الحيطة

بعد ذلك فحص الطبيب الباحث دم المرأة لمعرفة قوته الاشعاعية فظهر انهُ يفوق الدم السوي ذلك ثلاثة اضعاف . ولهذه الحقيقة صلة بتعليل الظاهرة

يرى الدكتور بروتي انهُ قد حال دون الخداع كتناول الفصفور أو استعمال تيار كهربائي ويقول انهُ يمكن تعليل هذه الظاهرة كما يلي على ما جاء في مجلة اللانست الطبية: —

ان شعور المرأة الديني القوي يؤثر في عمل غددها الداخلية أي الغدد الصم فيحدث تغيرات فسيولوجية تؤثر في املاح الدم وخاصة املاح الكبريت فيه فتجعلها تتألق تألقاً فصفورياً ويرى ان حالة الصوم تساعد على حدوث هذه التغيرات

ومما يؤيد رأي الدكتور بروتي ان الطبيب الباحث الأميركي الدكتور كريل اثبت بالتجارب أن طوائف من الاشعة تنطلق من أدمغة الكلاب ومنها الاشعة تحت الاحمر وان معاعها يزيد بحقن خلاصة الغدة الدرقية أو خلاصة الغدة التي فوق الكلى ثم يخف بحقن بمادة مخدرة . أي ان الدكتور كريل بيَّن ان هناك صلة بين الغدد الصم وحالة الاشعاع وهي هذه الصلة التي يعتمد عليها الدكتور بروتي في تعليل ظاهرة الضوء الشاع من جثة « سيدة بيرانو المضيئة »

صورة داخل مغارة قاديشا

مغارة لوراي بولاية فرجينيا الاميركية وهذا الجانب منها يعرف بمضرب العرب

مناظر لبنانية في الصيف

مغارة قاديشا العجيبة

لميشيل سليم لحبر

... وقفلت راجعاً من الأرز الخالد ، بعد ان قضيت زمناً في هيكل الدهور ، في ذلك الصبح السعيد ، وقد ارتفعت الشمس في كبد الافق ، فاسرعت الى الفندق ، وجمعت حقائبي . ومن هناك الى السيارة . وكان بنزينها قد نفد بالامس لدى وصولنا الى الارز . ولكن انحدار الطريق يسهل علينا الهبوط الى بشرّي ، مدينة المقدّمين ، حيث نملأها ثانية

ورفع السائق قدمه عن الضواغط ، فانحلّت ، وتدحرجت السيارة هابطة على ذلك الطريق الكاسي الابيض ، على كتف قاديشا الجميل ، الوادي المقدس ، حيث لا يزال الى اليوم يفوح من حنباته شذى القداسة ، وعطر التقوى . وكان تدحرج السيارة لذيذاً مريحاً . لا عنف فيه ولا شدة ... ألا ليت السيارات تدرج بهذه السهولة ، دون ضجيج آلاتها المزعج ! ويالها من أمنية !

وعند ما انتصفنا الطريق ، ما بين الارز وبشرّي ، ضغط السائق على الكوابح ، فوقفت السيارة ، وهمدت حركتها الاندفاعية . فنزلنا منها ، أنا والسائق ، ومن هناك أخذنا طريقاً فرعيًّا ضيقاً كمسالك العنز ، فالوادي العظيم الهائل تحت اقدامنا عن جانب ، والجبل يلتصق بأكتافنا عن الجانب الآخر ، وكلّما تقدمنا ازداد ارتفاعاً وشموخاً . وعرض هذا المسلك المؤدي الى مغارة قاديشا يتجاوز في بعض الاحيان متراً وربع متر ، وقلما يتسع الى مترين . انهُ حقًّا لمنظر يبعث الدهشة والروعة في النفس ، ويأخذ بمجامعها . وكنت اتوقف مراراً عن المسير ، ونحن معلقين بين السماء والارض لأتملى من منظره ، واجتلي روعة محاسنهِ المخيفة ، فعشرات الامتار من فوقنا ، ومئات الامتار من تحتنا ... ترى لو زلّتْ قدم أحدنا ، وهوى الى الهوّة السحيقة ، فوق الصخور الناتئة ، ماذا يكون مصيرهُ ؟ لا لا خوف من الزلل ما دامت الاعصاب ثابتة والسير هادئاً وطيداً !

سرنا مسافة طويلة ، قد تزيد على ثلاثة ارباع الميل ، على درب المأعز هذا ، وما هو كذلك فهو ممرّ شقته شركة كهرباء قاديشا الوطنية ، لتصل الى المغارة لاجل اعمالها الخاصة . ولما نكد ندنو من المغارة ، حتى طرق اسماعنا أخرير المياه العذب ، الذي تحوّل ، مع اقترابنا شيئاً فشيئاً ، الى هدير ، هدير تلك الامواه المتدفقة ، على دوّامات شركة الكهرباء ، التي تنير شمال لبنان كله ، هابطة

نحو الوادي العظيم ، كأنها امواج بحر صاخب تتدافع بعضها اثر بعضها ، في زئير دائم متواصل رمز الحياة المجاهدة المثمرة

هذه المياه التي تمنح الحياة للوادي المقدس، لعرين لبنان، تحكي في تدفقها الحي، التدفق ا الذي امتاز بهِ الشعب الذي يرتوي منها على مدى الاجيال . وما السمعاني والحصروني ويوسه وجبران ، سوى بعض اولئك الذين شربوا من هذا المعين الخالد ، فنفحهم بروح العبقرية ، و اكسير الخلود !

ووصلنا المغارة ، والمياه تهدر هديراً ، فوجدنا هناك بعض الزوّار ، ينتظرون في الـ المراقب الدليل القائم عند مدخلها ، الذي اقتطع لنا تذاكر الدخول . ومن ثم ادخلنا اوا شبه غرفة منقورة في الصخر . فأضيئت الانوار الساطعة ، لتنير حالك الظلام المخيم في جو الانفاق الممتدة المتشعبة تحت الجبل الشامخ ، مسافات لا يعلم مداها وعدد شعبها الاّ الله حـ

تبلغ مساحة هذه « الغرفة » الاولى ، اكثر من خمسة وعشرين متراً مربعاً على احد حـ يقع الممر الضيق الذي يبلغ عرضهُ اكثر من متر واحد ، مدته شركة كهرباء قاديشا مسافة في الداخل . ومن بعد هذا الممر حتى الحائط المقابل من الغرفة المذكورة ، مياه المغارة التي خارجاً الى مجراها في الوادي المقدس ، حيث تعرف بنهر قاديشا ، حتى مقربة من طرابلس . هناك يتبدل الاسم الى نهر « أبو علي » .. ويبلغ عمق هذه المياه ، في « الغرفة » كما اسـ بالحدس والتخمين ، امتاراً عدة ، لا كما هي في اعماق المغارة ، حيث هي اقلُّ عمقاً بحسب المجرى او ضيقه

غطسنا ايدينا في هذه المياه ، فاذا بها باردة كالثلج ، ولم يسعنا ابقاؤها فيها كثيراً . ثم ا منها قليلاً ، وتلذذنا بطعمها العذب ، بهذا الرحيق الزلال ، الخارج من كنف الطبيعة قبل ان يد الانسان

انّ تخطينا هذه « الغرفة » او قل ان انتقالنا منها الى مقدمتها ، نحو الظلام ، ثم انارة الكهـ وسطوعها ذلك السطوع الباهر ، الذي يحيل ليل المغارة الدامس الى نهار منير ، هو الذي حيل وجود هذه « الغرفة » الوهمية ، لاتساعها عما سواها ، ولشكلها المربع تقريباً ، لضيق النفق في الداخلية . على اننا لم نكد نتخطاها ، ونضيء الانوار ، حتى سمعنا صوت الدليل يقول : « من بطيخاً او قرعاً ؟ لدينا هنا من كل صنف . فمن يرغب ؟ » . والتفتنا نحن في دهشة واستغراب ، ما يعنيه وما الذي بعثهُ في هذا المكان على المناداة على شيء يجتنى في الحقول ، لا بين الصخور وفي الكهوف ، فاذا تحت اقدامنا هوة واسعة ، فيها اشكال من الصخور الشمعية اللون ، في قوالب مستديرة منها ما يشبه البطيخ او القرع حقّاً . ولما رأيناها عرفنا قصد صاحبنا . فابتسمنا لـ الفكاهي الطريف . فهذه المغارة ، تعج بهذه البوارز والنواتىء في الصخور فمنها ما يبرز من الا

Stala ومنها ما يتدلّى من السقوف Stalactite وهذه الرواسب المتحجرة توجد في كثير من المغاور كهوف في العالم وتكثر وتقل في بعضها لكن المغارات المشهورة بها قليلة . وهي تتخذ في الاحيان اشكالاً غريبة . كرأس فيل ، او رؤوس بشرية ، او اقدام ، أو تماثيل . وقد تتكون مخروطة ، أو تبدو كالحليد ، ويغلب عليها اللون الاصفر الشمعي ، ويضرب لونها مراراً الى الاحمرار سوداد ، وغير ذلك من الالوان الجميلة . انما تبدو كلها كأنها مصنوعة من الشمع . مع انها من ر ، وتحس في نفسك لدى رؤيتها بشعور غريب . وانك تود مسكها ، وانها ستذوب أو تتشي كسر حال لمسك لها . مع انك حين تمسها حقيقة تشعر بها صلبة دون شك لانها من الصخر ، ب بها باردة كالثلج ، وخاصة في المغاور التي كقاديشا

في فرنسا مغارات عديدة مثل هذه : أشهرها . كما أعرف ، ما يقع في جبال البيرينه ، فهناك لورد عدة منها : كمغارة الدئب ، ومغارة الملك ، وقد زرت الاخيرة . لكن أشهرها مغارة م التي يقصدها السياح خصيصاً ، وفيها ينحدر المرء في بعض أجوافها الى ستين متراً . وفي يضاً غير مغارة قاديشا هذه ، مغارة نهر الكلب ، أي مغارة جعيتا ، قرب بيروت . وهاتان تان تعدّان من أشهر مغاور العالم ، بهذه النواتىء الغريبة التي فيهما ، فضلاً عن أن حدود يما لا تعرف حتى اليوم ، رغم الجهود التي بذلها كثيرون من الباحثين . والذي اذكره ان بعض دة الجامعة الاميركية . دخلوا مغارة جعيتا في زورق ، قبل الحرب بعدة سنوات ، قاصدين ارتيادها صول الى آخرها ، اي الى منبع نهر الكلب ذاته ، وبقوا هنالك زمناً طويلا . وأعادوا رة مرة أو مرات اخرى ، لا اعلم تماماً ، فلم يفلحوا ، لبعد الشقة . ثم لضيق المغارة في الاقاصي وصلوها . وكذلك دخل المغارة منذ بضع سنوات ، ثلاثة من الزوس ، وقضوا فيها يوماً أو ن . وخرجوا منها من دون نتيجة — وقد قبض عليهم البوليس وحقق معهم ، خوفاً من أن وا من الشيوعيين ، وبغيتهم تسميم أهالي بيروت . كذلك مغارة قاديشا ، لم يعرف بعد اها . ولم اسمع ان احداً سعى لمعرفته ، بذات الاجتهاد الذي بذل لاجل معرفة مغارة جعيتا ، ك لان المغارة المذكورة لم تكتشف أو بالاحرى لم يشق اليه درب الماعز الذي سبق وصفه ، مست سنوات ، على ما اتصل بي . وقد سألت الدليل ، حينما وصلنا الى اقصى ما سُمح التوغل فيها ، هل نهايتها قريبة من مكاننا : فقال لي أن بعضهم توغل فيها قليلاً ، فاتضح ا طويلة جداً . هذا مع العلم ان المسافة التي سرناها نحن تعد بعشرات الامتار ، كلها تحت الجبل ظم . الذي تنبت عليه ، من فوقنا ، أشجار الارز الخالد !

وكان الدليل يسير بنا ، يروي لنا ما يفقهه من معنى هذه الاشكال ، فيصفها بلهجة فكاهية ، ك اللهجة اللبنانية العذبة ، التي يمتاز بها أهل الشمال . ولما ادخلنا الى كهف صغير هناك اضطررنا نحني كثيراً ، لان المدخل كان واطئاً جداً . كذلك في الداخل كان السقف واطئاً ، فكنا ننحني

فيه قليلاً . وقد شعرنا في هذه النقرة ببرودة اكثر مما شعرنا به في النفق الكبير ، مع ان لا م
فيها أبداً . وأرانا الدليل شيئاً في طرف هذه النقرة المستديرة المجوفة السقف ، يشبه شرابة (زر) طربو
مغربي ، وقال لنا : « هذا طربوش ابينا نوح ، ألا ترون شرابته هنا ؟ ... قد تركه هنا لما
لبنان ، اذ نام هنا ففسيه . وكبر الطربوش كما ترون ، وصار مغارة صغيرة ، في داخل المغارة الكبير
ويظهر ان الجبل ارتفع مع انتفاخ الطربوش ! »

وكان الدهليز أو النفق يضيق احياناً الى متين ونصف متر ، ثم يتسع الى خمسة او اكثر م
ونحن نسير على الممر الضيق ، ونستند الى الحائط بأيدينا ، في ذلك الجو المشبع بالبرودة ، وان لم
رطباً ، كما يظن المرء لاول وهلة . وكانت الاشباح العديدة في النواتىء تعد بالعشرات في كل خطوة
ولهذه الكثرة ما عدت اذكرها كلها ، بل بعض التي فكهنا الدليل بأوصافها الغريبة . ولا
لا اقدر ان اعدد هنا حتى هذه : —

« انظروا هنا لا في أعلى : هذه هي الملكة فكتوريا ، ونابوليون ، والملك ادوارد ... ما لكم
لا تضحكوا .. اني اتكلم جادًّا .. أنا لا اعرف الهزل ... انظروا جداً . نعم ، هؤلاء هم ، الملكة
فكتوريا ، التي دعوا باسمها الدارعة التي غرقت في طرابلس قبل الحرب .. وهذا نابليون .
تعرفونهُ ! ولويس الرابع عشر ... لا تخالوني اسخر منكم ... لا ... هم ليسوا في بلادهم في اوربا
بل جاؤوا الى هنا ، وجمدوا ايام الشتاء ، لما اشتد البرد عليهم ... انظروا ايضاً ، هذا خرطوم
مده ليأخذ تلك التفاحة ، أو عنقود العنب ، فجمد . . . أتريدون شراء بعض التفاح ، والـ
اليافاوي ، والعنب الزحلاوي ... أتريدون غزلاناً ... !! »

وكذلك كنا ننتقل من مكان الى آخر ، والدليل يتابعنا بهذه الاحاديث . ويسلبنا به
لتلك الاشكال والاشباح الغريبة . والحقيقة ان بينها ما كان يشبه الملكة فكتوريا ، ونابوليون
والملك ادوارد . وسواهم ، عن بعد ، بعض الشبه ، كأن احد المثالين نحتهم على عجل في الصخ
وهذه المغارة تعد حقًّا أعجوبة من أعاجيب الطبيعة لكثرة ما فيها من النواتىء ، وانها لتر تسم
في المخيلة اغرب الاشكال . ولما انتهينا الى آخر الممر ، ووجدنا الصخر يرتفع في وجهنا ، مع ان
المياه ذاته ، لا يزال واسعاً يتغلغل الى الداخل ، لكن لا سبيل الى السير فيه ، التفت الـ
قائلاً : — « هنا آخر الحدود المسموح بها ، كما ترون . والبقية متجهة الى التوسع في داخل هذه
الدهاليز والانفاق ، عما قريب . ولعلكم تشاهدونها وقد تمت في الزيارة التالية ... والآن
من حيث أتينا . . . ومع السلامة ! . . . . »

***

وكان الميعاد قد أزف للعشول بين يديّ غبطه البطريرك الماروني الجليل ، فأسرعت خارجاً من
المغارة ، نحو السيارة . . . . فالى الديمان ! . . . .

أيقال كريات بيضاء

لحسين ظاظا نمير الله

نظر النطاسي اللامع امين باشا المعلوف في الجزء الاول من مدخل من الجراثيم للطبيب احمد حمدي افندي الخياط فجاد عليه بكلمة نشرها مقتطف مارس سنة ١٩٣٥ جاء فيها ما يأتي :

« قال الكريات البيضاء والكريات الحمراء والصواب بيض وحمر ولا يجوز غيرها » (كذا واظن انها غيرها فسقطت الميم في الطبع

وهذا الاعتراض شافهني به العلامة الأب انستاس ماري الكرملي سنة ١٩٣٢ في مدينة بيروت فردَّ قولي الهضاب الملساء وقال المُلْس

ورأيت هذا القول نفسه لشيخ العروبة احمد زكي باشا اذ كنتُ في القاهرة سنة ١٩٢٠ فان نسيبا لي هنالك عرض مقالاً له لدى ذلك العلامة جاء فيهِ الليالي السوداء فاردفها بالسود

وهذه قضية لا يصحُّ ان تظل تحت خفاء فها انا اذا اوضح ما عندي فيها

التاء والالف في الدلالة سواء فكما تقول التاء للجمع تقول الالف للجمع ايضاً وهذه أدلتي

١ — « كلم عوراء وعوران » جمع افعل وفعلاء على فُعْل وفعْلان معلوم تقول اسود سوداء على سود وسودان والنظير كثير

وكلم تختلف فيها فالمعاجم تجمع كلمة على كلم فهي صيغة جمع عندها . واما المحقق الاطوي فيورد شرحه امتحان الاذكياء للعلامة البركوي ص ٣٤ من نسخة الاستانة سنة ١٢٧١ ما يأتي :

«الكلم اسم جنس . اشارة الى انهُ ليس بجمع ولا اسم جمع . مع ان عدم وقوعه الاَّ على الثلث لثلاث) فصاعداً كونهُ احدهما . ووجهُ اولهما عدم ثبوت فعِل بكسر العين في صيغ الجمع وارجاع ير المفرد اليهِ (كالكلم المحكم) وجعله مصغَّراً ومنسوباً بلاردهِ الى واحده . ولو كان جمعاً بز واحد مما ذكر . ووجه الثاني مجيء واحدهِ بالتاء وهو لم يوجد في اسم جمع » اه

فاللغويون قالوا كلم جمع كلمة والاطوي يقول كلم اسم جنس الواحد منهُ كلمة . ولا ريب في ان الجنس يشارك الجمع على انهُ يدل على اكثر من اثنين . ولهذا عد اللغويون اسم الجنس من الجموع وقد جاء كلمٌ عوراء . قالت امية بنت ضرار (حماسة البحتري فصل ١٧٤)

ما بات من ليلة مذ شدَّ مئزره قبيصةُ ابنَ ضرارٍ وهو موتورُ
لا تعرف الكلم العوراء مجلسهُ ولا يذوق طعاماً وهو مستورُ

وكلم عوران . قال كعب ابن سعد الغنوي (حماسة البحتري فصل ١٠٨)

وعوراءَ قد قيلت فلم استمع لها وما الكلم العوران لي بقبول

فالجمع او اسم الجنس يأتي نعته على صيغة فعلاء

٢ — الحمر الخشباء — جاء في مادة قرين في معجم البلدان « القرين... موضع ذكره ذو الرمة قال

رِدْفِنَ خشباءَ القرين وقد بدا لهنّ الى ارض الستار زيالها

اي ركبن الحمر الخشباء وهي القطعة من الارض كأنها جبل » اه . فحمر هنا جمع حمراء وقد نعت بخشباء ونعت الجمع جمع . فخشباء من صيغ الجمع

٣ — الشيعة الشنعاء (١) جاء في ذروة من معجم البلدان قول الصليحي

وطالعت ذروة منهنّ عاديةٌ وانصاعت الشيعة الشنعاء شُرّادا

ولشيعة وجها تخريج . اولهما : شيعة جمع شائع بمعنى ناصر او موافق . مثل صحبة جمع صا... ورُوقة جمع رائق. والاصل شُيْعة فجيءَ بكسرة بدل الضمة لسلامة الياء كما جرى ذلك في ... جمع أشيب والاصل شُيْب . وقد جاء الصحاح بفِعلةٍ جمعاً لفاعل وشاهده قول امرىء القيس

علون بانطاكيةٍ فوق عقمة كجرمة نخلٍ او كجنة يثرب

فان هذا القول ردّه بعضهم ونقل ردهم صاحب البستان فقال « جاء الصحاح بهذا البيت شاهد على الجرمة بمعنى القوم والصحيح ان الجرمة هنا ما جُرِم وصُرِم من البسر » فذهبتُ الى ... جمع لا وجه لردّها

وثانيهما . شيعة جمع شاع بمعنى نصير مثل جيرة جمع جار وقيعة جمع قاع وفتية جمع ... وإخوة جمع اخ (أخو) وولدة جمع وَلَد اي أن فعلة صيغة جمع لفَعَل والشواهد على ... على فَعَل كثيرة

فشيعة صيغة جمع لا شك فيها وقد جاء نعتها على فَعْلاء ونَعْتُ الجمع جمع فشنعاء ... لا صيغة مفرد . ومن هذا الباب قول طاهر ابن ابي هالة من قواد ابي بكر الصديق (أخبار في معجم البلدان)

فلم تَرَ عيني مثل جمع رأيتهُ بجمع مجازٍ في جموع الاخابث

قتلناهمُ ما بين قُنّة خامرٍ الى القيعة البيضاء ذات النبائثِ

فقيعة جمع قاع كما تقدم التنظير . ولكن المعترض له ان يعترض هكذا : قيعة مفرد ودا... قول معيار اللغة « القاع أرض مهملة مطمئنة مستوية .. والقيعة كصيغة بمعناه كالقيع بلا هاء ومنهم من جعل الاولى (أي قيعة) جمعاً ومنهم من جعل الاخيرة جمعاً » وقول محيط المحيط « و... مفردة بمعنى القاع . ويستدل على صحة قيعة مفرداً نعتها بذات فذات من نعوت الافراد لا الجمو...

(١) هذه كلمة نقلتها كما جاءت اما انا فمن يجلون شأن الشيعة (امين)

قلت لو صحّ عند اللغويين ان قيعة مفرد كجيفة وصيرة لاقتضى ان يذكروا صيع ذكروا الجيفة جيفاً وأجيافاً وهذه في الحقيقة جمع اي جيف على أجياف كعنب على أعناب لصيرةٍ صيّراً وصيَراً فما هي صيغ الجموع التي ذكروها لقيعة وهي وزان قِدّة وقد جمع على قِدَد وأقِدّة فان هذا الاهمال اما عن عدم اطمئنان الى ان قيعة مفرد واما عن عدم البحث . فعلى الرأي الاول تكون قيعة عند اللغويين صيغة جمع لا صيغة مشتركة بين الجمع وعلى الثاني يكون الاهمال دليل نزارة المادة اللغوية عند اصحاب المعاجم او حيرتهم في هذه أ

أما ذات فمن نعوت المفرد والجمع ودليل ذلك ان معجم البلدان قال «أميل جبل من رمل أمل (مثل قليب وقُلُب) قال الراعي

مهاريس لاقت بالوحيد سحابة الى أمُل الغرّاف ذات السلاسل

فنعت أملاً بذات . وجاء في شعر ذي الرمة (طبع بيروت)

وبين الحبال العفر ذات السلاسل . والحبال جمع حبل اي الرمال المستطيلة فنعتها بذات . ذات نعتاً لحمام . قال الشماخ (الساري في معجم البلدان)

حنّت الى سكة الساري فجاء بها حمامة من حمامٍ ذات أطواقِ

فجعل ذات نعتاً لحمامة من القطع بين الموصوف والصفة وهو معيب عند البلغاء وجعلها من الفصيح . وحمام كسحاب فمن قال سحابة ج سحاب قال حمامة جمعها حمام ومن قال سحاب جنس والمفرد سحابة قال الحمام اسم جنس والافراد بالتاء ومن هذه الطائفة نعامة ونعام والخ ان ذاتاً نعت لاسم الجنس او للجمع واسم الجنس في معناه جمع . فمن قبل قيعة في قول طاهر الا الذكر صيغة جمع يجد بيضاء نعتاً لجمع ونعت الجمع جمع

٤ — كتيبة شهباء وفارسية خضراء وسمهرية سمراء . مجيء الجمع بالتاء وارد كثيراً على متعددة فنسوة جمع نسوٍ ومارّة جمع مارٍ وعسّالة جمع عسّال ومسلمة جمع مسلم ومقالة جمع مقال وهندية جمع هندي وكتيبة جمع كتيب . وفارسية جمع فارسي وسمهرية جمع سمهري . وقد نعت ابن صريم اليشكري (من شعراء حماسة حبيب) كتيبة هكذا

وكتيبةٍ سفع الوجوه بواسل كالأُسد حين تذبُّ عن أشبالها

وما ينعت بجمع فهو جمع . وقد جاء في صفة كتيبة فعلاءَ كشهباءَ وخضراءَ قال حسان (السيد لابن ابي اسحاق) بكتيبة خضراء من بلخزرج

وجاءَ في شعر ابن حلزة اليشكري

ثم حجراً اعني ابن ام قطام ولهُ فارسيـــة خضراءُ

وجاءَ في شعر المتنبي

وبساتينك الجياد وما تحـ ـملُ من سمهريةٍ سمراءِ

والسمهرية والعسّالة مثلان في مجيء التاء جمعاً لمفردها وقد نعت المتنبي عسالة بذبل قال

معطي الكواعب والمرد السلاهب والـ بيض القواضب والعسّالة الذبل

اذن لا فرق بين سمراء وذبل ومن يذهب الى وجود فرق بينهما عليه أن يجيء بدليله فسمهرية صيغة جمع لان الجمع ينعت بجمع ولا ينعت بمفرد . ومن هذا الباب مركوزة جمع مركوز ومقرَبة جمع مقرَب قال المتنبي

وأردية خُضْرٌ ومُلك مُطاعةٌ ومركوزةٌ سُمْرٌ ومُقْرَبة جُرْدُ

٥ — اسم الجمع ينعت بفعلاء . اسم الجمع كما عرفه الاطوي له مفاد الجمع وليس له مفرد من بنائه ولا يفرد واحده بالتاء او بياء النسبة كفَيلق . فقد جاء فيلق شهباء وفي السيرة لا اسحاق للعباس ابن مرداس السلمي قوله

حتى صبحنا أهل مكة فيلق شهباء يقدمها الهمام الاشوسُ

وفي السيرة ايضاً شاهد آخر هو

رُميتْ نطاةُ من الرسول بفيلق شهباء ذات مناكب وفقار

واسم الجمع متضمن معنى الجمعية اذن صيغ الجموع وصيغ اسماء الجموع وصيغ اسماء الاجناس يجيء في نعتها بناء فعلاء

٦ — فعلاء صيغة جمع — اما مجيء فعلاء صيغة جمع فوارد كثيراً . ففي ترجمة الاحنف التي نشرتها المكتبة العربية في دمشق ان زياد ابن ابيه قال له : « هذه الحمراء قد كثرت بين اظهر المسلمين وكثر عددهم (كذا) وخفت عدوتهم . والمسلمون في ثغرهم وقد خلفوهم في نسائهم وحريمهم . وحمراء جمع احمر كأحمرين جمع احمر

وجاء في مادة شجر في محيط المحيط « قال سيبويه الشجراء واحد وجمع وكذلك القصباء والطرفاء والحلفاء » ومن هذه الطائفة البرشاء والغوغاء والعثراء والدهماء وذهب اقرب الموارد الى ان برشاء جمع ابرش وبرشاء

ومجيء الواحد والجمع على بناء واحد وارد في فُعُل كفُلُك وفُعْل كفُلْك وفِعال كذلك وفعيل كقطين وفاعل كالحاج والداج ووالد قال جرير (ديوانه جزء ١ : ١٣٢ طبع مصر)

اعياك والدك الادنون فالتمسْ هل في شفاعة ذي الاهدام مفتخر

فكما شارك بناء فعلاء بناء افعل في المجيء على فعل وفعلان شارك بناء أفعل بناء فعلاء في المجيء على فعلاء

٧ — عرب عاربة وعرب عرباء اي عربٌ صُرَحاء خلّص — هذا نص وارد في كتب اللغة فقد يقال في عرب أاسم جنس او جمع

جاء في الصحاح « النسبة الى اعراب أعرابي لانهُ لا واحد له . وليس الاعراب جمعاً لعرب لانباط جمعاً لنبط . وانما العرب اسم جنس »

بهذا قول صريح بأن عرباً اسم جنس . واردُّه هكذا : قد جعل الصحاح عرباً من طائفة مستة ائفة نبط وحبش وعجم . والتفرقة بين طائفتين لا بد لها من فارق فأين الفارق ؟ فقد ه وحبشي وعجمي للواحد كما جاء عربي للواحد. وحبش وأحباش وحبُش وحبْش وحُبُش ب وأعراب وعُربان وعُرُب وعُرْب . ووجه الخلاف ان اعراباً ليست جمعاً لعرب كما ذَ اح وأحباش جمع حبش . قلت أعراب أصالة جمع عرب ثم نقل الى فئة من العرب هم البد بدهم بدوي . فالشيء يكون عاماً ثم يتخصص فكل تمر يجتنى قطيف تمراً كان او مشمشاً ا اً او تفاحاً وجمع قطيف قطائف كسمير وضمائر . والاستعمال خصص قطائف بنوع من التمر جور كل ما نجر صندوقاً كان او خزانة او باباً او شباكا وقد خصص منحور بالحالة . والدقيق دقوق بزر صعتر كان او بزر كتان او قمحاً او شعيراً وقد أطلق الدقيق على القمح خاصة فاذا سواه قيل دقيق صعتر او دقيق شعير والنظائر كثيرة . ومن هذا الباب استعمال اعراب للبدو قة بين اعراب وانباط واعجام وأحباش من عمل الاستعمال لا من عمل اللغة . والاعراني ادي والحرسي والبدوي فالبدو جمع باد كالصحب جمع صاحب

***

أما الذهاب الى ان عرباً جمع فلوالدي رحمه الله وقد أورد في لمعه النواحم في اللغة والمعاجم مقدمة م الطالب لتأييد مذهبه ما يأتي

أولاً — لا يقال عرب على الواحد ولا على الاثنين وانما يقال على الثلاثة فما فوق تقول هذا ل من العرب وهذان الرجلان من العرب وهؤلاء عرب . (ويصح ان تقول هو عربي وهما ن وهم عرب كما تقول هو حبشي وهما حبشيان وهم حبش وهو حرسي وهما حرسيان وهم حرس) ، من خصائص الجمع واسم الجمع ولكن اسم الجمع لا يكون له مفرد من لفظه يجمع عليه قياسيًّا وعرب له مفرد من لفظه يجمع عليه جمعاً قياسيًّا فهو جمع (مثل حرس وحارس)

ثانياً — وجوب كون الضمير الراجع اليه ضمير الجمع او ضمير الجماعة نحو العرب يقولون والعرب وما هو اسم جنس يعود اليه ضمير الجمع فيقول القنا الخطية والقنا السُلُب قال الأخطل ابه طبع بيروت)

ومن ربط الجماش فان فينا قناً سُلُباً وافراساً حسانا

وقال أبو الاخيل العجلي (حماسة حبيب)

وضمير المفرد ايضاً قال الاخطل (ديوانه) «اذا ما القنا الخطي عُلّت مخاضبهُ» وقال المتنبي

بناها فأعلى والقنا يقرع القنا وموج المنايا حولها متلاطِمُ

لذلك تكون صيغة عرب ليست اسم جنس كما ذهب اليه الجوهري ولا اسم جمع لانهُ يقا فيلق شهباء وفيلق لجِب

ثالثاً — اتفاق اللغويين والنحاة على انهُ مؤنث وليس فيهِ علامة تأنيث ولا هو مما يطلق ع مفرد مؤنث وهذه خاصة جمع التكسير كالرجال قامت وقعدت

رابعاً — تصغيره على عريب بدون تاء والمفرد المؤنث المعنوي اذا صغّر تلحقهُ التاء كشمس وشميسة وارض وأريضة . وجمع التكسير الذي لا تاء فيه اذا صغر لا تلحقهُ التاء كسيحاب . و خفيت هذه الحقيقة وحسبوه مفرداً مؤنثاً قالوا ان تصغيره بدون تاء شذوذ . (وما الشذوذ الاّ ثم نقلهم له من طائفته الى طائفة اخرى . ولو انزلوه في طائفته لوجدوا قياسهُ صحيحاً فالشذوذ من عمله لا من بناء صيغته) واريد على ذلك ان عرباً جمع لعارب أو عريب فلعارب كخادم ولعريب كخ لخديم . وعرُب وعرْب لعارب كجاهل وجهُل وجهْل ولعريب كقليب وقُلُب وقِلْب . وعر وعِربان لعارب مثل حوران لحائر وحيطان لحائط ولعريب مثل فُصلان وفِصلان لفصيل واعرا لعارب كاشهاد لشاهد ولعريب كاشراف لشريف . اما عاربة فلعارب خاصة مثل سابلة وم وقاطنة وجالية فهي لسابل ومار وقاطن وجالٍ وبهذا يعرف ان عارباً اولى من عريب بعرب

***

فبما ان عرباً جمع وجاء نعته بعرباء فصيغ الجمع يأتي نعتها بفعلاء . وبما أن عرباء وصرحاء وحاء معنى واحد ولا خلاف في جمعية صرحاء وخلص فلا وجه للشك بأن عرباء صيغة جمع والآ بين صُرَحاء وعرباء فارق فما هو وما الدليل عليهِ . اذن يقال أدلة غراء كما قال والدي في تسميته أح كتبه الادلة الغراء وهصاب ملساء كما جاء في كلامي وشمائل حسناء كما اورد شاعر الاقطار العربيه ما بك المطران في رثاء الامير كمال الدين بن السلطان حسين كامل رحمهُ الله . وكريات بيضاء كما جاء كلام احمد حمدي افندي الخياط

ولكل من الاب انستاس ماري الكرملي الجليل والنطاسي امين باشا المعلوف ومن يذهب مذهبه ان يزيف ادلتي واشترط في الرد ما يأتي

١ — ان يكون نقيًّا من المطاعن فينظر الى القول لا الى القائل

٢ — ان يعيّن موضع الشاهد فلا يكتفي بانهُ قال المازني او الفارسي او الشاعر لأتمكن من العثور على موضع الشاهد

٣ — ان يرسل نسخة من رده اليَّ لا تصفح ما جاء بهِ . فانهُ لا يعلم الغيب الاّ الله ولا شا

في أن الحقيقة بنت البحث دمشق : البطريركية الارثوذكسية

صورة قلمية

الدكتور احمد النقيب

بقلم نقولا شكري

لا يزال بيننا وبين الطبيعة مناجاة دائمة تحدثنا بمقاييس ملموسة نحسها في كل شيء. فان الزهر النضرة ، أو السنبلة التي يقصفها الريح في الحقل ، أو العنقود الذي تطمح اليه أنظارنا متهدلا بالبستان انما هو دليل واضح تبديه الطبيعة اشارة الى خصبها ، وانها تعطي الانسان دائماً ما تنطوي عليه من ثمار وزهر

وليس أبلغ من هذا الشعور تماجينا به طبيعة مصر الخصبة التي ما زالت تحتفظ بمقاييسها القديمة بينها وبين أهلها وزروعها وثمسها وسائر ضروب حياتها . فان الثمرة التي تنبتها تربة خصبة لا تكاد تختلف عن الانسان المثقف الذي يخرجه نوع سامٍ من التهذيب . ولعل سرّ الطبيعة نفسها في ذلك التهذيب لا يفترق عن أثرها في النبت . وهذا لعمري ما نسميه بالعلاقة بين الانسان ووطنه

***

هذا رجل من رجال مصر ، في حدود الأربعين ، ذو ثقافة عالية ، ربعة الى الطول ، خطي اللون ، ساكن النظرات ، حاضر البديهة ، موفور القوة ، متواضع السمت ، يغلب عليه الحياء ، تبدو عليه مع ذلك مخائل الثقة العظيمة بالنفس ، والرغبة العميقة في ان يعمل دون أن يتكلم

هذا الدكتور احمد النقيب ، الطبيب الجرّاح الذائع الصيت ، هذا الشاب المصري الطموح ، الشجاع ، الجريء ، قد ضرب لأمثال مصر وشبابها المتوثب أحسن الامثال كيف يستحيل الامل كلا من عملاً بارزاً ، ونصراً مبيناً . وأقام الدليل الحسي على ان استعداد شباب مصر المأمول لسائر الاعمال التي تحتاج الى الجرأة والاعتداد بالنفس ، والاعتماد على الله وعلى الهمة العالية الشماء ، يقلّ مثقال ذرة عن استعداد أية أمة غربية أو شرقية، أو عن استعداد أي شباب في أي بلد عظيم

هذا الدكتور النقيب قد جاهد في الطليعة مع النخبة المستنيرة من رجال المواساة لتشييد صرح مصري عظيم يكون بينة على النهضة القومية في هذه البلاد ودليلها ، وآية المبادىء الوطنية التي تبذل في سبيلها بارزة في أحسن مظاهرها وأجمل صورها ، والنهضة الاجتماعية في بعض معالمها نحة للابصار المتحدثة بلغة القومية ومنطق الاستقلال

وغداً يجوس المصريون خلال فكرة قومية استوت قائمة على أحسن بقعة مصرية ، في رأسها

نفق العلم المصري مدللاً على قوة باعثها ، وصدق احساسها ، وسلامة دوافعها . وتمشي في ساحة ستشفى الموآساة الفخم جموع المصريين يشهدون الوطن على مدى وطنيتهم ، وقوة ايمانهم بالفكرة قومية التي تتمثل بهم ، ومبلغ عرفانهم لمعناها البارز فيهم . غداً يتفقد المصريون ردهات هذا لمستشفى ، ويشهدون أجزاءه وجهاته ، فيغتبطون بوجودهم على قطعة مستقلة من مصر المطا ، ستقلالها ، فتجتمع بهم وبالبناة الصالحين الذين أنشأوها ، الوطنية المصرية بسائر قواتها ، وتواجه مقيدة القومية اثباتها ، وتزدحم في مكان واحد معانيها وآياتها ، وتتجلى مصر في أفخم عناوينها شاراتها ، ويبرز الايمان بالكفاءة المصرية شواهده قائمة ماثلة . ومنشآته في البر متحدثة عنهُ بامة مزمات النافذة ، والهمم المنجزة ، والاخلاص المكين

وغداً يذكر الدكتور النقيب اخوانه من شباب مصر بما تحتويه فطرتهم من صفات الرجولة، مناقب الفتوة التي تنازعها الآمال ، فاذا بالعزيمة الصادقة تسمو بتلك الآمال من عالم الأماني الاحلام الى عالم الحقائق المجيدة ، يسجلها الوطن للعاملين من أبنائه في كتاب العزة الوطنية التي ودعها القدر بين ايدي الشباب العاملين امانة مقدسة

لقد وضع الدكتور النقيب ورجال الموآساة النواة الطيبة الصالحة ، وبقي امام الشعب بأكمله ان ستكمل هذه المنابت ، وينمي هذه الحقول ، فان كل نواة تقتضي تعهداً ، وكل مستنبت يطلب زيداً من الجهود ، واذا كان الدكتور النقيب والعاملون من رجال الموآساة قد اقاموا هذا صرح الانساني الفخم بجهود الجبابرة ، وهمة البطولة ، واخلاص الوطنية ، فقد وضعوا به القاعدة اصبح الواجب القومي مقتضياً البناء فوقه ، والمزيد عليه ، والتوسع في اجنحته وطبقاته . وما دام خطر دور التعمير والانشاء قد تم ، فلتمض الامة اغنياء وقادرين ، وزعماء وهداة وغيورين ، في نماية الباقي ، والوفاء بما يريد الوطن . ويوحيه استقلاله ، ويقتضيه مكانه بين الشعوب

***

وهنا يحق لنا ان نشرح بايجاز حياة الرجل الذي يُعدُّ رمزاً عالياً للفكرة التي اوحت بانشاء هذا المستشفى

ولد الدكتور احمد النقيب بمدينة الزقازيق في ١٠ يناير سنة ١٨٩٥ وتلقى علومه الاولية بمدرسة لابتدائية ثم انتقل الى القاهرة وحصل على شهادة البكالوريا من المدرسة التوفيقية ثم انتظم في مدرسة لطب ونال شهادتها في يناير سنة ١٩١٩ وتولى بعد ذلك تدريس التشريح العملي بها الى ان عين طبيباً بمستشفى قصر العيني . وفي غضون ذلك ظهرت آيات براعته وخبرته ، وافضت به كفاءته الى اداء مهمته في المستشفيات العامة وفي سنة ١٩٢٥ عين جراحاً لمستشفى الاسكندرية . وكانت رغبته لقوية في خدمة الطب تسوقهُ دائماً الى الاختبار والترقي فانهُ في سنة ١٩٣١ تخصص في جراحة المجارة لبولية على الاستاذ العالمي السر طومسون دوكر والمستر ايفردج بانجلترا ولم ينقض عامان حتى قفل

الى برلين في بعثة جديدة للغرض نفسه فتخصص على الاستاذ « لينة مرج » من اشهر اطباء جر المجاري البولية في المانيا

ولم ين الدكتور النقيب في غضون هذه المدة عن البحث واختبار حالات معاهد الطب في عمو اوربا وزيارة المستشفيات الكبيرة حيث خطرت له فكرة مستشفى الموآساة على اثر مشاهدة مستشفى « مو لوثر » في برلين . وكان قبل ذلك قد بحث هذه الفكرة عن طريق اتصاله المباشر بالطبقات لاحتماء وهو ذلك الاتصال الجليل الذي يتوصل اليه الطبيب لعلاقة مهمته المباشرة بادواء النفس ، ولا اكفأ من سواه في اقتراح الوسائل التي تخفف آلام الجماهير . وكان يعلم ان الطبقات الراقية مع اعترافها الغالب بخبرة الاطباء الوطنيين تميل الى الالتجاء نحو المستشفيات الاوربية على اعتقاد انها اكمل واعظ ضماناً ، ويعلم من جهة اخرى حال المستشفيات الوطنية وحدود تراجعها المحزن عن الخطوات التي وصل اليها الطب الحديث باعتباره قاعدة رئيسية في الحضارة ، وان الامم التي وصلت الى الترقي الحقيقي انما وصلت عن طريق القوة التي يوفرها الطب . ونعتقد ان الترقي الاوربي مدين للطب باشياء كثيرة جميعها ذات اثر ظاهر في نشاط الجماعات الغربية . ولما عرضت هذه الفكرة وجهت النظر بادىء ذي بدء الى تقدم العصر وجود الوسائل الصحية وبخاصة المستشفيات الوطنية . وكان من الطبيعي ان يدل ذلك على الفارق بين طموح مصر الجديدة الى الترقي وتراجع قاعدة تعد اعظم قواعد الحضارة وهي الطب . وفي الحقيقة ان الكثير من الوطنيين اذا فكر في الالتجاء الى احد المستشفيات الوطنية يرى انه في حاجة الى ضمان كاف يقنعه بتحقيق الغاية التي يرجوها . ولعل ذلك يرجع الى ضعف الجهود التي ينبغي ان تبذل لترقية المستشفيات المنسوبة الى الوطنيين ، وقد عرض الدكتور النقيب فكرته الشريفة على رجال الموآساة فقوبلت بالتأييد . والظاهر انها رغبة كمينة في نفوس الذين يميلون الى خير مصر وسعادتها . واقترن هذا التأييد باستعداد صادق لانشاء مستشفى وطني يضارع سائر المستشفيات الاوربية وان تكتمل فيه الوسائل ، وان يكون نموذجاً صحيحاً يرمز على الدوام الى جهود الوطنيين

***

ومن الممكن ادراك هذه الجهود من مجرد النظر الى البناء الفخم الذي تحقق به المشروع والذي يقال انه استنفد ما يقرب من ربع مليون جنيه . وهو وحده كاف للدلالة على ان الفكرة التي تحققت قد خيبت ظنون الذين كانوا ينسبون الى جمعية المؤآساة التعلق بالنظريات والاحلام . ولا شك في ان اكتمال هذا المشروع سيظل رمزاً للخطوات الواسعة التي وصلت اليها الوسائل الصحية في مصر بل في سائر الشرق العربي فان الجهود التي بذلت تدل على الثقة في ان المستشفى سيكون صورة تجاوز باستكمالها وفخامتها ما بلغه العصر من الرقي . وطبيعي ان هذا الانشاء الصحي سيظل يحض الذريات المصرية على الاعتراف بالجميل للطبيب صاحب الفكرة الذي استحث جماعة الموآساة على سد الفراغ الحادث من تأخر المستشفيات الوطنية ونقص وسائلها ومباشرة العمل على

ن لا يكون ثمة ميزة تجعل الوسائل الصحية في عاصمة كبيرة مثل الاسكندرية تتخلف عند الحاجة عن تحقيق آمال جميع الطبقات

وبعد ، فلعل الظاهرة البارزة في حياة الدكتور النقيب لا تحدُّ بشغفه بالفكرات المجددة التي تولي صاحبها خلوداً حقيقيًّا ، بل ان هذه الظاهرة تشمل اشياء اخرى ، بل ترجع الى اول عهده بصناعته عندما كان طبيباً بمستشفى قصر العيني حيث برهن على مقدار ثقة الرجل الكفء بخ ومقدرته . فقد حدث في الهزيع الاخير من احدى الليالي ان نقل الى مستشفى قصر العيني رج مطعون بسكين في صدره وبطنه حتى تمزقت رئته وطحاله ومعدته . وكانت حالته تنبيء بأنهُ لي ثمة امل في انقاذه فحادث الطبيب « النوبتجي » البروفسور « دولبي » الذي كان يتعين عليه وقت اجراء العملية للمصاب فكلفه البروفسور دولبي إجراءها وكان المصاب يمت بنسب الى اسرة عريقة من الاعيان واتفق ان الدكتور بدرخان كان حاضراً فأكبر ان يجري العملية طبيب آخر غ البروفسور دولبي فلم يطق الطبيب النوبتجي هذا الشك في كفاءته وغضب ثم نهض لساعته وتولى بنفسه اجراء العملية الجراحية ونجح في انقاذ المصاب بعد ان كانت حالته تنذر بالخطر وكان ذ الطبيب النوبتجي هو الدكتور احمد النقيب فنال بتصريح خاص مكافأة كبيرة على توفيقه في عمل جراحي برهن على براعته . ومنذ ذلك الوقت ظهرت مهارة الدكتور النقيب وذاعت شه وطار صيته . والدكتور النقيب يتصف بالصراحة التي تكون عادة في فطرة المشتغلين بصناعة الط وتتجلى في حديثه القوة وفي منطقه بيان الرجل المثقف الواسع الاطلاع الغزير العلم . وهو الى كله خطيب زلق اللسان ، فصيح العبارة ، تقترن فصاحته بحماسة وجاذبية تنم على مقدرته وقوة

ولعل اكبر مزايا الدكتور النقيب نشاطه ، وانه رغم قيامه بمهمته في المستشفى الاميري يقوم باجراء العمليات الجراحية يؤدي هذه المهمة نفسها في مستشفى خاص له في حي من الاسكندرية ، ولا يترك الفرص التي يزيد بها في تجاربه وعلمه عن طريق انقاذ المرضى الذين يجو فيهِ دائماً الطبيب البارع المنقذ

وبعد ، ففي هذا العصر الذي قوي فيه النشاط في الحياة العلمية وبخاصة الطب ، وهو لم يتكافأ مع الحالة التي وصلت اليها الانسانية بعد الحرب ، نستطيع ان نعد الدكتور النقيب في من الرجال الذين تفخر بهم البلاد

واخيراً ما دامت مصر تؤدي مهمتها في سبيل الترقي فحسب الشباب ان يراقب دائماً المثل العا التي تخلدها حوادث ظاهرة في تاريخ الجماعات . فاذا ذكر مستشفى المواساة باعتباره مثلاً لمجهود صحية عظيمة فلا غرو ان هذا الفخر سيشترك فيهِ اسم الطبيب الذي اقترح انشاءهُ ومهد السبي لتحقيقه . فاذا كان هذا المشروع عملاً لخير الانسانية ومواساتها فانهُ من جهة اخرى يغذي الشع بنية طاهرة تعوده التضامن لخدمة الوطن

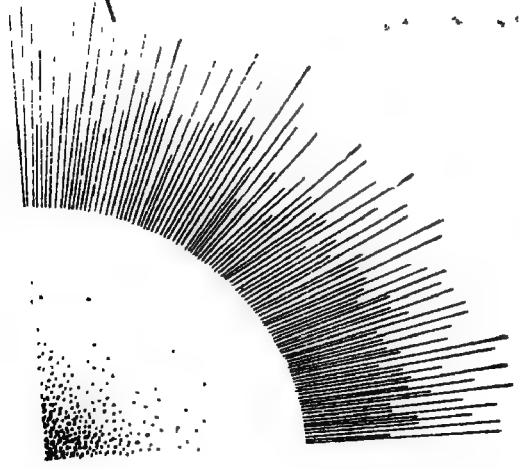

الدكتور احمد النقيب

الدستور السوفياتي الاشتراكي (١)

الاستاذ وليم بنت صرو (٢)

—١—

حملت الينا الاخبار اللاسلكية ان مؤتمر سوفيت الاتحاد الاعلى — وهو اعلى هيئة تشريعية في بلاد الاتحاد السوفياتي — اقر في اجتماعه السنوي الملتئم في موسكو خلال شهر يناير من السنة الحالية ، إدخال تعديلات جوهرية على الدستور السوفياتي الاشتراكي يمنح فيها الفلاحين حق التمثيل المباشر والاقتراع السري والمساواة بين الريف والمدينة في جميع ما يتعلق بالانتخاب الى هيئات الحكومة المحلية وحكومة الاتحاد العليا. وقد تلقت الصحافة والدوائر السياسية خارج بلاد السوفيت هذه التعديلات بالاعجاب والامتعاض معاً . اما الذين أعجبوا بها فهم الشيوعيون والديمقراطيون الذين يرون فيها تقدماً نحو تحقيق المجتمع القائم على الديمقراطية الاقتصادية اولاً والسياسية والاجتماعية ثانياً ، وهم المؤمنون بان لا سبيل الى تحقيق الديمقراطية الحقيقية ونجاحها الا بمعالجة النظام الاقتصادي من الاساس والقضاء على حكم الطبقات في المجتمع . اما الذين امتعضوا من هذه التعديلات فهم الرأسماليون ودعاة دكتاتورية الطبقات المستغلة كالفاشستية والنازية الذين يرون فيها نجاحاً جديداً للمبادىء التي يدّعون انها مستحيلة النجاح وان لافضل للشعب ان يجرد من إرادته ويخضع للحكم الفردي . ومهما يكن موقف البلاد الرأسمالية ازاء هذه التعديلات والنظام المطبّق في الاتحاد السوفياتي فالحقيقة الواضحة هي ان الديمقراطية السياسية التي أعلنتها الطبقات البورجوازية منذ الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ تعاني اليوم ازمة الاخفاق في معظم بلاد اوربا حتى في البلد الذي اعلنت فيه وطبقت فيه اولاً . حالة اننا نرى نجاح الديمقراطية في البلاد التي كانت الى ما بعد الحرب العظمى ابعد البلدان عنها يتحقق شيئاً فشيئاً في الاتحاد السوفياتي تحت اشراف دكتاتورية العمال التي تطبقها على اسس غير التي طبقت عليها ديمقراطية البورجوازية وترمي الى غايات غير التي ترمي اليها هذه الطبقات الرأسمالية الاستعمارية . وفيما يلي دراسة للدستور السوفياتي الذي يعد اول دستور من نوعه طبق في العالم

كثيراً ما يتوهم البعض ان روسيا امة واحدة كما هي انكلترا او فرنسا او ايطاليا اذ يرون على خريطة الجغرافية اراضي واسعة تمتد غرباً الى شمال اوربا وشرقاً الى شمال آسيا تزيد مساحتها على ستة ملايين ميل مربع او ما يقارب سدس الجانب اليابس من الكرة الارضية او ثلاثة اضعاف مساحة

(١) Socialist Soviet Constitution (٢) استاذ التاريخ والحكومات في معهد جامعة كاليفورنيا الفي بامريكا نقل هذا الفصل المتع كامل قزانجي مدرس الاجتماع والتاريخ بمدرسة النجف الثانوية في العراق

107

الولايات المتحدة الاميركية تقريباً، ويطلق عليها جميعاً اسم (روسيا) ويقرأون ايضاً ان فيها ما لا يقل عن ١٥٠[1] مليون نسمة من الروس يسكنون هذه الاراضي الواسعة تديرها حكومة واسعة من العاصمة موسكو فليس غريباً اذاً ان يعتبروا روسيا بلاداً موحدة كما هي الولايات المتحدة الاميركية

لكن روسيا ليست امة بهذا المعنى بل هي مجموعة غير منتظمة لاقطار واجناس مختلفة. فقد كانت قبل الحرب مكونة من اقاليم ضعيفة الصلة فيما بينها يزيد عددها على العشرين يسكنها الروس والبولونيون واليهود والفنلنديون واللتيّون والتتر والاتراك والمغول وغيرهم من عناصر مختلفة اللغات والاديان والميزات يقارب عددها المائتي عنصر . واولى هذه المقاطعات واكبرها مساحة واكثرها سكاناً هي (روسيا الاصلية) التي تمتد من سواحل بحر البلطيق الى جبال اورال ومن الدائرة القطبية الشمالية الى البحر الاسود ويسكنها الروس على اختلاف طوائفهم . وفي الجهات الشمالية الغربية والغربية والجنوبية الغربية من بلاد الروس تقع فنلندة ولاتفيا ولتوانيا وبولندة تسكن كل واحدة منها شعوب ذات لغات واديان مختلفة، وفي الجهات الجنوبية والجنوبية الشرقية تقع قفقاسية وآسيا الوسطى الروسية وسيبيريا وفي هذه الاقطار ايضاً تسكن شعوب تختلف عن بقية شعوب الامبراطورية في اللغة والدين والجنس ايضاً . هكذا كانت روسيا قبل الحرب امبراطورية واسعة تشمل ما يقارب سدس القسم اليابس من الكرة الارضية فيها شعوب مختلفة الاجناس واللغات والاديان الى غير ذلك من الفوارق الاجتماعية . لكن المعاهدات التي عقدت بعد الحرب العظمى فصلت بعض هذه المقاطعات عن امبراطورية آل رومانوف واصبح الجانب الاكبر الباقي من هذه الامبراطورية يدعى بـ (الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية المتحدة — Union of Socialist Soviet Republics, U. S. S. R. — او بتعبير مختصر (الاتحاد السوفياتي — Soviet Union, S. U.)

ولكي نفهم حاضر الاتحاد السوفيتي يجدر بنا ان نلقي نظرة سريعة على تاريخ الامبراطورية القيصرية في عصورها الاولى فنقول : نشأت الامبراطورية القديمة بطريقة هجرة التجار او الفاتحين الى الحدود الروسية حيث احتكوا بالقبائل الاصلية ولم يمضِ زمن طويل على احتكاكهم هذا حتى استأثرت القبائل الجديدة باملاك القبائل الاصلية . اما في العصور التي اعقبت الهجرات الاولى فقد توسعت الامبراطورية الروسية بالطريقة التي توسعت بها امبراطورية روما القديمة اذ اعتمدت على الدم والحديد فكانت الحروب والفتوح عماد هذه الامبراطورية التي لم تختلف عن روما في طرق الاحتلال والفتح

لكن قياصرة الروس لم يكونوا رجالاً منظمين اداريين كما كان أساتذتهم قياصرة روما . فقد أقاموا حضارة بيزنطية اكثر منها رومانية واسيوية اكثر منها اوروبية ويرجع السبب في ذلك الى

(١) كان عدد سكان الامبراطورية الروسية قبل الحرب العظمى يقارب ١٥٠ مليون نسمة اما بعد سنة ١٩٣٤ فقد بلغ ما لا يقل عن الـ ١٦٨ مليون نسمة في بلاد الاتحاد السوفياتي بالرغم عن انفصال بعض اقسام الامبراطورية القديمة عنها

وقوع روسيا خلال القرن الثالث عشر تحت سيادة التتر وفي القرنين الخامس عشر والسادس عشر تأثرت كثيراً بالمبادىء السياسية والعقائد الدينية البزنطية بسبب سقوط الامبراطورية البزنطية ودخول الارثوذكسية الى روسيا

ولم تدخل الحضارة الاوربية الى روسيا الاّ في عصر بطرس الاكبر بفضل الجهود التي بذلها لاخراج بلاده من عزلتها وتأسيس حكومة مركزية قوية فيها ولو أنهُ لم يتمكن أن يؤثر فيها اكثر من ان يعطيها صبغة اوروبية شفافة فقط

وبفضل جهود القيصر الاكبر ومن عقبهُ من القياصرة ، مثل كاترين الثانية اصبح لروسيا شأن كبير في السياسة الاوربية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . ومع ان مبادىء الثورة الفرنسية لم تدخل روسيا لكن نابوليون حمل راياتها اليها وهو في أوج عظمته في حملته على موسكو فارتدّ بجيشه متعثراً على ثلوجها فكان في ذلك بدء انحطاط امبراطوريته اذ كان تقهقره هذا أمام الروس بداية ضعف قوة فرنسا الحربية التي انتهت بواقعة واترلو . هكذا كانت روسيا ولا تزال في موقع حصين مكنها من أن تقهر نابوليون وتحمي نفسها من الفتوحات الخارجية طيلة عصور تاريخها

ان جميع ما كان في روسيا ساعد على قيام حكم القياصرة المستبدين الطغاة وأهم هذه العوامل سعة البلاد وتعدد الاجناس الساكنة فيها وأمية الشعب والروح الحربية والحياة الريفية المتأخرة وتقاليد العقلية الشرقية ، كلها ساعدت على قيام الحكم الاستبدادي وبقائهِ فيها ، ومع أن بعض القياصرة كانوا يحاولون بين آن وآخر ادخال مبادىء الحكم الدمقراطي لكن عملهم لم يكن بذي بال لانهم لم يريدوا أن يضعوا السلطة العملية بأيدي ممثلي الشعب . ولما سارت روح الدمقراطية بعد سنة ١٨٤٨ وقادت الى وضع دساتير في فرنسا وايطاليا وروسيا وادخلت بعض التعديلات السياسية في النمسا ، لم يكن لها أثر يذكر في النظم السياسية في روسيا

وبعد بضع سنين من ثورات سنة ١٨٤٨ في اوروبا ألغى القيصر اسكندر الثاني العبودية الاقطاعية بين الفلاحين في روسيا سنة ١٨٦١ وادخل الاصلاحات على حالة الفلاحين الاقتصادية لكنهُ لم يقضِ على سلطة الملاك ولم يمنح الشعب حق الاشتراك في ادارة شؤون الحكومة المركزية بل اكتفى بمنحهم بعض الحقوق في الادارة المحلية في المقاطعات بأن ينتخبوا منهم بطريقة انتخاب غير المباشر — ممثلين في مجالس الولايات (الزمستفوس Zemstvos) التي خوّلت حق فرض ضرائب المحلية والانظمة المتعلقة بشؤون محلية كنظام الطرق والجسور والمدارس والصحة العامة البنايات العامة ودور العجزة وجمعيات اعانة الفقراء لكنهُ رفض تأسيس مجالس بلدية أو (دوما — Duma) في المدن للقيام بالاعمال التي تقوم بها الزمستفوس في الولايات

وما فتئت هذه المجالس المحلية حتى اصبحت معاقل للحركات الدستورية الحرة التي كانت ترمي

الى الاصلاح السياسي في الامبراطورية بأجمعها واخذت تزداد قوة في مطالبتها بدستور دمقراطي ودعوة برلمان عام . ولم تتقدم هذه الحركات الدستورية الحرة تقدماً محسوساً الاّ بعد نهاية القرن التاسع عشر . أما السلطات المركزية والحاشية المحيطة بالقيصر فكانت تعتبر هذه المبادىء الحرة ثورية لذلك كانت تخاف من كلمات (الدستور) و (البرلمان) خوفاً شديداً حتى أخذت تمنع ظهورها على صفحات الجرائد ، وفي نفس الوقت كانت تعاليم كارل ماركس وتلاميذه تتغلغل في روسيا فتجتذب الكثير من الشبان الاحرار الى الاشتراكية وتعدُّ الاعضاء للحزب الاشتراكي الدمقراطي

ودامت الحال على هذا المنوال حتى خاضت روسيا الحرب مع اليابان سنة ١٩٠٤ — ٩٠٥ وخرجت منها مقهورة في البر والبحر فأحدث هذا الخذلان إستياءً عامًّا أقلق السادة الامبراطورية المستبدة واضعف مركزها . وقابل هذا الضعف في سلطة القيصر ازدياد قوة الاشتراكيين الدمقراطيين في روسيا وتمكن مبادئهم بالرغم من الاضطهادات العنيفة المتواصلة التي كانوا يلاقونها . وزاد في خوف السلطات تكاثر الاضطرابات والاضرابات المتتالية التي كان يقوم بها الاشتراكيون الدمقراطيون بين عمال المصانع والفلاحين في الارياف حيث أخذ الفلاحون يستعيدون على أملاك الاشراف ويحتلون قصورهم مما اضطر السلطات الى اعلان الاحكام العرفية في كثير من انحاء الارياف المختلفة . وكان تلاميذ المدارس في المدن ينظمون الاضطرابات والاضرابات العامة الخطرة فتغلق الجامعات . وقد اوضحت جميع هذه التبدلات العامة وجوب تعديل السياسة الرجعية القديمة القائمة على الاستبداد والاضطهاد ، لذلك رأت الحكومة القيصرية — احتفاظاً بمقامها — ان تبدأ بالنزول على مطاليب الشعب بدعوة برلمان امبراطوري عام

لذلك أسرع القيصر واصدر في عام ١٩٠٥ سلسلة من المراسيم وعد فيها بوضع دستور للشعب الاّ أن هذه المراسيم القيصرية — بالحقيقة — لم تلغ الحكم الفردي الاستبدادي بل — بالعكس — اكدت سيادة سلطة الامبراطور التنفيذية وايدت حقه بالرفض (فيتو — Veto) لجميع التشريعات التي يصدرها البرلمان بصورة عامة وصرحت بابقاء الوزراء مسؤولين أمام القيصر فقط . لكنها منحت الحق بدعوة برلمان وطني عام يتألف من مجلسين . المجلس الاعلى وهو مجلس الامبراطورية ، والمجلس العام او الدوما . وفرضت هذه المراسيم تعيين نصف اعضاء مجلس الامبراطورية الاعلى من قبل القيصر وانتخاب النصف الآخر من قبل مجالس المقاطعات والملاّك والاشراف وغرف التجارة والصناعة والكنيسة والجامعات لمدة تسع سنوات على ان لا يقل عمر المنتخب عن الـ ٤٠ سنة وان يكون حاملاً لدرجة علمية . أما فيما يخص اعضاء الدوما فقد حتمت المراسيم القيصرية ان ينتخبوا بواسطة مجالس الولايات على اساس اقتراع الذكور فقط . واكدت أوامر القيصر عدم السماح بالبحث في هذه المراسيم او في الشؤون الحربية والخارجية والمالية في مجلس الدوما انما يكتفى بأخذ موافقة هذا المجلس في وضع القوانين العامة فقط

ظهرت هذه التبديلات وهي على الورق بمظهر حداب ينبيء عن بدء موفق في سبيل الوصو توطيد سيادة الشعب لانها اوصلت روسيا سنة ١٩٠٥ الى ما كانت قد وصلت اليه انكلة ذ سبعمائة سنة مضت حين فاز الاشراف بالبراءة العظمى Magna Carta في زمن الملك يوح ة ١٢١٥ . لكنها لم تكن بداية عصر جديد لسببين هما : اولاً — لان الشعب الروسي لم يعرف يف يتصرف بالسلطة التي منحها تصرفاً معتدلاً . وثانياً — لان القيصر ووزراءه لم يقبلوا الخط ياسية الجديدة عن طيبة خاطر

***

ولما اجتمع مجلسا الدوما الاول والثاني بين ١٩٠٦ و ١٩٠٧ كان بين اعضائه كثير من الاحرار لمتطرفين الذين اقلقوا الوزراء بخطبهم الشديدة وحملوا مجلس الدوما على الاستياء وعدم الاكتفاء لطات التي منحها حتى تهجم بعض زعمائه على الدستور الصوري، وطالبوا بدستور قائم على سيادة عب الحقيقية. وبالرغم مما نصت عليه المراسيم القيصرية بدأ مجلس الدوما يبحث في كيفية جعل الوزراء ؤولين امام الدوما مباشرة ليؤسسوا بذلك نظاماً برلمانيًّا حقيقيًّا . وكذلك طلب اعضاء الدوما فو العام عن جميع المسجونين السياسيين وتقسيم الأراضي على الفلاحين والانتخاب المباشر عضاء الدوما بحسب انظمة الاقتراع العام . وذهب بعض المتطرفين الى حد المجاهرة بأن واجب وما ليس سن القوانين فقط بل العمل للثورة الاجتماعية وانجاحها

ولما اتضح للسلطات القيصرية ان مجلس الدوما شديد التطرف في دمقراطيته ومناقشاته ومبادئه ر بدًّا من حله مرتين متتاليتين وقرر القيصر ووزراؤه ان قد حان الوقت لادخال التعديل في ون الانتخاب فأصدر القيصر مرسوماً سنة ١٩٠٧ الغى به الاقتراع الفردي للذكور وأمر ان سم المقترعين الى طبقات (كوريا — Curiae) هم الملاك وأصحاب المعامل والتجار والفلاحون مال وان يخصص لكل طبقة عدد من المقاعد في المجلس . وكذلك ادخل تعديلات أخرى ي الى منح حق تمثيل غير متناسب الى الملاكين من بين المقترعين . فكانت جميع هذه التعديلات افية تماماً للحقوق التي منحت سنة ١٩٠٥

وطبقت تعديلات سنة ١٩٠٧ كما امل القيصر ووزراؤه اذ انتخب الدوما الثالث تحت رقابتهم وجب التعديلات الاخيرة فكان اقل تطرفاً وأسهل انقياداً لرغبة الوزراء اذ كان مؤلفاً من لاكين والتجار بالدرجة الاولى فكان هؤلاء يطيعون الاوامر عادة ليبقوا طيلة السنوات الخمس أي ة اجتماع المجلس . اما الدوما الرابع فقد افتتح خلال سنة ١٩١٢ وبقي منعقداً حتى نشوب رب . لكن كلا المجلسين الثالث والرابع لم يكونا يمثلان الشعب الروسي تمثيلاً حقيقيًّا وكانا ت تأثير الطبقات المالكة والمدفية من الشعب . ومع انهم كانوا يستطيعون في بعض الاحيان

اقناع القيصر او الوزراء بتعديل مراسيمهم الاّ انهم لم يكونوا — بالحقيقة — ليقوموا الاّ بالاعمال الاستشارية فقط . وقد مثل الحالة حينذاك احد الاحرار الروسيين بقوله «ولكي يتمكن الشخص من التمتع بحق البقاء حيًّا عليه ان يصبح آلة صماء في ماكنة الدولة الاوتوقراطية المستبدة »

وكذلك اخفقت الحركة التي كانت ترمي الى تحقيق الدمقراطية السياسية والتي ابتدأت حوالي سنة ١٩٠٥ فكان مثل الشعب الروسي كمثل الذي طلب الخبز فأعطي حجراً . وأيقظ هذا الاخفاق السياسي احرار الروس واضطرهم الى الاتفاق مع الاشتراكيين الدمقراطيين في اعتقادهم ان ليس في الامكان توطيد النظام البرلماني في روسيا بالوسائل الدستورية

***

وعند نشوب الحرب الكبرى كانت معظم الطبقات في روسيا باستثناء الامراء وبعض الملاك ومعظم اصحاب الصناعة الكبرى — ترى رأي الاحرار الدستوريين والاشتراكيين الدمقراطيين ومع ان نشوب الحرب ودخول روسيا فيها وحد البلاد توحيداً ظاهراً زمناً قصيراً — كما يظهر ان الحرب تعمل على ذلك وقتيًّا — الاّ ان الحالة لم تدم طويلاً اذ بالرغم من انحياز الدوما الرابع الى جانب الحكومة القيصرية وتعضيده لها في دخول الحرب لكنه عندما اقترح القيام ببعض الاصلاحات الضرورية والتي من شأنها ان تساعد على فوز القيصر في الحرب بعد اندحارات سنة ١٩١٤ و١٩١٥ لم يلق من القيصر وحاشيته الاّ الرفض وعدم الاستحسان لاقتراحاته ونصائحه . وزاد في استياء جميع طبقات الشعب وحنقها الشديد على الوضع ما كان يسود من فساد وارتباك في جميع دوائر الحكومة المدنية منها والعسكرية على السواء — فقد كانت الرشوة والتبذير في الاموال ظاهرة في الواجبات ظاهرة في جميع مناحي الادارة المدنية والعسكرية بينما كانت تعوز الجيش الذخيرة المنظمة القادرة كما كانت تنقصه الاسلحة والمعدات الضرورية والمؤونة والالبسة وليس هذا فقط بل ان جميع الوسائل التي حاولتها الحكومة لتزويد السكان المدنيين بالاكل اخفقت فراح الشعب يهلك جوعاً بينما كانت آلاف القناطير من المواد الغذائية تهرب الى المانيا والنمسا من قبل بعض الروس انفسهم والمنتفعين من مضاربات الحروب ليبيعوها لدوائر التموين في الجيش الالماني والنمساوي بأرباح كبيرة جدًّا . فاتضح اخيراً ان الحكومة الاوتوقراطية غير قادرة ان تنهض باعباء الحرب العظمى وغير كفوءة لها

وفي هذا الموقف الحرج الذي كان يتطلب اقصى ما يمكن من الحكمة والحذر والتوفيق بين العناصر السياسية ارتكب القيصر غلطة كانت القاضية على مقامه اذ انتخب وزارة من اكثر العناصر رجعية ولم يكن لديها طريقة لمعالجة المجاعة والاستياء العامين الاّ باستعمال الشدة مع شعب هائج يموت جوعاً . ومع ما كان عليه مجلس الدوما من المحافظة والانحياز الى جانب الحكومة القيصرية والميل

الى التعاون معها الاّ انه بعد ما جابه الواقع خرج عليها لشدة تأثره من المجاعات والفوضى التي تداهم الشعب باشتداد يوماً بعد يوم . وهكذا اصبحت منصة الخطابة فيه المحل الوحيد في روسيا حيث يتيسر للحرّ التعبير عن آرائه وموقفه بحرية لذلك أخذ اعضاء الدوما يهاجمون الوزراء مهاجمات شديدة جدًّا ناسبين الخيانات الى الرجال الذين كانوا يديرون الحركات الدبلوماسية والعسكرية معاً . وزاد في هياج المجلس رواج اخبار مؤداها ان الحكومة كانت تفاوض العدو سرًّا ولما بحثت هذه الاخبار في الدوما وانتقد اعضاؤه الحكومة انتقاداً شديداً تشجع زعماء الاشتراكيين واشتدت قوتهم بين العمال في المدن ونظموا الاضرابات العامة في بتروغراد العاصمة وموسكو والمدن الصناعية الاخرى وفي وسط هذا الهياج والاضطراب والخيبة اصدرت الحكومة القيصرية اوامرها بحل المجلس وطلبت من العمال انهاء الاضرابات لكن الدوما رفض التفرق و يعز العمال اوامر الحكومة التفاتاً وهكذا اندلعت نيران الثورة كلهيب احمر يتقد في السماء

***

بدأت الثورة الروسية الاولى في بتروغراد في مارس سنة ١٩١٧ قبيل دخول الولايات المتحدة الحرب بجانب الحلفاء وبدأت كما تبدأ سائر الثورات عادة . اذ خرج العمال المضربون والسكان الجائعون في شوارع العاصمة يهاجمون الحكومة ويطلبون الخبز والطعام . وكان القيصر غائباً عن العاصمة عندئذٍ لكن وزراءه حاولوا صرف الجموع او تفريقها باخراج جنود الحامية في بتروغراد لكن الجنود رفضوا اطاعة الاوامر الصادرة اليهم بمقاتلة اخوانهم بل التحقوا بالجموع الثائرة المالئة جميع الشوارع . وحمل الشعب الروسي — كما حمل قبله الشعب الفرنسي في ثورته الكبرى سنة ١٧٨٩ على سجن الباستيل — على الباستيل الروسي وهو القلعة المعروفة باسم قلعة القديسين بطرس وبولس واطلقوا سراح المسجونين . وبينما كانت الجموع تقوم باعمال الثورة في المدن والارياف تشكلت لجنة من اعضاء مجلس الدوما نصبت نفسها بنفسها وقبضت على اعنة الموقف وعينت وزارة جديدة واقامت حكومة موقتة ووعدت بوضع دستور جديد وترأس الحكومة الموقتة (مليوكوف) زعيم الاحرار ثم اعقبهُ (كرنسكي) زعيم الاشتراكيين الدمقراطيين . اما القيصر فقد اضطر ازاء هذا الموقف ان يعلن تنازلة عن العرش وأُخذ سجيناً مع عائلتهِ

وفي اليوم الذي تشكلت فيهِ الحكومة الموقتة نظم مجلس عمال (سوفيت — Soviet) بتروغراد من مندوبي العمال والجنود . ولما كان لكل من الحكومة الموقتة وسوفيت العمال وجهات نظر مختلفة اخذ كل منهما يصدر اوامر يناقض بها الآخر . لكن السوفيت تمكن اخيراً من ارغام الحكومة الموقتة على قبول سلسلة من الاوامر والانظمة التي حل بموجبها انظمة الجيش القديمة وبذلك تمكن من اضعاف قوة الجيش المعنوية وكانت قبل قد اضعفها الارتباك السائد في ادارتهِ . ولكي يتحاشى

السوفيت والحكومة الموقتة السير في وجهات متضاربة شكّلا تحالفاً في شهر مايو لكن جهودها المشتركة لم تمكنهما من وضع حد للارتباك الذي كان يسود البلاد سواء في الجيش ا الحالة الاقتصادية الحرجة

ولما زاد الموقف حرجاً وسوءاً في ربيع سنة ١٩١٧ لم يقوَ الاحرار ولا الاشتراكيّ الدمقراطيون (المنشفيك) على معالجة الحال في ظل الحكومة الموقتة والتحالف الذي اعقبها فزاد نفوذ (الحزب البلشفي Bolshevik Party) — وهو الفرع المتطرف من الحزب الاشتراكي الدمقراطي في ادارة شؤون الحكومة واخذوا على عاتقهم معالجة الموقف بأن اكدوا بوجوب تحقيق الث الاقتصادية والسياسية معاً . وساعدهم على تحقيق مبدئهم ان العمال اخذوا يستولون على الم والفلاحون يطردون الملاكين من اراضيهم ويحتلونها . ومع ان البلاشفة لم يكونوا اكثرية الش الروسي الاّ انهم كانوا حزباً منظماً لهم منهاج معين واضح سهل على الجنود والعمال والفلاحين و واتباعه اذ كانوا يرمون الى عقد السلم حالاً ونبذ المطامع الاستعمارية القيصرية واعلان (دكتاتورية ا Dictatorship of The Proletariat) ليبدأوا بانشاء (المجتمع الخالي من الطبقات Less Society الذي تصبو اليه (الشيوعية ـ Communism) وزد على ذلك ان الحزب البلشفي كان يمتاز عن الاحز الاخرى بزعمائه المخلصين الاكفاء أمثال (نيقولاي لينين ـ Nikolai Lenin) و (ليون تروتسكي Léon Trotsky) و (جوزيف ستالين ـ Joseph Stalin) وقد كان الاثنان الاولان في المنفى حـ روسيا عند ابتداء الثورة لكنهما لم يتأخرا عن الاسراع في الرجوع اليها وقيادة اتباعهما قيادة عملية

ان في ناحية القيادة في هذه الثورة ما يماثل القيادة في الثورة الافرنسية سنة ١٧٨٩ ا انتقلت السلطة من ميرابو الى دانتون ومن دانتون الى روبسبير كذلك في الثورة الروسية سنة ١٩١٧ انتقلت السلطة من مليكوف الى كرنسكي ومنهُ الى لينين . وهكذا زادت كل من الثورتين اض بانتقال القيادة فيها من زعيم الى آخر . ولم يتأخر زعماء البلاشفة عن تمكين سلطتهم في بتروغراد وموسكو والمدن الاخرى . وباعتمادهم على الجيش تمكنوا ان يسقطوا الحكومة الموقتة في نوفمبر سنة ١٩١٧ فحققوا نجاح دكتاتورية العمال

وبعد اتمام الثورة الروسية الثانية المعروفة بالثورة البلشفية عين مؤتمر السوفيت (of Soviets) مجلس قوميسارية الشعب (Council of Peoples Commissars) برآسة لنين واسند شؤون الجيش الى قوميسار الحربية تروتسكي . وحال تسلّم الحكومة البلشفية زمم الحك اقترحت وجوب عقد الصلح بين الدول المتحاربة وعند ما رفضت الدول قبول اقتراحها هجرت حلف الحلفاء وبدأت تفاوض المانيا على حدة فعقدت معها معاهدة (برست لتفسك Brest-Litovsk) مع ان المعاهدة كانت مجحفة بحق روسيا القيصرية الاّ ان البلاشفة قبلوها لانهم لم يكونوا يرغبون في تحقيق غايات الحكومة القيصرية الاستعمارية اذ لا تتفق مباديهم الشيوعية مع الحرب والاستعمار

وكذلك ارادوا ان يتخلصوا من مشاكل اوربا الرأسمالية ليوجهوا جهودهم الى إكمال الانقلاب الذي في حياة البلاد الاقتصادية والسياسية ليؤسسوا النظام الاشتراكي . وفي خلال ذلك اخذوا يط سلسلة من المراسيم والانظمة يلغون بمقتضاها التملك الفردي لوسائل الانتاج والتوزيع معلنين جميع السكك الحديدية والبنوك والمعامل والمناجم والاراضي من ايدي الافراد من الطبقة الا والبورجوازية لاستخدامها وتسييرها للنفع العام من قبل حكومة العمال والفلاحين والجن القيصر فلم تمض عليه مدة طويلة في السجن حتى قتل مع عائلته واعملت الحكومة القتل وا والنفي في كثير من اعضاء الاسرة المالكة والامراء والملاك وموظفي الحكومة القيصرية ، ومحرري الصحف الرأسمالية وكل من كان له علاقة عما ة بالحكومة القيصرية . ولم تتأخر الحك الجديدة عن تعيين مندوبين سوفياتيين في ادارة الصناعة في جميع انحاء البلاد وحلوا الك الارثوذكسية التي كانت الكنيسة الرسمية للامبراطورية القيصرية . وهكذا لم تمض بضعة حتى وضعت البلاد على اساس شيوعي من ناحية التشريع والانظمة والادارة معاً

***

لكن هذا الانقلاب لم يرق حلفاء روسيا السابقين الذين كانت لهم كثير من المعدات الحر والمؤن في موانىء روسيا وكذلك كانوا يرون في نجاح البلاشفة في روسيا قضاء على موقفهم الح وخطراً يهددهم بفقدان طبقاتهم الحاكمة الثروة التي تعتمد عليها للسيطرة على جماهير العمال في ا والبلاد المستعمرة ومعنى هذا القضاء على المبدإ الفردي الذي تعيش في ظله الطبقات الرأسما الاستعمارية . لذلك اسرع الحلفاء بارسال فرق من جيوشهم بحجة المحافظة على اموالهم وبذلك سهل كثيرين من المعارضين للبلاشفة التجمع في الموانىء والالتجاء الى فرق الحلفاء حتى اخذوا ينظمون حملا لاسقاط الثورة . وزيادة على ذلك تضافر الحلفاء بعد خروجهم من الحرب لمهاجمة بلاد الاتحاد السوفيا من جميع الجهات فجردوا حملة بولندية واخرى تشيكوسلوفاكية من الغرب واحتلت جيوش بريطا مناطق النفط في قفقاسية وتقدمت قوات المهاجرين من الروس البيض في الشرق الاقصى تساعد اليابان والصين وبريطانيا وتابعت هذه الحملات تقدمها نحو موسكو خلال سنى ١٩٢٠ ـ ١٩٢١ حتى أصبحت على مقربة منها لكن البلاشفة عرفوا كيف يستعيذوا من هذا التدخل ، وقد كا الحلفاء يرمون به الى اقتسام امبراطورية آل رومانوف . فاستنفر رجال الحكومة الجديدة الشعب الروسي المتحرر فاتحد لمقاومة الدسائس والحملات الاجنبية التي كان يرى انها ترمي الى اعادة حكومة القيصر الطاغية . وقد تمكن البلاشفة من ردّ الحلفاء وراء الحدود بفضل الجيش الاحمر والخطط الحربية والسياسية التي تبعوها وهكذا قضي على حركة ضد الثورة وعلى التدخل الأجنبي بسرعة ونجاح وخرج البلاشفة أقوى مقاماً وأعم سلطة مما كانوا قبلا

(التتمة في العدد القادم)

مقام البترول

في سياسات الامم الحربية والصناعية

لما اشتدت الحرب الكبرى ، وضيق الخناق على فرنسا ، في ايامها الاخيرة وقبيل انفراجها النهائيّ كاد البترول ينفد من مستودعات فرنسا ، فاضطرب كلمنصو وقلق، فأرسل برقية فيها توسل شديد ودعاء حار طالباً من الرئيس ولسن ان يمد فرنسا بالبترول . ولخصت الصحف هـذا التلغراف حينئذٍ بقولها ان كلمنصو قال لولسن : « كل قطرة بترول تعدل قطرة دم »

وللبترول ، في هذا العصر ، مقام خاص في حياة الدول السلمية والحربية ، ولذلك تسعى الشركات الكبيرة والحكومات الى السيطرة على منابعه ، وحول هذا السعي نسجت طائفة من الدسائس الدولية تبعث على الدهشة في دقتها وإحكامها . وفي سبيل هـذه السيطرة تثار الثورات والحروب الاهلية أحياناً ، لكي يمنع فريق من اصحاب المصلحة فريقاً آخر منافساً له ، من الفوز بالمنابع دونه . فقد قرأنا عن الثورات المتعاقبة التي حدثت في المكسيك من مطلع هذا القرن الى الآن ، ما حملنا على عزو هـذه الثورات الى فوران الدم المكسيكي وحرارته واندفاعه ، طبيعة ورثها عن أسلافه ، وتعززها احوال البلاد المناخية وتاريخها الحديث . ثم اطلعنا على كتاب لكاتب يحمل تبعة ما ينشره باسمه ، ان شركات البترول ، في اوربا واميركا ، كانت تتنافس على الفوز بمنابع البترول الغنية في المكسيك فاذا كان صاحب السلطة يميل الى فريق منهما ، بذل الفريق الآخر المال لاثارة الخواطر . ومن زعيماً آخر بالتأييد والمال ، اذا هو تقلد الحكم ومنحهم ما يطلبون من الامتياز ، وليس في هذا التعليل ما هو غير معقول . فما هو السر في ذلك ؟

الحضارة الحديثة قائمة على الصناعة الآلية ولا بد للصناعة الآلية من الوقود . وفي هاتين العبارتين يتلخص سر مقام البترول في شؤون الدول . ذلك ان البترول يفوق كل اصناف الوقود المستعملة في الصناعة حتى الآن

فاستنباطه سهل كل السهولة ونقله أسهل فليس على الشركة التي تملك منابع بترولية الاّ تمدّ الانابيب من منطقة المنابع الى معامل التقطير او الى اقرب المرافىء فينقل في سفن خاصة ... لنقله . كذلك تقل نفقات العمال الذين يتولون استنباطه وتصفيته ونقله الى أدنى حد ممكن . ثم ان الحرارة التي يولدها قدر معين منهُ ضعف الحرارة التي يولدها مثل ذلك المقدار من أفخر انواع الفحم وهذه الامور تضمن لهُ سعراً نسبيًّا أرخص من سعر الفحم ، وتجعل صناعته بمعزل عن القلاقل الصناعية التي تستولى على المعدنين وغيرهم من طوائف العمال

لذلك ترى استعمال هـذا السائل الثمين، هذا « الذهب الاسود » كما دُعي ، يتسع نطاقه رويداً رويداً في السفن الحربية والتجارية وسكك الحديد والصناعات على اختلافها ، فضلاً عن السيارات

والطيارات وما اليها . ففي الولايات المتحدة التي بلغت أرقى مستوى من التقدم العلمي يستعمل البترول في معظم مصانعها . وشركات السكك الحديدية في أمريكا وروسيا تستعمله في قاطراتها دون اياه على الفحم . على أن فوائده تتجلى في السفن الحربيه والتجارية . واليك المثل :—

لنفرض اننا نريد الموازنة بين سفينتين متماثلتين . احداهما بخاريه يسيرها الفحم والاخر يسيرها البترول . وان قوة كل منهما ٢١ الف حصان فالآلة البخارية التي تولد ٢١ الف حصان يجب أن يكون وزنها نحو ٣٤٠٠ طن ، وأما الآلة البترولية التي تولد القوة بنفسها فوزنها الف طن فقط كذلك تستهلك الاولى نحو ٣٦٠ طنًا من الفحم كل يوم . أما الثانية فتستهلك مائة طن من البترول لتوليد القوة نفسها . فاذا استعدت السفينتان لرحلة طولها خمسة عشر يوما . وجب على الاولى ان تحمل ٥٤٠٠ طن من الفحم تملأ ٧٠٠٠ متر مكعب . أما الثانية فتكتفي بألف وخمسمائة طن من البترول تملأ نحو ١٧٠٠ متر مكعب

فينجم عن ذلك ، ان الباخرة (أي السفينة البخارية) لا تستطيع ان تحمل من الوقود أن تسير اكثر من خمسة عشر يوماً ، من دون ان تدخل الى مرفإ خاص لتتموّن فيه . مع انها لو استعملت مخازن الفحم فيها لخزن البترول ، وحولت آلتها البخارية الى آلة بترولية لتمكنت من السير ٢٧ يوماً من دون ان تضطر الى دخول مرفإ ما لهذا الغرض

أما السفن الحربية فتفوّق البترول على الفحم فيها أجلى منهُ في السفن التجارية

ان مداخن السفن الحربية المسيرة بقوة الفحم . والدخان المنطلق منها ، تنم عن السفن نفسها على بعد عشرة كيلو مترات ، لكن السفن التي تسير بالبترول لا ينطلق منها دخان ولا هباب ، ولا حاجة بها الى المداخن ، فلا تبدو السفينة الحربية منها ، في منظار قائد العدو . الا خطًّا اسوديًّا على الأفق

ثم ان الاسطول المسيَّر بالبترول ليس مضطرًّا ، الى دخول المرافىء لتموّن الوقود . اضطرار اسطول المسير بالفحم . وهو لذلك أخف وراً وأعظم سرعة . فاذا قرن ما يجب أن يحمله من الوقود ، للسبب الذي قدمناه ، تمكن صانعوه من استعمال فرق الوزن في زيادة كثافة دروعه وحامة مدافعه

ومما يمتاز بهِ الاسطول الحربي المسيَّر بالبترول سرعة حركته . فاشعال النار في الفحم وتوليد الضغط الكافي في المراجل حتى يكثف البخار ويدفع الاسطوانات ، يستغرق ساعات ، أما اذا استعمل البترول ، فلا يمضي نصف ساعة على تلقي الامر بالرحيل ، حتى تكون السفينة مستعدة للقيام ثم تمضي ٣٥ دقيقة أخرى حتى تكون قد بلغت سرعتها العادية وبعد ست دقائق أخرى تبلغ أقصى سرعتها المستطاعة ، يضاف الى ذلك ان الاضطرار الى مواصلة السير ، لا ينهك الرجال الذين في يدهم الآلات ، وهم يعدون على أصابع اليد او اليدين ، ثم ان تموينها بالبترول سهل وسريع ، لا

يقتضي عمالاً كثيرين وقذراً كالغبار الاسود المتطاير من الفحم لدى تعبئته . ان تموين سفينة الاولمبك بالفحم تستغرق خمسة ايام ويقتضي عمل ٥٠٠ رجل اما تموينها بالبترول فلا يستغرق اكثر من ١٢ ساعة ولا يقتضي اكثر من عمل ١٢ رجلاً . وعلاوة على ذلك ان تموين السفينة بالبترول يمكن ان يتم وهي في عرض البحر بواسطة نقالات البترول ، وكل منها لا تخرج عن كونها حوضاً كبيراً عائماً ، فتمتد الانابيب وفي بضع ساعات ينقضي الامر ، وهذا متعذر اذا أريد تموينها فحماً

هذه الاعتبارات الخطيرة حملت انجلترا وأميركا سنة ١٩١٢ على استعمال البترول في معظم سفن اسطوليهما وحمل المانيا على استعماله في ٢٩ طراداً من طراداتها وروسيا في جميع سفنها الحربية في بحر بلط

اما فرنسا فكانت متأخرة عن مزاحماتها ، عند نشوب الحرب الكبرى ، فكانت لا تملك في اسطولها الحربي سفينة واحدة من السفن الكبيرة ، تسير بالبترول ، ولكنها اصلحت هذا الخطأ بعد الحرب فقد جاء في قول المسيو فلاندان سنة ١٩٢٨ « في المستقبل القريب يعفو أثر الفحم كوسيلة من وسائل الوقود في سفننا الحربية ، وجميع سفننا الجديدة سوف تسير بالبترول »

ويصح القول الآن بأن كل الاساطيل الحربية التي لها شأن دولي ما ، قد عمدت الى استعمال البترول في وحداتها الجديدة ، وقد لا تمضي بضع سنوات حتى نودع السفن البخارية الاخيرة بنفس البسمة الساخرة ، التي ودع بها اسلافنا الاولون من قبلنا السفن الحربية الشراعية التي حاربت في طرف الغار ونافارين

ومن المؤكد انه لو لم تكن انجلترا وأميركا من حلفاء فرنسا في الحرب العالمية ، لكان لهما فرنسا لسياستها البترولية قبل الحرب سبباً في خذلانها وهزيمتها

لذلك صرح مدير احدى شركات البترول البريطانية « ان الامة التي تسيطر على البترول تتقلد زمام التجارة العالمية فلا الجيوش ولا الاساطيل ولا الاموال ولا كثرة السكان نفسها ، تغني عن البترول في هذا العصر فتيلاً . وصرح المسيو هنري برنجه المفوض السامي « للبترول » في واشنطن كلمنصو — قال سنة ١٩١٩ — (من يحز البترول يحز الملك — ملك البحر بالبترول السكنيف (الوسخ) وملك الجو بالبترول المصفى (اي اعلى اصناف البنزين للطيارات) وملك اليابسة بالبنزين والغازولين (للسيارات والدبابات والنقالات والمصانع وغيرها) وملك العالم بالقوة المالية المرتبطة بمادة هي اثمن وأقوى واتم سيطرة على الارض من الذهب نفسه »

ثم قال : — ان الامة التي تصبح سيدة لتموين البترول ، تشهد تيارات الملايين من اموال الناس متدفقة نحوها ، لتنفق فيها ثمناً له ، فسفن الامم الاخرى لا تستطيع ان تسافر الا اذا دخلت مرافئها وتموّنت من احواضها . فاذا بنت اسطولا تجارياً فليس ما يحول دون سيطرتها الكاملة على تجارة العالم البحرية . ثم لا تلبث الصناعات ان تنشأ وتترعرع حول مرافئها ، وتصبح في ايدي مديريها السيطرة التامة على الاعتمادات المالية الدولية ، فتسيطر على الصناعة والتجارة والسياسة نفسها

خواطر مثقفة عصرية

عندما عرفت ان زوجها مُشْفٍ لا يرجى وبعد وفاته

قال الطبيب : اظنك تستطيعين ان تتحملي صدمة الملم . ليس ثمة امل في ان يفوز زوجك بالحياة والراجح انهُ سيموت فجأة — وقد يكون ذلك غداً او في الاسبوع القادم او في الشهر القادم حتى في السنة القادمة . وليس في وسعك الاّ ان تعتني بهِ وتعطفي عليهِ ولكن يجب ان تكوني مستعدة لصدمة ذلك اليوم

ولذلك مضى عليَّ شهر وانا احاول ان الاءم نفسي للحال الجديدة ، مهتمة كلّ الاهتمام باخفاء حقيقة حاله عنهُ . ومع انني لا اوافق على اخفاء حالة المريض عنهُ بوجهٍ عام . ارى انهُ يتعذّر على اي انسان ان يقول لاحبّ انسانٍ اليهِ، «ليس في وسعك ان تشفى» . او «انك مائت لا محالة» . وقد اعددتُ نفسي لذلك اليوم من الناحية العقلية. فاستطيع ان ادبّر امري واتوقع حكم القدر. وان الآن اعلم بالضبط ماذا افعل عندما تأزف الساعة . ولكن من ناحية الشعور احسُّ بانني لا ادري ما يكون شعوري حقيقة عندها . فانني عاجزة عن ان اتصوّر كيف تكون الحياة من دون الرجل الذي شاطرني كلّ جزءٍ وكلّ ناحية من حياتي مدى عشرين سنة . ولذلك ارائي عاجزة عن تصور شعوري حينئذٍ ومما يزيد الامر وقعاً في نفسي ان زواجنا كان زواجاً نادراً لانهُ كان اشتراكاً تعاونيًّا من جميع الوجوه . فقد مضت سنوات لم يفترق فيها احدنا عن الآخر اكثر من بضع ساعات . ولم يخف في خلالها احدنا عن الآخر سرًّا ما . فمتى مات زوجي افقدهُ حبيباً وصديقاً وزميلاً . ليس لنا اولاد وقد تخطينا الشباب ودرجنا الى الكهولة ، ومحبة كلٍّ منا كانت مركّزة في صاحبهِ . واكاد لا اصدق انهُ في يوم من الايام سوف اشرع اعيش وحدي — أعمل ، وألهو ، وآكل ، وأنام وحدي ! كيف استطيع ان اتمتع بمطالعة كتاب ، او بمشاهدة شريط سينمي ، او بسماع برنامج لاسلكي اذا كنت لا استطيع ان ابدي رأيي فيها لهُ . كيف استطيع ان اقضي سهرة عند جماعة من الاصدقاء من دون فترة تعقبها في البيت حيث نتحدث عما رأينا وسمعنا ؟ كيف استطيع ان اغتبط بما أحرزه في عملي من الظفر ، او كيف استطيع ان اتحمل ما يعروني من القنوط احياناً ؟ كيف استطيع ان اعنى بنفسي ، محاولة الاحتفاظ بفضاضة شبابي وحسن هنداميَ ؟

سوف لا امتنع عن اي شي من هذا . وانني لاحتقر الارامل اللواتي يلنّ للحياة عند ما تحلّ بهن مصيبة ، فيجعلنَ حياة اصدقائهنّ وصديقاتهنّ مترعة بالبؤس لشدة ما يتنهدنَ في المجتمعات او لشدة ما يمتنعنَ عنها

اما انا فلن ابكي وأولول متكئة على اكتاف الآخرين ، ولن اتحدث حديثاً لا ينقطع عما اصبته من السعادة مع « هيو » ولن اكون باعثاً من بواعث الكدر والانزعاج في اجتماعات اصحابي

ولست اطلب الآن أن أُترَك وشأني ، في مكافحتي للتغلب على كل هذا . ولكنني لست ادري استطيع ان اتحمل هذه الوحدة . انه لا سهل عليّ ، ان افقد ذراعي ، او عيني ، على ان أُنزع النزع العنيف الاليم من رجل اصبح جزءاً من حياتي وشخصي لا يتجزأ عنهما

ومع ذلك فالحياة ماضية في طريقها المرسوم . و « هيو » يظن انهُ ناقه ، او انني ارجو يتصور ذلك . فهو عاجز عن ادراك الحقيقة ، والا لما وجب عليّ ان اتبعه طوال النهار محذر التعب محرضة على الراحة . ومع ذلك يجب ان لا اشغل بالهُ كثيراً بعنايتي لان شغل البال به لشدة ضعفه من رفع حمل ثقيل . ثم يجب ان ادر عنايتي به . بحيث لا توقظ في نفسهِ اي في حقيقة حاله . وانهُ ليسرني انني استطيع ان افعل كل هذا

ولكن في ضمن هذا النطاق الحافل من الحياة اليومية ، اجدني ، اجد نفسي الحقيقية . ع مرتاعة ، محاولة ان تدرع درع الشجاعة ، آناً سائرة في دردور ، وآناً محلقة في فراغ ، عالمة ان في اية دقيقة ينفصل النطاق الخارجي ، فتبرز هذه النفس من عالمها الخاص الى عالم الحقيقة الواقعة . انني اكتب الكلمات الآن ، وقد ارفع بعد هنيهة نظري الى زوجي وهو يصغي الى اذاعة الراديو ، فأسأله ولا

وبعد ذلك

كنت احسب انني اعددت نفسي لفقده . والآن أراني على خطإ . لم أستعد عند ما دنت الساعة الاخيرة ، مع انهُ سبقها يومان عانى فيهما آلاماً جسدية وعقلية أيّ معـ فنظرت في كل الشؤون الخاصة التي تبعث في النفس ذلك الالم العميق الذي لا قرار لهُ . لم أ دمعة واحـدة في اليوم الاول لشدة تعبي وهول مصابي ، وقد انقضى عليّ شهران الآن ماضية في عملي المألوف محاولة ان املأ كل دقيقة من ساعات اليقظة بعمل يصرفني عن التأمل و ويمنعني عن الشعور بالوحدة الاليمة . وقد بدا لجميع معارفي انني قابلت مصابي ، بهدوء عجيب ، فلا أحد زملائي في العمل يحدثني أمس في موضوع لهُ صلة بزوجي طلبت منهُ فجأة ان يغير الموـ فقال دهشاً « لقد واجهت مصابك بشجاعة وصبر ، فلم يدر في خلد أحدنا أنك متأثرة بهِ الى هذا الحـ

لم استطع حتى الآن ان أنشط الى زيارات بيوت اصدقائي ، ولكنني لا أمتنع عن قـ زيارات اصدقائي والتحدث معهم في هدوء في كل موضوع حتى في كل ما يتصل بزوجي . وقد دعـ من أسابيع الى بلدة اخرى لانقل رماد زوجي في قارورة ، وانني لن أنسى كيف جاهـدت لأ نفسي عن الاعوال أمام الناس في القطار وأنا ضامة تلك القارورة الى صـدري الذي لن يـ اليهِ رجل آخر بعد الآن . فلما وصلت الى داري اوصدت الباب وتهالكت على مقعدٍ . ولكـ تمض ساعة عليّ حتى كنت جالسة أمام مكتابي أقوم بعملي اليومي . الا ان الشخص الذي يـ هذه الاشياء ليس أنا ، لان « أنا » التي كانت تهتمّ بالحياة تحولت رماداً في محرق الجثث

وقد تعلمت شيئاً جديداً من رسائل التعزية . انها تُسيل جراحاً تكاد تلتئم . فأفضل أصدقاؤك وأنت تسير في وادي ظلّ الموت ، أن يتركوك تجتازه . وكثيراً ما قيل لي ، ا يدمل الجرح ، ويخفف من وقع الضربة ، كأن الانسان يجد شيئاً من التعزية اذ علم ا يخوض جحيماً مدى سنة أو سنتين او خمس سنوات فقط . لقد ذكرني من أراد تعزيتي «هيو» ولطفهِ ودماثتهِ وهذه كلها أمور أعرفها معرفة أتمّ وأعمق من معرفتهم هم . وقد ا انهُ خيرلهُ ان يموت من أن يعيش مريضاً مزمناً مع انني علمتُ من شفتيه انهُ كان يفضل ا حبًّا على اية حال . وقد قيل لي كذلك انهُ اخذ نصيبهُ من الحياة ، وانهُ بلغ من العمر سنًّا حالة انني انظر من النافذة فارى رجلاً يصحُّ ان يكون والد « هيو » وهو عائد من رياضته في الخلاء . ويزاول الذهاب الى مكتبهِ ستة ايام في الاسبوع . ولكن « هيو » الذي كان واس ألمعيّ الذهن ، قد مضى ولن يعود

وانا الآن مشغولة بتفكيك بيت قضينا عشرين سنة في انشائهِ لان دخلي لا يسمح لي باستبقا انهُ اكبر مما احتاج اليهِ . ولست احتمل احداً آخر يشاطرني بيتي بعده رجلا كان او امرأة . و اراني مضطرة ان اتخلّى عن جميع القطع التي كان لها مكانة خاصة في نفوسنا ، فجعلت لنا من الشقـ

عرفت رجلا احتفظ بكل شيءٍ في داره ، بعد وفاة زوجتهِ ، على ما كان عليهِ في حياتها . «البودرة» وقلم «الاحمر» على مائدتها زينتها ، وفساتينها معلقة في خزانتها . وامر الخدم بان يعدّو مكانها على مائدة الطعام كلَّ صبحٍ وظهر ومساءٍ ولكنني اظنّ هذا نوعا من الشعور المريض

وانني لاشكر الله انني قويتُ حتى الآن على مواجهة الحالة الجديدة بكل مقتضياتها العسير ولكن الزمن لم يخفف من وقع الصدمة كما قالوا . بل انا لا اصدق ان الزمن يدمل الجروح . ، كان جدّي في الثالثة والثمانين عند ما حضرتهُ الوفاة . وكان آخر لفظ فاه بهِ ، اسم اول فتاة احـ قبل ان عرف جدتي

ولكنني اعدّد النعم القليلة شاكرة . واذا كان لي ان اسرَّ ، فقد سرّني انهُ سبقني . لانني سبقتهُ ، لتحيّر واضطرب وعجز عن مواجهة مقتضيات حالتهِ الجديدة . ثم أنهُ يسرني انهُ ء الآن لا يتألم . ويسرني كذلك انني استطيع ان اتذكر الآن . دلائل حبي لهُ ، وقيامي على عهده وعنايتي بهِ . بل لاغتبط انهُ كان محبوباً من جميع عارفيه وانهم عرفوا قدرهُ ومكانتهُ

***

ولكن ذلك لا يكفي . فحبنا كان يزداد ويقوى يوماً بعد يوم فلم يفقد جدته ، بذهاب روا الشباب . وكنا لشدة صلتنا أحدنا بالآخر ، نحلم في بعض الليالي الاحلام نفسها ، او يجيب احدنا عن الاسئلة التي تجول في خاطر الآخر . فقد كان أحدنا قلب كيان الآخر ، والباعث لهُ على حب الحياة ، ومواسيهُ في الخيبة . كان الفردوس فردوسي ، ولكنه ضاع ، ولن يستعاد !

الصحة والطقس

للدكتور فيليب شدياق

نشر الدكتور فيليب شدياق سلسلة من المقالات الصحية في ال
وعلاجه في جريدة الاحتشن قبل فرأينا ان نلخص احداها
من الفوائد الصحية العامة .

« آخر دوا تغيير هوا » من الامثال السائرة . وقد ينطوي هذا القول على شيء من ال
بعجز وسائل الطبيب فيحاول عندئذٍ ان يتخلص من مريضه بارساله الى اقليم آخر لتبديل ا
ولكن اطلاق هذا المثل القديم اصبح لا يتفق بوجهٍ من الوجوه مع التقدم العلمي الح
التفريق بين أنواع مختلفة من الطقس والجوّ والاقاليم وهذا يمكن الطبيب من ان يصف لل
الطقس الخاص الذي يتفق وعلتهُ الخاصة . ولذلك تُحسَب الاقامة في جوّ موافق جا
متمماً لوسائل العلاج العلمية

والاقليم من الوجهة الصحية هو تأثر الأحياء بماءِ منطقة ما وتربتها وهوائها . وه
يتوقف : (اولاً) على العوامل الجوية كالحرارة والنور والرطوبة والريح (ثانيا) على
الارضية كالارتفاع عن سطح البحر والتربة والنبات

***

اذهب الى قلم الجوازات وراقب مئات الناس المنتظرين هناك بفارغ صبر الحصول على
اللازمة على جوازاتهم ليتمكنوا من السفر الى بلاد يصيبون فيها جوًّا أبرد من جوّ
أين يذهبون لقضاء فصل الصيف ؟ إما الى جبلٍ وإما الى ساحلٍ من السواحل حيث الشاطئ
الرياضة والاستحمام بماءِ البحر ، ولكن كيف يفضلون هذا على ذاك أو ذاك على هذا ؟ لا
كان في الجبل فوصفهُ وصفاً يأخذ بمجامع النفس ، او لان صاحباً قضى صيفه السابق على
فتحدث بمحامده ولم يكلّ ، وكلاهما قال ان نفقات المعيشة معقولة

ولكن قلما تجد مصطافاً — الاّ في القليل النادر — يدرس المكان الذي يقصد اليه من
ارتفاعه ، والرياح السائدة فيهِ ، ورطوبة هوائه ، حتى يتأكد أن كل ذلك يتفق ومطالبه
بوجه عام . والغالب ان يذهب الناس الى اماكن الاصطياف ، خبط عشواء ، فيذهبون و
وقلما يجنون فائدة تذكر من الذهاب والاقامة والاياب

اذا كانت حالة اعضائنا الرئيسية متعبة ، وكان عملنا يسمح لنا في تبديل الهواءِ فلماذا
الى طبيب يفحصنا ويشير علينا ببقعة نستريح فيها وتكون مؤاتية للقلب والكلى والرئتين
فللحرارة شأن كبير في صحة الانسان ومرضهِ . واثرها الضار في الكبد واعضاء الهضم

من أن يذكر . وامراض الرئتين يؤاتيها الاقليم المعتدل . وفي معالجة سل الرئتين لا يكفي ان تكون الحرارة معتدلة ، ولكن الجو يجب ان يكون مستقرًّا ، أو غير متقلب تقلبًا فجائيًّا يعرض المريض لما لا قبل له به . فالتقلب الفجائي بين الحر والبرد ، يؤثر في الجهاز العصبي الذي يضبط حرارة الجسم ويتطلب منهُ جهداً غير مألوف . وهذا يضني الجسم ويجب ان نتجنبهُ على أية حال

بل قد نقول في ما يتعلق بسل الرئتين ان الهواء الرطب رطوبة يسيرة مفيد لانهُ يريح الاعصاب حالة ان الهواء الجاف ضار لانهُ يهيجها . وعلى الضد من ذلك ان الهواء الجاف يؤاتي المصابين بروماتزم المفاصل وامراض الكلى حالة ان الهواء الرطب يضرُّ بها

فالمريض المصاب بسل الرئتين يجب ان يذهب الى مكان على شواطىء البحر الابيض المتوسط حيث الجو معتدل والهواء على جانب من الرطوبة . ولكن هذا الهواء الرطب يتقلب ضارًّا اذا كانت التربة لرخوة لا تمتص المطر ، او ان امتصاصها لهُ قليل جدًّا . وهنا اريد ان اوضح ما اعني . فكثرة المطر لا تضرُّ المسلول . لان المطر بدلاً من ان يبرد الهواء يدفئه قليلا ويحول دون تقلباته المفاجئة ولكن اذا كانت التربة في منطقة ما . لا تمتص المطر بسرعة وسهولة . تصبح الارض وحلة شديدة الرطوبة . او اذا كان الهواء متقلباً يحدث في تقلبه تغييراً مفاجئاً في الحرارة وصفاء الجو . فتلك المنطقة لا تصلح للمسلول . ثم يجب على الطبيب ان يتبين مهابّ الرياح في منطقة ما قبل ان يصف تبديل الهواء فيها لاي مريض وخاصة المسلول . وخير الرياح ما يهبُّ من فوق البحار ، لانهُ يجيء معتدل الحرارة غير ملوث بالجراثيم . وشرُّها ما هب من بقع يغطيها الجمد او من الصحارى

*

واذا ذكرنا الارتفاع ، فعندي ان ارتفاع ١٢٠٠ متر هو الحدُّ الفاصل بين الارتفاع الذي يجهد المريض والارتفاع الذي يريحهُ

فالشواطىء البحرية تختلف عن الاماكن المعتدلة الارتفاع في ان ضغط الهواء فوقها كبير جدًّا وعدم تعرُّضها لانخفاض مفاجىء في الضغط وهو ما تحدثهُ الرياح الشديدة في الاقاليم المعتدلة الارتفاع . واذاً فالشواطىء البحرية من هذا القبيل توصف للمتعبين العاجزين — لاسباب في جهاز التنفس او في جهاز الدورة الدموية — عن الملاءمة السريعة بين اجسامهم والضغط الجديد الذي تحدثهُ هبوب الريح . وهذه الملاءمة السريعة مما تقتضيه الحياة في اماكن مرتفعة . فالمصابون بالسل او بالازما او بضعف القلب ، يحسّون بشيء من الفرج عندما يهبطون من الجبال الى السواحل

وللسن تأثير كبير في احداث هذه الملاءمة او العجز عنها . فالشبان اقدر عليها على قنن الجبال من المتقدمين في السن . وقلما نجد مصاباً بالسلّ ، يستطيع بعد سن الخامسة والاربعين ، ان يعيش في جو بارد وفي مكان مرتفع من دون ان يصاب باعراض الالتهاب . بل ان المسلولين المزمنين الذين صلبت جوانب من رئاتهم يعجزون بعد سنّ معيّنة عن المعيشة في مكان مرتفع

واذاً فالاماكن العالية ليست بالاماكن التي توصف للمصابين بتصلب الشرايين او ضعف الكلى او القلب او النزيف من الرئتين او للذين يتعرضون لفقد جانب كبير من وزنه بسرعة . نعم ان كريات الدم الحمر تتكاثر بسرعة في الاماكن المرتفعة ، ولكن البحث اثبت انها تتكاثر كذلك بعد اقامة قصيرة على شواطىء البحر . ففي خلال الاسابيع الثلاثة الاولى من الاقامة على شاطىء البحر تطرد زيادة هذه الكريات ، ثم تبدأ تقلّ ، ولكنها تبقى مع ذلك اكثر مما كانت قبل قدوم صاحبها الى الشاطىء

قلما يختلف جوّ الشاطىء عن جوّ الجبل من حيث النتروجين والاكسجين وثاني اكسيد الكربون ، ولكن الاوزون في هواء الجبال الحرجاء اكثر منهُ في هواء الشاطىء . الاّ ان هواء الشاطىء يفوق هواء الجبل بما يحتوي عليهِ من الملح واليود . والاوزون يختلف عن الاكسجين في ان ذرة منه تحتوي على ثلاث ذرات اكسجين ، وهي لذلك لها فعل مطهر ووجودها في الجوّ دليل وبرهان على نقائهِ . واستنشاق الاوزون يزيد مقدار الهيموغلوبين النسبي في كريات الدم الحمر . وهذا يؤدي الى تحسُّن الحالة الصحية بوجهٍ عام

اما اذا هبّت الرياح فوق البحر فانها تحمل دقائق من الملح نستنشقها مع الهواء الذي نستنشقه اما الملح في هواء البحر فليس مقداره ثابتاً بل يتغيّر بتغيُّر الاحوال . واما اليود فمقداره في هواء البحر ومقداره فيهِ يفوق ١٢ ضعفاً مقدارهُ في الهواء الذي يهبُّ في داخل البلاد بعيداً من الشاطىء

نوم الاطفال

من قواعد علم النفس الجديد ان السنوات الخمس الاولى من حياة الطفل لها اكبر مقام في حفظ صحتهِ العقلية والنفسية . وهي قاعدة تنطبق كذلك على الصحة الجسدية ، لان البيئة التي يعيش فيها الانسان ، والغذاء الذي يتناوله ، والعادات الصحية التي يتعودها ، لها اكبر مقام في حياته . وهذه تتأصل في تلك السنوات ويمتدُّ اثرها الى آخر الحياة

ومن الامور التي جزم فيها بعض العلماء والاطباء ان اهمال قواعد الصحة في سن الطفولة لا تعوضهُ اية عناية في المستقبل ، تعويضاً تامًّا . وعبء هذا العمل العظيم — عمل الاحتفاظ بقوى الاولاد الجسدية وتنشئة العادات الصحية الصالحة التي يعهد اليها في المستقبل في حفظ هذه القوى — يقع على كواهل الوالدين ولكنهُ يكفل نموّ الاطفال شباناً وشابات تفيض الصحة ويسيل النشاط من معاطفهم ومعاطفهن

وليس الغرض من هذا المقال الاّ ذكر بعض المسائل العلمية ومعالجتها من ناحية تطبيقها على صحة الاطفال . فلا بد للطفل من النوم الكافي لينمو صحيحاً ، جسداً وعقلاً . ومن الامور التي

لا يختلف فيها الباحثون ولكنها مع ذلك مما يبعث على اعظم الاسى . ان الاطفال في الجماعات المتحضرة ، كثيراً ما ينشأون رجالاً ونساءً ضعاف الاجساد والعقول . لعدم حفظ لهم في طفولتهم وما بعد طفولتهم على النوم الكافي الوافي . وانك لتستطيع ان تعرف الطفل المحتاج اشد الحاجة الى النوم من بعض عاداته . فهو في الغالب يغطُّ في النوم صباحاً ، وينهض عند ايقاظه متثاقلاً ، ويسرع في تناول فطوره ، ويتأخر عن الوصول الى مدرسته في الميعاد . وقلما يكون منتبهاً انتباهاً كافياً فصول المدرسة ، فاذا طالت حاجته الى النوم ، يشحب لونه وتضطرب اعصابه ، وينشأ هزيلاً ويصبح شديد التعرض لكل داء من ادواء الطفولة وامراضها

ومن الواضح ان تدبير كل ما يلزم لتمتع الطفل بقدرٍ كافٍ من النوم يقع على عاتق الوالدين وهؤلاء يجب ان يعلموا ، عدد ساعات النوم الذي يوافق عمر الطفل . فالوالد فيما يفعل غير الاكل والنوم . ثم ان الاطفال بوجه عام يحتاجون الى ١٤ ساعة نوم كل يوم الى ان يبلغوا السنة السادسة من العمر . والى ١٢ ساعة نوم بين السادسة والثانية عشر ، والى عشر ساعات نوم . فوق ذلك العمر

وميعاد النوم له شأن كبير في سلامة النوم . فالصغار الذين في الثانية والثالثة الى السادسة يجب ان يناموا حوالي الساعة السادسة مساء ثم يؤخر ميعاد نومهم رويداً رويداً حتى اذا بلغوا الثامنة من العمر كان ميعاد نومهم الساعة الثامنة مساء . وبعد ذلك يؤخر ميعاد النوم ربع ساعة بزيادة كل سنة في عمرهم ، حتى اذا بلغ الولد الرابعة عشرة من العمر . كان ميعاد نومه قد اصبح الساعة التاسعة والنصف مساء

وعلى الوالدين ان يجروا على هذا البرنامج جرياً دقيقاً حازماً . وقد يقال احياناً ان السماح للولد بتأخير ساعة نومه بمثابة عيد او هدية له . ولكن ذلك يجب ان يكون نادراً لئلا يتحول الى عادة . ثم يجب ان يتخذوا كل تدبير في وسعهم ، ليكون نوم اولادهم هادئاً ومريحاً . فالوالدون يجب ان يعنوا عناية كبيرة ، بازالة كل باعث من بواعث الضجيج في البيت وقت نوم الاطفال او على الاقل قرب حجرهم . اما حجر النوم فيجب ان يتخللها الهواء ، والفرش يجب الا تكون باردة حتى لا تحول دون تمدد الطفل فيها تمدداً يريحه . واذا كانت اغطية السرير وافية فيجب ان تترك النوافذ مفتوحة . ويجب الحيلولة بين الاطفال النائمين وبين تغطية رؤوسهم بأغطية السرير او بالوسائد

أما الدرس قبل النوم ، والقراءة في السرير ، فيجب ان يمنعا . ومن الواضح ان ما يأكلهُ الطفل قبل النوم يؤثر في نوع الراحة التي يصيبها من النوم . فاذا تأخر في تناول طعام العشاء وشرب معه الشاي او القهوة ، فالغالب ان تقطع نومه الاحلام المزعجه والكوابيس المرعبة

وأخيراً يجب ان يحال بين الهم والاضطراب والطفل الذاهب الى سريره . فاذا رأى الوالدان واحدهما ان امراً ما يقلق بال الطفل ، فحديث يستغرق خمس دقائق قبل النوم يريح بال الصغير ، فيصيب في نومه الراحة المطلوبة

آداب الحديث

من آداب الحديث والسمر عند الغربيين انك اذا اجتمعت باحد فاول ما يجب عليك معرفتهُ هو هل تراهُ اكثر ميلاً الى الاصغاء او الى الكلام فان كان يميل الى الاول فاكثر من الثاني او الى الثاني فاكثر من الاول والحديث الطيب هو ما كان منسجماً طبيعيًّا لا ثقيلاً ولا خفيفاً . كثير الفائده ولكن ليس الى حد الاشتغاف بالعلم واظهار بضاعتك منهُ . فكهاً ولكن بلا جعجعة . مهذباً ولكن بلا تورية

ومن شروطه ايضاً ان يكون بين بين في طوله لا خطاباً مستفيضاً ولا موجزاً الى حد الاقتضاب وان يكون معقولاً بحيث لا يحتمل الاخذ والرد والجدل الكثير . والحسن الحديث يحدث سامعيه عن كل شيء كيما يجتني كلٌّ منهم ما يهوى ويلتقط من درره المتساقطة ما يشتهي . وبحثه في جمع المسائل التي يتحدث بها سطحي أو اعمق من السطحي قليلاً ولكنهُ لا يغور الى قعر المسائل كما يفعلون في الجمعيات العلمية البحتة

ومن أقوالهم لا تحدث الموسيقي بالموسيقى ولا بالطب مثلاً إلاّ اذا كان مريضاً وكان الطب غائباً . ولا تحدث الناس بالمسائل المبتذلة عندك والمجهولة عندهم لئلا يكون مثلك معهم مثل الكلب في والثعلب اذ صنع الاول للثاني مأدبة وقدم الطعام اليهِ في قصاع بعيدة الغور ضيقة العنق فالتهم المضيف كل شيءٍ ولم يذق الضيف شيئاً

قالوا واسكت عن نفسك واطراء اقوالك واعمالك . فانها ان كانت حسنة تستحق المدح نشرت شذا عرفها من نفسها أو اتاح لها الله لسان حسود . وان كانت سيئة فكلما سكت عنها تحسن سمعك ولا تقطع على محدث حديثه واسكت اذا قطع الكلام عليك . وقل الخير عن الجميع . قال بعضهم « قل عن الناس كلهم ما يستطاع من الخير . واذا اردت ان يقال الشر على احد فاعهد في ذلك الى الشيطان »

من الحكايات اللطيفة التي يحكونها ان سيدة كانت تحدث ضيفة لها في منزلها في حضرة طفل لها والطفل لاهٍ يلعب بمعجون الدُّمى بين يديهِ . واذا بضيفة ثانية قد دخلت ثم ما عتمت ان انصرفت وبعد انصرافها جعلت السيدتان تفتشان عن عيوبها وتذكرانها باقبح الاوصاف فلم تبقيا ولم تذرا وكان الطفل في خلال ذلك مشغولاً بلعبهِ في الظاهر . ولكنهُ رفع رأسهُ هنيهة وقال للضيفة المحدثة « وهذا ما تقوله « ماما » عنك بعد انصرافك »

ومما قالوا ان سوء التفاهم وعدم الانتباه اكثر ضرراً من الغش والاحتيال

وليكن حديثك بالمسائل التي كثر بحثك لها وأصغ الى المسائل التي قلّ علمك بها فان المعرفة كالحَبِّ لا يصح استعمالهُ في الاعمال إلا بعد تجفيفهِ وتيبيسهِ . وليس شيء ادعى الى سآمة الحديث مثل ان يفرغ المحدث جعبتهُ في الموضوع الذي يتكلم فيهِ . قال كرومول الانكليزي : اذا كثر هرف محدثك فدعهُ وانصت له مسروراً اذن انت العاقل . واذا اخطأ في قول فاسكتهُ بكلام لا يقبل المراجعة . واذا صدق فافرح بقول الحق »

حديقة المقتطف

للمترقي

المدام ديبورد هلم

الشاعر والاولاد

الدكتور هوجو

الآنسة لكسور

لسولي ردوم

[illegible]

المفترقان

لمرام ديبورد فالمور

وهي شاعرة فرنسية ولدت سنة ١٧٨٥ وتوفيت في باريس سنة ١٨٥٩

..

لا تكتب ! فاني حزين اشتهي الموت
ما عهود الصيف الجميلة بدونك الاّ الحب لغير اشتغال
لقد طويت ذراعي لما اعجزهما الوصول اليك
والقارع على قلبي كالقارع على قبر

فلا تكتب !

لا تكتب ! فلا نعلّم انفسنا الاّ ان نموت
ولا تسأل الاّ الله ... والاّ نفسك اذا كنت احبك
ان سماعي انك تحبني وانت في شديد صحتك
كمن يسمع عن السماء وما هو بصاعد اليها ابداً

فلا تكتب !

لا تكتب ! اني اخاف ذاكرتي
فانها قد حفظت صوتك الذي يناديني غالباً
لا تدلّنّ على الماء من لا يستطيع له شرباً
ان كتاب عزيز لديك صورة منهُ قريبة الشبه

فلا تكتب !

لا تكتب هذه الكلمات الحلوة التي عدت لا اقوى على قراءتها
فكأن صوتك يلقيها على قلبي ويفيضها
وكأني اراها خلال ابتسامتك تلمع
وكأنها بقبلة منك على قلبي تُطبع

فلا تكتب !

الشاعر والاولاد

لفكتور هوغو

الشاعر الفرنسي العظيم ولد سنة ١٨٠٢ وتوفي سنة ١٨٨٥

على دكة اجلس ، فلا ادري لِمَ
جميع الصبية الصغار يجتمعون حولي
فما اكاد اجلس حتى اذا هم جميعاً عليَّ يقبلون
ذلك انهم يعلمون اني اجد مثل ميولهم ، ويذكرون
اني أُحبُّ مثلهم الهواء والزهر والفرَاش
والبهائم التي تُرَى عاديةً في الغيطان
ويعلمون اني امرؤٌ احبهم
واني انسان يسعهم اللعب بقربه ، بل
الصياح والصجيج والكلام المرتفع
واني كنت اضحك مثلهم وأشد منهم في ما مضى
واني اذ اشهد اليوم ملاعبهم
أبشّ لهم ايضاً ، وان اكن اشد تَرَحاً وبشّا
ويقولون ، وياما احيلى مودتهم ، اني لا يمكنني
ان اغضب ابداً وانهم يلعبون معي وان اصنع
اشياء من ورق مقوّى ورسوماً بالقلم
واني اقص اذ يوقد السراج
ويا عجباً ! اقاصيص لذيذة تخيف اذا الليل جنّ
وبالجملة اني لطيف غير مستكبر ، واني ذو علم كثير !

الاناء المكسور

لسولي برودم

وهو شاعر فرنسي ولد سنة ١٨٣٩ وتوفى سنة ١٩٠٧

صدع بدا من مسّ مروحة
في آنية فيها رعي الحمام (١) قد ذوى
وكأن الاصابة لم تمس الآنية
اذ لا صوت أبدى بها

ولكن ذلك التثلم الخفيف
كان كل يوم يسري في الزجاج
سيراً خفيفاً مستمكناً
حتى طوق الاناء على مهل

سال منه ماؤه البشام قطرة قطره
والزهر غاض ماؤه وجفّ
وما فطن بعد أحد الى ما كان
فحذار أن تمسه انهُ قد انكسر

كذلك يقع غالباً ان يداً نحبُّها
تمس القلب فيجرح
ثم يتصدع القلب من نفسه
فتذبل فيهِ زهرة حبه

لا يبرح بأعين الناس لم يُثلَم
وهو يستعر بجرحه الرقيق البليغ
ينمو ويبكيه متكتماً
لقد انكسر فحذار أن تمسّه

(١) نبات وزهر جميل منظره أنيق

باب المراسلة والمناظرة

إرشاد لغوى

فى كل جزء كلمة

للأستاذ عبد الرحيم بن محمود

لفيف ثانٍ من أمراض وأعراض

بوزن فُعَالٍ

الى الأستاذ الباحث سالم خليل رزق في النبك من سورية

تحيتى لكم وبعد فقد قرأت فى مقتطف يونيه كلمتكم الجامعة فحمدت إليكم الله الذى رفع شأن اللغة العربية فى زمان فيه اللغى تتقدم . ولا غرو فأنتم من القامة عليها — وعالم ذو همة أمة — وما كنت فى بحوثى اللغوية فى المقتطف الاّ مؤدياً واجباً علىّ قد خالط دمى ولحمى أسأل العرب والمستعربين عليها أجراً الاّ قراءتها للانتفاع بها فيما يكتبون ويقولون نثراً وشعراً نقد كلماتى نقد الصيرفى دراهمه . ولذلك أشكر لمن أجاب دعوتنا ونهل من منهلنا وورد ... واستقرى قِرانا[1] والضيوف إذاً أكرم من المضيف إذا عدّما أقدمه لهم قِرى ولا إخاله كر

لعمرُ أبيك ما نُسِب المُعَلّى إلى كرمٍ وفى الدنيا كريمُ
ولكنّ البلادَ إذا تعرّتْ وصوّح نبتها رُعِىَ الهشيمُ

وقد غرس القُدامى شجراً يُؤتى اكلَهُ كلّ حين فأكلنا ثمراً جنيّاً وكذلك نحن نغرس لـ حَفَدَتُنا وما لدىّ قليل وإن استكثره إخوانى فأنت أولى منى بالشكر والحمد إذ أنك تحيى وتبعث أمتك فى لسانها من رمسها وتربط تليدها بطريفها وفى لغتك الفصاحة والبلاغة — الله ما أعززت أمّ اللغات التى هى أبقى على الزمان من الزمان.

---

(١) استقرى طلب الضيافة — القرى بكسر القاف وفتح الراء ما يقدم للضيف من طعام وهو أحمد ... المضيف الكريم عادة فمعنى استقرى قرانا طلب قرانا

بَلِيَتْ هاشمُ وبادت نِزارُ واللسان المُبين ليس ببالي

أما استفتاؤك لي في الأمراض والأعراض التي جئت بها في مقالك المشار إليه فإني قسمته ثلاثة أقسام : أولها ما يتعلق بالطب البشري وهذا أفتيك فيه بمعونة اصدقائي الاطباء الحذاق في آخر من المقتطف إن شاء الله وقد نبهت مني غافلا وأردتني على ما يريده مني قراء المقتطف ولا سيما رجال المجامع اللغوية العربية أعانهم الله وعصمهم ونفع بهم . وثانيها ما يتعلق بالطب البيطري ولي من اصدقائي البياطرة في مصر معينون غير أني أؤجل الاجابة عن هذا القسم بعد استيفاء الاجابة عن سابقه (لا بد من صنعا وإن طال السفر)

وثالثها ما يتعلق بالأدوية وستكون كلماتكم في جبهة الأدوية التي أعنى بها في المقتطف إذا حان حينها وأدرككم إبانها ولي منهج في بحوثي لا أحيد عنه قيد شعرة — وكل ما هو آت آت

لم يملك المحبوب صبراً عنك حين ملكت صبرك

وإني أوجه نظرك الى أن فريقاً من الكلمات اللغوية التي وردت في كلمتك لم تفصل شرحها الملاغي[1] بل أجملت وأوجزت فالبحث عما يرادفها باللغة الاجنبية من المستحيلات اذا رعينا الامانة حق رعايتها وتخصيص العام لا يلزم إلا بالاجماع وهيهات ان يكون في هذا العصر وأغربة البين قد عششت في كل اقليم شرقي . بل انها اتخذت في كل بيت من بيوتاتنا اوكاراً ولا ارى كالشرقيين تظهر في أفرادهم القوة وفي مجموعهم الضعف وأنا منفرداً اكثر مني عملا في جماعة ومتى تحين اويقات الاتفاق وكلنا يوده ولا يتخذ اليه سبيلاً . ولقد صدق من قال عنا « اتفقنا على الا نتفق » ورحم الله المتنبي وهو القائل :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم إلا على شجب[2] والخلف في الشجب

***

وليعلم القرأة أن الأطباء الذين يعينونني يجهدون جهداً معي في اختيار اللفظ الاجنبي المرادف للفظ العربي حتى تتم المطابقة بين المعنيين ولا بد لي من عرض كلماتهم على أطباء سواهم للمبالغة في التحقيق وبين أيديهم المصادر الموثوق بها من عربية وغير عربية بعد النقد لدى سداه الحق ولحمته الصدق

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

ودار المقتطف التي يشرف عليها صديقي الاستاذ فؤاد صروف قد غصت بالمصادر العالية ولها سبب موفور في التحقيق الذي يرفع بحوثنا الى الغاية التي يتطلبها عشاق الحقيقة الخالدة . وقليل من

(١) الملاغي كتب اللغة والمفرد ملغى أي كتاب اللغة كالقاموس ولسان العرب وغيرهما
(٢) الشجب بفتح الشين والجيم الهلاك

الثروة الادبية يُنفى خبثه خير من كثير فيه خبث وهذه طائفة مما سألتنى عنه فهاك الاجابة عنها

﴿ الرُّداع ﴾ ورد فى اللغة بمعنى النكس ومرادفه بالانكليزية (Relapse) وورد ايضاً بمعنى الالم الذى يصيب الجسد كله ومرادفه بالانكليزية General malaise

﴿ الفُستار ﴾ ابتداء الغشية ويرادف هذا اللفظ بالانكليزية Fainting Sensation

﴿ البُوال ﴾ وهو البول السكرى (أى الصادق أو الظاهر سببه) وترجمته بالانكليزية كما يلي Diabetes mellitus

ويأتى أيضاً بمعنى البول الكثير أى الكاذب أو الخفى سببه فى اصطلاح الاطباء وترجمته بالانكليز Diabetes Insipidus

ويأتى أيضاً بمعنى تتابع البول وترجمته Incontinence of urine أو Frequency of urine (١)

﴿ السُّكات (٢) ﴾ ما يمنع من الكلام — غير البكم والشلل ويرادفه بالانكليزية Aphasia

﴿ الرُّماع ﴾ وجع يعترض فى ظهر السقّاء حتى يمنعه من السقى يقال أرمع السقّاء أى أصا الرُّماع ومرادفه (Lumbago) وهو المعروف عند أبناء سورية بالبَرْقة وأيضاً ينشأ من التهب العضلات وترجمته (Myositis)

وجع شَغاف (٣) القلب (Pericarditis)

﴿ الرُّحام ﴾ وجع الرحم (Metritis)

﴿ الحُصاص ﴾ مرض يتناثر منهُ الشعر (Alopecia)

﴿ قُلاع ﴾ الاذن (Autitis Media)

﴿ الحماق ﴾ هو جدرى الدجاج وقد تلتبس هذه الحالة بالجدرى البشرى لتشابه فى كثير من الاعراض وترجمته (Chicken Pox) والحماق أيضاً هو الجُدَيْرى أو جُدَرى الماء ومرادفه (Varicella)

﴿ الخُباط ﴾ اي الصرع وهو نوع من التشنج العصبي وهو داء عاقبته الجنون فالموت وترجمته (Epilepsy)

﴿ الحُكاك ﴾ هو الجرب على التحقيق وترجمته Scabies

(١) الترجمة الاولى للطبيب سامي الياس والاخرى للطبيب شكرى مشرق
والالفاظ الطبية الانكليزية التى فى هذا المقال للطبيبين الفاضلين المذكورين ولقيت تأييداً من غيرهم من الاطباء بعد عرضها عليهم

(٢) وليس بمعنى السكتة التى تتعطل بها الاعضاء عن الحس والحركة الا التنفس كما ترى لاما يرى أهل اللغ

(٣) شغاف القلب بفتح الشين ، غلافه

﴿الظُّلاع﴾ العرَج وترجمته Claudication أو Claudeation

﴿القُحال﴾ ورد في معجم الطالب قحل جلد فلان جف يبس وأقحل الصوم جلده يبس جلده على عظمه ويرى الطبيب شكري مشرق أن توضع الكلمة قحال في مرادف بالانكليزية Sclerodorm إذ أن الجلد يجف من هذا المرض ويتقلص حتى يلتصق باللحم أو يكاد يلتصق

﴿القُعاس﴾ مصدر بمعنى القعس وهو مرض به يخرج الصدر ويدخل الظهر ويقال لهما قعس إذا كان ذكراً وللانثى قعساء ضد الأحدب والحدباء ومرادف القعاس Lordosis والحدب فترجمته Kyphosis

هذا وقد أكثر اللغويون من المعاني والمترادفات لكثير من الأمراض والاعراض مما جاء قال الأستاذ البابه سالم حامل رزق حتى تو غلها في الإبهام والعموم وصدق عنها أو آزرنحن والأطبا مصدد المعاني حتى غيره مما تقف مرادفه باللغة الانكليزية لاتقاء الافتئات — والمقتطف رائد القرن الرائد لا يكذب أهله »

وهذه كلمتي أسوقها إلى أبناء العرب والمستعربين الذين بهم تحيا اللغة اذا أرادوا لها حياة ومحياة عيون وبموتها يموتون — ومن يصن مجد قومه ولغة قومه وأخلاق قومه فقد صان عرضه الذي هو صوم والسلام

الهشاب

القتاد والعكتوب

أعرف مصطفى بك الدمياطي منذ خمس وعشرين سنة او اكثر وكنا نجلس في اسلمبول بار أيام مجلسه وكان يرافقه الى هذه المجالس ابنه محمود ثم عدت الى مصر فسألت عن محمود فاذا هو ساذ في مدرسة الزراعة في الجيزة وقد نبغ في علم النبات ورأيت له مقالات نفيسة في المقتطف تدل علم واسع وتحقيق دقيق جداً ولما كنت أعرفه وهو غلام فاني استأذنه في نقد بعض ما جاء مقالاته

فقد أجاد في السنط أيما اجادة واجاد في احد انواعه وهو الهشاب ووصفه وصفاً حسناً ذا مما يدل على علم وتدقيق وبحث فهو ليس ناقلاً جمّاعاً بل يعرف هذا النبات حق المعرفة وانما ه ذكر اللفظ العربي الفصيح له وهو القتاد ذكره احمد عيسى بك في معجمه ص ٣ قال Acacia senegal Syn. Acacia vera وقال اسمه هشاب وقتاد (اليمن) واظن احمد بك اخذ القتاد

عن الكتاب الآتي A. Deflers, Voyage au Yemen 1887 والكتاب كان في مكتبتي فاستعا
الامير مصطفى الشهابي ولم يعده على عادة الادباء في عدم اعادة الكتب المفيدة ولكن لا بأس لا
الامير يستفيد منهُ اكثر مني واظنه لو قرأ عن القتاد في النسخة التي عنده في دمشق لوجد ان دفلر
وصفه كما وصفه الاستاذ محمود مصطفى الدمياطي وكما وصفه صاحب التاج . قال التاج « القتاد كسحا
شجر صلب له شوكة كالابر وجناة كجباة السمر ينبت في نجد وتهامة واحدته قتادة. وقال أبو ز
من العضاه القتاد وهو ضربان فاما القتاد الضخام فانهُ يخرج له حشب عظام وشوكة حجناء قصيرة. و
القتاد الآخر فانهُ ينبت صعداً لا ينفرش منهُ شيء وهو قضبان مجتمعة كل قضيب منها ملآن ما
اعلاه واسفله شوكاً وفي المثل من دون ذلك خرط القتاد وهو صنفان فالاعظم هو الشجر الذي
شوك والاصغر هو الذي له نُفاخة كنفاخة العُشَر » الى آخر ما ذكره صاحب التاج في هذه المادة
قلت هذا هو القتاد الذي قال فيهِ كليب التغلبي ماذا يريد جسّاس من عُلَيّان ودونهُ خرط الق
في الليلة الظلماء وهو الذي ذكره دفلرس وعيسى بك وهو ليس الخشّاب على ما ورد في معجم شرف
مما يدل على ان كل واحد من المؤلفين الفاضلين بحث مستقلاً عن الآخر والصواب ما جاء
معجم عيسى بك وما قاله الاستاذ الدمياطي الاّ انهُ اصاب في الهشاب وفاته القتاد

وهناك قتاد لم يرد في كتب اللغة في ما اعلم بل ورد في ابن البيطار وهو الكثيراء ولا مح
للبحث فيهِ هنا ولا يخفى ان كلا النباتين مستعمل في الطب وارى ان يقتصر على القتاد والهشاب لها
الذي يخرج منهُ اجود اصناف الصمغ العربي وعلى الكثيراء لهذا الذي يستخرج منهُ الصمغ الآخر

***

بقيت هفوة اخرى نقلها الاستاذ محمود عن عمدة المحتاج للرشيدي وهي ان القردون هو العكّوب
فالعكّوب اسمهُ العلمي Gundelia Tournefortii فليس هو الكعيب ولا العكوب ولا الكعوب
بالتخفيف ولا العقّوب ولا الكويب كما جاء في معجم الطبيبين الفاضلين بل هو العكّوب كما
ورد في التاج وقد اسهبت في ذلك في مقالة لي نشرت في مقتطف يونيو سنة ١٩٣٣

فأرجو من صديقي الاستاذ الدمياطي ان يستمر في ابحاثه المفيدة لانه يكتب عن هذه النباتات
كتابة عالم خبير واني ادعو الله ان يمد في اجلي لارى معجماً في النبات من تأليفه فاننا في حاج
كبيرة الى معجم يعتمد عليه وانما احذره من امرين وهما الادعاء والحذلقة فقد سئمنا الحذلقة في
مصر والشام والعراق فلم يكن الجاحظ متحذلقاً ولا ابن البيطار كان مدعياً لانهما كانا على علم كبير
واني لا ارى الادعاء والحذلقة الا في هذا الزمن فنوعان من الاقاقية ذكرهما صواباً كما فعل الاستاذ
الدمياطي خير من ثلاثين نوعاً ليس فيها نوع واحد خالياً من الخطإ فاننا نريد معجماً نعتمد عليه
وهذا الامر ليس عسيراً اذا سرنا على طريقة الاستاذ محمود الدمياطي

امين المعلوف

مكتبة المقتطف

رسالة من برلين — للدكتور بشر فارس

تآليف المستشرقين

ابرهيم مدكور ، « منزلة الفارابي في المدرسة الفلسفية الاسلامية »
٢٥٤ ص ، من القطع المتوسط ، باريس ١٩٣٤

Ibrahim Madkour, "La Place d'al Farabi dans l'ecole philosophique musulmane"
Librairie Alcan — Maisonneuve, Librairie d'Amérique et d'Orient, Paris

تخرج صديقي ابرهيم مدكور في دار العلوم ثم شخص الى باريس فطاب فى جامعتها الفلسفة وما زال في اجتهاد وتحصيل حتى نال شهادة (الليسانس) . ثم صرف همه الى الالاهيات والنمط حتى ظفر بالدكتوراه في الآداب برسالتين احداهما المذكورة فوق هذا الكلام

ان الباحثين في الفلسفة الاسلامية لم يعنوا بالفارابي عنايتهم بغيره من المفكرين المسلمين . ذلك انهُ لم يأته الينا مما الفه الرجل الاّ اقله (انظر مقالة كارادي فو في دائرة المعارف الاسلامية ج ١ ص ٥٨) . ثم هناك ما عدل باولئك الباحثين عن الفارابي بعض الشيء . ذلك انه قام فى اعتقادهم او كاد يقوم ان الرجل انما جال في دائرة الفلسفة الارسطية [1] فلم يحدث شيئاً (انظر Munk, Mélanges de Philosophie juive et arabe, 1927 ص ٣٤٣ ، ذكره المؤلف) . هذان امران ثبت لهما الدكتور مدكور فنقضهما اذ رأى ان ما وقع الينا من تآليف الفارابي يدلنا على اركان مذهبه دلالة كافية وبخاصة إن نحن عارضناها بتآليف من اخذ عنه امثال ابن سينا وابن رشد. وأما الامر الثاني فما وقع في خلد الدكتور مدكور ان الفارابي — وان حدا حدو ارسطو وغرف من بحره ما شاء الله ان يغرف — لصاحب فلسفة قائمة برأسها ، ألا وهي الفلسفة الاسلامية . وقد استقامت هذه الفلسفة على يد المعلم الثاني (اي الفارابي) دون الكندي الذي كان الى العلوم الطبيعية اميل منهُ الى العلوم العقلية ، ومنزلة الكندي من الفارابي منزلة المفكرين اليونانيين الاولين بين حاسبين واطباء ومنجمين من ارسطو

اعتماداً على هذه النظرات انطلق الدكتور مدكور يبحث في فلسفة الفارابي ويحللها ويرد مسائلها الى سوابقها في الفلسفة اليونانية وما اخذ مأخذها ويتتبع لواحقها في الفلسفة الاسلامية وما قفا اثرها . فما دارت عليهِ مباحث هذا الكتاب النفيس ان مذهب الفارابي ينتدرج تحت الفلسفة

---

(١) نسبة الى ارسطاليس او ارسطوطاليس

الروحانية — المعنوية ، فالروح فيه صاحب العمل والعقد على حين المعنى أس ووسيلة . وهذا منحدر — جملة — من جانبين احدهما الفلسفة الافلاطونية الارسطية والآخر الفلسفة البل وطرافة المذهب ان الفارابي عالج مسائل اسلامية محضة كمثل الجمع بين الايمان والعقل اي والفلسفة تلك المسئلة التي شغلت المتكلمين على اختلاف مللهم زماناً طويلاً . ومما يأتي به ان ابن سينا انشأ مذهبهُ على مذهب الفارابي الاّ شيئاً ، وان ابن رشد اخذ أخذ الفارابي ع وان حاول ان يدفع طائفة من آرائهِ وآراء الشيخ الرئيس لتعصب كان فيهِ لأرسطو . هذا ثم نظرية الفارابي في « الاتصال » قد راحت عند ابن باجة وابن طفيل . على ان تأثير الفارابي مقصوراً على الفلسفة الاسلامية بل جاوزها الى علم الكلام اليهودي والمسيحي في القرون من طريق ابن سينا وموسى بن ميمون وغيرهما ، والى التصوف عند ابن سبعين الا «والاشراقيين » اصحاب الشيخ المقتول ، بل الى الفلسفة الحديثة : فكلام سبينوزا [illegible] السياسة المدنية والنبوة والعقل والايمان يميل ميل كلام الفارابي عليها جميعاً قليلاً او كثيراً

ذلك مضمون الكتاب ، وبهِ نزع صاحبهعن مصدر من مصادر الفلسفة الاسلامية حجا جانباً ضخماً من جوانبها ورفع من شأنها في اسلوب علمي دقيق قويم

كل هذا أصدقه صديقي . على اني اصدقه شيئاً آخر ، ذلك ان لي على كتابه استدراكا بكتمانها قراءة هذا الباب من المقتطف يدان :

أثبت الدكتور مذكور في آخر كتابه جدول المصادر التي عوّل عليها (ص ٢٢٣ - ٢٤١ خطر لهُ ان يلحقها بنقد جامع جرياً على طريقة علماء الفرنجة . ويسمى هذا النقد بالفرنسـ Bibliographie Critique وأني والله ليسؤني أن أقول ان هذا الجدول ليس من محاسن الا ففيه مثل هذا النقد الذي أنقله حرفاً لحرف

« كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان — لا بدَّ منهُ لمعرفة سير أعلام المسلمين » ، « الفهرست لابن النديم — تأليف جليل الشأن نظراً الى العلوم الاسلامية والكتب المنقولة الى و « كتاب تاريخ الحكماء للقفطي — ذو شأن عظيم جدًّا » و « معجم الادباء لياقوت — م تآليف العرب في التراجم » و « تاريخ الآداب العربية للألماني بروكلمان Brockelmann مصدر حسن (كذا) لسير المسلمين المفكرين وتآليفهم » ، « ارسطاطاليس للانجليز W. D. Ross — بحث مستفيض غاية الاستفاضة يدل خاصة على معرفة الفلسفة الارسط مختلف مصادرها » اه

ولعل القارىء يجاريني على أن الفهرست وتاريخ الحكماء ووفيات الاعيان ومعجم الادباء الآداب العربية لبروكلمان في غنية عن هذه التعريفات ، وهيهات أن يكون بأصحابها حاجة تلك التلويحات . واما رُسْ فهو أمام العصر فيما يتعلق بأرسطاطاليس . هذا ومما يصل الي

ان نقد المصادر في التآليف العلمية انما يستقيم على غير هذا الاسلوب . فإما ان تنشر عيوباً مستورة أو تذيع محاسن مجهولة او تحلل تحليلاً تاماً أو تحول الانظار الى كتاب فيه حديثاً أو تثبت «طبعات» كتاب من الكتب وما قيل فيه وكتب. وقد رأيت المؤلف لم يذهب في هذا المجال ما بعيداً . مثال ذلك انهُ لا يذكر لنا تاريخ طبعة كتاب « العقد العربي » ولا ناشرها [illegible] Mohamed ... Brown المنقول الى الفرنسية ، وانهُ يهمل طبعة لدير اسعد طبه « العقد من الغ الغزالي » وطبعة مصر « لآراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي » وانهُ يغفل بحث شوقي احمد ز رحمهُ الله في رسائل اخوان الصفا (انظر [illegible]) وان يعرض عند الكلام على « مروج الذهب المسعودي » عن الاشارة ما في طبات هذا التاريخ من الاساطير والمبالغات (انظر «مقدمة ابن خلدون» طبعة بيروت سنة ١٠٠ ص ٣٦ مثلاً) وانه يفرط في الايجاز عند ذكر كتاب المستشرق فنسنك Wensinck الموسو «بالعقيدة الاسلامية» The Muslim Creed, Cambridge 1932 في حين ان هذا الكتاب حديث العهد . وانهُ لم يطلع على هذا الكتاب « مقالات فلسفية لابن سينا والفارابي والغزالي وابن العبرة وابن المسال مع تعريب اسحق بن حنين لمقالات (ارسطو وافلاطون) (بيروت ١٩٠٨)

ثم ان المؤلف يميل الى ارسال احكام مبهمة وارمة . من ذلك قوله «تلخيص حسن» (ص ٣٣ س ٧ شمت ، ٢٤٠ س ٧) وقوله «بحث دقيق مستفيض» (ص ٢٣٦ س ٣) . وقوله «عرض حسن» (ص ٢٣٦ س ١٩ . ص ٢٣٢ س ٤)

ولن أدع هذا الباب — باب جدول الكتب — دون ان أخبر المؤلف انهُ لم يرجع الى ثلاثة مباحث لها شأنها بل بينها وبين موضوعات كتبه علاقات . فأحدها بحث في فلسفة (صبورا) The Philosophy of Spinoza unfolding «على ضوء» الفلسفة الاسلامية اليهودية وعنوانه the Great processes of his reasoning, 2 vol. Cambridge 1934, by H. A. Wolfson وقد رد هذا الكتاب قبيل بروز كتاب المؤلف (طاب نقده في مجلة « الاندلس » التي يخرجها الفيف من المستشرقين الاسبانيين : الكتاب الثاني ، العدد الثاني : سنة ١٩٣٤ . ص ٣٨٠) والبحث الثاني عرض للصلة التي بين فلسفة ابن سينا وفلسفة ديكارت فيما يلحق باثبات النفس (وحكاية هذه الصلة في الكتاب ص ١٥٣) وقد نشر ذلك البحث مستشرق ايطالي G. Furlani في مجلة ألمانية مستشرقة [illegible] سنة ١٩٢٧ ، الجزء الاول ، ص ٥٣ — ٧٣) تحت عنوان Avicenna e il Cogito. Ergo Sum di [illegible] . وأما المبحث الثالث فالكتاب الآتي نقده في هذه الرسالة

ولننقل الآن الى مجال آخر مجال رسم الحروف العربية بالشكل الافرنجي Transcription بالفرنسية Translitération بالانجليزية :

يقول المؤلف في صدر الكتاب تحت عنوان [illegible]

اسلوب نرسم بهِ الحروف العربية على وجه النطق بها » . فهل للمؤلف ان يبيّن كيف جعل لل
حرف j الفرنسي (لا الانجليزي) ؟ والمعلوم ان مخرج هذا الحرف بالفرنسية مخرج الجيم في الا
الشامية . ثم هل له ان يبين كيف جعل للضمة العربية حرف اللين o الفرنسي ؟ فان حرف اللين
يلفظ في الفرنسية ممالاً اي بين الضمة والفتحة على نحو ما تلفظ عامة مصر الهمزة المضمومة في
العبارة مثلا « أُلْتِلْهْ » . فما ضر المؤلف لو اتبع في رسم حروف العربية طريقة دائرة المعا
الاسلامية او الجمعية الاسيوية الفرنسية . ولاشك ان له ان يضع طريقة في ذلك يستحدثها استح
وانما وجه الاعتراض في قوله انهُ «عمد الى اسلوب يرسم بهِ الحروف العربية على وجه النطق
tels qu'ils se prononocent حالة ان ذلك الاسلوب ينحرف احياناً عن النطق الصحيح بتلك الحر

ومن الاعتراضات التي تلحق بهذا الباب ان لفظة «المتكلمون» (اي اصحاب علم الكلام) ر
على هذا الشكل « المتكلمين » كذا : les Motakallemin غير مرة (١٤٦ ، س٢١، ص ١٤٧ س٣
ص ١٥٠، س ٢٣ و٢٥، ص ٨٠ ، س ٣ تحت) . فلم ادرك السبب الذي من اجله رسمت هذه ا
بالحروف الافرنجية في حالة النصب او الجر (اي بالياء والنون) بدلاً من ان ترسم بتقدير الا
بها والوقف عليها (اي بواو ونون ساكنة) كذا Les Mutakallimoun فحالة الرفع هي الغالب
وقعت اللفظة مفردة فيما أعلم ، والمستشرقون على هذا النحو جارون . ثم اني لم أدر لِمَ رسمت كسرة ا
من «المتكلمين» بالحرف اللين e الفرنسي اي ممالة على نحو ما تلفظها العامة عندنا ، والوجه في
ترسم بالحرف اللين i الفرنسي كما اثبت ذلك المؤلف في «جدول رسم الحروف العربية» المتقدم د

ومما يلي هذا ان المؤلف اضطر الى ان يترجم نصوصاً للفارابي رغبة في التدليل والتبيين و
الفارابي على جانب عظيم من الايجاز . ومن نتائج الايجاز المفرط الالتباس والاشتباه . فلولا
يكون المؤلف راسخ القدم في العربية عالماً بالفلسفة الفارابية لما قوي على ان ينقل تلك ا
الى اللغة الفرنسية نقلا حسناً . الاّ ان نصًّا اختلطت عليَّ سطوره حتى اني لم اخرج
(ص ١٣٨ س ٨ الى ١٩) . ومما بدا لي وأنا اقرأ هذا الكتاب الجامع ان المؤلف اتفق له
بعد الحين ان يستند الى مباحث العلماء والمحدثين في فلسفة ارسطو ومن قبله ومن بعده و
آباء الكنيسة وسبينوزا وغيرهم عوضاً عن ان يرجع الى تآليف هؤلاء الفلاسفة انفسهم
مثلا : ص ٣٣ حاشية ٦ ، ص ٣٦ ح ٣ ، ص ٧٠ ح ١ و ٢ ، ص ٨٠ ح ١ و ٦ ، ص ٨٦ ح
ص ٩٢ ح ٢ ، ص ٩٥ ح ٣ ، ص ١٢٧ ح ٦ ، ص ١٣٣ ح ٤ ، ص ١٤٤ ح ٥ ص ١٧٤ ح ١
و ٣ ، ص ١٩٠ ح ٢ ، ص ٢٠٧ ح ١ و ٥ ، ص ٢٠٨ ح ٤) انه لا يخفى علي انه اعتمد على
غير ان البحث الذي نهض له يقتضي الرجوع الى الاصول من حيث انه بحث قائم على معار
الفلسفة اليونانية وما جرى مجراها وفلسفة القرون الوسطى بالفلسفة الفارابية خاصة والاسلامية
بقي اني لو شغلت صدري أمنية لوددت لو اردف المؤلف كتابه بذيل ادرك فيه اصطلا

الفلسفة الفارابية كاملة . فالاصطلاحات الواردة في الكتاب المبسوطة في جدول في آخره لا تفي وبنا اليوم حاجة ماسة الى تدوين الاصطلاحات الفلسفية . بل حاجة الى معرفة اصطلاحات الملاء واحداً واحداً على تعاقب السنين . وخاتمة النقد اني اشهد ان تلك الاستدراكات « لاحقة بالمر لا بالذات » لا تغض من شأن هذا الكتاب الغزير مادةً

ا.م جواشو — المدخل الى ابن سينا رسالة الحدود له

(ترجمة وتعليق) ٢٥٤ ص ٦ من القطع ٢٥ × ١٩ سم ١٩٣٣

M. Goichon — Introduction à Avicenne. Son épitre des définitions

Edition Desclée, De Brouwer et Cie — Par

عمل المستشرق الاسباني ميجيل أشين بلاسيوس Miguel Asin Palacios مقدمة لهذا الكتاب ومما جاء فيها « ان مسألة الاصطلاحات الفنية ولاسيما الفلسفية من ملهوفات اللغة العربية . والمتعين ان ينهض اديب من العلماء الى تآليف فلاسفة العرب فيدونوا اصطلاحاتهم واحداً واحداً بحيث انهم يؤلفون معجماً للموضوعات الفلسفية عامةً وخاصةً في آن . اي جامعاً للالفاظ تفيد الناشئة على ايدي الفلاسفة زماناً ومكاناً . والحق ان معاجم اللغة لا تجدي نافعة في هذه الموضوعات واما المعاجم الموقوفة على الاصطلاحات نحو «مفاتيح العلوم» للخوارزمي و« التعريفات » للجرجاني و« كشاف اصطلاحات الفنون » للتهانوي (وهنا اغفل المستشرق الفاضل « الكليات » لابي البقاء طبعة بولاق ١٢٥٣، وطهران ١٢٨٦ . والاستانة ١٢٨٧) فهي تسوق الالفاظ جملة من دون ان تقيدها بمصادرها وموادها » اه

تلك امنية يطول حبذا لو تُحققها ! وها هي ذي تتحقق بمثل هذا الكتاب . فقد عمدت صاحبته فيه الى ايضاح اصطلاحات ابن سينا خاصة مستندة الى رسالته في الحدود . فجاء هذا الكتاب نفسه لفلسفة ابن سينا من حيث انه يبين مفادات اصطلاحاته ويبسط وجوه آرائه في آن . ذلك بأن المؤلفة علقت على كل حد من حدود ابن سينا فشرحته شرحاً ممهداً مستضيئة بتآليفه الاخرى مراجعة الى تآليف الفلسفة اليونانية وبخاصة الفلسفة الارسطية التي اقتبس منها ابن سينا الشيء الكثير . وهنا كان لا بد أن تعارض المؤلفة اصطلاحات ابن سينا باصطلاحات الفارابي من الناحية التاريخية — النقطية

وثمة عمل مرهق نهضت به المؤلفة ، ألا وهو نقل كتاب الحدود الى اللغة الفرنسية ولا يسع الناقد الا ان ينوه بما قدمت يداها وان يتجاوز عن عثرات معدودات منها ترجمة « الامور القبيحة والحسنة » هكذا le laid et le beau (ص ٣١) أي القبيحة والحسنة من جهة الجمال والمراد من جهة الاخلاق ، فالوجه أن يقال : le bien et le mal وترجمة «الفهم» بالعقل (الذكاء) l'intelligence ص ٩) واظن الوجه la compréhension أو l'entendement (وكذلك ترجم في ص ٢٣) وترجمة النطق» بالعقل la raison واظن الوجه le langage (كما في ص ١٣) ثم اشتباه في ترجمة المكان والحيز ص ١٥٠ — ١٥٢) وترجمة «الفطرة» بالعقل l'intelligence (ص ٣٧ — ٣٨)

وكان يحسن بالمؤلفة أن تنشر النص العربي مرة أخرى وتجعله قِبَل الترجمة الفرنسية حـ يتتبع القارىء الترجمة فتعظم الفائدة . ومما يقال — فوق هذا — ان المؤلفة لم ترجع في المباحـ اللغوية المحضة الى الاصول العربية الاولى من المعاجم بل وقفت عند قاموس لين Lam الانجليزي انها لم تستفد من معاجم الاصطلاحات التي تقدم بك ذكرها ولم تعارض مواضعات ابن سـ لتعاريفها حدودها

والذي يسوء القارىء في هذا الكتاب ان الالفاظ العربية قد رسمت بالحروف الافرنجية على وجهها الصحيح في الغالب . ولو اخذت أسرد الادلة على ذلك لضاقت « مكتبة المقتطف » وحسبك هذه السقطات « الطبيب » (اي الطبيب ، ص ١٦ رقم روماني) « المجز » (اي الموجـ الصفحة عينها) « اللاتي » (والمراد التي . ص ١٧ رقم روماني) « أسْبِبْه » (والمراد اسبابه ، ص رقم روماني « المُوت » (أي الموْت ، ص ٢٦ ، رقم روماني) « متوقّي » (والمراد متوقّى ، ص « أخِذ » (أي : أخَذَ ، ص ٢٨) « التغدّى » (أي : التغذي ، ص ٢٩) . « صُحّه » صحّة ، ص ٣١) « لا وجودْ لها » (اي : وجودَ ، ص ٥٢) ، « الخط » (والمراد : الخَط ، ص ٤٦ الخ ، الخ . ولا جرم ان هذه السقطات تجعل الكتاب موضع نكير وغمز ، ولربما سأل البلاد كيف استقامت الترجمة لمن كان بينهُ وبين العربية الفصحى مثل هذا الشَسْع ب . ف .

المعجم في بقية الاشياء

لابي هلال العسكري — طبع بمطبعة دار الكتب المصرية في ١٧٤ صفحة من الحجم الصغير —

لأبي هلال العسكري فضل لا يجحد على اللغة وأدبها ، فلقد ترك لنا ثروة قيمة من ... ونخصُّ منها في علم اللغة كتبه « التلخيص » و « ما تلحن فيه الخاصة » و « الفروق في اللغة » و « المعجم في بقية الاشياء » . وهذا الأخير ، ولو أنهُ صغير الحجم الاّ أن فائدته جزيلة ... قصرهُ على ايراد اسماء بقايا الاشياء . ان معجماً كهذا لأثر طيب في تسهيل الحصول على امثال هذه ... فقد يتعذر على الكاتب في بعض الاحيان اطلاق اسم على كل شيء من البقايا الصغيرة فينقب في ... وقد يفنيه البحث قبل ان يجد غايته . وليس من ينكر فضل التخصيص في تسهيل المعارف وتيسير ...

والآن ، ونحن نترقب من مجمع اللغة الملكي ، ترقية اللغة واظهار ابنائها على ما خفي بين المعا... من الكلمات مما يصلح للتعبير عن كثير من خلجاتنا ، ووضع معجم جدير يتفق وحاجة ... نعدُّ اظهار هذا المعجم خدمة طيبة يشكر عليها الأستاذان ابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ ... اللذان قاما بتكملة هذا المعجم والتعليق عليه وضبطه ، ونشكر لحضرة محمد مصطفى نجم افندي فضل الانفاق على هذا المعجم وإخراجه في هذا الثوب القشيب . ولعلهم يتعاونون على اخراج باقي مؤلفات هذا العالم الجليل واحياء النفيس من مخطوطات المكتبة العربية فيقدمون الى ابناء هذه اللغة يداً لا تنسى

ضحى الاسلام

تأليف الاستاذ احمد امين بكلية الآداب بجامعة المصرية [illegible]
— ٣٦٣ ص من قطع النصف — [illegible]

من الاسراف ان يقول ناقد ان أي بحث يتناول تاريخ نشأة العلوم عند العرب في بدء حضارتهم يمكن ان يلم بأطراف ذلك الميراث العظيم الذي حققته العلوم الاسلامية في ثلاثة القرون الاولى الاسلام . ولذلك اسباب تناولها كثير من المؤرخين بالبحث والتنقيب [illegible] عن [illegible] نشوء العلم عند العرب من ناحية العلاقات السياسية والاقتصادية او الاجتماعية التي أثرت في الفكر الرئيسية للاسلام أو العقائد التي دعت بين العرب بعد الرسالة [illegible] لم يأت تامًّا ولا [illegible] ان [illegible] حد الكمال . فان ما ضاع من آثار العرب في العواصم الاسلامية بسبب الحروب وما فقد من الآثار العلمية التي خلفها منشئو الحضارة العربية [illegible] مختلف نواحي العلم والحياة يجعل الوصول الى رسم صورة جامعة من حياة العرب العقلية في أيام حضارتهم امراً عسيراً بل متعذراً وغاية ما يصل اليه المؤلف ان يجمع اجزاء متفرقة ليحاول أن يخرج منها صورة جامعة . اما رسم هذه الاجزاء وجمعها فأهون بكثير من تركيبها كلاً واحداً واخراجها صورة كاملة الاجزاء مؤتلفة النواحي ، فان فقدان الحلقات التي تربط بينها ، يقف أمام المؤلف حجر عثرة دون الوصول الى الغاية الاخيرة التي يبغيها من تكوين هيكل كامل للحضارة العربية

***

مثال ذلك ما ورد في نهاية الفصل الاول من كتاب الاستاذ احمد أمين عند الكلام في حرية الرأي عند العرب . فان الاستاذ على دقة بحثه واحاطته بالموضوع الذي يكتب فيه احاطة شاملة، لم يستطع أن يكوّن فكرة جامعة عما كانت الفكرة في حرية الفكر في ذلك العصر . وكل ما استطاع ان يستخلص من علمه الواسع بتاريخ ذلك العصر ، بضع صور متلاحقة من خليفة كان يتسمح مع الزنادقة أو المعتزلين، الى آخر يضطهدهم ويؤيد السنيين . ولكن الى اي مدى اثرت هذه الحرية من ناحية، والاضطهاد من ناحية اخرى، في الفكر العربي جملةً وتفصيلاً ؟ ذلك ما لم يصل مؤلف الى تحليل دقيق فيه ، خرج منهُ بصورة اشبه بالصورة التي يمكن رسمها لعصر الاضطهاد في اوربا تحت لواء محاكم التفتيش

مع كل هذا استطاع الاستاذ احمد امين ان يبرز صوراً بديعة مؤتلفة الاجزاء وبخاصة في التشريع الاسلامي والفقه والتاريخ ، وهي نواح من التاريخ العربي مصادرها اوفى من مصادر غيرها من فروع الفكر التي ازدهرت في عهد الحضارة العربية

بجانب هذا نقول ان تبويب كتاب في تاريخ الفكر العربي عنصر من أهم العناصر التي
المؤلف على الوصول الى غايات بعيدة من تحقيق الغرض الذي يرمي اليهِ . ولاشك في ان ترتيب ا
كتاب ضحى الاسلام وتساوق موضوعاتها قد مكّن الاستاذ الفاضل من تقريب الصورة التي
ان يرسمها لذلك العصر من الفهم تقريباً قلما تقع على مثال له في كثير من الكتب التي تصدت لل
في موضوع العلم في الحضارة العربية

على ان لنا بعد ذلك ان نتناول ناحية عامة من الكتاب . وعندي ان اخطر ما يتعرض له م
في ضحى الاسلام هو استقراء الاتجاهات التي اتجه فيها اللغويون والمترجمون من الاستعانة بالا
العربية في وضع المسميات التي عرض لهم الكلام فيها على نحو ما فعل المؤلف عند كلامهِ في المدا
اللغوية في العصر الذي أرّخ فيهِ . وعندي ان البحث اللغوي في هذا العصر سيتجه اتجاهاً
يخرج فيهِ على الاوضاع القديمة . فان اكثر اسماء النبات والحيوان التي وردت في المعاجم مثبتة
اصول عربية صحيحة قد لخص فيها صفة في الحيوان او النبات . هذا اذا لم يكن الاسم مم
وجرى العربي في ذلك على غير قاعدة قياسية . فان القياس والسماع والجدل فيهما لم يظهرا في
الا في عصر ضعفت فيه السليقه العربية والذوق العربي عند اختيار الوزن الذي يؤخذ منه الا
ولذا قيل ان ما سمع من العرب موزوناً على بعض الصيغ صحيح ، ولكن لا يقاس عليه . مثل
صيغة — فِعَّوْل — فقد جاء منها خنوس وخنوص و فلوس وسنور ولكن ليس لك ان تص
اسماء على هذا الوزن لحيوانات تريد تسميتها الآن . وكذلك صيغة يفعول وفيعول وإفعيل
عدا غيرها من الصيغ التي لا يتناولها حصر

وهنا نقع في مشكلة كبيرة، اذ ليس امامنا في هذا الأ احدى طريقتين : فاما ان نصوغ من
الاوزان التي سمعت عن العرب اسماء لما نريد تسميته الآن ، فنحصر كل الاوزان التي وردت في
الحيوانات والنباتات والاسماء الاخرى ، ونجعلها قياسية يوزن عليها في العلوم قياساً بحيث يأ
الاسم مأخوذاً من اصل عربي يشتق منهُ ، وإما ان نلجأ الى التعريب ، فنزن المعرب على وزن
حيناً ، وعلى غير وزن عربي حيناً آخر . ومذهبي ان الصوغ من الاوزان التي سمعت عن العرب
من التعريب ، بل اني اكاد اقطع بانا اذا قلنا بقياسية ما سمع عن العرب استغنينا عن التعر
وهذا ما نعني هنا من القول بان البحث اللغوي يجب ان ينتحي منحى جديداً يتناول حاجة اهل ا
والتسمح في وضع قواعد جديدة يجري عليها اهل اللغة

***

واني لارجو ان تتاح لي فرصة اخرى اوفي فيها هذا البحث حقه من الاستفاضة والبيان . ولا
في ان اتجاه تاريخ العلوم عند العرب هذا الاتجاه مفيد بل انهُ الركن الأول في توجيه البحوث الا
توجيهاً جديداً فيهِ الخير كلهُ لابناء العربية في عصرنا هذا

اسماعيل مظهر

ديوان حافظ

من صباه الى وفاته

٢٦٨ صفحة بحجم المقتطف — طبع مكتبة الهلال بالعجالة بالقاهرة — ثمنه ١٥٠ مليم

لم يعرف شاعر حديث أحب الى الشعب المصري من فقيد الادب المغفور له محمد حافظ ابراهيم بك . وليس ذلك لان له قوة فتية تبذ غيره من الشعراء المعاصرين المعتبرين وانما ذلك لانه يعبر أصدق تعبير عن شعور هذا الشعب تعبيراً شعرياً سادحاً في الغالب متعمقاً أحياناً تعبير ديوان شعره يمثل سيرة المشاعر المصرية الوطنية في ثلث قرن . وهذا أحد اسباب الشعب المصري فائقة ذاتيته المنفعلة الممثلة في شعره الصادق الوطنية المندمج كل الاندماج في أحاسيس الامة المصر

ولقد توفى حافظ في احوال لم تمكن الامة من تقديره مجتمعة فقدره أفرادها متفرقين كا موته كان خسارة عائلية لكل منهم ، والى ذلك أشار شاعر العربية الاشهر الاستاذ خليل مطران مقدمته البديعة التي صدرت بها هذه الطبعة من الديوان اذ قال أطال الله بقاءه :

« الامة المصرية بارك الله فيها تكرم شعراءها الكبار وعلماءها العاملين وأعلامها البارزين في منحى من مناحي المعارف والآداب والسياسة والقضاء والادارة والاجتماع والاقتصاد . وما منهم الا من له في فؤادها مقام معلوم فان زعم زاعم أنها تنسى موتاها العظماء ففي الحق انها لا تنسى غير ان مظاهر حبها ووفائها تختلف عن أمثالها عند الامم الاخرى . هي تتفق من شعورها ما لا يتفق سواها . ولكنه قد يفوتها في احوال جمع كلمتها المتفرقة من حيث انها لم تألف التعاون على متعدد صوره فذلك لا ينقص من كنه ما بذلت بيد انه ينقص من قوته وخصوصاً فيما يبدو منه للناس . مثل شعورها في اكثر أمرها مثل الماء الضحضاح المنتشر رقيقاً فوق وجه الارض لمنذ أحزانه ، ولو احتفر له مسيل مهما رحب ، ورُدّت أطرافه الى ذلك العقيق . لاندفع اندفاع النيل يحمل النقال من الجواري المنشئات تخطر عليه خفافاً ، ولا فاض الخير من كل جانب . وذلك كان شأنها مع المغفور له محمد حافظ ابراهيم بك شاعرها الذي كان في مدى اربعين سنة من سنيها الأخيرة ملء ابصارها وأسماعها . وكانت له المواقف التي وطدت وايدت سيادتها الادبية في العالم العربي ، وكل قارىء وكاتب من أهلها كان يعرف حافظاً ويحب حافظاً وينشد شعراً لحافظ لأن حافظاً كان المعبر عن آمالها وآلامها بأصدق ما عبر عنها شاعر سواه ، فحيثما حل فله الاكبار . وحيثما انتقل فله الكرامة الموفورة والتجلة النزيهة . عاش كذلك بينها منذ ابلغته عبقريته المجوادة ووطنيته الفياضة مكانته الرفيعة بين جوانحها . فلما قبض الى ربه عم حزنها عليه ، لم يخل منه انسان ولا بيت ولا عشيرة ، كما حقق ذلك كل منا في نفسه وفي محيطه » . وتبعاً لهذا يشعر بفرحة خاصة كلما اطلعنا على أثر من آثار التقدير لشاعرنا الفقيد الكبير ، وما اخراج ديوانه في نمط جديد إلا مثالاً من امثلة هذا التقدير المحبوب

وبعد فبقضي عليَّ واجب النقد الادبي أن أقول في صراحة مع شكري للمكتبة الناشرة كان اضعاف ما حقق على يديها ، ولذلك ارجو باخلاص ان يتدارك النقص المحسوس في طبعا الديوان عند اصدار طبعات اخرى في المستقبل القريب ان شاء الله . اما ملاحظاتي النقدية فيما يأتي واكتفي بها لاهميتها خصوصاً وشعر حافظ مشهور لدى القراء وقد سبق درسهُ و (الـ فلا حاجة بنا الى الاستشهاد بهِ في هذا المقام : —

(١) — ليست قصائد الديوان منسقة التنسيق الواجب بحسب الابواب او التواريخ بل خليطاً عجيباً

(٢) — ينقص الديوان كثير من شعر حافظ كقصيدتهِ الميمية الكبرى في الجامعه ورثائه لمصطفى كامل ومحمد ابو شادي ، فضلاً عن شعره السياسي الاخير واحوانياته الـ وكان الواجب على الناشر الفاضل ان يدعو الادباء الى معاونتهِ في ذلك وأن يمهلهم مهلة كافـ يطبع الديوان على هذه الصورة

(٣) — شرح البلدان قابلٌ ومقصورٌ على قصائده القديمة . كذلك تجرد الديوان المناسبات لمعظم القصائد مع ان هذه مساعدة اي مساعدة على تفهم القصائد تفهماً فنيًّا بالنقد الادبي المستقل وهذا ما نطالب بهِ . شعراءنا الاحياء ، فما فات ديوان حافظ سابقاً كان بالأدباء تلافيه في هذه الطبعة التي خلت حتى من الفهرس ولم تخل من كثرة الاغلاط المط

(٤) — من رأيي أن يعتمد حضرة الناشر او غيره في المستقبل على لجنة من خاصة الا مريدي الفقيد الكريم للاشراف على اخراج طبعة أتم من هذه تكون جامعة لشعر حافظ مـ مبوباً مشروحاً أوفى شرح ، وتكون في الوقت ذاته فنية المظهر والرونق بما يتفق والا في نفوسنا لفقيد الشعر المصري والوطنية المصرية

هذا اقل ما تتطلبهُ الذكرى الادبية لشاعر النيل من مصر التي مجدها اى تمجيد في شعر الترجمان الامين لآلامها وآمالها — مصر التي أعلا كرامتها وتسامى بعزتها ونفسيتها لسانها من قصيدتهِ الرائعة الخالدة (مصر فوق الجميع)

وقف الخلق ينظرون جميعاً كيف أبني قواعد المجد وحدي
وبناة (الاهرام) في سالف الده ر كفوني الكلام عند التحدي
أنا تاج العلاء في مفرق (الشر ق) ودراتها فرائد عقدي
أي شيء في (الغرب) قد بهر النا س جمالاً ولم يكن منه عندي ؟ !

وأخشى ان (الغرب) المتحدي يسأل (مصر) أي ذكرى عملية تقوم بها نحو أعلامها ا

رحم الله حافظاً عداد حسناته

محمد عبد الغفور
(سكرتير التعاون بوزارة الداخلية

شعراؤنا الضباط

تأليف محمد عبد الفتاح ابراهيم

بعد ان تفرغ من قراءة هذا الكتاب تتمثل امامك صور خمسة رجال تلتمع السيوف احياناً ، وتأخذ الاقلام مكان تلك السيوف اخرى ، يتجاذب كل من السيف والقلم حنان اليه ونزوعه الى امتشاقه ، فما يقضي السيف امره حتى تهتز القريحة شوقاً الى القلم . وما يحـ بفيض القريحة حتى تستعر الحماسة لا تبغي الاّ الحسام . ولكننا نرى هؤلاء الرجال في بعض التي يحنون فيها الى السيف بعد طول هجر القلم كالخيل تعلك اللجم ، يصولون ويجولون لا في الوغى بل في ابيات من الشعر تحدها الاوزان والقوافي

اولئك هم محمود سامي البارودي ، وحافظ ابراهيم . وعبد الحليم حلمي المصري . ومحمد ومحمد توفيق علي ، شغلوا شطراً كبيراً من القرن الماضي ، وصدر القرن الحاضر . والمؤلف هـ ضابط اديب ، وقد عنى بدرس هؤلاء الشعراء الضباط ملائماً بين حياتهم الشعرية وحياتهم العـ فقد وفق في هذه الناحية كما وفق في تحليل العوامل التي ادت الى ان يقول كل منهم في الاغـ الشعرية المختلفة ، فهذا البارودي قضى مستهلّ حياته في الجندية الحافلة بالحوادث . وخاض الحروب فتحدث في شعره عن بلائه فيها ، ووصف المعارك والقتال ، وكان ذلك الى نفسه الكـ وروحه العالية داعياً الى الفخر بعزائمه وسجاياه ، وعاش حيناً من الزمن في خدمة الخديوي اسما قائداً في حرسه ، وقربه اسماعيل منه ، فقال في مدحه وأشاد بذكره ، وساهم في الثورة العر فكانت صيحاته اولى الصرخات السياسية في العصر الحديث ، وأفاض في حديث السياسة في حر وصراحة وترجم عن الاماني القومية بدافع نزعته الى الحرية ، ونفي الى جزيرة سرنديب فمكث منفاه يشكو ويتوجع ، ويذكر الشباب وذكرياته ، ويحن الى مصر ويتشوق الى جرعة من نيلها وعاد الى مصر بعد العفو عنهُ مقوس الظهر مكفوف البصر ، فمدح عباساً وذكر أيام اسماعيل . وكا طبيعيًّا — وقد مرت بهِ كل تلك الحوادث — ان يتحدث عن الحياة على حقيقتها . ويسوق الحكم كـ اخذها عن تجاريبهِ

وعلى هذا الغرار وبمثل هذا التحليل تحدث المؤلف عن بقية الشعراء الضباط

واذا كان الانصاف قد اقتضانا ان نذكر ما للمؤلف فان الانصاف نفسه يقتضينا ان نذكر ما عليهِ

أهم ما عنى بهِ ترجمة حياة الشاعر وبيان العوامل التي دعتهُ الى القول في كل غرض ، ولكنهُ لم ينظر في الشعر نظرة نقد مستقصية ، والشعر ينظر فيهِ — عدا الاغراض — من حيث المعاني والاجلة والالفاظ والاساليب وغيرها ، وهو لم يوف شيئاً من ذلك حقه ، بل حاول ان يعرض لبعض ذلك فلم يوفق ، مثال ذلك انهُ اتهم البارودي بادعاء الخطابة في قوله : ([illegible])

أنا فارس أنا شاعر في كل ملحمة ونادي
فاذا ركبت فانني زيد الفوارس في الجلاد
واذا نطقت فانني قس بن ساعدة الايادي

وقال ان القافية وحدها هي التي ارغمته على ان يتحدث عن قس بن ساعدة الايادي ! نقول له : ان قسًّا يضرب به المثل في مطلق البلاغة لا في الخطابة وحدها ، وما زلنا نقول « قس وبيان سحبان » والشاعر يقول « انا فارس انا شاعر » ولم يقل « انا خطيب » والبيتان والثالث يفصلان البيت الاول ؛ فالبيت الثاني يفسر فروسيته ، والبيت الثالث يبين بلاغته في بالشعر لا كونه خطيباً كما حسب مؤلفنا الفاضل . ولو لم يكن الشاعر رجل حرب لكان شأن ا غير شأنها هذا

وساق قصيدة للبارودي في رثاء زوجته وأعقبها بقوله (ص ٤٦) : « ولن تجد و البارودي عنفاً . . فقد رأيته يتحدث عن الدمع الذي سيلازم وسادته بينا سواه يدك ويكسف الشمس ويخسف القمر » ومعنى هذا ان حزن الشاعر ضعيف لانه لم يشرك فيه والشمس والقمر ! ونحن نقول له : ليس مقياس شدة الحزن وضعفه دك الجبال وكسف ا وخسف القمر وما الى ذلك ، وان الدمع الذي يلازم الوسادة لابلغ في الحزن وأدل على عنفه ، المبالغات السخيفة . وثمة مآخذ اخرى على نقد المؤلف لم تتسع لها هذه الكلمة

ومهما يكن من شيء فان الاستاذ عبد الفتاح ابراهيم نبه بتأليف هذا الكتاب على نا نواحي أدبنا الحديث، وأدى مهمته كضابط أديب ، ووفق فيها توفيقاً لا بأس به

عباس حسان خضر

هوامش الصحافي العجوز

اصبحت كلمة « على الهامش » علماً على الصحافي العجوز . . . فكلما ساقت الصحف خاضت في شخصية تطلع القراء المثقفون الى هامش الاهرام متشوقين . وهناك لا يكاد رحل يتريث الا ريثما يدور القمر دورتهُ اليومية ثم يطلع على قرائهِ فيشفي الغليل ويروي الغليل العام الماضي صدرت مجموعة من هذه الهوامش بعنوان « رسوم العريان وآخرون » وها نحن في نحظى بمجموعة اخرى عنوانها « ابو جلدة وآخرون »

والمجموعتان متشابهتان في الحجم وفي صنف الورق وفي حروف المطبعة فان رأيتهما لا تكاد كتابين مستقلين صدرا في عامين وانما تحسبهما اخوين توأمين كان المؤلف يسهل على مقتنيهما معاً وحينئذٍ لا تشعر العين في قراءتهما بالانتقال من كتاب الى كتاب . وهذه الملاحظة من نهاية في الذوق الفنيّ الاصيل

والمجموعتان متشابهتان ايضاً في طريقة اختيار الموضوعات وطريقة ترتيبها وفي طريقة الاسلوب . فدستور المؤلف في اختيار موضوعاته ان يكتب عن كل مسألة او شخصية شغلت من وعي الناس وهو في ذلك لا يبالي هل كتب عن قديس كبرسوم العريان او كتب عن شخص كابي جلده وزميله العرميط فالمهم عنده هو ان هذه الشخصية ظهرت على مسرح الدنيا و دورها في الحياة تمثيلاً لفت اليها الانظار في فترة من الزمان — كذلك طريقته في ترتيب الموضوعات المجموعة فهو دمقراطي الى ابعد حد فلا بأس ان يجعل موضوع اللورد غراي مثلاً بجانب موضوع برنس دار الكتب فمجموعات الهوامش من هذه الناحية اشبه بالمحافل السعيدة او بالمتاحف الفنية تترك بدون تصنيف لتكون ادنى الى نظام الطبيعة واكبر الظن ان صاحبنا لا يكلف الكتبة هذا الدمقراطي وانما ذلك يصدر عفواً عن طبيعته العمية صدى لنفسيته الحرة ومرآة لمحبته الا السمحة التي تفتح ملكوت الله للجميع

***

أما طريقة كتابته في التراجم فهي ليست تحليلية غالباً وانما هي استعراضية كل همه فيها أن يعطي عن المترجم قصة حياة مصطنعاً في نقلها لك أقل ما يمكن من الالوان . ولو سمح لي الاستاذ العقاد أن اكشف عنها قليلاً لقلت انهُ لم يعزف عن الطريقة التحليلية تحقيراً لشأنها بل من الواضح يحسن استخدامها في حياته العملية كما أنهُ يوسطها في تعرف اصدقائه وسبر من يصلح للصداقة ومن لا يصلح وانما هو يعمد الى الطريقة الاستعراضية حتى لا تلون مبادئه وميوله مبادىء الآخرين وميولهم عند تحليلها ، كأنهُ يريد ان يعيش دائماً مافوقاً على نفسه مدارياً بقدر ما يستطيع . اما تراجم الهوامش لا تعنى بالتغلغل في عناصر الشخصية المترجمة وكل عنايتها ان تقدم لك هذه الشخصية في قسمات وسمات واضحات ثم تتركها لذكائك تفهم منها ما تريد — ومن العجب ان صديقنا العجوز وحلمه اربعون سنة تؤيد منزلته في الفن والشهرة لا يزال يصدر كتبه بتقدمات للكتب قد يكون كآبائه او حفدته اذا راعينا السن فقط واغمضنا عن غير ذلك من الاعتبارات كأن لصف قرن في الصحافة لا يكفي لتعريفه للقراء . حقاً انهُ لون من التواضع عجيب

كتبت عن الصحافي العجوز مرة قبل هذه فقلت ان فيه نصيباً من الشاعر والفيلسوف فغضب ورجاني ان ابعد عنهُ هذه التهمة وكنت اود ان افعل ولكن ما ذنبي وهو نفسه يدفعني الى تأكيد هذا الاتهام تأكيداً وأقول انهُ فيلسوف ساحر وساحر من الطراز العميق

أحل يا صديقي انك تسخر بالشهرة وتسخر بالاقدار وتسخر بالحياة وان تواضعك ما هو الا نوع من السخر يعرفه أصحاب اناتول فرانس في تهكماته واصدقاء المعري في مواربته للناس ومداراته ولعلك تتحفنا على ذكرهما بهامشين عن هذين الرجلين والى اللقاء عندئذٍ أيها الصديق الكريم

محمد أمين الخطيب

باب الأخبار العلمية

نورمندي

ملكة البحار السبعة

وصفنا هذه الباخرة في مقتطف ابريل من السنة الماضية في مقال عنوانه «معجزات السفانة» ثم قرأنا وصفاً طريفاً لها في احدث جزء من اجزاء مجلة «الميكانيكا العامة» فآثرنا اتحاف قرائنا به في حينه ، لكيلا تفوتهم شاردة ولا واردة من المعلومات الخاصة بتلك الجارية العجيبة واليك البيان :—

يبلغ وسق نورمندي ٧٩٢٨٠ من الاطنان وهي باخرة نسيج وحدها في سعتها وضخامتها وافخر ما أنتم صنعه من السفن حتى اليوم ، فمن العسير منافستها . ورسمها وزخرفها لا مثيل لهما في تاريخ السفانة . ولا تحتوي اية سفينة من السفن الكبرى ما احتوته نورمندي من المخترعات العصرية . ومظهرها الخارجي البديع دليل جليٌّ على شكلها الداخلي الانيق . وجؤجؤها ودواخنها مصنوعة ، على شكل مساير للتيارات

والقوة الكهربائية المحركة لها تكفي لمدينة عدد سكانها ٣٠٠٠٠٠ نفس . وكل شيء في نورمندي (عروس الاطلنطي) يسترعي الاعجاب فضهورها خالية من الروازن (منافذ التهوية) والزناجير ، وغيرها من الآلات والادوات المعرقلة للسير . وتستطيع نورمندي ان تدرأ عن نفسها ، بجؤجؤها المساير للتيارات غائلة الامواج الطاغية . ويتاح لها بقوتها الـ ان تقطع المحيط الاطلنطي في ٩٦ ساعة لا يعيقها اي عائق ، ريحاً كان او مدًّا او او اسراباً من الحيتان او عواصف حمار غيرها ، عن وصولها في ميقاتها المضروب

فاذا قيض لك ركوبها ، تجلت لك فيها الزخارف العصرية والرياش الفاخر والا الباهرة والالوان المطابقة لها . وفي نورمند الاثاثات الثمينة والمنسوجات النفيسة والمصن الخشبية طرفٌ لم ترَ العين مثلها في اية اخرى ، لان خشبها النادر استورد من ا انحاء العالم . وقصارى القول ، ان محا نورمندي تدل على اسمى ما بلغته الف والعلوم في هذا العصر . وسرعتها ثلاثون بحريًّا في الساعة وطولها ١٠٢٩ من الاقدام و ١١٩ ½ من الاقدام . وغاطسها ٣٦ قدماً قراريط وعدد ملاحيها ١٣٣٩ وقوة مح ١٦٠٠٠٠ من الاحصنة وارتفاعها من فا الى ذروة مرقبتها bridge ١٢٨ قدماً

وفيها كل ما تشتهي الأنفس ، برؤيته الاعين . فهي جزيرة عائمة ، بحيث لا شيئاً الا وجدته فيها يسير المنال ، من ووقاية وعلاج ومكتبات ومسارح و

واحواض للسباحة وحرائد وراديو وحوانيت حلاقين للرجال ، واخرى لتنسيق وتزيين شعور السيدات ، وفيها كذلك الخياطون وغيرهم من الصناع . وتحتوي على الملاهي المختلفة الانواع ، والمتاجر الخاصة ببيع الملابس ومتعلقاتها

واذا قُدّر لك السفر فيها ، استطعت الاختلاط بأجناس شتى من الناس فتسمع اهم اللغات الحية وغيرها من اللهجات. وقد استخدم في صنعها الوف من الصناع واستغرق ما ينوف على خمس سنين

وتشمل نورمندي جميع اسباب الترف ، ففيها حجرات لألعاب الاحداث وغرف للعب الورق (كوتشينة) وأروقة للصيد ، وغرفة للتدليك وثلاثة مشافي وحانوت لبيع الازهار وحجرة للتصوير الفوتوغرافي واخرى للعلاج . وحمامات كهربائية وبخارية ، وحظيرة للسيارات تسع ١٠٠ سيارة ، وبيوت للكلاب وأحواض لاغتسالها ومتنزهات للكلاب ايضاً !

وغرف الدرجة الثالثة في نورمندي موضوعة بقرب مؤخرها ، بدلاً من حشرها في الجؤجؤ كما هي الحال في غيرها . وتحتوي الباخرة على ساحة رحبة للتشمس تستطيع الطيارات النزول عليها ، طولها ٣٠٠ قدم وعرضها ٧٥ قدماً ، خالية من العوائق المعتادة في البواخر الاخرى مثل الآلات والادوات وغيرها فتصلح ملعباً كملاعب الفضاء المختلفة الانواع

وتحتوي الدرجة الاولى في نورمندي على حديقة شتوية طولها ١١٢ قدماً وعرضها ٣٩ قدماً وفيها ردهة للاستراحة طولها ٩٥ قدماً وارتفاعها معادل لارتفاع ثلاث طبقات في الباخرة وفيها مصاعد ركابها الى اية طبقة من طبقاتها الاحدى وفي الباخرة مسرح يسع ٣٥٠ مقعداً يصلح للتمثيل وإما للسينما الناطقة . وفيها للسباحة طوله ١٢٠ قدماً وعرضه ٣٠ ، عمق مدرّج تتاح فيه المنافسة في السباحة ، للراغبين من الركاب . وفيها ثماني ردهات للطعام ، عدا مطعم الدرجة الاولى وهو فاخر طوله ٣٠٠ قدم وارتفاعه يعادل ثلاث طبقات من طبقاتها . وهذا مما يجعل اكبر المطاعم في البر والبحر

وفي نورمندي اجهزة تلتقط ركابها حدوث الحريق وتكافحهُ . وكذلك فرق مطفئي الحرائق ليس لزعمها اي عمل الاضطلاع بتلك المهمة والسهر عليها

وجميع حيطان الباخرة ، وفواصل غرفها مغشاة بطبقات من الواح معدنية من « الدورالومين » Duralumin موضوعة بين طبقتين من الاسبستوس (معدن لا يحترق) وفي كل حجرة من حجر الركاب جهاز منبه على الحريق ، فاذا وصلت حرارة اية غرفة ، الى درجة شاذة ، قرع الجهاز ناقوساً في المقر العام لفرقة الحريق ، واضاء الجهاز ، في الوقت نفسه ، لروازن المجددة للهواء في ذلك القسم من اقسام الباخرة

والدائرة الكهربائية في اغلب الغرف مستقلة عن غيرها . وفي سقف كل غرفة ، كوة تصل الى مركز مطفئي الحريق في الاحوال المستعجلة . واذا ما اختل جهاز الاضاءة الكهربائية ، في نورمندي فانطفأت مصابيحها ، تمكن الركاب من الاستضاءة

بانابيب غاز النيون والغازات المماثلة لهُ . وفي نورمندي اجهزة راديو شتّى تعمل مستقلة عن القوة الكهربائية التي تتولد فيها

ومن غرائب هذه الباخرة ، انها على ضخامتها المتقدم وصفها ، يستطيع تسييرها ٤٠٠ رجل فقط . اما باقي عمالها فمخصصون لخدمة الركاب . ولكن في غرفة القيادة (وقد وضعنا لها لفظ مرقبة) ، مئات من الاجهزة الكهربائية تحل محل الوف من العمال البشريين

وعند ما تسير نورمندي بين اوربا واميركا تطلق دواخنها ١٥٠ طنًّا من الدخان في الهواء . وذلك بانابيب مسايرة للريح صنعت لتلك الغاية لكيلا يصل الدخان البتة الى وجوه الركاب . وقد أتمت رحلتها الاولى ففاقت كل ما سبقها من السفن

تهجين القمح

جعل علماء الزراعة في جمهورية الولايات المتحدة الاميركية يبحثون في تهجين قمح لا يستهدف لآفة الصدأ . وقد يتعذر على الباحث تقدير الضرر الذي يسبب الزراعة من تلك الآفة الماحقة . وحسبنا ان نعرف ان الخسارة التي لحقت زراع اميركا الشمالية وحدها منها في سنة ١٩٢٧ كانت تقدر بملايين الجنيهات

وكل ما يعرفه الفلاح بشأن آفة الصدأ النباتي انه غبار احمر اللون ، يغشى اوراق القمح وسوقه فتحبط آمال الزراع في استغلال محصول جزيل من اراضيهم اذ يظفرون بمحاصيل ضئيلة . اما الخبير الزراعي فيقول انهُ نبات دقيق جدًّا لا يرى بالعين المجردة وهو من فصيـ الفطريات المعروفة في مصر باسم عيش الغرا

وقد استدل الخبراء من التجارب ان ذ كبريتات النحاس التي كانوا يستعملونها او لوقاية الحبوب من القطر ، ما هي الأ وسـ وقتية لان المطر متى هطل على النباتات ، غسـ عنها الكبريتات وكذلك الارياح الهوج تذرو عن الغلال فلا تستقر عليها استقراراً متسـ ومن ثم اقتنع الخبراء بأن العلاج الناجع هـ تهجين قمح لا يصيبه الصدأ

ولما كانت اصناف القمح تزيد على الالـ عدًّا . وجميعها معرضة للاصابة بآفة الصدأ بـ توجد اصناف اخرى ، ليست جيدة لصـ الخبز ، ولكنها لا تسطو عليها جراثيم الصـ رأى مهجنو النباتات في جامعة منيسوتا و مختبر الصدإ في كندا ، الشروع في تلقـ الحنطة التي لا تفتج خبزاً فاخراً ، بأصناف ، الحنطة السليمة الحبوب غير المشهورة بانتـ الخبز اللذيذ ، ولكنها تضاد الصدأ . ولذا فحص الخبراء ١٥٠٠٠٠ نوع من القمح فيما ويتبيج في خلال سته اشهر حتى وفقوا لتهجـ صنف منها يقاوم الصدأ عوض جندي

العين وطول الحياة

اعلن الدكتور فيلكس برنشتين الاسـ بجامعة كولومبيا الاميركية ان سر طول العـ او قصره في عين الانسان ، بل في عدستها . قالـ في الغالب اذا تخطوا سن الاربعين الى الخمـ ظهر شيء من التصلب في عدسات عيونهم

فاذا كان هذا التصلب سويًّا (Normal) دل ذلك على ان مدى الحياة سوف يكون سويًّا فاذا ظهر هذا التصلب مبكراً دل على ان صاحبه لن يكون من المعمّرين . وعلى الضد من ذلك اذا ظهر متأخراً فالراجح ان صاحبه مكتوب له العمر الطويل . وهذا نصرف النظر طبعاً عن العوارض التي قد تقتل الانسان طفلاً وفتيً وشابًّا وكهلاً

ويقول الدكتور برنشتين انه توصل الى هذه النتيجة بعد ما بحث في خمسة آلاف حالة من حالات تصلب العدسة في العين ، دونت تفصيلاتها في عيادات جامعتي غوتنجن وليبتسغ وعيادتي طبيبين من اطباء العيون المشهورين وقد تتبع تاريخ كل حالة من هذه الحالات التي دونت كما تقدم من لدن تقدم اصحابها لامتحان العين الى حين الوفاة فتبين له ان الذين يصابون باكراً بتصلب العدسة يموتون باكراً وان الذين يتأخر تصلب العدسات في عيونهم يعمرون

آذان جديدة للجيش

صنع للجيش الاميركي «آذان» صناعية عجيبة في مكنتها ان تتبين هدير طائرات العدو وهي على بعد ١٢ ميلاً ثم اذا تبينته اطلقت من تلقاء نفسها اشعة قوية على هذه الطائرات فيستطيع رجال المدافع الخاصة بمقاومة الطائرات ، ان يسددوا قنابلهم اليها كأنهم يرونها في رابعة النهار

وقد تم هذا الاستنباط على يدي رجل يدعى فرانك هوس بعد خمس سنوات من البحث والتجربة

والسر في هذه « الآذان » جهاز خاص يستعمل فيها كالغربال اذا اردنا التشبيه اي انهُ يبعد عن « الآذان » كل الاصوات الصادرة من مصادر ارضية ولا يأذن الا لهدير محرك الطائرة وآلتها بالوصول الى الجزء الحساس ومهما كان الهدير لطيفاً يكبر ويقوى عند دخوله . . الجهاز يمكن رجال الجيش من الاعتماد على «الآذان» في العواصف والامطار وقد حرمت مثل هذه الاحوال فأسفرت التجارب عن نتائج الاجهزة المستعملة فعملاً في الظروف هدوءاً وسكوناً

سرعة الحيات او بطؤها

اذا رأيت حية منسابة ظننت انها من الحيوانات السريعة ولكن القياسات العلمية تدل على انها ليست كذلك . فالدكتور دموزور احد اساتذة جامعة كاليفورنيا وهو بالاستقراء ان اسرع الحيات لا تقطع اكثر من ٣٠٦ ميل في الساعة

والحية التي بلغت هذه السرعة في انسيابها اضطرت اليها اضطراراً وعجزت عن المضي فيها الا مسافات قصيرة

وقد اجرى الدكتور موزور تجاربه بستة انواع من الحيات المألوفة في ولاية كاليفورنيا وقد استخرج لكل نوعين سرعتين . الاولى سرعتها الطبيعية عندما تبحث عن فرائسها والثانية عند ما تستحث حتى تبلغ اقصى سرعة تستطيعها

فمن الحيات بطيئة كل البطء فلا تزيد سرعة انسيابها العادية على عشر ميل في الساعة واقصى سرعتها ميل وخمس ميل في الساعة . وثمة ضرب من البواء في كاليفورنيا لا يبلغ اقصى سرعته اكثر من ربع ميل في الساعة

الجزء الثاني من المجلد السابع والثمانين

١٢٩ الارض في محيط الاشعاع
١٣٦ بحث لغوي في مجلة المجمع الملكي : للاب انستاس الكرملي
١٤٤ اشكال السيارات والسفن (مصورة)
١٤٩ النباتات المصرية القديمة : للدكتور حسن كمال
١٥٣ حجم ذرة الاثير : لنقولا الحداد
١٥٩ فلسفة الجمال : لحنا خباز
١٦٥ مفردات النبات : لمحمود مصطفى الدمياطي
١٦٩ سفن جوية كالقنابل
١٧٤ اعمدة الحكمة السبعة
١٧٨ نجران : لسعادة فؤاد حمزة بك
١٨٧ طلسم الآباد (قصيدة) : لالياس قنصل
١٨٨ الدفتيريا وعلاجها الواقي : للدكتور محمد علي
١٩٣ سوريا في زمن الصليبيين : لنقولا زيادة
٢٠٣ عجيبة المرأة المضيئة
٢٠٥ مغارة قاديشا العجيبة : لميشيل سليم كميد (مصورة)
٢٠٩ أيقال كريات بيضاء : لامين ظاهر خير الله
٢١٥ الدكتور احمد النقيب : لنقولا شكري (مصورة)

---

٢١٩ باب سير الزمان — الدستور السوفياتي الاشتراكي : للاستاذ وليم بنت مونرو . . البترول في سياسات الامم الحربية والصناعية
٢٣١ باب مملكة المرأة — خواطر مثقفة عصرية . الصحة والطقس : للدكتور فيليب شديد نوم الاطفال . آداب الحديث
٢٣٩ حديقة المقتطف — المفترقان : لمدام ديبورد فالمور . الشاعر والاولاد : لفكتور هوغو الاناء المكسور : لسولي برودم
٢٤٥ باب المراسلة والمناظرة — ارشاد لغوي : لعبد الرحيم بن محمود . الهشاب والعكوب : للفريق الدكتور امين المعلوف باشا
٢٤٧ مكتبة المقتطف * تآليف المستشرقين : منزلة الفارابي . المدخل الى ابن سينا ورسالة الحدود للدكتور بشر فارس . المعجم في بقية الاشياء . ضحى الاسلام : لاسماعيل مظهر . ديوان حافظ لمحمد عبد الغفور . شعراؤنا الضباط : لعباس حسان خضر . هوامش الصحافي العجوز : لمحمود ابو
٢٦٠ الاخبار العلمية * نورمندي . تهجين القمح : لعوض جندي . العين وطول الحياة . آذان الجيش . سرعة الحيات او بطؤها

مطبوعات المقتطف والمقطم

الكتب المفيدة نور العقول — المطالعة غذاء النفوس

في ادارة المقتطف والمقطم طائفة قيمة من الكتب العصرية والروايات الادبية الفائقة وكلها تباع بأثمان رخيصة وهاك بيانها

ص	
٢٠	أعلام المقتطف
٢٥	جمهورية افلاطون
٢٠	العلم والعمران
١٠	رسائل الارواح
٤٠	معجم الحيوان
٢٠	كتاب اللاسلكي
٢٥	فتوحات العلم الحديث
٢٠	الزواج

ص	
٨	رواية فتاة مصر
٨	رواية اميرة انكلترا
[illegible]	رواية الاميرة المصرية
٢٠	بسائط علم الفلك
١٠	رجال المال والاعمال
١٥	مختارات المقتطف
٢٠	فصول في التاريخ الطبيعي
٢٥	أساطين العلم الحديث

مجلدات المقتطف

[illegible]

[illegible] تاريخ [illegible] الطبيعة [illegible] واهم حوادث التاريخ وسير اعاظم الرجال [illegible] [illegible] قريب التناول وصور كثيرة [illegible] مع مقالات كثيرة في مواضيع شتى علمية وادبية وفلسفية [illegible] النهضة الشرقية الحديثة — اذا اردت ان تطلع على ارتقاء [illegible] العربية و[illegible] والخمسين السنة الماضية — اذا اردت تاريخاً وافياً [illegible] منذ اكثر من نصف قرن الى الآن

فيجب الآن [illegible] مكتبتك من مجلدات المقتطف وهي تباع مفردة او مجموعة واطلبها [illegible]

الى محبي المطالعة

طلب الينا كثيرون من قراء المقتطف ان نتساهل معهم في بيع سنوات المقتطف القديمة نزولاً على ارائهم قررت ادارة المقتطف بيع بعض سنوات المقتطف القديمة بثمن ٢٥ قرشاً يضاف اليها اجرة البريد و[illegible] السنة عشرة اعداد •

فمن يرغب في اقتناء بعض هذه السنوات فليرسل طلبه مصحوباً بالقيمة

ادارة المقتطف بمصر

الاصلاح

[illegible]

[illegible]

[illegible]

مجلة الشرق

ادبية سياسية مصورة

[illegible] عن الشؤون البرازيلية ومآتي النزلاء الشرقيين في البرازيل تصدر [illegible] في الشهر — صاحبها ومحررها الاستاذ موسى كريم ويشترك في [illegible] طائفة من اكبر ادباء العربية في البرازيل وبدل شتراكها ٢٤٠ قرشاً صاغاً

وعنوانها Journal Oriente

Caixa Postal 1402, Sao Paulo, Brazil

الجريدة السورية اللبنانية

الجريدة الرسمية للنزالة العربية في الارجنتين

تصدر صباح كل يوم من ١٦ صفحة

باللغتين العربية والاسبانية

مديرها ورئيس تحريرها : موسى يوسف عزيزة

يحرر فيها نخبة من حملة الاقلام الحرة

عنوانها :

El DIARIO SIRIOLIBANES

Reconquista 339

Buenes Aires Rep. Argentina

معمل تحليل وديع هواويني

[illegible] الدكتور [illegible] بمصر سابقاً . متخرج من جامعة الطب الاميركية ببيروت [illegible] رقم ٦ تجاه تياترو الكسار بشارع عماد الدين بمصر [illegible] لتحليل البول كيماوياً ومكروسكوبياً وفحص البصاق [illegible] وجميع مكروبات الامراض [illegible] وبأحدث الطرق

[illegible]

٣٥ القاموس العصري انكليزي عربي (طبعة ثانية)
٧٠ « « « « (طبعة ثالثة)
٧٠ « « عربي انكليزي (طبعة ثانية)
٣٥ « المدرسي عربي انكليزي وبالعكس
٣٠ قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس
٢٠ « « عربي انكليزي فقط
١٥ « « انكليزي عربي فقط
٧٠ « سقراط سبيرو عربي انكليزي (باللفظ)
٥٠ « « « انكليزي عربي (باللفظ)
١٠٠ « « « « « وبالعكس
١٠ التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطول)
١٢ الهدية السنية لطلاب اللغة الانكليزية (باللفظ)
١٠ الف كلمة الماني (لتعليم الالمانية بسهولة)
١٥ في اوقات الفراغ (للدكتور محمد حسين هيكل بك)
١٠ عشرة ايام في السودان « « «
١٢ مراجعات في الادب والفنون للاستاذ عباس العقاد
١٥ روح الاشتراكية (لغوستاف لوبون) وترجمة (الاستاذ محمد عادل زعيتر)
١٥ روح السياسة « «
١٠ الآراء والمعتقدات « «
١٠ اصول الحقوق الدستورية « «
٨ الحضارة المصرية (لغوستاف لوبون)
١٥ حضارة مصر الحديثة (تأليف كبار رجال مصر)
١٠ الحركة الاشتراكية (رمسي مكدونلد)
١٥ ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء
٨ اليوم والغد (الاستاذ سلامه موسى)
١٠ مختارات « « «
٨ نظرية التطور وأصل الانسان « «
٢٠ اناتول فرانس في مباذله، للامير شكيب ارسلان
١٥ الدنيا في اميركا (للاستاذ امير بقطر)
١٠ المرأة الحديثة وكيف نسوسها (عبدالله حسين)
١٠ جريمة سلفستر بونار (اناتول فرانس)
٥ المرأة بين الماضي والحاضر
٥ مركز المرأة في شريعتي موسى وحمورابي
١٥ حصاد الهشيم (للاستاذ ابرهيم عبدالقادر المازني)
١٠ نبض الريح (« « « « «)
٨ نسمات وزوابع شعر منثور مصور
١٠ رسائل غرام جديدة (سليم عبدالواحد)
١٠ الغربال في الادب العصري (ميخائيل نعيمة)
٥ حكايات للاطفال، اول (مصور بالالوان)
٥ « « ثان « «
٥ « « ثالث « «
٥ تذكرة الكاتب طبعة [illegible]
٢٥ جمهورية افلاطون (للاستاذ [illegible])

١٠ التربية الاجتماعية (للاستاذ [illegible])
٥ خواطر حمار (للاستاذ [illegible])
٥ التعليم والصحة للدكتور محمد بك عبد
١٥ الحب والزواج (للاستاذ نقولا حداد
١٥ ذكراً وانثى خلقهم « « «
٥٠ علم الاجتماع (جزآن كبيران) « «
١٥ اسرار الحياة الزوجية « «
٣٠ الامراض التناسلية وعلاجها للدكتور
٢٠ المرأة وفلسفة التناسليات «
٢٠ الضعف التناسلي في الذكور والاناث
١٥ الزنبقة الحمراء (للاستاذ احمد الصاوي
١٠ تاييس « « «
٥ مكايد الحب في قصور الملوك (اسعد خليل د
١٠ القصص العصرية (٨٠ قصة كبيرة مصر
١٠ مسارح الاذهان (٣٥ قصة كبيرة مصر
١٢ رواية اهوال الاستبداد، مصورة
١٠ « فاتنة المهدي، او استعادة السو
٨ « الانتقام العذب (اسعد خليل داغ
٥ « فقر وعفاف (للاستاذ احمد رأفت
١٢ « باريزيت، مصورة (توفيق عبد
١٢ « غرام الراهب او الساحرة المجدور
٧٥ « روكامبول، ١٧ جزء (طانيوس عب
٢٥ « ام روكامبول، ٥ اجزاء «
٢٠ « بارديان، ٣ اجزاء «
٢٠ « الملكة ايزابو، اجزاء «
٢٠ « الاميرة فوستا، جزآن «
٢٠ « عشاق فنيسيا، جزآن «
١٦ « الساحر العظيم، اجزاء «
١٦ « كابيتان، جزآن «
١٦ « الوصية الحمراء، جزآن «
١٦ « بائعة الخبز «
١٢ « فلمبرج، جزآن «
١٠ « فارس الملك «
١٠ « ضحايا الانتقام «
٨ « المرأة المفترسة «
٥ « المتنكرة الحسناء «
٥ « مروضة الاسود «
٥ « عهداء الاخلاص «
١٦ « دار العجائب جزآن (نقولا رزق الله
١٠ « فرنسوا الاول « «
١٠ « الجنون فنون « «
٨ « [illegible]
[illegible]
[illegible]

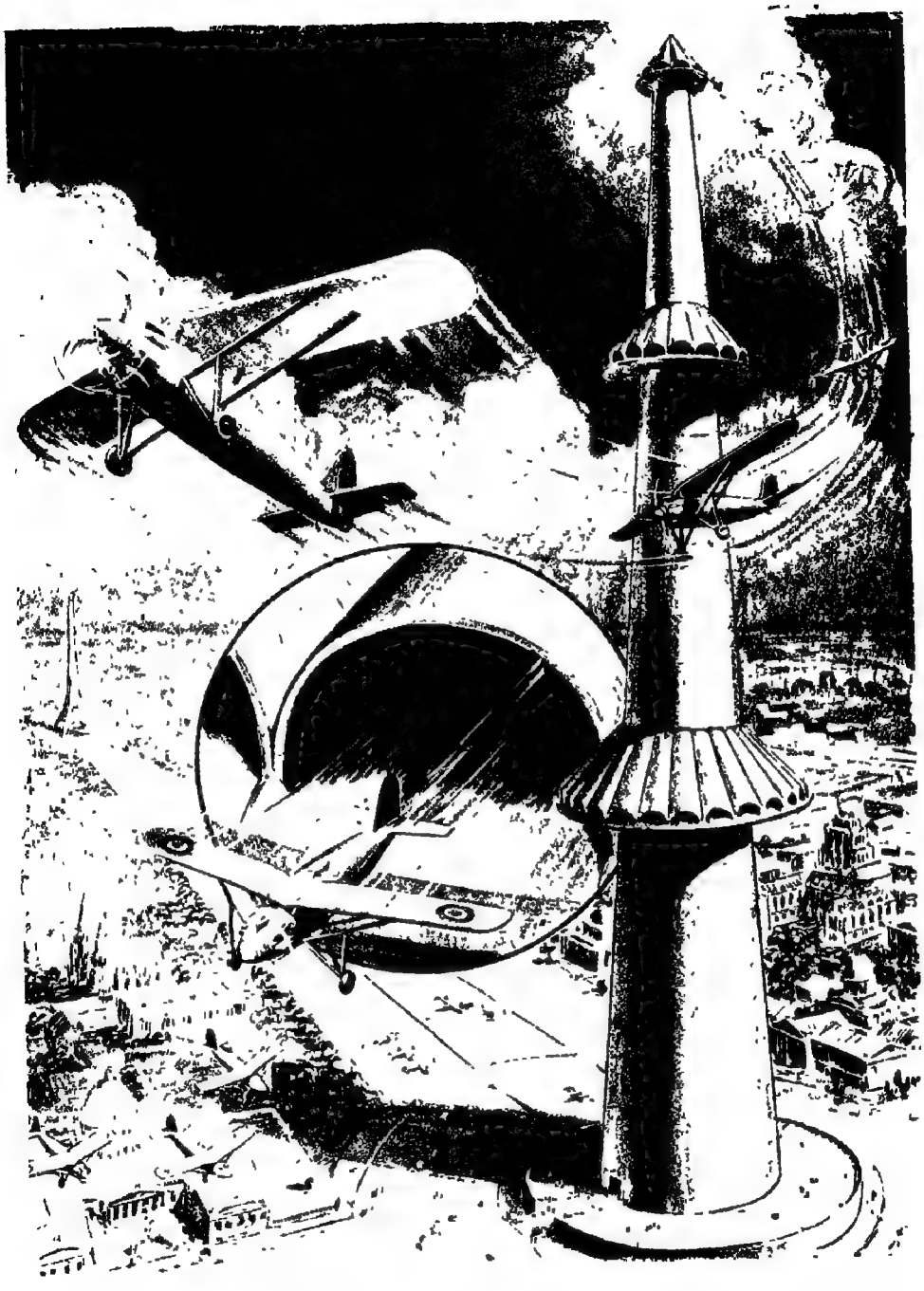

صورة برج ينتظر تشييده لمعرض باريس سنة ١٩٣٧ علوه ٦٩٠٠ قدم
وقطره عند قاعدته ٧٠٠ قدم وعند قمته ١٢٥ قدماً

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثالث من المجلد السابع والثمانين

١ اكتوبر سنة ١٩٣٥ — ٤ رجب سنة ١٣٥٤

الغدد والشخصية

الشخصية لفظ مولّد ، حديث التوليد في اللغة العربية ، ولّد ليدلّ على ما يدل عليهِ الا كليزي Personality . والشخصية لفظ يصعب تحديدهُ حتى في اللغات الاعجمية، وان كان مع ه عام لا يخفى على اللبيب . وموضوع هذا الفصل يتناول اثر الغدد الصمّ في احداث المميز ة التي تميّز شخصية عن اخرى . وهو من قلم الدكتور هسكنز Hoskins مدير معامل البح معهدٍ خاصٍّ بدرس الجهاز العصبي والغدد الصم في مدرسة الطب بجامعة هارفرد الاميركية في كل جسمٍ غدد كثيرة . وهي في الواقع معامل كيمائية حيّة . ولعلّ اشهرها الغدد اللع تفرز اللعاب فترطب بهِ الفم . والغدد الدمعية التي تفرز الدموع . وغدد العرق في الجلد ر العرق فتهسل على الجسم الابتراد بتبخرها في حرارة الصيف . هذه الغدد جميعاً تتناول ، الدي يجري فيها في عروق دقيقة ، موادَّ مختلفة ثم تركبها فتصنع منها مفرزاتها الخاصة بها ز هذه المفرزات في اقنية خاصة الى الفم او العيون او سطح الجلد

ولكن الغدد التي يدور عليها بحثنا في هذا الفصل تختلف عن الغدد التي تقدّم ذكرها ، ف زاتها لا تفرز في اقنية الى الخارج، بل تعاد رأساً الى الدم وهو مارٌّ في عروقهِ الدقيقة التي تحتر ملها لذلك لا ينحصر في عضوٍ خاص دون آخر، بل تجري مع الدم الى جميع اعضاء الجسم وتس زُ فيهِ تأثيراً يختلف باختلاف العضو او النسيج وباختلاف المادة المفرزة والغدة التي افرزتها هذه الغدد تعرف بالغدد الصمّ ، ومفرزاتها تعرف بالمفرزات الداخلية او بالهرمونات

والهرمونات من اقوى العقاقير التي عرفها الانسان واشدّها فعلاً . ففي كل جسم سو
خمس قمحة من هرمون تفرزه الغدة الدرقية . والجسم يستعمل من هذه المادة نحو ثلا
ونصف قمحة في السنة ، اي انهُ يستعمل منهُ ما قدره نصف قرصٍ من الاسبيرين . ولكن
لا نستغني عنهُ، بل اذا أضربت غدة احدهم الدرقية لعلّة ما ، عن افراز هرمونها هذا (و
باسم الثيروكسين نسبةً الى اسم الغدة ثيرويد وقد يصحُّ ان ندعوه باللغة العربية دَرَقين قياسـ
الى اسمها العربي) فقَد ذلك الرجل نعمة الفكر وأصبح أبله لا يعقل

وثمة هرمونات اخرى غير الثيروكسين ، تشبههُ في قوة فعلها ، بل بعضها يفوقهُ ، و
عليها في حياتنا وفي كل ما يجعل لهذه الحياة شأناً في نظرنا

على اننا يجب الاَّ نغالي . فبعض الكتَّاب الذين المَّوا ببعض ما للغدد الصم من الأ
الانسان تطرَّفوا في القول اذ ذهبوا الى ان شخصية الانسان لا تعتمد الاَّ على مفرزات الغ
ولكن الواقع ان العناصر والعوامل التي تكوّن « الشخصية » كثيرة ومختلفة . ولكن
الذين يفوقان غيرهما في تكوينها ، هما ذهن الانسان وشعوره ، أي تفكيره وانفعاله .
يتوقف الرأي في هل هو ذكيٌّ أو أبله ، والذكاء يتوقف على الدماغ الذي يرثهُ الانسان من
ولكن نموّ العقل يتوقف الى حد بعيد على هرمونات الغدد الصم . وأهم من العقل في
الشخصية انفعال الانسان وحدتهُ ومداهُ وكبتهُ لانفعاله او استسلامه لهُ فنحن نحب من الر
مرحاً لعوباً ، وقد نعرض عمن كان مقطبّاً يغلب فيهِ القتام على النور . والانفعال مت
اتصال بالغرائز . بل قيل ان الانفعالات تمثل للانسان ما تحسُّ بهِ غرائزهُ . والغرائز تع
اعتماد على مفرزات الغدد الصم في طبيعتها وقوتها

فلننظر الآن في بعض هذه الغدد كل على حدة

في الدماغ غدة تدعى الغدة النخمية Pituitry تقع في منخفض من الجمجمة في مؤخر
فاذا عجزت هذه الغدة عن النموّ نموًّا سويًّا ، ظلَّ صاحبها صغير الجثة طول الحياة . و
يميزهُ عن غيره ، ويؤثر من الناحية السيكولوجية في شخصيتهِ ، لانهُ يحسّ دائماً بحافز نف
الى محاولة التعويض بكلامهِ أو عملهِ عن هذا النقص البادي في جسمهِ

واذا كبرت هذه الغدة في عهد الطفولة كبراً غير سويٍّ ، نشأ جسم صاحبها عم
احدى الولايات المتوسطة في اميركا شاب في السابعة عشرة من العمر ، يبلغ طوله ثماني اقد
غدتهُ النخمية طغت في نموها وكثرة افرازها على الحدود الطبيعية . فاذا طغت الغدة النخ
الطغيان بعد سني الطفولة ، ظهر اثرها في نمو الجسم نموًّا مشوَّهاً . فقد تطول الذراعا
ولا يكبر الرأس . أو قد يكبر الرأس وتطول الساقان وتبقى الذراعان سويتين . فيصبح
مسخاً من المسوخ يشبه الغورلاَّ ، ولا ريب في ان لهذا التشويه الخَلْق تأثيراً في خُلُقه و

ل عليهِ ان يواجه خطراً اعظم من هذا . فانهُ يكون في بدءِ نموّهِ العجيب نشيطاً شديد النشاء افر الحيوية ، فيفعل ما يعجز عنهُ الاسوياء ثم تضعف قوتهُ ويخمد نشاطهُ ويصبح وكأنهُ حطا نسانٍ لا انساناً . وعلماء الولايات المتحدة الاميركية يضربون المثل في هذا التحول بلاعب رياضي شهور عندهم زاد ما تفرزهُ غدتهُ النخمية . فصار لوفرة نشاطهِ يقذف الكرة (بايس بول) قذفة جبّار فيعجز انداده عن ردها أو التقاطها . فطار ذكرهُ كلَّ مطار ، وصار كل فريق يتنافس مع الفريق الآخر في ضمهِ اليهِ ، ثم لم يلبث حتى خبت تلك الشعلة فيهِ وخمد ذلك النشاط ، فأخذ يهوي من فريق المقدمة الى آخر في المرتبة الثانية فالثالثة ، الى ان اصبح متشرداً زائغ البصر متهدّل الاعضاء

وتفرز الغدة النخمية هرموناً آخر لهُ صلة وثيقة بالنموّ الجنسي او الشق (sexual) . فاذا عجزت هذه الغدة عن افراز المقدار الكافي من هذا الهرمون ، ظلَّ صاحبها من الناحية الجنسية هو والطفل سواء . ولا يبعد ان يكون هوَسة المصلحين من هذا الطراز من الناس . فان عجزهم عن اشباع الغريزة الجنسية فيهم يدفعهم الى محاولة اصلاح العالم ، ويغالون في محاولتهم ، لان ذلك يضفي عليهم لوناً من ألوان الشعور بالقوة والسلطان

وقد كشف العلماء من عهد قريب هرموناً آخر تفرزهُ الغدة النخمية يضبط توليد اللبن في الاثدي في المراحل الاخيرة من حمل المرأة ، وبعد ولادة الطفل . يكون عمل هذا الهرمون تنبيهَ الاعضاء والنسُج اللازمة لاعداد غذاءِ الوليد . وقد ثبت ان لهذا الهرمون — وقد دعي باسم برولاكتين (prolactin) — أثراً في فعل غرائز الامومة وتنبيهها في الحيوان ، ولا يبعد ان يكون لهُ هذا الاثر نفسهُ في الانسان كذلك . فحقن هذا الهرمون في اناث الجرذان حملها على ان تتبنى صغاراً وترأمها بعد الام . وحقن الديوك بها حملها على أن تقيق قيْق الدجاج . ولا اريد ان اقول ان حب الام يرجع هذا الهرمون وانما ارجح ان البحث في المستقبل سوف يبيّن ان للبروﻻكتين اثراً عظيماً في حب الا

***

في الجانب الاسفل من العنق نجد الغدة الدرقية . فاذا عجزت هذه الغدة عجزاً مطلقاً عن افراز هرمونها ، كانت سرعة الافعال الحيوية في صاحبها نصف سرعتها في الاسوياء من الناس فيكون العالم شارد الفكر بطيء الفهم ضعيف الذاكرة . اما حياتهُ الانفعالية فتكاد تكون كالبحر الراكد لا يثيرها مثير ولا يحفزها حافز ، ولكن البحث أثبت ان العجز التام في الغدة الدرقية نادر ولكن بعض العجز فيها ليس بالنادر ، بل هو كثير الوقوع ، ومما يبعث على الاسف ان معظم الاطباء يتخطّاهُ او يجهلهُ

فالذين تعجز غددهم الدرقية عن افراز هرمونها ، بعض العجز ، يميلون الى السمنة في الغالب ويتعبون بسرعة من كل عمل جسماني ، ويغضبون ويبرمون لاقل سبب . ثم تراهم وقد جمعوا ما تفه

من حبال حياتهم ، فيملكون زمام امرهم ، ولكن ذلك لا يطول ، فيستغرقون في لجة بالضعف والعجز . ولا يمكننا الآن ان نستند الى احصاءات وافية في هذا الصدد ، ولكن المر الذين يوصفون في الحياة والمجتمع ، بانهم مصابون بالنورستينيا هم في الواقع مصابون بعجز غ غددهم الدرقية

ولا بدَّ من القول في هذا المقام ان للنورستينيا اسباباً اخرى غير عجز الغدة الدرقية ؛ هرمونها ، فاذا كان السبب هذا العجز امكن في الحال اصلاحها . فاضافة عُشْر حبة من الغدة الدرقية في اليوم يكفي احياناً لذلك

يقابل ذلك ان لتضخم الغدد الدرقية وطغيان افرازها نتائج اصعب من نتائج عجزه هرمونها . فتضخمها وطغيان هرمونها يزيدان سرعة الافعال الحيوية . بل يضاعفانها احياناً ، صاحبها وكأنهُ سلك كهربائي . فيصبح نهماً ولكن نهمتهُ قلما تجدي في تجهيز موقده الحيوي الكافي ، فلا يلبث ان يحترق فعلاً ويموت . وقد عولج بعضهم باستئصال هذه الغدة وحقن بمقدار ما يجب ان تفرزهُ الغدة السوية في جسمهِ كل يوم فنجح العلاج . أو قد يستأصل جا حتى لا يفرز الباقي من الهرمون الاَّ ما يكفي صاحبهُ ليعيش عيشة سوية

***

وفي اعلى الصدر الغدة الصعترية وقد طال البحث فيها ولكنهُ لم يسفر بعد عن نتائج يصحُّ الس عليها . وانما يظنّ ان لها صلة بالنموّ وان ضمورها او عدم نموّها يجعل صاحبها ضعيف الجسم ه الشخصية . ولكن في خلال السنة الماضية جربت تجارب بهرمونها دلّت على ان حقنها في الجرذان يستعجل نموها ويستحثُّ افعالها الحيوية والعقلية

فقد اخذ الدكتور رونتري الاميركي وصحبه طائفة من الجرذان واضافوا الى غذائها ح الغدة الصعترية خمسة اجيال متعاقبة . ثم لاحظوا جرذان الجيل الخامس فاذا السرعة في نموّ الج نموًّا جسميًّا وعقليًّا ستة اضعافها في الجيل الاول . فقد ظهرت الاسنان في جرذان الجيل في خلال اربع وعشرين ساعة تقابلها تسعة ايام او عشرة في الجيل الاول . وفتحت العينان و الصوف في جرذان الجيل الخامس في اليوم الثاني والثالث بدلاً من اليوم الرابع عشر الى السابع ع وفطمت في اليومين الثاني والثالث بدلاً من اليوم السادس . وتقدمت سن البلوغ في ذكور ا الخامس الى الفترة الواقعة بين اليوم الرابع واليوم الثامن عشر بدلاً من الفترة الواقعة بين اليوم الخ واليوم التسعين . اما في الاناث فتقدمت سن البلوغ فيها من ٧٠ — ٩٠ يوماً الى ٢٠ يوماً وزادت قوة الاخصاب كذلك

وهذا اذا تصورنا ما يقابله في البشر كان كما يأتي : اذا اضفنا خلاصة الغدة الصعترية الى

خمسة اجيال من فريق من الناس استطعنا ان نقطع طفل الجيل الخامس اذ يبلغ بضعة اسابيع من العمر وتمكن الطفل نفسه من المشي وعمره نصف سنة وان يبرع ويبرز في الالعاب في الخامسة وان يتخرّج في المدارس الثانوية وهو في العاشرة

ومن الغدد التي لها تأثير في شخصية الانسان الغدد المعروفة بالغدد الكلوية . وهي واقعة في الجسم فوق الكليتين . وتفرز هرمونا يعرف باسم الادرينالين . والراجح ان افراز هذه الغدد لا مقام لهُ في حياته الهادئة المألوفة . ولكنهُ يصبح ذا شأن كبير في الحوادث العارضة والمفاجآت والاحوال التي يسيطر فيها الانفعال على الجسم . ففي هذه الاحوال تفرز هذه الغدد افرازها الخاص فتمكن الجسم من مواجهة الحالة الجديدة . التي تقتضي احياناً الفرار من خطر محدق . او القوة والنشاط في مواجهة خطر محدق . ولولا الادرينالين هذا لما كانت شخصية الانسان ما تكون عليه عادة في امثال هذه المواقف

ولكن الفرق بين الانسان البدائي والانسان المتحضر ان العوارض كانت تقتضي من الاول دائماً نشاطاً عظيماً في مواجهتها او الفرار منها وكان الادرينالين يعينهُ على ذلك ولكن الانسان المتحضر يجد ان بعض هذه المواقف العارضة تقتضي منهُ كبت الانفعال وكبح جماح النفس . ومع ذلك تظل هذه الغدد تفرز الادرينالين والادرينالين يحثّهُ من غير أن يدري إلى النشاط والعنف . فتزيد صعوبة ضبط النفس عليه

وتفرز الغدد الكلوية هرمونا آخر يدعى « كورتين » والظاهر ان لهُ تأثيراً عامًّا في جميع خلايا الجسم . فاذا عجزت هذه الغدد عن افراز الكورتين اصاب صاحبها بمرض يدعى مرض أديسن فيضعف جسمهُ ويصبح قلقاً رمّاً تسهل استثارتهُ ويرغب عن التعاون مع رفاقهِ . فاذا حقن بالكورتين استرد عافيتهُ ونشاطهُ ورغبتهُ في العمل والتعاون . ولم يفرغ العلماء حتى الآن من بحث هذا الهرمون وتأثيره في الجسم وانما تدل بعض التجارب والحوادث التي وصفها الاطباء على ان لهُ صلة بالحياة الجنسية

***

واخيراً لا بدّ من كلمة عن الغدد الجنسية أو الشقية . ففي العصور القديمة كانت الحيوانات المستعملة في الحقول تخصى لكي تلين ولا تشاكس ولكي يسهل تسمينها توطئة لبيعها . فاذا ازيلت هذه الغدد قبل البلوغ في الحيوان أو في الانسان قصّر من تسلّ منهُ عن البلوغ الجنسي ، وفقد النشاط ، فيفقد الحيوان شهوة المزاوجة والانسان كل عناية بالجنس الآخر . ولكن اذا عملت عملية السلّ بعد سن البلوغ كان لها نتائج تختلف عن نتائجها قبلهُ . فيصبح الرجل رقيق الطبع وتصحى المرأة شديدة الانفعال سريعة التبرّم والتأثر ، وفي كلا الجنسين يميل من سلّت غدهُ الجنسية الى السمنة

حكمة « جوته »

بقلم عبد الرحمن صدقي

ليست الحكمة وقفاً على الشيخوخة . ولكن الحكيم لاشك يزداد مع السن حكمة بما على تطاول الايام من المشاهدات والتجاريب ينضم بعضها الى البعض فيستوفي بها الجملة ويما فاذا اضفنا الى هذا ما هو معلوم مشهور عن الالمان من انهُ لا كاتب منهم الاّ وهو بطبعه م الفلسفة ونقّاد الاخلاق ، تخلص لنا التقدير الصحيح لحكمة جوته كبير ادبائهم وهو في من عمره الحافل المديد. وهذه الحكمة التي تعرض لآفاق الفكر جميعها من فنون وعلوم وشع عملية وفلسفة ودين وغير ذلك لاتنحصر في حيّز بعينه كالازهار المجففة بل هي الشجرة الفي اغصانها ناضرة الريعان وتنوّر غلائلها متعددة الالوان في كل صفحة من صفحاته وفي كل اسفاره سواء أكان منظوماً او منثوراً ، مبحثاً علميًّا او نقداً فنيًّا ، قصصاً او ترج او مسرحية من عديد مسرحياته . وجوته مثال الحكيم . والذي يجعلهُ اتم تمثيلاً للحكمة أوتي ما لا يؤتاهُ الحكيم عادةً من مختلف المواهب وشتى الدوافع النفسية

وتقوم حكمة جوته على انهُ لا ينفك يضم الى نفسه ما تشعّب ويؤلف المتعارض من والنزعات كما تلتقي اقطار الدائرة في المركز . فليس هو من اهل المذهب المدرسي ولا الابداعي وانما هو فيما وراء هذا وذاك . وليس هو بالمسيحي ولا الوثني ولا غير ذلك من الملزمة لانهُ في المحل الأرفع الأبعد ونعني به الاقرب الى المركز حيث لا تشعب ولا افتراق يستوفر ويستكثر على الدوام ومن كل شيء . وكأنما عندهُ سر يجعل القيم المتفاوتة ووجهات المتضاربة تجتمع في عيشة واحدة بل ينضاف بعضها الى البعض فيحصل من تضافرها زيادة ا ولم يكن جوته في موقف سالب يترك الاشياء تقبل عليه فحسب . بل كان فعالاً موجباً يـ ويجذبها اليه من شتى الآفاق مهما كانت غريبة وسحيقة . والعجيب العجيب ان نجد مجموع الاشتات الهائلة فيه كتلة متماسكة . وثمة عظمة جوته الحكيم . وسيلمس القارىء هذا الجمع الـ مجلوًّا فيما اخترناهُ لهُ من اسفار الحكمة في ديوانه الشرقي :

كتب التفكير والحكمة والمثل

تصدر هذه الكتب عن تجاريب شاعرنا وحكمته بعد بلوغه هذه السن . وهي بالهداية والعبرة . ولا مشاحة في ان جوته افاد الكثير في هذا الباب من مطالعاته لترجمة العظات لفريد الدين العطار وكتاب قابوس فضلاً عن المامه بحكم لقمان وبيدبا وغيرهما . ونحن ن بفقرة من كل سفر من اسفار جوته الثلاث على سبيل المثال :

﴿ لذة الاحسان ﴾ ما احلى نظرة الجارية ذات الدل وهي تغمز بطرفها . والديه تلمح عينه بالرضى فيحتسي كأسه ، وما أحلى تسليم السيد الآمر يشملك بعطفه ، وشعاع الشمس في الخريف يمشك فيئه . فليكن أحلى من ذاك جميعه في نفسك هذه اللحظة الاطيفة تمتد بها كف الفقير في طلب الصدقة وتتلقى منك بالحمد الجميل ما تجود به . وما أحلاها وقتئذ نظرة وما احلاها تحية وما أحلاه لاغة في السؤال . تأمل هذا فاذا أنت الكريم الجواد على الدوام »

﴿ دين التسليم ﴾ « من الحماقة أن يتعصب كلّ لدينه . واذا صحّ أن الاسلام هو التسليم لله وجب أن نحيا ونموت مسلمين أجمعين »

﴿ مثل الايمان ﴾ « تحدّرت من السماء الى لجة الخضمّ قطرة مرتجفة . فأنحت عليها الأمواج خنقا وتصفيقاً . ولكن الله جزاها عن صبر إيمانها خيرا . فوهب لقطرة المطر قوة واعتصاماً فحنوتها الصدفة في حرز حريز . وأتمّ عليها العز والجزاء الأوفى فهي اليوم على تاج مليكما درّ تتألق حلوة اللمح سنية البهاء »

كتاب السخط

ليس في طاقة الانسان أن يكبت فورات غضبه ويكظم نوازي نقمته . بل من الخير أن يحتاا عن نفيسها ، ولاسيما ان كان حرج صدره بحيث يكدر صفاء الخاطر ويعتاق الخيال عن تحليقه وأمرّ ما يعانيه الشعراء سوء التقدير فتراهم يقابلونهُ بالمغالاة بأقدارهم والمفاخرة بمزاياهم . وليس يخاف ان الناس اذا ذكروا العظماء فأول ما يحبون امتداحه فيهم التواضع ثم لا يفيضون فيما عداه من المناقب والملكات . والتواضع ابداً حليف المصانعة وضرب من التملق مقصود به الى إيامة الحس أو الشعور بالغضاضة بين فاضل ومفضول ، فهو في الظاهر تسوية وفي الباطن ترضية وكأنهُ اعتدا الناس عن نبوغه . وما حسن المعاشرة بين الناس الاّ انكار كل كبير لنفسه وفي هذا حكم على المجتمع بالبطلان ، اللهمّ الاّ اذا تأتت للكبير القدرة على ان يترضى اعتزاز الغير بأنفسهم ليرتاضوا من غروره بنفسه . ولقد كان شعراء الشرق يبسطون الاسان في ممدوحيهم بالهجاء كلما أخلفوا منه الظن وخيبوا الرجاء أما شاعرنا فكان ذا حظوة عند الامراء . وانما شكواهُ من سوء التقدير من الشعب وعليهِ يصب جام نقمته وسخطه

﴿ البغض بالجملة ﴾ « اني لأحب البغض ولا غنى للفؤاد عن حبه . وليس بي بغض شخص بعينه . فاذا كان لا بدّ لي من البغضاء فها أنذا على الاهبة ، أبغض أصنافاً من الناس بالجملة »

﴿ اعتبارات سخيفة ﴾ « يعاب على المرء مدحه لنفسه . ولكن أليس فاعل الخير بالمادح نفسه بالخير الذي هو فاعله ! ثم ، أليس الخير لولا التعمية في الكلام هو الخير في كل حال وبالرغم من كل مقال

أيها الحمقى ، ذروا للحكيم الواثق بحكمته أن يلذ مثلما تلتذون جنونكم بالاستهتار بتافه محامده وسخيف اعتباركم »

﴿ ماذا في الكبر ﴾ « ما بالكم أيها المشايخ الدجاجلة ، تذمون نفخة الكبر العاتية ؟ لو لي أن أكون دودة لكان خلقني دودة »

﴿ كيد الوضيع للرفيع ﴾ « كيف ألومهم ، وهذا لسان حالهم يقول : ليس في الامكان رفيعاً الاَّ وضعنا من أنفسنا . أو كنا نحيا لو تركنا غيرنا يحيا ؟ »

﴿ شاهد الكنود ﴾ « ما من سعيد هانىء الاَّ بادره الجار بالتنغيص . كذلك لم يعش د حياته العاملة الاَّ كان همّ الناس في رجمه ، فأذا ما قضى نحبه جمعوا على القبور الهبات الوفيرة لتكريم هذا المنكود بهم تمثالاً . ولو عقلوا وجه مصلحتهم لكان الأولى لهم ان يكتفوا المسكين ويدعوه في طوايا النسيان أبد الآبدين »

﴿ الدناءة ﴾ « فيمَ التشكي من الدناءة ، وانها في الدنيا لذات الحول والطول . هي الامر في الشر طلباً للمنفعة ، وهي المتصرفة في العدل كما شاءَ لها الهوى . أفتريد أيها الحاج ا خروجاً على القضاء المحتوم ؟ ألا دع الصلصال والاعصار ، فلا بدَّ من الدوار و بذرية الغبار

كتاب الساقي

لا يمكن أن يخلو ديوان شرقي من ذكر الولع بالخمر وهوى الغلمان . ويقول حوته انهُ أدب العصر يتناول هذا الغرض الاخير بمنتهى الطهر . ويقدم الى ذلك بأن المثل المتبادل بين والكبر هو على أصح معانيه علاقة تهذيبية بين معلم ومتعلم . وتعلّق الفتى بمن يكبره سنّ بالظاهرة النادرة ولكن النادر هو حسن الالتفات الى الاستفادة منهُ . وليس أدل على ذلك مراقبة العلاقة بين الحفيد والجد ، ففي هذه العلاقة تنمو ذهنية الاطفال حق النماء ولان همهم منصرفاً الى الشيخ المحبوب يرعون وقاره ويطيعون كلمته ويعون ما استطاعوا وعيه من حـ وما لنا نقصر الكلام على سن الطفولة ، وهذي سائر النفوس المطبوعة على الطهر تأنس من نف كل اطوارها حاجة الى هـذه العلاقة القائمة على التقدير والإجلال . ولئن كان الصبي يستغل عطف الشيخ لادراك رغائبه الصبيانية واشباع بداوته البريئة الاَّ ان اصطناعه التلطف والـ يحمل على التساهل والاغضاء . وليس الشيخ بأقل سعادة بهـذه العلاقة فانه ليطربهُ ويتصباه أ الفتى الغضّ الطموح مأخوذاً بالعجب والإعجـاب برجاحة عقله وحكمة سنّـه في حين تفيق من هذا العقل في النفس الناشئة الزكية . واليك بعض المقطعات من هذا الكتاب :

— فلنكن سكارى جميعاً . فالشباب سكر بلا خمر ، والشيوخ يستدركون الشباب بفضل الش ولا غرو فالحياة المسكينة معذبة بالهمّ ؛ وليس يطرد الهم مثل الكرم

— الخمر محرَّمة بلا ريب . فاذا كان لا بدَّ من شربها فلا تشربها الاَّ صرفاً . فانك ان ـ ممذوقة كنت مضاعف الاثم

— أقول غير مبالغ في القول : من كان منكم غير قادر على الشرب فليس يصح له حب .

أنتم أيها الندامى لستم بأحسن حالاً ، فمن كان منكم غير قادر على الحب فليس يصح له شرب
— تعال أيها الغلام الحبيب . لماذا تلزم الباب ؟ كن من اليوم نديمي تكن الخمر كلها رحيقاً
— يا لك من خبيث صغير ! أنق من الخمر على رشدي . وهذا هو المهم عندي ، لكي آ
بقربك أيها النديم الخبيث على الرغم من سكري
— اليوم في البكور قامت في الحانة جلبة يا لها من جلبة . صاحب الحان والقيان والمش
والزحام . وكم من لجاج وكم من خصام ! والباي يعزف والطبل يقرع . عربدة ما أفظعها عربد
قدحات مع الناس في غمارها من غبطة ومن حب . ان الخلق ليهمون عليّ لاستهتار وخلعه العـ
واكبني مبتعد في حزم وسلام عن مجادلة فقهاء المكاتب ووعاظ المنابر
— يدعونك الشاعر العظيم كلما طلعت في الاسواق . واني لشديد الاعجاب حين تنشد و
لاشد اعجاباً لك حين تصمت . ولكني أحبك أعمق ما احبك حين تقباني فيها المحابر . فان الك
بالصمت . أما القبلة فباقية في صميم الفؤاد ولئن كان العظيم القوافي قدرها الكبير فان حيا
اطلاله التفكير . فانشد الناس فنوناً من العظيم واصمت صمتك البليغ مع النديم

كتاب الفرس

في هذا الكتاب يشيد جوته بذكر دين المجوس ويرى أن عبادة الشمس والنار مهما تبـ
معنوية فانها مع هذا عملية جد عملية . ولا غرابة في ان يتحمس جوته لتعاليم من يعبدون
في نور الشمس وفي النار والهواء والماء وفي خصب الارض وحياة النبات . فان هذا التأليه للطـ
يتفق واحساسه العميق بها حتى لتطق به كل سطر من « وصية المجوسي الأخيرة » لاخوان
له وهو من الحياة في آخر الذروة المغمورة بالنور الازلي
« هذا الشمس فوق أجنحة الفجر درَّ قرنها . واطلّع جانب فرصها الوهاج فوق الذرى .
هو الذي لا يرفع اليها البصر خاشعاً . لكم أحسست في حياتي المديدة مراراً لا تحصى لدى شرو
هو عارج اليها لكي اشهد الرحمن على عرشه واسبح باسمه سبحانه مصدر الوجود ورب العالم
ولكي أسلك الصراط المستقيم صراط الذين هم أهل لهذا المشهد العظيم ؛ ولكي اهتدي
الأثر بنوره العميم . وبعد فهذي وصيتي المباركة اودعها صدور اخواني واوكلها الى صدق عزائ
« عليكم القيام بفرائض الحياة الشاقة كل يوم . وما بكم حاجة بعدها الى وحي يوحى » . . . .
وبلي هذا تفصيل الفرائض وكلها ناطق بعبادة جوته للحياة وتقديسه الجهاد فيها

كتاب تيمور

يرى جوته ان كتاباً كهذا كان من حقه ان توضع دعائمه بعد عامين كاملين من العكـ
والتوفر على موضوعه حتى يتأتى للشاعر مواجهة هذى الخطوب الجسام بما يتفق وروعتها و

آفاقها . كما يجمل به تخفيفاً لفجاعتها من حين الى حين ان يظهر الاستاذ نصر الدين الى جانب مولاه الطاغية المخرب . وما اكثر ما يروي الرواة من نوادره ويخص جوته بالذكر هذه «وكان تيمور دميم الخلقة أعور أعرج ، وفي ذات يوم والاستاذ نصر الدين بين يديهِ أمر بالحلاَّق فلما أتمَّ حلق رأسه عرض لهُ بالمرآة فلما رأى تيمور في المرآة قبحهُ أجهش بالبكاء ، جانبه الاستاذ . وظلَّ الاثنان يبكيان نحو ساعتين وأقبل بعض الخلاَّن فجعلوا يواسون ويسرون عنهُ بالحكايات حتى نسي . وكفَّ تيمور عن بكائه ولكن الاستاذ لم يكف بل زاد انهماراً . فقال لهُ تيمور : « وبعد ، انني نظرت في المرآة فرأيت فرط قبحي ، فحزنت وانا الحول والطول وخزائن المال والجواري الحسان ان اكون بهذا القبح . وانت ، ماذا يجعلك تمضي في البكاء ؟ » فأجاب الاستاذ « إنك صادفت وجهك في المرآة مرة فلم تطق رؤيتهُ تبكي . فماذا يكون من امري أنا المقضيّ عليَّ برؤية وجهك صباح مساء : فأذا لم ابكِ فلمن فضحك تيمور لقوله حتى استلقى على ظهره

ومع ان الشاعر لم ينفسح لهُ الأجل لتحقيق ما رسمهُ لنفسه ، ووقف عند المقطوعتين نظمهما ولم يشتمل كتاب تيمور على غيرهما الاَّ انهما في الحق حسبه جلالاً وروعةً

﴿ الشتاء وتيمور ﴾ « هذا الشتاء أنزل بهم بلاءه ، وتنفّس بينهم برد انفاسه فثارت عاتية ، وسلط عليهم زعازع زمهريرهِ وغواشي صقيعهِ . ثم انحدر حتى مجلس تيمور وأهاب به متوعداً : « على رسلك واتئد ايها الشقي ! ايها الطاغية المشوم ! اولم يكف القلوب ما اصطلت عذابك واكتوت بهِ من نارك ؟ فان تك مريداً من الشياطين فانا المريد الآخر . وانك شيخ بالسنين وتمرَّست بهِ واني لكذلك . وانت المريخ وانا كيوان . وكلا الكوكبين شؤم وفي اه إيذان بالويل والثبور وعظائم الأمور . وانت تهلك الأنفس وتخمد جذوتها ، ولكن رياحي برداً مما تستطيع . ولئن كانت عصائبك الهمج قد سامت المؤمنين سوء النكال . فقد كان وسترى اذا آن الاوان باذن الله شرًّا مما جرى . ووالله انك لست لي بكفء وهو على ما أقول أجل والله سوف لا تغني عنك حرارة الوطيس المسجور وشواظ كانون شيئاً ، ولن يعصمك من برد الموت

﴿ قارورة العطر ﴾ « لكي يتحبب اليك المحب بالعطر العبق ويزيد في انشراحك وبهجتك يهلك العطار على النار العدد العديد من اكمام الورد . وليستقطر ملء قارورة صغيرة تهدى قارورة مخروطة مستدقة كسبط أناملك ، لابد لهُ من عالم منها . عالم من القوى الحيّة التي عنها الورود مؤذنة بهيام البلبل بها وترجيعه شجيّ اغانيه في حبّها

فهل ترانا نذكر هذه الآلام والعطر يفغم حسّنا ويزيد في متاعنا ! الكم هلكت أنفس لا لها ظلماً في سبيل عظمة تيمور ! »

نظرات في الفاظ مجلة

مجمع اللغة العربية الملكي

للاب انستاس الكرملي

(عضو المجمع)

٥ — النسبة الى الكيمياء : كيمياوي

وردت (الكيميائي او الكيميائية) بالهمزة . مراراً عديدة في مجلة المجمع . واما اذكر ها ورد منها بهذه الصورة في « خلاصة لاعمال لجنة علوم الحياة والطب » . من ذلك في ص ٦٨ و ٧٩ (وكررت اربع مرّاتٍ) و٨٠ و٨٣ (وكررت اربع مرّات) و٩٠ و٩٢ ولا اتعرّض لسرد ما منها في سائر الصفحات ؛ فان المجلة لم تذكر النسبة الى الكيمياء الاّ بالهمزة اي كيميائي . و هذا بيّن لا يحتاج الى التصريح بهِ . نعم ، ان اصحاب الكتب والجرائد والمجلات في ديار وادي الر يقولون ما نطق بهِ مجلة المجمع . اما العراقيون الخلّص والسوريون الاقحاح واللبنانيون الفصـ والفلسطينيون البلغاء فلا يقولون إلاّ « كيمياوي او كيمويّ او كيميّ او كيماوي » حسب تقـ العـ ـمة المنسوب اليها من « كيمياء او كيميا او كيما » اللهمّ الاّ بعض الحديثي العهد منهم في الكـ ـلام (اراد بهم هنا اولئك الذين هم من البلاد الناطقة بالضاد) فانهم اخذوا يقلّدون المصريين في نسبـ ـة هذه . وهي — على ما قلنا — صريحة الخطأ . وذلك لانك ان اعتبرت هذه اللفظة (اي كيمياء كميا او كيما) دخيلة في العربية او اصيلة ؛ فانك لا تقول إلاّ « كيمياويّ » اذا نسبتها الى المهموز الآخر ، و« كيميّ او كيموي او كيماويّ » اذا نسبتها الى كيما

***

اما ان الكيمياوي نسبة الى الكيمياء المهموزة الآخر هي الصحيحة ، دون الكيميائي ، التي حقّ شنيع ؛ فظاهر جلي من كلام سيبويه . فقد قال في كتابه الجليل (٢ : ٧٨ من طبعة بولا ماهدا نصّهُ بحرفهِ : « هذا باب الاضافة الى كل اسم كان اخرهُ الفاً ، وكان على خمسة احرف . فاما الممدود ، مصروفاً كان او غير مصروف ، كثر عددهُ او قلّ ، فانهُ لا يحذف . وذلك قولكَ حنفساء : خنفساوي ، وفي حرملاء : حرملاوي ، وفي معيوراء : معيوراوي . وذلك ان الاسم لما تحرك ، وكان حيّاً ، يدخلهُ الجرّ والنصب والرفع ، صار بمنزلة سلامان وزعفران ، وكالاو

التي من نفس الحرف نحو احرنجام واشهيباب ؛ فصارت هكذا ، كما صار آخر معزى حين نوّن : آخر مَرْمًى . وانما جسروا على حذف الالف لانها مميتة لا يدخلها جرّ ولا نصب ولا رفع فحذفوها

وقال في ص ٧٩ من كتابه المذكور : « هذا باب الاضافة اي النسبة حسب تعبير الغير ! كل اسم ممدود لا يدخله التنوين ، كثير العدد كان او قليله — ... فالاضافة اليه ان لا يحذف شيء وتبدل الواو مكان الهمزة ، ليفرقوا بينهُ وبين المنوَّن الذي هو من نفس الحرف ، وما بمنزلته وذلك قولك في دكرياء : ذكرياوي ، وفي بروكاء : بروكاوي » . اه بنصه

فعلامَ تعتمد اللجنة في قولها « كيميائي » ، فان كانت قد اعتمدت على القواعد العربية المتة في جميع كتب النحاة والصرفيين فان هذه الضوابط لم تخرج في النسبة عما ذكرناهُ ، اي كيمياوي لا بالهمزة . اما اذا قيل ان السماع نقل الينا « كيميائي » بالهمز لا بالواو ، فاننا لم نرَ ذلك في قديم يعتمد عليه اعتماد حجة ، أو ثبت ، بل رأينا نحن بالعكس في ما عثرنا عليه

قال ابن الاثير (وهو كما تعلم من فصحاء الاخباريين وعبارتهُ مسقحة احسن من عبارات من انتدبوا) في حوادث سنة ٥٠٢ للهجرة (١٠ : ٣٣١ من طبعة ليدن في هولندة) : « وص المهدية ثلاثة نفر غرباء ، فكتبوا الى اميرها يحيى بن تميم يقولون انهم يعملون الكيمياء ، فا عندهُ وأمرهم ان يعملوا شيئًا يراهُ من صنعتهم ... فلما رأى الكيماوية المكان خالياً من جمع ثاروا واخذ القائد ابرهيم السيف فقاتل الكيماوية ، ووقع الصوت . فدخل اصحاب الامير يحيى ، الكيماوية . وكان زيهم زي اهل الاندلس »

وقد لاحظ الناشر ان في نسختين من هذا الكامل وردت في مكان الكيماوية « الكيم (اي بنون بعد الالف) قائلا : وهذه تكون على الطريقة الإرَميَّة . وليس على الاسلوب الفصيح ، ولعلها من الناسخ الذي كان واقفاً على اسرار النسبة عند الإرَميين . ووردت الـ والكيمياوي في كتاب الموزي على ما ذكره دوزي في معجمه . وذكر دوزي عدة اشعملوا الكياوي والكيموي في كلامهم فنحيل القارىء على مطالعة معجمه . ثم قال الـ الهولندي المذكور : « ذكر الكيميائي » بالهمز صاحب الفهرست في ص ٣٥١ من طبعة الا الأ ان الاعتماد على نص هذا الكتاب ضعيف ، لأن النسخة التي اعتمدها الناشر كانت السقم وركة العبارة وكثيرة الاوهام . فقد ورد في الصفحة المذكورة وفي السطر عينه ما هذا ف « المقالة العاشرة من كتاب الفهرست ويحتوي على اخبار الكيميائيين والصَنعويين من ا القدماء والمحدثين »

فقوله « الصنعويين » نسبة الى الصنعة ، غريب جدًّا ، بل شنيع وفي ابعد غاية من والقباحة والغلط ، اذ حقهُ ان يقول : « الصنعيين » مثلاً او اهل الصنعة او اصحاب الص ما ضاهى هذا الاستعمال ، لان الكيمياء تسمى ايضاً الصنعة والصناعة وعلم الصنعة ،

التغليب . ومن العجيب ان كلمة « الصنعويين » لم تتكرر في السفر المذكور ولا كلمة «الكيميائيين» الظاهر انهما من اغلاط النساخ . وقد بين الاستاذ المحقق عبد الله مخلص ان كتاب الفهرست هو المطبوع في اوربا (الذي طبع طبعة ثانية مشوَّهة في مصر) مشحون اغلاطاً بل نسيج اغلاط لا تقد وكلها او معظمها اقبح من قرد او من غول . راجع مقالة الاستاذ الجليل والمدقق الكبير في مج لغة العرب (٦:٥٠٢ الى ٥٠٦) ترَ العجب ، فهي جزيلة الفائدة لمن يحاول الاعتماد على هذا التأليف من غير ان يتصدى لنقده نقداً صحيحاً

والخلاصة اني رأيت الترك والفرس ومن احد عنهم لا يقولون الا «الكيميائي» وأما فصحاء العرب من عراقيين وسوريين ولبنانيين وفلسطينيين ومن اقدمين ومعاصرين ، فلا يقولون الا « كيمياوي » . على ان بعض المحدثين من الناطقين بالضاد احدوا يقلدون المصريين مصطلحهم من غير ان يتثبتوا في صحة هذا الامر . لكن ذلك لم يؤثر في واضعي المعاجم ادنى تأثير راجع المعاجم الفرنسية الى العربية والانكليزية الى العربية كنجاري بك وبادجر ومن نقل عنهما كصاحب الفرائد الدرية والقاموس العصري وغيرهما فانك تجدهم يقولون جميعاً « كيمياوي »

وبعد هذا البسط الصريح . من ذا الذي لا يرى ان صحة النسبة الى الكيمياء : « كيمياوي » وما الكيميائي الاَّ غلط شنيع ؟

٦ — البعولة لم ترد بمعنى الجنس او الشق

ومن « مصطلحات لجنة علوم الحياة والطب » ما جاء في ص ٩٦ قول اعضائها : « التكاثر البعولي sexual multiplication » والعرب لم تعرف البعولة بمعنى sex الانكليزية او sexe الفرنسية والذي عرفوه بهذا المعنى « الجنس » قال في لسان العرب في مادة (ح ر ي) : « من قال حري بغيره عن لفظه في ما زاد على الواحد ، وسوَّى بين الجنسين اعني المذكر والمؤنث لانهُ مصدر » ا وكذا ورد ايضاً في شرح القاموس للزبيدي

على ان بعضهم رأى ان « الجنس » بهذا المعنى قد يختلط بالجنس لما هو فوق النوع . ولذ اقترحنا ان تكون اللفظة العربية « الشقّ » بكسر الاول لمنع كل لبس . وكنا قد كتبنا ذلك احد اعداد الجوائب الصادرة في سنة ١٨٨٣ التي كانت تنشر في الاستانة . ثم عدنا فكتبنا مجلة لغة العرب في سنة ١٩٢٩ ما هذا نصُّه : (٧ : ٨٩٤) « ويوضح المؤلفان بنوع خاص التعقيم لا يتلف عضو الجسم او غدته ، بل يُظْهران ان لا اثر له في رغبة الشق (الجنس من الذكورة والانوثة) . آه » — فعددنا الشقّ والجنس شيئاً واحداً . والسبب في تفضيلنا الشق الجنس اجتناب اللبس على ما قلنا . — وثانياً لان الكلمة الغربية مشتقة من اللاتينية Sexus ، قال فيها صاحب معجم اصول الكلم اللاتينية ص ٣٤٥ : « Sexus معناها الحرفي «التقسيم والتفريق والتمييز » والكلمة مشتقة من اصل هو Sec ومنها جاءت كلمة Secare والظاهر ان اللفظة

في اول وضعها Sec-tus اي تفريق . وفي اللسان القديم (اللاتيني) T ' تنتقل غالباً الى مثل auxilium و vexare والجنس المشترك seeus (وهو لا يتصرَّف) يفيد ايضاً معنى الجنس . كلام المحقّقين

قلنا ولما كانت اللاتينية sexus والعربية « شِقّ » بمعنى واحد ، خيَّرنا الشق على الجـ قدَّمنا من الاسباب : ولاسيَّما لان من معاني « الشِقّ » ايضاً في العربية : النصف من ك وعلماء البشر يذهبون الى ان الناس نصفهم ذكور ونصفهم اناث . فالشق اذن يوافق اذ بمعنى « الجنس » وان كانت هذه الكلمة لاغبار عليها

وقد ذكر محمد بك شرف في معجمهِ الانكليزي الى العربي بازاءِ sex مايأتي : « (- شـقَّـة ا وصبطها ضبط قلم بكسر فتشديد ا (ج . شقائق) « ان النساء شقائق الرجال » عرَّبها المحدثون بكلمة جنس . والحال ان الجنس يقابلهُ genus بالفرنجية ولهذا وجب التمييـ اللبس » اه كلام البك — قلنا : ان الجنس عربي فصيح لاغبار عليهِ بمعنى احد قسمي الخلق والاناث . وهو ليس من وضع المحدثين ، بل من وضع الاقدمين على ما رأيت من استشهاد العرب وتاج العروس . والنحاة والصرفيون الاقدمون كثيراً ما استعملوا « الجنس » ليشمل اللفظ الذكور والاناث . — اما (الشِقَّـة) التي استعملها الدكتور العلامة فانها لم ترد في العرب الاقدمين ولا المولدين ابداً . والعبارة التي اوردها حضرتهُ هي حديث على ما رواه النهاية ، اذ قال : « النساء شقائق الرجال » وفسَّرها بقولهِ : « نظائرهم وامثالهم في والطباع ، كأنهنَّ شققن منهم ، ولأن حوّاء خلقت من آدم عليهِ السلام » اه

فالشِقَّـة كما ترى لاتعني الجنس ابداً وهي وزان كِسْرة ولاتجمع على شقائق بل ـ كَـكِـسر ، واما الشقائق فهي جمع شقيقة كـكبيرة وكبائر وقليلة وقلائل وصغيرة و والذي يستغرب في كلام الدكتور النطاسيّ انهُ استعمل الجنس بعد ان رذلهُ وذلك في مصطلحاتهِ في هذا اللفظ ، ولم يستعمل الشِقّ ولا الشقيقة ولا الشِقَّـة . فانك تراهُ يقـ ذلك : « ارتكاس جنسي وانقلاب جنسي وانتخاب جنسي وتنقية جنسية ونقاوة جنسية و وكيفية الجنسيَّـة وجنسيًّا ومن جهة الجنسية » وهـذا عجيب منهُ بعد ان طعن في ا بهذهِ اللفظة . فكيف عاد الى اتخاذها وترك سواها بتاتاً ؟ أليس لانهُ رأى ان «الجنس» هـ لفظة تقوم بمعنى اللفظة الافرنجية ؟

واما قولهُ : « والحال ان الجنس يقابلهُ genus بالفرنجية ، ولهذا وجب التمييز لأمر فمقبول لحضرتهِ . إطْـمَـئِنَّ بالاً اذ لاخوف في اللبس فان اليونانيين يستعملون genos لكل اي للجنس الذي هو فوق النوع وللجنس الذي هو بمعنى قسم الذكور وقسم الاناث . هـ عن ان الاقدمين لم يعرفوا « الشِقّ ولا الشِقَّـة ولا الشقيقة لمعنى الجنس . وفي هذا القـ

٧ — الوحيدة مؤنث الوحيد لا الوَحِدة

ومما قرأناهُ بغرابة بالغة قول احد اعضاءِ المجمع في صدر الصفحة ١٥٥ : «وحيدة . ترد هذه الكلمة على الالسنة والاقلام كثيراً . فيقال مثلا . » وهي المسألة الوحيدة . . . » او « الفتاة الوحيدة » وهو خطأ ، اذ لم ينقل هذا التأنيث عن العرب فيما نعرفهُ من اقوال اللغويين . فانهم قالوا في تأنيث وحيد : وحِدَة فقد جاءَ في ، اللسان : ورجل أحَد ، ووَحِد . ووَحِد ، ووَحْد ، ووحيد ، ومتوحّد : اي منفرد . والانثى وحِدة . حكاه ابو عليّ في التذكرة . وانشد : كالبيدانة الوحدة اه البيدانة الاتان الوحشية ، او التي تسكن البيداء . قاموس . وقال في شرح القاموس : وهي ، اي الانثى . وَحِدَة بفتح فكسر فقط . اه

قلنا : الوحِدة (بفتح فكسر) ليست الاّ تأنيث الوَحِد كحذر ، دون سائر الالفاظ . اما أحَد ووحد بالتحريك فانهما تقعان على المذكر والمؤنث معاً كما في المصباح ، كما قد يكون لاحد مؤنث خاصّ بهِ ، اذ قال الفيوميّ نفسهُ : « واما تأنيث احد فلا يكون الاّ بالالف ، لكن لا يقال إحدى الا مع غيرها نحو : احدى عشرة واحدى وعشرون . قال ثعلب : وليس للاحد جمع . . وتأنيث الوحد : واحدة بالهاء » اه . — قلنا : وتأنيث متوحّد : متوحّدة على القياس المشهور . وكذلك يقال في (وحيد) فان مؤنثها (وحيدة) بالهاء لا وحدة بحذف الياءِ ، إذ هذا القول مخالف لاحكام العربية ونصوص ائمتها ولانهُ لم يسمع بهِ احد . ولان الوَحِدة (بفتح فكسر) مؤنث (وَحِد) بفتح وكسر وليس بمؤنث سائر مترادفاتها . ومؤنث (وَحْد) بسكون الحاء (وَحْد) بلا تغيير او (وَحْدة) بهاء في الآخر . وانما خصّ المؤلف الوَحِد بقوله وحدة تنبيهاً للغافل ، لان فعل بفتح فكسر قد يبقى على حاله في التذكير والتأنيث وقد يغير ، اما انهُ قد يبقى على حاله فكقولهم (عَجِف) بمعنى (عجف) فان مؤنثهُ بلا هاءٍ كما في اللسان والتاج . واما انهُ قد يغير فكقولهم (حذِر) ومؤنثه (حذرة)

اذن فلم يبق الاّ التنبيه على مؤنث (وَحِد) لينفي اللغوي كل صورة اخرى عن فكر المطلع وتقف على الحقّ الصراح . زد على ما نقول ان الامر ينجلي من كلام الشارح . وهذا نصّ عبارته « ورجل وَحَد وأحَد محركتين ، ووَحِد ككتف ووحيد كأمير ، ووحَدٌ كعدل ومتوحّد منفرد . وهي اي الانثى وَحِدة بفتح فكسر فقط ، ولذا عدل عن اصطلاحه وهو قوله : وهي لانهُ لو قال ذلك لاحتمل او تعين او يرجع للالفاظ التي تطلق على المذكر مطلقاً . قاله شيخنا . قلت وهذا حكاه ابو علي في التذكرة وانشد : كالبيدانة الوحدة . قال الازهري : وكذلك فريد وفرِد وفرْد » المقصود من ايراده

فهذا نصّ صريح على ان « الوحدة » مؤنث لفظةٍ واحدةٍ دون اخواتها المترادفات وهي « وَحِد

بفتح فكسر . ويدعم كلامهُ هذا بقوله : « وكذلك فريد وفَرِد وفرْد » فهو نصّ صريح ان « وحيداً » يؤنث بالهاء كما ان فريداً يؤنث بالهاء اي فريدة ، وقد صرّح بذلك جميع سرًّا او جهراً . على ان بعض المكابرين قد يرون في تعبير الشارح إيهاماً ، اذ فيهِ شيء الغموض او اللَّبْس ، فلا يسلمون بما اوضحناه . فنزيد على ما تقدَّم نص صاحب الاوقيانو اوضح من الشمس في رائعة النهار . فقد قال : « وَوَحِد وزان كتف بمعنى وحيد يؤنث و فهل بعد هذا التصريح شبهة او ريب ؟ ومع ذلك نأتيك بنصّ آخر اطمئناناً لقلبك قال معجم البلدان : « الوحيدة مؤنثة الذي قبله (والذي قبلهُ هو الوحيا) من اعراض المدي وبين مكة » فلو لم يكن في كلامهم (الوحيدة) بل (الوحدة) لقالوا هذه دون تلك

على اننا لانقول ان (وحِيدة) بفتح فكسر غلط . بل نقول ان الوحِيدة مؤنثة الوحيد و مؤنثة الوحيد . واخطأ من ذهب الى غير هذا المذهب . ومن الغريب اني قرأت بعض مقالا بعد صدور مجلة المجمع . واذ بأصحابها يخطئون (الوحيدة) اعتماداً على ما جاء في المجلة ولا الاَّ بالوَحِيدة . فانظر الى هذا الضرر الصادر من كاتب ينشر مقالهُ في مجلة يعتمد عليها ، تسوق الناس الى آراء لم يقل بها العلماء الاثبات والائمة الثقات

٨ — اكتشف الشيء فصيح

وورد في الصفحة ١٤٧ كلام هذا نصُّهُ : « يخلّط الكتاب كثيراً في استعمال هذه فيقولون مثلاً : اكتشف طبيب دواء كذا كما يقولون : استكشفهُ . ويقولون . العالم الـ وهم في ذلك كله مخطئون . ذلك بان (اكتشف) جاء لازماً ومتعدياً في معنيين مختلفي مثلوا للاَّزم بما يأتي : اكتشفت المرأة . اذا بالغت في التكشف . . . . » ومثلوا للمتعدي : اكتشف الكبش النعجة ، اذا نزا » اه — قلنا : اذن فالكلام فصيح و قول من قال : ا الدواء والعالم المكتشف ، اذ هو من باب المجاز . فمعنى اكتشف الشيء الهجوم على حقيقته ما خفي منهُ وإلقاحهُ وانتاجه وانمـاؤه وبثهُ في العالم للانتفاع بهِ . وهو من باب الاستعار اذن من فصيح الكلام وعاليه وما فصحهُ واعلاه الاَّ الاستعارة . (راجع المقتطف في صفح جزء ٣ مجلد ٨٦ من جزء مارس ١٩٣٥ تر فيهِ بحثاً مسهباً في هذا الموضوع)

وكان قد اطلع على زبدة هـذا البحث العلامة الجليل واللغوي المدقق الاستاذ مصطفى جواد فكتب الينا ما هـذا بعض عباراتهِ البديعة المعنى وذلك بتاريخ ٢٩ آذار (سنة ١٩٣٥ من باريس :

«أما مقالتكم في « اكتشف » وتجويز هذا الفعل ، فالدنيا كلها معكم ولا عليكم . . . . هذا الفعل عندي يستند الى عدة اركان : (الاول) انهُ زيدت عليهِ التاء لقصر الفعل على ارادة

لتصرُّفيّة . ويقابلها في الفرنسية للغائب Se . والفرق بين المتيجتين ان الفعل الفرنسي يصبح لازماً والفعل العربي متعدّياً ، الاَّ ما عاد على جسد الفاعل . مثل : « اغتسل » و « امتشط » . ومن هذا الباب : « خار واختار ، ونخب وانتخب ، وعاق واعتاق ، وعدَّ واعتدَّ ، وحرّ واجترَّ وصاد واصطاد ، وبنى وابتنى ، وعلا واعتلى ، (كأن في العلو منفعة خاصة بنفسه) ونحا وانتحى وعرا واعترى ، وصلى واصطلى ، وشرى واشترى ، وباع وابتاع ، وشهى واشتهى ، وحلب واحتلب وقطع واقتطع ، وقدح واقتدح ، وقاد واقتاد ، وعاد واعتاد ، وكنف واكتنف » وما يصعب ذكره ويطول . فاضافة تاء التصرُّف الى الفاعل مما لاحاجة بالقائل ان يستأمر فيه ولا ان يستأذن وكذلك هو في الفرنسية كالذي اشرنا اليه ، فاكتشف المتعدّي من هذا الباب الذي يعتري امره الافعال اللازمة فيصيرها متعدّية في احيان . مثل : « صفا واصطفاه ، وجبى واجتباه ، وبدر وابتدره وعام وامتامهُ . ومحن وامتحنهُ » وما الى ذلك . فالمكتشف ممن يستبقون الخير لانفسهم ويجلبون العطمة لمراتبهم

(والوجه الثاني) انهُ من اكتشف الكبش النعجة اي نزا عليها . والامر على ما قلتم ، فالاكتشف ينزو على الحقيقة ليلقحها وينتجها . ومن هذا الاسلوب : « قتله بحثاً وعلماً وتحقيقاً والقتل للاحياء وهي من الجسمانيات . ومنهُ : « دقَّق النظر » فان التدقيق للجسمانيات كالحجار والحديد . و« أحْسَنَ اخلاقهُ » فالحسن للجسمانيات . ومنهُ قول ابن حني : « وكدورة الفكر وجمود النفس » وهما للماء وهو من الجسمانيات . وتقول « من العناصر الاربعة » . وان اعترض معترض بأن هذا التوجيه يجيز استعمال « اكتشف » للمعنويات ولا يسمح للجسمانيات لان قولهم « تكشف الصقع الفلاني » لا يفسر « بلقحهِ ونتجهِ » فيرد عليهِ قولهُ بأن الذهن لا يبادر الى هذا التفسير لمنع القرينة اياه ، كما لا يبادر ذهن القارىء في كتب الحديث وعلله الى أن « جَرْحَهُ » هو الجرح والتعديل ، يفيد الجرح الحقيقي لمنع القرينة الحسية ، بَلْهَ ان المراد بـ« اكتشف الكبش النعجة » هو النزو عليها وما يحصل بعد النزو ، فهو تابع ومتمم . يدل على ذلك ان اكتشف هو واصه . (الكاف والشين والفاء) لا يفيدان معنى الالقاح والنتج ، فهذا المعنى عارض لا اصيل وتابع لا متبو وان كان الاصل لمعنى « اكتشف » هذا هو « النزو » ، حَسُنَ ان يستعمل فيما يعنيه الكتّاب العموم لافادة التسلط مع السابقية . ويسوغ مثل هذا الاستعمال قولهم قديماً « نُتِج هذا من ذاك » وقول الحريري في المقامة السادسة عشرة وهي المغربية : « فتداعينا الى ان يستنتج لهُ الافكار ويفتق منهُ الابكار »

(والوجه الثالث) ان يُعدَّ من « اكتشف فلان » بالغ في التكشف . كما ورد في كتب المغازي فان احد المحاربين قد حملتهُ الحمية ان يكتشف — كما في مغازي الواقدي والاغاني — فكأنهُ

. رفع ما على رأسهِ حماسة واغتياظاً . ولا تزال العرب تفعل ذلك عند احتدام غضبها وركو
طة وعرة ونية خشناء . ثم ينقل الفعل الى حالة التعدية لتعدّيه بنفسهِ الى المنصوب فيكون مثل
اصطادهُ واعتلاهُ واشتهاهُ » فالاصل فيهنّ جعلهُ «ينصاد وينعلي وينشهي» ولاعقاب ولاحسا
ي شرح مثال هذا بـ « ينفعل » فاكتشفهُ : جعلهُ «ينكشف» وبغير هذا التحليل اللغوي الفاسو
لا تصح تعدية « افتعل » المقصور على « ارادة الفاعل التصرفية» لان الاصل اللزوم مثل : «امتشط
واغتسل واعتجر وادّرع واقتبع وادّهن واطّلى » فان قال قائل : ان هذه افعال تختص بجسده
حاجة الى المفعول ، قلنا : انها وان كانت افعالاً خاصة بجسده ، فانها خاصة ايضاً بأجزاء من جس
فلمَ لم يقولوا : « امتشط شعرهُ ، واغتسل بدنهُ ، او بشرتهُ ، واعتجر رأسهُ» وغيرها مما يجانسها
على انهم قالوا : « دهن رأسهُ ، وطلى بدنهُ » وما شابههما . ويزيدك يقيناً بأن مذهبنا لاحب و
« اكتسى الثوب ، وارتداهُ ، وانتعل النعلين » في كلام فصحائهم . وهو من اطوار تحول الم
الذي اشرنا اليه » .الى هنا كلام الاستاذ المصطفى

وكنا قد كتبنا في المقتطف في المقالة المذكورة ايضاً (في ص٣١٧) : « وكان الاقدمون
السلف (يكتشفون أي يكشفون عورتهم) في المصيبة العظمى أو لبثّ التحمس في صدور الشهود
فكتب الينا الاستاذ المحقق من باريس في ٢٨ ابريل من هذه السنة ١٩٣٥ يقول :

« اكتشف الذي رأيتموهُ في تاريخ الطبري (١ : ١٣١٦من طبعة اوربة) ورأيتهُ أنا في
المغازي وذكرتهُ في ردودي بمعنى : رفع ما على رأسهِ لا كشف عن عورتهِ . ولم تفعل ا
للتحميس التكشيف عن عوراتها

أما قولكم ان العرب كانت تفعل ذلك في الملمات ، فلا اعتقدهُ البتة . فاني — وان تركي الاصل خالص التركية — لا أجد في العرب من يستحق ان ينسب اليهِ هذا القول،ولا اليوم يفرّعون رؤوسهم (كما تقول العامة) عند الغضب . نعم، ورد في حوادث الجبناء من العورة شيء قليل ، وهو ضد الحماسة ، كما فعل عمرو بن العاص في صفّين حينما ادركهُ عليّ طالب ليضربه بالسيف ، فرمى بنفسهِ عن فرسهِ ، وكشف عن عورتهِ ، لان عليّ ابن ابي لم يكن ينظر الى عورتهِ ، ولا الى عورة غيره، وهذه الحادثة تؤيد ذلك . فنجّى عمرو نفسهُ الشاعر: « كما ردّها يوماً بسوْأتهِ عمرو» . يعني ردّ ضربة السيف . وكما قال الشاعر الشامي و ابن العاص ، والشاعر هو مهذّب الدين الطرابلسي :

هـذا ولم يغدر مُعَـا ويةُ ولا عمرو مكَـرْ
بطل بِسَـوْأتِهِ يُقا تِل لا بِصَـارمهِ الذكَـرْ

وهذا من اقذع الاهجية عندهم . فكيف يكشفون عوراتهم للحماسة والانكرار في

كلام الاستاذ

النظام الادبي

بين الحيوانات[1]

يسلّم معظم المتعلمين بأن الحيوانات العليا متصفة بالذكاء وان كانت درجته أدنى من درجة ذكاء الانسان . ولكن يندر بينهم من تراهُ مستعدًّا للتسليم بأن الحيوانات تشاطرهم قواعد النظام الادبي الذي يسود الحياة فالنظام الادبي في نظرهم صفة خاصة بالانسان . ولكن الباحث يستطيع ان يكشف بين الحيوانات الوانًا من التصرف يصح ان تحسب اساساً للنظام الادبي وأهمها اربعة

حق التملك

اولاً — ان الحضارة الصناعية راسية على ما يعرف بحق التملك . وجانب كبير من قوانينه المدنية يدور على هذا الحق . أتستغرب ايها القارىء اذن اذا قلنا لك ان حق التملك معروف عند الحيوانات كذلك وانها تدافع عنه ؟

ان حق التملك هذا مشاهد بين الحيوانات من اعلاها الى السمك ولكنه على اوضح ما يكون بين الحيوانات العليا . فالطيور مثلاً تدعي حق تملكها للعش الذي تقطنه والمنطقة التي تجاوره كذلك . وبعض العقبان لا تسلّم لمنافس من العقبان ان يشاطرها المناطق الخاصة بها . اما حق التملك عند القردة فيمتد الى كل شيء لهُ قيمة في نظرها . فالباحث « برهم » Brehm يذكر ان «بابوناً» عنى قطعة من الصفيح لسبب ما فصار يأخذها معهُ كل ليلة الى المكان الذي ينام فيه ويعالجها كأنها ملكه الخاص . والفرديس Alvedos راقب قرداً اسيراً كان يلعب بكرات من المطاط وقطع من الخشب فصار يحنق حنقاً شديداً اذا مسها احد لان هذه الاشياء ملكه الخاص . واذا جاز لنا ان نفسر افعال الحيوانات كما نفسر افعال الناس صح لدينا ان نقول انها متصفة بحس التملك وانها تدرك حقها في التملك تتجه سَبْقها الى بقعة من البقاع او الى استعمالها شيئاً من الاشياء كحق الغزو او الفتح بين الشعوب

الالم الادبي

ثانيا — لا ريب في انك ايها القارىء لاحظت تصرف كلب من الكلاب عندما أنَّبهُ صاحبه او ضربه . فهو لا يفر من أمامه كأنهُ يخشى ان يلكمهُ او يلطمهُ بل يظل قريباً من صاحبه او بالحري يقف بسمة وفي عينيه معنى التوسل وقد يحاول ان يلحس يدي صاحبه . فهذا التصرف ليس قائماً على خوف الكلب من العقاب . فعلى ماذا يقوم ؟

وقد قام بين الالمان عالم يدعى كوهلر قضى سنوات في مستعمرة من القردة المعروفة باسم

---

(١) ملخص مقال للكاتب العلمي جيمس لوبا في مجلة هاربرز الاميركية

شمبانزي في جزيرة تناريف ووضع كتاباً جعل عنوانه « عقلية القردة » فذكر فيهِ القصا

لاحظت في احد الايام وانا اطعم طائفة من القردة مجتمعة حولي ان احدى الاناث تنتز من احد الذكور الضعاف . فنهرتها وضربتها . فتراجعت الى الوراء وصرخت ثم جعلت تحد بها في اللحظة التالية قد رمت ذراعيها حول عنقي ولم تستقر حتى ربتتْ لها على ظهرها . وهـ غير عادية في حياة القردة الانفعالية . فالذي يتأثر بهِ الكلب والقرد ليس الخوف من العقا ضرباً او لكماً بل هي تصاب اذا ضربت او اقصيت عن جماعتها بألم أدبي هو من قبيل الالم الذ بهِ اذا قاطعك او اقصاك من تحب

العطف والمساعدة

ثالثاً — ان السخاء والمساعدة الصادرين من انسان لا غرض له ولا غاية خاصة من اج الادبية في الانسان واسماها . وقد لوحظت هذه الصفات عينها في الحيوانات . فالطيور معين تتصرف بعضها مع بعض تصرفاً لو شاهدناهُ في الانسان لدعوناهُ « الحنان » . و الصفة اي صفة الحنان تبدو على اروعها في الفيلة — بصرف النظر عن القرود . فاذا جرح فيل اصابتهُ تهرول اليهِ الفيلة التي على مقربة منهُ لغوثهِ . فاذا وقع الجريح ركع بعضها الى جان بعضها انيابه تحته ويلف البعض الآخر خراطيمه حول عنقه بغية انهاضه

ولكن القردة تفوق حتى الفيلة في هذا . ففي الكتب التي وضعها العلماء ودوّنوا القردة نجد أمثلة عديدة على ذلك ولكننا نكتفي بذكر مثال واحد منقول من كتاب طو « ذكاء الحيوانات » . وهو ان ذكراً من الحيوان وقع من شجرة فاصيب في معصمهِ . ف خاصة من القردة الاخرى وخاصة من قردة عجوز مع انها لم تكن تتصل بهِ بصلة نسب قبل ان تبدأ طعامها تأخذ اول قطعة من الطعام تقدم اليها وتعطيه اياها . وقد قال طوماز خلال مراقبته للقردة مدة طويلة لاحظ انهُ اذا صرخ قرد ما صرخة الم احاط بهِ جمهور واحاطوهُ بعطفهم ولم يكن من النادر ان يحيطوه كذلك باذرعتهم كما نفعل نحن الناس بطفا

الشكر والاعتراف بالجميل

رابعاً — ومن الصفات الادبية التي تلاحظ في القردة صفة الشكر والاعتراف بالجميل وهاك الالماني يذكر حادثة اقفل فيها الباب خطأً على قردين فاضطرّا ان يبقيا خارجه وكان ا ماطراً . وكانا واقفين امام الباب ينتظران . وعلى وجهيهما امارات الخوف اذ مرّ بهما ففتح ولكنهما بدلاً من ان يسرعا الى الدخول تأخر كل منهما قليلاً لكي يشكر لصاحبه هذا ا ذراعيه حول عنقه . ولو كان الغرض من هذا المقال رسم صورة تامة لحياة الحيوانات من ناحية لوجب ان نقول شيئاً عن حسدها وغيرتها وخوفها ولرأى القراء اذن ما يراهُ العلماء الذ على درس حياتها وهي ان هذه الحيوانات اقرب ما تكون الى الانسان من ناحية حياتها الا

اسلحة الجيش المصري القديم — ١

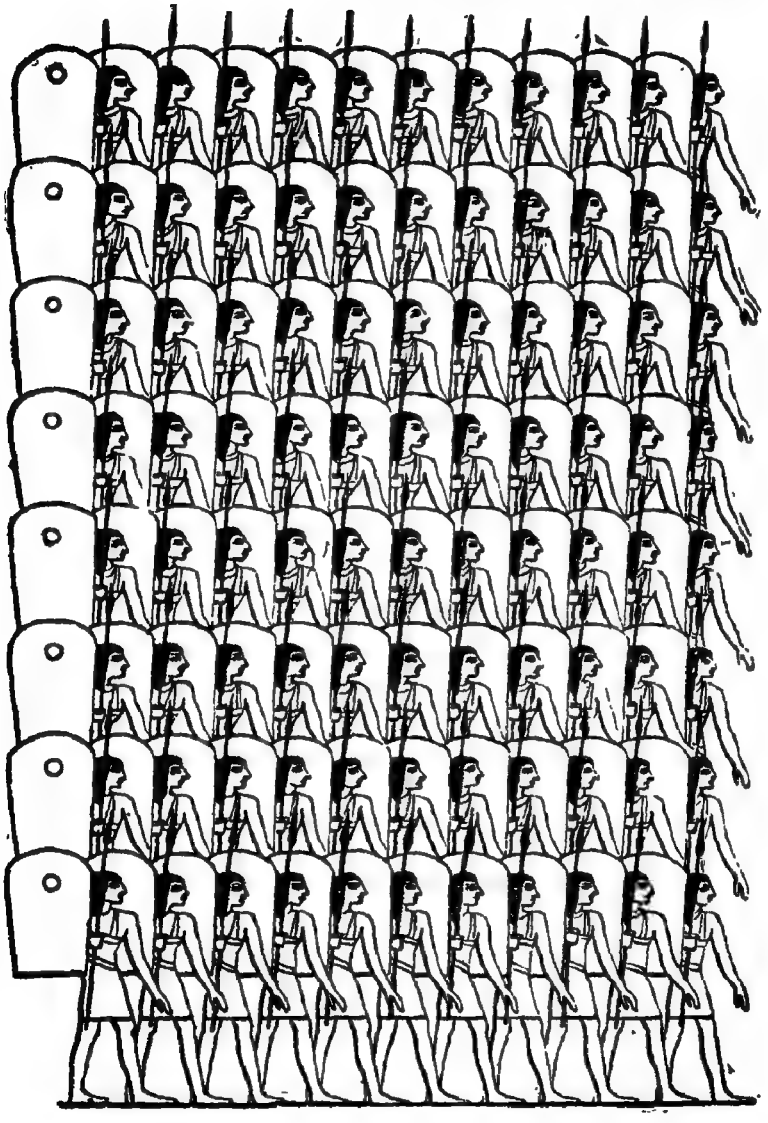

فصيلة من الجنود المشاة المسلحة بأسلحة ثقيلة

مقتطف اكتوبر ١٩٣٥

امام صفحة ٢٨٥

اسلحة الجيش المصري[1]

في ايام الفراعنة

لعبد الرحمن زكي
الملازم الاول في الجيش المصري

اذا استعرضنا الادوار التاريخية التي مرَّ بها الجيش المصري القديم وجدنا ان اهم المعارك التي اسها كانت في عصر الامبراطورية الجديدة التي وضع اساسها احمس الاول طارد الهكسوس من مصر وهو الذي يلقبهُ بعض مؤرخي العصر الحديث بلقب نابليون مصر القديمة . ولم تكن الحروب تي خاض الجيش المصري غمارها حتى ذلك الحين سوى معارك صغيرة نشبت بين المصريين وقبائل الصحراء او بين امراء المصريين انفسهم

بدأ الجيش الذي قام على رأسهِ احمس يتدرَّب على اعمال الحروب الكبيرة كما شرع الامراء يتذوَّقون طعم الاقتتال . ووافق ذلك ضعف الاحوال السياسية في البلاد الشمالية المجاورة للحدود المصرية . فلما قام ملك مصر بتأسيس ملكه الجديد لم يلق مقاومة تذكر في سوريا . ولا يغيب عن بال ان قتال شعب منظم يتبع نظاماً دقيقاً من قواعد الحرب يختلف باختلاف الغارات التي تشنها قبائل البدو او جماعات اهل النوبة بقصد الاستيلاء على الرقيق او نهب المواشي او اتلاف المحصولات والزراعة فلما جاء عصر تحوتمس الثالث كانت الخطط العسكرية (الستراتيجية) قد بلغت حدًّا فائقاً من الدرس فنجده يقصُّ علينا انباء حملاته المتتالية بأسلوب عسكري ووصف دقيق احتوى على كل التفصيلات التي نجد مثلها اليوم في وصف حملة عسكرية حديثة بدلاً من الاساليب العامة الدارجة التي وصف . اسلافه غاراتهم التي شنوها ضد اعدائهم من البربر وسكان البادية . وكان ملك مصر يقود حملاته ضد اعداء بلاده بدلاً من القواد الذين كانوا يخضعون قبائل الحدود الثائرة ويتسلمون قيادة الوحدات الكبيرة . ووجد الملوك ان الحرب فضيلة وفي دماء المعركة اسمى معاني « التضحية »

كان فرعون مصر يأخذ مكانه في طليعة المعمعة يقاتل في عربته الحربية التي يقودها بنفسه كما يقاتل جنوده . وان النقوش التي على جدران الهياكل الاثرية لتبين جليًّا اشتراك الملوك المصريين في جنودهم الى حيث قادهم المجد في ساحات القتال

أن مبدأ تكوين الجيوش المصرية الكبيرة وجد في مصر منذ طرد احمس الرعاة . ومن ثمَّ

---

(١) هذا الفصل مقتبس من كتاب في تاريخ الجيش المصري في أيام الفراعنة أعده كاتب هذا المقال للطبع

ظهورها في آسيا حيث خلدت أعمالها على آثار لا تزال باقية الى يومنا هذا. وليس الغرض الت
تنظيم الجيوش المصرية في المملكة القديمة وان كان هذا البحث مما يلذ الوقوف عليهِ . ولك
التي سأقصر الكلام عليها هي الاسلحة التي استخدمها الجيش في فتوحاته المجيدة وغزواته

الاسلحة الهجومية والدفاعية

يمكن تقسيم اسلحة قدماء المصريين الى قسمين : الاسلحة الهجومية والاسلحة الدف
فمن اسلحة القسم الاول : القوس والرمح والجريدة والمقلاع والسيف القصير المستقيم
والمدية والسيف القصير المحدب والبلطة ذات اليد القصيرة وبلطة القتال والصولجان واللس
يشبه العصي المعوجّة كالتي يحملها العبابدة والاثيوبيون. ومن اسلحة القسم الثاني : الخوذ
وواقية الرأس والدرع او سترة الزرد المصنوعة من الصفائح المعدنية ولم يعرف المصريون
الأرجل . وكانت اغطية الذراعين جزءًا من الزرد تؤلف كمًّا قصيراً يمتد الى الكوع

الدرع

كانت الدرع اهم ما يدافع بهِ الجندي عن نفسهِ . طولها لا يزيد عن نصف قامة الجندي
الغالب ضعف عرضها . وفي اكثر الاحوال كانت تغطّى بجلد ثور والشعر الى الخارج كالدرع
وتقوّى في بعض الاحايين بحافة او بحافتين من المعدن وترصع بالمسامير والدبابيس المعدنية. ا
الاخرى للدرع فكانت مبطنة بأغصان جافة مجدولة . ويحيط بحافتها أطار خشبي مغطى
طريقة الدروع الرومانية والاغريقية

وكان شكل الدرع المصرية مشابهاً لالواح الموتى التي تحفظ في المقابر والتي عثر عليها ف
مستديرة من اعلاها ومربعة من اسفلها تنتفخ قليلاً عند القمة . وبالقرب من الجزء العلوي لـ
الخارجي كانت توجد تجويفة مستديرة في محل السُرّة . وكانت هذه التجويفة اعمق في الاجزا
الجزء المركزي وسطح هذا الجزء كان مع مستوى سطح الدرع تقريباً . ويصعب معرفة الغرض
من صنع هذا الجزء على هذا النمط وهل لهُ فائدة دفاعية او هجومية . وكان يثبّت في السطح الداخ
«علاّقة» لتعلق بها حول الرقبة وكانت هذه العلاّقة تعمل احياناً بكيفية يسهل معها ادخا
فيها والقبض على الحربة وكان للدرع احياناً قبضة يسهل بها تحريك الدرع في اي اتجاه . وكا
القبضة تركب اما تركيباً عموديًّا واما تركيباً افقيًّا على الدروع

وقد شوهدت على جدران الآثار القديمة ما عدا مقابر بني حسن نماذج اخرى من
تختلف عما سبق وصفه ويغلب على الظن ان هذه كانت تستخدمها الجنود المستأجرة فقط

وكان لبعض الدروع المصرية مقاسات كبيرة غير مألوفة . اختلفت في شكلها عن الدروع
فكانت محدبة من القمة على اسلوب العقود القوطية وذات حجم كبير يصعب استخدامه

ها . وقد شوهد هذا النوع من الدروع في مقبرة بعض حفريات اسيوط «الكوبوليس» ولاشك كان من الامور الاولية التي تراعى في صناعة الدروع خفة موادها لسهولة حملها في السير الطويل ميادين القتال ونشك في انها كانت مغطاة بأي نوع من المعادن

القوس

كانت القوس المصرية تشابه القوس الاوربية التي استعملت قبل عصر البارود . وكان الوتر يثبت في حزء بارز مصنوع من القرن في نهايتي القوس أو يثبت في خدش أو حز في خشب القوس نهايتيه على غير طريقة تثبيت الوتر عند الاسيويين الذين كانوا يثبتونه في خاورين بطرفي رأسي وس المستديرين

والبيع الاثيوبيون والليبيون وقد اشتهروا بمهارتهم في رماية النبال طريقة المصريين في تثبيت تر وكانت قوسهم مشابهة في الهيئة والحجم لقوس جيرانهم

كانت القوس المصرية قطعة اسطوانية من الخشب طولها خمس اقدام أو اكثر بنصف قدم. وهي امستقيمة مدببة الطرفين أو مقعرة الوسط عند ما لا تكون مشدودة . وفي بعض الاحيان كانت تصق بها قطعتان من الجلد فوق منتصفها بقليل وتحتها

واذا أريد تثبيت الوتر ركزت نهاية القوس في الارض وضغطت الركبة على الجانب الداخلي من قوس بينما تجذب اليد اليسرى القوس الى الداخل وتدخل اليد الاخرى الوتر في الحز العلوي القوس. كان الجندي يجري هذه العملية اما وهو واقف واما وهو جالس على مقعد كما يستطيع تثبيته بينما يضعه قدماً فوق كتفه . وفي اثناء الرماية كان الجندي يضع واقية وقاية من الجلد على ذراعه اليسرى لكي لا يضر بالوتر عند ارتداده او كانت تاف أيضاً حول المعصم . ويسحب الوتر بجذبه بشدة نحو الجسم بواسطة الاصبعين السبابة والابهام وتفرد اليد اليسرى الى نهايتها ويصوب السهم نحو الهدف

وكان الوتر المصري يصنع من الجلد أو القماش الكتاني أو القنب او امعاء الهررة بعد تجفيفها . وتراوحت الأسهم طولاً من ٢٢ الى ٣٤ بوصة بعضها صنع من الخشب والبعض من القصب . وفي بعض الاحيان كانت مغطاة برأس معدنية تحف بها من كلا جانبيها ثلاث ريش مغراة وموزعة التساوي واستبدلت أحياناً الرأس المعدنية بقطعة مدببة من الخشب القوي . وكانت هذه الطريقة التأثير في الحرب فقصر استعمالها على الصيد والقنص والالعاب . واستبدلت القطعة المعدنية اخرى من حجر الظران المدبب

وكان يحمل القواس جعبة مستطيلة قطرها أربع بوصات تسع عدداً وافراً من الأسهم يثبتها الجندي في حزامه المار فوق صدره الى الجانب المقابل على خلاف طريقة الاغريق الذين كانوا يضعونها فوق اكتافهم . وكان المصريون في اثناء السير يضعون جعبة السهام هذا الوضع . وكان للجعبة

غطاء مزخرف عليهِ رأس أسد اذا كان صاحبها من كبار القواد . وكان الغطاء يثبت في العل
عروة من الجلد لكي لايفقد عند فتح الجعبة اثناء الاقتتال . وكان للقوس علبة تحميها م
والرطوبة وتحفظ لها مرونتها . وكان لهذه العلبة غطاء من الجلد الناعم مثبتاً بعناية في نهايتم
وكانت تركب دائماً في العربة الحربية ويقابلها في الجانب الآخر من العربة علبة كبيرة اخر
على رمحين وعدد من السهام فضلاً عن العلبة (الجعبة) السابق ذكرها المثبتة حول وسط

وكان جنود سلاح القوّاسة المشاة يجهزون بغمد صغير للقوس مصنوع من الجلد و
القوس ويمسك اثناء السير . وبجانب القوس وهو السلاح الرئيسي في حالة الهجوم كا
كجنود سلاح القوّاسة الخيالة الذين يحاربون في العربات الحربية خنجراً وعصا مقوسة
وبلطة للالتحام عند ما تنفد سهامهم . وكانت اسلحتهم الدفاعية تشتمل على الخوذة أو و
وسترة معدنية . لكن الجنود كانوا لا يحملون الدروع لانها تعرقل استخدامهم للقوس ب

الرمح

كان يصنع الرمح او المخس من الخشب بطول خمس اقدام . او ستّ ، ورأس معدنية
ساق الرمح ويثبت بالمسامير

أما الجريدة dardin فكانت اخف من الرمح واقصر . وكانت تصنع من الخش
مزدوجة الحرفين من المعدن ذات شكل معين . فإما ان تكون مفرطحة واما ان يزيد سمك
الوسط أو مدببة جدًّا من حرفها . وكان الطرف الاخير ينتهي بكرة ثقيلة من البرو
وتساعد على توازنها . وكانت تستعمل احياناً مكان الحربة فتقبض عليها كلتا اليدين في حال
القريب . وقد وجدت اشكال كثيرة من الجريدة صنعت من القصب للصيد لا داعي لو

المقلاع

صنع المقلاع من عروة جلدية او حبل مضفّر عريض من الوسط له خيّة حاقة (خية
احد طرفيه تثبت بهِ وتقبض بشدة باليد . اما الطرف الآخر فينتهي بسوط . وعند است
كان يدار مرتين او ثلاثاً فوق الرأس لموازنته ولزيادة قوته الدافعة . وكان الاغريق لا
المقلاع كسلاح من الاسلحة المحترمة التي تحملها المشاة الثقيلة وان كانت تستخدمه المشا
وقد ذكر المستر كورتيس كيف ان اسكندر المقدوني لما اراد تصوير جندي فار من جن
امر مصوره ان يجعل هذا الجندي مسلحاً بالجريدة والمقلاع . وكانت ذخيرة المقلاع الح
والحجارة المدببة او المستديرة وكانت توضع في حقيبة صغيرة تعلق في حزام الوسط

السيف

كان السيف المصري مستقيماً وقصيراً يتباين طوله من قدمين ونصف قدم الى ثلاث

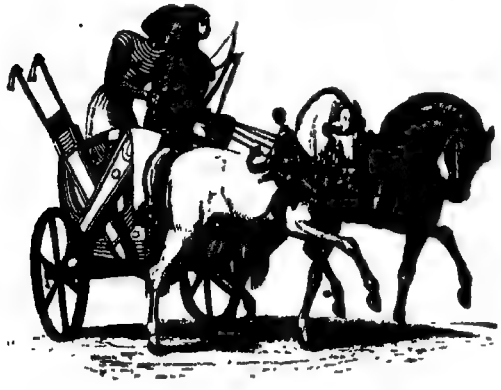

مركبة حربية يجرها جوادان وفيها اميرها ومساعده

مركبة مصرية يقودها اميران ويتبعهما ضابطان كأركان حرب

(جميع الصور في هذا المقال منقولة عن ولكنسون)

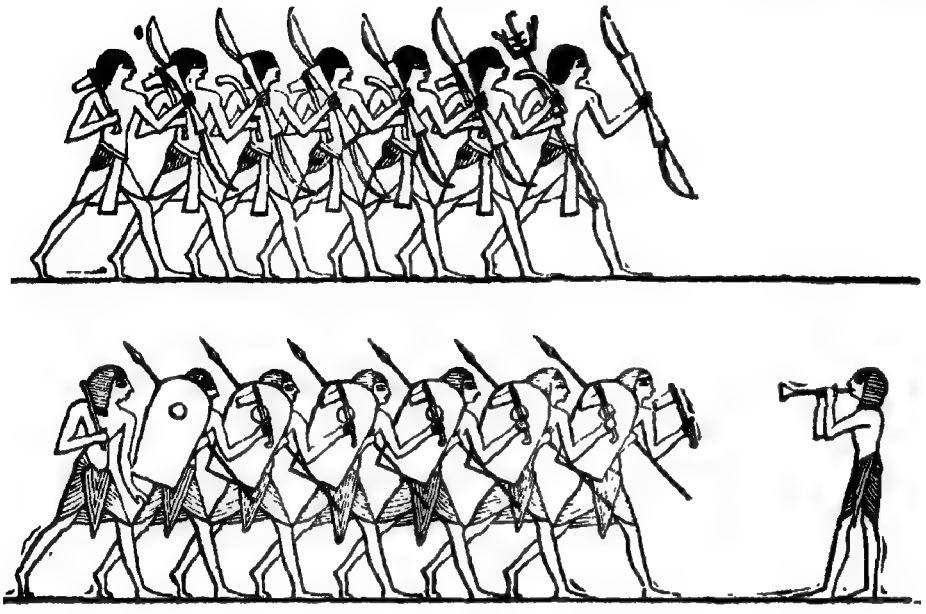

فوق : فصيلة من الجنود المشاة حملة الاقواس . تحت : فصيلة من الجنود المشاة حملة التروس

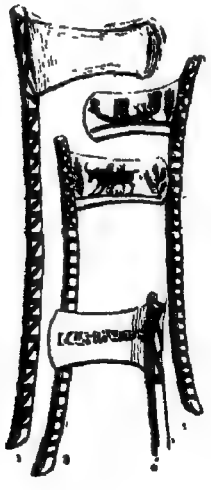

البلطة المصرية

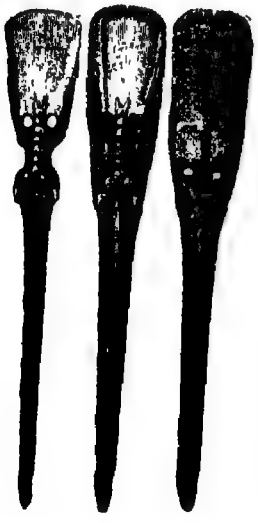

المدية المصرية وغمدها

امام صفحة ٢٨٩

مقتطف اكتوبر ١٩٣٥

مزدوج ومدبب الطرف . وكان يحمل السيف ورأسه الى اسفل ويستخدمه كالخنجر وكانت القبة الصنع منتصفها مجوّف تزداد سمكاً بالتدريج من مكان اتصالها بالنصل الى نهايتها وكانت تزه بالاحجار الثمينة او الاخشاب النفيسة او المعادن. وكان لسيف الملك رأس او رأسان تصنعان صقر رمز المعبود رع او الشمس . ويمكن ان نضع الخنجر مع السيف القصير لتشابههما تفر الاول كان اقصر من الثاني. وكانت قبضة الخنجر كقبضة السيف مرصعة بالجواهر وكان الن رونز السميك من الوسط وله حز خفيف يمتد بين طرفيه . وفي متحف برلين خنجر مصري قد عثر عليه الأثري « باسالاكوا » في احدى حفريات طيبة منذ نصف قرن او اكثر . وه تمثيلاً واضحاً صناعة الاسلحة عند قدماء المصريين

المدية

اما المدية فكانت اقصر من السيف ذات حرف (نصل) واحد وقد استخدمت للقطع فقط عملها جنود الاسلحة الخفيفة والثقيلة على السواء

السيف القصير Falchion

كان ضباط والجنود يحملون ضمن اسلحتهم سيفاً قصيراً وفي كثير من النقوش يرى ملك مع مع العدو وهو يحملهُ ومعهُ البلطة ذات اليد القصيرة او النبوت (الصولجان) وكثير من ضباط الجيش المصري القديم وهم يحملون العصي الخفيفة كالتي يحملها ضباط اليوم . أ قيادتهم للجند للاشتباك فكانت اسلحتهم اسلحة الملك عند ما يحارب على قدميه . و العربات كانوا يسلحون بالقوس

البلطة ذات اليد القصيرة

ت البلطة صغيرة الحجم بسيطة الصناعة لا يزيد طولها على قدمين ونصف قدم . لها نص . ولم تر باطة مصرية ذات نصلين كما كانت عند الرومان . وشكل هذه البلطة يشبه شك التي يستعملها النجار المصري ولم يكن القصد من حملها ان يستعملها الجنود كسلاح هام ا ك بل كانوا يهشمون بها ابواب المدن التي يهاجمونها او يكسّرون الاشجار التي يحتاجون ا لمعداتهم. وكانت البلطة اقل جميع اسلحة القتال زخرفه وبعضها ينقش على نصله صورة حيوا او رمز من الرموز الدينية ينتهي في الغالب بقدم غزال. وكان الجندي خلال مسيره يحملها و يعلقها على ظهره . ولم يظهر على النقوش الاثرية هل كان للبلطة غمد ام لا . وكانت أيدي بعض البلطات قصيرة جداً لا تزيد قدماً عن طول النصل. وان كان طولها في الغالب يقرب من ثلاث اقدا وكان شكل النصل في الغالب نصف دائري وقد تفنن الصناع في نقشه ورسمه

الصولجان

ومن اسلحة المصريين الصولجان الخشبي . كان يحاط باسلاك البرونز . طوله قدمان ونص تشتبك في احدى نهايتيهِ قطعة مثلثة من المعدن تسمى الحارس لتحكيم اليد فوقها حتى عفواً اثناء الضرب . لهُ كرة معدنية تضرب بها الخوذات والدروع . وكانت تسلح بهِ الجن او جنود العربات الحربيـة الذين كانوا يحملون صولجانين معهم يعلّقان على جانبي العر للصولجان شأن كبير عند اشتباك فريقي المعركة . فتظهر البسالة بأحلى مظهر لان فرقة م الشجعان حملة القضبان يستطيعون ارباك العدو وتحطيم قواه بسرعة عجيبة

وكان لدى المصريين نوع آخر من الصوالجة منتظم السمك في طوله الكامل عريض العليا وليست لهُ كرة او حارس . وكانت العصي المقوسة او النبابيت (اللسان) تستعمل الاسلحة الخفيفة او الثقيلة وحملة الاقواس . وهذه العصي وان كانت تظهر لاول وهلة كس الفائدة لكن التجارب اثبتت انها تفي بالغرض اثناء الالتحام . وكانت قبائل البشاريين الى تستعمل العصي بدلاً من السيوف

اسلحة بعض الفرق

وكان جنود الاسلحـة الثقيلة مجهزين بالدروع والحراب وبعضهم يحملون الدروع و والبعض يحملون بلط القتال والدروع ومنها احياناً السيف والعصا المقوسة (اللسان) والعص والجنود الخفيفة الذين ليسوا من رماة النبال كانوا مسلحين بنفس الاسلحة لكن الواقية كانت اخف . اما اسلحة الخيَّالة المصرية فلم نعثر على مصادر تسهل الكلام عليها، و الى وصف العربة الحربية التي كانت عنصراً هامًّا في الجيش المصري

العربة الحربية Chariot

كانت تسع العربة راكبين على مثال العربة الاغريقية Diphros وتسع احياناً ثلاثة وقائدين . لكن كان ذلك نادراً ولم يشاهد الاَّ عند ما كان الملك يصطحب اميرين في بعض احدهما يحمل الصولجان الملكي او الفلابيلا Flabella والآخر يقود العربة

وفي القتال كان كل ضابط يركب عربته ومعهُ سائقهُ وتعلّق خلفه العـلامة المميزة لهُ على ح ويكون حرًّا في استعمال يديهِ للقوس والاسلحة الاخرى . وعند ما يخرج الملك او اح بقصد النزهة او لزيارة صديق يستقل عربتهُ وحده ليقودها بنفسهِ وامامهُ تجري السو وقفت العربة قبضوا على السروع (جمع سرع مولَّدة لسير اللجام) ويأخذون جياد العرب حتى عودة السيد . وكنت ترى دائماً في المعركة هؤلاء الاتباع على استعداد لاية اشارة قائد من عربته لقيادة جنوده فوق تل او مرتفع لا تستطيع العربة تسلّقهُ او عند حصار مد

سرع هؤلاء الاتباع الى الجياد وأخذوها الى مكان امين حتى عودة سيدهم . او تبعوه عن كثب وفي الغالب كان يوجد فريق آخر من العربات في مؤخرة الجيش لاستبدال العربات المتقد عند حدوث مفاجاءات او عند ما تضطره الاحوال العسكرية للتقهقر

ويرى الملك في المشاهد العسكرية المنقوشة على جدران المعابد المصرية راكبا جواده او في عر وليس معهُ سائق . والسروج ملفوفة حول وسطه . ويرى كذلك وهو يحني قوسهُ ضد الاعداء . ويحتم ان الفنان المصري تعمد عدم اظهار السائق بجانب الملك لاعتبارات فنية ولكي يظهر الملك وحد واضحاً على الآثار . واشتملت العربة الحربية على راكبين من درجة واحدة يشتركان معاً في خ القتال ومجده . فاذا كان سائق العربة الملازم للقائد لا يحمل رتبة عالية كان يعد تعيينه لهذا العم فخراً وامتيازاً . وفي الغالب كان لا يملأ هذه المناصب الا اصحاب الاخلاق الحميدة والمنزلة الرفي الذين كانوا اهلاً لاكتساب الشرف لملازمتهم ابناء الملوك والامراء والقواد . وكان اكثر الضبا المعينين ماهرين في قيادة عرباتهم الحربية لا يحتاجون الى من يقود لهم عرباتهم وكانوا يعتبرون ذل فخراً لهم ودليلاً على مهارتهم في استعمال اسلحتهم اثناء قيادتهم للعربة

العربة الحربية في المعركة

استعمل المصريون السوط كأبطال هوميروس في ملحمته الخالدة واستعملوا احياناً العص القصيرة . وكان السوط عبارة عن قبضة مستديرة من الخشب الناعم لهُ عروتان احداهما في اعا ى في اسفله ولهُ قدة من الجلد او قطعة من الحبل طولها قدمان . يستطيع الجندي ان يعلقهُ ح عروتيه في اسفله بينما يستعمل قوسهُ او رمحهُ بسهولة

وعند ما يقابل احد الابطال زعيماً من الاعداء كان يترجل في الحال ليبارزه بقوة جسمهِ وبد بدلاً من القوس او الرمح او البلطة كما كان يفعل الاغريق واهالي طروادة . فاذا تغلب عليهِ وقت جرده من اسلحته . فاذا جرح واصبح غير قادر على المقاومة واستسلم طالباً الرحمة نقل ه المصريون في عربة حربية . اما باقي الاسرى الذين يسلمون اسلحتهم ويقدمون انفسهم فكانوا يعاملو معاملة اسرى حرب ويرسلون الى مؤخرة الجيش تحت الحراسة لتقديمهم الى الملك ثم يشتركون ب بعد في حفلات النصر بعد انتهاء الحرب . وكانت تعد ايدي القتلى من جند الاعداء امام الملك لتسجيل اعدادهم رسمياً بواسطة المسجلين . ويذكر عددهم تمجيداً لذكر حكم الملك . وترى مشاهد الاسرى امام الملك على جدران مدينة هابو بطيبة . والصورة الكبيرة المنقوشة على الفناء الداخ من هذا المعبد العظيم تمثل الملك رمسيس جالساً في عربته وامامهُ المسجل يأخذ ايدي القتلى يعدهم في كوم كبير ويعدهم يداً بعد يد

ويستدل من مكان الملك في تلك اللوحة على انهُ من المحتمل ان كان للعربة المصرية مقعد وان كانت اكثر النقوش لا تظهر مقعداً في العربة فكان الجالس يركب على الحرف الامامي او الجا

الصولجان

ومن اسلحة المصريين الصولجان الخشبي . كان يحاط باسلاك البرونز . طوله قدمان ونصف ة
تشتبك في احدى نهايتيهِ قطعة مثلثة من المعدن تسمى الحارس لتحكيم اليد فوقها حتى لا
عفواً اثناء الضرب . لهُ كرة معدنية تضرب بها الخوذات والدروع . وكانت تسلح بهِ الجنود ا
او جنود العربات الحربيـة الذين كانوا يحملون صولجانين معهم يعلَّقان على جانبي العربة .
للصولجان شأن كبير عند اشتباك فريقي المعركة . فتظهر البسالة بأجلى مظهر لان فرقة من الـ
الشجعان حملة القضبان يستطيعون ارباك العدو وتحطيم قواه بسرعة عجيبة

وكان لدى المصريين نوع آخر من الصوالجة منتظم السمك في طوله الكامل عريض في
العليا وليست لهُ كرة او حارس . وكانت العصي المقوسة او النبابيت (اللسان) تستعملها
الاسلحة الخفيفة او الثقيلة وحملة الاقواس . وهذه العصي وان كانت تظهر لاول وهلة كسلاح
الفائدة لكن التجارب اثبتت انها تفي بالغرض اثناء الالتحام . وكانت قبائل البشاريين الى عهد
تستعمل العصي بدلاً من السيوف

اسلحة بعض الفرق

وكان جنود الاسلحـة الثقيلة مجهزين بالدروع والحراب وبعضهم يحملون الدروع والـ
والبعض يحملون بلط القتال والدروع ومنها احياناً السيف والعصا المقوسة (اللسان) والعصا ا
والجنود الخفيفة الذين ليسوا من رماة النبال كانوا مسلحين بنفس الاسلحة لكن اسـ
الواقية كانت اخف . اما اسلحة الخيَّالة المصرية فلم نعثر على مصادر تسهل الكلام عليها. والآ
الى وصف العربة الحربية التي كانت عنصراً هامًّا في الجيش المصري

العربة الحربية Chariot

كانت تسع العربة راكبين على مثال العربة الاغريقية Diphros وتسع احياناً ثلاثة :
وقائدين . لكن كان ذلك نادراً ولم يشاهد الاَّ عند ما كان الملك يصطحب اميرين في بعض ا
احدهما يحمل الصولجان الملكي او الفلابيلا Flabella والآخر يقود العربة

وفي القتال كان كل ضابط يركب عربته ومعهُ سائقهُ وتعلّق خلفه العـلامة المميزة لهُ على حزا
ويكون حرًّا في استعمال يديهِ للقوس والاسلحة الاخرى . وعند ما يخرج الملك او احد
بقصد النزهة او لزيارة صديق يستقل عربتهُ وحده ليقودها بنفسهِ وامامهُ تجري السوَّاس
وقفت العربة قبضوا على السروع (جمع سرع مولَّدة لسير اللجام) ويأخذون جياد العربة لـ
حتى عودة السيد . وكنت ترى دائماً في المعركة هؤلاءِ الاتباع على استعداد لاية اشارة .
قائد ... لقيادة جنوده فوق تل او مرتفع لا تستطيع العربة تسلّقهُ او عند حصار مدينة

رع هؤلاء الاتباع الى الجياد وأخذوها الى مكان امين حتى عودة سيدهم . او تبعوه عن كثب .
ب الغالب كان يوجد فريق آخر من العربات في مؤخرة الجيش لاستبدال العربات المتقدمة
د حدوث مفاجاءات او عند ما تضطره الاحوال العسكرية للتقهقر

ويرى الملك في المشاهد العسكرية المنقوشة على جدران المعابد المصرية راكباً جواده او في عربته يس معهُ سائق . والسروج مافوقة حول وسطه . ويرى كذلك وهو يحمي قوسهُ ضد الاعداء . ويحتمل الفنان المصري تعمد عدم اظهار السائق بجانب الملك لاعتبارات فنية ولكي يظهر الملك وحده ضحاً على الآثار . واشتملت العربة الحربية على راكبين من درجة واحدة يشتركان معاً في خطر ل ومجده . فاذا كان سائق العربة الملازم للقائد لا يحمل رتبة عالية كان يعد تعيينه لهذا العمل واعتباراً . وفي الغالب كان لا يملأ هذه المناصب الا اصحاب الاخلاق الحميدة والمنزلة الرفيعة لذين كانوا اهلاً لاكتساب الشرف لملازمتهم ابناء الملوك والامراء والقواد . وكان اكثر الضباط ن بين ماهرين في قيادة عرباتهم الحربية لا يحتاجون الى من يقود لهم عرباتهم وكانوا يعتبرون ذلك لهم ودليلاً على مهارتهم في استعمال اسلحتهم اثناء قيادتهم للعربة

العربة الحربية في المعركة

استعمل المصريون السوط كأبطال هوميروس في ملحمته الخالدة واستعملوا احياناً العصي ة . وكان السوط عبارة عن قبضة مستديرة من الخشب الناعم لهُ عروتان احداهما في اعلا ى في اسفله ولهُ قدة من الجلد او قطعة من الحبل طولها قدمان . يستطيع الجندي ان يعلقهُ من ى عروتيه في اسفله بينما يستعمل قوسهُ او رمحهُ بسهولة

وعند ما يقابل احد الابطال زعيماً من الاعداء كان يترجل في الحال ليبارزه بقوة جسمهِ وبيده ن القوس او الرمح او البلطة كما كان يفعل الاغريق واهالي طرواده . فاذا تغلب عليهِ وقتله حذهُ من الاسلحة . فاذا جرح واصبح غير قادر على المقاومة واستسلم طالباً الرحمة نقل من ن في عربة حربية . اما باقي الاسرى الذين يسلمون اسلحتهم ويقدمون انفسهم فكانوا يعاملون معه اسرى حرب ويرسلون الى مؤخرة الجيش تحت الحراسة لتقديمهم الى الملك ثم يشتركون في حفلات النصر بعد انتهاء الحرب . وكانت تعد ايدي القتلى من جند الاعداء امام الملك لتسجل اعدادهم رسمياً بواسطة المسجلين . ويذكر عددهم تمجيداً لذكر حكم الملك . وترى مشاهد مصورة امام الملك على جدران مدينة هابو بطيبة . والصورة الكبيرة المنقوشة على الفناء الداخلي من هذا المعبد العظيم تمثل الملك رمسيس جالساً في عربته وامامهُ المسجل يأخذ ايدي القتلى ويعدهم في كوم كبير ويعدهم يداً بعد يد

ويستدل من مكان الملك في تلك اللوحة على انهُ من المحتمل ان كان للعربة المصرية مقعد وان كانت اكثر النقوش لا تظهر مقعداً في العربة فكان الجالس يركب على الحرف الامامي او الجانبي

يها وكانت ارض العربة المصرية مصنوعة من اطار مثبت فيهِ شبكة متينة من الاغصان الج
لحبال كشبكة قوية تقاوم ضغط راكبها وتكون لينة تحتهم اثناء الجري

ولاشك ان العربة المصرية كانت تصنع من الخشب كما اثبتت النقوش العديدة التي يستدل على صناعة اجزاء العربة وادوات العمل والقطع التي استعملها الصناع القدماء

وكان جسم العربة خفيفاً جدًّا يتركب من اطار خشبي منقوش ومزخرف بقطع معدنية او م بالجلد يفوق في ذلك اكثر العربات التي وصفها هوميروس .وكان قعر العربة الذي يقف عليهِ ا مستوياً مكوناً من قطعة واحدة او من جرائد مفتولة ترتكز على العريش بعد اتصاله بمحو عجلتي العربة لتستطيع المحافظة على توازنها وسهولة تحركها وحدها من دون ان تنقلب وا يكسر العريش . وفي هذه الحالة يكون الثقل موزعاً بين العجلات والجياد . ولم تكن العربة الحمل فان جنديًّا واحداً كان يستطيع حملها بسهولة اذا حمل آخر متاع الجياد . وفي حالة ركو لم يكن من الصعب على حوادين شد العربة والجري بها . وكان لكل عربة مسند او قائم من الارتفاع ليتكيء فوقها العريش عند ما تؤخذ الجياد بعيداً فلا يقع العريش على الارض . وكا القائم على شكل انسان يمثل اسيراً من الاعداء

قلنا ان اكثر اجزاء اجناب العربة وظهرها كانت مكشوفة . وهذا الجزء الاخير لم يكن له أو حرف لمنع الجندي من السقوط الفجائي . وكانت تُعلق على احد الجانبين جعبة السهام القوس محلاة بالنقوش والزخارف تعلوها صورة اسد وتوضع الجعبة مائلة متجهة الى الام يتسع المقام هنا لتفصيل عمل كل من النجار والحداد وصانع الجلود ...هؤلاء الثلاثة الذين ا في صناعة العجلات الحربية .وكان لكل عجلة ستة «براق» spokes اسطوانية وكان للعجلات في الشؤون المدنية او العربات الخاصة المستعملة في داخل المدن اربعة « براق» فقط . وكانت العجلة في نهاية المحور بواسطة (شيوى) او خابور له احياناً رأس مزخرفة وله (تيلة) متينة تمنع العجلة من محورها ولم تشاهد على الآثار عربات لها اكثر من عجلتين . ولم يكن للعربات حاجز لوقاية راكبها من الامام او الاجناب

لم تر عربات مصرية يجرها اكثر من جوادين وان كان بعض اعداء المصريين استعملوا التي تجرها اربعة جياد . وكان فيلق العربات المصرية كالمشاة مقسماً الى جنود خفيفة وثقيلة و مسلح بالأقواس فالاول هو سلاح العربات الخفيفة فكان يستخدم لازعاج العدو بمقذوفات ولذلك كان يستلزم خفة الحركة . اما الثاني وهو سلاح العربات الثقيلة فكان يستخدم لتفريق الجماعات الكثيفة من مشاة الاعداء بعد امطارهم بوابل من السهام الثقيلة

نماذج من الاسلحة المصرية بالمتحف

واننا لنشاهد كثيراً من انواع الاسلحة القديمة معروضة في ابهاء المتحف المصري .

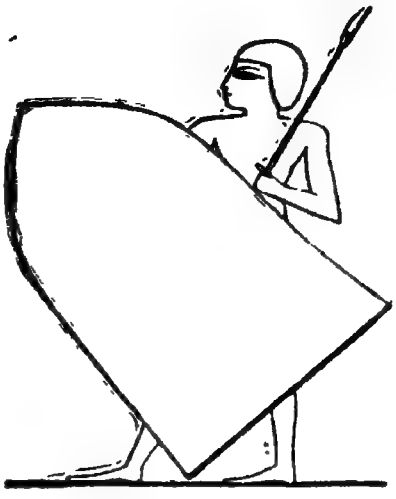

صورة تمثل الدرع الكبيرة

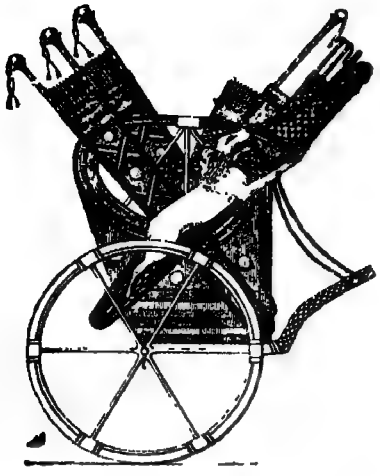

منظر جانبي للمركبة الحربية

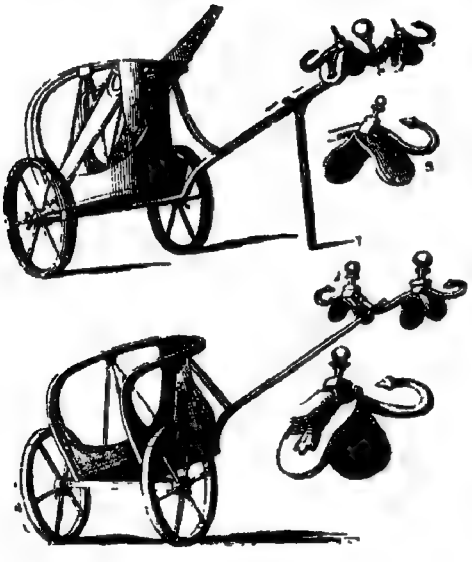

منظر عام للمركبة الحربية «وأطقم» الجياد

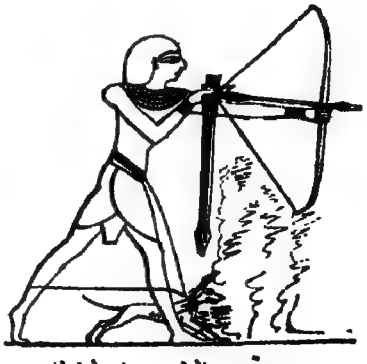

صورة تمثل الاستعداد لاطلاق

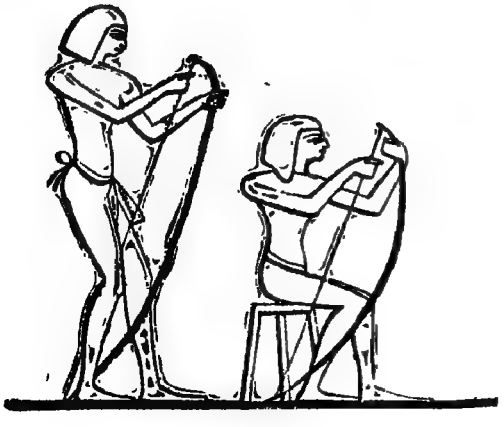

طريقة شد القوس

الزائر مجموعة من اسلحة الطيران (الصوان) التي ترجع الى عصور قبل التاريخ في مصر . كما يشا مجموعة اخرى من العصي والحراب والبلط والخناجر والعصي المعقوف التي ترمى بها الطيور ومقا للتروس (ارقام المتحف المصري ٦١٠٠ J. E.)

وبين مكتشفات مقبرة توت عنخ آمون يشاهد هيكل مركبة حربية من خشب مذهب وم برسوم بارزة ومطعم بشرائط من الزجاج المختلف الالوان . وفي الوسط «خراطيش» الملك والملك يحملها صقر باسط جناحيه وبين قمة المركبة وحافتها الخارجية جملة رسوم تمثل ستة من الاسر الزنوج والاسيويين . ويلاحظ من هذه العربة يشاهد الزائر مركبة اخرى عليها شارة الملك على شك في الهول يطأ اسراه باقدامه ويرى ايضاً اربعة سروج من عدة الجياد التي كانت تجر العربات و اردان زوج منها رأسين منحوتين للآلهة «بس» (١٠٥ — ١٠٨)

وتحتوي مكتشفات مقبرة هذا الملك الشاب على مجموعة جميلة من الاقواس المطعَّمة والمكس بالذهب والعصي الخشبية المزركشة برقائق الذهب والصوالجة والاقواس والمدى والسكاكا والسهام التي لا يزال كثير منها محافظاً على رياشه ، ونصالها مختلفة المواد والاشكال . فمنها ما مصنوع من البرونز على شكل كمثرى او رصاصة ومنها ما هو مصنوع من الزجاج او له اسنة العاج او من الخشب . ومنها ما هو مدبب او مخروطي الفصل للعب

« اطقم » الجياد

ويستطيع القارىء بعد زيارة معروضات بلاد النوبة في المتحف المصري ان يستخرج صورة كا الاطقم والحلى التي كانت تزين رؤوس الجياد . فقد كانت تصنع من الحديد او النحاس او الفض المطعمة بالاحجار الكريمة التي لا يمكن تمييزها عن الصناعة الحديثة التي نشاهدها اليوم . ولا يمك تمييز الاجزاء التي يتألف منها الطقم الذي صنع في مصر القديمة من الطقم الذي يخرجه احد مصنع في هذه الايام تناسقاً وتنميقاً ودقة . كذلك لا تختلف الاجزاء الجلدية من السرج القديم . السرج الحديث . فالقرطمة والسروج والركابات واللجم لم تتغير منذ القدم . وكانت للجواد مكا عزيزة لدى سيده . فاذا فارق السيد الحياة زين حواده بأحلى اطقمه واقتيد الى مدفن مولاه ليد ان يدفن في غرفة ملاصقة للقبر . وكانت الجياد تدلل بالنواقيس النحاسية الصغيرة والخرز الملو والعقود الجميلة على الاسلوب الذي تدلل بها جياد اليوم

المراجع

١ — تاريخ مصر للعلامة برستيد وترجمة الدكتور حسن بك كمال

2 Manners and Customs of the Ancient Egyptians by "Wilkinson" 3 Vols

3 - Life in Ancient Egypt. by "Erman"

4 Die Bewaffnung des alt ägyptischen Heeres ... W. M.

خليل شيبوب

البنفسجة

قد التحفت اوراقها وتطأمنت ... على نفسها في رقة وتواضع
مكحلة الاجفان يقضي حياؤها ... عليها باغضاء اللحاظ الخواشع
فتكسرها في غمزةٍ ثبتت بها ... محيرةٍ في ناظر غير دامع
وتثني من الاشفاق جيداً منعماً ... يميل بإطراقِ الحييِّ الممانع
فيطمعنا فيها اريجُ عفافها ... وربَّ عفافٍ كان أغوى لطامع
مجاورة تربًا نماها ولم تزل ... تحنُّ اليهِ وهو قيد اصابع
كأن لها ذكر الجميل فريضةً ... تردّدها في صمتها المتتابع
لدن باسقات الدوح ترفع هامها ... مولية عنه الى كل رافع
وهل كبرياء الدوح تعدل نظرةً ... لمهومةٍ في ثوبها المتواضع
بنفسجة قد أسكرت كلَّ ناشقٍ ... كما بهرت باللطف كل مطالع
منمنمة في الروض قامت مستِيمةً ... بمكحول جفنيها طرازَ الوشائع
محببة ان زيَّنت صدرَ حاملٍ ... حمت ذوقهُ من صارخ اللون فاقع
كأنَّ بها في معرض الزهو خجلةً ... تردُّ طموح الثائر المتدافع
صحيةُ لهو في الزمان ونزوةٍ ... تزيد بها نوراً على كل ساطع

***

أيا رمز نفسي في الحياة تحيةً ... تحاكي هتافَ النائحات السواجع
ارددها في لاعج اليأس كاظماً ... على غلّةٍ تذكي حمايا الاضالع
لعمرك كم ساجي الذرى كشفتْ له ... ذراهُ عيوباً كنَّ حليةَ واضع
وكم وادعٍ في لطفهِ متطامنٍ ... على نفسهِ أعلتهُ رقّةُ وادع
وأكثر هذا الناس زهرٌ بلا شذا ... ومرأى بلا لونٍ ووَقْرٌ مسامع
هناك كنوزٌ لا تباح لهم ولا ... يقودُ اليها فضلُ شافٍ وشافع
غنيٌّ عنهم في العمر تشعرهم بهِ ... وإن بقيت مغمورة نفسٌ قانع

سطور زرق

رعشة البحر ووجهه وحديثه واصواته

لراهبي الراعي

وقفت امام البحر اسأل عن رعشته واحلّل معانيها

لماذا يرتعش البحر ؟؟

أهو يرى نفسه على رحابته وعظمته سجينا في مكان رُسم لهُ في الارض لا يستطيع ان يفلت من قضبانه ليهجم على اليابسة عدوّته الازلية ويغمرها فيرتعش رعشة الاسد السجين الذي يرى امامه فطعاناً يمكنهُ ان يفترسها ولكن الحديد يقف بينهُ وبين مطامعه ، رعشة القوي الشاعر بقوته ولكنهُ لا يستطيع ان يمارسها . .

ام هو يشعر بجريمته عندما يمرّ على بقايا الابطال من غرقاه فيرتعش رعشة الخاطىء الذي حالف الموت فاعطاه في اعماق الماء مكاناً يلقي فيها بعض الخلائق التي حصدتها مناجله وضاقت بها الاضرحة ...

ام هو يضنّ بدرره المستقرة في قلبه ويخاف عليها من حيتانه فيرتعش رعشة الغني امام الايدي الجريئة التي تمتد حول خزائنه الغاصة بذهبها الموفور الدفين ...

ام هو نبيٌّ يرى كل يوم بعين النبوّة يومه الاخير الذي يسدل فيهِ على روايته ستارها الازرق ويعود الى اليابسة فيرتعش رعشة الحيّ المتشبّث بيومه الخائف من غده ...

ام هو شاعر عبقري روحاني نوراني خلق ليعيش في عالمه الخاص بين افكاره واحلامه وعواطفه بعيداً عن الانسان والانسانية قريباً من نفسه ومن خالقه وليكون جزيرة بارزة مستقلة عن التراب وابنائه في بحر الوجود ، يرى نفسه مُلكاً لسواهُ وساحة عامة يطأها كل عابر وصدراً مفتوح الرئتين والقلب والضلوع تشقّه السفن والدارعات والطرادات والنسّافات على مختلف اسمائها والوانها وتنفث فيهِ دخانها وتصيح صيحاتها وتلقي مراسيها فيرتعش رعشة العبقرية التي أقامت لنفسها الهياكل العاجية فاستبيح حماها واسودّ عاجها ، رعشة الشاعرية التي سُدلت الستائر على آلهتها فمزّقتها الايدي القاسية الاثيمة ...

ام هو يرى في مائهِ تلك الدموع التي التقطها من العيون الباكية وانهُ من اجل ذلك يجسّم اليأس وان كل كئيب يصبّ فيه ثمالة كأسه وانهُ مجموعة الثمالات في كأس واحدة ومجموعة الدموع في عين واحدة فترتعش فيهِ الوهيه الالم التي اتخذته لها معبداً . . .

ام هو يحدق بالهتهِ « نبتون » ويؤمن بانهُ اله الآلهه فيرتعش رعشة العبادة والايمان . . .

ام هو بين موجتـه المجنونة وغايته المجهولة رجل اضاع عقلهُ فارتعش رعشة المجنون . . .

ام هو يرى الزبد في موجته خمرة في فمه فيرتعش رعشة الثمل . . .

ام هو المرأة المرأة ذات العينين الزرقاوين والقامة التي هي اطول من قامات النساء جميعهنّ مندغمات في قامة واحدة ، يراها « كوبيد » اله الحب منتهى حبّه واطار خيالهِ فيمسح بثوبها الازرق دم كل سهم من سهامه بعد ان يرمي بها العشاق فترتعش الرعشة الكبرى ، رعشة الرعشات ، الرعشة التي يرى فيها كل جمل حبه وكل جميلة وجهها الساحر وقلبها الخفاق . . .

لا أدري لماذا يرتعش البحر ولا هو يدري ، هو البحر ومع ذلك فهو لا يعرف نفسه ولعله لا يعرف نفسهُ لانهُ البحر . . .

ان رعشته هي سرّه ، سر قوته ، سر الهتـه ، هي عينه الناظرة واذنه السامعة وفمه الناطق ، هي روحه بل هي كل شيء فيه وهو يجهلها لان عظمته تمادت ومجده علا الى حيث لا يراها . . . ومن بلايا الانسانية ان صغيرها وكبيرها يجهلان نفسيهما فالصغير لا يرى في صغره لنفسه وجهاً والكبير يرى نفسه في كبره واتساع خياله على صور وألوان عديدة يضيع بينها فلا يدري ايها يختار . . .

البحر مرآة رأيت فيها وجوهاً لم أرها في مرآة ورأيت هـذه الوجوه تواكبها ذكريات بعيدة

رأيت أبانا القديم نوح يختال بفلكه على اليمّ وعلى رؤوس الغرق ثم يستقر على سفح جبل ارارط فسألت نفسي : أين استقى نوح تلك المزايا الفريدة التي اصطفاه من اجلها الله فأغرق الخلائق وابقاه حيًّا ، سألت هذا السؤال لكي أنسج على منوال ذاك الرجل

الدار العظيم فأنال حظوة في عيني الرب عند ما تطفح الكيل ويبلغ سيل الخطايا ربى الخليقة فتُغمر الخليقة بطوفان آخر . . .

ووثبت فوق القرون وثبة هائلة رمتني تحت اقدام المسيح فرأيته يمشي على الماء وحييته باسم الوداعة والتقى والحلم والصبر والالم والاستشهاد والرحمة والعدل والحكمة وفتحت كتاب التضحية واخذت اقرأ سير الشهداء وتخيلت على كل موجة صليباً . . .

ورأيت الفراعنة يتتبعون آثار موسى السائر الى ارض ميعاده فتغرق جيوشهم وحيولهم وأعلامهم فقلت : أين هم الظلّام المستبدون يرون دماء ضحاياهم في هذا البحر الاحمر وهل يشعرون ان لكل منهم بحره الاحمر يغرقه باسم الضعيف المظلوم وباسم الحرية المسجونة . . . .

وسمعت اصواتاً طنّانة صخّابة متناقضة تخرج من اعماق البحر فتتجاوب اصداؤها في اودية كياني ، والبحر كلماته وقاموسه ولغته واحساسه وخواطره . . .

سمعت صوتاً يقول لي : انظر اليّ كيف تتلاقى في ساحتي جميع قوات الارض والسماء كأنها على موعد في بيتي وكيف تشق عبابي السفينة ويلعب باحشائي الغوّاص وكيف يرتد عني الطرف وهو كليل ، انظر وكن مثلي صبوراً رحب الصدر بعيد المطامح واسع الخيال . . . .

وسمعت صوتاً آخر يقول :

صارع صخورك كموجاتي فالحياة جهاد مستديم وأنا عنوان هذا الجهاد ، كن مثلي وثباً دائماً وأبداً واذا استرحت من وثبة الامس فلتكن راحتك تأهباً لوثبة الغد . .

وقال صوت ثالث :

أنا مع عظمتي ورحابتي رجل اسير تقيّده شواطئه التي لايستطيع ان يجاوزها فاذكر دائماً وابداً انك مهما علوت وعظمت وشمخت وحملت الصواجة وركبت العروش لا تستطيع ان تكون حرّاً ، واذكر دائماً وابداً ان الغاية من الحياة انما هي السعي طيلة ايامك ولياليك المعدودة للتملص من ربقة الشاطىء الذي يقف في طريق نفسك الهائجة ممنعها من ان تنبسط بكليتها وتتجلّى بكل ما فيها من انوار ونيران فتحقّق جميع احلامها وتسكب جميع خمورها في كأس الخليقة . . .

وقال لي صوت رابع :

انا رجل وادع ثائر ، عاقل مجنون ترائي يوماً ليّن الملمس كالحرير مصقولاً كالمرآة ويوماً فارغاً فمّا فيهِ نيوب الليوث وباسطاً يداً تحمل اشدّ البراثن فتكاً فكان رأسي يحمل وجهين وجه الحياة ووجه الموت فكن مثلي حكيماً وافرق بين نداك وسيفك فلا تضع احداهما مكان الآخر . . .

وارتفع صوت خامس يقول :

ايها المشرف على عالمنا المتفرس في حياتنا البحرية انظر اليّ انا السمكة الصغيرة تبتلعني السمكة الكبيرة لانها القوة ولانني الضعف ، واليك اشكوها ايها الانسان فهل لك ان تحوّل بطشها عني وتضع في قلبها شيئاً من الرحمة والحنان ، فقلت لها : ايتها المستجيرة بي ، ان ما بك في الماء هو ما بنا على الشاطىء ، نحن اسماك الارض يأكل كبيرنا صغيرنا ويقتل قويّنا ضعيفنا فسيف القوة مصلت في البرّ والبحر وكأن الاقوياء فيهما يؤلفون عصبة واحدة ويتنادون فكلما ربح الظلم فريسة في بطن الماء ربح مثلها على سطح الارض — الظلم يا سمكتي الصغيرة قديم والظلم في كل مكان فلا تحسدي ابناء الارض ولا تحسبي انك اذا خرجتِ من الماء افلتّ من قبضة الاقوياء . . .

ودُرتُ حول البحر اسأله : هل هناك ما يشبهك في الارض فحنى رأسهُ متواضعاً وقال نعم : تشبهني الصحارى ولكنها بحور جامدة والليالي ولكنها بحور سود . .

وسألتهُ : كيف انت والافق فقال : نحن شقيقان لفظتنا احشاء امرأة واحدة هي الطبيعة والصلات التي تجمعنا عديدة فلوننا واحد هو الزرقة وجيوشنا لا تعدّ ولا تحصى فللافق نجومه ولي موجاتي ، وكلانا رمز العظمة واللانهاية ولكل منا وجهة الغضوب فللافق صاعقته التي يعطس بها انفه ولي بركاني الثائر على شاطئي ، وفي قلبينا تستقر الدرر . . .

وسألتهُ : كيف انت والصياد فقال بلهجة الفائز : انني آخذ اكثر مما اعطي ، ان غرقاي الذين اغنمهم اوفر عدداً من الاسماك التي يغنمونها مني . . .

وسألته هل انت رجل عصاميّ ايها البحر فاجابني متأسفاً : ان عيبي الوحيد هو انني استعير مجدي وقوتي من سواي فلولا تلك الينابيع والانهار والجداول لم اكن . انها تموت فيَّ لأحيا وتصبّ فيَّ كنوزها لأصبح مثرياً ، انها تعطيني حنينها لا تجبّر وتضع في صدري الواحد الملايين من القلوب ليظلّ نابضاً الى الابد ، انا كالقمر يستعير

تورد من الشمس ولولاها لم يكن القمر . انا البحر ولكنني رجل مدين لا استطيع ان انطح السحاب بانفي الجبّار ...

وسألتهُ عن البخار لماذا ينفثهُ فمه فبدت على وجهه الرحمة وقال : انفثه ليؤلفهُ الافق غماماً ويسكبهُ ماء فيحيي ما يبس في الارض ، انا ابن الحنان ، انا ابن التضامن ، لقنتني امثولته القوى التي تصافرت فولدتني ...

وسألتهُ هل للشعر مكان فيك فاجاب : شاعريتي هي في رعشتي وصور خيالي المتوالية المتعاقبة في هذه الموجات المتعاقبة المتوالية ...

وسألتهُ : كيف انت والظمأ ايها البحر فقال بين الحسرة والدهشة : انا بين ظمأين ظمأي وظمأ الناس فلا فمي يشرب مائي ولا يرتوي من يشرب مني ...

وسألتهُ عن البراكين التي يثيرها على بعض شواطئه بقوته الدافعة فأجاب : عند ما اغضب الغصة الكبرى وتعجز الموجة عن ان تسعها اطلق بركاني ومن عجائبي انني اخرج النار من مائي ...

وسألته : كيف انت والجبل فقال : الجبل ضيق وانا فسيح ، الجبل مقطب الجبين وانا طلق المحيا ، الجبل صخرة وأنا رعشة ، الجبل عقل صارم وارادة باطشة وأنا قلب حفاق وشعور صارخ ، واذا كان للجبل عقبانهُ على قمته فلي كنوزي في اعماقي ...

وسألته عن الغزاة الفاتحين فقال :

ان لهم بحورهم ولكنها من دماء وأنا خير منهم فانك لا ترى على جبيني طابع الجريمة .....

وعن الفلاسفة فقال : أنا في كل كرة من كرات شكهم ويقينهم ، انهم يموتون صرعى بين امواجهم التي تغمر كيانهم ...

وعن المنتحرين فقال : انهم يؤرّون موجتي الصارخة على التراب الصامت

وسألته عن هؤلاء العراة الذين يستحمون فيه فهزّ رأسه وقال :

ان مذهب العري ينتشر في العالم ولكن العريان الذي تريده ليس هذا الذي ينزع ثيابه ويستسلم اليَّ ليزداد وزنه ولتقوى معدته واعصابه وانما العريان الحقيقي الذي تنشده هو ذاك الذي ينزع عنه اطمار تقاليده واوهامه التي حملته اياها القرون السالفة فتبدو نفسه حرة جريئة طليقة من قيود الجهل والذل

وسألتهُ : كيف انت والموت فقال : نحن لسانان في فم واحد يوم نغضب

وسألته كيف انت والحيانات فقال : اني اعرفها فكم من عقيدة طرحها في صاحبها ولم يسأل عن غده . . .

وسألته : من هم أعداؤك الالداء فقال : القناعة والبخل والكآبة والعقم . . .

وسألته عن الاحلام فقال : ان نصفها يتلاشى في طيّاتي . . .

وسألته عن الاعجاد فقال : انها موجات في بحر الخلود . .

وتماديت في الاسئلة حتى خشيت ان يستهويني البحر فتتلقّفني يد من اياديه ولكنني قبل ان تركت الشاطىء وعدت الى صلاتي الارض سجدت امام « نبتون » وصليت صلاتي الزرقاء فقلت :

يارب الماء

ضع من قلبك في قلبي فتتّسع دائرته ويغزر دمه ؛ واضرب بموجاتك الصخور القائمة في طريق خيالي واحلامي

غذّ ارادتي لأحطم كآبتي وضعفي ، وارفعني الى مستواك لأبسط كتفي في العالمين . .

انزع مني الجداول والانهار والبحيرات والسواقي واجعلني بحراً . .

انا من محبيك ايها الاله نبتون ومن المعجبين برعشاتك وصيحاتك فاجعلني من اتباعك وافتح لي صدر الموجة لتضمني اليها . .

افتح عيني لتسعك كلك وافتح اذني لتسمع جميع اصواتك ...

جمّلني بالصبر والحكمة واجعل صدري رحباً ليسع الناس ولؤمهم والاقدار وظلمها

اغرق فيّ الوجه القبيح من انسانيتي وابق لي وجهها الجميل وزده جمالاً . . .

أغرق صحرائي واجعلني بحراً وحذني أنت لا سواك في يومي الاخير وارحمي من وطأة ذلك الحجر البارد الثقيل اللئيم أيها الكريم الرحيم . . .

بيروت راجي الراعي

الدين والثقافة الحاضرة

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

شأن الدين : ان نظرة واحدة اجمالية في تاريخ الدين تدل على الدور العظيم الذي مثلتهُ العقائد
نية على مسرح الحياة الاجتماعية ، ولا ادلَّ على المقام الرفيع الذي يتبوأهُ الدين في قلوب الجماعات
حتى في السنين الاخيرة المالئة بالشكوك والثورات على اتباعها — من هذه الغارة الشعواء التي
ها الحكومات اللادينية غير العقائد الدينية المتأصلة في النفوس لعلها تستطيع ان تزحزحها عن
نها . ومن اللغو ان يحاول كاتب في التاريخ الحطَّ من شأن العامل الديني في التطور الاجتماعي
، يقتصر على العوامل الطبيعية وحدها ، واذا وجد ما يبرِّر هذا الموقف في القرن الذي نعيش
فلن نجد له مبرراً في القرون الخالية ، لان الدين كما قالت « المعلمة البريطانية » قوة دافعة من
م القوى ، فقد التنت هذه القوة الامم ومزَّقتها وجعلت الامبراطوريات وفرَّقتها واجازت افظع
هال المنكرة واوحشها واقسى العادات والخشها والهمت الخلق أنبل الافعال في البطولة والايثار
خلاص واحدثت اهول الحروب والثورات والاصطهادات وحابت للناس الحرية والسعادة
لام ، وكانت في بعض الايام نصيرة الاستبداد وفي بعضها الآخر محطمة قيود الاستعباد، وكانت
من الزمن اساساً متيناً لمدنية جديدة لامعة براقة ثم كانت للتقدم والعلم والفن خصماً عنيداً
ة كؤوداً

البحث العلمي والعقيدة الدينية : اننا على اتم وفاق مع « الموحز في الاجتماع » عند قوله :[1]
حل المباحث المتعلقة باصل الدين في المسألة الآتية وهي : هل كان ثمت وحي استطاع بفضله
سان ان يعرف ربه ؟ فالبحث العلمي الفلسفي عن اصل الشعور الديني هو غير البحث في قولنا هل
الله ارادته للخلق واطلعهم على مشيئته ؟ ويهمنا كثيراً ان نعرف ما هي الاحوال الطبيعية التي
ت بالانسان الاول حتى زرعت في نفسه الشعور الديني وساقتهُ الى العبادة وسائر الشعائر الدينية
اك شبه اجماع على ان الدين ظاهرة اجتماعية تلازم الجمعة البشرية كما تلازمها الظواهر الاخرى
تألف مجتمع من الافراد فمن لوازمه الاولية ظهور الاوضاع الاساسية من نظام وحكومة
رة واقتصاد وعقيدة دينية

وقد اجاد الاستاذ ماثيوس في قوله [2] ومع كل الفروق البدهية التي تميز اديان الناس بعضها

(1) Outline of Modern Knowledge, p. 49 (2) Outline of Sociology, p. 252

عن بعض ، وما لهذه الفروق من قيم متنوعة ، فالدين شيء اكبر من اي دين خاص بعينه، وهو على بساط البحث قضايا سابقة لكل قضية تنشأ عن التعاليم التي يقول بها اي مذهب من المذاه

التعصب الديني عقبة في سبيل البحث : ولم تعالج الموضوعات الدينية بالطريقة العلمية المض الاَّ في القرن الماضي لان التعصب الديني كان عثرة في سبيل البحث والاستقراء ، يدلك على ما كان يفعله العلماء حتى اهل الاخصاء منهم عند تصنيفهم الاديان فكانوا يقسمونها الى اديان ح واديان فاسدة غير مدركين ما يعد اليوم بداهة وهو ان الدين ظاهرة اجتماعية تلازم الجمعية البـ منذ نشأتها الاولى ، وهم يقصدون بالاديان الصحيحة ما وجدوا عليهِ آباءهم طبعاً وكل ما خالف فهو فاسد من عمل الشيطان . (ولمكس مولر) العالم الالماني الانكليزي المشهور فضل عظ محاربة مثل هذا التصنيف الضيق كما حارب تصنيفاً آخر يشابهه وهو القول ان الاديان قسمان الهامية سماوية واديان وضعية ارضية[1]

ولم ينظر احد الى الاديان فيما اعلم نظرة رحبة سمحة ترى اليد المحجبة وراءها تدير شؤ وتبعث روحها مثل المتصوّفة في الاسلام فقد وقف بعضهم منها موقفاً يجب ان يكون درس حتى للكثيرين ممن يعنون بمثل هذه الامور في اوربا واميركا في العصر الحاضر . وليت بعض الـ من المتحمسين الغربيين الذين يستدرون المال من ابناء دينهم « لهداية الوثنيين والمسلمين » او « النور بين العميان » ينهضون من غربهم فيقرأوا على ضوء الحقائق التي قرّرها علماء (الدين الـ ما قاله ابن العربي وقد توفي سنة ٦٣٨ في قصيدتهِ التي طالما استشهدنا بها على سموّ الشعور الدين العرب وجعلناها عنواناً لا للتعمق فقط بل للعقيدة والمبدأ ايضاً ، ذلك ان ابن العربي كـ القائلين بوحدة الاديان ويرى جمع المتدينين يعبدون الاله الواحد المتجلي في صورهم وصور المعبودات والقصيدة هي :

لقد كنت قبل اليوم انكر صاحبي اذا لم يكن ديني الى دينه داني
وقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لاوثان وكعبة طائف والواح توراة ومصحف قرآن
ادين بدين الحب انى توجهت ركائبه فالحب ديني وايماني

وابن العربي هذا لا حاجة به الى من يذكره من المتشددين الثقيلي الوطأة بأن هنالك في الاديان المنحطة من السخافات والاعمال المنكرة ما لا يجوز ان يتسع لها قلبهُ او يطمئن اليها لبـ كله كان معلوماً عنده الاَّ انهُ كان في موقفه المستجد اسمى من ان يفوته المعنى العظيم الشامل بانصرافه الى الجزئيات الموضعية الخاصّة . واذا كان الكون في نفسه الحسّاسة الصافية

(١) Lectures on the Science of Religion p. p. 123 143

ة شعرية نفيسة منسجمة فصراع واحد معوج او بيت واحد فاسد لايحوا، دون تمتعه بالقصيدة كاملة واعجابه بالفنان المبدع الذي اجاد نظمها واحكم قوافيها ووزنها

وخذ مثالاً آخر على هذه الروح السمحة الرفيعه ما قاله ابن الفارض الحموي المصري المتوفى سنة هجرية في تائيته الكبرى :

وان نار بالقرآن محراب مسجد فما بار بالانجيل هيكل بيعة
وان عبد النار المجوس وما انطفت كما جاء في الاخبار في الف حجة
فما قصدوا غيري وان كان قصدهم سواي وان لم يظهروا عقد نية
فلا عبث والخلق لم يخلقوا سدى وان لم تكن افعالهم بالسديدة

ولا اعرف احداً من المتقدمين قارب هذه المعاني — وان لم يبلغ شأوها — سوى الانبياء الثيديين لهنود فقد صاحوا في زمنهم « ان الناس ليدعونه — « اي ليدعون الله » — اندرا او مترا رونا او اغني وانّ الحكماء ليطلقون عليه الاسماء المتنوعة، اما هو فليس الاَّ واحداً في جميعها» وسوى (مكسيموس المادوري) لما قال لاغسطين في نحو سنة ٣٩٠ « ان هنالك الهاً واحداً ليس له ولد وهو الله القدير ابو الجميع، وان قوى هذه الآلهة التي عمّت الخلائق — يشير الى نة الجديدة التي انتشرت في الامبراطورية الرومانية بدخول المؤمنين بها تحت طاعة الرومانيين — ا تتجه اليه بالعبادة تحت اسماء مختلفة بالنظر الى جهلنا اسمهُ الحقيقي ، فيحدث اننا اذ نقترب تما ونحن منفردون من بعض اجزاء الوجود الالهي نجد اننا انما نعبد من كانت فيه هذه الاشياء ها وحدة كاملة »

ومن خير من عرفنا ممن يمثلون هذا الاتجاه البعيد الغور في الأعصر الحاضرة رئيس اعظم سة وجدت في الشرق للتبشير خوّلها بسعته للتثقيف وهو المرحوم الدكتور هورد بلس ل الجامعة الاميركية في بيروت. قال لي « لقد بقيت نصرانياً ادين بالمسيحية لا عتقادي انها ب مثلاً ٧٥ في المئة من الحق في حين اعتقد ان الاسلامية تحوي ٧٠ في المائه فقط واما انت بقيت مسلماً على مثل هذا الاساس لاعتقادك بهذه النسبة ولكن في مصلحة الاسلام ، وخمسة سبعين هي اختلاف ضئيل في المقدار لا اختلاف في الجوهر »

وعقد المستر «هربرت سبنسر» في كتابه «درس الاجتماع[1]» فصلا شيقاً في التعصب الديني وتأثير ة المتوارثة العمياء في احكام الناس . قال ان الصامويين — وهم سكان جزائر «صاموا» في المحيط ى — متصفون باللطف والدعة والكرم الحاتمي والرجال والنساء منهم مطبوعون على حب دهم ، وللشيخوخة في نظرهم حرمة ووقار ، ويأبى الواحد منهم ان يدعى خشناً قليل المعروف

(١) The Study of Sociology, 293

تمتاز نساؤهم بالفضيلة والالفة ، ولا تعرف عندهم جريمة قتل المواليد ، ولاحظ السياح انهم يعاملو
ارضى معاملة انسانية كريمة حهد طاقتهم

هذه حال الصاموبين اجمالاً . فلننظر ما يقال عن جيرانهم «الفيجيين» اكلة اللحم البشري . فهؤلا
يكترثون لحياة الناس ويعيشون في خوف دائم بعضهم من بعض ويحسبون البوق «وهو الغدر» ،
شمائل الكريمة ، وليس سفك الدم في نظر الفيجي جناية بل شرفاً ، فهم يقتلون المقعدين والعج
المرضى ونحو ثلثي مواليدهم ، ومن بقي منهم حيًّا فأول درس يتلقنه ان يضرب امه ، ومن خد
لحث على الانتقام واثارة الغضب وقتل من كان ادنى منهم مرتبة بمجرد اهماله تأدية السلام على الاصو
هم يقدمون العبيد بجانب الفوائم التي يبنى عليها بيت مليكهم ، ويذبحون عشرة منهم او اكث
لمهر زكوة ـ زورق ـ جديد فينزلونها الى الماء تعميداً لها بدمائهم ، ويخنقون نساء الامير وحجابه وا
عند موته تشريفاً لهم وتكريماً . وعادة اكل اللحم البشري منتشرة عندهم الى حد ان اميراً من امرا
ثى ابنه فقال في ختام رثائه انهُ لا يحجم عن قتل نسائه واكلهنَّ اذا ما اغضبنه » . وهم في بعد
لاحيان يشوون فرائسهم البشرية احياء قبل ان يقتلوهم ، وقطع (طانوا) احد امرائهم ذراع
م له ولعق الدم السائل منهُ ثم طبخ هذه الذراع واكلها في حضرتهِ وبعد ذلك قام اليهِ فمزقه
ربا . أما آلهتهم — وقد وصفوا بأوصافهم وطبعوا على غرارهم — فكانوا يركبون هذه الآلهة
نفسها ، لا حرم انهم يعيشون على ارواح الفرائس التي يفترسها الناس بشبكهم هذه الارواح غير
ولا ، وليست هذه الارواح في الواقع الاَّ « قرائن » الفرائس او نسخة ثانية عنها

ويصف الفيجيون هذه الآلهة بأنها محتالة متكبرة منتقمة تتحارب وتتقاتل ويأكل بعضها بعض
من اسماء التمجيد التي يكرم بها الآله الفيجي قولهم « الزاني » و « خاطف المرأة » و « آكل
لدماغ » و « القاتل »

تلك صفات الصاموبين وهذه صفات الفيجيين فاسمع ما يقول هؤلاء عن اولئك

« يرتعش الفيجيون من ذكر الصاموبين لانهم ليس لهم دين يدينون بهِ ولا عقيدة بالله مر
مثل الآلهة الفيجية يؤمنون بهِ . وهم لا يعرفون شيئاً من تلك الشعائر الدموية المنتشرة في الجزا
لاخرى ، وفي احد الايام اظهر السائح « جكسون » شيئاً من قلة الاحترام لاحد آلهتهم فغضب
عليهِ ولقبوه (الكافر الابيض) »

قال (سبنسر) وكل من قلب هذه الصفحات يرى الدرس البليغ المستخرج منها ، ولا نحتاج الى
كبير عناء في تطبيقه على العقائد والمشاعر في الاقوام المتمدنة . ولا شك ان الرجل الفيجي الشرير
يرى ان افتراسه فريسة بشرية باسم احد آلهته من اكلة اللحم البشري هو عمل مبرور في حين يرى
ن جاره الصاموي الذي لا يقدم قرباناً لهذه الآلهة بل يعدل في معاملته ويحسن الى اخوانهِ يدل
عمله هذا على ان الدناءة تسير وقلة دينهِ كتفاً لكتف

قد فسر الفيجي الحقائق على هذا المنوال فهو عاجز عن تصور المجتمع الصاموي تصوراً وهو بما احدثهُ من الخبط والخلط بين الرذائل والفضائل وفقاً لعقيدته الدينية المستحكمة يرى الخير المتولد عن بعض النظم الاجتماعية شرًّا والشر خيراً

يسهل على الباحث في اي دين من الاديان متى استعرض في ذهنه الحوادث والاشخاص بعض الدينهم في تصابهم الديني الاعتقادي كالامعد السخر وفي سيرتهم العملية الاخلاقية بكة فليلو الاكتراث حتى ليلوح للمتتبع ان ليس ثمت ارتباط وثيق بين العقيدة والاخلاق د الاعتقاد بوجود قوة محجبة يتقرب اليها المؤمن بالركوع والسجود والادعية توصله الى عودة كما يوصل مجرد اسم (بدوح) على الغلاف الرسالة الى اصحابها

اثرت عقيدة الناس مخطورة الايمان الديني وحده واتمام الشعائر والعبادات في الاصول ظر الى الاعمال تأثيراً بليغاً في جميع الاوساط التي عرفناها ، وكنت اسمع في صغري من هذا لا لا يزال كثير الشيوع للدلالة على قوة العبادة وحدها وهو «صل الفرض ونم بالعرض» اديت عدداً من الركعات في يومك ممسياً في الاوقات الخمسة فنم قرير العين هادىء البال

لا اعد مثل هذه العقيدة الابتدائية شيئاً مستغرباً في بيئة عامة من بيئات الشرق بل ان ترسل اوربا وأميركا طبقة من خريجي جامعاتها — من اكسفرد وكامبردج وهارفرد ا — ليبشروا بالدين فيبشئوا اليه بما يحملون من عقائد لا تختلف في جوهرها كثيراً عن جنين ، فعند بعضهم مثلاً ان مجرد الايمان بالثالوث ينجي صاحبهُ وان لا دخل للاعمال الناس ، وقرأت في منشور وزعهُ بعضهم على البدو في العراق في سنة ١٩٢٧ ايها الموحدون اياكم ان تتكلوا على صالح الاعمال واحذروا ان تعتقدوا انها تدخل عاملها ـ المتعال . فقتشوا عن الشفيع والجئوا عن صفاته القدسية ترشدوا وآمنوا بالمخلص من تهتدوا وان عسر عليكم فهم شيء فاسألوا الذين يقرأون الكتاب كما امركم بذلك القرآن «الباب»

لما قرأت هذه العبارة المهينة للعمل الصالح لم املك ان قلت في نفسي ما احوج اصحاب هذا الى هدي البدو لهم لان اصغر بدوي في العراق يعلم ان دخول الجنة متوقف على العمل لو باطعام جائع وايمان خائف . ولو اطلع ذهن بسيط من كهنة البوذية في الشرق على هذا لحمد لغوتاما بوذا مذهبه « الكرما » الرائع الذي اصبح اساساً للدين وخلاصته ان مصير التناسخ الازلي متوقف على عمله او كما جاء في القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن مثقال ذرة شرًّا يره

الحملة على العبادات وحدها من غير صلاح يؤيدها فللشرق في ذلك مواقف رائعة قال المعري :

ما الدين صوم يذوب الصائمون له ولا صلاة ولا صوف على الجسد
وانما هو ترك الشر مطرحاً ونفضك الصدر من غل ومن حسد

وفي صحيح البخاري « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في طعامه وشرابه » تقريع المسيح للفريسيين على تمسكهم بالقشور دون اللباب اشهر من ان يذكر

وحضرت مرة مجلساً للمرحوم عبد القادر بك المؤيد العظم فجاءه رجل يدعي حقاً عليه وأخذ يلح عليه بحجج منها انه رجل لا يؤخر الصلاة ولا يترك الصيام فأجابه بغضب «الصلاة عادة والصوم جلادة»

وقد بيّن الاستاذ « هوبكنس » [1] الضرر الشديد الذي قد يصيب الروح الدينية النبيلة من الاقتصار على الشعائر وغيرها من المظاهر الصورية ، ولما كان الدين ركناً ركيناً للاخلاق فكل ما يحدث فيه ضرراً يتناولها بالضرر ايضاً ويعرضها للخطر . وقد ذكر المؤلف من القصص الدالة على هذا الموضوع انهُ رأى في احد الايام امرأة تصلي في احدى الكنائس اللاتينية ويدها سبحة تلاوة الاوراد فركعت بجانبها امرأة غريبة تدل مظاهرها على الثروة والغنى فلاحت من صاحبة التفاتة فرأت طرف منديل يخرج من جيب الغنية عرضاً واتفاقاً فاغتنمت هذه الفرصة السانحة وسرقته لانها لم تستطع مقاومة هذه المحنة في نفسها ، واعتقد الاستاذ (هوبكنس) انها لم تأت الكبيرة سرقة بل دلّته ملاحظتها على اخلاصها في عبادتها . وبعدما اتمت سرقتها جدّدت صلاتها بنشاط وحماسة اشد من قبل كأنها شعرت بالشكر والامتنان على ما اصابته من نجاح . وغني عن البيان ان مثل هذه الصلاة كانت عملاً صورياً من اعمال الشعائر . ويقال ان الرجل من سكان جزيرة بورنيو يطعن بالمدية قابضاً عليها باليد الواحدة في حين يقبض على الصليب او الاثر المقدس باليد الاخرى مدينه كما ترى دين الشعائر . وفي شمال الهند طائفة تدعى طائفة (الثوجيين) مؤلفة من اخوان يعبدون إلهاً يسمى (كالي) ومن عادتهم الدينية المقدسة انهم يخنقون الفرائس البشرية تقرباً للاله الذي تعبدوا وكانوا يحصلون على معاشهم من الاسلاب التي تأتيهم بهذه الطريقة وقد استمروا في شعائرهم الدموية المقدسة هذه الى ان الغتها الحكومة البريطانية حوالي سنة ١٨٤٠

وفي الحملة النجدية الوهابية التي شنت الغارة على شرق الاردن منذ نحو عشر سنوات هجم بدوي من الغطغط في جملة من هجموا على قرية تدعى « أم العمد » ليجاهد في سبيل الله أعداء الدين من المرتدين الذين يجوزون زيارة القبور وطلب الشفاعة من أصحابها ، فرأى امرأة في حجرها فسألها فنادت تستغيث وتطلب الامان ولكن لا أمان للمرتد فذبح الطفل اولاً ثم ذبحها وهو يهلل ويكبر وينشد النشيد المعروف

هبّت هبوب الجنة رائح فين يا باغيها

(١) Origin & Evolution of Religion, p. 270

وكثيراً ما ناقضت بعض الاديان الاخلاق على هذا النمط فملايين « مملينة » ذهبت ضحا لآلهة وفرائس العبادات. والاغواء كان جزءاً من العقائد الدينية في الهند وهو مع الاسف لا يزال ذلك الى اليوم ، وأخرت اديان اخرى الاخلاق بطرق اكثر حذاقة واشد مهارة فان ادعياء خدما لدين المتصدرين للكلام بلسانه قد تمسكوا بالقواعد الاخلاقية الهرمة البالية وشووا المتهميز لزندقة على النار في حفلات عامة يخيم عليها التبجيل والوقار وذلك عملاً بالامر الديني الذي يحرم ذلك الدماء ! وقاوموا الافكار الحرة بحرقهم الكتب الاخلاقية والفلسفية التي تنافي العقائد الخلاقية والسياسية الجامدة المقلدة . وتؤيد في يومنا هذا الاباحية وهي الحب الطليق بين الذكر والانثى تأسداً علنياً باسم دين لهُ مئات الملايين من الاتباع فقد جاء في كتاب « رقص شيفا » المطبوع في نيويورك سنة ١٩١٨ — وشيفا هذا هو اله الاصلاح في الثالوث الهندوكي — قوله عن هذه الاباحية « ان لها معنى روحياً عميقاً فهي تمثل الاتحاد الصوفي بين المتناهي واللامتناهي »

وعرفت رجلاً من سلك القضاة الشرعيين في سورية توفي منذ سنوات فكان لا يترك صلاة في الضحى ولا صوماً في عاشوراء ولا مالاً لتيم في المحكمة الشرعية ! ولم يدر في خلده ابداً ان الصلاة يجب ان تنهى عن الفحشاء والمنكر لتكون صلاة صحيحة

***

تعريف الدين : الدين عقيدة داخلية تدل عليها الطريقة التعبدية الخاصة التي تسلكها الجماعات آلهتها وفقاً لتلك العقيدة . وفي امهات المعاجم العلمية ان الدين هو المظهر الخارجي في الشكل او الفعل الذي يدل الناس بواسطته على اقرارهم بوجود اله واحد او آلهة متعددين لهم سلطة على هؤلاء الناس ولهم واجب الطاعة والعبادة والحرمة اللائقة . او هو شعور داخلي واعراب خارجي عن حب وخوف ورهبة من قوة مسيطرة خارقة فوق البشر ، ويتم هذا الاعراب بالاقرار بعقيدة او بالقيام بالشعائر او بالسيرة الشخصية التي يسيرها المرء في حياته

وقد دلّ التتبع الدقيق ولا سيما في الاقوام الابتدائية على ان الدين عقيدةً وعملاً انما هو سعي للمحافظ بما ثبتت منفعته اجتماعياً . ويضرب العلماء[1] المثل على ذلك بالشعائر التي يقوم بها (توديون) وهم جيل من الناس الابتدائيين يسكنون في آكام « نلجيري » في جنوب الهند وهم قليل مبعثر هنا وهنالك ويؤلف لبن الجاموس والبقر وما يستخرج منهُ من المحصول جلّ قوتهم . اما دينهم فيرتكز على هذا الرزق الذي هو ركن معيشتهم وهو الشيء القيم الثمين الذي يجب الاحتفاظ بهِ في الدرجة الاولى . فالواجب ان يكون اللبن غزيراً ونقياً لذلك كان جميع مقتنياته من بقر وملابن ولبانين ومحالب « وهي ادوات العمل في الالبان » مقدساً ، وان بعض الملابن

(١) A Student's Philosophy of Religion, p. 19

، في الواقع معابد يؤمها الناس للعبادة واللبانون القائمون على سدانتها هم كهنة

ويتفاوت البقر في قدسيته ، فهنالك البقر العادي يسوسه رجال القرية وصبيانها بالشيء القا
ي الاحتفالات ، فيؤخذ اللبن ويمخض أمام كوخ السكن من غير شعائر خاصة تقام له ولا يه
يد بها استعماله أو المحصول الناتج منه ، على ان الرجال والصبيان يحيون الشمس قبل مباشرتهم الق
هكذا نرى استخدام الدين الاحتفاظ بهذا الخير الثمين محدوداً . وبخلاف ذلك البقر المقدس والملا
قدسة فهي تحاط بالشيء الكثير من الرعاية الدينية . فللعناية بملابن « ألتي » مثلاً وهي أ
لابن شعائر ومناسك يقوم اللبان باحتفالات دقيقة محكمة قبل دخول محل عمله المقدس و
، يبقى متبتلاً ما دام في هذا العمل ، وان يعيش في ملبنته منقطعاً عن الناس انقطاع الر
الدير

وعلى الكاهن في كثير من الملابن المقدسة ان يتلو صلاة معينة عند ما يشعل مصباحه و
ل مباشرته البقر في الفجر وبعد حلبها ، وقبل سوقها الى المرعى ، وعليه في جميع هذه الملابن ان
صلاة في المساء قبل الحلب وبعده وعند ما يزرب البقر للمبيت ليلاً . وتتألف صلاة « التوديين
ن جزئين اثنين «الاول» المقدمة وهي عبارة عن سرد اسماء كل اسم منها تسبقه كلمة معناها لاجل
(الثاني) الجزء الجوهري . اما المقدمة فهي مقدسة ويجب ان تبقى سرية حتى ان الذين عنوا
بر (التوديين) لقوا صعاباً جمة في حملهم على ذكرها . وهي في احدى الملابن المعروفة في
كودر » تشمل فيما تشمله الاسماء الآتية وهي اسم القرية والقبيلة والملبنتين الكبيرة والصغيرة و
، الملبنة الاولى ، وزريبتي الجواميس في القرية وحظيرة العجول ، واسم الجواميس على نوعيها المقد
الاعتيادية واسم اليفبوع في القرية المختص بالملبنة واسم الجاموسة التي يزعمون ان لبنها مص
يفبوع ، واسم التلال الاربع القريبة من القرية ، واسماء بعض الجواميس التي يعتقدون ان
تيكرزى » اهدتها في بعض الايام للقبيلة ، واسم العجل الذي كان بحسب اساطير القوم وحي
سلف الصالح لبعض الجواميس الحاضرة

وبعد ان يردد كاهن الملبنة هذه المقدمة همساً بصوت ضعيف لا يكاد يفسره من يقف
ينتقل الى الجزء الجوهري من صلاته فيتلوه بجلبة وخشخشة قائلاً : « لتكن حال الجواميس
ليبتعد عنها الاذى والهلاك وشر الحيوانات السامة والوحوش البرية واضرار الفيضان والنا
ليكن عندها بحبوحة في الماء والكلأ »

***

افلا تدل مثل هذه الصلاة على انها سعي جدي للاحتفاظ بخير اجتماعي عميم له شأن عند القو
ن المقام الاول

للبحث صلة !

ما بين

الذهن الالماني والذهن الفرنسي

للدكتور بشر فارس

ان ثمة عبارة دارت على الاقلام وخلعت الى الاسماع حتى أشربت العقول اياها واطمأنت اليها ، هي قولهم « المنهج الاوربي » La méthode européenne ، عند الكلام على الطرق العلمية فيما ي بالبحث والتنقيب والتأليف . وبعيدٌ ان ينصرف حديثي هذا الى شرح نشأة هـذا المنهج ط خصائصه . فانما هذا يرجع الى فن المنطق العلمي ثم الى تاريخ الفلسفة ، وقبيح بي ان اطارح لمقتطف مثل ذاك الحديث فما أظنهم الاّ ولهم عنه غنى . وانما الموضوع الذي أحب ان ة من الفرعيات ، ألا وهو الفرق بين المنهج الالماني والمنهج الفرنسي فيما يختص بالعلوم العقلية ؛ ى استدرجني الى معالجه هذا الموضوع اني حصلت الفلسفة وما يلحق بها على أساتذة جامعة ، ثم اتفق لي ان اشخص الى برلين فاجتمعت بطائفة من علماء الالمان وسمعت عليهم ووقفت على ة تآليفهم . فسرعان ما فطنت الى ان بين هؤلاء واولئك وحوهاً من الفرق

ان الكاتب الفرنسي الى الادب ميال ، وان كان عالماً فتجده يعنى بالمبنى فيحاول ان يقلب ذ عدته المدخل الى السمع لطيفة المنفذ الى النفس ، وذلك بأن الفرنسي يقيم للذوق الادبي وزناً ، ومن شواهد ذلك ان امثال (تين) Taine و (رينان) Renan و (برجسون) Bergson العهد من أبعد الكتّاب ذهاباً في تهذيب اللفظ واحكام السبك . ثم ان العالم الفرنسي لا يحاول كون بحراً فأبى — على الغالب — ان يجمع الاشتات ويستقصي الاطراف ، بل ربما مل عن باطة بالاصول كلها . فهو خطّاف علوم[1] ، يساعده على ذلك ادراك وثّاب وفطنة متقدة . فان ة مت له بضاعة عصبة انطوى على نفسه وجعل يفكّر ، فان الف برزت آثار تفكيره فوق آثار : فالمصادر والوقائع عنده وسيلة ، وانما الغاية الخروج بنتيجة سواء كانت حقيقية او نظرية . ثم عالم الفرنسي قصير الصبر بحيث انهُ لا ينجذب الى التقصي البعيد والتفتيش المضني نحو اثبات ب فن من الفنون

وأما العالم الالماني فمن أبعد الكتّاب عن الادب . ولتجدنّ عبارته جامدة ، بل خشنة المطاوي

(١) أريد بالخطف الاخذ السريع، دون تعريض ولا تلميح

مائلة عن مذاهب السلامة . ومن المعلوم ان اللغة الالمانية غريبة التركيب بل زائغة عن المنطق فيما ارى ؛ وهنالك علماء يزيدون في تعقيد مبانيها باستمساكهم بالاسلوب القديم المنحدر او كثيراً من جانب اللاتينية . ثم ان العالم الالماني يتغرّف العلم وهمه ان يردّ ذهنهُ موسوعة: فا على المشرقيات ومطلبه اللغة العربية تعلم جميع اللغات السامية ثم التركية والفارسية ، وفي نيّ ينبري للبحث فيها جميعاً والتنظير بينها ، وبعيد ان يكون الرجل كاذب العزم في ذلك فهو بالاصول كمثل قواعد اللغة ومناحي التاريخ ؛ الاّ انهُ لا يكاد يصيب مخلصاً الى نفسه فيخلو بها لانهُ اسير العلم وصريع الوقائع : فان ألّف توارى خلف معارفهِ ، وان اجترأ على بث رأي يحلف ليدعمهُ بوثائق لا سبيل عليهِ لآخذ . ثم ان العالم الالماني غوّاص على النوادر ، نقار الدقائق ، ومن الامثلة على ذلك اني قرأت بحثاً للاستاذ « فشر » A Fischer — وهو من المجمع العربي الملكي المصري — في رسم اسم « امرىء القيس » ، فوقع البحث في مائة صفحة تزيد ، وفي اثنائهِ من الشوارد والاشتات ما لا يدور لذهن ، وما اظن احداً يقوى على ان يخرج في هذا الباب بعد ذلك المقال . ومما يعين العالم الالماني على ذلك الجهد جلد متين العرى ، عرفت علماء يجلسون الى مكاتبهم اربع عشرة ساعة بل ست عشرة ساعة: وذلك كل يوم الاّ في الـ وانك لتلمس هذه العنايه بالتدقيق والتمحيص التي تتطلب صبراً ما وراءهُ صبر في مثل كتاب الآداب العربية « لبروكلمان » Brockelmann فان هذا المؤلف لايكاد يعدو اثبات المصادر و التراجم ، الاّ انهُ كنز نفاسته في المحل الاول . وعليهِ اعتمد زيدان رحمهُ الله و « نكلسون » الانكليزي و « هوار » Huart الفرنسي . وان انت قرأت مؤلف « هوار » هذا في الادب خرجت منهُ برأي شامل ناصع ، ذلك ان الرجل فرنسي ... ولكني اشهد ويشهد غيري انهُ لم ليصنع شيئاً لو لم يبذل له « بروكلمان » كتابهُ الغزير مادةً

بقي اني لو سألني سائل من قومي : فان كان ذلك كذلك فالى المانيا نصعد ام الى فرنسا التفقه في العلوم الحديثة ، اجبت ، بنا حاجة اليهما جميعاً ، الاّ اني انظر في الذهن المصري السوري او العراقي لهذا الزمان فأراهُ الى الذهن الفرنسي اقرب منه الى الذهن الالماني . وقد انا قوم الى الأدب منجذبون ، والى خطف العلم ميّالون ، وبنفاد الصبر مصابون . ولا شك اذا انطلقنا الى فرنسا تلقينا عن علمائها مذاهب المنهج الاوربي ، غير اننا لا يتم لنا ان نجاهد ا المجاهدة كلها . هذا واذا نحن شخصنا الى المانيا اصلحنا معايبنا العقلية بترويض اذهاننا وا على التماس ما تنفر منه . فان خرج الذهن من هذه البلوى غانماً اضاف الى مزاياه الفطرية مزايا مكتسبة لا تقل شأناً عن تلك . . . كل هـذا وأنا استثني في هذا المقال الذهن الانجليزي . لذهن الجبار ، ولي اليه عودة ان شاء الله

النباتات المصرية القديمة

للدكتور حسن كمال

الخضراوات

الباميا . الملوخية . الكرنب . البسلة . الكراث . الفجل . الحس . الخيض . الخيار
الكرفس . البصل . الثوم . الترمس . التوابل

سبق ان تكلمنا في « مقتطف » يوليو ١٩٣٥ عن الحبوب المصرية كالقمح والشعير والذرة . ن نواصل بحثنا في الخضراوات . لكن هناك بعض الحبوب تدخل ضمن الخضراوات كالفول ي القارىء اليها اذا اراد التثبت منها

والخضراوات تكوّن الجزء الاكبر من الغذاء المصري القديم . وتحوي موائد قرابين الموتى لاغذية مثل الفواكه والخضراوات والفطير واللحوم وغير ذلك . وسنقصر بحثنا على اهم راوات الواردة على الآثار المقطوع بصحتها تاركين للزمن اماطة اللثام عن المجهول منها . ويقال راوات بالمصرية القديمة (رنپت)

١ — ﴿ الباميا ﴾ يقال لها باللاتينية Hibiscus esculentus وبالانكليزية Bamiah او Ladies' fin . قال روزالليني « ج ١ لوحة ٣٩ ص ٣٨٠ — ٣٨١ » ان رسم هذا النبات ورد د آثار الفرعونية . وفاكهة هذا النبات تكسوها شعور حادة وتحوي حبوباً كروية بيضاء اللون المادة سكرية الطعم نوعاً

٢ — ﴿ الملوخية ﴾ ويقال لها باللاتينية Torchorus olitorius وبالمصرية القديمة « مِنح » . باشا — لآلىء درية ص ١٣٠ — ١٣٣ » . كانت تنبت على الاخص بالوجه البحري . وأورد د بروكش في قاموسهِ عبارة مصرية قديمة هذه ترجمتها « البردي والملوخية والاوطس الازرق بن وجميع النباتات التي تنبت على النيل »

٣ — ﴿ الكرنب ﴾ ويقال له باللاتينية Brassica oleracea وبالانكليزية Cabbage كان ف مصر كغذاء اعتيادي . ورد ذكره في قرطاس ساليير الفكاهي حكايةً عن البسنائي « انهُ نهاره يروي الكراث وليله في ريّ الكرنب » (قرطاس ساليير لوحة ٢ — ٦ — ٦)

٤ — ﴿ البسلّة ﴾ ويقال لها باللاتينية Pisum Sativum . وبالانكليزية Peas وجد منها

قدارٌ كبير في مقبرة هوارة وكاهون بالفيوم . وكان المصريون يزرعونها في عهد الاسرة الثان
عشرة « ٢٠٠٠ — ١٧٩٠ ق . م . » — وتسمى بالقبطية « لاكونشة — كمال باشا » . وهناك :
قال لهُ بسلة هندية Pisum Indicum . قال عنهُ بروكش باشا انهُ كان معروفاً عند المصريين
« عنخ آرى » . وهناك نوع ثالث يقال لهُ باللاتينية Pisum arvense وجد الاستاذ Unger
في هرم دهشور . كل ذلك يثبت ان البسلة من النباتات المصرية القديمة . وميّز الاستاذ « نيوبر
نوعاً من البسلة كان ممزوجاً مع شعير عن غير قصد في مقبرة بكاهون « اسرة ١٢ : ٢٠٠٠ — ١٧٩٠ ق
يقال لهُ باللاتينية Pisum elatius

٥ — ﴿ الكراث ﴾ ويقال لهُ باللاتينية Allium porrum . قال الاستاذ لوريه عن پلينيو
الكراث نبت مصري لورود ذكره في التوراة . ولان « شوينفورت » وجده بمقبرتين قديمتين
وقرّب الاستاذ كمال باشا اللفظ العربي كراث باللفظ المصري القديم كاراتا « لآلىء درية ص ٧٣

٦ — ﴿ الفجل ﴾ ويقال لهُ باللاتينية Raphanus Sativus وبالانكليزية Radish قال هيرودو
في رواية يغلب انها خرافة — انهُ كان منقوشاً على هرم الجيزة الاكبر ما معناه : « ان العمال
شادوا هذا الهرم كانوا يغذون بالفجل والبصل والثوم » . وميّز الاستاذ اونجر Unger طو
هذا النبات على قالب من اللبن بدهشور . وتعرّف ايضاً على رسمين لهذا النبات بمعبد الكرنك او
في رسالة عن النباتات المصرية القديمة « ص ٥١ رسم ٢٤ و ٢٩ » . قال لوريه : ومما يؤيد ايض
الفجل قديم في مصر وجود فجلتين في احدى مقابر كاهون التي يرجع تاريخها الى زمن الاسرة الث
عشرة « ٢٠٠٠ — ١٧٩٠ ق . م »

٧ — ﴿ الخسّ ﴾ ويقال لهُ باللاتينية Lactuca Sativa وبالانكليزية Lettuce كانت
القديمة تنتج عدة انواع من الخسّ ووجد هذا النبات مرسوماً ضمن القرابين العديدة التي
للموتى . ويمكن معرفته من بينها بواسطة اوراقه الطويلة المدبّبة . وهي خضراء اللون مائلة
الزرقة « دنكمايلر ٢ لوحة ١٢٩ بني حسن أسرة ١٢ » وتحوي دار تحف برلين حبوباً لهذا النب
يرجع تاريخها الى العهد الفرعوني . ويقال لهُ بالمصرية « إبو »

٨ — ﴿ الحميض ﴾ واسمه باللاتينية Rumexdentatus وبالانكليزية Sorrel . وجد الا
شيابرلّلي اغصان الحميض مغطية لبعض الفواكه المحفوظة . ونشر اكتشافه هذا في مجلة المعهد ال
المصري سنة ١٨٨٥ « مجلد ٦ ص ٢٧٢ — ٢٧٥ » وقال انهُ عثر على هذا النبات في قعر بئر عميق
العهد اليوناني

٩ — ﴿ القثاء والخيار ﴾ القثاء ويقال لهُ باللاتينية Cucumis Chate والخيار ويقا
Cucumis Sativus وبالانكليزية Cucumber . يكثر رسم هذا الخضر بنوعيهِ بين قرابين المو
وقد أسف عليهِ بنو اسرائيل وقت خروجهم من مصر « اعداد ١١ — ٥ » . واستعمل قدماء المص

كملين في الطب من بين مواد اخرى كالملح « قرطاس ايبرس » . ويقال القثاء بالمصرية « فاد » « شب » (كمال باشا لآلىء درية ص ٢٤٤) . وورد ذكر القثاء في هرم تيتي من انها كانت أرجل المعبود « سب » . وشبه بها في ورقة « ايبرس » النبات المسمى « سبوت » من حيث على الارض . ووجد « بتري » اجزاء من فروع الخيار العادي بأوراقها بمقبرة كاهون وهوارة اسرة ١٢ — ٢٠٠٠ ١٧٩٠ ق.م)

١٠ — ﴿ الكرفس ﴾ ويقال له باللاتينية Apium dulce وبالانكليزية celery ورد ذكره (اسرة ٦ : ٢٦٢٥ — ٢٤٧٥ ق . م .) وعثر على بذره في مقبرة مصرية قديمة في متحف فلورنسة بايطاليا . ووجدت اوراقه وفروعه ضمن الكاهن « كنت » عليه في جهة الشيخ عبد القرنة بالأقصر . وقبل ان ذكره ورد في قرطاس « ايبرس » الطبي الاسنان والاذنين والعينين وغيرها . غير ان اسمه بالمصرية لم يعرف للآن بالضبط

١١ — ﴿ البصل ﴾ ويقال له باللاتينية Allium cepa وبالانكليزية Onion وجد مرسوماً على المصرية منذ عهد الاسرة السادسة « ٢٦٢٥ ٢٤٧٥ ق . م . » وروى « هيردوتوس » كانوا يأكلون البصل بكثرة . واعتاد القوم تقديمه قرباناً لموتاهم لوجوده في يد مومياء قراطيسهم انهم استعملوا هذا النبات لادرار البول « ايبرس ٥٠ — ١٣ — ٤ » ولاصلاح « ايبرس ٣٩ — ٢٥ » . واعتادوا وضع هذا النبات على حجر الثعبان لمنعه من الخروج كما يداوون به لدغة العقرب والحيوانات السامة وعثر الاستاذ بتري على مقادير كبيرة منه هوارة بالفيوم . ويقال له المصرية « بصر » وهو أصل لفظ بصل

١٢ — ﴿ الثوم ﴾ ويقال له باللاتينية Allium Sativum وبالانكليزية Garlic . قال (هيرودوتس) ان الثوم المصري له بصلة صغيرة كالكراث وهو حلو الطعم مائل الى اللون قصير الطويل . أما في البلدان الاخرى فهو اكبر حجماً ويتكون من عدة بصيلات اللون الابيض . وقد تذكره اليهود بحسرة وقت خروجهم من مصر (اعداد ١١ — ٥) . وجاء مسيس الثالث « ١١٩٨ — ١١٦٧ ق . م . » انه قدم منه الى معبودات طيبة ٣٦٠ مكيالاً زيادة ٦٢٠٠ مكيال وهو المقدار المعتاد صرفها « قرطاس هويس ١٩ — ١ — ١٣ — ١٤ » . وهذا المجموع ٦١٧٦ لتراً . وكان المصريون قبل حكم الاسر « قبل ٣٤٠٠ ق.م » مغرمين بالثوم كما يستدل المقادير التي عثر عليها منه في مقابرهم « بتري Prehistoric Egypt ١٩٢٠ — ٢٤ » . وعثر على حزمة الثوم كاملة طول أفرعها ستون سنتيمتراً بمقبرة جهة العساسيف . واسمه بالمصرية « حتوم »

١٣ — ﴿ الترمس ﴾ اسمه باللاتينية (Lupinus) وبالانكليزية lupine . وجد الاستاذ بتري) في مقبرة قديمة بهوارة بالفيوم بعضاً منه . فدلّ ذلك على انه كان معروفاً عند المصريين العصرين اليوناني والروماني

١٤ — ﴿ التوابل ﴾ Spices — استعمل المصريون التوابل بكثرة في أغذيتهم . وانتقل كثير منها الى اوربا بعد الحرب الصليبية . وأهم التوابل القديمة هي : —

ا — ﴿ الكزبرة ﴾ واسمها باللاتينية Coriandrum Sativum وبالانكليزية Coriander قال ديوسقوريدس في تاريخه الطبيعي «٢٠—٨٢» ان الكزبرة المصرية هي احسن ما عرف من نوعها . واعتاد المصريون ان يخلطوها بالنبيذ لزيادة قوته المسكرة ولاكثار السرور (مريت — دندرة — ١ — ٦٦) ولتهييج الاعصاب وتنبيه الاعصاب التناسلية « ماسبرو — دراسة مصرية ١ — ٢٤٣) . وقد ذكر الكزبرة سبع عشرة مرة في قرطاس «ايبرس» وثلاث مرات في قرطاس «برلين» وذكرت ضمن وصفات لتقوية شهية الطعام ومقاومة التهوّع وعلاج الاورام والقلب والكبد الخ . كان المصريون ان يضعوا مع موتاهم بعضاً من حب الكزبرة وقد عثر على سرّتين من حب الكزبرة في مقابر مصرية قديمة معروضة الآن بهولاندا « متحف ليدن — دليل — ٤٨ » . وعثر الاستاذ «وينفورت » على بقايا الكزبرة بالدير البحري . وورد ذكر الكزبرة في قائمة قرابين فرعونية « دار تحف اللوفر ب — ٤٩ — اسرة خامسة — ٢٧٥٠ — ٣٦٢٥ ق.م . » . واسمها المصرية القديمة «إنش» — كمال باشا

ب ﴿ سمسم ﴾ ويقال له باللاتينية Sesamum indicum وبالانكليزية Sesame اورد «لوريه» السمسم في كتابه « La Flore ص ٥٧ و٤١٥ » مأخوذاً من مقبرة رمسيس الثالث « ١١٩٨ — ١١٦١ ق.م.» مبيناً استعماله مع الفطير كما يستعمل الآن بين المصريين . واسمه بالمصرية القديمة « كمال باشا » ويطلق هذا اللفظ على النبات وحبّه على السواء

ويرى الاستاذ ولكنسون « عادات المصريين ج ٢ ص ٤١٥ » والاستاذ اونجر « نباتات مصر القديمة ص ٤٥ » ان قدماء المصريين استعملوا السمسم والينسون والكمون كما هو الحال في الفطائر

« ج » كمون — واسمه باللاتينية Cuminum Cyminum وبالانكليزية Cummin وبالمصرية — كمال باشا — كانت اليهود تأخذ عشوراً على الكمون والنعناع والشبت وورد ذكر الكمون عدة مرات بقرطاس « ايبرس » الطبي . وقد وصفه « ديوسقوريديس » المرضي . وعثر على حبوب الكمون بمقبرة مصرية قديمة معروضة الآن بدار تحف « فلورنسة » بايطاليا

« د » شبت : — اسمه باللاتينية Anethum وبالانكليزية anise وبالمصرية القديمة (إمست) — مصري قديم دخل ضمن وصفات الصداع . قال الاستاذ « لوريه » ان بذر الشبت دخل ضمن وصفة لشفاء اوعية الفخذ « قرطاس برلين لوحة ١٥ »

تجارب عجيبة

بأشعة تعطل وتميت

في انكلترا والمانيا وفرنسا وايطاليا واميركا

قد الكتّاب من أصحاب الخيال في السنوات الأخيرة ذكر شعاعة تطلق من بعيد فتميت ن والحيوان وتدمر الطائرات والسيارات . وقد حملت الينا الانباء البرقية غير مرة في العهد ـ ما تحقيق هـذا الخيال ثم ظهر ان ما قيل سابق لاوانه . ولا يخفى ان اقدم ذكر ورد لهذا ـ من الاشعة ما نقل عن الاقدمين من استعمال المرايا في الحروب لعكس أشعة الشمس على العدو ـ فيحرقها حرق سفنه وعتاده الحربي . والواقع ان طائفة من العلماء المجربين في أشهر البلدان يجربون ـ من هذا القبيل . والى القارىء شيئاً عن بعض هذه التجارب وأصحابها

ـ ل الاستاذ لو العالم الانكليزي انه اذا نشبت الحرب القادمة قبل استنباط هذه الوسيلة فلا ـ في ان الحكومات سوف توجه اليها جهدها عند نشوب الحرب . عند ذلك يصبح كل سلاح ـ جه الحرب ولا فائدة منه بل ان استعمال هذه الاشعة يقضي على الحرب لانهُ يكفي لشل أمم ـ في بضع دقائق بعد اعلانها . فالطائرات اذا وجهت اليها هذه الاشعة قتل سائقوها أو عطلت ـ فتسقط الى الارض لا حراك فيها

ـ و انكلترا عالمان يبحثان عن هذه الضالة ويظنان انهما على وشك الفوز بها . أحدهما يدعى ـ ل ماتيوز وهو يحيط تجاربه بستار من الكتمان وترقبها الدوائر الرسمية البريطانية بعناية ـ فيم في كوخ على قمة جبل في جنوب ويلز يدعى جبل المشب . والكوخ يحيط بهِ سور من ـ لاك الشائكة وعلى مقربة منهُ ساحة للطائرات . ويدعي المستر ماتيوز ان في كوخه جهازاً يطلق ـ ي مكنتها أن تقتل فأرة أو ان تعطل سيارة . وهو يقول انهُ من المستطاع في المستقبل استعمال ـ من هذا القبيل لتعطيل محركات الطائرات والسيارات عن بعد . واستعمالها يقتضي نفقة كبيرة ـ يب ولكن الحكومات لا تحجم عن هذا عند الاضطرار . غير ان الطائرة التي تصيبها هذه ـ لا تدمر وانما يعطل محركها فلا تستطيع الحراك

والمستر ماتيوز ليس جديد العهد بالاختراع . فله في دار تسجيل المخترعات امتيازات عديدة ـ بالمواصلات السلكية واللاسلكية . وكان في خلال الحرب الكبرى قد استنبط زورقاً ـ محرك كالسيارة يمكن أن يطلق في البحر ويوجه بشعاعة من الضوء ، ثم يطلق مدفعاً صغيراً ـ بالطريقة نفسها . فاشترت الحكومة البريطانية منه هذا الاختراع بخمسة وعشرين الف جنيه

وهذا يدلك على ان تجارب المستر ماتيوز بأشعة الموت ليست من قبيل الفكاهة والتسلية

وهناك عالم آخر يدعى تشدفيلد وهو محاضر في كلية ليستر العلمية . وقد مضت عليه شهـ
هو يجرب في مختبره الخاص بمدينة ليستر تجارب من هذا القبيل . وقد صرح ان لديه جهازاً الا
ستطيع ان يقتل به فئراناً على بعد مئات من اليردات . وهو يدعي كذلك ان الرسائل العـ
لاحياء كهربائية الاصل . وانهُ يمكن قتل الاحياء بتعطيل جهازها العصبي بواسطة اشعة مخـ
طول امواجها . وقد استخرج رخصة من وزارة البريد لانشاء آلة من هذا القبيل قوتها ٥ كيلو

وقد صرح المستر تشدفيلد لاحد الصحافيين انهُ عازم على الحرص على استنباطه لئلاَّ يقع
دي من يستعمله للاذى لان انساناً واقفاً في مسار هذه الاشعة يقتل وهو لا يحس بذلك
شعر اولاً بقليل من الدفء ثم يفقد الشعور . وقد وجه اشعته هذه الى طوائف من الفئران و لد
اتت من دون ان يبدو عليها كيف ماتت

وقد تستعمل هذه الاشعة لقتل البقر والاغنام بدلاً من ذبحها أو دق اعناقها في السلخا

ولكل حي ضرب من الاشعة خاص به يختلف في طول موجته عن الضرب الآخر وهو
لآن محاولاً اكتشاف هذه الضروب المختلفة . على ان انكلترا ليست بالبلاد الوحيدة التي تجر
ذه التجارب . وقد اشارت الصحف والانباء البرقية غير مرة الى التجارب اللاسلكية التي
ختر ع العظيم ماركوني في ايطاليا بين قصر بوكتشيا وروما ، باشعة لاسلكية قصيرة جداً

وقد قيل انهُ في خلال قيام ماركوني بتجاربه هذه ، توقفت طائفة من السيارات الدارجة
قة معينة من الطريق بين روما واوستيا لغير سبب معروف . ولما حاول سائقوها تسييرها
اولاتهم ادراج الرياح . وقد اقترن اسم ماركوني في اواخر القرن التاسع عشر ببحر الا
لاسلكية وعجائبها . لذلك يقال انهُ على وشك اختراع عظيم ويؤكدون ان هذا الاختراع ليس
شعة تؤثر في «ماغنيتو» السيارات و لاجهزة الكهربائية في محركات الاحتراق الداخلي التي
ا السيارات والطائرات فتعطلها وتبقى معطلة ما دامت في نطاق تأثير الاشعة . وما لوحظ في ا
ن وقف السيارات . لوحظ كذلك في المانيا . فقد كان احد تجار ڤينا دارجاً بسيارته في
توقفت السيارة فجأة ولم يدر السبب . ثم توقفت سيارة اخرى وراءه عن السير . فلما اقبل البـ
قصت عليه القصة ، قال لا تخشوا بأساً ايها السادة . فبعد بضع دقائق تعود سياراتكم الى حالها لا

وما انقضت خمس دقائق حتى حركت المحركات فتحركت ومضت السيارات في سبيلها . وقد
بدئذٍ انهُ عالماً بافاريا قد بين انهُ يستطيع ان يعطل جهاز الاشتعال في محرك الاحتراق الداخلي
شعاعة من الاشعة اللاسلكية . ويقال انهُ اذا ظلت سيارة بضع دقائق في مسير شعاعة من هذا القـ
هر معدن «الماغنيتو» فيها . وفعل هذه الشعاعة يمتد الى ميلين ولو كانت مولدة من جهاز صغير

ثم ان في المانيا خبيراً بالطيران يدعى نيغل تانغي يقول انهُ سمع تفصيلات عجيبة من طيار مشهور

...لآن في وزارة الطيران الالمانية . وقد جرّب هذا ... تجربة خاصة بتوجيه ضرب من هذه ...ة الى الطائرات فاسقط الطائرات بها . ولم ينفع في حجبها عن الطائرات حاجز ما

وقد اتخذت هذه التجارب شكلاً آخر في فرنسا . فقد استنبط هناك جهاز يشبه المسدس في ... ويطلق اشعة قوية الطاقة من الضوء . وقد جربت به تجربة عجيبة . بأشعة ضعيفة الطاقة . جمهور من خبراء الجيش وسلاح الطيران . فاطلقت اشعته في جمهور من الراقصين والراقصات ... ان كبير في باريس . وما كادت تطلق عليهم هذه الاشعة حتى فقدوا قوة التحرك . ووقفوا ... اماكنهم من دون ان يتموا خطوات الرقص التي كانوا بسبيلها . وسقط بعضهم على الارض . ... الاشعة عنهم عادوا كما كانوا اناساً اسوياء ... ون ويطربون

ويقولون في فرنسا ان عندهم جهازاً عاكساً استنبط حديثاً قد يثبت انهُ اصلح الوسائل لمقاومة ... الحربية . وهذا الجهاز مؤلف من قرص معدني عاكس تتوسطه بندقية او آلة للقذف . ... تطلق نوعاً من الذرور شديد الالتهاب كذرور المغنيسيوم المستعمل في التصوير الشمسي ... الظلام . الاَّ ان ذرور هذا الجهاز ألمع ضوءاً من المغنيسيوم عند اشتعاله وتركيبه ... مكتوماً فعني اولو الامر من الفرنسويين به عناية خاصة فطلبوا الى مستنبطيه ان ... البيع في السوق العامة . ويقول احدهما انه يستطيع بطلقة واحدة ان يحدث ضوءاً يبلغ ... اشراق ثلاث ملايين شمعة ويستمر جزءاً من مائة جزء من الثانية . فاذا اصاب هذا الضوء عيني محلق فوق مدينة ما يهرب به واصيب بعمى وقتي يدوم ثلاث دقائق فاذا وضعت بطريات من هذا الجهاز ... الموافقة في قلب حاضرة كباريس وحواليها امكن وقايتها من هجمات الاساطيل الجوية المعادية

وفي الولايات المتحدة الاميركية مستنبط كهربائي قديم العهد من اصل سربي يدعى نقولا تسلا . ... من شهور عند بلوغه السنة الثامنة والسبعين من عمره انهُ اكتشف ضرباً من الاشعة ... استعماله في بناء سور يحيط ببلاد ما ولا يمكن ان تخترقه القوى العسكرية . وهو عازم على هذا الاكتشاف رهن تصرف جامعة الامم لتستعمله في تعزيز السلام . ويؤخذ من تصريح له انهُ اتقن جهازاً يستطيع ان يبعث به بتيارات من الدقائق المتناهية في الصغر بسرعة عظيمة ... عجيبة فتستطيع ان تسقط اسراب العدو وان تفتك بجيوش عظيمة اذا أصابتها

وهذا الاستنباط — اذا صحَّ — يجعل الحرب العدائية متعذرة ولكنه في الوقت نفسه ... ان يستعمل في اعتداء امة على اخرى اي انه لا يمكن ان يستعمل الاَّ في الدفاع . لان هذه ... لا يمكن ان تتولد الاَّ من آلات كهربائية ضخمة . وهذه بحكم الطبع يجب ان تكون ... في الارض وليس في الوسع تنقيلها لتسير مع الجيوش الهاجمة

ولا يخفى ان الاشعة السينية والاشعة المنطلقة من الراديوم تستطيع ان تتلف الانسجة الحية . ... الغرض من هذه التجارب هو استعمالها او استعمال ما يقابلها على مدى بعيد وفي نطاق واسع

استاذنا الامام

حجة الاسلام

السيد محمد رشيد رضا

بقلم الشيخ أحمد محمد شاكر

قد الاسلام في هذه الايام عَلَماً عالياً من أعلامه ، وإماماً حجةً من ائمة الهدى ، ومجاهدا ، ومصلحاً عظيماً ، عاش حميداً ومات شهيداً [1]

لد استاذنا الامام (السيد محمد رشيد رضا) رضي الله عنهُ في يوم الاربعاء ٢٧ جمادى الأ ١٢٨ (١٨ اكتوبر سنة ١٨٦٥) بقرية (القلمون) ، وهي قرية من قرى جبل لبنان على شاطئ لابيض المتوسط . وتبعد عن مدينة (طرابلس الشام) نحو ثلاثة أميال

أسرة ابيهِ من السادة الاشراف الذين ينتهي نسبهم الى جدّنا الأعلى سيدنا الحسين بن عل السلام ، وهم من اهل العلم والارشاد والرياسة ، ذوو كرم وكرامة ، ودين وتقوى ، و عزه ترفع . وقد عاشرنا في مصر منهم افراداً ، فكانوا من أنبل الناس خُلُقاً ، وأطهرهم قا قهم حديثاً . وكان ابوهُ من اعز الرجال نفساً ، وأجرئهم جناناً ، واسخاهم يداً . وأمهُ : من نساء فطرة ، وأكرمهنَّ أخلاقاً ، وأوفاهنَّ لزوج ، وأحناهنَّ على ولد . واسرة امه ينتهي نسبها دنا الحسن بن علي عليهما السلام

ل ما تعلمَّ — رحمهُ الله — في كتّاب قريتهِ ، فتعلم قراءة القرآن والخط وقواعد الحـ ، ثم ادخل في (المدرسة الرشدية) بمدينة « طرابلس الشام » وهي مدرسة ابتدائية للدولة ، يدرس فيها الصرف والنحو والحساب ومبادىء الجغرافية ، والعقائد والعبادات ، و اللغة واللغة التركية ، وكان جميع التدريس فيها باللغة التركية [2]

دخل « المدرسة الوطنية الاسلامية » في سنة ١٢٩٩ وهي أرقى من المدرسة الرشدية ، و يـ فيها باللغة العربية ، الاَّ اللغتين التركية والفرنسية . وتدرس فيها العلوم العربية والشرعـ ، والرياضيات والفلسفة الطبيعية . وكان استاذه العلامة الشهير « الشيخ حسين الجسر الازهري »

---

[1] رحمه الله خرج مع ركب الامير سعود حين سفره من مصر الى الحجاز ، فذهب معهم الى السويس ، العودة عند ما وصل الى مصر الجديدة ، وما كان خروجه هذا مجاملة أو تقرباً للامير ، وانما كان ليحدثه في سلمين ويعرض عليه آراءه في طرق الاصلاح ، ليعرضها سمو الامير على جلالة والده الملك عبدالعزيز بن السعود وحه عملا من أعمال الجهاد في سبيل الله ، ولم يقو جسمه في هذه السن على احتمال المشاق ، فمات مجاهداً ان شاء الله . وكان ذلك في يوم الخميس ٢٣ جمادى الاولى سنة ١٣٥٤ (٢٢ اغسطس سنة ١٩٣٥)

[2] المنار والازهر (ص١٣٩)

لدير لها . بعد أن كان هو الذي سعى لتأسيسها ، لأن رأيه أن الامة الاسلامية لا تصلح ولا
لاَّ بالجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا على الطريقة العصرية الاوربية . مع [illegible] الاسلامية
ه . تجاه التربية الاجنبية في مدارس الدول الاوربية والامريكانية (١)

لم يدخل المدارس الاّ بعد تجاوزه الخامسة عشرة من عمره ، وكان ذلك عن رأي والده
شاده . خوفاً عليهِ مما يعرض في المدن للناشئين من الفتن . فلما أن وثق من دينه وخلقه ورشده
له بالاقامة في مدينة طرابلس الشام لطلب العلم في المدارس

وكان قبل دخوله المدارس شديد العناية بمطالعة كتب الأدب وكتب التصوف قال في كتابهِ
« والأزهر » ص ١٤٠ « وكان أعجب كتب التصوف اليّ احياء علوم الدين لحجة الاسلام أبي
حمد الغزالي . فهو الذي طالعته كله . وكنت اكثر مراجعته وقراءة بعض ابوابه عودا على بدء .
رت أقرؤه للناس ، وكان له اكبر التأثير في ديني واخلاقي وعلمي وعملي . وإنهُ لتأثير صالح نافع
ه ، ضارّ في أقله . وقد عالجت الضار منهُ بعد العلم بهِ : فما كان فيهِ من خطأ علمي فقد
ت عنهُ بالتدريج ، بعد اشتغالي بعلم الحديث ، ولاسيما عقيدة الجبر والتأويلات الاشعرية
ه والغلوّ في الزهد ، وبعض العبادات المبتدعة . وأما تأثيره الوجداني في الزهد واحتقار
والمتكالبين عليها وعلى وظائف الحكومة — : فلم استطع الاعتدال فيهِ ، فضلا عن التفصي منهُ »
وقد تلقى العلم عن كثير من العلماء الاعلام . فمنهم العلامة الشهير الشيخ حسين الجسر : أخذ
العلوم العربية والشرعية والعقلية . ومنهم شيخ الشيوخ الشيخ محمود نشابة : أخذ عنهُ الحديث
الشافعية . ومنهم العالم المحدث العابد الشيخ محمد القاوقجي الكبير : تلقى عنهُ بعض مؤلفاته
الحديث . ومنهم العلامة الشيخ عبد الغني الرافعي : حضر عليهِ قليلا من نيل الاوطار للشوكاني ،
كثيراً من معاشرته في العلم والادب والتصوف

نشأ عابداً متعبداً ، زاهداً متنسكاً ، يذهب الى المسجد في السحر ، ولا يعود الى البيت الاّ بعد
الشمس ، ويصلي في الليل متهجداً تحت الاشجار في بساتين آله . ورباهُ اهله ثم ربى نفسه على الحياء
ق والاخلاص والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والشجاعة في ذلك ؛ فلا يخشى الاّ الله
كمل نفسه بكثير من العلوم العصرية ، ووسع دائرة تفكيره بالاطلاع على شؤون الاجتماع
سة العصر . فكان يطالع المجلات العلمية ، وفي مقدمتها « المقتطف » والمجلات السياسية وأهمها
عروة الوثقى » التي كان يصدرها في باريس المرحوم الاستاذ السيد جمال الدين الافغاني والمرحوم
ام الشيخ محمد عبده . ولقد حدثني صديقي الكاتب الفاضل السيد محيي الدين رضا انهُ
عمه المرحوم السيد رشيد يعترف بفضل « المقتطف » عليهِ في توسيع دائرة معارفه في نشأته ؛
كان يواظب على قراءته ما وجد سعةً من وقته

(١) [illegible]

واما مجلة (العروة الوثقى) فانها كان لها اكبر الأثر في توجيه تفكيره الى الوجهة الاصلاحية بين[١] والى وضع منهج واضح يسير عليه في سبيل الاصلاح . وقد اتبع ما رسم لنفسه من ، لم يحد عنهُ قيد شعرة ، حتى لقي الله

واوتي موهبة الكتابة العالية في ابان نشأته ، ونشر بعض مقالات في جريدة (طرابلس) فبدت بطبعه وفطرته . وما زال يكتب ويحرّر الى حين وفاته فكان من ابلغ الكتاب قلماً واوسعه ، واقومهم بحُجة

وقد عزم على الاتصال بالمرحوم السيد جمال الدين الافغاني ، لتكميل نفسه بالحكمة والحماسة لخدمة الملة ، فلما توفاه الله تعالى اليه ، واشتهر ان السياسة الحميدية هي التي قضت عليه ، ضاقت عليه المملكة العثمانية بما رحبت ، وعزم على الهجرة الى مصر لما فيها من حرية العمل واللسان والقلم ، ومناهل العلم العذبة الموارد ، ومن طرق النشر الكثيرة المصادر . وكان اعظم ما يرجوه من استفادة في مصر الوقوف على ما استفادهُ الشيخ محمد عبده من الحكمة والخبرة وخطة الاصلاح استفادها من صحبة السيد جمال الدين ، وان يعمل معهُ وبارشاده في هذا الجوّ الحرّ »[٢]

ثم يسّر الله لهُ اسباب السفر الى مصر ، ورضي به والداه رحمهما الله ، ولما وصل الى بيروت في طريقه الى مصر عرض عليهِ عبد القادر افندي القباني ان يقيم في بيروت . ويتولى رئاسة الجمعية بدته (ثمرات الفنون) . قال السيد رحمهُ الله : « فقلت لهُ : ان الحرية التي في بيروت لا تسعني : او تريد ان تنقد جلالة السلطان عبد الحميد او تخوض في سياسته ؟ قلت : انما أريد الاصلاح بالاخلاق والاجتماع والتربية والتعليم . قال : إن لك أوسع الحرية في هذا . قلت : إذا أردت ان اكتب في فضيلة الصدق ومضارّ الكذب ومفاسده فأبيّن ان أكبر اسباب فشوّ الكذب هو الحكم الاستبدادي ، أتنشر لي ذلك حريتكم ؟! قال : لا ، لا ، عجّل بالذهاب الى مصر ولا تخبر أحداً ! »[٣]

ويجدر بنا في هذا الموضع أن نصحح خطأً مشهوراً ، يظنه اكثر الناس صواباً ، وذلك انهم يظنون أن السيد رشيد رحمهُ الله جاء الى مصر لاتمام الدراسة العلمية ولذلك تتلمذ للشيخ محمد عبده . والحقيقة انهُ رحمهُ الله لم يغادر بلاده الاّ بعد اتمام دراسته ، وبعد نيل الشهادة العالمية والاذن له من شيوخه بالتدريس ، وكان قد جاوز الثلاثين من عمره . وانما اتصل بالاستاذ الشيخ محمد عبده كما يتصل العالم الصغير بالعالم الكبير ، وبقي تلميذاً لهُ — على هذا المعنى — الى حين وفاته ، كما كان يفعل سلفنا الصالح رضي الله عنهم ، ولو بقي الاستاذ الشيخ محمد عبده حيًّا الى الآن لبقي السيد رشيد تلميذه الى الآن ، ولوفى لهُ في حياته كما وفى لهُ بعد مماته ، رضي الله عنهما

---

(١) تاريخ الامام محمد عبده (ج١ ص٨٤ و ٣٠٣ و ٩٩٥ — ٩٩٦) (٢) المنار والازهر (ص ١٩١)
(٣) المنار والازهر (ص ١٩٢)

السيد محمد رشيد رضا

فكان السيد رحمه الله مع الاستاذ الامام تلميذاً لهُ وصديقاً ، وناصحاً ومخلصاً ، وكان مستودع اسراره والداعية لآرائه ، والمدافع عنهُ في كل معركة من معارك جهاده . بل كان كما وصفهُ الاستاذ الامام - لوالدي الاستاذ الاكبر الشيخ محمد شاكر حفظه الله — « ترجمان افكاره »

جاء السيد رشيد الى مصر وقد وضع نصب عينيه صحبة الاستاذ الامام . ثم انشاء صحيفة يستمد فيها من حكمته وخبرته . فوصل الى الاسكندرية مساء الجمعة ٨ رجب سنة ٣١٥ (٣ يناير سنة ١٨٩٨) فأقام فيها أياماً ثم انتقل منها الى طنطا فالمنصورة فدمياط . ثم عاد الى طنطا ومنها الى القاهرة قبل الظهر من يوم السبت ٢٣ رجب « ١٨ يناير سنة ١٨٩٨ » وفي صبح يوم الثلاثاء (الأحد ٤ رجب) ذهب الى زيارة الاستاذ الشيخ محمد عبده في داره بالناصرية . ثم اتصل به فيها واستشار السيد أستاذه في انشاء الصحيفة التي يريدها ، وشاوره في تسميتها ، وذكرا لها (المنار) . مع أسماء أخرى ، فاختار الامام اسم (المنار) . ثم شرع السيد في تحريره ، وكتب فاتحة العدد الأول بقلم الرصاص في جامع الاسماعيلي المجاور لدار الاستاذ بالناصرية — وكان ذلك في منتصف شهر سنة ١٣١٥ (مارس سنة ١٨٩٨) — وذهب بها الى داره وعرضها عليه . فأعجب بها كل الاعجاب وبكل ما ذكره فيها من المقاصد والأغراض ، إلاَّ كلمة واحدة : هي تعريف الأمة بحقوق الحكومة والامام بحقوق الأمة . قال ما معناه : « إن المسلمين ليس لهم اليوم إمام إلاَّ القرآن . وإذا تكلم في الامامة مثار فتنة يخشى ضرره ولا يرجى نفعه الآن » فحذف السيد هذه الكلمة عن رأي الاستاذ وإشارته[1]

ثم اقترح السيد على الاستاذ الامام عقيب اتصاله به — وكان أول اقتراح له عليه — أن يكتب تفسيراً للقرآن ينفخ فيه من روحه التي وجد روحها ونورها في مجلة (العروة الوثقى) فاعتذر عن ذلك . فاقترح عليه أن يقرأ دروساً في التفسير ، فكان يعتذر ، ثم لم يزل به حتى أقنعهُ . فبدأ الاستاذ الامام في قراءة التفسير بالازهر الشريف في غرة المحرم سنة ١٣١٧ وانتهى منهُ في منتصف المحرم سنة ١٣٢٣ عند تفسير قوله تعالى «وكان الله بكل شيء محيطاً » من الآية ١٢٦ من سورة النساء ، فقرأ زهاء خمسة أجزاء في ست سنين ، ثم توفى الامام الى رحمة الله يوم ٨ جمادى الاولى سنة ١٣٢٣ . وكان السيد رحمهُ الله يكتب في أثناء الدرس مذكرات بأهم ما يقوله الاستاذ ، وقد بادر له باقتراح بعض الراغبين في الاطلاع على تفسير الامام : أن ينشر هذا التفسير في المنار ، فشرع في ذلك في المحرم سنة ١٣١٨

قال السيد رحمهُ الله : « وكنت أولاً أطلع الاستاذ الامام على ما اعده للطبع كلما تيسر ذلك بعد جمعه وقبل طبعه ، فكان ربما يقترح فيه بزيادة قليلة او حذف كلمة او كلمات ، ولا أذكر انهُ انتقد شيئاً مما لم يره قبل الطبع ، بل كان راضياً بالمكتوب بل معجباً به . على انه لم يكن

(١) تاريخ الاستاذ الامام (ج ٢ ص ٢١٣)

له نقلاً عنهُ ومعزوًّا اليهِ ، بل كان تفسيراً للكاتب من انشائه . اقتبس فيهِ من تلك الدرو
مالية جل ما استفاده منها »[1]

ثم استقلَّ السيد رحمهُ الله بعبء التفسير وحده بعد أستاذه فقام به خير قيام، بل فاق فيه
بحال استاذه الامام فان الاستاذ الشيخ محمد عبده انما كان روحاً وثاباً ، وحكيماً عظيماً . وقا
اهراً ، ولكن لم يكن مطلعاً على السنة النبوية اطلاعاً كافياً ، ولا يكون ، المفسر للقرآن مف
قًّا الاَّ بالتوسع في دراسة الحديث النبوي والتشبع منه ، لان رسول الله صلى الله عليهِ وسل
بيان الكتاب للناس ؛ فقوله وفعله وكل حالاته شرح لهذا الكتاب الكريم

وقد أتمَّ السيد تفسير اثنى عشر جزءاً من اجزاء القرآن ، طبعت كلها . وفسر بعض آيات
ول الجزء الثالث عشر . ثم فقدناهُ أحوج ما كنا اليهِ ، رحمهُ الله ورضي عنهُ

وان اخوف ما كنت اخاف هو هذا الموقف الذي صرنا اليه : مات السيد رشيد ولم يكمل تف
لقرآن . ولقد أذكر أني تحدثت اليهِ في هذا المعنى منذ عشرين سنة تقريباً ، وكنت من اكثر
لناس اليهِ وأبرّهم به ، فألححت عليهِ في ان يوجه عزمه وهمته الى اتمام التفسير ، وان يدع
شاغله الاخرى ويتفرغ لهذا العمل الجليل النافع ؛ الذي لا نعرف احداً من العلماء يضطلع به
ولا نرى له أهلاً غيره . ولكن هكذا قُدِّر فكان . ولعلنا نجد من علمائنا من يوفق لاقتفاء
لسيد رحمهُ الله في تفسير القرآن حتى يتمهُ . ان شاء الله

وبعد : فان آثار السيد رشيد في دفاعهِ عن الاسلام ، وتقريبهِ للاذهان لا يحصيها مقال
كتاب ، فانهُ رجل مكث قريباً من اربعين سنة يكتب في مجلتهِ وفي الصحف الاخرى . ويملأ
لكتب والرسائل . كل هذا لله وفي سبيل الله ، ولا يخشى في الله لومة لائم . ولكن أعظم آثا
وأنفعها ، وأرجاها للمسلمين ، وأبقاها على الدهر — : هو هذا التفسير العظيم

واني كنت قد وصفت بعض مزاياه في مقال نشرتهُ في مجلة (المنار) في العدد (٣ من المجلد ٣١
ربيع الآخر سنة ١٣٤٩ سبتمبر سنة ١٩٣٠ — ومما قلت فيهِ : إنهُ «خير تفسير طبع على الاطلاق
ولا أستثني ؛ فانهُ هو التفسير الأوحد الذي يبين للناس اوجه الاهتداء بهدي القرآن على الوج
لصحيح الواضح — إذ هو كتاب هداية عامة للبشر — لا يترك شيئاً من الدقائق التي يخفى
كثير من العلماء والمفسرين »

«ثم هو يظهر الناس على الاحكام التي تؤخذ من الكتاب والسنة ؛ غير مقلد ولا متعصب ، بل على
لعلماء السابقين : كتاب الله وسنة رسوله . ولقد أوتي الاستاذ من الاطلاع على السنة ومعرفة علم
تمييز الصحيح من الضعيف منها — : ما يجعله حجة وثقة في هذا المقام، وأرشده الى فهم القرآن حق فهمه

« ثم لا تجد مسألة من المسائل العمرانية او الآيات الكونية الاَّ وأبان حكمة الله فيها ، وأدلى
لى الموعظة بها ، وكبت الملحدين والمعترضين بأسرارها ، وأعلن حجة الله على الناس . فهو يجد

ة كل شبهة تعرض للباحث من ابناء هذا العصر . ممن اطلعوا على اقوال الماديين وطعونهم في السماوية ، ويدفع عن الدين ما يعرض لاذهانهم الغافلة عنهُ ، ويظهرهم على حقائقهِ الناصعة ـ مع البلاغة العالية ، والقوة النادرة . لله دره ! » ...

ولقد عرض للكثير من المشكلات الاجتماعية والسياسية التي عرضت في شؤون المسلمين ـ على كثير من شبانهم هداهم ودينهم ، فحللها تحليلاً دقيقاً . وأظهر الداء ووصف الدواء من والسنة . وأقام الحجة القاطعة على ان الاسلام دين الفطرة ، وأنهُ دين كل أمة في كل عصر . ن الاسلام كثيراً مما ألصقهُ به الجاهلون ، أو دسهُ المنافقون ، من خرافات وأكاذيب كانت ـئه من أبنائه عن سبيله ، وكان أعداؤه يجعلونها مثالب يلعبون بسببها بعقول الناشئة ليضموهم ـوفهم ، وينزعوهم من أحضان أمتهم »

وانهُ لكتاب العصر الحاضر يفيد منهُ العالم والجاهل والرجعي والمجدد بل هو الدفاع الحقيقي عن الدين»

وأنا أرى من الواجب على كل من عرف حقائق هذا التفسير أن يحض إخوانه من الشبان على ـه . والاستفادة منهُ . وبث ما فيه من علم نافع . لعلَّ الله أن يجعل منهُ نواة صالحة لاعادة لاسلام ، وأن ينير بهِ قلوباً أظلمت من ملئها بالجهالات المتكررة »

لو شئنا أن نطيل في ترجمة السيد رشيد وتعداد مناقبه وفضائله ، أو في بيان مزايا تفسيره الناس عامة — : لكان مجال القول أمامنا واسعاً . ولأعجزنا ان نستوعب ما نريد من ذلك . الله سبحانهُ أن يجزيه عن المسلمين خير الجزاء ، وأن يجعلهُ من السابقين الأولين

إن الاخ الفاضل السيد عبد الرحمن عاصم — ابن عم أستاذنا وصهره — أعلم الناس بسيرته ـة والاجتماعية ، والسياسية الاسلامية والعربية ، وقد شهد لهُ بذلك السيد رشيد نفسه في المنار والازهر (ص ١٩٤) . وأنا أرى انهُ جدير بهِ أن يكتب ترجمة وافية ، أو يعين غيره على ـ ، وقد عاش معهُ نحواً من خمس وعشرين سنة . ويخيل اليّ أن هذه الشهادة للسيد عاصم ـ رغبة الاستاذ في ذلك ، وكأنها وصية منه ينبغي تحقيقها

بعد فان من أمارات الخير ودلائل التوفيق أن السيد — رضي الله عنه ركب السيارة يوم وفاته ـويس ، وشرع في قراءة القرآن ، ولم ينقطع عن التلاوة حتى قبضهُ الله اليهِ في مصر الجديدة ـرى : أن آخر ما كتب في تفسير القرآن تحت عنوان (دعاء يوسف عليهِ السلام بحسن ـ) أنهُ فسر قوله تعالى حكايةً عن النبي يوسف عليهِ السلام (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِن ـ وعَلَّمْتَنِي من تأويلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ والأَرضِ أَنْتَ وَلِيِّي في ـا والآخِرَةِ تَوفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بالصَّالِحِينَ) ، وكتب في آخر تفسيرها : أله تعالى ان يجعل لنا خير حظٍّ منهُ بالموت على الاسلام » . فكانت دعوة استجيبت ، ـ ان شاء الله — أمارة حُسْنِ الختام

مفردات النبات

بين اللغة والاستعمال

لمحمود مصطفى الرمياطي

| اجتمع لي طائفة من أسماء المفردات النباتية وحررت ما يقابلها في بعض
الاجنبية لترتيبها في معجم والآن عنّ لي أن أنشرها تباعاً في مجلة المقتطف ا
بيان موجز أذكر فيه المفرد ووصفه وموطنه واستعماله مشيراً الى بعض فوائده و
أو الصناعة أو التغذية أو الطب عسى أن يكون في ذلك بعض الفائدة — الم

التمر الهندي

ويقال له (الحمر) كسُرَد او الصُّبار) بالصم وفي السودان اسمهُ (العَرْديب) شجرة
لحجم او متوسطته مظلّة جميلة المنظر بطيئة النمو ترتفع الى ٨٠ قدماً او اكثر ذات جذ
مستقيم قائم قد يكون طول محيطه ٢٥ قدماً وقلفها اسمر قاتم وأوراقها من النوع المركب
لصغير الذي لا ينتهي بوريقة طول الواحدة منها من ٧½ سنتيمتراً الى ١٥ وبها من ١٠
لى ١٥ من الوريقات الصغيرة الاهليلجية الملساء. وأزهارها مجتمعة في عناقيد غير
لواحد منها من ١٠ زهرات الى ١٥ بأطراف فروع جانبية صغيرة قصيرة. وثمراتها قرو
متدلية يتراوح طول الواحد منها بين ٧½ سنتيمتراً و١٠ وعرضه ٢½ سنتيمتراً وبداخله
حمر يضرب الى السمرة مزّ الطعم حلو وهو الذي يتّجر بهِ ويشاهد في مصر مكبوساً كالع
ما بذوره وتسميها العرب (القاريط) او (القراريط) فسمر اللون صلبة

اسمه العلمي (Tamarindus indica. L.) (تاماريندوس انديقا) وفصيلته الخيار الشن
لسنائية (Caesalpiniaceae) (سيزالپينياسية) وبالانجليزية (Tamarind Tree; Indian Date)
وبالفرنسية (Tamarinier de l'Inde)

قيل موطنه إفريقية وآسيا الاستوائيتان وهو يزرع عادةً في الجهات الدافئة من الهند و
سيلان وجزائر ملايا والسودان وغيرها للاستظلال به والانتفاع بلب ثمره المزّ المشتمل على ال
الليمونيك والتفاحيك والطرطاريك وهو المستعمل في الطب لتليين البطن وفي صنع انواع الش
المنعش المرطب وتصدر منه كميات وافرة من جزائر الهند الغربية الى بلاد الانجليز وغيره
وأهالي الشمال من جزيرة سيلان يستعملون خلاصة من اللب لحفظ السمك. وفي الهند تستع
اوراقه الصغيرة الغضة كمادة على كل دُمَّل وخُرَّاج وغُلْفاً سطحية لحفظ التبغ في المناد
الحافة وبذوره دواء لمعالجة الاسهال. وفي السودان يستعمل قلف الجذع قابضاً ومقوّياً ولعنه

ـذور زيت يدخل في صناعة (الورنيش) وخشب هذا الشجر صلب صفيق جميل المنظر جيد
ـقل مرغوب فيه في الهند وغيرها لصنع الاثاث وعجلات جر الاثقال وأوتاد الخيام والمهارس
ـملة في تبييض الأرز وفي صنع السفن ومعاصر الزيوت وقصب السكر الى غير ذلك

الخُرنُوب

ويقال له (الخَرُّوب) وفي العراق (القِثّاء الشامي) شجرة صغيرة تنمو ببطء وتعمر طويلاً
الى اكثر من مائة سنة ترتفع من ٦ امتار الى ٩ فاقف جذعها املس سنجابي اللون وهي دائمة
ـ أوراقها من النوع المركب الريشي في الواحدة منها من ٥ وريقات الى ١٠ وهذه الوريقات
ـاوية بيضية الشكل ملساء كالجلد كاملة الحافة منفرجة القمة وأزهارها صغيرة جداً عديمة
ـ. وريقات التويج) مخضرة مجتمعة في عناقيد اسطوانية الشكل . أما ثمارها فعبارة عن قرون
ـة مجنبة سمر اللون قائمة متدلية ذات لب سكري حلو يتراوح طول الواحد منها من ١٥ سنتيمتراً
ـ وعرضه ٢ ١/٢ سنتيمتراً

اسمه العلمي (Ceratonia Siliqua L.) (سيراطونيا سيليكوا) وفصيلته الخيار الشمبرية او السنائية (Caesalpineae) (سيزالبينياسية)

والانجليزية (St. John's Bread, Locust-bean, or Carob Tree

والفرنسية (Caroubier; Arbre de carrouge)

وهو ذائع بجنوب اوربا باسبانيا والجزائر وبشرق البحر الابيض المتوسط والشام ودخل مصر
ـمنذ وكويزلاند والولايات المتحدة وجنوب افريقية وغيرها ويزرع بمنطقة البحر الابيض
ـ لثمره الحلو المنبسط الذي يتجر به كثيراً وهو يؤكل كما يعطى علفاً للماشية مغذياً ومسمناً كما يستدل
ـيه الكيميائي وهو :— ماء ١٤٫٦ ٪ — البيوميات او بروتيدات (مكونة للحم) ٧٫١ ٪ —
ـ هدراتات (نشا وسكر الى غير ذلك) ٦٧٫٩ ٪ — زيت او دهن ١٫١ ٪ — ليف او سليلوز
ـ ٪ — رماد ٢٫٩ ٪ أما خشبه فثقيل متين احمر اللون جميل المنظر يرغب فيه للنجارة والوقود
ـثمة نوع آخر من جنس الشجر المعروف في مصر (بخف الجمل) من الفصيلة نفسها معروف في
ـ باسم (خروب) و (تَمْبَريب) و (ابو خميرة) اسمه العلمي (Bauhinia reticulata D. C.)
ـبينيا ريطيقولاتا) جاء عنه في كتاب برون وماسي عن نباتات السودان المطبوع سنة ١٩٢٩ ان
ـ دوحة صغيرة تضرب اجزاؤها الحديثة الى الحمرة أوراقها كبيرة الواحدة منها ذات فصين
ـ عديدة تيجانها بيض وكؤوسها تضرب الى الحمرة . ثمرتها قرن منبسط طويل مقوس قليلاً
اللون قاتم براق طوله قدم وعرضه ثلاث بوصات . خشبها صلب على نوع ما أسمر اللون فاتح
ـل وقوداً ... ـ ... ... الياف قلف هذه الشجرة حبالاً ونسيجاً للثياب

تؤكل البذور ويتمضمض بمغلي الاوراق في وجع الاسنان ويحصل من الجذور على صبغة لو ضرب الى الحمرة كلون خشب الماهوجانة

السنى

بالقصر والمد يتداوى به والسنى يطلق على الاوراق والقرون الجافة لانواع معينة لجنس النباتي المسمى علمياً (قاسيا) (Cassia) وهو من فصيلة خيار الشنبر او الفصيلة السن (Caesalpiniaceæ) (سيزالپينياسية) وهي المعروفة بخواصها المليّنة وتستعمل في الطب كمل

(١) من احسن الانواع في التجارة (السنى المكّي) ويحصل عليه من النبات المسمى عل (Cassia angustifolia, Vahl. Syn. Cassia Lanceolata, Royle) (قاسيا انجوستيفوليا او ق لانسيولاتا) وبالانجليزية (Mecca, Bombay, or Tinnevelly Senna) وبالفرنسية (Mo Mecque, de Bombay, ou Séné de Tinnevelly) شجيرته عشبية صغيرة معمرة اوراقها من ال الريشي المركب في الواحدة منها من ٥ ازواج الى ٨ من الوريقات البيضية المستطيلة الضيقة . أزها مجتمعة في عناقيد اطول من الاوراق المتأبطة لها . ثمرتها قرن عريض مستطيل مقوس قليلا الطرف مصراعاه في نعومة الجلد مجردان عن الزوائد

ذائع في شمال إفريقية وشرقها ووسطها الاستوائي والجنوب الغربي من آسيا في بلاد العرب و وجنوب الهند برّيًّا او يزرع ويغل كثيراً فينتج الفدان المنزرع منهُ من ٧٠٠ رطل الى ١٤٠٠ الاوراق الجافة حسب تربة الارض

(٢) وهناك السنى الاسكندري او النوبي) المعروف في السودان (بسنى الكباب) وع عليه من (Cassia obovata, Coll. Syn. Senna obtusa, Roxb.) (قاسيا اوبوواتا او سنا أ تيو وبالانجليزية Alexandrian or Nubian-Senna وبالفرنسية Alexandrie, ou séné de la Nubie

شجيرته عشبية معمرة اوراقها من النوع الريشي المركب في الواحدة منها من ٣ ازواج الى ٧ الوريقات البيضية او المستطيلة المقلوبة الملساء . أزهارها مجتمعة في عناقيد إبطية قائمة . ثمارها قر منبسطة كلوية الشكل مستطيلة مستديرة الاطراف عريضتها للواحد منها مصراعان رقيقان في نعومة

وهو دائع في الجنوب الغربي من آسيا بالسند وجنوب الهند ومنتشر في إفريقية ببلاد النو ومصر والسودان وغيرها وكثيراً ما تخلط اوراقه وثماره بأنواع السنى الحقيقية في التجار يحصل منهُ ايضاً على جزء من السنى الحلبي والطرابلسي والايطالي والسنغالي الى غير ذلك

(٣) ومنها السنى الاسكندري الحقيقي) ويقال لهُ في (مصر لسان العصفور) او (صعيدي) او (سنى مكي) وفي السودان (سنى الرّيف) و (سنى مكة) ويحصل عليه (Cassia acutifolia, Del.) (قاسيا آكوتيفوليا) وبالانجليزية (True Alexandrian Senna) وبالفرنسية (Veritable Séné d'Alexandrie) شجيرته عشبية معمرة اوراقها من النوع الر

كب في الواحدة منها من ٤ ازواج الى ٥ من الوريقات البيضية او البيضية المستطيلة الحادة القمة
رها مجتمعة في عناقيد بآباط الاوراق العليا وهي اكثر طولاً من الاوراق ثمارها قرون منبسطة
له عريضة مقوسة قليلاً طول الواحد منها ٥ سنتيمترات تقريبا

وهو دائع في مصر وشمال إفريقية ومنطقتها الاستوائية والسودان والجنوب الغربي من آسيا
اوراقه الجافة في التجارة باوراق السّنى الاسكندري او النوبي والسّنى المكي السابقين
والعنصر الفعّال في السّنى هو الحامض القثارتيك الذي يوجد في نباتات اخرى . وعلى الجملة
الثلاثة هي الانواع المهمة التي يحصل منها على السّنى الطبي

وقد جاء ذكر السّنا في الهدى النبوي في علاج يبس الطبع للبنه . روى الترمذيّ في جامعه
ماجة في سننه من حديث اسماء بنت عُمَيْس قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذا
تستمشين قالت بالشبرم قال حار جار ثم قال استمشين بالسنا فقال لو كان شيء يشفي من الموت
السنا . وفي سنن ابن ماجة عن ابراهيم بن ابي عبلة قال سمعت عبد الله بن حَرام وكان ممن
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القبلتين يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
كم بالسنا والسنوت فان فيهما شفاء من كل داء الاّ السام قيل يارسول الله وما السام قال الموت .
تستمشين اي تليين الطبع حتى يمشي ولا يصير بمنزلة الواقف فيؤذي باحتباس النجو

الحبة السوداء

ويقال لها بالفارسية (الشُّونيز) وهي (الكمون الاسود) و (الكمون الهندي) معروفة بمصر
بحبة البركة) و (بالحبة المباركة)

هي نبات عشبي سنوي ساقه قائمة الى ٣٠ سنتيمتراً أزهاره زرق فاتحة ثماره علبية بيضية الواحدة
مكوّنة من ٣ كاربلات (اعضاء تأنيث) الى ٦ ملتحمة الى القمة وبذوره خشنة سوداء رائحة
وطعم حرّيف . اسمه العلمي (Nigella sativa, L.) (نيجيلاّ ساتيوا) وفصيلته الشقيقية
(Ranunculi) (رانتقولاسية) وبالانجليزية (Small Fennel-flower or Black Cumin)
الفرنسية (Nigelle cultivée, Nouelle romaine; Toute épice) موطنهُ جنوب اوربا ويزرع في
مصر والسودان وبلاد البحر الابيض المتوسط والهند وفارس للحصول على بذوره العطرية
للريح المقوية للمعدة . قال اهل العلم بالطب ان طبع بذور الحبة السوداء حار يابس وهي تذهب
وتنفع من حمى الربع ومن البلغم وتفتح السدد وتذهب الريح وتجفف بلة المعدة وتذيب الحصاة
البول والطمث وفيها جلاء وتقطيع واذا دقت واديم شمها نفعت من الزكام البارد وتفيد في
اليرقان وضيق النفس والصداع البارد ووجع الاسنان الناجم عن برد . وقد ذكر ابن البيطار
من صنف في المفردات في منافعها ما تقدم واكثر منهُ وتستعمل مفردة ومركبة مسحوقة وغير

سحوقة أكلاً وشرباً وسعوطاً وضماداً يستخرج منها زيت يستعمل بنجاح في السعال العصبي واو
سدر وتعتبر من التوابل ويعطَّر بها الخبز. وقد ورد ذكرها في حديث صحيح عن عائشة رضي الله
ها سمعت النبي صلى الله عليهِ وسلم يقول إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء الاَّ السام او
وت) والمراد كل داء يقبل العلاج بها فانها انما تنفع من الامراض الباردة . فقوله في الخبر
ء من العام الذي يراد به الخاص لانهُ ليس في طبع شيء من النبات ما يجمع جميع الامور التي
طبائع ومعالجة الادواء بمقابلها ولان النبي صلى الله عليهِ وسلم كان يصف الدواء بحسب ما يرى
ن حال المريض فلعلَّ قوله في الحبة السوداء وافق مرض من مزاجهُ بارد فيكون معنى قوله
ن كل داء اي من هذا الجنس الذي وقع فيهِ القول واستثنى السام في هذا الحديث كما استثنى
ديث ما انزل الله داء الاَّ انزل له شفاء الاَّ السام في بعض رواياته . ولعلَّ التقدير الاداء الموت
رض الذي قدر على صاحبه الموت . واعتبار الموت مرضاً جار على ما تقول العرب وما
س لهُ دواء

وثمَّ انواع اخرى من الحبة السوداء او الشونيز اهمها :

(١) الشونيز الدمشقي (Nigella damascena. L.) (نيجيلا داماسينا) وبالانجليزية (Love-in-a-mist; Catchfly flower; Damask fennel-flower; Devil in the Bush; Fennel flower; Nigella; Ragged Lady; Wild Fennel; Wild Onion; Wood Fennel) وبالفرنسية (Nigelle de Damas) ويسمى شونيز دمشق و(Cheveux de Vénus) اي شعر الزُّهْرة . وهو اجمل نوع في المنظر واصله من
بحر الابيض المتوسط من بلاد البرتغال الى ما وراء البحر الاسود ويوجد في شمال فرنسا ودخل
القرن الماضي واستنبت في البساتين كثيراً حتى نشأت عنهُ اصناف عديدة . ساقه بسيطة قائمة
٤ سنتيمتراً . اوراقه ريشية شبيهة بالشعر . أزهاره زرق فاتحة . ثماره ملساء كرية الواحدة منها مكونة من خمس كارپلات ملتحمة ورائحة بذوره كرائحة الشليك . قيل إنها مقوية مشدّدة طاردة للريح مدرة للطمث والبول

(٢) الشونيز الاندلسي (Nigella hispanica. L.) (نيجيلاَّ هيسپانيقا) يزرع للزينة في اسبانيا وبلاد المغرب وفرنسا ودخل مصر في القرن الماضي . وهو نبات خالٍ من الزغب سنوي قائم قائمة قائمة الى ٦٠ سنتيمتراً أزهاره زرق او بيض في حجم أزهار الشونيز الدمشقي ثماره خشنة كبيرة عرض الواحدة منها مثل طولها ومكونة من ٨ كارپلات الى ١٠ ملتحمة وبذوره ملساء

(٣) الشونيز البرّي (Nigella arvensis. L.) (نيجيلاّ ارونسيس) وبالانجليزية (Field fennel-flower) وبالفرنسية (Nigelle des champs) اي شونيز المزارع ينبت بكثرة في المزارع التي تحصد باوربا وبلاد المغرب والمشرق وقليل الوجود في مصر وهو نبات صغير ساقه بسيطة عديمة الزغب ترتفع الى ١٥ سنتيمتراً تقريباً . أزهاره زرق سنجابية . قيل ان بذوره معطّسة

التفاؤل والتشاؤم

Optimisme & Pessimisme

ارسلان عبد الغني البغي

سعدك لو اتيح لك ان تلج حديقة ايقور الجميلة حيث الطير الشادي بلا انقطاع . والزهر الايناع ، وحيث الشجر المورق النضير ، والجدول الدائم الخرير ، وتجلس في اصيل من ذهب بساط من سندس ، تحت خميلة من ياقوت . وتغمس رحليك في قناة من لجين ، وشعرك من حرير ، وتطير بعقلك في سماء من خيال فتشعر بأن كل ما ترى وكل ما تسمع . وديع حلو كالقبل ، ضاحك كالتمثيل ، فيصفو ذهنك . ويرهف حسك ، وتميل نفسك وأنت في هذا المشهد لشذا الحب وشذا العطر ، الملىء بالموسيقى والشعر . أن تحتسي بضع اكؤس من تلك الخمر السماوية المساغة . تترقرق من ثنايا الرباعيات الخالدة التي صاغها الشاعر الفيلسوف عمر الخيام ، بهات نشوته . واحلام يقظته ، ثم تساقيت معها اكؤساً احر من تلك الخمر البغدادية التي عصرها ابو نواس من عناقيد خياله ، والتي اصطلح الناس على تسميتها شعراً ، وهي مع ذلك ضرباً من ضروب الخمر بل لعلها احد ضروب الخمر التي يثمل منها الشارب ويتنشى

رب انك تسخر من هذا العالم الترابي ، الذي يحيا فيه الناس مع الانعام . وان تزور عنهُ . فيك الخالدة ، قد غالبت جسدك الفاني . وسمت بجناحيها فرحة مستبشرة حتى ولجت ا بطأها بشر . ثمَّ صرح من قوارير ممرد . وثمر من اجناس منضد ، وطير ابابيل مغرد ، وثمَّ ل اسمى ما يكون الجمال : طاهر أحق ما يكون الطهر ، لا شائبة فيهِ ولا دنية . يا للمقام ! لقد اعادك الى الطفولة وانت رجل ومحك بسمة الطفل المدلل وأنت بأعباء التبعة مثقل ك بين احضان حلم جميل يرنحك فوق لجات الخيال كما ترنح القارب الصغير في رفق الأم موجات ر قد عشقته وهو بين يدي صانعه الواحا ودسراً ! !

كنك هبطت الارض ثانية ، وانت الحين في المعرة ، ولم يبق في نفسك مما نلت من لذة . وما قد من متعة ، الاَّ آثار الذكرى . بيد انك تركت الدور ورحت تجوب انحاء القبور . تنظر نك وعن شمالك متأملاً مفكراً ، ثم هأنتذا قد وقفت أمام قبر كتب عليهِ

هذا جناهُ أبي عليَّ وما جنيتُ على أحد

فصحتَ بصوت قطع سكون المقبرة الرهيب ... هنا يثوى أبو العلاء فهذا بيته !! وفي هذه

البقعة الموحشة الرهيبة تكلم رهين المحبسين وكان كَلِماً فيه جمال وفيه حزن وقليل من سُحر
حبات من در يتيم قد نثرت من جوف رمس ظليم، فاستحالت وحدها الى عقد نظيم، تريث
تعجل فقد يكون وراء هذا العقد شيء، فهذه قطعة اخرى تصلح ان تكون قرطاً! وهذه
تليق بأن تكون سواراً!! عد الآن الى حسنائك فأنت اليها مشوق وزين جيدها ومعه
الجميلين وأذنيها الصغيرتين بهذه اللآلىء الغوالي فمن خير ما يُهدي الحبيب الى الحبيب!! آ
يا لسوء حظك فهذا الدر اليتيم الذي خلت انك بالغ به قلب حسنائك لم يزدها الاَّ نفوراً منك وا
عنك. لقد ظننتك تسخر منها وتكيد لها فهي لهذا قد أبت منك الدر وارتضت من حس
الخرز!! حاولت أن تزين به جسدها لتزداد جمالا فازدادت قبحاً ودمامة وبدا عليها كما يبدو
الفضفاض على الرحل النحيل بل بدت فيه كما تبدو بلباس (الكرنفال) حقًّا ان الدر قد لمع في
— ولكنهُ ما لمع حتى انطفأ لألاء الابتسام على ثغرها والنور في جبينها وحتى انقبض صدرها و
الخوف الى قلبها فألقت به أمام عاشقها وفرَّت عجلى تنشد ملاذاً!! ألا تُرياً لك أيها العاشق و
سمعت بشهرة الصائغ أبي العلاء فدار بخلدك — أن تزور حانوته. لكن أبا العلاء قد خدعك
نفسك. فباعك درًّا لا يصلح لان يكون سوارا (خطبة) أو عقد (عروس) أو قرط (حب
فياليتك حين كنت في حديقة ابيقور قد قطعت وردة أو زنبقة. أو جملة من طَلْح وشيح
سدر قليل أو ليتك وانت تحتسي من راح الخيام وراح ابي نواس قد فكرت في استبقاء كأ
هذه وكأس من تلك. اذن لنلت ما كنت تطمح من قلب حسنائك ولما افتقدت حبها في
التي ترقبتك فيها لتهبك قلبها خالصاً بلا ثمن!! فنفسك لم ان كنت لا بد لائماً وعبثاً تقتفر
عصفورك الهارب. عند وكره، فما هو براجع اليه ابداً!!

صدعت قلبك الصدمة. فأنت مفتقر الى طبيب يضمد جراحه فلمَ اخترت نطاسيًّا من (
هو (شوبنهاور) ليعالج تضميد جراحك وتسرية همومك ورقأ دموعك؟ لن يكون دواؤ
كل صباح ومساء الاَّ ان يلقي عليك فصولاً من سفره الخالد (الارادة) ولسوف يجذبك
يسمعك هذه الفصول المسمقة الثمينة الى فراديس رحاب فيها دوح ونَهَرٌ، وفيها زهر و
ونصحنا لك ان شئت ان تقبله ألاَّ تلجها وحسبك ان تقف لدى بابها وقفة الآبي؛ فقد تر
منظرها عن كثب شيئاً يسر وشيئاً يخلب، خيرٌ لك ان تظمأ، وخيرٌ لك ان تجوع وأن تغ
صادياً طاوياً، من ان تشرب جرعة، او تطعم ثمرة، فالماء والثمر، كلاهما قد نفثت فيه الذ
فسممتهُ فأصبح قاتلاً!!

ويلوح لنا انك عدت من المانيا مريضاً كما ذهبت اليها مريضاً وان الطبيب شوبنهاور لم يفدك
يستطيع ان يفيدك لان مرضك التوى عليهِ واستتر. وخيرٌ لك اذن ان تلقي بقنانينه واربطته (ومرا
بما حوت من دواء دون ان تجرع منهُ قطرة او تضع على جرح من جراحك (لزقة) فقد يَ

ه حتفك ان فعلت . ولعلك وانت في ايامك سادماً حزيناً قد عنَّ لك ان تتجه نحو ذلك الموسيقي
ئس (لامنييه) وهو يعزف على قيثاره (انشودة البأس) لكن حذار ان تسمعه بقلبك وعواطفك
منهُ بسمع لا يتجاوز صماخ الاذن . تلذذ بموسيقى النغم دون ان تذهب معها بعيداً حيث
ان تستقر فقد يكون مستقرها ناراً تحرق او بحراً يغرق ! ! ارث لهُ رثاء انسان مجدود لانسان
ود لا يستطيع ان يمحو شيئاً من بؤسه وشقائه . ولا تعجب به او تحاول ان تشاركه في حزنه فأنك
كنت مثله حزين الاَّ ان حزنك قد جدَّ في سيره حتى لحق الفجر وهو من الصبح قاب قوس
ين ان حزنه والليل صنوان التفَّا في مئزر واحد وسيظلاَّن كذلك ابداً ! ! انت تصيح لهُ
ينشد !

ايه أيتها النفس لِمَ انت دائمة الحزن والاكتئاب ؟ أليست الشمس في جمالها الخلاَّب ترسل
حبات من الياقوت الاحمر وهي طفلة في المهد يرعاها الفجر ؟ وسلاسل من ذهب خالص
راء قد نمت وترعرعت ثم سفرت من خدرها تغازل الصبح ؟ انظري ايتها النفس الى اوراق
كيف تختال في اغصانها راولة في حلل مختلف الوانها ! وانظري الى الازهار كيف تفتحت اكمامها
شعتها كما تتفتح اجفان الهُجَّع عند اليقظة، بل انظري الى الطبيعة جميعها كيف نفضت عنها رداء
ى . وهبت فرحة متهللة لتستقبل حياة جديدة كلها بهجة وكلها حراك ! ان كل كائن يتنفس
د لسانه ليحمد للطبيعة هذه الآلاء العديدة التي اغدقتها عليه في سخاء لاحد له ولا منَّ معهُ .
العصفور الصغير قد وقف على فننه اللدن ينشدها قصائد مديحه والفضاء يردِّد صداها وهذه ربات
ق طاطنت بين الكلأ الاخضر رائحة وغادية . فلماذا تأتزرين بكساء من الحزن كثيف اذا كان
ق على وجه البسيطة قد تمدَّد بين احضان المسرَّة والغمس في كوثر الحب في ذهول الثمل ؟
س جميلة حقًّا واشعتها خلابةً حقًّا والطبيعة جميعها قد استعادت على ضوئها الحياة . وانتقعت
وت ولكنني احز الودج حزناً واقرع السن ندماً لان هذه الحياة البهيجة المنعشة التي
لها ثغور الاطيار والاشجار والبحار قد وقفت حيث هي ولم تمد اليَّ يداً . فثمَّ عالم قد غمرتهُ
أمواج من الضوء وتيارات من الدفء في حين ظلَّ عالمي الذي تعيش فيه نفسي محروماً من
من نور او جذوة من نار فهو دائماً في ليل داج مقرور قد لفهُ الشتاء في كساء من ضباب اغلب
كفنه الابدي . فلنذر اولئك التعساء الذين ليس لحياتهم ربيع ولا وراء ليلهم صبح ان يبكوا
دماً فدمع العين قد جفَّ ونضب بعد ان جرح الاجفان وما اطفأ اللهب) (١)
اء يأس اترضى ان تجيبه ؟... والآن ماذا ترى في ابيقور وصاحبيه الخيام وأبي نواس ؟ ترى
وشاعرين او فيلسوفين وشاعراً قد ابتسموا للحياة فابتسمت لهم الحياة وتودَّدوا اليها تودُّد
ان الى النسيم، فحنت عليهم حنوّ المرضعات على الفطيم، ورضوا عنها رضاءً لا يشوبهُ تذمر او شكاة

(١) عن لامنييه La mennais [illegible]

فكشفت لهم عن نفسها في عري فرأوا جمالاً لم ترهُ عين ، ولا سمعت بمثله اذن فراحوا يمرحون ويلـ
ويختلسون اللذات اختلاساً ويستمتعون في شهوة النهم ! ثم ماذا ترى في رهين المحبسين وصا
شوبنهاور ولامنييه ؟ ترى فلاسفة ثلاثاً ، قد وضعوا على اعينهم مناظر سود فرأوا كل ما في الـ
اسود كالليل . ووضعوا اصابعهم في آذانهم فألفوا كل ما في الكون هادئاً كالقبر ، فبرمو
وعبسوا في وجهها . عابوا محاسنها وهنّ ملاح ، وارتطموا بالراح في الاقداح ، فكسروا الا
وأراقوا الراح ، وقالوا الحنظل اريق . فأين الرحيق ؟ وقالوا والشمس في هودجها فتاة ، يا لـ
ليل اطول من ظل القناة ! وقالوا للبلبل وقد فتح فاه ، وغرّد فرحاً بالحياة ، توار غراب البين . و
في مكان سحيق !

والانسان في هذه الحياة احد رجلين رجل كأبي بقور وصاحبيهِ وآخر كالمعرّي وصاحبيه !
متفائل مستبشر بالحياة راضٍ عن عيشه الاّ في لحظات قصار اشد ما يكون القصر ، لا يقنطهُ
به يد الناس والقدر . ولا ما يحيق بهِ من الاحداث والغِيَر ، ان سُرّ لم يذهب بهِ السرو
الخيلاء والبطر ، أو تألم لم يهو بهِ الألم الى حضيض الضعف والخور ، يرى أن ما هو فيهِ خير
ما هو أخير ! يعمل في هدوء ما يوحيه الزمان والجد ، ولا يحمل نفسه عبء الاهتمام بما
بهِ الغد ، يرى ان كل جرح لا بد أن يندمل مع الزمن وأن كل نجاح في سعيهِ بوقتهِ مرتهن
لهذا لا يقرع على ماضٍ سن ندم ، ولا يوجس خيفة من آتٍ لفّ في دثر من ظلم ، ان نام
جفنيه لا يشهد سهداً !! وان استيقظ استيقظ وهو منشرح الصدر يستقبل في يومه الجد
جِدّاً . اما الناس عدوه وصديقه فلا سبيل له معهم الاّ ان يحبهم كأخ سمح ، ينظر الى مح
بالمدح والى مسيئهم بالعفو ، والى معوزهم بالمنح وهو في كل هذا يرى ان لكل مخطىء عذ
الانسان خلق ضعيفاً وما دام اول ناسٍ أول الناس

(انظر الى عيني هذا الانسان المتفائل كيف يلمع فيهما بريق الأمل والرجاء وتأمل نظرا
ملأى باليقظة والجاذبية والحياء ، وانظر الى شفتيه ألا ترى انهما دائماً على أهبة الابتسام ع
اعتذار ألسنا جميعاً نحب ان نحيي هذا الابتسام الحلو بابتسام مثله حلو ؟ ألسنا نرقب أن يسم
الثغر نحية صباح أو مساء ؟ انهُ يذكرنا بهبات الرياح على سنابل القمح ، وتكسر الموجا
شطآن البحر ، وخطرات النسائم بين الشجيرات والزهر ، وبكل صوت في الطبيعة يأسر
ويملك الحس . انهُ مليء بالموسيقى والشعر ، مليء بالجمال والسحر !!

(ثم انظره كيف يمشي ترَ قدمين ثابتتين وخطوات مرنة متزنة تنم على رصانة واتئاد
يحمل ساعديه في خفة او يدعهما يترنحان الى الجانبين في انتظام ويداه واصابعه ؟ هلاّ تك
عن قوة وعزم ؟ ورأسه الشامخة في غير زهوٍ او صلف — ولكن في رفعة معتدلة ووضع
هلاّ تدل على احترامه لشخصه وامتلاكه ناصية ذاته او ثقته بنفسه ؟ هلاّ تدل في وقت واحد على

صع في غير ذلة متعال في غير كبرياء ؟ وعلى انه في وقت واحد شديد في غير قسوةٍ . لين في غير
ع ؟) (١)

لا ريب انك تريدني أن اصف لك الرجل الآخر الذي يقف من هذا الذي وصفناه من قبل
الليل من النهار ، والحنظل من العُقار ، حسبك ان تقلب الوصف وتعكس الآيه فتظفر بما
وهل هو الاَّ رجل قانط متشائم ينتظر الضر حيث لا ضر ، ساخط متبرم بعيشهِ احلولى ذلك
أو مرّ ، لا تسره شمس تطلع ولا شمس تغيب ولا يبهجه شتاء ذو صرّ ولا صيف ذو لهيب .
به الغرفة كما يضيق به الفضاء ، ويقبضه نظره الى الارض أو نظره الى السماء . يريد دنيا غير
الدنيا . وأناساً غير هؤلاء الاناس . بل لعله يريد نفساً غير نفسه وحسًّا غير حسه ، هو حائر
يصور له عقله المقيد بقيود الوهم كل جميل في هذا الوجود قبيحاً . وكل شاد في الكون
ويشكو . (انظر اليهِ ترَ عينين كليلتين قد فقدتا مبدر من بعيد ما أعارهما الشباب من جدى
الات . تأملهما لا ترى فيهما بارقة أمل أو لمعة حرة . . . . . وشفتين متدليتين قد ضلتا
هما الى الابتسام يحسبانك ان مرَّ بك صاحبهما تحيه لا بهجة فيهما ولا روح . بضع كلم مصطلح
كله تصنع وكله فتور !! وقدماهُ ؟ ألا ترى انهما متوانيتان تسحب احداهما الاخرى كأنهما
حيان ميلاً الى المسير او لا تريدان أن تحملا ذلك العبء الثقيل ؟ . . . وذراعاهُ ؟ معلقتان
الجانبين في ضعف وجمود وأصابعه رخوة كاصابع المحتضر)(٢) انسان قد اهرم وهو شاب
يتوكأ على عكاز شيخ وحيان يخشى ان يرفع قدمه مخافة ان يصيبها الزلل يفر من الفيء ويخاف
لا شيء . بذر رياض السعادة الزاهرة الثامرة وراء ظهره ليخبط خبط عشواء في بيد من
لا اول لها ولا آخر ولا ثمار فيها ولا ازاهر ولا طير ولا نهر . ولا ديار ولا شيء الاَّ عراء
قاب الطرف وهو هكذا موغل فيهِ كالمنبت لا طوق لهُ على بلوغ نهايته ولا قدرة لهُ على
ان اراد . . . هذه حياة المتشائم من الناس سوداوي المزاج ، ولو ان السعادة سعت اليهِ في
حللها لشاح عنها بوجههِ ناسراً فان ابت الاَّ تعلقاً بهِ اقصاها عنهُ وفر من المكان الذي هي فيهِ
حيان من خصيم يتقيه

حقًّا أن الحياة لا تخلو من الالم . وهذا المعلم . لا يريد أن يعذبها وانما هو يريد أن يهذبها
الذي يولدهُ ، منها يسقي زهرتها كما تسقي الزرع قطرات الطل وماء المزن . والالم مرٌّ . ولكنهُ مرٌّ
والنفس التي ترفض الالم شبيهة بالمريض الذي يرفض الدواء الذي فيه شفاؤه حتى اذ أعضل
استحال البرء منهُ ابداً . انا حينما نخاف دائماً ان تزل بنا القدم لا نسير ولا نتقدم نبين كأنا
من صافر) وان نك اشجع من اسد ضارٍ وحينما نخاف السقاط لا ننبس ولا نتكلم نبين كأنا

(١) Elements of Success (Lily L. Allen)

(٢) يتصرف عن ([illegible]) في كتاب (Elements of Success)

(أعيا من باقل) وأن نك (أخطب من سحبان وائل) افهل مثل هذه السعادة الحرجة المحدقة بسيا
من التردد والخيفة سعادة انسان حي ام سعادة جلمود وجيفة ؟ او ليست هذه تعلة من ركن
الرذيلة ورضى (بحشف وسوء كيلة) ؟ انظر الى انفس ما في العالم وانظر الى اجمل ما في العالم ترَ
والجميل كلاهما حزين وترَ ان هذا الحزن نفسه يزيد النفيس نفاسة والجمال جمالاً . فالبحر المترقرق كا
بساط من لجين ترقص عليه الزوارق والسفين هذا البحر الذي يلوذ بهِ القنطون ليعصمهم
القنوط ويعيدهم الى مرفأ الامل هو الآخر يتألم ويتألم في صبر وصمت فاذا عيل صبره و
صمته ؛ تدمر وشكا فعجَّ موجه وطغت على الشطآن لجحه . والسماء الصافية الاديم يبوء كاهلها
تحمل ولكنها لا تستطيع ان تلقي به لانهُ قدِّر عليها ان تحمله امانة حتى آخر الدهر . هذه السماء
ولكنها لا تحب ان يشهد أحد ألمها لانها فخورة بما تحمل من كوكب ونجم فخر البطل بما يحمل
اوسمة المجد . فهي لهذا كثيراً ما تتشح بالضباب لتخفي حزنها على أن هذا الحزن قد
فيمزق ثوبها ويفضحها فتبكي على الرغم منها ديماً هواطل ! وهذه الدموع التي تترقرق
جميلة وهي تتساقط كالدر النثير وجميلة حينما تهبط على الارض الموات فتحيلها الى روض
والجبال الرواسي قد علا قمتها الثلج ألا تذكرنا برؤوسنا حين يعلوها المشيب ؟ وهذه لا
الدوارس هلاَّ تذكرنا بآمال حسان قد ذوت وحب شهي قد احفق ؟ اوليس في هذه الذكرى
ولكن هذا الالم محبب الى النفس لانهُ ألم نبيل يعيد الينا ذكريات جميلة ، نحب ان نحيا معها في
نوم او يقظة ! (وآيات الفن التي انتجتها القرائح البشرية الممتازة هلاَّ تفيض آمالاً واحزاناً
ودموعاً ، ففيدون لافلاطون ، وفايدر لراسين ، وهملت لشكسبير ، وفاوست لجيتي ، وا
موسيه ، هي خير ما اخرج للناس من آيات البيان القديم والحديث لانها تنساب الى قلوبنا وتتغ
في مشاعرنا حاملة احزاناً قد جلت عن الوصف واعتصمت من النفاد !!) (١)

(فهذا الالم ما اجملهُ وما اجلهُ ! تعساً لمن يعقهُ فيفعل به ما يفعلهُ الخطاب بالغصن يظله ! كم كان
للانسانية التي تسلقهُ بألسنة حداد ، وتنقم منهُ ، كما تنقم من اللُّجم الجياد ، ان تباركه وان
في تمجيده ، لو انها كانت تفكر فيما تدين بهِ له من يُدى سابغات ! ! انهُ عصى موسى التي
من الصخور الممحلة العارية ينابيع عذبة صافية ، يرتوي منها الصداة من البشر . لله دره من
حكيم ! يُثوِّب الجاني على ذلتهِ ، ويفيق الغافل من غفلته ، ويحيل الطفل الماجن الذي لا
بين التمرة والجمرة ، الى رجل مسؤول يقدر عبء التبعة ؛ والرجل المسؤول الى بطل عظيم
آمال أمة ؛ وتحيل البطل العظيم الى قديس كريم ، لا يحصر جهده في حدود وطنه ، بل يـ
الى كل بقعة درج عليها انسان يؤثر غيره عليهِ يشقى ليسعده ، ويحترق كالشمعة ليضيء له
بعد ضلال ، ويرعوي بعد تأثيم (٢)) . فأنت ترى ان المتفائل لا بدَّ له من ان يتألم ولا بدَّ له

لانهُ لا يمكن تصور الحياة خالية من الآلام ولا من الدموع . بل لعل المتفائل اكثر تألماً وادمعاً وفي الحق انهُ لكذلك لانهُ ادق حسًّا وأرق نفساً ولانهُ اكثر ارتباطاً بالناس وحبالهم منهم من المتشائم الذي اعتزلهم وما يحبون !

لكن هذا المتفائل سعيد مجدود لان هذه الآلام الكثيرة التي يتحملها وهذه الدموع الغزيرة انها لا تصرفهُ ، ولا يمكن ان تصرفهُ . عن حب الحياة ، لانها الثمن الذي به اشتراها والذي صحت الحياة غالية ثمينة ! ! وكيف يتسنى للعاشق الذي جاب من اجل معشوقته السهل والحزن والماء . والبادية والحضر واستعاض من اجلها عن الاقامة بالسفر وعن النوم بالسهر ان يرخص حبها بعد ان كلفهُ هذا الثمن الباهظ ؟ !

المتشائم وأغلب ظني ان المهُ قُتل ، ودمعهُ نزر ، فهو قلما يبكي لانهُ يستزري الحياة ويبخسها حقها يدعي انها لا تساوي دمعة — لانهُ ليس فيها متعة . وهذا الوجود الذي ليس فيهِ أثر من يستحق تجعيدة جبين ! ولكنه مع هذا بأس مرراً بل لعله ابأس خلق الله طرًّا ، ذلك لان قلبهُ صخر . ودمعهُ جامد ، وليس اشق على النفس من الالم الذي لا ينكلم . والدمع الذي لا ينهمر يعني انهُ لا يجد امامهُ غرضاً ساميًا يرمي اليهِ ويتعزى به ويعيش له ولا يجد امامهُ املاً يحيا بهِ من يأسهِ

المتشائم يحسب بالمتشائم لذائذ ومتع ولكنهُ لا يعرف كيف يتذوقها ولو قد تذوقها كما ينبغي لها ان كان لكان أسعد الثقلين . قد تسمعهُ يضحك ويسرف في الضحك ولكنه يضحك من الفم لا من القلب ضحكه ميكانيكي لا بهجة فيه ولا هناء ، كالسراب الكاذب والبرق الخلب ليس وراءهما ماء ولا ضياء سمع وبصر ، فالمجنون يضحك كما يضحك العاقل ، والثكلى تضحك كما تضحك العروس والسبع يبدو نابه اذ يغضب . وقل ايضاً : والسبع يبدو نابه اذ يضحك ! ! فالعبرة اذن بمصدر الضحك لا بمظهره . والعبرة ايضاً بجوهر الفعل لا بمظهره ، فكما تتفق المظاهر وتختلف الجواهر فكذلك تختلف المظاهر وتتباين المصادر . وخطأ نحكم على الناس من الوجوه او الثغور فما كل باكٍ مصاب ولا كل ضاحك مغتبط راض وليست دموع الباكين وضحكات الضاحكين الا خدعة تخدع بها عن نفسها التي لا تتغير ابداً . على انهُ بفرض ان ضحك المتشائم كان مبعثه السرور فهذا قليل وسروره انهُ مشوب فهو وقتي والسرور الوقتي ليس دليلاً على سعادة صاحبه (فان حطافة واحدة من الربيع لا هي ولا يوم صحو واحد فلا يمكن ان يقال ان سعادة يوم واحد بل ولا بعض يوم من السعادة يكفي لجعل الانسان سعيداً محظوظاً)[1]

هذا عالمنا وقد تعرضنا لشرح فلسفة التفاؤل والتشاؤم ان نعالج الاسباب التي جعلت هذا

---

(١) عن كتاب الاخلاق لارسطو ترجمة الاستاذ لطفي السيد بك

لانسان راضياً بقسمه ينعم حتى في ألمه ، وذاك ساخطاً على كثره يشقى حتى في نعيمه فنقول : —

لا مرية في ان نفوس الناس متباينة أشد ما يكون التباين حتى بين التوأمين ومع اللذين النفوس معادن منها النفيس ومنها الرخيص . والنفس الانسانية هي السبب الجوهري والرئيس توجيه الانسان وفي تكييف حياته واليها يرجع اكبر الفضل فيما يصاب من غنم ، وعليها تقع اكبر التبعة فيما يناله من غرم ! ! ولكل انسان — بملكه نفسه التي بين جنبيه — صفات متوارثها عن ابيه وجده ، وتجارب شتى اكتسبها بسعيه وجده ، ثم هو اما ان يقدر لهُ ان يسير في ضوء العلم ، كما يمشي الساري في ضوء البدر يرتشف من مناهل المعرفة شراباً سائغاً ، ويطعم من جنان الحكمة أكلاً جنيًّا ؛ فيكون لهُ تحت قبة الشمس مكاناً يُغبط ولا يُغمط ، او يقضي طرفاً من حياته في ليل من الجهل بهيم يسير تحت سماء حالكة ، وفوق سبل شائكة ، يجوب اودية الضلال وقد عدَّ بير الناس من سقط المتاع . وهذا الانسان بطبعهِ مدني لابدَّ له من جلاَّس صالحين او طالحين وخلاَّن اوفياء او غدَّار ، قد يسخط على بيئته ويمعن في السخط ولكنهُ ما يزال يؤثر فيها ويتأثر بها ، ولا يمكن لهُ ان ينفرد بنفسه بالمعنى المقصود من الكلمة ، وانما هو ينأى عن المعتديات ويحتمي فلا يغشاها وهو في كل عشية او ضحاها متصل بنفر من خلعائهِ — هم بلا ريب من صميم المجتمع الذي خال انهُ قد تخلص منهُ ابداً . هو بعيد عن حسم المجتمع ولكنهُ دائب الاتصال بروحه هو بعيد عن المصباح ولكنهُ يقرأ في ضوئه ، ينعم بشذا الزهور ولا يراها ، ويسمع هزيج الورق وهو بعيد عن اوكارها . والطبيعة التي تحدق بهِ أليس لها في نفسه اثر ؟ ! قد تكون ألفته سحر لحنان الزنبق والورد ، وكمروج العشب . وكالحداول ذات الخرير الهامس كحديث العذراء . وكالماء الفضي ينساب كالافعى بين الرمال الميناء ، او مناظر غليظة كمناظر الغابات ذات الاشجار العالية كالاعلام . او البحار العاجة الصاخبة كأنها مع الشطآن في حرب وخصام . وكالابنية تطاول السحب وكالمصانع ذات الدخان كأنهُ الضباب . . . ثم هو اما ان يكون في بسطة من الرزق تجعلهُ دائماً مأمن من العوز او فقيراً مملقاً لا يكاد يصيب قوت يومه الاَّ بشق النفس وذل الرقيق واما ان يكون متديناً يؤمن بقضاء الله وقدره او ملحداً ينسب كل شيء الى الطبيعة والى نفسه او متشككاً يمزج الايمان بالكفر مزجاً — فنفس الانسان التي حلت في هيكله وصفاته التي ورثها عند مولده وتجارب التي اكتسبها وثقافته التي حصل عليها ، وبيئته الاجتماعية والطبيعية التي احاطت بهِ . وديانته لذي اعتنقه ، وغناهُ الذي أعزه . أو فقره الذي أذلهُ ، كل هذه تدفع بهِ متساندة متضافرة وهو كالزورق الصغير بين لجات خضم الحياة الزاخر العاج الى مرفأ الامل والرجاء أو تهوي بهِ الى قرار اليأس والقنوط . . . ! !

العبقرية العلمية

وحداثة السن

ماذا يبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حدّ الاربعين

نامنة عشرة من عمره لما
ات الرقاص متساوية ثم
فسّر مباحثهُ في الثقل
في الاجسام الجامـدة .
ين من عمره لما اكتشف
ة . وقد قال أحد كبار العلماء

قبله أو بعده . وسنة ١٦٦٦ اي لما كان في الرابعة والعشرين من عمره بدأ يبحث في فعل الجاذبية بالقمر واعان حينئذٍ جانبا من ناموس الجاذبية العام الذي اتمهُ فيما بعد . ولم يوفق الى اثبات صحة هـذا الناموس حينئذٍ وتطبيقه على حركة القمر لأنهُ استعمل في حساباتهِ رقماً لقطر الارض ثبت بعدئذٍ انهُ خطأ ولولا ذلك لـكان أتم في الرابعة والعشرين من عمره أعظم عمل علمي عرفهُ التاريخ . ثم انصرف الى درس النور وصنع المرقب العـاكس قبلما بلغ السادسة والعشرين من عمره

وس
كثر
سفة
وتن
دخل
ن في
تعلم
وفة

> وزع المقتطف في الشهر الماضي هديته السنوية وهي كتاب «أساطين العلم الحديث» المشتمل على سير ثلاثين عالماً من أشهر أقطاب العلم في العصور الحـديثة فرأينا ان ننشر على ذكر صـدوره مآثر العلماء الذين اشتهروا في حداثتهم بمكتشفات خلدت ذكرهم في تاريخ العلم

وكتب هويجنس العالم الطبيعي الهولندي بحثاً في تربيع الدائرة والشكل الاهليلجي في الثانية والعشرين من عمره . واستنبط السـاعة ذات الرقاص في السادسـة والعشرين . وفي السنة نفسها تمكن من تعليل الفواصل في حلقات زحل فكان أول عالم تمكن من ذلك

في وقت قصير
المدركين أي في الثانية
وضـع قاعدة « تربيع
لجبر وبعيد تخرجهِ سنة
مام والتفاضل ففاق عمله
في الثالثة والعشرين
ن عمره عما أتى به

أما لبنتز الفيلسوف الالماني الذي يشارك

نيوتن في الفخر لانهُ اكتشف على حدة قواعد حساب التمام والتفاضل ، فتعلق على درس ا في صباه وكتب كثيراً من الرسائل الممتعة بين السادسة عشرة والعشرين من عمره . واشتهر بالتاريخ واللاهوت والفلسفة والسياسة والرياضيات وهندسة المناجم والاداب . وكان أكثر لقواعد حساب التمام والتفاضل في التاسعة والعشرين من عمره

وولد پسكال سنة ١٦٢١ وتعلم هندسة السطوح والاجسام في الثانية عشرة من عمره . بحثاً في « هندسة القطوع المخروطية » لما كان في السادسة عشرة منهُ ضمنهُ مبدأ لا يزال باسمهِ الى الآن

وقد انجبت اسرة برنوبي ثمانية نوابغ في العلوم الرياضية في القرنين السابع عشر والثامن واكثرهم نبغوا في حداثتهم فنقولا برنوبي كان يتكلم اربع لغات لما كان في الثامنة من بشهادة الدكتوراه العلمية من جامعة بال في السادسة عشرة وعين استاذاً للرياضيات في الحادية

أما دالمبر (١٧١٧ — ١٧٨٣) العالم والفيلسوف الفرنسي فكتب بحثاً يدل على والابتكار في حساب التمام والتفاضل لما كان في الثانية والعشرين . ولما كان في السادسة و بحث في « الديناميكا » بحثاً وصفهُ أحد العلماء بانهُ « فاتحة عصر جديد في الفلسفة الميكانيكية »

ونشر لابلاس أعظم علماء الفلك الفرنسيين بحثهُ في « حساب التمام والتفاضل » قبل العشرين واتبعهُ في السنوات الاربع التالية بمباحث مبتكرة في « قانون المرجحات » استدعت العلماء في اكادمية العلوم الفرنسوية

ونال العالم بول السويسري لقب استاذ في العلوم لما كان في السادسة عشرة وكتب رسالة نال بها احدى الجوائز التي تمنحها اكادمية العلوم الفرنسية وهو في سن وعيّن استاذاً للطبيعيات في بطرسبرج في الثالثة والعشرين واستاذاً للرياضيات في السادسة والعشرين

ولقّب لاغرانج العالم الرياضي الفرنسوي « اعظم عالم رياضي حيّ » وهو في الخامسة والعشرين

وقيل ان كارل فردرك غوس احد نوابغ العلوم الرياضية في العصور الحديثة (١٧٧٧ — ١٨ كان يستطيع ان يستخرج الجذور المكعبة في عقلهِ من غير كتابة لما كان في الثامنة من عمره ، و مباحث رياضية عميقة ومبتكرة قبل الرابعة والعشرين

***

هذا في الرياضيات واما في الكيمياء فكثير من المكتشفات الاساسية كشفها علماء في حد فجوزف بلاك اثبت ماهية اكسيد الكربون الثاني في السادسة والعشرين من عمره ولافو (١٧٤٣ — ١٧٩٤) [illegible]

... والعشرين من عمره جزاءً لهُ على رسالة كتبها وبحث فيها في افضل الوسائل لانارة مدينة ... وفي السادسة والعشرين من عمره نشر نتائج امتحانه الاول الذي اثبت فيه ان الاحتراق هو ... الحرقة بالاكسجين. واعان الكيماوي الفرنسوي غاي لوساك القانون المعروف باسمه وهو ... والعشرين ومؤدى هذا القانون ان الفراغ الذي يشغلهُ مقدار معين من الغاز على درجات ... من الحرارة يتناسب مع درجة حرارته اذا بقي الضغط واحداً . وكان السر همفري دايفي في ... من عمره لما اكتشف ما لاكسيد النتروجين الاول من العمل الفسيولوجي وعيّن استاداً ... الملكي بلندن في الثانية والعشرين . واستخرج الصوديوم والبوتاسيوم بطرق كهربائية لما ... السادسة والعشرين

... مراداي تلميذ مجلد كتب فلم يكن ينتظر ان تأتي مكتشفاته العلمية باكراً لانهُ لم يدخل في ... السر همفري دايفي الاَّ في الثالثة والعشرين من عمره وكان ما تلقاهُ من العلوم حينئذٍ نزراً ... ولكنهُ لم تنقض عليهِ سنتان او ثلاثة حتى بدأ يكتشف مكتشفات تضارع مكتشفات استاذهِ ... ل لبنغ الكيماوي الالماني المشهور رتبة الدكتوراه العلمية في التاسعة عشره من عمرهِ وعيّن ... جامعة غيسن في الحادية والعشرين منهُ فاسس فيها المعمل الكيماوي الاول الذي تعلّم ... مبادىء الكيمياء على الاصول الحديثة . وكان وهلر في السابعة والعشرين لما اكتشف ... الالومنيوم وفي الثامنة والعشرين لما ركّب اليوريا من مواد غير عضوية . وبحسب هذا ... مبدأ الكيمياء العضوية . وبدأ توماس غراهام في الرابعة والعشرين من عمرهِ مباحثهُ في ... الغازات التي ادّت الى كشف المبدأ المعروف باسمهِ . وعني برتلو الكيماوي الفرنسوي بمباحث ... العضوية في الثالثة والعشرين من عمرهِ فأمرَّ مقادير من الالكحول والحامض الخليك ... المواد البسيطة في انابيب محماة فركب منها بنزيناً وفينولاً ونفتالينا فكان عملهُ هذا وما ... الافوى في تنشيط المباحث المختلفة في الكيمياء العضوية . وولد بمصن سنة ١٨١١ ... الدكتوراه العلمية من جامعة غوتنجن سنة ١٨٣٠ اي لما كان في التاسعة عشرة من عمرهِ . ... توماس الكيماوي الفرنسوي في كيمياء الدم لما كان في الحادية والعشرين ففاق بحثهُ كل المباحث ... له في هذا الموضوع

... كان السر وليم پركن تلميذاً لهوفمن الكيماوي الالماني صنع اول صبغ صناعي من قطران ... الحجري فترك الدرس على هوفمن وخاض ميدان صناعة الاصباغ فتغلب على كثير من الصعوبات ... الصناعية قبلما احرز المقام الذي عُرف بهِ وهو « مؤسس صناعة الاصباغ من قطران الفحم ... وما يتفرع عنها » وكان ذلك قبلما بلغ سن العشرين . وكان پاستور في الخامسة والعشرين ... لما بحث في العلاقة بين الاشكال البلورية وفعل املاح الطرطير الضوئي، فأحرز بمباحثهِ هذه ... رفيعاً بين علماء عصره

وعلى هذا النمط نستطيع ذكر اسماء ڤانت هوف وله بل وارهينيوس ورتشردس وماي وغيرهم . ولايخفى ان السر وليم رمزي الكيماوي الانكليزي احرز شهرتهُ العلمية بعدما تقدم في فانهُ بدأ مباحثهُ في الغازات النادرة في الهواء حوالي سنة ١٨٩٢ فكشف غاز الارغون سنة وتاتهُ الغازات الاخرى وكان ذلك في الثانية والاربعين من عمرهِ . ولكن لرمزي مباحث كيمائية وطبيعية قام بها في الثلاثين من عمرهِ فانتخب عضواً في الجمعية الملكية لما كان في السادسة و

***

نلتفت الآن الى علماء الطبيعة فنبدأ بكارنو الفرنسوي الذي بدأ مباحثهُ في طبيعة ا لما كان في الثالثة والعشرين ونشر بحثهُ الذي عنوانهُ « الدورة » وهو في الثامنة والعشر بحثهُ هذا ركن علم « الثرموديناميكا » . ونشر جول الطبيعي الانكليزي نتيجة بحثهِ ا الحرارة بالطاقة الميكانيكية وهي المعروفة في كتب الطبيعيات « بعبارة جول » لما الرابعة والعشرين

وسنة ١٨٤٦ كان هلمهلتز الفيلسوف الالماني في السادسة والعشرين من عمرهِ فوض حفظ القوة او عدم تلاشيها وكان قد اشتهر قبلاً وهو في الحادية والعشرين من عمرهِ با الخلايا العصبية في العقد العصبية

وكتب لورد كلفن رسالة في الثامنة عشرة من عمرهِ ضمّنها خلاصة رأيهِ في عمر الا توسع في هذا الموضوع في كهولتهِ وشيخوختهِ . وكتب رسالة اخرى لما كان تلميذاً ، سير الحرارة في الاجسام الجامدة . وتخرج في جامعة كمبردج في الحادية والعشرين من عمره اهم مباحثهِ في علم الثرموديناميكا بين السنة الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين من عمرهِ

وولد العالم الطبيعي ينغ سنة ١٧٧٣ وهو من اشهر العلماء الذين بحثوا في النور فعلّل و العشرين من عمرهِ الاسلوب الذي تتكيف بهِ العين وفقاً لتغير قوة النور بالتغير الذي يطرأ على عد ولما كان في الحادية والعشرين من عمرهِ انتخب رفيقاً في الجمعية الملكية ولما كان في السابعة وال نشر كتابين ضمنهما هم مباحثهِ العلمية ذكر في احدهما القواعد الميكانيكية التي تجري عليها وبحثا في ماهية الداء الذي يصيب العين لخلل يصيب تحدب بلورتها Astigmatism وكيف تبصر الالوان وماهية العمى اللوني وغير ذلك مما يتعلق بالنور والعين . والثاني في النور بيّن فيه على صحة مذهب التموج . ولما كان عمرهُ ١٥ سنة كان يلمّ باللغة اللاتينية واليونانية والعبرية والفر والايطالية والفارسية والعربية وفي اواخر ايامهِ اشتهر بين كبار علماء الآثار

اما فوكول وفيزو وميكلصن وكلهم من العلماء الذين عنوا بقياس سرعة النور ففعلو قبل بلوغهم سن الثلاثين

والظاهر الذي لا غرو فيه مكسو [illegible]

ة قبلما بلغ الخامسة عشرة وكان موضوعها « وصف المنحنيات البيضوية » وكتب رسالتين س في موضوعات رياضية عويصة قبلما بلغ الثامنة عشرة وبدأ مباحثهُ المشهورة في ماهية طيسية والكهربائية لما كان في الخامسة والعشرين ونال جائزة ادمز من جامعة كمبردج على رسالة حلقات رحل » لما كان في السادسة والعشرين

وكشفت مدام كوري الراديوم والپولونيوم في الثلاثين من عمرها فكان اكتشافها اساساً للمباحث يده في الاشعاع. والظاهر ان كثيراً من مباحث سُدي ورذرفرد وهما من اكبر علماء الطبيعيات صرين قاما بها في التاسعة والعشرين من عمرهما

وكشف موزلي مكتشفات عويصة كبيرة الشأن في الطبيعيات الحديثة لما كان في السادسة شرين وقتل في غليبولي في السنة التالية فكان موتهُ من فواجع الحرب العامة . ونشر اينشتين ء الاول من مذهبهِ في النسبية وهو في السادسة والعشرين وهو الآن يناهز الثالثة والخمسين

***

وإذا التفتنا الى علماء الحياة والتاريخ الطبيعي وجدنا ان لينيوس (١٧٠٧ — ١٧٧٨) الذي ء علم النبات » اظهر كثيراً من النشاط والمقدرة في زرع النباتات وجمعها وملاحظة طرق ا قبلما بلغ العاشرة من عمره . واسترعت النباتات كما انتباههِ فاهمل دروسهُ حتى قنط ابوهُ عداده للدخول احدى الجامعات وعزم ان يُنظمهُ في سلك التجارة والصناعة ولكن احد ء عرفهُ وادرك نبوغهُ فساعدهُ في اظهار مواهبهِ . وكذلك تمكن لينيوس وهو في الثانية شرين ان يكتب كتابات مبتكرة في « اجناس النباتات » من حيث هي ذكور او اناث وفي ، والعشرين نشر كتابهُ المشهور بـ « نظام الطبيعة » واتبعهُ بكتب اخرى قبل سن الثلاثين ، كان جهري سات هلار في الحادية والعشرين من عمره لما عيّن استاذاً لعلم الحيوانات الفقرية حف باريس . واشتهر بيوغ كوفيه مؤسس علم التشريح المقابل في الخامسة والعشرين من عمره عضواً اصيلاً في المعهد الفرنسوي حين تأليفه سنة ١٧٩٥ ونشر تبويبه لانواع الحيوانات سة والعشرين من عمره

اما اسكندر فون همبولت (١٧٦٩ — ١٨٥٩) فنشر مباحثه الجولوجية الاولى في سن العشرين ، راقباً لمصلحة المعادن لما كان في الثانية والعشرين على اثر كتابته رسالتين في اشكال النباتات ة آثارها في الفحم الحجري. وله مباحث مبتكرة في الكيمياء والطبيعيات والجولوجية انشأها قبل سن الثلاثين

وولد الاستاذ هكسلي اكبر انصار دارون سنة ١٨٢٥ وتخرج من جامعة لندن حائزاً على المدالية سية في الحادية والعشرين من عمره ، ونشر بحثه الذي عنوانه « بحث في تشريح المدوزا » قبلما خامسة والعشرين فأحله في المقام الاول بين علماء الحياة ويحسب اساساً لفلسفة علم الحيوان

لحديث .. وانتخب رفيقاً في الجمعية الملكية وهو في السادسة والعشرين ومنح مداليتها في السنة التالية

وولد السر تشارلس ليَل العالم الجيولوجي الانكليزي سنة ١٧٩٧ وانتظم في سلك المحاماة في السادسة والعشرين الاَّ انهُ تعلق على علم الجيولوجيا فبحث فيها مباحث ممتعة فاعترف بقيمة مباحثه كل من كوفيه وهلمهلتز وغيرهما وانتخب رفيقاً في الجمعية الملكية وهو في التاسعة والعشرين . ونشر كتابه المشهور في مبادىء الجولوجية وهو في الثالثة والثلاثين ومقامه في علم الجولوجية مثل مقام كتاب دارون « اصل الانواع » في علم الحياة

وكتب جوهانس مولر رسالة عنوانها « تنفس الجنين » وهو في سن العشرين وكتب كتابه المسهب في الباثولوجيا العامة وهو في الثامنة والعشرين

واكتشف تيودور شوان الفسيولوجي الالماني مادة البيسين وهي من المواد التي في العصارة المعدية لما كان في الخامسة والعشرين وشرح رأيهُ في « تركيب الجسم الحلوي » في التاسعة والعشرين

ونشر دارون كتابه اصل الانواع وهو في الخمسين من عمره على ان خاطر الانتخاب خطر له وهو سائح في سفينة البيغل وكان في السادسة والعشرين من عمره

***

اما المستنبطون والمخترعون فالبد مقتضباً عنهم :

بدأ وط بحثه في الآلة البخارية في الرابعة والعش عمره واتمها في والعشرين . وسجل آلتهُ لحلج القطن والعشرين من عمر

واستنبط « هـ الخياطة في السادسة و

واستنبط اديسن لارسال رسائل ك

سلك تلغرافي واحد في السادسة والعش عمره والفونغراف في التاسعة والع وسجل بل تلفونه في التاسعة والع وبرش محركه الكهربائي في السادسة والع ونوره القوسي في السابعة والعشرين و وستنغهوس فرملتهُ الهوائية التي تستع القطارات في الثانية والعشرين من

واستنبط هول طريقة كهربائية لاستخراج الالومنيوم من معدنه و الثالثة والعشرين

نحن والطبيعة

الطبيعة ! تكتنفنا وتحتضنا فنعجز عن الانفصال عنها ، ونعجز كذلك عن النفوذ الى ما ورائها . انها ابداً مشغوله بابتداع اشكال جديدة . فما هو كائن الآن لم يعهد من قبل . وما عهد من قبل لن يعود . كل شيء جديد ، ومع ذلك فليس في طياته الا القديم (غوته)

تقدم المباحث الطبية في

الغدد والفيتامين

وغيرهما من شؤون الصحة والعلاج [1]

[نقلها عوض حمدي]

... انفكت الغدد مدار اهتمام الاطباء خلال السنين العشر الماضية ، اذ ثبت انها بمثابة سلسلة ... مفرغة يؤثر بعضها في بعض . ومن الاعمال الباهرة التي تمت فيها . استخراج مادة ... كورتين Cortin وذلك من غلاف الغدة الكلوية (ادرينال) . ويستعمل الكورتين في الاصابات المستعصيه من مرض البول السكري البرنزي أو مرض أديسون Addison's disease ... الاصابة به تفضي الى الموت الزؤام . ولعلّ أهم ما تم في السنين الاخيرة في الغدد . ثبوت ... وجدار المعدة . يحويان مادة حيوية . لتكوين خلايا الدم الحمر . وان استعمال تلك ... المصابين بالانيميا الخبيثة القتالة ، من استرداد صحتهم

... ما تبينهُ العلماء في السنة الماضية . ان الجسم لا يولد الهرمونات وحدها . بل ... ايضاً . وبعبارة اخرى انهُ حينما تفرط الغدد في الجسم ، في اطلاق عناصرها المختلفة ، تأخذ ... والنسج . المنوط بها مقاومة تلك المفرزات ، في توليد مواد مضادة لها . تحدد فعل ... ، وتحدث التوازن في الجسد على الدوام . وتؤكد تلك المشاهدات ، القاعدة الأساسية ، ... الجسد البشري آلة تنظم نفسها بنفسها وانهُ في احواله الطبيعية يستحيل حدوث حموضة فيه ... حاجته ، ولا وجود سمنة مفرطة . ولا نحافة شاذة ولا ضخامة خارقة ولا نقاد [2] . اما اذا ... الجسد لأحوال غير عادية إما من مرض واما من فشل الاعضاء أو عجز أي عضو حيوي ... عمله بطل توازن الجسد وحلت فيه حالة غريبة . ويلي المكتشفات الخطيرة الخاصة بالغدد ... الشان ، تقدم المباحث الخاصة بالتغذية . فقد كنا بالامس الغابر ، نعدُّ الغذاء بمثابة وقود ... حركة الجسد ، فأصبحنا موقنين ان للغذاء مهمة اخرى وهي احتواؤه على انواع الفيتامين ... للنمو ودرء السقم . وتبين من تلك المباحث ايضاً مبلغ منافع المواد المعدنية للصحة

... انواع الفيتامين المعروفة حتى اليوم خمسة وهي المرموز لها بالاحرف الافرنكية A.B.C.D.& E.

---

(1) ... الدكتور موريس فيشبين رئيس تحرير هيجيا ومجلة الجمعية الطبية الامركية . نقلا عن مجلة الميكانيكا العامة

(2) Cretinism — النقد — و cretin النقد بالكسر القليل الجسم ، البطيء الشباب — اي الذي لا يشب ... في الفيروزابادي . واذ انه ذكر ولم يذكر مصدره ولا فعله فنرجع الى القياس فنقول نقاد بضم النون وزن ... لانه دل على داء وهو أفضل من مقرقر

فالنوع الاول A — أ — ضروري لصون سلامة النسج ومقاومة الجسد للمرض بوجه عا
حرم الجسم منه ، تعرضت العينان للاصابة بمرض السلاق zerophthalmia[1] واذا نقص مقد
الفيتامين عما يحتاج اليهِ المرء . نجم عنهُ اعتلال الاغشية المخاطية ، ولا سيما في منطقة الـ
وقد يكون ذلك النقص مقروناً بالموازل العادية ونحوها من الادواء الخاصة بجهاز الت
ويصحبه ايضاً ظهور بعض الامراض الجلدية . واذا حرم امرؤٌ من فيتامين B اي النو
صار عرضة لمرض البرص الايطالي (البلاغرا) اولداء البريبري[2] وربما تصحبه اضطرابات في المنطقة
والمعدية ، وفقد القابلية للطعام . واذا حرم الجسد من فيتامين C اي النوع الثالث ، ظ
الاسقربوط . واذا عدم الجسم فيتامين D اي النوع الرابع ، تعرَّض للكساح

ومن احدث المستنبطات الخطيرة في السنين الاخيرة ، استخلاص انواع الفيتامين ، نقية
اعلن استخلاص فيتامين A في سنة ١٩٣٤ الماضية . وكذلك استخراج فيتامين A اي
الاول الذي يسمى كاروتين Carotene بعد ان تبين ان المادة الملونة في الجزر الاصفر تعدُّ من
المواد المعروفة ، احتواء على ذلك الفيتامين . وقد ثبت في الوقت نفسه ان كبد القرش
هو اكثر اكباد السمك احتواء على فيتامين النوع الاول اي A[3] . فاذا مزجناه بزيـ
القد ، صار المزيج ادسم مادة طبيعية تحوي فيتامين A و D اي الاول والرابع — لان زيـ
القد ادسم مادة طبيعية تحتوى على فيتامين D . وقد تجلى لنا ايضاً ان الاشعة التي فوق البنـ
في الشمس ، تؤثر في الجلد البشري فتولد فيه فيتامين النوع الرابع اي D وذلك من مادة يحتويها
فأصبح الانتفاع بالاشعة التي فوق البنفسجية مشهوراً ونشأ عنهُ اختراع المصادر الصناعية لهذا

وعقب تلك التحقيقات ، تبين للباحثين ان انواعاً شتى من الاغذية يمكن تعريضها للاشـ
فوق البنفسجية لتكتسب منها فيتامين النوع الرابع اي D . وصار ميسوراً توليد ذلك الفيتا
الحليب والخبز . ولما كان الكساح داءً يصيب الاطفال والاحداث في الغالب ، واللبن يحوي ف
النوع الرابع أي D فتناول اللبن من افضل الوسائل لأعطاء ذلك الاطفال الفيتامين الذي يحـ
اليهِ . ولم يظهر الكساح بين الناس الاَّ عند شيوع استعمال زجاج النوافذ المعتاد ، لانهُ يحوا
دخول الاشعة التي فوق البنفسجية في البيوت . وكذلك المصباح الكهربائي الدريُّ (المتو
لا يولد تلك الاشعة . بيد اننا اذا استطعنا الاستعاضة منهُ بنوع آخر جديد من المصابيـ
نتمكن من اضاءة بيوتنا ومدارسنا بضوءٍ يحتوي على مقدار من الاشعة التي فوق البنـ
فتؤثر تأثيراً حسناً في الكساح

والكساح كما لا يخفى على القراء ، داءٌ يصيب العظام الطويلة فيمنع نموها كما يجب ، و

---

(١) السلاق — غلظ الاجفان في تحمر وتقرح (٢) البريبري نوع من الاستسقاء العام — مصحو
دموي وتنمل أو شلل في الاطراف السفلى وهو مرض معد يظهر بشكل حاد أو مزمن في الهند واليابان وسيلا
يزال سببه مجهولا ويحتمل ان يكون ميكروبيا ولسوء الغذاء شأن فيه ايضاً (٣) انظر ما كتبته في مقتطفـ

في الاسنان والعظام الاخرى . وفيتامين النوع الرابع اي (د) يتحكم في تمثيل الكلس والفصفور في البشري ، ومن ثم كانت علاقته شديدة بكثير من الامراض التشنجيه والكساح

وقد اثبت العلامة باستير حوالي سنة ١٨٩٠ أن الجراثيم مصدر الامراض . فتقررت بذلك كثير من الامراض المعدية وثبتت طرق نقلها وعرفت وسائل الوقاية منها . وأصحت الحمى والطاعون والكوليرا والجدري ، نادرة في كل وسط متحضر . واما ان التغلب على الدفتيريا والسفوئيدية والحمى القرمزية

وبعد ذلك لما تعرف اسباب الحصبة وشلل الاطفال ومرض النوم الامريكي Encephalite الوبائي والغدة الكفية والحماق[1] معرفة يقينية . غير ان المباحث التي تمت في السنين الاخيرة ، قد اسفرت عن ظهور في كبح جماح تلك الامراض . وكذلك تمكن الباحثون من اختراع وسائل جديدة لتعليم التدرن . ثم بذلوا عناية خاصة في تطعيم الاطفال بجراثيم تدرن حية أزيل ضررها بوسائل الكيماوية . وقد اخترعت كواشف حلدية تبين عاجلا . هل الطفل قابل للعدوى وقد اصاب به فعلاً . ثم تحسنت أجهزة أشعة رنتجن باستعمال نوع جديد من فيلم ورقي لكي يتمكن فريق كبير من الاطفال بتلك الاشعة بنفقات وجيزة جداً فيتسنى الوقوف على احوال واتخاذ الوسائل الصالحة مبكراً لوقايتها من ذلك الداء العضال

واذا حثنا اسباب الوفيات ، تبين لنا ان كثيراً من اشد الاخطار التي تتعرض لها حياة الناس قد نجمت عن ادخال المواد الكيميائية الجديدة في الصناعة والبيوت ، ومن اختراع الآلات الحديثة ومنها السيارات . والاسباب الستة الرئيسية للوفيات هي امراض القلب والكلى والالتهاب الرئوي والسرطان وتصلب الشرايين وارتفاع ضغط الدم والبول السكري . ولم تكن السيارات قبل سنة معدودة من اسباب الوفيات اما الآن فان حوادثها تأتي في المقام العاشر في قائمة اسباب الوفيات

والمواد الكيميائية المضرة بالصحة المشار اليها قبلاً ، هي غاز اول اوكسيد الكربون والبنزين ومشتقات الانيلين المختلفة الانواع ، والرصاص والزرنيخ ، وقد وجّهت عناية عظيمة في الاخيرة نحو المادة الكيميائية المحتوية على حلقة البنزين — وهي المؤلفة من ستة جزيئات ذرية اذا دخلت جسد انسان حساس قللت بغتة عدد خلايا دمه البيض ، وهي الخلايا التي تحارب الجراثيم ، ومن العقاقير التي تحتوي على دائرة البنزين ، البيراميدون Pyramidon وهو لدواء لتخفيف الآلام ، ويدخل ايضاً في تركيب الادوية المنومة ، والعقار المسمى دينيتروفينول Dinitrophenol الذي يوصف لتخفيف السمنة

وداء تفاقم الوفيات الناجمة عن اول اوكسيد الكربون والتسمم الزئبقي ، قد انفقت جماعة من الباحثين والاطباء على بحثها لكي تكافحها . فاخترعوا وسائل جديدة لعلاج ذلك التسمم ينتظر نجعها

[1] الحماق — جدري الدجاج

وظهرت فائدة جليلة من استعمال ازرق المثيلين Methylene كترياق قاطع لسم اول اوكسيد الكر ولسم السيانور كذلك . وقد تقدمت ايضاً الوسائل التي استعملت لعلاج شلل الاطفال ، فقد الطبيبان موريس برودي Maurice Brodie في نيويورك وچون . كولمر Dr. A. Kolmer فيلادلفيا ، لقاحاً استخرجاه بتقع الحبال الشوكية للقرد المصابة بذلك الداء ، ثم ازالا الـ ذلك الحبل الشوكي باستعمال المواد المطهرة . وينتظر ان ينتفع الاطفال بذلك اللقاح كوسيلة وكعلاج للادوار الاولى من ذلك المرض . ولم ينقطع البحث والتحقيق في مرض السرطان في جميع انحا ولاسيما في الخلايا السرطانية وطبيعتها فأسفرت عن كون خلايا السرطان تدخر السكر كمصدر

واخترع المهندسون الكهربائيون اجهزة لاشعة ونتجن اقوى بكثير مما سبق ان اخت وهي نافعة جداً لعلاج السرطان وانجع للوصول الى اصابات السرطان الغائرة من جميع ا المعروفه . وانتشر استعمال الراديوم بمثابة مقذوفات قوية تقصر زمن العلاج وتكفل فلاحه

وكان اختراع المخدرات الجديدة ، والاجهزة الحديثة التي تقطع اللحم بالكهربائية . وتقف الدم ، وكذلك اختراع المطهرات الجديدة التي تمنع انتقال العدوى ، بمثابة معجزات في عالم الجر فغدا الجراحون يكادون يستطيعون الوصول الى كل عضو من اعضاء الجسد . فنشأ عن ذلك الجراحين في كثير من الاصابات من نزع النصف الامامي للمخ فأنقذوا المصابين بسرطان الـ كما استطاعوا في عدة حوادث استئصال احدى الرئتين وابقاء اختها ، محافظة على حياة المريض القلب معدوداً من الاعضاء البعيدة المنال على الجراحين ، فأضحى في مقدور الكثيرين منهم العمليات الجراحية فيه وحياطته ، وبتر بعض تاموره [1] ونحوها من العمليات

ولا غرو فان الآلات الجديدة ، والاجهزة الحديثة المنوعة التي اخترعت في هذا العصر . الاطباء مساعدات باهرة في ذلك الميدان ، وتعد دعامة من دعائم تقدم الطب الحديث

وابتدعت آلات تساعد على التخدير ، فتريح المريض ، وتكفل سلامته . واستحدثت ترفع درجة حرارة الانسان رفعاً صناعياً لعلاج الامراض المعدية وبعض حالات المخ . وقد اس جميع الوسائل التي تمد الجسد البشري بالحرارة اللازمة لعلاج الادواء الروماتيزمية

واخترعت ايضاً رئات صناعية يستعاض بها عن الرئات الطبيعية ، حينما تصاب هذه كما يحدث للاطفال ، وحينما يتسمم امرؤ بأول اكسيد الكربون ونحوه . واخترع جهاز نا اعضاء الجسد بضغط جوي متعاقب يساعد في حالة التهاب الانابيب الدموية في الساقين

واخترعت مخترعات صغيرة لا تحصى ، تساعد على درس الطوارىء التي تطرأ على الجسد ا وتسمع خفقان القلب ، واختلاج الرئتين وتقيس وظائف اعضاء الجسم المختلفة ، وهذه كلها تقدم الطب ونجاح الاطباء

---

(١) التا

سير الزمان

دستور السوفيت الاشتراكي

للاستاذ وليم بنت مورو

حول المشكلة الايطالية الحبشية

المستعمرات والموارد الطبيعية

نظام العقوبات

القتال والموقف الدولي

الدستور السوفياتي الاشتراكي [1]

للاستاذ وليم بفت مكرو [2]

— ٢ —

في صيف سنة ١٩١٨ أقرّ مؤتمر السوفيت — الذي اصبح فيما بعد يدعى مؤتمر جميع الروس — ما أعدّ له زعماء البلاشفة وهو لا يزال الى الآن دستور اتحاد جمهوريات روسيا الاشتراكية السوفياتية) وفي الوقت نفسه منحت الاقاليم التي كانت قبل الثورة مستعمرات للتاج القيصري استقلالها وأقامت لها جمهوريات سوفياتية منفردة اتحدت بعضها ببعض وفي سنة ١٩٢٢ عقد بين جميعها اتحاد عام. وكانت نتيجة هذه المعاهدة نشوء (الاتحاد السوفياتي) أو (اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية) (Union of Socialist Soviet Republics, U. S. S. R.) يشمله دستور اتحادي واحد تشمله جميع الجمهوريات الداخلة في الاتحاد سنة ١٩٢٣ . ويشمل هذا الاتحاد السوفياتي العام جمهوريات اتحادية رئيسية وهي : —

١ — اتحاد الجمهوريات الروسية الاشتراكية السوفياتية — Russian Socialist Federated Soviet Republics, R. S. F. وهي روسيا وسيبيريا الاصلية ولكل جمهورية داخلة فيها عاصمة ادارية أهمها موسكو وهي عاصمة الاتحاد العام ايضاً

٢ — جمهورية روسيا البيضاء الاشتراكية السوفياتية White Russian S. S. R. وعاصمتها منسك

٣ — جمهورية اوقرانيا الاشتراكية السوفياتية — Ukranian S. S. R. وعاصمتها خاركوف

٤ — اتحاد جمهوريات قفقاسيا الاشتراكية السوفياتية — Transcaucasian Socialist Federated Soviet Rep. وهي عدة جمهوريات لكل منها عاصمة ادارية أهمها تفليس عاصمة جمهورية جورجيا وعاصمة الاتحاد القفقاسي ايضاً

٥ — جمهورية تركمانستان الاشتراكية السوفياتية — Turkmenistan S. S. R. في أواسط آسيا وعاصمتها عشقباد

٦ — جمهورية ازبكستان الاشتراكية السوفياتية — Usbek S. S. R. في اواسط آسيا وعاصمتها طاشقند

٧ — جمهورية تاجستان الاشتراكية السوفياتية — Tadzhikistan S. S. R. في أواسط آسيا ايضاً وعاصمتها ستالين آباد

---

(١) Socialist Soviet Constitution (٢) استاذ التاريخ والحكومات في معهد جامعة كالفورنيا الفني باميركا وهذا الفصل المتمم كامل قزانجي مدرس الاجتماع والتاريخ بمدرسة النجف الثانوية في العراق. راجع مقتطف الماضي صفحة ٢١٩

وفي كل من هذه الجمهوريات السبع الرئيسية جمهوريات او اقطار ومناطق تتمتع باستقلال داخلي في شؤونها القومية حسبما تقتضيه التقسيمات الادارية والفروق الجنسية اللغوية . ومع ذلك فكل جمهورية عاصمتها الداخلية الاَّ أن جميعها تبعث بممثليها الى حكومة الاتحاد العام في موسكو

وقد انفصلت عن امبراطورية آل رومانوف عدة أقطار كانت قبلاً مستعمرات لروسيا وهي الآن دول مستقلة وهي فنلندة ولتوانيا واستونيا ولاتفيا وألحقت بسَّارابيا برومانيا بعد بولندة الروسية الى بولندة الاصلية

يعلن دستور سنة ١٩١٨ في فاتحته ان روسيا «جمهورية سوفيت مندوبي العمال الفلاحين والجند وهي تقوم على اساس «اتحاد حر لأمم حرة» . ثم يعقب اعلان حقوق «الجموع العاملة المستغلة» — وليس حقوق جميع أفراد الشعب لان ليس (للشعب) معنى اقتصادي سياسي واحد بل معنى طبقي — وفي هـذا القسم من وثيقة الدستور يؤكد عمل السلطات الثورية ويوافق عليه بألغاء التملك الفردي ومصادرة جميع وسائل الانتاج من قبل الدولة وجعلها ملكاً للجماعة لمنافعه العامة . وهكذا اعلن ان جميع الاراضي والمناجم والمعامل وجميع وسائل الانتاج والمرور والمواصلات ملك عام لمجتمع تشرف الدولة على استغلالها وادارتها واعطتها للعمال من دون مقابل ان لا يكون لاحدهم فيها الاَّ حق الاستعمال والاستغلال بحسب مشروعات السوفيت أو السلطات المحلية وسلطات الاتحاد العام . وكذلك أعلنت الحكومة الغاء جميع ديون الحكومة السابقة للحكومات أو الشركات الرأسمالية فكان ذلك ضربة شديدة على الحكومات الدائنة والهيئات المالية الدولية

يمنح الدستور السوفياتي جميع الحقوق المدنية ومنها حق الانتخاب لجميع المقيمين في اقطار الاتحاد السوفياتي البالغين سن الثامنة عشرة فما فوق من دون أي تفريق في الجنس أو الدين او العرق ومن دون أي قيد خاصّ بالاقامة على شرط (وهنا يؤكد الدستور) ان يكون المصوّت أو المنتخب «ممن يقتنون عيشهم بعمل منتج ولا يستخدمون غيرهم بقصد الاستغلال والربح الشخصي» وتنص مواد الدستور على ان الجنود والبحارة هم من الذين يحصلون على عيشهم بعمل منتج لذلك هم يتمتعون بحق التصويت كغيرهم . لكنه يصرح بحرمان الطبقات الآتية من حق التصويت واشغال المناصب والتمتع بالحقوق المدنية وهي : —

١ — كل من يستخدم الآخرين لغاية الاستغلال والربح الشخصي وجمع الثروة (ولا يعتبر هذا استخدام الخدم في البيوت على ان لا يتجاوز عددهم حدًّا صغيراً معيناً)

٢ — كل من يعيش على دخل لا يُجبى من اتعابه الخاصة (كالربا والايجار والارباح الغير المكتسبة) وكل من يتعاطى هذه الاعمال بأي صورة كانت

٣ — التجار الوسطيين والوكلاء وغيرهم من اصحاب الاعمال النفعية الفردية التطفلية الغير الانتاجية

٤ — رجال الاديان على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم (وعلى الاخص اذا كانوا يعيشون بفضل
عملهم الديني لا من حرفة او عمل منتج معين)
د — الاشخاص الذين كانت لهم اعمال او صلة بمعمل دوائر الحكومة القيصرية
ه — كل معتوه او فيه خلل عقلي او من يرتكب جريمة مأجورة او مخلة بالشرف
وكذلك ينص الدستور على منح الحقوق المدنية وحق التصويت للاجانب الذين يقيمون في بلاد
السوفياتي إن كانوا يقومون بعمل منتج ويعتبرون مواطنين سوفياتيين من دون شرط
رسميه اذا كانوا يعيشون على اتعابهم الخاصة في عمل منتج ويحافظون على قوانين والنظمة
العام والسلطات المحلية . ومع ان عمر المصوتين محدد عند سن الـ ١٨ سنة إلاَّ ان في الامكان
تأليف من اي سوفيت محلي بعد موافقة السلطات المركزية
والذي يجدر بنا ملاحظته ان هذه الحدود لا تمنح التصويت العام لانها تحرم جميع الاشخاص
الذين فيهم الملاحين والجنود ومعنى هذا ان نظام التصويت هذا يحرم كل من تبقى من
حوادث الروسية وبقايا الاقطاعيين بما فيهم من جميع صحاب الدكاكين الفردية والتجار الفرديين
من يستخدم شخصاً واحداً على الاقل لغاية الربح الشخصي وحتى الفلاح الذي يؤجر فلاحاً
لعمله الفردي يحرم من حق التصويت . وهكذا نرى ان الدستور السوفياتي يرمي الى تأسيس
طبقة الاقتصاديه أولاً التي عليها وبواسطتها يمكن ان تنجح الدمقراطية السياسية والاجتماعية
ولهذا يبدأ بتوطيد الدمقراطية بين الطبقات العاملة بينما يعلن دكتاتورية العمال على الطبقات
الرأسمالية والبورجوازية القديمة . اي ان الطبقات العاملة تتمتع بالدمقراطيه وتفرض دكتاتوريتها
على الطبقات المستغِلَّة القديمة لكي تتمكن من ادماجها في الطبقات العاملة إن عاجلاً وان آجلاً . وفي
هذا بدء منطقي للبلاشفة لان نظرية الحكومة الطبقية في نظر الشيوعية تتلخص باعتبار
الطبقات الغير العاملة مستغلة متطفلة تعيش على الطبقات العاملة لذلك يتحتم على الطبقات العاملة
أن في آخر الطبقات في التدرج التاريخي ان لا تتساهل مع الطبقات السابقة لها في الحكم وان
تحرمها على البقاء متطفلة بمنحها الامتيازات السياسية وبذلك تقضي على نظام الطبقات بجعلها
كلها طبقة واحدة عاملة مالكة تنتج الثروة عامة وتستهلكها عامة
هذا الشكل الذي وضعهُ دستور سنة ١٩١٨ للحكومة السوفياتية كثير التعقد وقد وضع بهذا
التعقد تعمداً لان الزعماء الشيوعيين رأوا ان الذي يحاول ان ينتزع الحكم من الطبقات
يجب عليهِ ان يجعل شكل الحكومة صعب المهاجمة لكيلا يتعرض لتلاعب اعداء النظام الجديد به .
وقد احتفظ بالهيكل الحكومي الذي وضع سنة ١٩١٨ في معاهدة الاتحاد سنة ١٩٢٢ التي جعلت
من امبراطورية روسيا اتحاد جمهوريات سوفياتية اشتراكية
وان اعلى مؤسسة تشريعية في الاتحاد السوفياتي هي : — (مؤتمر سوفيت الاتحاد

الاعلى All-Union Congress of Soviet) ويتكوّن من مندوبي سوفيت المدن بمعدل مندوب عن كل ٢٥ الف عامل صناعي . اما الاقاليم الريفية فقد كانت تمثل بمعدل مندوب واحد عن كل الف ساكن في الريف قبل التعديل الدستوري الذي أجري في اوائل يناير سنة ١٩٣٥ على اساس التمثيل الغير المباشر والتصويت العلني ، اما بعد التعديل الاخير فقد وضع الريف على المساواة مع المدينة بان يمثّل بمندوب واحد عن كل ٢٥ الف صوت حتى الفلاحين ايضاً والتمثيل الغير المباشر وحل مكانه التمثيل المباشر والتصويت السري مكان العلني ويجتمع المؤتمر بانتظام مرة واحدة في كل سنة . وفي المدة التي لا يكون المؤتمر منعقداً تضطلع بالسلطة التشريعية العليا (لجنة الاتحاد التنفيذية المركزية العليا — Central Executive Committee, Tsik) التي ينتخبها المؤتمر في كل سنة وهي تجتمع مدة اسبوعين كل ٣ اشهر . وهذه اللجنة هي التي تشمل على ما يقارب ٤٠٠ عضو وتنقسم الى مجلسين : ١ — (سوفيت الاتحاد Soviet of the Union) وهو يمثل كلاً من الجمهوريات السبع الرئيسية وما فيها من المناطق والاقاليم الذاتية على اساس سكان كل جمهورية على حدة . ٢ — (سوفيت القوميات — Soviet of Nationalities) جميع القوميات والاجناس الداخلة في الاتحاد على اساس المساواة بين جميعها وعددها ٢٠٠ قومية . وللجنة التنفيذية هيئة (رآسة — Presidium) او لجنة مسيرة مكونة من عضواً ينتخبون من قبل اعضاء اللجنة التنفيذية وعلى هذه الهيئة تقع إدارة كثير من الشؤون اليومية وكذلك تعتبر السلطة التشريعية العليا وعليها ان تراقب مجلس القوميساريين عندما تكون اللجنة التنفيذية المركزية العليا مجتمعة

وتنحصر السلطة التنفيذية بالوزارة او (مجلس قوميساري الاتحاد الاعلى Council of Commissars) وهو هيئة مكوّنة من ١٥ قوميساراً تنتخبهم اللجنة التنفيذية المركزية ويكونون مسؤولين نحوها ونحو مؤتمر سوفيت الاتحاد ونحو مجلس الرآسة ايضاً . ومن القوميساريين واحد رئيس و٤ نواب رئيس بالترتيب . ويقوم كل من القوميساريين عدا بمهام قوميسارية معينة كقوميسارية الشؤون الخارجية ، الحربية . البحرية ، النجارة الخارجية المواصلات . العمل ، الطعام والمالية الخ . . . ، وتشمل الاوامر والانظمة التي يصدرها قوميساري الاتحاد جميع افراد الاتحاد ويجب تنفيذها حالاً من قبل قوميساري كلٍّ من الجمهوريات الداخلة في الاتحاد . وقد نشأ داخل هذا المجلس هيئة صغيرة تعرف باسم (سوفاركوم Sovarkom) او قوميسارية داخلية يرئسها جوزيف ستالين السكرتير العام للجنة التنفيذية المركزية العليا للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي . ومع هذه الهيئة هيئة اخرى صغيرة (البوليتبورو — Politbureau) وكلتاهما تقبضان على جميع شؤون الاتحاد

يمنح دستور الاتحاد سلطات واسعة لهيئات حكومة الاتحاد التي اوضحناها سابقاً ومن

ة ادارة جميع شؤون المعاهدات والشؤون الخارجية وحق اعلان الحرب وعقد السلم وعقد
الخارجية وتنظيم التجارة الخارجية وتنظيم السكك الحديدية والبرق والبريد والمؤسسات
، ووضع عملة عامة منظمة وحق وضع نظام الضرائب الموحد وتوحيد الاوزان والمكاييل
وكذلك بمنح سلطات الاتحاد حق « وضع الاسس العامة التي يجب ان تتبع من قبل
الرئيسة فيما يخص القانون المدني او الجنائي والاساليب القضائية وتشريعات العمل
س » . ومن حق سلطات الاتحاد العليا (رفض — ١٠٠) كل قانون او مرسوم او نظام
ي واحدة من الجمهوريات الرئيسة اذا تعارض مع المعاهدة والدستور الاتحاديين اللذين
قانون البلاد الاعلى

كون الاتحاد لم يمنح الدساتير التي كانت لكل من الجمهوريات السبع الرئيسة إذ احتفظت
قيامها بنظام حكومتها القائم على الاساس الاشتراكي السوفياتي . وهذا لا يختلف كثيراً
ريات المختلفة . وكل من هذه الجمهوريات السبع مستقلة استقلالاً ذاتياً ولها من الحقوق
ما على تنفيذ الاوامر التي تأتيها من سلطات الاتحاد في موسكو ولهذه الجمهوريات الرئيسية
مناطق واقاليم ذاتية داخلية سلطة على الشؤون المحلية كالتربية والصحة والتأمين الاجتماعي
نشاء المحاكم الثانوية وتشجيع الزراعة والصناعة على شرط ان لا تخرج ولا تتعارض في
ورها مع السياسة العامة التي تقررها سلطات الاتحاد العليا . ولكل منها مجلس قومي يساريين
له السلطة في ادارة شؤونها الخاصة

اس هذا النظام أ — هيئات العمال في المعامل وحوانيت الشغل في المدن ٢ — هيئات
في القرى والمجتمعات الريفية . هذه الهيئات في كل معمل او منجم او محطة او دائرة او
او مزرعة اشتراكية الخ ... تنتخب لها مجلساً (سوفيت) محلياً . واذا كان المعمل او القرية او
ة الاشتراكية صغيرة جداً تتحد عدة منها وتنتخب مندوباً عنها في سوفيتها المحلي . وهكذا
كل الحكومة السوفياتية بهذه المجالس المحلية الى ان يبلغ عددها عدة آلاف في جميع بلاد
. على هذه الاسس يقوم البناء الاهرامي لحكومات الجمهوريات والمناطق والاقاليم الذاتية
ت الجمهوريات السبع الرئيسية وحكومة الاتحاد معاً

ه هذه المجالس المحلية في المدن والارياف تنتخب مندوبين عنها الى هيئات أعلى على طريقة
المباشر والتصويت السري وهذه الهيئات هي كما يلي : —

١ — كل سوفيت اولي محلي زراعي يبعث مندوبيه الى سوفيت الريف . وكل سوفيت اولي
صناعي يبعث مندوبيه الى سوفيت المدينة

٢ — يبعث كل من سوفيت الريف وسوفيت المدينة مندوبيه مباشرة الى : — ا — مؤتمر
يت الاقليم — ب — مؤتمر سوفيت المنطقة التي تقع فيها عدة مدن وارياف — ح — مؤتمر

سوفيت جميع الجمهورية الرئيسية (مؤتمر سوفيت جميع الروس)د — مؤتمر سوفيت الاتحاد

والذي يجب ملاحظته هنا ان سوفيت الارياف الزراعية كانت قبل التعديل الدستوري محرومة من التصويت السري والتمثيل المباشر في المؤتمرين الاخيرين لكنها كانت تمثل فيها غير مباشرة بواسطة مندوبين من مؤتمرات المناطق وفي بعض الاحيان من مؤتمرات الاقا وكذلك لم يكن التمثيل متناسباً مع السكان اذ كان يجري على اساس عدم المساواة بين الريف و لان نسبة تمثيلهم كانت تقارب نسبة ١:٥ في الريف والمدينة على الترتيب

وقد كان هذا التفضيل الموقت للمدينة على الريف مقصوداً من قبل قادة الثورة اذ كانوا على ان العمال في المعامل صناعيون حقا فهم لذلك اكثر اخلاصاً للنظام الاشتراكي ويمكن الاعتماد في بناء الاشتراكية لانهم اكثر فهماً لمبادئها وأساليبها وأقوى شعوراً بالنضال الطبقي ومن النظام الرأسمالي الذي كانوا يعيشون في ظله ولانهم اكثر تحرراً من التقاليد والعقلية الرجعية القوة عند الفلاحين الفرديين . اما بعد مرور ما يقارب ١٧ سنة على قيام دكتاتورية العمال في السوفياتي تمكنت المبادىء الاشتراكية في قلوب الفلاحين بعد ان شملتهم مشروعات التعاون وعمت بينهم التربية لذلك اخذ زعماء النظام يشعرون بالاطمئنان الى اخلاص الفلاحين فأقروا التمثيل المباشر والتصويت السري القائم على اساس المساواة بين المدينة والريف دون ان يخشى انقلاب الفلاحين على النظام الذي اصبحوا منتظمين فيه مرفهين بواسطته

ولهذا النظام السوفياتي للحكومة — عدا عن هذه الخصائص — ميزات اهمها : -

١ — اتحاد واسع مفتوح لا وحدة مغلقة ضيقة — ان هذا الاتحاد لا يقوم على اساس الوحدة المغلقة التي تكون فيها السيادة مطلقة بيد القومية الاكثرية لكنهُ اتحاد حر لقوميات حر اساس التحالف والتعاون لا القوة والاستعمار كما كانت في عهد الامبراطورية القيصرية . لكن لما روسية الاصلية اوسع جمهوريات الاتحاد مساحة اذ تبلغ ٧٦٪ مساحة الاتحاد بأجمعه وفيها من ما يقارب ثلثي سكان الاتحاد ايضاً ، ولما كانت هي التي قامت بالثورة الكبرى لذلك اصبحت المسيرة لشؤون الاتحاد العامة تاركة للجمهوريات الاخرى التمتع بالاستقلال الذاتي و شؤ الداخلية والثقافية على الاخص وتعليم ناشئتها باللغة القومية الخاصة . وللجمع بين حكومة الا وحكومة روسيا الاصلية يدير الشؤون العليا عادة نفس الزعماء السياسيين ، لكن هذا لا يمنع غير الروسيين من الاجناس الاقلية مناصب في حكومة الاتحاد العامة

٢ — جمع السلطات — والميزة الثانية ان ليس في نظام الحكومة السوفياتي فصل السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية الواحدة عن الاخرى فصلاً مطلقاً . فالسلطة التشريعية والتنفيذية موحدتان وفي بعض الاحيان تدخل السلطة القضائية ايضاً في هذا التوحيد . لذلك اصبح في نفس السلطات ان تهيىء القوانين وتوافق عليها وتصدرها وتنفذها وتفسرها وفي بعض الا تعاقب المخالفين لها

حول المشكلة الايطالية الحبشية

— ١ —

المستعمرات والموارد الطبيعية

لا يسع الباحث ان ينعم النظر في ما ورد في الاسابيع الاخيرة من أنباء النزاع الايطالي الحبشي وأقوال الاقطاب فيه الاَّ أن يدرك ان سر الخلاف أبعد مدى من قول ايطاليا إن الحبشة لا يحق أن تكون عضواً في جامعة الامم لانها لم تنهض ببعض العهود التي قطعتها أو أن موسوليني يحشد من القوى المسلحة ليحمي المستعمرات الايطالية في شرق افريقية من تهديد الاحباش

ان هذين القولين على جانب غير يسير من الصحة

ولكن سرّ النزاع ان في هذا العصر الصناعي الذي اكتسحت فيه النزعة القومية في الميدان الاقتصادي — الامم ، حتى بريطانيا المشهورة بتعلقها بحرية التجارة . نجد أممًا كبيرة تتدافع الحياة في عروق — . لا تملك مستعمرات تستطيع أن تعتمد على موارد ثروتها الطبيعية لتقيم أود صناعاتها من — تجعلها سوقاً لمصنوعاتها ومنفذاً لازدحام ابنائها في وطنهم الاصلي من جهة اخرى ولكننا نجد — نفسه بعض أمم اوربا يملك بلداناً تقدر مساحاتها بملايين من الاميال المربعة شديدة الغنى — الثروة الطبيعية فيها بحيث اصبحت طائفة غير يسيرة من المواد الخام التي لا تقوم قائمة للصناعة — من دونها ، أشبه ما يكون باحتكار لها . وهذه الحالة تفضي في الدول المحرومة الى شعورها — بالثورة عليه . فهي لذلك لا تطمئن ولا يستريح لها بال ولا يمكن أن تكون في اوربا عامل — سلام لا بدَّ ان تظل عامل قلق واضطراب حتى تُكفَى حاجتها في هذا الصدد

ومن لا نقول ان الاستعمار خير . ولكننا من الوجهة العملية يجب أن نعترف بأن سلام — لا يتوطد حتى تجد ايطاليا والمانيا بعض الرضى على الاقل من هذه الناحية . وقد اعترف السر — هور في خطبته التاريخية في الجمعية العمومية بجامعة الامم بخطورة هذا الأمر وقال أن — مستعدة أن تنظر في الموضوع بقصد إعادة توزيع الموارد الطبيعية توزيعاً يكون أقرب الى — اذا كان في الاستعمار عدلاً — وأوفى بالحاجة . وقد نقلت الينا البرقيات من المانيا ان الهر — وبترووب أحد أقطاب الريخ الثالث ومستشار الهر هتلر في شؤون التسلح صرح بأن المانيا — عليها أن تصبر طويلاً على حرمانها من هذه الموارد

فكأن اوربا من هذه الناحية مائدة لها اربع قوائم اثنتان متساويتان طولاً وثالثة أقصر منهما — مجزوزة من أصلها فلا تقوى المائدة على الوقوف الاَّ اذا تساوت قوائمها الاربع أي الاَّ اذا — ايطاليا والمانيا ما تحتاجان اليه اسوة ببريطانيا وفرنسا

وهناك عامل آخر يؤثر تأثيراً نفسيًّا بعيد المدى وهو أن لبعض الدول الاوربية كالبرتغال مستعمرات ليست حاجتها اليها مثل حاجة ايطاليا والمانيا . وفي هذا باعث على ش بالامتهان لكرامتهما القومية

فلما نشبت الحرب الكبرى وحصرت المانيا بأساطيل الحلفاء وأصبحت لا تستطيع الد مستعمراتها سطت دول الحلفاء على المستعمرات الالمانية واحتلتها ، فاحتلت حكومة جنو مستعمرات المانيا في الجنوب الغربي من افريقية واحتلت استراليا الجانب الخاص بألمانيا الجديدة واحتلّ اليابانيون الجزائر الالمانية في الجانب الشمالي من المحيط الهادىء والبريطان افريقية وبلاد الكمرون . وقد صارت هذه الاخيرة من نصيب فرنسا بعدئذٍ

وكان شعور الناس لا يزال مستفزًّا بعيد الحرب فكان من المتعذر أن تقنع الدول الح آتاها الظفر ولها حق في الغنائم والاسلاب ، بارجاع المستعمرات الى أصحابها حتى ولو قد الحكمة العملية وبعد النظر السياسي . ويروي الاستاذ غلبرت مري وهو من أعلام الا سعى بعيد الحرب لانشاء حركة غرضها ارجاع مستعمرات افريقية الشرقية الى أصحابها السا له من لا يرتاب في صدقه وصحة حكمه ان ابناء تلك البلدان يتوجسون خيفة من ذلك و الانتقال بسائمتهم الى قلب افريقية . لذلك كان حل هذه المشكلة بعيد الحرب متعذراً

***

أما ايطاليا فتختلف مشكلتها قليلاً عن مشكلة المانيا ولكنّ المشكلتين ترتدان الى أصل فايطاليا لم تبلغ المقام الاول بين دول اوربا الاّ من عهد قريب فلما بلغته وبدأت تحس صناعتها وتجارتها وازدحام أبنائها في بلاد تحتاج إلى معظم المواد الخام اللازمة للصناعة أن معظم بقاع الارض التي تصلح لها من هذا القبيل ، قد اقتسمتها الدول فقنعت أولا والصومال وهما منطقتان لاتسدان حاجتها من هذه الناحية ، وظنت أن الحلفاء ينصفونها و الصلح نخاب ظنها فكتمته على مضض وهي تتحين الفرص لتحقيق ما تريد أو بعض ما تريد

وقد كان الفاتحون في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لا يقيمون وزناً لضمير أو حـ رأوا بلاداً يريدون احتلالها فكانوا ينتحلون الاعذار ويقيمون الحرب ويحتلون البلا اعترضتهم دولة او اكثر صانعوها أو فاوضوها أو حاربوها أو اتفقوا معها على أن تحتل هي اخرى كأنهم موكلون بسطح الكرة يهبونه من يشاؤون

ولكن الحال تغيرت بعد عقد معاهدة فرساي ففيها قطع الحلفاء عهداً بالجري على شروط والشرط الخامس منها ينص على وجوب إعادة النظر في المطالب الاستعمارية بروح الانصاف و ومراعاة مصلحة المستعمَرين (بفتح الميم) . ثم انها كانت قد صرحت برغبتها عن ضم بلدان اليها اذا استثنينا مقاطعتي الالزاس واللورين وقد كانتا في حكم الحق يعاد الى صاحبه . لذلك ا

الانتداب ، فاحتفظ الحلفاء بالمستعمرات التي احتلوها في خلال الحرب وبمظاهر الشروط الولسنية
طعوا عهداً باحترامها

و أن العالم مال بعد الحرب الى الأخذ بحرية التجارة وبحرية المهاجرة لكان من السهل على
التي فقدت مستعمراتها ، أو الدول التي ليس لها مستعمرات تكفيها ، أن تقنع بذلك الى
من الوجهة المادية العملية — دون القومية وكرامتها - لان ذلك يمكنها من استيراد ما تريد
ه من دون عائق يعوقه . وتصدير ما تريد تصديره الى حيث تريد من دون عقبات تجارية
دية تقوم في وجهه — كالحواجز والحصص وغيرها من القيود — . والسبق في ذلك لمن كان
ما وأبرع صناعة وأوفر حيلة تجارية . ثم أن ما تشكوه بعض الامم من ازدحام أبنائها كانت
ا فقداً في بعض هذه المستعمرات المترامية الاطراف أسوة بغيرها والفوز هنا لمن كان من
أصلب عوداً على الاجواء المختلفة وأمضى عزيمة في استغلال مواردها

صارة الصناعية في لبها تقتضي اعادة النظر في هذا الموضوع الحيوي . ولا يغرنَّ أحد ان
الحبشية قد تنتهي سلماً بما يحقق بعض مطالب ايطاليا ويحفظ استقلال الحبشة ، أو حرباً
سادة ايطاليا على الحبشة — ولو لم تفض الحرب الخاصة الى حرب عالمية . فان المشكلة تبقى
ن ما تجهر ايطاليا بطلبه اليوم وتعد له العدة تطلبه المانيا بصوت خافت اليوم ولا بدّ
ه بصوت جهوري غداً يصحبهُ صليل السيوف . ولا يمكن ان يستقر لاوربا قرار ما لم تتساو
ي تقوم عليها مائدتها

***

النزاع سواء أحل بالاتفاق أم بالحرب ليس الاَّ نذيراً لدول اوربا بان ما ارتكب في معاهدة
من الهفوات قد أخذ يستفحل اثرهُ الآن وينذر بحروب استعمارية بين الدول كالحروب التي
في القرن السادس عشر . فقد كتب المستر همند الانكليزي في مجلة السبكتاتور يقول «ان وضع
فرساي كان خاضعاً من الناحية الاوربية للصورة القائمة في ذاكرة كلمنصو من هزيمة فرنسا في
سبعين . فضيق واضعو المعاهدة الخناق على المانيا . ومن الناحية غير الاوربية كان خاضعاً
البريطاني فكانت النتيجة ان عدم التساوي في المستعمرات الذي سبق الحرب الكبرى
بعدها . وقد ظهرت نتائج الخطاء الاول من بضع سنوات وبدأت الآن تظهر نتائج الخطاء
حتى ليخشى ان نكون في خطر من عودة دول اوربا الى سلسلة من الحروب الاستعمارية كما
الحال في القرن السادس عشر»

بعد ما اكتشفت الطرق البحرية الكبيرة وتسابقت الامم الى احتلال البلدان الجديدة التي
اليها هذه الطرق نشبت سلسلة من الحروب بين اسبانيا والبرتغال وهولندا وفرنسا وانكلترا
جزر الافاويه والهند والعالم الجديد . ولكن هذا الخلاف بين الدول الاوربية في المستعمرات

نفسها لم يفض الى خلاف عظيم بينها في اوربا . ثم ان اقتسام افريقية لم يسبب حروباً تذكر بين الدول. ولكن نتائج هذا الاقتسام اخذت تفعل فعلها الآن وهي تهدد بما لا يريد محب السلم يتخيله . وتفسير ذلك ان السلطة في مستعمرات العالم الجديد انتقلت من ايدي الحكومات الاصلية الى ايدي المستعمرين من انشائها بالقوة بعد ما ابيدت في الغالب الشعوب الاصيلة فحلت محلها على هذا النحو

اما في افريقية او في معظمها فيظهر ان الحكم سيبقى طويلاً في ايدي الاوربيين . وامتلاك افريقية مثار للنزاع بين الحكومات الاوربية لانها بلدان أصبحت قيمتها في عيون الاوربيين اضعف ما كانت قبل نصف قرن من الزمان . وسبب ذلك مثلث . فالحضارة الصناعية تدعو الى التنافس في البحث عن المواد الخام والاسواق الجديدة التي لم تتخم بمصنوعاتها . ولما ان الثورة الصناعية كانت من نحو قرن لا تزال في مستهلها في المانيا وروسيا والولايات الاميركية بل كانت اساليبها لا تزال غريبة عن اليابان وايطاليا فارتقت ارتقاء عجيباً في الربع من القرن الماضي وما انقضى من هذا القرن وصحب اشتداد التنافس بين الدول الصناعية على الخام والاسواق ، احاطة البلدان التي تصلح لذلك باسوار من الحواجز والحوائل . وقد ذهب الرأي وكان لورد كرومر من اقطابهم ان بقاء الامبراطورية البريطانية كان متعذراً في القرن ومطلع هذا القرن لولا حرية التجارة وسياسة الباب المفتوح . وجاء ردح من الزمن ظن فيه الدول ستتبع بريطانيا في خطتها هذه . ولكن بريطانيا نفسها اصبحت اليوم من الدول المحطة حماية التجارة . فاشتداد التنافس مع ما يصحبه من القيود الاقتصادية هو سر الخطر الذي نبه اليه المستر همند في مقاله ووزير خارجية بريطانيا في خطبته في جنيف

ويرى السر نورمن انجل وهو من كبار الباحثين الانكليز في الموضوعات الاقتصادية بالسياسة الدولية ان الدول الصناعية يجب ان يتاح لها على السواء الوصول الى المصادر الطبيعية الخام من دون اي تمييز بينها من جهة ، والى الاسواق العالمية من جهة اخرى . ولكنه يرى الاستعمار او امتلاك المستعمرات او اعادة توزيعها سبيلها الى ذلك . فكون كندا مثلاً من الولايات المستقلة في الامبراطورية البريطانية لا يبيح لاصحاب معامل انكلترا ان يأخذوا موادها الخام بلا مقابل او ان يشتروها بثمن مخفض . وهو لذلك يرى ان موطن الخطر هو عدم توزيع المستعمرات على مختلف الدول بل في استفحال النزعة الاقتصادية القومية التي تقف في وجوه الدول الابواب الموصلة الى المصادر الطبيعية او الى الاسواق . ومن آثار هذه النزعة الرسوم والحوائل والحصص وسائر القيود الاقتصادية . وعنده ان العلاج لا يكون باعادة توزيع المستعمرات بل بالجري على خطة من حرية التبادل وعندئذ تستوي الامم المستعمرة وسائر الامم في الاقتصادية [illegible]

— ٢ —

نظام العقوبات

هو نظام العقوبات في دستور جامعة الامم ؟ وما هي انواعها ؟ وكيف تفرض ؟ وعلى من يقع
تطبيقها ؟ وهل يمكن فرض العقوبات الاقتصادية من دون اللجوء الى الحرب لجعل هذا
فعالاً ؟ هذه هي الاسئلة التي تخطر للباحث فما هي الاجوبة عنها

تعتمد جامعة الامم على انواع من العقوبات في تأييد قراراتها . الاول أدبي وهو قوة الرأي العام
. والثاني اقتصادي وهو فعل الحصر البحري والبري . والثالث عسكري وهو القوة المسلحة
واعها اي الحرب

اول ما تحتاج اليه الجامعة في توجيه الرأي العام الدولي الى حل مشكلة دولية معقدة او
قائم بين دولتين او اكثر من الدول ، هو اذاعة الحقائق المتصلة بهذا الموضوع . فلا يابث جمهور
من مختلف الامم اذا كانت الحقائق صريحة وكان الظلم بادياً في جهة دون اخرى ، حتى يتأثر بما
ويتحاز في الغالب مع المظلوم على الظالم . او مع المعتدى عليه ضد المعتدي . وقد اعترف
في دستور الجامعة بما لهذه الاذاعة من المقام الكبير في تأييد مكانة الجامعة وتعزيز احكامها
جميعها العمومية منبراً عاماً ومنحوها الحق في ان تتناول في اجتماعاتها كل موضوع يدخل في
عمل الجامعة او له صلة بسلام العالم . (المادة الثالثة من عهد الجامعة) ولا ريب في ان بحث
دولية بحثاً حراً وافياً في مؤتمر عام يحضره مندوبو معظم امم الارض ، وسيلة من افعل الوسائل
الرأي العام في كل بلاد ممثلة في الجمعية العمومية — وغيرها كذلك — على حقائق الموضوع .
في عهد الجامعة لا يكاد يرى للجمعية العمومية عملاً غير هذا العمل . وكأن بعضهم لا يقيم
الرأي العام في المشكلات العامة فسخر من الجمعية العمومية اذ وصفها بانها « جمعية مناظرة »
وقد أشارت المادة الثامنة من عهد الجامعة الى القوة المعنوية التي تعتمد عليها في تنفيذ ما يعقد
من اتفاقات نزع السلاح اذ قالت « ان اعضاء الجامعة يتعهدون بان يتبادلوا تبادلاً صريحاً تاماً كل
ما يمس بمدى تسلحهم وبرامجهم العسكرية والبحرية والجوية وحالة المصانع الصالحة لاغراض حربية » .
والجامعة تعتمد في هذا الصدد على قوة الرأي العام في الحيلولة بين اي عضو من أعضاء الجامعة ونبذ
نزع السلاح (او تحديده) لان اذاعة الحقائق تدل على نقضه الاتفاق وعلى سوء نيته . وقد
هذه النقطة موضوع بحث طويل ودقيق عند اقتراح انشاء لجنة للرقابة يحق لها الاطلاع على
يخص شؤون التسلح في الامم المختلفة . وكانت بريطانيا في مقدمة المعارضين في انشائها

وليس الغرض من هذا الفصل ان ننشىء بحثاً فقهياً مسهباً في مواد العهد ولكننا نقول ان ثلث
على الاقل تشير اشارة صريحة كل الصراحة او بعضها الى اعتماد الجامعة على الرأي العام الدولي

في تحقيق اغراضها ووسائل تنويره ومنها ما جاء في المادة الخامسة عشر وهي ان على مجلس
ان يضع تقريراً يبسط فيه حقائق المشكلة التي رهن البحث ويضمنهُ المقترحات التي يراها لحل

على ان واضعي عهد الجامعة لم يعتمدوا على الرأي العام وقوته المعنوية دون غيره
على السلام الدولي . فنصوا في المادة السادسة عشرة على ما يعرف بالعقوبات . والجانب الاول
المادة بل جلُّ نصوصها عدا نصًّا واحداً، يقتصر على ذكر العقوبات الاقتصادية . وليس ثمة
في ان مهمة الحصر البحري او البري او كليهما لتنفيذ العقوبة الاقتصادية عمل مشترك يقع
جميع الاعضاء ولكن الصعوبة في هذا كله ان الامم المختلفة لا تلزم بتنفيذ العقوبة الا
بعد ان يقرر مجلس الجامعة ان دولة ما انتهكت حرمة العهد وبعد ان يوصي المجلس بالقوة
التي على كل دولة ان تقدمها للقوة المشتركة المتحركة باسم الجامعة لحماية عهود الجامعة

واول ما يتجه اليهِ الحصر البري والبحري اي اول غرض من اغراض العقوبات الا
حظر تصدير الاسلحة الى البلاد التي يراد توقيع العقوبة عليها . ولكن كيف تستطيع
ان توقع هذه العقوبة وثلاث من الدول الكبرى التي فيها طائفة من اكبر مصانع الاسلحة
ونعني اليابان واميركا والمانيا - ليست اعضاء في الجامعة فهي غير مقيدة بقرارها . ثم ان
لا يضر ايطاليا لان فيها مصانع سلاح كبيرة ووافية المعدات

ثم يتجه النظر بعد ذلك الى منع توريد المواد الخام التي تدخل في صنع الاسلحة . وهذا
الاتفاق بين الدول التي تصدر هذه المواد فالاتفاق كاف لشل صناعة الاسلحة في الدولة التي
ولكن قيل في الايام الاخيرة أن بعض الدول بدأ يشكو من الآن — مع ان الحديث لم ينته
التمهيدي — ان توقيع العقوبة الاقتصادية قد يضر بمصالحها التجارية . ولا يفوتنا أن نشير في هذا
الى اقتراح كان قد اقترحهُ السر توماس هلند وهو عالم جيولوجي بتروليّ مشهور في خطاب
بمجمع تقدم العلوم البريطاني من سنوات ثم أعاده من اسابيع وهو ان يمنع تصدير بعض
والمعادن النادرة التي لا بد منها في صنع اصناف الصلب الجيدة القاسية . فأنواع الصلب التي
منها في صناعة المدافع والبنادق والدبابات وغيرها من الاسلحة . وهي تحتاج لكي تبلغ درجة
من القساوة، الى مقادير يسيرة من عناصر المولبدنوم والتنغستن والكروم والنكل والفصدير . ف
فمنع تصدير هذه المواد اليها فعال في شل صناعاتها الحربية ولا يضر ضرراً كبيراً بالتجارة الا
ما يستعمل منه مقادير يسيرة . وقد يقال ان الامة التي تنوي الحرب قد تخزن منها مقادير
ولكنها لا تستطيع ان تمضي في الحرب طويلاً قبل ان تنفد هذه المقادير المخزونة

وقد يوسع نطاق هذا النوع من بتّ صلة التبادل التجاري حتى يشمل جميع الواردات وا
ولكن اعتراض الامم المصدرة عليه يشتد بقدر ما تتأثر بهِ تجارتها الخارجية

وقد تتخذ العقوبة الاقتصادية شكل الحصر المالي فلا تعقد لها قروض ولا تباع ع

ن تفتح لها اعتمادات فاذا لم يكن لدولة ما اعتمادات سابقة في المراكز المالية او ذهب كاف في توفي به نقداً ثمن ما تبتاعه عجزت عن مواصلة الحرب . ولكن الغالب ان الدوائر المالية ترغب عن الاخذ بهذه الخطة

ي السر آرثر سولتر وهو من كبار المشتغلين بالشؤون الاقتصادية وصلتها بالسياسة الدولية في ، أياً ملخصهُ ان افضل شكل يمكن ان تتخذه العقوبات الاقتصادية في مرحلتها الاولى ، تفاق على عدم استيراد اي عرض من صادرات البلاد التي تفرض عليها هذه العقوبات . فهذا ن العقوبات الاقتصادية اسهل تطبيقاً من الناحية السياسية ، لان الامم اقل اعتراضاً على من ع الشراء منها على من يمنعها من البيع . اي ان الامم التي تعتذر عن تطبيق العقوبات الاقتصادية لذي يلحق تجارتها اذا امتنعت عن التصدير الى بلاد ما قد لا تكون شديدة الاعتراض اذا ا ان تمتنع عن شراء ما تصدره تلك البلاد اليها . وهو اسهل تطبيقاً من الناحية الادارية لان ارك كفيل بتنفيذه من دون اي اداة حكومية جديدة تنشأ لهُ ولانهُ اسهل جدًّا في هذا ن تعرف مصدر العروض والبضائع من ان تعرف مصيرها فقد تبيعها لتاجر من اليونان وهذا بيعها لتاجر في ايطاليا . فمنع صادرات البلدان المختلفة من الوصول الى بلاد معينة ، تاجر الامر حصراً بحريًّا او بريًّا او كليهما وهذا يعني الحرب . يضاف الى ذلك ان الامتناع عن صدره بلاد معينة يحرمها من ثمن هذه الصادرات في الاسواق الخارجية فلا تستطيع ان تبتاع ا ه الاَّ اذا كان لها اعتمادات مفتوحة او كانت تملك ذهباً كافياً توفي بهِ ثمن ما تشتري

لمحك الاخير في كل هذا هو اجتماع كلمة الدول الكبرى على تطبيق العقوبات المتقدمه و المتفق ، سنا نعلم إلى أي مدى يمكن الفوز بهذا الاتفاق بين الدول التي لا تزال أعضاء في الجامعة ، الدول التي خارجها . ولا يخفى أن السنيور موسوليني قال أن كل سعي لتطبيق العقوبات ، يقاوم من الامة الايطالية بالقوة المسلحة . فمن العبث أن تقول الدول بفرض العقوبات ، انها ان لم تكن على استعداد لتأييد قرارها بالقوة المسلحة . ولذلك تقول الديلي اكسبرس لها تصيب كبد الموضوع « ان الحرب هي العقوبة النهائية » . لان الحصر الاقتصادي أشبه ن برجل قوي قابض بكلتا يديه على عنقك يحاول ان يخنقك ولا يمكن ان يكون ذلك العمل سلميًّا

السر آرثر سولتر يعتقد كما يعتقد غيره ممن يعالج هذه الموضوعات من ناحيتها العملية ، ، ت ايًّا كانت لا تصلح لتحقيق الغرض منها الاَّ اذا كانت فعَّالة . ولا يمكن ان تكون فعَّالة كانت الامم متفقة على تأييدها بالقوة ، متخذة العدة لاظهار هذا التأييد بمظهره الفعال . يشدد في ان الانصاف يقتضي من هذه الدول ان تعين موقفها هذا في بدء النزاع لكي لا الدولة التي قد تفرض العقوبات عليها أي ريب في هذا الصدد

واذن فالعقوبات العسكرية او بالحري الحرب نفسها هي الملجأ الاخير لردع دولة معتدية اعضاء الجامعة . او منتهكة لحرمة العهد . وهذا هو لب السلامة الاجماعية ولا معنى لها من

فما هي النصوص الخاصة بفرض العقوبة العسكرية التي ينطوي عليها عهد الجامعة يمكن تطبيقها ؟

تنص المادة العاشرة في عهد الجامعة على ما يلي : « يتعهد اعضاء الجامعة بان يحترموا السياسية والاستقلال السياسي لكل عضو من اعضاء الجامعة وان يقوهما من الاعتداء الخار وقع الاعتداء او اذا كان هناك تهديد بوقوعه فعلى مجلس الجامعة ان يشير بالوسائل التي ي هذا التعهد »

نعم ليس في هذه المادة اية اشارة الى القوى المسلحة ولكن من الجلي انهُ اذا هوجمت عقر دارها فلا سبيل الى المحافظة على وحدتها السياسية واستقلالها الاَّ بطريقة واحدة وهي قوة حربية دولية ترسل الى البلاد المغزوة لرد الغازي وقد يكفي احياناً بأن يهدد مجلس الجا مستعد لحشد قوى اعضاء الجامعة ضد الدولة الغازية ليردعها ويحملها على سحب قواتها وا لم يفلح التهديد في تحقيق هذا الغرض فعلى المجلس ان يتعدى القول الى الفعل

واستعمال القوى المسلحة المنصوص عليها في المادتين ١٦ و ١٧ من عهد الجامعة بـ معاقبة دولة معتدية . الاَّ ان الفرق بين المادتين ان الاولى (أي ١٦) تشير الى دولة تعمد ال متجاهلة عهودها اذا كانت تلك الدولة من اعضاء الجامعة . واما الثانية (أي ١٧) فتشير غير منتظمة في الجامعة اي خارجها . فاذا شجر خلاف بين دولة غير منتظمة في الجامعة و حر فيها تدعى الاولى لقبول ما تفرضه الجامعة على اعضائها من العهود والتبعات فاذا رفضت وعم الحرب فعندئذٍ تستعمل العقوبة العسكرية ضدها دفاعاً عن عضو الجامعة اي تطبق عليها ال

وبالرجوع الى المادة ١٦ من عهد الجامعة والمادة ١٧ كذلك نجد ان الخطوات الا تتخذها الجامعة هي الحصر البري والجوي ولكن الفقرة الثانية في المادة ١٦ تنص ان للج تعمد الى القوة المسلحة برية وبحرية وجوية اذا وجد ان ذلك ضروري « لحماية عهود الجا والفقرة الثالثة في المادة نفسها تشير الى واجب اعضاء الجامعة في تمهيد السبيل لمرور القوات التي تبعثها احدى الدول من اعضاء الجامعة المتعاونة في الدفاع عن عهودها

وهاتان العبارتان تشيران من دون ريب الى أن واضعي عهد الجامعة كانوا يرمون ال عسكرية واسعة النطاق اذا اقتضت الحال ذلك

ولكن نظام الجامعة يجعل تطبيق العقوبة العسكرية صعباً كتطبيق العقوبات الاق في المقام الاول يجب ان يكون قرار المجلس باستعمال القوى المسلحة اجماعيًّا (ما عدا صوتي او الدول المتنازعة) ثم يجب ان يكون قراره اجماعيًّا كذلك في تعيين ما على كل دولة من ال

ن قواتها المسلحة للقوة المسلحة المشتركة التي تعمل باسم الجامعة . وكل هذا يجب ان يتم يبحث اصحاب الشأن في توحيد القيادة للقوة المشتركة واختيار قائد لها وما يجره ذلك من ة وما عهدنا بصعوبة توحيد القيادة في جيوش الحلفاء في الجبهة الغربية بعيد

- ٣ -

القنال والموقف الدولي

تمع مجلس جامعة الامم في ٤ سبتمبر الحالي وشرع حالا في معالجة مشكلة النزاع بين الحبشة وكان يغلب على مساعي الدول روح الرغبة الصادقة في البحث عن حل سلمي يضمن حرمة والمواثيق الدولية المختلفة ويصون استقلال الحبشة ويمهد السبيل لتحقيق ما اعترفت به ان السابقة لايطاليا من مقام ممتاز وحقوق خاصة في الحبشة واستغلال مواردها . وقد ي تعزيز تلك الروح تنصل الحكومة البريطانية من تصريحات حاسمة من الامتياز الاقتصادي الذي فاز به المستر ريكيت ، واشارتها على النحاشي باسمه كه . وقرارها ان تستمر الآن في مدار السلاح الى الحبشة لكي لا يكون الغؤها لهذا القرار استفزازاً لايطاليا . والتعاون بين لندن وباريس في سبيل الوصول الى صيغة تكفل ما تقدم . ثم ان العقوبات وفرضها على ر قبل الجامعة اذا هي مضت في طريقها وشهرت الحرب على الحبشة ، لم تذكر مطلقاً في حديث ة رسمية تمشياً مع هذه الروح مع كثرة التحدث بها قبل الاجتماع لان اقطاب الجامعة ن ان الاشارة الى هذه العقوبات وجعبة الحلول السلمية لم تفرغ بعد لا بد ان تحسه ايطاليا ب كرامتها القومية ونفسره بأنه تحدٍّ لها لانه يوقفها امام الرأي العام الدولي موقف المتهم م ذلك لا يزال ذكر قنال السويس واقفاله او تركه مجازاً حرًّا في حالة نشوب الحرب موضوع صفحة تنشرها الصحف ومباحثات قانونية دقيقة بين المستشارين القضائيين في الحكومات أن . والاسئلة التي تخطر للباحث في موضوع قنال السويس من حيث ان اقفالها سيكون لعقوبات الثلاث التي تفرض على ايطاليا اذا اقتضت الحال فرضها هي :

— هل معاهدة سنة ١٨٨٨ التي تنص على ان القنال يجب ان تكون مجازاً حرًّا لجميع الدول الحرب وزمن السلم للسفن التجارية والسفن الحربية على السواء معاهدة نافذة الآن

— هل للحكومة البريطانية سيطرة شرعية على القنال

— اذا اختلف عهد جامعة الامم عن معاهدة ١٨٨٨ في حكم من الاحكام فهل يحل العهد عاهدة اي هل يكون الفصل في الخلاف بحسب نصوص العهد دون نصوص المعاهدة

د عني المستر ريمون لسلي بيول وهو من كبار الثقات الاميركيين في التاريخ السياسي الحديث جمعية السياسة الخارجية الاميركية بدراسة الموضوع فنشر رسالة تاريخية أشار فيها الى ان

القوات البريطانيـة نزلت في الاسماعيلية سنة ١٨٨٢ وأقفلتهـا بضعة ايام . ولكن في العقد ا عرض موضوع القنـال مرتين . ففي الحرب الفرنسوية البروسية (١٨٧٠) سمح لبوارج الد المتحاربتين بأن تجتاز القنال ولكن لما نشبت الحرب الروسية التركية سنة ١٨٧٧ بعثت حكومة ب الى حكومة روسيا بمذكرة في ٦ مايو من تلك السنة حذرتها فيها من ان كل سعي للتدخل في القنال تحسبه الحكومة البريطانية تهديداً للهند . فردت حكومة روسيا بأنها لن تمس امال

كان هذا قبل معاهدة سنة ١٨٨٨ فلما نشبت الحرب الاميركية الاسبانية سنة ١٨٩٨ الحكومة المصرية للاسطول الاسباني وكان في طريقه الى مانيلا عاصمة جزائر الفيليبين بأن الفحم في مرافىء القنال بعد ان وعد بالعودة الى اسبانيا . وفي الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤ ١٩٠٥) سمحت الحكومة البريطانية للاسطول الروسي باجتياز القنال مع انهُ كان في طريقه الى اسطول حليفة لها . وفي الحرب التركية الايطالية سنة ١٩١١ جازت البوارج الايطالية مع ان مصر كانت حينئذ جزءا من الامبراطورية العثمانية . وفي بدء الحرب الكبرى أصدرت ا العسكرية البريطانية امراً يحظر على اي سفينة من سفن الاعداء دخول القنال . ولكن اعترضت بأن هذا الامر انتهاك لحرمة معاهدة ١٨٨٨ فسوغته السلطات البريطانية بأنه لا عنه للدفاع عن سلامة القنال نفسها . فالحقائق الاساسية في موضوع القنال هي :

أولا — ان ادارة القنال في يد شركة خاصة مصرية تملك الحكومة البريطانية حا اسهمها ولكن اساس هذه الشركة امتياز منحته الحكومة المصرية ينتهي سنة ١٩٦٨

ثانياً — ان معاهدة الاستانة (١٨٨٨) تنص على ان القنال مجاز حرٌّ في زمن الحرب وزمن لكل سفينة حربية او تجارية بصرف النظر عن العلم المرفوع عليها . وان موضوع الدفا القنال يجب ان يرجع في آخر الامر الى مجمع الدول

ثالثاً — اعلنت الحكومة البريطانية من ناحيتها الحماية على مصر سنة ١٩١٤ و القنال في وجه سفن الاعداء . ولكن الحماية الغيت سنة ١٩٢٢ وكان موضوع حماية القنال التحفظات الاربعة

رابعاً — ان مصر صاحبة السيادة على القنال والارض التي تجتازها ولكنها ليست عض جامعة الامم ولا هي اعترفت بمعاهدة سنة ١٨٨٨

خامساً — لم تعقد مصر معاهدة ما اعترفت فيها لبريطانيا بحق الدفاع عن القنال

ويرى المستر بيول في نتيجة بحثه انه اذا قرر مجلس جامعة الامم ان يفرض عقوبات على وعهد الى الحكومة البريطانية في اقفال القنال وفقاً للمادة العشرين من عهد الجامعة فللحكومة الايطالية حينئذ من الوجهة القانونية الدولية ان تعارض في ذلك امام محكمة العدل الدائمة في [illegible]

حديقة المقتطف

ثلاث قصائد لميخائيل نعيمة

السباق

الجوع

الحائك

الوالد

قصة للكاتب النرويجي

بيورنسن

السباق

لا تقل يا أخي قد خسرتَ السباق !

فأنا وان اكن اخفَّ منك قدماً وأوسع خطىً ، فسبلي وسبيلك ابداً يلتقيان في الفضاء الذي لا سبل فيهِ ولا شُعب

***

سريعة هي الريح ، ولكن النسيم الناعس الذي يلدها ، ثم ينام في احضانها ، ليس بأبطأ منها

والعصفورة المرفرفة فوق وكرها مهما تمادت في الفضاء ، لا تستطيع أن تسبق الفراخ في الوكر

والنهر الذي يكرمن ذروة جبل معربداً مزبداً ، ليس بأسبق الى الأعماق السحيقة من كتة من دمعة او قطرة ندى

***

قم بنا يا أخي ، قم بنا !

فالنهار ما يزال فتيًّا ، ونحن ما نزال في المضمار

وليس لنا ان نتساءل عمن هو السابق واللاّحق الاّ من بعد ان ينصرم الزمان وينقاص المكان

اما الآن فهات دموعك لنغرق فيها ضحكي ، طارحين عنا اثقالها القتّالة للروح ولنسر في سبيلنا غير آبهين بالهازجين ولا بالساخرين الباركين على جوانب الطريق

الجوع

ألقت الاقدار في قلبي بذرة

وسرعان ما اشتبكت جذورها وتمادت ، وضخمت ساقها وتعالت ، والتفت أغصانها وترامت الى ان حجبت عني الارض والسماء

وها هي اليوم مثقلة بثمارها التي لا أخال الملائكة يتذوقون مثلها

وانا الذي يغذيها بعصير قلبه : — وان اكن جائعاً حتى التلف — لا أجرؤ امد يدي الى ثمرة من ثمراتها

الحائك

انا هو المنوال والخيط والحائك

وأنا احوك نفسي من الاموات الاحياء ، اموات الامس واليوم والآتي لم تولد

وما احوكهُ بيدي لا يستطيع احد ان يحله حتى ولا يدي ! ها هي قد يا عابر الطريق

فصلِّ معي لكيما تكون المحبة قائدة لمكوكك مثلما هي قائدة لمكوكي في اللحظة التي اراك فيها على منوالي صورة سرية كالقدر وسرًّا سرمديًّا كالله

والآن سر في سبيلك ، ولا تقل لي وداعاً !

فأنا لا اقول وداعاً لأحد

أنا ماضٍ في حياكتي

أنقلها خليل هنداوي !

من الادب النرويجي

الوالد

مؤلف هذه الحكاية بورستسن بيورنسون Bjornstjerne Bjornson ١٨٣٢ — ١٩١٠ وهو من اركان الادب النرويجي الحديث فهو شاعر ومؤلف قصصاً ومسرحياً وسياسياً ورعيماً من زعماء الشعب. ولحكاياته Short tales مكانة عالية بين آثاره الادبية والحكاية التالية في نظر النقاد آية رفيعة في بساطتها وايجازها

كان الرجل الذي تروى حكايتهُ في هذه السطور اغنى رجال مقاطعتهِ واعلاهم نفوذاً . وكان اسمهُ ثورد اوفرساس

جاء الى مكتب القسيس في احد الايام ووقف امامهُ بقامتهِ المديدة ونظرتهِ القوية وقال :

— لقد ولد لي ولد واريد ان اقدمهُ للعمودية

* وما عسى ان يكون اسمهُ

— فِنْ ، وهو اسم والدي

* ومن عسى ان يكون صامنهُ

فذكرت اسماء طائفة من الرجال النساء فاذا هم من اكفاء اقرباء ثورد مقاماً في المقاطعة

* فقال القسيس : وهل ثمة شيءٌ آخر ؟

— فتردّد الفلاح الكبير قليلاً وقال : اريد ان يعمَّد ولدي وحدهُ

* اي انك تريدُ ان يعمَّد في احد ايام الاسبوع

— يوم السبت القادم عند الظهر

* فسأل القسيس وهل ثمة رغبة اخرى

— كلاَّ . ثم وضع ثورد قبعتهُ على رأسهِ يتحفَّز للخروج

* فوقف القسيس . واخذ ثورد من ذراعهِ وقال : بقي ان اتمنى لك ان يكون ابيك نعمةً عليك

***

وفي احد الايام ، بعد ستة عشر عاماً جاء ثورد ثانية الى القسيس ودخل عليه في مكتبهِ . فقال القسيس بعد ان حدجهُ بعينيهِ : حقًّا انك محتفظ بفتوتك

— فقال : ثورد لانني لا اعاني همًّا ما

* فلم يردَّ القسيس على هذا القول ولكنهُ بعد هنيهة قال : ما هي رغبتك الليلة

— اتيتك الليلة في شأن آخر لولدي . انه ينتظم في الكنيسة غداً

* انهُ ولد ذكيٌّ

— ولكنني لا اريد ان ادفع رسم الكنيسة قبل ان اعلم أين تكون مكانته بين الشبان المتقدمين معهُ للانتظام فيها

* في المقدمة

— قيل لي هذا . دونك عشرة ريالات

* أليس ثمة خدمة اخرى استطيع ان أسديها . قال القسيس هذا وهو ينظر نظرة ثابتة في عيني ثورد

— كلاَّ . وخرج ثورد

***

ثم انقضت ثماني سنوات اخرى ، وفي أحد الايام سمع القسيس ضجة وصياحاً خارج مكتبه ، لأن جماعة من الرجال كانت تقترب منهُ وعلى رأسهم ثورد ، فتقدمهم في الدخول الى المكتب

فحدق فيهِ القسيس وعرفهُ . وقال :

* لقد أتيت مصحوباً الليلة

— لقد أتيت الليلة لاطلب اصدار رخصة بزواج ابني . انهُ سيتزوج كارن ستور ابنة «غودمنود» الواقف الى جانبي

* انها أغنى فتاة في المقاطعة

— فقال ثورد وهو يمرُّ كفهُ على شعره كأنهُ لا يعبأ : كذلك يقولون

فاتكأ الكاهن على مكتبهِ كأنهُ غارق في بحار التأمل . ثم دوَّن الاسماء في كتابهِ ، وعلَّق عليها بما يرى ، وتقدم الرجال من صحبة ثورد ووقَّعوا . ثم ألقى ثورد ثلاثة ريالات على المكتب

* فقال القسيس : حقي منها ريال واحد فقط

— اعلم ذلك حق العلم ولكنهُ وحيدي واريد ان يكون زواجهُ فخماً

فاخذ القسيس المال

* هذه هي المرَّة الثالثة التي اتيتني فيها في شأن لولدك

— نعم : ولكنني انتهيت منهُ الآن . قال ذلك وهو يطوي محفظتهُ في جيبهِ ثم ودَّع وانصرف وتبعهُ صحبه

***

وبعد انقضاء اسبوعين على ذلك ، كان الرحل وابنهُ يجذفان في زورق قاصدين الى منور ليون ليتما تدبيرات حفلة الزفاف . كان الجوّ صافياً والبحيرة كأنها مرآة زرقاء

واذ هما يجذفان قال الفتى : هذا المقعد متقلقل . ووقف في الزورق يبغي تثبيت قدة الخشب التي كان جالساً عليها . ولكن القدّة التي وقف عليها ، زلقت من تحت قدميهِ ، فرفع ذراعيهِ في الهواء ، وصاح وسقط في البحيرة

فصاح والدهُ وقد قفز الى قدميهِ ومدَّ مجذافهُ : تمسَّك بهذا المجذاف . وبعد ان حاول الفتى ان يمسك بالمجذاف ، مرة او مرتين ، على غير طائل ، تصلَّب جسمهُ

فصاح الوالد : اصبر قليلاً . وجعل يجذف نحو ابنهِ . ولكن الفتى انقلب على ظهرهِ ، ونظر الى والدهِ نظرة طويلة وغاب في الاعماق

فلم يكد ثورد يصدّق ما حدث . فجلس في الزورق المستقرّ ساهماً . يحدق في البقعة التي غاص فيها ولدهُ ، كأنهُ عائد بلا ريب الى سطح الماء . فرأى اولاً فقاقيع

صغيرة على سطح الماء . ثم اخرى . ثم اخيراً رأى فقاعة كبيرة تنفجر واذا البحيرة عادت ساكنة صافية كالمرآة

ويقول الناس انهم شاهدوا الولد ثلاثة ايام بلياليها يحذف حول تلك البقعة غير عابئ بالاكل ولا بالشرب . كان يبحث عن جثة ولده . وفي فجر اليوم الثالث ، وجدها . فحملها بين ذراعيه وتوقل بها الآكام الى مزرعته —

***

وبعد انقضاء نحو سنة على ذلك اليوم ، كان القسيس جالساً في مكتبه ، والمساء مساء خريف كئيب ، اذ رأى في المجاز امام بابه رجلاً يبحث عن قفل الباب ليفتحه . ففتح القسيس الباب ، واذا هو امام رجل طويل نحيف محني الظهر ابيض اللحية . فحدّق فيه طويلاً قبل ان عرفه . لانه كان صاحبه ثورد

* فقال القسيس وهو واقف امامه : انت متأخر في عودتك الى دارك

— فقال ثورد : نعم . وتهالك على مقعد

فجلس القسيس كذلك ، كأنه ينتظر . وبعد صمت طويل قال ثورد

— معي شيء اريد ان اعطيه للفقراء . اريد ان يثمرّ هبة باسم ولدي . ثم وقف ووضع على المائدة مبلغاً من المال وعاد الى مقعده

فاحصى القسيس النقود . وقال

* هذا مبلغ كبير من المال

— هو نصف ثمن مزرعتي . فقد بعتها اليوم

فصمت القسيس طويلاً ثم قال لثورد بلطف و تؤدة وماذا تبغي ان تفعل الآن

— خيراً مما فعلت في الماضي

ولبثا هنيهة صامتين . الوالد ذابل النظر يحدق بالارض . والقسيس يحدق بثورد ثم قال القسيس متمهلاً متلطفاً:

* اظن ان ولدك قد اسبغ عليك النعمة الحقيقية اخيراً

— اني على رأيك

والتفت الى القسيس فاذا دمعتان كبيرتان تنحدران على خدّيه

مكتبة المقتطف

المعجم الفلكي

تأليف الفريق امين فهد المعلوف — طبع بمطبعة دار الكتب المصرية — ثمنه ١٥ قرشا

امين فهد المعلوف باشا مؤلف هذا المعجم فضل على اللغة العربية العلمية لا يدرك قيمته ادركته حرفة الكتابة العلمية باللغة العربية فاضطر في خلال الترجمة أو التأليف أن يحقق ز أو نبات أو جرم من الاجرام السماوية . ولو لم يشغف الفريق العلامة بهذه المباحث لما ... ينظر فيها مدى ثلاثين سنة أو تزيد . الاّ ان الشغف وحده لا يكفي وان كان ... عنه . وقد أعدّ الباشا عدّته لهذه المباحث من علم منظم وأسفار واسعة النطاق وصبر ... دقيق وانصاف هي في الواقع صفات العالم العامل ويجب أن تشد بعضها بعضاً والاّ كانت العلم مشوهه . وقد اتحفنا من سنوات بمعجم الحيوان بعد ان نشر معظمه فصولاً متتابعة ... وها هو ذا يتحفنا اليوم بالمعجم الفلكي وفيه أسماء النجوم وصورها وأهم المصطلحات ... دارها وأفلاكها

... مقدمته انهُ اعتمد على ما نشر من كتب الفلك وخصّ بالذكر منها اصول علم الهيئة ... الزرقاء (فانديك) وبسائط علم الفلك (صرّوف) وعلم الفلك عند العرب وزيج الصابىء ... الآثار الباقية (للبيروني) وترجمته للدكتور ادورد ساخو وترجمة تاج العروس (لاين) . ... كتب اخرى كان فانديك قد أخذ عنها لذلك أسند التحقيق الى فانديك ولم يتخطه الى ... الصوفي أو اولغ بك أو النيزيني وهذا الاعتراف من الفضائل العلمية التي يتصف بها ... يجب أن تذاع ليأخذ بها جميع المؤلفين المحققين

... معجم مرتب وفقاً للابجدية الاعجمية فيبتدىء باصطلاح Aberration of Light وما يقابلها ... عربية وينتهي باسم نجمين في صورة العقرب

... يكتف المؤلف بذكر الاسم العلمي باللغة الاعجمية وما يقابله باللغة العربية بل وضح الاسم ... الغالب بنبذ تاريخية أو علمية تدل على واسع علمه . ولا يستغني عنها الباحث . فتحنا ففتح عند الصفحة ٣١ فاذا في الصفحة تحقيق تاريخي نفيس لاسم النجم الكبير في صورة ... المشهور باللغة الاعجمية باسم Betelgeuse فقال بعد ان وضع امام لاسم الفرنجي مقابلين هما منكب الجوزاء ويد الجوزاء ما يلي :—

المشهور عند الافرنج ان الكلمة من إبط الجوزاء بالعربية وهي ليست كذلك . فكتبت الى

السيد البكري استفتيه في ذلك وقلت اني لم اعثر على إبط الجوزاء في كتاب عربي قديم الافرنج قرأوا يد الجوزاء بالياء المثناة بعد الجوزاء بالباء الموحدة فأجابني بما يؤيد وجواب السيد البكري يستغرق عشرة سطور وفي كل سطر تحقيق علمي مفيد

وليست جميع التعليقات في المعجم في طول هذا التعليق ولكنها جميعاً تؤدي ما يتوخاها المؤلف لمن يعتمد المراجعة في معجمه

ولا يسع الباحث ان يقلب صفحات هذا المعجم من دون أن يستوقف نظره كثير الفلكية باللغات الاعجمية المنقولة من أسماء عربية بعد تحريفها تحريفاً يسيراً أو كبيراً . في صفحة من صفحات هذا المعجم من اسم واحد على الاقل. فتحتاج عند الصفحة ٧٣ فوجدنا وهو من منكب ذي الاعنة و Monkar نجم في صورة قيطس وهو منخر قيطس وكذا منكب الفرس و Merak وهي مراق الدب الاكبر . وهذا في صفحة واحدة

ولم يكتف المؤلف الفاضل بترتيب ما حققه السابقون من أعلام البحث . بل حقق الفاظاً مختلفة واسماء عدة نجوم منها الماصح Achromatic أي خال من اللون فيقال مر وشبحية ماصحة. واللصيق Adjacte وهو نجم خفي قرب نجم آخر أشد منهُ لمعاناً كالسها في الس

ومن الصور النجومية صورة تعرف باللغة الاعجمية باسم ترجمته «الصليب الجنوبي» اسم الطيارة المشهورة التي استقلها كنسجفورد سمث الاسترالي في رحلاته الجوية . ولكن لم يكتف بالترجمة بل علم من المستر فلبي ان العرب يسمون هذه الصورة «نعيما» والحاشية في تحقيق هذا الاسم تدل على الجهد الذي بذل في اعداد الكتاب

وكنا نود ان يشتمل المعجم على بعض المصطلحات في علم الفلك الحديث مما لا يد الكاتب في هذا الموضوع مثل عبارة Expanding Universe وقد ترجمت بألفاظ وعبارات مختلفة فقيل الكون المتمدد والمتشتت والآخذ في التمدد او التشتت أو الاتساع وغيره Red line shift وقد ترجمت بحيود الخط الاحمر (نظيف) وانحراف الخط الاحمر .وهذه من مصطلحات علم البصريات ولهُ صلة بظاهرة تفرق السدم اللولبية خارج المجرَّة ولا يمكن أن فصل في علم الفلك الحديث من دون الاشارة اليها . ثم هناك لفظ Interferometer وهو دقيق استنبطه العلاَّمة ميكلصن لقياس أقطار النجوم السحيقة وثمت عبارات والفاظ اخرى لا

والسدم انواع ميز بينها العلم الحديث منها ما هو داخل المجرَّة ومنها ما هو خارجها ومنها داخل المجرة انواع كذلك ولكن المؤلف لم يشر الى كل هذا واكتفى بذكر السدم مع ان العلمي باللغة العربية لا يكاد يطرق موضوع السدم حتى يشعر بالحاجة الى اسماء عربية لأنواعها المختلفة

ثم اننا لا نعلم لماذا وضع المؤلف الفاضل لفظ Ether وهو الوسط الذي يفرض فيه

عشر المالىء لرحاب الفضاء — «ايثر» بتقديم الياء على الثاء . والذي نعلمه أن المصطلح السائر
تعريباً لهذا اللفظ هو «اثير» بتقديم الثاء على الياء تمييزاً له عن السائل الطيار المخدر المعروف
فالوسط المفروض في الطبيعة «اثير» والسائل الطيار «ايثر» وبهذا الفرق يميز أحدهما عن
وفي هذا تحديد لمعنى اللفظين

وفي ترجمته لفظ epoch (مبدأ التاريخ) ولفظ [illegible] التاريخ غموض لان لكل من هذين
معنى عامًّا ومعنى فلكيًّا ومعنى جيولوجيا فالتفصيل في هذا المقام كان أدل أو على الاقل
المعنى الفلكي لان المعجم فلكي

والخلاصة ان الكتاب مفيد مفيد وبوجه خاص في كل ما يتعلق بأسماء النجوم والسيارات
[illegible] النجومية

[illegible] أن نختم الكلام على هذا الكتاب من دون الاشارة الى اتقان اخراجه . فالفرق بين
الاسماء الرئيسية وتوابعها واضح كل الوضوح ، والحروف اليونانية لا بدَّ منها في أي معجم
[illegible] نجوم الصور الفلكية سميت بالحروف اليونانية فيقال الفا الكلب وهي الشعرى اليمانية
[illegible] وبيتا الاسد . وهذا المعجم يحتوي عليها في مواقعها . ومعظم الفضل في اخراج هذا
[illegible] على هذا الشكل المتقن يعود الى الاستاذ نديم مدير مطبعة دار الكتب المصرية

نبات سورية وفلسطين

تأليف بوست — المجلد الثاني — المطبعة الاميركية ببيروت

Flora of Syria and Palestine

[illegible] بيروت في النصف الثاني من القرن الماضي طائفة من العلماء يشار اليهم بالبنان منهم في
[illegible] الاميركية — وكانت تسمى قبلا المدرسة الكلية السورية الانجيلية - الدكتور كرنيليوس فان ديك
[illegible] والدكتور يوحنا ورتبات والدكتور جورج بوست والدكتور ادون لويس والدكتور
[illegible] والدكتور فارس نمر والدكتور هارفي بورتر والشيخ خليل اليازجي والاستاذ جبر
[illegible] والاستاذ الفرد داي ، وفي المطبعة الاميركية الشيخ ابرهيم الحوراني ، وفي جامعة القديس
[illegible] للآباء اليسوعيين الاب لويس شيخو والاب هنري لامنس والاستاذ سعيد الخوري
[illegible] ، وفي المدرسة الوطنية المعلم بطرس البستاني وابنهُ سليم والشيخ ناصيف اليازجي ، وفي
[illegible] الحكمة للمطران يوسف الدبس الشيخ يوسف الاسير والشيخ عبدالله البستاني ، وفي مدرسة
[illegible] لاقمار للروم الارثوذكس الاستاذ شاهين عطية ، وفي المدرسة البطريركية نسبة إلى البطريرك
[illegible] الشيخ ابرهيم اليازجي ثم الشيخ ابرهيم الحوراني ، وفي الشوير على مقربة من بيروت
[illegible] كارسلو والاستاذان ظاهر خيرالله وجرجس همّام وكلاهما من الشوير ، ولم يبقَ من هؤلاء
[illegible]

فانديك اطال الله في عمرهم . اما الباقون فتوفوا الى رحمة خالقهم بعد ان تركوا آثاراً خالدة ولعلَّ الدكتور كرنيليوس فانديك والمعلم بطرس البستاني والازهريين والاب لويس شيخو وجورج بوست اكثرهم آثاراً عصمة وان القلم ليعجز عن ذكر مؤلفاتهم وهي لا تزال حية ولا اعلم في رجال التاريخ العربي من فاقهم في كثرة المؤلفات المفيدة الا جلال الدين السيوطي

اما الدكتور جورج بوست مؤلف هذا الكتاب فمن علماء النبات المشهورين فهو من علماء السويسري والسر جورف هُكر الاسكتلندي والدكتور شوَينفورث الالماني وكان بينهم مكاتبات . ولا شبهة ان كتابه في نبات سوريه وفلسطين وسيناء خير ما كتب الى الباب وقد كان الدكتور بوست جرَّاحاً مشهوراً وخطيباً مفوَّهاً يعرف العربية كاحد ابنائها معهُ على ما قيل لي في اواخر عمره الاستاذ الياس سعادة الطرابلسي لذلك بقيت اللهجة العامية في كلامهِ الى آخر ايامهِ . اما مؤلفاته التي اذكرها فكثيرة منها علم النبات وهو كتاب في نبات سورية وفلسطين والبادية وهو بالعربية وكتابه هذا وهو بالانكليزية وهو اشهر مؤلفاته الاولى في بيروت نحو سنة ١٨٩٢ وكنا نعتمد عليه في المدرسة . وله كتاب في الحيوان الحلقيات في سلسلة ذوات الفقرات وهو جزءان . ومن آثاره الطبية كتاب الاقرباذين والمعالجة في صناعة الجرَّاح ومجلة الطبيب . ومن آثاره الدينية فهرس الكتاب المقدس مجلدان وقاموس المقدس مجلدان . اما مواعظه وخطبه فكان يرتجلها بلغة عربية فصيحة ولا اعرف احداً في بلاد اجنبية يحسن العربية مثله ومثل الدكتور كرنيليوس فانديك وكانا يتكلمانها بلا عجمة وربما فاقه فانديك في ذلك واذكر كتاباً من كتب فان ديك العديدة في علم العروض وقليلون يدرسونه

اما كتاب بوست في نبات سورية فقد طبع لاول مرة في سنة ١٨٩٢ كما تقدم وطبع الثانية في سنة ١٩٣٣ وهي الآن في الجزء الثاني منهُ اما الجزء الاول فلم اره ولكن يمكن مقابلته الاول بمقابلتهِ بالطبعة الاولى وهي في مكتبتي فالطبعة الثانية نفيسة جدًّا وهي في ٩٢٨ صفحة الاصافات والتصويبات وتمتاز عن الطبعة الاولى بفهرس الالفاظ العربية وهذا لم يكن في الاولى . كذلك فهرس الالفاظ العبرانية . على انني لم ار ذكراً لكثير من الالفاظ العربية منها مثلاً فقد ورد في المتن في الصفحة ٧٤ ولم يرد في الفهرس . ثم ان في الطبعة الثانية اشياء لم تكن في الطبعة الاولى فهي طبعة منقحة وفيها زيادات كثيرة وانهُ يتعذَّر عليَّ نقد هذا الكتاب النفيس وانا لا اقبل لي بنقده فالمؤلف استاذي وله فضل كبير عليَّ وهو الذي علمني فكيف لا استاذي وهو من مشاهير علماء النبات وكتابه هذا خير ما كتب في نبات سورية وفلسطين والاردن وسيناء وليس عليَّ ان اقول سوى ان المستر دنسمور قد احسن واجاد في اخراج هذا الكتاب النفيس الذي هو من مفاخر الجامعة الاميركية في بيروت وسيبقى كذلك ابد الدهر

شهر في اوربا

بقلم سامي الكيالي ١٩٠ ص من القطع الصغير

دا خلا كتاب من الادعاء والتكلّف واللغو فلكن هذا الكتاب . فان سطوره لتجري ... ، وكأني بالقلم الذي خطها لم يعالج شدة ولم يَعْتَد عقبه . بل كأني به لم يطلب خطه . وشاهد ذلك ان صاحبه قال (ص ١٥٤) «اني اتقن حسّي وارسم ما تقع عليه عيني» . ... المؤلف غير ذلك لما تمَّ لهُ ان يخرج مثل هذا الكتاب . وهل لأحد من الناس ان يقدر ... البعيد والبحث الدفين وهو جائز طريق . وهل تُخبر اوربا في شهر او سنة ؟

... هذا الكتاب انهُ ينتقل بك من روما الى باريس الى لندن الى غيرها من البلدان وانت لهُ ... منبسط . واعيد ان يكون هذا الكتاب مجموعة اوصاف « موضوعية » و« تقريرات » ... صاحبه احسّ وفكر وحاول بصدق بيانه ان يجعلك تشاركه في احساسه وتفكيره . وان ... الغالب ... « من الخارج » على قول الفلاسفة . إلاّ ان المؤلف ربما اتفق لهُ ان يعلل من الظواهر (كالقبلات في الطريق ص ٤٣) . او يستوضحها (كالشعور الايطالي الوارم ص) ، او يتوجع لها (كالفجور في باريس . ص ٦٤) ، او يتكلمها (كالقصر الابيض . ص ٣٣١) ... هذا قلم أخاذ ينزل توًّا الى وليجة النفس

... اللمس في هذا السفر نزعات المؤلف الوطنية . فعربيّته الصادقة وشرقيّته الغالبة عليه ... من بين الاسطر . فاذا هو وقف امام قصر عصبة الامم كتب « العرب يطلبون حقًّا . كيانهم ... حريتهم مضيعة . . استقلالهم مسلوب . . » (ص ١٣٢) واذا رأى انجليزيًّا يطعم خبزًا بسطت عليه زبدة قال « . . اترى هذا الخبز من دقيق الهند ؟ . الانسان في ... الجوع وعصفور لندن يتلذذ بالخبز الابيض والزبدة النقية ؟ » (ص ١٠٢) . ولكنهُ ... خاتمة كتابه لم يفته ان ينوّه بصفات الغرب كمثل المرح والنشاط والاتكال على المرأة ... من الشعور الى العقل (ولأزد هنا « معرفة الواجب ») ، تلك الصفات التي اخذت بيد ... مقاعد السيادة والغلبة

... فهنالك تعابير لم تنشط لها أذني ، منها « البحر الحالم » (ص ١٥٣) ، « النساء العاريات يعرضنَ اجسامهنَّ عليك عرضاً بوهيميًّا (؟) » (ص ٦٢) . « العوائل » (اي الأُسَر) ٦٤) ، « ونأخذ فكرة لا بأس بها عن طابع البلد » (ص ٣٥) . بيد ان كل هذا الى ... جع (١)

برلين بشر فارس

---

(١) كأني بالمؤلف يعبث بالهمزة ، فانه يرسم مثلا : « طئوله » (ص ٣٦) ، « في نفوس اعضاءه » (ص ٣١) ... » ص (١٣٢)

مؤلفات المستشرقين

رسالة من برلين

الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير (الجزء التاسع)

لابي طالب علي بن انجب تاج الدين المعروف بابن الساعي الخازن

عني باخراجه مصطفى جواد طبع في المطبعة السريانية الكاثوليكية في بغداد — سنة ١٩٣٤

٣٩٠ ص ، بقطع الثمن ، ثمنه ١٢ شلناً

ان الاب انستاس ماري الكرملي علامة العراق وعضو مجمع اللغة العربية الملكي [illegible] الى المشتغلين بالتاريخ العربي معروفاً يوم نشر الجزء الثامن من «كتاب الاكليل» [illegible] الدمينة . وها هو ذا يتحفهم بسفر آخر نشره على نفقته ووكل اخراجه الى الاستاذ [illegible] والاستاذ مصطفى جواد فوق التعريف : تخرّج على الاب الكرملي فيمن تخرّج [illegible] فانصرف الى علوم اللغة العربية في نشاط لا تكاد تصيبه اليوم عند شبابنا [illegible] العربية تشهد بوقوفه على اسرارها واحاطته بأصولها وفروعها

اصاب الاستاذ مصطفى جواد هذا الكتاب مخطوطاً في المكتبة التيمورية الملحقة [illegible] المصرية ، ايام كان نزيل مصر فانبرى له ينسخه . ولما انقلب الى العراق جعل [illegible] تصحيفه وقوّم نواحيه وعلق عليه ثم نشره بنفقة الاب الكرملي

وهذا الجزء من تاريخ ابن الساعي (المتوفى سنة ٦٧٤) تجري فيه حوادث ١٢ [illegible] الى ٦٠٦) . وهو مرتب على السنين يبدأ بالسنة فيذكر حوادثها ثم يأتي بتراجم من [illegible] الاعيان . وفي الكتاب من الحوادث ما له شأن عظيم . مثال ذلك فصل في «الفتوة» [illegible] نَقْلِها الى الخليفة الناصر لدين الله مقدمة مستجدّة (ص٢٢١ وما يليها) . وقد [illegible] مخرج الكتاب مقدمة له تقع في ٣٦ صفحة ادرج فيها وصف النسخة المخطوطة وترجمة المؤلف [illegible] تصانيفه وذكر شيوخه وأقوال العلماء في تاريخه الجامع . ثم صنع بعد ذلك خمسة فهارس [illegible] للسنوات الواردة عرضاً في الكتاب، وثانيهما لاعلام الناس. وثالثهما للكلمات المفسرة [illegible] المشروحة . ورابعها للاخلاق والعادات والشؤون الاجتماعية في الكتاب (مثل اسلام [illegible] والاستخلاف في القضاة والاسعار وتراخيها) ، وخامسها لاسماء المواطن . ومما لا يفوتني ذكر مخرجي الكتب سواء في الشرق او في الغرب لم يألفوا اثبات فهرست «عمراني» للاخلاق والـ[illegible] والشؤون الاجتماعية . فأن يصنع مخرج الكتاب مثل هذا الفهرست ذلك عمل جليل جداً . اني لعلي تمنيت ان يكون للكتاب فهرست سادس شامل يهتدي به القارىء الى نواحي الـ[illegible] وفهارسه الاخرى

ثم ان صفحات الكتاب مشحونة بالتعاليق المفيدة بين لغوية وتاريخية وجغرافية وعمـ[illegible] وقد اعتمد المخرج في اجرائها على تآليف قويمة نحو اخبار الحكماء لابن القفطي [illegible]

ي الى غير ذلك مما اثبته في جدول خاص (ص يو) . ولربما اخذت على الناشر اثباته هذه التآليف
ب غير تام ، ذلك بأنهُ لم يذكر سنة الطبع ولا مكانه . ولربما اتفق له ان يعقل اسم المؤلف
د صنع المخرج فوق هذا ثلاث خرائط طريفة : الاولى خريطة بغداد الشرقية في اواخر
عباسية ، والثانية خريطة بغداد الغربية في ذلك العهد نفسه ، والثالثة خريطة «دار الخلافة»
ه صحة طبع الكتاب فلا غبار عليها . ومن المتعذر ان (تجد تصحيفاً او تحريفاً او اضطراباً
فهم للنص ، ومخرج هذا الكتاب الى الناس مخرجه ؟) رلين نشر فارس

الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي

بقلم الدكتور . ج . فِدْمِر

عدد « عالم الاسلام » (الالمانية) ، المجلد السابع عشر سنة ١٩٣٥ ص ٩٧ من القسم المتوسط

Der Irâqische Dichter, Gamil Sidqi az-Zahawi
(in: "Die Welt des Islams", B. 17, H. 1/2 1935)

لا يخفى على قراء المقتطف ان المشتغلين بالآداب العربية في بلاد الفرنجة يستوضحون الادب
فضلاً عن فحصهم الادب القديم وعلى رأس هؤلاء المستشرقين الاستاذ كراتشكوفسكي
وجبّ الانجليزي وكامْفْماير الالماني . واظن الاول اسبقهم في هذا الميدان : فله عدة
نشرها بالروسية والالمانية والعربية ثم له مبحث مدرج في ملحق دائرة المعارف الاسلامية
(في هولاندا) . وقد عالج فيها جميعاً نشوء الادب العربي الحديث وارتقاءه بدراية وفطنة
لحق ان هذا الادب لموضع عناية من حيث انهُ نفيس في ذاته لا من حيث انهُ مظهر من
الفكرية في البلاد العربية . ومما انكره ان بعض المستشرقين ومنهم بجهابذة والحمد
... وا الى بحث ادبنا الحديث مستخفين به لاهين باصحابه . وفي هؤلاء المتحاملين تارة البلداء
... من الفرنسيين خاصةً يذهبون الى ان التفكير العربي لهذا العهد حقير الشأن . تلك
... اليها تفصيلاً في هذا الباب ان شاء الله ، الا اني احب ان اقول ان للاستاذ كراتشكوفسكي
... في المجلة الالمانية المذكورة أعلاه سنة ١٩٢٩ (الخاتمة خاصة ، ص ١٩٩) يدفع ذلك
... من طريق غير مباشر (١)

ومما يفسح الصدر ان المستشرقين وبخاصة الالمان منهم ما يزالون على عنايتهم بأدبنا الحديث .
... من أعداد مجلة «عالم الاسلام» موقوفاً على الشاعر العراقي البعيد غاية ، ألا وهو جميل
الزهاوي . وينقسم هذا العدد قسمين . اولهما ترجمة حياة الزهاوي وبحث في طريقته ،

(١) لتأذن لي الاستاذ محمد كردعلي — وقد امتد نفس الكلام بقلمي الى هذا الحد — أن لا أسايره في
الاستاذ كراتشكوفسكي (انظر الاسلام والحضارة العربية مصر ١٩٣٤ ص ٢٣—٢٨) فلقد اطلعت
الاستاذ كراتشكوفسكي ، ذاك المقال الذي عليه دار الطعن ، فاشهد اني لاربأ بقلم الاستاذ محمد كردعلي ان
ذلك النحو

والثاني طائفة كبيرة من قصائده منقولة الى اللغة الالمانية . والذي عُني باخراج هذا العدد الدكتور ج . ڤِدْمِر G. Widmer وللرجل مباحث سالفة في أدبنا

يستند الدكتور ڤدمر في ترجمته لحياة الزهاوي الى ثلاثة مصادر . الاول : « كتاب ... العصري في العراق العربي » لرفائيل بطي الاديب العراقي العامل ، والثاني : مقالة للزهاوي نشرت مجلة المجمع العلمي العربي (الدمشقي) سنة ١٩٢٨ ؛ والثالث : ايضاحات بعث بها الزهاوي ... المؤلف . فجاءت الترجمة وافية اذ ضمت الوان سعي الزهاوي في سبيل استقلال العراق و... الفكر . هذا وفي رأي الدكتور ڤدمر ان الزهاوي شاعر فحل بقريحته دون حكمته ... الى المعرّي بصلة

ولا يسع الناقد — وان انحرف بعض الشيء عن رأي الدكتور ڤدمر في ... الاّ ان يشكر له اليد التي اتخذها عند الادب العربي الحديث وينوه بالجهد الذي بذله في ... شعر الزهاوي . على انهُ صرّح (ص ١٧) بان قلمه كثيراً ما كبا عند نقل روعة قصائد الشاعر ... فاي قلم يقوى على ان ينقل الشعر من لغة الى لغة بل من لغة سامية الى لغة غير سامية ...

بقي اني لا ارى منصرفاً عن ان احدث قراء المقتطف عن مجلة « عالم الاسلام » التي ... الكلام عليها . فان الغاية التي اليها تجري هذه المجلة انما الفحص عن احوال « النهضة ... الاسلامية » لهذا الزمان فحصاً لا ينخفض به تشيع ولا يزوغ بهِ لؤم قائماً على تدبر ... على اختلاف الوانها . وقد جرت تلك المجلة في هذا الميدان الواسع شوطاً بعيداً ... الاستاذ كامفماير Kampffmeyer وهو ممن يميل الى الشرق العربي ويحتج له وينزله من ... كبيرة

برلين ب . ف .

مكتبة الاطفال الحديثة

وضع احمد عطية الله — مجموعها ٢٦ كتاباً — مختلفة الموضوعات

انفق الاستاذ أحمد عطية الله مؤلف لندن وبسائط علم النفس وقتاً غير قليل في وضع ... حديثة قيمة للاطفال مجموع كتبها ٢٦ كتاباً بين صغير وكبير ضمنها الكثير من الفوائد ... والعلمية والادبية والتاريخية فضلاً عن مجموعة حكايات مبتكرة عن النبات بطريقة ... وقصص شيقة عن مبادىء الطبيعة موضحة بصور كثيرة ملونة بالالوان الجميلة وهذا مما يحتاج معرفته الاطفال لانها تربي فيهم ملكة المطالعة والدرس . وقد أعجبنا بهذه المجموعة لما فيها من ... الجمة وما تحويه من لذيذ القصص والحكايات نذكر منها قصة ملك النهر الذهبي ومعروف الا... والديك المغرور والزمار الصغير وهذه الاخيرة من القصص العالمية (بيتربان) للكاتب الانكليزي سير جيمز بري ملخصة للاطفال بها ١٨ صورة وصورتان بالالوان وصفحاتها ٤٠ صفحة

كتاب الاساس

في الامم السامية ولغاتها وقواعد اللغة العبرية

صفحت كتاب الاساس بكل دقة فوجدته كتاباً جميل المنظر مطبوعاً على ورق ابيض فاخر تجليداً جيداً ولكنهُ ضخم كبير الحجم ثقيل للمناولة والدراسة يقع في ٦٥٤ صحيفة . نصفه ر عبارة عن مجموعة تمارين ومفردات وقاموس للافعال . وعن فصول من التوراة تشغل ١٤٠ ة من النصف . وعدد كبير من الصحائف يحتوي على ٦ او ٧ اسطر فقط لا تزيد عن ٢٧ — لة مما يدل على علامات البذخ والاسراف في الطبع . وأما شكل الحروف العبرية ولا سيما ة فليست من نوع المربع الجميل المألوف . وكان يمكن الاستغناء عن قاموس الافعال والمفردات ل التوراة اذ لم تكن من خصائصه فيخف حجمه

يقسم الكتاب الى قسمين الاول بحث في علم اللغات عموماً والسامية خصوصاً للدكتور علي ي . والقسم الثاني في آداب اللغة العبرية للاستاذ ليون محرز في دار العلوم

بحث الدكتور في القسم الاول منه مليًّا وأفاض وأفاد في تعريف اللغة وبسط الآراء في كيفية ا وشرح المذهبين في تكوينها الديني والطبيعي وتكوين المقاطع والالفاظ. ثم تناول وضع الكلمات اعد ولغة الانسان الاولى فقال اما كانت واحدة بحسب نظرية المذهب الديني واما متعددة بحسب ب الطبيعي وظهرت في بقاع مختلفة

ثم انتقل في البحث الى اللغات القديمة . فمنها (١) القديمة التي لا يوجد دليل لحدها وهذه تشمل ية القديمة . والكنعانية والبابلية والسانسكريتية ومنها (٢) المعروفة النشأة والزمن كالعبرية ريانية والاغريقية واللاتينية . ومع أقدميتها نجد فيها قواعد وتنسيقات لغوية مما يثبت وجود د في الصرف والنحو قديمة العهد جدًّا

ثم انتقل الى علم اللغات عموماً (الفيلولوجيا) وبحث في اصل هذه اللفظة وبعدها وفي اول من ها وهو افلاطون ثم في نوعيها الاكلاسية او المحتذاة والعامة وتاريخ ابتدائها يرجع الى ١٨ ثم عن فوائدها وما انتجت المقارنة اللفظية والمعنوية بها وفي آدابها وعلم فقه اللغة والنقد والادبي وفي أدوارها الاربعة (١) الايطالياني من القرن ١٤— ١٦ و (٢) الفرنسي الى القرن و (٣) الانكليزي الهولندي الى القرن ١٨ و (٤) والالماني الاخير الى الآن

ثم بحث مطولاً في مجاميع اللغات واقسامها والاسس التي استندوا اليها في التقسيم ثم كيف انهُ ود عنيف ومثابرة وصلوا الى حل النقوش والخطوط القديمة ولغاتها الهيروغليفية والمسمارية نسكريتية وبروايات الكتب المقدسة والرحلات والروايات المتوارثة والوثائق الرسمية وصلوا

ايضاً الى التاريخ الدقيق ثم الى المروي الاسطوري ما خلا من الاعتماد على التاريخ الدقيق ما لم تدحض البراهين الاثرية والمباحث العلمية الطبيعية

ثم بحث طويلاً في مجاميع اللغات واقسامها والاسس التي استندوا اليها في التقسيم ومنها تقسيم التوراة الى سامي حامي ويافثي وتقسيمات الطبيعة بحسب الوان البشر والاماكن والاوسطة ثم اضافو مجاميع اخرى فاوصلوها الى ١٠ وتعرف بالسامية والآرية . ثم بحث في اقسامها ولهجاتها . وتناول قسم آخر الحادي عشر وهو مجموعة اللغات المنعزلة التي لا تشبه بعضها بعضاً ولا رابطة وصلة لها كالجركسي واليابانية والاسكيمو . وبين في احصاء اللغات ان عددها يتراوح ما بين ٩٠٠ و ١٥٠٠ وقد اوصل ادلونغ الى ٣٠٠٠ لغة

ثم انبرى الى المجموعة السامية وفروعها الاصلية العربي والعبري والسرياني وأول من سمى بالسامية شلونزر ١٧٨١ وبين اختلافهم في مهدها الاول وفي كيفية نشأتهم في اماكن مختلفة مصب النهرين وكنعان والحبشة وفي افريقيا وبلاد العرب وان انصار الرأي الاخير الراجح اي بلاد العرب ومنها ابتدأت الهجرة السامية الاولى . وبناء على هذا الرأي يعتقد أن اللغة السامية الاولى كانت عربية . وهي اما العربية الارمية او ام لها نشأت منها اللهجات التي تفرعت عن لهجات العرب

ثم قارن بينها مقارنة لفظية فنية اي في اللغة . ومعنوية ادبية اي تاريخية وفي التفكير الديني والفني الاجتماعي المدني والفلسفي والمجهود العقلي التاريخي الادبي ثم عن العلاقة وتأثير الامة العربية والعبرية وتقرير تاريخه . ثم بين مقارنة ثالثة تختص بجميع اللغات السامية ونتائجها الخاصة وتعيين أثرها في الحضارة وبالنسبة الى حضارة الانسانية العامة وهذه المقارنة خاصة بالجنس السامي

اما نشأة هذه المقارنة المعنوية الادبية تنسب الى منتصف القرن ١٩ وكان رينان الفرنسي المستشرق اول من كتب كتاباً في قواعد اللغات السامية والمقارنة بينها وبحث عن نوعها اللغوي والمعنوي نولدكه وبروكلمن . ثم قال الخلاصة ان اهم مجاميع اللغات العشر لا يتعدى المجموعتين السامية والآرية وان اعظم الاجناس البشرية وافضلها ينحصر في السامي والآري وان لهذين الشعبين السلطة الاكبر في قيادة الامم . والسامي أقدم وأبعد من الآري . ومن اطلع على المباحث في هذا الجزء النفيس من الكتاب يتأكد من متانة الاستاذ عناني في علم اللغات ولا سيما في اللغات السامية وكفاءته وتضلعه منها وقد سد فراغاً محسوساً في لغتنا العربية في هذا الموضوع

***

ثم بحث الاستاذ ليون محرز في الجزء الثاني من الكتاب فأفاض عن الخط العبري وعن من الكنعانية اصل جميع الخطوط السامية . وكان يعرف الخط العبري القديم بالقلم العبري (ك

نش عملية الحفر في جبل سلوان في عهد الملك حزقيال حوالي ٧٠٠ ق م » اني لا اعلم ملكاً لبني رائيل بهذا الاسم مطلقاً ولربما يقصد الملك حزقيا . واذكر بهذا الصدد نقشاً آخر واقدم منهُ و حجر موآب للملك ميسع ملك موآب اكتشف في ديبون ١٨٠٨ عبري فينيقي موجود في باريز ن يرجع تاريخه الى سنة ٨٦٠ ق م يحتوي على ٢٨٠ كلمة في ٣٤ سطراً

ثم ترك العبريون هذا الخط واخذوا الخط المربع الاشوري المستعمل للآن وكانوا يستعملونهُ الشؤون الدينية فقط والقديم الى نهاية القرن الثاني ب . م ومن الغرابة ان الاستاذ لم يذكر شيئاً عن ط المعروف بالراشي الذي كتبت به معظم شروحات التوراة والتلمود وغيرها من المؤلفات التي تحصى الى يومنا هذا

ثم بين كيف ان نظام الابجدية وحساب الجمل معروف قديماً ونجده في المزامير والمراثي والامثال التوراة وكيف انهم استعملوا حروف العلة في الابتداء لضبط النطق ثم اخترعوا نظام الحركات في رن ٥ و٦ وانهُ كان لها عدة نظم اشهرها العراقي والطبري المستعمل للآن

***

ومما يؤسف له أن الاستاذ لم يستوف الكلام عن الحروف وأنواعها وحروف الابدال والحروف ي تنقص في العبرية وحروف العلة والحروف الحلقية والمقاطع . ولا عن الحركات الثابتة والقابلة التغيير ولا ن الحركات اللحنية أي علامات الترقيم التي عليها يتوقف تقطيع الآيات في ضبط قراءة التوراة ولا ن المقاف علامة الوصل والمتغ والجميا ولا عن أحكام الشوا والقامص ونبرة الصوت وحروف المعاني واو القالبة وواو العطف وشين الموصولية ولا عن الحروف الزائدة « اهوين » ولا عن الحذف. الحروف ولا عن صيغة المنسوب ولا عن اوزان الاسماء كما يجب ولا عن الحروف والظروف وأهمل ليه اسم التصغير كما في العربية وقواعد التأنيث والتثنية واوزان النعت . وهاء البدا والرافه علامة تخفيف وقواعد الاختصار وعلاماتها واوزان المزيدات في الافعال النادرة غير السبعة

ولم يضبط كيفية لفظ الحروف الحلقية المشكلة بالفتحة التي سماها المستعارة (والاضبط المختلسة كما هي في العبرية) فانها تلفظ كالضمة المختلسة بتقدير حرف الالف ولا اليود او الواو ولم يتقن كيفية لفظ الحركات بالعربية ولم يأتِ بالاسماء العبرية المعربة في بعض المحال

ثم جاء بسلسلة تمرينات وتراجم حياة بعض الشعراء وبعض مفردات في اللغة ومعجم في الافعال عبرية ولكن ينقصه كثير من الافعال التي وردت في التلمود . ثم جاء بفصول من التوراة مع ترجمتها العربية شغلت نحو ١٤٠ صحيفة من الكتاب . ومن الغرابة أنهُ لم يتكلم عن قواعد النحو « الكلية » (شموش هلاشون) واظن أنهُ كان أولى وألزم من المعجم والمفردات التي جاء بها وليست من خصائص هذا الكتاب فكان أوفى وأخف وأنسب مما هو الآن ككتاب في قواعد اللغة

قصص علمية للاطفال

الجزء الاول : النحلة العاملة — الجزء الثاني : العنكب الحزين — للاستاذ كامل كيلاني

ليس اسم الاستاذ كامل كيلاني في حاجة الى تقديم وتعريف ، فهو من خاصة أدباء الشر كان لانتاجهم أثر كبير ، وقد عرف بنشاطه المتواصل في الإنتاج ، وتعدد جوانبه في التأليـ أخرج في الادب : رسالة الغفران وديوان ابن الرومي وابن زيدون ، ومما أخرج في التاريخ الطوائف ومصارع الاعيان والخلفاء. ومما أخرج في القصة : مختار القصص، وروائع من قصص

ومنذ سنين صرف قسطاً كبيراً من جهده في انشاء مكتبة للاطفال ، ووضع لها بر بالحاجة . وهذه فكرة قويمة ، لانها تسد في المكتبة العربية فراغاً من العار أن لا يسد ، وق في كل ما انفذه من برنامجها الوسيع ، فالذي بين ايدي القراء من هذه الكتب يدل دلالة على ان مؤلفها يدخر لها ذخيرة نفيسة من اليقظة والعناية

وعلى الرغم من ان تلك الكتب التي وضعت خصيصاً للاطفال هي الاولى من نوعها في العربية ، وانها فتح جديد في عالم التأليف ، فقد بلغت من الاجادة المبلغ الذي يخيّل ان مؤ في طريق صادر وارد ، وان كتبه نتيجة تطور ، وخاتمة تجارب ، ووثبة سبقتها خطوات .

ومن حديث ما اظهره الاستاذ كامل كيلاني من كتب الاطفال ، كتاب : « قصص علمية جزءان كبيران ، الاول اسمهُ : « النحلة العاملة » والثاني اسمه : « العنكب الحزين »

وهذا الكتاب — كما يدل عليه عنوانه — قصص صغيرة مملوءة بالمعلومات العلمية في والنبات ، واسلوب هذه القصص طلي بغاية الطلاوة ، تتخللهُ المحاورات التي توقظ انتباه وتغريه بمتابعة القراءة ، اما المعلومات العلمية فمسوقة في اطواء القصة بلباقة ومهارة وحذق يتلقاها القارىء الراغب في التسلية بشغف ورضى . وهذه الظاهرة وحدها جديرة بالاعجاب

وقد اخذ المؤلف على نفسه ان يستعمل الكنى العربية للحيوانات التي يرد ذكرها في الق مثل « ام خداش » للهرة ، و« ام راشد » للفأرة ، وهذه وسيلة طريفة للتسمية ، ولو ذكر باسم جنسه ، او سمي باسم خاص ، لما اخذ سياق الحديث هذا الرواء الذي اخذه باستعمال الـ على ان لهذه الوسيلة فائدة اخرى ، هي اطلاع القارىء على ثروة لغوية يتبين بها سعة الع وضربها في كل فن بسهم . ويحسن ان نذكر هنا ان الجزء الاول من هذا الكتاب ختم بمعجم لاسماء الحيوان وكُناهُ ومعجم آخر للنحّال شمل اسماء النحل وبيته وولده وما اليه . وي هذين المعجمين لم يستقل بهما كتاب لغوي فيما نحسب ، بل جمعت موادهما من كتب لغوية ش

ومن ظريف التدبير في الجزء الثاني أن كل قصة أتبعت بها قصة منظومة نظماً رائعا اجتمعت في الكتاب مقطوعات تؤلف ديواناً صغيراً للأطفال

والحق أن ذلك الكتاب ، بفضل موضوعه ، وحسن أسلوبه ، وأناقة طبعه ، تحفة

باب الأخبار العلمية

الحرب والمرض

بحث احصائي طريف

قبل ان قتلى الحرب العالمية بلغوا عشرة
ن نفس . ولكن الباحثين ورجال الاحصاء
ون الى ان الحرب العالمية لم تنته في ١١
سنة ١٩١٨ بل عندهم ان الثورة الروسية
ب التركية اليونانية ذيلان من ذيولها .
ب الاهلية والانقلاب في روسيا افضيا
ساعي فرنجل ودنيكين وكولشاك وغيرهم
وس البيض على ما يدعون ، لانقاذ روسية
أن البلاشفة . ثم هناك الحرب الروسية
سة التي انتهت سنة ١٩٢٠ « بقيادة
سويين وشجاعة البولونيين »

ويقدر قتلى هذه الحروب بنحو ثلاثة
ن ونصف مليون نسمة . تضاف الى الملايين
ة الذين قتلوا في الحرب العالمية

المرض يصحب الحرب دائماً . فالهواء
ر صحب حرب القريم والحرب البروسية
ية وسار في اثرها . وصحب مرض الجدري
ة الفرنسية البروسية فمات به ٢٧٠ الفاً
أس . ولم تشذ الحرب العالمية عن الحروب
ة . واشهر الامراض التي تفشت فيها
حمى التيفوس والنزلة المعروفة بالانفلونزا
اد فتك هذين المرضين ضعف الناس

جنوداً وغير جنود عن المقاومة ، وضعفهم
نشأ عن عسر المعيشة في ايام الحرب فالذين
ماتوا بالانفلونزا يجب ان يحسبوا من قتلى
الحرب ، كالجنود والضباط الساقطين في الميدان

وقد عجبنا قبلاً لماذا نعتت الانفلونزا
باسنادها الى اسبانيا . ولكن كاتباً في مجلة
الفورم الاميركية يقول ان اقلام المراقبة في
دول الحلفاء منعت اولاً تسرب اخبار الانفلونزا
الى الجماهير لئلاَّ يفتُّ نبأ المرض وتفشيه في
عضدها . ولم يذع نبأ هذه الوافدة الاَّ لما تخطت
في فتكها البلدان المحاربة الى البلدان المحايدة
فبدأت عندئذٍ انباء تفشيها تتسرب الى الخارج .
ولما كانت اسبانيا من البلدان المحايدة التي
اصيبت بها شر اصابة ، كانت الانباء الاولى التي
اذيعت عنها في العالم مقرونة بذكر ضحاياها
العديدين في اسبانيا . فقيل الانفلونزا الاسبانية
مع ان هذا المرض لم ينشأ في اسبانيا

وقد بلغ عدد الذين ماتوا في الولايات
المتحدة الاميركية بالانفلونزا ٦٠٠ الف نسمة .
وهذا احصاء يعتمد عليه . ويقال ان عدد
الذين ذهبوا ضحيتها في المكسيك ٤٠٠ الف
نسمة وهو تقدير تقريبي . اما بلدان جنوب

اميركا فقد اصيبت بها اصابة شديدة ؛ حتى ليسع الباحث ان يقول ان عدد الذين ماتوا بها في قارتي اميركا الشمالية واميركا الجنوبية بلغ ١٥٠٠ر٠٠٠ نسمة

وبلغ عدد الذين ماتوا بها في اوربا ٢٥٠٠ر٠٠٠ نسمة وفي افريقيا مليون (وقد كان القطر المصري من البلدان التي اصيبت بها شر اصابة) . اما عدد ضحاياها في بلدان آسيا فلا يكاد يصدق . فقد قدرت وزارة الصحة العمومية في بريطانيا عدد الذين ماتوا بها في الهند بثمانية ملايين نسمة وخسرت بها اليابان ٢٥٠ الفاً وايران ٢٠٠ الف وجزائر الفيلبين ٨٥ الفاً فمجموع ما خسرته بها آسيا يكاد يكون عشرة ملايين . اما مجموع الخسارة في القارات المختلفة فكما يلي :

آسيا	١٠ر٠٠٠ر٠٠٠
اميركا الشمالية والجنوبية	١ر٥٠٠ر٠٠٠
اوربا	٢ر٥٠٠ر٠٠٠
افريقية	١ر٠٠٠ر٠٠٠

ومن الامراض التي حصدت كثيرين مرض السل . فقد زاد متوسط الوفيات به بعيد نشوب الحرب . ولما اشتدت حرب الغواصات بلغ متوسط الوفيات به مبلغاً عظيماً سببهُ سوء التغذية في البلدان المحاربة

ففي سنة ١٩١٨ كان متوسط الوفيات به في فرنسا ١٠ في المائة اعلى من المتوسط السنوي قبيل الحرب وفي انكلترا ٢٥ في المائة وفي ايطاليا اقصاها في اوربا الوسطى . ففي تشكوسلوفا زادت ٣٤ في المائة عما كانت عليه قبيل الحر وفي المانيا ٦١ في المائة وفي النمسا ٦٧ في الما وقد زاد عدد وفيات السل في المانيا خلا سنوات الحرب ١٦٠ الفاً على عدد وفياته في سنة ١٩١٣ و ١٤٠ الفاً من هؤلاء كانوا من غير المحا

وكما زادت وفيات السل في الحرب عما كان عليه قبلها زادت كذلك الوفيات بالامراض الاخرى . وهذا يصدق على جميع البلدان المحاربة ولكن احصاءات ايطاليا يصح ان تتخذ مثلا فقد زاد عدد الوفيات بالسكتة القلبية فيها ٣٥ الفاً في السنة الى ٤٤ الفاً . والوفيات بالالتهاب من ١٠ آلاف في السنة الى ١٥ الفاً . وبالامراض المعوية من ١٦٠ الفاً في السنة الى ٩٣ الف وبالتهاب الرئة والتهاب الرئة الشعبي من ١٧١ في السنة ١٧٨ الفاً وبالتيفوئيد من ٧ آلاف الى ١١ الفاً وهكذا

ولم ينحصر اثر هذه الامراض في البلد المحاربة بل تعداه الى البلدان المحايدة لان معيشتها من الوجهة الصحية لم تكن تختلف كثيراً عن حالة البلدان المحاربة . وقد عكف الاستاذ هرش احد اساتذة جامعة جنيف يدرس هذه الناحية من الموضوع درساً احصائياً فوجد ان زيادة عدد الوفيات في اسبانيا خلال الحرب على عددها قبل الحرب بلغ ٥٣٠ الفاً

فاذا جمعت هذه الارقام وجدنا ان ٢٧ مليوناً من غير المحاربين ماتوا خلال الحرب الكبرى بسببها . فاذا اضيف هذا الرقم الى

عود الى البلون

والبلون الالماني الجديد

بعد النكبة التي أصابت البلون البريطاني
١ باصطدامه باكمة قرب بوفيه سنة ١٩٢٩
ت بريطانيا الثقة التي كانت قد عقدتها على
نات كوسيلة من وسائل السفر الجوي بين
ن الامبراطورية . وقد خسرت بريطانيا
ك النكبة لورد طمسن والسر سفتن برانكر
ت رجلين كانا في مقدمة الداعين فيها الى
مال البلونات في المواصلات الامبراطورية
وقد أصيبت الولايات المتحدة الاميركية
نكبة واحدة في بلوناتها الكبيرة. فاصيب
البلون شنندوى ثم اصيب البلون اكرون
ل ذلك لم يقعد الاميركيين عن المضي في
البلونات . ففي يناير من هذه السنة قررت
ة الطيران الاميركية انشاء محطة للمباحث
ربة التجارب الخاصة باستعمال البلونات للنقل
ميركا واوربا تغلبا على منافسة السفن البحرية
يدة . فلما حدثت نكبة البلون الاميركي
كون» في فبراير أي بعيد ما اتخذت اللجنة
رها المتقدم جاءت تلك النكبة عائقاً في سبيل
مال البلونات أو بنائها في لميركا

وقد ثبت حتى الآن ان الالمان فقط نجحوا
استعمال البلونات وسيلة صالحة للنقل
نتقال على مسافات بعيدة . وقد بلغ من
اح التجربة بالبلون المشهور المعروف باسم
جديد دعي باسم (١٢٩ ز ١) وينتظر أن
يقوم برحلته في الشهر القادم فيكون حينئذ
اكبر بلون بني حتى الآن

وارتقاء البلون مقترن باسم رجلين المانيين
كان لهما اكبر شأن في ارتقائه . نعني الكونت
تسبلن والدكتور هوغو اكنر

أما الاول فهو الصانع الصناع وقد مضى
على مصنعه خمس وثلاثون سنة وهو يصنع
بلونات بلا توقف. وأما الثاني فهو الربان البارع
الذي سار بالبلون غراف تسبلن في الشرق
والغرب في الشمال والجنوب . فوق البحار
الشاسعة وفوق الجبال الشاهقة وفوق الفيافي
المقفرة. وطوق الارض وعبر المحيط الاطلنطي
حتى الآن سبعين مرة ناقلاً في كل مرة ركاباً وبريداً

رحل البلون غراف تسبلن رحلته الاولى
سنة ١٩٢٨ وكانت من مدينة فريدركسهافن
بالمانيا الى مطار ليكهرست بنيوجرزي في
الولايات المتحدة الاميركية . وقد انقضت
عليه ست سنوات وهو ينقل الركاب والبريد بين
بلدان الارض وفي السنوات الاخيرة كان يطير
بين المانيا وجنوب اميركا طيراناً منتظماً

فمجرد اتساعه لاربع وعشرين من الركاب
يقطعون ألوف الاميال في راحة ورفاهة ،
ومقدرته على قطع المحيط سبعين مرة من غير

على إن السفر بالبلون امر عملي يمكن الاعتماد عليه — كالسفر بالسفن والقطرات ولكن على شرط واحد وهو حسن قيادته

والبلون الالماني الجديد (١٢٩ ٪ L) يتسع كيسه لسبعة ملايين قدم من الغاز أي انهُ يفوق البلون الانكليزي المنكود (ر١٠١) خمسين في المائة حجماً . وقوة محركاته ٤٤٠٠ حصان وتدار بالزيت الخام ويستطيع أن يقطع ثمانية آلاف (٨٠٠٠) ميل من دون أن يحتاج الى الوقود. طوله ٨١٠ أقدام وقطره ١٣٤ قدماً ويبلغ عدد ملاحيه ٣٥ ملاحاً ويتسع لخمسين راكباً ويُنتظر ان يملأ كيسه بغاز الهليوم وهو غاز غير قابل للالتهاب كغاز الايدروجين الذي ملئ به كيس البلون غراف تسبلن وكيس البلون (ر١٠١)

من المتعذر على بلون واحد يقطع مسافة بين بلادين ان يعود على اصحابه بربح ولو كان ربحاً يسيراً . ولكن اذا كثر عدد البلونات قلت نفقات البلون الواحد ، سواء في صنعه أو في الترتيبات اللازمة له في المدن التي ينبغي أن ينزل فيها

لذلك يقترح الدكتور اكنر صنع اربعة بلونات كبيرة تمتد خطوطها بين المانيا وريو جانيرو بالبرازيل . وبين الولايات المتحدة الاميركية وجزائر الهند الشرقية . وثمت خط ثالث يقترح انشاءه وهو مثلث الشكل يمتد بين اوربا واميركا الشمالية واميركا الجنوبية . وينتظر ان يقترح كذلك خطاً رابعاً يمتد بين اوربا

وقد تمَّ الاتفاق على ان يسير البلو الجديد سيراً منتظماً مرة كل اسبو المانيا والولايات المتحدة الاميركية في ليكهرست بنيو جرزي الى الج نيويورك أو في مدينة ميامي وهي المش في فلوريدا . وتستغرق هذه الرح ساعة واجرتها ستون جنيهاً ، وهي كثيراً على اجرة السفن التي من الطب بين اوربا واميركا

وقد اتفقت الحكومتان الالمانية و على انشاء خط آخر بين برلين وبرشلونة على ان يكون من حق البلونات التي هذا الخط ان تتم الرحلة الى اميركا ا

فاذا تحقق جانب من الخطط الا اشرنا اليها كان ذلك باعثاً جديداً . البلدان وبوجه خاص اميركا وبريطاني عنايتهما بالبلون

تقاليد زوجية قديمة

يقول الباحث الاثري الشاب جوز ان رسائل النساء البابليات اعسر حلاً البابليين ولكنها ابعث على الدهشة . رسالة قديمة لسيدة بابلية ، تدل على صفقة زوجية لزوجها بشراء زوجة ثان انها اتخذت فتاة شقيقة لها ثم قدمتها ك زوجة ثانية ولكنها اشترطت انهُ اذا ق ان يطلقها — ي الزوجة الاولى — فله معها كل ممتلكات الزوجة الثانية . اما ا غيرتها هي ورغبت في ان تترك زوجها

العنب والذباب والحرارة

من المعروف عند علماء الحشرات ان بعض
ت الحشرية التي تصيب النباتات المختلفة
في الغالب مع شحنات الثمار المختلفة
ات البرتقال والتفاح والكمثرى والعنب
ها . ومن هنا نفهم دقة القوانين التي تحول
استيراد اصناف معينة من الفواكه من
مصابة بالآفات الى بلدان غير مصابة بها
وقد كان العنب الذي يجنى من كروم
الجنوبية من الفواكه المحظور استيرادها
بركا الشمالية أي الولايات المتحدة الاميركية
ن اكتشافاً علمياً حديثاً يمكن الآن
ب الكروم الجنوبية من تصدير عنبهم الى
الشمالية

وخلاصة الحكاية انهُ في سنة ١٩٢٨ ارسل
ور داربي وزوجته وكلاهما من علماء
ات الاميركية الى بلاد المكسيك ليبحثا
فضل الطرق لمكافحة ذبابة الفاكهة
سكية وهي من الآفات التي يخشى شرها
في اميركا وخصوصاً في المناطق المشهورة
ن الفاكهة

وبعد البحث والامتحان وجد الدكتور
وزوجته ان هذه الحشرة شديدة الاحساس
الحرارة وان حرارة من درجة ١١٢
ت (نحو ٤٥ سنتغراد) تكفي لقتلها
ما كاد هذا الاكتشاف يذاع ، حتى
ذبابة الفاكهة المعروفة في مناطق البرتقال
، على بساتين فلوريدا ، فخشيت وزارة
ة الاميركية

اكتشاف داربي وزوجته فوجدت ان الحرارة التي تقتل ذبابة الفاكهة المكسيكية تقتل كذلك ذبابة الفاكهة الاسبانية . وان هذه الحرارة نفسها لا تضر بالفاكهة . واذن صار في الامكان معالجة الفواكه المعرضة لهاتين الآفتين بالحرارة فتصبح صالحة للتصدير من مواطنها

الحمى وأشعة اكس

وجدت طائفة من الاطباء الباحثين في مستشفى رتشستر التذكاري بولاية نيويورك ان استعمال الحمى يتخللها العلاج باشعة اكس قد يكون علاجاً ناجعاً للسرطان .

وقد قصرت التجارب الاولى بهذا العلاج على نوع من السرطان يصيب الارانب . فاستعماله في السرطان الذي يصيب البشر قد لا يكون ممكنا قبل التوسع في تجربة هذا العلاج بانواع السرطان التي تصيب مختلف الحيوانات . فقد وجد احد هؤلاء الاطباء واسمهُ الدكتور ورن ان الحمى العالية تقتل الخلايا السرطانية خارج الجسم في مدة معينة ثم وجد كذلك ان الحمى العالية تقتل الخلايا السرطانية داخل الجسم ولكن في ٢٥ في المائة من الاصابات فقط . ووجد ان استعمال اشعة اكس يسفر عن قتل الخلايا السرطانية داخل الجسم في ٤٢ في المائة من الاصابات . فلما جمع بين استعمال الحمى واستعمال اشعة اكس ثبت لهُ ان هذا العلاج المزدوج يقتل الخلايا السرطانية داخل الجسم في ٨٤ في المائة

التنويم المغنطيسي والجوع او الشبع

من الامور المعروفة ان المنوم المغنطيسي يستطيع ان يقنع من ينومهم بانهم جياع فيحسون بالجوع او انهم شباع فيشعرون بالشبع او التخمة . وكان الرأي حتى الآن ان هـذا الاحساس انما هو احساس نفسي فقط لا يؤثر في اعضاء الهضم نفسها . ولكن ثلاثة من علماء الجمعية الفسيولوجية الاميركية اجروا تجارب ثبت لهم منها ان الحالة النفسية التي يخلقها المنوم المغنطيسي تؤثر في الجهاز الهضمي

فقد اخذوا رجلاً في الرابعة والثلاثين من العمر ونوم تنويماً مغنطيسيًّا بعد صوم دام من ١٨ الى ٢٠ ساعة ثم اوحى اليهِ المنوم انهُ اكل وشبع فظهر في حركة اعضاء الهضم ما يظهر فيها عند الشبع الحقيقي وكانت قبل هذا الإيحاء تتحرك الحـركة التي تصاحب الشعور بالجوع الشديد

زيت الزيتون ووزن الاطفال

انقذ الاطباء في بلطمور عشرين طفلاً من الموت جوعاً بحقن زيت الزيتون في عروقهم. لم يكن سبب جوع الاطفال قلة الغـذاء ولكن اضطراب اجهزتهم الهضمية حال دون انتفاعهم بالغذاء يتناولونهُ عن طريق الفم

اخذ زيت الزيتون ومزج بمادة السيئين المستخرجة من صفار البيض ثم عولج المزيج تحت ضغط عظيم ، لتفتيت كريات الزيت الـكبيرة وتحويلها الى كريات صغيرة يسهل مرورها في انابيب الدم الشعرية في الانسجة ثم عقم المزيج وحقن في الاوردة

ومضى الاطباء اسبوعاً يحقنون كل طفل من هؤلاء بحقنة من هذا تحتوي على مقدار من الدهن يساوي ما الدهن الذي يتناوله الطفل من غذائه لو كان يستطيع تناوله . وبعد الحقنة ظهرت على الاطفال دلائل زيادة الوزن

فحقن الزيت والدهن في الاوردة اسلوب جديد من اساليب الطب استعماله في حالات اخرى غير حالة الجهاز الهضمي عندما يتعذر على المريض الطعام . ونحن نقول انهُ قد يصاب المرء بداء عصبي في جهازه الهضمي يحول بينهُ الطعام حتى اذا تناول قطرة من الماء تهيج المعدة وحملته على القيء . ونعرف كيف بهذا فضعف وهزل . فحقنه بحقنه من القبيل تمكن الاطباء المعالجين من الاحتفاظ بقوته في خلال المعالجة

تغريد الكنار

تغريد الكنار من ارخم ما يسمع تغريد الطيور . وكان يقال ان الكنار الصغير يتعلم التغريد من الكنار الكبير . وطائفة من علماء جامعة كاليفورنيا الجنوبية أثبتت ما هو عكس ذلك . فقد أخذت عشرة بيضة كنار ملقحة ووضعتها في آلة لا يخترق الصوت جدرانها ، ففقس الفراخ وربيت الصغار فيها ، فلما ترعرعت ظهرت القدرة على التغريد

السلولوز وثفل قصب السكر

كل ما يتعلق باستعمال الثفل المتبقي من السكر بعد استخراج السكر منهُ يهمنا . الثفل هو الالياف المقطعة المتبقية من ... بعد عصره . وقد بلغ مقدار الثفل ... في مصانع السكر بولاية لوزيانا الاميركية ... مليون طن في السنة . وفي مصانع بورتو ... مليون طن في السنة . ولا نعلم ما وزن ... الثفل في مصانع السكر في القطر المصري ... سنة

وكانت العادة قد جرت على استعمال هذا ... وقوداً في مصانع السكر نفسها . ولكنهُ ... يح كثيراً للوقود . فطن من الثفل ... يحل محل برميل من النفط الخام أو ... الوسخ . وثمن هذا البرميل الآن يختلف ... يال الى ريال وربع ريال في اميركا . فقيمة ... من حيث هو وقود ليست كبيرة

وقد استعمل بعض الثفل في صنع الواح ... ولكن هذه الصناعة لا تستنفد منه الاَّ ... يختلف من ٢٠ في المائة الى ٢٥ في المائة ثم جرّب بعضهم ان يستعمله في صناعة ... فثبت بعد التجربة أن الياف قصب ... لا تصلح لذلك

ولكن في خلال الخمس عشرة سنة الاخيرة ... الطلب على السلولوز (المادة الخشبية في ...) ليستعمل في مطالب منوعة غير صناعة ... . ففي خلال هذه المدة نشأت صناعة الحرير الصناعي وما يتصل بها مثل صناعة السلوفان . وقد كان ما تصنعه الولايات المتحدة الاميركية من الحرير الصناعي سنة ١٩٢٠ يسيراً لا يذكر ولكن بلغ ما يصنع منه فيها سنة ١٩٣٤ ما وزنهُ ٢٠٨ ملايين رطل . وما صنع من الحرير الصناعي في مختلف بلدان العالم بلغ وزنهُ ١٣٥ مليون رطل في السنة الماضية . والفروع التي تفرعت على صناعة الحرير الصناعي او اتصلت بها تقتضي استعمال مقادير كبيرة من السلولوز لا يمكن تقديرها الآن ؛ وبعد ما رأيناه من سرعة الزيادة فيما ينفق من السلولوز في صناعة الحرير الصناعي

***

وقد دلت تجارب محطة المباحث التابعة لمكتب الكيمياء والتربة بوزارة الزراعة الاميركية انهُ يمكن تحويل ثفل قصب السكر الى سلولوز صالح لهذه الصناعات فيستعمل الحامض التتريك المخفف في تحويل الثفل الى رب . ولا يخفى ان امكان استعمال الحامض التتريك يجعل هذا التحويل عملاً اقتصادياً لأن هذا الحامض رخيص لامكان صنعهِ من الامونيا والامونيا يسهل الآن صنعها من الهواء المباح لكل انسان

ويقال ان السلولوز الذي حضر من ثفل قصب السكر يجاري أفضل انواع السلولوز المستعمل في مصانع الحرير الصناعي . ونفقات تحضيره أقل من نفقات السلولوز المماثل له الذي كان مستعملاً حتى الآن

فيتامين جديد والبول السكري

في الاجتماع السنوي الاخير الذي عقدته الجمعية الاميركية الطبية والجمعية الكندية الطبية، بسط الدكتور بست احد الذين اشتركوا في اكتشاف الانسولين (علاج البول السكري) نتائج بحثه في فيتامين جديد قال انه لا ندحة عنه لقيام الكبد بعملها قياماً سويًّا ولذلك يرجح ان هذا الفيتامين سوف يكون لهُ شأن كبير في حالة الاصابة بالبول السكري

عرفت انواع الفيتامين التي كشفت حتى الآن بحروف الابجدية الفرنجية فهو فيتامين A وفيتامين B وفيتامين C وفيتامين D الخ. اما هذا الفيتامين الجديد فقد اطلق عليهِ اسم لاحرف وهو يعرف باسم كولين Choline ويوجد في كثير من مواد الغذاء ولكنه كثير في اللحم ومح (صفار) البيض و الخميرة

لم يغتصب الدكتور بست فخر اكتشافه اغتصاباً بل صرح في رسالته ان جانباً كبيراً من المشاهدات الدقيقة التي افضت الى اكتشافه قام بها الدكتور هرش والمس هنتسمن وكذلك يعترف اهل العلم الصحيح بالفضل لذويه

ويقول الدكتور بست ان نقص هذا النوع من الفيتامين يفضي الى تشحم الكبد فتعجز عن صنع السكر او تصريف الصفراء او غير ذلك من الاعمال الحيوية التي يجب ان تعملها. وقد اكتشف هذا الفيتامين في خلال

فالكلاب التي سُلت منها الغدة الحلوة (البنكر
عجزت عن ان تحيى اكثر من بضعة ش
رغم حقن الانسولين التي تحل محل ا
البنكرياس عادة. فلما غذيت هذه الك
بالغدة الحلوة مفرومة علاوة على حقن الانس
عاشت حياة جديدة

فاقبل الباحثون على الغدة الحلوة يدرسو
من جديد فوجدوا انها تحتوي على
الكولين علاوة على الانسولين ومادة هاء
ثم ثبت ان الكولين في الحلوة المفرومة
ما يفيد الكلاب بعد سل هذه الغدة منه

وقد قال الدكتور بست ان الاص
بالبول السكري (الديابيطس) ليس سببها
الغدة الحلوة دائماً. بل قد تنشأ عن
الكبد وضعفها من ناحية أو شدة فع
توليد السكر من النشويات والبروتينات
ناحية اخرى. وقد دلَّت التجارب ع
الكولين لازم لقيام الكبد بوظيفتها قياماً
ومن هنا صلة هذا الاكتشاف بالبول الس

فيتامين د والتهاب المفاصل

المعروف عند المشتغلين بعلوم الطب و
ان الفيتامين د يفيد في منع الكساح وقد
الآن ان الدكتور ريد الاستاذ بكلية الع
جامعة الينوي الاميركية قال في رسالة تلا
الجمعية الاميركية الفسيولوجية ان هذا الف
نفسه يفيد في معالجة التهاب المفاصل (الا
الذي يدعى احياناً باسم الروماتزم

دم ذكرها ٧٠ مصاباً من مائة مصاب
المفاصل تخفت وطأة اصابة بعضهم وشفي
الآخر

قد استعمل هذا الفيتامين في شكل مركز
الجرع كبيرة جدًّا . فالجرعة المستعملة
الكساح لا تزيد على ثلاثة آلاف وحدة
الدكتور ريد استعمل في حالات التهاب
ل جرعاً تحتوي على ثلاثة ملايين وحدة
نقاذ جميع المصابين بالتهاب المفاصل الا
سبب اصابتهم التعفيبية (السيلان)

مرايا المراقب وطلاؤها

راقب نوعان النوع الكاسر وقد قلّ
ه الآن والنوع العاكس وهو النوع
في معظم مراصد العالم الكبيرة . فالمرقب
ي يحتاج الى مرآة مقعرة . وقد كانت
راقب العاكسة تطلى بالزئبق أو الفضة .
أحد العلماء جرّب من عهد قريب
معدن الالومنيوم فأسفرت تجربته عن
ث على الدهشة اذ زادت قوة المرآة
ة وصحب هذه الزيادة نقص في نفقة
لان الالومنيوم أرخص جدًّا من الزئبق
سة . وينتظر الآن أن تطلى مرآة المرقب
الذي يبنى باميركا — وقطر عدسته
صة أي ضعف قطر العدسة في اكبر
عرف حتى الآن وهو مرقب جبل ولسن
رنيا — نقول انهُ ينتظر أن تطلى مرآة
المنتظر بالالومنيوم فيقتصد نحو مائتي
نيه في نفقات المرقب وتزيد قدرة مرآته
س الاشعة الواقعة عليها

ارتفاع حرارة الهواء في طبقاته العليا

تختلف حرارة الهواء قرب سطح الارض باختلاف الارتفاع عن سطح الارض فتقل حرارته اذا توقلنا جبلاً ولا يخفى ان أعلى الجبال مكللة هاماتها بعمم من الثلج الدائم ويقول الطيارون الذين حلقوا بالطائرات او البلونات الى ما فوق قمم الجبال ان الهواء هناك أبرد منهُ على متن الجبال العالية

فهذه الحقائق حملت الباحثين على الظن ان برد الهواء يزداد بازدياد امعاننا في التحليق

ولكن طرقاً جديدة للبحث دقيقة كل الدقة حملت العلماء على الاعتقاد بان الهواء في طبقاته العليا ليس بارداً كما يظن

وقد نشر الاستاذ ايلتون — وهو من اكبر الثقات المعاصرين في موضوع الامواج اللاسلكية — بحثاً طريفاً من نحو شهرين اقام فيه الدليل على ان حرارة الهواء في يوم من ايام الصيف تبلغ الف درجة مئوية (ميزان سنتغراد) على ارتفاع ثلثمائة كيلو متر

وهذه الحرارة تعني انه اذا استطعنا ان نعلق قطعة من النحاس على هذا العلو حتى تصبح حرارتها كحرارة الجو المحيط بها ، كانت حرارة هذا الجو حينئذٍ كافية لصهرها

واذن فسكان الارض يعيشون داخل كرة من النار لا يمنع اذاها عنا الاّ طبقات الهواء التي بيننا وبينها

***

ويعود الفضل الاول في هذه الناحية من

البحث الى عالم فرنسوي يدعى تسرنك ده بورت فقد اطلق في سنة ١٨٩٨ بلونات تحمل مقاييس للحرارة وادوات اخرى فدهش لما عادت البلونات وظهر من مقاييس الحرارة فيها ان حرارة الهواء فوق باريس ظلت تهبط حتى بلغ البلون الى علو سبعة اميال ثم وقفت الحرارة عن الهبوط . فانكر معظم الطبيعيين ذلك اولاً ثم وجد علماء الظواهر الجوية ان الارتفاع الذي تقف عنده حرارة الهواء عن الهبوط اقرب الى القطبين منه الى سطح الارض عند خط الاستواء

ولكنهم مع ذلك ظلوا عاجزين عن تعليل هذه الظاهرة تعليلاً مقبولاً

***

وظل الرأي بعد اكتشاف ده بورت ان حرارة الجو فوق ذلك الارتفاع المعين — وهو ١١ ميلاً فوق خط الاستواء واقل من سبعة اميال فوق القطبين — تظل ثابتة لا تتغير . ولكن في سنة ١٩٢٢ تبين للعالمين اندمان ودوبيس من مراقبة الشهب ودرجات اشراقها ان حرارة الهواء تأخذ في الارتفاع على ٣٧ ميلاً (او نحو ستين كيلو متراً) فوق سطح الارض

الحلوى والعمل العقلي

في بعض الاعلانات الاميركية والانكليزية البارعة عن اصناف السجاير المشهورة عبارات مؤداها «مديدك وخذ سيجارة» أما «رسالة العلم

اذا كنت ممن يبغون النحافة ولكن اذا ممن يتحتم عليهم القيام بأعمال عقلية جا فيجب ان تمد يدك وتأخذ قطعة من الحلو

ذلك ان التجارب قد اثبتت ان طاقة على التفكير مستمدة من السكر المعروف غلوكوز . وهذه النتيجة قد توصل اليها الا الاميركيان همتش وفازيكاس من علماء جامعة وبعثا بها في رسالة الى الجمعية الفسيولو الأميركية

والدماغ يتناول السكر من الدم ثم يحل مركبات كيمائية بسيطة ويحرق الحامض اللا المتولد منه فيستمد من حرقه طاقة ونشاط تستمد القاطرة طاقتها من حرق الفحم او البخار . وقد وجد همتش وصاحبه صدفة وا انه اذا كان في اناء ما قطعة من نسيج الد وكان في الاناء نفسه قليل من النيكوتين ا المادة الفعالة في التبغ ، تعذر على نسيج الد ان يحرق الحامض اللبنيك ، ولكن النيكو الذي يصل الى الدماغ من تدخين سيجارة من ان يؤثر في مقدرة الدماغ على حرق الحا اللبنيك

***

وعلى ذكر النيكوتين نقول اننا قرأنا في العلم الاسبوعية نفسها ان جماعة من علماء جه كورنل الاميركية يقولون ان التسمم بالنيكو يوقف التنفس لان اطراف الاعصاب في عضلا جهاز التنفس تشل عن العمل وقد كان الرأي ف ان النيكوتين يشل مركز التنفس في الدماغ

تقدم الاختراع وسرعته

في سنة ١٨٣٦ اي من تسع وتسعين سنة
ج قسم « الباتنته » في الحكومة الاميركية
ير الاول لاختراع جديد طلب منها
يله فيها . وفي ٣٠ ابريل سنة ١٩٣٥ منح
القسم امتيازاً لمهندس في شركة يد الصناعية
، رقم امتيازه ٢٠٠٠٫٠٠٠ وسيرة هذا
س نفسه تدلك على سرعة التقدم في
تر . ففي سنة ١٨٩٩ استخرج هذا
س امتيازاً فكان رقمه ٦٣٨٦٤٣ أي ان
ه انقضت بين ١٨٣٦ و١٨٩٩ سجل في
لـ ست مائه الف اختراع ولكن في المدة
نة أي من ١٨٩٩ الى ١٩٣٥ (٣٦
ا فقد سجل نحو ١٣٠٠٠٠٠ اختراع او
ي على ضعفي ما سجل في المدة الاولى

علاج لدوار الجو والطيران

يقول المشتغلون بعلوم الطب ان الدوار
ي يصاب به بعض الذين يستقلون الطائرات
ر سببه حالة تدعى زيادة التهوية أو التهوية
دة او وقد اقترح بعضهم لفظ الترويح بدلاً
لفظ التهوية) . فالمسافر يكثر في هذه الحالة
ز ثاني اكسيد الكربون فيصاب بالدوار
لاج يقوم بتجهيز المسافر بوسيلة تمكنه
استنشاق قدر من ثاني اكسيد الكربون
ذلك باعطائه كيساً من الورق يتنفس فيه
ر فيه هذا الغاز ثم يعود فيستنشقه فيزول
ا الدوار . وقد يفيد في علاج هذه الحالة
مساك عن التنفس مدة ١٥ ثانية . وتقول
المجلات العلمية التي اطلعنا عليها ان هذه الطريقة
افيد على ما يظهر من بعض أنواع العلاج التي
ذكرت حتى الآن لانها تعالج السبب

بث الراديوم بأشعة صناعية

كان الاعتماد حتى الآن في معالجه السرطان
بالاشعة على اشعة غما المنطلقة من الراديوم .
ولكن طائفة من العلماء في معهد كاليفورنيا
التكنولوجي الذي يرأسه العلامة ملكن كتبوا
رسالة في المجلة الطبيعية الاميركية يقولون فيها
انهم ولدوا اشعة غما في المعمل تفوق قوة
اختراقها للاجسام نحو ستة اضعاف قوة
اشعة غما المنطلقة من الراديوم فطاقة اشعة
غما المولدة في المعمل تبلغ ١٦ مليون فولط حالة
ان طاقه اشعة غما المنطلقة من الراديوم لا تزيد
على ٢٫٦٠٠٫٠٠٠ فولط

فاذا صح ما نقلناه وكانت نفقة توليد هذه
الاشعة غير كبيرة فلا بد من ان يهبط سعر
الراديوم ويشيع استعمال هذه الاشعة المولدة
في المستشفيات لمعالجة السرطان

القوة المحركة في السفن الكبيرة

تقدر قوة المحركات الكهربائية في السفينة
الفرنسوية « نورماندي » بمئة وستين الف
حصان . فهي تفوق في هذا الصدد جميع
السفن التجارية والحربية الا سفينتين وهاتان
السفينتان هما حاملتا الطائرات في الاسطول
الاميركي وقوة كل منهما ١٨٠ الف حصان
وتدعيان « لكسنغتن »

الجزء الثالث من المجلد السابع والثمانين

صفحة

٢٦٥ الغدد والشخصية

٢٧٠ حكمة جوته : بقلم عبد الرحمن صدقي

٢٧٥ مجمع اللغة العربية الملكي : للاب انستاس الكرملي

٧٨٣ النظام الادبي بين الحيوانات

٢٨٥ أسلحة الجيش المصري :لعبد الرحمن زكي : (مصوّرة)

٢٩٤ البنفسجة : لخليل شيبوب : (قصيدة)

٢٩٥ سطور زرق : لراجي الراعي

٣٠١ الدين والثقافة الحاضرة : للدكتور عبد الرحمن شهبندر

٣٠٩ ما بين الذهن الالماني والذهن الفرنسي : للدكتور بشر فارس

٣١١ النباتات المصرية القديمة : للدكتور حسن كمال

٣١٥ تجارب عجيبة بأشعة تعطل وتميت

٣١٧ السيد محمد رشيد رضا : بقلم الشيخ احمد محمد شاكر (مصوّرة)

٣٢٤ مفردات النبات : لمحمود مصطفى الدمياطي

٣٢٩ التفاؤل والتشاؤم : لرسلان عبد الغني البنبي

٣٣٧ العبقرية العلمية وحداثة السن

٣٤٣ الغدد والفيتامين : لعوض جندي

---

٣٤٧ باب سير الزمان — الدستور السوفياتي الاشتراكي : للأستاذ وليم بنت مورو
حول المشكلة الايطالية الحبشية: المستعمرات والموارد الاقتصادية: نظام العقوبات : القنا
والموقف الدولي

٣٦٣ حديقة المقتطف — السباق : الجوع : الحائك — لميخائيل نعيمة : الوا
قصة لبيورنستيرن بيورنسون

مكتبة المقتطف * المعجم الفلكي : نبات سورية وفلسطين : شهر في اوربا : الجامع المختصر في عنوان
مخزوعيون السير (الجزء التاسع) : الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي : مكتبة الاطفال الحديثة
ماس : قصص علمية
مية * الحرب والمرض : عود الى البلون : تقاليد زوجية قديمة : العنب والذباب والحرارة
: زيت الزيتون ووزن الاطفال : تغريد الكنار : السلولوز وثفل قصب السكر
ول السكري : فيتامين د والتهاب المفاصل : الحلوى والعمل العقلي : مرايا المراقب
ارة الهواء في طبقاته العليا : تقدم الاختراع وسرعته : علاج لدوار الجو والطيران

البارعه ... مؤداها «مديدك و ... الاسبوعية» فتقول ان هذه ... كة

مطبوعات المقتطف والمقطم

الكتب المفيدة نور العقول　　المطالعة غذاء النفوس

في ادارة المقتطف والمقطم طائفة قيمة من الكتب العصرية والروايات الادبية الشائقة وكلها تباع بأثمان رخيصة وهاك بيانها

ص		ص	
٢٠	أعلام المقتطف	٨	رواية فتاة مصر
٢٥	جمهورية افلاطون	٨	رواية اميرة انكلترا
٢٠	العلم والعمران	٨	رواية الاميرة المصرية
١٠	رسائل الارواح	٢٠	وسائط علم الفلك
٤٠	معجم الحيوان	١٠	رجال المال والاعمال
٢٠	كتاب اللاسلكي	١٥	مختارات المقتطف
٢٥	فتوحات العلم الحديث	٢٠	فصول في التاريخ الطبيعي
٢٠	الروائد	٢٥	أساطين العلم الحديث

المعجم الفلكي

وهو يشمل الثوابت والكواكب السيارة والصور النجومية
وبعض المصطلحات الفلكية

تأليف

الخوري امين فهد المعلوف

العضو في المجمع العلمي العربي بدمشق ومؤلف كتاب معجم الحيوان

يطلب من المؤلف ويباع في المكاتب الشهيرة
والثمن خمسة عشر قرشاً

المجلة الجديدة

يحررها سلامه موسى : للتثقيف قبل التسلية

يصدر منها عدد شهري في ١١٢ صفحة كبيرة . تزعتها التجديد
في الادب والاجتماع والاقتصاد

ويصدر منها عدد اسبوعي في ٢٤ صفحة كبيرة يحتوي مواد سهلة
للتثقيف قبل التسلية

الاشتراك سنة في العدد الشهري ٤٠ قرشاً في مصر والسودان
و٥٥ قرشاً في الخارج

الاشتراك سنة في العدد الاسبوعي ٢٥ قرشاً في مصر والسودان
و٥٠ قرشاً في الخارج

١٢ شارع نوبار — مصر

مجلة الشرق

ادبية سياسية مصورة

انشئت للدعاية عن الشؤون البرازيلية وما آني النزلاء الشرقيين في البرازيل تصدر باللغة العربية مرتين في الشهر — صاحبها ومحررها الاستاذ موسى كريم ويشترك في تحريرها طائفة من اكبر ادباء العربية في البرازيل وبدل اشتراكها ٢٤٠ قرشاً صاغاً وعنوانها

Correal Oriente
Caixa Postal 1402, Sao Paulo, Brazil

الجريدة السورية اللبنانية

الجريدة الرسميـة للنزالة العربية في الارجنتين

تصدر صباح كل يوم في ١٦ صفحة
باللغتين العربية والاسبانية

مديرها ورئيس تحريرها : موسى يوسف عزيزة

يحرر فيها نخبة من حملة الاقلام الحرة

عنوانها :

EL DIARIO SIRIOLIBANES
Reconquista 339
Buenos Aires Rep. Argentina.

معمل تحليل وديع هواويني

كيماوي اسبتالية الدكتور ملتون بمصر سابقاً . متخرج من جامعة الطب الاميركية ببيروت وجامعة استامبول — بشارع جلال باشا رقم ٦ تجاه تياترو الكسار بشارع عماد الدين بمصر

يعلن انه اعاد فتح معمله لتحليل البول كيماوياً ومكروسكوبياً وفحص البصاق والمني والمادة ولبن الرضاعة وجميع مكروبات الامراض بغاية الدقة وبأحدث الطرق الكيماوية مع المهاودة الواجبة

تليفون ٥٠٣٣٠

قائمة سلسلة المطبوعات العصرية

التي عنيت بنشرها « ادارة المطبعة العصرية » بشارع الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة بمصر

ص	
٣٤	القاموس العصري انكليزي عربي (طبعة ثانية)
٧٠	« « « « (طبعة ثالثة)
٧٠	« عربي انكليزي (طبعة ثانية)
٣٥	« المدرسي عربي انكليزي وبالعكس
٣٠	قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس
٢٠	« « عربي انكليزي فقط
١٥	« « انكليزي عربي فقط
٧٠	« سفراط سبيرو عربي انكليزي (باللفظ)
٥٠	« « « انكليزي عربي (باللفظ)
١٠٠	« « « « وبالعكس
١٠	التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطول)
١٢	الهدية السنية لطلاب اللغة الانكليزية (باللفظ)
١٠	الف كلمة الماني (لتعليم الالمانية بسهولة)
١٥	في اوقات الفراغ (للدكتور محمد حسين هيكل بك)
١٠	عشرة ايام في السودان « « «
١٢	مراجعات في الادب والفنون للاستاذ عباس العقاد
١٥	روح الاشتراكية (لموستاف لوبون) وترجمة (الاستاذ محمد عادل زعيتر)
١٥	روح السياسة « «
١٠	الاراء والمعتقدات « «
١٠	اصول الحقوق الدستورية « «
٨	الحضارة المصرية (لموستاف لوبون)
١٥	حضارة مصر الحديثة (تأليف كبار رجال مصر)
١٠	الحركة الاشتراكية (رمسي مكدونلد)
١٥	ملقي السبيل في مذهب الشيوه والارتقاء
٨	اليوم والغد (الاستاذ سلامه موسى)
١٠	مختارات « « «
٨	نظرية التطور وأصل الانسان « «
٢٠	اناتول فرانس في ماذله، للامير شكيب ارسلان
١٥	الدنيا في اميركا (للاستاذ امير بقطر)
١٠	المرأة الحديثة وكيف نسوسها (عبدالله حسين)
١٠	جريمه سلفستر بونار (اناتول فرانس)
٥	المرأة بين الماضي والحاضر
٥	مركز المرأة في شريعتي موسى وحمورابي
١٥	حصاد الهشيم (للاستاذ ابراهيم عبدالقادر المازني)
١٠	نبض الريح (« « « « «)
٨	نسمات وزوابع شعر منثور مصور
١٠	رسائل غرام جديدة (سليم عبدالواحد)
١٠	الغربال في الادب العصري (تخاثيل نعيمة)
٥	حكايات للاطفال ، اول (مصور بالالوان)
٥	« « ثاني « «
٥	« « ثالث « «
٥	تذكرة الكاتب طبعة منقحة لاسعد خليل داغر
٢٥	جمهورية افلاطون (للاستاذ حنا خباز)
٦	مراقي النجاح (الارشمندريت بشير)

ص	
١٠	التربية الاجتماعية (للاستاذ علي فكري
٥	خواطر حائر (للاستاذ الجمل) حميد
٥	التعليم والصحة للدكتور محمد بك عبد ا
١٥	الحب والزواج (للاستاذ نقولا حداد)
١٥	ذكراً وانثى خلقهم « « «
٥٠	علم الاجتماع (جزآن كبيران) « «
١٥	اسرار الحياة الزوجية « «
٣٠	الامراض التناسلية وعلاجها للدكتور بطرس
٢٠	المرأة وفلسفة التناسليات « «
٢٠	الضعف التناسلي في الذكور والاناث «
١٥	الزنبقة الحمراء (للاستاذ احمد الصاوي محمد)
١٠	تايبس « « « «
٥	مكايد الحب في قصور الملوك (اسعد خليل داغر)
١٠	القصص العصرية (٨٠ قصة كبيرة مصورة)
١٠	مسارح الاذهان (٣٥ قصه كبيرة مصورة)
١٢	رواية اهوال الاستبداد ، مصورة
١٠	« فاتنة المهدي ، او استعادة السودان
٨	« الانتقام المذب (اسعد خليل داغر)
٥	« فقر وعفاف (للاستاذ احمد رأفت)
١٢	« باريزيت ، مصورة (توفيق عبد الله)
١٢	« غرام الراهب او الساحرة المحدورة
٧٥	« روكامبول ، ١٧ جزء (طانيوس عبده)
٢٥	« ام روكامبول ، ٥ اجزاء «
٢٠	« باردليان ، ٣ اجزاء «
٢٠	« الملكة ايزابو ٤ اجزاء «
٢٠	« الاميرة فوستا ، جزآن «
٢٠	« عشاق فنيسيا ، جزآن «
١٦	« الساحر العظيم ٤ اجزاء «
١٦	« كابيتان ، جزآن «
١٦	« الوصمة الحمراء ، جزآن «
١٦	« بائعة الخبز «
١٢	« فلمبرج ، جزآن «
١٠	« فارس المنك «
١٠	« ضحايا الانتقام «
٨	« المرأة المفترسة «
٥	« المتنكرة الحسناء «
٥	« مروضة الاسود «
٥	« شهداء الاخلاص «
١٦	« دار العجائب جزآن (نقولا رزق الله)
١٠	« فرنسوا الاول « «
١٠	« الجنون فنون « «
٨	« حورية « «
٨	« الغلامان الطريدان « «
١٢	يسوع ابن الانسان (جبران خليل جبران)
٥	النبي (« « «

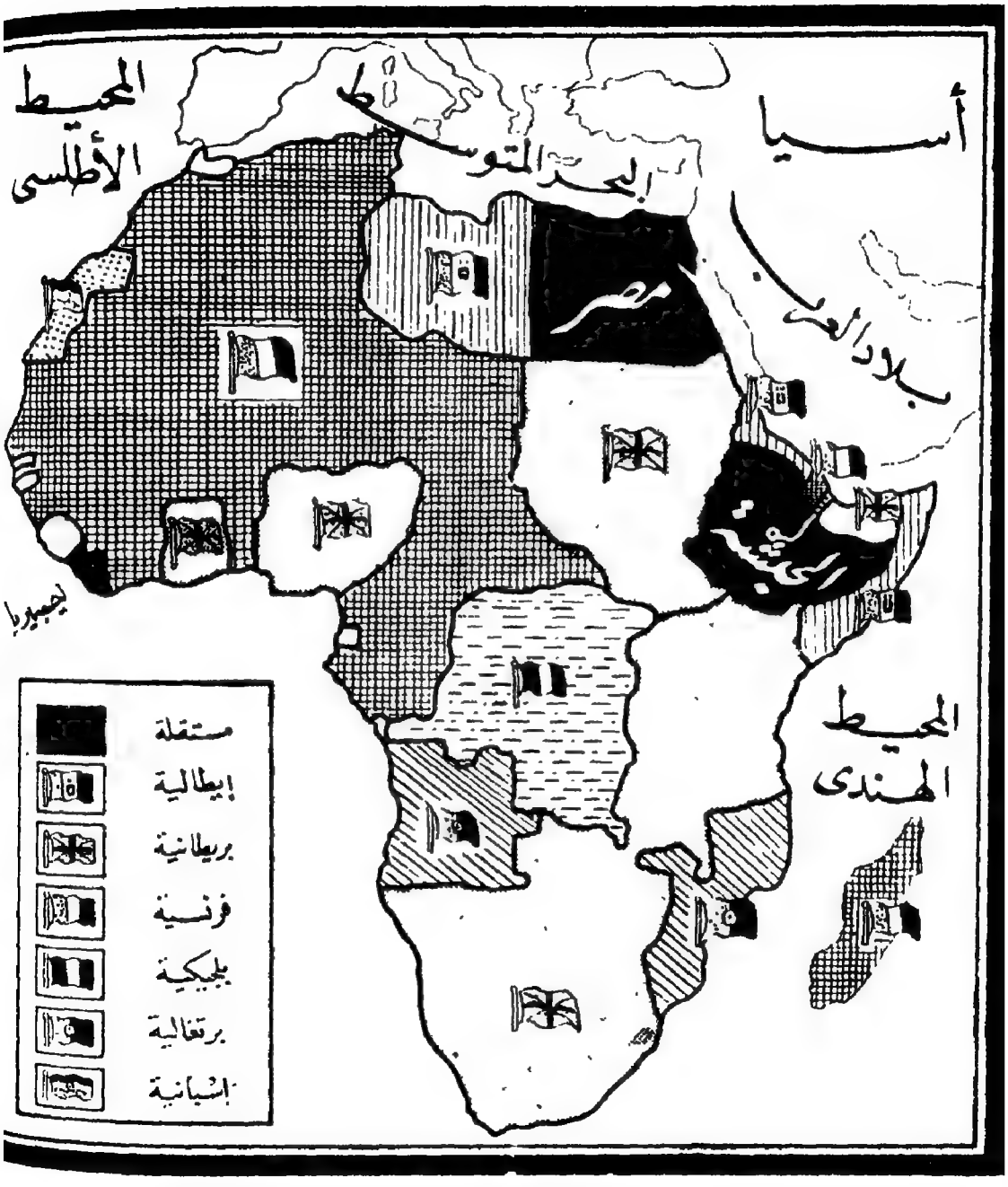

افريقية وتقسيمها الجغرافى السياسى

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الرابع من المجلد السابع والثمانين

نوفمبر سنة ١٩٣٥ — ٥ شعبان سنة ١٣٥٤

المتفجرات الحربية

والبحث العلمي

أثر تطبيق المعارف العلمية على اساليب الحرب . برأيين متناقضين . فقواد الجيوش يرغبون عادة عن تغيير الوسائل والقواعد التي جرى عليها كبار القواد من قديم الزمان . ويحسبون كل تعديل لها او تغييرها ، اعتداء على حقوقهم المقدسة . يقابل هذا ، ان الاساليب الحديثة التي استعملها في الحروب امتيازاً كبيراً على خصومهم ، فلا يلبث هؤلاء الخصوم طويلاً حتى يلجأوا الى وسائل اعدائهم الجديدة . فقد كان الالمان في الحروب الكبرى اول من استعمل الغازات والأبخرة السامة ، فاضطر الحلفاء ان يستعملوها مع اعتراضهم عليها وتنديدهم بها . وقد حرم الجيوش البريطانية بوجهٍ خاص فائدة كبيرة من استعمال الدبابات ، مع ان القواد اهملوا الاعتمام العسكرية لاستعمال هذا السلاح الجديد . ولا ريب في ان عجز الالمان عن محاراة الحلفاء في استعمال الدبابات كان له اثر غير يسير في خذلانهم . واذن فلا ينكر احد ان الحرب الكبرى كانت باعثاً قوياً على تشجيع البحث العلمي من ناحية تطبيقه على وسائل الحرب وأساليبها . فالطيران لولا حوافز الحرب الكبرى وفائدته فيها لما بلغ الشأو العظيم من الارتقاء الذي بلغه في خلال اربع سنوات من تأجج نيرانها .

يضاف الى هذا انهُ اصبح يتعذر على اي كان ان يعين الخط الفاصل بين الصناعات الحربية والصناعات غير الحربية . فغاز الكلور يصلح غازاً سامًّا في الحروب ومع انهُ غاز جليل الفائدة في تبييض الماء وتطهير الجروح

من اعجب المكتشفات في التاريخ اكتشاف البارود والبندقية . ووجه العجب في البارود انهُ اكتشاف في العلم المطبق . وقد تمَّ في عصر كان العلم فيهِ لا يزال طفلاً مقمطاً ولا بدَّ ان سبق البارود اكتشاف طريقة لتنقية ملح البارود (نترات البوتاسيوم) وهو المادة فيه واكتشافها عمل كبير اذا اعتبرنا حالة العلم في ذلك العهد . والظاهر ان البارود في الصين في اوائل القرن الثالث عشر ، ولكنهم استعملوه في الالعاب النارية فقط ان تأثير الالعاب في الحروب كان معنويًّا لا ماديًّا ، اي ان رؤيتها كانت تبهر الاعداء

اما البندقية فلم تخترع الاَّ في القرن الرابع عشر ، والراجح انها اخترعت في قبل انقضاء حرب المئة سنة (١٣٣٧ - ١٤٥٣) بين فرنسا وانكلترا كان استعمالها في غرب اوربا . وقد تقدم صنع البارود وصنع البندقيات جنباً الى جنب لانهُ كان من ان يعمد صانع البارود الى صنع بارود قوي التفجُّر اذا كانت البندقيات لا تقوى ضغط انفجاره

اما استعمال البارود في نسف الصخور وشقّ المناجم والمحاجر فتأخر كثيراً . فلم يذكر الغرض الاَّ في اوائل القرن السابع عشر في بلاد المجر . والظاهر انهُ لم يستعمل في انكلترا الاَّ وذلك في مناجم كورنول . وهذا مما يبعث على الدهشة لان الانكليز استعملوا البارود في حصار هونفلور سنة ١٤١٥

ومقدار ما يستعمل من البارود في نسف المناجم والمحاجر يفوق المقادير المستعملة الاغراض الاخرى . بل ان صناعة الديناميت تعتمد في حياتها على ما يستعمل منهُ لهذا

فتاريخ البارود مثال يدلّ على تأثير الحرب في شقها الطريق الى استعمال مادة حربية صناعية وتجارية

فاذا نظرنا في ما تمَّ في ميدان المتفجرات والمفرقعات في العصر الحديث ، رأينا أثرها واضحاً كلَّ الوضوح

***

اكتشف قطن البارود في سنة ١٨٤٥ — ١٨٤٦ وكان مكتشفهُ استاذاً للكيمياء في « شوينبيّن » ، فادرك في الحال قيمة هذه المادة من ناحية تفجّرها ، فاحتفظ بطريقته وهو يحاول ان يبيعهُ لحكومات مختلفة . فثبت انهُ اذا فجّر قطن البارود في بندقية قوة قذفهِ قوة مقدار اكبر جدًّا من البارود . فذهب الى انكلترا وجرّب تجارب مختلفة وولتش الحربية وفي بورتسموث على مرأى من رجال مجمع تقدم العلوم البريطاني . ثم سجّل باتنته وأجّر حقوقهُ لمصنع جون هول وابنائهِ . ولكن في ١٤ يونيو سنة ١٨٤٧ حدث

... المعمل دكّهُ من اساسهِ وقتل ٢٩ من رجالهِ . وحدث مثل هذا الانفجار في فرنسا . ... ان مساعي بذلت في النمسا لصنع قطن البارود فكان مصيرها القتل والتدمير . وطالت ... الى ان اكتشف الكيماوي البريطاني فردريك آبل — كيماوي وزارة الحربية البريطانية — ... مركّباً مستقرّاً وكان ذلك سنة ١٨٦٥

***

... التجارب الاولى بقطن البارود متجهة الى الحصول على مادة متفجّرة تصلح للاستعمال ... البارية ، ولكن الباحثين كانوا مهووسين بوجوب استعمالها كما يستعمل البارود . ... ويضغطونهُ ثم يحولونهُ الى حبيبات دقيقة . فكان مسحوقاً سريع الانفجار ... وجدوا انهُ يصلح لبندقيات الرش

... الذي لا دخان لهُ فاستنبطهُ اولاً الكابتن شولتز احد ضباط المدفعية الالمانية ... وفي سنة ١٨٦٨ اكتشف احد مساعدي آبل — وكان اسمهُ برون — ان قطن البارود ... ان يتفجر بالضغط ثم وجد ان لوحة من قطن البارود الرطب يمكن تفجيرها بضغط ... فافضى هذا الاكتشاف الى استعمالهِ في الاعمال العسكرية لان حفظهُ رطباً حال ... اتفاقاً . ولا يزال الانكليز يستعملونهُ مع ان الالمان وبعض الدول على البرّ الاوربي ... مركب « الترينيتولوين » وهو اعنف تفجراً واسهل حفظاً

... بارود شولتز لم يصنع من القطن بل من نترجة ... الخشب . والمادة في كلا ... اساسها واحد وهو السلولوس ولكنهما تختلفان قليلاً . وباع حقوقهُ في النمسا ... فعكف عليهِ كيماويوهُ وحسّنوهُ بتفتيت بناء الخشب الليفي بمعالجته بمزيج في ... ولايتر . وبعد ان مضى هذا المصنع في صنعهِ سنوات حظرت الحكومة النمسوية صنعهُ ... مع احتكارها لصنع البارود

حاصر الالمان باريس في سنة ١٨٧٠ دعت الحكومة الكيماوي المشهور مارسلان ... فعكف على دراسة المتفجرات ومقدار ما ينطلق من المواد المتفجرة ، من الحرارة و ... . واحتفظت الحكومة بخدماتهِ بعد انتهاء الحرب وأنشأ مصلحة حكومية ... جميع الاختراعات ووجوه التقدم الخاصة بهذا الموضوع وتنظيمها . ومعظم ما يعرف عن ... يرجع الى مباحثهِ . ومن أهم النتائج التي اسفرت عنها مباحث هذه المصلحة . ... اكتشاف ... في سنة ١٨٨٤ ان قطن البارود يمكن تحويلهُ الى جسم هلامي (جلاتيني) القوام ... بمزيج من الايثر والكحول فيصبح معجوناً يمكن تحويلهُ الى حبوب او قدد ، ثم يجفف ... الكحولي فتبقى مادة قرنية ، اذا اشعلت احترقت احتراقاً منتظماً في طبقات متوازية .

فدعيت هذه المادة « المتفجرة » مسحوق (B) . وحرف (B) هنا يرمز الى الاسم بولانجه ... ولكن لا يعرف على وجه التحقيق هل المقصود بولانجه وزير الحربية حينئذ او الاسم الذي قطن البارود يمزج فيه بمحلول الايثر والكحول وكان شائعاً حينئذٍ بين الخبازين . والخبز يدعى « بولانجه » كذلك

وكذلك حلّت مشكلة تحويل قطن البارود الى بارود لا دخان له يصلح للاستعمال في البنادق والمدافع . وهذا البارود الجديد يفضل البارود الاسود القديم من وجوهٍ عديدة ، وقد ادى حتى أفضى الى وجوهٍ جديدة من التقدم في الاسلحة نفسها

وبعد بضع سنوات تمّ صنع اصناف البارود الهلامي ففي سنة ١٨٨٨ استعمل ... (صاحب جوائز نوبل المشهورة) مادة البالستيت Ballistite يمزج مقدارين متساويين ... النتروسلولوس (حيث مقدار النتروجين فيه قليل) والنتروغليسرين . وفي السنة ... الحكومة البريطانية لجنة مؤلفة من السر فردريك آبل (F. Abel) والسر جيمس ديوار فأسفر بحثها عن اكتشاف مادة الكورديت Cordite وهي مزيج من النتروغليسرين ... (حيث مقدار النتروجين فيه كبير) وهلام معدني (الفازلين) . وقد جرى الجيش ... والاسطول البريطاني على استعمال هذه المادة من وقتها ، حالة ان الفرنسيين قصروا استعمال مواد لا يدخل النتروغليسرين فيها وتعرف انواع بارودهم بنارود النتروسلولوس . وهنا فصول كثيرة للمقابلة بين مزايا النوعين من دون الوصول الى نتيجة حاسمة في تفضيل الواحد على الآخر . اما الايطاليون فقد اخذوا بأنواع البارود التي يدخل النتروغليسرين في

***

اما في المانيا فصنع دوتنهوفر احد علماء مصنع روتويل للبارود ، باروداً حديداً من السيلولوز بعد تحويله الى هلام بمعالجته بالايثر الخلي Acetic ether ولكنهُ ظلّ متأثراً بطريقة صنعه القديم فجففهُ وضغطهُ وطحنهُ حبوباً صغيرة

الآن السلطات العسكرية الالمانية ادركت الفائدة العظيمة التي جنتها حكومة فرنسا من البحث المنتظم في هذا الموضوع فطلبوا الى باحثٍ يدعى « ولِ » Will وكان اكبر مساعدي ... هو فمن ان ينشىء للحكومة الالمانية مصلحة للقيام بهذا النوع من البحث . وعنيت صناعة ... والذخيرة الحربية في الوقت نفسهِ بانشاء فرع للمباحث العلمية في هذا الموضوع ، يدعى ... وكذلك نشأ في المانيا مقرّان لهذا البحث الواحد يقوم على تأييد الحكومة وبنفقاتها والآخر تأييد مصانع السلاح وبنفقاتها ، فكان لكليهما اكبر شأن في ترقية صناعة الاسلحة والذخيرة الحربية في المانيا

...ت المانيا تختلف عن فرنسا وانكلترا ، في ان الدولة لم تكن تملك مصانع للذخيرة ، فكانت الخاصة في المانيا مطلقة من القيود حرّة في تجربة التجارب لانشاء اصناف جديدة من المواد ...اءً على ما تفضي اليهِ مباحث العلماء المختصين . وقد دلّت مباحثهم وتجاربهم على ان لكل ...د المصنوع من النتروسلولوس والبارود المصنوع من النتروغاسرين دائرة خاصة يمتاز فيها. النتروسولولوس اصلح في رأيهم للبنادق ومدافع الميدان المتوسطة . حالة ان بارود ...سرين اصلح للمدافع الضخمة

...شبت حرب افريقية الجنوبية تبين ان استعمال البارود الجديد يبري باطن المدافع بسرعة ...نة برآسة لورد راليه للبحث في هذه المشكلة وفي مشكلات اخرى تتعلق بالمواد الحربية ... فحاولت اللجنة ان تقيم مصانع السلاح والذخيرة في انكلترا ان تنشيء مركزاً للبحث ...يقه « السنترستال » الالماني ولما عجزت عن ذلك . انشأت فرعاً للبحث العلمي في مدرسة ...حربية ، فكان لمباحثهِ شأن عظيم في الحرب الكبرى وبوجه خاص في صناعة الكورديت

***

...الاكتشافات التي تستوقف النظر في السنترستال الالماني . اكتشاف تين Tidene في ... لم يعرف باسم « سنترالْيت » واسمهُ العلمي « دايفنل ـ داياثل ـ يوريا » . فاذا اضيف مقدار ... المركّب الى مسحوق النتروغليسرين واندمج المركبان احدهما بالآخر بضغط مدّاح ...حوّل المزيج النتروسلولوس الى هلام من دون استعمال محلول طيّار لذلك الغرض . فيستغنى ...ملية التجفيف بعد الحل ويوفر ذلك الايثر والكحول او ثمن الاستون. ولا يخفى ان قلة ... انكلترا في اثناء الحرب كادت تعرقل عمل الكورديت . ولولا قلة الغليسرين في المانيا في ... الكبرى لكان في وسعها ان تصنع مقادير كبيرة من المتفجرات باستعمال السنترالت . ...ذلك ان اضافة السنترالیت تجعل البارود اكثر استقراراً في تركيبه الكيماوي لانهُ يتحـ... وهي اذا تركت حرّة تقصر عمر البارود

...سناه من الفرق في تحضير اصناف البارود واستعمالها . نلمسهُ كذلك في المتفجرات العنيفة ...ها بالحرفين H. E اي High Explosives) التي تحشى بها القنابل . على ان هناك فرقاً ...الحالين ، وهو ان الاقوال مختلفة في تفضيل بارود على آخر حالة انه لا اختلاف هناك ...فضل المتفجرات لحشو القنابل

البارود يستعمل في حشو القنابل الى اواخر القرن التاسع عشر مع ان سبريغل Spregel ...ن سنة ١٨٧٣ ان الحامض البكريك يمكن تفجيره بكبّاس يحتوي على احد املاح الحامض ...ك . ولكن هذا الاكتشاف لم يسفر عن نتيجة عملية حتى بين توربين Turpin سنة ١٨٨٥

اسباب تفضيله على غيره لحشو القنابل لانهُ عنيف فعَّال وفي الوقت نفسه لا يتأثر بالحـ
بالاصطدام اذا قيس بالمواد المتفجرة الاخرى . يضاف الى ذلك ان تحضيره لا يقتضي نفـ
لانهُ يحضّر بنترجة الفينول (الحامض الكربوليك) وهو احدى المواد التي يمكن استحـ
قطران الفحم الحجري . ولذلك عمدت الحكومة الفرنسية الى استعماله باسم ملينيت وتبعتها
الدول الاخرى . فشرع الالمان يستعملونهُ سنة ١٨٨٨ وحذا الانكليز حذوهم حتى الى ذا
ولكنهم اطلقوا عليه اسم لديت Lyddite نسبة الى لِدْ Lydd حيث تجري مناورات المدفعية
ولكن الالمان لم يرضوا عنهُ كل الرضا . لان درجة ذوبانه عالية فيصعب تذويبه و
الشكل المطلوب . ثم انهُ يأكل الرصاص وغيره من المواد فتتكوَّن مركبات خطرة ثم و
حوادث تفجره اتفاقاً اكثر مما كان يظن . فوالوا البحث في معهديهم فأسفر سنة ١٩٠٤ عن
مركب الترينيتولوين ويرمز اليه عادة بثلاثة حروف T. N. T. وهو يفضل الحامض بكـ
جميع هذه النواحي . ومع ان انكلترا كانت عالمة بتقدُّم هذه المباحث في المانيا ظلّت لا تولي
الوافية حتى نشبت الحرب الكبرى اذ ظهر ان مقدار الفينول اللازم لاعداد « اللديت »
فشرع قسم المباحث في اعداد المعدات لصنع مادة T. N. T. وكانت السرعة التي حدثت بها
لهذا الغرض سبباً في حدوث انفجارات عديدة أودت بحياة كثيرين . بل ان بعض القنابل
بمادة T. N. T. المحضّرة على عجل في انكلترا كانت تنفجر في الميدان وهي في اسطوانات لـ
اطلاقها فتمزقها وتقتل بعض المدفعيين . حالة ان شيئاً من هذا لم يقع في المانيا . وسببهُ
قضوا سنوات يبحثون ويجرّبون حتى اتقنوا معرفة جميع التفصيلات في هذه الصناعة
ولكن الانكليز لم يقبلوا على هذا البحث الاَّ على عجل وبدافع الحاجة فاضطروا ان يقـ
صناعة هذه المركّبات الخطرة قبل ان يتقنوا جميع اساليبها

ومع ذلك ظلَّ الاسطول البريطاني محافظاً على استعمال الحامض البكريك في قنابله والـ
يعزى غرق طائفة من البوارج والطرادات البريطانية في معركة جتلند ، لانها كانت عند صا
قنابل العدو تنفجر قنابلها المحشوة باللديت من تلقاء نفسها فتغرق بمن فيها

اما المدرعات الالمانية فكانت لا تغرق الاَّ اذا دمّرتها قنابل الانكليز ، ومنها ما عطل
ومع ذلك لم يغرق

***

ليس الغرض من هذا المقال ان يكون بحثاً وافياً في الموادّ الحربية المتفجرة ، ولكن
اقامة الدليل على الصلة بين البحث العلمي وتقدم صناعة المتفجرات ، بضرب بعض الامثال
القارىء يجد ابلغ مثل على هذه الصلة في الفصل التالي وهو ترجمة المحاضرة النفيسة التي القاها
شوشه بك في موضوع الغازات السامة وفعلها الفسيولوجي ووسائل مكافحتها والوقاية منها

الغازات الحربية

اصنافها وخواصها وفعلها والوقاية منها

للاركتور على توفيق شوشه بك
مدير معامل الصحة

... الارض قاطبة معنية اشد العناية الآن باعداد العدة للحرب الكيمائية . ولما كانت ... تستلزم الكتمان الشديد فمن النادر ان يعرف ما تمّ لعلمائها في هذا الصدد . وقوانين ... حلف البلاد تحظر معالجة موضوع الدفاع ضد الغازات السامه معالجة علنية

... سلت مساعٍ كثيرة ، رسمية وخاصه ، لاخراج المدن والمراكز الحافلة بالسكان من المناطق ... الهجوم الجوي ، ولكن لا يحتمل ان تقنع الامم المتحاربة بقصر الهجوم الجوي على ... الحربية ، بل المرجح ان تستعمل الطائرات في المستقبل لمهاجمة القواعد الحربية والمدمير ... بوجه عام كذلك . والغالب ان الجانب الثاني من عمل الطائرات الحربية لا يكون عسكريًّا ... بل يقصد به الى اضعاف القوة المعنوية في الشعب من الناحيتين النفسية والسياسية ... شعور الضعف واليأس ويغدو متقلاً بكابوس الحرب شديد الرغبة عن مواصلتها ... تصبح الدول غير شاكية السلاح ، غنيمة باردة للدول المدججة به التي تحركها ... العسكرية فلا تتورّع عن مد نطاق الحرب حتى تشمل الشعوب الآمنة . ومصر معرضة ... الهجوم من الجو عليها ، فيجب على كل من يعنيه الامر ان يعد المعدات اللازمه لحماية شعب ... دعي الامر وامتدت الحرب الى هذه البلاد

وسائل الهجوم الجوي

... تكون القنابر التي تلقيها الطائرات من الجو قنابر محشوّة بمواد متفجرة او بمواد ملتهبة ... . اما القنابر المحشوة بالمواد المتفجرة والمواد الملتهبة فلا تستوقف نظرنا الآن لانها ... عن نطاق موضوعنا . وأما استعمال القنابر المحشوّة بالغازات ففي وسع صانعيها حشوها ... سامّة . وقد حلّ محلّها من عهد قريب رشّ المواد السامّة من طائرات صنعت خاصّة لذلك

الغازات الحربية لا تزال على ما كانت عليه تقريباً عند خاتمة الحرب الكبرى . على الرغم مما يقال ... . اما ما اذيع عن احوال الغازات الحربية الجديدة وتأثيرها المخيف فقد دحضتهُ اللجنة ... غير الدائمة التي عينتها جامعة الامم لتحديد السلاح . فقد قالت في تقريرها الخاص بالغازات

ما يلي : «وليس هناك ما يسوّغ القول بانهُ في الامكان اختراع غازات حربية جديدة تفوق من ناحية ال العسكري على الغازات المعروفة الآن »

ومما يجب ان نوجه اليهِ النظر رأي فريق كبير من الاختصاصيين في جميع الامم ومفاد القنابر المحشوّة بالمواد المتفجرة والملتهبة . اذا اطلقت من الجوّ سواء اطلقت مفردة او في كبيرة . اشدُّ فعلاً من قنابر الغاز ، على شرط ان يكون جمهور الشعب قد درّب على الس من قنابر الغاز وانذر بنوع القنابر التي تلقى عليهِ . يضاف الى هذا أن التدمير الذي تحدثهُ اقلُّ من التدمير الذي تحدثهُ القنابل المتفجرة والملتهبة

والغازات المستعملة في الحرب قليلة . منها الكلور اولاً والفوسجين ثانياً . وهما غازان ا العلمي الدقيق . واما المواد الكيمائية الاخرى المستعملة في الحرب ، فسائلة وهي تتش دقيقة جدًّا ، فتبدو في الجوّ كأنها رشاش او غبارٌ او غيم

خواص المواد الكيمائيه الحربيه

ولا يستعمل من المواد الكيمائية الحربيه الاّ ما كان منها متصفاً بالخواص الآتية :-

اولاً — يجب ان يكون مقدار صغير من المادة الكيمائية كافياً للحصول على نتيجة كبيرة وقد عبّر العلاّمة هابر نسبة رياضية دقيقة بين المقدار المستعمل من الغاز الحربي او السائل الحربي وتأثيره م × و = ف حيث الحرف م يرمز الى المقدار والحرف و يرمز الى الوقت والحرف ف يرمز الى التأثير . ومقدار الغاز يحسب بالملغرامات في سنتمتر مكعب من الغاز الذي يستنشقهُ الانسان . والوقت يشير الى المدة التي تنقضي بين بدء الاستنشاق وظهور الفعل الضار في الانسان . فاذا كانت الاولى في الكمية الثانية كان الحاصل دليلاً على فعل الغاز الضار

ولذلك لا يمكن ان يحسب اول اكسيد الكربون (CO) غازاً حربيًّا ، مع انهُ غاز سمّي ولكن لا يمكن تركيزهُ تركيزاً كافياً حتى يكفي مقدار صغير منهُ لاحداث تأثيره الس وما يقال عن غاز اول اكسيد الكربون يصحُّ كذلك على الغاز الايدروسيانيك

ثانياً — يجب ان يكون الغاز السام في حالتهِ البخارية اثقل من الهواء ، اي ان ثقله ال يجب ان يكون اكبر من ثقل الهواء النوعي لئلاّ يرتفع في الهواء فلا يؤثر في الذين يطلق على سطح الارض . ولذلك نجد جميع المواد الكيمائية الحربية اثقل من الهواء

ثالثاً — يجب ان يكون طيّاراً حتى يمكن انتشارهُ في الهواء رشاشاً او بخاراً او غباراً

رابعاً — يجب ان يكون مستقرَّ التركيب فلا تؤثر فيهِ عناصر الهواء وبوجه خاص ا الهواء وبخارهُ المائي

خامساً — يجب ان يكون مستقرَّ التركيب كذلك لا يمكن حلُّهُ بمواد تطلق عليهِ في سبيل الوقا

كمامات واقية من النار السام في الحرب

آ — من الخواص التي يجب ان ينظر اليها عند اختيار غاز حربي مدى انحلاله في الماء. فالمواد انحلالها في الماء لا تصلح في الغالب لهذا الغرض صلاح المواد التي لا تنحل في الماء مطلقاً انحلالاً يسيراً. لان المواد الكيمائية الحربية التي تنحل في الماء يغسلها ماء المطر فتصير

تقسيم الغازات الحربية

تقسيم الغازات الحربية وفقاً لاعتبارات مختلفة . ولكن التقسيم الذي يهمنا هو ما خاص في ... قائم على تأثيرها في الجسم اي تقسيمها من الناحية الطبية . وعلى ذلك يمكن تقسيم ... امه اربعة اقسام

— الغازات التي تؤثر في اغشية العين وتعرف باسم (غازات الدمع)

الغازات التي تؤثر في القسم الاعلى من جهاز التنفس اي الانف والحلق وتعرف باسم ... يب[1] الازرق)

— الغازات التي تؤثر في اغشية الرئتين وتعرف باسم (طائفة الصليب الاخضر)

— الغازات التي تؤثر في الجلد وتعرف باسم (طائفة الصليب الاصفر)

غازات الدمع

غازات التي في هذه الطائفة غاز « بروم اسيتون » Brom-aceton وزيليبروميد ... . والغازات الدمعية مما يسهل نشره بالرش وهي تهيج اغشية العين ولو استعملت ... ضعيفة . فتحمل العيون على سكب الدموع وتحدث العطاس . وهي تلتصق بالملابس ... ها حتى بعد تطهيرها وتعقيمها . وبقاء آثار يسيرة منها لاصقة بالملابس بعد التطهير ... التدميع والعطاس

استعملت هذه الغازات في محلولات ضعيفة كانت تأثيرها مؤقتاً . فالتهاب اغشية العين ... مدة قصيرة على اثر استعمال المكمدات الباردة. اما اذا استعملت في محلولات قوية فانها ... التنفس وسعالاً تشنجيًّا والتهاباً في الشعب الرئوية

... الاستدلال على وجود هذه الغازات في الهواء برائحتها اللاذعة المهيجة لغشاء الانف ... قد استعملت في اميركا في تسكين هياج الجماهير والقبض على المجرمين . بل قيل ان غير ... في اميركا ثبت في جدران ساحته انابيب تطلق منها هذه الغازات عند الحاجة لمرأى ... فريق من اللصوص او الاشقياء عليه

... عاف المتأثر بها فيتم بوضعه اولاً في الهواء الطلق وتغيير الملابس واستعمال المكمدات ... احة ثم معالجة الالتهاب بالوسائل الطبية المعروفة

---

[1] استعمل الالمان علامة الصليب بألوان مختلفة على القنابر الغازية تسهيلا لمعرفتها فعرفت باسم الصليب الاخضر او الاصفر

طائفة الصليب الازرق

تشتمل هذه الطائفة من الغازات على مواد عضوية هي خليط الايدروكربونات الزرنيخية والكلوريدات ، وهي تحدث تهيجاً عنيفاً ولكنها تؤثر في الغالب في الانف والحلق و[illegible]

وتستعمل على الاكثر رشاشاً دقيقاً فتراها كأنها غيمة بيضاء او رمادية اللون . [illegible] الهواء طبعاً وتبقى مدة طويلة في المنطقة التي ترش فيها

ومن خواصها العجيبة انها تخترق الكمامات العادية الواقية من الغاز ولذلك أ[illegible] « مخترقة الكمامات » . ويمكن الحيلولة بينها وبين الكمامات باستعمال مصفاة من [illegible] توضع أمام الكمامة . ومقدرتها على اختراق الكمامات العادية حملت بعضهم على [illegible] فيضطر الجندي الذي اخترقت هذه الغازات كمامتهُ ان يرفعها عن وجههِ وعند[illegible] تطلق الغازات الخانقة من طائفة الصليب الاخضر . وفعلها مفصل في الفقرة التالية . اما [illegible] بغازات الصليب الازرق واساليب معالجتها فتشابه اعراض الاصابة بالغازات الدمعية و[illegible]

طائفة الصليب الاخضر

﴿ الفوسجين ﴾ اهم غازات هذه الطائفة هي الفوسجين والبرستوف وال[illegible] فالفوسجين ($COCl_2$) غاز من اشد الغازات فعلاً سامًّا . وهو غاز لا لون له، قوي [illegible] رائحته رائحة التبن الفاسد، اثقل من الهواء ثلاثة اضعاف . فاذا اضيف الى الماء انحلّ [illegible] الكربون والحامض الايدروكلوريك . ويفوق في شدة فعله السام الحامض الايدرو[illegible] اضعاف . فالمتر المكعب من الهواء اذا كان يحتوي على ٤٥ ملغراماً من هذا الغ[illegible] على مستنشقهِ . فاذا استنشق منهُ ما مقداره ثلاثة ملغرامات ونصف ملغرام (٥ر[illegible] الدقيقة كان مميتاً . ومما يجب ان يذكر ان الهواء المحتوي على مقادير يسيرة من الفوس[illegible] اعراضاً ما عند استنشاقه ، ولكن اثره يتجمع فيصبح مميتاً اذا طال زمن الاستنشا[illegible] المكان الذي يكون فيهِ هذا الغاز بالماء النشادري انحل وزال . واذا كان هناك مقدار [illegible] الهواء كانت رائحة الهواء تشبه رائحة التفاح الفاسد . لذلك كان الجنود يدعونهُ في [illegible] غاز التفاح . وهو يختلف عما تقدم من الغازات المهيجة في انهُ يؤثر في اجزاء الرئتين [illegible]

فهو يهيج أدقّ أطراف جدران الرئتين عند انحلاله بامتزاجهِ بالماء الذي في نخاريهما و بعد الانحلال الى حامض ايدروكلوريك وثاني أكسيد الكربون . وقد يؤثر تأثيراً [illegible] جدران الرئتين . واذا كان مقداره في الهواء يسيراً (من ٥ ملغرامات الى ١٠ ملغرام[illegible] المتر المكعب) لا يهيج الافعال العكسية الدفاعية في الجسم مثل السعال والاختلاج [illegible] وكذلك يمكن أن يستنشقه المرء وهو لا يدري

...ث استنشاق هذا الغاز نزيفاً في الاغشية المخاطية وانتفاخاً شديداً (اوذيما) في الرئتين ، ... تخاريب الرئتين ، فيختنق مستنشقهُ في سائلهِ الدموي . ويتضخم حجم الرئتين حتى تبلغا ...ة اضعاف الى ستة اضعاف حجمهما السويّ وتبدوان كأنهما مضغوطتان بين الاضلاع ولما ...اح من الرئتين كثيراً ، فالدم يتركز بسرعة فيسفر ذلك عن وجود تخثر دموي محمرّ ...ة في جميع الاوعية الدموية وفي القلب كذلك . ثم ان جدران التخاريب تصبح مما يسهل على ...ه فتمتلىء بالسائل الدموي وكذلك تظهر اعراض الاوذيما الحادة . ومما يشار اليه في هذا ... حالة الاوذيما تتكوّن ببطءٍ اولاً ثم بعد بضع ساعات تظهر اعراض الاختناق الشديد ... هناك فترة حصانة بين استنشاق الغاز وظهور الاعراض . ففي حالات التسمّم الخفيفة ...ها علامات خطرة خلال بضع ساعات ، بل قد تبدو انها تتحسن تحسناً يسيراً . ثم ان ...ورة الدموية يتأثر ان عند ما يبدأ الدم ، بتركزه ، يحتك بجدران الاوعية الدموية الكبيرة ... « الخفيفة » تظهر فيها علامات التهيج في جهاز التنفس وعلامات التهاب شعبي ...ه الشفاء السريع

... « المعتدلة » يخفّ انتفاخ الرئتين (اوذيما) تدريجاً فيها

... الحالات « الشديدة » يزداد عسر التنفّس خلال بعض ساعات بعد استنشاق الغاز وتحدث ...ق عقب ألم شديد . فاما أن يبقى المصاب فاقد الوعي أو يصاب بحالة هبوط سببها ضعف ...وية ففي الحالات الاولى يكون لون الجلد مزرقاً وفي حالة خور القلب يصبح شاحباً . أو ...ن رغوة مصفارّة ، او حمراء الى السمرة . وقد تفضي نوبة السعال الى تمزيق نسج ... يحدث حينئذٍ اما انتفاخ البلورا واما انتفاخ عام

... التسمّم الشديد بعد بضعة ايام الاصابة بالنزلة الرئوية الشعبية (برونكرنومونيا) ومن ...ه الحالة انتفاخ الوجه والاصابع ونزيف في الشبكية والاغشية المخاطية ويقترن ... ...ي بحالة قلبهِ ونبضهِ . ويجب ان ينعم المصابون بالراحة التامة لاجتناب كل جهد عضلي ... مقدار ما تستهلكهُ الاعضاء من الاكسجين

...دة ان المصابين الذين يتحملون الثلاثة الايام الاولى من الاصابة يمكن عقد الرجاء على شفائهم . ...ر ان يعرف الطبيب ، عند حصول التسمّم ، مبلغ شدة الاصابة او خفّتها . ولا يمكنه ان يعين ... النهائي . فقد لا تبدو على المصاب اعراض خطرة في فترة الحصانة ، بل قد تظهر عليهِ احياناً ... تحسّن ، ولكن الوفاة قد تقع احياناً بعد انقضاء بضع ساعات على ذلك بسبب انتفاخ ... الرئتين . وانما يمكن ان يقال ان اكثر الوفيات تحدث في الايام الثلاثة الاولى وتقل بعد ... الخامس ويقوى الامل في الشفاء بعد اليوم الثامن

من اخطر ما يتعرض لهُ المصاب من بدء التسمّم الى حين الشفاء : الجهد العضلي ، وذلك

بانتفاخ الرئتين وتركز الدم وضعف القلب . فالمصابون بالغاز السام لا يسمح لهم بالتحرك و ينقلوا نقلاً رفيقاً من مكان الى مكان ، لان بذل الجهد العضلي يفضي في الغالب الى الوفاة ح ويعض المصابين يبقون بعد اليوم الثامن مصابين بالتهاب الشعب والربو ويظل القلب ضعيفاً

﴿ البرستوف ﴾ ويعرف هذا الغاز باسم « سوربالت » بالفرنسية وباسم بالانكليزية . وهو شبيه بالفوسجين الا انهُ اشدُّ منهُ فعلاً فنقلهُ ضعف ثقل الفوسجين سائل لا لون لهُ ودرجة غليانهِ ١٢٨ درجة مئوية . يرش على الارض والملابس فيبقى الانحلال بضع ساعات . اما الابخرة المتصاعدة منهُ فتهيج جهاز التنفس اكثر من الفوسجين . ثم ينحلُّ في الرئتين كما ينحل الغاز السابق

﴿ العلاج من الاصابة بالغازين ﴾ وتقتضي معالجة المصابين بهما نقلهم حالاً الى الهواء الطلق وتغيير ملابسهم بل يجب اخراج الملابس من حجرة المصاب بسرعة يلصق بها مدة طويلة — واجتناب كل جهدٍ عضلي — واستعمال غسولٍ خفيف مثل بيكربونات الصوديوم أو محلول ملحي فسيولوجي برمنغنات البوتاس (واحد في الالف) لغسل الاغشية المخاطية — وغسل العينين بمحلول سلفات الزنك (قوة نصف في المائة) او بكربونات الصوديوم (قوة ٢ في المائة) لتخفيف تهيجهما استعمال محلول خفيف من لمعالجة نفور العينين من الضوء — واستنشاق بخار الماء لتخفيف تهيج جهاز التنفس — و تحت الجلد (٤٠٠ ٨٠٠ سنتغرام من محلول كلوريد الكاسيوم قوة واحد في المائة من الكاسيوم) لتخفيف انتفاخ (اوذيما) الرئتين — الامتناع عن التنفس الصناعي بواسطة الرئتين لما تقتضيه حركاته من الجهد العضلي ويجوز استنشاق الاكسجين الصرف و التنفس بحقن تحت الجلد بحقن لوبيلين (٠٠٥ر٠ الى ٠١ر٠) او بحقن كافور

اما حالة تركز الدم قبل حصول انتفاخ الرئتين فالفصد خير علاج لها . واما يجب ان يلاحظ ان الدم يكون كثيفاً في الغالب وانهُ يتخثر في الاوردة . ففي هذه الحالة يمكن فصد على ان تربط حالاً بعد ذلك ويمكن فصد مقدار من الدم يختلف من ٥٠٠ سنتمتر مكعب او الى الف . ويفضل ان لا يكون الفصد مرة واحدة بل مراراً حتى يسع القلب ان يلائم الدم الناجمة عن الفصد . ولتخفيف ما يخسره المصاب من الدم يصفق المقصود على دفعات ملحي فسيولوجي . ويستعمل لتخفيف تركز الدم حقن قطارة ويعمد الى شرب المياه المعدنية

ويستعمل لتنبيه القلب الكاردیوزول او الكافيين او الديجيتالس او حقن وريدية بمقدار ٣٠ الى ٥٠ سنتمتراً مكعباً بقوة ١٥ الى ٢٠ في المائة . ولما كانت المواد المخدرة المورفين ضارة فيحسن استعمال قطرات من الفاليريانا والبرومور . ومما يستعمل لتخفيف الساخن والشاي والقهوة وعصارة الفواكه والمياه المعدنية ويفضل استعمال الغذاء المائع

طائفة الصليب الاصفر

... في هذه الطائفة غاز اسمهُ الكيمائي «دايكلور داي اثيل سلفيد» ويعرف باسم غاز الخردل ... كالماء يذوب في الكحول والايثر وينحل انحلالاً متدرجاً في مقادير كبيرة من الماء ... رائحة الخردل الخفيفة او البصل واذا كانت مقادير صغيرة منهُ منتشرة في مقادير كبيرة ... تعذر تبينهُ برائحته . وقد استعمل في الحرب الكبرى للدفاع بنشره بواسطة قنابر ... مناطق واسعة . وهو غاز بطيء الفعل ولكنهُ شديده فما ينشر منهُ في الهواء الغائم ... مدة طويلة واذا كانت الحرارة معتدلة احتفظ بفعله اياماً بل وأسابيع . ولكن ضوء ... المطر يضعفان من فعله كثيراً

... يفعل محلول كلورو الجير او المستحلبات التي تصنع منهُ وعوامل الاكسدة كما يحل ... فالمناطق التي يبث فيها هذا الغاز يجب ان تغسل بالماء او بما يفضل الماء في هذا الصدد ... كلورو الجير . واذا اذيب الكلورامين في الماء كان المحلول مما يزيل فعلهُ السام

يجب ان يراعى في استعمال محلول كلورو الجير ان لا يتصل بالغاز في حالته المركزة لان ... من الغاز تبخر قبل انحلالها بالاكسدة وهذه الابخرة تحرق الجلد وجهاز التنفس

... الخطر في استعمال هذا الغاز مقدرتهُ على تخلل الملابس جميعاً وحتى الجلد . فالذين يقضي ... في مناطق بث فيها هذا الغاز يجب ان يرتدوا الملابس التي تحول دون تخلله اياها ... سهل ما يكون ان يتعوَّد عصب الشمّ رائحة غاز الخردل ، فيعتقد من تعوّد عصبهُ هذه ... قد زال من المنطقة التي يكون فيها ، مع ان الغاز يكون باقياً فيها . وقد تنقضي ... استنشاق الغاز ، قبل ان تظهر اعراض التأثر بهِ ولذلك يعسر على مستنشقه ان يعيّن ... تنشقهُ فيها اولاً . وخير وسيلة لدرء خطره عند اختيار منطقة بثَّ فيها ان تغطى ... غاز مبلول بمحلول الكلورامين . اما الملابس التي لصق بها هذا الغاز فيجب الا تعلق في ... بحيث تنتشر منها دقائق الغاز في الحجر . والغالب ان تتحرك غيمة غاز الخردل في جهة ... على سطح الارض ولكنها قد يستقرُّ جانب منها في حفرة او خندق ، او تتغلغل في ... تحت الارض من المباني كما يفعل غاز الكلور وغاز ثاني اكسيد الكربون

... هذا الغاز لا يؤثر في المرء على الفور ، فلا يحسُّ من يتعرَّض لهُ بحكة او حرق في ... يتخلل الجلد في خلال ثلث ساعة . وانما يتوقف احتراقهُ للجلد على بنائه التشريحي ... والابط والذراع والصفن اسرع تأثراً بهِ من جلد الكفين والقدمين . ويظهر على الجلد عند ... الغاز بقع حمر لا تلبث ان تتخذ شكل النفاطات الناشئة عن الحرق بالنار . واذا استنشق ... ملغراماً منهُ في الدقيقة افضى ذلك الى تلف الرئتين . ولا يخفى ان المصاب بغاز الفوسجين ... فيحاول عبثاً استنشاق نسمة من الهواء ، واما المصاب باحد غازات الصليب الاصفر

فيجلس ساهماً محدقاً في الفضاء . وتتأثر العينان بهذا الغاز فتتقيحان وتتلف ملتحمتهما وقريبة بل تتلف العين كلها. واذا كان مقدار الغاز في متر مكعب من الهواء يختلف من عُشّ سنتمتر الى خمس سنتمتر مكعب اثر في الاغشية المخاطية فاذا بلغ المقدار من سنتمتر واحد الى ثلاثة سنتمتر مكعبة في متر مكعب من الهواء كان استنشاق هذا الهواء مميتاً

ويشبه غاز الخردل في فعله غازاً آخر يدعى « لويسيت » وهو خليط من كلورو فينيل دي كلوريد وداي كلور دي فينيل ارسين كلوريد وتراي كلور تري فينيل ارسين كلوريد

﴿ علاجهُ ﴾ افضل طريقة لعلاج تأكل الجلد استعمال كلورور الجير ويمكن دهن الجلد به او معجوناً . فبه يستطاع منع تلف الجلد في الدقائق الاولى من اتصال الغاز به . وبعد انقضاء دقائق لا يبقى الاَّ احمرار خفيف او نفاطات خفيفة . واذا كان مقدار غاز الخردل ... كبيراً وجب ان يغسل ويمسح بكلورو الجير حالاً واذا كان الجلد قد اصيب ... يستعمل كلورور الجير في غسل الجلد المجاور للبقعة الملتهبة لوقايته . وبعد ذلك يجب ان ... مدة ساعة او ساعتين بمحلول داكين او محلول كارل . اما الاول (اي محلول داكين) فمؤلف من ... غراماً من كلورور الجير و١٤ غراماً من كربونات الصوديوم في لتر من الماء تخضّ خضاً عنيفاً نصف ساعة . ثم يرشح المحلول ويعدَّل باضافة اربعة غرامات من الحامض البوريك . واما الثاني (اي محلول كارل) فمؤلف من ١٢ غراماً ونصف غرام من كلورور الجير تسحق جيداً قليل من الماء حتى تصبح معجوناً ثم يضاف اليه الماء رويداً رويداً حتى يصبح حجم الكل واحداً . وبعد الخضّ جيداً يضاف ١٢٫٥ غرام من الحامض البوريك ويخضّ الكل جيداً يرشح المحلول . وجميع المحلولات التي يدخل كلورور الجير في تركيبها لا يمكن حفظها مدة ... فيجب ان تحضَّر قبيل الاستعمال . واذا تعذر الحصول على كلورور الجير فيمكن استعمال ... البوتاسيوم (قوة نصف في المائة) او كلورامين (قوة ١ في المائة) او ماء الصابون عند الاضطرار يفرك الجلد بالفازلين وعلى الطبيب ان يلبس قفازاً من الجلد في خلال قيامه بهذه الاسعافات المناشف التي يستعملها فيجب اما ان تحرق وإما ان توضع في محلول كلورو الجير . والملابس التي غاز الخردل يجب ان تغسل حالاً بمحلول كلورور الجير في ماء صابون ساخن

وقد تشق النفاطات على ان تتخذ الاحتياطات المانعة للفساد في شقها، ولكن جلدها يجب ان يقطع لان الجلد افضل واقٍ للنسج الحساسة التي تحتهُ . ويجب كذلك الامتناع عن تضميد النفاطات والقروح المشقوقة بضمادات رطبة . او رشها بمسحوق ما . ويمكن تجفيف جرح رطب بالهواء الساخن ثم يغطى بالفازلين ويشار باستعمال الفازلين مع مادة مخدّرة في حالة الالتهابات والنفاطات

اما العيون الملتهبة فيجب ان تغسل مرة كل ساعتين او ثلاث ساعات بمحلول بيكربونات الصودا ، ثم يلي ذلك دهنها بمرهم قلوي . ثم ان دهن العينين بالفازلين يفيد في وقاية العين من ...

الج تأكل الاغشية المخاطية في مسالك الانف والحلق باستعمال البخار الصاعد من ابريق
ة ويمكن تخفيف السعال باستعمال الكودئيين واليوكودايين

وسائل الدفاع

المشكلات التي يتعرّض لها جمهور الشعب وتتحتم عليه معالجتها ، هي الوقاية من قدار
لمشكلات التي يتعرض لها الجيش . وقد اجمعت الامم الاوربية بعد الحرب الكبرى على
مسكري وحده لا يكفي لحماية الشعب الآمن ووقايته الصحة . فاتخذت الوسائل اللازمة
ا لدفاع . فيقسم الشعب الى طائفتين احداهما صغيرة وتعرف بالطائفة العمّالة active
على رجال البوليس والمطافىء وجمعيات الاسعاف والاطباء وعمال النقل . اما
خرى فتشتمل على بقية الشعب . فالطائفة الاولى تجري على قواعد معيّنة اهمّها تحذير
هجوم جوّي منتظر وانباؤه به عند وقوعه وعند انتهائه والمحافظة على النظام والامن العام
ين الصباب للتخفي عن المهاجمين واسعاف المصابين بالعناية الطبية اللازمة وتنظيف
لمباني باستعمال المواد الكيمائية التي تغسلها او تحلّلها

ب في ان فائدة كبيرة عامة تجنى من تنفيذ هذه الوسائل تنفيذاً دقيقاً ولكنها قلما تجدي
اد الطائفة الاولى وكل منهم بمثابة الجندي العامل يكون دائماً في موقع الخطر . ففي
تستعمل الكمامات . والكمامات المعروفة باسم ٥ تنطوي على احدث وجوه التقدم في
. وهي تشبه الكمامة العادية في انها تصنع من ثلاثة حجوم ولها صمام خاص لزفر
حمل رطوبة الهواء المزفور المرشح الذي داخل الكمامة ومن المعروف انّ الرطوبة تقصر
اما رجال فرق اطفاء النار ورجال الاسعاف فيجب ان يجهزوا بأجهزة تغذيهم
عند الحاجة . ولما كانوا يتعرضون لغازات السليب الاصفر وجب ان يرتدوا ملابس
ازات واحذية تقي من فعل هذه الغازات . واستعمال مقادير كبيرة من الماء وكلورور
. المناطق التي غشيها الغاز يعرضهم لتطرق بعض دقائق الماء ومقادير غير يسيرة من
الى مرشّحات التنفس داخل الكمامات ، فتبطل فائدتها . فيقترح في هذه الحالة
ح واق لتغطية مرشح التنفس . وهذا المرشّح يصنع عادة من مادة يخترقها الهواء دون الماء
ور الشعب فمن المتعذر ان يجهز بالكمامات فالثمن كبير والكمامات لا فائدة منها الاّ اذا استعملت
ستعمل وحفظت سليمة من العطب بفحصها فحصاً دوريًّا وهذا الفحص لا يمكن ان يتمّ
ات صنعت خاصة لذلك . والغالب ان السواد من الشعب لن يعنى بجميع هذا عناية وافية . يضاف
العناية الفردية غير لازمة اذا اتبع الجمهور التوصيات اللازمة للوقاية الاجماعية . فاذا
جيء لوقاية طوائف كبيرة من الشعب من تأثير الغازات اصبحت العناية الفردية غير ضرورية
يتفق وجودهم في الشوارع او الميادين او محون الدور عند وقوع الهجوم الجوّي يتعرّضون

لخطر قنابر الغاز التي قد تنفجر على مقربة منهم فشعار هؤلاء يجب ان يكون الفرار من الم
اقرب دار واذا دخلوها يجب ألا يقتربوا من الباب. واذا تعذر عليهم وجود دار على مقربة منهم
عن اي منخفض في الارض ويستلقوا فيه ووجوههم الى سطحها . اما اذا كانوا خارج
تلقى فيها القنابر فليبقوا حيث هم . فمحاولتهم مساعدة غيرهم عبث علاوة على تعرضهم لاعظم

ثم ان الطبقات الارضية والتي تحت الارض (البدروم) افضل الامكنة في الدور المحتاجة
اليها وقد ثبت في خلال الحرب الكبرى ان هذه الطبقات تقي من تركيز غازي في الهواء
تركيز عرف حينئذٍ. اما الطبقات العليا فمعرّضة للهدم بوقوع القنابر المحشوة بالمواد المنفجرة
يضاف الى هذا ان الطبقات التي تحت سطح الارض لا نوافذ لها في الغالب او لها نوافذ قليلة
فيمكن سدّها سدًّا محكماً . ويفضّل ان يكون امام « البدروم » دهليز يحول دون دخول
مباشرة الى الحجر حيث يتجمع اللاجئون ، ويستعمل لتنظيف المتأخرين في دخول
مما يكون قد علق بهم من الغاز

اما عدد الذين يسعهم اللجوء الى « بدروم » ما فيختلف باختلاف سعته . وقد حسب
ان المرء يحتاج الى متر مكعب من الهواء في الساعة . فاذا اضطر ان يبقى في مكان
استنفد الاكسجين من ثلاثة امتار مكعبة من الهواء . وانما يجب ان يلاحظ انهُ رغبة في
استنفاد مقدار زائد من اكسجين الهواء يجب ان يمنع التدخين والانارة باشعال شموع او
ومما يستعمل لسد هذه الحجر وجعلها منيعة على الغاز وضع لوحين من الخشب
نافذة بينها اكياس من الرمل . واذا كانت الالواح مصنوعة من قدد فيجب ان تسد
القدد بقدد ضيقة توضع فوق الفواصل . ويحسن ان يغطى اللوح الداخلي بورق
اما الابواب فتسد سدًّا محكماً بتغطيتها بقددٍ من اللباد المغموس في زيت او ايه
يستعمل ورق مطوي عدة طيات . وتسدُّ ثقوب المفاتيح بالقطن . واذا لم
ودهليزه باب ، وجب فصل احدهما عن الآخر بملاءات كثيفة مغموسة في محلول
ان تكون الملاءات طويلة حتى تدلى على الارض حيث تثبت عليها باثقال منعاً للشرب
الفاصل بين طرفها الادنى وارض الحجرة

واذا انقضت مدّة وفريق من الناس محصور في ملجإ من هذا القبيل ، يفر
هواء الغرفة ويكثر ثاني اكسيد الكربون فيجدّد الهواء باستعمال خراطيش صوديوم
فتثبت ثاني اكسيد الكربون وبخار الماء وتطلق الاكسجين او باستعمال قنابر الا
اكسجين الهواء وفي الوقت نفسهِ تبيض بالجير الخدران فيثبت ثاني اكسيد الكربون

ويجب ان تكون هذه الملاجىء مجهزة ببطريات جافة للاضاءة او بمصابيح كهربائية
مصابيح الجيب ويتحتم الامتناع عن انارة الشموع او اي ضوء ذي لهب . ويجب ان
جميع وسائل الراحة والغذاء والاسعاف الاولي ومكافحة النيران والماء للشرب والغسل

من شعر الاساطير

الشاعر والمرأة

للشاعر علي محمود طه

قصيدة اخرى ، من ملحمة [illegible] الاول التي [illegible] قصائدها في مقتطف يونيو ، وفي هذه القصيدة [illegible] عن فن الرجال وكن يقرأن لها شيئاً من اشعار شاعر [illegible] ، كان يرى فيها روحاً للجمال والفن ، [illegible] :

كفانا فقد جُنّ هذا الفتى ... وجاوز حدّ الكلام المباحْ
يكاد نُحسّ اختلاجَ النجوم ... ونسمعُ مضطرباً في الرياحْ
مريضُ الغريزةِ فتّاكُها ... حَبَتْهُ الطبيعةُ أمضى سلاحْ
سَقَتْهُ الشياطينُ بحمومَها ... قمحَ الرحيقِ ودمَ الصباحْ

***

تأثّم بالفنّ حتى غوى ... وما الفنُّ بالمرأةِ الخاطئه
هو الدمُ واللحمُ ما يشتهي ... هو الخمرُ والمتعةُ الطارئه
وكم في الرجالِ سُعارُ الوحوش ... اذا لمسوا لجّتهُ الدافئه !
فلا تذكري فنَّ هذا الفتى ... بل الحيوانيةَ الخاسئه !

***

رأى جسمَ حوّاءَ فاشتاقهُ ... فهاجتْ بهِ النزوةُ المسكرهْ
حوى جسمَها فاشتهى روحَها ... فثارتْ بعزّةٍ مستكبرهْ
سَمَتْ روحُها وتأبّتْ عليهِ ... فجرّدَ في وجهها حنجرهْ
وهمَّ بها فالتوى قصده ... فأرسل صيحتهُ المنكرهْ

ألم ينسم الخلدَ من عطرها ؟ ألم يعبدِ الحسنَ في زهرها ؟
ألم يسرق الفنَّ من سحرها ؟ ألم يقبس النورَ من فجرها ؟
شَغَفتْ غادةَ الفنِّ حتى ارتوى وإنْ دنّس الفنُّ من طهرها
وهامتْ على ظمإٍ روحُها وكم ملأوا الكأسَ من خمرها !

***

على مدبج الحبُّ من قلبها سراجٌ يسبِّحُ مَنْ لألأه
منارٌ يجوبُ الدجى لمحُه فيلقى الضليلُ به رشدَه
يبثُّ الحرارةَ بردَ الشتاء ويُلهبُ شعلتَه المطفأه
وتمشي الحياةُ على نوره وما نورهُ غيرُ عينِ امرأهْ !

***

لهيبٌ إذا الروحُ طافتْ به تضاعفتِ الروحُ في ناره
يطيق القويُّ لظى جمره ويعشو الضعيف بأنواره
رمَت فيه حواءُ آثامها فسالتْ كذائبِ أحجاره
لقد قرَّبتْ جسَداً عارياً وقلباً يضنُّ بأسراره

***

أمن صنعةِ الله هذا الجمال ؟ نعم ومن الفنِّ هذا المثالْ !
على معرض مرمريِّ الدُّمى ترامى أشعتُهُ والظلالْ
تماثيلُ من جسَدٍ فاتنٍ تأبَّى على شهواتِ الرجالْ
حبتهُ الطبيعةُ اسرارَها ولاق الحقيقةَ فيهِ الخيالْ !

تحدُّب الفضاء

وماذا عنى به النسبيون ؟

ولماذا لا تصلح له هندسة اقليدوس ؟

بقلم نقولا الحداد

للعامي : الفضاء منحنٍ . او متحدّب ، حسب هذا القول هذياناً او كلاماً فارغاً كفراغ
معنى له . واذا قلت للمثقف ثقافة عامة وهو يفهم ان اي حجم من الفضاء هو ذو ثلاثة
ودو وجهات ستّ يستحنهُ ويسأل : ماذا تعني بتحدب الفضاء ؟ فاذا قلت له اعني
المستقيم الذي عرّفهُ اقليدس بانهُ اقصر مسافة بين نقطتين لا وجود له في الفضاء لان
الفضاء منحنٍ بالنسبة الى هذا الخط المستقيم الذي عرّفه اقليدس ، وبالتالي الفضاء
اذا قلت لهُ هذا القول عدّهُ سخافة واجابك بهُ قول غير منطقي لانهُ مناقض بعضهُ
بعضاً عن انهُ مناقض للاختبار ؛ لاني اذا ادليت بحبل طويل معلق فيه جسم ثقيل من
طرفي الحبل خطّاً مستقيماً . واذا تصورت حبلاً مثله مدلى من الارض الى الشمس التي
تقع في النظام الشمسي تصورت هذا الحبل الذي طوله ٩٣ مليون ميل خطّاً مستقيماً .
ان تصوره منحنياً . واذا كان الخط المستقيم طبيعة للفضاء فلا استطيع ان اتصور الفضاء
فهم كيف يكون متحدباً

يكون جواب الشخص المثقف على اقوالك الآنفة . فكيف به اذا ردت عليها قولك : ان
الخط يلتقي طرفاهُ ، خلافاً لقول اقليدس البديهي ان الخط المستقيم مهما مددتهُ فلن يلتقي
وكيف بهِ اذا قلت له ان الخطين المتوازيين يلتقيان ؛ خلافاً لقول اقليدوس البديهي انهما
لن يلتقيا البتة . وكيف بهِ اذا قلت له ايضاً ان زوايا المثلث لا تساويان زاويتين قائمتين
والمربع والمكعب ليست زوايا قائمة ، خلافاً لما هو معلوم في هندسة اقليدس التي لا تزال
المدارس والعلوم والفنون العصرية — كل ذلك يعدهُ هذا المثقف سخافة وخرافة

***

ك يجب ان نتحقق ماذا عنى اينشطين واتباعه من علماء النسبية بتحدب الفضاء واستحالة
خطوط مستقيمة فيهِ بالمعنى الاقليدوسي

ما هو الفضاء

ليس فيما قالهُ اولئك البرابغ ما يستفاد منهُ تلك المزاعم المناقضة للمعقول . ولا يمكن [illegible] الكلام على عواهنه . وانما كتاب الجرائد والمجلات الاجنبية عزوا تلك المزاعم الى [illegible] اثر ظهورها ولغطوا بها كثيراً من غير ان يفسروا المراد بها لانهم لم يدرسوا [illegible] وحذا كتَّاب العربية حذوهم [illegible] قضايا النسبية . ومنها «تحدب الفضاء» [illegible] والحق يقال انهم بكتابتهم عن تلك القضايا بلا تفهم ولا تفسير مسخوا نظرية [illegible]

والسبب الاساسي في هذا المسخ هو عدم تفسير الكتَّاب الاجانب [illegible] كتَّاب العربية كلامهم بلا [illegible] . فاولئك ذكروا الفضاء بلفظ [illegible] . وكذلك فهمهُ كتَّاب العربية فترجموه بلفظ «فضاء» وهو لفظ [illegible] لانهُ يُشعر بمعنى الفراغ المطلق

ولكن علماء العصر ولاسيما علماء النسبية عنوا بلفظ [illegible] الحيز الذي [illegible] اجرام واجواء [illegible] جاذبية وكهرطيسية واثير اذ اقتضى الامر ان يذكروا [illegible] لا فارغ . واما اذ اقتضى الامر ان يذكروا الفراغ المطلق قالوا [illegible] المجهول الطبيعة الذي يحيط بالحيز الكوني المادي ، وما هو الا العدم

لذلك يعد استعمال لفظ «فضاء» في لغتنا العربية لرحاب الكون المادي خطاً [illegible] ليست خالية بل هي ملأى من انواع التشعُّع او التموج المختلفة : جاذبية وكهرطيسية [illegible] استعمال لفظ «حيز» تحاشياً لايهام معنى الفراغ المطلق او الخلاء . فالمقصود [illegible] بصدده هو تحدب الحيز وانحناء كل خط حركة فيه على الاطلاق . ولذلك لا [illegible] التحدب الا [illegible] بلفظ الحيز المشغول بالمادة والمحدود بها . فكيف يكون هذا [illegible]

اذا اريد بالخط رسم الخط الوهمي التصوري فالخط المستقيم الاقليدوسي [illegible] نقطتين) موجود . يمكن وجوده بالتصور . وبالفعل ايضاً في المسافات القصيرة [illegible] اذا اريد به الخط الذي يسلكه الجسم المتحرك فلا يكون الاَّ منحنياً . لان العلم العملي [illegible] التي هي حاصل اندماج القوة بالمادة . وخط الحركة لا يكون مستقيماً بالمعنى الاقليدوسي [illegible] اي ان خط الحركة الفعلي لا يطابق الخط الهندسي الاقليدوسي . ولا يمكن ان يطابقه [illegible]

ان سرّ هذا الانحناء هو في مصدر القوة المنتجة كل حركة في الوجود . وما هو القوة ؟ — الجاذبية !

سنَّة الجاذبية سبب الانحناء لكل خط حركة في كل جو جاذبي على الاطلاق . ولانهُ للحركة خارج الجو الجاذبي اذ لا جسم متحرك هناك فلا وجود لخط حركة مستقيم البتة من تفسير معنى الجاذبية ولو بايجاز كلي تمهيداً لتفسير كيفية هذا الانحناء

ما هي الجاذبية

فاراداي كما رأى غيره ان جذب المغنطيس للحديد عن بعد ، من غير واسطة تصل بينهما من الواحد الى الآخر ، امر غير معقول . لذلك فرض وجود شيء ينشره المغنطيس حوله الجهات بالتساوي سمّاه الجو المغنطيسي Magnetic field وهذا الجو يفعل في الحديد فيدفعهُ المغنطيس . فليس المغنطيس نفسه فاعلاً مباشرةً في الحديد بل جوه الذي هو محدثهُ يفعل ولكن ما هو هذا الجو ؟ لم يستطع احد تحقيقه . وانما استعين بفرض الاثير في تفسيره تموجات اثيرية يحدثها المغنطيس في الاثير . وسواء كان هذا التفسير سديداً او خطاء ... تعني ان الحيز الذي بين المغنطيس والحديد او بالاحرى الحيز المحيط بالمغنطيس ليس كما ترى ونظن بل هو جو صالح لانتقال القوة (او بالاحرى حركتها) فيه

فاراداي على النظريات الفلسفية بل اعتمد على الامتحانات العملية فاكتشف «الامواج» Electro Magnetic وسمي الحيز الذي تنتشر فيه الجو الكهرطيسي » . وجاء بعده ... ون واشتغلوا عمليًّا في تحقيق خواص هذا الجو ... جاء نجاح اختراع اللاسلكي ... نظرية فاراداي وفوزاً باهراً لها جعل مجد فاراداي لا ...

... هذه النظرية اطلقها العلماء وفي مقدمتهم اينشطين على كل ظاهرة من ظواهر الجذب . ... « الجاذبية العامة » بين اجرام السماء . فقالوا ان الاجرام تنشر حولها جوًّا جاذبيًّا الى تساوي حدّته Intensity حاصل ضرب كتلتها المتجاذبة بعضها ببعض وتنقص كمربع البعد بينها . ... هو الذي تنتقل به قوة الجذب من جرم الى آخر بالتبادل . فالشمس مثلاً لا تجذب ... اليها وانما جوها الجاذبي الذي تنشره حولها هو الذي يدفع سياراتها اليها كما ان جو ... يجذب الشمس اليها . فاذا صحّ ان كل جو جاذبي : مغنطيسي او كهرطيسي ، انما هو ... يصدرها الجسم فلا بدع ان تكون « الجاذبية العامة » امواجاً اثيرية ايضاً يحدثها الجسم . وان ذلك الجو الجاذبي بحر اثيري متموج

... القول ان الرحاب التي بين الاجرام ليست فراغات مطلقة بل هي بحار امواج (اثيرية ... قد بنظرية الاثير او مجهولة الحقيقة عند من ينكر النظرية) وهي « الجو الجاذبي » ... قلنا ان الفضاء ، او بالاحرى ، الحيز متحدب عندنا ان هذا الجو متحدب بمعنى ان ... ترحل فيها القوة على متن تلك الامواج بين الجاذب والمجذوب منحنية لا مستقيمة . ... بشرحهِ فيما يلي . ومنهُ نعلم الفرق بين جاذبية نيوتن وجاذبية اينشطين :—

جاذبية نيوتن وجاذبية اينشطين

... نيوتن الزمن الذي تستغرقه القوة « الجاذبة » في رحيلها من المركز (الشمس مثلاً)

الى الجسم الواقع تحت تأثيرها (كالارض) ولذلك صاغ ناموس الجاذبية باعتبار ان قوة تلك الارض حالما تصدر من الشمس بلا استغراق مدة البتة . واما اينشطين فراعى الرمز لان سرعة النور وناموس النسبية ايضاً اللذين لاغبار عليهما يقضيان حتماً بأنهُ يستحيل ان يوجد سرعة اسرع من سرعة النور . ولذلك مهما كانت القوة الراحلة من المركز الى المحيط ان تكون اسرع من النور . حَسْبَها ان تكون كَسرعة النور . (وفي رأي هذا كسرعة النور تماماً بناءً على عقيدة ان الجاذبية كالنور تموّج اثيري . ولتموج الاثير في كل مكان وزمان . لان سرعة التموج تتوقف على الكثافة كما شرحناه في المقال تحت عنوان « حجم ذرة الاثير » . ولانَّ الاثير اكثف مادة في الكون . فتموجه منتهى السرعة . وهو السرعة المطلقة Absolute Velocity)

والتموج الاثيري هذا هو الوسيلة لنقل القوة Energy او الطاقة محمولة موجة جاذبية واحدة فقط صادرة من الشمس (في الرسم ومنتشرة في الحيز الجاذب العامة) الى جميع الجهات بسرعة واحدة . ولنفرض ان الدوائر التي في الرسم تمثل لتلك الموجة المفردة في خمس برهات متساوية . ولنفرض ان الارض (ض) تنقل البرهات الخمس من ض الى ضَ متنقلة على النقط الخمس بَ جَ دَ هَ صَ ذات في نفس البرهات الخمس التي تنقلت فيها القوة (الموجة) على الترتيب نفسه من ا

لو كانت الارض خلواً من حركة استمرارية Inertial البتة . اي لو كانت سا كحكم الحجر الساقط من علٍّ الى الارض . اي انها تسقط في الخط المستقيم من ض لان لها قوة استمرارية تعادل قوة الجاذبية وتعامدها تسير في فلك مستدير (تقريباً) المتعامدتين كما هو معلوم

قلنا ان القوة الصادرة من المركز تنتشر الى جميع الجهات فلا يصيب الجسم الواحد كالارض الاَّ جزءٌ منها كما هو ظاهر ومفهوم بالبداهة . ويسمى الخط الذي يسمى « خط القوة » Radius Vector لانهُ يجتاز خطاً من الشمس الى الارض (فلا هو مسـ فلما كانت الارض عند ض كان جزء القوة يتجه اليها في الخط ش ض . ولكن الارض لم تنتظر جزء القوة هذا بل سارت في سبيلها . فما بلغ جزء القوة الى ب في البرهة الاولى حيث في الدائرة الثانية حتى كانت الارض قد رحلت الى بَ واصبحت تقابل خط قوة آخر قوة آخر يتجه اليها في الخط ش ض . ولكن القوة لم تدركها هناك فما بلغت الى ج في حيث صارت الموجة في الموقع الثالث حتى كانت الارض قد رحلت الى جَ واصبحت تجاه جزء القوة قادم اليها في الخط ش جَ . ولكنه لم يدركها ايضاً هناك لانها سبقت الى د و جزء آخر من القوة في خط ش دَ . وهكذا لم تبلغها القوة عند هَ لان الموجة لا تز

الارض تجاوزت اتجاه خط القوة ش هَ . فما ادركها من القوة الاَّ الجزء المتجه في الخط لتقيا عند ضَ

مما تقدم ان جزء القوة الذي ادركها في الموجة التي صدرت من الشمس حين صارت عند ضَ لجزء الذي كان متجهاً اليها حين كانت عند ض . فاذا وصلت بين نقط « خطوط القوة » التي الاتجاه اليها في البرهات الخمس المتوالية (ش ج د هـ ض) رأيت الخط الذي يمر في هذا . اذن القوة التي رحلت من الشمس الى الارض لم تسر اليها في خط مستقيم — لا في ض ولا في الخط المقطوط ش ضَ — بل رحلت اليها في الخط المنحني ش ض ج د هـ ضَ وبعبارة اخرى : عند صدرت من ش القوة . أو الجزء منها المقابل للارض ض جعل هذا ير سيره منحنياً كما تراه

مما تقدم ان ناموس نيوتن يعتبر القوة راحلة الى الارض في خط مستقيم في الحال (بلا ...) قبل أن ترحل الارض من موقعها ض . ولكن ناموس اينشطين يعتبر ان القوة ... في الرحيل الى الارض السائرة في طريقها . فاضطرت (أي القوة) أن تسير في دلك ... لكي تدركها

. المستقيم ش ض الذي اعتبره نيوتن « خط القوة » يمثل مسافة البعد بين الشمس والارض ... من . لذلك صاغ ناموسه باعتبار ان الراديوس (نصف القطر) ش ض مسافة البعد بين المتجاذبين ... الارض وان نسبة قوة الجذب بينهما كنسبة مقلوب مربع البعد بينهما $\frac{١}{(ش ض)^٢}$

خط المنحني الذي اعتبره اينشطين طريقاً للقوة في رحيلها من الشمس الى الارض فلا ... البعد فقط بل يمثل المسافة والزمن جميعاً . لأن الراديوس يمثل الزمن الذي استغرقتهُ ... سافته ، والخط ض ضَ يمثل الزمن الذي استغرقتهُ الارض في مسيرها من ض الى ضَ . ... الراديوس وهذا الخط يساوي مربع الخط المنحني ش ضَ كما هو معلوم . فاذاً هـذا ... يمثل الزمن الذي استغرقتهُ القوة في سيرها من ش الى ضَ واستغرقتهُ الارض في ... من ض الى ضَ حيث التقت بالقوة . لذلك صحح اينشطين ناموس الجاذبية بأن حسب ... المتجاذبين ذلك الخط المنحني لا الراديوس الذي حسبه نيوتن . فاذاً

$$\text{قوة نيوتن للجاذبية} = \frac{\text{ش} \times \text{ض} = \text{كتلة الشمس} \times \text{كتلة الارض}}{(\text{الخط ش ض})^٢}$$

$$\text{قوة اينشطين : الجاذبية} = \frac{(\text{ش} \times \text{ض})}{(\text{الخط ش ضَ المنحني})^٢ = (\text{ش ض})^٢ + (\text{ض ض})^٢}$$

ضح مما تقدم ان معنى تحدُّب الجو الجاذبي هو أن الجسم الذي يقع في أي جو جاذبي يكون ... بر قوة واردة اليه في « خط قوة » منحنٍ كما علمت

قصور هندسة اقليدوس

اذا سكتنا عند هذا القول بقي البحث ناقصاً . فلنتقدم فيه خطوة اخرى لكي نعلم كيف يختلف هذا التحدُّب باختلاف مواقع الاجسام في الجو الجاذبي

من فروع ناموس الجاذبية التي هي من مقتضياته « ناموس التسارع بالنسبة الى [illegible] الجسم الاقرب الى مركز الجذب يكون أسرع في فلكه من الجسم الابعد عن [illegible] باعتبار ان س رمز السرعة و ش رمز البعد (الذي يعبر عنهُ بالشعاع أو نصف القطر أو [illegible] وقد شرحت هذا القانون الفرعي في المقتطف منذ نحو سنتين

بناءً على هذا القانون يكون انحناء « خط القوة » تجاه الجسم الاقرب أشد منهُ [illegible] لان ذلك اسرع من هذا فيواجه من « خطوط القوة » عدداً اكثر مما يواجه هذا [illegible] الاَّ وقد رحل مسافة (بعد ما يرحل هذا) . ولذلك يكون « خط القوة » اكثر انحناء [illegible] القارىء يتعذر عليهِ فهم هذه النقطة من الموضوع اذا فكّر قليلا . ولذلك [illegible] لتمثيلها برسم شكل ثانٍ

وبناءً على هذا القانون الفرعي ايضاً يكون ان الجرم الذي له من السرعة الاستمرارية [illegible] يحميهِ من السقوط الى مركز الجذب يسير بخط منحنٍ متمم دائرة حول المركز . [illegible] الى المركز كان خط سيره اكثر انحناءً (كما هو معلوم ان قوس الدائرة الصغرى [illegible] قوس الدائرة الكبرى)

اذاً يتضح مما تقدم ان تحدُّب الجو الجاذبي يكون اشدُّهُ على مقربة من المركز واضعفهُ [illegible]

وبناءً عليه اذا مرَّ فيهِ خيط من النور [illegible] واشعة النور خاضعة لتأثير الجو [illegible] اينشطين وأيدتهُ الارصاد الفلكية) الوارد من نجم سحيق والمار على مقربة من الشمس [illegible] حين مروره في جوها الجاذبي الاقرب اكثر من خيط آخر يمر في جوها الابعد [illegible] هذه الظاهرة بعثة فلكية بريطانية حين حدث كسوف كلي يرى من مناطق الارض [illegible] ١٩١٨ وثبت لها ان الزاوية بين الخط المنحني والخط المستقيم ٧ ، ١ الثانية كما تنبَّأ [illegible] الرياضي . وكان حسابه مبنيًّا على تصحيحه لناموس نيوتن الذي بسطناه آنفاً

يتضح مما تقدم ان الفضاء (الحيز) يُعد متحدِّباً باعتبار أن المراد بالفضاء ذلك الجو الجاذبي نحن بصددهِ اي الحيز الذي يملأُه هذا الجوّ . فاذن حيث يوجد جو جاذبي ، اي [illegible] اجرام متجاذبة ، يكون الحيز (الفضاء) متحدِّباً . وحيث لا اجرام فلا جو جاذبي . كما هي في الرحاب الشاسعة بين الحزر الكونية — المجرات المتباعدة ابعاداً سحيقة . وبالتالي يعتبر الخالي هناك غير متحدِّبٍ

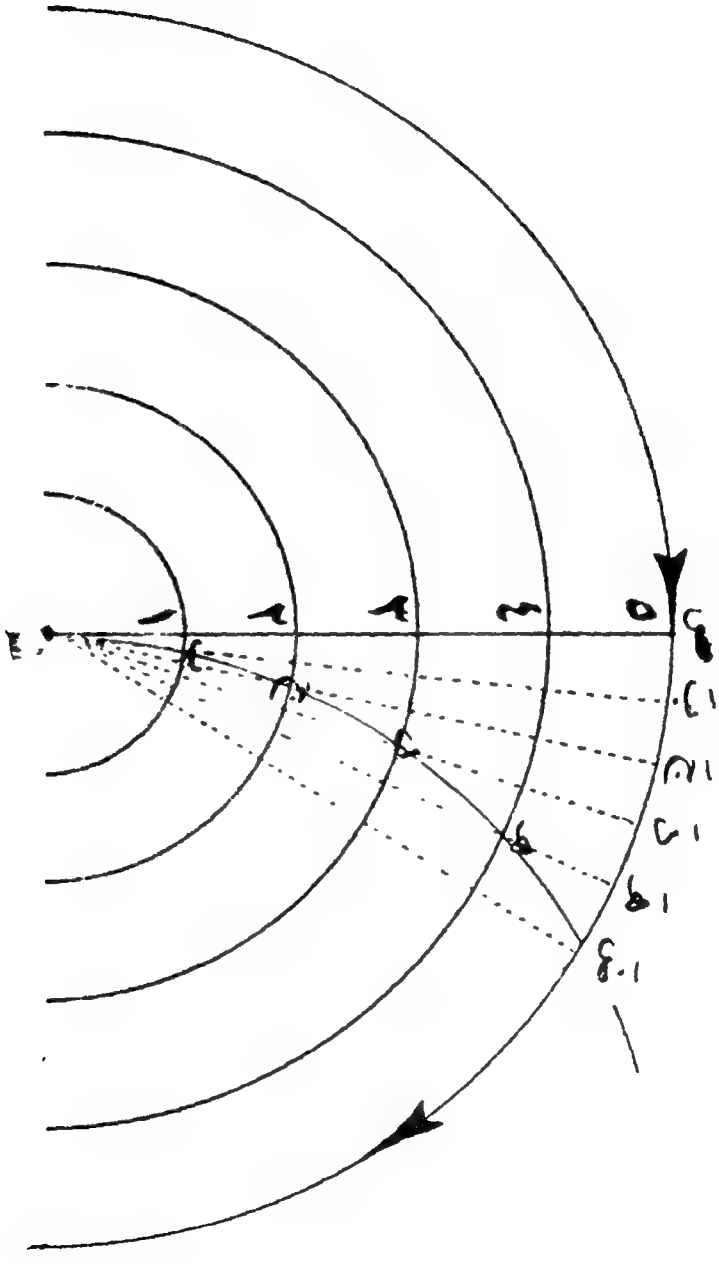

هذه الرحاب الخالية تصلح هندسة اقليدوس ذات الخطوط المستقيمة اذ لا أجرام متحركة
في الاجواء الجاذبية فلا تصلح ، لانهُ يستحيل ان تحدث فيها حركة في خط مستقيم
ولا تسير في افلاك مستديرة (او اهليليجية) والقوى الفاعلة فيها ترد اليها خطوط
لذلك لا يصح اي حساب فلكي على قاعدة الخطوط المستقيمة بل لابدَّ من الحساب على
الخطوط المنحنية على الاطلاق . وقضايا اقليدوس عن الخطوط المنحنية قاصرة لانها بالنسبة
فيها الرياضيون الحديثون الى ان وقت قريب ولا يسكر انهم سعوا جهدهم على
هندسة الاقليدوسية. لذلك لا يصح القول انهم كسائر محدثي اقليدوس الى ما الاخرى ظهرت معاً

***

بقيت لحظة اخرى لا بدَّ من ذكرها لازالة ما قد يطرأ على ذهن القارىء وهو ان حساب
كتل السدم والاجرام وحزر الكون الاعظم ليست خالية من الاشياء الحادثة جداً
لان الجزر منتشرة فيها انتشاراً ضعيفاً جداً لا يحسب حسابه

ان التحدب في كل حيّز جاذبي بالمعنى الذي شرحناه آنفاً يستدعي ايضاً ان يكون
الحيز الذي يشمل الملايين من العوالم كعالم المجرة او هو لوح (او يعبرون عن الخط
المستقيم بحيث تلتقي جميع حواشيه بعضها ببعض ويسمى الكرة الفارغة الخ ... وهي
كما ذكرنا اي بيضي الشكل (Ovoid) ضمنه فراغ مطلق وحوله فراغ مطلق ايضاً ولكن
اكثر انبساطه . وبسط مذهب اينشتين هذا الشكل مقالاً قائماً بذاته

ان الكون الاعظم لوح محدب على هذا النحو مرتفع كل خط مستقيم فيه
متناهياً ويمكن ان يلتقي طرفاه . كما ان الطائر الذي يطير في جو الارض في خط مستقيم
عائداً ولا يسرة ولا يحاذ ولا يهبط لا بدَّ ان يعمل اخيراً الى النقطة التي رحل
منها المستقيم الذي لازمه في رحيله انما هو دائرة تامة لا خط مستقيم اقليدوسي .
لا تقول ان هذا الخط اقرب مسافة بين نقطتين في حين انهُ متحدّب كتحدب السطح
ولا يكون الخط الاقصر بين نقطتين في قشرة البصلة المحدّبة الفارغة مستقيماً بل هي
لا اذا اخترق القشرة ومرَّ في فراغها وظهر مخترقاً ناحية اخرى فيها . وهذا
ان يتسنّى لخطوط الحركة الكونية التي لا نستطيع ان نفارق الاجواء الجاذبة .
نفسه لا يستطيع ان يفارق الحيز الكوني الكروي الفارغ الجوف . فلا يمر في غير ما
العدم المحيط به بل تضطره الاجواء الجاذبة ان يلازم اللوح الكروي

الشرح اصبح الرياضي يفهم كيف ان المثلث في سطح محدب لا يمكن ان تساوي
زواياه . والمربع والمكعب لا تكون زواياها قائمة . وكيف ان الخطين المتوازيين قد يلتقيان
الى غير ذلك مما يناقض هندسة اقليدوس

النشوء والارتقاء

للشاعر عبد الرحمن شكري

أراكَ فريسةَ الجُوْعَيْـــــنِ سغباناً وشهوانا
بربِّك أيها الانسا ن لمْ أصبحتَ إنسانا
بعقلٍ يبلغ الشمـــس وأقصى الكون عرفانا
وجدتَ لكل ما كان من الأكوان ميزانا
كأنك خالق الخَلْقَيْـــن أكواناً وأزمانا
وسَخَّرْتَ الرياح مَطِـــيَّةً والبرق فرسانا
وقد أعليتَ عمراناً وقد قَدَّسْتَ أديانا
وردت العيش عرياناً وترجع عنه عريانا
وملء حياتك الأحزا ن والآلام ألوانا
وتُبكيك الحياة كما يفتُّ الحَوُّ صوانا
وتصرعك الجراثيم كما لو كنت ديدانا
وقد تهلك غرثانا وقد تهلك مِبْطَانا
وقد تغدو الى للذا ت فَتَّاكاً وخزيانا
فبين الجوع والشهو ة قد أُجْريتَ ميدانا
وللتحليل والتحري م قد أعددتَ تبيانا
فما أصلحت حالَيْكَ ولا طهرتَ أدرانا
وفُقْتَ الطير والحيوا ن آثاماً وأشجانا
وزنت الذَّرَّةَ الصغرى وما أعددت ميزانا
لعيشك كي يكون العيش إسعاداً وإحسانا
بربك ايها الانسا ن لِمْ أصبحتَ إنسانا

غزل المتنبي

لخليل شيبوب

ر لا ان تنعت بعض الابواب من الشعر كالمدح والرثاء والهجاء بانها موضوعية الى حدّ ما
نظر فيها الى ممدوحه او الى خصيمه لتقول ما فيها حسن وما ليس فيهما احياناً ميزاما
شعر فانهُ ذاتي محض لان الشاعر مهما لم يلاحظ مقتضيات الرياسة فانهُ يمكنهُ ان يعود الى نفسه
نفسه فيسمع على قوافيه ميزان حساسيته وقرارة نفسه

الغزل بطبيعته لانهُ مرهف الحس مقدّس الخيال . وهما حالان يحلق الشاعر بهما في
ومن كان كالمتنبي جامح العبقرية دعت الشكاسة رائق النفس كان لابدَّ ان يفرق سواد
المرأة التي تظل المثل الاعلى للجمال في هذه الدنيا هي الجمال بمختلف صوره ومعانيه
في الحياة فتخاطب العقل والقلب والدم وتتحد فيها اغراض الحياة جميعها

وقف في غير آداب اللغة العربية تقسيماً للشعر يتناول جزئيات الشعر من الجهة الفنية .
ان شكسبير روائي وهو مرسل قصصي تراه يتغزل عند الشاعر غزل مثل عمر ابن ابي ربيعة
مداعبة مثل ابي تمام او هجّاء مثل دعبل او ومنهم من المعبر او ما شاكل كل ذلك من
بعد من تفاصيل الشاعرية العامة لأن نزعة نفسه غزلاً ومدحاً ونوحاً وهجاءً
يجيد الشاعر الموهوب الفنه والرواية مهما اختلفت ميوله ولا يجيد سواها

نظرنا الى المتنبي على ضوء التقسيم العربي نجد انهُ غزل ومدّاح او هجّاء او وصّاف
هذا كله هو فوق هذا كله لانهُ شاعر الحسد وهو اوحد من كبار شعراء الانسانية

هذا الرجل الفذ الذي نبت في الطبقة الدنيا من كندة بالكوفة حدثتهُ نفسهُ
النبوة وان يطمح الى الامارة فعاش عيشة الحسد والاستكبار متطامحاً الى غرض سام اراد
الى طريق النبوءة ثم قذف بهِ من حالق فعمد الى الشعر يتخذه وسيلة حتى اذا فاته ذلك
رفع اسمه بهذا الشعر في درجة الخالدين من الانسانية وها هو بعد الف عام من وفاته
يقرئ ويقعده . وتعقد لهُ الحفلات في كل بلد . وتخصص لهُ اعداد الصحف الدورية وغير
لو كان قد فاتتهُ الامارة في عصره فانهُ بلغ امرة الشعر على العصور . واذا لم يحكم على
بسيفه وسطوته فقد تحكم في العقول والنفوس بعبقريته وقوافيه

لما سألت نفسي ما كان يجري لو بلغ المتنبي مأربهُ من الولاية او الامارة . أتراه يبقى على

عبقريته القوية ام يجنح به تصريف آلة الحكم عن الادب والفن ام يتمشى به والتراخي ؟ وهو سؤال لم قنع نفسي بأي ردّ عليه الى اليوم . . . ولكني بأنهُ لو تم ذلك لهُ لما اقفل باب التاريخ في وجه ابن الرومي دهراً . ولا رجح اسمه ولا شغل الناس عن الشريف الرضي ومهيار الديلمي وابن حمديس وجميع من جاء شغلهم به عنهم

وقد اجمع المؤرخون على ان المتنبي كان كثير الجد في حياته . قويم الخلق الى دعابة واكبر الظن انهُ لم يكن يمزح بل لعله لم يفهم الدعابة والمباسطة . و رجلا عصبيًّا . عابس الوجه مرير الطعم منغص القلب في معيشته مقيماً لكن الا كسب الاموال . وبلوغ المعالي . وسبق الاقران . واثارة الاعجاب به . ومن كان كذلك لابدّ لهُ ان يتجانف عن اللهو والمرح ويصدف عن مجا اضطر اليها ويكبت ميله الى الحسان اذ كان العرف السائد ان العشق اذا طغى به كل مذهب . ودفع به الى الاستهتار بجد الامور . وقعد بهمته عن جلائل هذا لمن يطمح الى امارة وزعامة

لم تذكر التراجم العربية عن المتنبي هوًى اختصّ به امرأةً بعينها ولكن لسواه شعراً يعرب فيه عن شغفه بالنساء ووقوفه بالاطلال وتفجعه من الوداع وصف الحمى ومنازل الحسان وسكب الدموع شوقاً ونحول الجسم هياماً مألوف الغزل الذي عاش به الشعر العربي قروناً طويلة

تلك هي النظرة العجلى في ذلك الغزل المتفشي في تضاعيف القصائد . ولكن يلاحظ في ثنايا المعاني اتجاهات خاصة اذا الّف بينها انجلت له مبادىء المتنبي هذا التعبير — فنفى من شعره ما كان فيه مقلداً وأخذ بما هو ذاتي جديد صادق . وليس كشعر المتنبي للاستدلال بالبحث فيه على الذاتي منهُ وغير الذ اغراض خاصة . ومعان متسلسلة مبتدعة لم يسبقه اليها من تقدمه ولم يلحقه لفقدانه الحاجة اليها بفقدانه الغرض منها وان كان المتنبي ليتناول البادرة الهينة في غايات الحياة من مشاعر كل عصر . واغراض كل جيل . حتى يبز بها من سبقه ومن

ولابدّ هنا من الاشارة الى ان ديوان المتنبي فريد بين الدواوين القديمة بكونه الحديثة لان قصائده متسلسلة التنسيق تبعاً لسني النظم والانشاد لا لابواب الشعر وعلى الرغم من ان بعض ما نسب منها الى نظمه اياها في صباه لا تقنع بصحة موقد الاّ ان ذلك التنسيق يساعد كل المساعدة على تتبع المتنبي في اطوار شبابه ونضوجه

اجل لقد اشتهر كثير من الشعراء بغرام خاص حفظ التاريخ اسم صاحبته امثال ا

بن الحسف وفوز وقبلهما عشاق الصدر الاول للاسلام ولكن المتنبي لم يشتهر بحب امرأة بعينها
فهل ذلك مجرد مصادفة ؟ . . . لا اظن ذلك كذلك بل اظن ان ما سمعه بحب الامارة جعله
يقترن اسمه باسم امرأة ربما عيرته بها اعداؤه وان تغنى بحب الجمال وانتسب الى زمرة
الذين صباه الاول اثباتاً لرجوليته . وتوكيداً لاسامعه ان لم تكن بمعرضه معتبراً هذه الصفة
من امور . فالمسألة خلقية قبل كل شيء ولعلها الى جانب هذا ناحية من طبيعة المتنبي لان
من يقرأ على انه كان غزلاً ملتهب العاطفة الا انه كان عزوفاً عن النساء وقت المتنبي فهو من الفريق
الذي يعرفه العرنجة «دون جوان» Don Juan ولعل لفظة عيشرية (بكسر العين والدين
بين النساء تؤدي معناها فهو تستصيبه المرأة الجميلة كيفما عنّ له ولا يقيم بحب واحدة
بل يعشقهن جميعاً ويصبو اليهن جميعاً . هذا النمر من المحبين يأسر بالصورة الماثلة التي
تستهوي نوابض القلب ولا يهمه ما وراء هذه الصورة ولعله لا يميل الى تكرير بها
الصورة اذا لم تحل سابقتها وهي تضعف تأثيرها بلا ريب

والمتنبي يصف نفسه في مواقف غزله بما ينطبق كل الانطباق على تعريف هذا الصنف
من الحب حيث يقول :

فما امر برسم لا اسائله ولا اكلم خمار الا ترق دمي

ثم يقول : ما لاح برق او ترنم طائر الا الثمت وفي فؤادك شوق

ثم يقول على التعميم :

فالثغر والنحر والمخاصل — والمعصم الساجي والواضح الرجل

لا يمر برسم الا وقف يسأل فطنته ان دهور ومنذ عرى لهم ولا يرى ذات خمار الا
تساءل ما لها من وراء خمارها فشعر انه يموت حبّاً وشعر ما كنى عنه بأرادته دمي كما انه يصبو
الى كل برق وطائر يترنم وانما داؤه حب الثغر والنحر والمخاصل والساجي المعصم والواضح الرجل ومفاتنها
كل هذا تلك المحبوبة المفردة التي يخلصها معاصفته ويقف عليها صوته لذلك نرى المتنبي
يتغزل بالنساء عامة وبالحسان مجتمعات كقوله :

الراميات لنا وهنّ نوافر والخاتلات لنا وهنّ فواتك

وقوله ايضاً : لبسنَ الوشيَ لا متجملات ولكن كي يسرّ بهنّ العلا

وضفّرنَ الغدائر لا لحسن ولكن حفنَ في الشعر الضلالا

وقوله وهو في درجة لا تدانى من الابداع :

ديار اللواتي دارهنّ عزيزة بطول القنا يحفظنَ لا بالتمائم

حسان الثنى ينقش الوشي مثله اذا مسنَ في اجسامهنّ المواعم

ويبسمنَ عن درّ تقلدنَ مثله كأنّ التراقي رصّعت بالمباسم

وفي البيت الثاني صورة يعجز عن ابرازها اكثر الرسمين . وان الشعر الذي [illegible] هذه الطبيعة وافر في الديوان كل التوفر . على ان من كان ملتهب العاطفة كشديد التعشق على هذا النحو لا يعدو ان تستعبده احدى الجميلات ولو حيناً فتشعره بسار العشق الى تقلب الطبع على نحو ما وقع في المتنبي واكتوى بناره أيام شبابه الاول حين الاول وقبل ان [illegible] ولا بد ان يكون [illegible] لا يمكن للعبقرية مهما عظمت ان تدل صاحبها على شعور لم يحسه فلا بد ان [illegible] ان تجسيمه عن طريق الخيال لا يستقيم الى الحد الذي يستقيم به من وراء [illegible] لا تتطرق الصور والعاطفة الى فنه الا عن طريق حواسه . غير ان المتنبي [illegible] لمل شعوره ويدرس عمق المسألة في تفكير وتأمل . ولم يكن المتنبي وارد [illegible] هو مفكر بالمعنى الحديث ثوقف النظر على لحظة يحفظ بها من شتى حوادثها [illegible] ادئة غرام واحدة تضاف الى تقلبه في التعشق جعلته يصف أخلاق النساء في [illegible] :

اذا غدرت حسناء وفت بعهدها ... فمن عهدها ان لا يدوم لها عهد

وان عشقت كانت اشد صبابة ... وان فركت فاذهب فما فركها فقد

وان حقدت لم ينس في قلبها رضى ... وان رضيت لم يبق في قلبها حقد

كذلك خلاق النساء وربما ... يفضلها الهادي ويخفى بها الرشد

ولكن حبًّا خامر القلب في الصبي ... يزيد على مرّ الزمان ويشتد

ولا شك ان هذه الابيات تشعر بشيء من القسوة في الحكم مرجعهُ الى المعاناة . على [illegible] هذا فانهُ فيها من تفهم طبيعة المرأة ما تبقى حقيقته ما بقيت هذه الطبيعة . على انه [illegible] مرارةً ولوعةً لا يحس بهما الاَّ من جرب مثل ذلك الحب الذي خامر القلب في الصبي ولم يزده الزمان الاَّ اشتداداً على الرغم مما جره من تلك الاخلاق التي وصفها . ولنا أن نعرف [illegible] المتنبي وتعاظمه حتى قال من نفسه

تغرب لا مستعظماً غير نفسه ... ولا قائلاً الاَّ لخالقه حكما

وقال كثيراً غير هذا في معرض القوة والجبروت فاذا به في معرض الحب يقول :

تدلل لها واخضع على القرب والنوى ... فما عاشق من لا يذل ويخضع

فلا ريب ان شعوراً مفرطاً بالحاجة الى استرضاء حبيبة قد مهما افهمه ان الخضوع هو [illegible] هواناً وجعله يحرص كل الحرص على انهُ يدعى عاشقاً ويقول معتذراً :

وعذلت اهل العشق حتى ذقته ... فعجبت كيف يموت من لا يعشق

ولا يني في الاعراب عن خوالج صدره بالذهاب في صحة عاطفته الى اقصى غايات الوصف التي لا يوفق الاَّ من ذاق واختبر وهداه اختباره الى استنباط الدقائق الحية واستكناه خفيات المشاعر النفسية كقوله

جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي ... فاصبح لي عن كل شغل بها شغل

قد كنت اشفق من دمعي على بصري فاليوم كل عزيز بعدكم هانا
ـ الوداع: نفست عن وفاء غير منصدع يوم الرحيل وسعت غير مانئم
قبلتها ودموعي مزج ادمعها وقبلتني على خوف ثنا اللمم

كت تلك القبلة في فمها ساولته شاعريته الكبيرة فوصفته موضع التشبيه الا ريحيث قال :

الهو آونه ثمرٌ كانها قبل يرودها حباب راحل

أ من هذا الشعر الغزلي الصادق الذي يتدفق من صميم النفس والقلب وقد ظن المتنبي ب ان يكون نحيلاً فقال في صباه :

كفى بجسمي نحولا انني رجل لولا مخاطبتي اياك لم ترني

عجب بهذا المعنى جداً والمرء معجب ببيناته اكثر حتى لو كان لمتنبي لذلك عاد الى نظمه ثانياً

ولو قلم القبت في شق رأسه من السقم ما غيرت في حشاه ك
لثا : وبلتني فقد السقام لانهُ قد كان لما كان لي احسنه

ـ ابعا باضافة شيء على المعنى :

دون المعانق ناحلين كشكاتي نصب ادقهما وضم الشاذ

ـ ني صدر هذا البيت خامساً :

حالت دون المزار فاليوم لو زرت لحال المحول دون العناق

ـ ي المتنبي شغوفاً بمعناه هذا يبالغ به في وصف المحبوب وصفاً يخرجهُ عن المعقول بل ـ ق المرغوب عنهُ . وهو في جلاله لا يخرج عن قول ابن ابي ربيعة:

وتقلّبت في الفراش وما تعلم الاّ ظنون اين مكاني

ـ ن المتنبي وضع معناه وضعاً ولم يقتبسهُ اقتباساً ولا لما افرط فيه الاعجاب به حتى هو يهجو ابن كيغلغ لما ورد الخبر بأن غلمانه قتلوه فقال :

ـ تلوا فاتانيه كيف مات لهم موتاً من الضرب ام موتاً من الغرق
ـ ن موقع حد السيف من شبح بغير جسم ولا رأس ولا عنق

ـ عني البيت الاخير من الخيال المستحيل على انهُ وفق مرة واحدة الى وضع هذا المعنى في ـ حيح حين صرفه الى وصف الموت فاستعام في قوله :

ـ ا الموت الا سارق دق شخصه يصول بلا كف ويسعى بلا رجل

ـ المتنبي تعريف الحب ونشأته وحالاته وكيف يطغى على العقل ويغلب العاطفة على الفكر ـ ذه فقال :

وما هي الاّ لحظة بعد لحظة اذا نزلت في قلبه رحل العقل

ومن يعشق يلذ لهُ الغرام . وقال في باب التعريف :

الحب ما منع الكلام الألسنا وألذ شكوى عاشق ما أعلنا

ويعتبر هذا البيت من ادق الملاحظات النفسية المتوافرة في الديوان . وقد اشتط [illegible] النقاد حينما وهم ان في البيت تنافراً معنوياً اذ زعم ان الحب يمنع اللسان من الكلام وان الشكوى لا تعلن الاَّ بالكلام الذي منعهُ الحب فكيف يكون ذلك . على ان هذا الاعتراض لا يؤبه له [illegible] لعاشق الصادق يذهل في مواقف الغرام ويختبل حتى لا ينبس بحرف وهذا معنى [illegible] انه لابد لهُ ان يشكو فاذا اعلن شكوه شعر بلذة غريبة قريبة من بعض اللذة [illegible] وهذا معنى عجز البيت . وفي تناقض العشق والعقل يقول المتنبي

يا عاذل العاشقين دع فئة اضلها الله كيف ترشدها

ويقول ايضاً : الى مَ طاعية العاذل ولا رأي في الحب للعاقل

هذا هو موقف المتنبي من العشق والغزل الى السنة الاولى التي لحق بها بسيف الدولة [illegible] سيف الدولة حياة جديدة تقتضيه التسامي بنفسه عن كل شائبة . صوناً لكبريائه [illegible] حينئذٍ نسمع مثل هذا السؤال الانكاري : أكل اديب قال شعراً متيم . . . [illegible] الاَّ اصداءً بعيدة تتجاوب في نفسهِ لتلك العواطف الزاخرة التي تدفقت في شعره [illegible] فقوله

وكيف التداذي بالاصائل والضحى اذا لم يعد ذاك النسيم الذي هبّ

ذكرت به وصلاً كأن لم افز بهِ وعيشاً كأني كنت اقطعهُ وثبا

ومثل قوله وهو يسأل حبانا : اذا زلتم ثم لم ابككم بكيت على حبي الزائل

ومثل قوله ايضاً : لعينك ما يلقى الفؤاد وما لقى وللحب ما لم يبق مني وما بقى

ولا بد هنا من الاشارة الى افتتان المتنبي بجمال العينين لوفرة ذكرهما في شعره [illegible] مصادفة شعرية ام هو افتتن بذات عينين جميلتين انطبعت صورتهما في قرارة صدره [illegible]

عزيز اسى من داؤه الحدق النجل عياء بهِ مات المحبون من قبل

وقال : وعيون المهى ولا كعيون فتكت بالمتيم المعمود

وقال : وفتانة العينين قتالة الهوى اذا نفحت شيخاً روائحها شبا

وفي القصيدة التي ساق مطلعها الى هذا الاستشهاد على السؤال يقول :

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه ولكن من يبصر جفونك يعشق

ويقول في وصف العيون مبدعاً :

ادرن عيوناً حائرات كأنها مركبة احداقها فوق زئبق

ويقول ايضاً : ألم يرَ هذا الليل عينيك رؤيتي فتظهر فيه رقة ونحول

ولما اكتهل قال متغزلا وهو صادق :

افسدت بيننا الامانات عيناها فخانت قلوبهنَّ العقول

... اشار الى ان الجمال اكثر ما يكون في العينين حيث قال :

الحسن يرحل كلما رحلوا معهم ويحل حيثما نزلوا
في مقلتي رشاء تديرها بدوية فتنت بها الخيل

... قوله : كل جريح ترجى سلامته الا ... عنها

... لما لزم سيف الدولة طفق يعدد نفسه ... يخشى ان يعلق به سوء فهمه ... من ذكر الغرام والهيام كأنهُ يريد تفهيم سيف الدولة ... نفسه لا تشغله الهموم عما ... من قبل عن سواد وان همه ان يرضيه ويظفر لديه بما ... الذي يستحق ... يحصل عليها منهُ . انهُ لا يقبل الارض بين يديه ولا يبدي الشعر وقفاً وبيعة كما ... معدودة فهو جدير بكل احتراس على الرغم من ... لم تكن لتخفى نفسه ... الى وعى هذا شرع المتنبي يعدد نفسه ... من كفوله :

... يداً عن ثوبها وهو قادر ويعصي هواى في طعمها وهو راغب
... يشفي من لاعج الشوق والحشا محبة ... في قربها منباعث

... ذهب الى ابعد من ذلك فنسب استهلال القصيدة الغزلية ... طريقة اسلافه ... الشعراء ... شرة في موضوعه والشواهد عديدة على ذلك :

... الهلال ما ينبغي على الاسل حتى يسير هلال الازم تأتي العزائم
... دن مدح فالنسيب المقدم ... بعد ليلى عفت عنك الدمن
... لي ... من دهره ما تعودا عقبى لبين على عقبي لوعى نعم
... نا تطاعنها قصار ... عرى ... هذا الناس يخشع

غير هذه من القصائد التي لا ذكر للغزل فيها ... وانفخت اوداج ابي الطيب كبرياء ... وانتشر اسمه في الاقطار ولقي من سيف الدولة ... الحفاوة والاجلال فتطلعت انظار ... اليه حتى صارت الانوثة شبه مستحيلة عليه وهو يستمد من اسم سيف الدولة معانى

ولو كان النساء كمن فقدنا لفضلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

... احد ان المتنبي اراد في البيت الثاني ان يسوي بين التذكير والتأنيث ... هذا التشبيه بعد ان قرر في البيت الاول تفضيل الرجال ... النساء . وجاء بعد ذلك يقول ... ليس عيباً . ومعنى ذلك انهُ ليس بعيب اذا كانت ... سيف الدولة انثى ولكنهُ ... وبلغت قلة الذوق بالمتنبي وهو مسوق بآرائهِ هذه انهُ لم يستكلف حين رثى سيف ... بعد بفقد اختهِ الصغرى ان يقول لهُ :

واذا لم تجد من الناس كفئاً ذات خدر ارادت الموت بعلا

وذهب الى أبعد من ذلك فقرر ان شيمة النساء الغدر وان الدنيا غادرة فهي تشبه هذا الشبه جعل لفظ الدنيا مؤنثاً . فقال والضمير عائد الى الدنيا :

وهي معشوقة على الغدر لا تحـــفظ عهداً ولا تتمم وصلا
شيم الغانيات فيها فما أدري لذا أنّث اسمها الناس ام لا

فالتأنيث والغدر ونقض العهد كل هذا واحد في نظر المتنبي . وقد لزمتهُ هذه الفكرة الى آخر عمره فصار لا ينظر الى المرأة الاّ انها أداة لهو واستمتاع وصار غزله ماديّاً في ادنى كتهالهِ الى الغزل كقوله :

ولا ليـلة قصرتهـا بطـويلة أطالت يدي في جيدها صحة الـ

وقوله : شامية طالما لهوت بها تبصر في ناظري محياها
فقبلت ناظري تغالطني وانما قبلت بهِ فاها

وقوله ايضاً وهو قبيح : عد وأعدها فخيذا تلف ألصق ثدي بثديها الناهد

ولو لم تكن نصبت حيوية المتنبي لما قال :

فـا حرمت حسناء بالهجر غبطـةً ولا بانتها من شكا الهجر بالوجـ

كل هذا وقع له وهو كهل في السنوات القصيرة التي قضاها بعد يأسه من التصون والـ كان قد قساعوده وجفت عواطفه واصبح لا يستلذ بالخالجة التي تلجلج الاطق وتـ صار يطلب الموقف المثير والملمس الوثير بل صار يعكس مواقف الغرام فيجعل المرأة ـ ولم يعد طلب الوصل رجاء بل اغراءً فاسفبًا مزيجاً من اللذة والتفكير بفناء الدنيا والـ يعجب كل الاعجاب بهذين البيتين :

زوّدينا من حسن وجهك مادام فحسن الوجوه حالٌ تحول
وصليما فصلك في هذه الدنيا فان المقام فيها قليل

على انهُ بعد انفصاله عن سيف الدولة ولحاقه بكافور لزم في مصر خيال كافور حـ الدولة في الانصراف عن الغزل . ولا نرى المتنبي تغزّل في مصر الاّ مرة واحدة ـ الحضريات والبدويات في قصيدته التي مطلعها

من الجآذر في زي الاعاريب حمر الحلى والمطايا والجلابيب

اما قصيدته التي يقول فيها : ولكن قلبي يا ابنة القوم قلّب . فقد دعا حسناءه الـ لعادة عربية قديمة تنادي بها المرأة هكذا امتداحاً لها بأن لها قوماً تعتز بهم فجعل نفسه غريباً عنها

احنّ الى قومي واهوى لقاءهم واين من المشتاق عنقاء مغرب

وهل اشرف من عاطفة الحنين الى الاهل فالمتنبي يقف في مصر مواقف مشرفة لا بأطماعهِ المعروفة وكافور يطاولهُ ويمنيه واذا جاز الافتراض قلنا لعلّ كافوراً اوعز من باب السياسة

[illegible] ان يعير المتنبي بتطلعه الى النساء ومعاقرة الخمر دفعاً عن اطماعه ولعل التهمة [illegible]
[illegible] معنى ان يدلل طويلاً بعفته وابائه واجتنابه للخمر [illegible]

وغير فؤادي للغواني رمية وغير [illegible] للزجاج [illegible]

[illegible] ان يتهم بالضعف في موضوع الحسان فيقول :

وللخود مني ساعة ثم بيننا فلاة الى غير اللقاء تجاب

[illegible] في تعريف العشق مسلكاً لا يتفق مع [illegible] قصائده السابقة [illegible]
وطمع حيث قال :

وما العشق الا غرة وطماعه [illegible]

[illegible] : يحب العاقلون على التصافي [illegible]

[illegible] العقل بعد ان أساد طويلاً بالتفريق [illegible]

[illegible] اضر بأهل العشق انهم [illegible]

[illegible] عيونهم دمعاً وانفسهم [illegible]

[illegible] عشق جاهل وكل جميل لوجه قبيح النفس [illegible] اهل العشق [illegible]
[illegible] الجهل وهو الذي قال :

[illegible] انا الا عاشق كل عاشق [illegible]

وقد يتزيا بالهوى غير اهله ويستصحب [illegible] لا [illegible]

[illegible] ضروب الناس عشاق ضروبا [illegible]

[illegible] المتنبي ليحسر على الجهر باطماعه [illegible] الدولة [illegible]
[illegible] والعزه والسطوة بل هو من قومه [illegible]
[illegible] ان يفكر في تخطيهم الى ملك [illegible]
[illegible] اسود اغتصب ملك سيده وتصدر [illegible]
[illegible] فيهم وقد الح في استدعاء المتنبي [illegible]
[illegible] اذا طلب الولاية والامارة وهو لن يتخطى [illegible]
[illegible] او في مصر فان المتنبي لزم خطته في التغني [illegible]
ولكن بعد ان هرب من مصر ولحق ببني بويه [illegible]
[illegible] واطلق لنفسه العنان في صدر قصائده على السيرة القديمة [illegible]
[illegible] غزله ماديًّا كما اسلفنا وظلت المرأة كما صورتها له [illegible]
[illegible] ان يذهب المتنبي ضحية امرأة هجاها فأفحش فقتله اخوها . وهذا منتهى
[illegible] !

آراء الباحثين

في اصل الشعور الديني

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

يراً ما كنت اسأل والدتي في طفولتي ورأسي على حجرها سؤالاً كان يشغل بالي يومئذٍ كما لي اليوم وهو « من اين اتى ابي ؟ » فتقول « من جدك » و« جدي ؟ » فتقول « من جد ... الى ان نصل الى آدم كما هي العادة فاسألها « ومن اين اتى آدم ؟ » فتقول على الاصول « خلقه التراب » وهنا تحاول كثيراً ان تقطع الحديث ولكنني ويا للأسف كنت استمر في سؤالي ن لم يستفرغ الحقائق المنشودة فاقول لها ببساطة الاطفال ومن غير وجل « ومن اين اتى الله ؟ » في وجهي حالاً وتقطب جبينها وتقول « اسكت ... حرام ... كفر . . » فكنت اسكت ولكن على مضض وانا خائف ان اكرر سؤالي حتى لا اغضبها

مثل هذه الصفحة المقتضبة من طفولتي تاريخ كثير من الاطفال غيري ، وما حب الاستقصاء سل الوارد فيها الاَّ ميزة من ميزات العقل البشري وصفة ملازمة له لا تستطيع الوالدة مهما محبوبة ومحترمة ان تقف في وجهه . فالسؤال عن اصل الموجودات او عن سبب حدوثها ل في النفس تأصل سائر الخصائص التي لازمت العقل البشري منذ ما انتقل من البساطة الحيوانية كان عليها . واذا صحّت نظرية النشوئيين فيما يقولون من ان سن الطفولة في الفرد يمثل عصر ربة في المهد فيكون مثل هذا السؤال الذي ازعج والدتي كثيراً من الاسئلة التي خطرت للانسان ل وهو لا يزال في الكهوف والبحيرات والغابات ، وكانت مساعيه يومئذٍ للحصول على الجواب بمثابة البحوث الاولى في الدين والعمل لتعليل السبب والمسبب واللازم والملزوم والازل و ... حرم اننا نرى في جميع الاديان المعروفة خبراً طويلاً مستفيضاً عن بدء الكائنات ومصيرها و ... د والظلمة والغمر وروح الله التي كانت ترفرف على الماء وعن خلق آدم من التراب وحواء ... مه وكذلك الخبر عند المجوس عن الاثني عشر الفاً من السنين الطوال التي يتصارع فيها اله ... هورامازدا) واله الظلمة (اهورامان) وعند الهندوكيين عن تلك العشرات من ملايين السنين التي هي بتفاني الخلق واندثارها في ... راهما

ان هذه الصفحات الغزيرة المستوفاة عن البدء والمصير هي روح تلك الصفحة الاولى التي خطرت لي نا مستند الى حجر والدتي وستخطر للاطفال امثالي ما بقيت لهذا العقل الذي زين الانسان تلك خصائص النفسية التي يحق لنا ان ندعوها « السببية » « والتلازمية » « والازلية » « والسرمدية » في نظري ان مذهب النشوء والترقي ان هو الاَّ محاولة علمية استقرائية بعثها في قلوب العلماء مثل

لمتأصل في النفس لتعليل الانسان بالعودة بأصله الى الحيوانات من القردة فما دون الى
ت الخلية الواحدة بيد ان هذه النظرية تقف وقوف سائر المذاهب والعقائد عندما
ن اين اتت الحياة لهذه الحيوانات الدنيا ؟ » ومتى وصل العالم حتى من كان دهريًّا بحتاً
فهو ليس ببعيد كل البعد عن منطقة الدين وما له من له في تعليل المبدأ والمسـ
ي من كتاب « زاد المعاد في هدى خير العباد » لابن القيم الجوزي (ص ٣٥) : « وقال
وسلّم (لا يزال الناس يتساءلون حتى يقول قائلهم هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله ؟
لك شيئاً فليستعذ بالله ولينته »

. مقتطف مايو الماضي للاستاذ نقولا حدّاد مقالاً طريفاً عن « الزمكان » فيه [illegible]
للاستاذ (أينشتين) في الزمان والمكان فقلت في نفسي هذه هي [illegible] التي [illegible]
لانه يعالج بالطرق الحديثة الفضاء ويضع له حدًّا فلا يضع [illegible] طريقته
اذ حدّاد : « لذلك ما نسميه فضاء هو فضاء محدود بالمادة . متناه . لان المادة [illegible]
آ معيناً والفضاء محدود بها ، له اول وله آخر » . فقلت في نفسي ان (اينشتين) [illegible]
لم تحل وبالأسف شيئاً من العقدة لانني لا ازال [illegible] هذه الساعة اسأل بحكم [illegible]
واختباري اليومي في الموجودات « ما الذي كان يأتي قبل [illegible] الفضاء وما الذي [illegible]
» ولشد ما كان تعجبي اذ رأيت الاستاذ حدّاداً نفسه يعقد [illegible] جميع [illegible]
لاثبات ان المكان محدود بجملة واحدة تهدم هذا التحديد وتعود بنا الى [illegible]
قفها حكماء الهند واليونان والعرب منذ الوف السنين وهي قوله « ولا تسل عما
راء الآخر فهذا مستحيل على العقل البشري تصوره » وهو لا يختلف كثيراً عن قول
على ركبتها « اسكت ! . . حرام . . . هذا كفر . . »
قصر سؤالي لها على آدم وتسلسله فقط بل كثيراً ما كنت اسألها عن السماء [illegible] وما
رض وما تحتها فلم يكن ليصعب عليها ان ترد عليّ بذكر السبع الطباق وبقرن [illegible]
ألاقي منها نفس الاعراض والتقطيب متى جاوزت السماء السابعة الى العرش وقعر
ن الثور

ان البحث في المكان واللانهاية مثل البحث في الزمان والازل خاصيّة من خصائصه
لا محيد عنها ، وقد جال فيها علماء الطبيعة كما جال فيها الحكماء المتقدمون وعلماء الدين .
لمستكشفات الحديثة في علم الفلك وما توصلت اليه من تقدير الابعاد بالسنين
ضاعفت حيرتنا من هذا الكون وابهته وجلاله . وكل طالب علم يذكر كيف قضى
لة الاولى التي رصد فيها الافلاك بالمرقب لاول مرة وكيف سبح وهمه ساعتئذٍ بين
بة محاذياً لها حتى تراءت له حدود اللانهاية فعاد خاسراً وهو حسير . ومع كل هذا

سلاح العلمي الدقيق الذي نتسلح به اليوم فنحن ازاء هذه المعضلات الزمانية المكانية لسنا بعيدين عن مقام الحيرة الذي بلغهُ اعلام التصوف من رجالنا الماضين ، وبخاصة الحيرة من اللانهاية فقد مثلت هذه الحيرة ادق الادوار وأخطرها في تصوراتنا الدينية ومعتقداتنا الروحية

ولقائل ان يعترض فيقول ان ما ذهبنا اليه من هذه الخصائص العقلية التي مازت الانسان لا ينطبق على الانسان الوحشي الاول فمثل هذه المرتبة الراقية في التفكير تحتاج الى انسجام منطقي لم يبلغه ، وان الطفل ابن الخامسة من ابناء اليوم هو في مقام الحكماء اذا ما قيس بالانسان البدائي وتالي مثلاً . ثم ان الدين قضية اجتماعية من اولها تولدت من اتصال الانسان بأخيه الانسان ولا يكفي في تعليلها الاعتماد على الشعور الفردي مهما كان خطيراً ، وجوابي عن ذلك كله ان الشعور باللانهاية على انواعها ، اللانهاية المكانية التي لا قرار لها واللانهاية الزمانية التي لا منتهى لها ، واللانهاية الطبيعية في القوة التي لا تنضب وظواهرها الجبارة التي يتضاءل عندها الانسان فينقاد لاحترامها وتبجيلها والرهبة منها صاغراً ، كل ذلك كان له اعظم الاثر في تفكيرنا الديني منذ ما جاز ان يطلق على هذا الانسان انه حيوان مفكر

المذهب الاجتماعي الطبيعي في تعليل الدين : ان هذا الذي ذكرناه في تعليل الدين يحتمل ولا شك الى شيء من الارتقاء العقلي قد لا يكون موجوداً في البشر الاول ، لذلك رأينا نطلع القراء على خلاصة رأي الاجتماعيين في هذا الباب وكيف عللوا الظواهر الدينية منذ نشأتها الاولى معتمدين في الاكثر على ما كتبهُ الاستاذان (هوبكنس) و (جيدنغز) وعلى ما ورد في « الموجز في علم الاجتماع » :

ان المشاكل المعضلة التي لقيها الانسان في حياتهِ على وجه الارض فولّدت في نفسهِ الافكار الدينية وما يتعلق بها من أعمال هي مشاكل شديدة التعقد ، والعلائق القائمة بينها دقيقة جدًّا ، فنرى العقل البشري بما بذلهُ من المساعي الجدية للخروج من التيه المرتبك الذي وضعتهُ فيهِ طبيعة والخلاص من الحيرة المختبطة التي احاطت به من البشر انفسهم قد هيأ التربة الصالحة التي فيها شجرة الدين ، فيجوز ان يقال اذن ان البشر الاول وهو منتقل حديثاً من المرتبة الحيوانية العجماء بعقل لا يفضل كثيراً عقل الحيوان حملق في هذا الكون فرأى ما فيهِ من قوى وظواهر بشرية همجية فاعتراهُ الخوف ولكنهُ لم تتضح له جلية هذا الشيء المخوف اذ كانت الافكار التي في نفسهِ لا تزال مجموعة صور خليط لم تدخلها بعد عوامل التنسيق والتبويب . بل امتلأ قلبه من شيء اطلق عليه العلماء اسم « المرعب الاعظم » او « البعبع » وعنوا به قوة مرعية محجبة تكتنفها الاسرار وتحيط بها الهواجس تسلطت على لب هذا البشر الوحشي وضايقتهُ ولازمتهُ حتى حملته على اتخاذ اتجاه خاص نحوها فكان يفكر كيف يفسر هذا المرعب الاعظم أو يعللهُ ويقوم بمعاملتهِ والتقرب اليهِ ومن هنا ابتدأت فكرة الاسترضاء والاستفسار والعبادة كما يتضح مما يأتي

فالبشر حتى منذ ما كان على الحالة الحيوانية ادرك معنى التفوق او السيادة من جهة والخنو والخضوع من جهة اخرى ، وتوصل الى فهم بعض الاشياء والاحاطة بمعناها وذلك لفهم الناس م حوله ، وتعلم كيف يعقد أواصر الاتصال بهم ويمشي اموره معهم، ومن المعقول جدًّا ان يمتد ها الفهم وتزداد أواصر الاتصال حتى يتسعا فيشملا الظواهر الطبيعية المحيطة به والتي لم يدر كنهها ولكنهُ حرص على استمالتها اليهِ واسترضائها . لم يدرك البرق والرعد والعاصفة والسي والشلال مثلاً ولكنهُ توسَّل بجميع الوسائل التي سنح لهُ ان استعان بها لاسترضاء أحيهِ الانسا لاكتساب عطفها ورضائها . لا جرم انهُ فسَّر كل شيءٍ مستغرب مجهول بالمشاعر التي تجول في نفسه وتحول في نفس البشر اخوانه وعزا اليها ما عزاهُ اليهم وعامل هذه المجهولات التي اعجزهُ فهمها بنفس الطريقة التي عامل بها اخوانه ومشَّى حاله معهم

وعلاوة على ذلك فقد دلَّتهُ التجارب على ان الطريقة التي نجحت في اكتسابهِ معونة البشر اخوا واسترضائهم قد نجحت هي ذاتها في اكتسابهِ معونة الحيوانات واسترضائها . وقد تجلى ذلك له في تدجين بعضها والعمل لتأنيسها . ثم ان الصراع الذي كان قائماً بينهُ وبين الحيوانات البرية قد أرشدهُ حتى قبل مباشرته عمل التدجين هذا الى ان عقول هذه الحيوانات تشبه بعض الشبه عقول الناس مَن كان عليهِ ان يتصل بهم ويعاملهم . فاذا كان في وسعه ان يعيش مع الناس ويتعامل مع الحيوانات باتباعهِ بعض القواعد وسلوكهِ بعض السبل ، افليس من المعقول ان يستنتج استنتاجاً منطقيًّا خالياً من الارتباك والتعقيد ان هذه القواعد والسبل نفسها تنجح في فهم واسترضاء اشياء اخرى منتشرة حوله في الكون لا تقل غموضاً وغرابة ؟

وقد احتفظ الانسان بهذا الاتجاه العقلي المنطقي في جميع اعماله وطوال حياته ، واذ كان جاهلاً ان في الدنيا اسباباً غير شخصية تصدر عن قوى طبيعية عمياء فقد توهم الشخصية في كل سبب مرغماً ينسب الى الظواهر الطبيعية من حوله التي لادخل للناس فيها ايدي الاشخاص ، اذن فما دام السبب الذي يحدث النتيجة شخصاً فالواجب ان يكون شخصاً مثل سائر من عرف من الاشخاص — شخص محبّ وكره ، شخص عطف ونفرة ، شخصاً مكوناً من قوة مستغربة غامضة ، عليهِ ان يعاملها بطريقة والطرائق . فاذا كانت هذه القوة ساخطة فالواجب استرضاؤها وتسكين روعها ، والطريقة المثلى الوحيدة التي تخطر بالبال هي الطريقة التي يسترضى بها البشر متى كان ساخطاً لذلك تخيل الانسان الطبيعة جميعاً آهلة بالارواح من نمطهِ ، ثم ان شخصيته ذاتها لم تكن اقل غموضاً وتعمية بالنسبة اليهِ من ظواهر طبيعية ووقائعها فهو اذا ما صاح سمع صوتاً يهزأ بهِ يتردد من الروابي والغابات وهو الصدى الذي يدهش أحداً منا ، واذا ما انحنى على البركة ليشرب رأى في اعماقها وجهاً ينظر اليهِ مثل وجههِ او جه من يكون معهُ من الرفقاء وهو الصورة المنعكسة عن سطح الماء التي لا يكترث لها احد منا ، ذا ما نام حلم في منامهِ انهُ يجول ويقوم بشتى الاعمال ولكنهُ عند ما يصحو يجد انهُ لم يغادر البقعة

نام فيها ، وفي بعض الحالات الاخرى يضطجع ثم يقوم ويمشي وهو نائم الى ان يصطدم بشيء الاشياء فيصحو ، اذن فهذه الحوادث الطارئة والاختبارات المتتابعة التي مشى فيها وجال وتكلم هي بنطقه البسيط اختبارات حقيقية وحوادث واقعة لا غبار عليها . فكيف يفسرها ؟ كيف يستطيع ء ان ينام ويمشي في آن واحد من غير ان يغادر مكانه ؟ والتعليل الوحيد الذي يخطر لهُ من جميع ه المشاهدات هو انه شخص مزدوج مؤلف من قرينين — والقرين في العربية هو النفس او هو يطان المقرون بالانسان لا يفارقهُ ، وكلا المعنيين لا يبعد عن معنى الازدواج الذي قصدناه — ي المنام يبقى احد قرينيه في موضعه والقرين الآخر يتمشى خارجاً ، ومعنى ذلك في حسابه ان روحاً وهذه الروح تلازمهُ في صحوه ، واما اذا نام او اصيب باغماء او ذهول فانها تغادر جسمه روح وتغدو بعيدة عنهُ ، وهي محجوبة عن نظره لا يستطيع مهما حاول ان يراها . ولكن اي هان على وجودها يا ترى أصح وأسد من هذا البرهان المحسوس الملموس ؟

ثم انه بسائق العقل البسيط الذي يحمله في رأسه يستنتج ان روحاً تشبهُ هذه الروح تحل في الطبيعه لها وهذه الروح هي شخص ذو خصائص ذاتية مثله ومثل رفقائه ، تحب وتبغض ولها شهوات وانفعالات عواطف ويساورها الغضب وتشتهي الهدايا والمنح وتصاب بالهوى والوسواس ، اذن فهي شي ينظر المرء اليه بالرهبة والخوف ويعقد معهُ اواصر الصلح والسلم والوئام

ثم هنالك حادثة الحوادث — هنالك الموت وما فيهِ من غرابة وغموض وابهام ، وقد دلت جميع الملاحظات التي جمعناها على أن الشعوب الابتدائية البالغة درجة التفكير في الامور تهتم بالموت فالانسان الاول وهو مقيم دائماً في وسط القوى الوحشية التي قضت عليها المدنية فيما بعد او أخضعت ودجنتها لخدمة البشر قلما مات ميتة طبيعية حتف أنفه ، فاذا كتب له أن يعيش فيموت هذه الميتة فانها تكون حينئذٍ ظاهرة غريبة تفسر على هذا النمط المزدوج القائم على وجود آخر هو الروح المحجوبة أو القرين الخفي

والغالب أنهُ يموت قبل بلوغهِ أرذل العمر وهو سن الشيخوخة البالية اذ يقول انه لا يرى لذة في الحياة بل تكون الحياة على عكس ذلك لا تزال لذيذة حلوة والموت نكبة لا راحة ، ولما كانت الوحوش البرية الضارية والبشر الاشد منها توحشاً وشراسة واقفة لهُ بالمرصاد في كل ناحية للانقضاض عليه فالخوف الطبيعي الغريزي من الموت كان ابداً ماثلاً أمام عينيه ، ولما أخذ يفكر في هذه الاحداث والاشياء خطر لهُ هذا السؤال بالطبع وهو « ما هو الموت ؟ » فهل يجد الجواب الشافي عن السؤال الاَّ في تلك الاختبارات التي تشبه الموت كثيراً ؟ لقد نام وأفاق ، ورأى في بعض الاحلام أناساً صرعوا في القتال فأغمي عليهم حيناً من الزمن ثم عادوا الى وعيهم ، ورأى آخرين أصيبوا بغشيان او دهشة وذهول فلما صحوا قصوا على الناس ما رأوا وما سمعوا ، أليس الموت شيئاً من النوم والاغماء والذهول الاَّ ان غياب الروح فيهِ عن الجسد أطول أمداً ؟ أولا تكون الروح

القرين في حالة الموت حية في مكان آخر ترى وتسمع وتتلذذ وتعي وتشتهي وتفعل وتحب وتبغ كما لو كانت في الجسد ؟ ثم تحدث حادثة مشؤومة ليس لها سبب ظاهر ، فليت شعري ! لا يكـ ميت من الاموات الساخطين قد أحدثها ؟ فمثل هذا الميت لما كان حيًّا انتقم لنفسهِ ، والآ وهو ميت وقد غضب واغتاظ فالواجب ان يسترضى ويهدأ روعه بنفس الطريقة كما لو كان ح

وربما كان الميت رئيساً كبيراً أو حاكماً للجماعة مطلقاً فيخشى منهُ في موته بقدر ما كان يخ في حياته وزيادة ، لان المعروف من أمره وهو ميت أقل بكثير مما كان يعرف وهو حي . لذا لفَّفهُ الموت بالاسرار وحجبهُ بالطلاسم والمعميات فاحاطهُ بالاسباب الداعية إلى الذعر والرهبة وهكذا نشأت عبادة السلف أو بمثل هذه الطرق كانت الافكار الدينية الاولى الخالية من الانسج للاعراب عن نفسها ، وهي أفكار طافحة بالمتناقضات مثل أفكار الرجل الابتدائي أو مثل افكـ الطفل الصغير في أوائل تفكيره ، ومغشّاة مبهمة « ومتبلّلة » خليط بعضهـا فوق بعض تشو العواطف والانفعـالات والاندفاعات المتولدة في نفسهِ من اتصاله بالـكون وما فيهِ من أشيـ وأشخاص . على ان هذه الافكار هي جهود جهدها لانقاذ الموقف الكريه بشيء من العمل مهما كا نوعه ، هي بوادر تعليل نظري للعالم الذي يعيش فيهِ ، وهي المحاولات المغلوطة الاولى للحصول عل الوسيلة التي يتمكن بها من اخضاعه والتسلط عليهِ . هي آراء منعكسة عن الجمعية البشرية التي هو جزء منها وعضو فيها ، ولهذه الآراء نظائرها في نفسهِ وفي نفوس الناس من حولهِ ممن يتصل بهم . فالآلهة التي يصطنعها لنفسهِ يعملها على غراره وغرار اخوانهِ ولكنها اعظم منهم شأناً وأشد بأسـ وأسدُّ حكمةً واكثر ابهاماً وأقل جلاء

وقصارى رأي الاجتماعيين الطبيعيين في نشوء الاعمال الدينية والعبادات هو ان اتصال الانسان الابتدائي الاول بالطبيعة وبالناس من حوله ادى الى استحداثهما في نفسه فهما من صنعه ويبتدئان من عنده وينعكسان عن تجاربه . وكلما نما الطفل الصغير وأضحى على اتصالٍ بالشخصيات الاخرى تعلم ان يكيف نفسه بحسبها وعلى مقتضى الاحوال التي تحيط بها فهو يرى انهُ اذا قام بعض الاعمال استرضاها وعقده اواصر الوفاق معها وان قام بغيرها أغضبها وأثار حفيظتها ، فهنالك اشياء تستدعي سرورها واخرى تسيئها ، ومن مثل هذه المفاجآت الاختبارية الدائمة يتعلم ماذا يعمل لاكتساب رضاء الشخص الآخر . وعلى اساس هذا الاختبار يستخلص لنفسهِ قاعدة عامة ويختار دستوراً يوافق جميع الناس . والآن وهو يعتقد ان الظواهر الطبيعية يسببها اشخاص فانهُ يتبع في معاملتهِ روح الجبل او روح العاصفة مثلاً نفس الخطة التي يتبعها في معاملة الناس . ويجب ان يكون الاشخاص الذين يحدثون هذه الظواهر ويديرون امرها مثل الاشخاص الذين عرفهم لذلك يتخذ تجاهاً خاصًّا نحوهم ويستميلهم بالهدايا والقرابين ويسكن غضبهم او يكتسب رضاءهم ورعايتهم الثناء عليهم والتضرع اليهم واقامة الصلاة لتمجيدهم

العناية بالصحة الشخصية

في العهد الفرعوني

للدكتور حسن كمال

١ — ﴿مقدمة﴾ كنا نعرف ان العناية بصحة الفرد اصبحت الآن غير قاصرة على الفحص ك المرض ووصف الدواء . بل تعددت وتنوعت وأصبحت تعرف الآن بالطب الواقي . يضاف الى ،الوسائل الحديثة في التشخيص والعلاج . وقد تغلغل الطب الواقي حتى شمل حالات الانسان الخاصة أكل والمشرب والمسكن ونظافة الجسم والعناية بالجلوس والنوم واستنشاق الهواء النقي والاهتمام لعاب الرياضية وغير ذلك مما لا يقع تحت حصر . وهذه الامور الشخصية لم تكن الى عهد قريب ضوع بحث فني ولاعناية طبية . لكن مكانتها اضحت الآن حقيقة ثابتة لا تقل عن التطعيم صد نمودية او الدفتريا على سبيل المثال

٢ — وكلنا نعرف ايضاً ان المشرب والمأكل والملبس وكثيراً من العادات الشخصية هي وليدة ربة والطقس والوطن وذات صلة وثيقة بمدنية الشعب ورقيّه الفكري واستقلاله السياسي . ذه كلها عوامل جدية في حياة الانسان المعاشية . وعليه نجد للقطر المصري ميزات اصة منذ قديم الزمان . وهذه الميزات طبيعية واجتماعية . اما الطبيعية فلكثرة الخضراوات اللحوم وانتشار الزراعة والتعرّض للشمس وغير ذلك نجد ان قدماء المصريين كانوا يمرضون بما هُ صلة بهذه العوامل كالديدان المعوية والبلهارسيا والانكلستوما . واما العوامل الاجتماعية نتيجة نشاط العنصر المصري وذكائه وقوة ابتكاره وشعوره بالسيادة . لذلك نجد اجدادنا شديدي عناية بكل ما لهُ علاقة بمظاهر السيادة والتفوّق مثل نظافة الجسم والمسكن ووسائل الراحة والنعيم العناية بالملبس والصحة بل وحتى تجاعيد الوجه الدالة على الشيخوخة . وقد توسعوا في ذلك فشملوا بعنايتهم حجرات النوم والدورات المائية والالعاب الرياضية وغيرها . وصحب كل ذلك تحسين وتنسيق وتهذيب على ممر الايام حتى بلغ القوم في العناية بأشخاصهم درجة حسدتهم عليها الممالك الاجنبية . وصار هذا المجهود انموذجاً يراعى في البلاد الراقية ايما مراعاة ولهُ فيها حرمة التقديس

لكن نكبات الدهر والغارات الاجنبية والاسراف في الترف أضعفت من نفوس المصريين — كما أضعفت من نفوس الرومان — فأنستهم فضل آبائهم واجدادهم وألهتهم عن النافع ووجّهتهم نحو الفساد وذلك منذ الفتح الفارسي عام ٥٣٥ ق . م

ولما بدأنا حديثاً نبحث عن مدنيتنا القديمة اتضح لنا ان كثيراً من العناية بصحة الفرد الحديثة انما يرجع الفضل فيهِ الى مجهود اجدادنا . وسيأتي ذلك مفصلاً ومدعماً بالصور الأثرية بوضوح

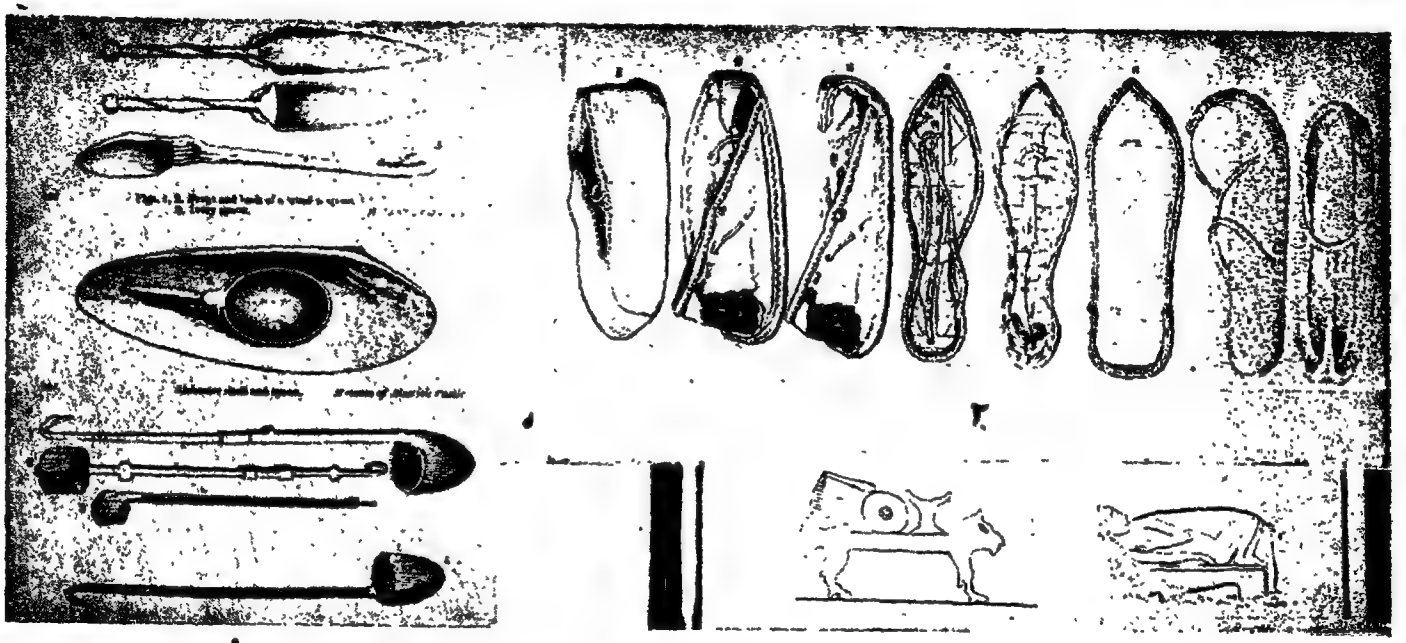

١ — ملاعق ومغارف مصرية قديمة ٢ — احذية ومباذل من العهد اليوناني في الغالب وبعضها اقدم من ذلك
٣ — (يمين) مضجع للنوم من عهد المملكة الحديثة. (يسار) سرير نوم بمعداته : وسادة . مسند للرأس . (منشة) لطرد الذباب

قال هيرودوتس (١١ — ٧٧) ان المصريين كانوا اكثر الناس اشتغالاً بالأمور الذهنية . ربون مسهلاً كل يوم ثلاثة ايام متوالية . ويعنون بمداراة صحتهم وحفظها بواسطة المقيئات لمسهلات لانهم يعتقدون ويؤكدون ان كل الامراض تأتي من الاطعمة . واورد ديودورس قلي ما يؤيد هيرودوتس فيما ذهب اليهِ . والآثار المصرية والقراطيس البردية تحوي الكثير من لومات في هذا الموضوع

٢ — ﴿ العناية بالرأس ﴾ اهتمَّ المصريون قدماً بحلق رؤوسهم رجالاً واطفالاً واحتفظوا خيرين بخصلة طويلة على احد الجانبين . وكان العمال والفلاحون يخرجون الى الحقول عراة الرؤوس. هيرودوتس وهذا هو السبب في صلابة جماجم المصريين وعدم انتشار الصلع بينهم . ولا يعنى ا ان افراد الطبقة المذكورة لم يلبسوا لباساً لرؤوسهم مطلقاً فقد وردت رسوم كثيرة تظهرهم ا المظهر في ظروف خاصة . اما سراة القوم فامتازوا بلبس الشعور العارية في الاحتفالات وغيرها. سل النسوة شعورهنَّ طويلة ولم يحلقنها الاَّ وقت الحزن . واخذ الرومان عن المصريين استعمال عر المستعار ولا يزال قضاة الانكليز يلبسونهُ في جلسات محاكمهم

واعتاد القوم ان يحلقوا لحاهم وشواربهم ولا يرسلونها الاَّ وقت الاتراح . وجاء في التوراة ان دنا يوسف عليهِ السلام حلق رأسه لما استدعاه فرعون مصر من السجن . وكان هـذا الحلق وريًّا حتى انهم مقتوا كل مرسل لشعره . واذا ارادوا ان يحقروا شخصاً رسموه بلحية وشارب. كان حب النكتة غريزيًّا في مصر لم يسلم ملوكهم منهُ . فرسم القوم ملكهم رمسيس السابع بقبره طيبة ملوّن اللحية كانها مرسلة لمدة ثلاثة ايام . وورد على الآثار رسم لرمسيس الثاني في مواقعه ربية يمثله بلحية مرسلة قصد اثبات انهماكه في الحرب بدرجة أنستهُ حلق لحيته

وامتاز الكهنة بالنظافة المطلقة . فحلقوا اجسامهم كل ثلاثة ايام واستحموا مرتين صباحاً ومرتين اء كل يوم . واتبع كثير من الاهالي هذه التعاليم . وجاء عن يوسف عليهِ السلام انهُ طلب من وته ان يحلقوا لحاهم وينظفوا اجسامهم وقت استحضار والدهم لمصر مراعاة لعادات المصريين حتراماً لها . وحقّر المصريون الاسيويين واليونانيين لارسالهم لحاهم . ورفضوا اكل حيوان ذبحه ناني لهذا السبب . والحلاقة اولى خطوات التمدين. والحلاقون نسل الحضارة . ولا ادل على ذلك من ة الرومان الذين كانوا يحلقون لحاهم عند بلوغهم سن المراهقة ويقدمونها الى آلهتهم اثباتاً لرشدهم. لى ذلك فحلاقة الرأس باكمله عادة مصرية قديمة . وهذا هو السر في بدورة امراض الشعر المتعددة رهِ كالقراع والاكزيما الجافة والسعفة (ringworm) . ويمتـاز سراة القوم بلحاهم المستعارة ذات شكال المخصوصة. وكان افراد الطبقة الوسطى يتزينون بلحى مستعارة لا يزيد طولها على خمسة سنتيمترات لحى الملوك المستعارة طويلة وذات زوايا مستقيمة . ولحى المعبودات ملتوية الطرف السفلي

واعتاد النسوة ان يرسلنَ شعورهنَّ وان يضفرنها ضفائر رفيعة حتى الظهر . وان يرسلن

مر جانبي الرأس المضفر بنفس الكيفية على صدورهنّ من الامام . وكل ضفيرة عبارة عن مجموعات ث كما هي العادة الآن . وتثبت حول الرأس شبكة خفيفة للحلية وحفظ الشعر محله . وتزين هذه شبكة احياناً بزهرة اللوطس . وكثيراً ما كانت ضفائر الرأس تثبت بامشاط او دبابيس كما هي مادة الآن . اما الامشاط فكانت ذات حدين احدهما غليظ الاسنان وثانيهما دقيقهما . ويبلغ طول المشط شرة سنتيمترات تقريباً . وهناك امشاط بحد واحد . والقصد من الاسنان الغليظة تسريح الشعر . ما الدقيقة فلتنظيفهِ من الحشرات . والمشط من اهم ادوات العناية بصحة الفرد . وابتكاره راجع لى قدماء المصريين . وتستعمل الامشاط الآن في مقاومة التيفوس والحمى الراجعة

واهتمّ القوم باطالة شعر المرأة واستعملوا لذلك زيت الخروع (ايبرس وصفة رقم ٢٥١) وكذلك عنوا بانبات الشعر بعد سقوطه كما هو واضح بقرطاس ايبرس (وصفة ٤٦٤ — ٤٧٦)

٣ — ﴿ العناية بالعينين ﴾ ليس هذا مقام الاشادة بفضل قدماء المصريين في تشخيص امراض العيون وابتكار العقاقير الهامة التي لا تزال مستعملة للآن في الرمد الحبيبي وغيره . لذلك سأقتصر على ما كان الفرد يقوم به في سبيل تجميل عينيه . ويشاهد ذلك بوضوح عند السيدات . والمعروف انهُ كلما زادت الرغبة في اظهار جمال الشيء كانت العناية به في حالتي الصحة والمرض عظيمة

اعتاد المصريون منذ اقدم العصور ان يكحلوا اعينهم . واتى الرومان فأخذوا عنهم ذلك والقصد من ذلك تجميل العينين باظهارهما كبيرتين وذلك باضافة اطار اسود حولهما . واعتقد المصريو ان الكحل يحسن البصر . وهذا يفسر كثرة المكاحل والمراود التي عثر عليها في المقابر المص وتعدد انواعها وتباين المواد المصنوعة منها كالحجر والخشب والخزف

وهناك نوعان من الكحل اخضر واسود . اما الاخضر ويعرف بالحجر الملكي Uchute (وهو المعروف كيمائيًّا باسم green ore of copper) احد املاح النحاس . واما الاسود فهو ا املاح الرصاص (يعرف باسم dark grey ore of lead او galena) والكحل الاخضر اقدم الاول ولكن استعيض منهُ تدريجاً بالاسود . واستعمل القوم كحلهم جافًّا او ممزوجاً بالماء وذلك سحقه جيداً في كلتا الحالتين . ويرتد استعمال الكحل الاخضر الى اقدم الازمنة المعروفة عهد الاسرة التاسعة عشرة (١٣٥٠ - - ١٢٠٠ ق. م.) . اما الكحل الاسود فبدأ استعماله عهد الاسرة الاولى تقريباً ودام حتى العهد القبطي . وقد عثر على مقادير من الكحل بنوعيه مسح وغير مسحوقة . ولم يعثر على الاثمد (antimony) الاّ في نموذج واحد من الكحل القديم . اما الـ الحديث فمصنوع من هباب البخور او قشر اللوز او من حرق القرطم ويستعمل ببلّ المرود ثم غمسه في مسحوق الكحل ثم وضع الكحل حول الاهداب . واقدم مراود عثر عليها تاريخها الى عهد الاسرة الحادية عشرة (٢١٠٠ — ٢٠٠٠ ق. م.) ويغلب ان القوم كانوا يكـ بأصابعهم قبل ذلك . وموطن الكحل الاخضر طور سيناء وصحراء العرب اما موطن الـ

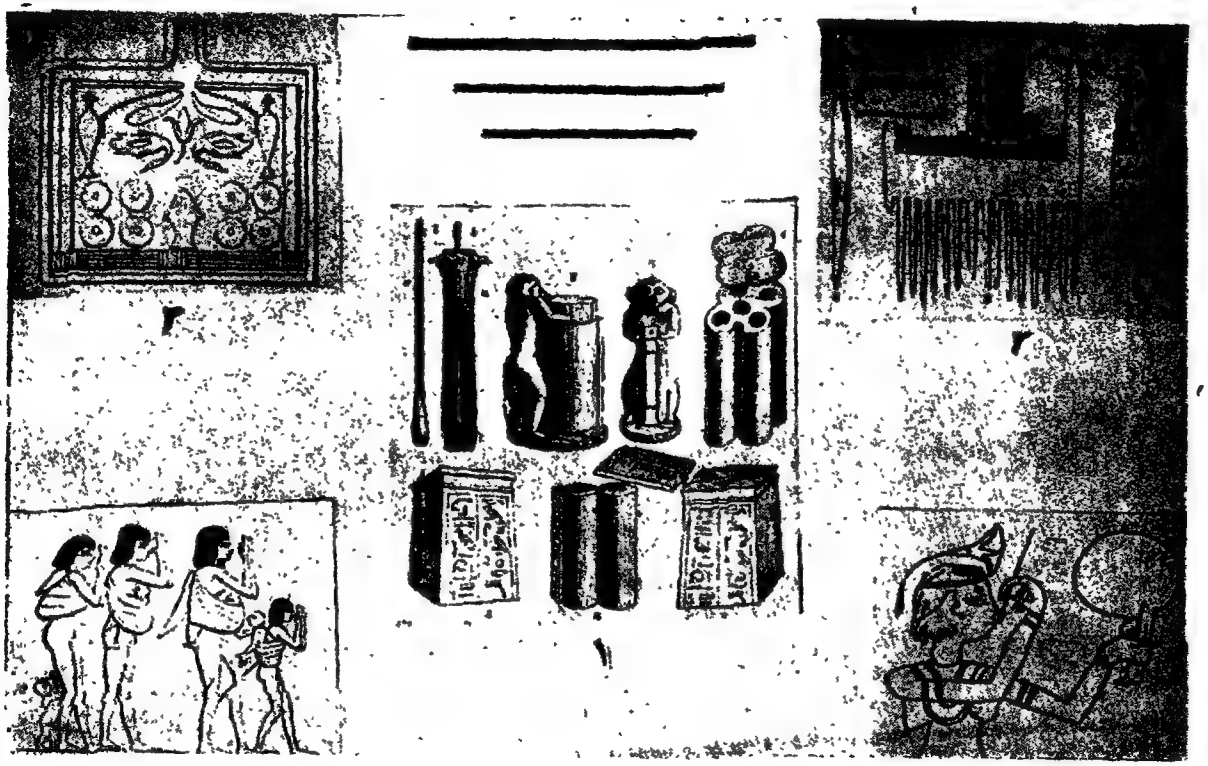

١ — مكاحل مصرية قديمة ومرود ٢ — مائدة قرابين عليها اطباق واوزتان وابريقان ٣ — امشاط مصرية قديمة ٤ — سيدة مصرية قديمة تتجمل مستعينة بالمرآة وترى وهي تخطط شفتيها ٥ — العناية بالاطفال وهي رسوم من طيبة

عازفة العود
رسم على جدار قبر في الاقصر
من عهد المملكة الحديثة

مظلتان من المظلات التي كان قدماء
المصريين يستعملونها والعليا منهما
شبيهة بالمظلات الحديثة

لاسود فاقليم اسوان وشاطىء البحر الاحمر . وقد وردت وصفات عديدة في القراطيس الطبية خاصة بالعين كعتامة العدسة « ايبرس ٣٧٨ — ٣٨٠ » و احتقان العين « ايبرس ٣٩٠ » وتقوية البصر « ايبرس ٤٠١ و ٤١٤ » والشعرة « ايبرس ٤٢٤ » وضيق الحدقة « ايبرس ٣٤٥ » والرمد الحبيبي « ايبرس ٣٥٠ الخ » والرمد الصديدي « ايبرس ٣٥٤ » وغير ذلك

٤ — ﴿ العناية بالاسنان ﴾ اهتم المصريون بازالة الالم وقت التسنين (ايبرس ٧٤٨) وبتقوية اسنانهم (ايبرس ٧٤٣—٧٤٤) وبتعطير رائحة افواههم بمضغ مزيج من الكندر واليانسون والعسل وغيرها (ايبرس ٨٥٣ ب) . ولم نهتد للآن الى استعمال السواك او الفرش لنظافة الاسنان . لكن نلاحظ ان المومياات القديمة امتازت بسلامة اسنانها على اختلاف اعمارها . وذلك لان صحة الاسنان تابعة لصحة الجسم فاذا كان الاخير سليماً كانت الاسنان سليمة ايضاً

٥ — ﴿ العناية بالوجه ﴾ عثر على كثير من ادوات الزينة (التواليت) بالمقابر المصرية من اسطوانات واوانٍ توضع فيها المراهم والاكحال والقطرات . وعثر ايضاً على عدد وفير من المرايا والامشاط والصناديق الصغيرة والملاعق والاطباق الصغيرة . ومراهم القوم المستعملة للوجه والجسم كانت عطرية ولا يزال بعضها حافظاً لرائحته للآن . ووضع القوم مراهمهم في مواعين او اوان مرمرية او زجاجية او عاجية اوعظمية اومحارية او حجرية « ولكنسون ٢—٣٤٤ » . وحضّر القوم عطورهم بشكل ربوت او مراهم ورد ذكرها بكثرة على الآثار وفي مصنفات اليونان والرومان (لوكاس مواد مصرية قديمة ٨٥) . والمعروف ان العطور الحديثة عبارة عن محلول كحولي متباين النسبة مذاب فيه العطر . وهذا الاخير يستخرج من الزهر او الفاكهة اوالاخشاب او اوراق النبات او حبوب النبات

اما عطور قدماء المصريين فتختلف كثيراً عن الحديثة لجهلهم بامكان ذوبان العطر في الكحول وطرق تقطير الكحول بالاساليب الحديثة . ويجدر بنا ان نذكر في هذا المقام ان اقدم ذكر للتقطير هو الذي اورده ارسطوطاليس (Meteorologica I 9, 11 II 3) وذلك في القرن الرابع بعد الميلاد واحسن مادة لحفظ العطر بعد الكحول هو الزيت او الشحم . ولا تزال هذه الطريقة مستعملة في استخراج عطر الازهار وذلك بنقع ورق الزهر في الزيت او الشحم المدة الكافية ثم اذابة ذلك في الكحول ثم تقطيره . اما قدماء المصريين فاقتنعوا بنقع الازهار او ما شاكلها في زيت الزيتون او زيت اللوز وزيت الهلج او الزقوم (Balanitis agyptiaca) او الشحم الحيواني . وولع المصريون برائحة المر واليانسون وصنعوا منها زيوتاً عطرية بكثرة كما رواه پلينيوس وثيوفراستوس

اما احمر الخدين فقد عثر على كثير من بقاياه على الواح بالمقابر وهو عبارة عن ملح حديدي يعرف باسم haematite او red ochre او red oxide of iron والغالب ان المصريات لوّنّ به خدودهن وشفاههنّ (ارمان ص ٢١٦ رسم ١٠١)

١٦٠٠ ق . م تقريباً » وتتلخص في غلي نبات يقال لهُ حماية مراراً ثم دهن الوجه بالعجين الناجم هذا الغليان ويقرب فعل هذا الدواء من « حسن يوسف » « المستعمل الآن عند العامة لهذا الغرض

ووردت عدة وصفات لملاسة جلد الوجه « ايبرس ٧١٧ - ٧٢٠ » وتحسين الجلد « ايبرس ٧١٥ »

اما المرآة وهي التي تعكس لهم صورتهم الشخصية وتشجعهم على العناية بمظهرهم وصحتهم الخارجية فابتكار مصري قديم ككل شيء قديم مفيد . وكانت تصنع من النحاس المصقول بدقة تعكس المرئيات بوضوح تام . وفي المتحف المصري مرآة قديمة يشاهد فيها الناظر تقاطيع جهه جليًّا . وكانت العادة في المرآة ان تكون مستديرة مثبتة في يد خشبية اومعدنية

٦ — ﴿ العناية باليدين والقدمين ﴾ في مقبرة (سسا) بسقارة (٢٦٠٠ ق . م) رسوم تمثل حد الاطباء يعالج اليد اليمنى لمريض يظهر على وجههِ أثر الالم ؛ ورسوم اخرى تمثل علاج القدمين . يظن (كابار) ان هذه الرسوم تمثل تقليم الاظافر

اما « القفازات » فالمعروف انها كانت مستعملة منذ عهد الاسرة الثامنة عشرة (١٥٥٥ - ١٣٥٠ ق . م) كما انها كانت ضمن الجزية التي قدمتها آسيا لمصر في عهد الملك تحوتمس الثالث (١٥٠١ - ١٤٤٨ ق . م) . وعثر على كثير من القفازات الكتانية الطويلة المحلاة بخطوط زرقاوية . ومقبرة (توت عنخ امون) تحوي كثيراً من هذه القفازات وهي معروضة الآن بدار تحف القاهرة

والقفازات ابتكار هام في الطب الواقي . ولو انها كانت تستعمل اولاً لتدفئة اليدين ووقايتهما من البرد الا انها لما صنعت اخيراً من المطاط وافادت كثيراً في عدم وصول جراثيم الامراض الى جروح العمليات من جهة والى يدي الجراح من جهة اخرى

اما « النعال » المصرية القديمة فعلى عدة اشكال . فنعال السيدات وافراد الطبقة الراقية كانت مجدولة ملتوية الطرف الامامي وتعمل من سعف النخل او سيقان البردي او سيور الجلد وتكسى بعد ذلك بقماش مرسوم عليهِ أسير اجنبي (ولكنسون ص ٣٣١) . وعثر على كثير من الاحذية في طيبة والغالب انها من العصر اليوناني وهي مصنوعة من الجلد الاخضر

وكثيراً ما كان القوم يغسلون ايديهم قبل الطعام وارجلهم قبل الدخول في الولائم والافراح (ولكنسون : ص ٧٦) . وجاء في التوراة ان سيدنا يوسف عليهِ السلام امر خدمه ان يغسلوا أرجل اخوته قبل تناولهم الطعام . حيث ورد بسفر التكوين اصحاح ٢٤ ما تعريبه :

« وأدخل الرجل الرجال الى بيت يوسف وأعطاهم ماء ليغسلوا أرجلهم » . واستعملوا لذلك الاباريق والاطشات كما يرى ذلك على الآثار . وأورد هيرودوتس ان امازيس وزأريه كانوا يغسلون اقدامهم في طشت من ذهب . ووردت على الآثار (ارمان ص ٢٣١ كتابه عن مصر) رسوم توضح أساليب غسيل الملابس وعصرها وتجفيفها مما يضيق المقام عن سردهِ هنا

• ما دمنا الآن نتكلم عن العناية باليدين والقدمين جاز لنا هنا ان نذكر شيئاً عن استعمال الحنا

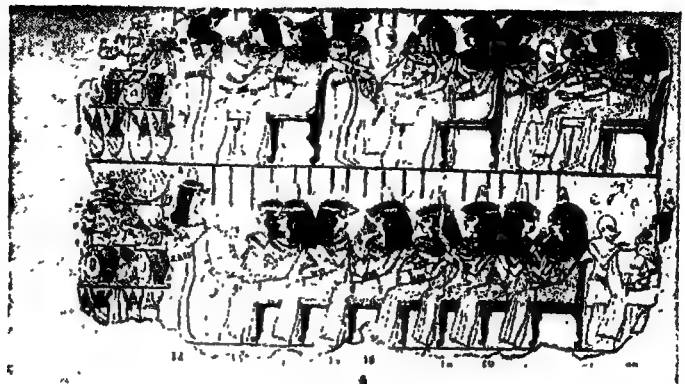

١

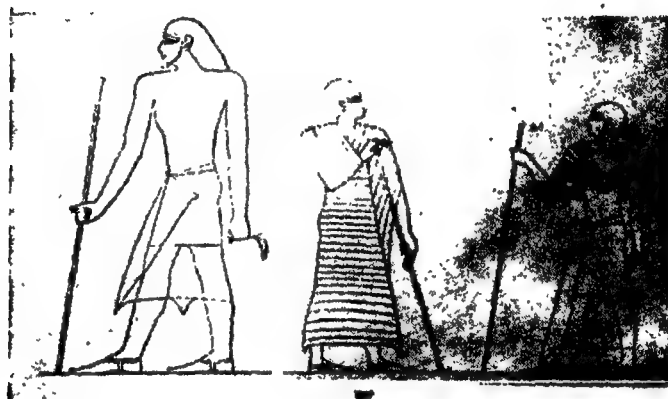

٢

٣

١ — وليمة تبين المأكل والمشرب واستعمال الكراسي ومرور الخدم والموائد ولبس السيدات وقص شعورهن ٢ — الرسمان الايمن والاوسط يمثلان ثوبين غير اعتياديين من عهد الدولة الوسطى والرسم الايسر يمثل الرداء المزدوج ٣ — ثلاثة نماذج الايمن من عهد اخناطون والاوسط من عهد امنحوتب الثالث ويشاهد فيهما الرداء الخارجي اطول من الداخلي . والايسر يمثل اللباس في عهد الاسرة ١٩

ندقدماء المصريين. فقد استعملها القوم كما تستعمل الآن وذلك بسحق اوراقها وتحويلها الى معجون ضافة الماء اليها ووضع هذا المعجون على راحتي اليدين واخمص القدمين والاظافر والشعر . واخذ رومان عن المصريين طريقة صبغ الشعر بالحناء . وعثر الاستاذ اليوت سميث على شعر موميا (حنتاوي) اسرة ١٨ — ١٥٥٥ — ١٣٥٠ ق . م) مخضبة بالحناء على الارجح . واثبت ماڤيل ان اظافر دي موميا من عهد الاسرة الحادية عشرة (٢١٠٠ — ٢٠٠٠ ق . م) كانت مصبوغة بالحناء ايضاً . عثر (نيوبري) على افرع الحناء في مقبرة هوارة من عهد البطالسة

٧ — ﴿ الختان ﴾ وردت عملية الختان مرسومة على مقبرة بسقارة (٢٦٠٠ ق . م .) مما يشير ن ان المصريين كانوا لا يختتنون الاَّ قبل الزواج بزمن قليل. والجثث المصرية القديمة يكثر فيها الختان هكذا يكون اجدادنا قد سبقونا في اتخاذ الوسائل الجراحية الفعَّالة للوقاية من الزهري والسرطان

٨ — ﴿ الملبس ﴾ للملابس شأن كبير في صحة الجسم لانها تدفىء الجسم وتحفظ رارة الجلد بقدر الامكان عند حدها الطبيعي وتمتص العرق . وهي تصنع الآن من الكتان والقطن لحرير والصوف . ومعظم الاقمشة المصرية القديمة التي عثر عليها هي الخاصة بالموتى ولما كان الكتان به مقدس عندهم كانت معظم تلك الاقمشة من الكتان. والكتان المصري القديم من النوع المعروف م Linum usitatissimum ويرجع تاريخه الى عهد البداري . اما الصوف فانهُ بالرغم عن قلة ما ر عليهِ من منسوجاتهِ فان سراة القوم صنعوا بعض ملابسهم منهُ . واما القطن فاقدم ذكر ورد هُ هو عن (پلينيوس)— القرن الاول بعد الميلاد —واما الحرير فصناعته بدأت في الصين ومنها شرت الى الفرس ثم الى سواحل البحر الابيض المتوسط . هذا باختصار تاريخ هذه المواد الاربعة

أما تحوُّل الملبس فموضوع مشوّق كل التشويق لانهُ ولد وترعرع في مصر. ففي عهد المملكة القديمة ٣٢٠٠ — ٢٢٧٠ ق . م . » كان اللباس قصيراً ساتراً للعورة بادئاً من الخاصرة ومنتهياً عند كبة . وحوالي عام ٢٠٠٠ ق . م . ظهر رداءٌ آخر فوق المذكور واصلٌ الى منتصف الساق . وفي ن السادس عشر قبل الميلاد وبعده زاد حجم الملبس حتى كسى الصدر والساقين. وملابس الملوك تمتاز عن ملابس الامراء. وهؤلاء كانوا يلبسون زيًّا مخالفاً لزيّ الفلاحين. ولما كان الصغار كثيري به بالكبار في الزيّ اضطر هؤلاء الاخيرون أن يغيّروا ملبسهم محافظة على مكانتهم الاجتماعية لاحظوا أن زيهم أصبح دارجاً . وهذا هو سرّ تغيّر الازياء « المودة »

لكن هناك احوال أخرى تحتم على الشخص تغيير ملبسه ككبر السن وما يتطلبهُ من التدفئة اء تقلبات الجو . كذلك مقابلات الملوك كانت دائماً تتطلب هنداماً خاصًّا

لذلك نجد أن المصري بعد ما كان قدماً يستر نفسهُ بفراء الحيوانات كالفهود أخذ يلبس منطقة ل الخاصرة مثبت فيها من الامام كيس يستر بها عورتهُ . وفي ذاك الوقت كانت النسوة يسترنَ امهم بملاءة . بعد ذلك ظهر اللباس القصير المنقوش على الآثار والذي يظن أنهُ كان مصنوعاً من

القصب أو الياف النخيل لانهُ يحوي خطوطاً رأسية . ولما تعلم المصري صناعة الكتان ظهر الر
على الآثار أبيض اللون أملس ومثبتاً حول الخاصرة بحزام . وفي عهد الاهرام زاد هـذا الر
طولاً . وحوالي ٢٦٢٥ ق . م . زاد القوم على هذا الرداء بعض الحلية . وحوالي ٢٠٠٠ ق
صنعوا حزاماً لتثبيت الثياب حول الخاصرة انيق الشكل ينتهي مقدماً بانشوطة . ولما تف
القوم في صناعة المهلهل من الكتان لبسوا ثوباً آخراً تحته لستر العورة. اما الطاعنون في السن فك
يرتدون ثوباً كاسياً لجميع الجسم تقريبا. ومنذ سنة ١٥٥٥ ق . م انتشر بين القوم لباس الاثواب الفض
الواسعة المثبتة في الخاصرة . واصبح للذراعين كامل الحرية في الحركة لان الجزء العلوي المضاف
الجزء القديم لايحيط بالعضدين بل يكسوهما حتى وسطهما . وهذه هي الخطوة الاولى في ا
الاكمام . اما الجزء السفلي فحافظ على جزئيه بدون تغيير من حيث احتوائهِ على جزئين د
وخارجي . لكن يلاحظ ان الرداء الخارجي اخذ يقصر تدريجاً من الامام ويزداد طولاً من الخ

وفي سنة ١٣٨٠ « عهد اخناطون » ازداد الازار الداخلي طولاً وسعةً واما الزي الخار
فثني الى اعلا وثبت طرفه في الخاصرة فظهر بشكل منتفخ . والازار الداخلي كان مجعداً بهيئة
صغيرة « تعرف الآن باللفظ الفرنسي (پليسه) . ويلاحظ ان طرفا الحزام ينحدران اماماً الى اس
السرة . وبعد زوال اخناطون ودولته بطل زي عصره وصنع القوم لباسهم الخارجي أملساً وزا
طولاً عن قبل . هذا من حيث زي الرجال . اما لباس السيدات فيتكوَّن من رداء واسع او ق
واصل الى الكعبين لهُ كمان واسعان اوضيقان ملتصقان بالجلد. وهذا الرداء مثبت حول العنق بر
وكنَّ يلبسنَ فوق ذلك رداءً آخر قصيراً مثبتاً في الوسط بحزام

اما نساء الطبقة الراقية فكنَّ يرتدينَ قميصاً مثبتاً بحزام ملوَّن او بشريطين على الكتفين وف
هذا القميص كنَّ يرتدين جلباباً مهلهلاً من الكتان بأكمام طويلة ومربوطاً اماماً اسفل النهدين .
بعض الحفلات كانت النسوة يخرجنَ اذرعهنَّ اليمنى من اكمامهنَّ ويتركنَها عارية كما يشاهد ذلك
الرسم الوارد في عازفة العود. واما الاطفال فاعتاد القوم ان يلفوهم في ملاءات ويحملوهم على ظهور امه
او فوق صدورهن واعتادوا ايضاً استعمال التمائم لهم وذلك من ذهب او حجر بهيئة علامة الع
او الميزان قصد جلب الفضيلة والذكاء وابعاد العين الخبيثة او نكد الطالع كما يشاهد الآن بين عامة

من ذلك يتضح ان الزي المصري القديم تتوفر فيهِ كثير من الشروط الصحية كعدم الض
والخفة وموافقه مادته لمناخ القطر . وابتكر القوم طريقة عمل تمثال لنصف الجسم العل
« كالمعروف الآن باسم مانوكان » صنعوا عليهِ الملابس كالذي عثر عليهِ بمقبرة توت عنخ امو
بهذه الطريقة كانت الملابس تقطع وتخاط وترسل لصاحبها جاهزة مطابقة لجسمهِ من حيث الطو
والعرض وخلافه مما يزيد في مظهر الشكل رونقاً وجمالاً

« البقية في باب الاخبار العلمية »

تحديد الادب

بقلم حليم متري

يستطيع هذا الجيل الصاخب بشتى الظواهر أن يلهم الاديب من المعاني والصور ومن الأفكار والآراء ما يؤهله لدرس معضلات الحياة. ويستطيع هذا الجيل أن يلهم الاديب من التعابير المستحدثة والاخيلة الرائعة ما ينتج به ، أدباً خالصاً ممتازاً ؛ يستطيع هذا الجيل ان يلهم الاديب هذا ويستطيع أن يلهمه اكثر من هذا كل عهد من العهود أو جيل من الاجيال في تاريخ الحياة الانسانية وقد لا يحسب الادب قوة ناقدة اذا لم يطرق هذا الكون بحثاً ودرساً . وليست الحياة قاصرة على العلم بحقائق الاشياء بل ليست الحياة متجهة دائماً الى النظر الفلسفي أو متجهة دائماً الى الهدف العلمي . فالحياة العقلية في الانسان بدأت بالدين وستنتهي حتماً بالعلم . وأقول ستنتهي بالعلم لأن العلم بعيد الغور لا يستطيع عالم في أي فرع من فروعه أو قسم من أقسامه ان يحده ولا يستطيع ان يدل على نهايته . بل لقد استأثر العلم بكثير من الحقائق او ما يشبه الحقائق فلم يخرجها عن كونها « ظواهر اجتماعية » كغيرها من الظواهر العامة في الوجود . أليس يرى العلم في الفن أنهُ ظاهرة من ظواهر التاريخ ؟

ثم أليس يرى العلم في الدين انهُ ظاهرة من ظواهر الاجتماع كاللغة يبحثها على الضوء الارضي الذي يبحث عليه نشوء الجماعة نفسها. ويعلل ذلك بأن الدين وما يشبه الدين واللغة وما يشبه اللغة انما درا وجودها كما درت الجماعة نفسها وجودها في الحياة . . . ! واذن فالعلم هو التحليل والتطور عنده البحث والاستقصاء بل ان وظيفة العلم التي يسعى لاثباتها وصف الظواهر وتحليلها الى عناصرها الاولى . فالحياة العقلية اذن لا تستطيع ان تنتهي الى العلم الاَّ اذا مرت في مرحلة تطورها بالأدب والفلسفة . ولعلَّ اتصال الادب بالفلسفة مما جعل له مكانة خاصة في تراث الثقافة العالمية . بل لعل اتصال الادب بالفلسفة مما جعل للحياة العقلية هذا الانتاج الفكري القوي الذي ينمو بتطور الحياة نفسها ويسمو بما فيه من حيوية

أما الادب فهو الانتاج الفكري في قالب المنطق والخيال . وان كان التعبير عنهُ باللفظ المختار واعتماده على المادة والروح — ان صح هذا التعبير . ولا ينبغي للاديب أن ينحو نحواً خيالياً عاماً فيكون تعبيره حسيًّا فرديًّا أو ينحو نحو المنطق فيكون تعبيره علميًّا تركيبيًّا نائياً عن الروح الادبي. فطبيعة الادب اذن ان يمزج مزجاً دقيقاً ليجمع بين هاتين الناحيتين وهذا المزج هو التصور

دب بل هكذا يجب أن ننشىء الادب ونتواه . فنشوء الادب كنشوء أي كائن حي يتخذ طبيعته الاولى التي تحوي التراكيب والمعاني . فالتراكيب تهيء رسمه وقيمة وجوده . والمعاني تهيء للعقل ما يتضمنه من تعيين عبارة أو وصف خاطرة أو التبيان عن عاطفة . اذن يستمد عنصريه من اللغة ومن العقل فاللغة لها نشوؤها الخاص ولسنا بصدد بحثه فرجع «علم اللغات» والعقل له مناحيه واستنتاجاته ومظاهر تفكيره العامة

***

لادب فن من فنون الجمال . غايته تصوير ما في النفس الانسانية من معان وأوضاع وما في ع من أساليب ونظم . وما في الوجود من آثار قيمة لها مكانتها . وما في الحياة بوجه عام من وطبائع ومن أسباب ونتائج . على أن الادب في العصر الحديث يشمل مناحي جديدة في ات النفسية العميقة فيعرضها على انها طائفة شائقة من البحوث الخالدة التي تستحق التسجيل جب ان يعرض لها بكل ما فيه من آداة للبحث . . . وفي هذا الجو نشأت الدرامة والقصة ية وأشباهها من الآثار الممتعة . والادب لكي ينتهي الى هذا كله يتخذ العلم والفلسفة سبيلاً ج هذه الموضوعات . بل يتخذ أداته الطبيعية لايداعها في أجزل اسلوب وأقوى معنى . الادب حديثاً للفظ منمق أو عبارة موشاة انما الادب أسمى من أن يقصر على هذه الألفاظ ء التي اتسم بها كتّاب العصر الماضي عند ما كانت «المقامة» وأشباه المقامة والهجاء والمديح عر تطمو على هذا الفن الرائع . وحياة الادب في استيعاب شؤون الحياة نفسها فليس بدعاً ان ن الادب للاجتماع أو الاقتصاد أو التاريخ كما تحتكم للعلم أو كما تحتكم للفلسفة . فالادب مرآة اي الظواهر الحية بوجه عام . ولسنا بصدد حالات معينة أو طائفة من الآراء خاصة تدع الادب على بحث دون آخر . واذا كان العلم لم يدع شيئاً ماديًّا أو روحيًّا الاّ وتناوله بحثاً واستقصاء . ى بالادب أن يصور المثل الأعلى لاتساع الامد العقلي وسبر غور الحقائق المعنوية في اطراء لات الاجتماعية اذ انهُ من تحصيل الحاصل ان ينتهي الادب الى تقدير الالفاظ ودلالتها على ني . او المشتقات اللغوية فليس هذا موضوع الأدب . وليس هذا مجال البحث القائم على لوب العلمي . ولكي نقدر هذا ينبغي ان نعلم ان هناك طبقة من رجال الادب تقتصر للاساليب يمة التي محورها البهرجة والزينة . والتي تنفرد بالمديح حيناً وبالهجو حيناً او تفهم من الأدب آداة للكسب . ولعلّ هؤلاء يصورون احوال الناس وطرائقهم في الحياة كما تحكم المادة وحدها. ر الأدب ما استعمل في تصوير وجهة خاطئة في لباس من الصدق وان كان في هيكل من هياكل بان الرائق الجذاب . بل شر الأدب ما استعمل في الحياة لاكساب الشر معنى الخير وهو عنهُ . ولعلّ في تاريخ الشعراء والكتّاب في عصور الادب المتباينة ما يقرر هذه النظرية . ولعلّ في تاريخ عراء والكتّاب ما يعبر بأجلى بيان عن ابتذال الادب اذا ما استخدموه في مباذل عهودهم وجعلوه

حديثهم وعلاقاتهم بالخلفاء والامراء واصحاب السلطة ... ان العصور التي ساد فيها هذا الأدب
به فيها بتاتاً لنهضة ادبية جديرة بالتقدير . فليس تحقير النفوس والإعمال في غير صدق بأدب
لغ فيهِ الاسلوب حد الاعجاز . وليست الرفعة الكاذبة بمجدية خيراً على الحياة والواقع ، وان
ت باطياف الطبيعة وكان الفن فيها حقيقة ملموسة . فادب المديح او الهجاء له أسلوب خاص فيهِ
من الإثم والمبالغة

بين التقليد والخيال

ب ان نعلم ان هناك طبقة من الادباء تمجد هذا الروح القديم الذي سيطر على الحياة الادبية
دين الجاهلي والاسلامي . وقد انفرد هذا الروح بنزعة اللفظ المبهرج في مختلف المناسبات الادبية
الرسائل الخاصة والعامة والاحاديث والخطب والمديح والهجاء في الشعر والنثر والتفاسير
والتاريخ بوجه عام . فالكتابة بأسلوب معين متشابه في كل مناسبة تثبت معنى التقليد وتحصر
تها ولعل التقليد في الادب العربي يلمس لمساً شديداً في هذه الفصول التي كان يكلف الأدباء
الأدباء وضعها في سبيل الامراء والخلفاء من اصحاب القوة والسياسة فكان الأدب
ي ادب فئة خاصة لا تظفر فيه بعواطف العامة ولا تلمس فيهِ الروح الانساني الشعبي بل
ان تجد فيهِ هذه الالقاب ومظاهر الثراء واخبار المجالس التي يكثر فيها السمر والشراب
تصرت عليها حياة بعض الخلفاء والامراء والتوابع والخدم . ولعلّ هذا تلمسهُ في كثير من ادب
وأخبار الادباء . هذا الادب الذي ساد في العصر الوسيط . على ان العامة كان لها كلف شديد
ع القصص التي كانت تتلى عن الابطال والعظماء . وكان لها ولع خاص بهذه الموضوعات التي
حياة الناس ووقائع الملوك والقادة . وكان الكتّاب الشعبيون يثيرون بهذا شعوراً قوياً .
وضع الاقاصيص الخيالية التي لا تنطبق في كثير او قليل على الواقع والتي لا تخرج عن حد
في تصوير الوقائع والحوادث . وجد الكتّاب والشعراء اذن في هذا انصرافاً عن هذا الادب
ذي لا يعدو اصحاب السياسة وينحصر في مرضاتهم

أن هذا اللون من الأدب الخيالي كان نتيجة لازمة لعهد الأدب التقليدي وان كنا نرى
ن التقليدي والخيالي صوراً مشوّهة فيها كثير من التجني والتحريف عن الادب الواقعي .
لس في اشباه « الف ليلة وليلة » هذا اللون الظاهر للأدب الخيالي . فالف ليلة وليلة من
لدالة على النزعة الخيالية في الأدب . على ان هذا اللون الخيالي لم يترك غرضاً الاّ وعالجه في
طفى ودقة إداء وبلاغة تعبير

د اعتمد الادب الاوربي على هذه النزعة الخيالية العربية التي اكسبتهُ لوناً جديداً من الوان
التي كانت محط العواطف الانسانية الشعبية ترى فيهِ راحة وإقبالاً لمناحي غرائزها وتذكيرها

نشأ الادب «الرومانتيكي» على انقاض الحياة العربية . وانك لتلمس فيه روح الادب العربي في
ي والآراء والنتائج .. ويعييك التحليل والبحث اذا أرجعتهُ الى الادب اللاتيني .. لانهُ
تمي اليهِ بحال

النزعة الانفرادية والادب القومي

الادب نوعان خاص وعام . فالادب الخاص ما يصور حياة جماعة او امة . والادب العام
ور حياة جيل ملخصاً في مجموع طائفة من الامم والشعوب . والادب العام هو الادب الذي
التفكير الانساني والعقلية الاجتماعية في شتى مظاهرها . فالادب العربي له نزعته الخاصة في
ر الاموي وله نزعة اخرى تغايرها المغايرة كلها في العصر العباسي على ما بين العصرين من مواضع
ه ومناح للتمثيل . ولقد زخر الادب بلونيه الانشائي والوصفي في هذا العهد العباسي العظيم كما
لهذين اللونين ان يظهرا ظهوراً واضحاً ايضاً في غضون الحياة العربية بالاندلس . فكان للادب
منثور الكلام ومنظومه روح خاص وطابع ممتاز في املاء الخواطر النفسية والمشاعر
جتماعية . فكان الطابع الانساني لحياة هذه الطائفة الخاصة من الناس سبيلاً لانشاء الشاعر وسبيلاً
ي الادب العصري المصور للحياة «الارستقراطية» التي سادت جو الامراء والخلفاء . كما تناول
ب الوصفي حياة هذا الادب الانشائي تناولاً عامًّا يحلل ما فيه من قوة وضعف ومن خيال
نيقة . وبخلق هذا الادب الوصفي سادت الحياة الاجتماعية ظاهرة النقد في مناحيها المختلفة .
د نشأ الادب العام بنشوء العقلية الشرقية متمثلة في الجنسين السامي والآري . ولعلك تجد هذا
ضحاً في ادب القدماء المصريين . فهذه الناحية من حياتهم العقلية تجدها في قصص البردي
قاصيص الدينية التي اخذت تنمو في عصورهم الذهبية وقد تزعمها الكهان والملوك والزعماء .
دب الآري له نزعة خاصة من وجهة الخيال وفيه أثر الروح الشاعرة التي لا تحيى في جو التفكير
ي . والادب الآري يحوي فيما يحوي الادبين الهندي والفارسي والادب الهندي ادب الحكمة
لية والفلسفات الدينية والتصوف وله في الجوهر منزلة خاصة عند مؤرخي الآداب العامة .
دب الفارسي له تاريخ عظيم في سجل الآداب الشرقية وبهِ طائفة من صفوة الكتاب والشعراء
نجبين ويكفي ان نذكر على سبيل المثل منهم الشاعر العظيم الفردوسي صاحب الشاهنامة

والادب الذي يعبر عن رأي خاص لكاتب من الكتاب او جماعة من الجماعات هو الذي يدعو النزعة الانفرادية وأما الادب القومي فهو ادب خاص بأمة لاتستطيع ان ترده الى غيرها . فالادب بي أدب قومي لاتستطيع ان ترده بحال من الاحوال الى الاغريق او اليونان وانما الادب الانجليزي ادباً قوميًّا في نشأتهِ لانهُ يردُّ الى الادبين اللاتيني واليوناني . على ان الأدب العالمي بصفة عامة سما الى المثل العليا الجديرة بالتسجيل والخلود . والمثل الاعلى في الادب يمثل النظرة الفنية له . فقد

تكون هذه النظرة خاصة بالحقيقة او بالجمال او بالدين أو بالطبيعة . نعم النظرة الفنية لا النظرة العلمية او النظرة الطبيعية او النظرة الفلسفية . فالنظرة الفنية نظرة المزاج ونظرة النفس وطبيعة الخلق واكتمال الثقافة . واما ما عداها فنظرات فيها هذا اللون من الادراك العقلي الخاص بالنفس وكنه الاشياء او هذه الفلسفة التركيبية التي عبر عنها بادراك الحكيم الاجتماعي العالمي « سبنسر »

على ان نظرة الاديب في الحياة تحدد ادبه او تحدد عقليته الاجتماعية في الحياة والوجود وهذا ما يعبر عنهُ بمواهب الاديب وطابع أدبه أو ما ندعوهُ « رسالة الأديب ». فابسن كانت له رسالة في حياته وان عرف عنهُ طابع «الهوسة» وشو يماثله من الوجهة الاجتماعية في هذا العصر وولز له رسالة « العالمية » « وأتوفارنجر » له رسالة « الجنسية والنوع »

وعالمية الادب تكوّن عظمة الأنتاج العقلي لأمة أو أمم ولشعب أو شعوب على ان الأدب الذي يمثل العالمية من فجر التاريخ هو الأدب الاغريقي الذي يدعو الى كثير من التأمل والدرس والذي يصور في مجموعه أرقى نزعات الآداب واقواها . فالى اليوم يُعد غذاء طائفة كبيرة من اعلام الكتّاب وأئمتهم . بل ان طابع القوة لأدب هذا العصر يستقي خصائصه ومميزاته من عناصر الأدب الاغريقي

حرية الادب

هي روح البحث العلمي الذي يجعل من الادب فنًّا قائماً بنفسه فيهِ عناصر الاستقلال يتحدث عن الشعور والحس بل هذه الحرية ما ينبغي ان نتناول فيها الأدب كما نتناول ظواهر الحياة كلها تناوله كما نتناول فنون الجمال وكما يتناول العالم الرياضي أو الطبيعي الموضوعات العلمية بالبحث والتحليل . يجب ان نُخضع الأدب للحياة لا أن نخضع الحياة للأدب . فالجوهر ان نترك هذا المعتقد البالي الذي صور الأدب في هيكل القداسة والالوهية . والذي لم يجرؤ اصحاب الأدب القديم ان يبحثوه بانهُ شيء يستحق البحث . ان هذه الحرية تتيح للأديب حظًّا وافراً من قوة البحث بل ان هذه الحرية التي تسود جو الأدب هي الفضيلة العلمية التي يستطيع الأدب ان يفخر بها والتي تُعد دُرّة فكر في جبين الثقافة الحديثة

بين الادب والدين

الحياة كفكرة . و الحياة كمذهب من المذاهب . والحياة كما افهمها انا لا كما تفهمها انت . الحياة كحوار متصل بين اصحاب الأدب واصحاب العلم أو بين اصحاب الأدب واصحاب الدين جعلت عقول تتحفز للوصول الى معنى فيهِ شيء من الاستقرار وفيهِ شيء من الاقتناع . على ان الأدب الذي عاصر الدين من يوم بعثه كان ولم يزل عنصراً لازماً لنشره وكان ولم يزل سبباً لهذا

الضرام المستعر الذي يقوم بين اصحاب الأدب والفكر الحر وبين اصحاب الدين . فشاعر الم
لا تستقيم آراؤه واصحاب الدين وقد كان الغزالي متهماً بالالحاد وان مات وهو حجة الاسلام ،
يكون هذا سببهُ تعريض اصحاب الأدب برسالة العقيدة أو المذهب الديني ولقد كانت كت
روسو وڤولتير وريتان نقداً عنيفاً للمذاهب والمعتقدات بل أن « جحيم دانتي » أروع صورة
صور الأدب المناهض للدين . . مصدر هذا كله هذه الثورة التي طالما خبا أوارها في صد
الادباء المفكرين الذين يجعلون من اقلامهم سبيلاً لبعث الأدب الحي الذي يعبر عن مكنونات الن
الروحية وكان الادباء في اوربا في خفية هذا الصراع يسيرون على نمط زعيمهم الأكبر « ديكارت
عندما نشر كتابه « عن الاسلوب » واصبح من حق المفكرين ان يقيموا الحجج أمام اصحاب ا
ممن استولوا على سلطة العلم والفن والثقافة في وقت واحد . وقد ظفر الأدب حقاً يوم اتيح له
ان تنفصل عن الكنيسة

بين الادب والسياسة

العلاقة بين السياسة والأدب قائمة على ممر العصور . لا سبيل الى قطعها . فقد تطغى السي
على الادب كما تطغى على العلم أو الفلسفة . فالتاريخ يحدثنا عن هذا كله والتاريخ يحدثنا مثلاً
فوز الأدب في فترات الخمود السياسي . والتاريخ يحدثنا ايضاً عن ازدهار الأدب في إبان النهضات السياس
نعم قد تدعو السياسة الى نهوض الأدب أو الى اهماله وقد تكون السياسة باعثاً قويًّا على ذ
وذيوعه ولكن الادب في الحالين لا يكون صالحاً للتعبير عن المثل الأعلى الذي من اجله وج
فالأدب قد يقرر هذه الحالات كلها وقد يعرض لها في شيء من التحليل والتفصيل

على ان هذه الحالات استحقت التسجيل والتقرير فهي صورة من صور الوصف المحدود بالز
والمكان أو هي صورة نقدية لعصر من العصور ادعى للاثبات . وان كان الفن فيها مفقود
شبيهاً بالمفقود

نعم قد تعتور الأدب فترات ركود أو خمود ويكون سببها هذه المحن السياسية وهذه الدو
الخفية التي تحوط الجو الأدبي . ولكن الثورات السياسة التي تعرض للحياة الاجتماعية ك
ما تنهض بالأدب فيبرز في حلته الرائعة ومظهره الاعلى . وقد نرى ابلغ دليل نهضة الأدب الفر
الثائر عقب نهوض الثورة الفرنسية الكبرى متمشياً مع النهوض الاجتماعي الفكري في كل مظا
وكذلك نهضة الأدب الانجليزي في اواسط القرن التاسع عشر في اعقاب عهد « اليصابات » و
نجده في العصر الفكتوري المجيد

المعادن والتبعات الدولية

مكانتها في الصناعة

وصلتها بالحرب والسلام

يعتمد الانسان كل الاعتماد على الوسط الذي يعيش فيهِ . ولكن هـذا الوسط قد بلغ من التعقيد في هذا العصر بحيث يتعرّض الانسان لنسيان العوامل الطبيعية والحيوية التي لا غنى عنها لحياتهِ . فارتقاؤهُ الاجتماعي الى المرتبة التي بلغها الآن ، قد استغرق نحو مائتي الف سنة ، كان همّهُ الاكبر في خـلالها ، حاجتهُ الى الطعام ، والى وسط مؤاتٍ يعيش فيهِ ، ورغبتهُ في انجاب الاولاد . ولا تزال هذه البواعث بوجهٍ عام همهُ الاكبر الآن . الاّ ان التقدُّم الاجتماعي في القرون الحديثة ، وخبرة اسـلافهِ المتجمعة ، وسعت نطاق الوسط الاجتماعي ، وجعلتهُ شديد التعقيد فأصبح يشتمل في ما يشتمل عليهِ على جميع الوسائل اللازمة لصحتهِ الخاصة وصحة جماعتهِ والاساليب التي لا غنى عنها لرفاهتهِ وسعادتهِ

فحياة ملايين من الناس في هذا العصر ، لا تعتمد على انتزاع المواد اللازمة للحياة من صدر الطبيعة بالسعي الفردي ، بقدر ما تعتمد على نظام اجتماعي ، يمكن الجماعة من جمع المواد الخام وتحويلها بالصناعة الى عروض وبضائع نراها اليوم اشدّ ما نكون حاجةً اليها ، بل لا غنى لنا عنها

ففي هذا العصر ، الذي انتظمت فيهِ الصناعة على اساس واسع النطاق ، وساء فيهِ التوزيع . يميل الانسان الى ان ينسى ان المواد الخام من حيث توزيعها الجغرافي ، وجودتها ، ومقاديرها ، مسيطرة على حضارتنا الحديثة

ويمكن ان تقسم مصادر الثروة الطبيعية الى قسمين عامين احدهما زراعيٌّ ، والثاني معدنيٌّ ، وقد ازداد مقام المواد المعدنية في ارتقاء الانسان الاجتماعي ، ازدياداً مطرداً حتى بلغ ذروتهُ في هذا العصر الذي اطلق عليهِ بعض الكتّاب اسم « العصر الآلي » او « العصر الميكانيكي »

ولا يحتاج الكاتب الى اقامة الدليل على انهُ لولا الفلزّات ، لما كان في المصانع آلات ومحرّكات ، ولا في الاسواق ما تنتجهُ المعامل من العروض . ومن خواص الفلزات metals انها تستخلص جميعاً من معادن Minerals . والمعادن التي لها قيمة اقتصادية مركزة في الغالب في أتربة وصخور تعرف باسم تبر او ركاز Ore . فاذا نقد التبر تعذّر على الانسان ان يصنعهُ . فالمعادن ، تختلف عن مواد الغذاء واللباس ، في انها مما لا يمكنه صنعهُ ، كما نصنع الحرير الصناعي بدلاً من الحرير الطبيعي .

، الوقود المعدني عبارة عن طاقة مخزونة تألبت عوامل طبيعية خلال ملايين من السنين على خلقها وسع الانسان ان يستهلكها ولكنهُ عاجزٌ عن صنعها . فنفاد مصادر الثروة المعدنية ، مرهون كشف منها، مما لم يكشف حتى الآن. وبمعدل استهلاكها . ومما لا ريب فيه ان الانسان لم يكشف الآن جميع مصادر الثروة المعدنية . وقد ارتقت في العهد الاخير الاساليب العلمية في البحث المعادن المطمورة في احشاء الارض والاعتماد عليها زاد مايعرف عن انواع الوقود والمعادن المخزونة

الاّ ان موضوع المصادر المعدنية كالفحم والنفط والمعادن الفلزية من ناحية توزيعها الجغرافي جدًّا من الوجهة الدولية من موضوع نفادها وتعيين ميعاده

فاذا صرفنا النظر عن الفلزات الثمينة اي البلاتين والذهب والفضة ، وجدنا اثني عشر فلزًّا مًّا توجد في مركبات معدنية معقّدة . ففي بيان احصائي لحكومة الولايات المتحدة الاميركية ناك ٢٨ معدناً تبلغ قيمتها سبعون في المائة من جميع المواد الخام المعدنية التي تتداولها التجارة . ويدل بحث الجغرافي الاقتصادي ، ان الولايات المتحدة الاميركية والامبراطورية البريطانية تسيطران لى ثلثي مصادر المعادن التي لا ندحة عنها للصناعة في هذا العصر. وبكلمة واحدة ان الشعوب الناطقة للغة الانكليزية قد فازت تدريجاً وبوسائل مختلفة بالسيطرة كلّ السيطرة او بعضها على الجانب الاكبر ن ثروة الارض المعدنية . واهم هذه المعادن الاساسية في الصناعة هي الحديد والنحاس والالومنيوم والرصاص والخارصيني (الزنك) والقصدير والنيكل وتليها المعادن اللازمة للاخلاط المعدنية اي التي تستعمل لتقسية المعادن الاساسية وهي الانتيمون والكروم والمنغنيس والتنغستن

ويضاف الى ما تقدم معادن غير فلزّية مثل الفحم والنفط والنترات والفوصفات والبوتاس وغيرها مما لاندحة عنهُ للنجاح الصناعي والزراعي

***

فاذا كانت الأحوال الدولية سوية ، فالولايات المتحدة الأميركية تملك مصادر جميع المعادن التي تحتاج اليها ، ما عدا فلزّات الاخلاط (الانتيمون والكروم والمنغنيس والتنغستن والنترات . وقد يكون من بواعث الدهشة عند القرّاء أن يعلموا ان الولايات المتحدة الاميركية تنتج في الاحوال السوية ٧١ في المائة من محصول النفط العالمي ولكنها تستهلك اكثر مما تنتج ولذلك تحتاج الى الاستيراد . اما المواد المعدنية التي تستطيع ان تصدرها اميركا الى الخارج ، لا ما تستخرجهُ منها من مناجمها يفوق ماتستهلكه فهي، الفحم والفوصفات والكبريت. ويمكن ان يقال بوجهٍ عام ، ان الولايات المتحدة الاميركية على غناها بالثروة المعدنية ، تفوق أية دولة اخرى مقدار ما تستهلكه منها

فاذا نظرنا الى المانيا وجدنا انها اصبحت بعد الحرب الكبرى ، ولا تملك مصادر للمعادن الفلزية تفي بحاجتها الداخلية . ففي بلاد مصادر محدودة جدًّا للنحاس والحديد والرصاص ، ثم انها تفتقر

كل الاعتماد على البلدان الاخرى في الحصول على سائر المعادن . الاّ انها غنية بالفحم والبوتاس وما يستخرج منهما يفوق ما تحتاج اليهِ منهما

أما فرنسا فلا تفضل المانيا كثيراً من هذا القبيل . فهي تستخرج من أرضها من الالومنيو والبوتاس والحديد اكثر مما تحتاج اليهِ منها ولكنها تحتاج ، كما تحتاج المانيا ، الى استيراد النفط وجانب مما تحتاج اليهِ من الفحم

أما انكلترا فما يستخرج منها من الفحم يفيض على حاجتها ، وحديدها يكفيها ، والمقادير المستخرجة من الرصاص والقصدير لا بأس بها . الاّ انها تحتاج الى استيراد كل معدن آخر . ولكن اذا حسبنا انكلترا قلب الامبراطورية البريطانية ، وجدنا ان ما يستخرج من الامبراطورية يفيض عن حاجتها جميعاً ويصدّر الى الخارج ، الاّ الانتيمون والبوتاس والزئبق

فقوة بريطانيا العظمى الاقتصادية تتوقف حقيقة على تماسك الامبراطورية البريطانية ، ومقدرتها على استخراج المعادن الضرورية اللازمة للصناعة من مصادر لها عليها سيطرة سياسية او اقتصادية . فاذا قوبلت من هذه الناحية بالولايات المتحدة الاميركية امكن القول بأن ثروتها المعدنية تفوق ثروة اميركا ولكنها لا تملك مصادر هذه الثروة في بلاد خاضعة لسيادتها المطلقة ، بل هي موزعة في بلدان مترامية في جميع اقطار الارض ، وتماسك هذه الاقطار يزداد صعوبة عاماً بعد عام

***

اما الحالة في اليابان من ناحية ثروتها المعدنية فهي اهم مشكلة يواجهها العالم في هذا الميدان . ففي اليابان خارصيني ونحاس ولكن ما يستخرج منهما يكاد لا يكفيها . وليس في بلادها الاّ بعض ما تحتاج اليهِ من الحديد ومركبات الكروم وعنصر المنغنيس والفحم والنفط . اما في ما عدا هذه المعادن فانها تعتمد على الاستيراد من الخارج كلّ الاعتماد . ولذلك ترى اليابان مهتمّة كلّ الاهتمام بالفوز بحق استغلال المناجم في البلدان المجاورة لها سدًّا لهذا النقص في ثروتها المعدنية وعند ذلك يمكنها ان تستقلّ من هذه الناحية عن الدول الاجنبية التي تستورد منها ما تحتاج اليهِ

وليس في البلجيك من هذه المعادن الاّ الفحم والنحاس وعليها ان تستورد كلّ ما عداها من الخارج

وموقف ايطاليا من هذا القبيل لا يقل حرجاً عن موقف اليابان . فليست تملك سيطرة ما على منابع النفط ولا مناجم للفحم بل انها ليست احسن حالاً في ما يخصّ الحديد والرصاص . ولا يخفى ان ايطاليا واليابان في الفريق الاول من الدول ، وكلاهما تسعى للاحتفاظ بمكانتها رغماً عن عوزها الشديد في مصادر المعادن . والواقع انهما اسوأ حالاً من انكلترا نفسها لو فصلت هذه عن الامبراطورية البريطانية

وتختلف اسبانيا عن معظم الدول التي تقدَّم ذكرها في ان ارضها تحتوي على مصادر غنية بالنحاس والحديد والرصاص والمنغنيس والزئبق . ولكنها لا تعنى الآن عناية كبيرة باستغلالها ولا يبعد ان تصبح باعثاً من بواعث الاضطراب بين الدول في غرب اوربا اذا ظلَّت كذلك

فقد قال السر توماس هلند ان «حدود الامم السياسية رسمت اصلاً بناء على اعتبارات زراعية لا صلة لها الآن بمصادر الثروة المعدنية داخلها» . وهذه حالة خطرة كان لها شأن كبير ولا يزال التجارة والسلام الدولي . فالتقدم العلمي والصناعي في صنع ادوات الحرب ومعداتها ، جعل المصادر المعدنية الطبيعية ، عاملاً حيويًّا في اعداد معدات الهجوم والدفاع . خذ مثلاً على ذلك عنصر التنغستن فهو مادة لا غنى عنها في صناعة اجود اصناف الصلب واقساها . وهو يستخرج في الغالب من كاز يدعى « ولفراميت » لا يوجد الاَّ في بورما تقريباً . ومناجم الولفراميت في بورما خاضعة لسيطرة الشركات البريطانية . فلما نشبت الحرب الكبرى سنة ١٩١٤ كان الالمان قد خزنوا من هذا الركاز ما يكفيهم سنتين . فلما نفد المخزون منهُ عمدت المانيا الى استعمال المولبدنوم بدلاً من التنغستن في صناعاتها الحربية . وكانت تستورده من بلاد محايدة هي بلاد النرويج . فردَّ الانكليز على ذلك بشرائهم كلَّ ما يستخرج من المولبدنوم في النرويج لمنعه عن المانيا . فعمدت المانيا الى فلز ثالث لا يساويهما في تقسية الصلب ولكنهُ يأتي بعدهما وهو عنصر النيكل وكانت تستورده من كندا البريطانية ! — بواسطة البلدان السكندينافية المحايدة . فحيلولة بريطانيا دون استعمال التنغستن المانيا كان صدمة كبيرة لالمانيا . ولو استطاعت ان تمنع عنها واردات النكل كذلك لفاز الحلفاء بتقديم ساعة الظفر

فهذه المسألة العلمية الصناعية لها صلة وثيقة بالعهود الدولية التي قطعت حديثاً لحفظ السلم وهذه العهود لن تنجح في تحقيق الغاية المنشودة الاَّ اذا نظر رجال السياسة الى توزيع المعادن كأداة من الادوات الفعالة في ضبط المعاملات الدولية في المستقبل . لانهُ اذا كانت المعادن لا ندحة عنها لحضارتنا الصناعية فهي جديرة بأن تخوض الشعوب غمار الحروب لاجلها . واذا كانت باعثاً من بواعث الحرب فالسيطرة عليها يجب ان تجعل أداة من أدوات السلم . وربط توزيع المعادن بالشؤون الدولية لا يحملنا على اقحام مسائل جدلية في الموضوع . فجميعنا نتفق على أمرين أحدهما رغبتنا في السلام . والثاني وضع بيان علمي للمعادن المطمورة في مختلف بلدان الارض ثم تنقيح كلما يطرأ على نوع المعادن المسيطرة على الصناعة

***

والخلاصة التي يخرج بها الباحث مما تقدَّم ان مصادر الثروة المعدنية في العالم يجب ان تعالج معالجة دولية . لانها اذا ظلت كما هي الآن موزعة توزيعاً غير متساوٍ بين الامم التي تحتاج [illegible] الاستئثار بها لابدَّ ان يبقى عاملاً من عوامل النزاع والحرب بين

تأثير العلم

في الفلسفة الحديثة والفكر الحديث

لطفي الباقر

العلم والصورة الكونية

مما يميز الفلسفة الحديثة عن سواها من الفلسفات السابقة مجابهتها طائفة كبيرة من الحقائق العلمية الجديدة عن الانسان وعن العالم . ومهما يختلف الناس في موقفهم تجاه الفلسفة والعلم ، بين تفضيل الواحد على الآخر ، او التعويل على الواحد دون الآخر ، فان محاولة التوفيق بين الاثنين تقتضي من كل مفكر يأمل لطريقته الفلسفية انتشاراً وتابعين ، أن يعترف بصورة العالم كما رسمها العلم الحديث ، وان يجعل المعرفة العلمية اساساً وخطة كائناً هدفهُ ما كان . وسر هذا السلطان : سلطان العلم على الفلسفة ، هو ما احرزه من ثقة الناس باساليبه ونتائجه وما احدثهُ في حياة البشر من انقلاب . فالطريقة العلمية اضحت المقياس العصري لكل بحث وتفكير ، والانقلاب الصناعي الذي انتجه العلم ، والحقائق الغريبة التي جمعها عن الكون وعن الانسان ، كل ذلك حدا بالفلسفة الى الخضوع لإرادة العلم سواء كان ذلك في تعيين موضوعات بحثها ام في قسرها على قبول ما تجمع لديه من حقائق عن الكون وعن الحياة

وسنرى في ما يلي أن ابرز واثبت طابع احدثهُ العلم في الفلسفة هو ما نتج عن الصورة التي رسمها العلم للعالم وللحياة ، والتي يمكن اجمالها بعبارة « العالم الميكانيكي المتطور » . ولتفصيل اجزاء هذه الصورة وتحليلها ، نقتطف نبذاً من الحقائق العلمية عن العالم وعن الانسان

قال اللورد بلفور : « ليس الانسان ، كما ينص على ذلك العلم الطبيعي ، العلة الغائية لوجود هذا العالم . وليس هو المخلوق الهابط من السماء والوارث لجميع العصور . وما نفس وجوده إلاّ حادث عارض ، وما تأريخه الاّ فترة قصيرة في حياة احقر سيار . ومع جهل العلم بتلك الاسباب الاولى التي انتجت هذا المخلوق العضوي الذي نسميه انساناً ، بتحويل مركبات عضوية مائتة ، فاننا نعرف أنهُ منذ البدء تضافر الجوع والتناحر والسفك على انشاء جنس يعرف أنهُ حقير وأنهُ لا شأن له في هذا الكون . لنستعرض الماضي فماذا نجد ؟ نجد ذلك الذي ندعوهُ تأريخاً ليس الاّ دماء ودموعاً : اخطاء وفظائع وثورات . والمستقبل ! ماذا في المستقبل ؟ نعرف انهُ بعد فترة ، طويلة اذا قوبلت بحياة الفرد ، وقصيرة اذا قوبلتها بما عرفناه عن حياة العالم ، ستنحلّ قوانا وسيزول مجد الشمس ، والأرض

الخامدة لن تتساهل بوجود الانسان الذي ازعج عزلتها برهة ، اذ ستؤدي به الى العد
وسيعقب هذه الطنطنة التي احدثها الانسان في احدى زوايا العالم ، سكون وهدوء ، فلا ما
خلود ولا أعمال ولا معرفة ، وحتى الموت نفسه والحب الذي هو أقوى منهُ ستكون
لم تكن مطلقاً »

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامرُ

اما العالم الفلكي فنجده يقول : « ليس عالمنا الاّ وحدة من مجموعة عوالم كثيرة تقف
حيارى اذ لا تمكننا وسائلنا من البحث في تلك الابعاد حيث يسود الظلام المطبق . وا
توغلنا في تلك العوالم لا يجدينا معرفة عنها فانه مكننا من ان نعرف اننا كلما ابتعدنا ع
ازدادت ضآلة شأن الانسان . وعرفنا ثلاثة اشياء ايضاً : (١) اطراد الناموس الطبيعي
الابعاداللامتناهية (٢) انتفاء البينة على وجود غاية يمكن العثورعليها في أي جانبٍ عن جوانب
الفسيح (٣) ان معرفتنا عن الكون وبحثنا في ارجائه لا تزيدنا أضأل أثر لوجود ذات روح

واذا سألنا البيولوجي أو السيكولوجي اجابنا : الانسان حي « كيماوي ط
— Physico-Chemical — وما أمله وطموحه وحبه وخوفه وأثرته وايثاره ومعرفته الاّ
تفاعلات كيماوية وقوانين تسيطر عليها فتكوّن الوان سلوكهِ وتصرفهِ » . والفيزائي
الذي كشف مجاهيل عالم الذرات المكوّن منها الانسان وعالمه ، يملي علينا الحقائق الآتية : «
التركيب الذري كشفت لنا عن ظواهر كان حتى نفس وجودها غير منتظر قبلاً . وبهذه
الجديدة نجد صورة «المادية» — Materialism — واضحة غير مشكوك فيها . ونحن في كل
ومعرفتنا لم نجد أي غاية للوجود . وكل ما نجسده في هذا الوجود هو الاتساق والنظام ا
من اطراد الناموس الطبيعي وانتظامهِ حتى لو قلنا بأن الكون سائر الى الفناء النهائي فذلك
وجود أية غاية ، كما لا يستلزم وقوف الساعة وعطلها قصداً سابقاً . وأخيراً لا نجد في هذا
الجديد من الكشوف العلمية مكاناً لأي فاعل روحاني . نعرف مما تتكون المادة ونعرف ا
ولكن الطاقة مادية من عالم المادة وليست من عالم الروح ولا يمكن ان تحلل الى الروح . ف
الروح إذن ؟ »

يظهر من ذلك أن العلم في مكتشفاتهِ ووسائله ما كشف عن أي أثر لصديق للانسان
الظواهر الطبيعية ، ولم يوفق خلال تنقله بين العوالم إلى أن يعثر على أية قوة إلـه
بالانسان ، او على اي مبدأ يضمن للانسان نجاحاً في كفاحه وغاية من وجوده . فعين العلم
الانسان الاّ وحيداً في عالم نفس وجوده فيهِ عارض وصدفة . واذا كان ما يراهُ العلم صحيحـ
حدا بالانسان ، من قديم الزمان حتى الآن ، إلى ان يشعر بأن هناك قوة سماوية تعنى بهِ وأنها خ
شيء من اجله ؟ الانثروبولوجي يجيبنا عن هـذا السؤال بقولهِ : « نحن حيوانات اجتما

تلك التي تعيش قطعاناً ، وكذلك كان اجدادنا منذ عصور كثيرة . وبغريزتنا الاجتماعية هذه الى العالم فندرك فيهِ الحنوّ والاخوّة والصداقة . هـذا ما يخبرنا بهِ دارسو الحيوانات جتماعية اثناء تدجينها بملاحظتهم ما يطرأ على عادات الحيوان الاجتماعي وعلاقة تلك الطوارىء بدة ذلك الحيوان وحنينه الى قطيعه المفقود . وكذلك تكونت عند الحيوانات الاجتماعية غريزة ث عن اصدقاء غير موجودين . فمن المحتمل إذن ، او قد يكون اكثر من المحتمل ، أن نشوء ة ذلك الصديق عند الانسان يرجع الى تلك الغريزة التي تتصف بها الحيوانات المجتمعة ؟ أي اصل الفكرة تشوق الانسان الاجتماعي الى البحث عن القطيع ، او دليل القطيع ، فتعدى في بحثهِ احدود الارض الى ما وراء النجوم »

ولكن العلم وان يكن لا يجرؤ على نفي ذلك الصديق قطعاً فانهُ زعزع امل الانسان في العثور ه وجعله وحيداً في هذا العالم الغريب . واذا لم يكن العلم قد نفى الصديق عن الانسان، فما سبب ا اليأس والتشاؤم ، او كيف استطاع العلم أن يزعزع أمل الانسان وايمانه ؟

استطاع العلم أن يزعزع ايمان الانسان وأمله لا لأنهُ قال لهُ او فرض عليهِ ان ينبذ الايمان ؟ لم لا ينفي شيئاً ولا يثبت شيئاً إلاَّ بعد التجربة والتمحيص . انهُ لم يقل ذلك مطلقاً ، ولكن هناك ر ثانوية مصاحبة للعلم وقد كان من أثرها زعزعة أمل الانسان وايمانه . وهذه الآثار هي : —

١ . تغلغل الروح العلمية او العقلية العلمية والثقة التي حازت عليها بين الناس جعلهم يتخذونها ياس المعول عليهِ في شتى القضايا حتى شمل تطبيقها البحث في كل فن . وهذه العقلية العلمية ، ا تتصف بهِ من شك وتجربة وتمحيص ، جعلت الانسان يقف بها تجاه الايمان والمعتقد كأنهما ية قابلة للتجربة والامتحان

٢ . وقد ينبعث ذلك الشك في الايمان من مصادر غـير الروح العلمية ، كما حدث وكما يحدث راد ليسوا علماء وليسوا متصفين بما نسميه العقلية العلمية . فتعرض الايمان للشك دوماً ، علقنا بالايمان وبالأمل اللذين يحدواننا الى السير في حياتنا قانعين بل ومغتبطين ، كل ذلك جعلنا حث دوماً عمَّا يقوي ذلك الايمان وذلك الامل في نفوسنا . ولطالما لجأنا الى وسائل شتى نعزز ايماننا ، فاتخذنا المنطق والفلسفة وصناعة الكلام ، بل والعلم ، سبيلاً الى الغاية نفسها . ولما تراكمت رفة الانسان في هذا القرن ، ووصلت الى ما وصلت اليهِ من الشموخ والتعالي والثقة ، لجأنا الى العلم أله ونريد منهُ أن يطمأننا في املنا وفي أمانينا وجعلناه الحكم في شكنا . ولكن بماذا أجاب ؟ يجب إلاَّ باللاادرية القاسية والعجز ، وهو الذي نعتقد فيهِ القوي القادر ، فزعزع ذلك أملنا نسرَّب الشك إلى ايماننا

٣ . ولو اقتصر الأمر على لا ادرية العلم تلك لهان الأمر ولسهل على كثير من النفوس أن تظل شبعة بسعادة الايمان والأمل ، ولكن الأمر تعدى ذلك الى كشف حقائق علمية عن الحياة والكون

مثل « المادية العلمية » التي هدم بها العلم عالم الروح ، ومثل قابلية فناء المادة ، وفناء العالم ، و
النشوء والارتقاء ، إلى غير ذلك مما له تأثير في اضعاف ذلك الايمان فينا

تجاه تلك الحقائق العلمية عن الكون والحياة نشأت مواقف مختلفة للمفكرين وسبل للفكر الحديث والفلسفة الحديثة : فطائفة من الناس عزَّ عليها أن تدع أي شك يتطرق إلى وابت ان تعترف بكل ما جاء به العلم عن الكون وعن الانسان . وهذه الطائفة المحافظة ليست مو بحثي ، وانما هناك فئات اخرى أثر فيها العلم فترك فيها نتائج مختلفة ، يمكن تصنيفها ودرجها كالآتي

١ — المتشائمون Pessimists

٢ — المتفائلون او المثاليون Optimists, Idealists

٣ — العمليون والطبيعيون Pragmatists. Naturalists

١ — المتشائمون

فالمتشائمون هم أول فريق ظهرت البوادر الاولى لنتائج تلك الحقائق العلمية في افكارهم ، نظرهم في الحياة . ولما طغت عليه نفوس هؤلاء من التشاؤم ، ولما امتازت به نتائج العلم ا من الاجماع على الاخذ بها ، كان لا بدَّ ان نجد تلك النفوس صاخبة او نسمعها نادبة حظ ا وباكية على النهاية المحزنة لقصة الانسان على هذه الارض . فنسمع مثل تنسون يقول « إذا هناك خلود فسأرمي بنفسي في اليم » . وفي ملحمته الذكرى In Memoriam — نجد العالم يعاني قاسية ومستمرة . ولكننا نجد في شوبنهور مثل تلك النتيجة واضحة ، ففلسفته هي ابلغ تـ عبث الجهود البشرية وعدم وجود غاية في الحياة وفي الطبيعة . وعنده ان قوى الحياة هي ا الأعمى والجهاد غير المجدي ، وان قوة غاشمة وغير مدبرة هي التي انتجت هذا العالم ومن عليه ، وهي التي يدعوها « بالارادة » . فهو يقول : « كل انسان وفترة وجوده في الحيا الأحلاماً قصيراً لارادة الحياة المستمرة . وما الانسان الا صورة زائلة ترسمها الطبيعة في الكثيرة لا تسمح لها في الظهور الاَّ برهة قصيرة تعود بعدها الى العدم لتفسح المجال غيرها »[1] وقد يجد الانسان في العلم وفي الفن وفي مساعدة غيره من اخوانه تعزية وملهاة . شوبنهور يرى أن هذه نفسها لا تستحق ما يقاسيه الانسان في سبيل الوصول اليها : شبهت الحياة بطريق متوهج بنار حامية إلاَّ بضعة اشبار باردة ، الفينا المنخدعين من الناس في تلك الاشبار الباردة تعلة وتعزية ، ووجدنا الذين نفذت انظارهم الى ما وراء ذلك الخداع حقيقة الكل ، ليس لديهم ما يتعزون به فينسحبون من الطريق »

وبعد ان بكى هؤلاء المتشائمون كثيراً وندبوا طويلاً آل بهم الجزع والاعياء الى البحـ

(١) « العالم كارادة وتمثيل » Die Welt als Wille und Vorstellung

التعلة والتعزية في الفن والجمال ، وصرنا نسمع مثل والتر باتر — Walter Pater — في كتابه — Conclusion to the Renaissance — ورينان في — Examen d'un Conscience Philosophique يبشرون بتجيل الفن والجمال كملجإ للانسان من تلك الحقائق العلمية المرة ؛ على انهُ وان ادعى اولئك المبشرون بأن تمجيدهم للفن وللجمال هو لاجل الفن والجمال ، الاّ اننا نستطيع أن نتلمس فيه صدى الصوت القديم القائل « لنأكل ونشرب ونكن سعداء فاننا غداً نموت » . وهكذا نجد هذه الابيقورية العصرية تتغاغل في روح العصر . اذ كل فلسفاتنا الاجتماعية حقًّا ، ما هي الاّ وسائل مزخرفة للتمتع بالاكل والشرب والحصول على الغبطة في أحسن شكل ممكن . فروح العصر على وفاق مع الخيام ، سواء اعترفنا بذلك ام أبينا الاعتراف

٢ — المتفائلون أو المثاليون

يختلف هؤلاء عن المتشائمين في انهم وان كان كثير منهم سلم كما سلم المتشائمون بالصورة التي رسمها العلم للعالم ، فقد ظلّ بينهم فريق كبير شديد الرغبة عن التحلي عن معتقداته الموروثة وآماله القديمة : فاتجه هـذا العدد منهم الى تلك النظريات التي انتجتها أخيلة الرمانتيكيين كرد فعل لصورة العـالم النيوتونية في عصرهم . وهكذا نجد النزعة المثالية (idealism) قد نمت من جديد وأضحى أصحابها يحاولون ان يبرهنوا على ان العلم لم يقص قصة الحياة الكاملة ، وان الطبيعة عاملة مع الانسان لخيره وصالحه . اي ان هذه النزعة المتجددة كانت نتيجة تردد تلك الفئة بين التخلي عن آمالها كل التخلي ، وبين الصعوبة التي وجدتها في رفض الحقائق العلمية ، فهي توفيق بين المعرفة والامل ، اي بين العقل والعاطفة . ووجد هذا الفريق في « كانت » خير حل للمشكلة وخير توفيق بين العلم وبين املهم . فهم كـكانت يعترفون بأن كل ما كشفه العلم صحيح وحقيقي ضمن دائرة العلم ، الاّ ان عالم العلم ما هو الاّ عالم الظواهر ، ويكمن وراءه او يتخلله عالم الحقيقة الذي يختلف كثيراً عن عالم الحس. وعلى هذا فعالم الحقيقة ليس كما يصوره العلم ميكانيكيًّا لا غاية له ، وانما هو عالم روحي اخلاقي يضمن للانسان جهوده وكفاحه . فأضحى هذا المعتقد خير تعزية لكثير من النفوس ، ولا سيما تلك المتعلقة بالايمان والامل ، اذ استطاعت أن تبرهن بهِ على وجود الله وان عجز العلم عن أن يجده ، وأن سوّغ قواعد الحياة الاجتماعية والدينية

إلاّ انهُ بعد انقضاء جيل ، اي في مستهل القرن العشرين ، نجد تلك النزعة المثالية وقد اخذ عدد معتنقيها يتناقص ، اذ نرى انفسنا أمام جيل النشوء والارتقاء ، حيث الايمان القديم يخلي المكان لايمان جديد هو « تمجيد النشوء والارتقاء » . وكما يسم كل معتقد معتنقيه بطوابع مختلفة ، كذلك الحال في هذا المعتقد الجديد الذي احدث وجهات نظر مختلفة بين المؤمنين بهِ : ففئة تمجد فكرة النشوء وتعلق عليهـا الآمال ، وترى أن على الانسان أن يجعل اتجاه سيره وفقاً لنواميس الطبيعة ووفقاً

وء ولا سيما بعد ان عرفت تلك النواميس . يحدثنا « سبنسر » عن ذلك فيقول : « إن
، في الحياة هو السعادة البشرية . والمجتمع الذي يعنى بكل فرد من افراده يفوز بالسعادة
. ونستطيع ان نخلق مثل ذلك المجتمع إذا أسسناه على مبادىء المنافسة والتزاحم الحر وعلى
لعنان للفرد يفعل ما يشاء لصالحه . وسيكون مجتمع المستقبل المتطور متسماً بالوفاق مع
ن الطبيعية ، وستكون مؤسساته على اتساق والبيئة البيولوجية والطبيعية . » وفئة اخرى
في هذا الايمان الجديد خير ضامن لتقدم الانسان وارتقائه وبلوغه الكمال ، فنراها تعقد
على الناموس الكوني في نشوء ذلك المجتمع الكامل . و « ماركس » يشبه سبنسر في تمجيد
النشوء والارتقاء ، الاّ انهُ يختلف عنهُ في فهم ذلك الناموس ، اذ « سبنسر » يراه مفضياً الى
.ية Individualism » في حين ان « ماركس » يراه مفضياً الى الاجتماعية والاشتراكية ،
، فيهِ العمال على آلات الانتاج ويستخدمونها لصالحهم . ففهم « ماركس » لناموس النشوء فهم
وليس فهماً بيولوجيًّا . وسواء أخذنا برأي ماركس الاجتماعي او برأي سبنسر الفردي . فان كلا
يمثل لنا كيف صار الناس يؤمنون بان هذا العالم « الميكانيكي المتطور » ليس شرًّا كما حسبه
ون ، وان الاعتقاد بهِ غير مفضٍ الى اليأس والتشاؤم وانما إلى الأمل اللامتناهي

هناك عدا الفئتين السالفتين ، فريق رأى ان خوى نظرية النشوء هو التغيير والتجدد ، وعلى
جعل هذا الفريق التجدد والتطور مثلاً أعلى . وعند هؤلاء ان ماهية التجدد هي الخلق
داع ، والانسان يحوز بعقله وذكائهِ اعظم قوة خالقة ومجددة . فدعهُ اذن يعيش ويخلق
ج . فاذا وقف نفسهُ على العمل والتجدد كان الانسان الطبيعي الحق .

وهناك طائفة اخرى يمثلها نيتشه ، ارى الضرورة تقضي بابداء الملاحظات الآتية على موقفها

١ — ادرك نيتشه انهُ اذا اخذنا بفكرة النشوء وبما تجهزنا به من مقاييس اخلاقية ، وجب علينا
شيء لنا مثلاً جديدة ومقاييس اخلاقية غير التي ورثناها والتي هي على طرفي نقيض والعالم المتطور
نعيش فيه فما كان حسناً في الوقت الذي كانت تحكم فيهِ العناية الإلهية لم يعد كذلك في وقتنا .
اردنا ان ننشىء جيلاً بديلاً قادراً على ان يسير والنواميس الطبيعية وجب علينا نبذ كل ما ورثناه
الماضي والذي من شأنهِ الاستسلام والضعف ومعاكسة نواميس النشوء والارتقاء

٢ — وعلى هذا المنوال نرى نيتشه يمجد المستقبل ويتصور نشوء الانسان الكامل ، على انهُ لا يتوقع
، بتركنا الامر الى العوامل الطبيعية تخلق لنا من تلقاء ذاتها ذلك الانسان . بل علينا ان نكدح ونعد
ة للمستقبل ، يجب ان نفعل ذلك وان تطلب الامر منا ان نكون قساة . ونحن ان لم نفعل ذلك
نسان بدلاً من ارتقائهِ الى كمال الآلهة ، سينحط الى مستوى الحشرات

٣ — اعتمد نيتشه اولاً على فلسفة شوبنهور ثم حرّر نفسهُ من الانطباع بصورة الحياة كما رآها
[illegible] التي تفرقهُ عن شوبنهور تبرز في رفضه الاخذ بالنتيجة السلبية التي

ينهور ، وهي الانهزام في وجه الحياة الحافلة بالكفاح والتناحر اللذين تفرضهما على الفرد الحياة » الشوبنهورية . اذ بذينك العاملين سيظهر « السبرمان » . وتوقع ظهور ذلك لكامل هو الذي جعل نيتشه يثبت في الميدان مسوّغاً كل ما يكلفنا ذلك التناحر من اتعاب أ مأساة الحياة الحاضرة اذ سيعقبها في المستقبل الفرح العظيم

وكثيراً ما يتهم نيتشه بتأليه الجشع التجاري والقومية والوطنية، مشجعاً الحروب والتناحر ب . ولكن لا شيء ابعد من هذا عن رأي نيتشه الذي يحتقر الصناعة الرأسمالية ويمقت لقادة المهرجين ، ويعتبر التوسع التجاري القومي ومعهُ الوطنية اسوأ انواع الشرور اذ يرى باء عائقة ومؤخرة لولادة ابن المستقبل — السبرمان —

٣ — العمليون او الطبيعيون

لفئة اقرب الى المتفائلين منها الى المتشائمين . الاّ فرق واحد هو ان المتفائلين ، لا سيما منهم ، يؤمنون باستخدام قوى الطبيعة والتعاون معها لتقريب ذلك اليوم الذي يولد الكامل

ن العمليين — وهم يمثلون الفلسفة الحديثة وبوجهٍ خاص في امريكا — يرون ان الانسان ا الذي يصورهُ العلم ليستطيع ان يعيش بذكائه وكفاحه حياة فردية او اجتماعية راقية . ' يجب نبذه كما لا يجب تمجيده تمجيداً اعمى ، بل من الخير ان نقبله كمسكن الانسان ستودع مواد عمله وصناعته

ان الانسان جزءًا من الطبيعة ونتاج قواها ، فانهُ ليستطيع ان يستغل تلك القوى لنفسه ، ذلك عقله وذكاءه اللذين منحته اياها الطبيعة . فالنشوئيون عبدة المستقبل والعمليون

هذه الفلسفة وليدة اليوم ، لاننا اذا رجعنا الى الماضي القينا في ميدان الفلسفة اليونانية وا وقالوا بأن الحياة شيء يجب ان يستمتع بهِ على ان تدار وتساس ميول الانسان الطبيعية ي فجر العلم الحديث نجد « بيكن » يبشر بالجيل العلم والعمل وباستخدام العلم لتسخير قوى ة الانسان . وهكذا نجد هذه النزعة «الطبيعية Naturalism» البيكونية وقد تحدت بنزعة ين هذه الفلسفة العصرية التي يمكن ان نسميها بالعملية او الآلية Pragmatism or Instr والتي يفاخر الاميركيون بأنها فلسفتهم الخاصة بهم . وربما اعدت الكرة فذكرت ن هذه الفلسفة الجديدة في الاعداد القادمة (جامعة شيكاغو)

مقام دراسة الشرق

في معاهد الولايات المتحدة الاميركية

جاء في خطاب لاحد العلماء الاميركيين منذ سنوات ما فحواه ان الغرب يغالي في الاهتمام بفكر اتصلت بهِ من القرون الوسطى ترمي الى جعل التاريخ القديم قائماً على صرحين هما صرح اليونان وصرح الرومان. ثم انهُ دعا متأدبة الامة الى نقض هذا القول الناقص لان لمصر وأشور وبابل وفينيقية ودول الحثيين والفرس والعبران نصيباً اعرق وأوفر من اليونان والرومان في تكوين العصور القديمة ولولا تحدر آثار هذه الشعوب الى فلاسفة الاغريق الذين تذوقوا طعمها وصبغوها بصبغتهم ثم اعطوها لاوروبة بواسطة الرومان لما كان لهذا الزمن ما يفاخر به من حضارة وعمران[1]

وان في الولايات المتحدة طائفة لا يستهان بها من جهابذة المستشرقين منصرفة الى دراسة الشرق درساً بعيد الغور، وحسب المرء ان يحضر اجتماعاتهم السنوية للوقوف على جهودهم الجبّارة في سبيل احياء ماضينا. وكان من حسن الطالع ان ضمتني جلسات الجمعية الاميركية الشرقية المنعقدة لسنتها المائة والسادسة والاربعين في مدينة فيلادلفيا في نيسان (ابريل) من الربيع المنصرم، فأعجبت بما لاحظته من رسوخ هؤلاء الباحثين الاعلام في معالجة الامور الشرقية لغوية وتاريخية وفلسفية وذهلت لما شاهدته من سعة اطلاعهم وفيض بيانهم في الاخذ بجميع المطالب العلمية ذات البال. وهم موفدون مما يزيد على مائة معهد وجمعية ومتحف منها امهات الجامعات والمتاحف الشهيرة والمكاتب الكبرى المنتشرة في طول البلاد وعرضها. ويوضح تضلعهم من العلوم الشرقية اختصاصهم الواسع فهذا مكبٌّ على اللغات السامية مثلاً وذلك اختصاصه اللغة البابلية (الاكادية) فقط وغيره يعرف كل ما يُعرف عن العرب او اليهود او مصر وما اشبه. واليك بعض الموضوعات التي تناولتها مباحث الاعضاء اوردها على سبيل المثال غير جاهل انها لا تمثل الاّ ناحية يسيرة من نواحي منهاجهم: رسالة حسن البصري في القدر — بحث في نشوء كلمات ساميّة منها ادريس وعمودة ودليلة وناداب — مقابلة بين الشتم عند البابليين واليهود والمصريين القدماء — نقوش سومرية (شمرية) تشير الى القربان — بحث في حياة الخصيان في القصور

وعبثاً نحاول وصف دقتهم وايجازهم واجادتهم المعنوية السائدة مناقشاتهم. فالروح العلمية المرفرفة على بهو الاجتماع كانت حقيقة بالثناء العاطر حتى لاح لي ان افضل ما يقتنيه الشرق من ثروة روحية حرية بالخلود قد انتقل الى هذه الديار النائية فانطلق ابناؤها يتبارون في درسه وتحليله

(1) Julian Morgenstern, Journal of the American Oriental Society, Vol. XLVIII, No. 2, 1928, p. 105.

ولعلّ شغفهم بهِ واقبالهم عليهِ انسام ما يحيق بموطنهم من مكاره اقتصادية وما يكتنفه من محن اجتماعية افضت اليها الازمة الحاضرة فاركبتهم مركباً خشناً لا تفهمه نحن الشرقيين وقد تعوّدنا عيشة البساطة والقناعة ولم يدّللنا نير المعامل والمصانع ولاسطا علينا تيّار المادة الجارف

ومما طالعتهُ رسالة وضعها باحثان من اعضاء الجمعية المذكورة احدهما استاذ في جامعة حونس هوبكنز العظيمة اتفق وادارة ذلك المعهد ان يقضي الشطر الاول من عامه في فلسطين منصرفاً الى البحث الاثري على ان يقفل راجعاً في الشطر الثاني ليتولّى منصبه التدريسي. والآخر استاذ كبير في جامعة بنسلفانيا . وقد اعلن الكاتبان تحت عنوان « الاستعداد لدرس الشرق الادنى وآثارهِ » ما للمباحث الاثرية الجارية في فلسطين من خطر الشأن على شريطة ان يكمل الدارس استعداده العلمي قبل مبارحة اميركا . ثم خصّا باباً من رسالتهما بالعراق واشارا الى اركان الملمّين بأحواله الجغرافية والتاريخية والاثرية ويؤخذ من كلامهما ان الشرق ينبوع عذب لا يرتوي ظمأ العالم منهُ آلاّ اذا جاب اقطاره وشاهد بأم العين ميادين الحضارة الاولى في ربوعه الفتانة (١)

ولمستشرقي الولايات المتحدة مدرستان بارزتان في الشرق العربي تقومان باعمال الحفر والتنقيب وهذا بصرف النظر عن وفود البحث الاثري في وادي النيل من امد بعيد . الاولى في بيت المقدس والاخرى في بغداد . ولا يُظهر فصل هاتين البعثتين مثل الاطلاع على نتائج اعمالهما التي افضت الى تعديل جانب كبير من تاريخ الشرق القديم وافراغ اخباره في حلة قشيبة . والعدول عن كثير من الحقائق المسلم بها قبلاً وتفسير الشؤون الخطيرة تفسيراً ينطبق على مكتشفات المنقبين الاخيرة

ولا بدّ لنا في هذه الرسالة ونحن نسعى الى تصوير عناية العالم الجديد بالنهضة الشرقية وتاريخها المجيد ونحاول اكتناه مايساور الرأي العام فيهِ من آثار الروح السامية من العرض لمقام اللغة العربية. واول ما يتبادر الى الذهن المساعي الحميدة التي يبذلها العلامة الدكتور فيليب حتي فما كاد يتسلم اعباء منصبه الخطير في جامعة برنستون حتى انبرى لاعلاء مقام العرب والتفرّغ لبثّ اخبارهم بين متعلمة القوم. وياليه المجال يتسع لذكر اعمالهِ . فانهُ عدا تأسيسه مطبعة عربية وجمعه شتات المخطوطات العربية من بعد ان حشد ما يزيد على الـ ١٥ الف مجلد عربي ثمين في مكتبة الجامعة اشتغل في ادّخار المال الكافي لتنظيم هذه المخطوطات وتولى الاشراف على وضع فهارسها وتقاويمها العلمية . ولا يقف عزمه عند هذا الحد بل انهُ ينوي البدء بمشروع واسع النطاق يستغرق عشرات السنين ويضمن جمع جميع ما في البلاد من مخطوطات عربية ونشر جانب هام منها . والى كل ذلك فهو يدأب ليل نهار في تأليف كتاب مستفيض في الانكليزية يحوي بين دفتيه تاريخ الامة العربية والمرجح ان يقضي ظهور هذا السفر العتيد الى طور جديد في دراسة الحضارة الشرقية في هذه القارّة ويضاعف العناية بآداب العرب وتمدنهم

(1) W. F. Albright, and E. A. Speiser, Suggested Approach to the Study of Near East Archaelogy, Philadelphia.

ولا جدال في ان الاوروبيين هم الذين سبقوا الى الفتوحات الباهرة في هذا المضمار فمنهم دي ساسي المتوفي في النصف الاول من القرن الاخير صاحب الايادي البيض على علم اصول اللغة العربية . وبعده قام في القرن ذاته ومن ابناء فرنسا ايضاً اديب فذّ لم يعدم ميوله الى الابحاث العلمية وقائمة مصنفاته وان كانت اليوم مفروغاً منها من الوجهة العلمية الاّ انها لا تزال حلقة مكينة في سلم ارتقاء المشرقيات عند اهل االغرب . نعني الكاتب الطائر الصيت ارنست رينان . فقد ألمّ بتاريخ فينيقية وتوغّل في شؤون بني اسرائيل منعماً نظراته في سفر ايوب وكان قد نشر قبل هذين المؤلفين بحثاً في تاريخ اللغات الساميّة . ومن آثاره « حياة المسيح » و « ابن رشد وعقيدته » وسواهما مما هو معروف لدى القراء . وأما المستشرق الالماني تيودور نولدكه فانه شيخ المستشرقين قاطبةً ولد سنة ١٨٣٦ ومات عن عمر كبير ومآثر خالدة في مختلف العلوم الشرقية التي تناولها وكانت ميوله جامعة شاملة فلم يهمل زاوية من زوايا المشرقيات بل طرقها كلها وصار حجة فيها

وفي مرتبة هؤلاء يعد العالمان هرغرونيه ودي غويه وهما لا يقلان تدقيقاً وتنقيباً وهذا الاخير حسبه ما نشره من تاريخ الطبري في مجلدات سهلة المأخذ زينها بالفهارس والحواشي العلمية

ومن المعاصرين الانكليز عالمان يجدر بنا الاشارة اليهما احدهما استاذ في جامعة كامبردج والآخر في اكسفورد اعني نكلسون وندّه مرغوليوث . اما الاول فأشهر مؤلفاته تاريخ الآداب العربية وا سوى ذلك ما يستحق الذكر مما نقله من الشعر الشرقي . وللاستاذ مرغوليوث جولات معهودة يشهد له فيها بطول الباع وقد أصدر تاريخ الدولة الاموية والدولة العباسية في لغته الخاصة نقلاً عن سلسلة جرجي زيدان التاريخية . الاّ ان درس المؤلفات الشرقية التي يصدرها المستشرقون منذ اكثر من قرن يحملنا على الاقرار للالمان بقصب السبق . ولكن احداث السياسة الاوربية والتضييق الفكري الذي يعانيه العلماء يحملان على الظن بان النشاط الفكري في اوربة في هذه الموضوعات التي لا يمكن ان تنهض الاّ في جو ملائم للبحث الحر سيتأخر لما انتاب حرية البحث في بعض بلدانها من مآس جسا

ثم ان عدد الفحول الالمان الذين امّوا هذه البلاد على اثر الانقلاب الاخير يدعم قولنا . أو يهبط بعضهم ارض الاتراك كذلك طلباً للسكينة والامن . ومنهم من هجر مسقط الرأس قادماً الى اميركا ولو لم يكن ممن استهدف لسهام الاضطهاد ، طمعاً بما في المهجر من بحبوحة العيش ووسائل النمو العقلي وسبل العمل الحرّ فما تقوم عليه النزعة الجديدة في الولايات المتحدة من الاعتناء بشؤون الشرق العلمية وما يغذيها من ميول صادقة لا تحفزها المطامع الاقتصادية والسياسية مضافاً الى ما يعتور الحياة الفكرية في القارّة الاوربية من الصعاب ينذر بانتقال معقل المشرقيات الى ما وراء بحر الظلمات في المستقبل غير البعيد

ولا ريب في انهُ اصبح لبلاد العرب ولغتهم وامتهم مكانة لم نعهدها من قبل . اما علو شأن البلاد فلان اجماع رأي العلماء يميل الى حسبانها مهد الساميين . واهمية اللغة العربية راجعة الى كونها

فتاح الفيلولوجيا السامية . واما مقام الامة فلانها انتى العناصر التي يتمثل فيها الجنس السامي ولقد لت هذه النظرية الجديدة الى قلب الاصول التي كان يتمشى عليها العلماء في درس التوراة . واول من مهد السبيل الى هذه الطفرة Pococke في القرن السابع عشر ثم قام Schultens فأيّدهُ وجاراهُ في وضع حجر الاساس حتى اذا ما جاء القرن التاسع عشر تمّت الفكرة الجديدة على يد العالَمين Wellhausen و W. Robertson Smith وقبل عشر سنوات ظهر كتاب للاستاذ مرغوليوث احتوى ثلاثاً من محاضراته تحت عنوان « علاقات بين العرب والاسرائيليين قبل نهوض الاسلام » ابان فيهِ كثيراً من الغوامض واثبت ان الشيء الكثير من تاريخ العبرانيين وآدابهم يسهل فهمه اذا درسناه بعد انعام النظر في اللغة العربية ولغة عرب الجنوب

ثم كانت السنة الماضية فأصدر العلامة الاميركي مكدونلد كتابه في « عبقرية العبرانيين الادبية » وذهب فيهِ الى ان آداب اليهود لازالت على مرّ السنين مدينة في تكوينها للغة الضاد وتوسع في مباحثه فجعل حياة النبي داود واشعاره شبيهة بسيرة امرؤ القيس وقصائده ضارباً امثالاً كثيرة على القارىء اللبيب ان يرجع اليها لرؤية ما يتوسم فيهِ من تشابه بين الشعرين . وقد قال هذا العالم ان مفسري العهد القديم في السنين المقبلة يجب ان يكونوا من الواقفين على متون اللغة العربية

واخيراً ظهر مؤلف للاستاذ مونتغومري سمّاه « الجزيرة العربيـة والتوراة » اتى فيهِ بحقائق ثابتة وآراء طريفة تؤكد بما يقبله العقل وتقرّه الشواهد التاريخية والعلمية ان فهم تاريخ اسرائيل لا يمكن ان يتمّ الاّ اذا تمكن الطالب من تفهم احوال الجزيرة . وقد شفع المؤلف اقواله بمستندات فيلولوجية وتاريخية ولا غرو فهو من اساطين العلمين ثم تطرّق الى تفصيل قضية المناخ في الجزيرة وازدياد الجفاف فيها على مرّ السنين والقرون ثم عرض لعلاقات العبرانيين التجارية بأبناء البادية وطرق باب الحكمة العربية وقابل بين هذه وما يجده الباحث في صفحات ايوب والامثال ثم عكف على الاسباب التي ادّت الى افول نجم العز في جنوب الجزيرة بعد تألقهِ ردحاً طويلاً من الدهر في العصور القديمة وتخلص بآراء حصيفة في أثر الصحراء الجلي الظاهر في ديانة العبرانيين

ومهما يكن من امر فان العناء بالمشرقيات في هذه الديار لهو مقرون بقسط وافر من التشجيع والتنشيط ويؤمل ان يظفر بمقام يليق بهِ وبالشرق الذي اوجده . وهاك كلام احد ائمة العلم الذين يؤبه لهم قال « يجب ان ندرس الشرق لانهُ لايزال مبعث النور والالهام ويجب ان نُعْنَى بتفهّم تعابير الساميين لان اللفظة من الفاظهم اشبه شيء بشحنة الكهرباء التي يحار الفهم في قدر قوتها والاحاطة بماهية طاقتها . هكذا تعجز السنتنا الغربية عن ازاحة الستار عن المعاني السامية وفقه مكنوناتها لانها ذات مرام بعيدة تستعصي علينا ولا عجب فهي متصلة باعماق النفس ولا سبيل الى سبر غورها الاّ بعد امعان شديد »

جامعة بنسلفانيا — الولايات المتحدة ادورد جرجي

الاسطول والبحرية

أيام محمد علي

للدكتور علي مظهر

— ١ —

في الوقت الذي أخذت فيه دول كثيرة تعد عدتها للهجوم أو للدفاع وفي الايام التي ترى فيها الدول تأمر أساطيلها ومراكبها الحربية بالتنقل من مرفإ الى مرفإ ومن ثغر الى ثغر وفي الشهور التي تنادي فيها أمم بالويل والثبور وعظائم الامور لمن يعتدي على حرمة بلادها وتعدّ ما استطاعت من بأس وقوة ومن رباط الخيل ترهب به اعداءها ، دع الطيارات والمصفحات والدبابات والمهلكات والغازات الخانقة والسامة ، وفي الوقت الذي تدعي فيه بعض الشعوب ملكية بعض البحار فتقول عنه (بحرنا) وتأبى الاّ أن تكون سيدة ذلك البحر الخضمّ — في هذا الوقت الذي نرى فيه كل تلك المعدات ولا نرى لمصر فيها معدات تذكر فلا أسطول ولا بحرية ، يجب علينا أن نرجع البصر ونقلب صفحات الماضي المجيد فنذكر ما كان لنا من قوة وبأس ومن أسطول وبحرية ليس في الماضي المتراخي في القدم أيام الفراعنة ومن تلاهم فحسب بل وفي السنين القريبة منا التي يكاد يذكرها بعض المسنين ممن نعموا بالعيش فيها والتي يذكرها أولاد من اشتركوا في خدمة مصر في تلك الأيام حتى انا لنكاد نرى خيال تلك العظمة ماثلاً أمامنا اذا ما عثرنا على شيخ هرم اشترك في جيش ذلك العهد أو حدثنا رجل من اعيان الارياف عن أبيه الذي كان قبطاناً في الاسطول المصري أيام محمد علي

واني لأذكر يوماً في هذا الشهر جلست في صباحه مع عين من أعيان الفيوم وكان الحديث ذا شجون ورحنا ننتقل من حديث الى حديث وكان جلستنا وكانت على بحر يوسف ونحن نرى مياهه النيلية الحمراء تتدفق أمامنا وتمر بسرعة كما مرّ قرن أو يزيد على تلك الذكرى السارة المؤلمة ، ذكرتنا بما كان لمصر من عز ومنعة قبل قرن من الزمان أيام أبي الشعب المصري في العصر الحديث فاخذ الرجل يحدثنا عن ابيه الذي كان قبطاناً لسفينة حربية من سفن الاسطول المصري اذ كانت البحرية المصرية أيام منشئها محمد علي كالنيل النجاشي وهو يزخر بمياهه ويتدفق في عظمته وجلاله وما أصبحت عليه البحرية اليوم فهي كقناة صغيرة تستمد مياهها القليلة شادوف

يعمل فيه صاحبه بجهدٍ ليروي قيراطاً ومهماً من الارض. ولعلَّ رؤيا مياه بحر يوسف أمامنا وقتئذٍ وانتقال الخيال السريع هو الذي دعا ذلك السيد أن يحدثنا عن البحر والاساطيل والمراكب فتمر بالوسنان كشريط من اشرطة الصور المتحركة وأن يحدّثنا عن الماضي والآباء والجدود . وليس ذلك السيد هو الخَلَف الوحيد من سلالة من اشتركوا في قيادة السفن الحربية أيام محمد علي أو في بنائها فأنت أينما سرت وبحثت عثرت على ذريتهم منتشرة من ساحل البحر الابيض المتوسط الى أقاصي السودان . وكان ذلك الحديث هو الذي أثار الذكرى لاتمام بحثنا عن البحرية المصرية قديماً وحديثاً وكنا قد نشرنا جانباً كبيراً منهُ قبل اليوم على صفحات المقتطف. فلنعد اليوم الى ذكر مفخرة من مفاخر الاجيال ونشر شذا الذكر الطيب عن تلك الايام السعيدة بعد أن شغلتنا أمور عن نشرها

محمد علي والبحرية المصرية

يمكن تقسيم الكلام على البحرية المصرية الى قسمين كل قسم منها يخصص الكلام فيه على مدة فالمدة الاولى تبدأ بسنة ١٢٢٤ هـ الموافقة لسنة ١٨١٠ ميلادية وتنتهي سنة ١٢٤٣ هـ الموافقة لسنة ١٨٢٩ والمدة الثانية تبدأ من سنة ١٢٤٤ هـ الموافقة لسنة ١٨٢٩ ميلادية وتنتهي بولاية ابراهيم باشا سنة ١٢٦٥ هـ الموافقة لسنة ١٨٤٨ ميلادية

المدة الاولى

بعد أن لبث محمد علي والياً على مصر عدة سنوات ارسلت اليهِ الدولة التركية العثمانية أمراً بتوجيه حملة عسكرية على الوهابيين لاسترداد البلاد التي احتلوها من الحجاز خشية استفحال أمر دولتهم الناشئة في قلب جزيرة العرب . فرأى محمد علي ان نقل الجنود والمعدات الحربية من مصر الى الحجاز غير ميسور الاَّ على ظهور المراكب عن طريق البحر الاحمر فبادر الى تشييد دار صناعة السفن ببولاق لانشاء تلك السفن فأمر بقطع الاشجار الصالحة لبناء السفن وتجهيزها ثم تنقل مفككة على ظهور الابل الى السويس فتركب هناك ثم تنزل في البحر لحمل الرجال والعتاد الحربي والمؤن والذخائر وبذا يمكن أن يقال ان تلك السفن المنشأة كانت النواة الاولى للبحرية المصرية أيام ذلك الرجل العظيم وكان لتلك السفن فضل كبير في نجاح الحملة التي وجهت الى الوهابيين وجعلت لمصر مقاماً وهيبة في البحر الاحمر وثغوره

وقد ذكر الجبرتي في تاريخه في حوادث شهر ذي الحجة سنة ١٢٢٤ هـ ما نصه :

واستهلَّ شهر ذي الحجة بيوم الاحد سنة ١٢٢٤ هـ (يوافق ٧ يناير سنة ١٨١٠ ميلادية) وفيه شرع الباشا (يريد محمداً عليًّا) في انشاء مراكب لبحر القلزم (البحر الاحمر) . فطلب الاخشاب الصالحة لذلك . وارسل المعينين لقطع اشجار التوت والنبق من القطر المصري القبلي والبحري وغيرها من الاخشاب المجلوبة من الروم (بلاد الاناضول) . وجعل بساحل بولاق ترسخانة (دار صناعة

ن)وورشات(معامل ومصانع)وجمعوا الصنّاع والنجّارين والنشّارين فيهيئونها وتحمل اخشابها لجمال ويركّبها الصنّاع بالسويس سفينة ثم يقلفطونها ويبيضونها ويلقونها في البحر فعملوا اربع ن كبار احداها تسمى الابريق (لشبهها بالابريق وكانت عبارة عن سفينة بساريتين وقلوع مربعة ها عند الافرنج بريك) وخلاف ذلك داوات لحمل السفار والبضائع

ويفهم من كلام الجبرتي في حوادث سنة ١٢٢٧ هـ (توافق سنة ١٨١٢ م .) أن دار صناعة ق كانت تنشىء (المراكب الكبار والصغار التي تسرح في النيل من قبلي الى بحري ومن بحري قبلي ولا يبطل الانشاء والاعمال والعمل على الدوام وكل ذلك على ذمته (على حساب محمد علي باشا) منها وعمارتها ولوازمها وملاحوها باجرتهم على طرفه لا بالضمان كما كان في السابق . ولهم قوّمة باشرون متقيدون بذلك الليل والنهار)

ثم انهُ ذكر في حوادث تلك السنة عينها ما نصهُ :

ان الباشا ارسل لقطع الاشجار المحتاج اليها في عمل المراكب مثل التوت والنبق من جميع البلاد بحرية والبحرية فلبث المعيّنون لذلك في البلاد فلم يبقوا من ذلك الاّ القليل لمصالحة اصحابهِ بالرشا البراطيل حتى يتركوا لهم ما يتركون فيجتمع بترسخانة (دار صناعة السفن ببولاق) الاخشاب سناعة المراكب مع ما ينضم اليها من الاخشاب الرومية (من بلاد الاناضول) شيء عظيم جدًّا تعجب منهُ الناظر من كثرته . وكلما نقص منهُ شيء في العمل اجتمع خلافه اكثر منهُ

وعاد الجبرتي فذكر في حوادث سنة ١٢٣١ هـ (توافق ١٨١٦ م .) ما نصه : والعمل والانشاء بالترسخانة مستمر على الدوام والرؤساء والملاحون يخدمون فيها بالاجرة وعمارة خللها واحبالها وجميع احتياجاتها على طرف الترسخانة . ولذلك مباشرون وكتّاب وامناء يكتبون ويقيدون الصادر والوارد . وهذه الترسخانة بساحل بولاق بها الاخشاب الكثيرة والمتنوعة وما يصلح للعمائر والمراكب ويأتي اليها المجلوب من البلاد الرومية (الاناضول وغيره) والشامية . فاذا ورد شيء من انواع الاخشاب سمحوا للخشابة بشيء يسير منها بالثمن الزائد ورفع الباقي الى الترسخانة . اهـ

ففي دار صناعة السفن ببولاق كان انشاء البحرية المصرية الاولى ايام محمد علي وفيها انشأ سفناً كباراً حتى رأى انشاء دار الصناعة بالاسكندرية . ويقال ان ذلك المجهود الهائل من نقل الاخشاب من مختلف بلدان مصر والشام والاناضول وبقية البلاد التركية الى بولاق لعمل السفن مفككة لتنقل على ظهور الجمال كان يستدعي استخدام نيفاً وعشرة آلاف من الابل كان يهلك بعضها اثناء العمل فيعوض بغيرها وامكنهُ بذلك ان ينشىء ثماني عشرة سفينة كبيرة كاملة العدة وانزالها الى الماء في مدة عشرة اشهر [1] وذكر اسمعيل باشا سرهنك في كتابهِ (حقائق الاخبار عن دول البحار ج٢ ص ٢٢٦) بعد الكلام عن دار صناعة بولاق ما نصه :

(١) المسيو فيلكس مانجان F. Mangin في تاريخه عن مصر مطبوع بباريس سنة ١٨٣٩

شيد بالسويس مباني لصناعة السفن انشأ بها اربع سفن جسيمة من نوع الابريق (وهي سفن تين وقلوع مربعة) واحدى عشرة سفينة اخرى من نوع السكونة (وهي سفينة بسارية واحدة ع مربعة ونصف سارية ذات قلوع مخروطية). ثم توجه العزيز (يعني محمداً عليًّا) بنفسه الى س لمشارفة ما بها من السفائن سنة ١٢٢٥ هـ. وهنالك امر بضبط ما بها من المراكب وما غيرها واحل البحر الاحمر لاستعمالها في الحملة الوهابية. وترى سرهنك باشا رحمهُ الله (ص ٢٢٨) عودة الوهابيين للقتال بعد تعهدهم بالكف عنهُ فقال ما نصه: واستعد محمد علي باشا لقتالهم السفن ببولاق مصر لحمل الجنود بالميل الى مدينة قنا لتسير من هناك الى ثغر القصير على هذه القوة ولده ابراهيم باشا (١٢ شوال سنة ١٢٣١ هـ — ٣ سبتمبر سنة ١٨١٦ م.) واسطول البحر الاحمر الى ينبع اه وهذه كانت الحملة الثانية لمحاربة الوهابية كما يفهم من الكلام. ويظهر ان الفرق في عدد السفن التي امر محمد علي ببنائها في رواية مسيو فيلكس ورواية سرهنك باشا وهو ثلاث سفن هو الذي اخذه محمد علي مما وجده بالسويس كما لى ذلك الباشا في روايته هذه

الاسطول المصري في البحر المتوسط

ان محمداً عليًّا كان ذا نفس وثابة طموحاً الى نشء دولة كبيرة بعيد النظر لحماية لاده فرأى ء اسطولاً ضخماً الى جانب الجيش الذي كوَّنهُ المحافظة و لدفاع عن البلاد ولفتح كما رأينا ة ذلك الرجل العظيم

ا كانت مراكبه التي اصبحت تمخر البحر الاحمر لا يمكنها ان تسير الى البحر المتوسط اذ لم ... ة قد انشئت وقتئذٍ. ولما كان يعلم أن بلاده في حاجة الى اسطول يحمي شواطئها والى بحرية ليستعين بها على نقل المتاجر والمعدات ولتكون صلة وصل بين مصر وغيرها ل الاخرى لهذا رأى ان ينشىء عمارة مصرية واسطولاً قويًّا يمخر عباب البحر المتوسط ية وآسيا واوربا

أ اولاً الى شراء سفن حربية من الخارج واوصى على انشاء بعضها في ثغور اوربا مثل وليفورن وتريستا وجنوه وسلحها بالمدافع وعهد بقيادتها الى قباطين من الاسكندرية كانوا بالسفن التجارية. اما ملاحوها ونوتيتها فكانوا من المتطوعين. وعهد الى بعض ن فرنسا وايطاليا في تدريب البحارة وتعليمهم. يضاف الى ذلك سفينتان حربيتان كان محمود العثماني قد اهداها اليه. اما السفن التي احضرها محمد علي بواسطة بعض تجار الفرنج ن نوع الفرقاطة والقرويت والابريق على مثال السفينتين اللتين اهديتا اليه من السلطان في الاسكندرية دار صناعة قديمة تبنى بها بعض السفن من طراز قديم وجعل شاكر افندي ي رئيساً للهندسة فيها وضم اليه رجلاً عرف ببراعته في فن بناء السفن وكانوا من مشهوري

المعلمين بالاسكندرية يسمى الحاج عمر فجعله محمد علي رئيساً للانشاء وعمارة السفن وجعل ا
احمد اغا ناظراً على بناء السفن . ولما حضر المسيو بيسون Pesson وكان من ضباط السفن ا
الفرنسية الى مصر في سنة ١٨٢١ وعرض خدمته على محمد علي جعله ملاحظاً للسفن التي امر بـ
في دور صناعات السفن بأوربا . وقد حاز ثقة الباشا (محمد علي) وارتقى حتى انعم عليه برتبة الب
وعرف بالفيس اميرال بيسون بك (اعني نائب امير البحر) . وأوجد ادارة خاصة للاس
المصرية وجعل صهره محرم بك محافظ الاسكندرية رئيسها مع احتفاظه بعمله كمحافظ

واشترى محمد علي عدة سفن شراعية لنقل الذخائر والمهمات كانت تجلب الاخشاب اللازمة
الصناعة الجديدة بالاسكندرية وقد كانت على الشاطىء الشرقي من الميناء الغربية جهة خط الصـ
بالاسكندرية . وجعل بها معامل للحدادة والنجارة والقلفطة وغير ذلك مما تحتاج اليهِ السفن الحر
وكانت تلك السفن الشراعية تجلب الاخشاب اللازمة من سواحل بلاد الاناضول

وقد اشتركت السفن التي انشأها محمـد علي في الاسكندرية مع السفن التي أمر بانشائها في
صناعة السفن باوروبا أو التي اشتراها والسفينتين اللتين اهديتا اليهِ من السلطان في وقعة ناؤ
بيلاد موره باليونان في يوم ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٢٧ م

ويرى صاحب السمو الامير العلامة عمر طوسون الذي يعنى عناية خاصة بأعمال جده الـ
ان السفن الحربية التي اشتركت في تلك المعركة كانت اربعاً وثلاثين قطعة غير سفن النقل التي
اربعاً واربعين ، وقد عرف الامير الجليل من سفن محمـد علي الحربية قبل موقعة ناڤارين
خمس فرقاطات وهي

(١) شير جهاد (٢) رشيد (٣) ثريا (٤) احسانيه (٥) جهادية وستة قراويت وغولنات
١ — بلنك جهاد — ٢ رهبر جهاد — ٣ نافارين — ٤ چيلان — ٥ وشنطن — ٦ ع

وقد سمى امين باشا سامي في كتابه تقويم النيل ج ٢ اثنتين من الفرقاطات المذكورة باسم س
والحربية بدلاً من ثريا وجهادية

ولا يسعنا الاَّ شكر سموه أجزل الشكر على هذا البحث القيم وعلى الصور التي سمح لنا
نسخ منها لبحثنا هذا كما توجد بعض الصور لفرقاطات محمد علي الاولى في كتاب (فرقاطات محمـ
الاولى من سنة ١٨٢٤ — سنة ١٨٢٧ لجورج دوين

Les Premières Fregates de Mohamed Aly 1824 – 1827 par Georges Donin

فليرجع اليهِ من يريد

ولمـا كانت موقعة ناڤارين البحرية من الشهرة التاريخية بمكان فقد رأينا أن نتكلم عليها
انتقالنا الى الدور الثاني من الكلام على البحرية والاسطول المصري أيام محمـد علي وموعدنا الـ
التالي ان شاء الله

هي الدنيا

للشاعر رشيد ايوب

بكتكَ عيون السحابْ اذا ادمعي لم تفي
ربيعي بشرخ الشبابْ اذ الحب لم ينطفي
وقلبيَ كالموقدِ

ويا صيفَ عمري اذا ذكرتُ زمان الصفا
اقول عداك الاذى عفا الله عما عفا
وعمَّا جَنَتْهُ يدي

وانت زمان الخريفْ فياحزن روحي عليكْ
مشيت بقلبي الضعيف بما قد تبقَّى لديكْ
من الامس نحو الغدِ

وجاء زمان الشتا وهبَّت رياح الشمالْ
فقلت لنفسي متى يحطُّ الغريبُ الرحالْ
ويمضي الى المرقدِ

حمامة وادي الغرامْ بحقِّ الحسان الملاحْ
قفي فوق تلك الخيامْ وصيحي المعنَّى استراحْ
وراح بلا موعدِ

أورقاء فوق الغصونْ بجمرتها تصطلي
انا قد برتني السنونْ وامسيت في معزلِ
ولا جمر في موقدي

مفردات النبات

بين اللغة والاستعمال

لمحمود مصطفى الدمياطي

اجتمع لي طائفة من أسماء المفردات النباتية وحررت ما يقابلها في بعض اللغ
الاجنبية لترتيبها في معجم والآن عنّ لي أن أنشرها تباعاً في مجلة المقتطف الغرا
بيان موجز أذكر فيه المفرد ووصفه وموطنه واستعماله مشيراً الى بعض فوائده في الزر
أو الصناعة أو التغذية أو الطب عسى أن يكون في ذلك بعض الفائدة — الدمياط

شجر النَّارَنْج

بفتح الراء وكسرها فارسيته (نَارَنْك) ولعلَّ أصله مشتق من السنسكريتية (نَاجْرَنْج (Nagrunga) وبالهندية (نَارَنْجي) (Narungee) تتفرع شجرته اقل من شجرة البرتقان كثير وفروعها الصغيرة خضراء اللون فاتحة. ولأوراقها ذنيبات (اعناق) للواحد منها جناحان متميز اكبر كثيراً منهما في ورقة البرتقان. وكذلك أزهارها بيض اكبر واذكى رائحة. وثمرتها في حـ البرتقانة الاَّ ان سطحها اكثر خشونة ولونه اصفر برتقاني يكون فاقعاً عنـد النضج. ولبها عصارة حامضة مرّة مقسوم الى ١٢ فصًّا أو ١٤

اسمه العلمي (Citrus aurantium, L., Var. Bigaradia, or amara, L.) (سيتروس اورانشيـ بيغارادیا او أمارا) او (Citrus vulgaris) (سيتروس ولغارس) وفصيلته السذابية (Rutaceæ) (روتاسيـة) وبالانجليزية (Marmalade, Sour, Bitter, or Seville Orange) وبالفرنسـ

(Bigaradier, ou Oranger amer)

قيل موطنه القديم جبال هيمالايا بالهند واصبح الآن يغرس في جميع المناطق الحـ وجنوب اوربا وجزائر آسورة بالمحيط الاطلنطي وجزائر الهند الغربية ومصر والشام والسود وغيرها من اجل ثماره وأزهاره واوراقه. اما ثماره فيصنع منها نوع من المربى والطريقة بـ ذ ان يبتدأ بتقطيع النارنجات الناضجة الى انصاف ثم الى ارباع وتنتزع ألباب الارباع وبذورها وتـ ثم تقطع القشور الى شرائح رفيعة وتنقع في المـاء اربعاً وعشرين ساعة وبعدئذٍ تغلى في مـ بمقدار ثلاثة ارطال ورطل من الماء لكل رطل من النارنجات حتى تصير لونها اصفر كالكهرمان ثم تـ

ثانية مع سكر مقداره ثلاثة ارطال عشرين دقيقة اخرى ويستمر في غليها حتى تصير فالوذجية فتكون مربى النارنج . وبعبارة اخرى يؤخذ لكل رطل من النارنجات ثلاثة ارطال وربع من الماء وثلاثة ارطال من السكر . وقد يصنع من القشور نوع من الحلوى تحفظ مسكّرة . ويسمى العنصر المرّ في قشر النارنج (هسپريدين) (Hesperidine) وفي بذوره (ليمونين) (Limonin)

وشجر النارنج يحصل من زهره الابيض الطيب الرائحة بالتقطير على زيت طيار ذكي الرائحة جدًّا يسمى (زيت نيرولي) (Neroli Oil) يدخل في صنع الروائح العطرية الثمينة وكثيراً ما يحصل عليه في جنوب فرنسا من زهر النارنج والبرتقان معاً فيكون بنسبة نصف جرام الى جرام واحد من الزيت من كل كيلوجرام من الزهر . وقد قدّر بعضهم ما ينتج من الفدان من زهر النارنج في بعض البلدان بخمسين جنيهاً وهو ربح وفير

ويستقطر من الاوراق والاغصان والثمار الفجّة الصغيرة زيت طيار آخر يسمى (زيت پتيجران) (Petitgrain Oil) يدخل في الروائح العطرية قيل احوده يأتي من پاراغواي بأمريكة الجنوبية

ويستقطر من الأزهار كذلك ماء الزهر المعروف وهو هاضم للطعام مضاد للتشنج والصداع هذا الى ان منقوع الاوراق مع اوراق البرتقان دواء مسكّن معروف في الطب . والنارنج بالنسبة الى ثماره ثلاثة اصناف :

١ — (النارنج العادي) والنارنجة منهُ كبيرة عصارية مرّة ولونها اصفر برتقالي فاقع وهو الذي يرتّب عادةً

٢ (النارنج الورديّ) وسطح النارنجة منهُ مثألل بلا نظام وهو نادر في مصر

٣ — (النارنج الحلو) شجرته كبيرة والنارنجة منه اصغر منها في العادي ويمتاز بعدم حموضة لبه لحلاوته في مرارة وبوفرة عصارته . قيل إنهُ كان في حديقة احمد طوسون باشا ابن محمد علي باشا بشبرا فكان يسمى (النارنج الطوسوني) وسمي ايضاً (بالنارنج اليوسفي) نسبةً الى يوسف افندي الذي كان محافظاً لرشيد على عهد المرحوم محمد علي باشا وصار بعد ذلك امين نزل في حربة كريد مع العساكر المصرية

شجر البرغموت

صنف من النارنج اوراقه شبيهة بأوراق الليمون ولهذا يقال لهُ في مصر (ليمون الجرجون) ورقتهُ مستطيلة قمتها حادة او منفرجة حافتها مسننة قد يكون لدنبيها جناحان . وأزهار البرغموت صغيرة ذكية الرائحة جدًّا . وثمرتهُ في شكل الكمثرى مستديرة من قمتها ضبقة من قاعدتها طولها تسعة سنتيمترات وعرضها سبعة تقريباً مقعرة عند اتصالها بالغصن . قشرتها رفيعة ملساء اومحببة سطحها اصفر اللون فاتح . لبها ابيض تقريباً رائحته ذكية جدًّا وطعمهُ حمضي قليلاً

اسمهُ العلمي (Citrus aurantium, L., var. Bergamia, Risso.) (سيتروس اورانشيوم برغاميا) من فصيلة النارنج واسمهُ بالانكليزية (Bergamot) وبالفرنسية (Bergamotier)

موطنهُ الصين وهو نادر في مصر وكثيراً ما يزرع بكلابريا في جنوب ايطاليا. اما ثمارهُ فيستقطر من قشورها زيت طيار ذكي الرائحة ثمين يقال له (زيت البرغموت) (Bergamot Oil) يدخل في تركيب الروائح العطرية جاء في بعض المراجع انهُ يحصل على ثلاثين اوقية منهُ من كل الف ثمرة وان ثمن هذا المقدار من الزيت جنيه ونصف الى جنيهين بحسب درجة نقاوته

هذا وقد يستخرج من الأزهار زيت آخر ايضاً له استعمالات كالسابق

وهناك صنف آخر من هذا الشجر مشهور بزيت أزهاره الذكي الرائحة جدًّا وارتفاع ثمنه وهذا الصنف يسمى بالفرنسية (بيغارديه) (Bigardier) قيل إنه يستقطر حرامان فقط من هذا الزيت من كل كيلو جرام من الزهر وان ثمن الرطل منه يتراوح بين ١٢ و١٨ جنيهاً

شجر البُرْتُقَان

أو (البُرْتُقَال) او (النَّارَنْج الحلو) وفي الشام (البَرْدُقَان) قيل إنهُ مشتق من التركية (پورْتُقَال) او (پُورْتُوقَال) او أنهُ نسبة للبورتغاليين الذين نشروه بين الناس بعد سياحاتهم الكثيرة الى بلاد الهند موطنهُ الاصلي فقد سماهُ فورسكال[1] (نارنج البرتغال) ويسميه الاسبان الى الآن نَارَانْجًا (Naranja) وما زال اهالي نيقوسية عاصمة قبرص يسمونهُ (پورتغالي)

ترتفع شجرته من ٨ اقدام الى ١٢ قدماً أوراقها مستطيلة خضراء اللون قاتمة. وأزهارها تنبثق على الاغصان فرادى او مجتمعة بتلاتها (وريقات التويج فيها) بيض ثخينة كثيرة العدد الزيتية المصفرة وثمرتها البرتقانه المعروفة سطحها اصفر واليهِ تنسب الصفرة البرتقانية ولبها حلو سكّري مقسوم الى ٨ فصوص او ١٠

اسمهُ العلمي (Citrus Aurantium, L., Var. sinensis, Gall. Citr. or dulcis Volk.) (سيتروس اورانشيوم سينفسيس او دولسيس) وفصيلته السذابية (Rutaceae) (روتاسية) وبالانجليزية (Common, or Sweet Orange) وبالفرنسية (Oranger)

موطنهُ قديماً في الجنوب الشرقي من آسيا وفي رأي في الهند الشمالية واصبح الآن يزرع في جميع المناطق الحارة وجنوب اوربا وجزائر آسورة بالمحيط الاطلنطي وجزائر الهند الغربية ومصر والشام والسودان وغيرها كما اصبحت تجارته تعود بربح وفير والبرتقان يؤكل عادة طازجاً كفاكهة

(١) بيتر فورسكال (Peter Forskal) الرحالة والعالم الطبيعي السويدي عاش من سنة (١٧٣٦ — ١٧٦٣م) وبعد ان اتم علومه في جامعة جوتنبرج بالمانيا ارسله ملك الدانيمارك في بعثة علمية الى مصر وبلاد العرب فوضع كتاباً في نباتات مصر وبلاد العرب وتوفي في ريمان قصبا به بالطاعون في يريم من بلاد اليمن

او يعتصر منهُ شراب او يتخذ منهُ نبيذ في بعض البلدان . ويحصل من قشوره بالتقطير على زيت طيار رخيص يعرف (بزيت البرتقان) يدخل في تركيب بعض الروائح العطرية الثمينة

ويحصل من أزهاره الطازجة كما في النارنج على زيت نيرولي الذي يدخل في صنع الروائح العطرية ويستقطر من اوراقهِ وثماره الصغيرة زيت طيار آخر استعماله كالسابق ويستخرج من الازهار ماء الزهر المعروف بفوائده في الطب في حالات التشنج والصداع . قيل إن الرائحة الخاصة في عسل شبه جزيرة سورّنتو القريبة من نابولي بايطاليا انما ترجع الى اغتذاء النحل من زهر البرتقان فيها

هذا وشجر البرتقان قد يكبر فيعمر طويلاً فقد جاء في بعض المراجع انهُ عمّر في قرطبة اسبانيا نحواً من ٧٠٠ سنة وان شجرة منهُ كانت معروفة باسم (جران بوربون) (Grand Bourbon) قرساي عمرت نحواً من ٤٦٠ سنة . أما خشب البرتقان فابيض اللون يضرب الى الصفرة صفيق صلب جيد في الصقل جميل المنظر عطري الرائحة لا يفتك به السوس يصلح لنجارة بعض الاثاث ولكنهُ لا يصمد للتغيرات الجوية

وعلى الاجمال فالمنتفع بهِ من شجر البرتقان انما هي الثمار والأزهار والاوراق والخشب . وهو بالنسبة الى ثماره اصناف كثيرة اهمها :

١ — (البرتقان البلدي) في مصر شجرته قوية كثيرة الثمر وهو جيد الطعم بوجه عام

٢ — (البرتقان السكّري) شجرتهُ غير شائكة وهو متوسط الحجم او كبيره قليل البذور معروف في مصر

٣ — (برتقان القديس ميخائيل) كبير الحجم قشرته رفيعة ولبه احمر قانٍ وطعمه جيد قيل بكثرة ما تنتجه شجرة واحدة منهُ إنها حملت عشرين الف برتقانة في السنة في جزائر آسورة المحيط الاطلنطي

٤ — (البرتقان ابو سرّة) ويعتبر اجود اصناف البرتقان كبير وفي طرف قمة الواحدة منهُ نكتة شبّهوها بالسرّة ولبه كثير العصارة يكاد يكون بلا بذور وشجرتهُ غير شائكة تقريباً تبكر حملها وقد انتشر في مصر حديثاً

٥ — (اليافاوي) ويقال له (الشاموتي) يمتاز بكبر البرتقانة وحجمها البيضي ولبها العصاري كثير وبقلّة البذور فيها او عدمها

٦ — (البرتقان الاحمر) ويقال له (أبو دم) وهو متوسط الحجم ذو لب قرمزيّ اللون قانٍ شبيه الدم قليل البذور شجرتهُ غير شائكة معروف بمصر

٧ — (برتقان بلنسية) صنف مستحدث شجره مشهور بطول وقت إنتاجه خلافاً للمعتاد

٨ — وثمّ نوع من البرتقان الياباني يقال لهُ (كومكوات) (Kumquat) من الفصيلة نفسها اسمهُ العلمي (Citrus japonica, Thunb.) (سيتروس چاپونيقا) ذائع في اليابان والصين ونادر

ي مصر ترتفع شجيرته من متر الى مترين اوراقها صغيرة رفيعة اهليلجية الشكل مستطيلة حافاتها ذات اسنان كبيرة . وثمراتها صغيرة الواحدة منها في حجم حبة كبيرة من العنب الافرنجي المسمّى الانجليزية (Gooseberry) أي عنب الاوز الذي هو نوع من (الريباس) (Ribes) والحبة سطحها اصفر برتقاني فاقع برّاق وقشرتها رفيعة حلوة الطعم ذات رائحة خاصة ولبها مزّ الطعم مقبول ينقسوم الى خمسة فصوص .

واهل اليابان والصين يزرعونهُ ويحبون اكل ثماره ذات القشور الحلوة والالباب المزّة وكثيراً ما يصنعون منها نوعاً من الحلوى المحفوظة مسكّرة او يتخذون منها مربى

شجر يوسف افندي

او (البرتقان اليوسفي) نسبةً الى رجل ارمني كان يسمى يوسف افندي ارسله المرحوم محمد علي باشا الى فرنسا لتعلم فن الزراعة الاوروبية فلما عاد في سنة ١٢٤٨ هجرية جاب معهُ صنفاً من البرتقان من ملطة غرسهُ بحديقة شبرا التي وظف بها وطعّم منهُ اصنافاً اخرى اهمها النارنج فتكاثر منه شجر يوسف افندي

وشجرة يوسف افندي ترتفع من ثلاثة امتار الى اربعة . فروعها رفيعة وأوراقها رمحية الشكل ملساء برّاقة تفوح منها وهي غضة رائحة عطرية . ثمرتها كالتفاحة حجماً وشكلاً . قشرتها رفيعة وسطحها اصفر اللون يضرب الى الحمرة تنزع بسهولة . وفصوصها سهلة الانفصال طعمها حلو لذيذ

اسمهُ العلمي (Citrus nobilis و Lour. Syn. Citrus deliciosa, Ten.) (سيتروس نوبيليس او سيتروس دليسيوزا) من فصيلة البرتقان وبالانجليزية (The Mandarin) وبالفرنسية (Mandarinier) موطنه الهند الصينية والآن عمّت زراعته في الهند وفلوريدا واوربا ومصر والشام والسودان وغيرها من اجل ثماره التي تؤكل فاكهة

وهو بالنسبة الى ثمره اصناف عديدة اهمها :

١ — (اليوسفي البلدي) معروف في مصر اغلبه حلو الطعم كثير العصارة والمظنون انهُ الاصل في الاصناف المصرية

٢ — (الملكي) صنف امريكي معروف بمصر نادر كبير الحجم جيد

٣ — (الهندي) ويعرف (بالسنترا) (Suntra) نادر في مصر مشهور بحلاوة طعمه

٤ — (الياباني) ويقال له (الساتزوما او الانخوس) (Satsuma or Unchus) كبير الحجم يكاد يكون بلا بذور وينشأ على اغصان شجره في شكل عناقيد كبيرة وهو نادر في مصر

٥ — (السيلاني) ويعرف (بالنازناران) (Nas-naran) في جزيرة سيلان الثمرة منه صغيرة الحجم أو متوسطته ولها طعم عطري خاص

سير الزمان

قناة السويس

مكانتها من الناحية الاستريتجية

للملازم الاول عبد الرحمن ذكي

طبيعة الحبشة الجغرافية

وصلتها بمنعتها الحربية

ملخص تاريخى

لصلة الحبشة باوربا

الدستور السوفياتى

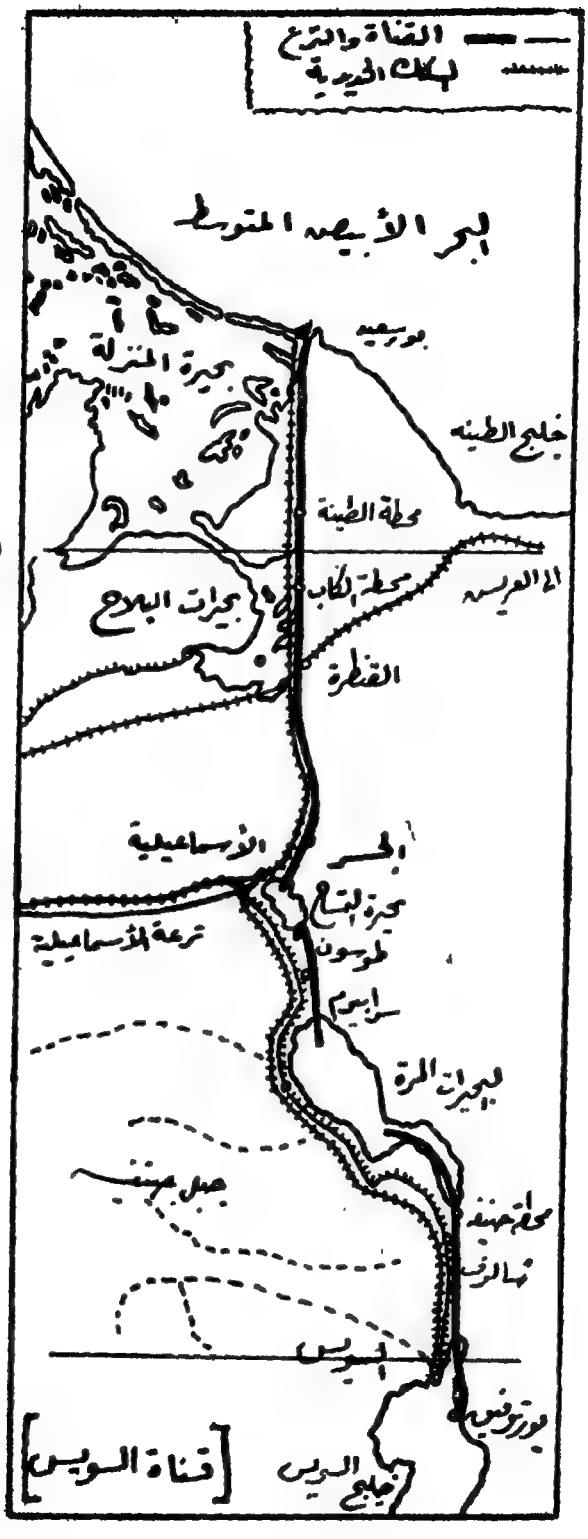
القناة والترع
السكك الحديدية
البحر الأبيض المتوسط
بورسعيد
بحيرة المنزلة
خليج الطينة
محطة الطينة
٢١
محطة الكاب
الى العريش
بحيرات البلاح
القنطرة
الجسر
الأسماعيلية
بحيرة التمساح
ترعة الأسماعيلية
طوسون
سرابيوم
البحيرات المرة
جبل جنيف
محطة جنيف
شالوف
٢٠
السويس
بورتوفيق
خليج السويس
[قناة السويس]

قناة السويس

مكانتها من الناحية الاستراتيجية

للملازم الاول عبد الرحمن زكي

لا جدال في مكانة قناة السويس كحلقة اتصال بين اوربا وآسيا فهي أقصر طريق يصل بين الممتلكات البريطانية في الشرق وبريطانيا . وقد قال بسمارك (Bismark) انها « كالعامود الفقري ». وعلاوة على ذلك فالقناة أهم العوامل الرئيسية في تشكيل سياسة بريطانيا الخارجية وتسلطها عليها بقدر ما للانجليز من مكانة متفوقة في الشؤون العالمية

ولتقدير قيمة تمسك الانجليز بالقناة يجب ان لا يغيب عن بالنا ذلك المبدأ الاساسي لسياسة بريطانيا الخارجية وهو المحافظة والعمل على توسيع الامبراطورية . فالهند تعد العقد الاساسي في الامبراطورية فاذا اطمأنت انجلترا الى سيادتها هناك فان همها الاول ينحصر في حراستها وتأمينها بجميع الوسائل الممكنة. وقد عرفت كيف تستفيد من قوتها البحرية فوضعت يدها على جميع المواقع الاستراتيجية الحيوية في طرق مواصلاتها التي تربط المحيطين الاطلانطي والهندي واستحوذت على مستعمرة الكاب من الهولنديين عام ١٨٠٦ فضمنت سيادتها على طريق الكاب ثم وضعت يدها على جبل طارق مفتاح البحر المتوسط (١٧٠٤) ثم على مالطة عام (١٨٠٠) وقبرص (١٨٧٨) وباستيلائها على عدن (١٨٣٩) جزيرة بريم (١٨٤٧) والصومال الشمالي (١٨٨٤ — ٨٦) وسوقطرا (١٨٨٦) حولت البحر الاحمر الى بحيرة انجليزية . واخيراً ساد نفوذها على مصر فضمت آخر حلقة من حلقات المواقع العسكرية (١٨٨٢) وبذلك ضمنت بريطانيا سيادتها على الطريقين السلطانيين العظيمين الى الشرق وهما قناة السويس والكاب

وقد وجّهت حملة نابليون الى مصر عام ١٧٩٨ انظار انجلترا الى ما لموقع مصر من المقام الاستراتيجي كمركز هام للدفاع عن الهند فاتبعت سياسة الاحتفاظ بالامبراطورية العثمانية وعدم اضعافها وتوثيق الصلة بين السلطان العثماني والوالي المصري . وكان اهم اسباب تلك السياسة خوف انجلترا من الروسيا لكي لا تضع يدها على تركيا وترسخ قدمها في البحر المتوسط فتسيطر على العالم الاسلامي وتعرض طريق المواصلات الى الهند للخطر . فمثل هذه الاعتبارات الامبراطورية حملت انجلترا على مقاومة النفوذ الفرنسي في مصر واقتنع رجال السياسة البريطانيون بان استقلال سياسة الامبراطورية العثمانية وسلامة أراضيها أمر حيوي لا ندحة عنهُ لسلامة الاملاك الانجليزية في الشرق

وبينما كانت انجلترا تبذل كل نفوذها لعرقلة مشروع شق قناة السويس كانت قد صممت أن تدع أية فرصة لاية دولة لاسيما فرنسا أن يكون لها المقام الاول في البلاد المصرية . فحماية الهند

كما قلنا تقتضي ان تكون جميع المنافذ الموصلة اليها في أيد انجليزية. ولما تسلّم «فردنان دلسبس» امتياز القناة ظلت معارضة انجلترا لها قوية واستمرت في خطة المقاومة اثنى عشر عاماً . وبالرغم من كل مساعيها في تلك الناحية تم شق القناة وواجهت بريطانيا الامر الواقع فوجدت في انشائها ما لا يطاق لموقعها . . . ممر سلطاني أقصر ما يؤدي الى امبراطورية الهند يقع في قبضة اجنبية ومصدر ازعاج لرجال الامبراطورية كما وجد رجال ملاحتها غضاضة لا تريحهم في العمل مع شركة فرنسية وهم الذين يقبضون على نواصي الحركة التجارية وكان عليهم ان يدفعوا ضرائب المرور الثقيلة ويتبعوا تعليمات شركة القناة وينفذوها بكل دقة

ومن هنا نشأت الحماسة لشراء اسهم الخديو اسماعيل باشا ليكون لانجلترا صوت مسموع في ادارة القناة وعلى الرغم من انها أصبحت أكبر مساهم فيها لم تخضع القناة لمراقبتها بل استمرت القناة فرنسية كما استمر النفوذ الفرنسي في مصر قويًّا . لكن انجلترا استطاعت بعد أعوام قليلة الانتفاع بنمو الحركة العرابية في مصر فوضعت يدها بلباقة على أهم موقع جغرافي في العالم وضمنت مراقبة القناة الفعلية . ولما أصبح لانجلترا النفوذ السامي في مصر اتبعت سياسة أخرى تجاه الباب العالي . فقد كانت فيما قبل راغبة في المحافظة على « الرجل المريض » وهو مشرف على الموت . اما اليوم فعادت لا تعبأ بهِ لأنها نالت مآربها ولم تر في بقاء تركيا ضماناً ضروريًّا لحماية الهند وغدت السياسة الانجليزية ترى أنهُ من مصلحتها فك الصلة التي تربط السلطان بالخديو ورمت الى اكتساح نفوذه نهائيًّا

وكانت انجلترا قد خطت الخطوة الاولى في هذا السبيل بتأييد تلك السياسة فمنعت الباب العالي من ارساله تجريدة عسكرية لأخماد الثورة العرابية عام ١٨٨٢ وتظاهرت بأنها ستؤدي تلك المهمة بقواتها الانجليزية وتثبت عرش الخديو ثم جاءت حملة استرجاع السودان عام ١٨٩٨ فلم تظهر في الميادين العسكرية سوى الجنود المصرية والانجليزية وتمت الاتفاقية المصرية الانجليزية في يناير ١٨٩٩ وكأن تركيا لم يكن لها دخل مطلقاً ! فكانت هذه الاعمال دلائل قوية على ان انجلترا حلت محل تركيا في نفوذها بمصر. ثم كان المسلك الشاذ الذي اتبعته انجلترا في مسألة حادث العقبة عام ١٩٠٦ ودلت نتائجهُ على ان انجلترا قد أصبحت صاحبة الكلمة العليا في مصر

أهمية موقع مصر

كانت لمصر مكانة استراتيجية خلال كل العصور التي مرت بها ولقد قال نابليون ذات مرة أن من يكون صاحب مصر يكون سيد الهند . وكانت حملته على مصر عام ١٧٩٨ تهديداً لا يمكن لانجلترا ان تنساه . ولما شقت القناة أصبحت مصر بحكم الطبع ذات أهمية عظمى لانجلترا وأصبح واضحاً جدًّا ان الدولة التي تسيطر على مصر لا بدَّ لها من ان تسيطر على القناة أيضاً . وذكر « أدوارد [illegible] (Edward Dicey) [illegible] الامبراطورية التي لا غنى عنها » قال ذلك في عام

١٨٧٧ قبل الاحتلال البريطاني . « فاذا أصبحت للانجليز اليد المطلقة في مصر فالواجب يقضي بأن تكون لها مكانة ممتازة بين البحر الاحمر وحدود الهند . فاذا تم لبريطانيا تقوية مركزها العسكري في مصر استطاعت ان تصد اي هجوم يوجه الى الهند من وادي الفرات . والشيء الوحيد الضروري لانجلترا هو ضمان حرية الملاحة في القناة » وقال كاتب انجليزي آخر « ان مصر هي مرتكز العملة لسياستنا الخارجية فهي في منتصف الطريق من الناحيتين السياسية والبحرية الاستراتيجية وبين امبراطوريتنا الشرقية والغربية فهي نقطة التوازن التي توفق بين علاقاتنا الخارجية وممتلكاتنا الامبراطورية » . ولذلك نجد في مصر انهُ من أسهل الامور إرباك الحالة السياسية او تأمينها فاذا تحققنا من مقام انجلترا في توزيع التجارة الشرقية استطعنا ان ندرك لمادا حاولت الوصول الى حفظ القناة بعيدة عن حرية تدخل الدول في تسيير دفتها ولماذا سعت السنين الطوال وجاهدت من دون كلل جهاداً سياسيًّا وعسكريًّا وأدبيًّا واقتصاديًّا لتسود القناة من جميع النواحي . ولم يرض اصحاب النظرية الامبراطورية بأقل من الرقابة الفعلية عليها »

وذكر « ديسي » في مقام آخر ان: « فكرة الحياد لا تتفق مطلقاً مع حاجاتنا فأي تاويل مهم لذلك الكلمة يضعنا في مركز يزداد سوءًا . فالضمانات الدولية مهما تعني قيمتها ليست كفيلة بتأمين صلاتنا الحرة مع الهند او بعبارة اخرى لضمان امبراطوريتنا . ولما كانت الطريق الى الهند بفضل القناة تقع خلال شبه جزيرة سيناء ، ولما كان المتسلط على شبه الجزيرة يتحكم في القناة وجب علينا لطمأنينتنا ان نضع ايدينا على شبه الجزيرة . فنحن نرى انفسنا بين حاملين اما ان نرى طريقنا الى الهند مهدداً في زمن الحرب وإما ان نحتل مصر . ومن هذه الورطة لا ارى مفرًّا »[1]

وبانتهاء القناة اصبحت الطريق الرئيسي الى الهند فكان ضروريًّا ان ترغب انجلترا في مراقبتها وجاء منطق التاريخ فجعل هذه الحقيقة واضحة وبموجب هذه النظرية دافع ديسي في كتاباته فقال:

يجب علينا بكل الوسائل ومن جميع النواحي ان نعمل على وضع القنال تحت ايدينا . وهذا هو الغرض الحقيقي الذي نسعى اليه ويجب ان تكون قاعدة كل مفاوضة في المستقبل مصممة على هذا المبدأ . لقد حكم القضاء بأن تكون انجلترا سيدة القنال كما اصبحت سيدة مصر . وضد القضاء المحتم يضيع سدى كل ما تعمله الآلهة والبشر سواء اكانوا في السويس ام كانوا في بناما[2]

عقب ذلك اثيرت في انجلترا مسألة القناة من ناحية حيويتها للمحافظة على الامبراطورية وفي عام ١٨٧٧ تساءل غلادستون (Gladstone) ماذا عسى ان تكون النتيجة لو وقفت انجلترا مساعيها تجاه القناة . فكان الرد عليه بأن الضربة تكون قاضية لما يصيبها من التأثير في التجارة والرخاء

---

(١) مجلة القرن التاسع عشر يونيو ١٨٧٧ . مجلد ١ صحيفة ٦٨٤ (٢) مجلة القرن التاسع عشر اغسطس ١٨٨٣ مجلد ١٤ صحيفة ٢٠٥ من مقال بعنوان «لماذا لا نشتري قناة السويس؟»

والرفاهية العالمية . فنحن أعظم ناقلي المتاجر وأول امة تجارية في العالم المسيحي وسنكون في مقدمة الخاسرين

وكان من رأي « السر شارلز دلك » (Sir Charles Dilke) ان القناة تكون غير مأمونة في حالة اعلان الحرب ضد دولة بحرية كبيرة . فالقناة كسبيل من سبل المواصلات في زمن الحرب تصبح واهية كخيط العنكبوت فان سفينة او سفينتين تغرقان فيها او مقداراً من الديناميت ينفجر فيها بالقرب من خليج السويس او بعض طوربيدات تكمن في اثناء الليل تكفي لسدّها . وثمة غير هذا من العراقيل البحرية التي يسهل ارتكابها . كل هذه تساعد سد المرور خلال القنال وتحرم السفن من اجتيازه مدة ايام او اسابيع وتمنع النقل بواسطة البحر المتوسط باستثناء الجنود من دون عتادهم الحربي ويكون من الصعب جداً المحافظة على حرية الملاحة في القناة حتى لو كانت داخل حدود الامبراطورية البريطانية . كما ان واجب حراسة القناة يستلزم تخصيص قوة كبيرة من الجنود لحمايتها ومراقبة المنافذ المؤدية اليها بواسطة جزء كبير من الاسطول . لكننا لا نملك حقوقاً خاصة تتعلق بالقناة وليست لنا قوة تمنع عنها العدد الضخم من السفن التجارية التي تتعمد اغراق نفسها في منتصف القناة » (١)

قال المؤلف الانجليزي جورج هوبر (G. Hooper) في مقال نشره في مجلة الخدمة المتحدة عام ١٨٩٠ ان القناة غيرت الموقف البريطاني الى ما هو أسوأ حالاً فقد سمحت لدول ثانوية أخرى بالذهاب الى الهند بسهولة وكانت الاحوال الى قبيل انشائها تجعل للانجليز سيادة لا نزاع فيها في تجارة الشرق . . . وقناة السويس أصبحت اليوم من اسباب النضال العنيف . ونحن اليوم اذا رأينا فردنان دلسبس تشع من تمثاله هالة المجد التي تعترف بنبوغه وتفوقه فأنا نراه ايضاً كمعبود اقيم لتفرقة البشر . ولقد انشئت القناة ضد رغبة انجلترا وصممت في الاصل لكيدها ولطعنها في صميمها . ومن المحتمل جداً انها كانت انتقاماً فعّالاً من معركة وترلو نجح نابليون الثالث في توقيعه

ولم يتفق الكابتن ماهان Capt. Mahan مع من قالوا بالتخلي عن طريق القناة لعدم تأمينه في زمن الحرب لانهُ مع كل ما يلحق بالقناة حتى ولو انتهى الامر الى ردمها لا يغير سير الاحوال الطبيعية التي جعلت لمصر مركزاً استراتيجيًّا للممر الرئيسي بين الشرق والغرب وهو يعتقد انهُ من الخطأ الشنيع ان تسحب انجلترا يدها من مصر

ان موقع مصر العسكري ليس لهُ مثيل في توسطه فمركزها يسمح بحشد اكبر عدد من القوات العسكرية لتوزيعها الى اي مكان في حالتي الدفاع والهجوم ومنها تحوّل الى جبل طارق والهند . ومصر ملتقى لاستقبال المواد من جميع الموارد فلا تستطيع بحرية أية دولة ان تعارضها وتقطع عليها خط الرجعة . وهذه الموارد اذا لم نبالغ في عددها قلنا انها تجيء من ميدانين او ناحيتين

(١) كتاب مشكلات بريطانيا العظمى (لندن عام ١٨٩٠) ص ٦٥٧ — ٦٥٨ Problems of Great Britain

ما طريق البحر الاحمر والبحر المتوسط . فأي اسطول يمكنهُ الجمع بين الاثنين ؟ واذا امكن عرقلة
طريق البحر المتوسط بقيت طريق البحر الاحمر اقصر السبل الى الهند واستراليا والكاب وموارد تلك
البلاد تكفيها بل تزيد على ما تتطلبه وتستطيع الثبات مدة طويلة بينما يكون البحر المتوسط مقفولاً .
لا ننسى ان لبريطانيا طريقاً آخر هو طريق الكاب رغماً عن طوله . وعلى كل حال فالمواصلات تبقى
مستمرة كما هي . وهي خطة تقضي بها السياسة الاستراتيجية في حالة الدفاع فقط وليست في حالة
الهجوم . والحل الوحيد لانقاذ الموقف لدولة تضع يديها على مالطة وجبل طارق ان تسيطر
قواتها على مصر وتعزز مركزها فيها . وهناك في الهند واستراليا والكاب تؤسس مصادر
الامدادات الضرورية

وسواء أكانت القناة حيوية ام غير حيوية لانجلترا فهذه ترى ضرورة السيطرة عليها لمنع كل
دولة من عرقلة مواصلاتها الى الشرق . وقد كانت روسيا زمناً طويلاً اكبر مهدد لانجلترا في
هذا الشأن . ونحن نذكر لها محاولتها العنيفة في الشرق الادنى ومساعيها لكسب ميناء تطل على البحر
المتوسط ولفتح المضيقين (البسفور والدردنيل) لسفنها الحربية وتدخلها في شئون البلقان ومطامعها في
الحبشة . كل هذه الامور اثارت ظنون انجلترا وشبهتها وخوفها . فانهُ بعد فتح القناة بدأت روسيا
تهتم بشئون الحبشة ورغبت في تحويلها لحمايتها لتعارض بها سيادة بريطانيا على الطريق البحري
في الشرق ولتعمل على مقاومة نفوذها لكي تجعلها قاعدة استراتيجية لها في حالة نشوب حرب
بينها وانجلترا

وفي اثناء الحرب التركية الروسية (١٨٧٧ — ٧٨) حذر لورد دربي (Derby) الروسيا ضد أي
عمل تحاول القيام بهِ على قناة السويس وارسلت بريطانيا اسطولاً انجليزيًّا الى الاستانة . وفي يونيو
١٨٧٨ وضعت انجلترا قدميها في قبرص وهي اقرب جزر البحر المتوسط للقناة وجعلتها قاعدة
عملياتها الحربية في شرق البحر المتوسط . وظلت مسألة المضيقين سنين طويلة من أهم عوامل الشقاق
والمنافسة بين الانجليز والروس ولكي تظل انجلترا صاحبة النفوذ في حماية القناة والملاحة في البحر
المتوسط بقيت تقاوم كل محاولة تبذلها روسيا في سبيل السماح لها بمرور السفن الحربية من
المضيقين . وهذا يفضي بنا الى عام ١٩٠٢ لما حصلت الروسيا من السلطان على الاذن بمرور أربعة
من طوربيد من الدردنيل والبوسفور للانضمام الى اسطول البحر الاسود فخشيت انجلترا هذا المبدأ .
في يناير التالي قدم « السر . ن . أوكنور » مذكرة للباب العالي يطلب الحق في الحصول على نفس
الامتياز لمرور السفن الحربية الانجليزية اذا اقتضت الاحوال

وفي عام ١٨٨٨ تألفت شركة المانية تحت اشراف « البنك الالماني » واشترت من الانجليز خط
سكة الحديدية الممتدة من حيدر باشا الى ازميت ثم تولّت فيما بعد باسم شركة سكة حديد الاناضول
انشاء فرع الى انقره . ولم تمضِ عشر سنوات حتى انتهى الالمان من مد ما يقرب من الالف كيلو

ز من الخطوط الحديدية داخل تركية الاسيوية. وفي مارس ١٩٠٣ تسلّم البنك الالماني امتيازاً آخر لنشاء خط فرعي يصل بين قونيه والخليج الفارسي . وهذا المشروع الذي عرف باسم سكة حديد بغداد وضع الاستعماريون الالمان فيهِ املهم لاحياء الامبراطورية العثمانية اقتصاديًّا وسياسيًّا وعسكريًّا وبذلك تحدّت سكة حديد بغداد سيادة انجلترا في الشرق واصبحت اسرع وسيلة للنقل لاوربي تنافس بهِ منافسة جدية الحركة التجارية في قناة السويس. وبحصول الالمان على منفذ بحري طل على الخليج الفارسي يستطيعون تهديد المصالح البريطانية في تلك الجهة ويستطيع ذلك الخط ان يتصل فيما بعد بسكة حديد سوريا والحجاز فتهدد مواصلات الامبراطورية وتوقع بها اضراراً جسيمة. لكن لم تخف على انجلترا نتائج المساعي الالمانية فاستطاعت عام ١٨٩٩ الاتفاق مع أمير الكويت على ان لا يعقد أية اتفاقات دولية بدون موافقة المستشار البريطاني المقيم . وكان لذلك العمل نتيجة سريعة في احباط المشروع الالماني لمد الخط الى الخليج الفارسي

وقد ادرك كبار الكتاب الالمان ما لسكة حديد بغداد من المكانة الاستراتيجية وكان من اشد المتحمسين لها الدكتور بول روهرباخ (Dr. Paul Rohrbach) الذي اشار مراراً خلال كتاباته الى الاخطار التي تلحق بالامبراطورية الانكليزية بسببها وكان مما ذكره انه يمكن مهاجمة انكلترا واصابتها بطعنة نجلاء في البر من اوربا في مكان واحد وهو مصر . وليس معنى خسارة مصر ان تختتم سيادتها على قناة السويس وانها سيطرتها على مواصلاتها الى الهند والشرق الاقصى فقط بل من المحتمل اصابتها ايضاً او فقدها لمستعمراتها بأفريقيا الوسطى والشرقية . وان غزو مصر بقوة اسلامية كتركيا مثلاً كان يؤذي المصالح الانكليزية ويعرض سيادتها على الستين مليوناً من المسلمين في الهند للزوال. ولقد اشار اللورد كرومر الى خطر هجوم يقوم به الاتراك على القناة ومصر من ناحية شبه جزيرة سينا وذلك منذ عام ١٩٠٦ عقب جفاء العلاقات السياسية بين بريطانيا وتركيا بسبب حادث الحاوذ. ومنذ ذلك الحين بدأ اهتمام هيئة اركان حرب الدفاع في بريطانيا بتلك الاعتبارات المهمة ودرس العسكريون خطط الدفاع عن القناة متوقعين كل الاحتمالات وقد رأينا كيف حشدت بريطانيا قواتها في اثناء الحرب العظمى دفاعاً عن القناة لصد هجوم الاتراك والالمان عليها حتى لا تشل مواصلاتها المستمرة مع الهند واستراليا وزيلندا الجديدة واتقت بذلك الضربة التي وجهت اليها

وبانتهاء الحرب العظمى ماتت فكرة الهجوم من تلك الناحية الصحراوية ولم يعد هناك ما يخيف انجلترا بما اصبح لها من النفوذ العسكري وبما انشأته من المطارات في العراق وفلسطين وشرق الاردن حتى العقبة

وهناك كثيرون يقولون أنه من المحال تدمير قوة انجلترا في حرب واحدة . ولكن قد يكون من الممكن تنفيذ هذا العمل في الاراضي المصرية . وان انشاء قناة السويس كان مصيبة لانجلترا وكان السياسيون الانجليز قد تنبأوا بهذا الخطر فعارضوا في شقها . ولا شك أنه اذا قدرت هزيمة

انكلترا في مصر لدوت نتائج الهزيمة من جبل طارق الى سنغافورة . واذا تدمر مفتاح العقد انهار كل البناء واندكّ صرح القوة الانجليزية في العالم(١)

البحر الابيض المتوسط

نرى اليوم انجلترا أقوى دول البحر المتوسط بما تحتفظ به من القوات الكبيرة في قواعدها البحرية الموزعة بين جبل طارق ومالطة وقبرص والسويس وحيفا فهي تشرف على جميع انحاء هذا البحر الذي يريد اهل ايطاليا تسميته «بحرنا» (Nostro Mare) ولا نتاسى ان لفرنسا في ذلك البحر عدة مصالح تشرف عليها بقواعدها البحرية في قورسيقا وبيزرتا وأوران والجزائر . كما نذكر أيضاً وصايتها على سوريا . كذلك لايطاليا قواعد بحرية في جزر الديدوكانيز ورودس وجنوة وسبنا ونابولي وهي لا تقنع بمقامها الحالي . وسياستها في البحر المتوسط ترمي الى زيادة نفوذها ورفع مكانتها ليكون لها المقام الاول بين دول البحيرة الايطالية ! وكثيرون من الكتّاب الايطاليين تجد في كتاباتهم عن الدولة الايطالية الناشئة قولهم ان نصف سواحل فرنسا او اسبانيا تطل على البحر المتوسط فاذا اغلق في يوم من الايام في وجه الايطاليين باقدام انجلترا على اقفال جبل طارق والسويس استطاعت الجمهوريتان اللاتينيتان ان تعيشا ولا تهلكا لاتصالهما بمياه المحيط الاطلانطي ولا تشل حركة اعمالهما بأي حال من الاحوال . لكن ايطاليا وهي من دول البحر المتوسط القوية تمتد كقنطرة في عرض البحر وتطل كل شواطئها على مياهه وليست لها سواحل تمس بحاراً أخرى . فايطاليا تعتمد عليه كل الاعتماد بل وحياتها تتوقف على المقاصد الطيبة التي يضمرها للايطاليين من بأيديهم مفاتيح هذا البحر . وهي جبل طارق والسويس ومن أقاموا لهم قواعد قوية لاغراض امبراطورية ليست قومية في مالطة وقبرص مثلاً . والنتيجة المحتمة هلاك شعب تعداد سكانه ٤٣ مليوناً في شهور قلائل اذا اوصدت انجلترا منافذ البحر لتنفيذ أعمالها العدائية فتصبح ايطاليا سجينة وتمنع عنها واردات الحنطة والفحم وزيوت الوقود والحديد وجميع المواد الهامة الضرورية لحياة شعب متمدن حديث

فنحن نرى اليوم مشكلة ايطاليا في البحر المتوسط معقدة كل التعقيد . وان عراكاً تظهر دالأيام المقبلة لأجل السيادة فيه بين اصحاب الحق او من يدعيه امر محتمل الوقوع عاجلاً او آجلاً وسنرى انجلترا عاملة في سبيل تحقيق أغراضها الى النهاية . وقد قال السير آرثر ويلرت عام ١٩٢٨ : ان البحر المتوسط هو المركز الاستراتيجي للامبراطورية فاذا فقدنا حرية المواصلات فيه من جبل طارق الى قناة السويس تفكك العامود الفقري لسياستنا الاستعمارية»(٢)

(١) من مقال للدكتور بول روهرباخ بعنوان "Das grössere Deutschland" نشر في ١١ سبتمبر ١٩١٥

(٢) من كتاب "Aspects of British Foreign Policy" للسير "Arthur Willert" طبعت في نيويورك عام ١٩٢٨ — ص ٢٢

طبيعة الحبشة الجغرافية

وصلتها بمنعتها الحربية[1]

يرى السنيور موسوليني ان ايطاليا مسوقة بالحاجة القاسرة ، اقتصادية وشعبية ، الى بس سيطرتها السياسية على الحبشة . الاّ انّ ما عرف عن الاحباش وتمسكهم باستقلالهم ، يجعل كل محا للتوسع الايطالي متعذّرة الاّ بعد نزاع عسكري واسع النطاق مع جيوش الامبراطور هيلاسلاسي وقد كانت اقوى الوسائل التي اعتمد عليها الاحباش في الدفاع عن بلادهم طبيعتها الجغرافية والطبوغرا ولا يخفى ان وسائل الحرب الحديثة قد اضعفت من شأن عوامل الاقليم والطبوغرافيا في الخط العسكرية ، في الاحوال العادية . ولكننا كلما تعمقنا في درس النهج الذي يحتمل ان تنهجهُ الحملة الايطا في الحبشة هالنا ما للعوامل الطبيعية من الشأن في مسيرها ومصيرها

ليس لايطاليا الاّ قاعدتان تستطيع ان ترتكز عليهما في حملتها على الحبشة وهما مستعمرتا الافريقيتان اي الاريترية والصومال الايطالي . فالاولى على ساحل البحر الاحمر الى الشمال من الحب والثانية على ساحل المحيط الهندي الى الجنوب وعلى مقربة من خط الاستوا

ففي الاريتريا حشد موسوليني الجانب الاكبر من الحملة الايطالية الافريقية ومنها شرع في محاول اكتساح الحبشة . ليس لمستعمرة الاريترية في حد ذاتها اي قيمة حقيقية من الوجهة الجغرافية. من الناحية الاقتصادية فمكانتها قائمة على انها تسيطر على منافذ التجارة من شمال الحبشة وهي تجار مقدارها يسير على كل حال . ولكن مكانتها من الناحية العسكرية كبيرة لانها تجهّز الايطاليين بقاعد للاعمال العسكرية معتدلة الجوّ ، وترسّخ اقدامهم في شمال النجد الحبشي . فاسمرا عاصمة الاريتر بلدة متوسطة على ارتفاع سبعة آلاف قدم ومتوسط حرارة جوها السنوي ستون درجة بمقياس فارنهيت (اي ١٥ درجة مئوية) ولذلك يسهل على الاوربيين ان يقطنوها . الاّ ان ما يصدق ع اسمرا لا يصدق على مرفإ مصوّع ، حيث تشتدُّ الحرارة في معظم شهور السنة . واكبر الصعاب التي يتعرّض لها سكان الاريترية قلة الماء فيها الناشئة عن قصر فصل الامطار

اما بلاد الصومال الايطالي في الجنوب فتختلف كل الاختلاف عن مستعمرة الاريتريا . فهي جزءٌ من تلك المناطق الشبيهة بالصحراوية التي تحدق بالنجد الحبشي من ناحية الشرق ومنها بلا الصومال البريطاني والصومال الفرنسي وسواحل الاريترية وولايات الحبشة الشرقية الشمالية والشرقي الجنوبية . ففي الصومال الايطالي لست تجد جبالاً ذات شأن . فانخفاضها وقربها من خط الاستوا

(١) ملخص فصل للسنيور سكتا Scaetta صاحب المباحث العلمية في شمال افريقية وقلبها وشرقها وهو الا استاذ علم الاقليم البيولوجي Bioclimatology في جامعة بروكسل في بلاد البلجيك . وقد نشر في عدد اكتو من مجلة الشؤون الخارجية Foreign Affiairs الربعية الاميركية

يجعلان سكناها متعذرة على البيض . وسكانها الاصليون يعيشون على الزراعة يعالجونها بأساليب ووسائل بدائية، ورعي القطعان . واصلح مقاطعاتها للزراعة واديا نهر جوبا ونهر وبي شبيلي . فهذان النهران يأتيان من النجود العالية بماء للري وتربة خصبة تسمد الارض التي ترسب فيها . فالجيش المتقدم من مقادشيو عليهِ ان يسلك هذين الواديين او ان يخترق منطقة جافة طولها نحو ٢٠٠ ميل قبل ان يصل الى آبار وال وال وغرلوغوبي حيث تظهر على سطح الارض المياه المتحلّبة تحت الارض من النجود الشمالية . فهذه الآبار من الناحية الستراتيجية لها مكانة عظيمة جدًّا

***

اما النجد الحبشي ، وهو بوجهٍ عام ما كان يعلو اكثر من خمسة آلاف قدم فوق سطح البحر ، فهو الجانب الوحيد من بلاد الحبشة الذي يصلح لاستعمار البيض . هنا يقطن الاحباش المسيحيون المتكلمون للغة الامحرية ، المسيطرون على القبائل القاطنة في الولايات التي تحيط بهذا النجد . والنجد نفسهُ مكوّن من صخور رسوبية مرتفعة تعلوها طبقة صخرية من اصل بركاني . وثمة جبال كثيرة يبلغ ارتفاعها عشرة آلاف قدم ، وبوجهٍ خاص في الشمال ، وعدة جبال يبلغ ارتفاعها خمسة عشر الف قدم . والى الشرق ، بين النجد والبحر منخفض صحراوي من الارض يعرف بمنطقة الدناكل ، وهو منطقة جافة وبيئة بعض اجزائها اوطأ من سطح البحر ، ولم يفلح في احتراقها حتى الآن الاَّ فريقان من الرحّالين الاوربيين احدهما بقيادة لودفيكو نسبتْ Nesbitt وقد دعاهُ « عقو الخالقة الجهنمي » . وتضيق هذه المنطقة الى الجنوب فتصبح كأنها خندق يفصل النجد الحبشي عن النجد الصومالي . فالطرف الجنوبي من هذا المنخفض اقل مناعة على الغزاة من منبسطهِ الشمالي وقد سلكتهُ غزاة « الجلا » مراراً من القرن السادس عشر حين ارادت طوائف منهم ان تغزو الحبشة . يضاف الى هذا ان النجد الصومالي لا ينخفض انخفاضاً فجائيًّا في هذه الجهة . فالعقبات الكبرى التي قد تعترض تقدم الايطاليين من هذه الناحية ، هي طول المسافة وقلة الماء ، اكثر منها طبيعة البلاد الطبوغرافية

اما في الشمال فعلى كل قائد ينوي ان يغزو الحبشة من ناحية الاريتريا ان يحسب حساب الخنادق الطبيعية التي خدّدها نهر التاكاز وروافده في النجد الحبشي . ولما كانت هذه الروافد تعترض في اتجاهها خط التقدم العسكري ، ولما كان عمقها يزيد احياناً على نصف ميل ، فانها ولا شك تعرقل اي تقاعل عسكري في الحبشة وراء عدوه وبوجهٍ خاص لعدم وجود جسور او طرق لعبور هذه الخنادق . فاذا شاء القائد ان يجتنب هذه الصعاب فعليه ان يوجه جيشه من شرق هذه المنطقة عن طريق ماكال ومجدلا . وهذه هي الطريق التي سلكتها حملة الجنرال نابيير Napier الانكليزي ضد الامبراطور ثيودوروس سنة ١٨٦٨

ويقسم الاحباش بلادهم ثلاث مناطق اقليمية

اولاها يسمونها «ديجا» وهي تشتمل على جميع البلدان التي تعلو اكثر من ثمانية آلاف قدم سطح البحر . ويدخل في نطاقها جانب كبير من شمال النجد الحبشي والحاشية الشمالية من النجد ومالي . هنا تجد قطعان البقر والغنم مراعي على مدار السنة . ولكن بعض الثقات يرتابون في هل لح اقليم هذه المنطقة لسكنى البيض من جنوب اوربا . ويختلف متوسط الحرارة السنوية من ٤٠ ٦٠ بميزان فارنهيت (٤/٩ ٤ - ٩/٥ ١٥) بميزان سنتغراد اي ان جوّها بارد

والثانية ترتفع من ٤٨٠٠ قدم فوق سطح البحر الى ٨٠٠٠ قدم . وتعرف عندهم باسم «بناديجا» وفيها يختلف متوسط الحرارة السنوية من ٩/٥ ١٥ الى ٢٠ درجة مئوية (سنتغراد) . ذه المنطقة المعتدلة تشتمل على جانب كبير من قلب النجد الحبشي والمناطق العليا من حوضي نهر وبا ونهر وبي شبيلي . وفي جوانبها توجد آثار الحراج الاستوائية التي ابقي عليها بعد ان اغتالت ار والقطع معظمها . هنا تكثر الحبوب والعنب والثمار الليمونية ويقول الاحباش انهُ في الامكان ني ثلاثة محاصيل في السنة . واذاً فهذه البقعة اصلح ما تكون لسكنى الاوربيين

اما المنطقة الثالثة فيختلف ارتفاعها من ٢٨٠٠ قدم فوق سطح البحر الى ٤٨٠٠ قدم وتعرف عندهم باسم « كولاً » . هنا يختلف متوسط الحرارة السنوية من ٢٠ درجة مئوية الى ٢٥ . والاحباش ون هذه المنطقة شديدة الخصب فاذا دبرت لها اساليب الري الحديث زادت خصباً . فثمة صنف جيد من البن يزرع في اعاليها ، والقطن وقصب السكر يزرعان في مواطيها . وهي اقل صلاحاً لسكنى لاوربيين من المنطقة الثانية ولكنها في الوقت نفسه تصلح لتجهيز ايطاليا ببعض المواد التي تحتاج اليها اذا احسن تدبيرها وبوجه خاص القطن

اما المناطق التي اوطأ من المناطق الثلاث المتقدمة فشديدة الحرارة ومتوسط الحرارة السنوية هناك ٣٠ درجة مئوية . ويقطنها في الغالب قبائل رحّل مقلقة للامن ولا تهمُّ الاوربيين

***

ثم هناك اعتبار عسكري كبير الشأن . فالنجد الحبشي يرتفع احياناً الى قنن ذاهبة في الجو ، وينخفض احياناً اخرى انخفاضاً فجائيًّا الى اودية عميقة ذاهبة في جوف الارض كما قدمنا . وليس بين المرتفعات والمنخفضات سهولٌ ما او ان السهول قليلة وضيقة . فالنجد مضرّس تضريساً شديداً ، الاّ في منطقة بحيرة تانا ومنطقة البحيرات الى الجنوب من اديس ابابا . فلستَ تجد في النجد الحبشي اماكن يمكن ان تتخذ قواعد كبيرة لمناورات جيوش جرّارة

ومن الحقائق التي يجب على قيادة الجيش الايطالي ان تحسب لها حساباً في خططها نوع من التربة الحمراء توجد عادة في البلدان الاستوائية . وهي كثيرة في الحبشة في الاماكن التي يقلُّ ارتفاعها عن

٦٠٠٠ قدم . ففي فصل الجفاف تكون هذه التربة جافة صلبة في الظاهر ولكن اقل ضغط تعرّض لها يحولها دقيقاً دقيقاً . فاذا سقط رذاذ تحوّلت الى معجون زلق كأنهُ صابون ، فيعسر السير فيها حتى مشياً . وفي هذه الحالة يتعذر على اية مركبة ان تصعد في طريق شديدة الانحدار . وان قافلة من الدبابات او سيارات النقل اذا فوجئت وهي في طريقها بهطول مطر غزير ، لتضطرّ ان تلبث في مكانها حتى ينحبس المطر وتشرق الشمس وتجفف التربة . وهذا يفسّر تعذر القيام باي اعمال حربية في الحبشة قبل سبتمبر وهو الشهر الذي ينتهي فيهِ فصل الامطار

مما تقدم من وصف الحبشة الجغرافي والطبوغرافي يستطيع القارىء ان يتصوّر الخطة العسكرية التي يجب ان يجري عليها من ينوي غزو الحبشة . فالقوة الزاحفة من سواحل المحيط الهندي ، عليها بعد ان تجتاز سواحل الصومال الايطالي واوغادن ، ان تجعل هدفها الاول احتلال الجانب الشمالي من النجد الصومالي وهو يقع في ولاية هرر . فاذا اتخذت وال وال وغرلوغوبي قاعدتين لها استطاعت ان تسلك واديي جوبا ووبي شبلي وهي كما تقدم تؤاتي ذلك من ناحيتي الجو والماء

فاذا فازت باحتلال هذه المنطقة مكّنها ذلك من السيطرة على فاصل النهرين الرئيسيين في الصومال الايطالي ، وعلى ذلك الجانب من نهر هواش الذي يسير في وادي الرفت ، وهو الوادي الذي تقطعهُ سكة الحديد من اديس ابابا الى حيبوتي . حتى اذا لم تحتلّ القوة الغازية سكة الحديد . فانها تستطيع ان تسيطر عليها باحتلالها للجانب الشمالي من النجد الصومالي

***

اما الهدف الذي تتجه اليهِ القوة الزاحفة من الاريتريا فيجب ان يكون احتلال الجبال الى الشمال والشرق من بحيرة تانا . لانه مازالت هذه البلاد الوعرة في ايدي العصابات الحبشية فلا تجرؤ اية قوة على التغلغل الى قلب النجد الحبشي لئلاّ تتعرّض مؤخرتها لهجوم العصابات . وقد يكون من العوامل العسكرية في هذه الناحية ، ان انهار الاتبرة والتكاز والنيل الازرق تنبع في هذه المنطقة ، ومياهها — وخاصة مياه النيل الازرق النابع من بحيرة تانا — متصلة اوثق اتصال بحياة مصر . فالراجح ان بريطانيا تحتفظ بسياستها التقليدية في صدد هذه المنطقة وهي منطوية في عدة معاهدات وتصريحات رسمية وقاعدتها عدم التسليم لاية دولة اوربية بأقلاق السلام فيها

ولابدَّ للجيش الايطالي الزاحف من شق الطرق وبناء الجسور والاَّ تعذّر عليهِ ان يجني فائدة ما من استعمال الدبابات والسيارات المسلّحة . الاَّ ان هناك صعوبة هندسية كبيرة ، ولكن التغلّب عليها غير مستحيل ، وهي وجوب نقل المواد اللازمة في بناء الجسور مسافات طويلة من ايطاليا الى مصوع ومن مصوع الى اسمرا الى المناطق التي يحتلّها الجيش الزاحف . يضاف الى هذا ان الجسور نفسها ، والطرق الجبلية ، والمستودعات ، معرّضة دائماً للسيول تجرفها في تدفقها

وليس ثمة ما يقي منها . فعلى المهندسين العسكريين يقع معظم التبعة في نجاح الحملة اوخذلانها

ولما كانت حاصلات الحبشة الزراعية لا تكاد تكفي الاحباش انفسهم ، وما يحتاجون اليهِ يسير بالقياس الى ما يحتاج اليهِ جيش اوربي ؛ فلا يعقل ان تستطيع القيادة الايطالية الاعتماد عليها في جانب من مؤنة الجيش. ولذلك سوف تضطرُّ الى استيراد كلّ ما يحتاج اليهِ الجيش من الخارج وهو عمل شاق وكبير النفقة

***

يتضح مما تقدم ان تقدم الجيوش الايطالية في زحفها على الحبشة يتوقف على شق الطرق الصالحة للفرق الميكانيكية بين القواعد الحربية المتقدمة وقواعد الذخيرة والمستودعات على الساحل . لذلك يكون كل تقدم سريع من ناحية الاريتريا محفوفاً بالخطر . ومع ما جهزت بهِ الحملة الايطالية الافريقية من وسائل الحرب الميكانيكية ، فان فتح اي بلاد يقتضي احتلال المراكز العسكرية الهامة وتنظيم ادارتها وابقاء حاميات كبيرة فيها . فاللبث في كل من هذه المراكز قبل التقدم الى غيرها يفسح المجال للمهندسين فيشقون الطرق ويرصفونها . ولا يستطيع الجيش الايطالي ان يجني الفائدة كل الفائدة من تفوقه في الاسلحة الميكانيكية الاّ على هذا النمط

ولا ننسى أن أحد العناصر التي تسهل زحف الجيش الايطالي او تؤخره ، مدى المقاومة التي يبذلها الاحباش وعنفها. والاحباش يفوقون خصومهم في ملاءمتهم لاحوال البلاد . ففي وسعهم ان يجتازوا مسافات شاسعة مشياً يعجز عنها البيض الاوروبيون . فهم يستطيعون ان يقطعوا مسافات تختلف من ٢٥ ميلاً الى ٤٠ ميلاً في اليوم ويمضوا في ذلك بضعة ايام متوالية . ويستعملوا اكلة خاصًّا من البغل الاهلي يتصف بخفة الحركة والصبر والاكتفاء بيسير من الغذاء . واستعمالهُ يمكنهم من نقل المدافع الرشاشة والمدافع الجبلية الى قمم منيعة فيعرقلون تقدم العدو باستعمالها من اعاليها

ان اساليب الحرب الميكانيكية ، ورجال المشاة المنقلة باعبائها الحديثة ، تفقد اكبر جانب من تأثيرها في مثل هذه الاحوال . اي ان القوات الغازية يجب ان تستعمل جماعات كبيرة من رجالها للتغلب على عصابات اقلّ منها عدداً واضعف عدة ولكنها متصفة بخفة الحركة ومعرفة البلاد . ولما كانت طبيعة البلاد الطبوغرافية ما هي ، فالراجح ان الاحباش لا يعمدون الى التجمُّع بل على الضد من ذلك يجدر بهم ان يعتمدوا على التفرق والتخفي والتسلُّل . فاذا جروا على هذه الخطة واستطاعوا ان يستدرجوا خصومهم الى الاودية والخنادق الطبيعية وهناك يمزقون شملهم . ولا ريب في انهم سيحاولون في الوقت نفسهِ ان يعرقلوا الصلة بين فرق العدو المتقدمة وقواعدهِ الاساسية

ان سرَّ نجاح الاحباش في مقدرة الامبراطور على الاحتفاظ بحرية حركة جيوشهِ وسرعتها فاذا استطاع ذلك ، اضطرَّ الايطاليون أن يواجهوا معاقل منيعة بطبيعتها . وهذا من شأنه ان

يقلّ من سورة جيش غير متعوّد الاجهاد البدني في بلاد مرتفعة . يقابل هذا انهُ اذا اتيح للعدو الزاحف ان يحتلّ بعض هذه المعاقل المنيعة، فقوّاد الاحباش يضطرون حينئذٍ ان يغامروا بطوائف كبيرة من جيوشهم لاسترجاعها ، وفي هذه الحالة لا تجدي شجاعة الاحباش كثيراً ضدّ المدافع الضخمة والرشاشة وقنابل الغاز

ولا ينتظران تجنى فائدة كبيرة من اسراب الطائرات الايطالية ، لقلة الاهداف التي تتجه اليها. فلا يحتمل ان تفاجىء جموعاً كبيرة من جيوش الاحباش لان المتوقع ان هذه الجموع لا تحتشد الاّ ليلاً . وليس هناك مدن كبيرة او مراكز آهلة تصلح ان تكون اغراضاً تتجه اليها الطائرات وتلقي عليها قنابلها . والراجح ان جلّ الفائدة التي يمكن ان تجنى من اسراب الطائرات الايطالية فائدة معنوية ، اذ قد يكون مشهد هذه العفاريت الطائرة وهي تطلق مدافعها الرشاشة مما يبعث الهلع في الجيش والشعب على السواء

نعم للطائرات فائدة كبيرة في استطلاع حركات العدو ، وقد تكون عوناً في حركة المشاة ، ولكن مدى طيرانها محدود بما يمهد لها من المطارات . وقد تجد القيادة الايطالية ان جميع هذه العوامل تقضي بالاقلال من الاعتماد على الطائرات في ادراك اغراضها . ولكن يجب ان نذكر انهُ لم تنشب حرب كبيرة بعد اتقان الطائرات الحديثة بين احوالها واحوال الحرب الايطالية الحبشية شبه ما ، ولذلك فالحكم في هذا الصدد مرهون باختبار سلاح الطيران الايطالي في الحبشة

***

ثم ان موسوليني يجب ان يحسب حساباً لطول فصل الجفاف في الحبشة لتحقيق اغراضه الاولية والنهائية. فهل ادراك الغرض النهائي وهو اخضاع الحبشة قاطبة ، مستطاع في فصل واحد؟

لقد بيّنّا في ما تقدم ان الجيش الزاحف من الشمال عليهِ ان يحصن القواعد التي ترتكز عليها مواصلاتهُ مع اسمرا ومصوّع ويبقي فيها حاميات كبيرة . وان تقدّمهُ لذلك لابدّ ان يكون بطيئاً في البدء وان التقدم من الجنوب قد يكون اسهل منهُ في الشمال ولكن الجيش الزاحف مع ذلك يحتاج الى تأمين طرق مواصلاتهِ بعد انشائها . وانهُ بعد احتلال الولايات المحيطة بقلب النجد الحبشي يكون الايطاليون في بدء مغامرتهم الحقيقية في الحبشة لا في نهايتها .فاخضاع الحبشة يقتضي اخضاع الاحرين والشوعيين وهم شعوب وقبائل شديدة الشكيمة يجري حب الاستقلال في دمائهم ويضيفون الى منعة معاقلهم الجبلية الوعرة ، كرهاً للاجانب يغذيه شبانهم المتعلمون في اوربا واميركا . واذن فالراجح ان لا يكفي فصل واحد لادراك الاغراض النهائية التي وضعها موسوليني نصب عينيهِ وعندئذٍ يتحوّل النزاع الى حرب عصابات قد تطول سنين . فاخضاع لبيبا ، وهي اقرب الى ايطاليا ، وليس فيها الاّ ٢٠٠ الف مسلم للقيام بحرب العصابات، اقتضى من ايطاليا عشرين سنة . وفي هذه الحالة تضطرّ الحكومة الايطالية ان تنفق بدرات من الاموال ومهج الوف والوف من ابنائها

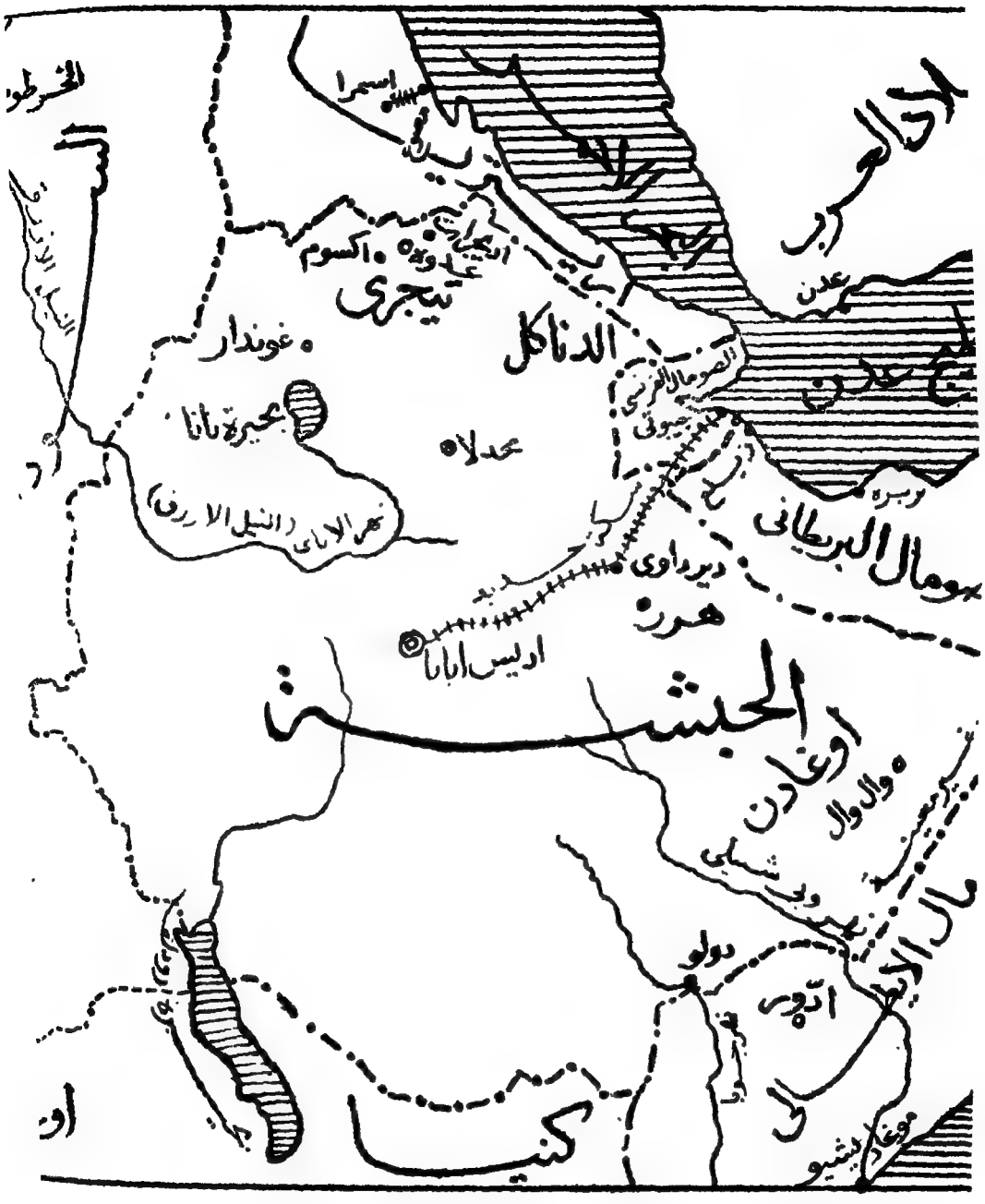

خريطة لبلاد الحبشة

والبلدان المحيطة بها وبعض مواقعها الحربية

فصول الرواية

ملخص تاريخي

لصلة الحبشة بأوربا من اواسط القرن الماضي الى الآن

١٨ الحملة البريطانية بقيادة السر روبرت نايبيير (لورد بعدئذٍ) Napier وهي حملة جرّدت على الامبراطور ثيودورس لاطلاق سراح بعض الانكليز الذين اسرهم وكان بينهم قنصل بريطانيا . وقد دخلت الحملة مجدلا في ١٣ ابريل سنة ١٨٦٨ فوجد قائدها الامبراطور ثيودورس وقد انتحر . وفي مايو سنة ١٨٦٨ غادرت الحملة بلاد الحبشة

١٨ اشترت حكومة بريطانيا نصيب الخديوي اسماعيل من اسهم شركة قناة السويس (راجع تأثير هذه الصفقة في مقام بريطانيا في مصر في مقالة « قناة السويس ومكانتها من الناحية الاستراتيجية صفحة ٤٧٣ من هذا العدد)

١٨ ثورة عرابي باشا في مصر واحتلال انكلترا للقطر المصري

١٨ معاهدة اوتشالي (Ucciali) بين الحبشة وايطاليا . عقدت هذه المعاهدة مع منليك بعد ارتقائه عرش الحبشة بتأييد من الايطاليين . ثم فاوضوه في تحديد العلاقة بين الحكومتين فانتهت المفاوضات الى معاهدة اوتشالي . وقد جاء في النص الايطالي لهذه المعاهدة ان منليك يتخذ من الحكومة الايطالية سبيلاً له في جميع مفاوضاته من الدول والحكومات الاخرى . وهذا معناهُ بسط الحماية الايطالية على الحبشة . ولكن يظهر ان النص الامحري كان يختلف عن النص الايطالي في هذا الصدد . ولما اخذ الايطاليون يتقدمون في ولاية «التيجرة» ويحاسنون بعض الزعماء من خصوم منليك، ثبت لمتتبعي الحالة ان اغراضهم تتعارض ورغبة الامبراطور منليك في الاحتفاظ باستقلاله . ولذلك اعلن منليك الدول في سنة ١٨٩٣ بالغاء معاهدة اوتشالي

١٨ معركة عدوة . ولكن الايطاليين مضوا في تقدمهم . فكان من اثر هذا التقدم توحيد الامبراطورية الحبشية وضم صفوفها بزعامة منليك . وفي شهر مارس من سنة ١٨٩٦ التقت قوة ايطالية مؤلفة من ١٤٥٥ جنديًّا وضابطاً بقوة حبشية مؤلفة من ١٠٠ الف مقاتل على مقربة من عدوه فهزم فيها الايطاليون شر هزيمة فعقدت بعدها معاهدة في اديس ابابا الغيت بمقتضاها معاهدة اوتشالي واعترف باستقلال الحبشة المطلق وقضى منليك الاثنتي العشرة السنة التالية في التغلُّب على القبائل الخارجة عليهِ

وعقد المعاهدات مع الدول الاوربية لتعيين الحدود بين الحبشة والبلدان المجاورة لها الخاضعة لبريطانيا وفرنسا وايطاليا

١٨٩٧ ففي شهر مارس من سنة ١٨٩٧ عقدت معاهدة مع فرنسا عيّنت بمقتضاها حدود الصومال الفرنسي . وفي شهر مايو من السنة نفسها عقدت معاهدة مع بريطانيا لتعيين حدود الصومال البريطاني . وقد نصّ فيها على ان قبائل الصومال البريطاني التي تدخل مقاطعتي هرر واوغادن في طلب المراعي لهـا حق في استعمال المراعي والآبار التي في هذه المنطقة . وعقدت في السنة نفسها معاهدة مع ايطاليا لتعيين حدود الصومال الايطالي ولكنها لم تنشر وانما ذكرت في معاهدة الحدود سنة ١٩٠٨

١٩٠٠ في شهر يوليو من سنة ١٩٠٠ عقدت معاهدة مع ايطاليا لتعيين حدود الاريترية من ناحية الحبشة

١٩٠٢ وفي شهر مايو من سنة ١٩٠٢ عقدت معاهدة مع بريطانيا لتعيين حدود السودان وفي الشهر نفسه عقدت معاهدة اخرى مع بريطانيـا لتعيين الحـدود بين السودان والحبشة وبين السودان والاريترية

١٩٠٦ المعاهدة الثلاثية بين بريطانيا وايطاليا وفرنسا وقد تعهّدت فيها هذه الدول الثلاث بالمحافظة على سلامة الحبشة ، وان لا تعمد احداها الى التدخل في شؤونها من دون الاتفاق مع الدولتين الاخريين وحددت فيها منطقة نفوذ كلّ منها في الحبشة

وقد اعترضت الحبشة على هذه المعاهدة

١٩١٩ عقدت معاهدات الصلح ولم تمنح ايطاليا مستعمرات ما في افريقية وفقاً لمعاهدة لندن السرية التي عقدت قبيل دخولها الحرب الكبرى في جانب الحلفاء فكان ذلك مدعاة لامتعاضها وتبرمها

١٩٢٣ انتظمت الحبشة في جامعة الامم باقتراح فرنسا وتأييد ايطاليا . وكانت بريطانيا قد عارضت في انتظامها اولاً ثم سلّمت به مجاراة لرأي الاكثرية . وكان وزير خارجية فرنسا يومئذٍ المسيو هانوتو الذي كان وزيراً للمستعمرات يوم حادث فاشودة . وقد قيل ان تأييد فرنسا وايطاليا لانتظام الحبشة في الجامعة كان غرضهُ احباط خطة بريطانيا في الحبشة او ما فسّر على انهُ خطتها هناك عند ما دعت الى السعي لالغاء الرقّ فيها

١٩٢٥ تبادلت الحكومتان البريطانية والايطالية مذكرات في صدد اتفاق على بناء سدّ بحيرة تانا ومدّ طريق من حدود السودان اليها وانشاء خط حديدي ايطالي بين الاريتريا والصومال . والى القارىء الفقرة المهمة من مذكرة السفير البريطاني نقلاً عن مجلّة الشؤون الخارجية Foreign Affairs الربعية الاميركية

« لذلك لي الشرف بناء على تعليمات وزير خارجية جلالة الملك ان اطلب الى سعادتكم تأييدكم ومساعدتكم في أديس ابابا قبل الحكومة الحبشية للحصول على امتياز لحكومة جلالته (الحكومة البريطانية) ببناء سد على بحيرة تانا مع حق بناء طريق للسيارات لنقل العمال والموظفين ومؤونتهم من حدود السودان الى السد

« يقابل ذلك ان حكومة جلالته مستعدة ان تؤيد الحكومة الايطالية في الحصول من الحكومة الحبشية على امتياز ببناء سكة حديدية من حدود الاريترية الى حدود الصومال الايطالي ويكون من المفهوم بيننا ان سكة الحديد هذه وكل ما يلزم لها من الاعمال لبنائها وتسييرها يكون لها حق مطلق في اجتياز طريق السيارات التي اشير اليها في الفقرة السابقة

« فتحقيقاً لهذين الغرضين يصبح من الضروري ان يبعث بتعليمات متماثلة لممثلي بريطانيا وايطاليا في الحبشة ليعملا مشتركين امام الحكومة الحبشية للحصول على الامتيازات التي ترغب فيها حكومتا بريطانيا وايطاليا في بحيرة تانا وبناء سكة الحديد التي تصل الاريترية بالصومال الايطالي ولكي يكون منح هذين الامتيازين في وقت واحد . فاذا فازت احدى الحكومتين بامتيازها الخاص الذي تسعى اليه واخفقت الاخرى يتعين على الحكومة التي فازت بما تطلب ان لا تتهاون في سعيها الحثيث لتحقيق ما تتطلبه الحكومة الاخرى

« فاذا تمّ لحكومة جلالة الملك (بريطانيا) بمساعدة حكومة ايطاليا الحصول على الامتياز الخاص ببحيرة تانا من الحكومة الحبشية فهي (اي حكومة بريطانيا) مستعدة ان تعترف بانشاء منطقة نفوذ اقتصادي ايطالي في غرب الحبشة خاصة بها وفي كل المنطقة التي تجتازها سكة الحديد المذكورة آنفا . ثم انها تتعهد بأن تؤيد طلب حكومة ايطاليا لامتيازات اقتصادية في تلك المنطقة امام حكومة الحبشة »

وقد قبل السنيور موسوليني القواعد التي ذكرت في هذه الوثيقة الرسمية ولكن فرنسا عارضت فيها لان معاهدة ١٩٠٦ الثلاثية تنص على حظر اي اتفاق ثنائي خاص بالحبشة. ولما كان هذا الاتفاق او مشروعه قد تمّ بين ايطاليا وبريطانيا من دون علم فرنسا فقد عارضت فرنسا فيه وبوجه خاص لانها لم تكن صديقة لايطاليا حينئذٍ . وكذلك اعترضت عليه الحبشة من طريق جامعة الامم فلم يعمل به

١٩٢ عقدت معاهدة تحكيم بين ايطاليا والحبشة والمادة الاساسية فيها تنصّ على ما يلي:

« تتعهد الحكومتان ان تعرضا للمصالحة والتحكيم الخلافات التي تنشأ بينهما والتي تتعذر تسويتها بالاساليب الدبلوماسية المألوفة من دون اللجوء الى القوة المسلحة .

وعلى الحكومتين ان تتبادلا مذكرات في صدد الاسلوب الذي يتخذ لتعيين المحكمين »

وفي ٧ اكتوبر من هذه السنة توّج الرأس تفري ملكاً . وماتت الامبراطورة زوديتو في ابريل سنة ١٩٣٠ فتوّج امبراطوراً في ٢ نوفمبر من السنة نفسها ، متخذاً لنفسهِ لقب هيلاسلاسي الاول

١٩٣٠ في شهر اغسطس من سنة ١٩٣٠ وافقت حكومة الحبشة على تنفيذ الاتفاق الخاص بتجارة السلاح الذي وقع في « سان جرمان آن لاي » سنة ١٩١٩

١٩٣٤ سبتمبر : اتفقت ايطاليا والحبشة على الامتناع عن الاعتداء

نوفمبر : اعتذرت الحبشة عن مهاجمة القنصلية الايطالية في غوندار

دسمبر : اصطدام جنود صوماليين ايطاليين بجنود احباش في وال وال

١٩٣٥ يناير : عقدت ايطاليا وفرنسا اتفاقاً في روما تنازلت فيهِ فرنسا لايطاليا عن جانب من اسهم سكة حديد اديس ابابا وصرّحت ان مصالحها في الحبشة محصورة في ما يتعلّق بهذه السكة

فبراير : بدأت ايطاليا تعدّ حملتها الافريقية

مارس : رفضت ايطاليا طلب الحبشة ان يعهد الى جامعة الامم في تحقيق حادث وال وال . وقطعت المفاوضات المباشرة بين الحبشة وايطاليا

ابريل : مؤتمر ستريزا واتفاق فرنسا وبريطانيا وايطاليا على موقف مشترك في صدد المشكلات الاوربية

مايو : عين مجلس جامعة الامم لجنة للمصالحة والتحكيم

يونيو : ذهب الكابتن ايدن الى روما وعرض على موسوليني اعطاء الحبشة منفذاً الى البحر في زيلع في الصومال البريطاني لقاء ما يتنازل عنهُ النجاشي من اراضي الحبشة لايطاليا فرفض موسوليني ما عرض عليهِ

يوليو : اجّلت لجنة التحكيم اجتماعاتها . والغت حكومة ايطاليا القانون الخاص بجعل الغطاء الذهب للنقد ٤٠ في المائة . ناشد البابا الحكومات للاحتفاظ بالسلام . حظرت بريطانيا تصدير السلاح الى كلتا ايطاليا والحبشة

اغسطس : ١٨ منهُ . عقد مؤتمر في باريس بين ممثلي حكومات بريطانيا وفرنسا وايطاليا ، فاخفق في محاولتهِ الوصول الى تسوية لان ايطاليا رفضت ان تنظر في المقترحات التي عرضتها فرنسا وبريطانيا . وجاء في بيان من الحبشة ان النجاشي عرض ان يتنازل عن مقاطعة اوسا مقابل اراض تمنحها الحبشة في ناحية اخرى

١٩٣٥ ٢٢ اغسطس : قرّرت الوزارة البريطانية ان تقف من جامعة الامم موقفاً يعزّز عهدها
٣١ منهُ : اذيع نبأ الامتياز الذي منحهُ النجاشي في الحبشة لمستر ريكيت الانكليزي نائباً عن طائفة من اصحاب المصالح المالية في انكلترا واميركا . ففسّر هذا العمل عند اذاعته على انهُ سعي من انكلترا « لحلب البقرة قبل تسليمها لموسوليني » فكذّبت وزارة الخارجية البريطانية اي صلة لها بهذه الصفقة وطلبت الى وزيرها المفوّض في اديس ابابا ان يشير على النجاشي بامساك الامتياز وافضى تعقُّد الحالة الناشئة عن ذلك الى انسحاب شركة فاكوم منهُ وكانت صاحبة اكبر نصيب فيهِ . وقرّر الكنغرس الاميركي ان يحظر توريد الاسلحة الى كلا الفريقين المتحاربين

سبتمبر : ٣ منهُ . قدّمت لجنة التحكيم — وكان المسيو بوليتيس اليوناني قد اختير محكماً خامساً فيها — تقريرها في حادثة وال وال فاذا هو لا يأتي اللوم على احد الفريقين

٤ منهُ : عين مجلس جامعة الامم لجنة الخمسة للبحث في الموضوع واقتراح تسوية

١١ منه : القى السر صموئيل هور خطبته في الجمعية العمومية لجامعة الامم متعهداً فيها بالنيابة عن الحكومة الانكليزية باستعداد بريطانيا « للدفاع المشترك عن عهد الجامعة كاملاً » واعربت سائر الدول عن مثل هذا العزم

١٨ منهُ : قدمت لجنة الخمسة تقريرها . فقبلته الحبشة اساساً لمباحثات . ورفضته ايطاليا رفضاً باتّاً

٢٣ منه : اعلنت ايطاليا زيادة جيشها الى مليون جندي ، ووجوب استعداد الامة لحشد عام عند الدعوة اليه . وشرعت انكلترا في تعزيز اسطولها في البحر المتوسط

٢٥ منهُ : اعلن الرئيس روزفلت قائمة بالمواد الحربية التي يحظر تصديرها الى البلدان المتحاربة

٢٦ منهُ : اجتمع مجلس جامعة الامم واقر بالاجماع مقترحات لجنة الخمسة واذ يمضي في السعي لحل النزاع الايطالي الحبشي بمقتضى المادة الخامسة عشرة من عهد الجامعة (مادة المصالحة Conciliation)

٢٩ منهُ : ردت بريطانيا على فرنسا بأنها مستعدة ان تشترك في كل مقاومة اجماعية لدولة معتدية بحسب عهد الجامعة

اكتوبر : ٢ منهُ : تخطت الجيوش الايطالية حدود الحبشة

الدستور السوفياتي الاشتراكي [1]

للاستاذ وليم بنت منرو [1]

— ٣ —

٣ : تمثيل الحرف — أهم ما يمتاز به نظام الحكم السوفياتي هي القاعدة المتخذة اساساً للتمثيل السياسي . فاننا نرى بريطانيا وفرنسا والمانيا والولايات المتحدة وغيرها من الدول الرأسمالية البرلمانية تتخذ الموقع الجغرافي اساساً للتمثيل فيجري الانتخاب من قبل جميع الناخبين في الالوية والاقضية والنواحي المتكونة منها الدولة بحسب المناطق او الدوائر الانتخابية التي تعين على أساس جغرافي . والنائب المنتخب على هذه الصورة يمثل لواء فيه فلاحون وعمال صناعيون وعمال مناجم وموظفو سكك الحديد واصحاب حرف حرة وتجار وملاك وأصحاب معامل الى غير ذلك من انواع الطبقات الاقتصادية، فهو يمثلهم كجماعات من السكان بلا التفات الى احوال معيشتهم اليومية المتباينة ومصالح طبقاتهم المتضاربة . والسبب في تطبيق هذا التمثيل هو ان النظرية الجغرافية تعتبر ان مصالح المصوّت تتأثر بالمكان الذي يعيش فيه وليس بالحرفة التي يعيش عليها

اما النظام السوفياتي فيتخذ من الحِرَف اساساً للتمثيل السياسي ، ومع ان المناطق الجغرافية تستعمل ايضاً في التمثيل الحرفي الا ان استعمالها ليس إلاّ لتسهيل عملية التصويت الحرفي . وفي هذا النوع من التمثيل يصوت الاشخاص ذوو الحرف المختلفة كل على حدة مع افراد حرفتهم : فعمال المناجم يصوّتون في فريق وعمال الحديد في فريق آخر والجنود في فريق ثالث والفلاحون في فريق رابع الخ . . . كل بحسب اختصاصه الحرفي ينتخب ممثليه من طبقته . فلا يمثل عامل المناجم او الفلاح المنتخب الى مؤتمر سوفيت الاتحاد مدينة موسكو او تفليس او البلدة التي يأتي منها بل يمثل افراد فريقه بالمهنة بلا إلتفات الى محل الاقامة . وهذا النوع من التمثيل اقرب الى التمثيل الحقيقي لمصالح الناخبين من التمثيل الجغرافي بكثير وهو يعد افضل اسلوب للتمثيل جرب في العالم لانه يمثل حقيقة مصالح كل فريق حرفي تمثيلاً صحيحاً حالة ان التمثيل الجغرافي خلو من معنى الدمقراطية الصحيحة وصيانة مصالح الناخبين بل هو حيلة تفوز بواسطتها الطبقات المثرية الاقطاعية والبورجوازية في البلاد الرأسمالية بالقوة السياسية مع ادعائها منح المساواة والدمقراطية لجميع افراد المجتمع

ومن الواضح ان التمثيل الجغرافي الذي تتمشى عليه البلاد الرأسمالية على الاخص ضعيف من اساسه لا يتلاءم والدمقراطية الحقيقية التي تدعي انها تصونها لانه لا يعير اي اهتمام الى كون ان

---

(١) Socialist Soviet Coustitution (٢) استاذ التاريخ والحكومات في معهد جامعة كالفورنيا الفني بامبركا وقد نقل هذا الفصل المتع كامل قزانجي مدرس الاجتماع والتاريخ بمدرسة النجف الثانوية في العراق . راجع مقتطف يوليو واكتوبر ١٩٣٥ صفحة ٢١٩ و٣٤٧

المصوّت ينتمي الى طبقة او فريق اقتصادي بحكم الحرفة التي يؤمّن بها على موارد عيشه وهو عضو اقتصادي اكثر منهُ ساكناً او مقيماً في بلدة او ريف ما ، لذلك يكون فيهِ الاخلاص لمصلحة حرفتهِ المعيشية اكثر من إخلاصه للسكان الذي يتفق ان يقيم فيهِ والطبقات الاخرى التي يعيش معها طلباً للرزق . والتجار والعمال المأجورون والفلاحون وأصحاب المهن الحرة — كل واحد منهم لا يضحي بمصالحه ومصالح فريقهِ الاقتصادية والاجتماعية لذلك لايمكن ان تنشأ بين المصوتين لمختلفي المهن رابطة اقتصادية دائمة ولو كانوا يعيشون في بلدٍ واحد او ريف واحد او دائرة انتخابية جغرافية واحدة . ومع انهُ ليس من المؤكد دائماً ان يتفق ذوو الحرفة الواحدة على رأي واحد فيما يخص بعض قضايا السياسة العامة لكن يمكن الاعتماد على ان تكون الحرفة المعيشية اساساً أفضل للتمثيل من الموقع الجغرافي في احوال الحياة الحاضرة . وقد اقترح هذا التبديل في الولايات المتحدة كثير من قبل الساسة المجددين ومنهم وليم مكدونالد في كتابه « دستور جديد لاميركا الجديدة » حيث كتب : « من الواضح انهُ إذا شاءت الولايات المتحدة ان يكون لها هيئة تشريعية تمثلها تمثيلاً حقيقيًّا فيجب ان يبدل نظام التمثيل الحاضر بحيث تأخذ بعين الاعتبار ليس فقط السكان كما هي الحالة الآن بل الفروق في المهن والحرف كذلك ايضاً » لأن التمثيل الجغرافي باعتباره الصلة الجغرافية أهم من الصلة الطبقية لا يمكن ان يصون مصالح جميع المصوّتين المنتمين الى طبقات مختلفة متضاربة المصالح لذلك يكون النائب عادة من الطبقات ذات القوة الاقتصادية ولا يخدم الاّ مصالح طبقته وفي معظم الاحيان يكون أميل الى نسيان مصالح ناخبيهِ والاعتناء بمصالحه الخاصة قبل غيرها في منطقة انتخابية جغرافية ما ، يفوز صاحب المعمل والملاّك مثلاً بتمثيل الفلاحين والعمال المقيمين معاً لما لديهما من الثروة والقوة الاقتصادية والسياسية لكن الفلاح لا يفوز بتمثيل الملاّك ولا العامل يفوز بتمثيل صاحب المعمل

لكن هناك وجهة ثانية للقضية تنحصر في : هل يكون خير المجتمع اكثر ضماناً وتقدماً اذا وزنت القوة السياسية بحسب المناحي التي يحصل بها أصحاب المهن المختلفة على عيشهم ؟ تقوم النظرية السوفياتية على مبدإ ان حرفة الانسان وطريقة معيشته هي التي تملي عليه موقفه اراء قضايا السياسة العامة وعلاقاته الاجتماعية . أما البلاد الرأسمالية فقد تمشت على مبدأ اعتبار الشخص اميركيًّا او انكليزيًّا او فرنسيًّا اولاً وعاملاً أو فلاحاً أو تاجراً ثانياً

وحرياً على هذا المبدأ يطلب من الشخص ان يكون موقفه تجاه مصالح الامة بأجمعها فوق مصلحته الخاصة أو مصلحة حرفته أو طبقته الاقتصادية ولو كلفه ذلك التضحية بالثانية في سبيل الاولى فالنائب في المجلس على هذا المبدأ ينتخب من قبل مصوتي المنطقة فلا يمثل تلك المنطقة بل يمثل الامة بأجمعها لانهُ يتقاضى مخصصاته من الخزينة العامة . لكن الواقع لا يتفق مع النظرية في النظام الرأسمالي لان النائب فيه ينقاد عادة الى الاعتناء بمصالحه الخاصة أولاً — كما اسلفنا —

هي مصغر مصالح حرفته أوطبقته الاقتصادية . فلا يكون بذلك ممثلاً حقيقيًّا لجميع ناخبيه. لكنه اذا انتخب من قبل فرق حرفته أو طبقته فلا يطلب منه أن يمثل المجتمع كله بل أن يمثل طبقته فقط وبهذا التحديد في نطاق مسؤوليات النائب ، ضمان اقوى لقيامه بواجبات التمثيل

فالذي تقصده الشيوعية في نظام التمثيل هذا هو تحقيق الديمقراطية الاقتصادية تمهيداً لتحقيق ونجاح الدمقراطية السياسية التي تعاني اليوم الازمات الشديدة في الدول الاوربية الرأسمالية لعدم استنادها الى نظام اقتصادي دمقراطي اذ تمنح الحقوق الدمقراطية السياسية لافراد المجتمع وهم بعدُ لا يزالون على أساس مالي يتناقض مع روح الدمقراطية الحقيقية . وهنا منشأ الازمات

وبتطبيق التملك العام لجميع وسائل الانتاج والتوزيع ومنابع الثروة يقضي النظام السوفياتي الاشتراكي على الفروق الطبقية وحرب الطبقات معاً، ويوضعه التمثيل على اساس حرفي يضمن التعاون بين الفرق الحرفية لمختلفة ويصون مصالحها . لكن قبل ان يطبق هذان المبدآن وضعت السلطة بيد طبقة واحدة هي طبقة المنتجين من عمال وفلاحين وجنود وبفوز دكتاتورية العمال لم يعد في استطاعة اي طبقة اخرى من الطبقات السابقة ان تعلن حرباً او تناهض القوة القائمة في الحكم مهما حاولت ان تفعل ذلك. فلا يبقى امامها الاّ ان تندمج في الطبقات المنتجة حتى يتكامل المجتمع فيصبح لاطبقيًّا او تهرب من حكم الطبقة الحاكمة ، وفي كلتا الحالتين تقدم نحو الغاية القصوى وهي « المجتمع اللاطبقي » . لكن وان اعتبرت المصالح الاقتصادية اساس النظام الانتخابي فالنظام السياسي هو بالحقيقة خاضع « لدكتاتورية العمال » التي تشرف على دور الانتقال من الفردية الى الشيوعية

٤ — البعد بين الناخب والحاكم — والميزة الرابعة للنظام السياسي السوفياتي هي البعد بين الهيئات الحاكمة والشعب المحكوم . ففي اميركا مثلاً ينتخب الشعب الهيئات التنفيذية والتشريعية في ولاياتهم فلا يبعد الرئيس واعضاء الكونغرس عن المصوتين اكثر من درجة واحدة . اما في الاتحاد السوفياتي فتنفصل هذه السلطات عن الناخبين عدة درجات . فالفلاح السوفياتي ينتخب سوفيت قريته او مزرعته الاشتراكية وهذا السوفيت الاولي يبعث ممثلين عنهُ الى سوفيت الاقليم ومؤتمر سوفيت المنطقة وهذا بدوره يتمثل في مؤتمر سوفيت جميع الروس اذا كان في روسيا ، او في مؤتمر سوفيت جميع الشعب الساكن في الجمهورية الفلانية مثلاً وهذا الاخير يعين اللجنة التنفيذية المركزية لجمهوريته وهذه تعين مجلس القومساريين في تلك الجمهورية . اما في حكومة الاتحاد فيتمثل الفلاح بواسطة مندوبيه لذين يرسلون من سوفيت ريفه او اقليمه الى مؤتمر سوفيت الاتحاد الاعلى وهذا يعين اللجنة التنفيذية المركزية العليا وهذه تعين مجلس القومساريين . وهكذا قل عن تمثيل العمال في المدن . وعلى ذلك نرى ان المصوّت الاول في الريف او المعمل ينفصل بثلاث او اربع درجات عن الهيئة التنفيذية العليا ولطول هذه المسافة تقل مسؤلية القومساريين المباشرة امام الشعب وتنحصر مسؤوليتهم امام مؤتمر سوفيت الاتحاد واللجنة التنفذية العليا ومجلس الرآسة فقط . وبذلك يقل

اقط القومساريات في فترات قصيرة . فمع ان جميع سكان الاتحاد السوفياتي يشتركون في ادارة كومتهم لكنهم بممارستهم هذه الادارة بهذا الشكل الهرمي تحدد السيادة العامة ويقل تأثر السلطات نفيذية بتقلبات الرأي العام وفي هذا استقرار سياسي عام ضروري للبلاد وهي في دور الانتقال من قطاعية والرأسمالية الى الاشتراكية

﴿القضاء والمحاكم﴾ لكل من الجمهوريات السبع الرئيسية والجمهوريات والمناطق والاقاليم الذاتية كائنة في كل منها نظام قضاء وقوانين خاصة بها . لكن القوانين والنظام القضائي في كل من هذه جمهوريات لا تختلف اختلافاً جوهرياً عن الاخرى . وتعتبر محكمة الاتحاد العليا المرجع القضائي الاخير مع القضايا في انحاء الاتحاد السوفياتي . وهناك محاكم تعرف باسم (محاكم الشعب) في كل منها حاكم للمين او اكثر وهناك كذلك عدة محاكم خاصة كمحاكم العمل والتحكيم والمحاكم العسكرية والنظامية . . . وفوق هذه جميعها تأتي محاكم المناطق وفي كل واحدة منها عدة حكّام يتفاوت عددهم حسب الحاجة . والحكّام في جميع المحاكم في جمهوريات الاتحاد يعينون من قبل سلطات المناطق يقون في مناصبهم سنة واحدة . ويستثنى من هذا حكام محكمة الاتحاد العليا الذين تنتخبهم لجنة تحاد التنفيذية المركزية او بالحقيقة : مجلس رآسة اللجنة . اما المحلّفون في محاكم الشعب ومحاكم طعات او المحاكم العليا فيستدعون للعمل مدة ٦ ايام كل سنة وينتخبون من عدد من بين المواطنين ادق عليهم وليس في الاتحاد نظام ثابت للمحاكمة امام هيئة من الحكّام بل يقوم المحلفون مقام هيئة كام فيبتون في القضايا مع الحاكم باجماع الاصوات

لكن قد يتبادر الى ذهن القارىء ان يسأل : — لماذا لا ينهار هذا النظام الهرمي من سوفيت ن ومؤتمرات وهيئات ومجالس بسبب علوه وثقله ؟ ولماذا لا يرتبك هذا النظام وينحل بسبب ، وسوء التفاهم الذين يحتمل وقوعهما بين سلطات الاتحاد وسلطات الجمهوريات الرئيسية وبين وسلطات المناطق والاقاليم والمدن والارياف ؟ اما الجواب فبسيط يتلخص في ان ليس في الاتحاد حزب سياسي واحد يسود جميع هذه المؤسسات ويسيطر على هذا النظام . وكل موظف رسمي في اد مهما اختلفت مرتبته يجب ان يكون عضواً في الحزب الشيوعي الذي يشرف على جميع شؤون نيت واللجان وغيرها من مؤسسات الاتحاد ويديرها بواسطة المكتب السياسي فيه . ولما كان عيون لا يتقاسمون الحكم مع من يخالفهم في المعتقد فهم لا يؤمنون بامكان وجود معارضة ة في الاتحاد السوفياتي او في اي مجتمع يريد تحقيق الشيوعية فلذلك هم يعتقدون أن كل من ن الحزب الشيوعي خائن وضد الثورة والدولة . فاذا نشأ نزاع في قضية ما يحل النزاع داخل ، اذ تعتبر جميع القضايا حزبية لا سياسية عامة ، وبعد تقرير الحزب خطة ما أراء القضية المختلف جب على الجميع الرضوخ لقرار الاكثرية الفائزة بوجهة نظرها . وفي سيادة الحزب الواحد هذه على المناطق الجغرافية وجميع مرافق الحكومة من دون اعتراف باي معارضة السرّ كل السرّ في

القوة التي تحفظ هـذا النظام .فعندما اختلف تروتسكي مع ستالين حول متابعة الثورة العالمية بحسب رأي تروتسكي أو الاهتمام بالتشييد الاشتراكي ومشاريع الخمس سنين بحسب رأي ستالين وحول أي الخطتين تقوم على الاخرى فاز رأي ستالين بمعاضدة الحزب له فلم يسمح لتروتسكي ان يتولى جبهة معارضة حوله بل نفي حالاً الى خارج الاتحاد. وهكذا مع رايكوف وغيره من الخارجين على ارادة الحزب العامة أمثال كامنيف وزينوفيف من زعماء الحزب المؤسسين وفلاسفة النظام السوفياتي ، عند ما اختلفوا مع ارادة الحزب العامة وزعمائه الاقوياء أصبحوا أعداء الدولة فأعدم معظمهم حالاً ونفي القسم الآخر الى سيبيريا .

الحزب الشيوعي — ومع أن الشيوعيين كانوا أقلية بين سكان روسية أيام الحرب العظمى لكنهم كانوا محكمي التنظيم اذ تقوم عضوية الحزب على أساس التكتل بشكل طوائف ، في كل قرية ومعمل طائفة واحدة على الاقل . وكل طائفة تبعث ممثلاً عنها الى مؤتمر الحزب الذي ينتخب لجنة مركزية وهذه بدورها تعين اعضاء المكتب السياسي الذي يقود حركات الحزب ولشدة علاقة الحزب بأعمال الدولة كثيراً ما يتقلد المناصب العليـا في الحكومة وفي الحزب نفس الاشخاص والزعماء . ونظام الحزب صارم جدًّا يقوم على الطاعة المخاصة والتنظيم العسكري وينزل العقاب الشديد بكل من يشكك به شكًّا طفيفاً ويطرد من الحزب أو يحمّل آلاماً وخسائر عديدة

ولا يمكن لاحد ان يصبح عضواً الاّ بعد ان يجتاز مدة امتحان يكون خلالها تحت مراقبة شديدة . فالحزب الشيوعي هو القوة المحركة والمنظمة لجميع شؤون الاتحاد .

ويعلن الدستور السوفياتي لسنة ١٩١٨ بكل ارتياح انهُ يعترف « بالمساواة في الحقوق لجميع المواطنين » لكنهُ يقول في الفقرة التالية مؤكداً ان ليس من حق اي مواطن ان يدعي التمتع بأي حق او امتياز يمكن استعماله للاساءة لروح الثورة الشيوعية ولهذا السبب لا يحدد الدستور قائمة الحقوق . فالمواطن السوفياتي ليس له اي حق على الدولة وهذا ما اتبعه النظام الفاشستي فيما بعد باعتباره الدولة غاية الجميع وليس الفرد الاّ واسطة لهذه الغاية . اما في الاتحاد السوفياتي بالمقابلة مع ايطاليا فالغاية هي (المجتمع اللاطبقي) الذي يقوم على اساس التملك العام ويكون فيه جميع الافراد عمالاً منتجين يتمتعون جميعهم بما يملكون وينتجون موحدين جهودهم لتحقيق غايات مشروع واحد عام ورفع مستوى معيشة الجميع المادية والادبية . لذلك نرى الفلسفة الفردية تنعكس فتصبح حرية الصحافة والخطابة وحرية التعامل التجاري كما يفهمها بقية العالم الرأسمالي غير متفقة مع روح هـذه النظرية الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي لان هذه الحريات لا يجب ان تصان الاّ اذا كانت تساعد على تقوية النظام الجديد لانهُ اذا كانت غاية الانسان الرئيسية تحقيق المجتمع الشيوعي والمساعدة على الاحتفاظ بشكل من الحكومة تعمل على تحقيق هذا المجتمع فلا يكون للمواطن أي حرية أو مصلحة تتعارض مع الغاية التي يحرص عليها والوسائل التي ينتهجها لتحقيقها

التربية الاجتماعية والصحية

متى يغتفر الكذب

لشاكر الحنبلي

تحريم السرقة

الاستشارة الطبية المدرسية

للدكتور حسن كمال

متى يغتفر الكذب

لشاكر الحنبلي

قرأت في مجلة الهلال الغراء مقالاً للعلامة الاديب مصطفى الشهابي تحت عنوان « غرائب المصانعة » تناول فيها جانباً من النقص الاخلاقي في بعض الافراد الذين يلبسون لكل حالة لبوسها ويتلوّنون في آرائهم واحاديثهم تلوّن الحرباء على حسب ما يرضي مخاطبهم لاما يرضي ضميرهم ويعدون ذلك من مقتضيات الكياسة وحسن السياسة . وقد استثار هذا المقال اهتمام بعض المفكرين فكتب الاديبان اديب عباسي والياس يعقوب مقالين في هذا الصدد عابا بهما هذا الخلق واعتبراه ضعفاً في النفوس البشرية واعوجاجاً يجب تقويمه والتحذير من التعرض لآفاته التي تفقد المرء ذاتيته حتى يصبح بمثابة الحاكي الذي يردّد اقوال الغير وافكارهم بدلاً من ان يكون له في الحياة كيان مستقل

وقد نبهتني هذه المقالات الى ناحية اخرى من نواحي اخلاقنا الاجتماعية تكاد تكون عامة بين جميع الطبقات وهي الكذب في الحديث والرواية والعمل لا لشيء سوى التخلص من عتاب صديق او عناء زيارة متوجبة او دفع تبعة محتملة كاعتذارك عن تلبية دعوة بداعي المرض مع انك لم تكن مريضاً او قولك لخادمك عند زيارة احد تكره مقابلته: قل له اني لست في الدار مع انك فيها وتجاهل امر تعرفه او التغاضي عن شيء تكره افشاءه والتمارض السياسي الذي يتظاهر به بعض الساسة — كل ذلك من هذا القبيل، والمصانعة والمداهنة والرياء والتقية وان اختلفت اسماؤها فهي في الحقيقة لا تخرج عن حد الكذب ما دام الكذب هو الاخبار بشيء على خلاف ما هو عليه مع العلم به . فالمصانع والمداهن والمرائي جميعهم يقولون بخلاف ما يعتقدون وهو الكذب بعينه . والذين يستعملون التقية وهي اظهار خلاف ما يبطنهُ المتكلم دفعاً لضرر يظنونهُ لاحقاً بهم ان هم صارحوا بالحقيقة ليسوا سوى كذّابين ايضاً

فلماذا يرتكب الناس هذا النوع من الكذب ويفرّون من مواجهة الصراحة ولا يرون في ذلك غضاضةً عليهم ولا حرجاً ؟ اليس لهم مندوحة عن الكذب بالعدول عنهُ الى ما يؤدي الغرض منهُ ؟ وهل هنالك حالات يغتفر فيها الكذب وما هي ؟ هذه قضية جديرة بالبحث والتمحيص لمساسها بناحية دقيقة من نواحي اخلاقنا الاجتماعية : ان الكذب هو بلا ريب من اقبح الخلال واوضعها ولهذا نهت عنهُ جميع الشرائع والأديان ومقتتهُ العقول وكفى بالكذب شيناً ومهانةً ان صاحبهُ

مرذول محتقر لا يصدقهُ الناس ولو صدق . ولا حاجة بنا الى سرد ما قيل في شناعة الكذ والكذابين فذلك مما يطول شرحه وليس هو غرضنا من هذا المقال وانما نريد ان نعرض للكذ من حيث غرض الكاذب وغايته لنرى اتبرر الغاية الشريفة هذه الواسطة الوضيعة في نظر العقل والشر وان برّتها فما هو مدى هذه الغاية ؟

ان الشرع قد اجاز لنا ارتكاب بعض المنهيات للضرورة فاجاز للمضطر اكل مال الغير لدفع الجو متى خشي الهلاك عملاً بالقاعدة الفقهية «الضرورات تبيح المحظورات» كما اجاز ارتكاب اخ المفسدتين واختيار اهون الشرين متى تعارضا فاباح لمن اكره بالقتل التكلم بالكفر مع اطمئنان قا بالايمان ولكنه مع ترخيصه بهذه المنهيات قد قيدها بالقدر الذي تندفع به الضرورة فنصّ على «الضرورات تقدر بقدرها» فلا يجوز للجائع ان يأكل من مال الغير الاّ بالقدر الذي يحفظ حياته و عنه الهلاك ومتى امكن دفع الضرر بالاخافة والتهديد او الضرب العادي فلا يصار الى دفعه بالف لأن القدر الزائد عن الضرورة مساوٍ للاعتدال بل زائد عليه . فلا يسوغ لنا التجوز في الرخ وارتكاب ما نهى عنه الشرع في سبيل مصالحنا وشهواتنا تحت ستار الضرورة . وهكذا الكذ فهو وان كان حراماً إلاّ انه قد يباح في بعض الاحيان للضرورة متى كان في الجهر بالصدق خشية ض او فتنة اشد شرًّا من الكذب

***

يقول العلماء ان الكذب ليس حراماً لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب او على غ وربما كان واجباً في بعض الاحيان . ارأيت لو ان رجلاً سعى خلف آخر بالسيف ليقتله فدخل دار فانتهى اليك الرجل يسألك هل رأيت فلاناً فاذا كنت قائلاً ؟ الا تقول ما رأيته وهذا كذب ولكـ خير من الصدق بل واجب عليك لان فيه حقن دم

ذكر الامام الغزالي في كتابه احياء علوم الدين « ان الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصو محمود يمكن الوصول اليه بالصدق والكذب معاً فالكذب فيه حرام وان امكن التوصل ا بالكذب دون الصدق فالكذب فيهِ مباح ان كان تحصيل ذلك القصد مباحاً وواجب ان كان المقصو واجباً كما ان عصمة الدم واجبة . فمتى كان في الصدق سفك دم امرىء قد اختفى من ظالم فالكذ فيهِ واجب ومتى كان لا يتم مقصود الحرب او اصلاح ذات البين او استمالة قلب المجني عليهِ الا بالكذ فالكذب مباح . الاّ انهُ ينبغي ان يحترز منهُ ما امكن لان الانسان اذا فتح باب الكذب على نفـ فيخشى ان يتداعى الى ما يستغني عنهُ والى ما لا يقتصر على حد الضرورة فيكون الكذب حرا الاّ لضرورة . روي عن ام كلثوم قالت ما سمعت رسول الله (ص) يرخص في شيء من الكذب إ في ثلاث الرجل يقول القول يريد بهِ الاصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأ

زوجة تحدث زوجها . وقالت ايضاً قال رسول الله (ص) ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيراً ... خيراً . وروي عن ابي كاهل قال وقع بين اثنين من اصحاب النبي كلام حتى تصارما فلقيت ... فقلت مالك ولفلان فقد سمعتهُ يحسن عليك الثناء ثم لقيت الآخر فقلت لهُ مثل ذلك ... اصطلحا ثم قلت اهلكت نفسي واصلحت بين هذين فاخبرت النبي (ص) فقال يا أبا كاهل اصلح ... الناس ولو . . اي بالكذب

«وهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها اذا ارتبط بهِ غرض مقصود صحيح ... ولغيره اما ما كان لهُ فمثل ان يأخذه ظالم ويسأله عن ماله فله ان ينكره او يأخذه سلطان ... عن فاحشة كانت بينهُ وبين الله تعالى فله ان ينكر ذلك فيقول ما زنيت وما سرقت وقال صلى ... وسلم من ارتكب شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وذلك ان اظهار الفاحشة ... اخرى فللرجل ان يحفظ دمه وماله الذي يؤخذ ظلماً وعرضهُ بلسانهِ وان كان كاذباً واما ... لغرض غيره فبأن يسأل عن سر اخيهِ فلهُ ان ينكرهُ وان يصلح بين اثنين وان يصلح بين ... من نسائهِ بأن يظهر لكل واحدة انها احب اليهِ او يعتذر الى انسان وكان لا يطيب قلبهُ الاَّ ... وزيادة تودد فلا بأس ولكن الحد فيهِ ان يقابل بين الكذب والصدق بالميزان القسط فاذا ... له ان المحذور الذي يحصل بالصدق اشد وقعاً في الشرع من الكذب فله ان يكذب وان كان ذلك ... دأهون من مقصود الشرع فيجب الصدق . وقد يتقابل الامران بحيث يتردد فيهما وعند ذلك ... الى الصدق اولى لان الكذب يباح لضرورة او حاجة مهمة فان شك وكون الحاجة مهمة فالاصل ... فيرجع اليهِ . . ولكن بالنظر لغموض ادراك مراتب المقاصد ينبغي ان يحترز الانسان من ... ما أمكنهُ وكذلك متى كانت الحاجة له فيستحب له ان يترك اغراضه ويهجر الكذب . فاما اذا ... غرض غيره فلا تجوز له المسامحة لحق الغير والاضرار بهِ . واكثر كذب الناس انما هو لحظوظ ... ثم هو لزيادة المال والجاه ولامور ليس فواتها محذوراً ... »

ويظهر مما ذكره حجة الاسلام الغزالي ان الكذب قد رخص بهِ للضرورة في بعض المواطن دفعاً لضرر لا يمكن اجتنابهُ الاَّ بالكذب فيباح حينئذٍ ولكن هذه الرخصة يجب ان لا تتعدى حدود الضرورة . وكان السلف يعدلون عن الكذب الى المعاريض ويرون فيها مندوحة عن الكذب عند ... يضطرون اليه ومثال التعريض انهُ اذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت ان تكذب تقول ان الله ... تعالى يعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قولك (ما) حرف نفي عند المستمع وعندك للابهام . وكان معاذ بن جبل عاملاً لعمر رضي الله عنهُ فلما رجع قالت له امرأتهُ ما جئت به مما يأتي به العمال ... واهلهم وما كان قد اتاها بشيء فقال كان عندي صاغطاً قالت كنت اميناً عند رسول الله وعند ابي بكر فبعث عمر معك صاغطاً وقامت بذلك بين النساء واشتكت عمر فلما بلغه دعا معاذاً وقال له ابعثت معك صاغطاً قال ما اجد ما اعتذر به اليها إلاَّ ذلك فضحك عمر واعطاه شيئاً فقال له ارضها به .

ومعنى قوله ضاغطاً يعني رقيباً وأراد به الله تعالى . وكان النخعي اذا طلبه من يكره أن يخرج اليه وهو في الدار قال للجارية قولي له اطلبهُ في المسجد ولا تقولي ليس ههنا كيلا يكون كذباً . وكان الشعبي اذا طلب وهو في المنزل وهو يكره الخروج خط دائرة وقال للجارية ضعي اصبعك فيها وقولي ليس ههنا

وهذا كله في موضع الحاجة . وقالوا في توجيه هذا النوع من المعاريض ان المحذور من الكذب تفهيم الشيء على خلاف ما هو عليهِ في نفسهِ الاّ ان ذلك مما تمس اليهِ الحاجة وتقتضيه المصلحة في بعض الاحوال وفي تأديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجراهم وفي الحذر من الظلمة وفي قتال الاعداء والاحتراز عن اطلاعهم على أسرار الملك فمن اضطرّ الى شيء من ذلك فهو صادق وان كان كلامه معهما غير ما هو عالمٌ بهِ لان الصدق ما أريد لذاتهِ بل للدلالة على الحق والدعاء اليهِ فلا ينظر الى صورته بل الى معناه ففي مثل هذه المواضيع ينبغي ان يعدل الى المعاريض ما وجد اليهِ سبيلاً . وكان رسول الله (ص) اذا توجه الى سفر ورّى بغيره كي لا ينتهي خبره الى الاعداء وليس هذا من الكذب في شيء

وقد أباحوه أيضاً في المزاح لما فيهِ من المطايبة على ان لا يتجاوز حد الاعتدال . وكان النبي (ص) يمازح بعض الصحابة والصحابيات ولكنهُ لا يقول الاّ حقاً . روي عن الحسن أنهُ قال : أتت عجوز الى النبي (ص) فقالت يا رسول الله ادعُ لي بالمغفرة فقال لها : لا يدخل الجنة عجوز فبكت فتبسم وقال لها انك لست بعجوز يومئذٍ أما قرأت قوله تعالى « انّا أنشأناهنّ انشاءً فجعلناهنّ أبكاراً عرباً أترابا » . فانظر الى هذا المزاح اللطيف الذي لا يخرج عن قول الحق ومثل النبي قادر أن يمزح ولا يقول الاّ حقاً . فأين هذا من مزاح بعض الناس الذين لا همّ لهم الاّ ان يضحكوا الناس من قولهم كيفما كان

ويغتفر الكذب في الشعر أيضاً عن طريق المبالغة حتى قالوا « أعذب الشعر أكذبه » . وقد أمر رسول الله (ص) حسان بن ثابت الانصاري بهجاء الكفار والتوسع في المدح فانهُ وان كان كذباً فلا يلتحق بالكذب الحرام كقول ابي تمام في وصف الخليفة المعتصم :

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

فان هذا عبارة عن الوصف بمنتهى الجود والسخاء فان لم يكن صاحبه سخيّاً كان كذباً وان كان سخيّاً فالمبالغة من صنعة الشعر . وقد أنشدت ابيات بين يدي رسول الله لو تتبعت لوجد فيها مثل ذلك فلم يمنع منهُ . قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله (ص) يخصف نعله وكنت جالسة اغزل فنظرت اليهِ فجعل جبينه يعرق وجعل عرقهُ يتولد نوراً قالت فبهت فنظر اليّ فقال مالك بهت فقلت يا رسول الله نظرت اليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نوراً ولو رآك ابو بكر الهذلي لعلم انك احق بشعره قال وما يقول قلت يقول :

واذا نظرت الى اسرة وجههِ برقت كبرق العارض المتهلل

قالت فوضع ما كان بيده وقام اليَّ وقبل ما بين عينيَّ وقال جزاك الله خيراً يا عائشة ما سررت بي كسروري منك . ولما قسم النبي (ص) الغنائم يوم حنين امر للعباس بن مرداس باربع قلائص بدفع يشكو في شعر وفي آخره :

وما كان بدر ولا حابس يسودان مرداس في مجمع

وما كنت دون امرىءٍ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليهِ وسلم اقطعوا عني لسانه فذهب بهِ ابو بكر الصديق حتى اختار مائة من الابل ثم رجع وهو من ارضى الناس فقال له النبي اتقول فيَّ الشعر ؟ فجعل يعتذر اليهِ ويقول بأبي انت وأمي اني لأجد للشعر دبيباً على لساني كدبيب النمل ثم يقرصني كما يقرص النحل فلا اجد بدًّا من قول الشعر فتبسم النبي وقال « لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين » ومثل هذا كثير في شعار العرب وغيرهم . فالمبالغة في الوصف تغتفر على شرط ان يكون في الموصوف بعض هذه الصفات

ومثل اطراء الممدوح في حفلات التكريم والتأبين . فانك تلاحظ في اقوال الخطباء اطراء يخرج من حدود الحقيقة ولكن الناس يغتفرون ذلك ويرونهُ ضروريًّا لتطييب قلب المحتفل بهِ او مواساةً لاهل الفقيد بل يعدونهُ من المجاملات الاجتماعية التي لا بدَّ منها . وكذلك تجاهل العارف وفي حقيقتهِ كذب ولكنهُ من الصناعات الادبية في الادب العربي

***

ومن الكذب الممدوح ما يقصد به الايثار على النفس وهو نادر ويعد من مكارم الاخلاق كما فعل ذلك الانصاري الذي جاء الى النبي فوجد عنده ضيفاً ولم يكن عند النبي ما يقدمهُ الى ضيفه فذهب الانصاري بالضيف الى اهله ثم وضع بين يديه الطعام وأمر امرأته باطفاء السراج وجعل يمد يده الى الطعام كأنهُ يأكل ولا يأكل حتى اكل الضيف الطعام . فلما اصبح قال له رسول الله لقد عجب الله من صنيعك الليلة الى ضيفكم ونزلت آية « ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » فيا حبذا الكذب من هذا النوع

هذا وان الناس قد فتحوا باب الكذب على مصراعيه وتجوّزوا فيهِ في غير محال الضرورة حتى اذ يكون خلقاً من اخلاقنا الاجتماعية فاذا اردت ابتياع سلعة او استصناع حذاء مثلاً قال لك التاجر او الصانع ان رأس مالهما كذا قرشاً وراحا يعززان قولهما بأغلظ الأيمان وهما كاذبان في قولهما بيمينهما وهكذا تغلغلت خصلة الجبن في نفوسنا حتى صارت عادة مستحكمة تصدر عنا عفواً وبلا أمل كأنها من الغرائز الطبيعية . ولو حللنا عوامل هذه النقيصة الاخلاقية تحليلاً نفسيًّا لم نجد لها سبباً سوى الجبن او الانانية فالكذاب يقصد بكذبهِ سواء اكان صريحاً او عن طريق المصانعة او

المداهنة او الرياء او التقية الى اتقاء شر يخافه او جلب خير يرجوه وكلاهما يتلخصان بالخوف والانانية . نعم ان الحياة الاجتماعية قد تلجىء المرء في بعض الاحيان الى الكذب والمصانعة كما قال زهير بن ابي سلمى

ومن لم يصانع في امور كثيرة يضرّس بأنياب ويوطأ بمنسم

إلاّ ان ذلك يجب ان يقصر على مواطن الحاجة والضرورة وعلى الاحوال التي لا مندوحة فيها عن الكذب فلا يسوغ لنا ان نسرف فيهِ اسرافاً يخرجهُ عن هذا القدر ويصرفهُ عن مقصد الشارع في الترخيص بهِ . فالكذب والمصانعة وما جرى مجراهما من ضروب المين بمثابة السم الذي يستعملهُ الطبيب لمعالجة بعض الامراض فان أعطى المريض منهُ مقداراً زائداً عن الحد المقدَّر لهُ طبًّا أودى بحياة المريض

وهكذا الكذب يخشى اذا نحن أسرفنا في التجوز بهِ ان يوردنا موارد العطب والهلكة لا سيما وان تقدير مواطن الضرورة فيهِ من أدق الامور وأصعبها بل هو من مزالق الاقدام ولذلك كان السلف يحتاطون في الترخيص بهِ ويقولون لا يجوز للرجل ان يكذب لصلاح نفسه فما عجز الصدق عن اصلاحه كان الكذب أولى بفسادهِ »

فيجب على قادة الرأي فينا من علماء وأدباء وكتّاب ان يعالجوا هذا المرض الاخلاقي معالجة دقيقة ويصفوا لهُ الدواء الشافي او الواقي . ولعلَّ خير ما يصنعون ان يكثروا من المحاضرات والمقالات في هذا الصدد فعسى ان يكون من وراء ذلك ما يحقق الغرض من تقويم اعوجاج نفوسنا وتطهيرها مما علق بها من أدران وأوضار فنحن أحوج ما يكون الى تجدد أخلاقي يبنى عليه صرح نهضتنا القومية التي نسعى اليها . وكل رقيٍّ لا يشاد على أساس الفضائل الاخلاقية فمصيره السقوط والانهيار ورحم الله القائل :

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

تحريم السرقة

سئل الدكتور صرّوف ، رحمة الله عليهِ ، ما هي الادلة القاطعة على تحريم السرقة فقال :

التحريم أمرٌ دينيٌّ . والاديان تنهى عن السرقة . ولا دليل فوق ذلك . ولكن اذا اردتم الدليل على ضرر السرقة فالسارق قلَّما يُضَرُّ . والذي تسرق امواله يُضَرُّ غالباً بحرمانهِ مما هو لازم لمعيشتهِ وراحتهِ . ولكن الضرر الاكبر يقع على الجماعة التي تجيز السرقة لانها تفقد حق التملك الذي هو اساس العمران وتعود الى البداوة والفوضى

الاستشارة الطبية الدورية

أهميتها — فوائدها

للدكتور حسن كمال

١ - يعلم القراء أن الصحة هي اهمُّ ما يدّخرهُ الانسان . وقد شبّهها بعضهم بتاج على رؤوس الاصحاء لا يراه الاَّ المرضى . ولا غرابة في ذلك فالجسم المعافى الخالي من الامراض الكامل النموّ هو الاطولُ عمراً والاقدرُ على تحمّل المشقّات والاكفأُ على ادارةِ الامورِ بحزمٍ وجدٍّ ونشاطٍ مع شعور بالراحة والطمأنينة والانشراح . والمثلُ يقولُ العقلُ السليمُ في الجسم السليم

٢ — وفي هذا الصدد يبدو لنا لاولِ وهلة سؤالان « كيف الوصول الى هذه الصحة ؟ وكيف نحافظ عليها اذا ما اهتدينا اليها ؟ الجواب عنهما يتلخص في ما يلي : —

اولاً : وقاية الجسم من العلل والسقام قبل ان تصل اليهِ

ثانياً : المبادرة بعلاج كل حالةٍ مرضية تظهر في الجسم لأن الاختبار علّمنا أن استئصال المرض في مبدئهِ سهلٌ اذا قيس باستئصالهِ بعد تمكّنهِ وتثبّتهِ وتركّزهِ . سهلٌ لانهُ لا يتطلب حينذاك عملاً كبيراً . فمقدار يسير من الدواء او اصلاحٌ يسيرٌ في المسكن والملبس او تعديلٌ خفيفٌ في الغذاء يكفي لشفاء معظم الامراض المبتدئة فتقصر مدةُ المرض ويتفرغُ الشخص لمهامهِ المعتادة وتعدم ابواب مصروفات المعالجة ويزول الهم والغم ويبقى الفرح والسرور

٣ — فاذا كان الامر كذلك — فما هي الطريقة التي تجمع بين وقاية الجسم من المرض حتى لا يصل اليه والشفاء منهُ بسرعة اذا ما تسرّبَ اليهِ ؟ — الطريقة الوحيدة الناجعة هي الاستشارة الطبية الدورية . وربَّ سائلٍ يسأل : وما معنى الاستشارة الطبية الدورية التي تدعو اليها وتريد ان يتبعها الجمهور؟ الجواب عن ذلك ان المقصود بالاستشارة الطبية الدورية هو التردُّد على طبيبك الخاص وانت في حالة الصحة كي يفحصك . فاذا ما لاحظ عندك مرضاً مبتدئاً لا تعلمهُ أشار عليك بالدواء . أو لاحظ انك معرّض لبعض العلل من جهة ملبسك او مشربك او مأكلك او مسكنك أو مهنتك أشار عليك بالعمل اللازم حتى لا تقع فريسة لامراض الملابس الغير صحية او الطعام الذي لا يوافقك

او المسكن الذي لا يتفق مع حالة جسمك او الشغل الذي قد يؤثر في اعصابك او نظرك او معدتك والمعروف ان درهم وقاية خير من قنطار علاج

وعليه فالاستشارة الطبية تعني اخذ رأي الطبيب . اما كلمة دورية فتعني الاستمرار في ذلك مواعيد مناسبة او بعبارة اخرى في ادوار موافقة لحالة الجسم والسن

٤ — وأهم فوائد الاستشارة الطبية الدورية هي معرفة المرض في مبدئه . ومعلوم ان الأمراض نوعان حاد ومزمن . فالحاد هو الذي يبدأ فجأة وبشدة ويكون عادة قصير المدة . المزمن فهو الذي يتخلف عادة من الحاد وهو طويل المدة قليل الشدة . هذان النوعان اذا شخصا في مبدئهما تمكن الطبيب من مكافحتهما ووصف الدواء لهما فتقصر مدتهما وتقل مضاعفاتهما ويخف تأثيرهما السيء في الجسم وعليه فمعرفة المرض عند ظهوره هو اهم عامل لضمان صحة الفرد والمجتمع

٥ - وقد اهتمت الدول الغربية بالاستشارة الطبية . ثم توسعت فيها فاباح بعضها التعقيم الجراحي فيمن ينتظر ان يتركوا ذرية مريضة تكون عالة على المجتمع عديمة الفائدة للوطن فسبقوا في اختباء هذا ظهور الامراض في النسل

٦ — والاستشارة الطبية الدورية من أهم العوامل التي تُنَمّي معلومات الاطباء فهي لذلك مفيدة لهم افادتها للأفراد . لانها تتطلب مهارة فنية ودقة كبيرة في معرفة الامراض المبتدئة . لذلك نجد أن كثيراً من الامراض يرجع الفضل في استئصاله او تخفيفه الى الاستشارة الطبية الدورية . ومن هذه الامراض السل والسرطان وهما مرضان خبيثان أصبحا الآن يفصح معرفتهما في مبدئهما أقل خطورة وأقرب الى الشفاء عن ذي قبل

٧ — متى يُبدأ بالاستشارة الطبية الدورية ومتى يُنتهى منها ؟ — الجواب ان هذه الاستشارة يُبدأ بها منذ الوضع ويُستمر فيها حتى الوفاة

٨ — ومن هو اجدر الناس بالقيام بهذا العمل ؟ — هو طبيب العائلة — لعدة اسباب منها (ا) إن اشراف الطبيب على افراد العائلة في اوقات الصحة يزيد كثيراً من عنايته أثناء المرض (ب) ان طبيب العائلة ادرى بأحوالها الصحية والمالية والمعاشية فهو لذلك اكفأ الاطباء في ادارة شئونها الصحية بأسلوب ظريف كيّس

٩ — وفي بعض البلدان كالولايات المتحدة قسائم مطبوعة للاستشارة الطبية الدورية تملأ خاناتها الطبيب الكشاف ويذكر بها الملاحظات والاعراض المهمة وقت الكشف ويحتفظ لنفسه بنسخة منها ويُعطي الطالب نسخة اخرى ينتفع بها وقت الحاجة

١٠ — وتتلخص الاستشارةُ الطبية الدوريةُ في وزنِ الشخص (ولهذا مكانتهُ عندَ الاطفال) قياس الارتفاع ودرجة الحرارة والضغط الدموي وتحليل البول وفحص الهيكل العظمي لغددِ الليمفاويةِ ووظائفِ الاعضاءِ وارتخاءِ العضلاتِ وسلامةِ الجلد وحركاتِ المفاصل . مظاهرِ الجسمِ الخارجيةِ . ولا يخفى ان الشكلَ الخارجي كثيراً ما يشيرُ الى امراضٍ كامنةٍ ثم فحصُ الرئتان والقلبُ والنبضُ . وتلاحظُ العاداتُ الضارة كالتدخين وتناول المشروباتِ الروحية . لذلك الامراض العائليةالوراثية . ثم تلاحظُ درجة تعرّضِ الشخصِ لامراضِ حرفته . ويفحص هم للتأكدِ من سلامةِ الاسنانِ وحالةِ اللوزتين وكذا الانفُ والعينانُ

١١ — هكذا تمسُّ الاستشارةُ الطبيةُ كلَّ جهاتِنا المعاشية . وسأتمشّى مع حضراتكم على سبيلِ المثالِ . وافرضُ ان اسرة من الاسر اتفقت مع طبيبها الخاص ان يقوم بفحصِ افرادها صغارِ كلَّ ستةِ اشهرٍ والكبارَ كلَّ سنةٍ بالمنزل تارةً وبالعيادة تارةً أخرى . مثلُ هذا الترتيبُ يزيل كثيراً من الكلفة بين الطبيبِ وافرادِ الاسرة مما يوسع نطاق اطلاعه على احوالها يجعلُ لنصائحه منزلةً محترمةً عندَها بصفةٍ خاصة . ويمكنه ايضاً من الاشتراك معها في شعورها يفرح لفرحِها ويأسَفُ لأسفِها . إذن ماذا يُنتَظرُ من استشارةٍ مثل هذا الطبيب دوريًّا — هذا هو السؤال الذي سأفسّره لحضراتكم

١٢ — اولُ ما يَتطرقُ الى ذِهن الطبيبِ ان يُلاحظَ مسكنَ العائلة وان ينصحَها باتخاذِ مسكنٍ كثيرِ النوافذِ تدخلهُ الشمسُ له دورةُ مياهٍ نظيفةٍ

١٣ — بعد ذلك تأتي مسألةُ الخدم . فيفحصهم قبلَ التحاقهم بالعائلة كي يتأكدُ من عدمِ اصابتهم بامراضٍ معديةٍ او عاهاتٍ تمنعهم من أداءِ اعمالِهم المطلوبةِ منهم

١٤ — ثم تأتي مسألةُ الاطفالِ . وهؤلاءِ يُوزنون باستمرارٍ لمراقبة نُموّهم . وطريقة تغذيتهم وتُلاحَظ ملابسهم ومحال نومِهم . واعلموا حضراتكم ان كثيراً من امراضِ الاطفال يُدركها الطبيبُ قبلَ ان تظهرَ للوالدين . من ذلك مرضُ لينِ العظام فان له اعراضاً مبدئية في الاصلاع ونهايةِ العظام تمكّنُ الطبيبَ من معرفةِ الداءِ في بدايته فيصفُ لذلك الدواءَ والغذاءَ اللازم وتُعالجُ الحالةُ قبلَ وضوحها . كذلك مرضُ احدى غدد العنق الذي تصحبهُ السمنةُ وخشونةُ الجلدِ وقلّة النّمو وظهور اعراضِ الكسلِ والخمولِ وبلادة الذاكرة يمكنُ تداركُها في اولِها بسهولةٍ وهناك المرضعةُ التي يجبُ التأكدُ من خلوّها من الامراضِ المعديةِ ومن جودةِ لبنِها . هكذا تفيدُ الاستشارة الطبيةُ الاطفالَ

١٥ — بعدَ ذلك تأتي مسألةُ تحصينِ العائلة ضدَّ الامراض . كالتطعيمِ ضدَّ الجُدري والحَفْنَ ضد الدفتريا وخلافها كالحمى التيفودية . والطبيبُ هو الذي يرشدُ العائلةَ الى ذلك ويتولى تنفيذَه . وهناك امراضٌ كالحصبة يمكنُ حصرها في الطفل المصاب دونَ سواه عند ظهورها بحقنِ الاخرين بمصلٍ يمنع اصابتهم او يخفّفها على الاقل . اليست كلُّ هذه فوائد لا يستهانُ بها ؟

١٦ — والالعابُ الرياضية ، التي اصبحت الزاميةً بمدارسِ بعضِ البلادِ الغربيةِ لما تحدثهُ من كمالِ النمو وزيادةِ مقاومةِ الجسمِ والنشاط وتعوُّد النظامِ في الجلوسِ والوقوف والمشي واداء الاعمالِ اليومية . هذه الالعاب هي اهمُّ ما يصفُها الطبيبُ وهي على انواع بعضُها يؤدى بالمدارسِ والبعضُ الآخر في الاندية الرياضيةِ والمنازل

١٧ — وقد دلتنا التجربةُ والابحاثُ العديدةُ ان لطول الجسم ووزنه وشكل صدره علاقة ببعضِ الامراض وان الطبيبَ الكشافَ يمكنهُ ان يصفَ العلاج والغذاء الذي يزيدُ في مقاومة الجسمِ ضدَّ هذه الامراض . فالبدانةُ وقصرُ القامةُ وغلظُ العنق كثيراً ما يصحبها زيادةُ الضغط الدموي . والطبيبُ الكشافُ يراقبُ ذلك ويمنعهُ . كذلك الاصابةُ بالدرنِ لها علاقة كبيرةٌ بشكل الصدر والطبيبُ الكشافُ يقي مثل هذا الشخص من النزلاتِ الصدرية وخلافه مما يُسبِّدُ هذا المرض

١٨ — وهناك مسألةُ العينين التي يجبُ العنايةُ بها لكثرة الرمدِ الحبيبي هنا وانتشار قصر البصر الطبيعي . كذلك الاسنان فان تلفها يسببُ تقرّحاتِ اللسان والتهاب اللثة يحدث التهاب المفاصل المزمن وغيره . فالطبيب يرشد الشخص الى مثلِ هذه الامور في اولها

١٩ — ثم مرض الكلى والبول السكري كثيراً ما تشاهدُ اعراضُها بالبول دون ان يشعر صاحبهما بالمرض حتى يستفحل امره ويشتدَّ ضرره . وعليه فمجردُ تحليل البول باستمرار كثيراً ما يقي الشخص من ويلات هذين المرضين

٢٠ — هكذا تصبحُ الاستشارةُ الطبيةُ الدوريةُ درساً نافعاً لافرادِ العائلةِ منذ نعومة اظفارهم يفهمهم النافع من الضار ويعلمهم مبادىء علم الصحة ووظائف الاعضاء والحالات الانسانية المتنوعة او بعبارة اوجز يعلمهم قيمة الصحةِ . قال تعالى (وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) صدق الله العظيم

***

لوحظ في هذا المقال (١) الاختصار (٢) بساطة التعبير (٣) اجتناب المصطلحات الطبية

باب المراسلة والمناظرة

لا تقل كريات بيضاء [1]

١ : تخطئة رأي

نشر الاديب امين ظاهر خير الله مقالة في المقتطف (٨٧ : ٢٠٩) عنوانها : « أيقال كريّات بيضاء ! » حاول فيها ان يثبت للقارىء جواز قول من يقول « كريات بيضاء » واورد لذلك شواهد لم تثبت شيئاً مما توخاه من ردّه ، إذ جاءنا بالفاظ هي اشباه جمع او اسماء جمع او اسماء جنس او احرف هي بين الافراد والجمع فتوهم فيها جماعة الإفراد وتوهم فيها آخرون الجمع وفي مثل هذه الاحوال لا جدال في ان ينعت الموصوف بصفة مفردة او مجموعة

***

أول شواهده « الكلم » بفتح فكسر وهذه اللفظة اختلف في حقيقتها : أهي جمع ام شبه جمع والناس فيها مذاهب على كل حال فان مفردها « كلمة » فيجوز في وصفها الافراد او الجمع

وثانيها « الخشباء » فانها هنا منقولة الى الاسمية كما نقلوا الى الاسمية الخضراء والسمراء والزرقاء في شواهدها

وثالثها « الشيعة » فهي مفردة كما هي جمع حسبما توجه معناها ، ولذا توصف بالافراد كما توصف بالجمع . ومثل ذلك ما جاء في سورة الشعراء : « ان هؤلاء لشرذمة قليلون » فقد وصفها بالجمع لان مدلولها مجموع ويجوز لك ان تقول شرذمة قليلة لان لفظها مفرد مؤنث

ورابعها « كتيبة » شهباء « وفارسية » خضراء « وسمهرية » سمراء فهذه الفاظ كلها وامثالها مفردة كما يجوز لك ان تقول انها مجموعة اذا نظرت الى معناها فهي كقولك شرذمة قليلون او شرذمة قليلة

وخامسها « اسم الجمع » ولا مشاحة في انهُ يوصف بالافراد كما يوصف بالجمع ومنهُ الآية في سورة المؤمنين : « فتقطّعوا امرهم بينهم زُبراً كل حزب بما لديهم فرحون » فيجوز لك ان تقول في رأي النحاة وكل حزب بما لديه فرح على التقدير الذي تريده

---

(١) ارسل الينا العلامة الاب انستاس ماري الكرملي ردًّا مسهباً على مقال الاستاذ امين ظاهر خير الله شرحنا منه ما كان خاصاً بموضوع « كريات بيض وبيضاء وما جرى مجراها

وسادسها « كل فعلاء واردة لمجموع » فانت مخير في ان تنعت صفته بالافراد او بالجمع . ومنهُ ما جاء في ترجمة الاحنف التميمي وهي العبارة التي استشهد بها الاديب، أمين فقد نقلها بهذه الصورة (ص ٢١٢ من المقتطف) : « هذه الحمراء قد كثرت بين أظهر المسلمين ، وكثر عددهم (اي عدد الحمراء) وهي لفظة بصيغة الافراد ولكنها تعتبر جمعاً في المعنى ومفرداً في اللفظ . ولهذا تقول كثر عددهم وكثر عددها كما تشاء والظاهر ان ابن ظاهر لم يفهم هذه الحقيقة فكتب بعد « عددهم » كلمة (كذا) كأن ذلك غلط وليس هناك زلل

وسابعها « عرب عاربة وعرب عرباء » فانت في الخيار في التذكير والتأنيث كما قلنا في شرذمة « قليلون وقليلة »

فهذه الشواهد لم تثبت لنا شيئاً وكنا نود ان يأتينا بلفظة مجموعة جمعاً صريحاً وصفتها الافراد ، فاذا اتانا بشاهد مثل نساء سمراء ورجال سمراء لقلنا لهُ اصبت ، لكنهُ جاءنا بألفاظ تحتمل الافراد والجمع فلم يفدنا الفائدة التي كنا نتوقعها من مقالته الطويلة العريضة وبطل الاستدلال بشواهده تلك العرْج

٢ : الرأي الصحيح

لا مشاحة في ان أفْعَلَ ومؤنثها فعلاء اذا جاءت صفة لموصوف (لا موصوفاً) ودلَّت على لون او عيب او حلية ، فان كلاً من افعل وفعلاء يجمع على فُعْل بضم فسكون ، وقد يجمع فُعْل على فُعْلان بضم ايضاً . تقول أحمر وحمراء وحُمْر وحُمران . اسود وسوداء وسُود وسُودان . ابيض وبيضاء وبِيض وبِيضان الى آخر مانقل عن فصحائهم . قال المبرِّد في كتابه الكامل (ص ٣٣ من طبعة اوربة وفي ١ : ٢٧ من طبعة مطبعة التقدم العلمية بدرب الدليل بمصر سنة ١٣٢٣) : وابرقُ اذا عَنَيْت بهِ المكان مضارعة للاسماء لانها تدل على ذات الشيء ، واذا كانت في الاصل نعتاً . تقول في جمعها الاباطح والابارق والادادم والاساود . فان اردت نعتاً محضاً يقبح المنعوت قلتَ : مررت بثياب سُوْد وبخيل دُهْم وكل ما اشبه هذا فهذا مجراهُ . . . » الى آخر ما قال فراجعهُ ترَ في كلامه ما يسدّ افواه المتحدلقين

واعاد مثل هذا القول في ص ٤٣٨ من طبعة اوربة و ٢ : ٥٨ من طبعة مصر وهذا نصه « وأفْعل ، اذا كان نعتاً بنفسهِ فجمعهُ فُعْل نحو أحمر وحُمْر واسود وسود . واذا كان نعتاً فاجرى مجرى الاسماء فجمعهُ افاعل نحو أساود وأجادل وأدادم اذا اردت القيد لانهُ نَعْت غالب يجري مجرى الاسماء . وان اردت ادهم الذي هو نعت محض قلت : دُهم . . . » الى آخر ماجاء هناك فيحسن بك ان تقف عليهِ لترد عنك هجمات الصائلين في البيداء بعيدين عن العِدَى . ونحن لانريد ان نزيد على هذا القدر لما في ذلك من الكلام على غير جدوى

٣ : الخلاصة

الخلاصة مما قلنا : انهُ لا يقال ادلة غراء ولا هضاب ملساء ولا شمائل حَسْناء ولا كَريَّات بيضاء إذ كلها اغلاط صريحة صارخة بمخطاها الى عنان السماء . والصواب غُرّ وملس وحسان (لان الحسناء هنا ليست بمؤنث الأَحْسَن بل الحَسَن وهذا خارج عن كلامنا) وكُريَّات بيض ولا يجوز ابداً غير هذا

بغداد الاب انستاس ماري الكرملي

***

أيقال كريات بيضاء

قلت يقال على انهُ نادر جدًّا والمسألة هي اني لقيت يوماً السيد مصطفى جواد في ادارة المقتطف فقلت له انت والاب انستاس تقولان انهُ لا يجوز قولنا بيضاء وحمراء والصواب بيض وحمر قال نعم فانهُ لا يجوز واتفق مجيء السيد عبد الرحيم بن محمود فقال نعم يجوز فقلت للسيد مصطفى ما هي ادلتك على ذلك فقال ان افعل وفعلاء اذا دلاّ على لون او عيب فانهُ لا يقال في جمعها الاَّ فُعل ثم اخذ يورد الآيات القرآنية دلالة على ذلك منها « صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ » الآية ومنها « من الجبال جددٌ بيضٌ وحمرٌ مختلفٌ الوانها وغرابيب سود » الآية . واورد آيات اخرى فقلت ألم يأت في القرآن الكريم ما يثبت خلاف ذلك قال لا فقال السيد عبد الرحيم هذا صحيح وانما جاء في كلام العرب قولهم فعلاء لغة للجميع وانما الآن لا يحضرني امثلة على ذلك . ثم انصرف الاثنان وانا مقتنع ان ما ورد في القرآن الكريم هو الصواب دون غيره . اما الآن فبعد الادلة التي اوردها السيد امين ضاهر خير الله فاني اقول انهُ يجوز قولنا كريات بيضاء وكريات حمراء على انهُ نادر جدًّا والافصح ان يقال بيض وحمر معاذ الله ان ازيف ادلة السيد امين وهو اللغوي القدير وقد كان والده رحمهُ الله اماماً في اللغة وهو مشهور بينا في لبنان . ولما كان الشيء بالشيء يذكر فاني كنت اخذت على اعضاء مجمع اللغة الملكي قولهم صماء وقلت الصواب صمّ ونشرت ذلك في المقتطف وهو منشور في مجلة المعهد الطبي العربي الجزء ٢ المجلد ١٠ فلما نشرت مقالتي المشار اليها بلغني ان المجمع قرر في ما قرره الموافقة على نقدي فقالوا الغدد الصمّ لا الغدد الصماء كما قالوا قبلاً . وسينشر ذلك في جزء المجلة الذي يصدر في شهر اكتوبر . ولو فرضنا انهُ يجوز قولنا صماء وبيضاء وحمراء فالافصح ان يقال صمّ وبيضٌ وحمرٌ فقد قضينا العمر في « هل يجوز او لا يجوز » فالحياة قصيرة جدًّا فالاصلح قضاءها في ما يكون اكثر فائدة لنا . اما الشرط الثاني للسيد امين وهو قوله ان يكون الرد تقيًّا من المطاعن فهو لا يشملني على ما اظن

مصر الجديدة امين المعلوف

ارشاد لغوي

للأستاذ عبد الرحيم بن محمود

لفيف ثالث من أمراض وأعراض بوزن فُعال

إلى الاستاذ الباحث سالم خليل رزق في النبك من سورية

﴿ الكُتاف ﴾ — وجع الكتف « Shoulder-Pain »

﴿ اليُداء ﴾ — وجع اليد وقد يَدِيَ الانسان من يده اذا ذهبت « Amputation » واليُداء أيضاً يُبْس اليد « Ankylose of Hand »

﴿ الكُساح[1] او القُعاد ﴾ — وهو داء يُقْعِد من أصيب به من انسان أو حيوان « Rickets »

﴿ السُّلاق ﴾ — وله ثلاثة معان في اللغة العربية : — (١) بثر يخرج على أصل اللسان ويرادفهُ بالانكليزية « Glossitis » (٢) تقشّر في اصول الاسنان ومرادفه « Gingvitis » (٣) غلظ الأجفان في احمرار وتقرّح ومرادفه « Conjunctivitis »

﴿ الحُلاق ﴾ — وجع الحلق « Pharyngitis »

﴿ القُلاحُ ﴾ — سواد الاسنان ومرادفه بالانكليزية « Dental-Denigration » والقُلاح أيضاً صفرة أو حضرة في الاسنان أو بينها أو أي تلوّن لها ومرادفه « Dental Coloration »

﴿ المُناع ﴾ — فسّره اللغويون بأنهُ داء يصيب الانسان في عنقه وفي أصل المادة اللغوية هَنَع الشيء يهْنَعُهُ هَنْعاً عطفه عطفاً وثنى بعضه على بعض فالداء المراد يثني الرقبة ويعطف بعضها على بعض وهو يحدث من تسوّس في عظام فقرات الرقبة كما يرى الطبيب سامي الياس وغيره من الاطباء ومرادفه بالانكليزية « Pott's Disease »

﴿ المُلال ﴾ — ورد في الملاغي لثلاثة معان أولها وجع الظهر ومرادفه « Lumbago » وثانيها عَرَق الحُمّى ومرادفه « Perspiration ». وثالثها تقلّب المريض وجعاً « Irritation »

﴿ القُداد أو القُضاع ﴾ — في اللغة وجع في البطن وتقطيع فيه وفي المادة اللغوية قَدَدْتُ الأديمَ اذا شققته طولاً ومما أرويه

وقدّدت الاديمَ لراهشيه وألفى قولها كذباً ومَيْنا

وتقضّع تقطع تمزّق والمرادف لكل من تين اللفظتين المترادفتين « Colic »

هذا وللطبيب سامي الياس شكرٌ جمٌ لعنايته باختيار الالفاظ الطبية المطابقة تمام المطابقة للالفاظ العربية

(١) الكساح لين في العظام وينشأ عن نقص في الفيتامينات ويعالج بتوصيلها الى الجسم بتجرعها في الماكل او الادوية وبالتعرض للاشعة فوق البنفسجية كما يرى الاطباء

مكتبة المقتطف

علم الامراض الباطنية

الجزء الاول امراض الجملة العصبية للدكتور حسني سبح استاذ الامراض العصبية والباطنية في المعهد الطبي العربي

هو كتاب آخر من الكتب النفيسة التي يتحفنا بها بين حين وآخر اساتذة المعهد الطبي بدمشق وقد كتبت قبلاً عن كتب اخرى من مؤلفات اساتذة المعهد وهذا احدها وهو لا يقل عن غيره من المؤلفات الاخرى في نفاسته ودقة بحثه. فلا عجب اذا جاء مثل غيره في سبكه في قالب عربي متين وفي مصطلحاته العربية فاذا اطلع عليه القارىء وجده كتاباً عربيًّا لا عجمة فيه لذلك سيكون قد قضى له من وجهة المصطلحات لا من وجهة التأليف لانهُ بلا ريب آخر ما وصل اليه العلم في أيامنا

اما طبع الكتاب فحسن جدًّا وهو مطبوع في مطبعة الجامعة السورية في دمشق وحروفه جميلة وأظن الطبع يكون أحسن لو أكثر المؤلف من ضبط بعض الفاظه بالشكل الكامل مثل الأُسْر وراد به احتباس البول حتى لا يلتبس بالأَسر مصدر أَسر والأُسري نسبة الى الأُسرة فان اشكالاً قليلة تزيد في محاسن الكتاب ولا تكلف عناءً كثيراً وفيها فائدة كبيرة ولاسيما ان الكتاب مدرسي ووضع الشكل ضروري جدًّا في بعض الاحيان وهو يدل على شدة العناية في طبع الكتاب وابرازه

اما المصطلحات الطبية فحسنة جدًّا لا يفوقها شيء في جودتها فقد ذكرها المؤلف وذكر امامها الاسم الفرنسي بحروف مضبوطة واضحة ثم وضع جدولاً في آخر الكتاب فيه نحو الف وخمسمائة كلمة يكاد يكون معجماً كاملاً ذكر فيه الالفاظ الطبية بالعربية والفرنسية . ومن محاسن الكتاب ان المؤلف ابتعد عن الحذلقة التي كثيراً ما يقع المؤلفون فيها فلم يذكر الاَّ كلمة واحدة عربية لما يقابل اللفظ الفرنسي حتى لا يضيع الطالب في كثرة الاسماء فلا يدري أيها يختار فكلمة واحدة تدلُّ على الاعتماد على النفس . فهذا المعجم على صغره افضل كثيراً من معجم كبير لا فائدة منهُ

على انني لا اوافق المؤلف في الفاظ قليلة جدًّا مثل البلغم واظن الصواب اللنفة وأذكر مناقشة جرت بيني وبين الزميل الدكتور حمدي الخياط في هذه الكلمة فاللنفة اعجمية كذلك البلغم ولا ارى وجهاً لتفضيل لفظ أعجمي على آخر أعجمي مثلهُ سوى ان الواحد قديم لكنهُ لا يؤدي المعنى تماماً . كذلك لا اوافقهُ على الغول واظن الالكحول احسن والحكمي واظن الطبيبي احسن وان شئت فقل الطبعي وهذه فيها شيء من الحذلقة . ولا اوافقهُ على الحيوي واظن الاحيائي احسن. لو نسبنا الى الجمع . ولا اوافقهُ على الداء الافرنجي واظن السفلس او الحَلَق او الحلاق افضل الحلق واردة في كتب اللغة لداء يشبه السفلس وشائع في السودان لهذا الداء بعينهِ . وهم يقولون

فلان محلّق اي مصاب بالحَلَق . ولا ادري أسمّي بذلك لانهُ يصيب النـاس في حلوقهم ام لا احد ادواره يشبه الحلق. على ان الكلمة شائعة جدًّا ولا شبهة في انها افضل من الافرنجي لان قوا الافرنجي فيهِ مساس ببعض الاقوام

فهذه الفاظ قليلة جدًّا أخالفهُ فيها ولعلّ الصواب في جانبهِ او لعلّ الالفاظ التي لا أوافقهُ فيـ يكون ما ذكرهُ احسن كثيراً . ثم ان المؤلف ذكر في مقدمة الكتاب انهُ تعلّم بالتركية فتجد الفا تركية التركيب لاتسيغها القواعد العربية على ان المؤلف انتبه لها في آخر الكتاب واصلحها في التسويد

وعلى كل فهذا الكتاب نفيس جدًّا لا يفوقهُ شيء في جودتهِ . فأهنئ المؤلف الفـاضل ع ابرازه لاننا في حاجة شديدة الى امثاله من الكتب الطبية التي يعتمد عليها سواء كان ذلك في اف او في مصطلحاتهِ

مصر الجديدة امين المعلوف

الفن الاسلامي في مصر

للدكتور زكي محمد حسن

كنا الى عهد قريب لا نقرأ عن الفنون الفرعونية او الاسلامية الاَّ ما كتبهُ المؤلفون الاجا فهم الذين تناولوا الحفريات في مصر منذ أوائل القرن التاسع عشر وعنوا بوصفها في مؤلفا النفيسة كما تخصصت جماعات منهم لدراسة الآثار المصرية في خلال الاعوام المائة الأخيرة فتسا للكشف عن مخلفات ابناء النيل القدماء وتعمقوا في دراستها فكنا اذا اردنا ان نقرأ شيئاً عن الفنو او الآثار لم نجد ضالتنا الاَّ في كتب الاجانب فنستوحي مافيها لنتعرّف الى بلادنا

كان ذلك الى عهد قريب جدًّا لما بدأت الجامعة المصرية توفد من نجباء خريجيها من يتخصص في دراسة الفنون المصرية والاسلامية فأثمرت تلك الشجرة المباركة ووجدنا ضالتنا في المؤلفا الحديثة التي أخرجها ابناء الجامعة في الاعوام الاخيرة

نقول ذلك على ذكر ظهور الجزء الاول من الكتاب النفيس « الفن الاسلامي في مصر » الذي ألّ الدكتور زكي محمد حسن الأمين العلمي لدار الآثار العربية . وقد رأينا كتابه الاول « الطولونيو منذ عامين

ولا يسعني في هذه العجالة القصيرة سوى القاء نظرة سريعة على هذا السفر النادر فقد قسّ المؤلف بحثه الى قسمين . فتناول في القسم الاول نشأة الفن الطولوني في سامرّا . وانتقاله الى مـ لما تولى احمد بن طولون حكم البلاد المصرية . ووصف لنا بوضوح العمارة الدينية والمدنية والحر في عهد ذلك الملك المستقل ، وصور لنا ما كانت عليهِ مدينة القطائع التي جعلها عاصمة ومقر ولا وحلّل لنا بأسهاب تصميم جامعهِ العظيم وهو الاثر الاسلامي الذي ما زال حافظاً لرونقه كما شيـ مهندسه العراقي الذي قدم الى مصر في ركاب ابن طولون على ما رجحهُ المؤلف

وفي القسم الثاني تناول المؤلف الكلام عن الفنون الفرعية التي نشأت في مصر منذ الفتح العربي الى العصر الطولوني فتكلم عن المنسوجات والحفر على الخشب والخزف والتصوير الخ. ثم زين الكتاب بمجموعة نفيسة جداً من الصور النادرة التي جمعها بين تحف دار الآثار العربية والمتاحف الاجنبية وبرلين ولندن وباريز كما ابدعت مطبعة دار الكتب في اخراج كتاب يعد مثالاً كاملاً للذوق والاتقان

ويزيد الكتاب قدراً تلك الصفحات الست التي ذكر فيها الدكتور المصادر التي يجب على الدارس الاعتماد عليها اذا اراد التوسع في البحث وكلها مراجع لها قيمتها لدى طلاب الفنون والآثار الاسلامية

واذا كان هناك ما يؤاخذ عليه المؤلف الفاضل فهو اغفاله للتاريخ الهجري واقتصاره على التاريخ المسيحي وان بحثاً مثل هذا يجب ان يشمل التاريخين. كذلك اقتصاده في الكتابة عن جامع عمرو وقد رأى المؤلف انهُ لم تعد له قيمة كبيرة من الناحية المعمارية الاسلامية للزيادات العديدة التي غيرت معالم الجامع الاول. ولم يذكر المؤلف شيئاً عن مقياس الروضة الذي يعد اقدم اثر اسلامي في هذه البلاد

***

المعلم الجديد

مجلة تصدرها وزارة المعارف العراقية اربع مرات في السنة. العدد الثاني حزيران ١٩٣٥

رئيس تحريرها الدكتور متى عقراوي يعاونه جماعة من السادة والسيدات

من شاء ان يعرف شيئاً عن النهضة العلمية في الدولة العراقية الفتية وشيئاً عن اخلاق العراقيين فما عليه الاَّ قراءة هذه المجلة وتصفح ما فيها ليعلم مقدار رقي تلك البلاد فقد قرأتها من اولها الى آخرها فرأيت فيها بياناً موجزاً لوزير المعارف معالي محمد رضا الشبيبي وهو اديب مشهور وعالم كبير من علمائهم وجه فيهِ خطابه الى موظفي المعارف وحثهم على ما يطلب منهم وهو بيان حقه ان يكتب بماء الذهب لما فيهِ من النصائح الرشيدة

ثم مقالة لمدير المعارف العام الدكتور محمد فاضل الجمالي بعنوان «في اهداف التعليم» في العراق وكنت اود ان ألخصهُ وانما سأقتبس شيئاً منهُ قال: «ان الهدف الرئيسي للتعليم يجب ان يكون خلق امة قوية مرصوصة البنيان منيعة الجانب ذات مزايا شخصية ممتازة وذات استعداد مادي ومعنوي تستطيع ان تجاري امم الارض في مضمار التقدم والحضارة وتستطيع ان تقدم الى البشرية جمعاء ما عندها من مزايا مادية ومعنوية ولاجل ان تتوصل الى هذا الهدف يجب ان تتوافر فيها الشروط التالية»

ثم اخذ يسرد هذه الشروط واولها معرفة النفس وانهُ يجب على الطفل في المدرسة ان يمارس الاخلاق القومية ويتحلى بها وان النظام والاحتياط اساسيان في تقوية الامة ومجاراتها لامم العالم. وقال في الامة العربية الكبرى انها امة ذات نزعة روحية. ثم ذكر صفات العربي ومنها عزة النفس

واباء الضيم والعفة والشجاعة والايثار والكرم والشهامة ، والمقالة كلها على هذه الصورة حث على المبادىء الصحيحة القويمة

ثم مقالة « في فتح طريق الحج البري الجديد » لحسن فهمي بك رئيس شعبة الادارة في مدير الشرطة العامة . ومقالة اخرى « في طريق الحج البري » بقلم محمد درويش المقدادي مدير الثانو المركزية وصف فيها هذا الطريق وصفاً مسهباً مستعيناً بما دوَّنهُ الرحالة المستشرق موزل ومستشه بالذين كتبوا عنها مثل ابن خرداذبه وابن جبير وابن بطوطه . ويلاحظ في هذه المقالة ان المؤل لم ينسب شيئاً الى نفسه بل ذكر الاسانيد كلها شأن العلماء المحققين اي انه لم يسرق شيئاً ومعاذ ان يفعل فان سرقة الادب داء استفحل امره في الشرق فبعمله هذا كان قدوة لتلاميذه

ثم مقالة « في نظام المعارف في انكلترا وويلز » ترجمة بشير الياس اللوسي المدرس في الثانو المركزية . ومقالة « في العرب واكتشاف اميركا » وهو بحث لعالم الماني مترجم عن الفرنسية. ومة «في اهمية النهضة الصناعية والتربية الصناعية في العراق» لمحيي الدين يوسف مراقب التعليم الثانوي. ومة في « الادب الشعبي » للسيدة سارة الجمالي . ومقالة « في الاتجاهات الحديثة » في علم الحسا للدكتور داود القصير استاذ الرياضيات في دار المعلمين ومقالة « في صفات المدرسة الصحية للدكتور شريف عسيران استاذ الصحة في دار المعلمين الريفية ومقالة « في المدارس الابتدا الريفية في ايطالية » وهي مقتبسة من مجلة العهد الجديد في البيت والمدرسة ومقالة « في اص الانسان» لابراهيم شوكت مدرس الجغرافية بدار المعلمين الثانوية المركزية ومقالة مبتكرة «في المعار العراقية في خمس عشرة سنة» للدكتور متى عقراوي بيَّن فيها سير المعارف في العراق . ومة عنوانها « اوقات الفراغ نعمة ونقمة » لفاضل حسين المعلم في المدرسة الخيرية ببغداد ومقالة « المدرسة واصلاح القرية » لعبد المجيد محمود مدير معارف لواء المنتفك ومقالة «في مكافحة الخرافا بتعليم العلوم » لحكمت عبد المجيد ملاحظ الترجمة والتأليف بوزارة المعارف

ثم يلي ذلك نقد الكتب منها الجغرافية المتوسطة وحياة محمد وعلم الحيوان وعلم الاجتماع ومقد التربية وقوانين الالعاب الاولمبية ومجلة المعلمين والمعلمات والشعلة والفتوة والتربية البدنية والكشا

ونقد هذه الكتب نقد نزيه كما يجب ان يكون النقد بلا تحامل على المؤلفين ولا اطراء كما نجد ن الكتب في كثير من المجلات. ويلاحظ ان بين هذه المجلات مجلة الفتوة فهي في غير معناها في الازبكي فالفتوة معناها مكارم الاخلاق لا ضرب العصي والتعدي على الناس . هذه هي الفتوة في العرا

والخلاصة ان هذه المجلة من انفس المجلات العربية فجميع المقالات التي فيها من الطبقة الاو فكلها ذات فائدة وحث على الاخلاق الكريمة. فأهنىء وزارة المعارف العراقية باصدارها

مصر الجديدة امين معلوف

كتاب فرناند ليبريت

اغاني البحيرة

ظهر اخيراً ديوان من الشعر الفرنسي للاستاذين الشاعرين (فيرناند ليبريت) مفتش اللغة الفرنسية بوزارة المعارف والثاني للاستاذ (فيشتر) مدرس اللغة الفرنسية بمعهد الليسيه بالاسكندرية والديوانان لهما نفحة خاصة من الشعر العصري وفيهما طائفة شائقة من الخواطر عن مصر دعانا للحديث عنهما حث المطلعين بالادب الفرنسي من المصريين المثقفين على ترجمة هذه الآثار القيمة التي فيها روح جديد تدخل على الشعر العربي نواحي جديدة مستحبة واني هنا اعبر تعبيراً بسيطاً عن استحقاق هذه الآثار من وجهة التخليد ولولا العجز لقمت بهذا الواجب الادبي العميم

يحملها اليّ حفيف الاشجار . وهمس الاصوات الخافتة . بل هذه الاصوات الناعمة التي خمدت. ويحملها اليّ مع ذكريات الطفولة العذبة المؤثرة ومع الحزن الذي يوافق اعيادي . ان هذه الاصوات تكاد تسمعني خرير المياه المتدفقة على طيات الجرانيت في الحدائق العليا لبيوتنا القديمة في هذه الساعة التي يترك فيها النسيم شعاعاً بنفسجيًّا على اجفان العذارى الحارة . وفي هذه اللحظات التي يتصاعد فيها بخور لهُ رائحة البذور الممزوجة بدم الشهداء . شهداء الحرب العالمية الكبرى في ساحات الوغى . ان اغاني البحيرة قد اودعت في نفسي زهيرات الماضي . ومزجت بذاكرتي رائحة اشلاء الجثث البريئة يهب عليها نسيم حبيبتي الجميلة

تسلمت كتاب (فرناند ليبريت) المحتوي على طائفة من القصائد الشعرية عن ثلاث نواحٍ . بعضها عن شباب الشاعر . وبعضها عن ذكرياته في الحرب الكبرى . والبقية الاخيرة تصور عاطفة الشاعر في تأثره بالحياة المصرية وتعبيره عن هذه الحياة باسلوب جذاب وخيال متمرد

ولقد تمكن ليبريت بدقة تصويره ورقة عاطفته ان يجعلنا نحيا ساعات مضت كانت سماء مصر فيها وردية حائلة اللون . لا تستطيع ان تجد لها شبيهاً اليوم الاَّ لون سدود العذارى اللائي لا مسحة على سيمائهنَّ من الزينة

تقول وقد اضرّ بها التنائي ... واقلق بالها صرفُ الزمان
تسمَّعْ يا ظلومُ رجاء نفسي ... كفاني ما اعانيه كفاني
أعِدْ لي بهجة العيش المولّي ... وايام الهناءة والتداني
فبين يديك كنت تركت امي ... وآرابي واودعت الاماني
تصورك الخيال وكنت وسنى ... فانساني خيالك ما دهاني
شعرت بكفه مسحت جبيني ... من الهم الملازم والهوان
لهي ان احلامي تناهت ... عساني بالغ املي عساني ؟

حشود الذكريات عليَّ تترى ومالي حين القاها يدانِ

لوقدرنا ان الموسيقى فن امتزاج الاصوات ليخرج منها مقطعات في مكنتها ان تنقلنا الى عالم آخر فيهِ نشوة ولذة يرتاح اليهما العقل وتسمو بمنازع الشعور . ولو قدرنا ان المصور هو الذي تنعكس في عينيهِ الاشياء والمعالم والصور بطريقة ذاتية فتخرج برنين مؤثر جذاب . يمكننا ان نؤكد انهُ لم يوجد لليوم في مصر — وقد لا يوجد — مصور ابهراو موسيقار أقدر من هذا الرجل ذي الملامح الحادة وذي الابتسامة الهادئة . الذي يهزنا شعره هزًّا عنيفاً ويحز في القلوب حزًّا . وتكاد اغانيه الشعرية تقبل كلها كالقافلة . من صميم البيداء . تحفها التموجات الموسيقية الهادئة

احمد راسم

الفن في مصر

« المصورون والمثالون في مصر الحديثة » — تأليف الاستاذ موريك بران

لايستطيع احد الاَّ ان يعترف بان مصر قد خطت في سبيل الحضارة والرقي خطوات واسعة شملت جميع نواحي الحياة فيها . ولكن ناحيةً منها لايعرفها الجمهور معرفة حسنة مع انها ناحية مهدها وادي النيل ونشأتها على ضفافه ونعني بها فن التصوير وفن الحفر

ومن يتتبع حركة التطور الفكري والفني في مصر يمكنهُ ان يدرك المدى الذي بلغتهُ هذه الحركة فيها وتقدم ذوق الجمهور الفني . فقد كونت مصر لنفسها شخصية فنية يعتد بها ونجح المعهد الذي انشيء في القاهرة سنة ١٩٣٠ نجاحاً عظيماً حتى ان هيئه التعليم في مدرسة الفنون الجميلة المكونة من اعلام الفن المشهود لهم بطول الباع سواء في مصر او في ايطاليا او في فرنسا يعربون عن سرورهم بالنتائج التي يفوزون بها . وقد كثرت المعارض الفنية في القاهرة كثرة دلت على ما للمصورين المصريين من مواهب . وان مصر لتعقد عليهم الامل في ان يحيوا تراث اجدادهم وان يبرهنوا للعالم ان ارض الفراعنة لها مستقبل فني لا يقل عظمةً عن عظمة ماضيها الفني المجيد

ان الطبيعة والشمس في وادي النيل لا تكتفيان فقط بالهام الشعراء والكتاب بل تتغلغل وتسل الى اعماق نفس كل فنان فتبعث فيهِ ما يحرك قلمهُ او ريشته فيخرج لنا هذه الآيات الفنية التي تشاهدها في معارض القاهرة او في معارض روما او باريس

ولا بد لنا من ان نعترف بجميل اولئك الذين عضدوا هذه الحركة وعاونوا على احيائها بتشجيعهم لها تشجيعاً ماديًّا ومعنويًّا وعلى رأسهم صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول الذي يبذل كل مجهود في سبيل رقي بلاده . كذلك لا يمكننا ان نفي جمعية محبي الفنون حقها من الثناء على ما قامت به من تشجيع للفنانين وإمدادهم بالمال في ثبات ونظام . وان في عناية صاحب الجلالة الملك بافتتاح المعرض

السنوي الذي تقيمه الجمعية كل عام لاعترافاً لهذه الجمعية بأفضالها على الفنون

وقد اخرج لنا المسيو « موريك بران » المدرس بكلية الآداب والسكرتير العام لجمعة محبي الثقافة الفرنسية سفراً نفيساً في هذا الموضوع درس فيه المظاهر العديدة لتقدم الفنون في قطرنا وفي هذا السفر الجميل وعنوانه « المصورون والمثالون في مصر الحديثة » جمع المؤلف ثلاث دراسات ومقدمة بقلم المسيو « اندريه دي لوموى » رئيس تحرير جريدة البورص اجيبسين كما الحق به اربعة وعشرين صورة لاشهر المصورين في مصر

***

ولست قيمة هذا السفر الذي وضعه المسيو «موريك بران» في استعراض الفنانين وما اخرجوا من آيات فنية وانتقادها انتقاداً صحيحاً بل هي في تحليله لها وبحثه عن مصادر الهام الفنان ووحيه اذ هو يشرح لنا شعور الفنان واحساسه ونظرته الى الفن وليس هذا بأيسر الامور

ولقد اثنى على هذا التحليل في مقدمة الكتاب المسيو «اندريه دي لوموى» فقال : ان المسيو « موريك بران » لم ينفصل بين الفنان وما اخرج فهو قبل ان يشرع في انتقاد التحفة الفنية كان يدرس مصدرها ووحيها في شخصية الفنان ، في تكوينه وفي نماذجه او فيما يعجب به . وقد كان عمله ناجحاً دائماً »

وفي الواقع اننا عند ما نقرأ صفحات هذا الكتاب الجليل نفهم البواعث التي حملت فنانين مثل « كامّيو انوشنتي » او « ناجي » او « محمود سعيد » او « مختار » او « آيمي نمر » او « اقاديسيان » او « منصور » او « زكي خليل » او غيرهم على التصوير او الحفر

ودراسة المسيو موريك بران للمصور « نيروني » دراسة وافية تعطينا فكرة واضحة دقيقة عن التحف الفنية التي اخرجها هذا الفنان الذي يتأثر بالطبيعة وبجمالها المختلف تأثّراً قويّاً فينقلها الينا في صوره الرائعة

والمسيو « موريك بران » لا يعتبر الفن مجرد نقل عن الطبيعة او تقليد لها وانما هو خلْق وتعبير . فالواقع ان صور الفنان « نيروني » تعبر من عوالم خيالية وبلاد جميلة لا تشاهد الاّ في الاحلام

كذلك اثنى المسيو موريك بران على المصور « فرج منصور » ثناء عظيماً فهو يعجب : كيف يستطاع هذا الفنان ان يجمع بين التناسب في الخطوط والانسجام في الحجوم وبين العظمة والنبل والبساطة معاً . انهُ يمت الى طبقة الفنانين في عهد الفراعنة وقد تمكن بموهبة غريبة ان يجعل الاشكال الهندسية حيةً بل تخفق حياة »

وعلينا ان نثني على المسيو « موريك بران » وعلى كتابه هذا الجليل . فقد استطاع ان يبعث فينا الايمان بابدية مجد مصر الفني

صبري فهمي

عمر بن ابي ربيعة

عصره وحياته وشعره

بقلم جبرائيل سليمان جبور — الجزء الاول (عصر ابن أبي ربيعة) — ٢١٢ صفحة بحجم المقتطف — طبع بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت

اذا ذكر الشعر الغزلي في الادب العربي برز اسم عمر بن ابي ربيعة من خلال القرون البعيدة التي مرّت على وفاتهِ في مقدمة شعراء العربية قاطبة فهو حامل لواء هـذا النوع من الشعر ، وهو مؤسس المدرسة الواقعية في الادب العربي وإن سبقهُ امرؤ القيس والنابغة الذبياني بقليل من الشعر كان بمثابة الاساس الذي أقام عليهِ عمر دعائم مدرسته . ولقد كان عصر هذا الشاعر من العصور الحافلة بالحوادث الهامة في تاريخ الامة العربية . كان عصر انقلاب وثورات وتغيير في نظام الحكم الشوري وتحوله الى حكم ملكي متوارث ، وكان لهذه التغييرات اثرها في وطن الشاعر وفعلها في شاعريته

وقد عالج الاستاذ جبرائيل سليمان جبُّور أحد اساتذة الدائرة العربية في جامعة بيروت الاميركية هذه الشخصية بدراسة تحليلية تقع في ثلاثة اجزاء تبحث في عصره ، وحياته ، وشعره ؛ وأصدر منها الجزء الاول في عصر عمر بن أبي ربيعة في أسلوب بديع ينم على بصيرة نقّاده ونفّاذة ودهن منظم متمكن من موضوعه دارس له ملمٌّ بأطرافه

عرض المؤلف في هذا الجزء حالة العصر الذي عاش فيهِ هذا الشاعر من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والعلمية والادبية ، وأبان عن مظاهر كل حياة من هذه بتوسُّع وإحاطة ، وأظهر ما لكل منها من الأثر في الجوّ الذي عاش فيهِ عمر

واعطانا المؤلف في الحياة الاقتصادية صورة من أثر المال الذي أغدقه بنو امية على اشراف الحجاز ليصدّوا الشباب منهم عن إحداث الفتن ، وليلهوهم بهِ عن التطلع الى المناصب والاعمال ، وليمدّوا لهم سبل اللهو والهوى ، فكان أن تغيرت الحياة الاجتماعية تغييراً رفع بالمرأة العربية الى حياة جديدة ، إذ أخذت النساء تلبس القمص الاسكندرانية الرقيقة والثياب القوهية المعصفرة تكاد تشفُّ عن اجسادهنّ — كما يروي الاصبهاني وابن عبد ربه — وجعل لمجالسهنّ روحاً غريبة يظهر أثرها في شعر عمر كقوله يصف حديثاً بين صاحبته ورفيقة لها :

وأشِفُّي البرد عنك له كي تَشُوقيه اذا نظرا

وقد توسع المؤلف في باب الحياة الاجتماعية فأظهر كل التطورات التي طرأت على الامة العربية ونقلتها الى دور جديد

ثم انتقل الى الحديث عن الحياة الدينية والعلمية فأبان ان التطور الاجتماعي بلهوه وانسه وعبثه وترفه لم يكن يمنع اهل الحجاز عن الالتفات الى الناحية الجدية من حياتهم والنظر في الانقلاب الديني العظيم نهض بجزيرتهم تلك النهضة القوية برسالة النبي (صلعم) فقاموا بتدوين القرآن والحديث

والبحث فيما كان يقضي به رسول الله في بعض الامور ، وما يمارسه في بعض الفروض . وكان لهذه الحركة الدينية أثرها الكبير في عادات القوم واخلاقهم فألانت من طباعهم ، وظهر هذا الاثر في ادبهم فتأثر بكثير من تعابير القرآن ومعانيه وتراكيبه ، وكان اثر هذه كلها ظاهراً في شعر عمر ، في حين لم يكن فيه اثر للحياة العلمية البحتة كالطب والفلسفة والمنطق وما شابه ذلك . اذ كانت هذه الحركة بعيدة عن الحجاز

وأما عن الحياة الادبية في ذلك العصر فقد اوضح المؤلف الظواهر الاربع التي تبدو للباحث بعد التطورات الجديدة التي طرأت على هذه الامة . وهذه الظواهر كانت هي الصبغة الغالبة على لون تلك الحياة . فالظاهرة الاولى هي شيوع الشعر عن النثر وقوته على البقاء اكثر منه . والظاهرة الثانية هي رواج الادب وخاصة الشعر وشدة الصلة بينه وبين عامة الناس الى درجة لم يبلغ اليها في عصر غير هذا العصر ؛ فلقد كان بعض الخلفاء والأمراء والولاة رواة للشعر ، محبّين لأهله ، نقّاداً لهُ ، حكاماً بين قائليه . وكانت الظاهرة الثالثة الخصومة الأدبية التي قويت في هذا العصر فأنتجت أدباً خاصّاً حتى طغت هذه الخصومة فكاد يقضي أصحابها على غيرهم من الشعراء ، وذكر المؤلف انواع هذه الخصومات وأثر الشعراء في الفتن

أما الظاهرة الأخيرة فكانت في إقليمية الأدب ، إذ كان يختلف أدب قطر عن قطر . وقد ضرب المؤلف الأمثلة على ذلك من أدب كل قطر حتى انتقل الى أدب الحجاز حيث كان يختلف هو الآخر باختلاف المدن ايضاً ؛ فكان في الطائف حيث الطبقة الارستقراطية المرحة العابثة المنزوية عن أعين العمال والرقباء غير ما كان في المدينة مسرح المغنين الجواري حيث فشا المجون . وكان في مكة — مقام عمر — غيره في هاتين المدينتين ، إذ كانت حياة الدعابة والعبث واللهو في مكة مقرونة بشيء من التحفظ والحيطة فلم يقوَ العبث فيها ولم ينتشر المجون ، وكان شعرهم بالرغم من إباحيتهِ يبدو وعليهِ مسحة من العفة ، وهناك تصدر الزعامة عمر بن أبي ربيعة . وكما كانت هذه هي ألوان الشعر في هذه المدن الثلاث كان في بادية الحجاز ذا لون آخر حيث مال الكثير من شعرائهِ الى التقوى والعفة والطهر وعُرفوا بالحب العذريّ كما يبدو في شعرِ جميل وإن تلوّن بعض شعرهم بألوان الآخرين للاشتراك معهم في مواسم لهوهم من ناحية ، ولشيء من اللهو يُسِّر لهم في موطنهم فبدت صورتهُ في اشعارهم

هذه كلمة سريعة عن هذا الكتاب تدل على الجهد الذي بذلهُ المؤلف والنجاح الذي اصابهُ . وكان بودنا أن يتنبه المؤلف الى الخطأ الذي وقع في عنواني الكتاب — الرئيسي والفرعي — حيث وضع الخطّاط ألِفاً (لابن) وهي بين اسمين ، وحرّك الكلمة نفسها في مكان آخر بالضمّ وهي في موضع الجر في جملة (عصر ابن ربيعة) حتى لا تصدم مثل هذه الاخطاء نظر القارىء في غلاف الكتاب

حسن كامل الصيرفي

خصائص اللغة العربية

تأليف حبيب بك غزالة — صفحاته ٣٢ من القطع الكبير — طبع بالمطبعة العصرية بمصر

رسالة نفيسة وفق حبيب بك غزالة في تصنيفها ووضعها كل التوفيق ، وهي عبارة عن بحث في اللغة العربية الفصحى والعامية ، وما يقابل خصائص الفصحى في غيرها من اللغات الأفرنجية ، وتجلية ما امتازت بهِ هذه اللغة من غزارة المادة واساليب البلاغة والبيان ، وأتى بخلاصة وافية لآراء بعض العلماء والائمة في اللغة مثل جلال الدين السيوطي والجواليقي وغيرهما ، وابان ما امتازت بهِ اللغة من الخصائص فشرح المترادفات والجملة الاعتراضية والتصريف وغيره واظهر فضل الحروف الهجائية وخصائصها وما يقابلها في الحروف الأفرنجية

وختم رسالته بفصل ممتع عن اللغات العربية العامية واظهر ان اللغة العربية لم يصبها ما اصاب غيرها من اللغات من التغيير والتحويل ، وما عراها من الشوائب لم يغيّر شيئاً من جوهرها ، وحصر هذه الشوائب في ست نقط وشرحها باسهاب . فيجدر بجماعة المتأدبين وطلبة المدارس الثانوية ان يطلبوا هذه الرسالة التي تضم بين دفتيها فوائد جمة

مطبوعات جديدة

ضاق نطاق باب مكتبة المقتطف عن النظر في معظم الكتب التي وردتنا وفيما يلي بيان بالمطبوعات الحديثة التي سوف ننظر فيها في الشهر القادم وما يليهِ

الزراعة العلمية الحديثة — للامير مصطفى الشهابي

الاسلام الصحيح — لمحمد اسعاف النشاشيبي

تطور النثر العربي — للاستاذ انيس المقدسي

القاهرة الجزء الثاني — للملازم الاول عبد الرحمن زكي

السودان في ثلاثة مجلدات — لعبد الله حسين

المقدس : الجزء الاول — لنقولا الحداد

افلاطون الى ابن سينا : للدكتور جميل صليبا

المفصل : لاحمد عطية الابراشي

اوراق البردي العربية : للاستاذ ادولف جروهمان

النجوم الزاهرة الجزء الخامس للاتابكي

نهاية الأرب السفر الحادي عشر للنويري

الاغاني الجزء السادس والسابع للاصفهاني

وادي النطرون لسمو الامير عمر طوسون

اليزيدية قديماً وحديثاً لاسماعيل بك جول

قصص جغرافية للاطفال — لكامل كيلاني

تاريخ اوربا والمسألة الشرقية لجورج حداد

باب الأخبار العلمية

مؤتمر المستشرقين لسنة ١٩٣٥

عقد مؤتمر المستشرقين هذه السنة في روما من يوم ٢٣ سبتمبر الى ٢٩ منهُ

والمعلوم أن هذا المؤتمر يأتي اليهِ العلماء المشتغلون بالمشرقيات ليتعارفوا ويتفاوضوا ويحاضروا ، والمشرقيات تعم الصين واليابان والهند وجميع المدنيات الشرقية قديمة وحديثة وكلامنا هنا عما يختص بالاسلام ذلك بانَّا لم نستطع الاَّ مراقبة ما جرى في شأنه

الحق انَّ عدد المشتغلين بالاسلام الذين وفدوا الى المؤتمر لم يكن بالغفير ، ومما لاحظنا انهُ ما من انجليزي اتى من بلاده وان هولنديًّا واحداً جاءَ الى روما. وقد نسب الناس ذلك الى الخلاف الذي بين انجلترا وايطاليا ثم الى استعداد هذه للحرب . واما مصر فقد مثلها الدكتور طه حسين والاستاذ مصطفى عبد الرازق خير تمثيل

أن عدد الذين حاضروا يبلغ زهاء عشرين وقد وقعت طائفة من المحاضرات موقعاً حسناً نذكر منها محاضرة الاستاذ طه حسين باللغة الفرنسية في « بعض ملاحظات على كتاب البديع لابن المعتز » جاء فيها باستدراكات لبقة على ذلك الكتاب الذي طبعهُ المستشرق الروسي كراتشكوفسكي . ومحاضرة الاستاذ (الالماني) تيشنر Taeschner في «حظ الصوفية في تأليف جماعات الفتوّة» ، ومحاضرة الاستاذ (الانجليزي من اورشليم) فيشل Fischel في «الادارة المالية ايام العباسيين » ، ومحاضرة الاستاذ (الايطالي) جويدي Guidi في «اليزيدية» ، ومحاضرة الاستاذ (الفرنسي) ماسينون Massignon في « العناصر الاسماعيلية في شعر المتنبي » ، ومحاضرة الدكتور بشر فارس باللغة الفرنسية في « مكارم الاخلاق الاسلامية » ، ومحاضرة الاستاذ (الفرنسي) ماسيه Massé في « الشياطين والجن في معتقدات ايران الشعبية » ، ومحاضرة الاستاذ الايطالي نلينو في الطبعة الحديثة لتاريخ المسلمين للمستشرق اماري Amari ومحاضرة الاستاذ (الفرنسي) بيريس Pérès في « الحب الرقيق والحب العذري في الاندلس في القرن الحادي عشر »

وختمت المحاضرات بمناقشة كادت تكون حادةً دارت حول توحيد اسلوب رسم الحروف العربية بالحروف اللاتينية وكان الاستاذ (الألماني) بروكلمان Brockelmann صاحب كتاب تاريخ الآداب العربية قد قدم اقتراحاً بهذا فاجتمع العلماء لبحثه وكانوا يناقشون الاستاذ بروكلمان في التفاصيل فيرد عليهم الرجل ردًّا سديداً مقنعاً تارة بالفرنسية واخرى بالانجليزية واخرى بالألمانية فدلّ على براعته وقوة حجته

ومما نأخذ على مثل هذه المؤتمرات ان المستشرقين يلقون محاضرتهم بلغاتهم المختلفة اي بالانجليزية والالمانية والفرنسية والايطالية والاسبانية والحق ان المشتغل بالمشرقيات ينبغي

له ان يعرف هذه اللغات . الاَّ ان معرفة لغة اي القدرة على فهمها قراءةً لا تستوجب القدرة على فهمها سماعاً ولا سيما ان المحاضرين يسرعون في الكلام اسراعاً ولربما اتفق لهم أن يخفضوا الصوت أو ان يخفوا مخارج الكلمات . فلِمَ لاتلقى المحاضرات باحدى هاتين اللغتين الشائعتين البيّنتين في آن اي الفرنسية والانجليزية ؟ وهنالك مأخذ آخر . ذلك ان معظم المحاضرين في هذا المؤتمر جاوزوا المدة التي ضُربت وهي عشرون دقيقة، فترتب على هذا خلل في مواعيد المحاضرات الأُخرى . ومما يذكر هنا ان الشرقيين اللذين حاضرا — وقد تقدم اسماهما — لم يجاوزا تلك المدة

وبعد انقضاء المؤتمر بما فيه من محاضرات ومناقشات ونزهات دبّرتها الحكومة الايطالية قرَّر من قرَّر أن مؤتمر المستشرقين المقبل سيعقد بعد سنتين او ثلاث او اربع في بروكسيل عاصمة البلجيك . وكان اقترح بعضهم مصراً فأُعرضت الآذان لاسباب نكره ان نذكرها م

هل حقن الاكسجين ينقذ حياة الغرقى

يؤخذ من مباحث طبيب هندي يدعى الدكتور سنج يقوم بمباحث علمية طبية في جامعة كمبردج احياناً وكلية رانغون الطبيعية احياناً اخرى ان حقن الاكسجين في العروق قد يكون السبيل لانقاذ حياة الغرقى او المصابين بنوع خاص من النزلة الشعبية او غيرها من الحالات التي يصعب فيها التنفس على المريض

فقد تمكن هذا الطبيب من الاحتفاظ بكلب حيًّا مدة ١٦ دقيقة بحقنه بهذه الحقن مع ان الكلب ظلَّ خلال هذه المدة لا يتنفس الاكسجين عن طريق الرئتين . وكان ضغط الاكسجين المحقون في العروق ثلاثة اجواء . ولولا خطأ في اسلوب الحقن لاستمرت التجربة اكثر من ١٦ دقيقة . وقد نشرت مجلة اللانست الطبية هذا النبأ وعلقت عليه بمقال افتتاحي . والخطوة التالية هي تطبيق هذه التجربة على الناس

تصحيح خطأ

في الصفحة الثانية من السطر ١٦ من محاضرة الدكتور شوشة بك عبارة : ومقدار الغاز يحسب بالمليغرامات في سنتمتر مكعب . وصحتها المتر المكعب . وفي خريطة افريقيا وتقسيمها السياسي التي صدَّرنا بها العدد اهمل المصور وضع العلم المصري الى جانب العلم البريطاني في السودان فاقتضى التنبيه

العناية بالصحة الشخصية

بقية المنشور على الصفحة ٤٠٨

٩ — ﴿ المأكل . الموائد . والمقاعد ﴾ : زيادة في النظافة ومحافظة على هندام الملبس وقوام الجسم ونشاطة ابتكر المصريون الموائد والمقاعد. كما انهم استعملوا الملاعق . وهذه الادوات مع الاطباق والكوبات تعتبر من اسس الصحة في المأكل والشرب لانها عامل مهم كفيل بمنع انتشار الامراض بين الآكلين . وبعد تناول الشراب اعتاد القوم ان يمسحوا افواههم بالدوطة الكثيرة الشبه بالحرمة الحديثة وان يتقدم الخادم بها قائلاً « شفاء وعافية »

١٠ — ﴿ الرياضة البدنية ﴾ عني بها المصريون القدماء عناية عظيمة . وقد فصلنا الموضوع في محاضرة سبق للمقتطف ان نشرها

١١ — ﴿ المظلات ﴾ كلنا نعرف شدة

حرارة الصيف في مصر وعظم الحاجة الى الوقاية من اخطارها . والى عهد قريب كان المعروف ان المظلات ابتكار حديث لكن الآثار اظهرت لنا انها مصرية قديمة كما يشاهد في الرسوم المرفقة . وهي على نوعين نوع بسيط فطري عبارة عن درع كبيرة يحمله تابع ونوع مستدير مرفوع على قائمة يثبت احياناً في العجلاب لوقاية الراكب من حرارة الشمس . وهذا الاخير كثير الشبه بالشمسية الحديثة . ومقبرة توت عنخ امون تحوي مظلة كبيرة من هذا الشكل كان جلالته يجلس تحتها وهي منصوبة الآن في دار تحف القاهرة

١٢ — ﴿ دورة المياه ﴾ استعمل القوم الماء البارد والدافىء للاستحمام . وفي عهد المملكة الحديثة (١٥٥٠ — ٧١٢ ق. م) كان كل منزل يحوي حجرة حمام وحجرة مرحاض . والاثنتان ملاصقتان لحجرة الزينة او مجاورتان لحجر النوم وارضهما وجدرانهما مكسوة بالبلاط الجيري المصقول . وتحوي حجرة الحمام حوضاً للاستحمام (ارمان ص ٢٠١ كتابه عن مصر) شبيهاً بما هو مستعمل الآن يقف فيه الشخص ويصب عليه الماء من اعلى بواسطة خادم مختبىء وراء حجاب . اما المرحاض فيتكون من مقعد مقعر قليلاً لراحة الجالس مصنوع من الحجر الجيري المصقول مفتوح فتحة مستطيلة كالمراحيض الحديثة . وهذا المقعد مرفوع على جدارين صغيرين وعلى جانبي المقعد مربعان صغيران مملوآن بملاً يرمى به بواسطة مغرفة على المواد البرازية لتغطيتها[1] وحجرة الزينة « التواليت » الملاصقة والحمام والمرحاض كلها مدهونة باللون الابيض الناصع اظهاراً لنظافتهما . وتخصيص امكنة لكل من الحمام والمرحاض وحجرات الزينة برهان كاف على مبلغ رقي القوم وقتئذ وخطوة كبيرة نحو تدبير صحة المنزل

***

اما الصابون فلم يكن مستعملاً عند قدماء المصريين . واقدم ما عثر عليه هو في مدينة بومباي (Pompei) . وروى اليوناني Aretaeus ان اليونان تعلموا صناعة الصابون من الرومان . ولا يبعد ان يكون المصريون استعملوا الدقاق (وهو مسحوق الترمس) لنظافة اجسامهم كما كان مستعملاً الى عهد قريب

١٣ — ﴿ حجرة النوم ﴾ المنازل الراقية تحوي حجرات خاصة للنوم . ولكل فرد منها سرير وورد على الآثار رسم لحجرة نوم تحوي سريراً لكبير وثلاثة اسرة لاطفال . وكل سرير يحوي وسادة و« منشة » ومسند للرأس كما هو واضح بالرسم . كل هذه الاجراءات تكفل الراحة في النوم لكل فرد وتمنع العدوى بين افراد العائلة (ارمان عن مصر)

١٤ — ﴿ الحشرات المنزلية ﴾ اهتم المصريون بابعاد هذه الحشرات عنهم محافظة على صحتهم وعلى مأكولاتهم فاوردوا الوصفات لابادة البراغيث برش ماء البطرون « ايبرس ٧٥٠ — ٨٤٠ » ووصفات لمنع لدغ النحل « ايبرس ٨٤٥ — ٨٤٦ » واخرى لابعاد الفيران « ايبرس ٨٤٧ » كما اهتموا ايضاً بتعطير منازلهم وملابسهم « ايبرس ٨٥٢ »

(١) مجلة العاديات المصرية سنة ١٩٢٣

الجزء الرابع من المجلد السابع والثمانين

٣٩٣ المتفجرات الحربية والبحث العلمي
٣٩٩ الغازات الحربية : للدكتور علي توفيق شوشه بك (مصورة)
٤٠٩ الشاعر والمرأة (قصيدة) : لعلي محمود طه
٤١١ تحدب الفضاء : لنقولا الحداد
٤١٨ النشوء والارتقاء (قصيدة) : لعبد الرحمن شكري
٤١٩ غزل المتنبي : لخليل شيبوب
٤٢٨ آراء الباحثين في اصل الشعور الديني : للدكتور عبد الرحمن شهبندر
٤٣٤ العناية بالصحة الشخصية في العهد الفرعوني : للدكتور حسن كمال
٤٤١ تحديد الادب : لحليم متري
٤٤٧ المعادن والتبعات الدولية
٤٥١ تأثير العلم في الفلسفة الحديثة والفكر الحديث : لطه الباقر
٤٥٨ مقام دراسة الشرق في معاهد الولايات المتحدة الاميركية : لادورد جرجي
٤٦٢ الاسطول والبحرية ايام محمد علي : للدكتور علي مظهر
٤٦٧ هي الدنيا (قصيدة) : لرشيد ايوب
٤٦٨ مفردات النبات : لمحمود مصطفى الدمياطي
٤٧٣ سير الزمان * قناة السويس : للملازم الاول عبد الرحمن زكي . طبيعة الحبشة الجغرافية ملخص فصل للسيو سكتا. ملخص تاريخي لصلة الحبشة باوروبا . الدستور السوفياتي للاستاذ وليم بنت كنرو
٤٩٧ التربية الاجتماعية والصحية * متى يغتفر الكذب : لشاكر الحنبلي . تحريم السرقة الاستشارة الطبية الدورية : للدكتور حسن كمال

٥٠٧ المراسلة والمناظرة * لا تقل كريات بيضاء : للاب الكرملي . أيقال كريات بيضاء : للدكتور امين باشا المعلوف . ارشاد لغوي : للاستاذ عبد الرحيم بن محمود
٥٠٧ مكتبة المقتطف * علم الامراض الباطنية . الفن الاسلامي في مصر . العلم الجديد . كتاب فرنانديز . اغاني البحيرة . الفن في مصر . عمر بن ابي ربيعة . خصائص اللغة العربية . مطبوعات جديدة
٥٢١ باب الاخبار العلمية * مؤتمر المستشرقين لسنة ١٩٣٥ . هل حقن الاكسجين ينقذ حياة الغرق

المعجم الفلكي

وهو يشمل الثوابت والكواكب السيارة والصور النجومية
وبعض المصطلحات الفلكية

تأليف

القريبي امين فهد المعلوف

العضو في المجمع العلمي العربي بدمشق ومؤلف كتاب معجم الحيوان
يطلب من المؤلف ويباع في المكاتب الشهيرة
والثمن خمسة عشر قرشاً

المجلة الجديدة

يحررها سلامة موسى : للتثقيف قبل التسلية

يصدر منها عدد شهري في ١١٢ صفحة كبيرة . نزعتها التجديد
في الادب والاجتماع والاقتصاد
ويصدر منها عدد اسبوعي في ٢٤ صفحة كبيرة [illegible] على مواد سهلة
للتثقيف قبل التسلية
الاشتراك سنة في العدد الشهري ٤٠ قرشاً في مصر والسودان
و[illegible] قرشاً في الخارج
الاشتراك سنة في العدد الاسبوعي [illegible] قرشاً في مصر والسودان
و[illegible] قرشاً في الخارج
[illegible] مصر

مجلدات المقتطف

المقتطف مجلة تقرأها اليوم وترجع اليها في المستقبل — ولا ادلّ على ذلك من مطالعة مجلداتها السابقة

كل مجلد تاريخ وافٍ للسنة التي صدر فيها. فيهِ وصف المستنبطات التي استنبطت والمكتشفات التي اكتشفت واشهر حوادث التاريخ وسير اعظم الرجال وآراء اكبر العلماء — وكل ذلك بكلامٍ بليغ قريب التناول وصور كثيرة وتحقيق وتمحيص اشتهر بهما المقتطف مع مقالات كثيرة في مواضيع شتى علمية وادبية وفلسفية

فاذا كنت ممن يعنون بالنهضة الشرقية الحديثة — اذا اردت ان تطلع على ارتقاء الحضارة الغربية في الثمانية والخمسين السنة الماضية — اذا اردت تاريخاً وافياً لسير العمران منذ اكثر من نصف قرن الى الآن

فيجب الاّ تخلو مكتبتك من مجلدات المقتطف وهي تباع مفردة او مجموعة واثمانها ترسل لمن يطلبها

الى محبي المطالعة

طلب الينا كثيرون من قراء المقتطف ان نتساهل معهم في بيع سنوات المقتطف القديمة فنزولاً على ارادتهم قررت ادارة المقتطف بيع بعض سنوات المقتطف القديمة بثمن ٢٥ قرشاً يضاف اليها اجرة البريد و «السنة عشرة اعداد»

فمن يرغب في اقتناء بعض هذه السنوات فليرسل طلبه مصحوباً بالقيمة

ادارة المقتطف بمصر

القاموس العصري

انكليزي عربي

تأليف الياس أنطون الياس

الطبعة الثالثة

نزف الى رجال التعليم وأساتذة المعاهد العلمية وطلبتها في جميع الأقطار العربية بشرى صدور الطبعة الثالثة من هذا المعجم الأشهر في حجم جديد وشكل بديع بعد تنقيحه تنقيحاً كاملاً وافياً واضافة نحو ٣٢ ألف كلمة انكليزية تشتمل ما جدّ في مختلف العلوم والفنون ، فأصبح أوفى وأكمل وأصح المعاجم التي ظهرت الى الآن

والطبعة الثانية ، التي قررتها وزارة المعارف لمعلمي اللغة الانكليزية والترجمة في مدارسها الثانوية ، تحوي ٣٤٠٠٠ كلمة انكليزية و ٣٧٥ صورة في ٤٣٢ صفحة ، أما هذه الطبعة الثالثة فتحوي ٥٦٠٠٠ « « ٦٥٠ « « ٧٠٢ « وتسهيلاً لاقتنائه جعلنا ثمن النسخة ٧٠ قرشاً صاغاً بخلاف أجرة البريد وهي ٤ قروش لمصر والسودان و ٨ للخارج

المطبعة العصرية (صندوق البريد رقم ٩٥٤ ، مصر)

مجلة الشرق

ادبية سياسية مصورة

انشئت للدعاية عن الشؤون البرازيلية وما آتي النزلاء الشرقيين في البرازيل تصدر باللغة العربية مرتين في الشهر — صاحبها ومحررها الاستاذ موسى كريم ويشترك في تحريرها طائفة من اكبر ادباء العربية في البرازيل وبدل اشتراكها ٢٤٠ قرشاً صاغاً وعنوانها

Journal Oriente
Caixa Postal 1402, Sao Paulo, Brazil

الجريدة السورية اللبنانية

الجريدة الرسمية للنزالة العربية في الارجنتين

تصدر صباح كل يوم في ١٦ صفحة

باللغتين العربية والاسبانية

مديرها ورئيس تحريرها : موسى يوسف عزيزه

يحرر فيها نخبة من حملة الاقلام الحرة

عنوانها :

EL DIARIO SIRIOLIBANES
Reconquista 339
Buenes Aires Rep. Argentina.

معمل تحاليل وديع هواويني

كيماوي اسبتالية الدكتور ملتون بمصر سابقاً . متخرج من جامعة الطب الاميركية ببيروت وجامعة استامبول شارع جلال باشا رقم ٦ تجاه تياترو الكسار بشارع عماد الدين بمصر

يعلن انه اعاد فتح معمله لتحليل البول كيماويًا ومكروسكوبيًا وفحص البصاق والمني والمادة ولبن الرضاعة وجميع مكروبات الامراض بغاية الدقة وبأحدث الطرق الكيماوية مع المهاودة الواجبة تليفون ٥٠٣٣٠

قائمة سلسلة المطبوعات العصرية

التي عنيت بنشرها « ادارة المطبعة العصرية » بشارع الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة بمصر

ص	
٣٥	القاموس العصري انكليزي عربي (طبعة ثانية)
٧٠	« « « « (طبعة ثالثة)
٧٠	« « عربي انكليزي (طبعة ثانية)
٣٥	« المدرسي عربي انكليزي وبالعكس
٣٠	قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس
٢٠	« « عربي انكليزي فقط
١٥	« « انكليزي عربي فقط
٧٠	« سقراط سبيرو عربي انكليزي (باللفظ)
٥٠	« « « انكليزي عربي (باللفظ)
١٠٠	« « « « « وبالعكس
١٠	التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطول)
١٢	الهدية السنية لطلاب اللغة الانكليزية (باللفظ)
١٠	الف كلمة الماني (لتعليم الالمانية بسهولة)
١٥	في اوقات الفراغ (للدكتور محمد حسين هيكل بك)
١٠	عشرة ايام في السودان « « «
١٢	مراجعات في الادب والفنون للاستاذ عباس العقاد
١٥	روح الاشتراكية (لغوستاف لوبون) وترجمة (الاستاذ محمد عادل زعيتر)
١٥	روح السياسة « «
١٠	الاراء والمعتقدات « «
١٠	اصول الحقوق الدستورية « «
٨	الحضارة المصرية (لغوستاف لوبون)
١٥	حضارة مصر الحديثة (تأليف كبار رجال مصر)
١٠	الحركة الاشتراكية (رمسي مكدونلد)
١٥	ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء
٨	اليوم والغد (الاستاذ سلامه موسى)
١٠	مختارات « « «
٨	نظرية التطور وأصل الانسان « «
٢٠	اناتول فرانس في مباذله، للامير شكيب ارسلان
١٥	الدنيا في اميركا (للاستاذ امير بقطر)
١٠	المرأة الحديثة وكيف نسوسها (عبدالله حسين)
١٠	جريمة سلفستر بونار (اناتول فرانس)
٥	المرأة بين الماضي والحاضر
٥	مركز المرأة في شريعتي موسى وحمورابي
١٥	حصاد الهشيم (للاستاذ ابرهيم عبدالقادر المازني)
١٠	قبض الريح (« « « « «)
٨	نسمات وزوابع شعر منثور مصور
١٠	رسائل غرام جديدة (سليم عبدالواحد)
١٠	الغربال في الادب العصري (ميخائيل نعيمة)
٥	حكايات للاطفال، اول (مصور بالالوان)
٥	« « ثان « «
٥	« « ثالث « «
٥	تذكرة الكاتب طبعة منقحة لاسعد خليل داغر
٢٥	جمهورية افلاطون (للاستاذ حنا خباز)

ص	
١٠	التربية الاجتماعية (للاستاذ علي فكري
٥	خواطر حمار (للاستاذ الجمل)
٥	التعليم والصحة للدكتور محمد بك عبد الحميد
٢٥	الحب والزواج (للاستاذ نقولا حداد)
١٥	ذكراً وانثى خلقهم « « «
٥٠	علم الاجتماع (جزآن كبيران) « «
١٥	اسرار الحياة الزوجية « «
٣٠	الامراض التناسلية وعلاجها للدكتور فخري
٢٠	المرأة وفلسفة التناسليات « «
٢٠	الضعف التناسلي في الذكور والاناث «
١٥	الزنبقة الحمراء (للاستاذ احمد الصاوي محمد)
١٠	تاييس « « « «
٥	مكايد الحب في قصور الملوك (اسعد خليل داغر)
١٠	القصص العصرية (٨٠ قصة كبيرة مصورة)
١٠	مسارح الاذهان (٣٥ قصة كبيرة مصورة)
١٢	رواية اهوال الاستبداد، مصورة
١٠	« فاتنة المهدي، او استعادة السودان
٨	« الانتقام العذب (اسعد خليل داغر)
٥	« فقر وعفاف (للاستاذ احمد رأفت)
١٢	« باريزيت، مصورة (توفيق عبد الله)
١٢	« غرام الراهب او الساحرة المجدورة
٧٥	« روكامبول، ١٧ جزء (طانيوس عبده)
٢٥	« ام روكامبول، ٥ اجزاء «
٢٠	« باردليان، ٣ اجزاء «
٢٠	« الملكة ايزابو، ٤ اجزاء «
٢٠	« الاميرة فوستا، جزآن «
٢٠	« عشاق فنيسيا، جزآن «
١٦	« الساحر العظيم، ٤ اجزاء «
١٦	« كابيتان، جزآن «
١٦	« الوصية الحمراء، جزآن «
١٦	« بائعة الخبز «
١٢	« فلمبرج، جزآن «
١٠	« فارس الملك «
١٠	« ضحايا الانتقام «
٨	« المرأة المفترسة «
٥	« المتنكرة الحسناء «
٥	« مروضة الاسود «
٥	« شهداء الاخلاص «
١٦	« دار العجائب جزآن (نقولا رزق الله)
١٠	« فرنسوا الاول « «
١٠	« الجنون فنون « «
٨	« حورية « «
٨	« الغلامان الطريدان « «
١٢	يسوع ابن الانسان (جبران خليل جبران)

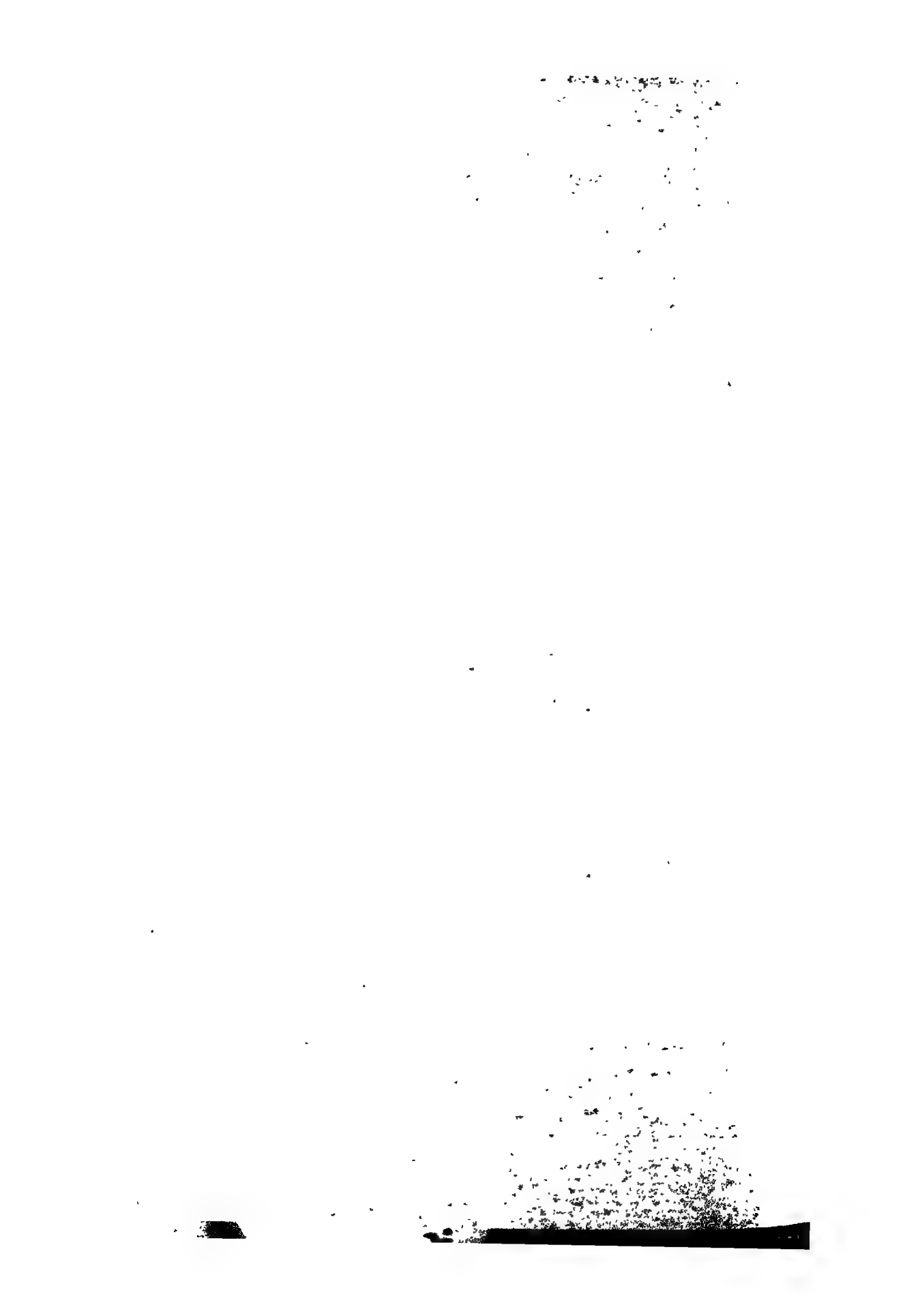

أبدع مثال للجمال المصرى القديم
— تمثال الملكة نفرتيتى —

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الخامس من المجلد السابع والثمانين

١ ديسمبر سنة ١٩٣٥ — ٥ رمضان سنة ١٣٥٤

ذرع الفضاء

والاعلام التي يعتمد عليها في القياس

اذا وقف قائدٌ على قمة اكمة وحدّق بنظارته في اشباح متحركة عند السفح، استطاع ان يعلم بوجهٍ هل هذه الاشباح فرقة من المشاة او من الفرسان وهل جنودها مردة او اقزام. كذلك ربّان سفينة التي ترود شواطىء معينة، يتعلم بالمرانة، ان يتبين المنائر المختلفة من شدة ضوئها، او ما يختص به خاصة في فترات الاضاءة والظلمة. وعلى منوال القائد والربان نجد علماء الفلك المحدثين، لدى النفوذ الى اسرار الفضاء، بالتحديق في تلك المنائر الكونية العجيبة — نعني النجوم المتغيرة

معظم النجوم في الفضاء تضيء ضوءاً لا تغير في قدره، لان ما ينتاب النجوم من الاحداث في عام، يستغرق عصوراً متطاولة قبل ان يبدو اثره في حجمها او كتلتها او ضوئها. ولكن لما اكتشفوا في العصور الحديثة، نجوماً يتغير مقدار ما تطلقهُ من الضوء تغيُّراً ظاهراً في فترات قلمة. فما كادت هذه الظاهرة تكشف وتحقق حتى اضطرب لها الفلكيون، ثم لما تعلموا كيف يهتدون اليها في حل بعض الالغاز الكونية، رحّبوا باكتشافها ايما ترحيب. ذلك انهم باعتمادهم على خصائص هذه النجوم المتغيرة، تغلغلوا ايما تغلغل في رحاب الفضاء، وتمكنوا من ان يعيدوا رسم الخطة الكونية، على وجه ادق وأوفى، مما اتيح لها قبل اكتشافها

فالنجوم المتغيرة، في عرف الفلكيين المحدثين والمعاصرين، بمثابة، المتر والذراع، تمكنهم من ذرع الفضاء

يعرف هذا الضرب من النجوم ، باسم « المتغيرات القيفاوية » Cepheid Variables نسبةً الى النجم المعروف باسم « ذلتا قيفاوس » وهو اشد هذه النجوم اشراقاً مما يرى منها بالعين المجردة . ونجمة القطب متغيرة قيفاوية كذلك

هذه النجوم قد تكون حُمْراً او مبياضّة ، او صفراً ، ولكنها على اختلاف الوانها ، تنبض نبضاً منتظماً كأن كلاً منها قلب كبير ينقبض وينبسط . او كأنها شعلة من الغاز ، تمدها حنفية تفتح وتقفل في فترات منتظمة ، فاذا فتحت كبرت الشعلة ، واذا اقفلت ضؤلت الشعلة حتى تكاد تنطفئ. اما فترة التغير فتختلف باختلاف النجم ، او باختلاف صنفهِ ففترة النجم المعروف باسم « ذلتا قيفاوس » ، خمسة ايام ونصف يوم ، وهي خاصّة ثابتة من خصائصهِ ، وهو يتميّز بها

ويؤخذ من مباحث الفلكيين ان اشراق النجم الحقيقي متصل بفترة تغيّرهِ . فالنجم المتغير الذي فترة تغيُّرهِ ، ثماني ساعات ، يبلغ اشراقهُ مائة ضعف اشراق الشمس . اما النجم المتغير ، ذو الفترة الطويلة ، فيفوق اشراقهُ اشراق الشمس الوف الاضعاف . وقد يبلغ طول فترة التغيُّر في نجم مائة يوم ، فيفوق اشراقهُ اشراق الشمس ٣٠ الف ضعف . فاشراق النجم يزداد بازدياد فترة التغيُّر

فاذا عرفنا طول فترة التغيُّر ، في نجم من النجوم ، عرفنا مقدار اشراقهِ بالقياس الى غيرهِ من المتغيّرات القيفاوية . ثم ان بعض هذه النجوم ، قريب منا يمكن قياس بعدهِ عنا بطريقة اختلاف الزاوية . فاذا اتخذنا نجماً من هذا القبيل اساساً للقياس ، وعرفنا الصلة بين طول فترة التغيُّر ومقدار الاشراق ، استطعنا ، ان نعيّن بطريق غير مباشرة ، بُعد المتغيّرات القيفاوية المختلفة واشراقها بمعرفة فترات تغيُّرها

***

والظاهر ان النجم المتغيّر ، المعروف باسم « ميرا » كان اول نجم متغيّر عرفهُ الانسان ففي سنة ١٥٩٦ كان الفلكيُّ الهولندي دافيد فابريكيوس ، يرصد السماء ، فدهش دهشاً عظيماً ، عند ما رأى في صورة قيطس (الحوت) نجماً ، آخذاً في التضاؤل ، حتى غاب عن بصرهِ . ثم زاد دهشهُ واستفحل عندما رأى النجم نفسهُ ، في ليالٍ تاليةٍ وقد اخذ اشراقهُ يزداد حتى صار من اشد النجوم لمعاً في رقعة الفضاء . والمسلَّم بهِ عند علماء الفلك الآن ، ان ميرا نجم متغيّر ، يكون من نجوم القدر الثاني ، اذا بلغ اقصى اشراقهِ ، ويضؤل حتى يصبح من نجوم القدر التاسع ، اذا بلغ ادنى اشراقه

وما اشرف القرن التاسع عشر على نهايتهِ ، حتى كان العلماء قد كشفوا عن عشرة نجوم او اثني عشر نجماً متغيراً . اما الآن ، وقد ادرك العلماء ، ما لهذه المتغيرات القيفاوية ، من المكانة في علم الفلك الحديث ، وما لها من الاثر في النفوذ الى بعض اسرار الفضاء ، فقد اصبح البحث عنها من اهم فروع الرصد الفلكي ، وقد بلغ عدد ما رصد منها حتى الآن نحو سبعة آلاف نجم ، كشف معظمها في مرصد جامعة هارفرد الاميركية

قد يكون اول سؤال يخطر للقارىء في صدد هذه النجوم ، عن الباعث على تصرفها هذا التصرف العجيب . فاذا كان القارىء يعلّق شأناً عظيماً بالردّ على هذا السؤال فانهُ ولا ريب ، مقضيٌّ عليهِ بخيبة الامل ، لانَّ العلماء ما زالوا مختلفين في ذلك . فالعلاّمة ادنغتن ، يرى ان الباعث على ذلك ، كون النجوم في توازن غير مستقرّ . وشابيلي الاميركي يذهب الى ان هذه النجوم قد تكون في حالة اهتزاز . وان اهتزازها يصحبهُ تغيُّر في حرارتها وحجمها ولونها . اما جينز فيقول ان المتغيرات القيفاوية ، ليست الاَّ نجوماً ، في دور الانشطار ، على مثال ما تنشطر الخلية خليتين . ولكن ليكن تفسير حالتها هذه ما كان ، فان خاصتها الاساسية التي تمكننا من معرفة ابعادها ، بمعرفة اشراقها المستخلصة من قياس فترة تغيُّرها ، ظاهرة من اخطر الظواهر في علم الفلك الحديث

***

ادرك العلماء اولاً مكانة المتغيّرات القيفاوية في علم الفلك ، لما لاحظت المس لڤِت Miss Leavitt سنة ١٩١٢ في مرصد هارفرد ، ان فترة التغيّر في ألمع النجوم المتغيّرة في «غيمة مجلاّن الصغرى» Lesser Magellanic Cloud اقصر من فترة التغيُّر في النجوم المتغيّرة الضئيلة ولما كانت جميع النجوم في « غيمة مجلان » على بُعد واحد من الارض ، فالاختلاف في اشراق النجوم ، لا يمكن ان يسند الى الاختلاف في بُعدها عن الراصد ، ولا يمكن ان يفسر الاَّ بالتسليم ، بان بين النجوم اختلافاً حقيقيًّا في اشراقها . فافضى اكتشاف المس لڤِتْ الى القول بان مدى فترة التغيُّر تختلف باختلاف مقدار الاشراق ، فالنجوم التي فترات تغيُّرها قصيرة ، اقل اشراقاً حقيقيًّا من النجوم التي فترات تغيُّرها طويلة

كان شابيلي Shapley حينئذٍ شابًّا في العشرين من عمرهِ ، يشتغل بعد تخرجهِ في مرصد جبل ولسن ، فادرك في الحال قيمة هذا الاكتشاف ومقتضياتهِ . فقال في نفسهِ ، اذا كان لدينا نجمان متغيّران ، س و ص ، في ناحيتين مختلفتين من الفضاء ، وثبت من رصدها ، ان فترتي تغيرهما واحدة لا بدَّ ان يكون اشراقهما الحقيقي واحدٌ كذلك . فاذا كان ثمة اي اختلاف بينهما في اشراقهما البادي بين الراصد ، فسبب ذلك الاختلاف ، انما يكون الاختلاف بينهما في بعدهما عنا

ومع ان العلماء كانوا ميّالين ، في البدء ، الى السخرية من رأي ، الفلكيّ الناشىء ، تمكن شابيلي ، بذكائهِ وصبرهِ ، من تأييد رأيهِ ، فأقنع علماء الفلك ، بان المتغيّرات القيفاوية ، بمثابة علامٍ منصوبة على طريق الكون نقيس بها أبعادهُ

فالمتغيّرات القيفاوية منثورة في رحاب الفضاء ، لا تؤثر ناحيةً منهُ على اخرى . وتبيّنها سهل على من أخذ نفسهُ بأسباب العلم والمرانة ، يعرفها كما يعرف الربّان كل منارة على الساحل الذي يجوبهُ . اذا رأى الربّان نور منارةٍ ، وعرف المنارة ، رجع الى خريطتهِ ، فيعلم منها قوة ضوئها . كذلك الفلكي ، يسهل عليهِ ، ان يعرف ، مقدار الاشراق في احدى هذه المتغيرات ، من رصده فترة

دورانها . ثم بالقياس الى ابعاد المتغيرات التي قيست أبعادها بطريقة اختلاف الزاوية او غيرها من الطرق الفلكية ، يستطيع ان يعرف بعد المتغيرة القيفاوية الجديدة

وليس لدى الفلكي الآن ، وسيلة أخرى ، توازي هذه الوسيلة ، في تمكينهِ من قياس الابعاد في ارجاء الفضاء القاصية

***

وما مضى شابيلي في بحثهِ حتى تبين لهُ ان هذه النجوم المتغيِّرة بعيدة عنا بعداً ساحقاً يجعلها خارج الكون ، كما كان يتصوَّرهُ علماء الفلك في مطلع القرن العشرين فاقتضت النتائج التي بلغها ان يعاد النظر في تقدير حجم الكون وشكلهِ

فلما أُتقن الاسلوب الجديد في تقدير أبعاد النجوم ، رأى شابيلي ان يطبقهُ على معرفة حجم المجرَّة . فحوَّل عنايتهُ الى العناقيد النجمية ، التي تحتوي على طوائف كبيرة من هذه المتغيرات القيفاوية . ومنها نحو مائة عنقود قائمة جميعاً عند اطراف المجرَّة

هذه العناقيد تكون منتشرة لا شكل لها اذا كانت داخل المجرة ، ولكنها ترى مركَّزة ، كأنها عناقيد كثيفة غير مستطيلة من العنب اذا كانت خارجها . والواقع انها اذا اخترقت المجرَّة في خلال سيرها ، مزَّقها الجذب كل ممزَّق فتبدو منتشرة وليس لها شكل معين . لذلك في وسع الباحث ان يقول ان العناقيد المركَّزة ، بمثابة الحدود القصوى للمجرَّة

على ان النجوم المتغيرة في هذه العناقيد المركزة بعيدة جدًّا ، فلما بحث شابيلي في الابعاد التي قدرت لها في الماضي على ضوء العلم الحديث ، ظهر انها خطأ ومبنية على التخيل في الغالب . فثمة عنقود يعرف في الخرائط النجمية باسم مركب من حروف وارقام هي N. G. C. ٧٠٠٦ وهو يبعد عنا مائتي الف سنة ضوئية ، اي ان الضوء السائر بسرعة ١٨٦ الف ميل في الثانية لا يجتاز المسافة بيننا وبينهُ الاَّ في مائتي الف سنة !

فلما أتم شابيلي بحثه في حدود المجرة على الاساس المتقدم ، رسم لنا صورة جديدة لها ، واضعاً كل عنقود من العناقيد النجمية التي تناولها بحثه في المكان الخاص به . واذا المجرة في رسمه هذا قرص من النجوم اشبه ما يكون بحبة من العدس او بساعة الجيب . ونظامنا الشمسي ، ليس في مركز المجرة كما ظن الفلكيون المتقدمون بل يبعد عنهُ نحو ٥٠ الف سنة ضوئية

واذاً فشمسنا ليست قلب المجرة ، بل هناك كتلة نجمية كبيرة في كوكبات الرامي والحواء والعقرب ، هي في الراجح هذا القلب . الاَّ ان مركز المجرة محجوب عن انظار مراقبنا لبعده من ناحية ولان حجاباً كثيفاً قاتماً من المادة يحول بيننا وبينه . فنحن لا نستطيع ان نرى ذلك المحور الذي تدور حوله شمسنا واربعون الف مليون شمس اخرى ، بسرعة ٢٠٠ ميل في الثانية ، ولا تتم دورتها حوله الاَّ في مائتي مليون سنة . وقد يكون المرقب الجديد ، الذي قطر مرآتهِ مائتا بوصة

(اي ضعف قطر المرآة في مرقب مرصد جبل ولسن) عوناً جديداً للعلماء على توسيع نطاق مايعرفونهُ عن مركز المجرّة . فالقوى الكونية ، والجاذبة منها بوجهٍ خاص ، تخترق الغيوم المادية الا ود ، وتفعل في حركات النجوم ، وقد يمكننا هذا المرقب الجديد ، من تبين حقائق جديدة عن هـذا المركز ولو بقي محجوباً عن عيوننا

ومع ان الدكتور شابلي يرى ان المضيَّ في البحث مدة اربع سنوات او خمس . قد يميط اللثام قليلاً عن اسرار مركز الكون ، الاَّ انهُ يتخيَّل من الآن انهُ قد يكون في ذلك المركز شمس جبّارة لا كالشموس ، تدور حولها المجرَّة كما يدور النظام الشمسي حول الشمس . ولكن نظرية اينشتين ميّن حدوداً للاجرام الفلكية لا يمكن ان تتعدَّاها في ضخامتها . فمنكب الجوزاء او يد الجوزاء Betelgeuse اضخم شمس عرفت مقاييسها حتى الآن ، ومادتها تكفي لنشوء ٢٥ مليون شمس من حجم شمسنا منها . فوجود شمس اكبر كثيراً من منكب الجوزاء في مركز الكون، من المستحيلات حسب نظرية اينشتين . الاَّ ان مجموعة الشموس المركزة في منطقة المركز ، تفعل كأنها شمس واحدة

***

ان المتغيرات القيفاوية التي مهّدت للعلماء السبيل الى قياس ابعاد المجرّة ، والنفوذ الى مقر مركزها، تحت عيونهم كذلك ، على مدى الخليقة الكونية . ففي السنوات الاخيرة ، رصد العلماء ، بمرقب جبل ولسن ، السدم اللولبية التي خارج مجرتنا ، وقد كانت تحسب ، قبل عقد او عقدين من السنين ، وما منتشرة من الغبار الكوني ، فثبت من رصدها ان فيها نجوماً متغيرة كذلك . فسديم المرأة المسلسلة ظهرت فيها نجوم متغيّرة لاشك فيها . فثبت من رصد هذه المتغيّرات ان السدم مجموعات ضخمة من النجوم التي لاترى لبعدها ، ثم ظهر من قياس فترات تغيُّرها ، ان السدم تبعد عن اطراف مجرتنا مئات الالوف بل الملايين من سني الضوء . فبالاستناد الى هذا الضرب من القياس تبين ان سديم المرأة المسلسلة يبعد عنا ٨٠٠ الف سنة ضوئية . فلما مضى العلماء في البحث . ظهر ان المرأة المسلسلة اقرب ما عرف من هذه السدم ، وان السدم الاخرى ابعد منها عنا . نعم انهم لايستطيعون ان يتبينوا نجوماً متغيرة او غير متغيرة في سائر السدم ولكنهم يعتمدون الآن على وسائل اخرى من بشكل السديم وضوئهِ تمكنهم من تقدير ابعادها. والامل هنا ، كالامل هناك ، معقود على المرقب الجديد . فانهُ ولاشك سوف يمكن العلماء من التدقيق في تعيين ابعاد الملايوني السديم المعروفة الآن، فضلاً على كشف ملايين من السدم الاخرى ، لم يتح لعين مرقب ان تراها حتى الآن

***

ولعلنا نستطيع حينئذٍ ، ان نكشف الستار قليلاً عن القوى الهائلة المتفاعلة في رقعة هذا الكون العظيم !

معجم الاستاذ فِشر

للدكتور بشر فارس

إنَّ لغتنا هيهات ان تعوزها المعاجم ، ففي طليعة آثار العربية المطبوعة امثال «الجمهرة في اللغة» لابن دُرَيْد ، و «الصحاح» للجوهري و «اساس البلاغة» للزمخشري و « القاموس» للفيروزبادي و «لسان العرب» و « تاج العروس » ، اذا استثنيت المعجمات المرتبة على المعنى نحو « المخصَّص » لابن سِيدَة . وثمَّة ما لا يزال مخطوطاً كجانب من « كتاب العين » للخليل [1] وجزء من «المجمل في اللغة» لابن فارس [2] فضلاً عما عفا اثره مثل «العُباب» للصاغاني (او الصغاني) . وهذه المعاجم النفيسة تثبت الالفاظ والتراكيب الفصيحة ، ولربما اتفق لطائفة منها ان تشير الى المصطلح والدخيل والعامي في مِعْرَاض الكلام . غير انها صعبة المتناوَل الاَّ على المتفقه في اللغة البصير بأساليب البحث ، ذلك بأن مواد بعضها مرتبة على مخارج الحروف نحو « الجمهرة في اللغة » او بأن المادة الواحدة مدرجة على غير تنسيق نحو « لسان العرب »

***

وقد فطن اهل اللغة للقرن الماضي الى وعورة ملتمس هاتيك المعاجم فراحوا يصنفون ما هو ادنى منالاً ، فكان « محيط المحيط » للبستاني الكبير و « أقرب الموارد » للشرتوني وغيرهما على ما جرى في مطاويها جميعاً من الاوهام والسقطات

وهل اكتمك ان نفراً من المستشرقين نحوا ذلك النحو فسهلوا لابناء جلدتهم مطلب لغتنا ، فكان معجم (لِين) Lane الجزيل فائدة ومعجم (فْرَيْتَجْ) Freytag وأصحابهم ؟

بيد ان ارتقاء فقه اللغة اخذ بأيدي المشتغلين باللغة الى غير هذا ، ذلك ان الامر آل بهم أن يعدّوا اللغة كياناً يموت ويحيا ويتحوّل ويبعث ، فأقبلوا ينظرون في نشوء اوضاعها وانقراضها على تعاقب الايام كما ينظر علماء الارض في ارتفاع نواحيها وانخفاضها على كرّ الزمان . فللغة تاريخ كما أنَّ للامة الواحدة تاريخ

---

(١) نشر الاب انستاس الكرملي جزءا من « كتاب العين » عدد صفحاته ١٤٤ . فعسى ان يمضي نيته على اتمام نشره (٢) طبع الجزء الاول من « المجمل في اللغة » في مصر (مطبعة السعادة) سنة ١٩١٤.

وبهذا الحكم قد سلّم علماء العربية من عهد بعيد : افلا ترى كيف تكلموا على « نَقْل » الالفاظ من معنى الى معنى وعلى « ذهاب » تراكيب و« هجران » أُخرى ؟

الاّ ان لغتنا لاتضمّ بين كنوزها معجماً تاريخيًّا يرد اللفظة الواحدة الى اصلها في اللغات السامية أو يدفعها الى اخواتها فيهن ، ثم ينحدر باللفظة من الجاهلية حتى عهدنا هذا ، ممهلاً حيث يتسع المعنى ، مسرعاً حيث يضيق ، وعكّازه في انحداره شواهد مستخرجة من أُمّات التآليف والمراجع العُمَد

أما الفرنجة فما ابطأوا ان أخرجوا لاقوامهم معجمات تلك صفتها . وحسبي ان ادلّك على معجم (ليتريه) Littré الفرنسي والمُصنّف حجة بل بنيان !

ذلك عمل ضخم أقبل عليهِ المستشرق الالماني الاستاذ (فِشِر) A. Fischer وهو من أعضاء مجمع اللغة العربية الملكي . وقد سبق لي أن حدثتك عن ذلك العالم عند الكلام على مرايا الذهن الالماني[1] ولنجدنّ في الاقبال على مثل ذلك العمل دليلاً آخر على ما سقته لك هنالك :

***

أخبر الاستاذ (فِشر) عالَمَ الاستشراق بعزمه على تصنيف معجم تاريخي للغة العربية سنة ١٩٠٨ في مؤتمر المستشرقين المنعقد في (كوبنهاجن) ثم سنة ١٩١٢ في مؤتمر المستشرقين المنعقد في (أثينه)

ثم انهُ نشر سنة ١٩١٨ في مجلة « الجمعية الالمانيـة الشرقيـة » Zeitschrift der deutschen Margenlaendischen Gesellschaft (ج ٧٢ ، ص ١٩٩ وما يليها) مقالاً اثبت فيهِ مبلغ معجمهِ في ذلك العهد ورغب الى اصحابهِ من المشتغلين بالمشرقيات ان يمدوه بما تصل اليهِ ايديهم

***

وبعدُ فقد اتفق لي في الشهر الذي خلا ان اشخص الى مدينة لَيْبْتْسِشْ Leipzig حيث يقيم الاستاذ (فِشِر) . فلم يسعني الاّ ان التقي الرجل واطارحهُ الحديث في معجمه . فاذا به يخبرني انهُ أتمّه وان الجزازات التي بين يديهِ تبلغ الف الف وخمسمائة الف . ثم سمح لي بالوقوف على جانب مما دوّنهُ تدويناً فاذا الذي أراه يهزّني : يأتي المصنّف باللفظ العربي ويذكر مفاده بالفرنسية والانجليزية ثم يردفهُ بما يجانسهُ في السريانية والأكدية والعبرية والحميرية وما اليها ، ثم يذكر المعاني المختلفة اذا كان اللفظ « مشتركاً » ، ثم يبسط دقائق كل معنى من حيث موقع اللفظ في سياق الكلام . وهيهات أن يرسل القول ارسالاً ، فهو يحتج في كل موطن بنصوص قبولها مبني على الضبط والوثوق . واستناده الى الشعر الجاهلي فالقرآن فالحديث فتآليف المؤرخين الأولين امثال

(١) انظر « المقتطف » اكتوبر ١٩٣٥ ، ص ٣١٠

الطبري والادباء السابقين كمثل ابن المقفع واشعار المخضرمين والاسلاميين والطبقة الأُولى من المولَّدين . فانك ترى أَن ما جمعه لا يعدو القرن الثالث للهجرة

هذا وقد انتفع المصنف بما عمله من قبل اضرابه من علماء اللغة أَمن العرب كانوا أم من الاعاجم . الاَّ انهُ لا يعوّل عليهم من طريق مباشر ، وبيان ذلك أَنهُ ان اصاب عند القوم معنى لم يظفر بهِ في المؤلفات التي استند اليها اشار اليهِ ونسبهُ الى صاحبه

***

بَقِيَ ان هنالك مُشكلتين اذنتُ لنفسي ان انصبهما للاستاذ (فِشر) . اما الأُولى فتلحق بالاستشهاد ، واما الثانية فترجع الى التدوين نفسه . وقصَّة الأُولى أَن المصنف يستدل بالحديث . ومما كاد يجمع عليهِ الائمة — وفيهم صاحب « الكتاب » والخليل والكسائي — ان اثبات اللغة بكلام النبي موضع نظر لأَنّ غالب الاحاديث مرويّ بالمعنى ولأَن الاعاجم والمولدين سلّطوا عليها ايديهم حتى أَنّ الحديث الواحد ليأتي على اوجه شتى من الرواية واللفظ . غير ان نفراً من النحويين واهل اللغة — وفيهم ابن خروف وصاحب « الألفيّة » جوّزوا ذلك ، ولهم حججهم . ولتجدن القضية مبسوطة في مقدمة « خزانة الأدب » للبغدادي . ثم ان المصنّف يقدّم الشعر الجاهلي على القرآن في الاستشهاد ، فان نظرنا الى التعاقب التاريخي ما وجدنا المصنف الاَّ على حق . ولكنّا اصبحنا نعدّ القرآن الحجة المقدَّمة — جرياً على طريقة الاستاذ الدكتور طه حسين — فنبذنا ما ذهب اليهِ الأقدمون أَن لغة القرآن تصيب شواهدها في الشعر الجاهلي . وأَما المشكلة الثانية فنقل الالفاظ السامية دون العربية والالفاظ الافرنجية الى لغتنا ، وهذا الفن معروف عند علماء الغرب بكلمة Transliteration ، وهو مجهول عندنا . الاَّ ان ابن خلدون عالجه بعض الشيء في « مقدمته » ثم جرى الشيخ ابراهيم اليازجي مجراه في مجلته « الضياء » . والحق أننا ما نزال نعاني نقل الالفاظ الاعجمية الى لغتنا على وجهها الصحيح اي دون ان نعمد الى « النحت »

كيفما كان الحال فانّ تينك المشكلتين لاحقتان بالعَرَض ، ولا عُسْرَ في حلّهما . والتحقيق ان المعجم الذي يعالج الاستاذ (فِشر) تصنيفه في المحل الأول من النفاسة . ولعلّ اعضاء مجمع اللغة العربية الملكي يفطنون الى قدره فيتعاونون على ابرازه ، وعسى ان يواصلوا العمل فاذا فرغوا من الفصيح انصرفوا الى المُصْطَلَحَ والعامي والدخيل ، والمصنفات في هذه الثلاثة الفنون الاخرى — قديمة كانت او حديثة — متداولة بين الناس [1]

(١) سألت الاستاذ (فشر) — وهو العالم باللغات الميتة والحية — قلت : «كيف ترى العربية ؟» قال : «ما اعرف لغة اغنى منها ولا اسلس مقاداً ولا ارق حاشية »

المال عند الاقدمين وعندنا

تضخم الثروات وتوزيعها

في مختلف العصور والامم

لامين الريحاني

المال يعمر الممالك ويخربها ، يعمرها اذا قرن في استخدامه العلمُ وحب الانسانية ، ويخربها اذا انحصر استخدامه في حب الذات والمصالح الخاصة

المال رأس النعم في الحياة الدنيا ، ورأس المحن كلها . هو رأس النعم اذا توزَّع توزُّعاً عادلاً بموجب شرائع يسنها الانسانيون الصادقون من السياسيين ، وهو رأس المحن اذا تكتَّل وتضخم ، وكانت الشرائع تساعد في تضخمه وتكتُّله

المال في الحال الاولى كالنهر العديد الفروع ، الكثير الترع والاقنية ، عميم الفائدة وهو في الحال الثانية كالسد تتجمع فيهِ مياه النهر لتستخدم في احياء ارض محدودة دون سواها

كان المال خير وسيلة للانسان الاول في معاملاته المدنية الاولى ، فصار شر وسيلة اذ اتسع نطاق تلك المدنية ، وتعددت المطامع البشرية . بيد انه في تطوره الحديث ، عائد الى وضعه الاول ، فيطلق اذ ذاك في توزعه ، من القيود الاقتصادية التي تسبب التضخم والتكتُّل ، وتقاس قيمته بمنافعه العامة لا الخاصة

المنافع الخاصة ! لقد كان اصحابها يتمتعون ، في المدنيات القديمة وفي مدنيتنا السابقة للحرب العظمى ، بكل اسباب الفلاح ، وبكل حقوق الاحتكار السياسية والاقتصادية . ما كان والحق يقال منافع تذكر غير المنافع الخاصة . وقد كانت في المدنيات الاولى تستعين حتى بالدين ، فتُنزَّل الآيات من اجلها ، ويتكهن الكهان لتعزيزها

اما عامة الناس ، السواد ، العاملون المنتجون والمجاهدون ، فحسبهم التقوى ونعمة الآلهة . حسبهم رضى الكهان والاشراف ، اولئك الذين استغلوا الاديان ، واستغلوا بثمار حد الانسان ، واستمتعوا بخيرات الارض في كل مكان ، فكانوا القليل ، وما كانوا كراماً الاَّ نادراً ، وكان السواد من الناس يدفعون الخراج ، و «يأكلون» الكرباج ، ويصلُّون في الهيكل لرب العرش ورب التاج

اني محدثك بما يمليه العقل لا القلب عليَّ ، وبما هو من وضح التاريخ لا من النظريات ، فلا اقول غير ما يوجبهُ الاثنان ، ويثبته البرهان . فاستمع لي ، دام حلمُك

ما تمتع بخير الارض في الزمان القديم غير الملوك والامراء ، والرؤساء المدنيين والدينيين ، وقليل غيرهم من المقرَّبين . وما عُمِّر في الممالك عمارٌ يدوم طويلاً ويذكَر ، غير ما كان للرؤساء والامراء والملوك ، او ما كان مؤيداً لسلطانهم ، معززاً لنفوذهم ومصالحهم ، ما عُمِّر غير الهياكل والقصور ، والطرقات للقوافل والجنود ، والاقنية والترَع في بعض الاماكن للري ، اول مصادر الثروة في العالم

وما كان المال يتوزَّع توزُّعاً واسع النطاق ، فترِقُّ حواشيه في الاقل ويزداد خيرهُ ، بل كان يتجمَّع فيتكتَّل ، فيسوء لذلك مصير الامة والمُلْك . وقد كانت الكتلة الكبرى للملك طبعاً والكتل الاخرى للامراء من البيت المالك . ثم للكهان والاشراف

اما الباقي من الامة ، اي السواد ، فقد كانوا على الاجمال محرومين حق التملك ، مستعبَدين حقيقةً ان لم يكن اسماً كذلك . ومن كان منهم صاحب عقار ، كان ذلك العقار كوخاً في حي الفقراء او بيتاً حقيراً في ظل قصر من القصور

لقد اكثرت من البيان فوجب عليَّ البرهان . مهما كان من تجريح التاريخ ، ومهما قيل في شطط المؤرخين ، فالحقيقة التي ذكرت ظاهرة لا ريب فيها . قلت ظاهرة ، وما كانت كذلك قبل ان شرع الاثريون ينبشون مدنيات الماضي القديم ، فأظهروا تلك الحقيقة ، وأيدوها بالادلة المحسوسة

هي ذي في المعابد والقصور ، وفي قبور اصحاب القصور والمعابد . فقلما يعثر الاثريون على شيء غيرها . هي ذي آثار الملوك والاشراف والكهان . واين آثار السواد من الناس ؟ انهم حتى في قبورهم بائدون ، وليس في حفريات الاثريين ما يجدد لهم ذكراً ، غير ماعون مثلاً من النحاس او قطعة من الفخار . وان سألت عن آثار البيوت بيوتهم والقبور ، دلوك على آثار القصور والمعابد

هذي هي مدنية الاقدمين ، مدنية الكهان والاعيان ، مدنية الاقلية الصالحة التي حملت الكرباج باحدى يديها ، والمبخرة بالاخرى ، فأشعلت في المعابد البخور ، وما ابقت للسواد من الناس غير القبور . بل حرمتهم حتى القبور التي تنجو من يد الدهر الهدّام ، فينبشها الاثري هذا الزمان

تلك القبور الملأى بالجواهر والتحف وبرموز الخرافات ان هي الاَّ قبور من حملوا الكرباج و « أكلوا » الخراج . اما قبور من دفعوا الخراج و « أكلوا » الكرباج فَسلْ عنها الزمان

وسَلْني انا عن عدد من لا قبور لهم ، وعدد اصحاب القبور الحافلة بالكنوز . سلني شئت عن النسبة ، نسبة الاسياد الى العبيد في قديم الزمان . ولا تعجبنَ اذا قلت لك ان النسبة بين الفريقين لكنسبة الحبة الى القبة

***

واليك من التاريخ بالمثل والبرهان

عند ما اشتد دور الانحطاط الاخير في مصر ،ذلك الدور الذي بدأ في الدولة العشرين (١٢٠٠ — ١٠٩٠ ق . م .) كانت ثروة البلاد كلها بيد عدد من الناس لا يتجاوز اربعة بالمائة من عدد السكان. فلو فرض ان عدد السكان في عهد الفراعنة الرعمسيين كان خمسة ملايين ، فالذين ملكوا الارض ، واستمتعوا بخيرها ، لا يتجاوزون المائتي الف . هي الطبقة المالكة حقيقةً ومعنىً وقد كانت مؤلفةً من الملك والاشراف والكهان ، وقليل ممن دونهم من التجار والحكام ورؤساء الجيوش

على ان سيادة الكهان في دور الانحطاط تعاظمت بتعاظم ثروتهم . فقد كان الفراعنة يزيدون أوقاف الهياكل ليؤيد اربابُها سلطانهم . بل كانوا يقدمون الاموال للآلهة ، ويقفون عليهم ، سجلاتهم وتعالوا ، الاوقاف الطائلة من مصانع ومزارع ومدن . ليظل الآلهة راضين عنهم ، مؤيدين لعروشهم . وقد بلغت تلك الاوقاف في عهد رعمسيس الرابع خمسة عشر جزءاً من المائة جزء من ثروة مصر والبلدان التابعة لها (١)

وفي بابل ، خلال دور انحطاطها ، كانت النسبة بين اهل المال واهل الفاقة اقل مما كانت في مصر ، اقل قليلاً ، اي ثلاثة بالمائة . فلو قلنا فرضاً ان سكان مملكة بابل ثلاثة ملايين كان المستحوذون على ثروة البلاد تسعين الف غني . وقد كانوا هم المالكين حقيقةً ومعنىً ، باسم الآلهة ، مثل اخوانهم في مصر

اما في بلاد فارس فقد كانت الحالة الاقتصادية اشد وانكر . في بلاد فارس ، حتى في عهد دارا الكبير ، كان عدد القابضين على زمام الثروة في الامة اثنين بالمائة فقط ، اي نحو مائة الف بشر ثري. هذا اذا كان عدد السكان خمسة ملايين ، يوم كانت العجم تحارب الاغريق

وما كانت بلاد الاغريق ، على علو كعبها في التمدن ، تفضل بلادَ فارس في توزع ثروتها . بل كانت تلك الثروة منحصرة كذلك في القليل القليل من الناس ، نسبتهم الى السواد نسبة مخجلة . اي مخجلة حقًّا لانها من حقائق الحياة « الراقية » في بلد سقراط وبركليس

---

(١) في ما يلي بعض الارقام من احصاء في السجل البردي المعروف بسجل (هاري) ذكره الاستاذ برستد Breasted في كتابه تاريخ مصر صفحة ٤٩١ — فالآلهة او الهياكل ، او بالحري وكلاء الهياكل والآلهة ، اي الكهان ، كانوا يملكون في عهد رعمسيس الرابع :

١٠٧٫٠٠٠ رقيق (من كل خمسين نفسا من الاهالي نفس واحدة للهيكل)

٥٥٠٫٠٠٠ رأس من المواشي

٧٥٠٫٠٠ فدان من الارض (اي ١٥/١٠٠ من ارض مصر الصالحة للزرع)

٨٨ مركباً من مراكب النيل

١٦٥ مدينة في مصر وسورية (اي خراجها كله للهياكل)

أضف الى ذلك ما كان يقدم للآلهة من التحف والجواهر والمال ذهباً وفضة . فقد كان الدخل السنوي للاله عمون حده ٢٦٫٠٠٠ قطعة من الذهب ، ماعدا نصيبه مما تقدم ذكره

اجل ، ان عدد الاغنياء في دور انحطاط اثينة لمدهش ومخجل ، كيف لا ، وهو لم يبلغ الجزء الواحد بالمائة ؟ بل كان نحو نصف جزءٍ الواحد. ومعنى ذلك ، ايها الفاضل ، انهُ لم يكن بين كل الف فقيرٍ غير خمسةٍ من اصحاب الثروة ! فلو فرضنا ان عدد السكان يومئذٍ اربعة ملايين فعدد الذين احتكروا ثروة الامة الاغريقية يكون عشرين الف سيد اغريقي

اما العرب اجدادنا فقد كانوا في قديم الزمان ، وفي الجاهلية ، من الشعوب التي ما عرفت من المال — لا من خيره ولا من شره — شيئاً كثيراً بل كانوا ، الاَّ في اليمن ، وفي قريش من القبائل ، فقراء فقراء . . وقد كانت الثروات اليمانية ، واكثرها صغيرة ، منحصرة في الاذواء وذويهم ، والمقربين منهم

ثم بعد الفتح اخذت تتسرّب اموال الامم الى بيت المال في المدينة ، فأحسن استخدامها الخليفتان الاول والثاني ، وأساء استخدامها الخليفة الثالث ، فما ابقى لخلَفه غير القليل ، بذل معظمهُ في حربٍ خاسرة

وبعد ذلك أخذت الثروة تتضخم في عهد الامويين ، ثم في عهد العباسيين . ولكننا لا نعلم حق العلم مقدار تكتُّلها — الاَّ في بيت المال طبعاً — ومقدار النسبة بين عددي الاغنياء والفقراء في سورية والعراق . لقد عظمت ارقام الخراج ، ولا غرو ، فصارت تُعَدُّ بالوف الالوف . ولكنها كانت مطلقةً من قيود العدل ، الاَّ في ايدي الخلفاء العادلين ، وهم قليل . وكان الباقون يتصرفون في الخراج كيفما شاؤوا وشاءت اهواؤهم وملذاتهم

لا يجوز ، وانا في هذا الحقل القاحل من عالمنا العربي ، ان امرّ ساكتاً بحالة اجتماعية جميلة خضَّرت حواشيه ، فأثمر فيها الاحسان ، وشرف الانسان . حدثنا عنها ابن بطوطة . وحسبي الآن ان اشير اليها ، وادلك عليهِ . هي الاوقاف المتعددة التي شاهدها في دمشق وعدَّد منها ما يدعو للفخر والاعجاب . على انهُ يُستدَل من ذلك ان المال يومئذٍ كان متكتلاً ، ولكن اصحابه كانوا من المحسنين ، فبذلوا ما استطاعوا ، في أوقافهم العديدة ، لتخفيف وطأة الفقر عن السواد من الناس

***

اذا استثنينا هذا المظهر من مظاهر الغناء عند العرب كان في وسعنا ان نقول ان الحالة الاقتصادية المنكرة كانت في مصر اخف وطأة منها في سائر الممالك القديمة. فما السبب في ذلك ؟ لم تكن مدنية المصريين ارقى من مدنية الاغريق . ولكن وادي النيل اكثر خصباً من ارض اليونان . وخصب الارض وثروة الامة يتناسبان ، وقلما يفترقان . فوادي النيل ووادي الرافدين تشابها خصباً في قديم الزمان ، ونسبة الغناء الى الفقر فيهما كادت تكون واحدة

على ان الثروات تكتَّلت في تلك الممالك القديمة كلها ، وخصوصاً في ادوار انحطاطها . بل كان التكتُّل السبب الاول في انحطاطها ، فعُدَّ المتمولون بالمائة وبالالف ، وعُدَّ الفقراء بالملايين

وقد كانت اكثر الامم تمدُّناً — مثل الاغريق — اكبر الامم بفقرائها ، واصغرهنّ — ليس بالغناء — اصغرهنّ بالاغنياء

لا ازيدك علماً بما كان من احوال الفريقين الاجتماعية والادبية . لا ازيدك علماً بتقشف الاغنياء وتقشف الفقراء ، بالقصور والبساتين ، واكواخ المساكين ، بالمنكرات العلنية ، والامراض السرية . بالابخات المحللة المضمخة بالبخور ، المكللة بالزهور ، وبالبؤر الاخلاقية التي يولدها الزحام والظلام . عُد الى التاريخ تزدد تيقناً مما اقول

واني فوق ما قدمت اعطيك البرهان الاكبر من تاريخ الدولة العالمية الكبرى ، دولة الرومان ، وقد دانت لها شعوب الارض شرقاً وغرباً ، وتسرّبت الى خزائنها بروما اموال العالم فكانت روما في ذلك الزمان ، كما هي لندن اليوم ، قطب السيادات السياسية والاقتصادية والمالية كلها

وماذا كانت نسبة العددَين ، عدد الاغنياء وعدد الفقراء ، في تلك الامة الرومانية العظيمة ؟ لقد كانت في مصر اربعة بالمائة ، وفي بابل ثلاثة بالمائة ، وفي ايران اثنين بالمائة ، وفي بلاد الاغريق نصف واحد بالمائة ، فماذا كانت في روما ؟

ما كان في روما ، ايها النجيب ، نسبة تذكر بالصورة الحسابية البسيطة . لا ½ ولا ¼ ولا ⅒ بالمائة ولا جزء واحدٌ من الخمس . وذلك لان الشعوب التي كانت تدفع الضرائب للرومان كانت تربي على الخمسين مليون نفس (اذا كنت مخطئاً في هذا العدد فخطأي بالنقص لا بالزيادة) ولأن الرومان الذين ملكوا الارض لم يتجاوزوا في دور انحطاط روما الالفين عدًّا

الفان من خمسين مليوناً ! فما هي النسبة ؟ اعمل حسابك في مهل ، ودعني أوكّد الالفاظ المخجلة . الفان اثنان من الرومان يستمتعون بثروة العالم في تلك الايام ، وملايين من الشعوب الاوربية والاسيوية فقراء فقراء ، لا يملكون — كما يقال — شروى نقير

بئس الدولة التي يدير شؤونها ، ويستمتع بجميع خيرها ، الفان من سادة الناس
بئس الدولة التي تعظم فتتكتّل الثروة فيها ، وتصغر فتستعبد الرجال

***

ان غناء اولئك الرومان لشبيهٌ نسبةً بغناء اصحاب الملايين في اميركا . فقد بلغت ثروة احدهم ، هو إزيدوروس ، بحسب وصيته ، ٤٠١١٦ رقيقاً ، و ٣٦٠٠ رأس من البقر ، و ٢٧٥٠٠٠ رأس من مختلف المواشي ، ما عدا نصف مليون من المال ذهباً . وما كان إزيدوروس باغنى الرومان ، وما ثروته هذه الاّ ما تبقى عنده بعد خسارة جسيمة

اما ثروات عواهل الرومان فقد كان بعضها يدنو من الثروات الاميركية الكبرى . كثروة الامبراطور طيبيريوس مثلاً التي حسبت عند وفاته باثنين وعشرين مليون ليرة ذهباً

فاين منها ثروات ملوك هذا الزمان وحكامه ؟ لقد تقدمنا من هذا القبيل . فالملوك والسياسيون في زماننا قلما يثرون . انما الاثراء للتجار ، وارباب الصناعات والمهن

ومن هؤلاء ، في بلاد مثل انكلترا ، تتألف طبقة الاشراف . فصاحب معمل الصابون مثلاً ، او صاحب طائفة من الجرائد والمجلات ، وقد صار مليونيراً بفضل عصاميته ، يصير نبيلاً بفضل تقليد قديم لتخليد طبقة النبلاء . وكيف تخلَّد هذه الطبقة وتظل رفيعة الشأن ، عزيزة الجانب ، اذا كانت الحياة لا تتجدد فيها على الدوام ؟ انها لحكمة بليغة في المحافظة والتجدد !

وهذه الطبقة الشريفة تملك قسطاً وافراً من ارض انكلترا . كل نبيل غني ، ولا يعكس

وفي انكلترا من اصحاب الملايين ٥٤٣ ثريًّا (احصاء سنة ١٩٢٩) اما اصحاب الثروات الصغيرة التي تتراوح بين العشرة آلاف والمائة الف جنيه ، فيبلغ عددهم ٤،٦٥٠،٠٠٠ اي نحو عدد سكان مصر في عهد الفراعنة الرعمسيين ونحو الثمن من عدد سكان بريطانية العظمى الآن

***

لانكران اذن ان نسبة الفقراء الى الاغنياء قد تغيرت تغيراً حسناً يذكر . ولكنها لا تزال دون الاحسن المنشود . فالهدف الاعلى للشعوب المحرَّرة هو قائم ، على ما ارى ، بين بلشفية روسيا المركسية واشتراكية اميركا الدمقراطية . فان في البلادين تجري اليوم تجربات خطيرة مختلفة هي كلها ، في عدلها الانساني المنشود ، اكبر قصداً ، وأبعد مرمى ، مما تقدمها من الاصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في التاريخ القديم والحديث

وهناك فرق آخر بين غنائنا وغناء الاقدمين . فان مجموع الثروة عندنا ، في أمة واحدة من الامم الغنية ، لأكبر جدًّا مما كان حتى في الدولة الرومانية العظمى . بل ان رجلاً مثل رُتشيلد او رُكفلر او هنري فورد لَيملك وحده ما يقدر بثمن ثروة رومة في ذلك الزمان

هذا وان التكتل المالي آخذ بالتفكك ، وقد اتسع ، خصوصاً بعد الحرب العظمى ، نطاق انتشار وقلّ نطاق خيره ، فتعددت الثروات في الدول الكبيرة في الاقل ، وازداد عدد الميسورين . لقد اسلفت البيان عما في انكلترا من اصحاب الملايين وأصحاب الثروات الصغيرة . وان عدد هؤلاء في فرنسا لأزود ، الاَّ أصحاب الملايين (باليرات) فلا اظنهم كثيرين . على ان طبقة البورجوازي التي تحكم اليوم البلاد سياسيًّا وماليًّا هي اهم الطبقات هناك ، ان لم تكن اكبرها وأغناها

***

ومما يدل على اليسر المتسع النطاق في هذا الزمان عدد السيارات . فان في فرنسا ١٦٧ر٢٩٤ر سيارة[1] اي واحدة لكل ثلاثين من السكان . وهي مثل ذلك في انكلترا ، وأقل من ذلك في المانيا

(١) احصاء سنة ١٩٣٠

اما في اميركا فقد بلغ عدد السيارات من جميع الانواع في سنة ١٩٣٠ ثلاثة وعشرين مليون مائة وعشرين الف سيارة، اي سيارة واحدة لكل خمسة اشخاص

وعدد اصحاب الملايين غير الكبار ، اي الذين يملكون ما يتراوح بين الخمسة والعشرة ملايين ن الدولارات ، يفوق عدد ما في انكلترا . فان في مدينة نيويورك وحدها مائتين منهم . وفي ولايات المتحدة سبع مدن كبرى ، بعضها اكبر من باريس ، وخمس عشرة مدينة كالقاهرة . في كل مدينة اغنياؤها ذوو الثروات التي هي فوق المليون ودون الخمسة ملايين دولار . فضلاً ن اصحاب الثروات الصغيرة ، ويقدَّر عددهم بثلاثة او اربعة ملايين ، بناء على ضريبة الدخل التي فت في سنة ١٩٣٠ نحو بليونين واربعمائة مليون دولار ، وهي بالتدقيق :

من الشركات	١ر٢٦٣ر٤١٤ر٤٦٦
من الافراد	١ر١٤٦ر٨٤٤ر٧٦٤
	٢ر٤١٠ر٢٥٩ر٢٣٠ دولاراً

اي الفين واربعمائة الف الف على طريقة العرب في العدّ

لا نكران اذن ان عدد الاغنياء والميسورين آخذ بالازدياد في العالم . ولكن ذلك لا يعني ان ور الفقر قد زالت ، او هي مسرعة في الزوال . ذلك لا يعني ان الجور والتعسف والاستئثار ، ساد الاخلاق والجرائم والامراض ، الناشئة عن تكتُّل الثروات ، وعن الفقر المقابل لها ، قد ست كلها في خبر كان . بل هناك ضروب من الجور ، في المعاملات المالية الكبرى وفي المشروعات قتصادية العظيمة ، لا تستطيع الحكومات ، لا الجمهورية منها ولا الملكية الدستورية ، ان تزيلها اذا تغيرت نظمها اصلاً واساساً

ان الفرق اذن بيننا وبين الاقدمين في المسألتين ، موضوع هذا المقال ، اي في التكتُّل المالي ي نسبة الفقراء الى الاغنياء ، هو ان المال عندنا قد ازداد ازدياداً عجيباً ، وقد تغيرت النسبة تغيُّراً سناً ظاهراً . فمن ١٠٠/٤ في عهد الفراعنة ، الى ما يتراوح بين ١٥ و٢٠ بالمائة في زماننا ، في الامم ي ذكرت ، وهذا ما يصح ان يدعى ارتقاء . ولكننا لا نرضى بان نقف في الارتقاء عند هذا الحد لا نقول ان عدد الاغنياء في العالم يجب ان يزداد ويستمر في الازدياد . كلاَّ . انما نقول يجب يقل عدد الفقراء في العالم ، ثم يقل ، فيزول الفقر تدريجاً ، وتزول شروره كلها

هي ذي الحالة الاقتصادية الاجتماعية التي ينشدها ذوو الفكر الراقي النزيه ، ذوو الفكر الدولي نساني . هوذا الهدف الاقصى ! وستدركه في المستقبل الامم المتمدنة جمعاء

الفريكه — لبنان

حالتان للنفس

لعبد الرحمن شكري

— ١ —

طلب السكينة

يا ليت قلبي غدا خلاءً كعالمٍ كلـه بِحَارْ
على انتفاء الحياة منها في خضرم ما لهُ قرارْ
فلا مهود ولا قبور ولا سفين ولا منارْ
ولا حبيب ولا عدو ولا نمو ولا احتضارْ
ولا رخاء ولا شقاء ولا رجاء ولا ادكارْ
أو كان كالنجم في سراه الوادع السائر المُدَارْ
أو كان كالليل في هدوء يُخال في صمته حِوَارْ

— ٢ —

طلب القوة

يا ليت قلبي على أساه أقوى من الشر والشقاء
وليت نفسي على هواها أقوى من الحب والرجاء
وليت لُبّي على حِجَاهُ أجلد من غفلة الغباء
لا يضطنيه عداء عادٍ وليس يغتر بالإخاء
يأخذ صفو الزمان عفواً ولا يُعَنَّى من القضاء
وليت صبري على بلاءٍ أشد من أروع البلاء
دواء داء الحياة فينا لو تُسعِدُ النفس بالدواء
بالصبر والسعي والمُنَى والحِلم والعزم والوفاء

التجارة الاسلامية

وأثرها في الحضارة[1]

لفسطين زريق

احد اساتذة التاريخ الشرقي في جمعية بيروت الاميركية

لم يعرف تاريخ العلم قوماً كانوا اقل انصافاً لفنهم واشدّ ظلماً لهُ من جماعة المؤرخين ؛ فكأني بهم قد افرغوا جهدهم في صدّ الناس عنهُ ومنعهم من ارتياد مناهله . كيف لا ، وقد جردوه من كل نعة ورداء ؛ وامتصوا منهُ ماء الحياة ، ولم يبقوا فيهِ الاَّ هيكلاً عظميًّا من اسماء وتواريخ ليس نها وبين حياتنا الحاضرة علاقة وثيقة او سبب قويّ . فكانت نتيجة الجهود التي سكبوها في تلك ؤلفات الضخمة والكتب الجسيمة انهم ، عوضاً من تحبيب هذا الفن الى الناس وتشويقهم الى تطاف ثمراته اليانعة ، جعلوهم ينصرفون عنهُ ويصدفون عن مراتعه وحقوله ولا يرون في درسه نير لذّة او عظيم غَناء . لكنّ التاريخ يأبى ان يظلّ اسيراً ضمن النطاق الجائر الذي قيّدوه بهِ ، ولا يكتسي رواءه ونضارته الاَّ اذا لامس الحياة واتصل بها اتصالاً وثيقاً ، اذ ليس هو ، في رهِ ، سوى تطور الحياة البشرية باختلاف نواحيها وتعدد الوانها ، يستمد روحه من حيـاة مة العامة من الناس وطرق معيشتهم وأحوالهم الاقتصادية والاجتماعيةوالعقلية : فكم في البيوت ضيعة والطرقات العامة ما هو اجدر بالحفظ في بطون التواريخ من اسماء الملوك والوقائع والحروب ُ اصدق منها تمثيلاً لحياة الامة ولون معيشتها وتطوّر احوالها

فاذا حاولت ان احدثكم في موضوع تاريخي ، فسوف ابتعد — ما استطعت — عن نماء والامراء والحكام ، وسوف أُصم أُذنيّ وآذانكم عن سماع صليل السيوف وقرع الطبول خ لانواق ؛ واسعى وإياكم الى ناحية خصبة غنية من الحياة الاسلامية القديمة لم تنل من المؤرخين ما من الدرس والاهتمام ، مع ما كان لها من الأثر القوي والصدى البعيد في تاريخ الشرق والغرب: بها «التجارة الاسلامية وأثرها في الحضارة» . ليس قصدي ان اعود بكم الى الجذور القديمة التي منها حركة التجارة الاسلامية ، فاصوّر لكم الجزيرة العربية في الازمنة التي سبقت الاسلام ، دّد الطرق التجارية التي كانت تخترقها ، والدول والمدن الزاهرة التي قامت على اساس تجارتها — ن وسبأ وحمير وتدمر والبطراء ومكة ، واصف ما كان لهذه الدول والمدن من الشأن في وصل رة الهند وثقافته بمدنية بلدان الشرق الادنى والبحر الابيض المتوسط ، فالقول في ذلك — كما ن — واسعٌ مستفيض لا مجال لاستيعابه في هذا المقام ، وكفى تلميحاً اليهِ ان نورد شهادة

---

١) محاضرة القيت في كلية المقاصد الخيرية في بيروت

الجغرافي اليوناني استرابون (Strabo) الذي قال : « العرب جميعهم اهل تجارة » ، والقول المتداول عن اهل مكة قبل الاسلام : « من لم يكن تاجراً فليس عندهم بشيء »

دعونا اذن نمر بهذا الدور التحضيري الذي غرست فيه بذور التجارة الاسلامية ، ونجوز دور الفتوحات الذي عقبه والذي نُشرت به راية الاسلام من حدود الصين الى سواحل الاطلانتيك فوحدت الاقطار الشاسعة تحت حكم واحد وهدمت الحواجز التي كانت تفصل بينها ، ولننتقل رأساً الى قلب العصر العباسي (الى القرنين الثالث والرابع هـ . ، التاسع والعاشر م) حين وصلت المدنية الاسلامية الى اعلى قممها ، ولنراقب تلك الحركة التجارية المفعمة بالقوة والنشاط التي كانت تتغلغل في قلب الامم الاسلامية وجوانبها ، وتربط بينها وبين الامم التي تجاورها وتنقل منها واليها بذور الحضارة والثقافة والمدنية

لو كنت يا اخي تاجراً في ذلك العهد لما سكنت بيروت لانها لم تكن قد اكتسبت بعد مكانة تجارية ، وانما كنت استوطنت بلداً غيرها على الساحل السوري كطرابلس أو صور او عكة حيث تجتمع السفن « المنشآت في البحر كالاعلام » ويلتقي تجار المسلمين زملاءهم الغربيين ، ولكان لك في بلدك المستودعات الواسعة لخزن البضائع التي تستوردها من بلدان الشرق وتصدّرها الى الغرب ، فان وظيفتك كانت في ذلك العصر — كما لا تزال الى اليوم — ان تقوم وسيطاً بين الشرق والغرب وتكون حلقة اتصال لطرق التجارة التي كانت في القرون الوسطى تسير من الشرق الى الغرب فانعكست اليوم ، بعد نهضة اوربا الحديثة ، وغدت تجري من الغرب الى الشرق

واذا اسعفك الدهر واتسعت تجارتك فلا بُدَّ ان تكون بينك وبين التجار الغربيين — واشهر سكان المدن الايطالية — اتفاقات ومقاولات تجارية تسعى الى القيام بها وتجني من ورائها الربح العظيم . ولكنك اذا احببت ان تلمس الحركة التجارية في صميمها وتشعر بقوتها وبالحياة التي كانت تدب فيها فلا بُدَّ لك من الاتصال بالطرق التجارية التي كانت تخترق المحيط الهندي وتصل بين الهند والصين من جهة وبين بلدان الشرق الادنى ومن ورائها اوربا من جهة اخرى . فالمحيط الهندي كان في ذلك العهد اعظم ميدان للاعمال والمشروعات التجارية ، وفي مياهه وشواطئه كانت تلتقي مراكب الامم المختلفة وتتبادل بضائعها ومحصولات بلادها . فلا غنى لنا اذن عن ان نلقي نظرة عجلى على الطريق الرئيسية للتجارة الواسعة التي كانت تدور اعمالها في ذلك الميدان الفسيح

كانت قاعدة هذه التجارة ومحط رحالها الموانىء الواقعة على شواطىء الخليج الفارسي كالبصرة والأُبُلَّة وسيراف : منها تخرج السفن الصينية الكبيرة والمراكب العربية السريعة ، بعد ان يكون التجار قد افرغوا بضائعهم التي حملوها من الصين والهند وابتاعوا حاجتهم من اللؤلؤ الذي يُغاص عليه في مياه الخليج الفارسي والذي كان ولا يزال اعظم ما تصدّره تلك البلاد . ثم تعبر السفن مضيق هرمز الى خليج عمان فترسو بصُحار عمان ومسقط حيث تأخذ مؤونتها من الماء والطعام لسفر طويلة قد تدوم شهراً او تزيد ، ثم تقلع الى الهند او بالاحرى الى القسم الغربي منه — وهو الذي

كان يدعوه العرب « السند » — وترسو في موانئه فينزل اليه التجار ويبتاعون تلك المحصولات الثمينة المتنوعة التي اشتهرت بها بلاد الهند منذ اقدم الازمنة : وهي البهارات والعطور والعقاقير والاخشاب والعاج والحجارة الكريمة . وفي السند يقول الرحّالة المقدسي : « هذا اقليم الذهب والتجارات ، والعقاقير والآلات ، والفانيذ والخيرات » والارزاز والموز والاعجوبات ، به رُخص وسعة ونخيل وثمرات ، وعدل وانصاف وسياسات ، وبه خصائص وفوائد وبضاعات ، ومنافع ومفاخر ومتاجر وصناعات [١] . ويظل تجارنا يتنقلون بمراكبهم بين موانئه الى ان يصلوا الى ساحله الجنوبي المعروف ببلاد الملبار ثم يدورون حولهُ ويمرون في المضيق الفاصل بين شبه جزيرة الهند وجزيرة سيلان — او كما كان يدعوها العرب « سرنديب » — فترسو المراكب في بعض شواطئها ويشتري التجار من محصولاتها — واعظمها الياقوت والحجارة الكريمة — واذا كانت حركة الرياح غير موفقة وكان بين التجار من تستهويه الرحلة ومشاهدة الآثار نزلوا الى برّها وتسلّقوا جبالها لزيارة « القدم » وهو — على ما يعتقدون — اثر بارز لموطىء قدم ابينا آدم عليه السلام

ومن سرنديب تقلع السفن قاصدة جزر الهند الشرقية (جاوه وسومطرة) — وقد كانت تعرف عند العرب ببلاد الزابج — وهي غنية باللبان والكافور والعود الهندي والقرنفل ، ومنها تسير رأساً الى الصين فتتصل — بعد سفر طويل — الى مدينة خانفو وهي ، بشهادة التاجر سليمان الذي قطع هذه الطريق البحرية مراراً في منتصف القرن التاسع م . « مجتمع تجارات العرب واهل الصين » [٢] . واهل الصين مشهورون منذ اقدم الازمنة بدقة صناعاتهم واتقان فنونهم . واشهر مصنوعاتهم التي كان التجار المسلمون ينقلونها الى الغرب : الحرير والفخّار . قال التاجر سليمان عن صناعاتهم : « واهل الصين من احذق خلق الله كفّاً بنقش وصناعة وكل عمل لا يقدمهم فيه احد من سائر الامم » [٣] وذكر رقة حريرهم فوصفها بالقصة التالية : « وذكر رجل من وجوه التجار ومن لا يشك في خبره انهُ صار الى خصيّ كان الملك انفذه الى مدينة خانفو لتخيّر ما يحتاج اليه من الامتعة الواردة من بلاد العرب فرأى على صدره خالاً يشف من تحت ثياب حرير كانت عليه فقدر انهُ قد ضاعف بين ثوبين منها فلما الحّ في النظر قال له الخصي اراك تديم النظر الى صدري فلمَ ذلك فقال له الرجل عجبت من خال يشف من تحت هذه الثياب فضحك الخصي ثم طرح كمّ قميصه الى الرجل وقال له اعدد ما عليّ منها فوجدها خمسة اقبية بعضها فوق بعض والخال يشف من تحتها والذي عدد صفته من الحرير خام غير مقصور والذي يلبسه ملوكهم ارفع من هذا واعجب » [٤]

واذا تقدمنا الى عصر ابن بطوطة (القرن الرابع عشر . ، الثامن هـ .) — والراجح عندنا ان

(١) احسن التقاسيم (طبعة دي غويه — ليدن) ص ٤٠٤
(٢) Reinaud, Relation des Voyages dans l'Inde et à la Chine (باريس ١٨٤٤) م ٢ ، ص ١٣
(٣) ص ٧٥ (٤) ص ٧٤—٧٥

ما يذكره هذا الرحالة ينطبق ايضاً على العصر الذي نصوره الآن لاشتداد حركة التجارة فيه — وجدنا ان السفن لا تلبث ان ترسو في ميناء خانفو حتى يصعد اليها عمال الجمرك ويفتقدوا رجالها واموالها : « وعادة اهل الصين اذا اراد جنك من جنوكهم السفر صعد اليه صاحب البحر وكتبوا به وكتبوا من يسافر فيه من الرماة والخدم والبحرية وحينئذ يباح لهم السفر فاذا عاد الجنك الى الصين صعدوا اليه ايضاً وقابلوا ما كتبوه بأشخاص الناس فان فقدوا احداً ممن قيدوه طلبوا صاحب الجنك به فأما ان يأتي ببرهان على موته او فراره او غير ذلك مما يحدث عليه والاّ اخذ فيه فاذا فرغوا من ذلك امروا صاحب المركب ان يملي عليهم تفسيراً بجميع ما فيه من السلع قليلها وكثيرها ثم ينزل من فيه ويجلس حفاظ الديوان لمشاهدة ما عندهم فان عثروا على سلعة قد كتمت عنهم عاد الجنك بجميع ما فيه مالاً للمخزن وذلك نوع من الظلم ما رأيته ببلاد من بلاد الكفار ولا المسلمين الاّ بالصين اللهم الاّ انهُ كان بالهند ما يقرب منهُ وهو ان من عثر على سلعة له قد غاب على مغرمه اغرم احد عشر مغرماً ثم رفع السلطان ذلك لما رفع المغارم » (١)

ولعلّ أبلغ شاهد على توثّق العلاقات التجارية بين الصين والبلدان الاسلامية وجود جالية اسلامية في مدينة خانفو لها من العدد والنفوذ ما حمل امبراطور الصين على منحها استقلالها الديني والقضائي « وذكر سليمان التاجر ان بخانفو وهو مجتمع التجار رجلاً مسلماً يوليه صاحب الصين الحكم بين المسلمين الذين يقصدون الى تلك الناحية بتوخي ملك الصين ذلك واذا كان في العيد صلى بالمسلمين وخطب ودعا لسلطان المسلمين وان التجار العراقيين لا ينكرون من ولايته شيئاً في احكامه وعمله بالحق وبما في كتاب الله عز وجل واحكام الاسلام » (٢) . ولم تكن تجارة المسلمين لتقف عند جدود خانفو وامثالها من الموانىء الصينية بل كانت تتجاوزها الى داخل البلاد وتتصل بالمدن والمراكز الداخلية الهامة ، كما ان بعض تجار المسلمين وبحارتهم كانوا يخاطرون بمراكبهم التجارية الى البحور الشمالية ، وليس من المستبعد ان يكونوا قد وصلوا الى اليابان او شبه جزيرة كوريا

هذه ، هي اهم طريق كانت تمر بها التجارة الاسلامية لانها تصل بين بلدان الشرق الادنى وبين البلاد التي كانت في ذلك العهد منبع البضائع والتحف والمحصولات الزراعية والصناعية وقد كانت هناك طرق بحرية اخرى لم تبلغ شأو هذه ومكانتها : منها الطريق الفرعية التي يصح ان نعدها تكملة للطريق الرئيسية الاولى وهي التي تسير من الخليج الفارسي وتدور حول بلاد العرب فتمر بموانىء عديدة على ساحل الجزيرة الجنوبي واشهرها ظفار وعدن ثم تصعد في البحر الاحمر حتى تصل الى جدة او ثغر عيذاب على الشاطىء المصري . وبهذه الطريق البحرية كان ينقل جانب من بضائع الشرق الى بلاد مصر والشام . ومن الخير ان نتوقف قليلاً في ميناء ظفار لنشاهد ضرباً من الدعاية التجارية التي كان يستخدمها اهل ذلك الزمان لاستجلاب التجار الى مرافئهم . « وهم اهل

(١) رحلة ابن بطوطة (طبعة Defrémery et Sanguinetti ، باريس ١٨٧٤–٧٩) م ٤ ص ٢٦٤–٢٦٥ (٢) م ٢ ص ٤

لتجار اهل تجارة لا عيش لهم الاّ منها ومن عادتهم انهُ اذا وصل مركب من بلاد الهند او غيرها خرج عبيد السلطان الى الساحل وصعدوا في صنبوق الى المركب ومعهم الكسوة الكاملة لصاحب لمركب او وكيله وللربان وهو الرئيس وللكيراني وهو كاتب المركب ويؤتى اليهم بثلاثة افراس يركبونها وتضرب امامهم الاطبال والابواق من ساحل البحر الى دار السلطان فيسلمون على وزير وامير جندار وتبعث الضيافة لكل من بالمركب ثلاثاً وبعد الثلاث يأكلون بدار السلطان هم يعملون ذلك استجلاباً لاصحاب المراكب »[1] ومن الطرق البحرية الثانوية ايضاً تلك التي انت قاعدتها مدينة عدن ، تسير منها الى زيلع على شاطىء الحبشة وتمتد الى بلاد سفالة المشهورة ذهب والى جزيرة مدغسكر التي كانت تعرف عند العرب بجزيرة الواقواق ، ومنها ايضاً الطرق حرية التي كانت تخترق البحر الابيض المتوسط والتي ازدهرت في العهد الصليبي خاصة عند ما رب الشرق والغرب واتصلت حياتهما السياسية والاقتصادية والاجتماعية اتصالاً قويًّا

هذه هي الطرق البحرية للتجارة الاسلامية : على ان الشعوب الاسلامية التي اشتهرت منذ القدم رقها البرية كانت تقطع ايضاً ببضائعها البوادي والجبال وتنقل محمولاتها مسافات شاسعة على ور الجمال . فقد كانت هناك طرق برية الى الهند والصين الاّ انها لم تبلغ من خطر الشأن مابلغته رق البحرية لما كان يعترض طريق الهند من الجبال الوعرة وطريق الصين من الشعوب التركية غير حضرة التي كثيراً ما كانت تغزو القبائل وتقطع السبل . ولعلنا لا نتعدى الحق اذا قررنا ان اهم رق البرية هي الطريق الاوروبية الممتدة من آسيا الوسطى الى روسيا وبلاد البلطيق عن طريق د الخزر والتي يتفرّع عنها طريق آخر الى امبراطورية الروم ، والطرق الافريقية التي كانت تخترق سف الاعلى من تلك القارة من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب

اما الطريق الاوربية فليس ادل على مداها ومقامها من النقود الاسلامية الوافرة التي عثر ها في اماكن عديدة في روسيا وفنلندا وبلاد اسوج ونروج . ولا نحال ان التجار المسلمين انفسهم لوا الى تلك البلدان الشمالية التي وجدت فيها نقودهم ، بل نرجح انهم لم يتجاوزوا بلاد البلغار نعة في منتصف مجرى نهر الفولغا ، الاّ ان وجود النقود الاسلامية في تلك الاماكن القاصية على مدى ما بلغتهُ التجارة الاسلامية من الاتساع ومن الاثر المادي والثقافي في حياة الشعوب بية والبعيدة . وكان اهم ما يبتاعه التجار المسلمون بتلك النقود : العبيد وجلود الحيوانات

اما الطرق الافريقية فاهمها ثلاث : اولاً الطريق الشمالية التي كانت تسير من مصر الى المغرب دلس والتي كانت تنتقل عليها ، عدا البضائع والمصنوعات المادية ، بذور الثقافة والحضارة بين بالعالم الاسلامي وغربيه ، وثانياً الطريق الشرقية من مصر الى النوبة فبلاد البجة ، وثالثاً ق الغربية من المغرب عبر الصحراء الكبرى الى بلاد النيجر . وكان تجار مصر وشمالي افريقيا

[1] م ٢ ، ص ١٩٨

يقضون الشهور الطوال في هذه الرحلات المخطرة الى اواسط افريقيا حتى يعودوا منها وقد حمّلوا قوافلهم من منتوجاتها الثمينة وهي الذهب والعاج

تلك ايها السادة ، هي اهم الطرق التي كانت تجري بها التجارة الاسلامية في ابان زهوها وازدهارها ولا شك عندي انكم ترجعون الآن بمخيلتكم الى تلك القرون الماضية فتتصورون السفن الاسلامية تمخر عباب بحر الصين والهند ناقلة التحف والمنتوجات الثمينة الى بلادنا ومنها الى بلدان الغرب ، و تراقبون القوافل البرية وهي تجتاز البوادي والسهول من اقصى العالم المتمدن في ذلك العهد الى اقصاه ، ولكننا نخطىء كل الخطأ اذا نحن حسبنا ان التجارة الاسلامية كانت تقتصر على نقل منتوجات الصين والهند وافريقيا الى بلدان الغرب ، اذ انها كانت تتناول ايضاً المصنوعات التي تنتجها البلدان الاسلامية نفسها وكلنا يعلم مبلغ ما وصلتهُ الزراعة والصناعة الاسلامية من الرقي والدقة والاتقان فجزيرة العرب كانت ، على قحطها ، تنتج محصولات ثمينة كالبَخور والمرّ واللؤلؤ ، والعراق كان يصدّر التمور والخزف والزجاج ، ومن الشام كانت تحمل المحاصيل الزراعية الوافرة لاسيما الفواكه والثمار ، ومن مصر الثياب والستور الملوّنة المصنوعة من القطن والكتان ، ومن افريقيا الزيت والفستق والزعفران ، ومن خراسان وما وراء النهر الادهان والزيوت العطرية وطراز الوشي وثياب الحرير والشعر ، ومن بلاد الديلم وطبرستان المناديل والاكسية والطيالسة ، ومن خوزستان السكّر والفواكه والديباج ، وقد اشتهرت في هذا الاقليم مدينة تُستر خاصة فكانت ديباجها يحمل الى الدنيا ومنهُ تصنع كسوة الكعبة في مكة .[1] ويضيق بنا المجال عن تعداد المحاصيل والمصنوعات الغزيرة التي كانت تفيض بها بلاد الاسلام ، وحسبنا بما ذكرنا تلميحاً الى اثر هذه الحياة الصناعية النشيطة في تغزير التجارة الاسلامية الداخلية والخارجية واتساعها

ولعلّ افضل ما يظهر لنا هذا الاتساع القطعة التالية التي وردت في كتاب « حديقة الورد » — غولستان — لشاعر الفرس الشهير سعدي قال: وكنت اعرف تاجراً لهُ قافلة كبيرة من الجمال وحاشية من المماليك الخدام ، اضافني ذات ليلة في منزله في جزيرة كيش وظلّ طول الليل يتكلم عن تجارته واعماله الى ان قال : يا سعدي ، انني ارغب في القيام بسفرة تجارية اخيرة ، أتمها واعتزل التجارة . قلت : « وما هي هذه السفرة » احمل كبريت فارس الى الصين ، واجلب فخار الصين الى بلاد الروم ، فاستبدل به هناك اقمشة حريرية ، وانقلها من بلاد الروم الى الهند ، واعود بفولاذ الهند الى حلب ، فاحمل زجاج حلب الى اليمن ، وارجع اخيراً بثياب اليمن الى فارس . فاذا وصلت الى وطني بسلام ، اعتزلت التجارة الاجنبية والاسفار البعيدة »[2] . والآن ، بعد هذه الصورة السريعة الخاطفة التي

(١) الاصطخري ، مسالك الممالك (طبعة دي غويه — ليدن ، ١٩٢٧) ص ٩٢ — ٩٣ . راجع عن هذه المنتوجات ما يذكره المقدسي عن «التجارات» (٢) بتصرف عن الترجمة المقتبسة في كتاب J. W. Thompson, Economic and Social History of the Middle Ages ص ٣٥٩

سماها للتجارة الاسلامية لابدَّ ان نتساءل عن اثر هذه الحركة التجارية في حضارة الشرق والغرب في ذلك التفاعل القوي بينهما الذي كان محور التمدن في القرون الوسطى

ان اثر التجارة الاسلامية في الحضارة الشرقية والغربية متعدد الوجوه متشعب النواحي، لا يمكننا في هذا المقام ان نلمَّ الاَّ ببعض هذه الوجوه والنواحي البارزة. فنجد اولا ان الحركة التجارية الاسلامية، التي بلغت من المدى والاتساع ما وصفنا، كان لها اثر كبير في تقدم فن الملاحة وفي اكتشاف مجاهل البحر والبر. فاولئك التجار الذين كانوا يجازفون بمراكبهم وقوافلهم في البحور المجهولة والبراري النائية يحتلون المركز الاول بين رحّالي العالم وروّاده، والعالم مدين لهم بالمعلومات الجغرافية التي جمعوها في رحلاتهم البعيدة، ولعلَّ من ابرز الادلَّة على ذلك ما يروى عن رحّالة البورتغالي Vasco de Gama الذي دار حول رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٨ انهُ لما وصل الى شواطىء افريقيا الشرقية كان الذي دلَّه الى طريق الهند بحّار مسلم يدعى احمد ابن ماجد. مما يظهر ايضاً سيطرة المسلمين على البحار ويؤيد فضلهم في تكوين الملاحة الحديثة تلك الكلمات عربية العديدة التي نجدها بين المصطلحات البحرية: فـ admiral مأخوذة عن امير البحر، و Cable (حبل)، و barge عن بارجة، و avarie (eng., average) عن العواريات و chaloupe (eng., shallop) barque عن بركة الى غير ذلك[1] وكما في البحر كذلك في البرّ: فان الغرب دَين الى اوائل نهضته الحديثة يعتمد على جغرافيي المسلمين ورحاليهم وتجارهم لمعرفة الاقطار النائية كواسط آسيا ومجاهل افريقيا الوسطى والشرقية

وللتجارة الاسلامية اثر لا يستهان بهِ في الادب العربي. من منا لم يقرأ رحلات السندباد البحري التي ادمجها الكتبة في قصص « الف ليلة وليلة »؟ اننا اذا نزعنا عن هذه الاخبار ما حبك حولها من الانسجة الخرافية وجدنا نواتها تتفق تماماً مع اخبار الرحلات التي دوّنها لنا بعض تجار المسلمين ورحاليهم كالتاجر سليمان والحسن ابي زيد والمسعودي. فهذه القصص وامثالها التي تحتل مركزاً هامًّا في الادب العربي قد بنيت على اساس الرحلات البرية والبحرية التي كان يقوم بها التجار المسلمون

واثر ثالث للتجارة الاسلامية هو في نشر الدين الاسلامي ودعوة شعوب الارض الى اعتناقهِ. فالامم الاسلامية لم تعرف، حتى اوائل العصر الحديث جمعيات تبشيرية منظمة غايتها نشر الدين الاسلامي وتعميمه، وانما ظل هذا الواجب ماثلا على عاتق كل مسلم اينما كان في الارض يتبع في اتمامهِ قول القرآن الكريم: « أُدعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن » (١٦ : ١٢٦). فاذا راجعنا تاريخ انتشار الديانة الاسلامية وجدنا في صفوف العاملين في هذا الحقل بالاَّ ونساءً من مختلف طبقات المجتمع من الملك العظيم الى العامل الحقير. وشاهدنا التاجر في مقدمة العاملين يبشر بوحدانية الله العظيم ورسالة النبي الكريم بين الشعوب الوثنية النائية التي ينزل

(١) راجع مقالة Kramers, "Geography" and "Commerce" في كتاب The Legacy of Islam ص ٩٧ و Lammens, Mots fransais dérivés de l'Arabe حيث اورد المؤلف هذه الكلمات بحسب ترتيبها الابجدي

في بلادها ويؤثر فيها بورعه وتقواه . ومما حبّب التجارة الى المسلمين انها كانت مهنةَ نبيهم في فتوته وشبابه ، وقد جاء عنهُ في الحديث الشريف : « عليكم بالتجارة فان فيها تسعة اعشار الرزق »

وقد وضع المستشرق الانكليزي الشهير Sir T. W. Arnold مؤلفاً خاصًّا في تاريخ نشر الدين الاسلامي The Preaching of Islam فصل بهِ بأوضح اسلوب ما كان للتاجر المسلم من الشأن الكبير في نشر ديانته بين شعوب افريقية الغربية والوسطى والشرقية وامم الهند والجزر الشرقية وآسيا الوسطى حتى حدود سيبيريا

لكن ابرز اثر للتجارة الاسلامية هو فيما نقلته من ثقافة البلدان الاسلامية والهند والصين الى الغرب المسيحي وما كان لذلك من الفضل في تكوين الحضارة الحديثة . والثقافة — كما تعلمون — تتبع دائماً طريق التجارة وتنتقل مع المصنوعات والمنتوجات المادية وقد كان للتجارة في كل قطر وزمن اثر عظيم في نقل بذور الحضارة وشق طريق المدنية من الشعوب الراقية الى التي دونها رقيًّا وثقافة . وهنا ايضاً يمكننا ان نستدل على ذلك بالكلمات العديدة التي تسرّبت من العربية الى اللغات الاجنبية ، ويطول بنا المقام لو حاولنا ان نعدّد اسماء المنتوجات والمصنوعات المختلفة التي انتقلت الى اللغات الغربية والتي تظهر باجلى بيان الدين المادي والثقافي الذي تدين بهِ شعوب الغرب الحديثة للتجارة الاسلامية التي عرفتها بمصنوعات الشرق وحضارته . وحسبي ان اذكر بعض التعابير التجارية التي تدل ، بانتقالها الى لغات الغرب ، على سيطرة التجارة الاسلامية في القرون الوسطى . tarif من التعريفة ، و risque قد تكون من الرزق و calibre من القالب ، و rare من الطَرحة ، و magasine من المخازن و cheque من الصك و douane من الديوان[1] . وفي الاساطير اليونانية التي خلدتها لنا عبقرية هوميروس آلهة جبارة تحجب السماء بثلاث خطوات . ولقد تجرأت هذه الليلة على ان استعير اجنحة هذه الآلهة واطير بكم فوق ميدان التاريخ الاسلامي الفسيح ، مشيراً الى مجرى واسع غزير كان يروي الحياة الاسلامية ويمتد منها الى البلدان الدانية والنائية فيبعث فيها القوة والنشاط . فاذا كنت قد اسرعت في هذا الطيران ولم اتوقف بكم عند كل منظر من المناظر الخلابة ، فلأن المجال طويل والسفر بعيد ، وحسبي ان اكون لفتُّ انظاركم الى هذه الناحية المجهولة واثرت اهتمامكم فيها

لقد فتح المسلمون العالم فتحاً مزدوجاً : فتحاً سياسيًّا تحت راية الحرب وبظلّ السيف والرمح وفتحاً تجاريًّا اقتصاديًّا على متن قوافل البر وسفن البحر . وقد نشأت حول الفتح الاول ضجة عظيمة استوقفت انظار الناس ، ولكنني ارى في هذا الفتح الثاني — وهو جهاد السلم — من اعمال الجد والشجاعة والاقدام ما قد يفوق جهاد الحرب . وإن الاهة التاريخ التي الهمت المؤرخين منذ اقدم العصور الى الآن لن تلبث ان تهب لتنصف الجميع فاذا بعثت روحها في مؤرخي المستقبل وألهمتهم لكتابة التاريخ الاسلامي فصوروا قافلة المسلمين العظمى التي خرجت من الجزيرة العربية وسادت في البلاد وضعوا بجانب الفاتح الباسل ، والعالم الحكيم ، والاداري الحازم التاجر المقدام الذي كان يرود المجاهل ويجوب الفيافي ، والذي ضرب بسهم كبير في نشر الاسلام وفي احياء العلم والمدنية والسلام

مطاط من غاز

المطاط الصناعي وابداع الكيمياء التركيبية

لو كان كولمبوس متصفاً ببعد النظر الذي يصفه به مؤرخو سيرته ، لمات عن اعظم ثروة جمعها رجل فرد في عصره . لان كولمبوس كان اول من نقل الى اوربا ، عند عودته الثانية من جزائر الهند الغربية ، قصصاً ونوادر عن شجرة غريبة تفرز لبناً عند جرح لحائها . فلم يدرك كولمبوس حينئذ ولا ادرك الرحالون الى العالم الجديد بعده ، عند ما رأوا اولاد الهنود الحمر يلعبون بكرات سود تقفز عند اصطدامها في الارض كأن بها شيطاناً ، ان هذه الكرات مصنوعة من ذلك اللبن ، وان صمغ شجرة الهيڤيا Hevea ، يعدل على الاقل في خطره ، خطر اكتشاف طريق جديدة الى الهند. والواقع ان احداً لم يدرك قيمة هذا الصمغ ، حتى كانت سنة ١٧٧٠ ، اذ رآه پريستلي مكتشف الاكسجين ، في حالته الجامدة ، فاستعمله لمحو آثار قلم الرصاص على صفحة من الورق ، فدعاه «الماحية الهندية» . ولا يزال يعرف في اللغة الانكليزية باسم rubber اي ماحية

***

في الطبيعة ناموس يسيطر على الاحياء ، والجوامد ، تستطيع ان تفرغه في قوالب مختلفة ، فقد تقول ان الانحدار من قمة الاكمة سهل وتوقاها صعب ، او قد تقول كما قال سبنسر انهُ انحلال الاجسام المتباينة المتناسقة الى جسم لا تباين فيهِ ولا تناسق . او قد تسميه مع عالم الطبيعة الحديثه باسم « ناموس الثرموديناميكس الثاني » . ومؤداهُ ان الهدم في الطبيعة والاجتماع سهل ، ولكن التعمير صعب ، يصحُّ هذا على الاطفال ولعبهم ، والبلاشفة وحضارتهم ، والكيماوي وموادّهِ . الحلُّ في عرف الكيمياء سهلٌ ولكن التركيب صعب ان لم يكن متعذراً في بعض الاحيان

وهذا يفسّر لك عجز الكيماويين عن تركيب المطّاط مع انهم عرفوا كيف يحلّونهُ من نحو مئتي سنة . فحلُّهُ عمل سهل وليس عليك الاَّ ان تتناول قليلاً من المطّاط الخام وتضعهُ في حوجلة تحميه على النار . فاذا استطعت ان تراقب ما يتم ، على الرغم من الرائحة القوية الكريهة ، رأيت لطاط ينحل ، وسائلاً شبيهاً بالبنزين يتكوّن فوقهُ . هذا السائل « البنزيني » الشكل يدعى الايزوپرين » . احفظ هذه الكلمة ولا تنسها

فالمطاط وتركيبه الكيمائي (كربون ٦ ايدروجين ١٦) يتحول بالاحماء الى (٢ كربون ٥ ايدروجين ٨) اي ان جزيئاً من المطاط يتحوَّل الى جزيئين من سائل الايزوپرين . ومن السهل ان تكتب المعادلة الكيمائية في الاتجاه المقابل اي ان جزيئين من الايزوپرين يعدلان جزيئاً من المطاط . افلا يستطيع احد العلماء ان يكشف السبيل الى تحويل هذين الجزيئين الى ذاك ؟

ان تحويلهما مستطاع ، بل ان احد العلماء الانكليز كان قد حوَّلهما اتفاقاً . ففي مايو ١٨٩٢ قرأ الاستاذ تِلدن Tilden رسالة امام جمعية برمنغهام الفلسفية ، قال فيها انهُ دهش قبل بضعة اسابيع عندما أى سائل الايزوپرين المستخرج من مادة التربنتين وقد تغيَّرت حالتهِ فتحوَّل السائل الصافي الشفاف الذي لا لون له الى شراب كثيف تطفو فيهِ قطع كبيرة صفر فلما فحصها وجدها قطعاً من المطاط

فلما حاول الاستاذ تلدن ان يعيد هذا التحويل ، عجز عنهُ ، ولا تزال مشكلة تحويل الايزوپرين الى مطاط تحويلا تتوافر فيهِ الشروط الصناعية التجارية ، مشكلة من اكبر المشكلات التي يواجهها علم الكيمياء الصناعية

وقد كان هذا العجز مما يبعث على الغيظ . لان امم العالم كانت تنفق نحو ٤٠٠ مليون جنيه كل سنة على المطاط ، ولا ريب في ان جانباً كبيراً من هذا المال كان مصيرهُ الى جيب الكيماوي الذي يبدع طريقة لتركيب المطاط وخزائن الشركة التي تطبقها . لذلك كان التنافس بين العلماء ، في سبيل السبق الى هذا الهدف ، عنيفاً ، بل بدا في مظهر زحام دولي بين انكلترا والمانيا اولاً

كان الانكليز قد سبقوا الالمان الى ابتداع طريقة لصنع الاصباغ الكيمائية ، ولكن اهالهم الطريقة وصاحبها ، ساعد الالمان على انتزاع التجارة العظيمة التي بنيت عليها من ايديهم . فجمع الاستاذ پركن — محفوزاً بذكرى والدهِ السر وليم مستنبط الصبغ الصناعي الاول وكيف خذلهُ الانكليز — حولهُ في جامعة منشستر ، طائفة من علماء الكيمياء للبحث في مشكلة المطاط وصنعهِ بالتركيب الكيمائي

اي فاعل كيمائي ، يستطيع ان يقلب ذلك التفاعل فيدمج جزيئين من الايزوپرين منشئاً منهما جزيئاً من المطاط ؟

ففي يوليو سنة ١٩١٠ ، وضع الدكتور ماتيوز اتفاقاً ، مقداراً من الايزوپرين على قطعة من الصوديوم المعدني لتجفيفهِ ، وهي طريقة مألوفة في معامل الكيمياء تستعمل لاستلاب آخر قطرات الماء من مركب ما . وفي سبتمبر وجد ان الحوجلة المحتوية على الايزوپرين اصبحت تحتوي على كتلة جامدة من المطاط ، بدلاً من السائل الطيار الذي لا لون لهُ

ولو ان هذا الاكتشاف تمَّ قبل عشرين سنة ، لكان عديم الفائدة ، لان الصوديوم كان عنصراً نادراً غالي الثمن حينئذٍ . ولكن ابتداع الطريقة الكهربائية لتحضيرهِ جعلهُ كثيراً رخيص الثمن . فحسب ان لا تقف ندرة الصوديوم حائلاً دون استعمال طريقة ماتيوز في تركيب المطاط من الايزوپرين

الاَّ ان وجه الصعوبة في تحقيق هذا الحلم الاخاذ كان في غلاء ثمن الايزوپرين . اذ لا يكفي في الجعلة الصناعية ان تثبت ان تفاعلاً ما مستطاع من الناحية العلمية ، بل يجب ان تتوافر فيه الشرائط التي تجعلهُ صالحاً كذلك من الناحية التجارية ، اي يجب ان يكون عملاً يدرُّ ربحاً معتدلاً في القائمين بهِ . فاذا فرضنا جدلاً ان عالماً اكتشف طريقة لتحويل الزئبق الى ذهب ، فطريقتهُ هذه من الناحية الصناعية لا تجدي نفعاً الاَّ اذا كان ما ينفق على تحضير سنتغرام واحد من الذهب اقل من قيمة السنتغرام نفسهِ

كان الايزوپرين يحضَّر من التربنتين . ولكن التربنتين قليل ويقتضي جزَّ حراج الصنوبر . فما يكون ربحنا اذا جززنا اشجار الصنوبر بدلاً من بذلنا اشجار المطاط؟ واخيراً استقرَّ الرأي على مصدر من النشاء . فالنشاء رخيص الثمن ويمكن استخلاصه من البطاطس والذرة وغيرهما

ولكن الكيماوي عجز عن استخلاص النشاء من هذه المصادر الاَّ بعد ان استعان بالبكتريولوجي لان تجزئة جزيء النشاء عمل يعجز عنهُ الانسان . ولا تستطيعهُ الاَّ بعض الحيوانات الدنيا — الخمائر — . فدعي الى منشستر عالم بيولوجي فرنسي ، يدعى فرنباخ Fernbach . وعهد اليهِ في هذه الناحية من البحث ، فقضى فيها سنة ونصف سنة ، انجز في نهايتها طريقة تمكنهُ من استخلاص مقدار من زيت الفوزيل من مادة نشوية . كان غرض مخمري النشاء قبلاً ان يكون مقدار زيت الفوزيل في النشاء المخمَّر اقل ما يمكن ان يكون لان هذا الزيت خليط من اصناف الكحول الثقيلة الوزن وهي جميعاً كريهة الرائحة واشدُّ سمّاً من الكحول العادي . ولكن بعد تجارب پركن وصحبهِ تبيَّن . كما يتبين مادة في تاريخ الصناعات العلمية ، ان النفاية ، اصبحت ذات قيمة عظيمة . ولذلك اتجه جهد الاستاذ فرنباخ الى استنباط طريقة يكثر بها مقدار زيت الفوزيل عند تخمير النشاء لكي يصنع منهُ الايزوپرين ستعمل غاز الكلور

وبعد حلال عناية الانكليز والاستاذ فرنباخ الفرنسي ، بصنع المطاط على الطريقة المتقدمة كان لعلماء الالمان معنيين كذلك بالموضوع نفسهِ ، واجتازوا فيهِ خطوة كبيرة نحو تحقيق الغرض . ففي سنة ١٩٠٥ اكتشف الاستاذ كارل هريز Karl Harries في برلين تركيب جزيء المطاط . فكان لاكتشافهُ هذا باعثاً قويًّا على تجديد العناية بالموضوع من ناحيتهِ الصناعية العلمية . وكذلك اتجهت اليهِ عناية مصانع باير المشهورة سنة ١٩٠٩ واستنبط الدكتور فرتز هوفمن Fritz Hoffman اسلوباً لتحويل الايزوپرين الى مطاط باستعمال الحرارة . وفي سنة ١٩١٠ اكتشف الاستاذ هريز طريقة لاستعمال الصوديوم لتحويل الايزوپرين الى مطاط ، وهي الطريقة التي كان ماتيوز الانكليزي قد اكتشفها في منشستر . ولكنهُ لما ذهب الى ادارة البانتنة لتسجيلهِ وجد ان الانكليزي قد سبقهُ الى ذلك قبل بضعة اسابيع

الاَّ ان المطّاط الصناعي ، لم ينجح في منافسة المطّاط الطبيعي في الثمن ولا في الحلول محلَّهُ عند

منع وارداته عن المانيا خلال الحرب الكبرى ، لما كانت مسألة الثمن لا شأن كبيرلها في نظر الحكومة الالمانية وحاجتها الى مادة حيوية كالمطّاط لا تقاس بالمال . فقد قبضت السلطات الاميركية على ثلاثة بحّارة من الدنمارك يحاولون ان يهربوا المطّاط الخاص باطباء الاسنان الى المانيا فاعترفوا بانهم كانوا يبيعون الرطل منهُ بما قيمتهُ ٧٣ ريالاً ، وكان الالمان يستعملونهُ لاحكام وصل الاجزاء في الكمامات الواقية من الغاز . وهذا مثال واحد يدلُّ على ان مقدار ما صنع من المطّاط الصناعي في المانيا خلال الحرب بطريقة هوفمن او طريقة هريز لم يكن كبيراً

اما الانكليز فانفقوا نحو اربعين الف جنيه على طريقة بركن مدة سنتين ولكنهم لم يبلغوا فيها شأواً بعيداً . الاَّ ان حاجتهم الى المطاط لم تكن ماسة لان مصادر المطاط الطبيعي كانت تحت سيطرتهم

فاذا كان الالمان قد عجزوا في خلال الحرب عن صنع المطاط بطريقة التركيب الكيماوي ، وحاجتهم اليهِ اشدُّ ما تكون ، ومسألة الثمن ليست بذات بال ، فالراجح انهُ لا يحتمل منافسة المطاط الصناعي للمطاط الطبيعي في ابان السلم ، الاَّ اذا اكتشفت طريقة جديدة ، اسهل من الطرق التي تقدم ذكرها

واذن فمشكلة المطاط الصناعي قد حلّت من الوجهة العلمية ، ولكنها لم تحلّ من الوجهة الصناعية . . . . . الا . . . !

***

ونقول . . الاَّ . . . لاننا اطلعنا في العدد الاخير من مجلة السينتفك اميركا على مقال لعالم اميركي يدعى الاب نيولند (Nieuwland) فيهِ وصف لطريقة استنبطها لصنع ضرب من المطاط ، يصلح لما لا يصلح له المطاط الطبيعي مع انهُ يفوقهُ ثمناً . وهذا المطّاط الصناعي الجديد يدعى « دوپرين » Duprene

يقول الكاتب ان صناعة «الدوپرين» نشأت من بحث نظري في تفاعلات غاز الاسيتيلين . ذلك انهُ لاحظ سنة ١٩٠٦ ان تفاعلاً كيمائيًّا يحدث عندما يمرُّ غاز الاستيلين في كلوريد Chloride النحاس وكلوريدات الفلزات القلوية . لم يكن التفاعل عنيفاً ، فلم يتولَّد سائل جديد ولا جامد جديد . بل كان هناك رائحة جديدة . فظُنَّ ان هناك غازاً جديداً وان هذه الرائحة رائحتهُ

وقضيت السنون الاربع عشرة التالية ، حتى سنة ١٩٢٠ ، في تجربة التجارب بغية زيادة التفاعل للحصول على الغاز الذي يولد هذه الرائحة ، اذا امكن ، ودراسة تركيبه وخواصهِ . وأخيراً وضع كلوريد الامونيا محل كلوريدات الفلزات القلوية ، فلما مرَّ غاز الاسيتيلين في محلول كلوريد النحاس (Cuprous Chloride) وكلوريد الامونيا ، ظهر ان التفاعل اسرع جدًّا مما كان في المحلول القديم واستنفد المحلول مقادير كبيرة من غاز الاسيتلين في خلال التفاعل . وكانت دهشة الاب نيولند وصحبهِ عظيمة عند ما رأوا زيتاً جديداً قد تولَّد علاوة على الغاز ذي الرائحة المعروفة

وفي سنة ١٩٢١ ظهر انهذا الزيت، مركّب جديد وانجزيئهُ مؤلف من اتحاد ثلاثة جزيئات من الاستيلين فدعي دايڤينيل اسيتلين (divinylacetylene) ومن خواصهِ شدة فعلهِ. ومنها انمعالجتهُ بداىكلوريد الكبريت (suphur dichloride) تسفر عن مادة مطاطة تشبه المطاط الطبيعي من بعض الوجوه ولكنها اكثر منها ميوعة مما يحول دون استعمالها

وفي سنة ١٩٢٥ حضر الآب نيولند مؤتمر الكيمياء العضوية في مدينة روتشستر بنيويورك فحدّث العلماء المؤتمر بحديث هذه التفاعلات الجديدة التي كشفها فاهتم بالموضوع اصحاب شركة «دوبونت ده نمور» (وهي من اكبر شركات المواد المتفجرة والمفرقعة والسلاح في اميركا) فاشتروا اسرار هذا الاكتشاف من الناحية التجارية . ولكن البحث اثبت ان المطاط المصنوع من هذا الزيت لا يصلح لانهُ لا يحتفظ بليونتهِ الا مدة قصيرة ، وكل سعي لتصحيح هذا النقص فيهِ قضى بالخيبة

الاّ ان كيماوي الشركة لم يغفلوا في الوقت نفسهِ دراسة ذلك الغاز الذي استُدِلَّ عليهِ اولاً برائحتهِ فبعد بحث قليل تبيّنوا انهُ في الامكان توليد مقادير كبيرة منهُ وعند تحليلهِ ثبت انهُ مركب من اندماج جزيئين من جزيئات الاسيتلين ودعي (مونوڤينيل اسيتلين)

وقد بلغ علماء هذه الشركة من سيطرتهم على التفاعل الكيمائي الذي يولد الزيت والغاز المذكورين انهم يستطيعون اذا شاءوا ان يقللوا من توليد الزيت ويزيدوا من توليد الغاز . وهذا من محاسن الصدف او من بدائع الاستنباط ، لان الغاز دون الزيت يصلح لصنع المطاط المعروف باسم دوپرين

واذ كان علماء شركة دو پونت ماضين في دراسة الغاز تبين لهم انهُ يتفاعل بسهولة مع كلوريد الايدروجين اي الحامض الايدروكلوريك ، فيتولد سائل طيار (اسمه كلوروبرين او كلوروبوتادين) وان جزيئات هذا السائل تتحد بعضها ببعض ، فتزداد كثافة السائل ثم يصبح مادة مطاطة ، يمكن تقسيتها بالاحماء فتصبح مطّاطاً صناعيًّا جيداً — وهذا المطاط الجديد هو الدوپرين Duprene

ان نفقة تحضير الدوپرين الآن تجعله اغلى من المطاط الطبيعي . ولكنهُ يصلح لوجوه من الاستعمال لا يصلح لها المطاط الطبيعي فهو شديد المقاومة للغازولين والكيروسين والزيوت والاوزون والهواء والحوامض ، فلا بدّ ان يفتح استعماله سبلاً جديدة في صناعة المطاط . وهذه صناعة يمكن ان تترعرع في ابان السلم ثم تشجع ويوسع نطاقها في ابان الحرب في البلدان التي تخشى انقطاع الوارد من المطاط الطبيعي اليها . وجميع المواد الاساسية التي يحتاج اليها كوك Coke وجير لتوليد الاسيتلين وملح الطعام لتوليد الحامض الايدروكلوريك

فالكيمياء خلقت صناعة جديدة ومهدت لاميركا — ولمن يتبعها — سبيلاً جديداً للاستغناء عن بعض المصادر الطبيعية التي خارج بلادها

الدوامة الكونية

الدليل على ان المجرّة تدور كعجلة كبيرة

لعلّ اثبات دوران المجرّة اقوم دليل على وحدة الكون النجمي . وفكرة دوران المجرة ليست بالفكرة الجديدة . فقد سلّم بناة العوالم في الانظمة الكونية التي ابتدعوها بان الدوران يشمل المجرّات كما يشمل الذرّات . ولكن هذا الرأي النظري ، من حيث تطبيقه على المجرّة لم يفرغ في قالب علمي الاّ سنة ١٩٢٦ ولم يقم الدليل التام على صحته الاّ سنة ١٩٣٣

ففي سنة ١٩٢٦ قدم الفلكي السويدي لندبلاد Lindblad رسالة الى اكادمية العلوم السويدية ، بسط فيها نظرية حاول ان يعلّل فيها بعض اوصاف الحركة النجمية ، بفرضه انها نتائج لدوران المجرّة . وبعد بضعة اشهر ، وصف اورت Oort — وهو فلكي في مرصد ليدن لا يتجاوز السابعة والعشرين من العمر — وسائل الرصد التي يمكن الاعتماد عليها لامتحان نظرية لندبلاد وشرع في تطبيقها . وفي سنة ١٩٢٧ شرع الفلكي بلاسكت Plaskett — وهو احد علماء مرصد ڤكتوريا بولاية كولومبيا البريطانية بكندا — يطبق وسائل اورت على النجوم السحيقة التي سبق لهُ رصدها في مرصد ڤكتوريا ثم توسع سنة ١٩٣٣ في تطبيقها على مئات من النجوم الاخرى

فأحدث صورة رسمها العلم لدوران المجرّة ، قائمة على المباحث التي اتمها هؤلاء العلماء الثلاثة ، اي لندبلاد السويدي واورت الهولندي وبلاسكت الكندي !

ولكن . . . ولكن اذا صحّ القول بان المجرّة قاطبة تدور كعجلة ، فكيف يمكن ان يكون فيها تياران من النجوم يسيران في اتجاهين متقابلين ، وهما التياران اللذان اكتشفهما العلاّمة كابتين Kapteyn سنة ١٩٠٤ ؟ ثم ان سترومبرج Stromberg اكتشف سنة ١٩٢٤ ان النجوم السريعة — اي النجوم التي تزيد سرعتها على ٥٠ ميلاً في الثانية — متجهة جميعاً الى نصفٍ واحدٍ من القبة الفلكية دون الآخر وان حركتها عامودية تقريباً على مركز المجرّة في كوكبة الرامي فكيف يتفق كلّ هذا ودوران المجرّة ؟ وكيف يمكن تفسيرهُ ؟

***

لنفرض ان دوران المجرّة حقيقةٌ واقعة . فكيف يكون دوران النجوم في هذه الحالة ؟ كل ذلك يتوقف على توزيعها في الفضاء . فاذا كانت موزعة في المجرّة توزيعاً متساوياً اي اذا كانت ابعاد بعضها عن بعض متساوية ، فتأثير الجذب الى المركز ، يختلف بالنسبة الى بعدها عن المركز . وفي

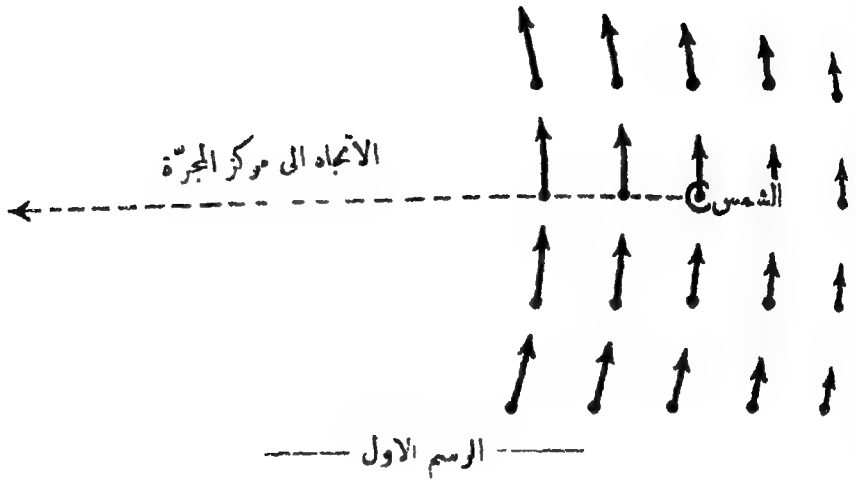

الرسم الاول

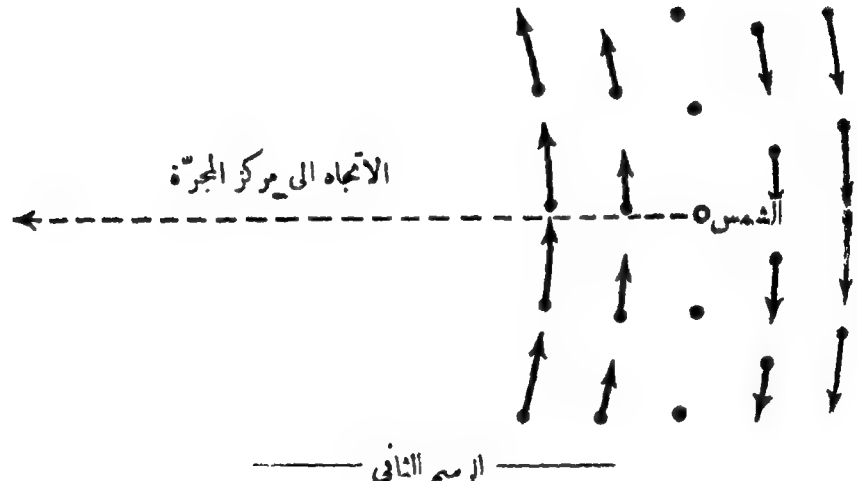

الرسم الثاني

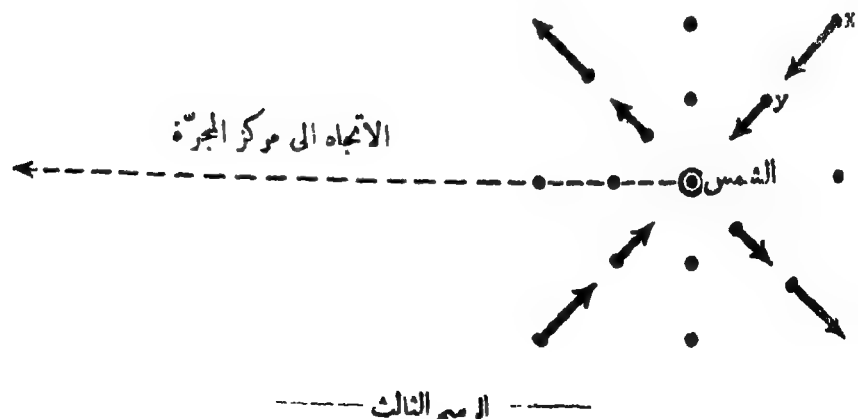

الرسم الثالث

هذه الحالة تدور المجرّة كأنها عجلة ، متماسكة الاجزاء اي انها تدور كأنها قطعة واحدة

ولكن النجوم غير موزّعة توزيعاً متساوياً في قبة الفلك ، بل هي اكثف تجمهراً قرب المركز منها عند الاطراف ، فقوة الجذب لا يمكن ان تعتمد على ابعاد النجوم فقط بل على مربّع الابعاد وفي هذه الحالة تكون النجوم القريبة من المركز اسرع دوراناً من البعيدة عنهُ . فأقربها اليهِ أسرعها. وأبعدها عنهُ أبطؤها . ولنا على ذلك مثال في النظام الشمسي . فعطارد وهو اقرب السيارات الى الشمس سرعتهُ ٢٩ ميلاً في الثانية . وتليه الزهرة وسرعتها ٢١ ميلاً في الثانية . فالارض وسرعتها ١٨ ميلاً في الثانية وهكذا الى بلوطون وسرعتهُ ميلان في الثانية . وهناك مثال آخر في النظام الشمسي نفسهِ وهو حلقات زحل فالدقائق المنتظمة في هذه الحلقات اسرع دوراناً في الحلقة الداخلية منها في الحلقة الخارجية

والمجرّة مؤلفة من ملايين النجوم ، بل ان عددها اكبر من عدد الدقائق التي تتألف منها حلقات زحل . ففي هذه الحالة ، ألا يكون من المعقول ان يفرض ان النجوم المتجمعة حول المركز ، تدور حولهُ بسرعات مختلفة ، في اتجاهها الى كوكبة الرامي؟ وقد يمكن تبيُّن ذلك في الرسم الاول ، مع ان النسبة في الابعاد والسرعة غير محفوظة لتعذّر ذلك على صفحات مجلة عند التمثيل الكوني

ففيهِ يرى القارىء ان السهام في الخط المتوسط تمثل سرعة الشمس . وهي سرعة متوسطة . فالنجوم التي اقرب من الشمس الى مركز المجرّة اسرع منها ولذلك يرى السهام التي تمثل السرعة اطول من السهام التي تمثل سرعة الشمس . اما النجوم التي تفوق الشمس في بعدها عن مركز المجرّة فاصغر من سهام الشمس للدلالة على ان سرعتها اقل

هذه هي حركة النجوم كما تبدو لمراقب ينظر الى المجرة من نقطة في الكون خارجها . ولكننا نحن على سيار يدور حول شمس ، هي نفسها احدى شموس المجرة . فلا نستطيع ان نرى هذه الحركة البسيطة . وهذا يعني ان جميع النجوم التي اقرب منا الى مركز المجرة اسرع منا دوراناً حوله . وهي لذلك تفوتنا في مسارها الكوني ، واما النجوم التي ابعد منا عنهُ فأبطأ منا حركة ، ولذلك تتأخر عنا في مسارها الكوني ، فتبدو كأنها تتحرك في اتجاه مناقض لاتجاه حركتها الحقيقية

ويمكن التمثيل على ذلك بالرسم الثاني

فهذا وهم بصري ، من قبيل الوهم البصري الذي يصيب رجلاً يطل من قطار سريع على قطار آخر بطيء السير ولكنه ماضٍ في اتجاه القطار الاول . فان المطل من نافذة القطار الاول يتوهم ان القطار الثاني يرجع الى الوراء

والواقع ان حركة اي نجم من النجوم هي خليط حركتين — عبور السماء وهي الحركة الحقيقية. وحركة التقدم او التباعد بالقياس الى المراقب على سطح الارض وتعرف بالحركة الشعاعية Radial Velocity ولما كانت النجوم اجساماً بعيدة عنا بعداً عظيماً فحركتها الحقيقية لا يمكن تبينها خلال عشرات

السنين التي رصدت فيها رصداً دقيقاً. واذاً فنحن نعلق املنا على معرفة حركتها التي تبدو فيها احياناً مقتربة منا او مبتعدة عنا

ومما يبعث على الاغتباط ان هذه حركة يمكن قياسها بصرف النظر عن بعد النجم عن الارض. والشرط الضروري لامكان الحصول على طيف واضح لضوء النجم الذي يراد قياس حركته. فاذا كان النجم مقتربا منا نجه الخيوط في خطوط الطيف الى اللون البنفسجي. واذا كان مبتعداً عنا كان الاتجاه الى اللون الاحمر وبقياس مقدار الخيود، تعرف سرعة حركة النجم. وعلى ذلك يبدو لمراقب على الارض ان النجوم طائفتان او تياران: تيار يتجه الى الارض وتيار يبتعد عنها. ولكن هناك طائفة ثالثة من النجوم يبدو انها واقفة في مكانها لا حراك فيها. وهذا يفسّر بأنها اما ان تكون نجوماً واقعة على الخط الذي يصل بين الشمس وقلب المجرة واما ان تكون نجوماً موقعها عمودي على هذا الخط حيث تقطعهُ الشمس. والرسم الثالث يوضّح هذه الاقوال

***

فعلى ما اتمّ لندبلاد وضع نظريتهُ وضع اورت لها القواعد والعلاقات الرياضية، وعمد الى امتحان النظرية بالرصد. فالنظرية مثلاً تقتضي ان يكون بعد النجم عنا ٢٠٠ سنة ضوئية. حتى يحدث دورانهُ تغيّراً في حركتهِ الشعاعية مقدارهُ كيلو متر في الثانية. ولكن ادوات الرصد لا تستطيع ان تبين تغيراً يسيراً كهذا. فقرّر اورت ان يحصر بحثهُ في النجوم التي بعدها الف سنة ضوئية على الاقل، حتى يكون مقدار التغير في حركتها نحو خمسة كيلو مترات في الثانية. فوجد نحو ٣٠٠ نجم يسهل رصدها. وهذا القبيل فرصدها، فأسفر الرصد عن النتائج التي تقتضيها النظرية: اي وحد دورانها يتفق ومقتضيات نظرية لندبلاد

هذا اتفاق يستوقف النظر بين الحقيقة المشاهدة والنظرية العلمية. ولكن الحذر العلمي يقتضي دراسة عدد اكبر من النجوم قبل البت في صحة النظرية. ومن حسن الحظ ان العالم الكندي بلاسكت كان قد عني قبل بضع سنوات برصد طائفة من هذه النجوم لاغراض اخرى. ودوّن في خلال رصدها سرعة حركتها الشعاعية. وكان عدد هذه النجوم ٥٥٣ نجماً وقد زادها بلاسكت ومعاونهُ بيرسون Pearson الى ٨٤٩ نجماً سنة ١٩٣٣

فعلما نُظر في حركة هذه النجوم من ناحية نظرية لندبلاد ومعادلات اورت، اتضح ان كلّ ما تقتضيهُ النظرية محقّق في ما دوّن عنها. فجاءت دليلاً قاطعاً على دوران المجرّة بحسب نظرية لندبلاد. ودوران المجرّة الآن من اكثر الحقائق الفلكية ثبوتاً

الفيلسوف لوك

واثره في تطوير فن التربية

حسن كامل
مدرسة القبة الثانوية الاميرية

لوك قبل كل شيء عالم نفساني واستاذ ضليع من فن تحليل اصل الآراء وعناصر العقل. وهو على رأس تلك المدرسة التي تضم تحت علمها كوندياك في فرنسا. وهربار في المانيا وهيوم ومعظم الفلاسفة المحدثين في انكلترا. ولكن المرحلة بين علم النفس وعلم التربية سهلة الاجتياز ولذلك لم يبذل لوك مجهوداً ضخماً ليبرّز في التربية بعد ان استوت له مكانته كفيلسوف كبير

﴿ بعض الآراء في التربية (١٦٩٣) ﴾ — هذا هو عنوان متواضع لكتاب نشره لوك في نهاية حياته واودعه ثمرة تجربته الطويلة. فقد كان طالباً نابغاً في كلية وستمنستر وشعر منذ نعومة اظفاره كما شعر ديكارت في كلية فليش — باشمئزاز من التعليم النموذجي الشكلي البحت. وكان مثلاً يحتذى للطلبة في جامعة اكسفورد. وفي عام ١٦٥٦ فاز بشهادة البكالوريا في الفنون وعين محاضراً في اللغة اليونانية فمدرساً للبلاغة والفلسفة الخلقية

ويرجع الفضل في تكوين اغلب آرائه في التربية الى اقامته في اكسفورد. وقد دأب على تطبيق هذه الآراء وتمحيصها مستعيناً في ذلك بملاحظة الاطفال في أُسر اصدقائه عن كثب حتى تمكن بدراسته اياهم وتتبعه تطور امزجتهم ونفوسهم من وضع نظرياته في التربية تلك النظريات المطبوعة بآثار تجربته العملية. فما لا ريب فيه ان كتابه « آراء في التربية » هو ثمرة اشتراكه مع اصدقائه في تربية ابنائهم. وقد فاز هذا المؤلّف بشهرة عالمية. وكان لما عرض فيه من نظريات اعمق الأثر فيما كتب روسو وهيلفيتيوس في موضوع التربية. وقد قال عنه احد اساتذة علم التربية الفرنسيين في اواخر القرن الثامن عشر « لو اعيد طبع هذا المؤلف الآن لاحرز نجاحاً عظيماً جدًّا »

﴿ تحليل كتاب « آراء في التربية » ﴾ — هذا الكتاب جدير بأن يقرأ من اوله لآخره. فقد درس فيه لوك جميع مسائل التربية دراسة عميقة في بعضها وسطحية في البعض الآخر. ولذلك فمن العسير ان يستطيع المرء ان يقوم — في مقال قصير — بتحليل وافٍ لاجزاء هذا السفر الجليل جميعاً. ولكننا سنحاول جهد الطاقة أن نستخلص منه اهم مبادئه الاساسية وهي : ١ — مبدأ

---

(١) يعنى الاستاذ حسن كامل بوضع كتاب في تاريخ المذاهب المختلفة في التربية وتطورها ، وهذا المقال منتزع من فصل في « فلاسفة القرن السابع عشر واثرهم في تطور فن التربية »

التقشف في التربية الجسدية : ٢ً — مبدأ الفائدة العملية في التربية الفكرية : ٣ً — اما فيما يتعلق بالتربية الخلقية فلوك ينادي بالشرف كمبدأ يعتبره قاعدة حكم الانسان لنفسه بنفسه

﴿ التربية البدنية ﴾ — مثَلُ التربية الأعلى في نظر لوك هو مبدأه « العقل السليم في الجسم السليم » . وقد كان لوك طبيباً ولذلك فهو اخصائي في مسائل تربية الجسم . ولكن كثيراً من المربين يعتقدون انهُ اساء الى آرائهِ بمبالغته في المطالبة بحرمان الجسد حرماناً متطرفاً . فهو يقول ان نظريته تنحصر في عدد قليل من القواعد سهلة التطبيق وهي : كثير من الهواء . والتمرينات . والنوم . ولطعام الأكل بسيط يجب ان نستبعد منهُ النبيذ والمشروبات القوية . وملابس ليست كثيرة الضيق ولا شديدة التدفئة . واخيراً وبشكل خاص ينبغي ان يتعوَّد الانسان ان يكون رأسه وقدماهُ باردة . وان يغسل قدميهِ كثيراً بالماء البارد وان يعرضهما للرطوبة

ولوك هو اول مربٍّ تكلم في اسهاب وانتظام عن غذاء الطفل وملابسه ونومه . وهو واضع هذا المبدأ الذي اخذه عنهُ روسو وهو : « فلنترك للطبيعة امر تكوين الجسم كما تريد » ولذلك فهو يشير بعدم استعمال الملابس الضيقة وبالحياة في الهواء الطلق والتعرض للشمس . وبأن يلعب الاطفال عراة الرؤوس والاقدام لا يؤثر فيهم الحر ولا البرد

اما فيما يتعلق بالتغذية فلوك يحرم على الاطفال حتى سن الرابعة السكر والنبيذ والتوابل واللحم وهو يبيح لهم التفاح والكمثرى ويمنعهم من اكل الخوخ والبرقوق والعنب . ولا يرى لوك انهُ من المحتم ان تحدد دائماً ساعة معينة لتناول الطعام . وهذا خطأ لا يقره عليهِ احد . ثم انهُ يطالب بأن يكون حذاء الطفل رفيعاً لدرجة تسمح للماء ان ينفذ الى قدميهِ اذا وضعتا فيهِ ! . . . .

والثابت ان لوك يريد معاملة الاطفال في قسوة كبيرة . وهذا غريب حقًّا لو عرفنا ان لوك نفسه كان رقيق المزاج . ولعل مدام دوسو ثينيبه كانت اكثر منهُ حكمة واقرب منهُ الى الصواب عندما قالت : « اذا كان ابنك قوي البنية فالتربية الخشنة هي التربية المثلى لهُ . واذا كان رقيقاً في محولة جعله قويًّا قتلتهُ »

واساس فكرة لوك انهُ يعتقد ان الجسم يتعوَّد كل شيء . ولإثبات خطأ هذه الفكرة يكفي ان نسرد قصة بطرس الاكبر الذي اعتقد يوماً انهُ ينبغي على جنود البحرية ان يعتادوا شرب الماء الملح واصدر فعلاً امره الى الصبية الذين كانوا لا يزالون في دور التمرين بألاَّ يشربوا الاَّ ماء البحر . فكانت النتيجة ان ماتوا عن آخرهم . ووقفت التجربة عند هذا الحد

وعلى الرغم من ان تعاليم لوك من هذه الجهة لم تجد محبذاً لها غير روسو الاَّ انهُ يجب علينا الاعتراف بأنها في مجموعها اثارت اعجاب كثير من المربين لانها قائمة على فكرة الرجولة في المعاملة والقناعة ولانها تقرب الطفل من الطبيعة بقدر الامكان مستبعدة بذلك كل رخاوة وافتعال للرقة

﴿ التربية الخلقية ﴾ في اعتقاد لوك ان التربية الخلقية تفوق التعليم الحقيقي شأناً وتأثيراً ويقول

في ذلك . ان ما يتمناه الرجل الكامل لابنه الى جانب ما يتركه لهُ من ثروة هو اولاً : الفضيلة . ثانياً : التبصر . ثالثاً : الاخلاق الحسنة . رابعاً : التعليم

والفضيلة والتبصر اي الصفات الخلقية والصفات العلمية هي في رأيه في المكان الاول . « اما التعليم فهو أتفه اجزاء التربية » وهو في كتابه «آراء التربية» يكثر من التكرار والعود الى ما عرض لهُ من مسائل . ولكنهُ اكثر ما يكون الحاحاً في ضرورة تذرُّع الانسان بالفضيلة وتمسكه بأهدابها

وليس من شك في ان لوك — ويشبهه في ذلك هربرت سبنسر — لم يلتفت الى التأثير الخلقي الذي يتركه نور العلم في قلب المرء وارادته . ولكنهُ عارض بفكرته السابقة رأي البعض القائل بوجوب تجميل الذاكرة بالمعلومات وانماء الذكاء قبل كل شيء فلا ريب ان اهم مسائل التربية هي تكوين عادات خلقية طيبة وبذر بذور العواطف النبيلة وانشاء اخلاق فاضلة

﴿ الشرف مبدأ النظام الخلقي ﴾ ماذا اعدَّ لوك من وسائل لتحقيق ما يصبو اليه من تربية خلقية يضعها موضعها اي في المحل الاول ؟ لم يكن مبدؤه المنفعة قبل كل شيء كما نادى بذلك روسو فيما بعد . لانهُ وان كان نفعيًّا (utilitaire) في التعليم والتربية الفكرية كما سيظهر فيما بعد ، انه لم يكن كذلك في التربية الخلقية . وكان يعارض معارضة شديدة في مبادىء الارهاب وسلطة المدرِّس والآباء القائمة على الخوف من العقاب وعلى الشعور بالرعب الذي يبغضه لوك لما فيه من عبودية . وهو لذلك ينقم على نظام العقاب . ولم يتكلم لوك عن حنان الآباء ومحبتهم لانهُ كان لا يعتقد بامكان الحصول على نتيجة كبيرة من طريق حساسية الطفل (la sensiblité de l'enfant)

ولكنه كان يريد معاملة الطفل منذ نعومة اظفاره معاملة الرجال . ناسياً بذلك ضعف طبيعة الطفل . ولذلك تراه ينادي بتأصيل عاطفة الشرف في نفس الطفل من البدء وحثّهُ على الخوف من الخجل ولعلَّ هذا شعور نبيل اخشى ان يكون فوق مستوى مواهب الطفل . فالشرف وهي كلمة يعتبرها المفكرون مرادفة لكلمة الواجب — يمكن ان يكون مرشداً لضمير مراهق تمَّ تكوينه او ما يقرب من ذلك . ولكن أليس من غير المعقول من الناحية العملية ، ان يشعر الطفل منذ سنواته الاولى بتقدير او باحتقار من حوله ؟ وقد قال في ذلك احد ناقدي لوك الانكليز : « اذا كان من المستطاع ان نوحي الى الطفل بالاهتمام بسمعته . اذن لاعترفت مع لوك بأن في مقدورنا ان نكوِّن الطفل كما نريد وان نغرسه حب الفضيلة باشكالها المتباينة » . ويضيف هذا الناقد الى ذلك قوله « ولكنني اشك في ذلك كل الشك رغم كل تأكيدات لوك »

وقال (كانت) بحق « انه لجهد ضائع ذلك الذي نبذله في التحدث الى الاطفال عن الواجب فهم يرونهُ شيئاً لو خولف لتبع مخالفته العقاب . لذلك لا يجب ان نحاول اثارة عاطفة الخجل عند الطفل . بل يجب الانتظار حتى يصبح شابًّا لان هذه العاطفة لا يمكن ان تجد لها مجالاً في نفسه الاَّ اذا ثبتت فكرة الشرف فيها » . ولوك يخطىء عند توهمه ان للطفل من النشاط الخلقي ما يسمح

لنا بالاعتقاد بان مجرد الشعور بالشرف يمكن ان يكون رائده . وهو يخطىء ايضاً في اعتماده على قوى الطفل الفكرية التي يراها كافية للتباحث معه ابتداءً من اليوم الذي يتكلم فيه

ولأجل تزويد الطفل بالعادات الطيبة وتهيأته للفضيلة تضع الطبيعة تحت تصرف الطفل حساسية الطفل نفسه ومنفعته ونور ذكائه . ولا يمكن الاَّ مع انقضاء الزمن وتقدم السن ان يصبح مبدأ سام كالشعور بالشرف وبالواجب، قانوناً اعلى يسيطر على ارادة الطفل ويلزمهُ بضرب خاص من التصرُّف

وخطأ لوك في طريقته في التربية الخلقية يرجع الى انهُ لا يريد الاستعانة بقلب الطفل ومقدرته الكبيرة على الحب . وإلى اسراعه في معاملة الطفل كمخلوق عاقل وتقوية مبدأ استقلال النفس عنده

ولعلَّ من الصواب ان يقال انهُ ان كان من الخير ان تحترم حرية الرجل وكرامته عند الطفل فلا ينبغي بتاتاً ان ينقلب هذا الاحترام خرافة . وليس من المؤكد ان استبعاد الخوف والضغط هو من شروط تكوين الارادة الثابتة القوية

﴿ استبعاد العقوبات الجسمانية ﴾ — لم يتوسع لوك في شرح نظريته في النظام الخلقي (la discipline [illegible]) . ولكنهُ بقدر نقص تفصيله في شرح الجزء الايجابي من نظريته اسهب في تفصيل ما لا يجب ان نعمله لتحقيق اغراضه . وتعد الفصول التي كتبها لوك عن العقاب الجسماني من أمتع ما كتب . وقد نقل روسو كثيراً منها . وثمة تشابه بين نظرية مونتيني في « الوداعة القاسية » وقاعدة لوك في التربية الخلقية . فكلاهما يقول بان نظام السوط نظام استعباد يجعل من الطفل عبداً . ولم يخرج لوك على آراء عصره الاَّ في نقطة واحدة وهي انهُ اباح استعمال السوط في الاحوال الخطيرة ولاجل كبح جماح الطفل الثائر العنيد . ولا شك ان في هذا الرأي جرأة ممدوحة في وقت كانت فيهِ المعاهد العلمية في انكلترا تعتقد انها ملزمة بأن تذيع على الجمهور وتنشر في اعلانات الصحف ان تحريم العقاب الجسماني يعد بين مزايا التربية فيها

ومن العجيب ان نعرف ان المدرسين احتفظوا على الرغم من كل ذلك بعادتهم القديمة في تأديب التلاميذ بالسوط . والاغرب ان الطلبة انفسهم كانوا متمسكين به كل التمسك فقد كتب احد الطلبة الانكليز القدماء يقول « في عام ١٨١٨ كان لناظر مدرستنا آراء خاصة جريئة . فاراد استبدال السوط بالغرامة المالية . ولكن الطلبة قاموا في وجه هذا الاصلاح . وذلك لان السوط كان لا يتعارض في نظرنا وكرامة الرجال . ولكن الغرامة اهانة لا يمكن ان تمحى ! . . وصاح الطلبة فلتسقط الغرامة وليحيا السوط ! وانتصرت ثورة الطلبة وأُعيد نظام السوط . وفرحنا لعودته فرحاً عظيماً . وفي صبيحة اليوم التالي لالغاء الغرامة وجدنا عند دخولنا قاعدة الدرس غابة من الاسواط كبيرة . وقضى المدرسون وقتهم في استعمالها بأمانة تامة »

﴿ التربية الفكرية ﴾ ينتمي لوك الى عائلة المربين النفعيين (pédagogues utilitaires) قليلي العدد في ايامه . فهم لا يريدون تكوين رجال ادب وعلم بل رجالاً عمليين مسلحين للنضال في الحياة

مزودين بالمعارف التي هم في حاجة اليها لتسوية حسابهم وتسيير دفة شؤونهم المالية وارضاء مطالب حرفهم واخيراً للقيام بما عليهم كرجال ومواطنين

﴿ دراسات نفعية ﴾ (Etudes utilitaires) . من اهم ميزات لوك انهُ كافح التعليم الشكلي البحت الذي لا يفوز الانسان فيهِ الاَّ بثقافة اسمية . وهو يزدري الدراسات التي تؤدي مباشرة للاستعداد للحياة. ولكنهُ بالغ في نقده ومديح التعليم الواقعي (réaliste) ناسياً بذلك ان الدراسات القديمة ان لم تكن نافعة بمعنى الكلمة الحقيقي وان لم تكن تكفي لسد الحاجات العادية للمعيشة فأن لها فائدة اسمى بمعنى انها تصبح اداة جيدة في التنظيم الفكري اذا استخدمت استخداماً حسناً. ولكن لوك كان يخاطب اناساً متعصبين متحذلقين يعتقدون ان دراسة اللغتين اللاتينية واليونانية هي كل التعليم وغاية الغايات لا وسيلة من وسائل التعليم

ولا يجب ان نفهم ان لوك كان نفعيًّا اعمى يرغب في استبعاد كل دراسة ليس من ورائها نفع محقق . وكل ما هنالك انهُ لا يريد ان يضحي في سبيل هذا النوع الاخير من الدراسة تعليماً اعظم شأناً واكبر نفعاً

﴿ برنامج الدراسة ﴾ . يعتقد لوك انهُ ينبغي ان يتعلم الطفل الرسم منذ المامه بالقراءة والكتابة ولكنهُ يحتقر الفنون التي لم يسمح لهُ بروده الطبيعي بفهم اثرها العميق الوديع في نفس الطفل . وهو يحبّذ الرسم لما لهُ من فائدة عملية وهو لذلك يضعه في مستوى القراءة والكتابة

فاذا أُلم الطفل بهذه العناصر وجب ان يمرن بلغة والديهِ على قراءة القصص الصغيرة وعلى الانشاء وكتابة الخطابات العائلية وما الى ذلك

ويتبع ذلك دراسة لغة اجنبية حية . وينصح لوك لمواطنيه بدراسة اللغة الفرنسية فاذا تمكن الطفل منها تعلَّم اللاتينية. وقد طبق ما يشبه هذا النظام في فرنسا في القرن العشرين واضيفت اليهِ العلوم

***

اما فيما يتعلق باللغة اللاتينية فلوك يريد ان يتعلمها الطفل بواسطة الاستعمال والمحادثة اذا امكن وجود استاذ لتعليمها فاذا كان ذلك مستحيلاً فبالقراءة . وينصح بالاقلال من قواعد النحو والصرف بقدر المستطاع ، وهذا من آخر ما وصل اليهِ علماء التربية في تعليم اللغات في أيامنا هذه) والغاء المحفوظات وموضوعات الانشاء اللاتينية نظماً كانت او نثراً . ويحبذ التبكير في قراءة نصوص لاتينية سهلة . فهو لا يريد ان يتقن الطفل الكتابة باللغة اللاتينية بل يقول بان الغرض من دراسة هذه اللغة هو امكان فهم المؤلفين الذين كتبوا بها . ولكن المشايعين للقصائد الشعرية والخطب اللاتينية لم يسكتوا على احتجاج لوك على طريقتهم ومضوا يعذبون الطفل بارغامه على الكتابة بلغة لا يجيدها وفي موضوعات يكاد يجهلها . اما اللغة اليونانية فلوك يريد استبعادها تماماً ويقول انهُ يعرف تماماً ما لهذه اللغة من جمال ويعترف انها مصدر التحف الفنية التي تفخر بها علومنا وآدابنا

ولكنهُ يريد ان يقصر دراستها على المطلعين والادباء والعلماء الاحصائيين وينصح بالغائها من التعليم الثانوي الذي يجب ان يكون مدرسة الحياة

فاذا خفف نظام الدراسات القديمة اتسع المجال لدراسات ذات فائدة عملية مثل دراسة الجغرافيا التي يضعها لوك في المكان الاول لان فيها مرانة جيدة للذاكرة والنظر . والحساب لانهُ ذو فائدة كبيرة في جميع اعمال الحياة حتى انهُ لا يكاد يوجد عمل لا يلجىء فيهِ للاعمال الحسابية . وما يسميه هو علم الفلك وهو في الواقع دراسة مبدئية لسير الكواكب . واجزاء الهندسة اللازمة لرجل الاعمال « والتاريخ » وهو « اكثر الدراسات لذة وابعدها اثراً في تثقيف العقل » وعلم الاخلاق والقانون والتشريع العادي كثير الاستعمال والفلسفة الطبيعية اي العلوم الطبيعية واخيراً حرفة بدويه ومسك الدفاتر

﴿ دراسات جذابة ﴾ ولما كان لوك نفعيًّا في اغراضه فهو يود ان نستخدم في التربية الفكرية وسائل جذابة فهو بعد ان وجه نقداً مرًّا الى المربين الذين يبعثرون قوى الطفل في دراسات مجدبة على كراهيته لما يراهُ من شدة التمسك والاخلاص للاساليب التعليمية البحتة تلك الشدة التي دلت الى وسائل تمجها النفس وطرق مضنية لا يظهر المدرّس بسببها الاَّ بمثابة معكر لصفو حياة الطالب

وعلى الرغم من انه يبالغ في آرائه من هذه الناحية فان له كل الحق في المطالبة بتطبيق اساليب جذابة ولقد ذهب في هذا الصدد الى حدّ القول بأنهُ يريد ألاَّ يجد الطالب فارقاً بين الدراسة واي نوع آخر من التسلية . وفي هذا ولا ريب شيء كثير من المبالغة . ولعله اراد ان يقول انهُ ينبغي علينا العمل على تذليل الصعاب الاولى في دراسة العلوم وعلى اغراء الطفل واسره دون الضغط عليه الابتعاد كل البعد عن الظهور بمظهر من يريد ان يلزم الطفل بالدراسة . وهو الامر الذي طالما اوحى الى الاطفال نوعاً من الاشمئزاز . وهو لذلك ينصح بالالعاب التي يمكن استخدامها في التعليم (jeux instructifs) لاجل تعليم الاطفال القراءة والاعمال الاولى ويقول في ذلك « يجب ان يتعلم الطفل القراءة وهو شاعر انهُ يتسلى »

ذلك ان الطفل في رأيه غيور على استقلاله ولسنا نعرف مربياً عرف قبل لوك حاجة الطفل الى نشاط والحرية . وانهما امران طبيعيان فيه . كما لا يعرف مربياً سبقه الى الالحاح على ضرورة احترام حق الطفل الشخصي وتعلقه باستقلاله

وقد قال بعده سلفه الانكليزي هربرت سبنسر « لا يحتفظ العقل الاَّ بالمعارف التي توحي اليه سرور والانتعاش . ولا يجد العقل سروراً وانتعاشاً الاَّ عندما نثير فيه نشاطاً عاديًّا يتناسب مع قواه الطبيعية . ولا يمكن ان يصح تعليم الاَّ في جو من النشاط »

﴿ الاستظهار ﴾ يقول لوك انه لا فائدة من الحفظ عن ظهر قلب . وذلك لان الذاكرة في رأيه ليست قابلة للتقدم وهو يقول ان النفس كفاءة فارغة جامدة وليست مجموعة من النشاط والقوى

ية التي تفيدها المرانة وهو لا يعتقد ان المواهب على اختلاف انواعها يمكن ان تكبر او تنمو .
لك لانهُ لا وجود لها بتاتاً في نظره ! . . . ولعلَّ من الخير ان نترك هنا لوك يتكلم عن نظريانه
سهِ : اعرف جيداً بوجود مربين يدعون انهُ يجب على الطفل ان يستظهر بعض الدروس لأن
ذلك مرانة لذاكرتهِ وانماء لها . ولكن هذا الادعاء لا يستند الى ملاحظات صحيحة بل الى مجرد
جود عادة قديمة . ولست اشك في ان قوة الذاكرة ترجع الى طريقة تكوينها لا الى تقدم تكتسبهُ بالمرانة
لعادة . والواقع ان العقل لا يستطيع ان يعي الاَّ الاشياء التي يعيرها التفاته . وانه — لاجل ان
تحفظ بها — في حاجة الى التفكير فيها ليطبعها من جديد في ذاكرته . وهذا يجري بنسبة قوة
ذاكرة الطبيعية . واذا نحن طبعنا الشمع او القصدير بطابع فان هذا الطابع يظل زمناً اقصر بكثير
ن طابع آخر على النحاس او الحديد . ولاشك ان التأثير في النفس يدوم زمناً اطول اذا داومنا على
جديده بالتفكير فيهِ . ولنعلم ان كل عمل من اعمال التفكير في تأثيرٍ ما هو بمثابة تأثير جديد . ولا
بب ان نفكر الاَّ في عدد هذه التأثيرات اذا اردنا ان نعرف الزمن الذي يمكن للعقل ان يحتفظ
لالهُ بهذا التأثير . ونحن اذا دفعنا الطفل الى استظهار بضع صفحات باللغة اللاتينية لانؤهل ذاكرتهُ
ان تعي شيئاً آخر غير هذه الصفحات الاَّ بقدر ما نهيىء سلاحاً من القصدير لان يحتفظ بطابع
خرى غير فكرة نكون قد حفرناها عليهِ ! ! . واذا صح كلام لوك أصبحت التربية باسرها مستحيلة
نها تفرض مبدئيًّا وجود مواهب طبيعية يمكن ان نجعلها بالمرانة خصبة نامية

﴿ وجوب تعلُّم حرفة ﴾ واخيراً يريد لوك ان يتعلم تلميذه حرفة . ولكن الاسباب التي استند
بها في ذلك تختلف عما استند اليهِ روسو من اسباب . فلوك يقصد من وراء تعليم حرفة يدوية للرجل
لكامل (the gentleman) ان يهيأ لعقله تسلية وفرصة للراحة من جهة ولجسمه تمرينات نافعة من
جهة اخرى . ولكن روسو كان يود ان يتعلم تلميذه حرفة يدوية ليقي نفسه شر الحاجة اذا ما ثارت
ورة انتزعت منهُ ثروته . بل ان روسو كان متأثراً في رأيه هذا بهواجس اجتماعية يعتبرها البعض
خاوف اشتراكية فالعمل في نظره واجب يتحتم على كل فرد القيام بهِ « غنيًّا كان او فقيراً »

﴿ دور العمل ﴾ ومع ان لوك وجه كل اهتمامه الى الدراسات القديمة وتربية الرجل الكامل
لاَّ انه لم يهمل تماماً مسائل التعليم الابتدائي . فقد كتب للحكومة الانكليزية تقريراً في عام ١٦٩٦
طالب فيهِ بتنظيم دور للعمل (Working schools) لاولاد الفقراء . وذكر في هذا التقرير ان كل
لفل يزيد على الثالثة من عمره ويقل عن الرابعة عشرة يجب ان يجد في هذه الملاجىء عملاً وغذاء

وفكرة لوك في ذلك هي ضرورة مكافحة فساد الاخلاق وذيوع الفاقة في طبقة خاصة من الشعب
ومحاولة معالجة الكسل والتشرد وتخفيف رقابة الام المنصرفة الى عملها وتكوين رجال جد
وعمال مجدين . وقد حاول بذلك تحقيق اصلاح اجتماعي واسع النطاق . واصبح مربي الرجل
لكامل مهذّبَ الفقراء

وقفة امام (ابى الهول)

لراجى الراعى

..

يا آلـه الصمت . ويا ملتقى الاسرار . ويا عقدة الالسنة . ويا مثال المتأملين . ايها العظيم الذي اتخذ عظمته من صمته . يا رقيب الرمال ويا رفيق « الاهرام » ويا عجيبة المصريين . . ايها الاسد الرائع المتحفز منذ القدم للوثوب على فريسته التي لم يجدها بعد . . يا مصيبة الثرثارين . . ويا محط رحال الحائرين . . ايها المتجبر العنيد الذي لم يخفض رأسه لاحد في الدنيا التي مرّت كلها من امامه . . . ايها الضاحك الباكي، السعيد البائس ، الحائر المهتدي، المثل الصاحي، القوي باهرامه، الضعيف برماله، الجري بصدره، الحنان بلسانه . . . ايها البحر الذي تلاطمت فيه الامواج ولم تنفث زبدها في فمه . . ايها الساحر المسحور ، سحره غده الذي يزحف اليه فسحر بدوره يومه الذي يطل عليه . . . ايها الناسك الاكبر الذي لم يؤمن بالعالم فأقام في صومعة الرمال وانقطع الى ربه والى نفسه ، زعيم الناسكين تدق لهُ نواقيس الذكرى في اودية التاريخ التي تعاقبت عليه ومن يستطيع ان يحصيها . . . ايها المثل بالذكريات عمرته بخمورها فلم يقو على العربدة وكيف يعربد الغريق، وصرعته بجمالها وقبحها فجمد كالمجنون وتطأطأت عليه الخلائق . .

ايها البطل الضائع الذي ازدحمت في بطولته مشاهد القرون على مختلف صورها والوانها فضاقت بها ذرعاً ولبثت مكانها لا تبدي حراكاً !

ايها المبرّد بوسادته الحجرية لظى المغرمين ، المخجل برباطة جأشه المذعورين الفارين، المحطم بصخرة حيرته وشكه سفينة المهتدين ، المخرس بفصاحة عينيه زمرة المعربدين ، الهازىء بالعابرات والعابرين ، الضاحك على الاذلاّء الخانعين ، الباكي على الضاحكين الموقظ الراقدين المتفرس في المستيقظين

يا « ابا الهول » الذي هالته نفسه فلم يعرف اين يضعها وكيف يعبر عنها ، ويافتنة « النيل » ويا سمير الفراعنة ويا رب وادي الملوك ، ايها الامين الاكبر الذي يحمل مفاتيح

التاريخ ولم يخن يوماً واجب الامانة ، ايها المُبرم مع المجهول عهداً يحسده عليه المعلوم، ايها الغارق في لجج اللانهاية ولم يبلل ثوبه ، ايها المبسوط في حجره، المنكمش في تصلبه ، أيها الطليق بعينيه السجين بين احاجيه ، ايها الناظر الينا نظرته الغريبة بين صممه وبكمه كأنهُ يفتش في الارض عمن جاءه بالصمم وعقل لسانه ليصعقه ويضمه الى قلب رماله ! !

ايها الرجل العجيب الذي لم يتحرك بعد والكهرباء تشع في فمه وعينيه والطيارة تحلّق فوق رأسه ، ايها الصابر صبراً دهش له ايوب ، ودهشت له الارض التي تحمل موتاها ودهش له البحر الذي يحمل غرقاه والاثير الذي يحمل زفرات البائسين . .

ايها المتمرد الاكبر الذي لو استكشفت اسرار الخليقة كلها لظل وحده بنفسه سرًّا خفيًّا . . ايها الحاكي الذي يردد صدى الانسانية ، ايها العدّاد الاكبر الذي يحصي انوار الخليقة وظلماتها وساعات نعيمها وبؤسها . . .

يا ابا الهول . . اتيتك بعد تلك القرون التي توالت على رأسك ، اتيتك متأخراً . . . اتيتك في القرن العشرين وتفرست فيك فخطرت لي النعوت والاسماء التي كسوتك بها ، رأيتك بعيني ولم ادر بأي عين رآك اسلافي . . وحرت فيك كما حار الذين تفرسوا فيك من قبلي ورمتني تلك الحيرة بين امواج الخيال فغرقت في اوصافك وتخبطت في اسرارك ...

ما هي حقيقتك ؟ واين هي ؟ . . وهل تجهلني يا سيدي كما اجهلك . . . من انا ؟.. انظر اليَّ جيداً . . أقويٌّ انا ام ضعيف ؟ اسعيدٌ انا ام بائس . . . انا كاتب يصيح ويعرض في القراطيس رسوم النفس والحياة فهل ازعجك صياحي وهل رأيت رسومي ؟ هل انت شاعرٌ بي ام انت تنظر اليَّ وترى نفسك ؟ ؟

قل لي يا « ابا الهول » ألأمسي انا ام لغدي ، واين هو رقمي في جدول الانسانية . وهل في جبيني السطر الذي تفتّش عنهُ منذ القدم ؟ امصيبٌ انا في عقيدتي ام مخطئٌ ؟ انا للشاعرية فهل في حجرك من شعري وهل الشعراء في نظرك هم الناس . . وهل في صدرك القاسي فؤادٌ رحيم ؟؟

اتيتك لاسألك عن حقيقتك وحقيقتي فهل من جواب يخرج من فمك فيريحني... اما تاقت نفسك يا صاحبي الى الكلام ولو مرة واحدة... ألم تسأم الصمت ... ولكن لا.. ابق صامتاً فانني اخاف اذا تكلمت . ان لا يقال بعد ذلك : هذا « ابو الهول » . . ان صمتك حديث الناس وقد لا يكون حديثك حديثهم فتكون الكلمة الاولى التي تنطق بها وبالاً عليك ودليلاً على انك لم تكن الاَّ حجراً ! ابق صامتاً ، ان قوتك في صمتك. انت ملك يجثم على عرش الصمت فلا تخلع ملكك بيدك . . .

ولعلك فقهت معنى الحياة فرأيت ان الصمت خير ما فيها ، فما الفائدة من الكلام وهل يصلح اللسان ، ذلك الثرثار الضعيف المزعج ليحلّ الاحاجي ويعبر عن اسرار النفس والطبيعة ؟ ! وهل يقوى على الثبات في ساحة النفس الكبيرة الحساسة ساعة يثور بركانها وتتطاير حممها ....

انظر الى الفيلسوف كيف يخرس ساعة يصطدم بالمجهول ويقف امامه صاغراً ! والى الجندي كيف يعقل لسانه ساعة يصطدم بالخطر ويقبل على الموت ! والى الفنان كيف يصمت صمته العميق ساعة يسحره الجمال وتحتلّ الشاعرية الحقيقية اعماق قلبه . . وانظر الى الفقير الذي شرب ثمالات الكؤوس كيف يعجز عن النطق وفي فمه كل دموعه ، والى المؤمن الناسك كيف يقطع لسانه ليتّصل بالخالق ، والى النسور والاسود كيف تأوي الى عزلتها وصمتها وتترفّع عن الخلائق . . .

ابق صامتاً يا « ابا الهول » فقد يكون في صدرك كثير من الحسد والصغينة والرياء والضعف والكبرياء والطمع واللؤم وانا لست بحاجة الى نفث سمومها فيكفيني ما ينساب في طريقي من الافاعي ، يكفيني هذا الانسان الذي يوزع لسانه الشقاء في العالم ويكشف عما انطوى عليه صدره من تلك البضاعة النتنة ! . . .

ابق صامتاً فلا ادري ما وراء لسانك ... ان كنت انساناً فزميلك يكفيني ، وان كنت من جماعة « الاولمب » فابق بين آلهتك . . .

ابق صامتاً ، فهذه الانسانية الثرثارة لا تخاف الاَّ الصامتين

موقعة ناڤارين البحرية

٢٧ صفر سنة ١٢٤٣ هـ ٢٠ اكتوبر ١٨٢٧ م

للدكتور علي مظهر

— ١ —

كانت بلاد اليونان جزءاً من بلاد السلطنة التركية العثمانية الى اوائل القرن التاسع عشر ترسل اليها الدولة من يحكمها من ولاة الاتراك . ثم بدت بها بوادر ثورة اهلية والّف أعيانها وشبانها جمعيات ثورية لتنفيذ الخطة التي رسموها من اشعال نيران الثورة في كل اليونان مع الاتصال بدول اوروبا حتى انهم جعلوا مركز هذه الجمعيات في الروسيا والنمسا لتتصل بحكوماتها وتتلقى امدادتها ومعونتها المادية والادبية ولتكون بعيدة عن يد حكام اليونان من الترك . ولقيت هذه الجمعيات من تأييد الدول الاخرى ما ساعدها على اعلان العصيان والثورة في ارجاء البلاد اليونانية . نذكر من ذلك جمعية (هيتريا) الكبيرة التي تألفت سنة ١٨١٥ . وقد انضمّ اليها ذوو المكانة في اليونان من شبان واعيان ورجال الدين ولقيت التعضيد من كثير من امراء اوروبا ووزرائها وسراتها وذوي الرأي منهم . وكان ذلك بالنفوذ وبالاموال حتى ان القيصر الروسي اسكندر الاول كان في مقدمة معضديها ومؤيدي مطالبها وأهمها استقلال بلاد اليونان عن الدولة العثمانية

نشطت تلك الجمعية وغيرها على العمل سرّاً وسعت الى نشر دعايتها واذاعة اغراضها الثورية وانشاء فروع لها في بلاد اليونان وفي البلقان حتى زاد اعضاؤها على العشرين الفاً من الاعضاء حملة السلاح . ولما هبت ريح الثورة في بلاد المورة في ٢٥ مارس سنة ١٨٢١ كان في مقدمتهم رجل من رجال الدين اليوناني هو القس جرمانوس اسقف (پاتراس) بشمال المورة ودعاهم للثورة فلبى اليونانيون الدعوة في البر والبحر . فكانت سفنهم المسلحة تقطع الطريق على السفن العثمانية في بحر الارخبيل وتأسر ما تأسر وتدمر ما يمكنها تدميره وتقتل ركابها وتأسرهم وتنهب ما معهم . واستولى الثوار على أهم مدن المورة حتى انهم احتلوا عاصمتها (تريپولتسا) ونكلوا بالاتراك المقيمين بها تنكيلاً كبيراً . وأعلنوا استقلال الامة اليونانية سنة ١٨٢٢ . ورأت الدولة العثمانية ان تستعين بمصر بعد ان استفحل أمر الثورة والثوار الذين أحيوا عهد القرصنة وأحرقوا كثيراً من السفن التركية وأفسدوا أيما افساد . فأرسل السلطان محمود الى محمد علي وعهد اليهِ بتجريد الاسطول المصري للقضاء على القرصنة سنة ١٨٢١ ولتأديب الثائرين وانقاذ الاسطول العثماني الذي أضحى كالاسير في مياه البانيا . وأطاع محمد علي امر الخليفة السلطان محمود ولبى نداءه فكتب الى صهره محرم بك محافظ الاسكندرية وامير البحر للاسطول المصري باعداد اسطوله . ونحن ننقل ترجمة الامر التركي المقيد في سجلات البحرية القديمة

تاريخ ٢٤ رمضان سنة ١٢٣٦ وقد نقلهُ اسمعيل سرهنك باشا في كتابهِ حقائق الاخبار (ج ٢ ص ٢٣٨) وهاك نصهُ :

قد علم لكم انهُ أحيل تأديب وتربية الاروام الثائرين على الدولة العلية على عهدتي . وبما ان السفن الحربية التي جرى استعدادها لغاية الآن قد بلغت اربع عشرة سفينة ولو ان قيادتها عائدة علي (يعني انهُ كان يعتبر نفسه (محمد علي) قائداً أعظم واميراً للبحر الاكبر للاسطول المصري) الا انهُ لكثرة اشغالي قد عينتكم بدلاً عني لقيادتها . فتوكلوا على الله تعالى وأسرعوا بالاقلاع الى الجهة المقصودة. وأدوا الخدمة اللازمة عليكم في هذه المأمورية بحسب ما تقضي عليكم حقوقها المقدسة . وقد تحرر صورهُ من هذا الامر الى مطوش قبودان الذي تعينت سفينته بمعيتكم . اهـ .

ونحن ننقل عن سرهنك باشا اسماء قباطين السفن التي ذكرها بعد ترجمة النص التركي لتولية محرم بك أمرة الاسطول المصري وهم :

قبودان احمد قبودان وقوله لي مطوش قبودان واستانه لي نوري قبودان وارنبوط حلمي قبودان وكريدلي حسن قبودان وبدروملي السيد علي قبودان وكريدلي اسمعيل قبودان واوردلي مصطفى قبودان المعروف ببشكاكي وچشمه لي مصطفى قبودان وبوزجه أطه لي حسين قبودان واسكندراني علي قبودان ولازلي عمر قبودان وازميرلي قره اوغلي قبودان وبدروملي علي محمد قبودان . اهـ

وذكر مسيو مانجان في كتابه تاريخ مصر في حكم محمد علي (ج ٢ ص ٢٤٠) ان الاسطول المصري قام من الاسكندرية في ١٠ يوليه سنة ١٨٢١ بقيادة الاميرال اسمعيل جبل طارق وانهُ كان مؤلفاً من ١٦ سفينة كاملة السلاح والعتاد وبها ٨٠٠ مقاتل بقيادة طبوز اوغلي

وقد كتب عبد الرحمن بك الرافعي في مؤلفهِ النفيس عصر محمد علي (ص ١٩٩) تعليقاً على ذلك ان بعض المراجع الفرنسية تذكر قائد الاسطول باسم اسمعيل جبل طارق وبعضها باسم اسمعيل الجبل الاحضر مما يجعلنا نشك في هذا اللقب الذي ليس من الاعلام المألوفة في ذلك العصر . فالاسم الموثوق بهِ انهُ الاميرال (امير البحر) اسمعيل بك . ثم عاد عبد الرحمن بك في الصفحة التالية فقال : نقول هذا لا يمنعنا ان نرجح رواية المسيو مانجان لانهُ عاصر الحوادث التي كتب عنها وروايته تؤيدها المراجع الفرنسية الاخرى . ويجوز ان محمد علي عهد الى امير البحر محرم بك بقيادة الاسطول بادئ ذي بدء كما جاء في الامر لكن الذي سافر فعلاً وقاد الاسطول هو اسمعيل بك كما يقول مانجان . ونحن نقول انهُ اقرب الى المعقول ان يكون مطوش قبودان هو الذي تولى القيادة فعلاً بالنيابة عن محرم بك اذا لم تصح قيادة محرم بك للاسطول الذي ابحر لسواحل بلاد اليونان لان محمد علي قد اشار اليهِ في خطابه الذي ارسلهُ الى صهره محرم بك وخصهُ بالذكر في ذلك الامر الصادر منهُ دون سائر القباطين الآخرين

ويذكر مسيو مانجان ان الاسطول المذكور ذهب الى مياه رودس لمطاردة السفن اليونانية .

والتقى بالاسطول التركي في الدردنيل . ثم عاد الى الاسكندرية في مارس سنة ١٨٢٢ ليتأهب لنقل الحملة الى جزيرة كريد

ويذكر الجبرتي في نهاية ما وصلنا من تاريخه وهو آخر ما دوّنه في كتابه من حوادث ذي القعدة سنة ١٢٣٦ (اغسطس سنة ١٨٢١) ما يأتي :—

وفي منتصفه (القعدة) سافر الباشا (محمد علي) الى الاسكندرية لداعي حركة الاروام وعصيانهم وخروجهم عن الذمة ووقوفهم بمراكب كثيرة العدد بالبحر وقطعهم الطريق على المسافرين واستئصالهم بالذبح والقتل ، حتى انهم اخذوا المراكب الخارجة من استامبول وفيها قاضي العسكر المتولي قضاء مصر ومن بها ايضاً من السفار والحجاج فقتلوهم ذبحاً عن آخرهم ومعهم القاضي وحريمه وبناته وجواريه وغير ذلك . وشاع ذلك بالنواحي وانقطعت السبل . فنزل الباشا الى الاسكندرية وشرع في تشهيل مراكب مساعدة للدونانمة (الاسطول) السلطانية . وسيأتي تتمة هذه الحادثة

ومما يؤسف لهُ ان تاريخ الجبرتي ينتهي بحوادث ذي الحجة سنة ١٢٣٦هـ (سبتمبر سنة ١٨٢١م) وشبت الثورة في جزيرة اقريطش (كريد) سنة ١٨٢١ وعهد السلطان محمود الى محمد علي باخماد الثورة ففعل اذ ارسل اسطولاً مصريًّا يحمل خمسة آلاف جندي بقيادة حسن باشا ونزلت القوة في ارض الجزيرة في يونيه سنة ١٨٢٢ واستمرت الحرب بين الطرفين حتى سنة ١٨٢٣ وانقذ العسكر المصري الحاميات التركية التي كان الثوار قد حاصرتها في القلاع . ومات حسن باشا القائد خلال الفتح فخلفهُ حسين بك في القيادة . وظفر المصريون بالثوار وحصروهم في جهة من الساحل . وشتتوهم شذر مذر . واضطر كثير منهم الى الفرار الى الجزر اليونانية وسادت السكينة بكريد وامكن المصريون ان يخمدوا ثورة قبرص هي الاخرى

ولما اشتدت الثورة وطال امدها في موره عهد السلطان الى محمد علي في اخمادها وجعله والياً عليها

ومما يذكر ان محرم بك لما اعد اسطولاً مكوناً من اربع عشرة سفينة حربية وجهزها بما يلزمها من الجنود والقباطين وجعل شاكر افندي السابق الذكر مهندساً لهذا الاسطول كما جاء في سجلات الدونانمة (الاسطول) المصرية انهُ لم يبق بالاسكندرية حينئذٍ غير ثماني سفن حربية فقط للمحافظة بها على السواحل المصرية فاخذ محمد علي يهتم بتجهيز اسطول آخر من السفن الجديدة التي تأتي اليهِ تباعاً من بلاد اوربا . ووصل محرم بك باسطوله الى مياه كريد فوجد من الجهة الشمالية منها سبع عشرة سفينة تجارية رومية (يونانية) تهاجم سفينة تجارية عثمانية . فهجم على الاروام واستولى على ثلاث منها . وولى الباقي الادبار وتخلصت تلك السفينة العثمانية من هلاك محقق . ثم انهُ سار الى بحر الارخبيل بحسب الاوامر الصادرة اليهِ . وبعد ذلك بشهر ارسل محمد علي اسطولاً آخر من ثماني عشرة سفينة بقيادة طبوز اوغلي قبوجي باشي محمد اغا للالتحاق بالاسطول العثماني الذي كان

قوده البطرونة مختار بك» وامره انهُ متى انضمت كل هذه السفن الى بعضها البعض ومعها اسطول
رم بك تذهب لتخليص الاسطول العثماني المحصور بجهة بروزه »وكان يقوده القبطان نصوح زاده
لي بك . وقد تم ذلك ورفع الحصار عن الاسطول العثماني . واخذ الاسطول المصري باشتراكه مع
لاسطول العثماني في مطاردة مراكب الاشقياء من اليونانيين . فأحرقت كثيراً منها (سرهنك باشا
٢ ص ٢٣٨).وعادت السفن الحربية المصرية الى الاسكندرية لاصلاح ما تلفمنها سنة ١٢٣٨هـ.
في السنة التالية (٦ مارس ١٨٢٤ م) اصدر السلطان الى محمد علي بتعيين ولده ابرهيم باشا والياً
ى جزيرة كريد وموره وان يعمل ما يراه لحفظ النظام هناك . وارسل امراً بارسال نجدة مصرية
ساعد الجيش العثماني في بلاد اليونان . ويذكر لطفي افندي في تاريخهِ بأن الدولة العثمانية امرت
سرو باشا امير البحر للاسطول العثماني بمياه اليونان بان يذهب الى الاسكندرية لاصلاح سفنهِ فيها
خذ ما يلزم من الذخائر الحربية والمؤونة منها ولمساعدة محمد علي باشا على نقل الجيوش المصرية الى
د موره . وكان خسرو باشا قد طلب العودة الى استنبول لاصلاح ما تخرب من سفنهِ الحربية .
اصدر الامر بالتوجه الى الاسكندرية سافر اليها في ٢٨ الحجة سنة ١٢٣٩ هـ . وقبل وصوله بأيام
لة حضرت ثلاث سفن حراقات يونانية الى ميناء الاسكندرية ودخلت واحدة منها الميناء حتى
لت امام طابية صالح وأشعلت نارها لحرق الاسطول المصري الراسي امامها . فأطلقت عليها قوة
عة المدافع وارسلت المراكب المصرية بعض زوارقها بالمدافع فهجمت عليها وأطفأت نارها فهربت
لحراقتان الاخريان بسرعة . وامر محمد علي محرم بك ووكيله بلال أغا بالخروج بخمس سفن حربية
نقاء اثر الحراقتين الهاربتين . وخرج بعدهما محمد علي بنفسهِ في قرويت اسمه جساح بحري .
كن الحراقتان الافلات من المراكب التي تعقبتهما . ثم وصل خسرو باشا العثماني وعلم بما وقع ولم
دف السفن المصرية فاراد الاقلاع بنفسه للبحث عنها.فمنعهُ موظفو الحكومة المصرية.وأسرعوا
لاح سفنه.وتزويد اسطوله بما يلزم من الادوات والذخائر . وارسل خسرو باشا مساعده في أسرة
ر بعشرين سفينة حربية عثمانية ذهب بها حتى سواحل الاناضول . ثم رجع فوجد محمد علي قد
لى الاسكندرية وشكر محمد علي لامير البحر خسرو باشا صنعه هذا . وأكرم وفادته وأمر
انهِ كل ما يطلبهُ قائلاً : اني بصفة كوني خادماً لولي نعمتي صاحب الشوكة السلطان المعظم اعلمك
ي الباشا انهُ ليس للدولة العلية فقط ان تطلب ذخائر وزاداً او اشياء اخرى مهمة للاسطول العثماني
كنها ان تطلب جميع ما تريد . فاني مستعد للقيام بهِ بحق الدين والملة . وان ذلك عندي من
ر المعتنى بها . واني لا اتأخر عن بذل نفسي في سبيل تقوية شأنها واعلاء كلمتها ورفع قدرها
تاريخ لطفي افندي المذكور ونقله سرهنك باشا في تاريخه (ج ٢ ص ٢٣٩)
وابلغ خسرو باشا ذلك للباب العالي (الحكومة العثمانية) رسميًّا فورد لهُ كتاب الشكر والثناء
محمد علي باشا لخدمته الجليلة التي ادَّاها اولاً وثانياً ولقيامه باصلاح اسطولها وتجهيزه

بيوش لمساعدتها وامره السلطان بتبليغ ذلك لمحمد علي باشا بالنيابة عنهُ

واعد محمد علي جيشه واسطوله الذي كان يستعد لتلبية نداء السلطان . اما الجيش المصري كان مؤلفاً من ١٧٠٠٠ جندي مشاة وسبعمائة من الخيالة واربع بطاريات مدفعية ومدافع اخرى بلاع والجبال وكان الجيش بقيادة ابنهُ الاكبر ابراهيم باشا البطل الشهير . اما الاسطول المصري كان مكوناً من ٩٩ سفينة منها ٦٣ بين حربية ونقالات و ٣٦ تجارية استؤجرت لنقل العدد لذخائر . وكانت بقيادة امير البحر محرم بك على رواية سرهنك باشا (ج ٢ ص ٢٣٩) وبقيادة امير بحر اسمعيل جبل طارق على ما رواه عبد الرحمن بك الرافعي في تاريخه عصر محمد علي (ص ٢٠٢)

اما مسيو دروفتي قنصل فرنسا الذي رأى الاسطول المصري في الاسكندرية وكتب عنهُ انا الى وزير الخارجية الفرنسية في رسالته (وثائق موره التي نشرتها الجمعية الجغرافية وثيقة نم ١٤) فيذكر ان الاسطول كان مكوناً من ٥١ سفينة حربية و ١٤٦ سفينة نقل . قال المسيو ريو ان محمد علي اشترى من اوربا كثيراً من السفن حتى اصبحت عمارته البحرية تشبه الارمادا وهي التي اعدها فيليب الثاني ملك اسبانيا لمحاربة انجلترا في القرن السادس عشر) . ويستمر مسيو دريو في حديثه عنها في كتابهِ (تاريخ اليونان السياسي ج ١ ص ٢٥٧) فقال : ولم ير الشرق لة تدانيها في ضخامتها منذ حملة بونابرت . فكان الشرق اراد ان يغزو الغرب جواباً على حملة اوربا ليهِ . وهكذا تتقلب الاطوار في سير التاريخ (نقلاً عن عصر محمد علي للرافعي بك ص ٢٠٣)

***

وابحر الاسطول العثماني الذي كان بالاسكندرية يوم ٣ ربيع الاول سنة ١٢٣٩ هـ (١٠ يولية سنة ١٨٢٤ م .) . ثم ابحر بعده الاسطول المصري . ومرت هذه الاساطيل على رودس ومنها الى خليج (ماكرى) على شاطىء الاناضول لتلتقي بالاسطول التركي العثماني . وقد عهد الى رجاله طاردة مراكب الاروام (اليونان) التي كانت في بحر الارخبيل والقضاء على القرصنة فيهِ واخماد ورة الجزر . وانزل ابراهيم باشا جنوده في خليج (ماكرى) . واستعد للاقلاع بالاسطول لمصري حتى يتقابل بالاسطول التركي وقد عاد من الدردنيل حتى تقابلا في ميناء (بودروم) على شاطىء لاناضول. وكان ذلك في اواخر اغسطس . ومما لامراء فيهِ ان الاسطول المصري كان اتم نظاماً من لاسطول التركي لما لاقاه هذا من مهاجمة الثوار اليونانيين ولاسيما سفن الحراقات التي كانت تقذف بنفسها سط الاسطول التركي فتحرق منهُ ما تحرق بنارها . ومن ذلك ان الحراقات اليونانية قابلت الاسطول تركي فاحرقت مركب امير البحر وسفينتين اخريين . وتراجع الاسطول التركي جنوباً حتى قابل لاسطول المصري في مياه (بودروم) . وحول اليونان معظم سفنهم التجارية الى سفن مسلحة لاحاطة مياه البحار ببلادهم وكثرة عدد جزرهم عرفت عنهم المهارة الكبرى في ركوب البحر . ولذا لا تعجب اذا عرفت ان لليونان اليوم بحرية تجارية معدودة بالنسبة الى عددهم وصغر حجم بلادهم

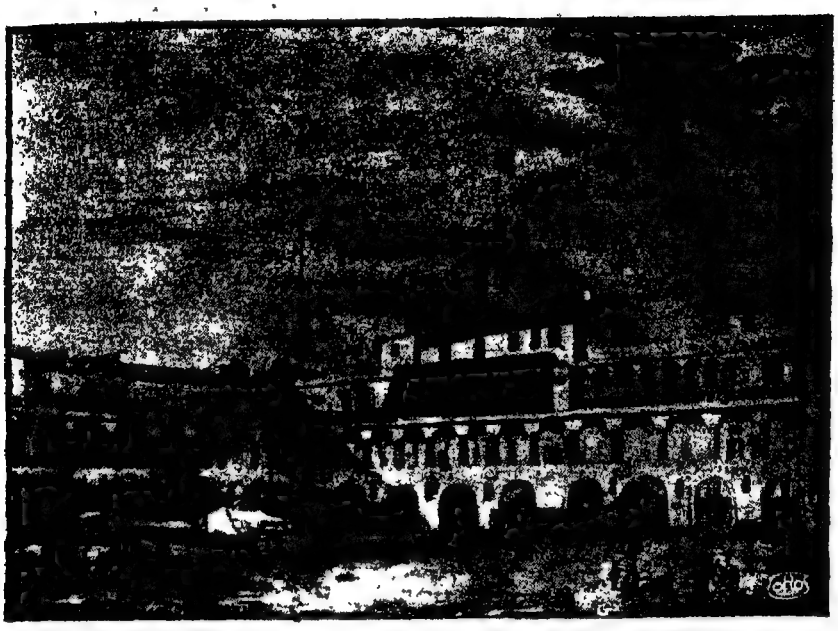

مساكن ضباط الترسانة

رسم مريزي بك

السفينة الحربية ابو قير

رسم مريزي بك

وعلى مقربة من (بودروم) هاجمت السفن اليونانية الاسطولين . وكان قتال بين الفريقين . ففرّ الاسطول التركي من الميدان وتركه للاسطول المصري يصمد امام الاعداء ويضطرهم للتقهقر والفرار. وكان ذلك في سبتمبر سنة ١٨٢٤!

ثم عاد الاسطولان فاتصلا مرة ثانية . وسارا الى مياه جزيرة مدللى ثم تابع الاسطول التركي سيره شمالاً الى الدردنيل . ورجع الاسطول المصري جنوباً . فقابلتهُ مراكب اليونان في مياه جزيرة (سافز) وكانت معركة شديدة غرق فيها مركبان مصريان في اكتوبر سنة ١٩٢٤ . ثم عاد ابرهيم باشا بالاسطول الى ميناه (بدروم)

***

ورأى ابرهيم باشا ان القضاء على الثورة في الاراضي الرومية في شبه جزيرة (موره) . فأقلع الى ميناه (مرمريس) جنوباً . ثم سار منها الى كريت في ديسمبر سنة ١٨٢٤ . ورسا بسفنه في خليج السودة ليتحين الوقت المناسب للسفر الى سواحل مورة . ولننقل هنا ما ذكره مسيو دوين في كتابه (فرقاطات محمد علي الاولى ص ١٢) الذي اشرنا اليهِ اذ يقول :

مضت خمسة اشهر على مغادرة الاسطول المصري الاسكندرية . خمسة اشهر مضت في جهود شاقة ومتاعب كثيرة ومخاطر كل يوم تتجدد . ولقد ابدى ابرهيم باشا في خلال ذلك من الثبات ورباطة الجأش ما يسترعي النظر ، اذ كان يقود اسطولاً مع سفن النقالات . وهي مهمة ليس من السهل الاضطلاع بها . وكان ابرهيم باشا في قيادته اسطولاً مكوناً من مائتي سفينة تقل نحو عشرين الف رجل من جنود وبحارة يضطلع بمهمة كما فعل بونابرت من قبل مع حفظ النسبة بين الموقفين حينما اجتاز البحر المتوسط في اواخر القرن الماضي (يقصد القرن الثامن عشر) بعمارة مكونة من ٢٨٠ سفينة تقل ٣٨٫٠٠٠ مقاتل . واذا عرفنا ان مصر لم يكن لها في ذلك الحين اسطول منتظم ولا تقاليد بحرية ولا هيئة من الضباط البحريين الاكفاء ولا العدد الكافي من البحارة المدربين ، وكان على ابراهيم باشا أن يبتكر وينظم بسرعة كل ما يلزم لحملة البحرية من سفن حربية وسفن للنقل ورجال وعتاد واذ يروّض نفسه على ركوب البحر والقتال بين امواجه واهواله — اذا تذكرنا كل ذلك فانهُ يحق لنا ان نعجب كيف ان الاسطول الذي شده محمد علي امكنهُ ان يثبت امام الهجوم الشديد الذي استهدف لهُ واصابهُ من عدوٍّ لهُ حظ كبير من المهارة من دون ان يخسر سوى سفينتين حربيتين وبضع نقالات . ولاشك ان هذه الحقائق لنا على مضاء عزيمة ابراهيم باشا وعلو همته وتظهر ما كانت عليهِ نفسه من صفات العظمة ومزايا آسة والقيادة . كما ان مواقفه في ميادين القتال ورباطة جأشه في مغالبة المحن تدل على شجاعة برى لا يسع اي انسان الاّ ان يبادر بالاعجاب بها . اه

وتنازع زعماء الحكومة الثورية اليونانية فيما بينهم ولم تصرف اعطية بحارة مراكبهم فاضطر لذلك . وابوا الاستمرار في القتال وعلم ابراهيم باشا بذلك فانتهز الفرصة واقلع بأسطوله من (خا الى ميناء (مودون) في جنوب شبه جزيرة مورة وانزل الجنود الى البر في يناير سنة ١٨٢٥ و لاقى الجند التركي ما لاقى من المصاعب لتشديد الثوار عليهم برًّا وبحراً حتى لم يكن باقياً تحت الترك من المواقع سوى مودون التي انزل فيها ابراهيم باشا جنوده وميناء (كورون) التي يحاصرها اليونانيون

***

وللمواقع البرية التي حدثت بشبه جزيرة مورة مكانها في كتب التاريخ . ونرى ان يكون كلا هما قاصراً على موقعة ناڤارين البحرية ونرى ان نشير الى استيلاء المصريين على ناڤارين نفسها في مايو سنة ١٨٢٥ ودخولهم المدينة منتصرين اعظم انتصار مما جعل اليأس يدب في صفو اليونانيين ووطد مركز الجيش المصري لان ناڤارين ومودون وكورون قواعد حربية هامة يهيمن بواسطتها الجيش على مورة كلها . وقد حدث اثناء حصار المصريين لناڤارين ان امر المصري سفينتين يونانيتين وافلتت بقية سفنهم الى بحر الارخبيل ، وتمكن امير البحر اليوناني (ميولبس من الاقتراب من ميناء (مودون) التي كان الاسطول المصري راسياً بها واستطاعت الحرا اليونانية من اشعال النار في السفن المصرية الراسية خارج الميناء . واشتدت الريح فامتدت الني الى بقية السفن فتعذر اطفاؤها ولم ينج بحارتها بأنفسهم الاَّ بمشقة فائقة وحرق كثير من الـ لذلك . وامتدت النيران الى المدينة نفسها فالتهمت جزءًا منها وتناولت مخازن البارود فنسفتها و بنيانها وهدمت الاماكن المجاورة لها . كل ذلك حدث اثناء حصار ناڤارين فلم يثن ذلك ابرهيم عن عزمه

واستمر على القتال حتى استولى على المدينة ثم استولى بعدئذٍ على ميناء (كلاماتا) استبسال مقاتلتها .ثم فتح (اركاديا) الواقعة على البحر غربي مورة . ثم فتح مدينة تريبولا Tripolitza عاصمة موره في يونية سنة ١٨٢٥ وكانت موقعاً منيعاً للثوار . ثم قهر جمعاً من الثوار وادي ارجوس Argo وعلى معاقل الثوار بوادي (لكونيا) ثم احتل پاتراس . وبذلك اصبح جزيرة موره في قبضة الجيش المصري ما عدا مدينة (نوبلي) . واستنجد رشيد باشا قائد الج التركي بابرهيم باشا وكان الاول محاصراً لمدينة ميسولونجي وقد استعصت عليه . فسار اليها بعد ان وصله الامداد من مصر وحاصرها برًّا وبحراً. وكانت السفن المصرية بقيادة محرم بك فا الجزر الواقعة في مدخل الميناء وحصنها لمنع ورود المدد بحراً الى ميسولونجي والذي تقدم لم الاستحكامات المشيدة على الجزيرة الصغيرة الواقعة امام ميسولونجي هو سر چشمه حسين بك

رؤساء البحرية المصرية وبذلك سهل لهجوم الجيش على تلك المدينة . ودافع الثوار عنها دفاعاً عنيداً وآثروا الموت على التسليم اخيراً فاشعلوا النيران بما كان عندهم من البارود فانفجر . وقتلوا جميعاً . وكانت خسارة الجيش المصري جسيمة . فقد بلغ عدد قتلاهم في الهجمة الاخيرة نحو الفي قتيل . ولكنهم استولوا على ميسولونجي في ٢٢ ابريل سنة ١٨٢٦ . ثم فتح الجيش التركي بعدئذ اثينا بعد حصار شديد فسلمت في يونية سنة ١٨٢٧

وعاد معظم الاسطول المصري الى مصر لاصلاح ما اصاب سفنه من عطب وجاءت السفن التركية لنفس السبب . وضم محمد علي الى ذلك ما كان قد اوصى عليه من سفن حربية حديدة في مرسيليا وليفورن وفينسيا (البندقية) واعدّ مدداً من الجند مكوناً من عدة آلاف حشدهم في الاسكندرية . فكانت في شهر ابريل سنة ١٨٢٧ قاعدة لحملة كبيرة برية وبحرية واستعدت للاقلاع الى بلاد اليونان للقضاء الاخير على الثوار في جزيرة هيدرا واسبتزيا وميناء نولي

واستصرخت جماعات الثورة اليونانية دول اوربا لمناصرة اليونان . وتحرك انصار الثورة من رجال السيف والعلم في روسيا وانجلترا وفرنسا لدعوة الدول للتدخل من ذلك رجال امثال لورد بايرون وفيكتور هوجو وشاتوبريان . وغيرهم . فكانوا يستصرخون الرأي العام في اوربا ويضربون على الوتر الديني الحساس لنجدة اليونان . وقد تطوع لورد بايرون في صفوف الثوار ومات في ميسولونجي سنة ١٨٢٤

وفي ٦ يوليو سنة ١٨٢٧ ابرمت معاهدة لندن بين انجلترا وفرنسا وروسيا للتدخل بين تركيا واليونان على اساس استقلال اليونان الداخلي مع بقاء سيادة تركيا الاسمية عليها . وطلبت الدول وقف القتال بين الفريقين تمهيداً للوساطة بينهما واتفقت الدول فيما بينها على ان يعرض هذا على الباب العالي (حكومة تركيا باستنبول) فاذا لم يقبلها في مدى شهر لجأت تلك الدول الى تنفيذ ما ترى من استقلال اليونان وسلخها عن تركيا بالقوة

واتفقت الدول الثلاث على ارسال اساطيلها الى مياه اليونان لعلم تلك الدول باصرار تركيا على الرفض ولمنع السفن المصرية والعثمانية من الوصول الى شواطىء اليونان وارسال المدد الى الجيش المصري والتركي هناك . فأرسلت انجلترا الى بحر الارخبيل اسطولاً مؤلفاً من ١٢ سفينة حربية بقيادة امير البحر ادوارد كودرنجتون Codrington . ثم ارسلت فرنسا سبع سفن بقيادة امير البحر كونتر اميرال ريني Rigny . ومن بعدهما وصل اسطول روسي من بحر البلطيك متأخراً وكان مكوناً من ثماني سفن بقيادة امير البحر كونتر اميرال هيدن Heiden وانضمت الاساطيل الى بعضها البعض بقيادة امير البحر الانجليزي

« في العدد القادم وصف معركة ناقارين البحرية »

بيير لوتي

وصفحة من حياته على شواطىء البوسفور

ليوسف البعيني

قبلَ أن ينحدر بيير لوتي، ذلك الكاتبُ الرقيق والشاعرُ الحسّاس، إلى ظلمة قبرهِ بأيام، ب شبحُ الفنّ مكبراً فجيعةَ المثل الأعلى بسكوت يراعهِ وتلاشي أنفاسهِ . . انتشر في أندية س الأدبيّة كتابٌ اصفرُ اللون تبطّنتْ سطوره وحواشيه بأهواءِ هذا الفنّانِ العجيب كريات لياليهِ الماضية

لقد كان بيير لوتي ضنيناً بهتك اسرارهِ واباحة تذكارات غرامهِ . وهكذا لم يودّعِ الحياة دون طلع هؤلاء المتقوّلينَ فيهِ شتّى الأخبار والا كاذيب عن مكنون قلبه، ذلك القلب الرقيق شّح بكلِّ ما في الحياة من نزعات وحبّ وصبابة . . فنشر كتابهُ الأصفرَ اللون وأفعم كلّ من كلماته بمرارة روحهِ وضباب أحلامه

ولم تكنْ تلك الحرارة سوى عاطفة شجيّة محزنة تغلغلتْ في اعماق القلوب ولم تقوَ على محوها ت القبور ونكبات الحياة !!

***

كلما تصفّحتُ هذا الكتاب وتكشّفتُ أسرارهُ الراغية بلذّة الهوى ومعانيه الممرعة بنشوة ام، تعتريني رعشةٌ روحية مجهولة فأستغرق في سباتٍ عميق بعيد القرار مستعيداً للفكر احلامَ مي المبعثرة في وادي الحياة تبعثر الاوراق الواهية في فصل الخريف

وأروع ما في تلك الصفحات هو ذلك الوصف الساحر الفتّان والوجد الغائر المعصفر بصفرة بة واليأس والحنين

فالشمس وقد آذنتْ بالرحيل فغابتْ وراءَ حُجُبِ الابدية تاركةً على ثغرِ الافق المتورّد قبلةَ اع، كما تترك العابدة المفتونة لهاثَ صدرها على شفتيْ حبيبها

والمساء الصامت الحنون يحتضن الطبيعة ويسربلها بسكينة ساجية رائعة ..

والليلُ يمرُّ في الحقول والاوديةِ منغّماً على مسامع الاشباح تذكارات الماضي الدفين ..

والنجوم تحدّق بلوعة وحزن وحيرة كأنها مواكبَ المأتم تبكي حولَ نعش الحبيب ..

اولُ الحسن والجمال تنسابُ بين الأودية والصخور موقّعةً على اوتار الدجى بلايا روعها وصدرها المكلوم

.. الشمس ، والمساء ، والليل والنجوم والجداول ، وكلُّ ما يلمس الروح بأنامل الشعور ن .. يصفها بيير لوتي في كتابهِ اللطيف . وأنا عند ما أُصغي الى موسيقى تلك العبارات التي أبدعتها ريشة الكاتب الفنّان ، يغمرني ضبابٌ سحريٌّ غريب فأبيتُ في باطفة كما تبيتُ الزهرةُ المقدَّسة في ظلالِ الهياكلِ القديمة

***

م الكتاب (حَياة عابر) فما أَروع هذه اللّفظة وما أشجاها ! !

عرفَ الكاتبُ المبدع اوقاتاً عذاباً مُسكرة في ممارع الشرق وتنسَّمَ من ربوعه ومروجه ـرٍّ مهفَّف استقرَّت بينَ حوانح روحه . فكانَ كلما تنشّق عبيرها ، وهو في باريس ، عينيه دمعةً أَجيجة محرقة وتُغشي في روعِ يراعهِ اطيافَ الشوقِ والحنين

مَنْ كانَ لهُ ما كانَ للكاتبِ الشعريِّ الملول من صفحات غراميَّة رقيقة لا تُمحى لا تتبعثر رسومها على ضفاف البوسفور ، استكثرَ من تذكّرِ الماضي الحبيب الذي يعود . واستزادَ في بكاءِ تلك الليالي التي مرَّتْ في ضوءِ القمر راقصةً على رنات المياه سها نَسيمُ الليل بلثماتهِ ودغدغته

، أعلم كيفَ كان موقفُ البوسفور عندما عقل الموت ريشة بيير لوتي وعاث نه . فهل تألم الخليج الساحر الجميل لموت الصديق المخلص الوفي ، وتململ الماء ملتاعاً سخور والربى وفاة الكاتب الرسّام الذي أَحبَّهُ حبًّا لا شكيكة فيهِ ؟ من يدري . لقد إضي كثيراً . وكانت لهما ساعات شفَّها لوجد بشكواه ، ومواقف أَضناها الهوى

كاتب من عشاق الشرق ومحبّيه إلاَّ كتب عن البوسفور واصفاً تلك الزهوة العلوية لى الخليج الجبّار . أما بيير لوتي فقد أبدع وأجاد في ما كتب ووصف ، ثم ترك عنهُ بة ترويها العاطفة ويغذيها الشعور والاحساس

نسّى وهو يختم انفاسه الاخيرة تحت سماء باريس ويُودع حياته في قبضة الردى ، لو وسفور جميعهم وراءَ نعشهِ . وأوصى أن يفرشوا في تربة قبرهِ زهرة من تلك الازاهير ة على ضفاف الخليج الذي كان يشكوا اليهِ اسرار فؤاده وخبايا خياله

***

حة التي أريد أن استشفها من حياة بيير لوتي على شواطىء البوسفور ولا استطيع لما

يسترقّني من لاعجة وصبابة ، فهي هذه المقاطع الرافلة في حلَل وضاءة من الجمال . وحسبك أن تقرأها فتنخضل عينكَ بالدموع وتبعث في الروح ذكرى الامس الدفين

الصيف جميلٌ في كلِّ مكان لكنّهُ في تركيّا اكثر من جميل . هو حلمٌ مجهول ينبعث من صدر الطبيعة فيغمر النفس بالشوق والحنين . . وفي ليلة من تلك الليالي الصافية البيض خرج لوتي يمرح على شواطىء البوسفور وينعم بمرأى الماء يلونهُ القمر بضوئهِ الفضيِّ الخالب . وفيما هو يبثُّ خادمهُ الامين (جميل) شعورَ روحهِ واحساسها لامسته اشباحٌ خفيّة واحلام لذيذة

وظلَّ يتذوق هذه الكأس المسكرة ويمتع عينه بمنظر الامواج يزينها النور بأكاليل الفضة حتى ايقظه جميل قائلاً ان الاميرة النبيلة « د . . » ترغب في ان يسامرها ويسكب في فمها خمرة الحبّ والحياة . . وما هي الاّ برهة حتى اقلعَ العاشقان يداعبان الحياة على ضوء القمر

مرَّ زمنٌ والاثنان يأنيان كلَّ مساء الى تلك الاماكن الشعرية الهادئة ويودعان في الخضمّ اسرار قلبيهما . وفي ذات يوم علمَ والد الاميرة بحبها لذلك الفرنسي الانيق فأنذر ابنته بالرحيل عن البوسفور

وهكذا قضت الاقدار العاتية ان يفترق ذانك العاشقان فلا يلتقيان ابداً . وقد آلم هذا الافتراق الكاتب العاطفي ألماً عميقاً وجرحه في صميم قلبه . ثم اشتدَّ عليهِ الغرام فكان يصرف ايامه ولياليه دائماً في تلك الربوع المحتفظة بآثارها والشاهدة على ايامها الماضية

اثرت هذه الحادثة في نفس الخادم جميل فمضى يبحث عن حبيبة سيده الكاتب . وفي ذات يوم عاد حاملاً منها كتاباً جاء فيه ما معناه : ايها الحبيب

لا تغضبْ عليَّ يا « بيير » ولا تنسبْ اليَّ الخيانة . لقد فارقتك مرغمة ، وكان بودي ان ابقى قربك لاقاسمك لذة العيش وخمرة الحياة . . ولكن ما العمل ! بهذا حكمت الاقدار

اني ابكي الآن ايها الحبيب ، وفي دموعي حرارة لاظية تحرق فؤادي وتؤلمه . . اريد ان ابوح لك بغرامي . . وان عاشقة مثلي موهلة تفارق الحياة لاجل حبيبها لتستطيع الاعتراف بغرامها . . لقد احببتك حتى آخر ساعة من حياتي . . ابعث لك بخصلة من شعري لتذكرك بي كلما لج بك التذكار والحنين ! !

ويقص لوتي هذه الرواية بغصة موجعة لا يمحوها الدهر . اما جميل فلم يكن خادماً بسيطاً لا شأن له ، بل كان اديباً ذكيًّا وافر العلم والتهذيب يدعى جميل بك [1] . وقد ركن الى هذه الحيلة ليقف على عبقرية الكاتب الحساس ويستلهم روحه المغمومة بالاسرار والتذكارات

وبقي امر جميل مكتوماً على بيير لوتي حتى اواخر ايامه . واعتقد ان من اطلعه على خبية جميل

(١) في مذكرات جبران خليل جبران حديث عن جميل بك . وقد كانا يتبادلان الرسائل . وهذه الرسائل تدل على ان جميل بك هو اديب لبناني متكتم ! (المقتطف : يقول احد اصدقاء جبران ان لا علم له بمذكرات جبران ولا يظن ان له مذكرات لهذا الحال لو جلا الكاتب هذا الامر)

ر شاعرنا الكبير جبران . وقدعثروا بين اوراق النابغة الفرنسي على كتاب لطيف . اليك بعضه:
لقد عرفتكَ يا جميل خادماً وفيًّا وصديقاً مخلصاً تركتْ صداقتهُ في حواشي قلبي أثراً شـيّقاً.
كَ أَسَأْتَ إليَّ كثيراً بما خلعتَ على شخصيتكَ من غموض واسرار . وعند ما اذكر تلك
ي التي كنت آمركَ فيها تتملّكني مرارة قاسية مفعمة بالخجل
ا الاميرة الحبيبة التي عرفتها على شواطىء البوسفور فقد اذبل موتها ازاهير آمالي واحلامي
الآن ابكيها بلوعة وكآبة . ارجوك يا جميل ان تكتب إليَّ وتخبرني هل كان ذلك الخليج يحنُّ
كر ايامي الماضية ! !
المنيَّة ترفرف حولي يا جميل . وعن قريب يجرّدُ الموت أغصانَ احلامي المورقة ويمدّني في
ضريح . فهل تبكيني يا جميل وتذكرني بكلمة عذبة رقيقة ؟ من يعلم . . . فالوداع يا صديق
. . »

***

عةُ البليلة التي تسكبها العين في ساعةِ اليأس والحنين . . والقُبلة المريرة الدامية التي يطبعها
لى ضريح من يُحبّ . . والسرير الذي يحتفظ بنفحات حبيبة محتها الاقدار من الوجود..
الراقصة على انّات الرباب في ضوء القمر . فالزفرة التي تطلقها الروح وقد فجعتْ بأعزّ
فالأملُ الخائب والرجاء المتلاشي . . والابتسامة الجافّة على شفتين موردتين ! اتلمسها
نابات بيير لوتي واقواله
يوم فيرقد هذا الناسك الشعريُّ العجيب رقدتهُ الاخيرة في مقبرة من مقابر باريس .
سرار بعد مماته كما اكتنفتهُ السآمة في حياتهِ . فهل تأسو الطبيعة جراح وحدته
نهُ المساء بردائه
حهُ النسيم عند ما يهبُّ في الصباح
ه الزنابق عند ما يفوح عطرها
ره اطياف الليل بعد ان يعانق الكرى ابناء الحياة
، الله في قلبهِ زهرةَ التعزية قبل مجيء الربيع وحلول ليالي الافراح ؟ من يدري . .
رق المتحفّز الآن لتلمُّس المثل الاعلى في القلب والروح ، لفي حاجة عميقة الى أن يقرأ
، ويتفهّم اسراره وحواشيه . وهذه القافلة الادبية السائرة الى الموت تخطى متناسقة
ن تطلب الحياة في كتب بيير لوتي ورواياته التي وهبها بحبّ الشرق وغذّاها بجماله

البرازيل يوسف البعيني

الإغراق في الثورات

مقابلات في فلسفه التاريخ والاجتماع

لسليم مباطة

عندما نقول « الثورات » يجب ان لا نقصد الفترة القصيرة التي احتدمت فيها معاركها الفاصلة، بل حقبة النضال الطويلة التي تقدمت تلك المعارك أو الحقبة الطويلة التي عقبتها وقبض فيها الثائرون على الحكم وحققوا افكارهم. كذلك يجب ان لا نحصر انفسنا في تلك الفكرة المبتذلة التي تسيء فهم الثورة ولا ترى فيها الاَّ انهاراً من الدماء المسفوكة وصوراً مروِّعة من الهيجان والفوضى وطوفان الكراهيات المدمرة ، بدلاً من ان تتجلى لها فيها الانقلابات الاجتماعية العميقة ، ومشاهد الصرح التاريخي الذي يتدرج عليه الانسان نحو تحقيق خيره وخير ابنائه ، او التعبير عن مطالب جماهير بشرية معذبة قد تتحقق لها تلك المطالب في ثوراتها وقد لا تتحقق ، وقد تتقدم بها نهائيًّا او تتوقف او تتأخر لوقت فحسب . غير اننا ايضاً يجب ان لا تفوتنا ملاحظة خاصَّة رافقت معظم الثورات ؛ وهي خاصَّة الاغراق. فان كل الثورات أغرقت في بعض ما قامت ضده . تعدَّت حدود النقمة على ما في عدوها من شرور الى الوقوع في شرور تقابلها ، والاصابة بالعمى او التعامي عن ما قد يكون في تلك العدوة من خير ، مبتعدة في الجملة عن هذه الفلسفة اليونانية الرصينة ، العاقلة التي كانت تعبر عنها لفظة « الاعتدال » . اقول كلها — مستثنياً فقط ثورة العمال والفلاحين في بلاد الروس . والآن خذ على هذا الكلام بعض الأمثلة :

تطرفت الحركة المسيحية في كره وثنيات العالم الروماني ورذائلها التَرَفيَّة (من تَرَف) حتى مال بها تطرفها الى الناحية المقابلة . ولنسق كشاهد على هذا الادعاء مظهراً واحداً مما انطبعت به تلك الحركة ، هو المظهر المختص بالعلاقة بين الرجل والمرأة . فقد كان حبل الطلاق والانفصال بينهما رخواً جدًّا عند الرومان ، وجاءت المسيحية فانقلبت على هذه الرخاوة انقلاباً « طبويًّا »[1] مغرقاً حتى جعلت الطلاق مستحيلاً او شبه مستحيل . كانت العلاقة بين الرجل والمرأة على انحلال عرفي وقانوني في « الأخلاقية » الوثنية[2] ، فصارت على جمود وانحباس ديني مضن في الأخلاق المسيحية

---

(١) من « طبو » المقابلة لـ Taboo ، وتعني « المقدس » او « المحرم » من الاشياء عند الهمج ، وآثارهم عند المتمدنين

(٢) يستثنى من هذا علاقة الامة بسيدها والعبد بسيدته ، اذ انهما كانا مرتبطين بمولاهما ارتباط عبوديه مطلقة ، حتى اذا كانا يستعملان للاستيلاد او الالتذاذ الجنسي ولم يكن بوسعهما ان يمتنعا عملياً عن ذلك بطريق الانفصال لعدم الاعتراف بقدرتهما عليه

ان الشكل الوثني لهذه العلاقة رذيلةً وشرًّا ؛ بمعنى أنها مضرة ، فصارت الى ما يماثل هذا في شكلها الجديد في العهد المسيحي

ان الدَفَّة التي ساقت سفينة العلاقة الزوجية في الحالين معاً كانت دفة نظام الفردية والملكية الخاصة المطلقة في صورتهِ القديمة . وإذ قامت كل الثورات الناجحة في الماضي بدوافع مطامع الملكية وردها [1] واخلاقها وغاياتها ، فقد ارتكبت كلها تطرفاً أهوج ينتج عن اعتبار حرية التنافس والتحارب من اجل استعلاء الفرد على الفرد واستغلاله ، ومن ثمّ طبقة الافراد المستعلين على طبقة المستضعفين واستغلالهم استغلالاً قانونيًّا ومقبولاً وطبيعيًّا . ذلك لان اعتبار هذا الاستبداد والاستغلال لشيءٍ دائماً يقترن في النفس بنزعات التطرف والاغراق في امداد الانانية بمطامعها ، في سبيل هذه المطامع بكل وسيلة . وهذه الانانية الفردية ، الإباحية المطامع ، كانت تجعل الرجل مالكاً للمرأة عند الرومان يرميها عندما يحلو له ، الاّ اذا كانت غنية وذات اسرة قوية تشد ازرها فترميه بذلك ساعة يحلو لها هي . ثم ان نفس هذه الفردية الاباحية في الملكية المطلقة للقوي او للغني ظهرت عند المسيحيين فقيدت المرأة بالرجل تقييداً لا انفصام لهُ

خذ مثلاً آخر :

كان تراخي العلاقة بين المرأة والرجل قبل الثورة الفرنسية من مميزات النبلاء الاقطاعيين ، الحائمين حول البلاط كالفراشات الزاهية ، حتى ان شاعرهم «لافونتين» كان يتهكم في اشعاره «اقاصيص واخبار [2]» البون بورجوى » (اي البورجوازي الطيب) لتماسك اخلاقه الجنسية . كان هؤلاء النبلاء على هذه الحالة رغم القيود المسيحية التي صارت في بيئتهم الى وجود شكلي . ولكن بعد ان نشبت الثورة الفرنسية الكبرى ، وكانت نتيجتها ان فازت البورجوازية واستقرت (وهي طبقه من الاقلية استخدمت جماهير الشعب وطبيعته بنزعتها الخلقية ، متوسلةً بهِ دائماً الى جعل نفسها اقطاعية جديدة مؤسسة على رؤوس الاموال بدل الارض ، افلتت من قيود الزوجية المسيحية التي كانت تتربط بها نوعاً ما قبل الثورة ، وراحت تخلق برخاوة النبالة الاقطاعية ، ممعنةً مغرقةً في هذا التخلق ، متخلصة بعنف وسرعة وهوس من قيودها السابقة ، مرخية الحبل لاهوائها وغرائزها ارخاءً كاد يكون جنونيًّا احياناً . كانت كأمها بذلك مما كانت تجد في الاقطاعية ، وفي اخلاقها المسيحية الخاصة سابقاً ، من ضغط وكبح لفرديتها و«حق» تملكها وتحقيق مطامعها . وهكذا نجد عداوة القائمين بالثورة لسالفهم قد شبهم الى الاغراق في التشبه بهم كما حدث بالمسيحية الاولى الى الاغراق في الابتعاد عمن سالفهم. ونجد ايضاً نجد نزعة الاغراق هذه من مميزات الثورات القديمة الناجحة التي كانت تدعو اليها

---

[1] يقول ماركس وانجلز في بيانهما (عام ١٨٤٨) : « كل الحركات التاريخية السابقة كانت حركات الاقليات، او حركة الاقليات » . (ص ٢٠ — طبعة « مارتن لورانس » — لندن)

[2] الخبر لغة في الرواية ، ولذا ترجمنا اسم أشعار "Contes et nouvelles" كما ذكره

مصالح الطبقات الطالبة السيطرة ، وان هذه الثورات تشابهت ضمن نطاق نظام متشابهٍ في صور المتنقلة ، لما يقوم عليه من اسس ومبادىء اباحة التنافس الفردي والتملك الخاص ، من ارخاء العنا بالتالي للمطامع والشهوات في ميدانٍ حُرٍّ رَبُّهُ القوي او الغني

غير اننا اذ ندرس ثورة العمال والفلاحين ، التي تختلف بصراحة عن جميع الثورات القدي الناجحة اختلافاً جوهريًّا من حيث انها لم تقم بدافع من دوافع طلب السلطة على اساس التنافس الفردي ، او دوافع نقمة مظلومين حائرين متمردين فحسب (كحالة الثورة السبارتاكوسية ضد اسيا روما او حرب الفلاحين في مفتتح عهد الاصلاح اللوثري في المانيا) ، بل اشتعلت من اجل محو كا سلطة استبداد وتملك واحتكار فردي او طبقي — نعم ، اذ ندرس هذه الثورة بدقة وحياد علمي نجد ان ذلك الميل الى الاغراق في الهوى الاناني الفردي لم يكن ليظهر الاّ بصور عرضية ، وقتية زائلة ، لم تكن الاّ من بقايا النزعة الخلقية في العهد القديم . وما ذلك الاّ لانها كانت ثورة ترمي إ عقل المطامع الفردية — الاّ لان هذه المطامع وثوراتها وحركاتها ونظمها هي التي تتنافى معها الاشياء دائماً غير وقتي وغير عارض ، كلُّ المظاهر الهوج والانحرافات المتطرفة والفيضانات الطغيانية المشوه سواء كانت عقلية او مصلحية او عصبية او فنية او اخلاقية او حتى — علمية ! هذا الذي كان يدّعي البورجوازيون انهم يضعونه على الحياد قبل ان تجيء الفاشستية وتعلن الحقيقة !

***

لقد كان من جملة خواص ثورة العمال والفلاحين في بلاد قياصرة الروس انها لم تعمد الى الهجو الحربي الايجابي والتعلق بالفتك الدموي . بل بادرتها بهما البورجوازية والاقطاعية الروسية والعالم المتحدتان . انها لم تتطرف ، كحال الثورات السابقة ، في نبذ كل ما كان في النظام العتيق ، بل عملت على الاحتفاظ بخيره ونبذ شره ، متحذرة من الوقوع في الرذيلة الاجتماعية المضرة بدافع الكراهية او البغض الاعمى . انها لم تنتقم من اعدائها باصطناع نزعتها الخلقية ، كما فعل بورجوازيو الثورة الفرنسية او الابتعاد عنهم الى الطرف الآخر النائي . بل تمسكت بوسط معقول

ولما كنا اخذنا العلاقة بين الرجل والمرأة مثلاً نتكلم عنه في الثورتين المسيحية والفرنسية فلنتكلم عنها الآن بصدد هذه الثورة الثالثة . فان العلاقة بينهما لم تتخذ في هذه ، بعد تسلّ العمال والفلاحين السلطة ، لا صفة الانحلال الاقطاعي البورجوازي ولا صفة الارتباط الطبوي المسيحي الشديد . فلما قام بعض الشبان المتحمسين ، الذي كانوا لا يزالون متأثرين بشيء من النزعة العقلية في النظام الراحل ، بمظاهرات يدعون فيها الى خلع كل حائل يقوم في سبيل الاجتما المطلق بين الجنسين ، وراحوا يزينون صدورهم بأشرطةٍ كتبوا عليها عبارات مثل « ليسقط الحياء » ، هَبَّ لينين ورفاقه الى عقل هذه الموجة الهستيرية والى تنبيه اولئك الشبان الى خطأهم العظيم ، وتبيان الشرور الكامنة في الاغراق في الاهتمام بالاجتماع الجنسي

وان هذا ككل شيء آخر يجب ان يتبع نظاماً مفيداً ، نظيفاً ، جميلاً ، يجمع بين مطالب الثقافة وحاجات الحياة . وحاضر لنين وقتئذٍ محاضرات قوية بديعة في الموضوع ، وحدّث شيخة الثورة ، رفيقة الالمانية « كلارا زتكين » حديثاً طويلاً جاء فيهِ ما معناه : « اي انسان عاقل لا يأنف من الشرب من كأس شرب منها اناس قبله »

ثم لما ظهرت في تلك الثورة ، من الناحية الاخرى ، دعوة الى نوع من الزهد « الرهبانية » المنحرف تقول بعدم وجوب وجود « الكومفور » [1] في حياة النظام الجديد ، أجاب ستالين وأولئك بالنيابة عن الحزب الشيوعي الدعاة في المؤتمر السابع عشر للحزب المذكور . بتسخيف نظرتهم هذه ، وبإفهامهم ان العمال والفلاحين وعلماءهم يفتجون بالاشتراك اكبر قدر ممكن من المستهلكات وسائل الراحة ليوجدوا للانسانية سعادة التمتع بما تنتج . وهكذا نرى التعقل الرصين الذي اخذت به ثورة العمال والفلاحين ، التي لا تميل مع مطامع فردٍ او طبقة من الافراد القليلين ، او تطبع بطابع نظامهم الذي تسود فيهِ العقلية التي تقبل إشباع الشهوات والمطالب الاستبدادية الرخي لها العنان كشيء ، ليس فيهِ إدّ عظيم أو كثير ما يقال . بل تميل الى إراحة المجموع الاكبر ، من بعده المجموع كله ، وتنظيم علاقاته بعضه بعض تنظيماً معتدلاً ، فضيلاً ، صحيّاً ، ونظيفاً

***

ومما يحضرني الآن من المقابلات مقابلة خطرت لي بين موقف كلٍّ من ثورة تركيا الوطنية الثورة الشيوعية الاجتماعية من اللغة . فان تركيا ، التي ما زال طابع البورجوازية على ثورتها الناهضة روي الدمغة ، قد إنحرفت في مجال اصلاح لغتها الى ناحيةٍ في تفقيرها . الثورة التركية الوطنية على قٍّ من الناحية القومية الوطنية في محاولتها قطع كل دابر للتأثير السيء الذي كان لهُ ان يفيض من بقايا لحياة العثمانية ، ومن استطراد العلاقات السابقة مع سائر اجزاء الدولة العثمانية . غير انها ، كما يبدو لي رقت في ذلك حيث مالت الى التخلص من الكلمات الفارسية والعربية التركية . فَلَخيرٌ للغة ان يكون لاهتمام في ابداع كلمات جديدة وفي استعارتها من لغات حية ، اكبر مما يكون في إضاعة الوقت العمل على قتل الكلمات التي تموت من نفسها اذا لم تعد مفيدةً أو ملائمة للحياة التركية الجديدة ، تبقى حية اذا كانت تفيد او تلائم . ان الثورة ابدعت واستعارت ، ولكن كان عليها ان تبدع تستعير دون ان تتحمس في القتل . ذلك لانهُ كلما كان في اللغة الفاظ حية مستعملة (ولا يكون تعمد في احياء الميت منها مفيداً ، كما تفعل الجماعات اللغوية في الغالب) مهما كان مصدرها ، أثرت لغة وآلانت من نفارها وأسلست من قيادها وساعدت العلم والادب والفن والثقافة على الارتقاء ،

(١) اي التمتع بأسباب الراحة والطمأنينة الجسدية ، التي تهيؤها الوسائل والمخترعات والاتجاهات المتوافرة في الحضارة الصناعية والزراعية العظيمة في العصر الحديث

وسهلت العمل على اصحابها . ليس كل ما في الماضي مما يحسن بنا او مما نستطيع قذفه في سـ المهملات ، وليس كذلك ، كل ما فيهِ مما يحسن او يستطاع عدم قذفه في هذه السلة المباركة !

***

اللغة وآدابها اثمن ما ننتزعه من الماضي لفائدة الحاضر ورفاهه . وكيفما كانت هذه اللغة ، فلا تبقى تراثاً موهوباً يحسن بنا ان يُترك تحسينه وتجميله من جهة تنقية ما لا يصلح استعماله فيها لتطور الاجتماعي ، الذي يغني عن جهود الدكتاتورية في ذلك ، بل ان قيام النظام الجديد يحتم وقوع هذا التطوُّر

وهذا خيرٌ من ان نعمد الى التقطيع والتشذيب تشذيباً او تقطيعاً اصطناعيًّا يفقر ذلك التراث اكثر مما يغنيه . ثم ان اللغة هي الشيء الذي يجب علينا ان نوسع فيهِ ما نستطيع ، مجال تنازع البقاء وبقاء الأنسب . لندخل الى اللغة كل ما يمكننا من الالفاظ ، حتى ما لا يلزم او ما لا يبدو لازماً ، ثم لنترك المجتمع ونظامه وحاجته تنتقي منها ما يلزمها . وكلما رقّينا المجتمع ورفعناهُ وحررناهُ ترقت اللغة وتقدّمت وتحررت من تلقاء ذاتها ، لانها أداة المجتمع في انتقائهِ وتابعٌ يمشي معهُ

وما الضرر في ان يكون لكل معنىً مترادفات عدة ، واحدة من جذر عربي ، واخرى من اصل فرنسي ، وثالثة من سلالة طورانية ، مثلاً ؟ ان ذلك يعمق تربة اللغة ويسمّدها ، يسهل استعمالها على الشاعر والعالم والكاتب ، اوعلى الشعب بأجمعه ايضاً . اما اللفظة الجافة ، غير الصالحة ، فتموت من نفسها . وما اكثر ما في العالم اليوم من اكاديميات ومجامع لغوية قد تكون اقل تماوتاً من جماعاتها اللغوية ، ولكنها مع ذلك تحاول الوقوف احجار عثرة بحصر الالفاظ في مصدر واحد هو المصدر القديم «العرقي» او العنصري الصبغة (لاتيني ، عربي ، ايراني ، طوراني ، فرنسي ، الماني ، انكليزي . دون تطور اللغات و « تموُّلها » من المصدر العامي الذي هو اغزر ينابيعها والخالق الاول للالفاظ ومن مصدر اللغات الاجنبية الذي تستفيد جميع اللغات فيه بعضها من بعض كانما هناك تعاون بين على التقريب بين البشر ، او تعاون بين البشر على التقريب بينها ؟ لكن هل جمود هذه المجامع واختصاصها في التحجير والاصطناع المتكلس يحول دون تطور تلك اللغات تطورها الطبيعي الاجتماعي ؟ كلاّ ! وهذا اقرب برهان على ما اقول تجده في اخفاق مجامع لغتنا العربية بوجهٍ عام كأن همها نشر الجهل وصد الشعب عن سبيل التعلم ، كأنها موكلة بقطع اقنية الاغتذاء عن لغتنا المحبوبة وفصم علاقتها بالحياة . ان احداً لا يلتفت الى محاولات هذه المجامع التفاتاً جديًّا والالفاظ الثقيلة التي تخترعها لا يستعملها سوى نفر من اعضائها ولا يقرأها سواهم . اما في بقية العالم ، فمثل هذه المجامع موضوع للتفكهة عند المفكرين ، وموضوع « مرحي » عند الشعب اذ لا يدري بوجودها

والآن ، وهذا هو امر اللغة ، نرى ان الثورة التركية الوطنية قد انحرفت ، وهي في سبيل القيام باصلاحاتها العظيمة ، عن جادة الصواب في شأن لغتها بمحاولة احياء الرميم واقصاء الحي . ولقد انحرفت في ذلك باغراق ينتج ضرراً للغة التركية . ولكن ما الباعث على هذا ؟ الباعث هو ان الثورة التركية كانت حتى وقتٍ بورجوازية ، قائمة على اساس فتح السبيل للتملك الشخصي واباحة الميدان لنمو الثروة الفردية ، لنمو التجار وأصحاب الصناعات الناشئة ومن اليهم . ذلك انهُ لما كانت البورجوازية التركية قد وجدت نفسها في حالة حرب مع بورجوازيات اجنبية ضخمة تحاول سلبها ذلك السبيل والميدان ، فقد عمدت الى استخدام كل وسيلة لتأمين مصالحها الخاصة . ومن هذه السبل ، عدا الاصلاحات الانشائية الواسعة ، المفيدة للبلاد عموماً ولها خصوصاً ، كان ذلك « الاصلاح » اللغوي الذي لم يكن في الحقيقة اصلاحاً بل « وسيلة » . وسيلة لاثارة روح الوطنية في الشعب ضدّ الاجنبي الخطر المصر ، المعادي لنهضة الاتراك . والروح الوطنية حقةً وفضيلةً كانت كمالتها في تركيا او الحبشة مثلاً ، او ظالمة ورذيلةً كانت كمالتها في المانيا وايطاليا مثلاً ، هي التي تعتمد عليها كل بورجوازية كأساس وقوة لتحقيق مطالبها او مطامعها

***

وقد يكون (وغالب الامر كذلك) أن مصلحة الطبقات العاملة في تركيا كانت في ان لا تعارض بورجوازيتها في غلوائها طالما انها لا تزال وطنيةً دفاعية مناهضةً للاستعمار ، فتتقي هذه الطبقات بذلك غائلة البورجوازيات الاستعمارية التي ترمي الى التسلط على جميع الاتراك بالسواء . كذلك قد تكون في جانبها فائدة موقتة ، هي نتيجة لحالة سيادة النظام الاستعماري في معظم العالم (وهي سيادة تسير نحو الاندثار بسرعة لخروج الاستعمار عن مصلحة الجمعية عموماً وعدم استطاعته تأمين حق البقاء لها ، الامر الذي يعاكس ارادة الجمعية واعمق غرائزها ومقاصدها) ، فلا تأسف كثيراً تطرف بورجوازيتها الفتية في قطع كل صلة باقطار اخرى لا تزال محنية الهام لاناس يحكمونها بالحراب باسم الاديان والتمدين

لكن عندما تقوم الطبقات العاملة في تركيا بثورتها الصافية ، الخالصة من كل ضرورة قاهرة تفرضها عليها طبيعة التحارب في النظام الذي لا يزال صاحب الصبغة الظاهرة في اغلب المجتمع — انها عندذاك تعامل لغتها بغير ما تُعامَل بهِ اليوم من الاغراق في جزّها . انها عندئذٍ تسير السير المعقول ، المتئد المفيد الذي حُتّم على ثورات الطبقات العاملة ان تمشي على صراطه بطبيعتها الانتاجية ، المناقضة لكل تخريب وغلوٍّ في اهواء المصلحية الفردية

هنا نصل الى قمة المقارنة التي قصدناها ، لان هذا الصراط المستقيم عينه هو الذي سبقت الطبقات العاملة الروسية فحقيقتها التركية الى السير عليه ، هو الدرب والخط الذي ابانه زعيمها ولسان

عالمها ، لنين ، بوضوح ودقة ، في تعاليمه . ذلك ان فريقاً من الناشئة اغرق أيام الثورة الاولى في محاولة تجديد اللغة كما كان اغرق زملاؤهم الآخرون في مسألة علاقات الجنسين . لقد كان هؤلاء الشباب لايزالون تحت تأثير شيات تتلاشى من عقلية التطوّح البورجوازي ، تلك النزعة العقلية التي تميل الى المغامرة والمغالاة في كل شيء من دون تدقيق الحساب تدقيقاً جامداً سلبياً لغير المصالح الفردية والطبقية الضيقة التي تملك قيادتها . لذا كانت هذه الناشئة يومذاك تتحمس في تمردها على القديم حتى حدود نكران كل شيء فيه ، حتى الحد المضر غير المعقول في نكران لغتها ، في الاستسلام الى النقمة العمياء على طائفة كبيرة من الفاظها واساليب تعبيرها وامثالها وقواعدها ، وبالايجاز : من كل هذه الذخيرة اللغوية العريقة ، التي يخلقها تطور عصور طويلة دع عنك اجيالاً متراكمة من الاختبارات والتحسينات وتكوّن النفسية والعقلية الشعبية ، التي خلقتها وهذبتها جمعية انسانية بأسرها التي صفّاها تاريخ كامل لشعب كامل في غربال العظيم

***

فلما رأى لنين هذه الميول الفوضوية ، المؤذية والسابقة لوقتها ، راح يخصص وقتاً ، وهو غارق مع رفاقه في بحر مُصطخبٍ من مهامّ الدولة الجديدة ومشكلاتها لدرس المسألة ودحض حجج تلك التهور الذي وقع فيه الشباب الفائزون . وانني كثيراً ما اتذكر قول هذا الرجل في كتابه « الدولة والثورة » :

« لكن الحياة ترينا في كل خطوة من خطواتها ، في حيّز الطبيعة وحيّز المجتمع معاً . أن ناراً من الماضي تبقى في الحاضر . لذلك لم يكن ماركس متحكماً لما أدخل شيئاً من « الحقوق ورجوازية » في الشيوعية . بل انه لم يفعل سوى تقرير ما كان محتم الوقوع اقتصاديًّا وسياسيًّا مجتمع يخرج من رحم الرأسمالية »

***

وهكذا نجد الاغراق منحصراً في الثورات التي تحركها دوافع المطامع الفردية ، مطامع طبقات قليات . ومن هذه النتائج العديدة واحدة يجدر عدم المرور بها مرّ الكرام . ان هذه الثورات هي خلقت في الدرجة الاولى تلك الفكرة المبتذلة الشوهاء ، التي لا ترى في الثورة إلاّ انهار دماء ، تحب ان لا تخلو من الدماء . ذلك لان جميع الثورات الناجحات والسابقات لثورة الطبقات العاملة تُنَ في التقتيل والتدمير

لقد كانت البورجوازية الفرنسية في ثورتها الكبرى كثيراً ما لا تدري لماذا تقتل وكثيراً ما كان لر المقصلة تحزّ الاعناق يلذها ويشعرها بالطمأنينة . ولم تقف عن استعمالها الاّ لما رأت بأنها اخذت ناذف رؤوس بعضها البعض

ألفاظ الآلات الزراعية

للامير مصطفى الشهابي

هذه جملة من الالفاظ العربية لأهم الآلات الحديثة المستعملة في الفلاحة اعرضها على ارباب الزراعة و اساتذة المدارس الزراعية لعلهم يقتبسون منها ما فيه فائدة لهم ريثما يأتيهم المجمع اللغوي ومجلته بأصلح منها

﴿ آلات تهيئة التراب ﴾ — أهم الآلات الزراعية المحراث . والمحراث الحديث اي الأوربي يتركب مما يلي : اولاً — أداة أصلية تحمل سائر الأدوات تسمى Age وبالعربية السِلْب والنِصاء والوَيْج . ثانياً — أداة تشق الأرض عمودياً وهي السكين Coutre . ثالثاً — أداة تفصل كتلة التراب أفقياً وتسمى المِقْطَع Soc . رابعاً — اداة تقلب كتلة التراب المفصولة اسمها المِقْلَب Versoir خامساً — أداة يرتكز المحراث عليها فتزحف به فهي اذن المِزْحف Sep . ويكون للزحف عقب يسمى عقب المزحف Talon du sep . سادساً — أداة يعين بها عمق الحرث وعرضهُ وهي الميزان Régulateur سابعاً — اداة يقبض الحرّاث عليها لتسيير محراثه وهي المِقْوم والمِقْبض والدَسْتَق Iancheron

والمحاريث الحديثة انواع يسهل ايجاد الفاظ عربية لها بترجمة الالفاظ الاعجمية كالمحراث العادي وذي العجلة وذي العجلتين وذي المقطعين وكثير المقاطع Polysoc وذي الصفائح او الأقراص ch. à disques ومحراث الكروم والمحراث المتقلّب ch. tourne-oreille ومحراث النَقْب او محراث الخَرْق h. défonceuse ومحراث الجَثْ ch. déboiseuse ومحراث الجداول او محراث الفُلْجان ch. rigoleuse الخ

ومن الأدوات اليدوية للحرث الأداة المعروفة التي تسمى المَرّ Bêche وهو محراث صغير الأكارين والبستانيين . ويكون على اشكال منها العادي والشوكي والمثلث . ومن الأدوات التي تنفذ في الأرض بالضرب المعول Houe . واستعرنا له ايضاً لفظة المِنكاش لأن الفلاحين في الشام وفي لبنان خاصةً يسمونهُ «المنكوش» . وبعد ان تحرث الأرض تمشط بآلة تسمى المشط Herse . والغاية من التمشيط تسوية سطح التراب وتجزئة الكتل الكبيرة منهُ وقلع بعض النباتات المضرة وغير ذلك والمشط اشكال منها المشط الزاحف H. trainante والدائر H. rotative ومفتت المدر H. émotteuse والمفصلي H. articulée والمرن H. souple والكنديّ (نسبةً الى كندا) وذو الصفائح H. à disques

ويستعملون في الأرض الصلبة المندمجة بدلاً من المشط آلة تسمى Scarificateur و cultivateur وهي المِسْلَفة والكاربة والمِسْخَفة تحرث بها الأرض حرثاً سطحياً فتقتعر ذرات التراب وتسوى ولا تقلب . ويكثر الأوربيون من استعمال المِمْلَسة او المَلاّسة Rouleau وهي اسطوانة تضغط التراب وتجمع ذراته وتسوي سطحه وتجزىء المدر وتغطي البزور الدقاق وتقتل بعض الحشرات . وهي على أشكال المملسة الراصّة R. plombeur ومفتّتة المَدَر brise-motte . والمخطّطة R. marqueur والمتماوجة R. ondulé الخ

وبعد ان تزرع الأرض ربما لزم حرث سطحها وتسوية ترابها وتهويته وقتل الأعشاب المضرة بعثرة ذرات التراب لمنع انطلاق ماء الأرض بخاراً . فالعمل الذي يضمن هذه الغايات يسمى العزق لأداة التي تستعمل فيه هي المِعزق Bineuse . والمعازق اشكال منها اليدوية ومنها التي تجرها الدواب

﴿ الآلات السائرة ﴾ — قلما يبذر الأوربيون البذار نثراً باليد ولا سيما في الارض المتسعة ، يبذرونها بواسطة المبذر Semoir وهو يوزّع الحبوب على خطوط منتظمة ويطمرها في اعماق ساوية . ومتى استحصد الزرع يحصدونهُ إما بالمِنجل Faucille واما بالمِقضب او الحاصدة سيف) Faux واما بالمِحصد وهو آلة الحصاد Moissonneuse . والمحصد الجامع M. ryeuse الذي يجمع الحصائد كُدَراً او غُبُوطاً javelles ولا يربطها . اما المِحصد الرابط M. leuse و يربطها . والآلة التي يُحش بها الكلأ في المروج تسمى المِحَشّ Faucheuse . ومتى حصد رع يلبث كثير من السنابل مبعثراً على الأرض وهو اللَّقاط واللُّقاط فيجمع بالمِلَمّ au . نقل الحصائد الى البيدر او الجَرين فتدرس بالنورج المعروف أو بالمِدْرس Batteuse يدار مرك أو بساحب Tracteur . ومن المعروف ان الساحب او الجارّ (او المِسْحَب او المِجَرّ) تعمل ايضاً في الحرث وفي اعمال اخرى . ومتى فصل الحب عن القش وجب غربلة الحبوب لتنقى . ستعملون لهذه الغاية غرابيل مختلفة منها الغربال الهوائي Tarare وغربال الاصطفاء او المصطفية Trieur

ويفصل حب الذرة او القطن بالمِنْزع او المِنْقَش Égréneuse . ولتفريق هذه الآلات بعضها عن ض تضاف الى البيت الذي تنفض بزوره فيقال مِنزع الذرة ومنزع القطن الخ . والمحالج معروفة

ويستعمل الأوربيون خاصة آلة تسمى مِهْشَماً او مِقْطعاً تضاف الى ما تهشمه مثل مهشم كلأ Hache-fourrage ومهشم البقل Hache-légume ومهشم القش Hache-paille ومهشم الذرة Hache-m وهي كلها تستعمل في تهيئة علف الخيل والأنعام . وكذا الجاروشة او المِجرش المِرْضَخَة او المِرضاخ Concasseur والمِسْحَق Broyeur

﴿ آلات صناعة الألبان ﴾ يفرزون القشدة عن اللبن بآلة تدعى Ecrémeuse وبالعربية مفرزة او الفرّازة وأهم أجزائها الطَسّ Bal وأقماعه . ثم تؤخذ القشدة او الكثأة فتفرز الزبدة المخيض بآلة تسمى Baratte أي المِمْخَض والمِمخضة . وبعد ذلك تجرد الزبدة عما يكون بها من سكر اللبن والأملاح والجبنين بأداة اسمها المِعجن Malaxeur . ومتى تمّ ذلك توضع دة في القوالب المعروفة وتباع . ويستعملون في المحالب اي دور الحلابة المبرّدات Réfrigérants نابيس كثيرة لفحص اللبن مثل مقياس نظافة اللبن Lacto-sédimentateur ومقياس الحموضة Acidime ومقياس تخمر اللبن Lacto-fermentateur ومقياس كثافة اللبن Lacto-densimètre نياس القشدة Crémomètre ومقياس اللبن Pèse-lait ومقياس السمن Butyromètre . ولعلي اعود الى ا البحث في مقال ثان فأذكر اسماء الآلات المستعملة في الأسقاء وبعض الصناعات الزراعية وغيرها

مفردات النبات

بين اللغة والاستعمال

لمحمود مصطفى الدمياطي

| اجتمع لي طائفة من اسماء المفردات النباتية وحررت ما يقابلها في بعض اللغات الاجنبية لترتيبها في معجم والآن عنّ لي أن أنشرها تباعاً في مجلة المقتطف الغراء في بيان موجز أذكر فيه المفرد ووصفه وموطنه واستعماله مشيراً الى بعض فوائده في الزراعة أو الصناعة أو التغذية أو الطب عسى أن يكون في ذلك بعض الفائدة — الدمياطي .

— ٦ —

خيار الشَّنْبَر

يطلق على شجر وثمر اما الشجر فتكون الواحدة منهُ كبيرة متوسطة الحجم تكاد تكون ملساء ذات منظر جميل ترتفع من ٢٠ — ٤٠ قدماً وذات اوراق ريشية كبيرة مركبة متبادلة على الاغصان طول الواحدة منها من ٣٠ — ٤٥ سنتيمتراً في كل ورقة من ٤ ازواج الى ٨ من الوريقات المتقابلة البيضية او البيضية المستطيلة الحادة القمة التي يتراوح طولها بين ٥ — ١٢ سنتيمتراً . أزهارها صفر ناقعة جميلة ذكية الرائحة في عناقيد كبيرة معلقة في آباط الاوراق العليا يتراوح طول العنقود بين قدم وقدمين . اما الثمار وهي التي يطلق عليها ايضاً (خِيَار شَنْبَر) فقرون خرنوبية الشكل لا تنفتح ملساء اسطوانية كل قرن منها مجزأ الى حواجز بينها مساكن البذور التي تكون كثيرة ووحيدة (اي منفصلة الواحدة عن الأخرى) في لب طري لزج احمر قاتم ذي رائحة ضعيفة وطعم سكري ولون القرن يكون في البدء اخضر ثم يصير الى السمرة فالسواد عند النضج ويكون معلقاً بحامل خاص متجاور مع طائفة من القرون ويتراوح طول القرن بين ٥٠ — ٧٠ سنتيمتراً وثخنه قيراط . ولفظ شنبر معرَّب چنبر بالفارسية وهو (خرنوب الهند)

اسمهُ العلمي (Cathartocarpus fistula, Pers.) (قثارتوقارپوس فستولا) اشتقاقاً من اليونانية Kathairo يسهل و Karpos ثمرة او (Cassia fistula, L.) (قاسيا فستولا) وفصيلته الخيار الشنبرية او السنائية (Caesalpiniaceae) سيزالپينياسية

وبالانجليزية (Drumstick Tree; Pudding Pipe tree; Purging Cassia)

وبالفرنسية (Canéficier; Cassier; C. des pharmaciens; C. purgative)

ويقال إن موطنه بلاد الحبشة وانتقل منها الى الهند والصين ومصر وامريقة وجزائر انتيلة والعراق وبلاد العرب التي كان يعرف فيها قبل اكتشاف امريقة . والمستعمل منهُ في الطب الثمار (القرون) لاشتمال لبها على (القثارتين) (Cathrtin) الذي يوجد في انواع السَّنَى المختلفة . وهو خليط من العناصر الفعَّالة المسهلة . ويدخل اللب في عجينة الدخان الانجليزي المعروف . وفي الهند يستعمل قلف جذور الاشجار لاطلاق البطن الشديد . اما قلف الجذوع فيستعمل في الدباغة . ويحصل من الشجر على نوع من الصمغ . وخشبه مندمج ثقيل ابيض يضرب الى الحمرة اذا نشر الواحاً وعرض للشمس صار احمر داكناً كخشب البلوط ويكتسب صقلاً جميلاً

الحَنْظَل

ويقال له (العَلْقَم) و(الشَّرْي) بفتح الشين وسكون الراء . نبات عشبي يخرج اغصاناً وورقاً يفترش الارض . ورقته شبيهة بورقة البطيخ خشنة الملمس من وجهيها ذات ثلاثة فصوص او سبعة ريشية . وأزهاره وحيدة الجنس في النبات الواحد (ذكر وانثى) برتقالية اللون تضرب الى الصفرة ناقوسية الشكل توجد فرادى . اما الثمرة وهي التي يطلق العرب على حبها (الهَبِيْد) فمستديرة شبيهة بكرة متوسطة في العظم او برتقالة تحوي لبًّا شديد المرارة يضرب به المثل

اسمه العلمي (Citrullus Colocynthis, Schrad.) (سيترولُّوس قولوسنثيس) وفصيلته اليقطينية او القرعية (Cucurbitaceae) (قوقوربيتاسية)

وبالانجليزية (The Wild gourd, Colocynth, Bitter Cucumber or Bitter Apple Plant)

وبالفرنسية (Coloquinte)

ويقال إن موطنه الشرق الاقصى باليابان وانتقل منها الى الهند فبلاد العرب ومنطقة البحر المتوسط والسودان ورأس الرجاء الصالح ويزرع باوربا . والمستعمل منهُ في الطب لب الثمار (Colocynth) يدخل في العقاقير لاطلاق البطن الشديد وكثيراً ما يحصل عليهِ من ازمير وتريستا وفرنسا واسپانيا . وفي رأس الرجاء الصالح يغتذي اهله بالبذور ويستخرجون منها زيتاً للاستصباح واهل السودان يحصلون من الثمار على نوع من القطران المرّ يطلون بهِ ادبم القرب المتلئة بماء الشرب اثناء الرحيل منعاً لتمزيق الابل العطشى لها ويستعملون مسحوق لب الثمار منفرداً او مخلوطاً بالفلفل الاسود لصيانة ثيابهم الصوفية من فتك العُثَّة كما ذكر في كتاب برون ومامي

الخِرْوَع

كدرهم شجيرته في مقدار شجرة التين صغيرة جميلة المنظر سريعة النمو ترتفع من ٥ اقدام الى ٨ معمرة اذا تركت ولكنها تزرع سنويًّا في الغالب للحصول على زيتها المشهور كمسهل في الطب من قديم الزمن . اوراقها كهيئة الكف شبيهة بورق الدلب خضر او حمر للواحدة سبعة فصوص غائرة. أزهارها مجتمعة في عناقيد غليظة قائمة وزهرات التذكير والتأنيث في الشجيرة الواحدة . ثمارها عبارة عن احقاق متوسطة الحجم خشنة شائكة اطرافها مستديرة . والحُقّ مركب من ثلاثة فصوص كل منها كالاسطوانة في كل فص بذرة واحدة على سطحها بقع وفي احد طرفيها زائدة لحمية. والبذور شبيهة بالقراد او بيض العصافير

اسمه العلمي (Ricinus Communis, L.) (ريسينوس قومونيس) وفصيلته الفربيونية (Euphorbiaceae) (اوفوربياسيـة) وبالانجليزية (Castor Oil or Palma Christi Plant) وبالفرنسية (Ricin Commun)

موطنه الاصلي شمال إفريقية الشرقي ويزرع الآن في بلدان كثيرة بالمناطق الاستوائية والمجاورة لها بافريقية وآسيا وفي جنوب اوربا في النادر على انهُ يوجد بريًّا في كثير من الاراضي البور من تلك المناطق . وقد عثروا على بذور منهُ في مقابر قدماء المصريين يرجع عهدها الى ٤٠٠٠ سنة مما يدل على معرفتهم بوجوه نفعه . كما وان قدماء اليونان والرومان استعملوا زيته مسهلاً واستضاؤوا بهِ في مصابيحهم كما يستضاء بهِ الآن في الهند بالسكك الحديدية لتفضيله على الزيوت الاخرى لبطء احتراقه وابيضاض ضوئه الشبيه بالضوء الكهربائي ولرخص ثمنه وامتناع خطره الى غير ذلك كما جاء في كتاب زراعة المنطقة الحارة تأليف السير ه . ا . نيكولز المطبوع في سنة ١٩٢٩

وينتفع بهِ ايضاً في تزييت الآلات الميكانيكية والساعات ويدخل في صناعة انواع من الصابون واخلاط بعض المراهم والزيوت العطرية . هذا وقد عرف من قديم ايضاً ان اوراق الخروع اذا غليت ووضعت على الثدي ساعدت على ادرار اللبن وانها اذا استعملت بحالتها الطبيعية ساعدت على انحدار الطمث (الحيض) واذا استعمل قلف الجذر كان مسهلاً . وفي بلاد البنغال من الهند تستعمل الاوراق لتغذية دود القز . واهل السودان يصنعون عجينةً من اوراق الخروع يضعونها على رأس المريض بالصداع لشفائه

اللَّبَخ

جمع واحدته (لَبَخَة) وهو شجر كبار يرتفع الى ١٦ أو ١٨ متراً وقلف جذعه املس اسمر اللون قاتم. اوراقه من نوع الورقة الريشية المركبة المضاعفة يكون في كل ورقة من زوجين الى اربعة

من الوريقات الريشية في كل واحدة من هذه من ٥ أزواج الى ٩ من وريقات ليست ريشية غير متساوية الجانبين الواحدة منها بيضية الشكل مستطيلة يتراوح طولها بين ٢٨ — ٣٠ ملّيمتراً مستديرة الطرفين . وأزهاره تضرب الى الصفرة والخضرة مجتمعة في رؤوس رأسها ذكية تزغبها النحل وهي المعروفة في مصر (بذقن الباشا) وثماره قرون رقيقة تضرب الى الصفرة الفاتحة مستطيلة تبلغ ٣٠ سنتيمتراً طولاً و ٥ عرضاً

واسم الشجرة العلمي (Albizzia Lebbek, Benth.) (أَلْبِزْيَا لِبَّكْ) وفصيلتها السنطية او المستحية (Mimosaceae) (ميموزاسية)

وبالانجليزية (The Siris--Acacia; Egyptian Acacia; "Woman's Tongue" of W. Indies)

وبالفرنسية (Acacie de Malabar; Bois à feu; Ebénier d'Orient)

ويقال إن اصل هذا اللبخ من بلاد الهند الشرقية وان كان دائماً الآن في جنوب آسيا ووسطها وشمال إفريقية ووسطها وامريكة واستراليا . وقد أُدخل الى مصر والسودان واستنبت فيهما كشجر للظل والزينة وكثر انتشاره وخاصة في القاهرة وضواحيها فقد كانت تزين به الشوارع الى ما قبل الحرب العظمى ثم ازيل بسبب فتك آفة بق الهبسكوس الدقيقي وللانتفاع بخشبه اذ ذاك وخشبه ابيض يضرب الى الصفرة او السمرة مندمج قابل للصقل يستعمل في النجارة كثيراً وخاصة في صناعة المحاريث ومراكز العجلات المعدة لحمل الاثقال وانتفاعات اخرى . واهل السودان يستعملون قلفه في الدباغة كما يستعملون بذوره قابضة ويحصلون من اشجاره على صمغ يشبه الصمغ العربي

أما ما ورد في كتب اللغة والنبات والآثار كتاج العروس للزبيدي وكتاب الافادة والاعتبار للبغدادي ومفردات ابن البيطار وحاصلات بومباي الاقتصادية لبردود وبغية الطالبين لاحمد باشا كمال فيصف نوعاً آخر من اللبخ اختلف في اسمائه وصفاته . ففي التاج ان شجرتهُ عظيمة مثل الدلب ثمارها خضر كالتمر حلو جدًّا لكنهُ كريه ولا ينبت الاَّ بالصنا من صعيد مصر وهذا رأي ابي حنيفة الدينوري وقيل إن شجرته عظيمة مثل الأَثْأَبة (نوع من التين البري) او اعظم ورقها شبيه بورق الجوز ولها جنى كجنى الخَمَاط (التين الجبلي) مرّ اذا أُكل اعطش واذا شرب عليه الماء نفخ البطن حكاه ابو حنيفة المذكور وانشد :

من يشرب الماء ويأكل اللبخ ترم عروق بطنه وينتفخ

قال : وهو من شجر الجبال . قال صاحب اللسان اخبرني العالم به انهُ رأى شجرة بالصنا وذكر انهُ جيد لوجع الاضراس واذا نشر خشبه أَرعف ناشره وينشر الواحاً فيبلغ اللوحُ منها خمسين ديناراً يجعله اصحاب المراكب في بناء السفن وزعم انه اذا ضم لوحان منهُ ضمًّا شديداً صارا لوحاً واحداً والتحما

وفي المقريزي في كلامه عن مصر : وبها اللبخ وهو ثمر قدر اللوز الاخضر كان من محاسن مصر لأنه انقطع قبل سنة ٧٠٠ هجرية . قال دليل (Delile) إن ابحاث دي ساسي (De Saey) اوصلتني الى تقرير ان اللبخ الذي اطلق اسمه على جملة اشجار اخرى انما هو الهجليج في بلاد النوبة وبلاد العرب وهو نادر الوجود في مصر وقد اسميه (بالانيتس اجبتياكا) (Balanites Aegyptiaca, Delile) انا لا اشك كذلك في مشابهته الى (پرسيا) (Persea) عند القدماء وانها ترجع الى (پرسيكا) (Persica) اي الخوخ في بعض الآراء . وفي بغية الطالبين ان اللبخ يسمى (ميموزوپس شمپري) (Mimusops Schimperi, Hochst) وهو شجر كثير الوجود قديماً في ارض مصر ولذا وجد في مقابر كثير من اثماره وأوراقه الشبيهة بورق الصفصاف كانت تنضد في اكاليل الموتى . وحقق كونث (Kunth) ان ثمر النبت المسمى (ميموزوپس إلنجي) (Mimusops Elengi) هو الذي ذكر من الفاكهة المدونة في صحيفة ٤٥٤ من مجموعة بسالكا . وخالفه (أنجر) ذاهباً الى انهُ ثمر المخاط (المخيط) الشهير بمصر (ويؤيد رأي أنجر ما قال بردود في كتابه ان المُخَيِّط اعتبر پرسيا القدماء يجب ان تنسب الى بالانيتس اجبتياكا ومن المحتمل كثيراً انها المخيط والبرقوق المصري الذي ذكره بلني (Pliny) وكان يصنع من خشبها توابيت الموتى) . وظنّ شوينفورت ان الشجرة المسماة (ميموزوپس شمپري) التي لا وجود لها الآن الاّ في بلاد الحبشة هي المعروفة عند قدماء المؤرخين باسم (پرسيا) وهي التي اسهبوا فيها الشرح واطالوا الكلام

ومما تقدم يتخلص ان اللبخ انواع : اولها اللبخ المسمى علميًّا (البزيالبّك) وهو من الفصيلة البنطية وسبق وصفه وانه ذائع في جنوب آسيا ووسطها وشمال افريقية واستنبت في مصر والسودان. ثانيها ما ورد في كتب اللغة المختلف في اسمائه وصفاته وقيل إنه كان في صعيد مصر قديماً ويسمى الهجليج وسماه دليل (بالانيتس اجبتياكا) وقيل بمشابهته الى (پرسيا) وهو من الفصيلة السيمارو بية (Simarubaceae) . وثالثها ما في بغية الطالبين من ان اللبخ يسمى (ميموزوپس شمپري) من فصيلة (Sapotaceae) (ساپوتية) وعلق عليهِ (كُونْث) و(شوينفورت) الذي قال إنهُ لا وجود له الآن الاّ في بلاد الحبشة وانهُ هو (پرسيا) . ورابعها ما ذهب اليهِ (أنجر) مما يشعر بأن لبخ القدماء هو المُخَاط (المخيط) (Cordia Myxa) (كورديا مكسا) بدليل ان الثمر الذي وجد في المقابر هو ثمر المخيط والذي كانت تصنع من اخشابهِ توابيت الموتى. فاذا صح انهُ المخيط نسب الى الفصيلة الشنجارية اي فصيلة لسان الثور (Boraginaceae) (بوراجيناسية)

هذا ولا بد من الاشارة الى ما وقع من الاختلاط في التسمية بكلمة لبخ فهي على ما افهم في كتب العرب اسم موضوع للنوع القديم. وقد اطلق اسم اللبخ على (البزيا لبّك) لا على انهُ اللبخ القديم بل اخذاً من كلمة (لبّك) الموجودة في الاسم الحديث ومن ذلك حصل الاختلاط والاّ فهما نوعان من فصيلتين مختلفتين

المتنبي

للشاعر القروي

نبيٌّ ولو ضجّت شيوخٌ ورهبانُ ... وهل بعد إعجاز ابن كندة برهانُ ؟
وكلّ كلام يرفع النفسَ منزلٌ ... وكل مقالٍ يُفسِدُ العقلَ بُهتانُ

***

تحيّيك يا نسر القريض بلابلٌ ... يعيب عليها الشدوَ بومٌ وغربانُ !
اذا انت ارقصت النجوم ترنحت ... ازاهيرُ من تغريدهن وافنانُ
فيا لك من نسر له زأر ضيغمٍ ... زمازمهُ في مسمع الدهر ألحانُ
تخطّى سماء العبقريّين وانجلت ... لهُ خلف اكوان الانامي اكوانُ

***

لك الله تطوي شاسع البيد عاقداً ... على (الزنج) (١) ما عيت به البيض (حدان ؟!
ترامى لك الآمال نُضراً دوانياً ... ففي الصدر بُركانٌ وفي العين بستانُ
اذا غاض ماء الجِدّ فالزرع مجدبٌ ... ولو علّهُ نيلٌ وغذّته اطيانُ . . .
وان شئت امراً شاء ربّك ضدّه ... تعجّبت من عصيانه وهو اذعانُ !
وكم رغب الانسان في ما يضرّه ... وناح على فقدانهِ وهو وجدانُ
ولولا رجاء الفوز لم ينبُ مضجعٌ ... بحُرٍّ ولم يطمح الى المجد فتيانُ
ولو هانت الدنيا على كل طالبٍ ... لما شاقنا ربحٌ ولا شقّ خسرانُ
ولو حُزِرَ الممنوع قبل امتناعه ... على الجهد لم يستوجب العذل كسلانُ
ولو أُعلِنَ التدبير من وزّع اللُّهى ... على الناس لم يعتب على الحظ انسانُ
وفي الملأ الأعلى غناءٌ لشاعرٍ ... وفي الوهم عن مرّ الحقائق سلوانُ
رعى الله نجماً اسعدَ الشعرَ نحسُه ... فذمّكه من دولة الشعر شكرانُ
رمى بك في الصحراء عن مصر نابياً ... وفي النفس عدّ الرمل همٌّ واشجانُ
تلفّت ايجاساً ومهرك منصتٌ ... ورمحك مشتاقٌ وعضبك يقظانُ
وقُدّت قميص الفجر إلاّ غِلالةً ... كما شفّ عن معناك للعمه تبيانُ

---

(١) يعني كافور الاخشيدي سلطان مصر

وفاضت شآبيب الدّجين وفجّرت جداول من ماس الشعاع وغدران
وعبّ عباب التبر في كل ساحل من الافق حتى لا ضفاف وشطآن
فولّت سراعاً خيفة النوء واختفت اساطيل نجم ما عليهنّ ربّان
وعامت على المَدّ الغيوم كأنها جزائر في بحر الضياء وخلجان
روائع تُنسي عاثر الجد همه واطيب ذكرى للمناكيد نسيان ! . .
نفذتَ الى ما خلفهنّ بناظر لإنسانه خلف المحاجر إنسان
رأيت به ما لا يرى كل مبصر كأنّ جميع الناس إلاّك عميان
كأنك في فُلك على الفجر سابح وفيض شعاع الوحي حولك طوفان
أهبتَ بربّات الفنون فرتّلت مزاهر في احضانهن وعيدان
وقاضت مع الالحان من كل ربوة معان من السحر الحلال وأوزان
همَت فتلقّاها براعٌ مثقّفٌ خبير بتصريف الأماليّ فنّان
تُراض به شُمْسُ القوافي كأنهُ خزائم في اخطامهن وارسان
ونزّلتها للناس آيات حكمة جواهرها في مفرق الشعر تيجان

***

ألا أي ينبوعٍ سقاك مَعينه فاني الى تلك المناهل ظمآن
اصاب «ابن أوس» منه حسوة طائر وبلّت لسان «البحتري» به الجانّ
وأنت مقيمٌ كارعٌ من دنانه يشمشمها بالكوثر العذب رضوان
تعاطيك اكوابَ الخلود ملائكٌ اذا لقّن الاشعار غيرك شيطان
وتسعى اليك الجنّ تسأل حكمةً فيزجرها زجر الغيور سليمان
يمنّ علينا الدهرُ فيك وانهُ على نفسه لو يعلم الدهر منّان
بك اشتهر العصر الذي انت فخرهُ وأنت له التاريخ والمجد والشان
عِيالٌ على ذكراك ذكرى ملوكه واسماؤهم فيه على اسمك ضيفان
خلدت فخلّدت الزمان وهكذا تموت وتحيا بالنوابغ ازمان

***

ابا الطيّب استعصت على الطب علة ويخشى لها في مهجة الشعر إزمان
فأزرى بقدر العبقري شويعرٌ وباه بألقاب الحناذيذ وزّان

اكنتَ طرحت البوق في الحي جانباً وقد نام آساد ورُوِّع غزلانُ ؟
أحقًّا اهاتيف الحماسة خِفَّةٌ وابطالها الغُرُّ الميامين صبيانُ ؟
ألا افتِنا فالنقد ضاعت اصوله وشوِّه وجه الرأي حبٌّ وعدوانُ !

***

«بُنَيَّ ذَرِ التاريخ يُنصفْ رجاله ففي كفّهِ الميزان ان ضاع ميزانُ
أجدنا فَجُنَّ الحاسدون وليتنا اسأنا ففي بعض الإساءة احسانُ
اغاروا على الفاظنا بمراقمٍ يُقرُّ لها بالطعن . . . بيضٌ ومرّانُ
لَهَوا بانتقاد الثوب عما يضمُّه وتُنتخَبُ الحسناء والجسم عريانُ
وداوَوا بتذمام الغبار عيونهم اذا برّزَت في حلبة الشعر فرسانُ
فان تَلقَ منهم ما لقينا فانما هم الناس يا ابني لم يزالوا كما كانوا
بشاعرها فلتفتخر كل امةٍ يهددها بالموت والعار طغيانُ
اذا طويت اعلامها فهو بيرق وان اخمدت انفاسها فهو بركانُ
يهزّ رفات الغابرين صراخه فتنشقُّ ارماس وتنحلُّ اكفانُ
وتُبعثُ ابطالٌ وتُنضى صوارم وتنشرُ اعلامٌ وتُنصَفُ اوطانُ
وقفتم على اطلال مجدٍ مُضَيَّعٍ فحظُّكمُ منهُ شقاء وحرمانُ
وماذا يرجّي الشاعر الحرّ بينكم وما حولهُ الاّ امائل وعبدانُ
تصرّم عهدُ العزّ والبأس والندى وبدِّل من اخلاق (يعرب) (طوران)
فخالت سيوف الدولة البيض اعظُماً ويا ليتهم فيكم «كوافير» سودانُ

***

ابا الشعر هذا محفلٌ من محافل تهزُّ بها الدنيا بذكرك قحطانُ
محا الدهر يستسقيك كأساً جديدةً قضى الف عام قبلها وهو سكرانُ
ألا نُهلةٌ أخرى ؟ أما من ثُمالةٍ يهشُّ لها صادٍ ونادٍ وندمانُ ؟
خلا العرش بعد (ابن الحسين[1]) على المدى وعُطل من كسرى البلاغة ايوانُ
تمرُّ البرايا موكباً إثر موكبٍ يقلُّ فحول الشعر والشعر سهرانُ
يفتش فيها عن خليفةِ «احمدٍ» فتمضي الليالي وهو حيران يأسانُ

(١) يعني المتنبي ابن الحسين

دار الآثار المصرية في قصر النيل

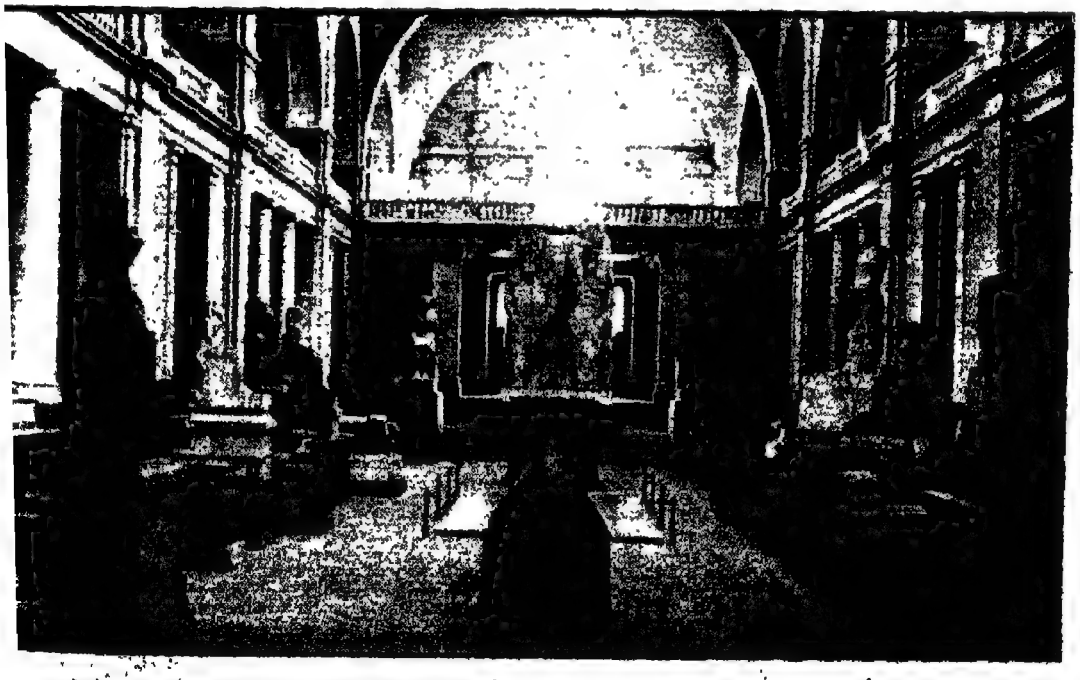

الدور الارضي في دار الآثار المصرية

مصلحة الآثار المصرية

ودار الآثار المصرية وتاريخ انشائهما

للدكتور حسن كمال

حدث في ربيع سنة ١٨٥٧ ميلادية ان الامير نابوليون ابن عم الامبراطور نابوليون الثالث امبراطور فرنسا وقتئذٍ وصل الى وطنهِ حديثاً من رحلة بالقطب الشمالي . وكان سموه كثير الحركة قليل القناعة فكان قلقهُ مدعاة لقلق عمهِ واحراجهِ كثيراً . وتاق سموه يوماً ما الى الذهاب في رحلة الى الشرق فقوبلت هذه الرغبة بكل وسائل التشجيع والتسهيل . وكان الارشيدوق ماكسمليان قد سبقهُ في رحلة الى مصر واحضر معهُ آثاراً نالت اعجاب اهل وطنهِ. فصمّم سمو الامير نابوليون ان يقوم بعمل يفوق عمل الارشيدوق ماكسيمليان. فأرسلت افادة بذلك الى سموّ والي مصر سعيد باشا الذي قرّر ان يقابل بكل وسائل الاكرام

عندئذٍ اشار (ديلسبس) على سمو الوالي ان يبعث في طلب انتداب الاستاذ (ماريت) من فرنسا لمدة ثمانية اشهر فقط وذلك في اكتوبر سنة ١٨٥٧ . فحضر (ماريت) الى مصر فسافر في النيل يبحث في الوادي عن الآثار ويدفن ما يعثر عليهِ بالتالي في محله حتى يجيء الامير نابوليون كي لا يتجشم هذا الاخير مشقة الحفر والتنقيب

بعد ذلك بقليل وصل الى القاهرة الاستاذ (هينريخ بروكش) الالماني . ورغبةً في عدم ضياع الوقت ذهب (ماريت باشا) وقابل الاستاذ (بروكش باشا) في محطة السكة الحديد وطلب منه إعداد نفسه بأسرع ما يمكن كي يشترك معهُ في الحفريات المطلوب القيام بها

وقد افاض علماء الآثار في شرح هذه القصة بعباراتهم المتباينة . نخصّ بالذكر منهم (ماسپرو) و (دي مرجان) و(دي روجيه) و (بروكش) وذلك في عدة مجلات اثرية ليس هذا مقام شرحها

وبدأت الحفريات في الجيزة وسقارة والعرابة وطيبة (الاقصر) وجزيرة الفيل باسوان وعثر على مقادير كبيرة من الآثار وقتئذٍ . واستمر العمل سائراً بنجاح من كل الوجوه الاّ وجه واحد وهو مجيء الامير نابوليون الذي اعتذر عن الحضور الى مصر «لاسباب هامة» . وفي ٨ يناير سنة ١٨٥٨ ورد نبأ الى (مريت) من فرنسا بطلب رجوعه اليها وتسلمه اعماله في متحف اللوفر

عندئذٍ صمم (ماريت) ان يؤسس لهُ مستقبلاً بمصر . فارسل الى الامير نابوليون انهُ يمكنه ان يحضر معهُ مجموعة اثرية لسموه اذا تفضل سموّه ومكّنه من تأخير عودته الى فرنسا . فأتى

اليهِ الردّ من سكرتير سموه المدعو (فرّ يزاني) بأن سموه يكون شديد الامتنان اذا تمكن (ماريت) من احضار « بعض حلي وتماثيل صغيرة وقطع من الفنون المصرية الجميلة مع بيانات بطريقة العثور عليها » فاخذ (ماريت) ما يعتبره موافقاً لذوق سموّ الامير نابوليون الملقّب وقتئذٍ بلقب (پلون پلون) . ولما وصلت الهدية الثمينة الى الامير المذكور رشّح (ماريت) مأموراً للآثار المصرية وذلك بعد مضي بضعة اشهر

هذه باختصار قصة انشاء مصلحة الآثار المصرية وظهورها في عالم الوجود. ومن اهم ما عثر عليه وقتئذٍ تابوت الملك (كامس) فقد اكتشفه (ماريت) و (بروكش) في ديسمبر سنة ١٨٥٧ في حفرة جهة (دراع ابي النجا) . فلما رآهُ (ماريت) ظنه لا يروق في عين الامير (نابوليون) فأبقاه في مصر حتى حفظ بدار تحف القاهرة . اما جثة الملك فكانت في حالة تحلل تام . حتى انها تفتّتت بمجرد فتح التابوت . ووُجِد مع الجثة باطة وتمثالان لاسدين وخانة ملكية ارسلت جميعها ضمن الهدية المقدمة الى الامير (نابوليون) . وهي الآن في دار تحف اللوفر بفرنسا

و (كامس) هذا حكم القطر المصري في القرن السادس عشر قبل الميلاد ولما توفي دفن باهرامه بالساحل الغربي بالاقصر . وقد كافح الهيكسوس كفاح المستميت وبعده اتت الاسرة الثامنة عشرة وحكمت القطر بصولتها وجبروتها ثم تلتها الاسرة التاسعة عشرة بعزها وجاهها . بعد ذلك اخذ القطر في الاضمحلال وبدأت ايدي اللصوص تعبث بمدافن فراعنة مصر الاقدمين قصد اقتناص الحلى والادوات الثمينة التي اعتاد القوم ان يدفنوها مع ملوكهم كما هي الحال مع (توت عنخ امون)

وورد بقرطاس (ابوت) التاريخي ان البوليس المصري القديم فتش قبر الملك (كامس) وقتئذٍ ووجده سليماً . لكن وقع على اثر ذلك ان ازداد اللصوص امعاناً في سرقة المقابر الملكية . فخاف القوم على جثث ملوكهم واخذوا ينقلونها من مقابرهم ذات المعالم الواضحة الى حفر مختبئة مطموسة الدلائل والقرائن . فكان من حظ الملك (كامس) المذكور ان نقل من قبره العظيم الى حفرة صغيرة اسفل (دراع ابي النجا) وهناك بقيت جثته مع تابوتها وبعض ممتلكاتها حتى ديسمبر ١٨٥٧ ميلادية لما اكتشفها (ماريت) و (بروكش) بالطريقة السابق شرحها

دار الآثار المصرية

والآن وقد ألممنا سابقاً الى تاريخ انشاء مصلحة الآثار المصرية ننتقل بالقارىء الى تاريخ انشاء المتحف المصري فنقول ان (ماريت باشا) بدأ المتحف المصري عام ١٨٥٧ ميلادية (بديكر عن مصر) بحي بولاق . واول دليل وضع لهذا المتحف كتبه ماريت عام ١٨٦٤ تحت عنوان Les principaux monuments du musée de Boulacq . وفي سنة ١٨٨٣ وضع الاستاذ ماسپرو دليلاً ثانياً . وبعد الاحتلال الانكليزي للقطر بمدة يسيرة نقل المتحف من بولاق الى سراي الخديو اسماعيل باشا بالجيزة وبقي هناك حتى ٩ مارس سنة ١٩٠٢ لما بدىء في نقل محتوياته الى المتحف الحالي بقصر النيل

العالم الاثري المصري المغفور لهُ
احمد كمال باشا

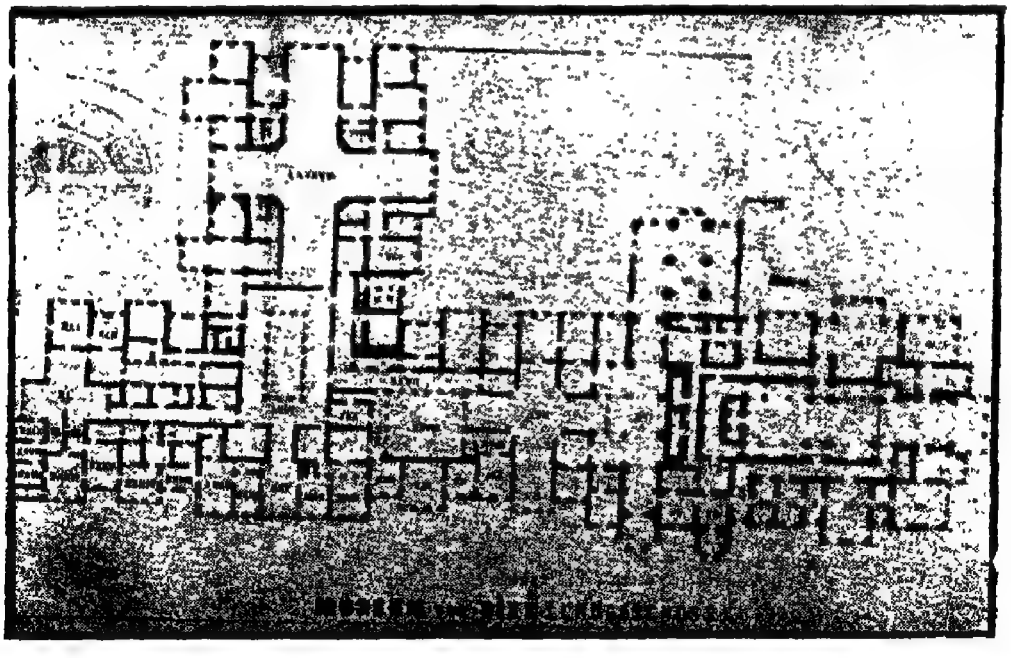

رسم الدور الارضي لدار الآثار المصرية في الجيزة وهي الدار التي تقدمت
دار الآثار المصرية الحديثة في قصر النيل

رأس مومياء رعمسيس الثاني

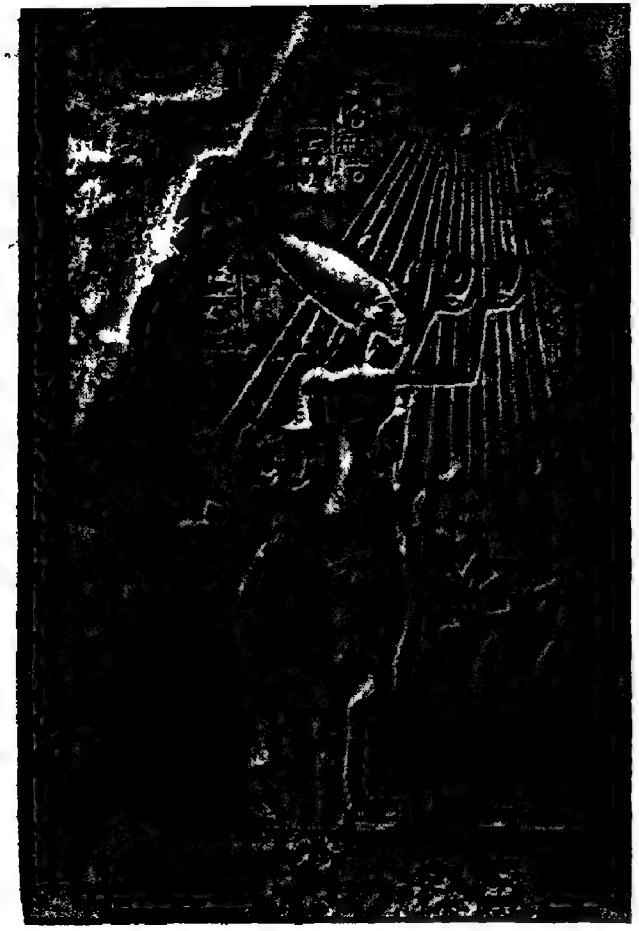

لوحة تمثل الملك اخناتون يعبد الشمس

ونم نقل المتحف في ١٣ يوليه سنة ١٩٠٢ وكان كلما نُقل أثر وضع في المحل المعد له حتى اذا ما استهل شهر اغسطس صار متحف القاهرة الجديد مستعداً لدخول المتفرجين . الاّ ان اصلاح الانصاب والقواعد والحيطان عقب ما اصابها من التخديش الناشيء عن نقل الآثار كان مانعاً لذلك . فلما انتهى هذا الاصلاح فتح المتحف في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٢ (راجع مقدمة دليل متحف القاهرة سنة ١٩٠٣) واعدت أبهاؤه لمن اراد التفرج عليها

واول مدير (مأمور) لمصلحة الآثار كان بطبيعة الحال (اوجست ماريت) (١٨١٢ — ١٨٨١) . ثم اتى بعده (جريبو) و (دي مورجان) و (لوريه) و (ماسپرو) و (لاكو) . ويرجع الفضل في اكبر توسعة لمتحف هذه الدار الى عهد جاستون ماسپرو الذي توفي عام ١٩١٦ ميلادية . ولعل اهم كنز أثري عثر عليه في الآثار المصرية كلها بما في ذلك الحديث هو المومياوات الملكية — او جثث فراعنة مصر — الذين دوخوا العالم واعلوا منزلة مصر حتى بلغت عنان السماء . والى هذا الكنز يرجع الفضل الاكبر في تعرف العالم الحديث بالقديم . لان الروايات الأثرية والقصص التاريخية التي كانت معروفة عند هؤلاء القوم لم تقدر حق قدرها ولم تصبح لها منزلتها العالية الاّ بعد ما شاهد اهل هذا العصر وجوه حكام تلك الازمنة ولمسوها بأيديهم . فكان هذا الاكتشاف كوميض البرق في الدجى الحالك يكشف عن مئات من المعالم كانت مختبئة تحت جنح الظلام الدامس

والفضل في اكتشاف هذه المومياوات الملكية يرجع الى الاستاذين احمد افندي كمال [1] (وقد انعم عليه بالباشوية في اواخر حياته — وتوفي عام ١٩٢٣ م) واميل بروكش فانهما في يوم الاربعاء ٦ يوليو سنة ١٨٧٩ تمكنا بمعرفة محمد احمد عبد الرسول من الوصول الى ذلك الكنز في بئر عميقة بالقرب من الشيخ عبد القرنة بالاقصر . وهذه البئر تنتهي من اسفل بسرداب متعرّج وطويل ينتهي بحجرة واسعة يبلغ طولها حوالي ثمانية امتار تقريباً . واول ما وقع نظر الاستاذين كان على تابوت (نسي خونسو) ثم (سيتي الاول) ثم على كثير من اثاث المنازل وادوات الزينة وتماثيل المقابر على اختلاف انواعها ولكنها كانت بغير نظام . وتحت بصيص الشمعة تمكن العالمان من معرفة توابيت ومومياوات الملك (امنحوتب الاول) و(تحوتمس الثاني) و(احمس الاول) محرر مصر من الهيكسوس و (سكنزع) شهيد الثورة القومية ضد الهيكسوس و (تحوتمس الثالث) البطل الفاتح و (رمسيس الثاني) الامبراطور العظيم ! ! ! وغيرهم ممن حكموا العالم القديم . واستمر فحص هذا الكنز ساعتين (راجع (Historians History of the World) مجلد ١ ص ١٥٦)

وفي الحال اتيا بحوالي مائتين من الانفار بمعونة سعادة مدير المديرية . وبُدىء في نقل تلك الآثار . وبقي احمد افندي كمال واميل بروكش يتسلمان الآثار قطعة قطعة مدة ثماني واربعين ساعة من دون ادنى راحة حتى نقلا جميع التحف . ثم بدأت مهمة نقل ذلك الكنز الى السفينة النيلية.

(١) المقتطف : والد الدكتور حسن كمال

وفي ١١ يوليو كانت هذه الآثار على شاطىء النيل بالاقصر . وكنا نعرف مقدار التعب الذي حلّ بالقائمين بهذا العمل في حرارة شمس يوليو المحرقة بالاقصر . وفي يوم ١٤ يوليو وصلت السفينة النيلية الى الاقصر لشحن مفردات الكنز ثم أقلعت الى بولاق . ومن ثمّ نقلت محتوياتها الى المتحف المصري وكان في بولاق وقتئذٍ

ومن ظريف ما حدثنا به الوالد انهُ لما توجه الى الاقصر للقيام بهذا العمل اراد مقابلة سعادة مدير قنا . فنزل من السفينة هو والاستاذ اميل بروكش لهذا الغرض . وتعذّر عليهما الحصول على عربة وكان وقت الظهيرة . فتراءى لهما السير على الاقدام فسارا هذه المسافة الطويلة من النيل الى ديوان المديرية في لهيب شمس يوليو . وحدث في اثناء سيرهما ان الاستاذ (بروكش) اعترته نوبة مغص كلوي شديدة اضطر من جرائها الى الاستراحة هنيهة تحت شجرة . وكان كمال افندي وقتئذٍ يواسيه. قال هذا الاخير ولما ذهب عن (بروكش) الالم تفقد احدنا حذاءه اللامع فوجد طبقته اللامعة قد سالت وخلفت قماشاً اسوداً من شدة الحرارة ! ! ولما وصلا الى ديوان المديرية لمقابلة سعادة المدير علما ان سعادته في الحمام يطفىء لهيب الحر ! ! والقصد من سرد هذه الحكاية هنا اظهار بعض ما عاناه الاستاذان من التعب في انجاز ذلك العمل الشاق

ويتلخص السبب في تكديس موميات وأثاث مقابر هؤلاء الملوك بعضها فوق بعض في ذلك المكان المختبىء في ان المملكة المصرية لما ضعفت سلطتها بدأت اللصوص في نهب مقابر الحكام الاقدمين فخاف الكهنة على موميات ملوكهم وتمكنوا من حفر البئر التي تقدم ذكرها حيث واروا موميات حكامهم . فبقيت هذه في حرز امين الى ان تسلّمها احمد افندي كمال و(اميل بروكش) وأودعاها بدار تحف بولاق . وكنا نعرف دار التحف المصرية التي في قصر النيل الآن . اما دار التحف المصرية السابقة لها فكانت تعرف باسم دار تحف الجيزة وهي سراي المغفور له اسماعيل باشا الخديوي الاول حوّلت هذه الدار الى دار تحف ونقلت اليها محتويات دار تحف بولاق . وكانت هذه السراي ذات طابقين ارضي وعلوي . وكل طابق مكوّن من تسعين صالة تقريباً . ومنهُ يتضح للقارىء ان محتويات المتحف وقتئذٍ كانت كثيرة جدًّا — ولا غرابة فقد كانت حينذاك اغنى مجموعة من نوعها في العالم. وكانت تحفها مقسّمة تقسيماً علميًّا بحسب العصور من اقدم الازمنة الى العهد القبطي . وقد جاء ذكر هذا المتحف في حديث عيسى بن هشام حيث يجد الباحث العبارة الآتية ضمن عباراته عن المتحف المذكور « ولو انك عرضت اهل مصر على هذه الآثار واحداً واحداً لما استفادوا منها شيئاً ولا افادوك عنها شيئاً ولما وجدوا لها قيمة تذكر سوى النذر اليسير من المقلدين للغربيين ولم تجد بين عشرة الملايين اليوم سوى شخص واحد يفقه « لغة الهيرغليف » اعني لغة آبائهم واجدادهم كما يزعم المؤرخون مع كثرة الخبيرين بها في الامم الغربية » وهو يعني بذلك المرحوم كمال باشا طبعاً. اما الآن فان تلاميذ الباشا المذكور اخذوا يتبوأون مكانهم تحت الشمس في علم الآثار وصار لهم منزلة محترمة بين ابناء وطنهم

رسالة "السيرة الفلسفية"

للطبيب الفيلسوف أبو بكر الرازي

للدكتور فؤاد الاهواني

هي رسالة صغيرة الحجم كبيرة الفائدة العلمية ، أخرجها من عالم المخطوطات إلى عالم المطبوعات مستشرق ألماني يشتغل الآن في باريس أستاذاً بمدرسة الدراسات العليا الملحقة بجامعة السوربون ، سمهُ بول كراوس Paul Kraus . تقابلت وإياه في باريس في صيف هذا العام ، وأطلعني على هذه الرسالة تي نشرها في مجلة اوريانتاليا [1] التي تصدر في روما ، وأردفها بترجمة فرنسية للرسالة ، وتحليل لها ايضاً ، والاستاذ كراوس قد اختص بدراسة الرازي ويعمل بالفعل على إخراج كثير من كتبهِ ، قد اعجبتني هذه الرسالة الصغيرة عن السيرة الفلسفية التي وضعها الرازي فأحببت ان اقدم ملخصها قراء لما فيها من نفع . ويترجم له صاحب أخبار الحكماء فيقول:[2]

محمد بن زكريا أبو بكر الرازي طبيب المسلمين غير مدافع ، وأحد المشهورين في علم المنطق الهندسة وغيرها من علوم الفلسفة . وكان في ابتداء أمره يضرب بالعود ثم ترك ذلك وأقبل على علم الفلسفة فنال منها كثيراً . وألّف كتباً كثيرة يأتي ذكرها ان شاء الله تعالى اكثرها في صناعة طب ، وسائرها في ضروب من المعارف الطبيعية والالهية ، الاّ انهُ توغل في العلم الالهي ومافُهم رضهُ الاقصى فاضطرب لذلك رأيه وتقلد آراء سخيفة وانتحل مذاهب خبيثة وذمّ أقواماً لم يفهم نهم ولا هدى لسبيلهم . ودبر مارستان الري ثم مارستان بغداد زماناً ثم عمي في آخر عمرهِ وتوفي يباً من سنة عشرين وثلثمائة . هذا قول القاضي صاعد بن الحسن الاندلسي . وذكر ابن شيراز في ريخه انهُ توفي سنة اربع وستين وثلثمائة . وذكره ابن جلجل الاندلسي في كتابه فقال : ابو بكر رازي مسلم النحلة اديب طبيب مارستاني ، دبر مارستان الري ثم مارستان بغداد طويلاً ، وكان في تداء أمره يضرب بالعود ثم نزع عن ذلك واكبّ على النظر في الطب والفلسفة وبرع فيها براعة لمتقدمين ، وألّف في الطب كتباً كثيرة بديعة ... وعمي في آخر زمانه بماء نزل على عينيهِ فقيل له لو دحت ؟ ! قال : لا ، قد أبصرت من الدنيا حتى مللت ، فلم يسمح لعينيهِ بالقدح ، وكان في زمن لمكتفي ، قلت وفي بعض زمن المقتدر .

« وذكره محمد بن اسحاق بن النديم في كتابهِ فقال : أبو بكر محمد بن زكريا الرازي من اهل لري ، أوحد دهره ، وفريد عصره ، قد جمع المعرفة بعلوم القدماء لاسيما الطب . وكان ينتقل في بلدان ، وبينهُ وبين المنصور بن اسماعيل صداقة ، وله ألف كتاب المنصوري . قال ابو الحسن

(١) Revue Orientalia (٢) اخبار العلماء باخبار الحكماء للقفطي طبعة الخانجي في مصر ص ١٧٨

الوراق : قال لي رجل من اهل الري شيخ كبير سألتهُ عن الرازي فقال : كان شيخاً كبير الرأس مسفطه وكان يجلس في مجلسهِ ودونهُ التلاميذ ودونهم تلاميذهم ودونهم تلاميذ آخرون ، وكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لاول من يلقاه منهم ، فان كان عنده علم والاَّ تعداه الى غيره ، فان اصابوا والاَّ تكلم الرازي في ذلك . وكان كريماً متفضلاً باراً بالناس ، حسن الرأفة بالفقراء والاعلاء ، حتى كان يجري عليهم الجرايات الواسعة ويمرضهم . قال ولم يكن يفارق النسخ إما يبيض وإما يسوّد . وكانت في بصره رطوبة لكثرة أكله الباقلاء ، وفي آخر عمره عمي . . . »

ويقول الاستاذ كراوس في تحقيق هذا المخطوط إن « السيرة الفلسفية » قد ذكرت ضمن الكتب المنسوبة الى الرازي . وقد ذكره « البيروني » في رسالتهِ تحت هذا العنوان « السيرة الفلسفية » وهو العنوان المرقوم في هذا المخطوط الوحيد . اما ابن ابي اصيبعة فيذكر عدة تآليف الأرجح — في نظر الاستاذ كراوس — انها ترجع الى كتاب واحد فمنها كتاب « سيرة الحكماء » ، و« في السيرة الفاضلة » و« سيرة أهل المدينة الفاضلة » ، و« في سيرته » . أما القفطي فيذكر عن ابن النديم ضمن تآليف الرازي « كتاب في السيرة الفاضلة » . وتبدأ الرسالة على هذا النحو

« بسم الله الرحمن الرحيم . قال ابو بكر محمد ابن زكريا الرازي — ألحق الله روحه بالروح والراحة

إن ناساً من أهل النظر والتمييز والتحصيل ، لما رأونا نداخل الناس ونتصرف في وجوه من المعاش عابونا واستنقصونا وزعموا أنا حائدون عن سيرة الفلاسفة ولا سيما عن سيرة إمامنا سقراط المأثور عنهُ أنهُ كان لا يغشى الملوك ويستخف بهم إن هم غشوه ، ولا يأكل لذيذ الطعام ، ولا يلبس فاخر الثياب ، ولا يبني ولا يقتني ولا يغسل ولا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً ولا يشهد لهواً ، بل كان مقتصراً على أكل الحشيش ، والالتفاف في كساء خاق والايواء إلى جب في البرية ، وأنهُ ايضاً لم يكن يستعمل التقية للعوام ولا للسلطان بل يجبههم بما هو الحق عنده بأشرح الالفاظ وأبينها وأما نحن فعلى خلاف ذلك . ثم قالوا في مساوىء هذه السيرة التي سار بها إمامنا سقراط أنها مخالفة لما عليهِ مجرى الطبع ، وقوام الحرث والنسل ، وداعية إلى خراب العالم وبوار الناس وهلاكهم ، وسنجيبهم بما عندنا في ذلك إن شاء الله

فنقول : أما ما أثروهُ عن سقراط وذكروه فقد صدقوا وقد كان ذلك منهُ ، لكنهم جهلوا منهُ أشياء أخر وتركوا ذكرها تعمداً لوجوب موضع الحجة علينا . وذلك أن هذه الامور التي أثروها عن سقراط قد كانت منهُ في ابتداء أمره إلى مدة طويلة من عمره ثم انتقل عن كثير منها حتى انهُ مات عن بنات ، وحارب العدو ، وحضر مجالس اللهو ، وأكل الطيبات إلاَّ من اللحم ، وشرب يسير المسكر ، وذلك معلوم مأثور عند من عني باستقصاء أخبار هذا الرجل . وإنما كان منهُ ما كان في بدأ أمره لشدة محبه بالفلسفة وحبه لها ، وحرصه على صرف زمان الشهوات ، واشتغل باللذات إليها ومؤاتاة طبعه لهُ على ذلك واستخفافه واسترذاله لمن يلاحظ الفلسفة بالعين التي تستحق أن تلاحظ بها ، وآثر ما هو أخس منها عليها . ولا بدَّ في أول الأمور المشوقة المعشوقة من فضل

ميل إليها وإفراط في حبها ولزومها وشنآن المخالفين فيها ، حتى إذا وغل فيها ، وقرّت الأمور به قرارها سقط الافراط فيها ، ورجع إلى الاعتدال كما يقال في المثل « لكل جديد لذة » . فهذه كانت حال سقراط في تلك المدة من عمره ، وصار ما أرْوه عنهُ من هذه الامور أشهر وأكثر لأنها أطرف وأعجب وأبعد من أحوال الناس ، والناس مولعون باذاعة الطريف النادر ؛ والاضراب عن المألوف والمعتاد . فلسنا إذاً بمخالفين للأمر الأحمد من سيرة سقراط ، وإن كنا مقصرين عنهُ في ذلك تقصيراً كثيراً ومقرين بالنقص عن استعمال السيرة العادلة وقمع الهوى ومحبة العلم والحرص عليهِ . فخلافنا اذاً لسقراط ليس في كيفية السيرة بل في كميتها ، ولسنا بمنقصين إن اقررنا بالنقص عنهُ إذ كان ذلك هو الحق ، وكان الاقرار بالحق اكثر شرفاً وفضيلة . فهذا ما نقوله في هذا الموضوع

وأما ما عابوه من السيرة الاولى من سيرتي سقراط فانا نقول : إن المعيب منها بحق أيضاً كميتها لا كيفيتها ، إذ من البين انهُ ليس الانهماك في الشهوات وايثارها الأمر الأفضل الأشرف على ما بيّنا في كتابنا « الطب الروحاني » لكن الأخذ من كل حاجة بمقدار ما لابد منهُ او بمقدار ما لا يجلب ألماً على اللذة المصابة منها . وقد رجع سقراط عن المفرط منها الذي هو المعيب بالحقيقة ، والداعي إلى خراب العالم وبوار الناس ، إذ قد عاد الى ان أنسل وحارب العدو وحضر مجالس اللهو . ومن فعل ذلك فقد خرج عن أن يكون ساعياً في خراب الدنيا وبوار الناس ، وليس يجب أن لا يكون كذلك حتى يكون مغرقاً في الشهوات ونحن وان كنا غير مستحقين لاسم الفلسفة بالاضافة الى سقراط ، فانا مستحقون لاسمها بالاضافة الى الناس غير المتفلسفين . . . .

« واذ قد بينا ما اردنا بيانه في هذا الموضع فنرجع ونبين ما عندنا ، ونذكر الطاعنين علينا ، ونذكر انا لم نسر بسيرة الى يومنا هذا — بتوفيق الله ومعونته — نستحق ان نخرج بها عن التسمية بفيلسوفاً . وذلك ان المستحق لمحو اسم الفلسفة عنه ، مَن قصّر في جزءي الفلسفة جميعاً ، اعني العلم والعمل بجهل ما للفيلسوف ان يعلمه ، او سار بما ليس للفيلسوف ان يسير بهِ . ونحن بحمد الله ومنّهِ وتوفيقه وارشاده فبرآء من ذلك . اما في باب العلم فمن قِبَل انّا لو لم تكن عندنا منه الاّ القوة على تأليف مثل هذا الكتاب لكان ذلك مانعاً عن ان يمحى عنا اسم الفلسفة فضلاً عن مثل كتابنا في البرهان ، وفي العلم الالهي ، وفي الطب الروحاني . . . والكتاب الموسوم بالجامع الذي لم يسبقني اليه احد من اهل المملكة ولا احتذى فيه احد بعد احتذائي وحذوي . . . فان لم يكن مبلغي من العلم المبلغ الذي استحق ان اسمى فيلسوفاً ، فمن هو ليت شعري ذلك في دهرنا هذا »

خصص الرازي هذه الرسالة في الرد على مهاجميه ومنتقديه ، وعرض للذين يخلعون عنه لقب الفيلسوف ، فرسم الطريق الذي يسلكه صاحب الفلسفة عامة ، وشرح حياة سقراط ليستخرج منها النهج السوي اذ كان سقراط المثل الاعلى الذي يحتذى في الاخلاق . وقد نعود في كلمة اخرى الى المبادىء الاخلاقية التي ذكرها الرازي في هذه الرسالة فهي طريفة حقاً وجديرة بالبسط والتفكير . ولكني اريد ان اوجه انظار الى الطريقة التي عالج بها هذا الفيلسوف الدفاع عن نفسه ،

ان صفة العلماء التواضع ، ولكن كثيراً من المفكرين خرجوا على هذا التقليد ، فكتبوا تاريخ حياتهم ، ذكروا فيه احوالهم الشخصية ، ورسموا طرائق معاشهم ، ولم يجدوا في مدح انفسهم نقصاً او عيباً ، وكل ادرى بنفسه . ولعل الرازي اذا لم يكن قد سلم من هجمات المعارضين ، ونقدات لناقدين ، فذلك لانهُ هو كان البادىء بمهاجمة علماء زمانهِ والحط من قدرهم ، واذا كانت هذه لمؤلفات قد ضاعت اصولها وفقدت متونها ، فان اسماءها تدل عليها ، وقد عددت مؤلفاته حسب ما ورد في « اخبار الحكماء » فكانت مائة وستة وثلاثين كتاباً ، « وبالجملة فقرابة مائتي كتاب ومقالة ورسالة خرجت عني الى وقت عملي هذه المقالة في فنون الفلسفة من العلم الطبيعي والالهي » كما ذكر هو عن نفسهِ في هذه الرسالة . ثم انظر الى كتبهِ مثل «الرد على الناشىء في نقضهِ الطب » . وكتاب « في الاسباب المميلة لقلوب الناس عن افاضل الاطباء الى اخسائهم » و « كتاب الرد على ابي قاسم البلخي في نقضهِ المقالة الثانية في العلم الالهي » و « كتاب الرد على الجاحظ في نقض الطب » و « كتاب مناقضة الجاحظ في كتابه في فضل الكلام » و « كتاب نقض النقض على البلخي في العلم الالهي » و « كتاب في ان بعض الناس ترك الطبيب » و « رسالة لم صار جهال الاطباء والنساء في المدن اكثر من النساء » .... فمن هذه الكتب ما ناقض به اعلاماً من الكتاب الذين سبقوه كالجاحظ ، ومنها ما عارض بها اهل زمانه ومعاصريه . ويخيل الينا ان هذه المعارضة كانت عنيفة بل بالغة في العنف ، يؤيدها ايمانه المتأصل بأنه وحيد عصره في العلم والفلسفة والطب كما ذكر عن نفسه حيث قال « فانهم لم يكن مبلغي من العلم المبلغ الذي استحق ان اسمى فيلسوفاً فمن هو ليت شعري ذلك في دهرنا هذا »

وقد سرد بعد ذلك طرفاً من سيرتهِ الخاصة ، يعتذر بها عن نفسهِ فقال : « فاني لم أصحب لسلطان صحبة حامل السلاح ، ولا متولي أعماله ، بل صحبته صحبة متطبب ومنادم يتصرف بين امرين : أما في وقت مرضه فعلاجه وإصلاح أمر بدنه ، وأما في وقت صحة بدنه فايناسه والمشورة عليه — يعلم الله ذلك مني — بجميع ما رجوت به عائدة صلاح عليه وعلى رعيته ولا ظهر مني على شره في جمع مال وسرف فيه ، ولا على منازعات الناس ومخاصماتهم وظلمهم ، بل المعلوم مني ضد ذلك كله والتجافي عن كثير من حقوقي . وأما حالتي في مطعمي ومشربي وملهوي فقد يعلم من يكثر مشاهدة ذلك مني اني لم أتعد الى طرف الافراط ، وكذلك في سائر احوالي مما يشاهده هذا من ملبس أو مركوب أو خادم أو جارية . فاما محبتي للعلم وحرصي عليه واجتهادي فيه فمعلوم عند من صحبني وشاهد ذلك مني ، اني لم أزل منذ حداثتي ، وإلى وقتي هذا ، مكبّاً عليه حتى أني متى اتفق لي كتاب لم اقرأه ، او رجل لم ألقه لم التفت إلى شغل بتة — ولو كان في ذلك عليّ عظيم ضرر — دون أن آتي على الكتاب وأعرف ما عند الرجل . وإنهُ بلغ من صبري واجتهادي اني كتبت بمثل خط التعاويذ في علم واحد اكثر من عشرين الف ورقة ، وبقيت في عمل الجامع الكبير خمس عشرة سنة أعمله الليل والنهار حتى ضعف بصري وحدث عليّ فسخ في عضل يدي يمنعاني في وقتي هذا عن القراءة والكتابة ، وأنا على حالي لا أدعهما بمقدار جهدي ، وأستعين دائماً بمن يقرأ ويكتب لي »

سير الزمان

الدين والنهضة

الاخلاقية الحديثة

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

العقوبات الدولية

الادبية والمالية والاقتصادية

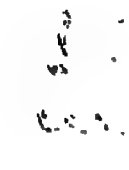

الدين والنهضة

الاخلاقية الحديثة

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

﴿ التطور في العقائد والعادات ﴾ : ليس من شأن الاجتماعي اذا ذكر الاديان بصورة مجملة ان يحصر كلامه في الاديان كما نزلت على مؤسسيها لان الشعائر والعقائد والاعمال في الامة على كرّ الزمن قد لا تبقى على صيغتها الاصلية بل ربما ارتقت عن هذه الصيغة او انحطت بحسب العوامل والطوارىء وقلما كانت ثابتة من غير تعديل او تبديل . ويهمنا ان نقرر هنا ان قابلية التطور في العقائد وما يتبعها من العادات المتجلببة بجلباب التقديس قابلية عظمى حتى ان المتتبع ليرى انتقالاً يكاد يكون فجائيًا من النقيض الى النقيض باسم العقيدة الواحدة نفسها ، وان « البدعة » التي تضطرب لها افئدة المؤمنين في الجيل الواحد قد تصبح قاعدة من قواعد الايمان في الجيل الآخر ولاسيما اذا قدّر لها رجل مبجل يفتي بان لها اصلاً في النصوص القديمة ، وقد لازم التعصب في المجتمع الازياء خصوصاً لباس الرأس واثار في البلدان الشرقية « حروباً » حامية الوطيس لا تزال لها بقية باقية ، وذكر لنا من تقدمنا ان تغيير الاحذية من القديمة الى الحديثة في عاصمة البلدان السورية احدث هياجاً عظيماً كاد ينتهي بفتنة حمراء ، وفي اوائل القرن الحاضر ضمني ورجلاً من كبار الاعيان في بيروت مجلس ذكر المجتمعون فيه حديث الفتوى بلبس القبعة كما نقل لنا عن لسان الشيخ (محمد عبده) يومئذٍ فارتعش واضطرب وامتقع لونه واظهر من النفرة ما يظهره الترك الكماليون اليوم من رؤية الطربوش على رأس السوري او المصري او العراقي !

ولا يقتصر هذا التطور على الشؤون التي اصبحنا نعدها ثانوية لا يؤبه لها بعد مرور الزمن عليها ، بل يتناول الشؤون التي نعدها اولية ، ولا ادل على ذلك في موضوع العقيدة الدينية من تولد مذهب (التوحيد) في لب البلدان البروتستنتية وتمتعه بالحرمة اللائقة به مع كل ما احدثهُ من التغيير في العقائد التي اعتبرتها الاجيال السالفة جزءًا لا يتجزأ من التعاليم المسيحية ، ورأينا في اميركا من اتباع هذا المذهب الجديد والمؤمنين به من لا يقلون شأناً عن زملائهم واخوانهم الموحدين السابقين امثال (لونجفلو) و (امرسون) و(هوثورن) و (جفرسون) و(لينكون) من الاموات وغيرهم ممن زينوا اسم الولايات المتحدة واعلوا مقامها ، ويقوم مذهبهم فيما يقوم عليه من نقد العقائد المتوارثة المعنعنة على وحدانية الخالق وحدانية منزهة وانكار التثليث ، وعلى اخوة البشر وان النجاة تكون بالاعمال لا بمجرد الايمان فقط وان الارتقاء البشري سنة ثابتة الى الابد

ونرى في الشرق تحت اعيننا تبدلاً اساسيًا في وضع من الاوضاع المقدسة مثّل اخطر الادوار في حياتنا الاجتماعية وهذا الوضع هو الحجاب ، فالذين يتمسكون به يغالون في شأنه مغالاة تجعله في

مصاف الاركان الجوهرية التي بني عليها الاسلام وقد لا يقل في نظرهم عن اقدس المقدسات ، واما اهل السفور فلم يخلعوا الحجاب فقط بل يدعون اليهِ علناً بقولهم انهُ مخالف للحياة الاسلامية الاولى مخالفة بدهية ! وكيفما كان الحال فرور المرأة المسلمة اليوم سافرةً في اهم شارع من شوارع القاهرة وعلى رأسها القبعة لا يستوقف نظر احدٍ ، ولو اقدمت على مثل هذا العمل قبل خمسين او ستين سنة مثلاً ما فارت بالسلامة . والذين يقرأون كتاب (تحرير المرأة) في ايامنا هذه لا يشعرون بشيء من الهزة العنيفة التي احدثها يوم ظهوره ، ذلك لانهم رأوا باعينهم من الافراط في العرى ما جعلهم يترحمون على اعتدال قاسم بك امين والسفور الذي دعى اليهِ

وفي النازية الالمانية اليوم نزعة اجمعت الكنيسة المحافظة على وسمها بالزندقة والوثنية وغير ذلك من الفاظ الاستنكار ، ولكن عالماً خبيراً بالنشوء الاجتماعي قال لي ، من يدري ما عسى ان يكون تاريخها في المستقبل ؟ وقد يكتب لها ان تنتشر من المانيا الى سائر العالم المسيحي كما انتشر مذهب لوثر في القرون الماضية ، ولكن من المحقق ان الصهيونيين واقفون اليوم في صف المدافعين عن قواعد الايمان الكفسي وهم اشد حرصاً على مقاومة (هتلر) « وبدعه » من رعاة الكنيسة الانجيلية نفسها

﴿ السخافات الباقية من العقائد الخالية ﴾ : من اعجب الظواهر الاجتماعية ان يبلغ البشر هذا المقام الرفيع في الارتقاء العقلي وتبقى بعض العقائد والشعائر الابتدائية السخيفة ملازمة له . واذا كان لها في احد الايام الغابرة ما يجوزها فليس لها في يوم الاستنارة العقلية مسوّغ ما . واعجب من ذلك ان يدأب بعض « المؤمنين » على التمسك بها وممارستها على رغم جميع المناهضات والمقاومات التي يبديها العقلاء الذين هم اقرب الى فهم الدين والاحاطة بروحه ونصوصه . وقد اثر اشد الاثر في استدامتها وتعلق الناس باهدابها ان بعض كبار الاخصائيين من اهل العلوم والفنون العملية الحسية وائمة الصناعات ممن لم يسبق لهم اي اشتراك في شيء من العلوم الاجتماعية والتاريخية والدينية ما برحوا يحفلون بها ويطأطئون رؤوسهم اجلالاً لها وتعظيماً ، فتراهم وهم أئمة مبرزون في فروعهم كالاطفال في هذه العلوم . فلا غرو ان يكون لهم من نبوغهم في المنطقة التي اختصوا بها صوت مسموع لدى العامة في منطقة لما تطأها اقدامهم ، ورأي مطاع في شأن لما يكن من شؤونهم ، لان العامة وياللاسف يظنون ان من اتقن شيئاً فقد اتقن كل شيء ، او من صنع آلة ميكانيكية حافلة بالحيل الدقيقة مثلاً او اخترع دواء ناجعاً لمرض عضال حار فيهِ الاطباء فان عمله مستمد من منبع عميق لاطاقة للبشر ان يغترفوا منهُ ، فرأيه في السياسة او في الاجتماع او في الدين يجب ان يكون حجة يقارع بها الخصوم . وقد طرأ هذا التحول السريع بتقدم العلوم الحسية وتمتع اصحابها بالمقام الرفيع في المجتمع ، وكان هذا المقام عادة وقفاً على المشتغلين بالشؤون العقلية والروحية . وحضرت مرة مجلساً حاول فيهِ احد الذين يستغلّون اسماء الرجال الاخصائيين المشهورين في الفروع التي عانوها ان يبرهن عن سخافة كان يؤمن بها امير الماء (ناسن) — وهي انهُ سيموت في يوم معين حققتهُ الايام — على صحة الهواجس

« الاثيرية » او الروحية التي تخامر النفوس : وكذلك استغلّ غيره اسم (باستور) لتأييد بعض الشعائر والعقائد البالية ، واني افهم كل الفهم ان يكون كلام (ناسن) حجة في القيادة البحرية وكلام (باستور) حجة في الجراثيم ولكني لا أفهم ابداً كيف يكون كلامهما حجة على صحة الهواجس النفسية والشعائر التقليدية ، ولأقرب الى المعقول ان يستشار (توماس اديسون) في قواعد اللغة العربية ويهتدى برأي (رونتجن) في تاريخ حياة (توت عنخ امون) من ان يستشار (ناسن) او (باستور) في المشاعر الوجدانية والعقائد الدينية . على ان البلية كانت اعظم والطامة أشد وأحكم لما كان المنتسبون الى العلوم المعنوية يدّعون السيطرة على العلوم المادية والتحكم في اصحابها ، فلهم مثلاً ان يحزوا رقبة العالم الفلكي الذي يجرؤ على القول بكروية الارض ودورانها !

على ان الذي سيبقى عثرةً في سبيل الاقناع بما حدثنا واقامة الدليل على ما بينا هو ان العلوم الاجتماعية اجمالاً ليست من الضبط والاحكام في المقام الذي تتمتع به العلوم الطبيعية فيجوز لكل مُثار ان يدعي ذلك الى اجل واما هذه فحجتها قريبة وحبل التدجيل فيها قصير

ثم ان العقبة الكأداء التي لمّا يعرف المجتمع كيف يتغلب عليها ويأمن الالتطام بها هي السلطة القاهرة التي تتمتع بها العادة المستحكمة ولا سيما متى كان لها اتصال بالحرمة والشرف واللياقة والمروءة والاباء وغير ذلك من معاني الاعتزاز والسمو ، وقد تصبح مثل هذه العادة — على ما قد يكون فيها من الهمجية والفحش والظلم — مقياساً في الاخلاق وكمالاً في العقيدة . واني لأضرب على ذلك مثلاً من الاقوام التي تعيش عيشة ابتدائية فان اوضاعها البسيطة الخالية من تعقيد الحضارة قد ترشدنا الى فهم الاوضاع الحاضرة في ارقى الاوساط المدنية . قال الاستاذ (هوبكنس)[1] عن علاقة الدين والعادة بالاخلاق إن قانص رؤوس من جزيرة (بورنيو) قص القصة الآتية التي تدل على تحكم عادات السلف في الخلف وكيف ان الاخلاق انما هي السنة التي درج عليها الآباء والجدود والتي اكتسبوها للفائدة التي استفادتها العشيرة من تطبيقها والسير عليها . قال الصياد : كنت شديد التعلق بمربيتي العجوز ، وقد حان الزمن الذي قال لي والدي فيه : يا ولدي لقد كبرت وباشرت سن الرجولة فهلمّ واقتل قتيلاً » كما هي العادة في تلك الاصقاع لاثبات الرجولة . قال الصياد « وحكم الشرع عندنا ان النساء العجائز اللاّت لم يعدنَ يصلحنَ لشيء ان يذبحنَ . فدلني والدي على مربيتي العجوز وكانت جالسة لوحدها وقال لي ، انني صغير السن فلا استطيع ان اقتل رجلاً ولكن يجب ان اتمرن عليها فأعطاني قومي وسهامي وقال لي هلمّ وارمها . اما انا فلم ارد قتلها ولكنه اصر عليّ وقال لا بدّ من ذلك فرميتها بسهم ولكن طاش فلم يصبها فأدركت هي الموضوع وأخذت في البكاء وانا اخذت في العويل فاغتاظ والدي وامرني ان امتنع عن عويلي واكفكف دمعي واضبط الهدف وذكر لي انهُ من الشر المعيب ألاّ اقتلها . حينئذٍ اخذت ارميها رمياً متواصلاً ومع انها اعولت فلم

(1) Origin & Evolution of Religion, P. 246

نفت الى عويلها وما زلت ارميها حتى قتلتها . وكانت عندي في مقام والدتي ولكنني لم ابال . ثم والدي قال لي يا ولدي الآن اصبحت رجلاً صالحاً وقد عملت عمل الرجال وقمت بالحق »

﴿ الاخلاق الايجابية ﴾ حدث عند الاجتماعيين المتأخرين تطور في الاتجاه الاخلاقي لا بدّ من الاشارة اليه هنا ، وهذا التطور هو الاهتمام بما يسمى «الاخلاق الايجابية» لا الاكتفاء «بالاخلاق السلبية » — يعني اننا كنا في الماضي نعد الكمال في الرجل ان يمتنع فقط عن اتيان بعض الموبقات الخمر والميسر والزنا وغير ذلك من المحرمات التي لا يشك احد في فضيلة الابتعاد عنها ، وان يسير في حياته سيرة المسكنة والخضوع «والدروشة » وكم رأينا في الحوانيت الابيات الآتية معلقة على الجدران هي : —

اذا شئت ان تحيا سعيداً من الاذى ... وحظك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امرىء ... فكلك عورات وللناس السن
وعينك ان ابدت اليك معائباً ... فصنها وقل يا عين للناس اعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى ... وفارق ولكن بالتي هي احسن

لم تعد مثل هذه الاخلاق — على ما فيها من سحر وانسانية — مقياساً للنشاط الاجتماعي ، فهو تطلب الجرأة والاقدام والعمل لا الانزواء في الزوايا ولا وضع اليدين على الرأس وترديد كلمة « يا لطيف » . والمسكنة وما يتعلق بها من زهد وانقياد وتمشية للحال تروق الامم المستعبدة التي لا ترى سبيلاً الى النجاة الاّ بالخضوع وعقد الآمال بظهور المهدي او عودة المسيح او يوم الحساب واما القاعدة الاجتماعية التي يرجى منها الخير العميم فهي الامر بالمعروف كما هي النهي عن المنكر وتلقين القواعد التي تبنى عليها الاستقامة كما هي النقد الصحيح لتقويم الاعوجاج وبث روح العدالة في الافراد كما هي الضرب على ايدي المعتدين حتى لا يتجرأوا على فساد المجتمع ، فترك الحبل على الغارب في مثل هذه الجرائم التي تجترم اجتثاث لاصل من الاصول الجوهرية في الحياة الاجتماعية والسماح عن المعتدي يكاد يجعل المتسامح شريكاً في ارتكاب الجرم ، بل لا بدّ من مقابلة الظلاّم وجهاً لوجه . وحدث في بعض الحركات الوطنية ان أُرسل احد الزعماء الى السجن فجاء اليه بعض الاطفال يحملون باقة من الازهار اظهاراً لاعجابهم به فقال لهم من وراء قضبان الحديد « آه لو وصلت اليكم لقبلت ايديكم الصغيرة ولأخبرتكم انني الى الحناجر احوج مني الى الازهار»

ويعالج اساطين النهضة الاخلاقية في اوربا هذا الموضوع معالجة دقيقة ، ومن المفيد جدًّا ان يطلع ابناء العالم العربي على طريقتهم وعلى الغرض الذي يتوخونه من ذكر الاخلاق الايجابية في مقابل الاخلاق السلبية ، ومن خيرة الكتّاب في هذا الباب من الاجتماعيين الاستاذ (بايندر) فيجدر بنا ان ننقل لهم خلاصة منه ننهي بها سلسلتنا هذه [1] فقد قال بعنوان « الاخلاق المسيحية القديمة والحديثة » ما مؤداه : ولما كانت النصرانية في الاصل دين المظلومين

(١) Major Social Problems, p. 165

والمحرومين فقد وقفت بالضرورة موقف الخصم تجاه القويّ المتصف بالاقتدار ، وفي الاحوال والظروف الحافلة بالمتاعب والمشاق يكون الاستسلام وترك المقاومة في كثير من المواقف خير سياسة تنتهج ، ذلك لان الثورة محكوم عليها بالاخفاق ، والتفكير فيها خارج عن الموضوع . فلما اصبحت الكنيسة وضعاً في صميم الدولة اهمل اصحابها هذه الناحية من تعاليمها ، بيد ان هذا الطابع الاولي بقي ملازماً لها ولم ينمح اثره ، فكانت تُعدّل وتُوسّع بحيث تنطبق على جميع الناس بشكل تواضع وتذلل يتذلل المرء امام الله للذنوب التي ارتكبها . وربما كان هذا العمل ضرورة من الضرورات الملجئة في عصر ساد فيهِ العنف والشدة فكان من الواجب التوسل بالوسائل المرعبة لارهاب الاشرار كبيرهم وصغيرهم ، فكانت النتيجة ان الكنيسة اهتمت بالضعف والذل والمسكنة والعجز واعتبرت هذه الصفات السلبية وامثالها مطلوبة في المرء مرغوباً فيها وانها في كثير من الاحوال عنصر جوهري في السيرة المسيحية . قال (بايندر) ومع ما يجوز لهذه الشيم الكمالية من قيمة مقدرة فهي شيم لا تؤدي الى التقدم في الحياة الاّ بطريقة سلبية يعني انها تمنع الاحتكاك الاجتماعي ولكنها لا تؤدي الى تحسين الاحوال والظروف ، مع ان هذا التحسين هو الضالة المنشودة التي ينادي العالم في طلبها ويستغيث للحصول عليها

وتحسين الاحوال كما تعلم يتطلب البداءة والتشبث والهجوم والمخاطرة وغير ذلك من معاني الاقدام لا الاستسلام والخضوع . وقد غرس صدر النصرانية هذا الخلق السلبي في المؤمنين في جميع القرون ، وحيثما ابيح انحراف عن هذه الخطة فالنتيجة كانت هلاكاً كما هو الحال في الفرسان الهيكليين وهم فرقة (الداوية) The Templars في ابّان الحروب الصليبية والمؤسسات الاخرى التي انتظمت انتظامهم فان التقوى اضمحلت عندهم وتغلبت عليهم الصفات العسكرية الهجومية

اما في الاعصر الحاضرة فالنتيجة مختلفة عن ذلك اختلافاً بيناً ، فاذا كان ثمت كثيرون لا يزالون يؤمنون بالدين فهم قد اغفلوا شأن الفضائل السلبية التي كانت تعد جوهرية في الاعصر السالفة ، وربّوا ما عندهم من تشبث وبداءة واقدام وعالجوا مشاكل الحياة واجبروا الطبيعة بقوة ارادتهم على التسليم بالكنوز المدفونة فيها ، فكانت النتيجة من الناحية الاجتماعية شيئاً طريفاً خليقاً باسترعاء الاسماع والانظار

﴿ عواقب الاخلاق الجديدة ﴾ قال (بايندر) : لقد صرف المجددون الهمم لاصلاح الدين بان نفثوا فيهِ روحاً هجومية وطالبوا الناس بمساهمة نشيطة في الحياة السياسية والصناعية الحاضرة ، وحيثما تمّ شيء من النجاح في هذا الباب حمل المتمسكون بالطريقة الدينية على ما استجد حملة شعواء قائلين انها شرود عن النصرانية الصحيحة ان لم تكن مروقاً وضلالاً ، وكانت الكتب التي تقول بمثل هذه الاصلاحات الجوهرية موضوع اضطهادهم وحرمانهم

وكان من النتائج الاخرى ان انسلّ عدد كبير من الرجال من عضوية الكنيسة ممن لم يطيقوا البقاء على الخمول والتقاعس ، فقد ودّوا ان يعملوا شيئاً خليقاً بنشاطهم ولكنهم اجيبوا ان تصدقوا

وعودوا المرضى ، وقد ترضي مثل هذه الطريقة الرجل الذي تقوم افكاره على الطريقة الجامدة ويعتقد بان الله راضٍ ان ينظم الشؤون على طريقة تحتفظ بالمرضى والفقراء دائماً . اما الرجل الحديث وطريقته في التفكير متحركة لا جامدة وعقيدته الثابتة التحسن المنتظر في الاشياء فيتساءل في نفسه لِمَ يارى يوجد بين ظهرانينا هؤلاء المساكين الذين هم في حاجة مستمرة الى مساعدتنا ؟ ومن المحقق عنده ان الخطأ لن يكون من الجانب الالهي ، اذن فهو من الجانب البشري ، من جانب المجتمع او من جانب الفرد ، فلا بد من عمل شيء لاصلاحه يعني يجب ان تلقى على الجاهل دروساً في الصحة والغذاء وان تنبه الجماعة الى التهيؤ والاستعداد اللازم للتفتيش الطبي والنظام الصحي ، اذ لا ضرورة ملجئة تقضي بان يكون ثمة مرضى او فقراء فتى اقيم نظام في التوزيع عادل فاهل الاسراف وفاقدو الحيلة وقليلو التدبير فقط يكونون وحدهم من الفقراء ، والواجب يقضي بان يلقنوا ضرورة العمل حتى اذا ما رفضوا السعي في مناكب الارض سيقوا الى المعاهد الخاصة حيث يعزلون عن الناس وتعطى لهم الادوية الناجعة

وكذلك من النتائج التي نتجت السعي لاستدرار الاكف من اتباع الكنيسة العاملين والحصول منهم على الهبات العظيمة لكل عمل يخطر بالبال ، ، فالذين يدافعون عن النظريات الدينية العتيقة يزعمون ان الرجل المتنازل عن جزء من ثروته لغاية خيرية هو رجل يعمل لخدمة الانسانية ، ولكنهم لا يدركون ان الهبات السمحة هي سبب عظيم في استمرار الشرور الاجتماعية الحاضرة ، وقد يكون المرء حريصاً على التبرع بعشر ثروته على شرط ان ينال اذناً ربانياً يحلل له امتلاك الاعشار التسعة الباقية والتصرف فيها ، فلا عجب والحالة هذه ان يكثر التحدث كتابة وخطابة عن الصلاح في الهبات العظيمة وان يصير كثير من الناس صالحين بهذا المعنى

وما دامت الكنائس متعلقة بالنظرية الدينية العتيقة وهي من الاساس نظرية سلبية فلا امل باتخاذ الاجراآت الاصلاحية الجوهرية . لان هذه الكنائس متى تحولت الى ايجابية هجومية ووعظت عن الظلم الصناعي وما اشبهه من الشرور باهتمام خسرت تأييد الرجال الذين هم هدف سهامها وحملاتها ومعنى ذلك بالقلم العريض خسارة فادحة في الموارد التي تعيش منها واغلاق الكثير من المباني الكنسية . والناس قد تعودوا ان ينظروا الى السلبية انها النصرانية فهم يأنفون هذا الاتجاه الجديد الذي لم يألفوه

﴿ الدين ودستور السبب والمسبب ﴾ : وربما كان اصعب شيء على المرء تعلمه هو ادراك دستور السبب والمسبب ادراكاً علمياً . فهذا الدستور معترف به عند جميع الناس من الناحية النظرية فقط لا من الناحية العلمية ، وكان من الجائز تطبيقه تطبيقاً شاملاً اعم لولا الموقف الرسمي الذي تقفه العقيدة الدينية بحيث تجد المخرج من ورطته دائماً والحِلَّ من مفعوله الثابت . واغرب منظر في جميع التاريخ مُحيِّر هو الخطط التي اختطها الناس لتجنب مفعول هذا الدستور والابتعاد عن منطقة عمله ، واهم ما يدعو الى الاطمئنان وتوقع التحسن في المستقبل هو ان الناس تعلموا — على اقل

تقدير — ان جزاء الوزر الذي يزره المرء لا يمكن تجنبه ولا تحميله على عاتق الآخرين ممن لم يرتكبوه (ولا وزر وازرة وزر اخرى) ، فدستور تحسين النسل مثلاً انما يعني هذا في دائرة التوالد لا اقل ولا اكثر — يعني ان القذارة الاجتماعية تنتهي بالوراثة الفاسدة حتماً وسريعاً ولا مخرج من هذه الورطة ولا حيلة من مفعولها الثابت لا بالاوهام ولا بالخرافات . وكذلك دستور الاجور الناقصة او الرخيصة فهو يجري على هذا النمط — يعني ان محصولها يكون اضعف نوعاً واحط مقداراً من الاجور الوافية ، فالسبب والمسبب متصلان لا يحول بينهما حائل ، وربما كان اهتمام الناس بحوانيت النسج القذرة التي يقيم بها العمال المرهقون للعرض الملتصق بالملابس المصنوعة فيها والخوف من عدواه اضعاف ما تحدثه فيهم تلك المجادلات العتيقة حول اخوة البشر وابوة العزة الالهية

﴿ حاجتنا الى التغيير ﴾ : قال (بايندر) ويتوقف الاثر الاجتماعي الذي يتركه الدين الرسمي في المستقبل على قبوله دستور السبب والمسبب ، فاذا ما اغفل الدين هذا الدستور طرد العناصر المفكرة من حظيرة الكنيسة وتنفيرها من الاشتراك في اعمالها ، كما دلت الحوادث في السنين الاخيرة

ومعظم الخلق هم في حاجة الى الدين وذلك لضعفهم ووهنهم ، واحدى غاياته المعروفة ان يزرع في قلوبهم القوة وفي نفوسهم السعادة ولن يتم ذلك بتعليمهم ان يحملوا تبعة ذنوبهم ونقائصهم على اعناق الآخرين . والطريقة المثلى للاعتبار والدرس الحكيم هي ان يتحمل الفرد وزر عمله . وهذا ينطبق على الفرد كما ينطبق على الجماعة . وتكون المحنة المغربة بارتكاب الشر المرّة تلو المرّة عظيمة فوق طاقة معظم الناس اذا ما قيل لهم ان هناك طريقة من الطرق لنجاتهم ورفع التبعة عن اعناقهم . ولن بعض الناس لا يتعلمون حتى من الاختبار ولا يتعظون حتى من المصيبة فلا شيء يعمل لهم سوى تركهم في مراجل الالم : هذا هو دستور الطبيعة وهو دستور الروح . وما من رجل يختمر فيبلغ في الاخلاق المقام المحمود الا بالسعي وصرف الجهد فعلينا « ان نفشد السلامة بالخوف والرعشة » ويريدنا الله ان نتعاون معه على رفع المجتمع الى مستوى اعلى مما هو فيه ولن يتم ذلك الا اذا عرفنا واجبنا وساهمنا في تحمل التبعة

اما الاصرار على ضعفنا وذلنا ولفت الانظار الى شرّنا ووهننا فيجعلنا دون العمل الواجب علينا انجازه واقل اهلية للقيام به ، لاننا نحن في الاكثر كما نحن بما يقال لنا ، والاشادة بقابليتنا للعمل ، تساعدنا على انماء هذه القابلية فينا لان « من كان عنده فيعطى » وامّا من كان خلواً فلا حق له وليس هذا دستوراً كيفيًّا بل هو سنة كلّ ارتقاء . والنظر الصحيح الصائب في الالوهية هي انها عامل يعمل دائماً وابداً بنشاط مستمر لترقيتنا ورفاهيتنا ، ولا نستطيع ان نضع في ميزان التقدير والاعتبار من شأن الجهود التي تصرفها هذه القوة المعنوية من اجلنا الا على قدر ما نتمثله منها بجهودنا ومساعينا وماعدا ذلك فكلام هراء وثرثرة لاطائل تحتها . ولا ندري اننا عيال الله ما لم نقم بالعمل الذي اختصنا به ، والمسألة كلها هي مسألة ممارسة عملية واختبار ذاتي لا مسألة نظر وعقيدة

ويدلنا الاختبار في اعمالنا على دستور السبب والمسبب في جميع نواحي الحياة بل هو حقيقة الحياة نفسها والحقيقة وحدها هي التي تحررنا من رق العبودية . انتهى

﴿ منطقة الدين ﴾ : لا شيء أضرّ بالدين مثل اخراجه عن حدوده والسير بهِ في فياف وقفار قاحلة لم تكن لهُ موطناً ولا لرحاله محطًّا ، وقد يضيع فيها كما تضيع الصرخة في الوادي ، وليس من تمام الاخلاص في شيء اننا اذا أحببنا زيداً من الناس مثلاً ان نقول انهُ مهندس وطبيب ومزارع ومحامٍ ورياضي وفلكي وجيولوجي وجغرافي وكيماوي وغير ذلك من النعوت الفنية وغير الفنية في آن واحد علاوة على ما يتحلى بهِ من سمو الاخلاق ، فلمَ يا ترى نجوّز لانفسنا ان نكون اكثر كرماً وتسامحاً في مسائل الدين ؟ وفي الاسلام نصٌّ صريح لمؤبري النحل ان يؤبروه كما دلهم الاختبار لانهم أعلم بدنياهم ، ولان مثل هذه الفنون العملية ليست من الدين في شيء فلمَ نحاول حشرها وحشر غيرها فيهِ يا ترى ؟

ولم تخلُ اوربا نفسها من الافراط والغلوّ في توسيع منطقة الدين مما حمل كثيراً من الكتّاب الغربيين على التفريط ورد الفعل ، يدلنا على ذلك ان كاتباً اجتماعيًّا معتدلاً كالاستاذ (ديلي) يدرّس كتابه في بعض الجامعات الدينية والمعاهد الاخلاقية يقول في هذا الصدد [1] « ان ما اشتهر بهِ الوضع الديني من البقاء والاستمرار تاريخيًّا على رغم الحوادث يتجلى لنا متى نظرنا بعين الاعتبار الى المصالح المتعددة التي شملها ، فهو باعتبارهِ فلسفةً قد استحدث لنفسهِ نظرية كونية عالمية غرضها بيان وحدة جميع الاشياء في آلهٍ واحد او آلهة متعددين هم خلقوا الكائنات واداروا امورها وزرعوا فيها الحياة وارشدوها لبلوغ غاية معينة ، وباعتبارهِ علماً قال انهُ بواسطة الوحي قد حصل على الدساتير الجوهرية التي تسيطر على المعارف ، حتى انهُ طالب الناس في بعض الايام ان يطبقوا العلم على هذا الوحي الذي أتى بهِ ، واستنّ في الاخلاق سنناً ليسيروا عليها قائلاً انهُ بعملهِ هذا انما يعمل بسلطة الهية ، وأبدى حقهُ ايضاً في املاء القواعد العملية في الشؤون الاقتصادية والمنزلية والسياسية والتهذيبية وان لهُ ان يدير الطرائق التي تجري عليها . وبدهي ان مثل هذه الدعاوى العظيمة والسلطات الجسيمة لا تسلم بها العوامل الاخرى في المجتمع دائماً » ، ذلك لان الفلسفة والعلم يدافعان عن حقهما في اذاعة النتائج التي وصلا اليها حتى لو كانت هذه النتائج مناقضة للاصول اللاهوتية ، وكذلك علم الاخلاق الاجتماعي فقد اخذ يطبع الكنيسة بطابعهِ فيما يتناول السيرة الاجتماعية ، ولم تعد الاصول التهذيبية التعليمية ترضى الخضوع للقواعد الايمانية ، ونرى الكنيسة والحكومة تفترقان والقانون المدني يدير الاسرة ، واما الحركة الاقتصادية فهي كثيرة التشعب وشديدة التعقد بحيث لا تستطيع الكنيسة التسلط عليها . فالكنيسة مضطرة في مثل هذه الاحوال الملجئة اما ان تصبح مناقضة للعصر الذي تعيش فيهِ متأخرة عنهُ واما ان تعمل لغاية في النفس أسمى وأرفع بعيدةً عن الصغائر والتمطيات المملة ساعية للقيام بالواجب مرةً ثانية باعتبارها هداية مُنزّلة تهدي المشاعر الكمالية العليا التي تغلي في صدر الانسان »

ولما حمل (برنارد شو) على «الكتاب المقدس» حمل على ما يدعيه اصحابه فيه من الدعاوي الطويلة العريضة الفنية وغير الفنية الخارجة عن منطقة الدين كما اسلفنا ولكنه قال وهو محق في قوله[1] « ان هذا الكتاب وان عُدَّ بالمقاييس العلمية مهجوراً من سائر النواحي الا انه من ناحية واحدة يحتفظ بقيمته وذلك باعتباره سجلا لنشوء الفكرة الالهية» — فكرة اول سعي سعاد الانسان المتمدن لتعليل مصدر الكائنات والحكمة من وجودها

وفي الحق ان هذه الفكرة هي مركز الثقل في جميع الثقافة التي مرّت عليها العصور وعليها يرتكز الدين في جهاده المتواصل الثابت وهي هي التي جعلت هذا البون الشاسع بين الانسان والحيوان، والفرد الفذّ ما بلغ من العلوم المادية واوسع ما احاط من سننها ودساتيرها لا يكون قد ازداد بالموهبة الانسانية الجوهرية اذا هو لم يتساءل في نفسه من اين اتى والى اين ذاهب ، وسيبقى هذا السؤال املاً من اقوى العوامل في الحث على التتبع والتدقيق وكشف المخبآت، وربما رجع اليه الفضل الاكبر من الناحية التاريخية في ايجاد العلوم واستحداث الفنون وتوجيه الانظار الى الحكمة . ويعلو الدين او ينحط بقدر التنزيه الذي تتحلى به تعاليمه . وما دام هذا السؤال موضوع الدين الاساسي فالدين طود ثابت ما زعزعته في الماضي الثورة الفرنسية ولا تزعزعه في الحاضر الثورة الكمالية ، وانما الخطر عليه كل الخطر هو الخروج به عن المنطقة التي خلق ليعمل فيها ، واستثمار النفعيين والجهلاء الاحتكاريين للنفوذ الذي يتمتع به . ثم اذا صدر مثل هذا السؤال عن قلب يلتهب شوقاً الى ادراك كنه الحقيقة والاحاطة بأسرارها فهو يدل على ان نفس صاحبه ليست حيوانية بهيمية بل هي نفس تدان بالاخلاق والاخلاص ايضاً وهذا ما يجدُّ الاجتماعيون ليجعلوه من جوهر الدين ، ونحن لا ننكر ابداً ان اهل التتبع يميلون اليوم الى الفصل بين الاخلاق والدين من الوجهة العلمية ولكن معلمين من الاجتماعيين يستعينون بالدين لتقويم الاخلاق ، ذلك لان الاتصال بينهما اتصال وثيق ، جميع الاديان الراقية الكبرى طافحة بالحث على مكارم الاخلاق ، والدين الذي لا يجعل الاخلاق صحيحة غرضاً من اغراضه الجوهرية لا يهم الجمعية البشرية الاحتفاظ به

ودلنا تاريخ لاديان الراقية على ان الالوهية تجلت في النفوس من الناحية العقلية حكمة استقصاء ، ومن الناحية الفنية جلالاً وجمالاً ، ومن الناحية الروحية طهارة واخلاقاً، فلا غرو ان تكون لها هذا السلطان الباهر وهذه القوة الساحرة، ولا يزال الاتقياء في كل عصر ومصر يشاطرون الكاهنة (بيثيا) لما قالت في مكهن (دلفي) في بلاد اليونان منذ عشرات القرون « ايها الغريب اذا كنت طاهر النفس فادخل معبد الله القدوس مكتفياً بلمس ماء التطهير ، فالتطهير سهل على الصالحين لكن البحر المحيط جميعه بأنهاره عاجز عن غسل الادران من الرجل الشرير»

(1) The Adventure of the Black Girl in her Search for God, p. 63.

العقوبات الدولية

الادبية والمالية والاقتصادية

العقوبة اسم يطلقهُ رجال القانون ، على الذرائع التي يتذرَّع بها لقسر الناس والدول على الخضوع للقانون . وقد تفرغ في احد قالبين ، اولهما توقيع الجزاء على من انتهك حرمة القانون ، وثانيهما وسائل غرضها منع انتهاك مرتقب . ولتأثيرها وجهان ، احدهما سلبيٌّ ، ذلك ان معرفة الآثم او المعتدي ، ان النية معقودة على تطبيق العقوبات عليهِ ، وان تطبيقها مستطاع ، تردعهُ عن الاقدام على ما ينوي ، والآخر ايجابيٌّ ،وهو قائم على منع المعتدي من التمادي في اعتدائهِ ، وحرمانه من ثمرات الاعتداء ، وحملهِ على الخضوع للقانون

اما كيف نشأ نظام العقوبات في القانون الدولي ، فبحث فقهيٌّ لا يتسع له نطاق هذا المقال ؛ فنكتفي بالقول بان انشاء جامعة الامم بعيد الحرب الكبرى ، قام على قاعدتين ، احداهما احترام م يعرف بالقانون الدولي ، المستمدِّ من المعاهدات والاتفاقات الدولية وما قرَّرتهُ المؤتمرات المختلف في هذا الصدد ، والاخرى الاتفاق على فض كل نزاع دولي بالوسائل السلمية ، اما باتفاق الفريقين المختلفين واما بالتحكيم واما بعرض المشكلة على محكمة العدل الدولية

هذه القواعد مطوية في عهد جامعة الامم . ولكن عهد الجامعة لم يكتف بتقريرها ، بل نصَّ في موادّ المختلفة على السبل ، التي يجب ان تطرق ، فضًّا للنزاع بالوسائل السلمية ومنعاً للحرب . ففض النزا بالوسائل السلمية منصوص عليهِ في المواد ١١ و١٢ و١٣ و١٤ و١٥ . ووسائل الاحتياط التي يجب ان تتخذ عند التهديد بنشوب حرب منصوص عليها في المادتين ١٠ و١١ . وفرض العقوبات على معتد مرتقبٍ او معتدٍ فعَّال منصوص عليها في المواد ١٠ و١١ و١٣ و١٥ و١٦ و١٧ . اما اعادة النظر ف المعاهدات القائمة ، التي اصبح تطبيقها متعذِّراً او مهدداً للسلام لتغيُّر الاحوال فمنصوص عليها ا المادة ١٩ . وهذه المواد متماسكة البنيان ، يشدُّ بعضها بعضاً ، ولا يمكن ان ينظر فيها مفصو بعضها عن بعض

العقوبات الادبية الدبلوماسية

الرأي العام في مختلف الامم ، وبوجهٍ خاص في البلدان الدمقراطية ، رادع قوي الاثر ء الاعتداء . وليس ادلَّ على ذلك من ان الحكومات التي اشتركت في الحرب الكبرى ، حاولت ك منها ، ان تقنع شعبها بانها خاضت غمار الحرب مكرهةً ، دفعاً لاعتداء واقع عليها . فالنجاح حرب ما من دون تأييد الرأي العام ، امر متعذِّر

والرأي العام الدولي ، قد يعرب عن استنكارهِ لخطة دولة من الدول ، بأساليب مختلفة ، بامتن

السيّاح عن زيارة تلك البلاد واعلامها ، وباجتناب الناس شراء ما تصنعهُ وتصدّرهُ الى الخارج ، او بكتابة المقالات في الصحف ، او بالاحتجاج عن طريق الممثلين الدبلوماسيين

فهذه الوسائل ، مفردة ومجتمعة ، تضعف الثقة في مالية البلاد ، علاوة على ما تتأثر بهِ تجارتها بقاطعة بضائعها . لانهُ اذا رميت نية دولة ما بالشكّ ، وحامت حول استقامتها في احترام عهودها الظنون ، ضعفت الثقة كذلك بتعهداتها المالية العامة ، فتعجز في الغالب عن فتح الاعتمادات الدولية وعقد القروض الدولية التي لا ندحة عنها في هذا العالم الذي تربطهُ بعضهُ ببعض اسلاك خفية من المال او ما يقوم مقامهُ

الاّ ان حكومة من هذا القبيل تملك سلاحاً في الغالب ، يمكنها من ان تخفف وقع هذه الوسائل الادبية . وهذا السلاح هو السيطرة على الرأي العام في بلادها او توجيههِ في الوجهة التي تبغي ، بكمّ المعارضين وسدّ افواه النقدة . والحكومة العازمة على الاعتداء ، والمؤيدة من شعبها اما عن عقيدة واما عن سيطرة ، قد لا تعبأ في الغالب بالرأي العام الدولي الى حدٍّ ما

واذاً فالعقوبات الادبية لا تتعدّى حدّاً معيّناً في تأثيرها ، اي في مقدرتها على ردع المعتدي عن الاعتداء . ولا يخفى ان صلات الامم بعضها ببعض ، تتم في ابان السلم بواسطة الممثلين الدبلوماسيين . لكن الاحتجاج الدبلوماسي لا يعدو كونهُ كلاماً مفرغاً في قالب الاحتجاج او التحذير او الانذار

فابسط شكل تتخذهُ العقوبات الدبلوماسية هو اعتراض او احتجاج دولة ما على عمل دولة اخرى . ومكانة هذا الاحتجاج ، تختلف باختلاف الدولة المحتجة ، وقوتها ومكانتها في مجامع الامم مدى اعتماد الاولى على الثانية . فاحتجاج الدول الكبرى اوقع في الغالب من احتجاج الدول الصغيرة يستفحل وقعهُ اذا كان اعراباً حقيقيّاً عن شعور الامة التي يرفع باسمها

ان قيمة احتجاج من هذا القبيل ، لا تقوم في المقام الاول ، على استنكار الدول الاجنبية لعمل الدول المعتدية ، بل على توجيه نظر الشعوب الى عمل الاعتداء المستنكَر والخطر الذي ينطوي عليهِ . ثم هو يُعبّي الرأي العام في الدولة المحتجّة ، بل وفي غيرها ، باخراج المشكلة وحقائقها من مطاوي المفاوضات الدبلوماسية ، الى وضح المناقشات العلنية في الصحف وعلى المنابر . وفي هذه الناحية يكون الاحتجاج معواناً على الحيلولة دون عمل الاعتداء قبل ان تنظّم المقاومة الدولية المشتركة لهُ . وغني عن البيان ان قيمة الاحتجاج الدبلوماسي تزداد اذا جاء من غير دولة واحدة بالغة تلك الدولة من المكانة والقوة ما بلغت . فاذا سنحت الفرصة لاحتجاج من هذا القبيل ، تبعث الدول المختلفة باحتجاجات متماثلة في معناها ، متقاربة في صيغها . وهذه الطريقة قد تفضل طريقة وضع احتجاج واحدٍ من قبل دولٍ مختلفة ، لما يقتضيه وضع صيغة احتجاج من هذا القبيل من المناقشة الطويلة قبل الاتفاق عليها . الاّ انهُ متى وضعت صيغة مشتركة لاحتجاج دولي ، يزيد شأنها في نظر الدولة المعتدية ، لدلالتها على اتفاق الدول المحتجّة

ولكن العقوبات الدبلوماسية ، لها اساليب اخرى للاعراب عن استنكار الدول لاعتداء دولة ما عدا الاحتجاج او التحذير شفاهاً او كتابةً . واحد هذه الاساليب ، سحب السفير او الوزير المفوّض من عاصمة الدولة المعتدية . وابقاء العمل الدبلوماسي في تلك العاصمة في يد قائم بأعمال السفارة او المفوضية . فعمل من هذا القبيل ، من شأنه ان يؤكد احتجاجاً قدّم كتابة او شفاهاً واهمل . ولكنهُ في الوقت نفسهِ ، يعترض عليهِ ، بانهُ في الازمات الدقيقة ، تحتاج كل دولة ، الى سفير او وزير مجرّب ، للقيام بمفاوضات دقيقة كل الدقة في الغالب

وهذا الاعتراض نفسهُ ينطبق على قطع الصلات الدبلوماسية بسحب السفير او الوزير ورجال السفارة او المفوضية جميعاً من عاصمة الدولة المعتدية . فعندئذٍ يتعين على الصلات بين الدولتين ، ان تستأنف عن طريق ممثل دولة ثالثة ، او عن طريق احد القناصل ، وفي كلتا الحالتين ، لا يتم الاتصال بين الدولتين ، في شؤون حيوية ، على احسن ما يرام

فأساليب العقوبات الدبلوماسية التي تقدم ذكرها ، لا تعدو كونها اعراباً عن استنكار ادبي لعمل الدولة المعتدية . وقد تستعمل الطرق الدبلوماسية ، للاعراب عن تحذير او انذار ، ولكن قبل التحذير او الانذار يتوقف اولاً واخيراً على استعداد الدولة المحذّرة او المنذرة لتأييد تحذيرها او انذارها بالقوة . وهذه الناحية من العقوبات الدبلوماسية ذات صلة وثيقة بالعقوبات الحربية وهي خارجة عن موضوعنا الآن

العقوبات المالية

الفرق بين العقوبات المالية والاقتصادية ، فرق دقيق ، ولذلك جاء ذكر العقوبات المالية منفصلاً عن ذكر العقوبات الاقتصادية في المادة السادسة عشرة من عهد الجامعة

تحتاج الحكومات في هذا العصر ، الى نقد اجنبي ، او الى اعتمادات مالية اجنبية ، لشراء ما تحتاج اليه من العروض في الخارج . فالعقوبات المالية لا تؤثر تأثيراً كبيراً الاّ في دولة تعتمد الى مدى بعيد على ما تستورده ، وبوجه خاص من المواد اللازمة للصناعة ، والمواد اللازمة للحرب كالذخيرة والاسلحة على اختلافها ، او مواد الغذاء . ولعلّ ابلغ مثل على هذا ، حاجة بريطانيا الى استيراد مواد الغذاء ، وحاجة ايطاليا الى المعادن والوقود

فالعقوبات المالية ليست ببعيدة الاثر في ردع الدولة المعتدية اذا اعتمد عليها وحدها ، ولكنها تمتاز في سهولة تطبيقها وسرعته

فالمشكلة التي تتناولها الدول حين تعرض لتطبيق هذا الضرب من العقوبات ، هي الحيلولة دون تمكين الدولة المعتدية من الحصول على المال اللازم لابتياع ما تريده من اسواق العالم

فمن الوسائل التي تعمد اليها الدول حين تحتاج الى مال تنفقه في الاسواق الاجنبية ان تطلب

الى جميع مواطنيها الذين يملكون سندات اجنبية في الخارج ان يضعوا هذه السندات تحت تصرفها فتبيعها او تعقد قروضاً بضمانتها، وتنفق المال الذي يجمع من هذه الناحية في شراء ما تحتاج اليه. وقد سبق لبريطانيا ان عمدت الى هذه الوسيلة خلال الحرب الكبرى، لما طلبت الى البريطانيين الذين يملكون سندات اميركية ان يحولوها الى حكومتهم لتمكينها من شراء الاسلحة والذخيرة اللازمة لها ولحلفائها لمواصلة الحرب

فالعقوبات المالية ترمي، الى منع تحويل من هذا القبيل

ثم انها تحظر عقد قروض مالية للدولة المعتدية

الاّ ان الاقتراض السري من اصعب ما تتعرض له الدول في فرض العقوبات المالية. فقد تتفق الدولة المعاقَبة مع دولة اخرى، غير مشتركة في العقوبات، ان تعقد قرضاً باسمها الخاص في سوق بريطانيا المالية، او في سوق اميركا المالية، فاذا عقدت هذا القرض استطاعت الدولة المقترضة ان تحوله بغير طريقة واحدة الى الدولة المعاقَبة. ولولا النصّ على تطبيق العقوبات الاقتصادية جنباً الى جنب مع العقوبات المالية، لتعذر على الدول المتفقة على توقيع العقوبات المالية، ان تمنع الدولة المعاقَبة من الفوز ببعض ما تحتاج اليه من المال على الاقل، لشراء ما تحتاج اليه

ومما تتعرّض له العقوبات المالية، ويجعلها سلاحاً ذا حدّين، ان تلغي الدولة المعاقبة ما سبق لها وعقدته من القروض في سوق دولة او اكثر من الدول المشتركة في فرض العقوبة المالية عليها، كأن تنكر ايطاليا مثلاً، ما عقدته من القروض في بريطانيا، انتقاماً من اشتراك بريطانيا في فرض العقوبات المالية عليها، او انها تتوقف على الاقل عن دفع الفوائد على هذا القرض

ولما كانت الاعتمادات المالية مرتبطة اوثق ارتباط بالصادرات والواردات، الظاهرة والخفية، فتطبيق العقوبات المالية، لا يمكن ان يكون دقيقاً الاّ اذا صحبهُ تطبيق العقوبات الاقتصادية، او بالحري قطع الصلات التجارية بين الدولة المعاقبة والدول الاخرى

ومن العقوبات المالية إمداد الدولة المعتدى عليها، بعونٍ مالي. ففي مايو سنة ١٩١٦ وجّهت حكومة فنلندا نظر جامعة الامم الى ان الدول الصغيرة التي رضيت بنزع سلاحها، قد تضطرّ اذا اعتدي عليها، ان تعمد الى شراء المواد اللازمة للحرب. فيجب ان يوضع نظام يمكن الدول الصغيرة المعتدى عليها، من الفوز بعون مالي دولي. فنظرت لجان الجامعة المختلفة في الموضوع من جهاته المختلفة، ووضعت مشروعاً، عرض للتوقيع ابتداء من اكتوبر سنة ١٩٣٠

فهذا المشروع يسلم بان الدول الصغيرة المعتدى عليها، او المهدّدة بالاعتداء عليها، تحتاج الى مالٍ يمكنها من تنظيم الدفاع عن حياتها. ولذلك يقترح ان لا يكون المدد المالي الذي تصيبهُ من الدول، قروضاً تعقد لها، بل ضماناً من هذه الحكومات للقروض التي تعقدها في اسواق العالم المالية الحرّة. وهذا العمل في نظر واضعي المشروع ضرب من « السلامة الاجماعية » في الميدان المالي

هذا هو الاتفاق الذي طلبت الحبشة بمقتضاه عوناً ماليًّا من جامعة الامم . ولكن المشروع لم يبرم مع ان ثلاثين دولة وقعتهُ ، وسبب ذلك ان تنفيذه مربوط بتنفيذ مشروع لنزع السلاح او تحديده

العقوبات الاقتصادية

العقوبات الاقتصادية وسائل يتوسَّل بها لتضييق نطاق الاتجار مع الدولة المعتدية . وهذه الوسائل تكون في الغالب حظراً تامًّا او جزئيًّا على المواد الآتية :

١ — جميع الواردات من الدولة المعاقبة

٢ — الصادر اليها من مواد الحرب كالاسلحة والذخيرة

٣ — الصادر اليها من المواد اللازمة للصناعات الحربية

٤ — جميع الصادرات الاخرى اليها

٥ — جميع الصادرات والواردات اي المقاطعة الدولية التامة

والعقوبات الاقتصادية يمكن ان تطبَّق على وجهين . فالوجهُ الاول يفرغ في قالب المقاطعة الاقتصادية ، فتمتنع كل دولة عن التوريد الى الدولة المقاطعَة . وهذه المقاطعة لا تصيب النجاح التام الاَّ على شرطين ، ان تشترك فيها جميع الدول التي تورِّد الى تلك الدولة ، وان تكون الدولة عاجزة عن اكتفاء نفسها بنفسها . فمدى النجاح في تطبيق العقوبات الاقتصادية من هذه الناحية مرهون بعدد الدول المشتركة فيها ، وبمدى ما تحتاج اليهِ الدولة المعاقَبة من الواردات الاجنبية

اما الوجه الثاني فهو ان تعمد الدول المعاقِبة الى ضرب نطاق بحري وبري حول شواطىء الدولة المعاقبة وحدودها منعاً لوصول اي بضاعة اليها . وهذا العمل يعرف بالحصر Blockade الاقتصادي والنجاح في هذا العمل يتوقف من ناحية على موافقة دول الصادر الكبرى والاستعداد لتأييد الحصر بالقوة الحربية والبحرية

فالفرق الاساسي بين المقاطعة الاقتصادية (اي الحظر السلبيّ) والحصر الاقتصادي (اي الحظر الفعَّال) هو ان الحظر السلبي يمكن ان تطبقهُ كلُّ دولة على حدة من دون ان تتعرَّض لخطر ما الاَّ خطر مقابلة عملها بمثله من قبل الدول المعاقَبة . حالة ان الحظر الفعال لا يمكن ان يتمَّ الاَّ مستنداً الى القوة . ومقاومة الدولة المعاقَبة لهذا الضرب من العقوبة لا بدَّ من ان يفضي الى حرب . ومما يضاف الى هذا ان الدول غير المنتظمة في الجامعة ، قد تعترض على الحصر البحري ، لعرقلتهِ اعمالها التجارية ، وقد يفضي الى مشكلات خطيرة بينها وبين دول الجامعة

حظر الواردات من الدولة المعاقَبة

المرتبة الاولى في تطبيق العقوبات الاقتصادية هي حظر دخول الوارد من الدولة المعاقبة الى الدول المشتركة في تطبيق العقوبات عليها . وتنفيذ هذا العمل خال من الصعوبة . فهو من الناحية

الادارية سهل التطبيق ، لا يحتاج الى هيئة حكومية جديدة للقيام به ، بل يكتفى بالاعتماد على مصلحة الجمارك في ذلك . ثم انهُ يفضل على حظر الصادر ، لانهُ اسهل على تعيين مصدر الوارد الى بلاد ما من ان تعين المصير النهائي للصادر منها . ويضاف الى هذا وذاك انهُ لا يحتاج الى اي عمل خاص ، من قبيل الحصر البحري لمنع الصادرات من الوصول الى شواطىء الدولة المعاقبة . ولا ريب في انهُ اسهل على حكومة ما ان تقنع شعبها بالامتناع عن شراء بضائع معينة ، من ان تقنعهم بالامتناع عن بيع بضائعهم . فحظر الوارد من الدولة المعاقبة الى الدول المعاقبة اسهل من الناحية النفسية من حظر الصادر منها الى الدولة المعاقبة . وهذا الحظر يؤثر في اضعاف موارد الدولة المعاقبة في الاسواق الخارجية ، لانها تعتمد على ثمن ما تبيعه في الخارج ، لشراء ما تحتاج اليه . فتطبيق هذا الحظر جنباً الى جنب مع تطبيق العقوبات المالية من شأنه ان يحد الى مدى بعيد من مقدرتها على شراء ما تحتاج اليه في الخارج ، الاّ اذا كانت تملك مقداراً فائضاً من الذهب تصدره لتوفي به ثمن ما تشتريه

والنجاح في هذا الضرب من العقوبات الاقتصادية يتوقف على عدد الدول المشتركة فيه ومقدار ما كانت تصدره في ابان السلم الى الدولة المعاقبة

حظر تصدير مواد الحرب اليها

من العقوبات الاقتصادية التي تجدر توقيعها على دولة تستعد لحرب ، او تخوض حرباً منتهكة في عملها عهد جامعة الامم وعهدة باريس (كلوج بريان) الامتناع عن تجهيزها بالوسائل التي تمكنها من القيام بالحرب ، اي الاسلحة والذخائر

والنجاح في توقيع هذه العقوبة يتوقف على الجواب عن الاسئلة التالية : — ما مبلغ تقدم الصناعة في الدولة المعتدية وما مقدرتها على صنع السلاح ؟ هل تملك مصادر للمواد الخام اللازمة لصناعة الاسلحة ، في بلادها او بلاد خاضعة لها ؟ هل خزنت مقادير من هذه المواد استعداداً للحرب وما مقدار ما خزنته ؟ هل اتفقت اهم الدول التي تصنع الاسلحة على تطبيق هذه العقوبة ؟

ان صناعة الاسلحة ، صناعة واسعة النطاق ولكنها تكاد تكون محصورة في اثنتي عشرة دولة هي بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الاميركية وتشكوسلوفاكيا والسويد وايطاليا وهولندا والبلجيك والدنمارك واليابان واسبانيا وسويسرا ، وقد بلغ ما صدّرتهُ هذه الدول ٩٨ في المائة من مجموع تجارة السلاح الدولية سنة ١٩٣٢ ولكن ٦٩ في المائة من تجارة السلاح الدولية في تلك السنة خرج من ثلاث دول فقط هي بريطانيا وفرنسا والسويد . فالدول من هذا القبيل فريقان فريق يملك مصادر للمواد الحربية ومصانع لصنعها وفريق لا يملك هذه ولا تلك ، او قد يملك المصانع دون مصادر المواد اللازمة لها

لحظر تصدير السلاح والذخيرة الى الفريق الثاني ، يحول دون استمراره في حرب ما اكثر من مدة قصيرة ، اي حتى ينفد ما خزنهُ من الاسلحة والذخيرة قبل نشوبها او بعيدهُ . ذلك ان ما تخزنهُ الامم من الاسلحة والذخائر الحربية في ايام السلم ، قليل لا يذكر ، اذا قيس بما يستنفَدُ منها في ابان الحرب ، فالقنابلُ ورصاص البنادق والمفرقعات بوجهٍ عام تستهلك بسرعة عظيمة في الحرب . والمدافع تبرى فيجب ان تبدل بغيرها او ان يعاد تبطينها ، والطائرات تبلى اجزاؤها بمعدل مائة في المائة في الشهر خلال الحرب ، وقلّما تخزن دولة ما من الاسلحة والذخائر ما يكفيها اكثر من مدى الفترة الاولى من الحرب ، وهي الفترة التي تستنفد فيها الذخيرة ، وتصبح الاسلحة في حاجة الى التجديد . ولا ريب في ان المخزون من هذه المواد في البلدان التي لا تصنعها اكثر في المتوسط مما تخزنهُ الدول التي تملك المصادر والمصانع معاً . ولكنها مع ذلك لا تلبث ان تشرع في حرب ، وتفرض عليها العقوبات الاقتصادية ومنها حظر توريد الاسلحة والذخائر اليها حتى تدرك عجزها عن مواصلتها

وقد اعترفت لجنة عينتها جامعة الامم للبحث في النزاع القائم بين بوليڤيا وپراغوي ، وقد دامت الحرب بينهما ثلاث سنوات (١٩٣٢ — ١٩٣٥) بانهُ لولا وارد الاسلحة الى الدولتين من الخارج لعجزت الدولتان عن مواصلة الحرب . ولا ريب في انهُ لو طبق حظر تصدير السلاح على الدولتين المتحاربتين معاً لانتهت الحرب في سنة ١٩٣٣ . بل لو ان الجامعة تحركت وفقاً لقواعد عهدها وعيّنت المعتدي من الدولتين المتحاربتين وفرضت العقوبات عليهِ وحدهُ ، لما طالت الحرب اكثر من بضعة اشهر

الاّ ان حظر تصدير السلاح والذخيرة الى بلاد تملك مصادر ومصانع كافية لصنعهما لا يؤثر وحده تأثيراً كبيراً في مقدرتها على مواصلة الحرب . ومع ذلك فقد رأينا بريطانيا وفرنسا ، في خلال الحرب الكبرى تبتاعان السلاح والذخيرة من الولايات المتحدة الاميركية اكفاء لحاجتهما منهما مع ان صناعة السلاح فيهما اوسع نطاقاً واوفى عدّة منها في غيرهما من الدول . فليس ثمة دولة من الدول في وسعها ان تغضي ، وهي مشتبكة في حرب كبيرة ، عن هذا الضرب من العقوبات الاقتصادية

ولا بدَّ في تنفيذ هذا الحظر من جعلهِ تامًّا وعامًّا والاّ ضيّع الغرض المقصود وفي ذلك لا بدَّ من الاتفاق بين الجامعة والدول المصدّرة للسلاح

والغالب ان لا يكون لتوقيع الحظر على مواد الحرب ، تأثير واسع النطاق في البلاد التي توقعهُ لانهُ ينحصر في خسارة بعض الشركات التي تصدر هذه المواد ، وعند ذلك لها ان تطلب تعويضاً من حكومتها ولكنها اذا كانت تجري على النظام الذي تجري عليهِ الحكومة البريطانية ، وهو وجوب استصدار رخصة من الحكومة لتصدير كل شحنة من الاسلحة والذخيرة ، فليس ثمة سبيل لطلب هذا التعويض لانهُ من حق الحكومة ان ترفض اصدار هذه الرخصة عندما ترى باعثاً على ذلك

ولكن اذا شاءت الدولة المعاقبة ان تثأر لنفسها من تحريم هذا الضرب من الصادر اليها ، كان

لعملها تأثير عام في تجارة البلاد التي وقعت العقوبة عليها. ففي سنة ١٩٣٤ ادعت حكومة بوليفيا ان الحظر الذي وقعتهُ حكومة انكلترا على تصدير الذخيرة والسلاح اليها ، مناقض للاتفاق الانكليزي البوليفي المعقود سنة ١٩١١ وانذرت الحكومة البريطانية بفرض ضرائب اضافية على الشركات البريطانية في بوليفيا ، وكانت هذه الشركات معفاة من هذه الضرائب بمقتضى المعاهدة المذكورة . فكان ردّ الحكومة البريطانية ان عملها هذا ليس مناقضاً للاتفاق . ولكن الحادثة تدلُّ دلالة واضحة على ما تستطيعهُ دولة معاقِبة في هذه الناحية

فيتضح مما تقدَّم ان حظر تصدير الاسلحة والذخيرة ، عمل لا تعترضهُ صعاب كبيرة من الناحية الادارية ، ولا يؤثر تأثيراً عامًّا كبيراً في تجارة البلاد التي تفرضهُ . وان نجاحه مرهون باتفاق جميع البلدان المشهورة بصناعة الاسلحة والذخيرة على توقيعهِ ؛ وان فعله في الغالب لا يكون كبيراً الاَّ اذا وقع على بلدان لم ترتق فيها الصناعة ارتقاءً عظيماً ، بل انهُ لا يؤثر الاَّ تأثيراً يسيراً محصور النطاق اذا فرض على بلدان تملك المصانع الوافية . فاذا كان في الامكان تعيين المعتدي وفرض الحظر عليهِ دون المعتدَى عليهِ ، كان تأثيره اسرع ظهوراً منهُ اذا فرض على الفريقين المتحاربين معاً

وعلى كل حال لا يكفي حظر الاسلحة والذخيرة وحده في معاقبة دولة تنوي الاعتداء لانها تكون في هذه الحالة قد اعدَّت عدَّتها بخزن مقادير كبيرة من السلاح والذخيرة قبل شروعها فيهِ

حظر المواد الخام اللازمة للحرب

قلنا ان حظر الاسلحة والذخيرة ، لا يجدي نفعاً ، اذا كانت الدولة المعاقبة تكفي نفسها بنفسها من حيث صناعة الاسلحة في بلادها . ولكن هذه الكفاية لا تقوم على وجود المصانع الوافية في البلاد فقط بل تقوم كذلك على امتلاك البلاد لمصادر تستطيع ان تستمدَّ منها المواد الخام اللازمة لهذه الصناعة . والمواد الخام ليست موزعة توزيعاً متساوياً بين الامم ، او في مناطق الارض المختلفة . فيجدر بنا ان نلقي نظرة على هذه الناحية من الموضوع ، لنعلم ، هل مدُّ الحظر حتى يشمل المواد الخام اللازمة لصناعة الاسلحة والذخيرة الحربية ، من شأنهِ ان يضيق الخناق على المعتدي او لا

واول ما يتجهُ اليهِ النظر في هذا الصدد ، هو ان نعرف المواد التي تحتاج اليها الامم في هذه الصناعة ، وما تحتاج اليهِ الدول المختلفة منها

فردًّا على السؤال الاول نقول ان الامم العسكرية ، متجهة في هـذا العصر ، الى جعل الآلة الميكانيكية ، اساساً لتنظيم الجيش . فالجيش الحديث لا غنى لهُ عن السيارة والطائرة والمدافع على انواعها ، والدبابات الثقيلة والخفيفة ، وهذا علاوة على اصناف السفن الحربية من البوارج الضخمة الى الغواصات وباذرات الالغام . فالصناعات الاساسية التي تعتمد عليها الامم في الاستعداد للحرب ؛ هي صناعة المعادن ، والصناعات الكيمائية والكهربائية ، وصناعة استخراج النفط وتكريرهِ واعداد اصنافه المختلفة . وفي ما يلي قائمة بأهم المواد التي لا غنى لهذه الصناعات المختلفة عنها ، وما تستعمل لها

الفحم والكوك — لابدَّ منهما في صناعة الصلب وتوليد الطاقة لاسباب النقل الحديثة. ويستخرج منهما زيوت معيَّنة مثل الفينول والتولوين والكريزول وهي مما لا غنى عنهُ في صناعة المتفجرات

النفط — وهو الوقود الذي لا غنى عنهُ للسيارات والدبابات والطائرات والسفن الحربية ويستخرج منهُ كذلك الزيوت لتزييت جميع المحرّكات على اختلافها

القطن — لصناعة المتفجرات

الصوف — مادة لاغنى عنها لاغراض متعددة ومنوّعة

المطاط — يستعمل لاغراض منوّعة، أهمها في الصناعة الكهربائية، والنقل. ولا يخفى ان الالمان في خلال الحرب الكبرى اضطرّوا ان يجعلوا اطارات العجلات في سيارات النقل من الحديد، لان الحصر البحري حال دون وصول المطاط الى بلادهم

الغليسرين — لا غنى عنهُ في صناعة الديناميت

السلولوس — لا غنى عنهُ في صناعة اصناف البارود الذي لا دخان لهُ

تبر الحديد والحديد الزهر — لا غنى عنهما في صناعة اية آلة من الآلات او سلاح من الاسلحة

الرصاص — لا بدَّ منه في صناعة الذخيرة الحربية والاحماض والمتفجرات

النحاس والخارصيني والقصدير والكدميوم — يحتاج اليها في صناعة بعض الاسلحة ومدافع الميدان والذخيرة الحربية والمعدات الميكانيكية والكهربائية

النيكل — يستعمل في صناعة بعض اصناف الذخيرة، والصلب

الالومنيوم — في الطائرات وكل محرّك او آلة يحتاج الصانع فيها الى خفة الوزن

الزئبق — كثير الاستعمال في كبّاسات المتفجرات

البلاتين — يحتاج اليهِ في صناعة الاجهزة الكيمائية وخاصة في صناعة النترات

الانتيمون والمنغنيس والمولبدنوم والتنغستن والكروم وبعض مركباتها — لابدَّ منها في صنع اصناف الصلب القاسي

ويجري هذا المجرى حجر الفتيلة (الاسبستوس) والغرانيت والميكا والحامض النتريك والكبريت والزرنيخ والبروم والكلور والفصفور. والاربعة الاخيرة لاغنى عنها في صناعة الغازات الحربية

هذا عن المواد الخام التي تحتاج اليها الامم المختلفة في صناعاتها. وليس من السهل معرفة ما تحتاج اليهِ الجيوش منها في المتوسط. ولكن اللجنة الاميركية للعقوبات الاقتصادية تناولت هذا الموضوع بالبحث الدقيق، فوصلت الى نتيجة تقريبية يصح اتخاذها مقياساً. فقد قالت في تقريرها ان الاعمال الحربية في الميدان تقتضي انفاق ما زنته ثلاثة اطنان من الصلب والسلاح والذخيرة والسكك الحديدية الخفيفة وواقيات الخنادق، للجندي الواحد في السنة. وان صنعها لا بد ان يكون قد اقتضى معالجة ستة اطنان من الفحم وستة اطنان الى ثمانية اطنان من الحديد. ويلي

ذلك ما يستنفد من النفط ويقدر بطنٍ واحد للجندي الواحد في المتوسط في السنة . وتليه المواد الاخرى وهي اقل مما تقدم . فالجندي ينفق من مائة رطل الى مائتي رطل من كلٍ من المواد الآتية وهي النترات والكبريت (البيريت احد مركباته) والسمنت والمنغنيس والنحاس والرصاص و٢٥ رطلاً من كل من المواد الآتية وهي القطن والصوف والمطاط والفلزات اللازمة للذخيرة الحربية اي القصدير والنيكل والانتيمون والالومنيوم والخارصيني (زنك) والزئبق . واذا صح تقدير الخبراء فالمستهلك من النفط والوقود السائل والصلب في الحروب المقبلة ينتظران يفوق ما كان عليه في الحرب العالمية . فالمواد التي تستهلك في الحرب تفوق كثيراً ما يستهلك منها في ابان السلم ، حتى في الدول التي فيها مصانع كبيرة تصنع الاسلحة والاعتدة الحربية للتصدير . اما الدول التي لا تملك هذه المصانع فيبدو عجزها عن الفوز بمواد الحرب حال تطبيق هذه العقوبة عليها او بعيد تطبيقها

واذا رجع القارىء الى المقال الذي نشرناه في مقتطف نوفمبر الماضي بعنوان « المعادن والتبعات الدولية » (ص ٤٤٧) تبيّن ما تحتاج اليه الدول المختلفة من المعادن والفلزات اللازمة للصناعات الحربية فلا حاجة بنا الى تكراره هنا

وقد تعمد الدولة المعاقبة الى مصادر جديدة تستمد منها المواد التي تحتاج اليها بعد حظر تصديرها اليها كما فعلت المانيا بنفط رومانيا في الحرب الكبرى . او قد تعمد الى مناجم يتعذر استخراج المعادن منها استخراجاً رابحاً في ابان السلم ، فتستخرجها منها عند الاضطرار اذ يصبح الربح في المقام الثاني . او قد تجمع ما يطرح عادة من مادة معينة فتسبكها وتنقيها وتعيد استعمالها . او قد تحاول ان تستنبط بدلاً صناعياً يحل محل المادة الطبيعية كما حاول الالمان ان يحلوا المطاط الصناعي محل المطاط الطبيعي فأخفقوا ، وكما حاولوا ان يصنعوا الاسمدة بتثبيت نتروجين الهواء لتحل محل الاسمدة الطبيعية فأصابوا نجاحاً عظيماً . او قد تبتدع وسائل جديدة لاستعمال مادة طبيعية متوافرة او في الوسع الحصول عليها ، بدلاً من اخرى لان الحصول عليها متعذر ، كما استعمل الالمان النيكل المستورد من كندا عن طريق البلدان السكندينافية بدلاً من المولبدنوم والتنغستن في تقسية الصلب

هذه العوامل تخفف من وقع الحظر على الدولة المعاقبة ، ولكن تأثيرها ، بصرف النظر عن العامل الاول ، يسير جداً . يضاف الى هذا ان الاحداث الطبيعية قد تدمر ما تخزنه الدولة المنتوية الاعتداء من مواد الحرب . فالزلزلة التي اصابت اليابان سنة ١٩٢٣ دمرت احواض النفط ولو ان اليابان كانت مشتبكة في حرب حينئذ وتصدير النفط اليها محظور ، لاصيبت قوتها الحربية في اضعف مقاتلها

وكذلك يتبين للقارىء ان الدولة المعتدية تواجه مصاعب عظيمة الشأن في الاستمرار في اعتدائها اذا حظرت الدول بالاتفاق تصدير بعض المواد الهام اللازمة للصناعات الحربية . وحظر التصدير الى الفريق المعتدي يعني في الغالب اباحته الى الفريق المعتدى عليه . وكون هذه المواد الاساسية قليلة ، وخطرها ذريع التأثير ، يجعل الحظر ممكناً من دون ان تضطرب التجارة الدولية اضطراباً يبعث على القلق

المقاطعة الدولية

قد تكفي احدى العقوبات التي تقدّم ذكرها لردع المعتدي عن الاعتداء، او لتقصير اجل اعتدائه، ولكن تأثيرها قد لا يكون تامًّا لذلك قد يعمد الى عقوبات اخرى اعم وافعل في تحقيق الغرض المنشود، وفي مقدمتها « المقاطعة الدولية » بتطبيق جميع فقرات المادة السادسة عشرة من عهد الجامعة في وقت واحد. وتطبيقها هذا يقتضي من اعضاء الجامعة الامور التالية: —

١ — فصم جميع الصلات المالية والتجارية مع الدولة المعتدية

٢ — منع كل معاملة بين رعايا اعضاء الجامعة ورعايا الدولة المعتدية

٣ — منع كل معاملة تجارية ومالية بين رعايا الدولة المعتدية ورعايا الدول الاخرى سواء كانت اعضاء في الجامعة ام لم تكن

ولا تعلم عقوبة اتمّ فعلاً من هذه العقوبة. فان فعلها لا بدّ ان يكون سريعاً وتامًّا في ردع الامم التي لم تبلغ مبلغاً عالياً من التقدّم الصناعي. اما تأثيرها في الامم الصناعية الكبيرة التي لا تتأثر عادة تأثراً كبيراً باحدى العقوبات المتقدمة، فلا بدّ ان يكون كبيراً كذلك، ولكنهُ على كلّ حال يتوقف على مدى اعتمادها على تجارتها الخارجية. واقلّ الامم اعتماداً على تجارتها الخارجية هي روسيا السوفيتية والولايات المتحدة الاميركية، وتليها بولونيا فاليابان فاسبانيا فايطاليا فالمانيا فتشكوسلوفاكيا ففرنسا فالسويد فالمملكة المتحدة (اي انكلترا واسكتلندا وويلز) فالبلجيك

اما منع توريد المواد الغذائية الى دولة من الدول فعقوبة لا تطبّق الا عند الحاجة القصوى والمملكة المتحدة بين الدول الكبرى، اشدّها تأثراً بهذه العقوبة لانها تستورد ٥٠ في المائة من المواد الغذائية التي تحتاج اليها. ويقتضي فصم عرى المعاملة اقفال الحدود البرية ووقف تبادل رسائل البريد والتلغراف والتلفون والمحادثات اللاسلكية ومنع الطائرات والسفن من النزول في مطارات الدولة المعاقَبة والرسو في مرافئها وسحب جميع الممثلين الدبلوماسيين والقنصليين واعتقال جميع رعايا الدولة المعاقَبة المقيمين في بلاد الدول المعاقِبة او ارجاعهم الى بلادهم

***

وقد تطبق المقاطعة الدولية تطبيقاً سلميًّا، او تطبيقاً فعّالاً اي حربيًّا. فالتطبيق السلمي ممكن اذا اجمعت الدول على الاشتراك في التطبيق. ولكن لما كان الاجماع متعذراً، ولما كانت بعض الدول الكبرى خارج نطاق الجامعة وقد لا يأنس من نفسهِ ميلاً الى الاشتراك مع دول الجامعة في هذا العمل فقد تقتضي الحالة في نهاية الامر استعمال القوة. وهذا يعني الحصر البحري والبري (Blockade) وهو ينطوي على خطر الاصطدام بالدولة المعاقَبة وبالدول المحايدة لان هذه في الغالب لا تتنازل عن حقوقها في الاتجار الحرّ مع الدولة المعاقَبة

حديقة المقتطف

الحرب القادمة

كتبها اوزبرت ستول سنة ١٩١٥

القارورة اليونانية

لجون كيتس

« نقلها خليل هنداوي »

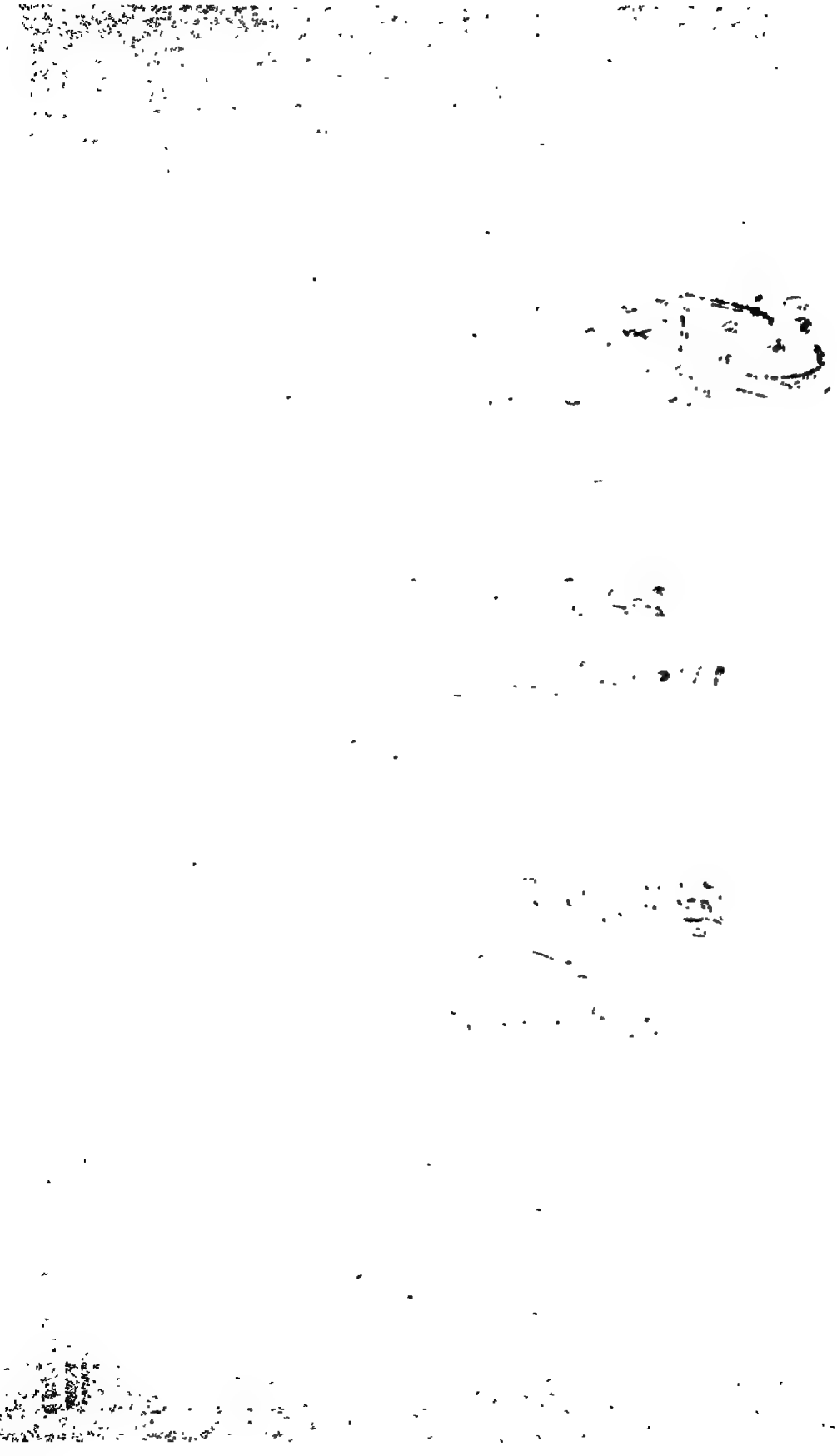

الحرب القادمة

كتبها اوزبرت ستيول سنة ١٩١٥

كانت الحرب الطويلة قد وضعت اوزارها. وكانت اهوالها قد محيت ذكراها. واصبح من الارهاق ان تحدّث الصُمّ. بل ان حديث الابطال عاد يضجرك

***

اولئك الكيماويون السحرة[1] الذين حوّلوا الدم الى ذهب، كانوا قد هرموا ولكنهم عقدوا اجتماعاً وقالوا فيهِ: « لعلّهُ يجب علينا ان نبني مقابر او نشيد مذابح »
« لذكرى اولئك الاحداث الشجعان الذي تقدموا مختارين، فاصيبوا بالعمى، او »
« حرقوا، او شوّهوا، ففقدوا كلّ شبهٍ بينهم وبين الاحياء، او نثروا قطعاً دامية »
« في سبيلنا. ان ذلك عمل جدير بهم وبنا »
« او لعلنا نعلم اولادهم »

***

ولكن اغنى هؤلاء السحرة سعل سعالاً لطيفاً وقال: لقد كنت دائماً في الطليعة — في العمل الخاص — وانني لا اتأخر عن احد في محبتي لبلادي. وعندي ان رأيكم، رأي حسن، رأي بديع، ثم انهُ ليس كبير النفقة

***

ولكن يبدو لي ان القضية التي حاربنا في سبيلها مهدّدة بالخطر. واي تذكار اجدر باولئك الساقطين، من ان يسقط ابناؤهم في سبيل القضية نفسها

***

وخرج الشيوخ الدماث الى الشارع يصيحون في الشبان:
« انضحّون، ايها المتقاعسون، بما مات آباؤكم لكسبهِ؟
« يجب ان نجعل العالم سالماً للشباب »

***

وذهب الاولاد. . . !

---

(١) اشارة سخرية الى رجال المال والاعمال الذين جمعوا ثروات ضخمة في الحرب

من روائع الشاعر الانجليزي — جون كيتس القائرة

القارورة اليونانية

في متحف لندن « زهرية يونانية » قديمة خطت عليها كف الناقش صورة سامية من صور الحياة ، صورة عاشقين يهم احدهما بالآخر . لم يترك لهما المصور مجالا للاقتراب ، ولم يمقتهما من هذا الموقف المفجع . وقع عليها ناظر « كيتس » فاستفزت مشاعره فراح يعطينا هذه القريدة الرائعة من قرائده . وهي مقطوعة ذات الحان خفيفة ، لا ترى هنالك الا الحب ولا تشعر بغير الجمال . تبارك الله وتبارك هذا القلب السقيم الذي يرتاح للالحان الشائعة ويطلب الى الالحان ألا تنقطع . تبارك الله وتباركت هذه الحقيقة التي لفتها برداء الجمال حتى جعل الجمال مظهراً من مظاهرها وجعل الحقيقة مظهراً من مظاهره (المترجم)

ايتها الغادة المحرومة من الراحة !

يا ربيبة السكون الغالية ، وابنة الاعوام المتوانية

يا ابنة الغابات التي تعرف كيف تحدثنا احاديث يكتنفها زهر أريجه اضوع من اشعارنا !

أية خرافة حاكتها اوراق الآلهة او الأموات او كلاهما معاً تنتشر — محفوفة بالسر — من أحنائك ؟

ومن هم هؤلاء الآلهة وهؤلاء الناس وهؤلاء العذارى المستوحشات ؟

هؤلاء المجنونات النافرات

وما هي هذه الوقائع في سبيل الانعتاق والانطلاق ؟

وهذه الصنوج والشبّابات ؟ وما هذا الانجذاب والذهول ؟

***

ان الالحان التي نسمعها هي جميلة ،

وأجمل منها ارانيم لا نسمعها ،

ألا اعزفي ايتها الصنوج لا لآذاننا ،

اعزفي وليكن عزفك اشد وقعاً ،

اعزفي للروح ورددي اناشيدك الخرساء .

وانت ايها الفتى الآوي الى فيء الشجر

انت لن تستطيع ان تنجز انشودتك كلها .

وهذه الاشجار لن تستطيع ان تعرى من اوراقها .

وانت ايها العاشق المسرع لن تقدر على ان تُعطي قبلتك ، مهما احسستَ أنك أشرفت على الظفر .

ولكن لا تأس ولا تحزن !

انها لن تذوى نضرتها ، ولن تتذوق انت منها كل بهجتك ستظل محبًّا لها حتى النهاية وهي حتى النهاية ستظل جميلة

***

سعيدة انت ايتها الاشجار التي لا تقدرين على التجرد من اوراقك ، ولا تقولين للربيع وداعاً !

وسعيد انت ايها الموسيقي الذي يردد دائماً بلا ملل اغانيَّ جديدة

***

واكثر سعادة ذلك الحب الملتهب الرغبة ، الدائم ظمؤه ،

السرمدي خفوقه ، اللامعة فتوته .

يسمو فوق كل هوى بشري عنيف ،
ويترك قلوبنا محرومة يأساً وسأماً ،
وجباهنا مضطرمة ، وشفاهنا يابسة .

***

من هم هؤلاء الذين قدموا الى مذبح التضحية ؟
والى اي معبد نضر ايها الكاهن السرّي تقود هذه العجلة التي يتصاعد خوارها للسماء ، وقد زينت اعطافها بأكاليل الزهر .
اية مدينة صغيرة مشيدة على ساقية او شاطىء ، او مرفوعة على طود حول معبد التماثيل الهادىء ، قد اقفرت من اهلها هذا الصباح القدسي ؟
انتِ ايتها المدينة الصغيرة ستظل شوارعك صامتة ،
ولا روح تعود من ذلك العالم تنبئنا سبب اقفارك .

***

ايتها المواطن التي يغشاها اشكال من الناس والعذارى الرخاميات المؤتلفات من فروع الاشجار والاعشاب الموطوءة !
ايها الشكل الصامت الذي يحير كنهه العقل كما تحير الأبدية !
ستبقى انت عند ما تبيد الشيخوخة هذا الجيل
ستبقى بين آلام كآلامنا صديقاً للانسان الذي تقول له :
« ان الجمال هو الحقيقة والحقيقة هي الجمال »
هذا كل شيء — هذا كل ما تعلمهُ على الارض
وهذا كل ما يجب ان تعلمهُ عليها »

(ترجمها خليل هنداوي)

مشهد في داخل صومعة الغلال الحديثة وفيها النقالة « الاوتوماتيكية »

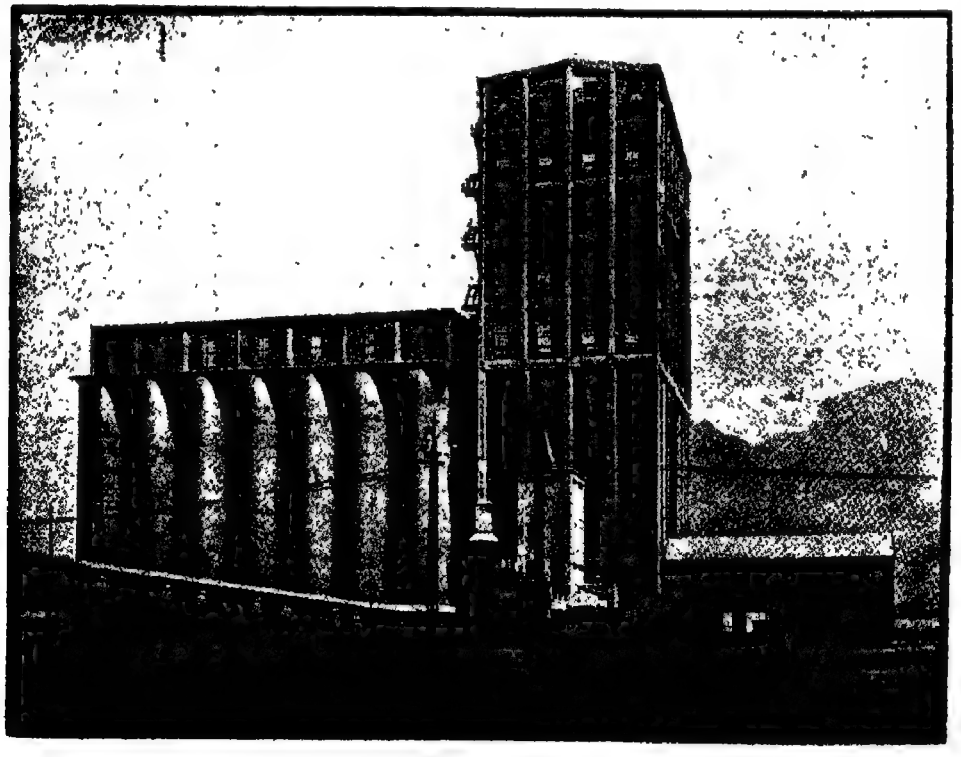

صومعة الغلال تتسع لثلاثين الف طن

باب الزراعة والاقتصاد

صوامع الغلال

عنيت مصر اخيراً بمسألة خزن الغلال بعد ان مضت السنون وهذه المسألة مهملة كلّ الاهمال ومحصول البلاد المصرية يفقد سنوياً ما لا يقلّ عن عشرين في المائة — بحسب التقديرات الرسمية — لما يصيبهُ من التلف الناشيء عن تقلّب احوال الجوّ وبعض الآفات الحشرية والطيور والفئران

ومع ان مصر كانت اول امة فكّرت ونظمت مخازن الغلال في عهد يوسف عليهِ السلام ولا تزال آثار اهرآتها في الفيوم ماثلة للعيان ، فانها في العهد الحاضر تأخرت عن غيرها من الدول في العناية بهذا الامر الذي يهمّ الزارع والصانع والتاجر والمستهلك على السواء

كانت مصر اهراء العالم القديم في عهد الرومان للغلال والحبوب . ولكنها فقدت مكانتها في هذا الميدان لانحطاط نوع الغلال نفسها واهمال الوسائل الفنية لتصنيفها وحفظها وعرضها في الاسواق العامة

فالزارع يكتفي بالآلات القديمة في درس محصولهِ وهو لا يكاد ينتهي من عملية الدراسة حتى يبادر الى التخلّص من المحصول لحاجته الى النقود فتهبط الاسعار في اول المحصول عادةً لكثرة المعروض منهُ في السوق . وهو ان فكّر في ابقاء المحصول قليلاً في احدى شون البنوك انتظاراً لتحسّن الاسعار تعرّضت غلاله لجميع انواع الآفات . حتى اذا ما حان وقت العرض تبيّن لهُ ان ما قد يكسبهُ من تحسن الاسعار ، يفقدهُ بتلف جانب غير يسير من المحصول المخزون

وقد حدث من عامين في احد البنوك المصرية المعروفة ان الفول الذي كان مخزوناً في شونهِ ، وكانت مقاديره كبيرة جداً ، هطلت عليهِ الامطار فنبتت حبوبهُ واضطرّ البنك للتخلص منهُ ان يبيعهُ بابخس الاسعار

***

وقد فطن علماء الغرب المحدثون الى هذه الناحية من الثروة الزراعية فصمموا مخازن للغلال والحبوب على انواعها تتوافر فيها جميع الشروط والوسائل لحفظ المحاصيل من التلف ، فيستطيع صاحبها ان يخزنها ما شاء وهو يعلم انهُ لا يعرضها في خزنهِ لها لضرر ما وانهُ لا يتعرض هو لخسارة ما علاوة على تيسير ذلك في تنظيم العرض والطلب ، وفقاً للاسعار السائدة في الاسواق العالمية

والقاعدة في هذه المخازن الاعتماد على الوسائل الآلية في جميع مراتب العمل . فثمة آلات عملها ان «تشفط» الغلال من المراكب او عربات السكة الحديد او مركبات النقل ، وتنقلها نقلاً ميكانيكيًّا الى داخل المخزن ، حيث تنقّى وتنظف وتصنّف بآلات مختلفة اوتوماتيكية (اي تعمل من تلقاء نفسها) ثم توزن وزناً ميكانيكيًّا ايضاً بآلات تبرز رقماً وقد دوّن عليها الوزن الصحيح

ويمكن كذلك ان تعالج الغلال بجميع الوسائل العلمية من تبخير وغيره داخل هذه المخازن ، بحيث اذا خزنت لم يبق لاصقاً بها ما قد يولّد آفة تصيبها

***

وقد اصطلح العلماء على تسمية هذه المخازن باسم «سيلو» Silo واصل هذه الكلمة عربيٌّ بحسب اقوال الغربيين ويظهر انها استعملت اولاً في اسبانيا والمغرب الاقصى . فجدّ لو عني احد اللغويين بالبحث عن اصل اشتقاقها العربي . وقد اصطلح على تسميتها في القطر المصري بالصوامع لان الفلاّح اعتاد ان يطلق اسم صومعة على المخزن المبني بالطين الذي يحفظ فيهِ غلالهُ . وكان الكاتب جلال حسين اول من اطلق عليها هذا الاسم في مقالات لهُ نشرت في المقطم

وقد عمّ استعمال هذه الصوامع في البلدان الزراعية الكبيرة والصغيرة في العالم اجمع ، ولم يكتفَ في استعمالها بخزن الغلال فيها ، بل استعملت ايضاً لخزن البن وبزر القطن وبزر الكتان وغيرها من المحاصيل الزراعية

وكان اقبال الممالك المختلفة عليها دافعاً للبيت الانكليزي الكبير الذي يتولى تعميم هذه الصوامع وهو بيت هنري سيمون المهندسين المعروفين في بلدة ستوكپورت على مقربة من منشستر — وقد زارها كاتب هذه السطور ، وهي مشهورة بمصانعها المختلفة لآلات ضرب الارز وطحن الغلال — على انشاء فروع لهُ في استراليا وزيلندا الجديدة والهند وفرنسا والبلجيك وهولندا والبلدان السكندينافية والارجنتين وشيلي والبرازيل واوروغواي والمكسيك والصين واليابان

***

ومن عهد قريب فكرت وزارة التجارة والصناعة بعد طول البحث والدرس ان تنشئ صوامع تتسع لثمانية وعشرين الف طن من الغلال المختلفة في ساحل اثر النبي بالقاهرة بين مصر القديمة والمعادي حيث تقع شون الغلال المختلفة

ومما لا شكَّ فيهِ ان هذه خطوة مفيدة اذ لا جدال في ان مصر تحتاج الى مخازن اخرى عديدة من هذا القبيل . ففي الريف تحتاج الى مخازن صغيرة مما يسميهِ المهندسون باسم « صوامع الريف » وهي صغيرة تتسع احداها لالف اردب فقط . فالبنوك الزراعية في القطر المصري والدوائر الكبرى في حاجة الى مثل هذه الصوامع للعناية بخزن محاصيلها . ويضاف الى هذا ان البلاد تحتاج الى بناء صوامع من هذا القبيل في الموانىء لحفظ الوارد من الغلال

جهاز "الراليفان"

وتنمية النبات ومكافحة آفاته

يعلم قراء المقتطف ان الاشعة اللاسلكية القصيرة استعملت في تجارب مشوعة في اوربا وأميركا لمكافحة بعض الآفات التي تصيب بعض الحبوب عند تخزينها ، وان بعض الباحثين مدّ في الارض سلاكاً كهربائية وأجرى فيها تياراً كهربائيًّا ، فزاد محصول المزروعات التي تأثرت بها . ومن شاء زيادة الاطلاع فعليه بمراجعة كتابنا فتوحات العلم الحديث (ص ٢٦٣ – ٢٦٥)

***

وقد اطلعنا من عهد قريب على تقرير وضعه المسيو جورج رالي Ralli في وصف جهاز استنبطه دعاه « راليفان » وسجله في محكمة الاستئناف المختلطة في الاسكندرية في اول يونيو من هذه السنة . وهذا الجهاز مبنيٌّ على قاعدة تأثير الامواج الكهربائية القصيرة في النبات والآفات التي تصيبها . ومبدؤها التقاط الاشعة الكونية التي تخترق جو الارض بواسطة رؤوس معدنية دقيقة ثم نقلها بواسطة مكثّفات ومحوّلات فتجتمع بكهربائية الارض وتنشىء حقلاً كهربائيًّا مغنطيسيًّا حول المكان الذي توضع فيه وتولد أوزوناً في الجو

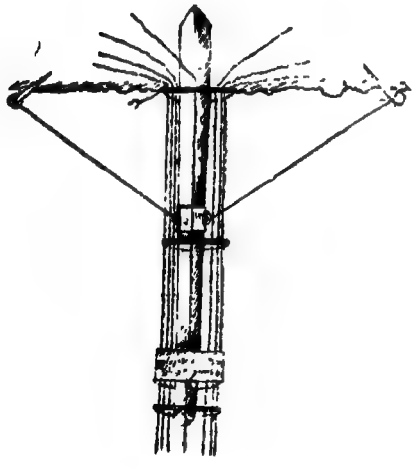

اما القاعدة الاخرى التي بني عليها هذا الجهاز فهو ان للنبات يشبه الحيوان في تأثره بالعلاج بالامواج . وقد سبق للعلامة بوفون فبيّن ان هناك شبهاً اساسيًّا بين النبات والحيوان في تركيبهما الحيوي وافعالهما الفسيولوجية

فالعلاج بالامواج يقوي الجسم الانساني ويمنع بعض الامراض ويشفي البعض الآخر . وقد اثبتت التجارب المختلفة في بلدان متباعدة صحة هذا القول . فالتعرّض للاشعة التي فوق البنفسجي الصادرة من مصباح القوس فعّالة في منع الكساح مثلاً . والاشعة المنطلقة من الراديوم فعّالة كذلك في معالجة بعض النوامي السرطانية . والتعرض لاشعة الشمس عامل فعّال في معالجة المصابين بالدرن . والاشعة اللاسلكية القصيرة تستعمل في اميركا الآن ، في نطاق محدود ، لاحداث الحمّى اللازمة لمعالجة شلل الحلق العام

والظاهر من تقرير المسيو رالي ومن تجارب سبق لنا فاطلعنا عليها في مجلات علمية منوّعة ،

ان العلاج بالاشعة يؤثر في النبات تأثيراً من قبيل تأثيره في جسم الانسان . وهو يقول انهُ يقوي بنية النباتات والاشجار المثمرة ويزيد محصولها ضعفين او ثلاثة اضعاف

ولما كانت التيارات الكهربائية تتجه ، وفقاً للنواميس الطبيعية ، الى القطب المغناطيسي الشمالي فيجب ان يوضع هذا الجهاز في الناحية الجنوبية من قطعة الارض المزروعة التي يراد معالجتها به فيمتد المجال الكهربائي المغنطيسي بالجذب من الجنوب الى الشمال ويشمل قطعة الارض كلها

ومن التجارب التي اشار اليها المسيو رالي ان فداناً كان يعطي محصولاً من القمح يقدر بنحو خمسة ارادب الى ستة ارادب فصار يعطي محصولاً يختلف من ١٢ اردبًّا الى ١٥ اردبًّا . وهو يقول ان سنابل القمح لا تزداد عدداً ولكن حجم حبوبها ووزنها يزدادان ضعفين او ثلاثة اضعاف ثم ان حبوب القمح نفسها تكون امنع على الآفات ، واغنى بمادة الغلوتين ، وقشهُ اكبر واقوى

***

وقد عالج المستنبط في الجانب الثاني من تقريره فائدة هذا الجهاز في مكافحة بعض آفات النبات الطفيلية وابادة الديدان والحشرات

وقاعدة هذه الناحية من فائدة الجهاز ، المباحث التي قام بها دارسونفال وغيره من العلماء وخاصة دايفس الاميركي وقد وصفناها في كتاب فتوحات العلم الحديث . فقد اثبت دايفس ان الطاقة المشعة القصيرة الامواج تخترق حبوب القمح مثلاً وتحدث حرارة عالية مميتة في اجسام الحشرات التي قد تكونت داخل الحبوب فتفتك بها (فتوحات العلم ص ٢٦٤)

وقد وصف المسيو رالي في تقريره تجربة قام بها اذ اخذ طائفة من النباتات (الجرناء — جرانيوم) في تسعة اصص وحقنها بما يحدث فيها نوامي مرضية من قبيل النوامي السرطانية في الانسان . فلما ظهرت هذه النوامي ، أخذ اصيصاً منها واحاطهُ باسلاك على طريقة معينة تكفل تأثر النبات بالامواج التي يولدها الجهاز وبعد ثلاثة اسابيع ذوت النباتات التي في الاصص الثمانية وهي التي لم تعرَّض للاشعة. اما النبتة التي في الاصيص التاسع ، وهي النبتة التي عولجت على المنوال المتقدم ، فبقيت حية ، بل ان النوامي المرضية تساقطت عنها ، بل ان ازهارها جاءت آية في نضارتها ورواتها وجمالها

وقد اشار لاكوسكي في كتابهِ « اسرار الحياة » الى تجارب من هذا القبيل اسفرت عن نتائج تؤيدها نتائج المسيو رالي

فهل تصلح هذه الآلة لمكافحة دودة القطن ؟ هذا ما يراهُ المسيو رالي

والخلاصة ان القواعد العلمية التي بني عليها هذا الجهاز قد ايدتها مباحث العلماء في اوربا واميركا فيجدر باولي الامران يجربوا تجارب محكمة واسعة النطاق ، ليعرف مدى فائدته العملية في مكافحة مصائب الزراعة المصرية وزيادة محاصيلها

باب المراسلة والمناظرة

في همزة ابن

سيدي مدير المقتطف الأغر

سلام واحترام وبعد فقد نشرتم في عدد نوفمبر من مقتطفكم الاغر نقداً لكتابي عمر ابن ابي
ة بقلم الاستاذ حسن كامل الصيرفي وارجو ان تسمحوا لي في ان اغتنم هذه الفرصة لأشكر
ستاذ الكريم ثناءه عليّ وحسن تقديره لعملي وتحليله الرائع لكتابي غير اني لا اوافق حضرة
ستاذ الكريم في مسألة كتابة همزة ابن فقد ذكر ان القاعدة في حذفها هي ان تقع لفظة ابن بين
ن ولهذا يرى وجوب حذفها في عنوان كتابي الرئيسي والفرعي بحيث يكتبان هكذا :
«عمر بن ابي ربيعة» و«عمر بن ابي ربيعة» والمعروف في امر رسم همزة ابن غير هذا اذ ليست
ميّة قبل ابن وبعدها بكافية لاسقاط همزتها حتى ولا العلمية الاّ على شروط خاصة وقد امتنعت
ه الشروط في كلا العنوانين وكنت اودّ ذكرها لولا ان القدماء قد كفوني مؤونة هذا بذكرهم
اضع التي تثبت فيها همزة ابن بقصيدة اوردها الشيخ ناصيف اليازجي في «مجمع البحرين» هذا نصّها:

قد أثبتوا ألِفَ ابنٍ في مواضع من ... كلامهم كابنةٍ خذها بتصويرِ
اذا أُضيف لإضمارٍ رضى ابنك او ... لجدّه مثل عمّار ابن منصورِ
او ذي مجازٍ كمقداد ابن الاسود اذ ... ابوه بالحقّ عمرٌو غير منكورِ
او امه نحو عيسى ابن البتول مما ... او كان في خبرٍ يحيى ابن مشهورِ
او كان مستفهماً عنه كقولك هل ... زيد ابن عمرو ام ابن القاسم الصوري
او كان تثنيةً كالمرتضى وأبو ... خديجة ابنا عليٍّ مشرق النورِ
او عكس ذاك بأن قدمت تثنية ... كالخالدان ابن يسرٍ وابن ميسورِ
او جاء الابن بغير اسمٍ تقدمه ... نحو ابن موسى وزيدٌ وابن مذكورِ
او كان اول سطر او دعا سببٌ ... لقطع همزته في نظم منثورِ
كجاءنا خالد إبن الوليد وفي ... جمعٍ على ابنين في بعض المناكيرِ
زيدٌ وعمرٌو ويحيى ابنو ابي رجبٍ ... جاءوا وقد حفظوا هذا بتذكيرِ
او جاء لفظ ابيه بعده مثلاً ... كجعفر ابن ابيه صاحب الصورِ

او أخر اسم عن ابن نحو قولك قد جاء ابن زيدٍ عليٌّ خير مشكورِ
او حال بينهما وزن كجاء لنا ردّي كظبي بن ابن موسى صاحب الطورِ
او كان نصبٌ باعني فيه مضمرةً كمثل اكرمني زيد ابنَ مسرورِ
او بعد اما لشكٍّ جاءني حسنٌ إمّا ابن سعدٍ وامّا ابن منظورِ
او حال بينهما وصفٌ كاكرمنا يحيى الكريمُ ابن ميمون بن مجبورِ
او كان من بعد جمع كالعبادة ابن المرتضى وابن عمرٍو وابن معمور
او كان الابن مضافاً لابن او لاخٍ او عمّه كالمعلّى ابن ابن عصفور
أو كان الابن منادّى نحو حدّثنا موسى ابنَ مشكور يعني يا ابنَ مشكور
أو كان بينهما ضبطٌ كقال لنا سحبانُ بالضم ابن المرتضى الدوري[1]

ويجدر بي ان اشير الى ان هناك شرطين من هذه الشروط يمنعان حذف همزة ابن في العنوان الرئيسي — عمر ابن ابي ربيعة — اولهما في البيت الثاني وهو اضافة العلم الى جدّه وابن ابي ربيعة هو جدّ عمر لا والده والشرط الثاني وارد في البيت التاسع عشر وهو اضافة الابن الى كنية كزيد ابن اخي فلان او كعليّ ابن ابي طالب مع ان ابا طالب والده لاجدّه . اما في العنوان الفرعي وهو عصر ابن ابي ربيعة فيكفي ان تكون كلمة عصر غير علم لتثبت همزة ابن وعليه فنكتب ديوان ابن الفارض وعقد ابن عبدربّه باثبات همزة ابن

وكم كنت اود لو يصطلح علماء اللغة على رسم همزة ابن بالالف أنّى وقعت هذه اللفظة ولابدّ لي في الختام من شكر حضرة الاستاذ الكريم لتنبيهه اياي الى الخطأ الذي ارتكبه الخطاط في تحريك نون ابن — بالعنوان الفرعي — بالضم حيث كان يجب ان تحرّك بالكسر

جامعة بيروت الاميركية كلية الآداب والعلوم جبرائيل جبّور

***

أشكر للاستاذ جبّور تنبيهه إياي الى المواضع التي يجوز فيها اثبات الالف في كلمة (ابن) على اني قد لاحظت ان الاستاذ المؤلف قد اسقط ألفها في كل موضع ذكر فيهِ اسم الشاعر عمر بن أبي ربيعة في متن الكتاب ولكنها اثبتت في العنوان . وأريد ان اذكر للاستاذ ايضاً اني لم انوّه في كلمتي عن هذه الالف في جملة (عصر ابن ابي ربيعة) لأن عصر ليست علماً ، وانما اردت الاشارة هنالك الى رفع (ابن) وهي في موضع الجر حسن كامل الصيرفي

(١) راجع مجمع البحرين للشيخ ناصيف اليازجي طبعة المطبعة الاميركانية ببيروت ١٩١٣ صفحة ٥٣ — ٥٤ على هامش المقامة البغدادية

كتاب الدكتور شهبندر

وردت علينا رسائل كثيرة من قرّاء المقتطف في مختلف الاقطار التي يقرأ فيها يسألوننا عن المقالات النفيسة التي ينشرها الدكتور عبد الرحمن شهبندر في « المشكلات الاجتماعية الكبرى في الشرق الادنى » وهل ينتظر ان تجمع في كتاب على حدة ، فردّاً على هذه الرسائل يسرّنا ان نقول ان المؤلف الفاضل قد انجز هذه السلسلة النفيسة بمقال « الدين والنهضة الاخلاقية الحديثة » المنشور في هذا العدد ص ٦٠٥ . وادارة المقتطف تستعد الآن لتجليد الكتاب وقد لا يأتي شهر دسمبر على آخره حتى يكون ذلك قد تمّ

تصحيح غلطاً

١ — قصيدة النشوء والارتقاء

وردت غلطة في قصيدة (النشوء والارتقاء) من المطبعة اضاعت معنى البيت بان كُتِب « وتبكيك » بدل « وتُبْلِيكَ » في البيت

(وتُبْلِيك الحياة كما يفت الجو صوانا)

وبين القراء نجد الاديب حقّاً لا بد ان يفهم انها تُبليك فلا يضيع المعنى مع مثله من القراء ولكن الذين يأخذون غلطات المطبعة قضية مقدسة وحقيقة رائعة كثيرون ولا أزال اذكر ان بعض الفلاسفة قد بنى آراء وفلسفة كبيرة على اغلاط مطبعية وردت في طبع آراء باسكال الفرنسي وحدث مثل ذلك في اغلاط مطبعية وردت في طبعة شكسبير الاولى فقد كان الادباء في العصر الذي شاع فيه تقديسه قبل النقد الادبي يرقصون طرباً لمعانٍ لا وجود لها بل هي اغلاط مطبعية كشفت بعد ذلك ولو كنت واثقاً من ان القراء سيجدون مثل هذه الآراء الرائعة التي ليس لها وجود لما همني الامر

عبد الرحمن شكري

٢ — الجامع المختصر

جاءنا من الدكتور بشر فارس من برلين تنبيه الى خطإ مطبعي وقع في العبارة الاخيرة من مقاله عن « الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير : الجزء التاسع » الذي عني باخراجه الاستاذ مصطفى جواد . مقتطف اكتوبر ١٩٣٥ ص ٣٧٤ و٣٧٥ . فقد ظهرت العبارة في المقتطف كما يلي : ومن المتعذر ان (تجد تصحيفاً او تحريفاً او اضطراباً او سوء فهم للنص ومخرج الكتاب الى الناس مخرجه ؟) . والحقيقة ان القوسين وعلامة الاستفهام اقحمت على العبارة خطأً ولم ينتبه لها قارىء التجارب فقلب المعنى من الثناء الجم على المخرج ، وهو ما يستفاد من مجمل المقال ، الى التشكيك في قيمة ما فعل وهو ما لم يقصد اليه الكاتب البتة . فاقتضى التنبيه

تخليد ذكرى المتنبي

اجمعت الامة العربية في هذه السنة على تخليد ذكرى شاعر العرب الاكبر ابي الطيب المتنبي ، فاحتفلت محافل الادب بذكره ، في اكثر البلاد العربية ، واصدرت المجلات او أكثرها اعداداً خاصة بالمتنبي عرض فيها الادباء آراءهم فيه وفي شعره

ولما كان اقرب عدد يظهر من المقتطف الى تاريخ وفاة المتنبي في ٢٧ رمضان سنة ٧٥٤ هو عدد يناير الذي يصدر في يوم ٦ شوال سنة ١٣٥٤ فقد رأى المقتطف ان يؤدي الى الامة العربية حقها عليه في احياء الادب ، فندب احد الادباء ان يبذل من ذات نفسه في قراءة المتنبي وتحقيق ما قيل عنه وعن شعره ، ليخرج للامة العربية صورة قريبة من الحق لشاعرها الاكبر

وقد جهد هذا الاديب في تنقية تاريخ الشاعر مما وقع فيه من الروايات الغريبة عن نسبه ونشأته ونبوته ورحلاته في البلاد العربية عند الامراء الذين مدحهم او هجاهم او اقام بينهم ، وكشف في تاريخه عن جهات لم يلتفت اليها الباحثون من المتقدمين او المتأخرين على فضلهم وعنايتهم ، فخرج ما كتبه عنه ، ما يعدّ كتاباً عن الشاعر العظيم يقدمه المقتطف لقراء العربية ، عسى ان يكون سبباً في توجيه دراسة الشاعر وشعره الى ناحية اخرى غير التي درج عليها البحث القديم والحديث

وفي هذا العدد كلمات اخرى لبعض كبار الادباء عن شعر المتنبي ، ومجموعة هامة من قصائده ، ثم مجموعة اخرى من بلاغات المتنبي وحكمه جمعت مرتبة على الترتيب التاريخي لشعره ، تبين عن تدرج منهج الشاعر او اختلافه على مرّ الايام والسنين

مكتبة المقتطف

المختار

الجزء الاول — تأليف الشيخ عبد العزيز البشري — صفحاته ٢٣٨ ثمنه ١٥ قرشاً

الشيخ عبد العزيز البشري ، امير من امراء البيان العربي الصافي كالبلور، الوهّاج كالذهب الابريز، يأخذك من بيانهِ الجزالة والوضوح . فالرأي يسوقهُ اليك لا يعتورهُ غموض والعبارة يرسلها قلمهُ كأنها الحجاج . يفعل ذلك في الاقطاب الذين يترجم لهم (الباب الثالث من الكتاب) والمبتدعات الجديدة التي يصفها ، وخلجات النفس التي يحسّها (الباب الثاني) ، ونفحات التاريخ العربي والادب العربي (الباب الاول) يقلّبها على وجوهها ثم لا يقبلها في معرض الرأي الاّ وقد استقامت على اسس راسخة من عقلهِ وحسّهِ وذوقهِ . فالفصول التي يحتوي عليها هذا الكتاب من الآيات الادبية. فهي تمتّ من ناحية الى اعرق الاصول في ادبنا العربي المجيد، ومن ناحية اخرى الى حياة الذهن المصري في هذا العصر الحافل بضروب المعاني المستحدثة والآراء الطريفة . وقد اشار خليل بك مطران في مقدمتهِ النفيسة الى اسلوب الشيخ الكريم فقال :

« ها هما يمرّ المطالع بقلائد وفرائد من خطب وفصول في الأدب لا يخرج يتيمها ، ولا يحكم صوغها وتنظيمها الاّ قلم البشري ولسان البشري تحركهما نفس كبيرة الهم بعيدة المرامي، فلقة في مهابّ الاهواء ومثارات المنازع ، فيّاضة بحب مصر ، وايثار العربية الفصحى لها لغة ، تتجنب التحقيقات العلمية ، والتعاريف المنطقية ، وان تبتغي الاّ اقتناع المتأدبين من طريق الباعث الغريزي فيهم ، ومن طريق اخبارهم بما يجري عند الامم الغربية الراقية من مثل ماعندهم ، بأن البيان يجب أصلاً ان يكون عربيًّا سليماً في اللفظ والاسلوب والاصطلاح ، وأن يتكيّف مع سلامته ومراعاته لتلك الأصول فينطبع بطابع الفطرة المصرية التي لها ما تتخيره خاصة من تلك اللغة وتلك الأصول . فإذا أحيط البيان بهذا النطاق وصين من تسرب العُجمة اليه ، فلا مانع يمنع من كل ابتكار وتجديد ، على ألاّ يعدو حدوده ولا يمسّ الخصيصة القومية في جوهرها »

المقدس

تأليف نقولا الحداد — صفحاته ٢٩٢ — ثمنه ١٥ قرشاً

سفر عجيب ، لا هو بالرواية ، ولا هو بالتاريخ ، ولا هو برسالة في الاجتماع والاخلاق ، بل هو مزيج منها جميعاً، فيهِ علم، وفيهِ فلسفة، وفيهِ تحليل اجتماعي واقتصادي لمشكلات المدنية الحاضرة ومزايا المدنية المقبلة وهو الى ذلك مرسل في قالب القصة تقرأهُ فيذكرك بما طالعتهُ لولز من بدائع الخيال العلمي والاجتماعي ؛ ولكنهُ ليس ولز . وتنساق مع النضال الاجتماعي فيهِ ، تمجيداً للمبادىء الاشتراكية المثلى، فتتذكر الكتاب الذي ظهر من شهر فقط في اميركا لسنكلير لويس حائز جائزة نوبل

الادبية ، وقد تصوَّر فيهِ انقلاباً فاشستيًّا في نظام الحكم في اميركا ، ولكن عنوانهُ دليل على رأي المؤلف الخاص اذ جعلهُ « لا يمكن ان يقع هنا »

وهذا الضرب من الكتابة قد يبدو سهلاً لمن لم يتعمق في فهم مقتضياتهِ ، اذ قد يُظَنُّ ان سحر الخيال فيهِ قد يغني عن ذهب الحقيقة . والواقع ان معاناة هذا النوع من الكتابة يحتاج في المقام الاول الى المام دقيق باتجاهات العلوم الطبيعية والاجتماعية الحديثة ، ومقدرة على التفلسف فيها — لا يمكن ان تنشأ الاَّ من الفهم الصحيح — لاستنباط ما قد يكون محتملاً ، في المستقبل القريب او البعيد . ثم براعة في سياق هذه الآراء في قالب يستهوي القارىء ، فلا يميل عنهُ كما يميل في الغالب عن كتب العلم والاقتصاد والاجتماع ، بالغة مقدرة اصحابها على البسط ما بلغت

وليس كلُّ هذا بمستغرب من المؤلف ، وله روايات تعدُّ بالعشرات ، ومؤلفات في الاجتماع والاقتصاد ورسائل في العلم ، تدلّ جميعها على ذهن خصب ، وحياة قضاها صاحبها في التحصيل والتأمل ، وهذا الكتاب هو الاول من سلسلة ، تندمج فيها جميع هذه العناصر على هذا النحو البديع

الاسلام الصحيح

بحث وتحقيق — الفه الاستاذ محمد اسعاف النشاشيبي — مطبعة العرب بالقدس سنة ١٣٥٤

الاستاذ النشاشيبي من افذاذ العربية ، والمتحققين بعلومها ، والمتثبتين في نقولها ، والمصححين في تأويل كلامها وقد طفق من زمن يجمع لكتابه (الاسلام الصحيح) ، كثيراً من النصوص المنتشرة في الكتب على غير نظام فألّف بينها وابان عن معانيها ، وردّ مختلفها الى الائتلاف وصحح ما وقع من الخطأ في تأويلها ، واقام النهج على ما يرى من صحيح عقيدته

وكان الذي حفز الاستاذ الى كتابه هذا جهل كثير من الناس بأصول الاسلام وتقصيرهم في دراستهِ وقد روى في اول كتابه انهُ وهو بمصر كان في زيارة صديق ، وعنده جماعة من فضلاء المحامين والمدرسين وافضى بهم القول الى ذكر ما كان بين الامامين (ابن سعود والامام يحيى) ، وذكروا بعد في مجلسهم مذهب الزيدية والوهابية فخلطوا في امرهما وزعموهما من الاسماعيلية ثم يقول المؤلف :

«وقد رأينا ان ندفع ملتبساً ، ونزيل اشكالاً ونجلّي حقًّا ، بان نروي قولاً للشوكانيّ في الوهابية ، فيهِ انصاف مجتزئين بهِ ، ونملي فصلاً مقتضباً في الزيدية وامامها ، ليعرف ما في نجدٍ واليمن جاهله ، ثم نجيء بأقوال في الامامة الاسلامية متبعيها بحثاً موجزاً عن آل البيت الذين ذكرهم الله في كتابه الكريم»

وقد توسع المؤلف في بحثهِ الاخير عن اهل البيت رضوان الله عليهم ، وجمع نصوصاً كثيرة فيما يتعلق بهم ، وباحكام الشرع لهم فيما يرون ، وابان ان الاسلام لم يأت بعصبية قبيلية او عزوة جاهلية بل جاء تسوية بين الناس ، يستوي على سبيله العالم والجاهل والامام والمأموم والشريف والمشروف والكبير والصغير وانما اكرمهم عند الله اتقاهم ولا فضل لعربي على عجميّ الاَّ بالتقوى . ولا شك ان الاستاذ النشاشيبي قد بلغ فيهِ ما اراد من الدقة والتحقيق وحسن العرض

وزارة الزراعة الفنية ومباحثها

كتاب الزراعة السنوي لسنة ١٩٣٣

اطلعت على كتاب الزراعة السنوي لسنة ١٩٣٣ الذي اظهرته وزارة الزراعة منذ اسابيع فاحسنت صنعاً اذ سهلت لمحبي الاطلاع الوقوف على بعض نتائج ابحاث فنييها وتجاربهم المتنوعة والاستفادة منها

وقد افتتح الاستاذ جلال بك فهيم وكيل الوزارة (السابق) — وهو من اخص كبرائنا وزراعنا الذين يعملون بتفوق وهدوء — الكتاب بمقدمة جامعة بعبارة وجيزة لاهم المسائل التي قامت ولا تزال تقوم بها الوزارة لترقية الزراعة ووسائلها يتخلل ذلك اشارات دقيقة وآراء مفيدة منها قوله (صفحة ع)

« وليست هناك مناطق معينة تغل محصولاً اكثر وفرة من غيرها بدرجة محسوسة . والحقول الجيدة منتشرة في كل مكان وتكاد لا تخلو قرية من وجود حقل او اكثر هي في الواقع حقول نموذجية بلغ فيها الانتاج اقصى ما يمكن التفكير فيه. وكان المنتظر ان يقتدي عامة الزراع بما اتبع فيها وأن يترسموا خطواتها في الخدمة وطرق الزراعة والري والتسميد وما الى ذلك » — الى ان يقول — « ولا تدخر الوزارة جهداً في اذاعة المعلومات الصحيحة رجاء كثرة عدد الزراع الذين يلبون نداءها ويأخذون بنصحها . ولا يخفى ان هناك من العوامل المضادة ما لا تقوى الوزارة على تخطيه بسهولة . وكلما زادت الثقافة بين الزراع وانتشر التعليم اثمرت النصائح ولا شك عندي في ان مجهود الوزارة في دراسة كثير من المسائل الزراعية قد جاوز مستوى الثقافة العامة الذي بلغه عامة الزراع والى هذا يرجع السبب في عدم الوصول الى الحد الذي نتمناه جميعاً »

لذلك كنت وما زلت أقول انهُ يمكن الاستغناء عن الغيطان النموذجية وتوفير الكلفة والمجهود اللذين تبذلهما الوزارة فيها الى ما هو اوم وانفع وانهُ لترقية الزراعة لا بد من تعليم الفلاح — راجع مقتطف يوليو سنة ١٩٣٢ ص ٢٣٣ ما كتبتهُ عن غيطان النماذج وص ٢٣٥ ما كتبته عن حالة الفلاح

ومن الحقائق والفوائد العملية التي اهتدى اليها قسم تربية النباتات وتهم جمهور الفلاحين : —

اولاً — الطريقة المعروفة بطريقة الزراعة الرملية للقطن (ص ٢٠ — ٢٣) غير اني احسب ان هناك مبالغة في تصوير فوائدها

ثانياً — عدم فائدة تطويش شجيرات القطن — ص ٤٩ — خلافاً لما كان يقوله البعض عن فائدتها للمحصول

ثالثاً — فائدة التبكير بمحاياة القطن باجرائه بعد ثلاثة اسابيع من زرعهِ لا ضعف ذلك واكثر كما كان يتبعه البعض (ص ٥٠) ولكني ارى انهُ يحسن دراسة هذا الموضوع — موضوع وقت المحاياة — من جهة علاقته بتكاثر دودة القطن اذ ربما يكون تأخير المحاياة وعزق القطن مرتين قبلها

وما يقتضيه ذلك من تجفيف الارض وابادة الحشائش مفيداً في تقليل تناسل هذه الدودة ومنع تكاثرها اكثر من فائدة التبكير بها خصوصاً في الارض المحشة (الكثيرة الحشائش) وبالاخص في الجهات البحرية لا سيما اذا زرع القطن زراعة بدرية حيث الجو قليل الحرارة

(رابعاً) فائدة تعقير القطن (ص ٥٢)

واحسب ان ما ورد في ص ٥٠ عن المسافات بين شجيرات القطن (ان يكون التخطيط ١١ خطا في كل قصبتين و ٣٠ سم بين الجورة والجورة) خاص بالجهات الجنوبية وما شابهها حيث الارض فائقة الخصوبة لانا نعرف بالاختبار انه في الجهات البحرية حيث الارض اقل خصباً يفضل ان يكون التخطيط ١٢ خطا او اكثر قليلاً بدلاً من ١١

واحسب ايضاً ان بعض ما ذكر عن نتائج الزراعة البكيرة للقطن (ص ٥١) ينطبق على الجهات الجنوبية خاصة اما في البراري فان الزراعة الى ٢٠ مارس تعد زراعة بكيرة

***

اما بحث النظام الجذري في القطن وعلاقته بتفريع شجيراته فمن البحوث الجديدة العظيمة الفائدة التي يجدر بكل زارع مستنير معرفتها وكذلك ما ذكر في بحث مستوى الماء الارضي وان كان بعضهما يحتاج الى زيادة بيان

هذا ما خطر لي وأنا اقرأ بحوث قسم تربية النبات من الكتاب قراءة مستفيد يقدر جهود رجالنا الفنيين حق قدرها

وقد اعود الى باقي اقسام هذا الكتاب النفيس

احمد الالفي

« هجاء »

بحث للدكتور بشر فارس — في ملحق دائرة المعارف الاسلامية

في العدد الاخير من ملحق دائرة المعارف الاسلامية بحث نفيس باللغة الفرنسية في « الهجاء » للدكتور بشر فارس . والبحث تاريخي اجتماعي دقيق ، يتناول مقام الهجاء في الشعر العربي ويردّه الى اصوله الاجتماعية مما لهُ صلة بالعرض عند العرب ، وهو موضوع الرسالة النفيسة التي احرز بها الدكتور بشر رتبة الدكتوراه العلمية من السوربون. وقد كتبنا اليه راجين ان يتحف المقتطف بترجمة هذا الفصل ، اذا سمحت بذلك دائرة المعارف الاسلامية واتسع لها وقته

وبعد فاننا يسرنا ان يحرز احد شبابنا المتفوقين المولعين بالعلوم الشرقية هذا المقام في دوائر الاستشراق الاوربي ، فيعهد اليهِ في كتابة فصول في دائرة المعارف الاسلامية ، ويضاعف سرورنا ان المؤلف من نوابغ الكتّاب الذين يتحفون المقتطف بآثارهم النفيسة

١ — السهام

نظم الياس قنصل — ٨٧ صفحة حجم متوسط — طبع بالمطبعة السورية في عاصمة الارجنتين

« ان من تقيدت بلاده بالسلسلة والغل ليس حرًّا وهو بعض منها ، ومن لم يكن حرًّا فلن تتفتق نفسه عن شعر حر ، فسعيُنا لاستقلال بلادنا سعيٌ لحرية شعرنا ايضاً » . . . ذلك ما يقوله الشاعر الياس قنصل ناظم هذا الديوان الذي يضم مجموعة من شعره الوطني ، وان هذا الاحساس ليخالج نفس كل شرقي ، والشرق في حاجة الى هذا النوع من الشعر ليوقد فيه الجذوة الخابية وليثير في نفوس ابنائه الإباء والعزة ويشعرهم بما لهم من حقوق وما عليهم من تبعات نحوها . وليس احد أجدر من شعراء العاطفة بالنفخ في بوق الحرية ، ولذا رأينا الشاعر القرويّ يفلت من جوّ الهدوء مودعاً قيثاره الحنون الى جوٍّ صاخب مصطخباً فيهِ بوقاً عالي الصوت قويّ التأثير ، فأخرج ديوانه الاعاصير . واليوم نرى الياس قنصل يترك قيثارته العذبة وأنغامه الهادئة الشجية ليزأر ويصول ويثير النفوس ، ولهذا أقرأ الآن ديوانه « السهام » معجباً بهذا الروح الذي يجب أن يسود في هذه الايام التي تلوح للشرق بفرص ذهبية قد لا تعوّض . . .

وفي هذا الديوان مقطوعات بلغت من الاجادة في السبك والروح الشعرية مبلغاً طيباً كقصيدته « آمال تتجدد » التي رثى فيها الملك فيصل ، و« رسالة المهجر الى الوطن » وقصيدتهُ الى سلطان الاطرش وقصيدتهُ « معاذ الله ! » وغيرها من القصائد الاخرى التي يزخر بها هذا الديوان. على اني احسُّ ان روح الشاعر قد فترت حماستها في آخر قصيدة « معاذ الله ! » فانقلب وصّافاً يرسم دمشق بريشته الاولى ويتشوّق اليها فتحس الصلة منقطعة بين الابيات الموجودة بالصفحة ٤٥ وبين ما سبقها في هذه القصيدة

فنتمنى ان تكون هذه السهام مصيبة الهدف الذي وجهها اليهِ وان تكون باكورة جهاد ففوز

٢ — ديوان الاسكندرية

يأخرجه وكتب مقدمته علي محمد البحراوي — نشرته جماعة نشر الثقافة في ٢٠٨ صفحة من الحجم الصغير — طبع مطبعة المستقبل بالاسكندرية

ليس من ينكر ان في الاسكندرية حركة فكرية طيبة تعمل في سكون وهدوء . وكل من اتيحت لهُ زيارة هذا الثغر الباسم في جلوتهِ الصيفية أدرك أثر هذه الحركة ولمسها باليد غير ان العامل القويّ الذي يجامل هذه الحركة بالسكون ويجعلها تتشح بثوب الصمت هو ما اشار اليهِ الاستاذ البحراوي في مقدمتهِ الرائعة وهو عدم توطد الحياة الصحفية في الاسكندرية ، والصحف هي التي تحتضن النهضات الادبية وتتعهدها بالنمو والازدهار ، ولذلك فان حركة النشر تضعف تبعاً لذلك وتأخذ سبيلها الى العزلة

ولقد أدى الاستاذ البحراوي الى الادب العصري أجلّ خدمة بإخراج هذه المجموعة من نظوم شعراء ذلك الثغر على اختلاف مناهجهم ، والكثير منهم ليس بالمجهول ، فلقد ضمت هذه مجموعة شعراء معروفين كالاساتذة خليل شيبوب وعبد الرحمن شكري وعبد اللطيف النشار براهيم زكي وعثمان حلمي وغيرهم ، وضمت الى جانب ذلك زهرات غضة من آدابهم

على أن الذي ألاحظه ويلاحظه الكثيرون هو خلوّ الديوان من صور للاسكندرية في أجمل رقاتها حيث تتجلى آية من الفن جمالا وفتنةً وسحراً وشعراً حيًّا وثّاباً ، ولعلّ أعباء الحياة مشاغلها هي التي تشغلهم عن التمتع بهذه الفرصة التي ينتهزها أخوانهم القاهريون ويعودون منها ملّين بأبدع وحي وأجمل ذكرى . نتمنى ان يكون حظ الجزء الثاني من هذا الديوان في مرتبة لجزء الأول قوة وإبداعاً

حسن كامل الصيرفي

القاهرة

الجزء الثاني — تأليف الملازم الاول — عبد الرحمن زكي صفحاته ٢٠٢ —

كثير الصور والرسوم — ثمنه ١٠ قروش

قدمنا الى قراء المقتطف في السنة الماضية الجزء الاول من هذا الكتاب التاريخي الأثري النفيس غتبطين ان نرى بين ضباطنا الشبان من يُعنى بانفاق فراغه في الاشتغال بالمسائل العقلية بوجه عام بناحية من تاريخنا القومي بوجه خاص . ولعلّ خير ما نسوقه الى القراء في تعريف الجزء الثاني من ذا الكتاب ، كلمة كتبها العالم بالآثار الاسلامية الدكتور زكي محمد حسن . قال :

ظهر الجزء الاول من هذا الكتاب في العام الماضي فكنت من اشد الناس اغتباطاً به وابتهاجاً ظهوره ولا غرو فقد سد في عالم التأليف العربي فراغاً كبيراً اذ كان من العار ان لا يوجد في اللغة لعربية كتاب بل كتب حديثة عن عاصمة الديار المصرية وان نطرق ابواب الاجانب نستهديهم ا نحتاج اليه في دراسة تاريخها وآثارها

ويسرني اليوم ان اقدم الى القراء الجزء الثاني من كتاب القاهرة وأنا حريص الحرص كله على ن اني المؤلف حقه من المدح والثناء ليس فقط لانه احسن القيام بما اخذه على عاتقه فأفلحت محاولته لم يضع جهده عبثاً بل لاني كنت اخشى ان يقعده عن اتمام هذا الجزء ما يحسه ويشعر به هو غيره من المؤلفين في مصر من قصور في تشجيعهم وتقدير ما يبذلونه من جهود كبيرة ولا سيما ين ينهضون بعبء الكتابة في موضوعات لم يسبقهم كثيرون الى البحث فيها ولا تنعم دراستها الا يثات خاصة بينما يقابلها سواد الناس بشيء من الوجوم والاستخفاف

وليس هذا الجزء من كتاب القاهرة بأقل طلاوة من الجزء الذي سبقه فنهاج البحث فيهما احد والعصر الذي يعرض لنا المؤلف صورته هنا ليس أقل شأناً من العصور التي سبقته بل ان

في هذه الصورة ما يبعث على تفكير أكثر لتعميق حقائقها وتعرف ما وراءها

وفي الواقع ان انحلال دولة المماليك وتفككها بينما كانت الدولة العثمانية تسير بخطى واسعة الى التوطد والنماء جعل مصر فريسة هينة لها وكان استيلاء العثمانيين على وادي النيل وانتزاعهم الخلافة الاسلامية ايذاناً بانتهاء مرحلة العصور الوسطى في مصر وابتداء العصور الحديثة بما فيها من علاقات سياسية متصلة بالامبراطورية العثمانية والعالم الاوربي

وقد وفّق المؤلف كل التوفيق في شرح الحوادث التاريخية التي مرّت بمدينة القاهرة منذ استولى عليها السلطان سليم حتى أشرق نجم محمد علي باشا الكبير فنجح في وضع الحجر الأساسي لاستقلال مصر الحديث . وجاء خلفاؤه من بعده فعملوا على تدعيم هذا الاستقلال . وعرض المؤلف في هذا الجزء صورة بديعة للقاهرة ولتطور فن العمارة فيها وما أصابه وبقية الفنون من تعضيد أو غيره على يد الذين استولوا على أزمة الحكم في وادي النيل

وربّ معجب بطريقة المؤلف لم يكن ذلك الاعجاب ليمنعهُ من مناقشته في امور قليلة ليكون كتابه اقرب ما كتب عن القاهرة الى الاتقان والكمال ولكن علينا ان نذكر ان الملازم الاول عبدالرحمن زكي عمل على ان يلائم بين كتابه وبين عقول سواد القراء وأخذ على عاتقه ان يلتزم الايجاز وان يترك التحليل والدقة والاستقصاء الى المفصّل من كتب التاريخ والفنون والآثار . ومهما يكن من شيء فان رجاءه على هذا الكتاب انما هو تمهيد السبيل ليستطيع غيره أن يصل الى حيث لم يصل فعسى أن يحرص القراء على الانتفاع بما كتب وأن يبعث ذلك فيهم روح التزيد من البحث والانعام في دراسة كتب الفنون والآثار

المدرسة المستنصرية

هذه هي الرسالة الأولى من رسائل (نادي المثنى) ببغداد ، وهي تكشفُ عن الهمّة التي يقومُ بها اعضاء النادي في خدمة العربيّة ، وإنقاذ مخلّفات مجدها من الضياع . وقد قدموا هذه الرسالة بعد سعيٍ عند دار الآثار العراقية في المحافظة على هذه المدرسة ، والتفاهم معهم على ترميمها وإصلاحها . وباني هذه المدرسة هو المستنصر بالله أمير المؤمنين ولي الأمر سنة ٦٢٣ هـ ويعدُّه كثير من المؤرخين من أعلى خلفاء بني العباس كعباً في خدمة الدولة ، وإقامة السلطان ، وبذل النصفة بين الناس بالعدل ، وردّ الناسِ الى شريعتهم من الدين ، وكان هو هازم التتر ورادّهم على أعقابهم حين قصدوا اول مرّة العراق ، ولم تزل التتر في كربٍ منهُ ومن اخيه الخفاجيّ ، ولم يظفروا في مدة ولايته بشيء وتوفي المستنصر بكرة الجمعة ١٠ جمادى الآخرة سنة ٦٤٠ هـ ودفن في الدار المثمنة بدار الخلافة على شاطيء دجلة ، ثم نقل بعد الى مدفنٍ كان أعدّه لنفسه . وذهب الخليفة وبقيت مدرسته التي بناها موئلاً للعلم والدين ، ومناراً يهتدي بهِ المسلمون ويأوي اليهِ الأئمة ، وأثراً جميلاً من اروع الآثار الاسلامية ، وأدقها نظاماً وتنوعاً وفي هذه الرسالة [illegible]

لباب الآداب

تأليف الامير اسامة بن منقذ — طبع بتحقيق الشيخ احمد محمد شاكر — مكتبة لويس سركيس بالفجالة

هذا الكتاب من تأليف الامير النبيل والفارس المغوار والشاعر الاديب والرحالة الصياد اسامة ابن منقذ (١٠٩٥—١١٨٨ م) الذي نشأ وترعرع في قلعته المنيفة شيزر على العاصي في شمال سورية، وقضى سني حياته الحافلة متنقلاً بين دمشق والقاهرة والموصل وسائر الحواضر الاسلامية، يجاهد ضد الافرنج الصليبيين، ويكافح الاسود الضواري، ويعاشر زنكي ويصطاد مع نور الدين ويصاحب الخليفة الفاطمي ويتعرّف بزعماء الافرنج وينظم الشعر ويؤلف الكتب. فحياة اسامة تمثل الفروسية العربية على ما ازدهرت في ربوع الشام والتي بلغت قمة ازدهارها في صديقه وظهيره صلاح الدين. فالكتب التي الفها اسامة نافذة تشرف منها على المدنية العربية السورية بمجدها وبالمقابلة مع المدنية الافرنجية

ومن خير الكتب التي صنفها هذا الامير الاديب، كتاب «لباب الآداب». وهو من احود كتب الادب واحسنها، فقارئهُ يتنقل فيه من روض الى روض، فيجتني ازاهير الحكمة وروائع الادب ويقتبس مكارم الاخلاق. وفيه ميزة اخرى جليلة. ذلك انه فيه اقوالاً من نثر ونظم لم نجدها في كتاب غيره من الكتب المطبوعة. فقد وجدنا ابياتاً لعامر بن الطفيل لم تذكر في ديوانه المطبوع في اوربا مع أن المستشرق الذي طبعهُ جمع فيه كل ما وجد لعامر في الكتب الاخرى. ووجدنا ابياتاً لمالك ابن حريم الهمداني لم نجدها في غيره من الكتب وكذلك لابن المعتز ولابي العلاء المعري ولغيرهم» (فاتحة المحقق صفحة ٦)

وكان المرحوم الدكتور صرُّوف يملك النسخة الاصلية من هذا الكتاب الفذّ. وهي نسخة المؤلف الخاصة، اي نسخة أسامة نفسه كتبت في حياته ثم أهداها الى ابنه مرهف بن أسامة

وقد أهدى الدكتور صرُّوف نسخة فوتوغرافية من هذا الكتاب الى دار الكتب المصرية. وعلى أساسها شرعت مكتبة لويس سركيس في طبعه، بعد ان عهدت الى الشيخ احمد محمد شاكر في تحقيق الكلام ووضع الفهارس، ولكنهُ ما كاد ينتهي من طبع ثلث الكتاب حتى دلَّهُ الشيخ محمد عبد الرسول على نسخة اخرى من الكتاب وكانت مذكورة في الفهرس القديم في باب علم التصوُّف. فاستعان بها في التصحيح. ويقول المحقق في هذه النسخة الثانية انها غير جيدة وفيها تحريف كثير ولكنها على كل حال أعانتهُ في غير موقع على التثبت مما غمض عليه في ألواح النسخة الصرُّوفية، مستعيناً بشقيقه محمود وبالشيخ محمد حامد الفقي

فلباب الآداب كما أخرجهُ الشيخ احمد محمد شاكر، مخدوم بتحقيق قلما يتاح لكتاب قديم، وبفهارس خمسة لابواب الكتاب وأعلامه وأماكنه وأيام العرب وقوافي الشعر

والحق أنهُ تحفة من تحف الادب العربي المجيد، ولا نخالنا الاَّ مفيدين منهُ الادبين أدب النفس وأدب البيان اذا اكببنا على مطالعته

كتاب الزراعة العملية الحديثة

تأليف الامير مصطفى الشهابي عضو في المجمع العلمي العربي ومدير وزارة الزراعة والتجارة بدمشق ومهندس زراعي (غرينيول) طبعة ثانية في ٥٠٠ صفحة ونيف تحتوي على ١٣٩ شكلا

موضوع الكتاب . يبحث هذا الكتاب الغزير الفائدة في تكون الاتربة الزراعية وتركيبها وخصائصها والاقاليم الزراعية السورية ونبذة في علم حياة النبات والاعمال الزراعية العامة والاسقاء وصرف المياه الزائدة والمصلحات والاسمدة ويصحبها بحث في جولوجية الشام الزراعية والدورة الزراعية وتعاقب الزروع . وهذه الابحاث كلها يطلقون عليها اسم الزراعة العامة . اما الابحاث التي يسمونها الزراعة الخاصة فقد تناول المؤلف منها زراعة اهم النباتات في ديار الشام منها ، اولاً الحبوب على انواعها كالحنطة والشعير والذرة والرز . ثانياً القرنيات كالفاصوليا والبسلّى والعدس والفول . ثالثاً نباتات الكلأ والمروج كالبرسيم والفصفصة (القت او البرسيم الحجازي) . رابعاً النباتات العسقولية (الدرنية) كالبطاطس والبنجر او الشوندر واللفت . خامساً النباتات الصناعية المختلفة كالقطن والقنب والكتان والسمسم والخروع والحناء الخ . سادساً النباتات المختلفة كالتبغ وقصب السكر والكمون والسماق وغيرها . وقد اسهب الامير في كل ما لهُ علاقة ماسة بزراعة الديار الشامية كالحنطة والتبغ والسمسم والقنّب والقطن الذي يزرع على المطر واوجز في النباتات الاخرى . وجميع الابحاث نتيجة دروسه الخاصة مدة عشرين سنة في المخابر او المزارع . ومما لم يسبقه اليهِ احد في الابحاث العلمية تحلية اصناف النباتات ورصد الجويات ١٨ سنة متتابعة وغير ذلك مما يجعل للكتاب قيمة علمية عملية ليست في غيره من الكتب الزراعية في ديار الشام خاصة

لغة الكتاب . اما لغة الكتاب فلا يختلف اثنان في ان الامير هو علاَّمة العربية الاوحد في المصطلحات الزراعية وانهُ فيها نسيج وحده لذلك جاءت هذه الطبعة في لغة ما كتبت الزراعة بأصلح منها منذ صدر الاسلام . ومن المصطلحات التي لفتت نظرنا اسماء الآلات الزراعية والاسماء التي وضعها [1] لنباتات الكلأ المختلفة واسماء بعض اعراض الزروع

منها الضجَعان او الغَمَل لما يسمى بالفرنسية Vers وتسمية الترقيداي ميل سوق الحنطة نحو الارض لقلة صلابتها . والبَشَق والرَصَع لمرض اختناق جذور الحنطة . والشَقِران لمرض الصدإ وهو بالفرنسية Rocille والشواد للمرض المسمى Charbon الخ الخ ومن الامثلة التي تدل على علو لغة الكتاب هذا المثال الصغير عن اصناف الفاصولياء قال (صفحة ٣٠٤)

« الفاصولياء العريضة . — سوقها متسلقة واوراقها كبار غلاظ خشنة وقرونها طوال عراض وبذورها بيض كبار مفلطحات . وهذا الصنف من اكثر الاصناف شيوعاً بدمشق »

ولم يأنف الامير من استعمال كلمة كيميائي نسبة الى كيمياء وقد ذكر لي انهُ راجع في ذلك شرح الشهابي الرضي فثبت له اثبات الهمزة في مثل كيميائي بلا ادنى ريب

---

(١) انظر مقالاً في هذا الجزء من المقتطف ص ٥٨٧

ومما اذكره ان استاذنا الدكتور صرُّوف رحمهُ الله عند ما أُهديت اليهِ نسخة من طبعة هـذا الكتاب الاولى ذكر في المقتطف ان هذا الكتاب هو كتاب السنة . ولا ريب في انهُ لو اطلع على هذه الطبعة بعد ان سمت لغتها ونقحت انجمائها وحوت اجود المصطلحات الزراعية لما تردد بان يجعلها « كتاب السنة » في يومنا هذا . فعسى ان يتحفنا الامير بكتب كثيرة من المؤلفات المفيدة

مصر الجديدة — امين المعلوف

قصص جغرافية للاطفال

الجزءان الاول والثاني : لفنجستون وستانلي — لكامل كيلاني — نشرته المطبعة العصرية

لم نكد ننتهي من كتابة الكلمة التي نشرت في مقتطف اكتوبر الماضي عن جزئي كتاب القصص العلمية ، حتى انتهى إلينا جزءان آخران من كتاب جديد ، هو كتاب القصص الجغرافية ، إلا أننا لم نر في ذلك مفاجأة تستجلب الدهشة ، فقد ألفنا من المؤلف — كامل كيلاني — خصلتين : السرعة ، والتتابع فيها ، وقد يقاسمه الاولى كثيرون من المؤلفين ، أما الثانية فليس لها الاَّ امثال هذا المؤلف الجادّ ، وهم قليلون

وقد لاحظنا أن كتاب القصص العلمية كان من اخراج مطبعة المعارف ، أما كتاب القصص الجغرافية فأخرجته المطبعة العصرية ؛ فلعلَّ الاستاذ كاملاً يجد ان داراً واحدة من دور النشر يفوتها لحاقه ، ويتعذر عليها اسعافه ، فوزع مؤلفاته على دور شتى ، لكي تتمكن من مسايرتها له . او يعمل بقول يعقوب « يابني : لا تدخلوا من باب واحد ، وادخلوا من أبواب متفرقة » فهو ملتمس بذلك تعويذ مؤلفاته — حفظها الله — من العين ! . . . .

اشتمل هذان الجزءان من كتاب القصص الجغرافية على ترجمة حياة لفنجستون وستانلي يتخللها مجموعة من الاساطير الطريفة . وطريقة المؤلف في كتابه ان يعقد حواراً بين رجل وأبنائه ينتهي بالموافقة على سماع قصة الكشاف ، فاذا سُمِع فصل منها ، انعقد الحوار مرة ثانية ، ووفق فيهِ على سماع اسطورة ، فإذا انتهت تلك عاد الحوار مرة اخرى ، ثم سُمِع من القصة فصل آخر . وعلى هذا المنوال نُسِجَت فصول القصة كلها فجاءت الأساطير بمثابة الوشي والتطريز لهذا النسج الجميل

والحق ان ذلك المساق يضمن للأطفال دوام النشاط والانتباه في القراءة ، ومن البدائه ان نشاط الطفل وانتباهه امر ضروري يتوقّف عليهِ استفادته مما بين يديهِ من الكتب . وإن إجادة المكاتب للاطفال لتختلف باختلاف ما في كتابته من التحيل لذهن الطفل الغضّ الذي تضره الشدة والصرامة ، وملاينة فكره المُدَلَّل الذي يمنعهُ العنف ان يتأثر بما يقرأ

والكتاب في شكله فتنة أخّاذة ، فقد بُذلت في صورهِ الموفورة عناية تشهد ببراعة الذوق ، وقد طبعت فيهِ المحاورات والاساطير بحروف حجمها غير حجم الحروف التي طبعت بها فصول القصة الجغرافية ، فاكتسب الكتاب بذلك رونقاً وطرافة تأخذ العين ، ثم تمعن في اخذها ! ***

يوبيل مجلة العرفان

لا يخفى على احد ما تقدمهُ الصحافة الرصينة للأمة من الفوائد فهي مرآة للروح القومية مر شعور عام ومبادىء وأدب وهي مرقاة لليقظة الفكرية والنساط الأدبي والوطني معاً . وقد اجمع الشعوب على ان الصحافة هي عنوان رقي الامم . والصحافة ولا سيما الادبية والعلمية تواجه في الشرق عقاباً شتى أدبية ومادية تكاد تقضي عليها لولا جهود منشئيها الجبارة ولولا لذة الثبات في العمل

وفي طليعة صحفنا الأدبية مجلة « العرفان » تتبارى مع أرقى المجلات العربية مادة واسلوباً . فقد ثبتت في طريق كلها اشواك ومتاعب . ومتى عرفنا ان عشرات من الجرائد والمجلات في سورية ولبنا قد توارت في هذا الزحام الشديد اتضح مقدار الجهود الخطيرة التي يبذلها صاحب العرفان الكر الشيخ احمد عارف الزين لحفظ كيان مجلته في هذا المعترك الادبي وهذا التنازع المستديم . والخدمات الادبية التي ادتها هذه المجلة العزيزة عديدة واسعة النطاق نكتفي ان نحصرها في نقاط ثلاثة :

فهي اولاً (مجلة جبل عامل) هذا الجبل الأشم صاحب التاريخ المجيد في السياسة والأد والذي يحق له أن يدعى « پرناس » لبنان حيث يولد الشعر الفطري مع كل فرد من ابنائه . فطا افسحت هذه المجلة صدرها لنفحات أدبائه الذين قلما يتسنى لهم ان يتصلوا بصحف أخرى لنش ما تجود به قرائحهم . وقد كان لها فضل كبير في انارة الرأي العام وتوسيع نطاق التفكير وبث رو النهضة في منطقة مهملة في كثير من حقوقها . ولا ننسى فضل مطبعتها في نشر مئات من المؤلفا التي لا يتمكن اصحابها من طبعها لولا تساهل صاحب العرفان ومؤازرته الفعالة لهم

ثانياً — هي مجلة (الشيعة الكبرى) في جميع انحاء العالم في العراق كما في سوريا ولبنان وهذ الميزة تكفي لان تحفظ لها الاحترام والمرتبة التي هي اهل لها . فهي أداة تعارف بين الأوسا الشيعية من أدباء وعلماء على اختلاف بلدانهم . وحسبها فخراً انها اول صحيفة عرفتنا بادباء العر المجددين امثال الشبيبي والشرقي والجواهري وغيرهم من كبار ادبائهم وقد دعاها ادباء العراق « م العراقيين » فلا عجب إذ رأينا كرام هذه الطائفة العزيزة في مختلف الاقطار مستعدين لتكريم العر

ثالثاً هي (مجلة العرب) فإن المجلات العربية محصورة في الغالب في القطر الذي تصدر فيه ماعدا مج « المقتطف » و« الهلال » وهما في نظر المفكرين نواة وحدة الثقافة والآداب في العالم العربي وعلى ه فإنا نرى ان « العرفان » المنتشرة ايضاً في كل قطر عربي وفي المهجر لها مع « الهلال » و« المقتطف نصيب وافر في تكوين عناصر هذه الوحدة الأدبية المنشودة . ولا بدع إذاً إذاً رأينا انصار ه المجلة في جميع الاقطار على أتم الاستعداد للاشتراك في الاحتفال « بيوبيلها الفضي » ومؤازرتها ما وأدبياً . وقد ترامى الينا انه فضلاً عن الحفلة الأدبية الكبرى التي ستقام لها في صيدا في الربيع الـ والتي سيشترك فيها أمراء البيان في الأدب العربي سيقام لها ثلاث حفلات في نيويورك والأرج والعراق . وسوف يعين تاريخ موعد الحفلة في هذين الشهرين وستوضع الحفلة تحت رعاية الحكـ المحلية التي تقدر قدر الادب وذويه

« ملخص من بيان لجنة الاحتفال »

باب الأخبار العلمية

العين وطول العمر

مدى الحياة تعينه الوراثة

Accession Number
Date

مباحث عالم الماني

لماذا يتقلص الجلد وينكمش ويضعف البصر ويسقط الشعر وتبطىء الخطى ويخف السمع ويشيخ الجسم بوجه عام؟

وهل الشيوخة داء؟

قبل ان يرتقي الطب فيحسب في عداد العلوم كانت هذه الاسئلة تقلق البال وتحمل على التفكير والبحث. فجعل كيماويو العصور المتوسطة همهم البحث عن اكسير الحياة وينبوع الشباب

وقد تضحك الآن من المعتقدات التي كانت تسيطر على عقول الناس حينئذٍ لاننا نظن ان بعض المعارف العلمية قد حررتنا من نيرها ولكننا مع ذلك لا نزال كما كانوا يقلقنا كل ما يتعلق بالهرم والشيخوخة ولا نزال نعنى بالبحث عن اسبابهما ووسائل اتقائهما

هل يضعف الجسم ويسير الى القبر لان الوسط الذي نعيش فيهِ يقوى عليهِ — يقوى بجراثيمه المنوعة واختلاف حرارته وبرده ورطوبتهِ؟ واذا كنا نفسر الموت بانحطاط الجسم وحؤوله، فكيف نفسر تعمير اقطاب من امثال غلادستون وبسمارك وكيف نعلل ايضاً وفاة عبقري كموزار في ما يكاد يكون في شرخ الشباب؟

هذه خواطر تخطر للباحث بعد اطلاعه على مقال للعلامة الالماني الاستاذ فوغت. فقد عمد هذا البحاثة الى تبين اسرار الهرم والشيخوخة والتعمير في التوائم

فبحث ما استطاع عن توائم كل توأمين منها متشابهان تمام التشابه أي انهما اشتقا من بيضة واحدة فتشابه بناء جسميهما في كل تفصيل دقيق حتى ليتعذر في الغالب على والديهما ان تفرق احدهما عن الآخر. فعثر بعد السهر والسعي على تسعة عشر زوجاً من التوائم التي من هذا القبيل وكانت اعمارها تختلف من ٥٥ الى ٨١

والاستاذ فوغت مدير عيادة العين في جامعة زوريخ. فكان من الطبيعي ان تتجه عنايته الى فحص عيون التوائم لتبين اثر السنين فيها — في بلورتها ومائيتها وقرنيتها وشبكيتها وسائر اجزائها

وكانت النتيجة التي اسفر عنها بحثه من اعجب ما يكون

فقد ثبت لهُ انهُ مهما يكن الاختلاف في نشأة التوأمين وسواء عاشا معاً في وسط واحد او فصل احدهما عن الآخر فعاشا في وسطين مختلفين فان حالة عينيهما كانت واحدة. اي ان

آثار تقدم العمر كانت واحدة في كل من التوائم التي فحصها فالانحطاط النسيجي في القرنية والشبكية والبلورة والمائية كان واحداً في كل زوج من من التوائم التي فحصها

ولكن التشابه لم يقتصر على العين

بل وجد ان شعر الفروة يسقط في كلا التوأمين في وقت واحد او يشيب في بقعة واحدة

بل انهُ وجد تشابهاً عجيباً في تجعد الجلد وانكماشه وغيره من بوادر الهرم

***

ولا يخفى ان علماء الوراثة قد انفقوا وقتاً طويلاً في درس آفات العين وانتقالها بالوراثة او عدمه فاجتمع لديهم من الادلة ما يدلُّ ان العيون يضعف بصرها في الاسر وفقاً لقاعدة معينة .

وقد اثبتت مباحث فوغت صحة هذا الرأي

ويلخص الاستاذ فوغت من المباحث التي تقدم معنا ذكر طرف منها الى النتيجة التالية وهي ان الوسط لا أثر كبير له في موضوع التعمير والشيخوخة وعنده ان مدى حياة الانسان معين من قبل الولادة بعوامل وراثية خاصة وان كل عضو من اعضاء الجسم له مدى خاص من الحياة . وهذا يعني ان التعرض للفواعل الطبيعية لاينجم عنه امراض او عوارض تقصر مدى الحياة . ولكنه يعني انه اذا عني الانسان بمعيشته الصحية عناية معقولة فليس للوسط الذي يعيش فيه تأثير كبير في طول حياته أو قصرها وهذا يتفق من ناحية ما والى حد ما مع رأي الدكتور ستريتر مدير قسم البيولوجيا الحيوانية في معهد كرنيجي . فهو يقول ان المرض ليس نتيجة مباشرة للجراثيم الضارة فاجسامنا لا تستطيع ان تقاوم هذه الجراثيم مقاومة متساوية وانخذال اجسامنا امام حملاتها او فوزها في رد شرورها يتوقف على نشاط الحملة وعلى قوة النسج الحيوية ونشاطها . وقوة النسج تتوقف على تركيبها وهذا يعود بنا الى البيضة التي نشأت منها . فالتعمير او الموت في شرخ الشباب اذا تساوت جميع العوامل الاخرى يتوقف على ما ورثه من والديه

هل حقن الاكسجين

ينقذ حياة الغرقى

يؤخذ من مباحث طبيب هندي يدعى الدكتور سنج يقوم بمباحث علمية طبية في جامعة كمبردج احياناً وكلية رانغون الطبيعة احياناً اخرى ان حقن الاكسجين في العروق قد يكون السبيل لانقاذ حياة الغرقى أو المصابين بنوع خاص من النزلة الشعبية او غيرها من الحالات التي يصعب فيها التنفس على المريض

فقد تمكن هذا الطبيب من الاحتفاظ بكلب حيًّا مدة ١٦ دقيقة بحقنه بهذه الحقن مع ان الكلب ظل خلال هذه المدة لا يتنفس الاكسجين عن طريق الرئتين . وكان ضغط الاكسجين المحقون في العروق ثلاثة اجواء ، ولولا خطأ في اسلوب الحقن لاستمرت التجربة اكثر من ١٦ دقيقة . وقد نشرت مجلة اللانست الطبية هذا النبأ وعلقت عليه بمقال افتتاحي

والخطوة التالية هي تطبيق هذه التجربة على الناس

169101
1.1.96

جائزتا نوبل

في الطبيعة والكيمياء لسنة ١٩٣٥

حملت الينا الانباء البرقية ان جائزة نوبل في الطبيعة منحت للعالم الانكليزي الاستاذ شدك ـ وان جائزة نوبل في الكيمياء منحت للعالم الفرنسي الاستاذ جوليو وقرينته مدام ايرين كوري جوليو وهي ابنة الاستاذ كوري وزوجته اللذين اشتهرا باكتشاف البولونيوم والراديوم

والى القارىء طرفاً من المباحث التي قاموا بها جميعاً فاستحقوا الجائزتين عليها

في اوائل سنة ١٩٣٢ أذيع في انكلترا ان الاستاذ شدك كشف دقيقة مادية جديدة اطلق عليها اسم النوترون وهذا الاكتشاف اقوى دليل على عالمية العلم وشيوعيته . ذلك ان طوائف مختلفة من العلماء في بلدان مختلفة مهدوا بمباحثهم الطريق لكشف النوترون على يدي شدك الانكليزي

ففي سنة ١٩٣٠ كان العالمان الالمانيان بوث وبكر يطلقان دقائق الفا على لوحة من معدن البريليوم . فكانت الدقائق المسددة الى تلك اللوحة تصيب نوى ذرات البريليوم فتطلق هذه من تلقاء نفسها اشعة غريبة شديدة النفوذ فظن انها من قبيل اشعة غما التي تخرج من الراديوم وانما تفوقها طاقة وقدرة على نفاذ المواد .

وفي سنة ١٩٣١ قام الاستاذ جوليو وزوجته كريمة مدام كوري بتجارب من هذا القبيل ولكنها اوسع نطاقاً واضبط احصاءً وادق حساباً

واظهر ما ظهر في هذه التجارب ان الاشعة الخارجة من البريليوم — او ما يحل محله من المواد — اشد طاقة عشرة اضعاف من الاشعة الموجهة اليه . ففرض جوليو وزوجته ان هذ الاشعة امواج تقع بين اشعة غما التي تخرج م الراديوم والاشعة الكونية وهي اقصر الاشع المعروفة امواجاً واقواها نفاذاً

واطلع شدك على هذه التجارب ونتائ فاعادها ووجد ان فرض ان هذه الاشعة امو لايتفق والنتائج الرياضية ولكن اذا فرض ا تيارات من دقائق وزن كل منها واحد (ا كوزن ذرة الايدروجين) ومتعادلة الكهربائ (اي ان كهربائيتها السالبة تعادل كهربائي الموجبة) وتسير بعشر سرعة الضوء كفى ذل لتفسير الحقائق المشاهدة . ودعا الدقيقة ال تتصف بهذه الاوصاف باسم « النوترون » ا المحايد (من محايدته الكهربائية)

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان مباح جوليو وزوجته التي افضت الى اكتشاف النوترو افضت بهما كذلك الى استنباط طرق جدي لتوليد اشعة اقوى من اشعة الراديوم وهو يعرف في علم الطبيعة الحديث باسم الاشع الصناعي Artificial Radio —Activity

علاج الانيميا الخبيثة

يفيد في الجدري

في اواخر السنة الماضية منحت مؤسسة نو العلمية جائزة نوبل الطبية لثلاثة اطباء اميركي هم مينو وهوبل ومرفي لاستنباطهم طريقة معا الانيميا الخبيثة بالكبد . وقد فصلنا عملهم المقتطف والكتاب الجديد الذي اهديناه المشتركين بعنوان « اساطين العلم الحديث » وقد اطلعنا الآن في « رسالة العلم الاسبوعي